فهرس جلد ثانی

سورة الاعراف ١	سورة الانفال ٧٥	سورة التوبة ١٠١	سورة یونس علیه السلام ١٤٩
سورة هود علیه السلام ١٨٣	سورة یوسف علیه السلام ٢٢٦	سورة الرعد ٢٦٠	سورة ابراهیم علیه السلام ٢٨٠
سورة الحجر ٢٩٧	سورة النحل ٣١٥	سورة بنی اسرائیل ٣٥١	سورة الکهف ٣٨٣
سورة مریم ٤٠٩	سورة طه ٤٣٤	سورة الانبیاء علیهم السلام ٤٦٢	سورة الحج ٤٩٣
سورة المؤمنین ٥١٣	سورة النور ٥٢٧	سورة الفرقان ٥٥٢	

هو السلام ومنه السلام واليه يرجع
السلام من رب العالمين

لا اله الا الله محمد رسول الله
صادق الوعد الامين

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 89/2

RAĞIP P.
Ka. Nu.
112 113

۱۰۷

شیخزاده
علی القاضی
۱۱۲

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد المرسلين، محمد خاتم النبيين، وعلى آله
واصحابه اجمعين اما بعد فهذا اوان الشروع لكشف مرموزات سيد المفسرين وقدوة
المحققين ناصر الدين البيضاوي تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه في ارفع منازل الجنة
العالية مع الصديقين وعباده المقربين آمين يا رب العالمين المتعلقة بسورة الاعراف
قوله سبق الكلام في مثله قد اختار فيما سبق ان الحروف المقطعة المذكورة في اوائل السور
على نمط التعداد في محل الرفع على انها مبتدا حذف خبره او خبر مبتدا محذوف لكونها مقدرة
بالمؤلف من هذه الحروف والتقدير هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف التي هي
عنصر كلامكم التي تركبون منها كلامكم او المؤلف منها هو المتحدى به المطلوب منكم اتيان مثله
بل اتيان اقصر سورة منه وعجزتم عن ذلك عجزا بينا كما قال تعالى لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وهذا الاعجاز حجة
واضحة على انه كلام رب العالمين انزله هدى للناس ليهتدوا به ويفوزوا بسعادة الدارين
وعلى ان من اوحي اليه هذا الكلام المجيد رسول كريم اجتباه الله تعالى للنبوة والرسالة صادق
في دعوى الرسالة بانزال هذا الكتاب الكريم والقران العظيم عليه فطوبى لمن صدقه و
آمن به وسلك سبيله واتبع سننه وويل لمن كذبه وعصاه فالمقصود من افتتاح السور
بهذه الحروف تقدمة دليل الاعجاز لتحريك نشاط السامع والتالي على تعظيم
ما يليها والانقياد به فلما كان المص جملة مستقلة كان قوله كتاب جملة اخرى حذف منها
المبتدا وهو الضمير الراجع الى المؤلف من الحروف المذكورة ثم جوز ان يكون المص اسما
للسورة او القران ويكون في محل الرفع على الابتداء ويكون كتاب خبره قوله شك جعل
لفظ الحرج مجازا عن الشك على طريق تسمية الشيء باسم لازمه فان حرج الصدر
وضيقه من لوازم الشك واللفظ المستعمل في الملزوم مع عدم امكان ارادة المعنى الحقيقي
مجاز لا كناية وههنا ارادة حقيقة الحرج والضيق اذ لا معنى لتحرج القلب عن نفس
الكتاب وعن نفس انزاله وعن نفس اسناد انزاله الى الله تعالى لان كل واحد من ذلك
بمنزلة القلب ويرتسم فيه وانما المتصور ان يتحرج القلب عن التيقن والجزم بكونه
منزلا من عند الله تعالى فان الشاك في الحكم لا يستقر في قلبه احد طرفي النسبة فيضيق قلبه
عنه وكلمة من في قوله منه سببية اي لا يكن في قلبك حرج بسببه وضمير منه راجع الى
الانزال المسند اليك المدلول عليه بقوله انزلناه قوله او ضيق القلب عطف على

قد ذكرنا في اول البقرة كلاما في الحروف المقطعة في اوائل السور فهو يعم هذا ايضا فانا نخص هذه فنقول فيه ستة اقوال احدها ان معناه انا الله اعلم وافصل رواه ابو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه والثاني انه قسم اقسم الله تعالى به رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه والثالث انه اسم من اسماء الله تعالى رواه ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه والرابع ان الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صمد وصادق وصانع المصنوعات قاله ابو العالية والخامس المص اسم للسورة قاله الحسن والسادس انه اسم من اسماء القران قاله قتادة قال الثعلبي رايت في بعض التفاسير معنى المص الم نشرح لك صدرك قال الماوردي ويحتمل عندي قولا آخر وهو ان يكون المراد به المصير الى كتاب انزل اليك فحذف باقي الكلمة نهاية

٢

على قوله شك اي ويحتمل ان يكون الحرج مستعملا في اصل معناه بان يقدر المضاف في منزل
فلا يكن في صدرك حرج من تبليغه وكن على ثقة بان الله تعالى يحفظك من مكاره طريق تبليغه فان
الاحبار كما تضيق عن احاطة الاجسام الحالة فيها كذلك يضيق القلب عن ان يستقر فيه بعض
الامور كما خشي عليه الصلوة والسلام عن ان يضيق قلبه عن ان يستقر فيه تمكنه من التبليغ تهيبا
لهم والاباء العزيمة على التبليغ فان ساحة صدره عليه الصلوة والسلام بمعزل عن ان يضيق
فيحتاج الى النهي عنه قوله وتوجيه النهي اليه مع ان الحرج ليس مما يؤمر وينهى بان يكون في
الصدر او لا يكون فيه لان الامر والنهي انما يتعلقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والترك و
الحرج ليس من هذا القبيل الا انه لما قصد المبالغة في نهي المخاطب عن كونه في حرج عبر عن نهيه
عنه بنهي الحرج عن ان يكون في صدر المخاطب لان كون المخاطب في حرج يستلزم كون الحرج
في صدره فكنى بذكر اللازم عن الملزوم لكون الكناية ابلغ من التصريح فان قولك لا ارينك ههنا
ابلغ من ان يقال لا تحضر عندي لان عدم حضوره عندك يستلزم عدم رؤيتك اياه فكنى بذكر
اللازم عن الملزوم لان كون اللازم منتهيا عنه بمنزلة البينة الشاهدة على كون الملزوم منتهيا
عنه ولا شك ان اثبات الشيء بالبينة ابلغ من مجرد اثباته ومثله في الامر قوله تعالى وليجدوا
فيكم غلظة فان ظاهره امر الكفار بان يجدوا في المؤمنين غلظة والمراد امر المؤمنين بان
يغلظوا على الكفار ولما كان وجدان الكفار غلظة في المؤمنين لازما لغلظة المؤمنين عليهم
وكان طلب اللازم ابلغ في طلب الملزوم عبر عن غلظة المؤمنين عليهم بذلك قوله والفاء
يحتمل العطف واختلاف الجملتين خبرا وانشاء لفظا ومعنى يوجب كمال الانقطاع بينهما
فلا يجوز عطف احدهما على الاخرى فلا بد ان يؤول جملة لا يكن في صدرك حرج بالاخبار
على معنى فلا ينبغي ان يكون حرج او يؤول انزل اليك بالانشاء على معنى ثبت بانزاله اليك
من ربك فلا يكن في صدرك حرج قوله في تصوير الشرط المقدر اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج
صدرك منه اشارة الى ان جملة النهي وقعت معترضة بين العلة وهي الانذار ومعلولها وهو الانزال
وحقها ان يتاخر عن قوله لتنذر لان النهي عن التحرج مرتب على كون الكتاب منزلا للانذار الا
انها قدمت عليه تنبيها على انه ينبغي ان ينفي الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار فقدم للاهتمام
فيكون الاهم اقدم ووجه كون النهي مرتبا على قوله انزل اليك لتنذر ان الكتاب لما كان منزلا
اليه من عند الله تعالى لحكمة الانذار ينبغي ان لا شك في حصول هذا المقصود الذي هو الانذار والتذكير
ولا يختلج في قلبه انه هل يتاتى منه هذا المطلوب ام لا لانه تعالى لما انزل اليه هذا الكتاب العظيم الشان
ليتذكر علم قطعا انه يحفظه وينصره ومن يحفظه الله تعالى وينصره فلن يغلب عليه احد ولا يقدر على ايذائه

اي لا عذر عن الانذار فلا يكن في صدرك حرج

مطلوب سالما عن المعارض **قوله** لانه اذا ايقن بانه منزل من عند الله تعالى اليه بيان لوجه كون
اللام متعلقة بقوله لا يكن يعني ان كان الحرج بمعنى الشك وكان قوله لتنذر به متعلقا بلا يكن يكون
المعنى لا تشك في كون هذا الكتاب العظيم الشان منزلا من عند الله تعالى ليتحقق هذا اليقين على
الانذار وكذا ان كان الحرج بمعنى ضيق القلب عن ان يحصل فيه الثقة والاعتماد على تبليغه مخافة
ان يكذب فيه او يتقصر في القيام بحقوقه واذا انعلقت اللام بلا يكن يكون المعنى لا تخف من تكذيبهم
اياك او من تقصير في التبليغ ليتحقق عدم الخوف المذكور على الانذار **قوله** عطفا على محل لتنذر فان
الفعل فيه منصوب بان المضمرة بعد لام كي فيسبك منه معنى المصدر فكانه قيل للانذار والتذكير
فان ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير ثم انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والانذار
امر الامة بمتابعته وقبول ما انزل اليه فقال لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه
اي من دون ربكم اولياء من شياطين الجن والانس فيضلوكم عن دين الله ويحملوكم على
عبادة الاوثان واتباع الاهواء والبدع او من دون ما انزل اليكم اي من دون دين الله دين
اولياء **قوله** دين اولياء اشارة الى ان ضمير من دونه على تقدير كونه راجعا الى ما انزل يجب
ان يقدر دين مضاف الى اولياء ليتم المعنى **قوله** وقرئ ولا تبتغوا بالغين المعجمة من الابتغاء
كقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا **قوله** اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا يعني ان قليلا منتصب بتذكرون
اما على انه صفة مصدره المحذوف او ظرفه المحذوف **قوله** وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا
بتذكرون لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فلا بد ان يكون صفة زمان محذوف وذلك الزمان المحذوف
في محل الرفع على انه خبر مقدم وما المصدرية مع ما بعدها في تاويل المصدر المرفوع على انه مبتدأ مؤخر
والتقدير زمانا قليلا تذكركم اي لا يقع تذكرهم الا في بعض الاحيان **قوله** وقرأ حمزة الى يعني
انهم قرأوا بتاء واحدة وتخفيف الذال اصله تتذكرون فحذفت احدى التائين دفعا لثقل المكرر
وقرأ ابن عامر يتذكرون بالياء التحتانية بعدها تاء التفعل على انه تعالى خاطب نبيه صلى الله
عليه وسلم بان هؤلاء الذين ذكروا بالخطاب السابق قليلا ما يتذكرون والباقون قرأوا بتاء واحدة
وتشديد الذال بادغام تاء التفعل فيها لان التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهورة ازيد صوتا
من المهموسة فحسن ادغام الانقص في الازيد ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار
والتبليغ وامر القوم بالقبول والاتعاظ ذكر بعده ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال وكم من
قرية الاية وكم فيه خبرية للتكثير وفسر المص بقوله وكثير المنصوب اشارة الى انها في موضع النصب
على الاشتغال باضمار فعل يفسره ما بعده ولا بد ان يقدر الفعل متاخرا عن كم لان لها صدر
الكلام والتقدير وكم من قرية اهلكنا اهلكناها ويجوز جعل كم في محل الرفع على الابتداء وجعل الجملة
بعدها

كانه قيل هذا الكتاب انزله
الله اليك واذا علمت انه
تنزيل الله فاعلم ان عناية
الله معك واذا علمت هذا
فلا يكن في صدرك حرج لان
من كان الله حافظا وناصرا
يقوى على اتباع مطلوبه
فاشتغل بالانذار والتبليغ
والتذكير اشتغال الرجال
الابطال ولا تبال احدا
من اهل الزيغ والعناد

قوله وقيل الضمير من دونه
لما انزل بتقدير المضاف
الى اولياء ولا يبعد ان يجعل
الضمير لمصدر اتبعوا اي
لا تتبعوا اولياء اتباعا
كائنا من دون اتباع ما
انزل

قوله والاكتفاء بالضمير فانه غير فصيح اما على قول اكثر النحاة والبه ذهب ابن الحاجب فظ لان تجرد الاسمية مطلقا عن الواو ضعيف واما على قول الشيخ
عبد القاهر فلان المبتدأ في الجملة الاسمية الحالية ان كان ضميرذي الحال لا يجوز تجردها عن الواو نحو جاءني زيد وهو مسرع والاية الكريمة من هذا القبيل قال رح
لان اعادة ذكره لا يكون حتى يقصد استئناف الخبر عنه بانه مسرع والا لكنت ترك المبتدأ بمضيعة وانما جعلته لنوائب البين وجرى مجرى ان تقول
جاءني زيد وعمرو يسرع امامه ثم تزعم انك لم تستانف كلاما ولم تبتدئ للسرعة اثباتا انتهى كلامه يعني انك لما اعدت ذا الحال بضميره اشعرت بان
للجملة نوع استقلال وابتداء استئناف والاصل جاءني زيد مسرعا فلا بد من زيادة رابط وهو الواو ثم قال وعلى هذا فالاصل والقياس ان لا
بعدها خبرها لكان لها وجه فكون التقدير اهلكنا وكثير من القرى اهلكناها ثم انه قدر اردنا بين اهلكناها
الارادة لدلالة قوله تعالى فجاءها بأسنا على تقديرها اذ لو لم تقدر لزم ان يكون مجيء البأس بعد
الاهلاك وعقيبه وليس كذلك بل الامر بالعكس وتقدير الارادة شايع عند قيام قرينة تدل على
تقديرها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا واذا قرأت القرآن فاستعذ وقولك اذا دخل
احدكم الخلاء فليسم الله تعالى وثانيهما الاهل واحتيج الى تقديره لان الاهلاك والبأس والبيات
والقيلولة لا يليق الا باهل القرية لان التحذير والايعاد لا يكون الا لمن شعور من المكلفين
قوله او اهلكناها بالخذلان توجيه ثان لعطف قوله تعالى فجاءها على اهلكناها بالفاء التعقيبية وتقريره
ان الاهلاك عبارة عن الخذلان وعدم التوفيق سبب للهلاك فعبر بالمسبب عن سببه
والمعنى خذلناهم ولم نوفقهم فجاءهم الهلاك والعذاب **قوله** البيات مصدر بمعنى بات يبيت بيتا
وبياتا وبيتوتة اذا دخل في الليل قال الازهري البيتوتة الاستراحة بالليل والقيلولة الاستراحة
في نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم وقيل هي نومة نصف النهار وقوله تعالى اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا يؤيد قول الازهري لان الجنة لا نوم فيها وكلمة او في قوله تعالى
اوهم قائلون للتنويع كانه قيل اتاهم بأسنا تارة ليلا كقوم لوط وتارة وقت القيلولة كقوم
شعيب ومعنى الاية انهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له اما ليلا وهم نائمون او نهارا وهم
قائلون **قوله** وفيه تعبيران احدهما التعبير عن الاتيان بلفظ المصدر وجعلهم نفس البيات
وثانيهما التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات **قوله** اي دعاؤهم فان الدعوى قد تجيء
بمعنى الدعاء والتضرع قال تعالى فما زالت تلك دعواهم ومنه ما حكاه الخليل اللهم اشركنا في
صالح دعوى المسلمين اي في صالح دعائهم والمعنى ان وقت مجيء البأس انما هو وقت الدعاء
والتضرع الا انهم لا يدعون في ذلك الوقت ولم يكن دعاؤهم ربهم في ذلك الوقت الا هذا القول
الدال على اعترافهم بظلمهم انفسهم فيما كانوا عليه لعلمهم بان ليس الحين حين دعاء وقد تجيء
بمعنى الاستغاثة ومنه قول العرب دعواهم يا لكعب اي استغاثتهم فان اللام في لكعب لام
الاستغاثة ووجه مناسبة هذا المعنى بهذا المقام انهم كانوا يستغيثون من الله تعالى بتوسط
الاصنام بينهم وبين الله تعالى فلما جاءهم بأس الله تعالى ما كان استغاثتهم الا قولهم انا كنا
ظالمين في استغاثتنا من الاصنام لعلمهم بانه لا استغاثة من الله تعالى بغيره وقد تجيء بمعنى
الادعاء وهو المتعارف من معناه ويكون المصدر حينئذ بمعنى اي ما كانوا يدعونه من دينهم
ويتدينون به وقت نزول العذاب الا اعترافهم ببطلانه وضياعه والمعنى ما كان حاصل
دينهم ومذهبهم الذي كانوا عليه الا الاعتراف ببطلانه ثم انه تعالى لما هدد من ترك متابعة

ما انزل الله من القران والسنة بقوله وكم من قرية اهلكناها اي في الدنيا بان انزلنا
عليهم باسنا على امنهم وغفلتهم عن نزوله اتبعه بنوع اخر من التهديد وهو انه تعالى يسأل
الكل عن كيفية اعمالهم يوم القيمة فقال فلنسألن الذين ارسل اليهم والقائم مقام فاعل ارسل
هو الجار والمجرور فيكون في محل الرفع باسناد ارسل اليه **قوله** والمراد بهذا السؤال جواب عما
يقال ان السوال يكون للاستخبار والاستعلام وهو تعالى منزه عن ذلك فما فائدة هذا السؤال و
تقرير الجواب ان السوال كما يكون لاجل الاستعلام والاستفادة يكون ايضا لاجل التوبيخ و
التقريع والمراد بهذا السوال هو الثاني فيسأل المرسل اليهم بان يقال لهم ماذا اجبتم المرسلين
ويسأل الرسل بان يقال لهم ماذا اجبتم به ليظهر تقصير الامم ومخالفتهم الرسل ويظهر عدم
تقصير الرسل في تبليغ ما حملوه من الرسالة فيفتضح عن ثواب الرسل عند الاله كما يفتضح
خزي الكفار وفضاحتهم وظهر بهذا الجواب وجه التوفيق بين هذه الاية وبين قوله تعالى
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون وقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وهو ان المنفي
بهما هو سوال الاستعلام والمثبت بهذه الاية هو سؤال التقريع والتوبيخ ووجه التوفيق انه
يوم القيمة يوم طويل وفيه مواقف كثيرة وانهم لا يسألون عن اعمالهم في موقف الحساب لان
كتبهم وجوارحهم تبين جميع ذلك ولكنهم يسألون في بعض مواقف العذاب عن الدواعي
التي دعتهم الى المعاصي وعن الصوارف التي صرفتهم عن الطاعة زيادة لهم في عقوبتهم
وتقريعا لهم **قوله** على الرسل يعني يحتمل ان يكون قوله فلنقصن متفرعا على سوال المرسلين
حين اجابوا بنفي العلم عن انفسهم وان يكون متفرعا على سوال الفريقين من المرسلين
والمرسل اليهم والمعنى فلنخبرنهم ولنبين لهم ما استروه وما اعلنوه من اعمالهم ونبين
الدواعي التي اقدموا لاجلها على تلك الاعمال ويجوز ان يكون الاخبار والتبيين بتكليم جوارحهم
او بعرض صحايف اعمالهم عليهم وقوله بعلم حال من فاعل نقصن والباء فيه للملابسة اي
لنقصن عليهم حال كوننا ملتبسين بعلم ثم اكد هذا المعنى بقوله وما كنا غائبين عنهم وعما
وجد منهم ويحتمل ان يكون العلم بمعنى المعلوم ويكون الباء صلة نقصن اي فلنقصن بمعلومنا
منهم كانه قيل فلنخبرنهم بما علمنا منهم **قوله** والوزن اي القضاء نقل محي السنة عن مجاهد
انه قال في تفسير قوله تعالى والوزن يومئذ الحق والقضاء يومئذ العدل فالمعنى والقضاء العدل
واقع يوم يسأل الله الامم ورسلهم لان في ايام الدنيا فان الحاكم في ذلك اليوم ليس الا الله عز
وجل ولا يحكم الا بالحق والعدل على ان قوله والوزن مبتدأ والحق صفته ويومئذ خبره وجاز
الفصل بين الموصوف والصفة بالخبر لكونه ظرفا والظرف مما يتسع فيه وجوز ان يكون الحق

الحق مبتدأ محذوف بتقدير هو الحق على ان يكون جملة هو الحق استينافا جوابا لمن يقول ما حال
القضاء الواقع في ذلك اليوم **قوله** ومعناه اي معنى الحق الذي هو صفة لوزن الاعمال
ومقابلتها بالجزاء كون ذلك الوزن عدلا سويا لما يوازنه من الجزاء ولم يلتفت الى احتمال
ان يكون الوزن مبتدأ والحق خبره ويكون يومئذ ظرفا للمبتدأ لان التركيب يفيد
ان ينحصر الحق في الوزن في ذلك اليوم كما اذا قلت زيد الشجاع اي لا غير وليس المعنى ان
الوزن في ذلك اليوم هو الحق لا غيره والوزن جعل الشيء على قدر غيره بالميزان الذي هو
آلة الوزن عبر عن القضاء العدل بالوزن تشبيها له بالوزن من حيث اشتماله على جعل
الحكم على قدر استحقاق المقضي له وعليه عن مجاهد انه قال الوزن في الاخرة العدل وعن الحسن
ان ميزان الاخرة له كفتان وان الحسنات والسيئات توضعان فيهما ليظهر انهما يشتمل
على الاخر فيظهر به العدالة وتنقطع المعذرة كما يسألون عن اعمالهم ليعترفوا به السنتهم و
تشهد بها جوارحهم وعامة المفسرين على ان المراد بهذا الوزن وزن اعمال العباد
الا ان الاعمال لما كانت اعراضا لا تبقى زمانين فلا يمكن وزنها اختلف في كيفية وزنها
فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال وقيل توزن الاشخاص وقيل يوزن الاعمال بان يؤتى
بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
روي انه اذا خفت حسنات المؤمن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة
فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى
الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك واحسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك
محمد وهذه صلواتك التي كنت تصلي علي وقد وفيتك احوج ما تكون اليها رواه الواحدي
في الوسيط كذا في اللباب والبطاقة رقيعة توضع في الثوب تكتب فيها رقم ثمن الثوب وما
ذكره المص من انه يخرج لبطاقة فيها كلمتا الشهادة وهو قول ابن عباس عن ابي بكر
الصديق انه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم في وصيته حين حضره الموت انما ثقلت
موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع
فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا والايمان
بحقية الوزن يوم القيمة من فرايض الاسلام الا انا نكل العلم بكيفية الوزن وصفة الميزان
الى الله تعالى **قوله** موازينه حسناته على ان الموازين جمع موزون وهي الاعمال التي لها وزن
لا اعتبار لا جمع ميزان التي هي آلة الوزن ولما تعددت الموزونات جمع لفظ الموازين وقوله

ومنهم من انكر الوزن وحمل الوزن على هذا المعنى ثابت في اللغة فان العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالكيل والوزن في الدنيا فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل وتقوية ذلك ان الرجل اذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره يقال ان فلانا لا يقيم لفلان وزنا قال الله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا

او ما يوزن به حسناته على ان يكون الموازين جمع ميزان وجمعه مع ان لكل انسان له ميزان
واحد يخصه لتعدده باعتبار اختلاف الموزونات الحالّة فيه وباعتبار تعدد الوزن به
لان المظان يوزن افعال القلوب مرة وافعال الجوارح مرة وما يتعلق بالاقوال مرة فقوله
يوجه موزون او ميزان من قبيل اللف والنشر المرتب قوله فيكذبون بدل التصديق اشارة
الى ان المراد بمن خفت موازينه الكافر ويدل عليه قوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم
بما كانوا باياتنا يظلمون اذ لا معنى لكون الانسان ظالما بايات الله الا كونه كافرا بها منكرا لها بدل
الايمان والاقرار بها قوله تعالى بما كانوا متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون
قدم عليه رعاية للفاصلة وعدي يظلمون بالباء اما لتضمنه معنى التكذيب نحو كذبوا باياتنا او
لتضمنه معنى الجحد نحو وجحدوا بها ثم انه تعالى لما امر كفار قريش باتباع ما انزل اليهم من ربهم
وخوفهم بعذاب الدنيا بقوله وكم من قرية اهلكناها وبعذاب الاخرة بان اقسم على انه
ليسألن الرسل والمرسل اليهم وليقصن بينهم بالعدل رغبهم في اتباع الحق وقبول ما كلفوا
به بطريق اخر وهو ان بين لهم كثرة نعمه عليهم لينتبهوا ويشتغلوا بشكر من انعم بها عليهم
فان كثرة النعم تدعو الى شكر المنعم فقال ولقد مكناكم في الارض والمراد من تمكينهم فيها اقدارهم
من سكناها وزرعها والتصرف فيها على اي وجه شاؤوا او الظان قوله تعالى وجعلنا بمعنى
خلقنا فيتعدى الى واحد وهو معايش وقوله لكم فيها متعلقان بالجعل او بمحذوف على انهما
حالان من معايش لانهما لو تأخرا لجاز ان يكونا وصفين له ويجوز ان يكون بمعنى صيرنا
فيتعدى الى اثنين اولهما معايش وثانيهما احد الجارين والاخر اما حال فيتعلق بمحذوف و
اما متعلق بنفس الجعل وهو الظاهر ومعايش جمع معيشة وهي اسم لما يتوصل به الى العيش و
هو الحياة وهي في الاصل مصدر لعاش يعيش عيشا وعيشة ومعيشة ومعاشا ثم جعلت اسما
لما يعاش به والخطاب لقريش فانه تعالى فضلهم على العرب بان مكنهم بالرحلة الى الشام
اوان الصيف ومن الرحلة الى اليمن اوان الشتاء آمنين بسبب كونهم سكان حرم
الله ومجاوري بيته الشريف ويتخطف الناس من حولهم فيتجرون بتينك الرحلتين
ويكسبون ما يكون سببا لحياتهم من الماكل والمشارب والملابس وغيرها وقراءة العامة
معايش بتصريح الياء وعن نافع انه همزه وقلب الياء الواقعة بعد الف الجمع في مثله مخالف
لما ذكره النحاة من ان الياء الواقعة بعد الف الجمع لا تهمز الا اذا كانت زائدة كياء صحائف
ومدائن وياء معايش اصلية لانها جمع معيشة زيدت عليها الف الجمع فبقيت الياء على حالها
فكان القياس ان لا تهمز الا انه شبهت الياء الاصلية بالزائدة فهمزت كما تهمز الزائدة
فقيل

سكناها ان مكناكم من المكان جعلنا لكم فيها على معنى ... انه انظ مكانا وقرارا او جعلنا من المكنة بمعنى القدرة اي اقدرناكم على انواع التصرف فيها لانتفاعها لانعام ...

قال ان ... معايش ... صحيحة ... منه

٥

فقيل معائش كما قيل صحائف ومدائن ثم انه تعالى لما ذكر كثرة نعمه عليهم ورغبهم في
الشكر اتبعه بذكر نعمة اخرى شاملة لجميع اولاد آدم عليه الصلوة والسلام من المؤمنين
والكفار وهي انه تعالى خلق اباهم آدم من طين غير مصور ثم صوره وجعله مسجود
الملائكة والانعام على الاب يجري مجرى الانعام على الاولاد لما دل قوله تعالى ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم بعد قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم على انه تعالى امر الملائكة بالسجود
لادم بعد ان خلق بني آدم وصورهم وكذلك لانه تعالى انما امرهم بان يسجدوا له
حين ما سواه ونفخ فيه من روحه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فسر الكلام على وجه لا يرد عليه الاشكال وهو ان ثم في الموضعين
للتراخي الزماني اما في الاول فلان تصوير آدم بصورته المخصوصة متاخر زمانا من
خلقه طينا غير مصور واما في الثاني فلان قوله تعالى خلقناكم ثم صورناكم ليس المراد به
خلق اولاد آدم وتصويرهم حتى يرد الاشكال المذكور بل المراد به خلق نفس آدم
وتصويره الا انه عبر عن خلقه نفس آدم وتصويره بخلق الكل وتصويرهم تنزيلا
لخلقه وتصويره منزلة خلق الكل من حيث ان المقصود من خلقه وتصويره تعمير الارض
باولاده فكان خلقه بمنزلة خلق اولاده فلذلك عبر عن خلقه بخلق الكل فعلى هذا
يكون قوله تعالى خلقناكم من قبيل الاسناد المجازي حيث جعل الخلق متعلقا بالكل مع ان
متعلقه الحقيقي نفس آدم للملابسة بينهما من حيث ان المقصود من خلقه خلق الكل
وتعمير الارض بهم وعلى قوله او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم يكون المجاز في الفعل لان
المتبادر من خلق المخلوق احداثه وايجاده بتمامه وقد استعمل في الملابسة بايجاد
مبدئه المؤدي الى ايجاده بتمامه فعبر عن الشروع في خلق المخاطبين بان خلق
آدم ثم صوره باتمام خلقهم ثم تصويرهم على طريق المجاز المرسل حيث عبر عن
ابتداء الشيء بفعل خلقناكم والمراد شرعنا في خلقكم بخلق آدم وعلى التقدير يكون
امر الملائكة بالسجود لادم متاخرا بالزمان عن خلق نفس آدم لا عن خلق اولا
ده فيندفع الاشكال ثم اشار الى اندفاعه بوجه ثالث وهو ان لا يكون كلمة ثم
للترتيب في الزمان بان يكون للترتيب في الاخبار ذكرهم اولا ما انعم عليهم بخلقهم
اولا نطفا في اصلاب ابائهم ثم تصويرهم بشرا سويا في ارحام امهاتهم ثم ذكرهم
بما انعم عليهم بجعل ابيهم مسجود الملائكة فلما كانت كلمة ثم في قوله تعالى ثم قلنا للترتيب
في الاخبار اندفع الاشكال المذكور ولم يرض بهذا الجواب لان حمل كلمة ثم على الترتيب

ثم اتبعه ... ان آدم ... سجد الملائكة

في الاخبار انما يصار اذا تعذر حملها على اصل معناها وهو كونها للترتيب في الزمان ولم يتعذر
ذلك ههنا لما ذكره من الوجهين الاولين والسجود في اللغة هو التذلل مع التطامن و
الانخفاض وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به في الآية اما السجود
بالمعنى الشرعي فيكون المسجود له حقيقة هو الله تعالى لانه هو المعبود ويكون آدم قبلة لهم في
سجودهم لله تعالى تفخيما لشأنه واما السجود بالمعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له
كسجود اخوة يوسف له وعلى التقديرين فالآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين
بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لما كان مأمورا بالسجود حين امر
الملائكة بالسجود لآدم ولما صح استثناؤه منهم ثم ان المأمورين بالسجود هم الملائكة كلهم
لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة
الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة
فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال ولا يرد كونه من الملائكة قوله تعالى الا ابليس كان من
الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة حقيقة ولما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس
وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور
لا يستكبرون عن عبادته ولا يعصون ولا كذلك ابليس فانه قد عصى واستكبر والملائكة
ليسوا من الجن وابليس كان من الجن والملائكة رسل الله تعالى وابليس ليس كذلك وابليس
اول خليفة من طائفة الجن وابوهم كما ان آدم اول خليفة من طائفة الانس
وابوهم وابليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم الا انه امر بالسجود لآدم حين امر
الملائكة بذلك مع انه ليس منهم بناء على انه وان كان جنيا الا انه نشأ بين اظهر الملائكة
بناء على ان الملائكة الذين حاربوا الجن سبوه من الجن وهو صغير وكان يعبد الله معهم
دهرا طويلا فعد منهم تغليبا لهم عليه فلذلك تناوله الامر بالسجود لآدم ويحتمل ان يكون
الجن ايضا مأمورين بالسجود لآدم مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم
بناء على العلم بان الاكابر اذا كانوا مأمورين بالتواضع لاحد يكون الاصاغر ايضا
مأمورين به فيكون الضمير في فسجدوا راجعا الى القبيلين فكأنه قيل فسجد المأمورون
بالسجود من القبيلين الا ابليس قوله ولا صلة اي مزيدة لتأكيد السجود الذي حث
هي عليه وتحقيقه كأنه قيل ما منعك ان تحقق السجود الذي امرت به وتوقعه على اتم ما
يكون اذ امرتك اي وقت امري اياك به وجعلها صلة لانها اذا لم تكن صلة يكون المعنى
اي

اي شيء منعك من ترك السجود وهذا المعنى ليس بمقصود بل المقصود اي شيء منعك من
السجود مع تحقق ما يوجب ذلك وكون لا صلة كثير في القرآن كقوله تعالى لا اقسم وما قيل و
قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي انهم يرجعون وقوله تعالى لئلا يعلم اهل
الكتاب اي ليتحقق علم اهل الكتاب قوله اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور
وذلك لانه تعالى ذم ابليس على ترك ما امر به والامر لو لم يفد الوجوب لما كان مجرد ترك
المأمور به موجبا للذم ولانه تعالى ذم ابليس على ترك السجود حين ما امر به ولولا ان
الامر لا يوجب الامتثال على الفور لما استوجب الذم بتركه السجود حال الامر به قوله
جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان جواب ما منعك ان يقال منعني كذا الا ان ما
استأنف به من الاخبار بتفضله على آدم عليه الصلاة والسلام بناء على شرف عنصره بالنسبة
الى عنصر آدم يفهم منه ما يكون جوابا لقوله ما منعك كأنه قال الذي منعني من السجود هو اني
افضل منه لان اصلي وعنصري نار واصل آدم طين والنار افضل من الطين وشرف
الاصل يوجب شرف ما تفرع منه وكون الاشرف مأمورا بالتواضع للادنى قبيح في العقول
جعل اللعين عنصر النار افضل من الطين نظرا الى ان النار مشرق علوي لطيف
خفيف حار يابس مجاور لجوهر السموات والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس
بعيد عن مجاورة السموات فهذه شبهة ابليس فيما زعمه من تفضيل نفسه على آدم
وامتناعه عن امتثال امر الله تعالى وقد اخطأ في زعمه ولم يعلم ان الفضل لمن فضله
الله تعالى وقد فضل الطين على النار من وجوه منها ان جوهر الطين يقتضي الرزانة
والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد ما ابتلي به من الخطيئة والنسيان
الى التوبة والتواضع والتضرع فاورثه ذلك الاجتباء والهداية وقبول التوبة
بخلاف جوهر النار فانه يقتضي الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الذي
دعا ابليس الاستكبار والطيش عن الحق والامتناع عن امتثال امر الله تعالى
وطاعته والاصرار عليه فاورثه ذلك اللعنة والشقاوة الابدية ومنها ان
التراب سبب لحياة الاشجار والنباتات والنار سبب لهلاكهما ومنها ان التراب
يكون فيه ومنه ارزاق الحيوانات واقواتها ولباس العباد وزينتهم وآلات
معايشهم ومساكنهم والنار لا يكون فيها شيء من ذلك وايضا النار وان حصل
بها بعض المنفعة فالشر كامن فيها واما التراب فالخير والبركة كامن فيه كلما
قلب ظهرت بركته وخيره فاين احدهما من الآخر وايضا فالله تعالى اكثر ذكر الارض

في كتابه الكريم وذكر منافعها من جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا وكفاتا
للاحياء والاموات ودعا عباده الى التفكر فيها والنظر في عجائب ما اودع فيها ولم
يذكر النار الا في معرض العقوبة والتخويف ولم يذكرها للبيان نفعها الا في موضعين ذكرها في احدهما
بانها تذكرة لنار الاخرة وبانها متاع للمقوين حيث قال نحن جعلناها تذكرة ومتاعا
للمقوين اي المسافرين النازلين في القواء وهي الارض الخالية اذا نزل المسافر فيها
يتمتع بالنار في منزله فاين هذا من اوصاف الارض ومنافعها وما اودع فيها من المعادن
والانهار والثمرات والحبوب والاقوات واصناف الحيوان والنبات وغير ذلك من المنافع
التي لم يودع شيء منها في النار واما قوله من كانت مادته افضل فهو افضل فالجواب عنه
ان فضيلة الاصل والمادة لا يستلزم فضيلة الفرع والصورة كما ان رداءة الاصل
لا يستلزم رداءة الفرع وانما الفضيلة لمن فضله الله عز وجل الا يرى انه تعالى يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ويخرج الجاهل من العالم والعالم من الجاهل والكافر من
المؤمن والمؤمن من الكافر والنور من الظلمة كما في الزناد والظلمة من النور
والفضيلة انما هي لمن اطاع ربه ولو كان عبدا حبشيا والخيانة والخسارة لمن
عصى ربه ولو كان شريفا قرشيا ومن وجوه فضيلة آدم انه تعالى سواه بغير
واسطة ملك وصوره بان نفخ فيه روحا مشرفا بالاضافة اليه وجعل الغاية المترتبة
على خلقه اختصاصه وتميزه بفضيلة العلم حيث علمه الاسماء كلها وجعله معلم الملائكة
ولذلك امر الملائكة بان يسجدوا له اعترافا بفضله عليهم وما ذكره شبهة على تحسين
العقل وتقبيحه ولا عبرة به عند المحققين روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال من قاس
الدين بشيء من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس **قوله** وهو ملاكه اي ما يكون له من الفضل
باعتبار الغاية وهي اختصاصه بمزية العلم وشرفه ملاك الامر الفضل ومناطه وملاك
الامر وملاكه بفتح الميم وكسرها ما يبنى عليه الامر ويقوم به **قوله** والاية دليل الكون
والفساد اي تدل على تكون المواليد الثلث من العناصر والفساد اليها من حيث انها
دلت على تكون ابليس من عنصر النار وتكون آدم من عنصر التراب فدل ذلك على
ان كل واحد منهما اجسام متكونة من العناصر الا انه دليل ضعيف وامارة ظنية
لان الاية انما تدل على ان مبدأ خلقة آدم هو التراب ومبدأ خلقة ابليس هو النار
ولا يلزم منه ان تكون العناصر الاربعة مادة لتكون الانسان بل مادة لتكون جميع
المواليد الثلاث على الوجه الذي يدعيه ارباب الفلسفة فان الظاهر ان الاية لا تدل
عليه

كان وجه صورتين اختلفين الطين والنارية ولبس الطين والنار انهما يخلع الصورة باعتبار انهما الا ان بناء الخبر دليل بنيانهما الا ان النار جزء الشيطان وكون الطين جزء الانسان فان تكون باعتبار الجزء الغالب يدل عليه باعتبار الجزء الانسانية ويبقى مع الصورة بانه يدون الانسان يتحقق بصورها عن العناصر الاربعة الفلاسفة ان الناس يحققوا زوال صورها ... على صورتيهما مع انه يكون بانتقال على صورته الطين والنار فلا يمتنع ... ولا يدل على زوال صورة والنار فيها خلقهما من الطين ... وانما النار ... الكون والشيطان ... والطين المذكور ... يكون ... ان الكون ... والاية دليل الكون والنار مذكور

عليه والمص ايضا لا يجزم بذلك كما يدل عليه عبارته لعل في قوله ولعل اضافة خلق الانسان
الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب **قوله** من السماء او الجنة
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ضمير منها يعود الى الجنة لانه كان من سكانها و
كانوا في جنة عدن لا في جنة الخلد وفيها خلق آدم وقيل يعود الى السماء لما روي عن ابن
عباس رضي انه وسوس اليهما وهو في السماء ولا يبعد ان يوسوس اليهما وهما في الجنة وهو نفسه
في السماء لانه تعالى مكنه واقدره من ان يوسوس وهو في مكان معين الى الجماعات المتفرقة في
اقطار الارض وجوانبها فجاز له ان يوسوس وهو في الارض او في السماء الى من في
الجنة بما جعل الله تعالى له من القوة على ذلك وقوله تعالى فاهبط منها معناه انزل من السماء
فما يصح لك ان تتكبر فيها الا انها مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض وقيل
ضمير منها يرجع الى الارض اخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحار وعرشه على البحر الاخضر
فلا يدخل الارض الا خائفا على هيئة السارق ومثل في الصورة التي كان عليها لانه كان
مشرق اللون ذا هيئة حسنة ومنظر بهي فتحول الى صورة قبيحة مظلمة **قوله** بمعنى اهانه الله
لتكبره فانه استكبر باباءه السجود فاعلمه الله تعالى انه صاغر بذلك اراد الخبيث ان يمهله الله
تعالى الى ان يبعث الاموات من قبورهم وهو يوم القيمة وارادة الامهال الى ذلك اليوم بمنزلة
ارادة ان لا يذوق الموت لا يموت بعد ذلك اليوم فلم يجب الى الطلبة بل امهله الله تعالى
الى يوم النفخة الاولى وهو اليوم الذي يموت فيه الاحياء كلهم فيموت ويبعث مع من يبعث
لانه تعالى مدة المهلة في موضع آخر وان لم يبينها في هذه السورة حيث قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم النفخة الاولى **قوله** اي لا تعجل عقوبتي اي
ويحتمل ان يكون مراد الخبيث بقوله انظرني اخر عقوبتي الى يوم الجزاء ولا تواخذني
قبل يوم البعث والجزاء لا ان يبقيه حيا الى يوم البعث والجزاء وان لا يميته اصلا
فاجيب الى هذه الطلبة واخرت عقوبته الى يوم البعث **قوله** يقتضي الاجابة الى
ما سأل ظاهره وهو ان يبقى حيا الى يوم البعث فلا يموت اصلا فيكون هذه الاية مخالفة
لقوله تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فينبغي ان يحمل الانظار المطلق المذكور في
هذه الاية على الانظار الى النفخة الاولى توفيقا بين الآيتين **قوله** او وقت يعلم الله تعالى
انتهاء اجله فيه عطف على النفخة الاولى اي او هو وقت اي ويحتمل ان يكون المراد بالوقت
المعلوم الوقت المقرر في علم الله تعالى لانتهاء اجله فيه فيكون كل واحدة من الآيتين ساكتا
عن بيان مدة امهاله فاجيب الى ما سأله من اصل الامهال ولم يجب الى ما سأله من امتداد

لما سأل الخبيث من عظم الاخرة طلب الانظار من الى الدنيا فقال انظرني الى يوم البعث

قاله الزجاج وشبهه بقول العرب ضرب زيد الظهر والبطن بصيغة المبني للمفعول ورد بان اسقاط حرف الجر فيل نصبه على المفعول به بتضمين فعل معنى والتقدير لالزمن صراطك المستقيم بقعودي عليه ذكره ابن العادل ثم انه قيل هذا لا ينتاسب عن الرصد لان المراد من الصراط المستقيم الدين القويم وهو لا يصلح محلا للقعود الحقيقي وانت خبير بانه يجوز ان يكون لاقعدن لهم صراطك المستقيم كناية

الامهال الى يوم البعث **قوله** وفي اسناده اليه اي وفي المساعدة في مقتضاء ما سأله من الانظار ابتلاء العباد والتمييز بين المخلص لله ومتبع الهوى وجعله وسيلة الى اثابة العباد بمخالفته **قوله** بعد ان امهلني مستفاد من الفاء الجزائية وقوله لاجتهدن مستفاد من قوله لاقعدن اشارة الى ان القعود في قوله لاقعدن كناية عن الاجتهاد في اغواء بني آدم فانه لما هلك بسبب ادم اراد الانتقام من ذريته وبهلكهم كما هلك هو بسبب آدم كما قال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ووجه كونه كناية عن الاجتهاد ان من اراد ان يبالغ الاجتهاد في تكميل امر من الامور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن اتمام مقصوده ويتوجه اليه بكليته والاغواء الاضلال عن المنهج القويم والهمزة فيه للصيرورة والباء للسببية وما مصدرية والمعنى بسبب اغوائك اياي واضلالك عن الهدى لاجلهم اقسم بالله لاجتهدن في اغوائهم واضلالهم حسب طاقتي ومقدرتي لما رأى غواية نفسه بسببهم عزم على الاجتهاد في اغوائهم ليكونوا مثله في الغواية ثم ان الاغواء لا بد له من المغوي فجعل ابليس نفسه مغويا لغيره من الغاوين حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين ثم زعم ان من اغواه هو الله حيث قال فبما اغويتني قطعا للتسلسل ونسبه الله اباه غاويا اما من جهة التسمية بان سماه الله اياه غاويا وضالا او من جهة حمله اباه على الغي بان يخلق فيه الغي والجهل والكفر فالاسناد على التقديرين حقيقي او من جهة انه كان سببا لظهور الغواية والكفر منه فانه لما كلفه بالسجود لآدم كان ذلك سببا لظهور غيه وذلك الغي وان كان فعل الشيطان الا انه اسند اليه مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه **قوله** فان اللام تصدعنه اي يمنع من ان يتعلق ما قبلها بما بعدها فان لام جواب القسم لها صدر الكلام كهمزة الاستفهام فلا يتقدم معمول ما بعدها عليها فلا يقال والله لزيدا لاقولن فهي متعلقة بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي بسبب اغوائك اياي اقسم **قوله** وقيل الباء للقسم لا للسببية ولا يقسم الا بما هو عظيم الشان جليل القدر وهو اسم من اسماء الله وصفة من صفاته والاغواء لكونه من صفات الله الفعلية صح ان يقسم به كانه قيل فبقدرتك فبسلطانك في لاقعدن لهم صراطك المستقيم الذي هو دين الاسلام الذي يؤدي سالكه الى دار كرامتك ورضوانك لازينن لهم المنكرات والفواحش ويدل على كونها قسمية قوله في سورة ص فبعزتك لاغوينهم **قوله** ونصبه على الظرف والتقدير لاقعدن لهم على صراطك وفيه ان الصراط والطريق

لاقعدن على صراطك الذي هو دين الاسلام ... ترصدا لهم كما يقعد قاطع الطريق على السابلة لتقطع عليهم سبلهم

فالقعود مجاز متفرع على الكناية

التقدير فاقسم بما اغويتني لاجتهدن في اغوائهم ...

استعارة ... ثم ان قوله قيل تقديره على صراطك ... في نصب صراطك ... ونصبه على الظرف ... واستعماله على الظرف ... ضرب زيد الظهر والبطن ... قال المولى ... على الظرف ... المقدر ... حذف في من الظروف المحدودة شاذ ... على انتزاع الخافض ... لان المعنى الظرفية ... انتصابه على الظرف ... بحذف كلمة على ... من الظروف المحدودة شاذ

٨

ظرف مكان محدود فلا يتعدى الفعل اليه بنفسه بل لا بد من كلمة في تقول صليت في المسجد وجلست في الطريق ولا يقال صليت المسجد والبيت الذي استشهد به قد حمله النحاة على ضرورة الشعر واول البيت لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب ~~في الطريق~~ اي كما عسل الثعلب في الطريق واللدن الرمح يصف رمحا باللين يقال عسل الرمح اي اهتز واضطرب وعسل الذئب اي اسرع والضمير في فيه للكف او للهز وقوله كما عسل الطريق اي في الطريق وقيل صراطك منصوب على اسقاط الخافض وهو كلمة على كما في قولك ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن **قوله** ثم لآتينهم اي ثم لاقصدن اتيانهم بالتسويل والاضلال من اي جهة يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع كأنه جواب عما يختلج بالقلب من ان مقصود اللعين بيان انه مبالغ في وسوسة بني آدم غير مقصر فيها بوجه فلم اقتصر في بيان هذا المقصود على اتيانه اياهم من الجوانب الاربع مع ان لهم جانبين آخرين غير هذه الاربع وتقرير الجواب ان اتيانه من الجوانب المذكورة استعارة تمثيلية شبه حاله في وسوسته اياهم من اي جهة يمكنه بحال العدو في اتيانه للاهلاك خصمه فانه انما يأتي خصمه من الجهات الاربع فان العدو اذا كان قويا شجاعا يأتي قرنه من جهة امامه فيبارزه عيانا وجهارا واذا كان مكارا يراقب غرة خصمه وغفلته فيأتيه من جهة خلفه فيقتله بالخديعة وخصت الجهتان بكلمة من الابتدائية لكونهما مأتى اصليا للعدو يجيء منهما غالبا وخصت الجهتان الاخريان بكلمة عن الدالة على المجاوزة اشعارا بان من اتى خصمه من جهة يمينه او شماله فهو متجاوز عن المأتى الغالب للعدو من حيث ان الآتي منهما كالمنحرف عن خصمه المار على عرضه وجانبه في الذهاب الى مقصده كما تقول جلست عن يمينه اذا جلست متجافيا عن جانب يمينه غير ملاصق له فكأنك انحرفت عنه وتجاوزت والعدو قد يأتي منهما لا من دعاه الى الاتيان منهما وان لم يكونا مأتى اصليا وقدمت الايمان على الشمائل لكون جهة اليمين اقوى من جهة الشمال من حيث ان البطش والدفع انما يكون باليمين دون الشمال فمن يأتي من جهة اليمين اشجع واقدر ممن يأتي من جهة الشمال والايمان والشمائل جمع يمين وشمال وهما الجارحتان **قوله** ولذلك اي ولكون قوله لآتينهم من جوانبهم الاربع تمثيلا لحاله في اغوائهم باتيان العدو من الجهات الاربع لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم اذ ليس في جانب المشبه به الاتيان من هاتين الجهتين وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه وليس له ان يعارض رحمة الله ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش المأتي اليه ويأبى عن موافقة الاتي

والقبول منه وروي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الاربع فاوحى الله تعالى اليهم انه بقي للانسان جهتان الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة **قوله** وعن ابن عباس رضي لآتينهم من بين ايديهم من قبل الاخرة اي اشككهم فيها واقول لهم لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من قبل الدنيا اي ازينها في قلوبهم وارغبهم فيها ليشتغلوا بها فارغين عما يسعدهم في الاخرة فان الدنيا بين يدي الانسان لتوجهه اليها والاخرة تاتي بعد ذلك ليشغلهم بلذات الدنيا وطيباتها ويوقعهم في الغفلة عن الاخرة ويصدهم عن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم لما كانت الحسنات اشرف حالتي الانسان عبر عنها بالايمان التي هي اشرف طرفيه وكذا السيئات لما كانت اخس حالتيه عبر عنه بالشمائل التي هي اخس طرفيه ومعنى الاتيان من جانب الحسنات ان يثبطهم ويشغلهم عنها ومعنى الاتيان من جانب السيئات ان يزينها لهم ويرغبهم فيها ويحتمل ان يكون بين ايديهم عبارة عما يتميز عندهم وامكنهم الاحتراز عنه ويكون من خلفهم عبارة عما لا يكون كذلك **قوله** انما قاله ظنا جواب عما يقال من ان قول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبار عن الغيب فكيف عرف ابليس ذلك وتقرير الجواب ان ابليس لم يقل ذلك عن علم ويقين حتى يقال انه من اين علم ذلك وانما قاله عن ظن وبناء الامر على الامارة الدالة عليه فانه قد علم ان طبع الانسان يميل الى الشهوات فظن انه ان بالغ في تزيينها والترغيب فيها يتبعونه فيما يدعوهم اليه من المعاصي فقال ذلك بناء على ظنه ولا سيما انه قد علم ان للنفس الانسانية تسع عشرة قوى كلها تدعو النفس الى اللذات الجسمانية خمسة منها هي الحواس الظاهرة وخمسة اخرى هي الحواس الباطنة واثنتان منها هي الشهوة والغضب قوة الشهوة موضعها الكبد وقوة الغضب موضعها البطن الايسر من القلب والعشر السبع منها هي القوى النباتية وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ومجموعها تسعة عشر وهي باسرها تدعو النفس الى مقتضيات الطبيعة من اللذات الجسمانية والتي تدعو النفس الى عبادة الله تعالى ومخالفة الهوى قوة واحدة وهي قوة العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اقوى واشد تاثيرا من استيلاء قوة واحدة ومن علم ان الامر كذلك يغلب على ظنه ان اكثر بني ادم يميلون الى ما تدعو اليه هذه القوى ويقتصر رغبتهم في اكتساب ما تدعو اليه تلك القوة الواحدة فلذلك قال ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين وهذا

والقول الثالث ما بين ايديهم فيما بقي من اعمارهم لا يقدمون فيه على طاعة ومن خلفهم فيما مضى من اعمارهم ولا يتوبون فيه عن معصية وعن ايمانهم من قبل الغنى فلا ينفقون في طاعة الله وعن شمائلهم من قبل الفقر فلا يمتنعون عن محظور ذكره الماوردي

تقول العرب اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي من المقربين لا من المؤخرين ويقال هو عندنا باليمين اي بمنزلة حسنة وبالشمال اي بمنزلة خسيسة

وهذا مراد المصنف بقوله لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وهو بيان لسبب ظنه **قوله** مذؤوما اي مذموما يعني ان الذأم من المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد وهو العيب البليغ والذأم العيب يقال ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤوم اذا عابه وحقره مثل سأله يسأله ويقال ايضا ذامه يذيمه بغير همز ذاما بالالف وذيما مثل بيعا وفي المثل لن تعدم الحسناء ذاما اي عيبا يعني المرأة وان كانت في غاية الحسن لا بد ان يكون فيها شيء من العيب فهو مذيم ومذوم مثل مكيل ومكول بمعنى مذؤوم ومذموم قراءة الجمهور مذؤوما مدحورا بالهمزة على انهما حالان من فاعل اخرج عند من يجوز تعدد الحال من ذي حال واحد ومن لا يجوز ذلك جعل مدحورا صفة لمذؤوما او حالا من ضمير الحال التي قبله على التداخل وقرئ مذوما من غير همزة وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون اصله مذؤوما على وزن مسؤول لا فخفف همزته بان القى حركتها على الذال الساكنة قبلها وحذفت الهمزة تخفيفا فصار مذوما مثل مسول لا في مسؤول لا وثانيهما ان يكون اسم مفعول من ذامه يذيمه كباعه يبيعه وكان حقه ان يقال مذيم كمبيع الا انه ابدلت الواو من الياء كما قالوا مكول في مكيل مع انه من الكيل **قوله** وهو ساد مسد جواب الشرط فان كلمة من شرطية حذف جوابها لدلالة جواب القسم عليه والقسم لتقدمه صرف الجواب المذكور الى نفسه فاحتيج الى تقدير جواب الشرط **قوله** مدحورا اسم مفعول من دحره يدحره دحرا ودحورا اذا طرده وابعده فاللعين مطرود من الجنة ومن كل خير **قوله** على انه خبر لاملأن اي خبر للوعيد المدلول عليه بقوله لاملأن لان نفس لاملأن لكونه جواب قسم محذوف يمتنع ان يكون مبتدأ مرفوع المحل حتى يكون قوله لمن تبعك بكسر اللام خبرا له مقدما عليه بل هو خبر مبتدأ محذوف يدل عليه لاملأن كانه قيل لمن تبعك منهم وعيد لاملأن ولما كانت الجملة القسمية بتمامها اي القسم مع جوابها دليلا على المبتدأ المحذوف وسادة مسده جعلت مبتدأ تسمية لها باسم مدلولها فقيل خبر لاملأن اعتمادا على فهم السامع **قوله** او علة لاخرج اي اخرج لان يكون رئيس الغواة ومتبوعا فاللام لام العاقبة سميت لام العلة مجازا ثم انه تعالى لما اهل ابليس والزم اللعين على نفسه ان يغوي ذرية آدم انتقاما منه بحيث ينصرف اكثرهم عن طريق طاعة الله تعالى اجابه الله تعالى بقوله اخرج منها واوعده مع اتباعه بان اقسم على ان يملأ جهنم منه ومن اتباعه اجمعين وهذا القسم انما يستلزم ان يمتلئ جهنم منهم ولا يلزم منه ان يكون كل واحد ممن اتبعه من اهل جهنم لان من اتبعه فيما دون الشرك في مشيئة الله تعالى ان شاء يغفر له وان شاء يعذبه بها

صح حميد من الملائكة وقيل رأوا ذلك الحكم الذي ينبني في اللوح المحفوظ فقالوا ذلك على سبيل القطع واليقين

كان قوله ان يكون رئيس الغواة ومتبوعا لهم بيان حاصل المعنى لا ان يكون اخرج لاجل

ثم انه تعالى لما خلق آدم واظهر كرامته عنده بان جعله مسجود الملائكة وبين جناية ابليس وما
يستحقه من الذم والعقاب حكى معاملته مع آدم بقوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
اى قلنا له يا آدم اسكن على طريق الاباحة والتكريم قوله وهو الاصل لتصغيره على ذيا يعنى
ان الياء اصل فى هذه الكلمة سواء اشير بها الى المذكر فقيل ذا او الى المؤنث فقيل ذى بكسر
الذال اما على الثانى فظاهر واما على الاول فلان ذا اسم ثلاثى اصله ذيى على وزن حيى ولو كان
ثنائيا مثل ما ومن لما جاز تصغيره فحذفت الياء الثانية من ذيى للتخفيف وابدلت الياء
الساكنة الفا كراهة ان يشتبه بآخر كى واى فصار ذا فلما صغرت الكلمة ردت الى اصلها
فقيل ذُيَيّ بيائين اصليين بينهما ياء التصغير ادغمت اولى الياءات الثلث فى الثانية
وفتح الذال لتسلم الياء وقلبت الاخيرة الفا لانفتاح ما قبلها فصار ذيا فاستدل بتصغير
ذا على ذيا على ان الياء اصل فى هذه الكلمة لان التصغير يرد الاشياء الى اصلها والضمير
فى قوله لتصغيره يرجع الى ذا لان ذى للمؤنث لا يصغر وانما يصغر ذا وقد استغنوا عن
تصغير ذى صرح به الجوهرى والهاء فى هذه بدل من الياء وليست للتانيث قوله
اى فعل الوسوسة لاجلهما يعنى ان وسوس فعل لازم لا يتعدى الى مفعول والوسوسة الكلام
الخفى المكرر يلقيه الشيطان الى قلب البشر ليزين له ما هو المنكر شرعا اى اورد عليهما
الخواطر التى زينت لهما الاكل من الشجرة بطريق الوسوسة والفرق بين وسوس له
ووسوس اليه ان وسوس له معناه انه باشر فعل الوسوسة لاجله ومعنى وسوس اليه انه القى
اليه ما يزين له الارتكاب بالباطل يقال رجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بفتحها بل
يقال موسوس له وموسوس اليه للذى تلقى لاجله واليه الوسوسة فان قيل كيف وسوس لهما
وهما فى الجنة وقد اخرج منها اجيب بانه وسوس وهو فى الارض لمن فى الجنة بالقوة التى
جعلها الله تعالى له كما يوسوس لمن فى جوانب الارض واما حيا وهو فى موضعه قوله
واللام للعاقبة لا للغرض لان الخبيث انما وسوس لهما ليوقعهما فى المعصية لا لظهور عورتهما
لكن لما كانت عاقبة وسوسته ظهور سوءتهما شبه ظهورها بالغرض الحامل له على الوسوسة وقيل
وسوس لهما ليسوءهما ويحتمل ان يكون اللام للغرض بان يكون ظهور عورتهما لهما غرضا له
ليسوءهما بانكشاف عورتهما بناء على انه رأى فى اللوح المحفوظ او سمع من بعض الملائكة
اذا اكلا من الشجرة بدت عورته وسقطت حرمته وجاهه فوسوس اليه ليوقعه فى المعصية
وليحصل له هذا الغرض ايضا وقوله ليسوءهما اى يحزنهما مضارع ساءه نقيض سره
والحزن خلاف السرور قوله ولذلك اى ولكون انكشاف العورة سبب المساءة والحزن عبّر

قوله اى وقلنا يا آدم قدر
فيه لعطف الجملة على جملة
قلنا للملائكة ولم يعطف على
قوله قال يا ابليس
اخرج ويا آدم اسكن
لان ذا وخرج لخروج الجزاء
لما حلف ابليس و ذا
لا يصلح للذكر ولا على البعد
فيه لانه بقوله قلنا
للملائكة يا آدم اسكن
هكذا قيل ولا يخفى انه يجوز
العطف على ما بعده قبل
اعتبار تقييده بالملائكة
بقول المعنى اى قلنا للملائكة
اسجدوا ولآدم اسكن وهذا
اعتبار صحيح شايع سكان

قوله اسكن انت وزوجك
الجنة صحة هذا العطف
مع عدم صحة اسكن زوجك
لاندراج الغائب فى
حكم الحاضر تبعية
للعطف بحكم التغليب
ونظيره جاءت هند وزيد
وانا وزيد فعلنا
واشارة الى اسكنا
للاشعار بالاصالة و
التبعية سكان

عبّر عنها بالسوءة للمبالغة فى كونها سببا للمساءة فكانها عين المساءة وكلمة ما فى قوله
تعالى ما ووري موصولة بمعنى الذى فى محل النصب على انها مفعول ليبدى اى ليظهر الذى
ستر عنهما وكانا قد البسا ثوبا يستر عورتهما فلما ذاقا الشجرة تهافت عنهما ذلك الثوب و
ظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت سنبلة او كرما او تينا او غيرها وان اللباس
كان نورا او حلة او من جنس الظفر وقوله تعالى ووري بواوين فعل ماض مجهول وارى فلما
بنى للمفعول قلبت الالف فى فاعل واوا للضمة ما قبلها كما فى قوتل فاجتمع واوان الاولى فاء الفعل
والثانية مبدلة من الف فاعل قوله وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة مع انه اذا اجتمعت
الواوان فى اول الكلمة تبدل الاولى همزة للتخفيف سواء كانت الاولى مضمومة كما فى اويصل
تصغير واصل اصله وويصل او مفتوحة كما فى اواصل جمع مكسر واصل واصله وواصل و
لم تبدل فى ووري لانه انما تبدل الاولى همزة اذا كانت الثانية متحركة كما فى المثالين
المذكورين والواو الثانية فى ووري ليست بمتحركة بل هى مدة فلذلك لم تبدل الاولى همزة
فى المشهور وروى عن عبد الله انه قرأ اورى بالابدال وقراءة الجمهور ووري بابقاء
الواوين على حالهما قراءة الجمهور سوءاتهما بصيغة الجمع من غير نقل ولا ادغام والظاهر انه
من قبيل التعبير بلفظ الجمع عن اثنين كراهة اجتماع لفظى التثنية كما فى قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما وقرئ سوتهما بلفظ الافراد ايضا الا انه نقلت حركة الهمزة الى الواو قبلها ثم حذفت
للتخفيف وسواتهما بابدال الهمزة واوا وادغام الواو فى الواو قوله بيانا لما عطف على
قوله فوسوس لهما تفسيرا وتفصيلا لكيفية وسوسته قوله الا كراهة ان تكونا ملكين اشارة الى
انه استثناء مفرغ من اعم عام المفعول له اى ما نهاكما لامر ما الا كراهة ان تكونا ملكين
اى كالملائكة فى حصول الكمالات الفطرية لكما بالفعل علما حضوريا والاستغناء عن
التغذى بالاطعمة والاشربة لا بان تنقلب حقيقتكما البشرية الى الحقيقة الملكية فانه
محال والبصريون يقدرون المضاف فى مثله فلذلك قال المص الا كراهة ويقدر الكوفيون
الا لا ان لا تكونا ملكين اوهمهما اللعين بهذا الكلام انهما ان اكلتا منها تكونان كالملائكة
او تكونان من الذين يخلدون فى الجنة ولا يموتون فرغبهما فى اكلها طمعا لحصول احد الامرين
لهما وقيل او هنا بمعنى الواو لان الترغيب فى مجموع الامرين ادخل فى حصول غرضه من
الوسوسة قوله واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجه الاستدلال ان الملائكة
لو لم تكن افضل منهم عندهما لما ارتكبا المنهى عنه لنيل رتبتهم واجيب عنه بان
رغبتهما فى الاكل من الشجرة ليس لان تكونا حقيقة لان استحالة انقلاب الحقائق مركوزة

في المعقول فلا يتم الاستدلال بلا غبار في الاكل طمعا لان يحصل لهما ايضا ما ،،
للملائكة من الكمالات المختصة بهم كلطافة البنية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
ونحوهما وفضل الملائكة من بعض الوجوه لا يدل على فضلهم على الانبياء مطلقا لجواز
ان يكون لنوع البشر فضائل اخر راجحة على ما للملائكة فان قيل كيف طمع ادم في الملكية
مع انه شاهد الملائكة متواضعين ساجدين له معترفين بفضله عليهم اجيب
بانه يحتمل ان يكون من سجد له من الملائكة ملائكة الارض فقط فطمع ادم عليه الصلوة
والسلام ان يكون من ملائكة السموات وسكان العرش والكرسي والملائكة المقربين
وعلى تقدير ان يكون من سجد له جميع الملائكة يجوز ان يختصوا بفضائل ليست لآدم
فرغب ان يكون له ايضا تلك الفضائل وقيل ان ادم علم ان الملائكة لا يموتون الى يوم
القيمة ولم يعلم ان يكون له ذلك فرغب ان يكون له من الخلود ما كان للملائكة **قوله**
اي اقسم لهما يعني ان القسم انما وقع من ابليس فقط الا انه عبر عن اقسامه بزنة
المفاعلة للدلالة على انه اجتهد في القسم اجتهاد المقاسم المغالب فيه **قوله**
وقيل اقسما له بالقبول كما اقسم هو لهما انه لمن الناصحين فزنة المفاعلة على
بابها **قوله** وقيل اقسما عليه اي حلفاه على ان يقسم بالله انه لمن الناصحين بان
قالا له انقسم بالله على انك من الناصحين لنا فاقسم لهما بالله على ذلك فخدعهما ،،
باليمين الكاذب وهو اول من حلف بالله كاذبا فلما حلف به ظن ادم عليه الصلوة
والسلام ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وغرته فان شان المؤمن ان يعتقد بصدق
من حلف بالله لتمكن عظمة اسم الله في قلبه وصيغة المقاسمة وان اقتضت ،،
بظاهرها ان يتحقق القسم من الجانبين والمتحقق من احد الجانبين ههنا نفس اليمين
ومن الاخر الحمل عليها الا ان ذلك جعل مقاسمة على التغليب والنصح بذل الجهد في طلب
الخير في حق غيره ما جوز من نصح بمعنى اخلص له الود ومنه عسل ناصح اي خالص وضده
الغش **قوله** اسطهما بذلك من درجة عالية وهي درجة الطاعة والانتهاء عما نهي عنه
الى رتبة سافلة وهي حالة المعصية بارتكاب المنهي عنه فالتدلية هنا معنوية لا حسية
قوله بما غرهما به من القسم على ان الباء سببية والغرور مصدر حذف فاعله ومفعوله
اشار اليهما بقوله غرهما اي بسبب تغريره اياهما باليمين بالله كاذبا وكان اللعين
اول من حلف بالله كاذبا وتعيين ان سبب تغريره اياهما هو القسم مستفاد من الفاء في
قوله فدليهما بعد قوله وقاسمهما **قوله** او ملتبسين بغرور على ان الجار والمجرور حال
من

الطعم بالضم مصدر طعم بمعنى اكل وبالفتح الكيفية المدركة بالذوق

من مفعول له لانهما **قوله** فلما وجدا طعمها يعني ان الذوق ادراك طعم الشيء باللسان
او الفم وانه غير الاكل وانه لا مخالفة بين هذه الاية الناطقة بانهما ذاقا الشجرة وبين
الاية الاخرى التي صرح فيها بانهما اكلا منها وذلك لانهما وان اكلا منها الا ان العقوبة
بانكشاف عورتهما اصابتهما حين وجدا طعمها آخذين في الاكل منها ولم يتاخر الى
ان يأكلا منها قيل كان لباسهما في الجنة ظفرا في اشد اللطافة واللين والبياض يكون
حاجبا من النظر الى اصل البدن فلما اصابا الخطيئة نزع ذلك عن بدنهما وبقي عند رؤس
الاصابع تذكيرا لما فات من النعم وتجديدا للندم وقيل كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين
النظر الى جرم البدن وقيل كان حلة من حلل الجنة واياما كان لما ذاقا الشجرة نزع ،،
ذلك عنهما وبدت لهما سوأتهما اي ظهرت لهما عورتهما الا غيرهما وكان لا يريان ذلك من
انفسهما **قوله** اخذا يرقعان يعني ان طفق من افعال الشروع كاخذ وجعل وانشا
يدل على التلبس باول الفعل والف التثنية اسمها ويخصفان خبرها اي يرقعان ويلزقان
ويصلان عليهما شيئا من ورق الجنة حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة
على ورقة ليسترا سوأتهما وفي الاية دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى
انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة **قوله** وقرئ يخصفان
بضم حرف المضارعة من اخصف ولما كان يخصفان الثلاثي متعديا الى مفعول واحد وهو
شيئا من ورق الجنة تعدى الى اثنين بنقله الى باب الافعال وكان المعنى يجعلان انفسهما
خاصفين عليهما من ورق الجنة وقرئ يخصّفان بضم الياء وفتح الخاء وتشديد الصاد
من خصّف للتكثير ويخصّفان بفتح الياء وكسر الخاء وفتحها والصاد مشددة على التقديرين
اصله يختصفان فادغمت التاء في الصاد وكسرت الخاء لاتباعها للصاد في حركتها او
من فتح الخاء لم يتبعها للصاد والظاهر ان يرجع ضمير عليهما الى سوأتهما لان لفظ الجمع فيها
بمعنى التثنية مجازا ان يرجع اليها ضمير التثنية اذ لا وجه لان يرجع الى ادم وحواء لان ضمير
يخصفان عبارة عنهما فلو جعل ضمير عليهما عبارة عنهما ايضا لزم ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول عبارتين عن شيء واحد في غير افعال القلوب لان عليهما في محل النصب على انه ،،
مفعول يخصفان وقد تقرر في النحو انه لا يجوز ذلك في غير افعال القلوب الا ان يحمل الكلام على حذف
المضاف ويكون التقدير يخصفان على بدنيهما **قوله** وناديهما يحتمل ان يكون ذلك بان
اوحى اليهما بواسطة الملك ذلك الكلام او بان الهمهما ذلك في قلبهما قيل كانت جملتهما بهذا
العتاب اشد عليهما من كل محنة اصابتهما **قوله** وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم

فان قيل لا نم ان النهي في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة مطلق بل هو مقرون بما يدل على التحريم وهو
قوله تعالى فتكونا من الظالمين اجيب بان الدليل على ما ذكر هو قوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة
حيث رتب العتاب على مخالفة النهي مطلقا مع قطع النظر عن تحققه في ضمن قوله المخصوص ولم يقل
الم اقل لكما لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين **قوله** دليل على ان الصغائر معاقب عليها
ان لم تغفر لانهما علقا الخلاص عن الخسران والعتاب على مغفرة ورحمة ولما اقسما على
انه تعالى ان لم يغفر لهما ويرحمهما لنكونن من الذين خسروا انفسهم بتعريضها لعقاب الله
تعالى علم ان من ارتكب صغيرة خسر نفسه بان جعلها مستحقة للعقاب وقالت المعتزلة لا يجوز
المعاقبة على الصغائر مع اجتناب الكبائر لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وكان ذنب آدم صغيرة لانه لم يأكل من الشجرة فقصد المخالفة لحكم الله تعالى بل انما اكل بناء
على ان مقالة اللعين اورثت فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي
ذلك وزال المانع عن الاكل فحمله طبعه عليه ولانه انما اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه
ظن ان النهي للتنزيه او ان الاشارة في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة الى عين تلك الشجرة
فتناول من غيرها من نوعها وقد كان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه الصلاة والسلام
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وقوله ربنا منادى حذف منه
حرف النداء وقد كثر حذفها في نداء الرب تعظيما له تعالى وتنزيها له عما لا يليق بشأنه وذلك ان
صورة النداء فيها معنى الامر بالاقبال فانك اذا قلت يا زيد كان معناه اقبل وتعال يا زيد فحذف
حرف النداء احترازا عن صورة الامر والدعوة الى الاقبال **قوله تعالى** وان لم تغفر لنا شرط حذف
جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه فان اللام في قوله لئن لم تغفر لنا لام موطئة القسم وهي
لا تذكر الا بعد تقدم القسم لفظا او تقديرا ولم يتقدم في الآية لفظا فكان مقدرا **قوله** اي خلقناه
لكم بتدبيرات سماوية ضمن الانزال معنى الخلق كانه قيل خلقناه لكم نازلا من السماء ثم اشار
الى وجه كون ما حدث في الارض نازلا من السماء بان جميع ذلك انما يحدث بتدبيرات سماوية
من اختلاف الليل والنهار وطول او قصر المؤدي الى اختلاف الفصول وتبدل كيفيات الهواء
صيفا وشتاء فصارت الحوادث الارضية بذلك كانها نازلة من السماء وايضا جميع ذلك انما
يكون بالاسباب النازلة من السماء فصار بذلك كانه نازل من السماء فلذلك عبر عن انزال
اسبابه بانزاله نفسه ومناسبة هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما بين كثرة نعمه على بني آدم حيث
اسكنهم في الارض وجعل لهم فيها معايش واسجد لابيهم آدم ملائكته وادى ذلك الى ظهور
شناعة ابليس بسبب آدم وتنزيله اياه من منزلته العالية وبوسوسته حتى انتهى الامر

الى ان بدت لهما سوآتهما وتحيرا بذلك والتجآ الى ان يخصفا عليهما من ورق الجنة بين
بهذه الآية انه اغناهم عن ذلك الخصف بانزال ما يواري سوآتهم من اللباس وما يتجملون
ويتزينون به من الريش واظهر بيان ذلك منة عليهم بتخلق ما يتزينون به ويسترون عوراتهم
التي انكشافها في غاية القباحة ويوجب اقصى المذلة والمهانة واشار الى سبب نزولها
بقوله روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة فنزلت نهيا لهم عن كشف العورة حيث
وصف ما انزل من اللباس بما هو الفائدة المرتبة عليه وهي ستر العورة فعلم منه ان
كشفها قبيح يجب الاحتراز عنه وان خلق ما يستر بها نعمة جليلة من الله تعالى يجب الشكر عليها
مال المص ولعل قصة آدم ذكر مقدمة وتمهيدا للنهي عن كشف العورة حتى يعلم ان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغوى العرب كما اغوى ابويهم
قوله ولباسا تتجملون به اشارة الى ان الكلام من قبيل ما حذف فيه الموصوف واقيمت
صفته مقامه كانه قيل ولباسا ريشا اي ذا ريش وزينة عبر عن الزينة بالريش تشبيها لها بريش
الطائر لان الريش زينة الطائر كما ان اللباس زينة لبني آدم قال الزمخشري الريش لباس
الزينة استعير من لباس الطائر لانه لباسه وزينته كانه قيل انزلنا عليكم لباسين لباسا
يواري سوآتكم ولباسا يزينكم فان الزينة غرض صحيح قال تعالى لتركبوها وزينة ولكم فيها
جمال قال الجوهري الريش والرياش بمعنى وهو اللباس الفاخر وقيل الريش والرياش
المال والخصب والمعاش يقال ارتاش فلان اذا حسنت حاله **قوله** ولباس التقوى خشية
الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وهذه معان مجازية للفظ اللباس شبهت بالملبوس
من حيث انها تستر صاحبها وتحفظه كالملبوس واضيف اللباس باحد هذه المعاني الى
التقوى للملابسة بينهما من حيث انه يؤدي صاحبه الى تقوى الله تعالى او من حيث كونه
ناشئا منها **قوله** وقيل لباس الحرب كالدرع والمغفر ولفظ لباس التقوى حقيقة في هذا
المعنى لكونه لباسا يتقى به بأس العدو وهو وان كان خيرا بالنسبة الى لباس الزينة الا انه
ليس خيرا بالنسبة الى اللباس الساتر للعورة فلذلك ذكره بلفظ قيل **قوله** وخبره ذلك خير
على ان ذلك مبتدأ ثان وخير خبر الثاني والثاني مع خبره خبر الاول والرابط ههنا اسم
الاشارة وهو من الروابط باتفاق النحاة وجوز ان يكون ذلك صفة للمبتدأ ويكون
خير خبرا ولما ورد ان يقال كيف يجوز ان يكون اسم الاشارة صفة للمضاف الى المعرف
باللام واسم الاشارة اعرف منه ومن شرط الصفة ان تكون مساويا
للموصوف او اقل منه تعريفا لان الموصوف هو المقصود بالنسبة ولا يجوز ان يكون المقصود

اقل تعريفا بالنسبة الى غير المقصود واسم الاشارة اعرف من المعرف باللام فبالاولى
ان يكون اعرف من المضاف الى المعرف باللام فكيف يجوز ان يكون اسم الاشارة صفة
له اشار الى جوابه بقوله كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه وتقريره ان اسم الاشارة ههنا
في تاويل المعرف باللام كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه او المذكور فجاز ان يقع صفة
للمضاف الى المعرف باللام ثم انه تعالى لما ذكر قصة آدم وحوى مع ابليس اتبعها بتحذير اولاده
من قبول وسوسته فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان اي لا يمحننكم ولا يوقعنكم في المحنة و
البلاء فانه لما بلغ في كيده الى ان قدر على ايقاع آدم في الزلة المؤدية الى اخراجه من
الجنة فان يقدر على ازلال اولاده اولى فوجب عليهم ان يحترزوا عن قبول وسوسته وقوله
تعالى كما اخرج صفة مصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم لما كان
ايقاع ابليس اياهم في الفتنة لازما لافتتانهم به عبر عن الافتتان به بنهيه عن ايقاعه
اياهم في الفتنة على طريق الكناية لكونها ابلغ من التصريح لكونه بمنزلة اثبات الشيء المقصود
بالبينة **قوله** حال من ابويكم او من ضمير اخرج لاشتمال الجملة الحالية على ضمير كل واحد
من الابوين وضمير الشيطان المستتر في اخرج فجاز انتصاب الحال على كل واحد منهما على البدل
واسند نزع اللباس الى الشيطان مع انه لم يباشر ذلك لكونه سببا في ذلك النزع كما
تقول انت فعلت كذا لمن كان سببا في حصول ذلك الفعل **قوله** تعليل للنهي ببيان انه
عدو صعب الاحتراز عن ضرره فان قيل كيف نحاربهم ونحترز عنهم ونحن لا نريهم
قلنا لم نؤمر بمحاربة اعيانهم وانما امرنا بدفع وسوستهم وعدم قبول ما يلقونه في قلوبنا
بالاستعاذة منه الى الله تعالى وقد علمنا كيفية دفع ذلك بقوله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون روي عن ذي النون المصري انه قال ان كان
هو يريك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله
عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا وكلمة من في قوله من حيث لا ترونهم
لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في
محل الجر باضافة حيث اليه **قوله** يراكم هو وقبيله اي يرونهم ايانا من حيث لا نراهم
في الجملة الخ

وتاكيد الضمير المرفوع المتصل بهو في قوله تعالى انه يريكم هو وقبيله ليس لصحة العطف لجواز العطف على الضمير المرفوع المتصل بدون التاكيد وجواز الفصل بدون التاكيد كان لصحة العطف فلا حاجة الى التاكيد لصحة العطف ولعل التاكيد لمطلق ... قوله ... [illegible]

في الجملة الجواب ان بعض احوالهم وجوه الثبات لهم على صورهم الاصلية لا يقتضي امتناع رؤيتنا
اياهم بان يتشكلوا كما تواتر من بعض الصحابة رأى الجن جهارا علينا وبيده قوله عليه الصلوة
والسلام لابن مسعود رضي الله عنه لكل جن نصيبين حين قال له ابن مسعود رأيت رجالا كذا وكذا
قوله بما اوجدنا بينهم من التناسب لانهم الجبلات والغواية فصار بعضهم قرناء بعض واعوانه
ما الاولياء جمع ولي بمعنى الصديق ضد العدو ويقال ابنه تولاه اي اتخذه صديقا وخليلا **قوله**
او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلهم فالولي على هذا من ولي الرجل البيع والاية في كل من ولي
امر واحد فهو وليه فان الشيطان لما جعلوا الكفار على ما سولوا لهم صاروا بمنزلة من تولى
امورهم **قوله** والآية من قوله يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان هو المقصود من بيان قصة آدم مع
ابليس وقد لكه لما نهى تعالى المؤمنين عن الافتتان باغواء ابليس وبين شدة عداوته
لهم سلاهم بنوع من التسلية فقال انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ثم انه تعالى
اورد جملة شرطية على طريق الاستئناف لبيان جهالة الذين لا يؤمنون وهي انهم يرتكبون
الافعال القبيحة المتناهية في القبح في نفس الامر ويستحسنونه ويحتجون على حسنه بامرين
تقليد الآباء وكونه مامورا به من قبل الله تعالى ولما كان التقليد مما لا يصح الاحتجاج به لانه
انما يصح اذا ثبت حسن فعل المقلد به وهو عين المدعى فالاحتجاج به مصادرة على المطلوب
فلذلك لم يذكر الله تعالى جوابا عن احتجاجهم بالتقليد بل اقتصر على الجواب عن قولهم الله امرنا به
قوله ولا دلالة فيه اي في قوله تعالى ان الله تعالى لا يأمر بالفحشاء على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم
عليه آجلا عقلي كما ذهب اليه المعتزلة وعندنا لا يثبت القبح بهذا المعنى الا بالشرع لما كان للمعتزلة
ان يحتجوا بهذه الآية على مذهبهم بان يقولوا لو كان قبح الفعل منوطا بتقبيح الشرع اياه ونهيه
عنه وكان حسنه منوطا بتحسينه اياه وندبه اليه لكان قوله تعالى لا يأمر بالفحشاء خاليا عن
الفائدة بمنزلة ان يقال الحسن ما قبحه وانما يفيد لو كان الفعل قبيحا في نفسه مع قطع النظر
عن ورود الشرع في حقه وتقبيحه اياه فوجب ان يكون قبح الفعل راجعا الى معنى قائم به مع قطع
النظر عن تقبيح الشرع اياه وانه تعالى انما نهى عنه لما فيه من ذلك المعنى القائم به والمص
اشار الى جواب هذا الاحتجاج بقوله ولا دلالة فيه الخ وتقريره ان القبح يطلق على معنيين الاول
كون الشيء قبيحا في حكم الله تعالى بحيث يترتب عليه الذم آجلا والثاني ان يتنفر عنه الطبائع
السليمة ويستكرهه العقول المستقيمة ولا نزاع بيننا وبين المعتزلة في ان القبح بالمعنى الثاني
عقلي وانما النزاع في القبح بالمعنى الاول وان المراد بالفحشاء في الآية هي الفعلات الفاحشة
بهذا المعنى ولا يلزم من كون قبح هذه الفعلات عقليا ان يكون القبح بالمعنى الاول عقليا

... وتقرير ... لكان ... الازمان ... التناقض ...
... ان المراد ان القوم كانوا ... الافعال ... فواحش ... ان الله امرهم ... ذلك لا تقولوا ... ان تكونوا ... فواحش والقوم كانوا يعتقدون ان الطاعات وان الله ... وما ثبت كون تلك الافعال قبيحة ... والرسل امرنا ... يقول لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء

فلا يتم احتجاج المعتزلة بهذه الآية قوله وقيل هما جوابا سؤالين عطف على قوله احتجوا بامرين احدهما ان يكون كل واحد من قولهم وجدنا عليها آباءنا وقولهم الله امرنا بها جوابا لسؤال نفي تحسين ما فعلوه من الفعلة الفاحشة وضعف ان يكون القول الثاني جوابا للسؤال الثاني بناء على ان مآل السؤالين واحد وفائدة القولين بيان حسن ما فعلوه من الفاحشة فلا وجه لتكثير الكلام من غير فائدة ثم قال وعلى الوجهين اعرض الله تعالى عن رد احتجاجهم الاول لظهور فساده فان التقليد لا يعتبر دليلا على صحة الفعل الذي قام الدليل على بطلانه وان كان معتبرا في غيره فجعل الله تعالى قولهم الله امرنا بها حكما بما لا يعلمون لانه لا طريق لهم الى علمهم بذلك لان طريق العلم به منحصر في امرين احدهما ان يسمعوا من الله تعالى ابتداء اي من غير توسط رسول بينهم ان الله تعالى امرهم بذلك وثانيهما ان يعرفوا ذلك بواسطة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكل واحد من الامرين منتف في حقهم اما انتفاء الاول فظاهر واما انتفاء الثاني فلانهم ينكرون نبوة الانبياء على الاطلاق فان هذه المناظرة مع كفار قريش وهم كانوا منكرين لاصل النبوة واذا كان كذلك فلا طريق لهم الى العلم باحكام الله تعالى فكان قولهم الله امرنا بها قولا على الله تعالى بما لا يعلمون قوله تعالى واقيموا وجوهكم ليس معطوفا على قوله امر ربي والا لزم عطف الانشاء على الاخبار بل معطوف على امر بتقدير قل اي قل اقيموا في وقت كل سجود او في مكان كل سجود فان المسجد يحتمل ان يكون اسم زمان وان يكون اسم مكان والمراد بالسجود الصلوة بطريق ذكر الجزء وارادة الكل كانه قيل في وقت كل صلوة او في مكان كل صلوة قوله وتوجهوا الى عبادته مستقيمين وجه كون اقامة الوجه عبارة عن التوجه بالاستقامة ظاهر واما كون المتوجه اليه هو العبادة فهو مستفاد من قوله في كل مسجد لان التوجه بالاستقامة في كل وقت صلوة او مكانها لا يسبق الى الفهم من هذه العبارة سوى التوجه الى الصلوة وما يتوقف اداؤها عليه واللفظ الجامع لها هو لفظ العبادة وقوله غير عادلين عن العبادة مستفاد من الاقامة ثم جوز ان المراد بالمتوجه اليه بالاستقامة هو القبلة والكعبة المعظمة لان الذهن ينتقل من تلك العبارة الى هذا المعنى ايضا قوله وانما شبه الاعادة بالابداء يعني احتج عليهم في انكارهم البعث والاعادة بابتداء الخلق اي قيسوا الاعادة بالابداء فلا تنكروها فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة اذ ليس بعثكم اشد من ابتداء خلقكم والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف تقديره تعودون عودا مثل ما بدأكم وبدأ بالهمزة بمعنى انشأ واخترع قوله وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا اعادكم هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم

مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا فمن خلقه في ازل الازل للشقاوة استعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته الشقاوة ويبعث على ما مات عليه ومن خلقه للسعادة استعمل بعمل اهل السعادة وكانت عاقبته للسعادة ومن ابتدأ الله تعالى خلقه على الشقوة صار اليها وان عمل عمل اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل عمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل عمل اهل الشقاوة كسحرة فرعون فانهم كانوا يعملون عمل الاشقياء فصاروا سعداء في آخر اعمارهم قوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كالتفسير لقوله تعالى كما بدأكم وفريقا الاول منصوب بهدى بعده وفريقا الثاني منصوب بفعل مضمر يفسره فقد حق عليهم الضلالة من حيث المعنى وتقديره واضل فريقا حق عليهم الضلالة وهو احسن من تقدير وخذل لما فيه من ايهام الميل الى الاعتزال ولكونه اوفق لقوله حق عليهم الضلالة قوله تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالهم ويؤيد كونه للتعليل قراءة من قرأ انهم بفتح الهمزة وهي نص في التعليل اي حقت الضلالة لاتخاذهم الشياطين اولياء وقبولهم ما دعوا اليه بدون التامل في التمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال وان كان يحصل بخلق الله تعالى اياه ابتداء لما انه تعالى يخلق كل واحد منهما كسب العبد وسعيه في حصوله فيه والمص لما قدر فعل الخذلان عاملا في فريقا الثاني تحقق ههنا امران ضلالة القوم وخذلان الله تعالى اياهم المؤدي الى ضلالتهم فاحتمل ان يجعل قوله تعالى انهم اتخذوا الخ تعليلا وتحقيقا لهما قوله يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء من حيث انه تعالى ذم المخطئ الذي ظن انه في دينه على الحق بانه حق عليه الضلالة وجعله في حكم الجاحد المعاند فعلم منه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين بل لا بد فيه من الجزم واليقين لانه تعالى ذم الكافرين بانهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان فيه لما ذمهم بذلك قوله تعالى خذوا زينتكم اي ثيابكم الزينة وان كانت اسما لما يتزين به من الثياب الفاخرة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالزينة ههنا الثياب التي تستر العورة استدلالا بسبب نزول الآية وهو ان اهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لا نطوف في ثياب اصبنا فيها الذنوب فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا عند كل مسجد سواء دخلوه للصلوة او للطواف وكانوا قبل ذلك يدعون ثيابهم وراء المسجد عند قصد الطواف ومنهم من يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب فنزلت قوله تعالى ولا تسرفوا

بتحريم الحلال كتحريم البحيرة والسائبة وتحريم ما احله الله تعالى في ايام الحج او بالتعدي الى
الحرام بان يتناول ما حرم الله تعالى عليه من المأكول او المشروب والملبوس او بافراط الطعام
بان يتناول ما لا يحتاج اليه البدن في غذائه فان الشرع عليه الحرص فان جميع ذلك
من قبيل الاسراف قوله ما اخطأتك اي ما جاوزتك قوله سرف ومخيلة بفتح الميم
كالواو النفس والمخيلة والخيلاء الكبر قوله في نصف آية يروى عنه انه قال جمع الله الطب
كله في نصف آية من كتابه وهي قوله تعالى ولا تسرفوا وروي عنه ايضا انه قال جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في خبر واحد وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس
كل دواء واعط كل بدن ما عودته وحكي انه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني سمع من علي
بن الحسين ما رواه من كتاب الله تعالى ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ترك كتابكم
ونبيكم لجالينوس طبا قوله انتصابها على الحال اي من المستتر في قوله للذين آمنوا
فان قوله هي مبتدأ وقوله للذين آمنوا متعلق بالاستقرار المقدر والجار والمجرور في محل
الرفع على انه خبر هي وقوله في الحيوة الدنيا متعلق بآمنوا او بالاستقرار الذي تعلق به
للذين وقوله يوم القيمة متعلق بخالصة والمعنى الطيبات كائنة او مستقرة للذين آمنوا
في حال كونها خالصة لهم يوم القيمة وان اشتركت فيها المؤمنون والكفار في الدنيا
فان قلت فعلى هذا كان الظاهر ان يقال هي للذين آمنوا ولغيرهم في الدنيا خالصة
للمؤمنين في الآخرة فلم قيل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا من غير ان يعطف على الاسم
الموصول غيرهم مع ان اللام الجارة في قوله تعالى للذين آمنوا تدل على اختصاص
الطيبات للمؤمنين في الدنيا ايضا قلنا المقصود الاصلي من خلق الطيبات تقوية
المكلفين على طاعة الله تعالى لا تقويتهم على الكفر والعصيان فهي مختصة بالاصالة
للمؤمنين والكفار لهم في ذلك تبعا للمؤمنين ولذلك خاطب المؤمنين بقوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا وقال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار
المحصل لهذا الجواب بقوله بالاصالة والكفار وان شاركوهم فيها تبع ثم انه تعالى لما بين في
الآية الاولى ان الذين حرموه من الزينة وطيبات الرزق ليس بحرام بين بعده
انواع المحرمات فقال انما حرم ربي الفواحش والفرق بينها وبين الاثم ان المراد
بالاثم ما يوجب الاثم وهو يعم الصغائر والكبائر والفاحشة مختصة بما فحش قبحه من الكبائر
وبما يتعلق بالفروج فقوله تعالى والاثم من قبيل التعميم بعد التخصيص لئلا يتوهم ان
التحريم مقصور على الفواحش نظرا الى ان كلمة انما للحصر ولذلك ضعف قول من قال المراد
بالاثم

الا ان الحديث المذكور مما عنه على المعدة والسلام لا يثبت قاله ابن الجوزي رحمه

والمعنى مقدرة الخلوص لهم سنان

فهلا ان نخصصنا هذا الحكم فالصفة الى النسبة ويجوز ان يكون من باب ضربته تاديبا اي غرضنا الضرب التخصيص وان له كثرة فالقصد الى المصدر في الحقيقة وان كان ظاهر الكلام على النسبة ويكفيه ان الكلام بمعنى انتفاء المشاركة عن النفس كما في قولك فلان لا يبخل بمعنى انه لا يبخل فتأمل سنان

والاثم هو الخمر قاله الحسن وعطاء وشاهده قول الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول قال الفراء هذا
البيت مصنوع في شعر من يحتج بشعره وما رأينا احدا من العرب اطلق الاثم في اسماء الخمر ولا سمعناه في الجاهلية والاسلام
ولكن قد يكون الخمر داخلة تحت الاثم لقوله تعالى فيهما اثم كبير نهاية

بالاثم شرب الخمر قيل عليه كيف يراد الخمر به وقد كانت الخمر مباحا حين نزول هذه السورة
لان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما كان بالمدينة بعد وقعة احد وقد شربها جماعة من الصحابة
الاحد عندهم يوم احد فقتلوا شهداء وهي في اجوافهم وافرد ذكر البغي مع دخوله في الاثم وعلم تحريمه
من تحريم الاثم للمبالغة في تحريمه فان تحريمه بخصوصه ابلغ بالنسبة الى تحريمه في ضمن تحريم الاثم وكذا
تقييده بغير الحق معنى لان البغي لا يكون بالحق قوله وان تشركوا معطوف على مفعول حرم اي
وحرم عليكم اشراككم وقوله تعالى ما لم ينزل مفعول تشركوا قوله ما لم ينزل تهكم بالمشركين
بتنزيل الاشراك بالله منزلة الامور التي يجوزها العقل ويصح ان ينزل برهان على صحته والمحرم انما
هو الاقدام عليه قبل قيام حجته ثم انه تعالى لما بين الحلال والحرام وحرم ما يوجب الاثم كالفواحش
والبغي والاشراك بالله تعالى هدد المشركين المكذبين للرسل بقوله ولكل امة اجل
والاجل هو الوقت المضروب لبقاء الحكم سواء كان آخر مدة بقائه او مجموع مدته وفسر الاجل
المذكور في هذه الآية بوجهين الاول مدة بقاء كل احد وعمره واذا انقطع الاجل بهذا المعنى وبلغ
غايته امتنع وقوع التقدم والتأخر فيه والثاني مدة انتظام احوال كل امة سالمين عن ان
يعذبوا بعذاب الاستيصال فان كل امة مكذبة بالرسل مشركة بالله لها مدة معلومة عند الله يوقع
بها العقوبة عند انقضائها وهو تعالى لا يعذبهم الى ان يبلغوا ذلك الاجل المضروب لهلاكهم بطريق
الاستيصال واذا جاء ذلك الوقت ينزل ذلك العذاب فيه لا محالة لا يتأخر هلاكهم عنه ولا يتقدم
عليه وهذا التفسير اوفق لقوله تعالى ولكل امة اجل لانه لو كان المراد بالاجل المعنى الاول لكان الظاهر
ان يقال ولكل احد اجل يموت عنده لا قبله ولا بعده والتفسير الاول اولى من حيث ان التفسير
الثاني يقتضي ان يكون لكل امة من الامم وقت معين لنزول عذاب الاستيصال عليهم وليس
الامر كذلك لان هذه الامة امة مرحومة آمنة من عذاب الاستيصال فان قيل ان فسر الاجل
بمدة العمر يكون المعنى اذا انتهت مدة عمر الشخص لا يتقدم موت ذلك الشخص على مجيء اجله ولا
معنى له لان كلمة اذا انما تدخل على ما يقع في المستقبل والجزاء المرتب على ذلك الشرط الاستقبالي
ثبوتا او انتفاء يجب ان يكون ثبوته او انتفاؤه مستقبلا بالنسبة الى تحقق مضمون الشرط وعدم
الاستقدام متقدم على مجيء الاجل فكيف يكون مرتبا عليه فيكون بعدم تقدمه عليه لغوا خاليا عن
الفائدة بكونه اخبارا عن امر ضروري معلوم لكل احد بمنزلة ان يقال الثلثة لا يكون زوجا قلنا
ان ما ذكرته انما يلزم ان لو كان قوله ولا يستقدمون معطوفا على قوله لا يستأخرون داخلا في حيز
جزاء اذا وليس ذلك بواجب لجواز ان يكون قوله ولا يستقدمون كلاما مستأنفا جيء به للاخبار
بانهم لا يسبقون اجلهم المضروب لهم بل لا بد من استيفائهم اياه كما انهم لا يتأخرون عنه قط

والحاصل ان البغي والشرك والافتراء وان كانت داخلة تحت الفاحشة والاثم فخصصها بالذكر تنبيها على انها افحش انواع الاثم والذنب كما في قوله تعالى ملائكته وجبريل

زمانا فان قوله ساعة منصوب على الظرفية وهي مثل في قلة الزمان تقول للصاحبك في ساعة تريد انه فعله في اقصر ساعة وان لم يتبين بمقدار قوله بشرط ذكره بحرف الشك مع انه اشحقق الوقوع في علم المتكلم فان اتيان الرسل شرط جعلت ادامة كلمة ان المستعملة في الامور التي تتحقق وقوعها في علم المتكلم فان النحاة اتفقوا على انها تستعمل في المعاني المحتملة التي لا جزم بوقوعها ولا بعدم وقوعها في اعتقاد المتكلم فلذلك لا تقع في كلام الله تعالى الا على طريق الحكاية او على ضرب من التاويل بان يسوق المعلوم مساق المشكوك لنكتة تقتضيه كما في هذه الاية فان حرف الشك فيها للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز ومقتضى الظاهر ايراد كلمة اذا بدل ان لكون الاتيان محقق الوقوع في علم الله تعالى واصل اما ان ما ضمت كلمة ما الى ان الشرطية تاكيدا لما فيها من معنى الشرط والتعليق وللدلالة على زيادة العموم في المعلق عليه فان قولك اما تفعلن معناه ان اتفق وجود الفعل منك بوجه من الوجوه

قوله ولذلك اي ولكون معنى الشرط مؤكدا بكلمة ما التزم ان يؤكد فعل الشرط بالنون الثقيلة او الخفيفة لئلا ينحط درجة فعل الشرط عن حرفه ويتعاضد في افادة التاكيد لما هدد الله تعالى الامم المكذبة للرسل بقوله ولكل امة اجل بين ثواب من اتقى التكذيب واصلح عمله واطاع رسول الله الذي يقص اياته اي يبين فرايضه واحكامه التي شرعها لعباده ويتلو عليهم القران والاحاديث التي هي ايضا من ايات الله تعالى فقال فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اذا خاف الناس وحزنوا اي لا يخافون ما يلحق العصاة في المستقبل ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا لاستغراقهم في الاستلذاذ بما اعد للمتقين في دار الكرامة والرضوان وبين عقاب من كذب باياته واستكبر عنها بقوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله تعالى منكم صفة رسل وكذلك يقصون وكلمة من في قوله فمن اتقى وان جاز ان تكون شرطية ويكون قوله فلا خوف جوابها الا ان المص اختار كونها موصولة وكون قوله فلا خوف عليهم خبرها كما يدل عليه قوله بادخال الفاء في الخبر الاول ليوافق قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار فان قوله والذين مبتدا واولئك خبره ولما كانت هذه الجملة الاسمية التي هي قوله فمن اتقى مع خبره جوابا للشرطية التي قبلها وهي قوله اما ياتينكم رسل منكم احتيج في هذه الجملة الى رابط يربطها بتلك الشرطية وكذا الجملة التي عطفت عليها وهي قوله والذين كذبوا مع خبره فانها ايضا تحتاج الى الرابطة المذكورة فقدر في كل واحدة من الجملتين الاسميتين لفظة منكم يربطها بالجملة الشرطية ثم انه تعالى لما بين عقوبة المكذبين المستكبرين عظم جرمهم التي استحقوا بها تلك العقوبة فقال فمن اظلم اي فمن اعظم ظلما ممن كذب على الله وقال عليه ما لم يقله وكذب ما قاله ويدخل في التقول عليه اثبات

قوله التي ضلت بالاقتداء بها ورد عليه بانه يلزم منه ان يكون سلسلة الامم الداخلة في النار غير متناهية لانه توجيه في النار رغم تناهيه لانه يجب ان تكون لكل امة داخلة في النار سابقة مضلة لا فهي ايضا من الامم الداخلة فيلزم ان تكون لها ايضا سابقة مضلة وهكذا الى ما لا نهاية لها والكلام ان الكلية انما هي لكل من لها اخت من الامم ومن ليس لها اخت فهي خارجة عن تلك الكلية فالسلسلة منتهية فلا محذور منه

اثبات الشريك والصاحبة والولد له تعالى واسناد الاحكام الباطلة اليه تعالى قوله على الانفصال اي على انفصال الكلام عن خطاب الاتباع واتصاله الى الاخبار عن حال القادة بانهم لا يعقلون مضاعفة عذابهم وليس المراد بقوله تعالى لكل ضعف تضعيف ما يحمله كل واحد من العذاب بانه ظلم فانه تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة ولكن الناس انفسهم يظلمون بل المراد تضعيف عذاب الضلال بان يضم اليه عذاب الاضلال والتضليل قوله ورتبه عليه عطف تفسير لقوله عطفوا كلامهم على جواب الله تعالى لاخراهم بين به ان ليس المراد بالعطف العطف المتعارف والا لزم ان يكون كلام القادة هذا ايضا جملة بما اجاب الله تعالى به للاتباع وليس كذلك بل العطف ههنا بمعنى الترتيب والتفريع فان القادة لما سمعوا قوله تعالى للاتباع لكل ضعف قالوا للاتباع اذا سمعتم انه تعالى سوى بيننا وبينكم في تضعيف العذاب وانه لا فضل لكم علينا من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال فكيف تطمعون ان يكون عذابكم اخف من عذابنا ويكون عذابنا ضعف عذابكم والحال انا ما الجاناكم على الكفر بل كفرتم لكون الكفر موافقا لهواكم كما كفرنا كذلك قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا الاية من تمام وعيد الكفار بعد قوله لكل ضعف والمراد بالايات الحجج الدالة على اصول الدين من التوحيد ونبوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والبعث والجزاء والكفار يكذبون جميع ذلك ويترفعون عن العمل بمقتضاها اختار المص لا تفتح بضم التاء والتشديد على بناء الفعل للمفعول حيث ما ل والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وهي قراءة الجمهور وقراءة ابو عمرو لا تفتح بضم التاء من فوق والتخفيف على بناء المفعول وقراء الاخوان لا تفتح بضم الياء من تحت والتخفيف لكون الفعل مسندا الى ظاهر غير الحقيقي فان تانيث الابواب غير حقيقي قوله وقرئ لا تفتح ولا يفتح بالتاء والياء وفتحهما على بناء الفعل للفاعل وهو الايات على الاول والباري تعالى على الثاني والابواب منصوبة على المفعولية على القراءتين وقرئ ايضا لا تفتح بفتح التاء الفوقانية والتشديد واصله لا تتفتح بتائين فحذف احديهما وابواب السماء على هذه القراءة مرفوعة على الفاعلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ماخوذ من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل لا تفتح لارواحهم ابواب السماء لانها لخباثتها لا يصعد بها الى السماء لتتصل بالملائكة بل يهوى بها الى سجين وانما تفتح ابواب السماء لارواح المؤمنين كما ورد في الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح ~~روح الكافر~~ لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب الى ان تنتهي

الى السماء السابعة وتستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فيهوي بها الى سجين

وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء حتى تنزل عليهم بركاتها وامطارها اسند الا تفتح الى الابواب للتنبيه على ان المراد ابواب السماء بتمامها قوله ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فان البعير اعظم الحيوانات

واكبرها جثة عند العرب كما ان السم ابرة اضيق المسالك لحمل ثم ولا شك ان دخول

اعظم الاجرام في اضيق المسالك مستحيل والموقوف على المحال محال فكانه قيل لا يدخلون ،،

الجنة ابدا اوشك في المعنى قول من قال اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن

الحليب • والبعير من الابل بمنزلة الانسان من الناس يقال للجمل بعير وللناقة بعير وانما

يقال له بعير اذا اجذع اي صار جذعا او جذعة بان دخل في السنة الخامسة فان ولد الناقة

يقال له اول ما يخرج من بطن امه حوار بعدما يعرف ذكورته وانوثته سليل فان كان ذكرا فالجمل

سقب وان كان انثى يقال له حائل ثم هو حوار الى الانفطام وبعده فصيل الى سنة وفي الثانية

ابن مخاض وفي الثالثة ابن لبون وبنت لبون وفي الرابعة حق وحقة وفي الخامسة

جذع وجذعة وفي السادسة ثني وثنية وفي السابعة رباع ورباعية بالتخفيف وفي

الثامنة سديس للانثى لهما وقيل سديسة للانثى وفي التاسعة بازل وبازلة وفي العاشرة

مخلف ومخلفة وليس بعد البزول والاخلاف سن والجمل زوج الناقة وانما يسمى جملا اذا

اربع اي دخل في السنة السابعة فانه يقال له في السنة السابعة رباع وللانثى رباعية

بالتخفيف قوله وقرئ الجمل بضم الجيم وتشديد الميم والجمل بضم الجيم وتخفيف الميم والجمل بضم

الجيم وسكون الميم والجمل بضمتين والجمل بفتح الجيم وسكون الميم قوله وهو الحبل الغليظ

اي ما نقل من القراءات غير القراءة بتخفيف عبارات عن حبل عظيم يجمع من حبال كثيرة

فيفتل بعضها ببعض ويصير حبلا واحدا ويقال له القلس وفي الصحاح الجمل بضم الجيم وفتح

الميم المشددة حبل السفينة الذي يقال له القلس وهو حبال مجموعة وبه قرأ ابن عباس

رضي الله عنهما حتى يلج الجمل مثلا الاحسن ان يعبر عما يستحيل والوجه في تعبيره الابرة بالجمل

بالضم والتشديد بالنسبة الى ان يعبر عنه بالجمل بالتخفيف لان الدخول في سم الابرة انما هو

شان ما هو من قبيل الحبل لا من شان ما هو من قبيل الحيوان قوله تعالى لهم من جهنم مهاد جملة اسمية

ومن جهنم حال من مهاد لانه لو تاخر عنه لكان صفة له وقدم لكون ذي الحال نكرة والمهاد جمع

وهو الفراش وغواش جمع غاشية وهي ما يغشي الشيء اي يستره ومعنى الاية الاخبار

عن احاطة النار بهم من كل جانب حيث كانت غطاء لهم ووطاء قوله والتنوين فيه ،،

للبدل عن الاعلال عند سيبويه وليس تنوين التمكن حتى يمنع من غير المنصرف فان الجمع

لا يوجد حيا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث [illegible]

وبنت مخاض

يقال البعير بازل [illegible] نابه [illegible] واستعمل [illegible]

فان الجمع الذي كان على وزن فاعل اذا كان منقوصا حذفت لامه نحو جوار وغواش اختلف النحاة

في انه هل هو منصرف او غير منصرف واختار الجمهور انه غير منصرف وما فيه من التنوين

ليس تنوين التمكن بل هو تنوين العوض عن الياء او عن حركتها فان اصل نحو جوار

جوار وجواري استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء واكتفي ،،

بالكسرة فانهم يحذفون الياء بالكسرة في المفرد في نحو الليل اذا يسر والكبير المتعال كما حذفوا

في الجمع الذي هو اثقل او في ثقلا حذف الياء او الحركة بعوض التنوين عنها او عن حركتها

وهذا هو مذهب سيبويه والخليل وقال بعضهم انه منصرف لانه زال عنه صيغة منتهى الجموع

فصار جوار وزن سلام وكلام فانصرف وكان تنوينه تنوين التمكن ومن قراء غواش برفع الشين جعل الياء المحذوفة منسية غير معتبرة اصلا فاجري الاعراب ولا حق في

التصرف فاجري الاعراب على ما قبلها لكونه اخر الكلمة عنده قوله وعبر عنهم اي عن المكذبين

المستكبرين يعني ان كل واحد من قوله تعالى نجزي المجرمين ونجزي الظالمين من قبيل وضع الظاهر

موضع المضمر اشعارا بانهم بسبب تكذيبهم بايات الله مجرمون وظالمون لانفسهم ويستحقون

بذلك الحرمان من الجنة والعقاب المؤبد بالنار ولما كان التعذيب المؤبد بنار جهنم اشد

العقوبات ذكر الظلم معه على انه اعظم الاجرام قوله بما تسعه طاقتهم باء الاستعانة ،،

متعلقة بالاكتساب وما موصولة عبر بها عن الايمان والعمل الصالح ليتبين بمضمون الصلة

ان المراد بهما ما تسعه طاقة المكلف ويسهل عليه لا ما يأتيه ببذل اقصى طاقته وكمال الجهد و

الاجتهاد في الاتيان بهما فان ذلك يسمى جهد الاوسع ولو لم تذكر الجملة الاعتراضية لكان مدلول

الكلام الترغيب في الاتيان بهما على اكمل الوجوه واتمها لان المطلق ينصرف الى الكامل وكونهما سببا

لاكتساب النعيم المقيم مستفاد من بناء الخبر على اسم الاشارة في قوله اولئك اصحاب الجنة فان اصل

اسم الاشارة ان يشار به الى مشار اليه محسوس وقد اشير به في الاية الى المتميز بصفتي الايمان

والعمل الصالح تنزيلا للامتياز الوصفي منزلة الامتياز الحسي وقد ثبت ان تعليق الحكم ،،

بالموصوف يفيد علية الوصف لذلك الحكم فيفهم من تعليقه باسم الاشارة كونهما سببين

للحكم المذكور وهو كون الذين امنوا وعملوا الصالحات اصحاب الجنة فكان مدلول الاية ان

استحقاق الخلود في النعيم المقيم بسبب اتصافهم بهما على حسب ما تسعهما طاقتهم وان لم

يبذلوا مجهودهم فيهما قوله اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل يعني ان النزع قلع الشيء عن

مكانه والغل الحقد الكامن والبغض المختفي في الصدر ومعنى قلع ما كان لبعضهم في حق بعض

في الدنيا من الاحقاد اخراج اسبابها من القلوب فان تلك الاحقاد انما نشأت من التعلق

ان الايمان والعمل المؤديين الى النعيم المذكور انما كلفهم بهما على حسب ما في الوسع و الامكان لا على بذل جميع ما يدخل تحت طاقة الانسان بل ربما اريد بتحصيلهم منهما قدر الامكان الوسع ما يقدر الانسان عليه في حالة السعة و السهولة لا في حال الضيق والشدة ويدل عليه ان معاذ بن جبل قال في تفسير هذه الاية الا يسرها لا عسرها واما اقصى الطاقة فانه يسمى جهدا لا وسعا وغلط من ظن ان الوسع بذل المجهود منه

بالدنيا وما فيها وبانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليها من الاحقاد دون جملة اسبابها في [illegible] الجنان كما يتعلق بالدنيا من التطلب بني ادم في الدنيا وقد انقطع ذلك في الاخرة بـ [illegible] ان الحظوظ بما يستغرق في عذاب النيران لم يتفرغ [illegible] قلوب اهل الجنان عما كان بينهم في الدنيا بما لهم في جنات الجنان قوله اصطفى بما امنوا به ويجوز ان لا يكون المراد بنزع الغل استئصاله بل تطهير قلوبهم من الغل نفسه بحيث لا يعرض لهم الغل في الجنة بما يرون من تفاوت درجات اهل الجنة بحسب الكمال والنقصان بحيث لا يتمنى صاحب الدرجة النازلة التي هي انحطاط في رتبته عن درجة من فوقه ولا ينقم بسبب حرمانه عن الدرجة الرفيعة العالية حاله في ذلك حال من يحكم عليه الله تعالى قادر على ذلك كما انه قادر على ان لا يخلق فيهم شهوة الاكل والشرب والوقاع ويغنيهم عن ذلك كله الا انه تعالى وعد بازالة الحقد والحسد عن القلوب وما وعد بازالة شهوة الاكل والشرب عن النفوس روي عن السدي انه قال في هذه الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا من احديهما فينزع ما في صدورهم من غل وهو الشراب الطهور ويغتسلوا من الاخرى فيطيب الله تعالى اجسادهم من كل درن وجرت عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤسهم ولا يتغير وجوههم ولا تشحب اي لا يتغير اجسادهم بعده ابدا والتشعث انتشار شعر الرأس والاشعث مغبر الرأس يقال شحب جسمه يشحب بالضم شحوبا اذا تغير واذا شربوا واغتسلوا بشرتهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها بان يقولوا لهم ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاذا دخلوها واستقروا في منازلهم منها قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لدين وعمل جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اي لولا هداية الله تعالى موجودة لشقينا او لما كنا مهتدين فكلمة ان مع ما في حيزها في محل الرفع على الابتداء وخبره محذوف وهو موجودة وجواب لولا ايضا محذوف دل عليه قوله وما كنا قوله واللام لتأكيد النفي اختيار لمذهب الكوفيين وهو ان لام الجحود مع ما بعدها واقع موقع خبر كان وان الفعل المنصوب بعد اللام منصوب بنفس اللام لا باضمار ان بعد اللام وان اللام زائدة لتأكيد النفي وقال البصريون خبر كان محذوف ولام الجحود متعلقة بذلك الخبر المحذوف وليست بزائدة والفعل الواقع بعد اللام منصوب باضمار ان والتقدير وما كنا مريدين للاهتداء لولا هداية الله لنا موجودة وتقدير قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وما كان الله مريدا لاضاعة ايمانكم اي لاضاعة اعمالكم التي هي ثمرات ايمانكم قوله على انها بينة التجارية مجرى التفسير والبيان لجملة الحمد وعلى القراءة بالواو

قوله تعالى تجري من تحتهم الانهار كلام مستأنف جيء لبيان ان لهم حالا زائدة على ما حصل لهم من صفات القلوب اشار اليه المص بقوله زيادة في لذتهم قوله من تحتها اي من تحت قصورها واشجارها منه

ويحتمل ان يكون حالا من ضمير صدورهم لا نغرس لما ان اتصال الحال من المضاف اليه جائز اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه ويكون العامل في الحال هو العامل في المضاف وجاز ذلك وان لم يكن من [illegible] المضاف بناء على ان المضاف اليه لما كان بمنزلة شيء واحد جاز مجيء الحال من المضاف اليه كالمضاف منه

[illegible] منه

بالواو تكون الجملة معطوفة على قوله هدانا لهذا وقد تقرر ان كمال اتصال احدى الجملتين بالاخرى يمنع العطف قوله لقد جاءت جواب قسم مقدر اي قسموا عليه مع انه لا ينكر لاظهار الكمال نشاطهم وبهجتهم بان راوا ما وعدهم الرسل في الدنيا عيانا في الاخرة يقولوا اهل الجنة حين راوا ما وعدهم الرسل عيانا واستقروا فيه والباء في قوله تعالى بالحق يجوز ان تكون للتعدية وان تكون للحال اي جاؤا ملتبسين بالحق والاغتباط والتبجح بمعنى وهو الفرح والسرور قوله اذا راوها من بعيد ظرف لنودوا اي نادى الملائكة ينادونهم حين راى المؤمنون الجنة من بعيد بان يقولوا لهم ان تلكم الجنة التي رأيتموها هي الجنة التي وعدتم بها في الدنيا فيكون تلكم مبتدا اشير بها الى ما راوه من بعيد والجنة خبره واللام فيها للعهد وان نودوا بعد التمكن بعد دخولهم الجنة يكون قوله تعالى تلكم الجنة خبر مبتدا محذوف اي هذه التي انتم فيها تلكم التي وعدتم بها في الدنيا ولما كانت الاشارة الى الجنة التي وعدوا بها في الدنيا كان المشار اليها غائبا بعيدا فصحت الاشارة اليه بلفظ تلكم ويجوز ان يكون تلكم الجنة مبتدا وحذف خبره اي تلكم الجنة التي وعدتم بها في الدنيا هي هذه وعلى التقديرين فالمنادى له بحسب اللفظ هو قول الملائكة تلكم الجنة الا ان المنادى له بالذات والقصد الاصلي هو قوله اورثتموها بما كنتم تعملون اما على تقدير كونه حالا من الجنة فلان الحال قيد لعاملها وقد تقرر ان محط الفائدة والمقصود الاصلي من الكلام هو القيد واما على تقدير كونه خبر تلكم فظ[اهر] فان قيل هذه الاية تدل على ان العبد يدخل الجنة بعمله وقد قال عليه الصلوة والسلام لن يدخل الجنة احدكم بعمله وانما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله فما وجه التوفيق بينهما اجيب بان العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته وانما يوجبه من حيث انه تعالى وعد للعاملين ان يتفضل بها بمحض رحمته وكمال فضله واحسانه ولما كان الوعد بالتفضل في حق العاملين بمقابلة عملهم كان العمل بمنزلة السبب المفضي اليها فلذلك قيل اورثتموها باعمالكم وايضا لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة في الحقيقة ليس الا بفضل الله تعالى قوله وان في المواضع الخمس من قوله ونودوا ان تلكم الجنة الى قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا كلمة ان في جميعها يحتمل ان تكون تفسيرية للمنادى له لان كل واحد من النداء والتاذين في معنى القول وان تكون مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشأن والجملة بعده خبرها ثم انه تعالى لما ذكر ثواب الذين امنوا وعملوا الصالحات وتبجحهم بما نالوا من فضل الله تعالى مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ذكر تبجحهم على اهل النار بانا وجدوا ما وعدهم من الثواب حقا وشماتتهم بهم بخبرهم والشماتة الفرح ببلية العدو فان اصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين ويعيرونهم كما قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون تشفيا الغلو بهم وزيادة في عذاب

الكفار بتحسرهم قيل في وجه تسمية المطاولة والمحادثة بين اهل الجنة واهل النار مع ان بعد ما بين الجنة
والنار لا يعلم مقداره الا الله سبحانه ان كل درجة من درجات الجنان يقابلها دركة من دركات النيران
بحالة درجة في اعلى العالم بسبب عمله يقتضي ما ذكر ذلك بسبب تركه اياه في دركة من دركات الجحيم
فيكون اهل كل درجة مشرفا على اهل الدركة التي تقابلها كما قال فاطلع فرآه في سواء الجحيم فامكن
لهم تعيير اهل النار وتحسيرهم بقولهم [illegible] من البعث والحساب وثواب
دار الطاعة وعقوبة العصاة فانه حين ذكر [illegible] اهل النار يتحسرون على [illegible] وان
لم يكن وعد بعضهم مخصوصا بهم واطلق ليتناول [illegible] البعض [illegible] المبهم
لانه يسهل في الخبر والتعبير قوله نعم فيها لغتان لما روي ان عمر رضي الله عنه سأل قوما عن شيء فقالوا
نعم بفتح العين فقال انما النعم الابل قولوا نعم بكسر العين والفتح لغة اهل الحجاز وعامة العرب و
المؤذن ملك ينادي بامر الله تعالى بنداء يسمعه كل واحد من اهل الجنة واهل النار وقيل صاحب
الصور بينهم باعلى صوته ان لعنة الله استقرت على الظالمين اي على الكافرين دون المؤمنين
وهو اخبار وقيل هو ابتداء اللعن منه عليهم وقوله تعالى بينهم يجوز ان يكون منصوبا باذن او بمؤذن
والتقدير على الاول ان المؤذن اوقع ذلك الاذان بينهم اي في وسطهم وعلى الثاني ان مؤذنا من
بينهم آذن بذلك الاذان والاول الاظهر قوله صفة للظالمين مقررة بناء على ان الظلم اذا ذكر
مطلقا ينصرف الى الكامل وكامل الظلم هو الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فلما كان الظالمين
بمعنى الكافرين كانت الاوصاف الجارية عليه من قبيل الصفات المؤكدة فان الظالم وصف
في الاية بثلث صفات مختصة بالكفار الاولى كونهم صادين معرضين عن سبيل الله على ان يكون
يصدون فعلا لازما بمعنى يعرضون لا ان يجعله متعديا بمعنى يمنعون الناس يحوج الى تقدير المفعول
ولا يصار اليه من غير ضرورة والثانية كونهم طالبين امالة سبيل الله ودينه الحق وتغييره
الى الباطل بالقاء الشكوك والشبهات في دلائل حقيته والثالثة كونهم منكرين للآخرة مختصين
بهذا الوصف وكل واحدة من هذه الصفات الثلث مقررة لظلمهم بمعنى الكفر نقل الجوهري
عن ابن السكيت انه قال كل ما كان ينتصب كالحائط والجدار والعود قيل عوج بفتح العين
والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يقال في دينه عوج فالعوج بكسر العين ما
كان في المعاني والاعيان الغير المنتصبة وبفتحها في المنتصبة كالرمح والجدار قوله ليمنع
وصول اثر احدهما الى الاخرى فان سعة كل واحدة منهما وان كانت بحيث لا يعلم قدرها الا
الله لكن لا يبعد ان يكونا متجاورين بحيث يكون بينهما حد مشترك يكون مبدأ لاحدهما
ومنتهى للاخرى ويكون ذلك الحد مانعا لوصول اثر احدهما الى الاخرى فلا بد ان يقال اذا كانت

اذا كانت احدهما قريبا من الاخرى فلا يتأذى اهل الجنة بالنار ولا ينتفع اهل النار
بنعيم الجنة لان الحجاب المضروب بينهما يمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى مع انه قد جاء ان
الحور العين لو نظرت واحدة منهن الى الدنيا نظرة لامتلأت الدنيا من ضوئها وعطرها
وجاء في وصف النار ان شررة منها لو وقعت في الدنيا لاحرقتها فان قيل اذا كان السور
المضروب بينهما مانعا من وصول اثر احديهما الى الاخرى كيف يسمع اهل الجنة نداء اهل
الاخرى وكلامهم قلنا ان الله تعالى قادر على ان يجعل في بصر كل فريق قوة ابصار الفريق الآخر ويجعل
في سمعه قوة سماع نداء الآخر وكلامه وان لا يجعل الحجاب المضروب مانعا من وصول
اثر احد الدارين الى الاخرى ولا يجعله مانعا من ان يطلع اهل احديهما اهل الاخرى ولا من
سماعه وان كان بعد ما بينهما لا يعلم قدره الا الله فانه تعالى قادر على كل شيء وما ذكر من قياس
النشأة الاخرة على هذه النشأة من قبيل قياس الغائب على الشاهد قال الامام الاعراف
جمع عرف وهو كل عال مرتفع ومنه عرف الديك والفرس سمي عرفا لانه بسبب ارتفاعه يكون
اعرف مما انخفض منه ثم قال ذهب الاكثرون الى ان المراد من الاعراف اعالي ذلك السور
المضروب بين الجنة والنار قيل المراد بالرجال الواقفين على الاعراف طائفة من الموحدين
قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار يمنعون من دخول الجنة بما لهم من السيآت و
يمنعون من دخول النار بما لهم من الحسنات فيقومون على اعالي ذلك الحجاب حتى يقضي الله تعالى
فيهم ما يشاء قيل هم آخر اهل الجنة دخولا فيها يدخلهم الله الجنة برحمته وقيل ليس المراد بهم
الموحدون المقصرون في العمل بل المراد بهم اشراف اهل الطاعة واهل الدرجات العالية
ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فقال بعضهم انهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجلسهم
الله تعالى على اعالي ذلك السور تمييزا لهم عن سائر اهل القيمة لكونهم مشرفين على اهل الجنة
واهل النار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقال بعضهم هم الشهداء
الذين خرجوا الى الغزو وغزوا في سبيل الله بغير اذن آبائهم فقتلوا فاعتقوا من النار بان قتلوا
في سبيل الله وحجبوا عن الجنة بعصيانهم اباءهم واحتجوا عليه بما روي انه عليه الصلوة سئل
عن اصحاب الاعراف فقال هم ناس قتلوا في سبيل الله منعهم دخول الجنة معصيتهم آباءهم و
منعهم النار قتلهم في سبيل الله والظاهر ان هذه الشهداء ليسوا داخلين تحت اقوام علت
درجاتهم لانهم خلطوا العمل الصالح بالسيء فمراد المصنف بالشهداء ليس مثل هذه الشهداء
بل مراده بالشهداء هم الذين تميزوا من بين اهل الموقف بالاستحقاق لمزيد التعظيم
والاجلاس في اعالي السور المضروب ليشاهدوا احكام الله تعالى في اهل الموقف بمقتضى فضله

او هم من بان شرف النفوس [illegible] الدرجة العالية [illegible]

نفي الكلام [illegible] على التفسير [illegible] في اطلاقه على ان [illegible] في العمل [illegible] ذكر الاشراف الاجل [illegible] وجود من عداهم والاوضح [illegible] للشلبي افندي

عن ابن مسعود انه قال يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته
بواحدة دخل النار الان يغفر الله له ثم قرا فمن ثقلت موازينه الاية وان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ومن استوت حسناته وسيئاته
كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة والنار فاذا نظروا الى اهل الجنة قالوا سلام عليكم واذا انصرفوا الى يسارهم
فراءوا اصحاب النار قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين
وعند وقال بعضهم هم الملائكة الموكلون باعالي السور الفرق بينهما يميزون المؤمنين
من الكفار قبل ادخالهم الجنة والنار وعبر عنهم باسم الرجال لكونهم يتمثلون في صورة الرجال
كما عبر به عن الجن في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن لكونهم
في صورة الرجال فان قيل كيف يصح ان يجعل الرجال المذكورون على اصحاب الدرجات العالية
من الانبياء او الشهداء او الملائكة وقد قال تعالى في حق اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم
يطمعون وهذا الوصف لا يليق بقوم علت درجاتهم قلنا لا محذور في توصيفهم به لان تاخر
دخولهم الجنة لا ينافي كونهم اشراف اهل الموقف وعلو درجاتهم عند الله تعالى فانه يجوز ان
يمكنهم الله تعالى في تلك الاماكن الرفيعة الى ان يقضي بين اهل الموقف ليشاهدوا احوال
كل واحد من اهل الفضل والعدل ثم يامرهم بان ينتقلوا الى منازلهم الرفيعة ودرجاتهم
العالية في الجنة وعدم دخولهم الجنة في اول الامر لا ينافي علو درجاتهم وكمال شرفهم بل ذلك
من جملة وجوه اكرامهم ليزدادوا ابتهاجا ومسرة بمشاهدة سعادة اتباعهم وشقاوة
اعدائهم واما قوله تعالى وهم يطمعون فالمراد من هذا الطمع اليقين كما في قوله تعالى حكاية عن
ابرهيم عليه الصلوة والسلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فان الطمع فيه بمعنى اليقين
قوله او من وسم على القلب اي او هو فعلى من وسم على قلب المكان اصله وسمى قوله
وانما يعرفون ذلك بالالهام لما كانت معرفة الرجال كل واحد من اهل الجنة والنار استدلالا
بسيماهم دليلا على انهم يعرفون كل واحد من الفريقين قبل استقرارهم في منازلها
من الجنة والنار لان معرفتهم بذلك بعد الاستقرار فيها تحصل بالمشاهدة والاحساس
ولا يحتاج الى الاستدلال بسيماهم فاحتيج الى بيان سبب معرفتهم بذلك قبل استقرارهما
في منازلهما فلذلك بين ان سبب معرفتهم اما الالهام او تعليم الملائكة قوله تعالى يعرفون
في محل الرفع على انه صفة رجال وتنوين كلا عوض عن المضاف اليه اي كل فريق من
اصحاب الجنة واصحاب النار وقوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة عطف على قوله يعرفون صفة
ثانية لرجال عدل الى لفظ الماضي تنزيلا للنداء منزلة الواقع لكمال رغبة الرجال في
ندائهم من حيث انهم عرفوا بسيماهم انهم اصحاب الجنة فسلموا عليهم سلام التحية والاكرام
او بشروهم بالسلامة عن جميع المكاره والافات وضمير نادوا للرجال سواء اريد بهم
الموحدون المقصرون في العمل او الذين علت درجاتهم وكذا ضمير لم يدخلوها وهم يطمعون
على تقدير ان يراد بالرجال المقصرون في العمل اي نادوا حال كونهم لم يدخلوها وهم طامعون
في دخولها فيكون قوله لم يدخلوها وهم يطمعون حالا من فاعل نادوا وان اريد بالرجال من

فاما اصحاب الجنات فيعطون نورا فيمشون بين ايديهم وبايمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل امة نورا فاذا اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى اهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا واما اصحاب الاعراف فان النور كان في ايديهم فلم ينزع النور من بين ايديهم ومنعتهم سيئاتهم ان يمضوا بها فبقي في قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من ايديهم فذلك قوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون ثم ادخلوا الجنة بعد ذلك وكانوا اخر اهل الجنة دخولا
سلمه

وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم رضي عنهم اباؤهم دون امهاتهم او امهاتهم دون ابائهم فلم يدخلهم الله الجنة لان اباءهم وامهاتهم غير راضين عنهم ولم يدخلهم النار لرضا ابائهم او امهاتهم عنهم فيحبسون على الاعراف الى ان يقضي الله بين الخلق ثم يدخلهم الجنة
سلمه

ويحتمل ان يكون قوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون صفة لاصحاب الجنة ... علا

من علت درجاتهم من الانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين او الملائكة يكون قوله
وهم يطمعون حالا من مفعول نادوا وهم اصحاب الجنة المنتظرون دخول الجنة لا يليق باشراف
اهل الموقف ان يكون اشراف اهل الموقف وهم على الاعراف اصحاب الجنة حال كونهم اصحابا
لم يدخلوها وهم طامعون في دخولها عالم بليغ الى احتمال كون الطمع بمعنى اليقين
لانه لا حاجة اليه مع امكان حمل اللفظ على معناه الحقيقي بل قال تعالى لم يدخلوها حال من فاعل
نادوا على الوجه الاول وحال من المراد بالرجال الموحدون المقصرون في العمل ومن مفعوله وهو
على الوجه الثاني الرجال الاشراف اهل الموقف كالانبياء والحج قوله اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم
اشار به الى ان قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة جزاء شرط محذوف دل عليه ما بعده واذا صرفت ابصارهم
بهم تلقاء اصحاب النار وانما قدر نظروا دون صرفت للاشعار بان نظرهم الى اصحاب الجنة
على رغبة بخلاف اصحاب النار فان رؤيتهم اياهم بحسب الابصار بصرف ابصارهم اليهم
ولذلك لم يذكر الشرط في نداء اهل الجنة فتقدير الشرط في ندائهم غير مطابق لما عليه الكتاب الكريم
وقول المصنف اي اذا نظروا الخ بيان المعنى لا بيان الاحتياج الى التقدير ثم اصحاب الاعراف لما
تعوذوا بالله من شدة احوال اصحاب النار نادوا رؤساءهم كابي جهل والوليد بن المغيرة و
اضرابهم تبكيتا لهم وتوبيخا بان قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم اي تكثركم الاعوان او جمعكم الاموال
واستكباركم عن الايمان بالله وهي شماتة بليغة وتبكيت عظيم لاولئك المخاطبين من رؤساء
الكفار قوله تتمة قولهم للرجال اي من تمام قول اصحاب الاعراف للرجال الذين هم رؤساء
الكفرة فيكون قوله تعالى اهؤلاء الذين اقسمتم في محل النصب بالقول المتقدم اي قال اصحاب الاعراف
لرؤساء الكفرة ما اغنى عنكم وقالوا لهم ايضا اهؤلاء الذين اقسمتم مشيرين به الى ضعفاء
اهل الجنة كبلال وصهيب وسلمان وخباب وامثالهم ممن كان المشركون يحقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله تعالى لا يدخلهم الجنة ثم قال اصحاب الاعراف بهذا الكلام لرؤساء الكفرة
الملتفتين الى فقراء المسلمين وقالوا لهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم حين يخاف اهل النار
ولا انتم تحزنون حين يحزن اهل النار وهذا التاويل اوفق لكون المراد باصحاب الاعراف
قوم علت درجاتهم لان خطاب فقراء المؤمنين بان يقال لهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون لا يليق بالموحدين المقصرين في العمل وانما يليق بمن علت درجاتهم من
الانبياء واشراف اهل الموقف قوله او فقيل لاصحاب الاعراف عطف على قوله فالتفتوا الى
ويحتمل ان يكون المعنى ان اصحاب الاعراف لما خاطبوا رؤساء الكفرة بان قالوا لهم ما اغنى
عنكم جمعكم وكثرة خدمكم واعوانكم او جمعكم المال واستكباركم عن الحق او على الحق وبان

قالوا لهم مشيرين الى فقراء اهل الجنة اهولاء الذين كنتم تحلفون بالله انه تعالى لا يدخلهم الجنة
حال للذين او بعض الملائكة لاهل الاعراف بعد ان حبسوا على الاعراف فاطلعوا على احوال
الفريقين بسيماهم وقالوا لكل واحد من الفريقين ما قالوا ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى ورحمته و
هذا مبني على ان يكون المراد باصحاب الاعراف الموحدين المقصرين في العمل والفائدة بيان ان الجزاء
على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر بحسبها **قوله** وقيل لما عيروا اصحاب النار عطف على قوله
ثم يقول اصحاب الاعراف لرؤساء الكفرة قيل انه ليس من تتمة قول اصحاب الاعراف بل هو كلام قاله
الله تعالى او بعض الملائكة لاصحاب النار حين اقسموا ان اهل الاعراف لا يدخلون الجنة وذكر ان اصحاب
الاعراف لما عيروا اصحاب النار بان قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال لهم اصحاب
النار ان لم تدخل الجنة فانتم ايضا لا تدخلونها واقسموا على ذلك فقال الله تعالى او بعض الملائكة
لهم اهولاء الذين اقسمتم على انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالون رحمته فقال لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فدخل اصحاب الاعراف بعد ما حبسوا عنه مدة
لتقصيرهم في العمل **قوله** وقرئ ادخلوا على بناء المجهول ماضيا من باب الافعال وقرئ ايضا دخلوا
ثلاثيا ماضيا مبنيا للفاعل ويؤيدهما تبين القراءتين انه من تتمة كلام اهل الاعراف لرؤساء
الكفرة ولما ورد ان يقال كل واحد من القراءتين على الغيبة فالمناسب لهما ان يقال
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاجاب انه يقال لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اثبات المصنف
وجهه بقوله تقديره ادخلوا او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم على ان يكون الجملة المنفية
في محل النصب على انها مقول قول مقدر وذلك القول المقدر منصوب على انه حال من فاعل ادخلوا او دخلوا
قوله لتلايم الافاضة يعني ان كلمة ما في قوله تعالى ومما رزقكم الله وان كانت متناولة للماكول و
المشروب الا انه ينبغي ان يختص بالمشروب لتلايم الافاضة فان الاصل فيها ان يستعمل في
المايعات من المشروبات وان حملت على ما عدا الماء من المطعومات يكون الكلام من قبيل
حذف المعطوف مع بقاء العاطف ويكون تقدير الكلام افيضوا علينا شيئا من الماء او القوا علينا
شيئا مما رزقكم الله من الطعام ومثله كثير في كلام العرب ومنه قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا حتى
شتت همالة عيناها يقال شتت بموضع كذا اذا اقمت به في الشتاء وهملت عينه اي فاضت
والتقدير علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا فحذف المعطوف وابقي العاطف ومنه رايت زوجك
قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اي حاملا رمحا ومنه اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب
والعيونا اي وكحلن العيونا فان الزج هو تدقيق المراة حاجبها وتطويلها اياه لا يتعلق
بالعيون **قوله** منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف يعني ان التركيب من قبيل الاستعارة التمثيلية
لان

فيه ان الذين قالوا ان الله حرمهما على الكافرين افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله هم الذين كانت رغبتهم في الدنيا في الاكل والشرب فيبقوا في الاخرة على هذه الحالة لان المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه
سلمه

لان المحرم يخلي وبين لبس في دار التكليف شبه حالهم مع شراب الجنة وطعامها بحال المكلف
مع ما حرم عليه في المنع عنه وكذلك قوله تعالى فاليوم ننساهم لان الله منزه عن حقيقة النسيان
وكذلك وصفهم نسيان لقاء يوم القيمة لانهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيمة ومصدقين به
فلا يصح وصفهم بنسيانه لان النسيان يكون بعد المعرفة شبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من
نسي عبده من الخير ولم يلتفت اليه وشبه عدم اخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم وعدم مبالاتهم به
بحال من عرف شيئا ونسيه ومثل هذه الاستعارات كثير في القران لان تفهيم المعاني الواقعة في
عالم الغيب لا يكون بان يعبر عنها بما يناسب عالم الشهادة ثم خص الكافرين بانهم اتخذوا دينهم
الذي امروا بالتدين به وهو دين الاسلام فلم يجعلوه شيئا يعتدون به يجرون ما شاءوا ويحلون ما شاءوا
ولا يتبعون امر الله تعالى وانما يتبعون اهواءهم التي زينها الشيطان لهم وقيل كان دينهم دين اسمعيل
عليه الصلوة والسلام فغيروه وتدينوا بما شاءوا وصرفوا اوقاتهم بما لا ينبغي ان يصرف به الهم وطلبوا
ان يفرحوا بما لا ينبغي ان يطلب به الفرح والتصدية التصفيق وهو التصويت باليد يقال صفقت
له بالبيع والبيعة صفقا اي ضربت يدي بيده والمكاء الصفير عبر عما زين الشيطان لاهل الجاهلية
من العادات القبيحة باللهو واللعب كتحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت وغير
ذلك للاشارة الى كونها امورا قبيحة وعادات باطلة لا ينبغي للعاقل ان يباشرها كما لا ينبغي ان يباشر
اللعب واللهو فالظاهر ان قوله دينهم مفعول اول لكونه معرفة وكون قوله لهوا ولعبا نكرتان ويحتمل
ان يكون دينهم مفعولا ثانيا ويكون المعنى اتخذوا ما هو بمنزلة اللهو واللعب دينا لا نفسهم اي
عادة وشانا فان الدين يستعمل بمعنى العادة والشان **قوله** وكما كانوا منكرين اشارة الى ان
كلمة ما في قوله وما كانوا مصدرية مجرورة المحل عطفا على اختها المجرورة بالكاف التي هي في محل النصب
على انها صفة مصدر محذوف والمعنى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا ومثل كونهم
جاحدين ومنكرين ان الآيات من عند الله ويجوز ان تكون الكاف للتعليل اي فاليوم ننساهم
لاجل نسيانهم وجحودهم ومعنى التعليل واضح في المعطوف والمعنى ان هذه التشبيهات انما كانت
لهم لانهم كانوا بآياتنا يجحدون **قوله** منفصلة اي حال كون المعاني الواردة في كل باب متميزا بعضها
عن بعض على انه مبني على ان يكون قوله على علم حالا من فاعل فصلناه ونكر علم للتعظيم **قوله**
او مشتملا على ان يكون حالا من مفعوله والمراد باشتمال معاني الكتاب على علم كونها معلومة
لله تعالى مبنية على حكم ومصالح لا تحصى ونكر علم للتعظيم ثم انه تعالى لما بين انه ازاح العلة
انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب به فقال هل ينظرون
الا تأويله اي ما ينتظرون الا عاقبة ما وعد الله تعالى به من البعث والنشور والحساب والعقاب

وتجازاه كل نفس بما كسبت فان بهذه الامور تاويل المواعيد المذكورة في الكتاب من حيث
ان تلك المواعيد تؤل اليها فانه لا يقبل الشي من جهة ويصير الذي يؤل ذلك الشي اليه فالنظر هنا
بمعنى الانتظار والتوقع فانه قيل كيف ينتظرون وهم يجحدون ما يؤل اليه امر المواعيد المذكورة
مع جحودهم وانكارهم لهم يترتب على لولا تركها عليه واجيب بانهم مع جحودهم اياها جعلوا بمنزلة
المنتظرين لما يؤل اليه امرها من حيث انه ياتيهم لا محالة ولان دلائل اتيانه لما كانت قطعية
الدلالة على تحقق اتيانه جعلوا بمنزلة العالمين باتيانه والمنتظرين له ثم انه تعالى بين ان
يوم ياتيهم تاويله الذي انتظروا اتيانه ورثاهم ووا اتيانه عيانا اعترفوا بان ما جاءهم الرسل
به من حقيقة البعث والحساب والجزاء حق واضطروا الى ان يتمنوا احد الامرين احدهما
الخلاص من عذاب الاخرة بشفاعة الشفعاء وثانيهما الرد الى الدنيا ليعملوا عملا صالحا
فبين الله تعالى ان الذين تمنوا لا يحصل لهم البتة حيث خسروا انفسهم بصرف اعمارهم
في الكفر وضل عنهم ما كانوا يكذبون في حقه ويزعمون ان الاصنام شفعاؤهم عند الله تعالى
يشفعون لهم بالشفاعة فضلوا عنهم فلم تنفعهم ولفظ شفعاء في قوله تعالى فهل لنا من شفعاء
مبتدا ومن زائدة في المبتدا ولنا خبر متقدم ويجوز ان يكون شفعاء فاعلا للجار والمجرور
لاعتماد الجار على الاستفهام قوله تعالى فيشفعوا منصوب باضمار ان في جواب الاستفهام فهو
عطف على تاويل الاسم على الاسم الصريح اى فهل لنا من شفعاء فشفاعة منهم لنا وقوله
او نرد مرفوع على انه جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية هي قوله هل لنا من شفعاء وقوله
فنعمل منصوب على ما انتصب عليه قوله فيشفعوا اى او هل نرد فنعمل فيكون المسؤل احد الامرين
الخلاص من عذاب الاخرة بشفاعة الشفعاء او الرد الى الدنيا لاجل العمل الصالح وقراءة
او نرد بالنصب لها وجهان الاول ان يكون منصوبا بالعطف على جواب الاستفهام وهو
قوله فيشفعوا فيكون المسؤل امرا واحدا وهو ان يكون لهم شفعاء يطلبون لاحد الامرين
الاول ان يشفعوا لهم في الخلاص عن العذاب والثاني ان يشفعوا لهم في الرد الى الدنيا
والوجه الثاني من وجهي نصب نرد ان يكون كلمة او بمعنى الى ان كما في قولك لالزمنك او
تعطيني حقي اى الى ان تعطيني حقي فيكون المسؤل امرا واحدا ايضا وهو ان يكون لهم شفعاء
الا انهم يطلبون لامر واحد وهو الرد الى الدنيا ثم انهم لما قالوا يوم ياتيهم تاويل ما جاء
بهم من الكتاب المفصل لا خلاص لنا عما نحن فيه الا باحد الامرين اما ان يكون لنا شفعاء
يخلصونا عنه او الرد الى الدنيا لاصلاح العمل بين الله تعالى انه لا سبيل الى شيء من الامرين
بل هم مخلدون فيما هم فيه لانهم خسروا انفسهم وضل عنهم ما عبدوه من الاصنام الخ

ويحتمل ان يكون فيهم افرادا شككوا ونوعوا المهدا السبب انتظروا تنبه

٢٢

التي ما عبدوه في الدنيا رجاء شفاعتها لهم ولم ينتفعوا بها ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال
المعاد شرع في بيان دلائل الوحدانية وكمال القدرة والعلم ليتحقق بذلك صحة ما ذكره من تفاصيل
احوال المعاد فقال ان ربكم الله الذي الآية لما كان لفظ اليوم في العرف عبارة عن زمان مكث
الشمس فوق الارض ولا شمس ولا ارض حين خلق السموات والارض فلم يتحقق اليوم
حتى يجعل ستة ايام ظرفا لخلق العالم فسر ستة ايام بستة اوقات لان اليوم قد يذكر
بمعنى الوقت كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره ويجوز ان يكون ستة ايام بمعنى مقدار
ستة ايام كما في قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد على مقدار البكرة والعشي في
الدنيا لانه لا ليل ثمة ولا نهار قوله تعالى وفي خلق الاشياء مدرجا جواب عما يقال من ان خلقها
دفعة واحدة ادل على كمال القدرة من خلقها في ستة ايام واوفق لقوله تعالى انما امرنا
لشيء ان نقول له كن فيكون فما الحكمة في خلقها مدرجا اجاب عنه اولا بانه تعالى خلقه مدرجا
ليعلم بذلك انه فاعل بالاختيار فانه لما خلقه مدرجا مع انه لا يعجز بالنسبة الى قدرته
الكاملة بين خلقه مدرجا وخلقه دفعة علم ان المرجح لاحد مقدوريه على الاخر انما هو
الاختيار وثانيا بانه لما خلقه مدرجا شاهد النظار واهل الاعتبار اثار قدرته الكاملة
وحكمته الباهرة ساعة بعد ساعة ويستدلون به على وجوده وعظمة شانه وكمال
علمه وقدرته واستغنائه عن الشريك والوزير وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالخلق
مدرجا اقوى في الدلالة على عظم شانه وباهر قدرته بالنسبة الى الخلق دفعة من حيث انه
يتكرر ويتجدد على الناظر المعتبر ظهور الاثار المشتملة على الحكم والمصالح لحظة بعد لحظة
فيكون ذلك ادل على وجوده ووحدته وسائر صفات جماله وجلاله اذ لا طريق الى ادراك
ذاته سوى مشاهدة اثاره وقد ورد في الحديث القدسي انه تعالى قال كنت كنزا مخفيا
فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف وهذا الجواب يدل على ان خلق الملائكة ونحوهم
من اهل الاعتبار والاستدلال متقدم على خلق السموات والارض وثالثا بانه تعالى خلقه
مدرجا ليعلم الخلق ان الخير في التاني والتثبت والشر في العجلة كما جاء في الحديث التاني
من الله تعالى والعجلة من الشيطان قوله استوى امره او استولى لما كان تعالى منزها عن الاستواء
بمعنى زوال الاعوجاج وعن الاستواء بمعنى الاستقرار والتمكن كما في قولك استوى فلان على
دابته ذهب الراسخون في العلم الى انه تعالى وصف نفسه بالاستواء على العرش وجب
علينا ان نؤمن به ونكل العلم بكيفية الاستواء الى الله تعالى وقالوا السؤال عنه بدعة كما
روي انه سئل بعض الاكابر عن تاويل الاية فقال انا وبلى الايمان بها وهذه الطائفة يقولون

روي ان رجلا سال اربابكم ابني عما فعله بنا الرحمن على العرش استوى فقيل ناظرا في السرا ثم بالاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اظنك الا ضالا اخرجه

علي قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله ، ويبتدئون من قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا ومن الجماعة من المتقدمين من يقف علي قوله الا الله ويعطف قوله والراسخون في
العلم علي لفظ الجلالة ويقول يجب علينا ان نحمل المتشابه علي المحكم ونأوله علي وفق الاصول
المحكمة ومنهم المصنف فذكر وجهين في تأويل الاية قولان اشار المصنف اليهما بقوله استوي
امره او استولي وبيان الاول ان العرش بحسب اللغة وان كان يطلق علي السرير الذي
يجلس عليه الملوك كما في قوله تعالى نكروا لها عرشها وقوله ورفع ابويه علي العرش وعلي كل ما
علاك واظلك عليك ومنه عريش الكروم والعرش بهذين المعنيين مستحيل في حقه تعالى فيحمل
الاستواء علي العرش في حقه تعالى كناية عن نفوذ الملك والعز والسلطنة علي طريق ذكر اللازم
وارادة الملزوم كما في قول الشاعر • ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم • بربيعة بن حارث
بن شهاب • فانه جعل ثل العرش كناية عن ازالة الملك ويقال انتقض عرش فلان اذا
زال ملكه وسلطنته ويقال استوي علي عرشه اذا استقام له ملكه واستحكم عزه وسلطنته
علي طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم كما يقال لمن كثر اضيافه كثير الرماد ولمن طال قامته
طويل النجاد فمحصول الاية انه تعالى خلق عالم الملك في ستة ايام كما اراد وشاء من غير منازع
ومدافع وبعد ان خلقه كذلك استوي علي الملك والتصرف فيه كيف شاء فحرك الافلاك وسير
الكواكب وكور الليالي والايام ودبر امر مصنوعاته علي ما تقتضيه حكمته وهذا معني قول
المصنف استوي امره اي تم استقرار امر ربوبيته وجري امره وتدبيره ونفذ قدرته في
مصنوعاته ولا يرد ان يقال كلمة ثم تدل علي انه تعالى لم يكن له استواء الامر قبل ان خلق السموات
والارض لانه تعالى ازلي الوجود متصف بجميع صفات العظمة والكبرياء منزه عن جميع ما لا
يليق بشانه الاعلي قادر علي ايجاد جميع الحوادث الممكنة والتصرف فيها حسبما شاء غاية
ما في الباب ان يكون تعلق قدرته بمقدوراته ونفاذ امره وتدبيره فيها بالفعل متوقفا علي
حدوثها لان التصرف في الشيء انما يتأتي بعد تكونه وحدوثه فاستواء امره وظهور تصرفه فيها
انما يكون بعد حدوثها كما دل عليه كلمة ثم في قوله تعالى ثم استوي علي العرش وبيان قوله او استولي
ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى ثم استوي علي العرش انه استولي عليه بالتأثير فيه وايجاده
والتصرف فيه علي ما تقتضيه الحكمة البالغة والقدرة الكاملة فان الاستواء قد يذكر بمعني الاستيلاء
كما في قوله • قد استوي بشر علي العراق • من غير سيف ودم مهراق • اي قد استولي عليه ونفذ
تصرفه فيه عبر عن الاستيلاء علي العرش والتأثير فيه بالاستواء عليه لان الاستواء علي الشيء
عبارة عن الاستقرار عليه وانتهاء الامر عنده ومنه قولهم بلغ الشيء الي حد الاستواء بمعني

بمعني انتهي في ارتفاعها الي الكمال وكذا قولهم استوي الميزان فمعني ثم لما خلق السموات والارض
ثم خلق العرش العظيم المحيط بجميع الاجسام وجري امره فيه فقد استقر امره في خلق الاجسام المحيطة
علي العرش وتم بخلقه خلق الاجسام العالية وما خلق تحته شيئا آخر فكان الاستيلاء علي
العرش باستواء واستقرار الامر الخلقي عليه بكماله فتبين انه انتهي امر الخلق علي العرش وانتهي
عنده وما استيلائه عليه وتأثيره فيه قوله فان الامور جالية ابتداء امضائها كما تنزل الحكام
الملكية تتدابير من عرشه وسريره حال تمكنه عليه عند الحكم فانه تعالى مستو علي العرش الاعظم
بلا وصف التمكين والاستقرار عليه ومنه ينزل الاحكام في خلائقه وقدرته الي عالم الملك فهذا هو
وجه المشابهة بين العرش الاعظم وسرير الملك قوله ثم قيل الملك عطف علي قوله الجمع المحيط
معني قيل العرش في الاية بمعني الملك لان العرش بمعني سرير الملك لما كان من لوازم الملك اطلق
واريد به ملزومه الذي هو نفس الملك ولم يرض به لانه لا يكفي التصرف في لفظ العرش فقط بل
لا بد من التصرف في الاستواء عليه ايضا لان العرش بمعني الملك لا يستوي ان لا يتمكن
علي حقيقته بل لا بد من جعل الاستواء علي العرش كناية عن الملك ونفاذ التصرف كما
اختاره ثم انه تعالى لما ذكر استواءه علي العرش واخبر عن نفاذ امره واطراد تدبيره بين
ذلك بطريق الاستئناف فقال يغشي الليل والنهار اي يجعل الليل غاشيا يغشي النهار بظلمته
فيذهب بنور النهار ويغطيه بظلمة الليل فان شانه تعالى ان يأتي بالليل علي النهار ويغطيه بظلمته
فانك اذا قلت غشي الليل النهار فقد جعلت الليل غاشيا ساترا للنهار وجعلت النهار
مستورا بالليل وكان الفعل متعديا الي واحد واذا نقلته الي باب الافعال جعلت الفعل متعديا
الي اثنين وجعلت ما كان فاعلا للفعل الثلاثي مفعولا اول وجعلت مفعول الفعل الثلاثي مفعولا
ثانيا فيكون معني الاية انه تعالى يجعل الليل غاشيا مغطيا للنهار بظلمته ويجعل النهار مستورا
بالليل قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص هنا وفي سورة الرعد يغشي بضم الياء
وسكون الغين وتخفيف الشين علي انه مضارع اغشي علي افعل وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
ويعقوب يغشي بتشديد من التغشية قيل فيه اختصار حيث لم يذكر ويغشي النهار الليل ان
يجعل النهار غاشيا لليل بنوره ويذهب ظلمة الليل ولم يذكر للعلم به قوله اولان اللفظ يحتملهما
اي ويجوز ان يكون عدم ذكر عكسه بناء علي كون نظم القرآن يحتمل الكلام احد المعنيين علي
سبيل البدل فان لفظ يغشي الليل النهار يحتمل ان يكون الليل فيه فاعلا معني ويكون النهار مفعولا
لفظا ومعني بان يكون الليل غاشيا للنهار ويكون النهار مستورا بظلمة الليل ويكون المعني انه تعالى
يجعل الليل غاشيا الضوء ويحتمل ايضا ان يكون النهار فيه فاعلا معني ويكون الليل مفعولا لفظا ومعني
النهار

ويحتمل الكناية عن ضعف خلقه او استيلائه او خلقنا او وجوده عليه غشيا والاقتران به منه

ويكون المعنى انه تعالى يجعل النهار غاشيا لظلمة الليل وساترا لها بضوئه على تقديم المفعول
على الفاعل معنى فيكون الليل غاشيا لضوء النهار على الاول ويكون النهار غاشيا لظلمة
الليل على الثاني ولما كان نظم الآية محتملا للتغشيين على البدل اكتفى بدلالته عليهما كذلك عن التصريح
بما يدل عليهما وان لم يصلح ان يراد بلفظ واحد باطلاق واحد مجموع محتمليه معا واستدل على
جواز ان يكون النهار فاعلا معنى بقراءة يغشى الليلَ النهارُ وقوله تعالى يطلبه حثيثا يجوز ان يكون
حالا من الليل اي يجعل الليل غاشيا للنهار حال كون الليل طالبا له اي يجيء عقيب النهار سريعا
ولفظ المضارع في يطلبه للاستمرار التجددي اي يستمر في طلب النهار حال كونه مطلوبا بالليل لكون
الجملة السابقة مشتملة على ذكر كل واحد من الفاعل المعنوي والمفعول وحثيثا منصوب على انه
صفة مصدر محذوف اي يطلبه طلبا حثيثا اي سريعا ولما كان كل واحد من الليل والنهار يعقب
الآخر ويجيء بعده من غير ان يفصل بينهما شيء صار كانه يطلب الآخر سريعا على منهاج واحد
يقال حثه على الشيء اي حضه عليه فالحث والتحضيض بمعنى واحد قرأ الجمهور والشمس وما عطف
عليه منصوبا بالعطف على السموات اي خلق هذه المخلوقات حال كونها مسخرات اي مذللات بامره
اي بقضائه وارادته ذلك منها **قوله** بقضائه وتصريفه متعلق بمسخرات بمعنى مذللات لما يراد
منها من الطلوع والافول والحركات المقدرة والاحوال الطارية عليها فسر الامر بالقضاء
والتصريف لان الامر بمعنى التكليف وهو الذي يجمع على اوامر على الامور انما يتعلق بالعقلاء
المختارين وما ذكر ههنا ليس منهم فلا بد ان يحمل الامر على المعنى المجازي المناسب للمقام و
هو القضاء والتصريف على مقتضى الحكمة ووفق الارادة جعل الامور المذكورة في كونها تابعة
لقضائه وتصريفه اياها كانها مأمورات منقادة لامره وجعل قضاءه وتصريفه
بمنزلة الامر والتكليف فاطلق عليه لفظ الامر على سبيل الاستعارة ولما ذكر الله تعالى انه خلق
هذه المذكورات مسخرات بامره ذكر عقيبه ان مطلق الخلق والامر له لا لغيره تكميلا وتتميما
ودلالة على ان خلقه وامره لا يختص بهذه الاشياء ولا شركة لاحد فيها اي لا يوجد شيء
من المكونات الا هو ولا يامر في خلقه بما يشاء الا هو وذكر الامام ان العالم هو ما سوى الله تعالى
منحصر في نوعين عالم الخلق وعالم الامر وان المراد بعالم الخلق عالم الاجسام والجسمانيات
وبعالم الامر عالم الارواح والمجردات وان قوله تعالى الا له الخلق والامر اشارة الى هذين العالمين
عبّر عن العالم الاول بعالم الخلق لان الخلق عبارة عن التقدير وكل ما كان جسما وجسمانيا
كان مخصوصا بمقدار معين فعبّر عنه بعالم الخلق وكل ما كان مجردا عن الحجم والمقدار كان من عالم
الارواح ومن عالم الامر مكونا بمجرد امر كن فخص كل واحد منهما باسم مناسب له وقيل الا له

بيان تعاقب الليل والنهار بلا فصل يطالب بطلب الآخر طلبا سريعا لا يفتر فيه منه

المواليد الثلثة التي هي المعادن والنباتات والحيوانات ... ليس لا قوة بعد حفظ الصور النوعية ... والنباتات التي لها قوة ... للمعادن قوة الحس والحركة الارادية ... للمعادن والنباتات ... الانسان المختص بالنفس الناطقة روحيه

الا له الخلق والامر والله اعلم فقوله تعالى الا له الخلق والامر جملة اعتراضية بينت لما ذكر قبله مما
يدل على وحدانيته وكمال قدرته وحكمته فذلكة لها فلذا صدرت بحرف التنبيه وقدم الظرف
للتخصيص ايذانا بان اهم الاشياء اعتقاد التوحيد في الخلق والتدبير وكذا قوله تعالى تبارك الله
رب العالمين اعتراض آخر بيان عظمته بالوحدانية في الالوهية والربوبية لجميع مصنوعاته
اي تعاظم الاله الواحد المتوحد بالكل المتصرف فيه بالربوبية رد به على الكفرة الذين كانوا اتخذوا
اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الآية بان قال لانكارهم فقال ان ربكم المستحق
للربوبية ليس الا واحد وهو الله الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن الدال على كمال العلم والحكمة
والقدرة وهو الذي انشاء ملكه على ما يشاء ثم اخذ في تدبيره كالملك المتمكن في مملكته لتدبير ملكه
ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على كمال علمه وقدرته امرهم بالاشتغال بما يليق بشانه الاعلى وهو
تخصيصه بالدعاء والتضرع **قوله تعالى** تضرعا وخفية حالان من فاعل ادعوا اي متضرعين
مخفين الدعاء ليكون اقرب الى الاجابة لكون الاخفاء دليل الاخلاص والاحتراز عن
الرياء روي عن الصحابة رضي الله عنهم انهم كانوا في غزاة فاشرفوا على واد فجعلوا يكبرون
ويهللون رافعي اصواتهم فقال عليه الصلوة والسلام اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم
ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وانه معكم **قوله** وتذكير قريب مع انه فعيل بمعنى فاعل
والاصل فيه ان يفرق بين المذكر والمؤنث فالظاهر ان يقال قريبة لكونه مسندا الى ضمير الرحمة الا
انه ذكر لتاويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال تعالى واقرب رحما او لتشبيه
قريب بفعيل الذي هو مصدر كالنقيض وهو صوت المحامل والرحال وكالنقيق وهو صوت
الضفدع يقال نق ينق نقيقا اي صوّت وكالضغيب وهو صوت الارنب يقال ضغب
يضغب ضغيبا والمصدر يلزمه الافراد والتذكير في جميع الاحوال فحمل ما يوازنه عليه
قوله او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره فان القريب والبعيد اذا
اريد بهما القرب والبعد في النسب يجب تانيثهما اذا وصف بهما المؤنث فتقول فلانة قريبة
مني او بعيدة اذا اردت الاخبار بقربها او بعدها منك في النسب واما اذا اريد القرب
او البعد في المكان فيجوز الامران التانيث على الاصل والتذكير بناء على تقدير موصوف
مذكر فاذا قلت فلانة قريب مني او بعيد تريد انها في مكان قريب مني او بعيد او قريب مكانه
مني او بعيد مكانه **قوله** ذوي خوف من الرد لم يقل ذوي خوف من العقاب وذوي طمع
في الثواب لان عبادة المكلف ودعاءه انما يكون معتبرة اذا صدرت عنه امتثالا لامر
الله تعالى او طاعة له قضاء لحق الوهيته تعالى وعبودية انفسه فانه ليس للعبد الا طاعة

شيده باثبات ما اوجب عليه والاجتناب عما نهاه عنه فمن عبده على هذا الوجه يكون
من الشاكرين المطيعين ويكون عبادته معتبرة متقبلة بخلاف ما اذا عبده خوفا من
العقاب او طمعا في الثواب فانه لا يكون مخلصا في عبادته لله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين ومن عبد لحظ نفسه وجب ان لا تصح عبادته لانه ما اتى بها تعبدا
لمولاه وقضاء لحق الربوبية وعملا بمقتضى عبودية نفسه فلذلك فسر قوله تعالى خوفا وطمعا
بقوله خائفين من رد عملكم لما وقع من التقصير في بعض شرائط قبوله وبقوله وطمعا
في اجابته وقبوله تفضلا واحسانا لفرط رحمته **قوله تعالى** وهو الذي يرسل الرياح من
تتمة ما ذكر لبيان استوائه على العرش على طريق الاستئناف فان جعل الليل والنهار خلفة
يخلف كل واحد منهما صاحبه وارسال الرياح مبشرات للمطر قبل نزوله واخراج انواع
الثمرات بسببه من جملة استواء امر ربوبيته تعالى ونفاذ قدرته وتصرفه في مصنوعاته
اختار المص قراءة نشرا بضم النون والشين وهي قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وهو
جمع نشور بمعنى ناشر على انه بناء النسبة كتامر ولابن اما من النشر الذي هو ضد
الطي واما من النشور بمعنى الاحياء والمعنى ذات نشر وتفرق او ذات نشور وقيل ناشر
بمعنى المنشر اي المحيي يقال نشر الله الموتى وانشرها فعل وافعل بمعنى واحد ونشرا منصوب
على انه حال من الرياح اي يرسلها حال كونها متفرقة بان تهب من كل ناحية او حال كونها
سبب المحيوة وقرأ ابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين وهو تخفيف نشر
بضمتين كما قالوا رسل في رسل وقرأ حمزة والكسائي نشرا بفتح النون وسكون
الشين على انه مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة او منشورة او ذات نشر وقيل انه
مصدر مؤكد على غير لفظ فعله لان ارسل ونشر متقاربان في المعنى وقرأ عاصم بضم الباء
الموحدة وسكون الشين على انه جمع بشير اصله بشر بضمتين نحو قليب وقلب ورغيف
ورغف ثم اسكنت الشين للتخفيف كما في نشر ويؤيدها قوله تعالى ويرسل الرياح مبشرات
اي تبشر بالمطر وقرئ بشرا بضمتين على الاصل وقرئ بشرا بفتح الباء وسكون الشين
مصدر بشر ثلاثي وقع موقع الحال اي باشرات او نصب على انه مفعول له اي للبشارة
وقرئ بشرى على وزن رجعى وهو ايضا مصدر كما هو روي عن ابي هريرة رض انه قال
اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح
فلم يرجعوا اليه شيئا فبلغني الذي سأل عمر عنه امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت
عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح واني

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي
بالعذاب فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها وعوذوا به من شرها **قوله** بين يدي رحمته بيان ان
يكون المطر رحمة وكون الرياح المختلفة قدام المطر والصبا ريح تهب من موضع طلوع الشمس
عند استواء الليل والنهار والدبور ريح تقابل الصبا والشمال الريح التي تهب من ناحية
القطب والجنوب الريح التي تقابل الشمال والجنوب تدر السحاب اي تستحلبه والدبور تفرقه
قوله تعالى حتى اذا اقلت غاية لقوله يرسل واقلت بمعنى حملت ورفعت بالسرعة والسهولة
باوجه حقيقيا قليلا ايقال اقللت كذا اي حملته بالسهولة ومن حمل الشيء بسهولة كانه
انه تجده قليلا فلذلك اشتق هذا الفعل من القلة **قوله** لان السحاب بمعنى السحائب لانه اسم
جنس فيكون بمعنى الجمع **قوله** بالبلد على ان يكون ضميره لاقرب المذكور والباء للالصاق اي
التصق انزال الماء بالبلد وان كان ضميره للسحاب او السوق المدلول عليه بقوله سقناه
او للريح يكون الباء للسببية والبلد يطلق على كل موضع من الارض سواء كان عامرا او غير
عامر خاليا او مسكونا والطائفة منها بلدة والجمع بلاد والحرة ارض ذات حجارة سود
كانها احرقت بالنار والسبخة الارض المالحة التي لا تنبت شيئا والنكد العليل الخير الممتنع عن
افادة النفع على جهة البخل والضنة والمصدر النكد بفتحتين يقال نكد عيشهم ينكد بكسر الكاف
ينكد بالفتح نكدا اذا اشتد عيشهم وضاق فهو نكد اي ضيق ورجل نكد اي عسر **قوله**
عبر به اي بقوله يخرج نباته عن خروج النبات على اكمل الوجوه لان الخروج المطلق ينصرف
الى الخروج على اكمل الوجوه **قوله** الا نكدا استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يخرج نباته في
حال من الاحوال الا في حال كونه نكدا اي قليلا عديم النفع **قوله** وقرئ يخرج نباته على بناء المفعول
ورفع نباته لقيامه مقام الفاعل وهو البلد والمعنى والبلد الطيب يخرج نباته على اكمل وجوه
الاخراج واحسنه وانفعه والبلد الذي خبث لا يخرج شيئا الا شيئا نكدا قليلا فيكون
الا نكدا منصوبا على انه مفعول الاخراج **قوله** ونكدا على المصدر اي وقرئ نكدا بفتح الكاف على
انه مصدر نكد ينكد اي لا يخرج نباته الا ذا نكد وقرئ نكدا بسكون الكاف تخفيف بالكسر وهو
الظ **قوله تعالى** كذلك نصرف الآيات فانه تعالى بين ايات ربوبيته واستواء امر ملكه وسلطانه
في مصنوعاته بقوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وبيان انه يرسل الرياح اللطيفة
النافعة ويجعلها سببا لنزول المطر الذي هو الرحمة البالغة ويجعل تلك الرياح والامطار
سببا لحدوث النباتات والثمرات التي لا تحصى انواعها فضلا عن اصنافها وافرادها ففي
في انفسها ايات دالة على وجود الصانع وتفرده في ربوبيته وعلمه وقدرته وحكمته ومع ذلك

[illegible]

[illegible]

قوله يطلب النهار حال كونه طالبا للنهار سريعا منه

بين سوا النعم الجليلة الواصلة الى عباده المنقلب لشكرها تخصيص من انعم بها عليهم
بكمال الطاعة والحضر الاية تقول نصرف الايات لقوم يشكرون وحكايان تصريفها موجبة
لانهم هم المنتفعون بتصريفها الفوائد هدى للمتقين **قوله** والاية مثلا استعارة تخيلية
شبه الله نعالى المؤمن بالارض الكريمة التربة والكافر بالارض السبخة وشبه نزول القران على نوع
الانسان بنزول المطر على الارض فان الارض الكريمة التربة اذا نزل عليها المطر يحصل فيها انواع
الازهار والثمار والارض السبخة وان نزل عليها المطر لا يحصل فيها من منافع المطر الا النزر
القليل فكذلك الروح الطاهرة النقية عن الكدورات الطبيعية والاخلاق الرذيلة الذميمة
اذا اتصل بها نور القران ظهر فيها انواع المعارف والطاعات والاخلاق الحميدة والروح
الخبيثة الكدرة وان اتصل بها نور القران لم يظهر فيها من المعارف والاخلاق المرضية الا
شيء قليل لا يعبا به فان الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية
مستعدة لان تعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون غليظة كدرة بطيئة
القبول للمعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كما ان الاراضي قسمان منها ما يكون طيبة
نقية ومنها ما يكون فاسدة سبخة وكما لا يمكن ان يتولد في الاراضي السبخة ما يحصل في الاراضي
الطيبة فكذلك لا يمكن ان يظهر في النفوس البليدة الكدرة من المعارف اليقينية والاخلاق
الفاضلة مثل ما يظهر في النفوس الطاهرة الصافية ولما كانت اختلاف النفوس بكونها
طيبة وخبيثة اختلافا ذاتيا جبلت النفوس عليها لا يحصل فيها الا ما اقتضته طهارتها
ونجاستها الاصليتين فكل ميسر لما خلق له والنفوس الطاهرة يخرج نباتها من المعارف
الالهية والاعمال المرضية باذن ربها على اكمل الوجوه واحسنها والنفوس الخبيثة لا يخرج
نباته الا نكدا ثم انه تعالى لما بين سوء عاقبة اصحاب النار وحرمانهم عن كل خير وذكر لهم ما
يدل على وحدانيته في تدبير ملكه وكمال علمه وقدرته ووجوب ابتغاء مرضاته والاجتناب
عن مخالفته وعصيانه اتبعه بذكر عاقبة من كذب الرسل المتقدمين كنوح وهود و
صالح ولوط وشعيب عليهم الصلوة والسلام الى ان قال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون
هدد الله تعالى اهل مكة بان ذكر لهم قصص الانبياء المتقدمين مع اممهم المكذبين فقال لقد
ارسلنا نوحا الى قومه اخر قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهو جواب قسم
محذوف تقديره والله لقد ارسلنا **قوله** ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد اشارة
الى انها قد على الندرة كما في قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما من حديث ولا صالي

لانهم يقولون لقد ناموا بلا اطلق لام جواب القسم بدون اثبات كلمة قد معها والصالي من
يصطلي بالنار يقول انتبه الحبيب ليلا فخاف من اطلاع الرقباء الذين يحرسون او يصطلون
بالنار فحلفت لها حلفة فاجر اي كاذب قاصدا ان النوم ينام ليس هنا حديث لانها والتحدث
بسبب نوم القوم ولا من يصطلي بالنار والنوم تقتضي هذه اللام مع كلمة قد لان اللام المذكورة
بمظنة التوقع لانها لا تذكر الا بعد ذكر الجملة القسمية لفظا او تقديرا والجملة القسمية لا تساق
الا للتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها التي هي جواب القسم ومن المعلوم ان الجملة اذا اكدت بالقسم
يصير المخاطب بكلمة القسم صار بحيث يتوقع تحقق مضمون الجملة المقسم عليها فناسب ان تتصل
كلمة قد بجملة القسم لتتعاضد في افادة معنى التوقع لما انه قد من حروف التوقع **قوله** اول نبي
بعث خبر قوله ونوح بن لمك يعني ان نوحا اول نبي بعث بعد ادريس وبعث ادريس بعد شيث
عليهم الصلوة والسلام قال القرطبي هو اول نبي بعث بعد ادم بتحريم البنات والخالات والعمات
وكان نجارا بعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن خمسين سنة وعن ابن عباس انه بعث وهو ابن
اربعين سنة **قوله** وقرا الكسائي غيره بالجر على انه صفة اله تابع للفظه ورفعه الجمهور حملا على
محل اله لان الظاهر انه في محل الرفع على الابتداء وكلمة من زائدة في المبتدا وخبره لكم ويحتمل ان يكون
الخبر محذوفا ويكون التقدير ما لكم من اله في الوجود غير الله ويكون لكم على هذا التخصيص وتبيينا
كما في هيت لك **قوله** وقرئ بالنصب على الاستثناء فان حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا **قوله** اي
الاشراف الملاء الجماعة الا انه خص الاشراف بهذا الاسم لانهم يملؤون صدور المجالس وتمتلئ
القلوب من هيبتهم وتمتلئ الابصار من رؤيتهم وهو المنظر الحسن **قوله** بالغ في النفي يعني ان
المناسب ان ينفي عن نفسه ما اثبتوا له بقوله ليس بي ضلال ليوافق قولهم انا لنراك في ضلال الا
انهم لما بالغوا في الاثبات حيث قالوا انا لنراك في ضلال بتنكير الضلال للتعظيم ووصفوه
بقولهم مبين بالغ في نفي الضلال عن نفسه حيث لم يقتصر على ان ينفي عن نفسه ما اثبتوا له من
الضلال العظيم البين بل قال ليس بي شيء من افراد الضلال وجزئياتها فضلا عن ان يكون
في ضلال عظيم بين فلو قال لست في ضلال لم يؤد هذا المعنى **قوله** باعتبار ما يلزمه اي باعتبار
كون ما اثبت لنفسه من الرسالة في قوة لازم ما نفي عن نفسه من الاتصاف بشيء من وجوه
الضلال فان من انتفى عنه الضلال بالكلية يلزمه ان يكون في غاية الهدى ولا شك ان اثبات الرسالة
لنفسه بمنزلة اثبات غاية الهدى لنفسه وبهذا الاعتبار كان اثبات الرسالة له استدراكا
عن الكلام السابق لكونهما متنافيين بالنفي والاثبات كانه قيل ليس بي شيء من الضلال
ولكني على الهدى البالغ لاني رسول من رب العالمين ثم ذكر ما هو المقصود من الرسالة وهو

امران تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة قوله صفات لرسولا وكان الظاهر ان يقال يبلغكم وينصح
لكم ويعلم باسناد الافعال الثلاثة الى ضمير الغائب الراجع الى رسولا لان الضمائر التي في الصفة
عبارة عن الرسول وهو اسم ظاهر مفتقر الى منزلة الغائب لانه يرد على الضمير السابق الذي
هو اسمه انه وهو ضمير المتكلم فقبل الحكم كل واحد من الاستعمالين جائز في كل اسم ظاهر سبقه
ضمير متكلم او مخاطب ان شئت تراعي الضمير السابق وهو الاكثر وان شئت تراعي الاسم الظاهر
فيقول مثلا انا رجل افعل كذا وتراعي جهة التكلم فيما اسند اليه الفعل وتقول ايضا انا رجل
يفعل كذا فيقرا على جهة الغيبة في المسند اليه وفي زيادة اللام في النصح لكم تاكيد لا اخلاص النصح
لهم وفي بيان كونه خالصا للمنصوح له لا يتبع بالنصح الاجابة فقط فرب نصيحة ينتفع بها
الناصح ايضا وليس الامر هنا كذلك قوله واعلم من الله اي من قدرته وشدة بطشه ما لا تعلمون
ما لا علم لكم به او عبد ... تقرير لا في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ويحتمل ان يكون المعنى
واعلم من جهة الله تعالى بالوحي اشياء لا علم لكم بها فيكون اعم من الوعد والوعيد قوله وقرا ابو
عمرو ابلغكم بتخفيف ابلغ الثلاثي الى باب الافعال للتعدية والرسالة وان كانت صفة واحدة قائمة
بذات الرسول متعلقة بالاضافة الى المرسل اليه الا انها جمعت نظرا الى تعددها بحسب اختلاف
اوقاتها او بحسب تنوع معانيها من الامر والنهي والعقائد والاحكام او لان المراد بها ما ارسل
به اجداده واوحي اليهم كصحف شيث وهي خمسون صحيفة وصحف ادريس وهي ثلثون صحيفة و
الفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة ان تبليغ الرسالة معناه ان يعرفهم انواع تكاليف
الله تعالى واحكامه واوامره ونواهيه واما النصيحة فالمراد بها الترغيب في الطاعة والتحذير عن
المعاصي والارشاد الى ما فيه مصالح المعاش مع خلوص النية عن الشوائب المكروهة قوله الهمزة
للانكار فانهم لما تعجبوا من ارسال البشر وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة اي لواحد من ابناء نوعنا ان يتلقى ما امر
به الله ونهى عنه مع انه لا مناسبة بينه تعالى وبين البشر من حيث انه تعالى في غاية التقدس و
التنزه والبشر في غاية التعلق والتكدر انكر عليهم نوح عليه الصلوة والسلام بان قال لهم كيف
تتعجبون من ارسال البشر مع علمكم بانه تعالى انما خلق العالم ليستدل به على كمال علمه وحكمته وقدرته
فيرغب في طاعته ليتوسل بها الى الفوز برحمته ويتقي من مخالفته وعصيانه وكفران نعمته ليتخلص
من سخطه وعقابه فاقتضت الحكمة الالهية ان لا يترك عباده سدى بل يامرهم بما يسعدهم
وينهاهم عما يشقيهم ولا سبيل الى ان يكلمهم بنفسه من غير واسطة لان حجاب العظمة والكبرياء
يمنع عن ذلك فلا بد ان يرسل اليهم ملكا يبلغهم رسالة الله لان عدم المجانسة بين الملك والبشر
يمنع من ان يتحقق بينهم التفيض والاستفاضة فتعين ان يكون المكلف بان يرسل بشرا اذا

كقوله عليه الصلوة والسلام انا الذي سمتني امي حيدرة وكان القياس ان يقول سمته حتى يكون في الصلة ما يعود الى الموصول لكون الموصول غائبا لكنه لما كان المقصود الاخبار عن نفسه وكان الاخر هو الاول جاز رد الضمير الى الاول وحمل الكلام على المعنى لامنه من الالتباس قيل وهو ذلك قبيح عند النحويين حتى ان المازني قال لولا اشتهار وروده لرددته اقول يجب حمل ما في الآية على الافصح اذ لا ينبغي حمل كلام الله تعالى على الوجه الضعيف مع ظهور جواز الحمل على الوجه الصحيح
سنان

... النصح لهم ... ونصحكم ... بغير لام
منه

كتبت في هامش المقابلة ...

ذا جهتين يستفيض من عالم الغيب بجهة تجرده وصفاء روحانيته ويفيض بني نوعه
بجهة مشاركته لهم في الحقيقة النوعية وبهذا يتبين قوله اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على
رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ثم انه لما ذكر الرسول من تعرفه المرسل اليهم نسبه وذكر
تفاصيل احوال كونه ذكر ادخل في استيناسهم به فيه لم ... فان المرء لمن هو منه اعرف وبحال
احواله اعلم وبما يقتضي السكون اليه اقرب قوله متعلق بمحذوف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به
الظرف اي والذين استقروا معه في الفلك قوله او بانجيناه اي فانجيناه في الفلك فيجوز ان
تكون كلمة في سببية اي انجيناه بسبب الفلك كما في قوله عليه الصلوة والسلام ان امراة دخلت
النار في هرة قوله او حال من الموصول او من الضمير في معه فيتعلق بمحذوف اي انجينا الذين معه
كائنين في الفلك او كائنا هو فيه قوله عمين القلوب اي عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد
والنبوة والمعاد وعمين جمع عم اصله عمي على وزن خضر فاعل كاعلال قاض قال اهل
اللغة يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر قال زهير واعلم ما في اليوم والامس قبله و
لكنني عن علم ما في غد عم وقيل عم واعمى بمعنى كخضر واخضر وقيل عم فيه دلالة على ثبوت الصفة
واستقرارها كفرح وضيق ولو اريد الحدوث لقيل عام كما يقال فارح وضائق وهو قوله
والاول ابلغ لدلالته على الثبات قوله والمراد به الواحد منهم اي من قبيلة عاد وعاد في الاصل
اسم الاب الكبير وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فسميت القبيلة باسم ابيهم الاكبر
وهود واحد من تلك القبيلة لانه هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح فهو ابن
عم الى عاد لان ارم وارفخشذ اخوان لكونهما ابن سام ولما كان هود ابن شالخ بن
ارفخشذ كان ابن عم الى عاد وهو عوص بن ارم لان ارفخشذ بن سام عم لعوص بن
ارم وهود ابن ابن ارفخشذ فيكون ابن عم عوص الذي هو ابو العاد فيكون هود واحدا
من قبيلة عاد فقوله ابن عم الى عاد عطف بيان لقوله هود بن شالخ او بدل منه وقيل
انه لم يكن من قبيلة عاد بل هو رجل من بني آدم لا من الملائكة ولا من الجن فنسب اليهم بالاخوة
والمعنى انا بعثنا الى عاد واحدا من جنسهم اي فردا من افراد البشر ليستانسوا به و
يفهموا كلامه قيل ان هودا اسم عربي وفيه بحث لانه حكي ان اهل اليمن يزعم ان يعرب بن
قحطان بن هود وهو اول من تكلم بالعربية وبه سميت العرب عربا فعلى هذا يكون هودا
عجميا وانما صرف لما ذكر في اخواته من نحو نوح ولوط قوله استئناف به ولم يعطف
جواب عما يقال لم فرق بين قصة نوح وقصة هود حيث قال في قصة نوح ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال بالفاء العاطفة وقال في قصة هود والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم

وما اشهدوه ولا نزلوا ولم يلبث الا كلما انهم الحمقاء ولم يقابل اسفاههم بالسفاهة بل اجابهم بالكلام الصادر عن الحلم والحكمة ولم يزد على ان قال
يا قوم ليس بي سفاهة فذكر ذلك على انه نزه الانتقام اولى كما قال ﴿واذا مروا باللغو مروا كراما﴾ ثم ادعى رسالته من رب العالمين ثم حكى انهم ابتغى
جميع ما اخبرهم به ثم استدل على وجوب تخصيص العبادة لله تعالى بان بين ان نعم الله عليهم كثيرة عظيمة وصرح التفضيل على ان ليس للاصنام شيء
من النعم على الخلق لانها جمادات والجماد لا قدرة له على شيء اصلا فكيف يستحق ان يعبد الخلق اياها والعبادة نهاية التعظيم فلا يستحقها الا رب العالمين

من غير ذكر العاطف وتقرير الجواب انه اشير في القصة الاولى ان دعوة نوح عليه الصلوة والسلام لم تنجح فيهم
[illegible] عن ارساله والسابق [illegible] الرسالة الكلام في القصة الثانية جوابا لسائل
ما جاء قال لهم حين ارسل اليهم وكذا قوله تعالى قال الملأ الذين كفروا فانه ايضا ابتداء ذكر جواب
سائل قال فما قال قومه حين دعاهم الى عبادة الله وحده قوله وكان قومه كانوا اقرب الى
اجابة الدعوة واتباع الحق وهو جواب لما يقال لم عرف الملأ المعاندون من قوم نوح بلام
الاستغراق اذ لا منهم دونها فقيل قال الملأ من قومه ووصف المعاندون من قوم هود فقيل
قال الملأ الذين كفروا من قومه فدل ذلك على انه لم يؤمن من اشراف قوم نوح احد بخلاف قوم
هود فانه آمن بعض من اشرافهم كمرثد بن سعد فانه آمن بهود وكتم ايمانه ولم يظهر الا عند
تحجيء وفد عاد الى مكة يستسقون فحج اظهر ايمانه وقال انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان
اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم وقال شعرا ❊ عصت عاد رسولهم فامسوا عطاشا ما تبلهم السماء ❊
لهم صنم يقال له صمود يقابله صداء والهباء ❊ فبصرنا الرسول سبيل رشد ❊ فابصرنا الهدى
وجلا العماء ❊ وان اله هود هو الهي على الله التوكل والرجاء قوله نبه على انهم عرفوه بالامرين
لان الجملة الحالية انما يؤتى بها لبيان هيئة ذي الحال والشيء لا يوصف الا بما يعلم المخاطب اتصافه حيث قال
به قوله لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المستلزم بكل مجرد ذكر آلاء الله تعالى موديا الى الفلاح و
هو الظفر بالثواب بل لا بد من العمل المؤدي اليه فجعل ذكر النعم مفضيا الى شكرها المفضي الى الفلاح
واعلم ان هودا عليه الصلوة والسلام لما دعاهم الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالدليل
القاطع وهو انه تعالى انعم عليهم نعما عظيمة لا تحصى انواعها فضلا عن افرادها والاصنام لا نعمة
لها عليهم لانها جمادات لا تقدر على شيء لم يبق للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بالتقليد
فقالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا امره اياهم بتخصيص
الله تعالى بالعبادة وترك طريق اسلافهم قوله اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه بان
كان له مكان يعبد فيه ربه معتزلا عن قومه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد بحراء فلما
اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ويحتمل ان يكون مرادهم بالمجيء حقيقة المجيء بل مجيئه عليه الصلوة
والسلام من السماء كمجيء الملك استهزاء به عليه الصلوة والسلام لانهم كانوا يعتقدون
ان الله تعالى لا يرسل الا الملك ويحتمل ان يكون مرادهم بالمجيء مجرد قصد الفعل ومباشرته كانهم قالوا
اتريد منا ان نعبد الله وحده وتقصد ان تكلفنا بذلك قوله قد وجب او حق لما تعذر ان
يحمل قوله قد وقع عليكم على معناه الحقيقي لان الرجس لم يقع حين قولهم فاتنا بما تعدنا من العذاب
حمل على المجاز على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب فان نزول العذاب عليهم مسبب عن

كذا في الكشاف وفيه نظر لقوله تعالى لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقال الله تعالى وما آمن معه الا قليل فلذلك عدل المص عن تلك العبارة ويحتمل ان يكون مراد صاحب الكشاف انه يؤمن من اشرافهم ولم يؤمن حال المخاطبة نوح قومه احد منهم وان آمن بعد ذكر احاد قليلة منهم بخلاف قوم هود فانه آمن بعض الملأ منهم حال المخاطبة

ثم الحاد وقوله ما تعبد تنفي العبادة لله ...

عن وجوب نزوله علم الله تعالى او عن استحقاقهم لنزوله عليهم او على المجاز الاول تنزيل المتوقع
منزلة الواقع للتحقق وقوعهم [illegible] قوله [illegible] على سبيل الانكار جعل التجاوز فيها اسماء
مجردة من المسميات لانهم كانوا يسمون الاصنام آلهة ويزعمون كونهم مستحقين للعبادة
والحال انهم بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة قوله سميتموها صفة لاسماء ولذلك
قوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان والمقصود بيان خلو مذهبهم عن حجة وقوله من سلطان
مفعول انزل ومن مزيدة قوله واستدل به على ان الاسم هو المسمى لان المجادلة فيه انما هي
ذوات الاصنام وانها هل تستحق لان تعبد ام لا فانهم يدعون استحقاقها لذلك وهو عليه
الصلوة والسلام يذمهم على ادعائهم كذلك فلولا ان الاسم هو المسمى لما توجه الذم عليه
الصلوة والسلام لانهم لا يعبدون الالفاظ التي يعبر بها عن ذوات الاصنام واستدل به
ايضا على ان اللغات توقيفية لا اصطلاحية لانها لو كانت اصطلاحية لما توجه الذم اليهم
بتسميتهم الاصنام آلهة من غير توقيف من قبل الله تعالى على تلك التسمية قوله ضعفهما ظاهر
اذ لا يخفى ان الاسماء هي الدوال والمسميات مدلولاتها وتوجه الذم الى القوم ليس لانهم يعبدون
الالفاظ الدالة على الاصنام بل لانهم يعبدون ما يسمونه آلهة وليس فيه استحقاق للعبادة
والالوهية فمرجع الذم انما هو تسميتهم الجماد بما لا يستحق ان يسمى به وعبادتهم ليس فيه شيء من
معنى المعبودية وليس هنا الا اسم مجرد اخترعوها من عند انفسهم ليس تحته ما يصح ان يسمى به
فقوله في اسماء سميتموها ليس معناه في مسميات اتخذتموها معبودا باختراعكم حتى يقال اطلاق
الاسماء على المسميات يدل على اتحادهما ولا انهم اطلقتم هذه الاسماء على تلك المسميات من
غير توقيف وتعليم من الله تعالى بل بمجرد اصطلاحكم حتى يستدل به على كون اللغات توقيفية
ثم انه عليه الصلوة والسلام اوعدهم بقوله فانتظروا اني فانتظروا ما يترتب على عصيانكم ربكم
بعبادة الاصنام اني من المنتظرين معكم قوله استأصلناهم اي اهلكناهم جميعا بان قطعنا
عرقهم واصلهم لان دابر الشيء آخره فقطع دابر القوم اهلاكهم من اولهم الى آخرهم وهو المراد
بالاستيصال قوله تعريض بمن آمن منهم اشارة الى فائدة قوله تعالى وما كانوا مؤمنين بعد
بيان انهم كذبوا بآيات الله يعني ان فائدته التعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا
مع هود كانه قيل وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليعلم ان
الهلاك خص بالمكذبين منهم ونجى الله المؤمنين قوله الجرادتان المراد بهما جاريتا معاوية
بن بكر اسم احديهما وردة واسم الاخرى جرادة غلبت جرادة على وردة فسميتا جرادتين
قوله وتنغنيهم من خاطب من بينهم اذا تكلم كلاما خفيا واصل الهينمة الصوت الخفي في الدعاء او

غير فلا نقص معاوية من مساهلة قيل وعدم مسارعته في انجاح ما بعثوا به من الاستسقاء
بعد ان انشد ابياتا وعلمها قينته جرادة وجرادة تنشدها وهي الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما ❊ فيسقي ارض عاد ان عادا ❊ قد امسوا ما يبينون الكلاما ❊ من العطش
الشديد فليس نرجو ❊ به الشيخ الكبير ولا الغلاما ❊ وقد كانت نساؤهم بخير ❊ فقد امست نساؤهم
عياما ❊ وان الوحش تاتيهم جهارا ❊ ولا تخشى لعادي سهاما ❊ وانتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما ❊ فقبح وفدكم من وفد قوم ❊ ولا لقوا التحية والسلاما ❊ اعلم ان عادا قوم
كانوا ينزلون اليمن بالاحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت وكانوا قد فشوا في
الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها صنم يقال
له صداء وصنم يقال له الصمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من اوسطهم
نسبا وافضلهم حسبا فامرهم ان يوحدوا الله ويكفوا عن ظلم الناس وغير ذلك فكذبوه و
قالوا من اشد منا قوة فامسك الله عنهم المطر ثلث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس
في ذلك الزمان مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام بمكة وطلبوا من
الله الفرج فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم يعظمون مكة واهل مكة يومئذ
العماليق سموا عماليق لان اباهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق
اذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهذة بنت الخيبري رجل من
عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفدا منكم الى مكة فليستسقوا فبعثوا قيل بن
عنز ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه مع اشراف آخرين مع
كل واحد منهم رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على
معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم وانزلهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم
شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون بهم من
البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء مقيمون عندي و
هم ضيفي والله ما ادري كيف اصنع بهم استحيي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون انه
ضيق علي مقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من امرهم
الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم لا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فانشد معاوية
بن بكر الا يا قيل الخ فلما غنتا بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من البلاء الذي
نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن

قد آمن بهود انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم فاظهر
ايمانه عند ذلك وانشد شعرا وقال عصت عاد رسولهم فامسوا ❊ عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود ❊ يقابله صداء والهباء ❊ فبصرنا الرسول سبيل رشد ❊ فابصرنا الهدى وجلا
العماء ❊ وان اله هود هو الهي ❊ على الله التوكل والرجاء ❊ فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثدا
لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا فقام قيل رأس وفد عاد مع اصحابه
ودخلوا مكة فقالوا في دعائهم اللهم اعط قيلا ما شاء الكرم وافضل سؤلنا مع سؤله وقال قيل في
دعائه يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحابا
ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه
السحائب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحائب ماء فناداه مناد اخترت
رمادا رمددا لا يبقى من آل عاد احدا فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها
من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا
عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها اي
كل شيء امرت به فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من عاد احدا الا اهلكته
واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما يلين به الجلود
وتلتذ الانفس روي عن علي ان قبر هود بحضرموت في كثيب احمر وقيل بين الركن والمقام
وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل عليهم الصلوة والسلام
في تلك البقعة ويروى ان نبيا من الانبياء كان اذا اهلك قومه جاء هو والصالحون معه الى مكة
يعبدوا الله فيها حتى يموتوا **قوله** استئناف لبيانها اي جواب لسؤال مقدر كانه قيل اين ما جئتنا
به من الآية فقال هذه ناقة الله لكم عليها واشير اليها حال كونها آية وعلامة دالة على صحة نبوتي
واللام في لكم كما في هيت لك خصوا بذكرها لانهم هم الذين طلبوا ما يتوسلون بها الى التصديق والايمان
بنبوة صالح ويتشفعون بها ولو تركوا العناد وطلبوا الاهتداء بالدليل والبرهان **قوله** نهى عن المس
الذي هو مقدمة للاصابة بالسوء اشارة الى ان الباء في قوله بسوء للملابسة اي غير متلبس
بسوء ويجوز ان يكون للتعدية **قوله** تتخذون بالاشباع اي باشباع فتحة الخاء في تتخذون على
قراءة من قرأ بفتح الخاء **قوله** على ان التقدير بيوتا من الجبال فقوله بيوتا مفعول تنحتون
وقوله من الجبال منصوب بنزع الخافض او بتضمين تنحتون معنى ما يتعدى الى مفعولين اي تتخذون
الجبال بيوتا بالنحت او تصيرونها بيوتا بالنحت **قوله** مفسدين حال مؤكدة لان النهي عن
العثي نهي عن الافساد فان العثي اشد الفساد اي لا تبالغوا اشد الفساد حال

[illegible]

قلت كونها آية ومعجزة الى الايمان بنبوته بالنسبة الى
من شاهد خروجها او اتاه اخبار الغير فالآية الموجبة
للايمان بها اخبار المتواتر ونحو
ذلك فان الآية الموجبة للايمان
بنبوة صالح مثلا بالنسبة
الى من اخبار الاولياء
واخبار النبي لا خروج الناقة من الحجر
منه

بحكم [illegible] ولا يبعد ان يكون المراد النهي عن عقر الناقة التي هي معجزة نبي من الانبياء
والاوجه ان يحمل على ظاهره وهو النهي من [illegible] قوله [illegible] البعض ان كان امن
منهم للذين يكون المستضعفون فريقين مؤمنين وكفارا كانه قيل قال المستكبرون للمؤمنين
من الضعفاء دون الكفار من الضعفاء قوله عدلوا به عن الجواب السوي فانهم لما سئلوا
بان قيل لهم هل تعلمون ان صالحا مرسل من ربه ام لا كان الجواب المطابق لذلك ان يقال نعم لكنهم
لما عدلوا عنه الى الاخبار عن انفسهم بانهم مؤمنون به وبما ارسل به فقد نبهوا به على ان
ارساله امر معلوم مقرر عندهم حيث اوردوه صلة للموصول ومن المعلوم ان الصلة لا بد ان
تكون جملة معلومة الانتساب الى ذات الموصول فكانهم قالوا لا كلام في ارساله انما الكلام في الايمان
به فنحن مؤمنون به فهذا الجواب من الاسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب قوله ولذلك
اي ولاجل ان قول المؤمنين انا بما ارسل به مؤمنون ان ارساله امر معلوم وانما الكلام في الايمان
به عدل الكفرة عن الجواب المطابق له وهو ان يقولوا انا بما ارسل به كافرون الى قولهم انا بالذي آمنتم
به كافرون لانهم لو قالوا انا بما ارسل به كافرون لدل على ان ارساله معلوم مسلم عندهم كما دل عليه
قول المؤمنين فعدلوا عنه وقالوا انا بما امنتم به كافرون فكانهم قالوا ليس ارساله معلوما لنا
مسلما عندنا وليس هناك الا دعواه وايمانكم به ونحن بما امنتم به كافرون والحاصل ان المؤ
منين جعلوا ارساله امرا ثابتا مقررا وفرعوا عليه ايمانهم به واما الكفرة فلم يفرعوا على ارساله
كما فرع عليه المؤمنون بل فرعوا كفرهم على ايمان المؤمنين قوله الزلزلة قال الفراء والزجاج
الرجفة الزلزلة الشديدة يقال رجف الشيء يرجف رجفا اذا تحرك اعلم ان قوما من الملاحدة طعنوا
في حقية القران بما ذكر في قصة هلاك ثمود وقالوا قد اختلف الفاظ القران في حكاية هذه القصة
حيث قيل في موضع فاخذتهم الرجفة وهي الزلزلة الشديدة وفي موضع اخر فاخذتهم الصيحة وفي موضع
اخر فاهلكوا بالطاغية وزعموا ان اختلاف هذه العبارات يدل على انهم اهلكوا باسباب متنافية
متناقضة ولا منافاة بينها ولا تناقض لان الرجفة مترتبة على الصيحة لانه لما صيح بهم رجفت
قلوبهم فماتوا فجاز ان يسند الاهلاك الى كل واحد منهما واما قوله بالطاغية فالباء فيه سببية
والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعافية والتاء للمبالغة كما في نحو نسابة وعلامة فمعنى
قوله فاهلكوا بالطاغية معناه اهلكوا بسبب طغيانهم قوله ناقة مخترجة اي مخرجة على خلقة
الجمل في الجسامة وغلظة العظام والقوائم شبيهة بالبخت من قولهم اخترجه بمعنى استخرجه
والجوفاء واسعة الجوف والوبراء الكثيرة الوبر والعشراء التي اتت عليها عشرة اشهر من
يوم ارسل عليها الفحل قوله تمخضت الصخرة اي تحركت واخذها ما ياخذ الحوامل وقت ولادتها و

المخاض ووجع الولادة ويقال له الطلق والنتوج الناقة التي ادركت وقت ولادها والقب
ان تريد الابل الماء يوما وتدعه يوما قوله ثم [illegible] اي تفرج ما بين
رجليها [illegible] قوله وكانت تصيف اي تقيم زمان الصيف
بظاهر الوادي في مكان كذا اذا قام فيه ايام الصيف وشتوت بموضع كذا اذا اقمت فيه في الشتاء
قوله فرغا اي صوت وضج يقال رغا البعير يرغو رغاء اذا ضج والرغاء صوت ذوات الخف
والسقب الذكر من ولد الناقة قوله انفجت الصخرة اي انفتحت وانشقت من الفج وهو الطريق
الواسع بين الجبلين فلما انفجت الصخرة فدخلها السقب بعد ما رغا ثلثا قال صالح عليه
الصلوة والسلام لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم اي في بلادكم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب
وقد عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح تصبحون غداة يوم الخميس ووجوهكم مصفرة
ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم
العذاب اول يوم الاحد فكان الامر كما وصف نبيهم فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين
اظهرهم مع من امن به الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبح القوم تكفنوا وتحنطوا
والقوا انفسهم على الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من
اين ياتيهم العذاب ولما كانت وقت الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل
صاعقة وصوت كل شيء له صوت فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا
هلك وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين اي ميتين ملتصقين بالارض من
الجثوم وهو اللصوق بالارض فان قيل ان من شاهد خروج الناقة من الصخرة وشاهد
ايضا ان الماء الذي كان شربا لكل اولئك القوم في احد اليومين كان شربا لتلك الناقة
الواحدة دفعة واحدة وشاهد ايضا ان القوم يملؤن جميع اوانيهم بلبنها فيشربون
ويدخرون ما فضل عن حاجتهم وشاهد مع جميع ذلك علامات نزول العذاب الشديد في
اخر الامر وكل واحدة منها معجزة قاهرة تلجئ المكلف الى الايمان كيف يمكن ان يبقى العاقل مع
هذه الاحوال مصرا على كفره فالجواب ان يقال انهم قبل ان شاهدوا علامات نزول العذاب كانوا
مصرين على الكفر والتكذيب كسائر من اصر على الكفر بعد مشاهدة المعجزات الباهرة واما بعد ما
شاهدوا علامات نزول العذاب فقد خرجوا عند ذلك عن حد التكليف فلم تقبل توبتهم بعد
ذلك قوله ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ابصارهم جاثمين لان فاء التعقيب في قوله فتولى
عنهم تدل على ان هذا التولي كان بعد جثومهم ولما ورد ان يقال قوله لهم يا قوم لقد ابلغتكم الاية
خطاب منه عليه الصلوة والسلام مع اولئك الجاثمين ولا وجه لخطاب الاموات اجاب عنه

[illegible]

بجانبين الاوران صالمحاطبهم بكونهم جانبين كما خاطب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
فتلى بدر فقيل له عليه الصلوة والسلام تتكلم مع موتى لا يجيبون فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون
على الجواب والثاني قد يخاطب صاحب في هو ميت ويقول له يا اخي قد نصحتك وبذلت جهدي في
ارشادك فلم تقبل نصيحتي ولم تمتنع عما كنت فيه حتى القيت نفسك في الهلاكة وفائدة مثل
هذا الكلام تسلية قلبه عما يطرء عليه من التحسر والاحتراق بجليته صاحبه فان انتهاك المحبة
يجوز عليه بمثل هذا الكلام قوله التمادي في القبح من المدى وهو غاية الشيء وفي التمادي
في القبح المبالغة الى غاية القبح وهي اتيان الذكران ونزه ذكر على ذكر مثله فانها فاحشة لم
يفعلها احد قبل قوم لوط قيل كان السبب في اختراعهم هذه الخصلة القبيحة ان بلادهم
وهي ارض الشام اخصبت بانواع الثمار والحبوب فتوجه اليهم اهل البلدان لطلب المعروف
فتأذوا من كثرة ورود الفقراء عليهم فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد ثم دعا الى
دبره فنكح في دبره ثم عملوا ذلك العمل بكل من ورد عليهم من الامارد قضاء لشهوتهم ودفعا
لهجوم الناس عليهم عن الحسن انه قال كانوا لا ينكحون الا الغرباء قوله والجملة استيناف يعني
ان قوله ما سبقكم بها من احد جملة مستأنفة جيء بها لتقرير الانكار ارتكابهم بتلك الفاحشة
فان كونهم مخترعين لها اقبح واشنع من مجرد ارتكابها فالمراد بكونها جملة مستأنفة انها
جملة مبتدأة جيء بها تاكيدا للانكار السابق لا لكونها جوابا لسؤال متوهم اذ لا حاجة الى
اعتبار توهم السؤال بان يقولوا لم لا تأتيها فيجاب بان يقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم
يفعله احد قبلكم قوله بيان لقوله اتأتون الفاحشة حيث فصل عنه ما اجمل بلفظ الفاحشة
مشاركة لما قبله في الدلالة على انكار ما فعلوه وتوبيخهم عليه وهو ابلغ منه في الانكار والتوبيخ
لكونه مؤكدا بان ولام الابتداء بعد كونه مصدرا بهمزة الانكار مثله وابلغ منه في الدلالة
على التوبيخ ايضا باعتبار اشتماله على قوله شهوة فانه سواء جعل مفعولا له او مصدرا واقعا
موقع الحال بمعنى مشتهين او تابعين للشهوة يدل على زيادة التوبيخ والاستهجان لانه وصف
لهم بالبهيمية الصرفة ولا ذم اعظم منه فان معناه انه لا حامل لكم على ما فعلتموه الا مجرد
قضاء الشهوة لا طلب التوسل لحدوث من يوحد الله تعالى ويعبده وبقاء النوع الذي هو
مقتضى العقل ثم اضرب عن الانكار على اتيانهم الفاحشة وتوبيخهم باختراع ما لم يفعله احد
قبلهم الى الاخبار عن حالهم التي هي ام جميع الرذائل وموجب ارتكاب جميع القبائح وهي انهم
قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثمة اسرفوا في باب قضاء الشهوة وتجاوزوا
عما هو الى غيره او اضرب عن الانكار المذكور الى ذمهم على جميع معايبهم فان جميع معايبهم
برجع

قوله واذ بدل استة بدل اشتمال فان المراد اذكر قصة لوط والظروف تشتمل لا فعالها وقوله اذكر يجيء في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم وهذا احسن اذ ان او او ذا ان الظرفية مسلوبة من لوازم نوحيه في البقرة

برجع الى التجاوز عما حدلهم وهو المراد بالاسراف كانه قيل ليس المنكر منكم هذه الفعلة القبيحة
فقط بل شانكم الاسراف والتجاوز عن الحد في الامور كلها فيكون لفظ الكلمة بل للاضراب
عن الانكار المذكور بل تكون للاضراب عن شيء محذوف وهو انهم زعموا ان لهم عذرا في ارتكابها
فاجيبوا بانه لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف والتجاوز عن الحد ثم انهم لما
عجزوا عن الجواب عما كلمهم به لوط عليه الصلوة والسلام ونصح لهم فيه من انكار اتيانهم
الفاحشة واستعظامها قابلوا النصيحة ووعظه لهم بالامر باخراجه ومن معه من
المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم بقولهم انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش
لوط وفاحشتهم ودعارتهم والتذكير في قوله كانت من الغابرين مع ان الظاهر ان يقال من
الغابرات بني على انه بقي في ديارهم رجال ونساء فغلب الرجال فقيل في حقها انها كانت منهم
قوله فارسله الله تعالى الى اهل سدوم سدوم بفتح السين قرية قوم لوط وقرياتهم هي المؤتفكات
قيل كانت خمس مدائن وكانوا اربعة آلاف دار بين الشام والمدينة وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطرت عليهم ثم خسف بهم اللواطة
لا توجب الحد عند ابي حنيفة بل يعزر فاعلها وعند الشافعي انها توجب الحد ثم اختلف اصحاب
الشافعي في حد اللائط فقال بعضهم يرجم اللائط محصنا كان او غير محصن وكذلك المفعول به
ان كان محتلما واحتجوا عليه بان الله تعالى عذب قوم لوط بالرجم والاصل بقاء ما ثبت الى ان يرد الناسخ
ولم يرد في شرعنا ما ينسخه فوجب الحكم ببقائه وقال بعضهم ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن
ادب وحبس وقد روي عنه عليه الصلوة والسلام من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل
والمفعول به وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه احرق رجلا حين عمل عمل
قوم لوط بالنار واحرقهم ابن الزبير في زمانه وروي ان سبعة اخذوا في زمان ابن الزبير في لواط
فسأل عنهم فوجد اربعة منهم احصنوا فخرج بهم من الحرم ثم رجموا بالحجارة حتى ماتوا و
حد الثلاثة وعنده ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم فلم ينكرا عليه قوله اي وارسلنا
اليهم وهم اولاد مدين اشارة الى ان مدين اسم قبيلة هي اولاد مدين بن ابرهيم خليل الله
عليه الصلوة والسلام ولو كان اسم بلد كما قيل لوجب ان يقدر المضاف ويقال وارسلنا الى اهل
مدين قوله شعيب بن ميكيل منصوب على انه مفعول ارسلنا وكان شعيب عليه الصلوة والسلام
اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه اهل كفر وبخس للمكيال والميزان
قوله يريد المعجزة التي كانت له فان قوله قد جاءتكم بينة يدل على انه عليه الصلوة والسلام قد ظهر
لهم معجزة حين مجيئه اليهم مدعيا للرسالة لان كل من بعث رسولا لا بد له من اظهار معجزة تدل

على صدقه في دعواه ومن لم يظهر على يده معجزة كان متنبئا لا نبيا فهذه الآية دليل على انه جاءتهم
له معجزة دالة على صدقه غاية ما في الباب انه لم يبين في القرآن انه معجزة من اي الانواع كانت
وليس جميع آيات الانبياء مذكورة في القرآن ومما روي من ان من جملة معجزات شعيب انه حين دفع
الى موسى عليهما الصلوة والسلام غنمه دفع اليه عصى تلك العصى صارت تنينا فما بلغت التنين
الذي تعرض الغنم في المرعى فتخلص الغنم عن ضرره ومن معجزاته ايضا انه حين دفع غنمه الى موسى
وعده ان يكون له ما كان ادرع من اولادها فلم تلد الغنم في تلك السنة الا الدرع خاصة وكان جميع
ما نتجت في السنة من الغنم لموسى والدرع جمع ادرع وهو من الخيل والشاة ما اسود رأسه و
ابيض سائر جسده والانثى درعاء مثل احمر وحمراء وحمر ومن جملة معجزاته ايضا انه حين دفع غنمه
الى موسى امر بنته بان قال لها ائتني في موضع كذا عشرة عصا فأتيني بواحدة منها فذهبت البنت
الى ذلك الموضع فمدت يدها لتأخذ عصا فوقعت في يدها عصا آدم عليه الصلوة والسلام
فجاءت بها الى ابيها فلما اخذها ابوها قال لها ردها الى موضعها وجيئي بعصا اخرى ففعلت فمدت
يدها الى اخرى فوقعت في يدها تلك العصا بعينها فجاءت بها الى ابيها فقال لها مثل قوله في المرة
الاولى فلم تقع في الثالثة في يدها الا تلك العصا بعينها فتكررت هذه المعاملة سبع مرات فلم
تقع في يدها الا هي فقال ابوها سبحان الله ان في هذا الحكمة فدفعها الى موسى فهذه الخوارق كانت قبل
ان يتنبأ موسى عليه الصلوة والسلام فكانت معجزات لشعيب لان المعجزة ما يكون مسبوقا
بدعوى الرسالة وهذه الاحوال لما كانت متأخرة عن دعوة شعيب قومه الى عبادة الله ونهيه
اياهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته لم يصح لشعيب ان يقول في حقها قد جاءتكم بينة بلفظ
الماضي فلا وجه لان يحمل البينة على هذه الاحوال فينبغي ان تكون تلك الاحوال كرامة لموسى او
ارهاصا لنبوته بل هو المتعين لانه تقرر ان موسى انما ادرك شعيبا بعد هلاك قومه و
لان ذلك لم يكن في معرض التحدي ويجوز عندنا ان يظهر الله على يد من سيصير نبيا و
رسولا في المستقبل انواع الخوارق ويسمى ذلك ارهاصا وعند المعتزلة لا يجوز ذلك قوله
اي آلة الكيل لما كان الكيل مصدرا قولك كلت الطعام كيلا والمعنى المصدري لا يمكن ايفاؤه
لان النقص والاتمام من خواص الاعيان حمل الكلام على تقدير المضاف اولا وحمل الكيل
على ما يكال به ثانيا كما يطلق العيش على ما يعاش به والفاء في قوله فاوفوا لترتيب الامر
بالايفاء وايجابه على مجيء البينة وثبوت النبوة والشريعة وانتفاء العذر في عدم اتباعها
قوله وانما قال اشياءهم للتعميم يعني ان المعنى لا تنقصوا الناس حقوقهم لانهم كانوا اهل
بخس للمكاييل والموازين يبخسون الناس حقوقهم التي استحقوها في مبايعاتهم فامرهم

حكاه صاحب الكشاف

وهذا الكلام مبني على اصل مختلف فيه بين اصحابنا وبين المعتزلة وذلك انه يجوز عندنا ان يظهر الله على يد من سيصير نبيا ورسولا في المستقبل انواع الخوارق ويسمى ارهاصا وعند المعتزلة لا يجوز ذلك فالاحوال التي حكاها صاحب الكشاف من قبيل الارهاصات لنبوة موسى عندنا وعند المعتزلة هي معجزات لشعيب لان الارهاص لا يجوز عندهم واعترض المص عليه بان ما روي من الاحوال متأخرة عن هذه المقالة لكن يصح من شعيب ان يقول في حقها قد جاءتكم بينة بلفظ الماضي وباحتمال كونها كرامة لموسى الخ منه

نامرهم بايفاء حقوقهم واعطائها على التمام والكمال الا انه ذكر لفظ الاشياء بدل لفظ
الحقوق ليدل على ان البخس المنهي عنه يتناول البخس في كل شيء من الجليل والحقير والقليل
والكثير وكانوا يبخسون الناس في جميع ذلك ولا يخصون بخسهم ببعض منه فنهوا عن البخس
فيها نهيا عاما بانهم لما امروا بايفاء الكيل والميزان اكد الامر المذكور بالنهي عن ضده وهو
البخس في الكيل والميزان فكأنه قيل لا تبخسوا الناس حقوقهم التي استحقوها بالمبايعات بقرينة
وقوع النهي تأكيدا للامر السابق فاوثر لفظ الاشياء على لفظ الحقوق لكون مفهوم الشيء
اعم بالنسبة الى مفهوم الحق وقيل المراد نهيهم عن بخس حق الناس مطلقا سواء كان
متعلقا بالمبايعات او غيرها امرهم بايفاء حقوقهم المتعلقة بالمبايعات ثم نهاهم عن البخس
والمكس في كل شيء كاخذ الرشى والمؤن الديوانية والمراسم السلطانية والغصب والسرقة
وقطع الطريق ونحو ذلك من وجوه اكل اموال الناس بالباطل قوله وقيل كانوا ماكسين اي
عشارين من المكس وهو ما يأخذه العشار او يلح على البائع في طلب الزيادة من قولهم
مكس في البيع يمكس بالكسر مكسا وماكس مماكسة قوله بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء الخ
احتاج الى تقدير المضاف او جعل اضافة الاصلاح الى ضمير الارض بمعنى في كما في قوله تعالى بل
مكر الليل والنهار لان اصلاح نفس الارض وافسادها لا يتعلق بهما قدرة الانسان واختياره
فلا تتعلق مصلحة شرعية بالتعرض لاصلاح الانسان اياها بل الذي ينبغي ان يتعلق به التكليف
هو اصلاح ما يقع فيها من الامور وافسادها او اصلاح اهلها وافسادها بكون
حدود الشرع واحكامها محفوظة مرعية فيما بينهم ومضيعة غير مرعية فلذلك فسر
الافساد بالكفر والحيف والاصلاح باقامة حقوق الشرع واحكامه قوله واما الخيرية اما
الزيادة مطلقا اي سواء كانت متعلقة بامور الدنيا او بما عند الله لكم من ثواب الآخرة فان
الخطاب وان كان مع الكفرة الا ان العمل بما ذكر من توحيد الله وعبادته والايمان ببينته
وايفاء المكيال والميزان والامتناع عن بخس اشياء الناس والافساد في الارض خير لهم
مطلقا ان عملوه مؤمنين بالله وباحكامه وهذا على تقدير ان يكون الاشارة بقوله ذلكم الى
جميع ما ذكر من قوله يا قوم اعبدوا الى آخر الآية فان لفظ ذلك وان كان موضوعا للاشارة الى
الواحد الا انه جاز ان يشار به في الآية الى جميع ما ذكر لكونه في تأويل امر واحد وهو العمل بما
امرهم به ونهاهم عنه كما ذكره المص فمن عمل بما ذكر يكون ذلك خيرا له في الدنيا والآخرة اما في
الدنيا فلان من اشتهر بين الناس بالصدق والصلاح والامانة والوفاء يكون محبوبا
بين اهل الدنيا يرغبون في المعاملة معه فيعظم قدره عندهم ويكثر ماله واما في الآخرة فلكونه

حذف الاضافة فيه نحو مكر الليل يجيء ان الاضافة فيه بمعنى في على الظرف دون الفاعل في شرح الكشاف الا ان الفاعل على المجاز او الاضافة الى الفاعل في التحقيق بل بعد التجوز اه

جامعا بين تعظيم امر الله تعالى والشفقة على عباده حيث شرط في كونه خيرا لهم ان يعلموه وهم
مؤمنون بالله تعالى وبا خطابه ولا يبعد ان يجعل ذلك اشارة الى واحد هو ايفاء الكيل والميزان
والامتناع من ضده فانه امر واحد اكد فيه الامر بالايفاء بالنهي عن ضده وكان قوله ان
كنتم مؤمنين بمعنى ان كنتم مصدقين لي في قولي لا تكون الخيرية بمعنى الزيادة مطلقا لان القوم
كفرة لم يفرض ايمانهم ليستحقوا ثواب الاخرة بل يكون المراد خيريتهم في الانسانية وحسن الاحدوثة
وهو عبارة عن ذكر الجميل بين الخلق فان الاحدوثة ما يتحدث به المرء **قوله** وجمع المال
معطوف على الانسانية فان الناس اذا عرفوه بايفاء الحقوق والامانة والعدم النزاهة رغبوا
في المعاملة معه فيكون ذلك خيرا له في اكتساب المال وجمعه فان قلت خيرية الايفاء فيما يتعلق
بالامور الدنيوية من الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ليست مشروطة بكونهم
مصدقين للناصح فما معنى قوله ان كنتم مؤمنين قلنا انه ليس شرطا للخيرية بل هو شرط لعلمهم
نصيحة الناصح ورغبتهم فيه وظفرهم بعز الدنيا وسعادتها فكانه قيل ان كنتم مصدقين
فيما اقول لكم فقد افلحتم وفزتم بعز الدنيا ودولتها **قوله** بكل طريق الباء فيه للالصاق او
المصاحبة لان القعود ملصق بالمكان وان القاعد يلابسه ويحتمل ان تكون بمعنى في
لان القاعد يحل بمكان قعوده وان تكون بمعنى على لاستعلاء القاعد على المكان ويدل عليه
قوله بمعنى سبيل الله الطريق الذي قعدوا عليه من طريق الدين **قوله** او الايمان بالله عطف
على قوله الذي قعدوا عليه فسر سبيل الله اولا بالطريق الذي قعدوا عليه من طرق الدين
كالمعارف والعقايد والحدود والاحكام وثانيا بالايمان بالله فيكون ضميره على الاول لكل
صراط وعلى الثاني للباري تعالى **قوله** وتبغون منصوب نصدون يعني ان قوله توعدون وتصدون
تنازعا في منصوب قوله من آمن فاعمل فيه اقربهما على ما اختاره البصريون وحذف منصوب
توعدون ولا يجوز كونه منصوب توعدون لان المختار على تقدير اعمال الفعل الاول ان يضمر
منصوب الفعل الثاني حتى قال بعضهم لا يجوز حذفه الا في ضرورة الشعر فلما لم يضمر منصوب
تصدون حيث لم يقل وتصدونهم علم انه لم يعمل الاول وان من آمن منصوب تصدون قال
ابن الحاجب فان اعملت الاول اضمرت الفاعل في الثاني والمفعول على المختار الا ان يمنع
مانع فتظهر **قوله** وتوعدون بما عطف عليه يعني ان قوله توعدون وتصدون وتبغون
احوال من فاعل لا تقعدوا اي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين ولم يذكر الموعد به
ليذهب الذهن كل مذهب **قوله** وتطلبون لسبيل الله على ان قوله وتبغونها من باب الحذف
والايصال والتقدير وتبغون لها لان ضمير السبيل لانه يذكر ويؤنث ثم ان شعيبا عليه

تقرير انه مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط عليه الصلوة والسلام فجعل في نسلها البركة والنماء فكثروا منه

قوله تعالى واذكروا اذ كنتم ان يكون منصوب محذوفا فيكون الظرف المذكور معمولا لذلك المفعول اي اذكروا نعمة الله عليكم في ذلك الوقت واما ان
يجعل نفس الظرف منصوبا به والاول هو الاوفق بقول المصنف في قوله في اوائل سورة البقرة واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة و
هو ظرف واذ كنتم اذا جعلناه منصوبا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة اي لا يجوز التصرف فيهما بان جعل نصبهما على المفعول
عليه الصلوة والسلام لما امرهم ونهاهم وارشدهم على ما هو خير لهم في دينهم رغبهم في
طاعة الله تعالى شكر النعم فقال واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بعد القلة وقواكم بعد الضعف
وكثر قوتكم بعد الضعف ثم هددهم بتذكير عاقبة المفسدين من الامم قبلهم **قوله** والذين
امنوا عطف على الكاف في لنخرجنك وبا شعيب اعتراض بين المتعاطفين وقوله او لتعودن
عطف على جواب القسم اذ التقدير والله لنخرجنك والمؤمنين او لتعودن والعود هو الرجوع
الى الحالة الاولى ومن المعلوم ان شعيبا لم يكن على دينهم وملتهم قط لان الانبياء لا
يجوز عليهم من الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر الا انه اسند
العود اليه والى من معه من المؤمنين تغليبا لهم عليه لان العود متصور في حقهم وجاز ان يستعمل
بمعنى صار فيرفع الاسم وينصب الخبر فلا يكتفي بمرفوع بل يفتقر الى خبر منصوب فلو كان المعنى
ههنا او لتصيرن في ملتنا بعد ان لم تكونوا فيها لزال الاشكال من غير احتياج الى اعتبار التغليب
وقد جعل المص بمعنى تصير في سورة ابراهيم حيث قال العود في قوله تعالى او لتعودن في ملتنا
بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ولم يتعرض له في هذه الآية بناء الابلايم قوله
بعد اذ نجانا الله منها **قوله** وعلى الاول وعلى اعتبار التغليب نظم نفسه في جملتهم وقال في جوابهم
انعيدوننا في ملتكم على كل حال حتى في حال كراهتنا اياها ثم قال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها فقد افترينا فان العود في ملتهم انما يتصور في حق الذين معه من المؤمنين الا انه نظم نفسه
في جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه ازلا وابدا اجرا للكلام على حكم التغليب **قوله** وهو
بمعنى المستقبل فلذلك صح ان يقع جوابا للشرط وهو قوله ان عدنا فانه جواب الشرط عند الكوفيين
وقال الجمهور لا يتقدم جواب الشرط عليه بل جوابه محذوف حذف لدلالة ما قبله عليه فهو جواب
من حيث المعنى لا من حيث اللفظ وعلى التقدير لا بد ان يكون وقوع مضمونه مترتبا ومعلقا
على وقوع مضمون الشرط وهو العود الى ملة الكفر وذلك العود امر استقبالي لان كلمة ان
تقلب الماضي الى معنى الاستقبال والمعلق بالمستقبل لا بد ان يقع بعد وقوع المعلق عليه فلا بد
ان يكون الافتراء واقعا بعد حصول العود في المستقبل ويمتنع ان يسبق وقوعه على زمان و
قوع الشرط الا ان قوله قد افترينا بلفظ الماضي المصدر بكلمة قد تقتضي ان يكون وقوع
الافتراء سابقا على وقوع العود لان كلمة ان لا تقلب الماضي المصدر بكلمة قد ولا المتقدم
على الشرط الى المضارع فكيف اذا اجتمع الامران فقوله قد افترينا على الله كذبا موضع اشكال
لدلالته على كون الافتراء المعلق على العود واقعا قبل وقوعه ولا معنى له فاشار المص
الى حله بقوله وهو بمعنى المستقبل انه لم يقع بعد الافتراء لكونه مما وقوعه مترتبا على وقوع

ان اذ رفع بدلا من اخاهم عاد في قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا اذ انذر قومه فيكون مفعولا به اجاب عنه بان البدل محذوف والتقدير اذكر الحادث اذ كان كذا فلما حذف الحادث اقيم الظرف مقامه سلمه

قد افترينا لما جعل ان الافتراء وظاهره يقع بعد العود وكان لا تعلق له بالحكم على معنى ان عدنا ظهر انا قد افترينا البتة لان المقصود من الآية بيان انهم لا يعودون الى الكفر بانه يقولوا انا ان عدنا افترينا على الله كذبا لكنا لا نفتري على الله كذبا فلا نعود قطعا او هو حمل على معنى ان عدنا ظهر افتراؤنا لكان الامر في العود الى الكفر ظهور الافتراء لا هو نفسه وظاهر ان هذا المعنى غير مستقيم في هذا المقام سلمه

القول المفروض وقوعه في المستقبل صح جعله جوابا من حيث المعنى الا انه عبر عنه بلفظ
الماضي تنزيلا للافتراء المترتب على العود منزلة الواقع للمبالغة في الامتناع عن العود وادخل
عليه كلمة قد لتقريبه من الحال فقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط اي قد افترينا الآن ان
هممنا بالعود في ملتكم بعد ان وفقنا الله للخلاص منها بالتوحيد فالجملة استيناف اخبار
فيه معنى التعجب كانه قيل ما اكذبنا على الله ان عدنا على الكفر فان من عاد الى الكفر والاشراك
فقد زعم ان الله ندا واي افتراء اعظم منه قوله وقيل انه جواب قسم محذوف حذف
اللام منه وهو معطوف على قولنا اي افترينا الآن ان هممنا العود يعني ان قوله قد افترينا
الخ استيناف اخبار فيه معنى التعجب ويحتمل ان يكون جواب قسم محذوف وضعف الاحتمال الثاني
لان المقام ليس مقام القسم والرد على من انكر كون العود الى الكفر افتراء على الله بل
المقام مقام المبالغة في الامتناع من العود والتعجب ممن عاد اليه بعد وقوفه على دلائل
الوحدانية وليس المقصود من نقل هذا القول حل الاشكال الوارد على قوله قد افترينا على
الله كذبا ان عدنا اذ لا مدخل لاعتبار القسم في حل الاشكال المذكور اذ لا يندفع الاشكال
الا بجعل الماضي بمعنى المستقبل غاية ما في الباب ان يعبر عنه بلفظ الماضي تنزيلا له منزلة الواقع
وترادف لفظة قد تقريبا له الى الحال فاعتبار القسم ضايع في دفع الاشكال قوله وفيه دليل
على ان الكفر بمشية الله تعالى كما هو مذهب اهل السنة وجه الدلالة ان معنى الاية ليس لنا ان
نعود الى ملتكم التي هي ملة الكفر الا ان يشاء الله ان يعيدنا الى تلك الملة فكان هذا الكلام
تجويزا من شعيب ان يعيدهم الله الى الكفر بمشيته قال الامام الواحدي لم يزل الانبياء والاكابر
يخافون العاقبة و انقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه الصلوة والسلام واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت
قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف عليه الصلوة والسلام توفني مسلما والحقني بالصا
لحين واستدل اهل السنة بهذه الاية على مذهبهم بوجه آخر وهو انه عليه الصلوة والسلام قال
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فدل على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى ولو كان الايمان يحصل
بخلق العبد لكان العبد هو المنجي نفسه وهو خلاف قوله بعد اذ نجانا الله منها قوله وقيل
اراد به لما ذكر وجه استدلال اهل السنة بهذه الاية على ان الكفر يحصل بمشية الله تعالى ذكر
جواب المعتزلة عنه وهو ان تعليق العود الى الكفر على مشية الله تعالى ليس مبنيا على ان الكفر والايمان
يحصلان بخلق الله تعالى ومشيته بل المراد به حسم طمعهم من العود الى الكفر بتعليقه بالمحال
كما يقال لا افعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب فعلق شعيب عوده الى ملتهم بما علم
انه

انه لا يكون اصلا وهو ان يشاء الله كفرهم قوله اي اظهر امرنا ويجوز ان يراد بالفتح الكشف و
التبيين بان ينزل الله تعالى على قوم شعيب عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب
وشيعته محقين قوله تعالى وقال الملأ الذين كفروا عطف على قوله قال الملأ الذين استكبروا
يعني ان الملأ لم يقتصروا على تكذيب شعيب وقولهم له لنخرجنك يا شعيب وشيعتك بل
صدوا غيرهم عن اتباع شعيب قوله وللتنبيه على هذا اي على ان مناط الخسران هو
تكذيب الانبياء لا تصديقهم واتباعهم فان تعليق الحكم على الاسم الموصول يشعر بعلية الصلة
للحكم المذكور بعده فاذا كان تكذيب الانبياء علة للخسران يكون تصديقهم والاتباع بهم
سببا للربح وسعادة الدارين فيكون تكرير الموصول مبالغة في بيان كون تكذيبهم مناط
الخسران وتصديقهم مناط الفوز بالمنى قوله واستانف بالجملتين اي الابتداء بهما فان
كل واحد من الجملتين كلام لتمام حكايتهم عند قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين جيء بهما
لتقرير استحقاقهم لما اصابهم من عذاب الاستيصال وان المصدقين المتبعين بمعزل عنه فان
الملأ لما قالوا لاشياعهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون رد الله تعالى عليهم بقوله
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين لما فرغ هلاكهم بطريق الاستيصال على قولهم
المؤدي الى الهلاك على الوجه المذكور لم يبق شيء مما يتعلق ببيان حالهم فلا جرم كان قوله
الذين كذبوا شعيبا كلاما مبتدأ مستانفا جيء به للمبالغة في الرد عليهم بتخصيص العذاب
والخسران بالمكذبين وان المصدقين بمعزل عنه قوله قاله تأسفا يعني ان الظاهر ان توليه
عنهم كان بعد ما ابصرهم جاثمين في مدائنهم ولا معنى للمكالمة مع الاموات والجيف حقيقة
اذ لا فائدة في خطابهم سوى ان يسلي نفسه ويزيل ما اصابه من شدة تحزنه على هلاكهم كانه
قال لقد بالغت في نصحكم ونهيكم عما يؤديكم الى هذا البلاء العظيم فما سمعتم كلامي وما قبلتم
على سوء صنيعكم فآل امركم الى هذا والاسى شدة الحزن يقال اسي يأسى بكسر السين في
الماضي وفتحها في الغابر كرضي يرضى وآسى بناء المتكلم وحده على وزن افعل فسر قوله فكيف آسى
عليهم بوجهين الاول انه اشتد حزنه عليهم ثم انكر على نفسه قائلا ما لي احزن على هلاك
قوم استحقوا الهلاك بسبب اصرارهم على الكفر والثاني انه لم يحزن على هلاكهم واعتذر عن عدم
تحزنه على هلاكهم فقال كيف آسى على كفرة المعاندين ثم انه تعالى لما بين هؤلاء الامم الذين كذبوا
رسلهم بين ان اهلاكهم المعاندين المستكبرين عادة الله تعالى في من لا يقبل دعوة المرسلين و
نصيحتهم فقال وما ارسلنا في قرية من نبي الاية وكلمة من فيه زائدة لتفيد العموم والاستغراق
وقوله نبي موصوف حذف صفته اي من نبي كذب او كذبه اهلها وقوله الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ

قوله في سورة الحجر فيه ان قوله
ان قوله فاخذتهم الصيحة في سورة
الحجر في حق اصحاب الحجر وهم قوم
صالح عم والصحيح ان يقال
في سورة الهود قال تعالى فيها
واخذت الذين ظلموا
الصيحة وذكر توجيه الصيحة
هنا وقت هلاكهم
بهلاك ثمود قائلا خطأ
النص هنا لان قوله
فاخذتهم الصيحة في
حق اصحاب الحجر وهم
ثمود قوم صالح وهؤلاء
اصحاب الايكة قوم
شعيب
رده

الرجي جعل كلمة الترجي للتعليل بمعنى كي فكانه نسب ما قوسلي منه في اوائل سورة البقرة في قوله تعالى لعلكم تتقون ان لعل لتعليل المخلوق اي خلقكم لكي تتقوا انه لم يثبت في اللغة قيل ولما كان كلمة لعل وردت في القرآن في كثير من المواضع للاطماع مع التحقق لكونه كلام الكريم الذي اطماعه بمنزلة جزمه في حصول المطموع فيه وكان ما بعد لعل الاطماعية

من اعم الاحوال اي ما ارسلنا احد من الانبياء المكذبين في حال من الاحوال الا في حال كوننا اخذين اهلها بالبأساء والضراء ... في الشدة في اموالهم والضراء ما يشابه من الامراض وقيل على العكس ثم مبدلين مكان السيئة التي هي الحالة الحسنة لان ورود التعمة بعده يدعو الى الانقياد والاقبال بالشكر فانه تعالى ياخذ العصاة تارة بالشدة و تارة بالرخاء لكون احدهما داعيا الى التضرع والتذلل والاخر الى الشكر والطاعة ثم انهم لم يعتبروا بما اصابهم من السراء والضراء لفرط قسوة قلوبهم وقالوا هكذا كانت عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا بمناقبة بين السراء والضراء وليس في ذلك ما يدعوكم الى ترك ما انتم عليه واباؤكم فان آباءكم لم يتركوا دينهم لما اصابهم من الضراء فاثبتوا انتم ايضا على دينكم ولا يضطربوا من تغير احوال الزمان والحكمة في حكاية هذا المعنى ان يحصل الاعتبار لمن سمع هذه القصة وعرفها قوله عطف على قوله فاخذناهم بغتة جعل الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام الانكاري عاطفة لدخولها على ما ذكر قبلها ولم يلزم بطلان صدارة الهمزة اذ لم يتقدم ما شيء من الكلام الذي دخلت هي عليه وتعلق معنا فاعتبرتها غاية الامر انها توسطت بين الكلامين المتعاطفين لافادة الانكار وقوع الثاني عقيب الاول اي بعد اخذنا اياهم بتكذيبهم امن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا او لا عليهم ضحى وعادة صاحب الكشاف في مثلها ان يقدر المعطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف ولم يقدر ههنا بينهما شيئا فانه يختار كل واحد منهما بحسب اقتضاء المقام فان عبارته هكذا فان قلت ما المعطوف عليه في قوله تعالى افامن ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله تعالى ولو ان اهل القرى الى قوله يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فامنوا الانكار على امن اهل القرى عقيب ما اخذ مكذبوا الرسل بما كانوا يكسبون ولما لم يكن بين هذا الامن والامن المعطوف عليه بالواو معنى التعقيب كان في ذكر موضع العطف بالواو لتدل على انكار وقوع مجموع الامنين عقيب اخذ المكذبين قوله تبييتا على ان يكون بياتا بمعنى تبييتا ونصب على انه مفعول مطلق لقوله ياتيهم لان التبييت نوع من الاتيان يقال بيت العدو اذا اتى ليلا واوقع بهم والاسم منه البيات قوله او وقت بيات على ان يكون البيات بمعنى البيتوتة ومنصوبا على الظرفية بتقدير المضاف كقوله ضحى فانه منصوب على الظرفية فالمناسب في بياتا ايضا ان ينتصب على الظرفية ليطابق قرينه قوله او بياتا او بيتين على ان يكون بمعنى التبييت ومنصوبا على انه حال من الفاعل او من المفعول فان البائس مبيت وهم مبيتون قوله او المستتر في بياتا على ان يكون بياتا حالا بمعنى مبيتين فانه ح

قوله كي يتضرعوا الحق من تضعيف القول ان لعل لتعليل من المواضع للاطماع مع التحقق قطعي الحصول وما قبلها مما يناسب ان يعلل بذلك الحصول بحيث يكون ما بعدها كالغرض لما قبلها ذهب جماعة من ائمة العربية منهم ابن الانباري الى انه قد يكون بمعنى كي تحقيقا عليه في كل صورة امتنع فيها الترجي سيما اذا كانت في محل الاطماع نحو لعلكم تفلحون اولعلكم تتقون ولعلهم يتضرعون وردّه الزمخشري ونحوه النص كما اشرنا اليه بما حاصله ان جمهور ائمة اللغة معناها الحقيقي في الترجي والاشفاق وانها غير صالحة لمجرد معنى العلية والترجية باتفاق منهم ... اليه انك تقول دخلت على المريض كي اعود واخذت الدواء كي اشربه ولا يصح وضع لعل مكان كي افي قوله ... كونها للتعليل انما هي ما في حيزها قد يجعل حالا مما قبلها وقد يجعل مفعولا لاجله تشبيه مدار واستعمال الاسم راجيا كذا او رجاء كذا فبهذا التعليل من محلها من الاعراب ولما كان العلية في الحقيقة للرجاء دون الرجا جردت عن معنى ما امتنع فيه الرجاء واستعملت لمجرد التعليل وهذا هو السر في كونها للتعليل لانه معناها اللغوي فتامل منه سلمه الله

... وقوعه الاخرى ... ذكرت على ... الاظهر ... لانه ... الامرونه ... ينظر ان جعل اللام للجنس ... المعطوف والمعطوف عليه ... على السواء منه

يحتمل خبر اهل القرى فيكون الحال ان عند اغلبين قوله ... الذي امر الدين قوله او يشتغلون بما لا ينفعهم اي من امور الدنيا فان من اشتغل بدنياه واعرض عن اخرته فهو كاللاعب قوله تقرير لقوله افامن جواب عما يقال لم جيء فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر الله مع ان الظاهر ان المقصود الانكار على اهل القرى في جمعهم بين الامن من مكر الله والامن من اتيان البأس بياتا او اتيانه ضحى عقيب علمهم باخذ الذين كذبوا الرسل وهذا المقصود يقتضي ان يعطف الامن الثالث على ما قبله بالواو كما عطف الامن الثاني عليه بالواو وتقرير الجواب ان الامن ليس امنا ثالثا مغايرا للامنين الاولين بل هو تكرير لمجموع قوله افامن واو من جمعا بين التفريق قصدا الى زيادة التحذير والانذار فيكون مكر الله عبارة عما ذكر في الآيتين من اتيان البأس بياتا وضحى فيكون الفاء فيه هي الفاء التي في قوله افامن الدالة على انكار وقوع الامنين المذكورين قوله ومكر الله استعارة فان اصل المكر ان تظهر لغيرك ما يحبه ويرضاه وانت تريد اضراره بحيث لا يشعر اشبه منه استدراج الله تعالى العبد بالنعمة والصحة لبطره وتماديه في المعصية والبغي فان ذلك اضرار به من حيث لا يشعر والفاء في قوله فلا يامن مكر الله فاء جواب شرط محذوف اي اذا كان استدراجه واخذه على هذا الوجه فلا يأمن مكره بهذا المعنى الا الذين خسروا انفسهم قوله تعالى اولم يهد قرأ الجمهور يهد بياء الغيبة وفاعله قوله ان لو نشاء وكلمة ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان اي اولم يتبين ويوضح للوارثين مآلهم و عاقبة امرهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وان سيقطع فاعل يهد عدي الى مفعوله الاول باللام وحذف مفعوله الثاني وهو عاقبة امرهم ان سلكوا طريق اسلافهم وقرئ نهد بنون العظمة فيكون ان المخففة مع ما في حيزها قوله وانما عدي يهد باللام يعني ان فعل الهداية يتعدى الى مفعوله الاول بنفسه والى مفعوله الثاني قد يتعدى بنفسه ايضا وقد يتعدى اليه بكلمة الى يقال هديته الطريق والى الطريق وههنا قد عدي الى الاول باللام لتضمنه معنى التبيين فعدي باللام باعتبار المضمن واما نفس فعل الهداية فقد نزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بمفعوله الاول كانه قيل اولم يفعل الهداية تبيينا للوارثين مآل امرهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم على ان فعل الهداية مستعمل في اصل معناه منزلا منزلة اللازم والتبيين المضمن قيد له حال من فاعله فلا يلزم استعمال اللفظ الواحد في معناه الحقيقي والمجازي معا باطلاق واحد لان كل واحد من المعنيين مراد باطلاق على حدة احدهما مصرح به والاخر مضمن فيه وان شئت جعلت الفعل المضمن اصلا والفعل الملفوظ قيدا او بالعكس قال المحرر التفتازاني الظاهر ان اعتبار التضمين انما هو على قراءة

... الدنيا ... ولا في امر ...

يكون ضمير ان يشاء ... للموجودين في عصر النبوة ... بذنوبهم اي امن اهل القرى ... بجمع اهل القرى ... اليهم بقوله ولو ان اهل القرى والباقية المحدث اليهم ... لان المقصود تهديد الموجودين منه سلمه

عصر ... ممن كان في ... النبي عليه السلام ... وغيرهم قال ابن عباس هم اهل مكة منه سلمه الله

النون حيث ذكر المفعول الثاني وهو ان لو نشاء واما على قراءة البا فهو من قبيل تنزيل
المتعدي منزلة اللازم بمعنى اولم يفعل الهداية لهم والحاجة الى تقدير المفعول الثاني تعلق
عن اسناد عصر وفريد دهره المولى المعروف بحضر بك جلبي رح ان التنزيل منزلة اللازم يمكن
ان يكون بالنسبة الى احد المفعولين مع ذكر المفعول الاخر كما يكون بالنسبة الى المفعول الغير الصريح
صرح به السيد في اقرأ باسم ربك فالقراءتان متساويتان في اعتبار التضمين والتنزيل ويمكن
الفرق بين القراءتين بان قصد التعلق الى المفعول الثاني دليل الظاهر على التعدي الى المفعول
الاول سيما عند ذكر ما يصلح مفعولا اولا اعني للذين يرثون بخلاف قراءة البا اذ لا يقصد الى
التعليق بشيء اصلا فيها **قوله** عطف على ما دل عليه اولم يهد فانه استفهام للانكار على انتفاء
الهداية والتبيين واثبات انه الشان المذكور يتبين لهم مآل امرهم والمقصود منه انكار تماديهم
في الغفلة وتقاعدهم عن النظر والاعتبار كانه قيل ان الشان المذكور يتبين لهم ذلك ولكنهم
يغفلون ويتقاعدون عن النظر والاعتبار ونطبع على قلوبهم لان المراد بالذين يرثون
الارض الذين يخلفون الامم المكذبة ويسلكون سبيلهم فيكونون مطبوعين على قلوبهم و
قيل قوله ونطبع عطف على اصبناهم وجاز عطف المضارع على الماضي لكون نطبع بمعنى
طبعنا لوقوعه في حيز لو فانها تخلص المضارع للماضي كما ان لو نشاء بمعنى لو شئنا
فقوله لانه في سياق جواب لو علة لكونه بمعنى طبعنا فان كلمة لو لفرض وقوع الفعل في الزمان
الماضي وان دخلت على المضارع **قوله** او منقطع عنه فيهم لقوله عطف على ما دل عليه اولم
يهد اي ويجوز ان يكون قوله ونطبع كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله بان يكون خبر مبتدا محذوف
اي ونحن نطبع **قوله** لافضائه الى نفي الطبع عنهم علة لعدم جواز عطفه على اصبناهم فان
قوله ونطبع لو كان معطوفا على جواب لو لزم انتفاء الطبع عنهم فان كلمة لو تفيد انتفاء
جملتيها واللازم باطل لقوله فهم لا يسمعون اي يصرون على عدم القبول ومن المعلوم ان كل
كافر مصر على كفره فهو مطبوع القلب فوجب ان يكون كل واحد من الوارثين والموروثين من
اهل الطبع **قوله** يعني قرى الامم المار ذكرهم وهم امة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم قص الله بعض انبائهم تنبيها لهذه الامة على وجوب
الاحتراز عن مثل حالهم فانهم اغتروا وبطروا الا مهال مع كثرة النعم فتوهموا انهم على الحق
فطغوا وبطروا وعصوا رسلهم **قوله** حال ان جعل القرى خبر تلك يعني ان تلك ان جعل
مبتدا مشارا بها الى ما بعدها وجعل القرى خبرها يكون قوله نقص عليك في موضع النصب على
الحالية اي قاصين وعاملها معنى الاشارة كما في قوله فتلك بيوتهم خاوية ولما ورد ان نظام الكلام

الخبر انما يساق ليفيد المخاطب ما الفائدة فيه ان يشار بها الى جنس القرى او الى الافراد
المعهودة منها ويحكم عليها بانها القرى وهل هو الا مثل قولك هذا زيد لمن يعلم انه زيد اشار الى الجواب
بقوله ويكون افادته بالتقييد بها يعني ان المعلوم عند المخاطب هو كون المشار اليه محكوما
عليه بكونه قرى مطلقا اي من غير ملاحظة تقييده بانه يقص بعض انبائه وبتقييده بذلك
حصلت الفائدة كما حصلت بالتقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم الآن هذه
الفائدة لا تحصل على تقدير ان يكون خبرين لانتفاء التقييد المذكور لا يلزم خلو الكلام عن
الفائدة لجواز حصولها بامر آخر كتعريف الخبر بلام العهد فانك اذا اشرت الى قرى مخصوصة
وحكمت عليها بانها القرى وارث القرى الكاملة في شأنها حصلت الفائدة لا محالة كما في
قولك ذلك الكتاب **قوله** بما كذبوه من قبل الرسل اي مجيئهم يعني ان البا صلة لم تؤمنوا وفي
كلمة ما موصولة اسمية وعائدها محذوف والمعنى انهم لم يتعظوا بدعوة الرسل ومجيئهم
بالمعجزات بل استمروا على ما كانوا عليه قبل مجيئهم بها من تكذيب الحق او فما كانوا ليؤمنوا الى
اخر اعمارهم بما كذبوا به من قبل اي اول مجيء الرسل **قوله** والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان
عطف تفسير لما قبله يعني ان اللام في قوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا النفي ومعنى تاكيد النفي ان الايمان
كان منافيا لحالهم التي هي تصميمهم على الكفر طول اعمارهم وشدة شكيمتهم في عنادهم فان نفي
الفعل مع لام الجحود ابلغ من نفيه بدونها اما عند البصريين فلانهم يجعلون خبر كان محذوفا
ويجعلون هذه اللام متعلقة بذلك الخبر المحذوف ويجعلون الفعل المذكور بعد اللام منصوبا
باضمار ان وتقدير الكلام عندهم فما كانوا مريدين للايمان ومن المعلوم ان نفي ارادة
الفعل ابلغ من نفي نفس الفعل واما عند الكوفيين فلان اللام زائدة لتاكيد النفي والكلام
مع التاكيد ابلغ مما لا تاكيد فيه والكاف في قوله تعالى كذلك في محل النصب على انه مفعول
نطبع اي مثل ذلك الطبع الشديد الذي طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية يطبع على قلوب
الكفرة الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا ابدا **قوله** والاية اعتراض يعني ان قوله تعالى فما وجدنا
لاكثرهم الى قوله لفاسقين اعتراض ان كان الضمير الذي في قوله لاكثرهم للناس وان كان للامم
المذكورين فلا يكون اعتراضا بل يكون من تتمة الكلام السابق وهذا تصريح بان الاعتراض
لا يجب ان يتوسط بين الكلامين بل يقع في اخر الكلام كما في هذا المقام حيث وقع بعد الفراغ
عن ذكر احوال اهل الطبع الذين ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل **قوله** اي علمناهم لفاسقين
جعل وجدنا المذكور ثانيا بمعنى علمنا فعداه الى مفعولين اولهما اكثرهم وثانيهما قوله لفاسقين
اي خارجين عن الطاعة مارقين عن الدين وجعل ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة

وعن السدي ... كذبوا
يوم اخذ الميثاق فهم
حين اخرجوا من ظهر آدم
وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا
بعد رؤية تلك المعجزات بما
كذبوا قبل رؤية المعجزات يعني
اذا ما جاؤهم ما جاءوهم
بالتكذيب فانهم اذا جاءتهم المعجزات
فاصروا على التكذيب فهذا
بالحال المحصل وفي كانوا
ليؤمنوا امدة عمرهم قدرة
البعد عشرة من بعد اول
زمان الارسال الى اول
زمانه هو المراد بالقبل
سنان

بينها وبين النافية فتكون عاملة في ضمير الشان المضمر اي وان الشان وجدنا اكثرهم فاسقين
واستدل على كون نجد بمعنى علمنا لا بمعنى صادفنا بدخول ان المخففة واللام الفارقة عليه
بناء على انها لا تدخل الا على المبتدا والخبر او على الافعال الناسخة للابتدا او تحكم مما ذهب اليه
الكوفيون من ان كلمة ان في نظائرها نافية وان اللام بمعنى الا ويقولون في قوله تعالى وان كانت لكبيرة معناه
كانت الا كبيرة ولم يتعرض لقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد ولم يصرح بان وجدنا فيه بمعنى
صادفنا او بمعنى علمنا كانه يجوز كل واحد من الاحتمالين الاول ان يكون وجدنا بمعنى صادفنا
ولقينا فيكون لاكثرهم متعلقا بقوله وجدنا كقولك ما وجدت له مالا ويكون قوله من عهد مفعول
وجدنا ويكون كلمة من مزيدة في المفعول ويجوز ان يكون لاكثرهم حالا من عهد لانه في الاصل صفة
نكرة فلما قدم عليها نصب على الحالية والاصل وما وجدنا عهدا لاكثرهم والاحتمال الثاني ان
يكون وجدنا بمعنى علمنا ويكون من عهد مفعوله الاول ولاكثرهم مفعوله الثاني ووجه كون وجدنا في
الموضعين بمعنى واحد وتناسب الكلام ولا محذور في كون كل واحد من الفعلين بمعنى مغاير لمعنى
الفعل الاخر **قوله** وما عهد قدر المضاف اذ لا وجه لنفي نفس العهد سواء اريد به عهد الله اليهم في
الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او عهدهم اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين **قوله** ذا الحفاظ اي المحافظة يقال انه لذو حفاظ
وذو محافظة اذا كان لا انفة **قوله** بان كفروا بها اي بالآيات لما عدي الظلم بالباء وهو يتعدى
بنفسه ضمن ظلموا معنى كفروا فعدي تعديته وفي وضع الظلم موضع الكفر فائدة وهي ان
حق الآيات الايمان بها فلو ضجروا وضع الكفر مكان الايمان بها ظلم لها لان الظلم عبارة عن
وضع الشيء في غير موضعه ولو قيل فكفروا بها لما فهم هذا المعنى وكيف في قوله تعالى فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين خبر كان قدم عليها لوجوب التقديم لان له صدر الكلام وعاقبة اسمها وهذه
الجملة الاستفهامية في محل النصب بنزع الخافض اذ التقدير فانظر بفكرك والمعنى فانظر بعين
عقلك وفهمك يا محمد كيف فعلنا بالمفسدين **قوله تعالى** حقيق على ان لا اقول اي واجب على
قرا الجمهور على ان بلا ياء على ان على حرف جر داخلة على ان وما في حيزها وقرا نافع علي بياء
ايضا التي هي حرف جر داخلة بياء المتكلم وحقيق في قراءة العامة خبر بعد خبر لقوله اني فكان
مدلول اللفظ حقيق اي واجب على قول الحق ولا معنى له لان الفعل او الترك يجب على الرجل لا
الرجل على الفعل او الترك فلذلك حمل الكلام على القلب وما كان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرا
نافع فقلب الكلام وقيل انه حقيق على قول الحق بدل ان يقال قول الحق حقيق علي اي واجب
قبل حمل الكلام على القلب وان جاز لا انه انما يحمل الكلام البليغ عليه اذا تضمن نكتة مقبولة لا

والنكتة ههنا [illegible] القرآن [illegible] فيه [illegible] الجواز مطلقا والمنع
مطلقا والتفصيل بين ان يتضمن نكتة بديعة فيجوز وبين ان لا يتضمنها فيمتنع وذهب المص الى
انه يجوز عند ايضاح المراد والامن من الالتباس كما في البيت المذكور واوله وتلحق خيلا لا
هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر والمراد بالخيل فيه الرجال والهوادة الصلح
والضيطار الرجل الضخم الذي لا غناء عنده وقياس جمعه الضياطير الا انه عوض
الهاء عن الياء كبياطرة في بيطار والحمر عندهم من صفة العجم وهي صفة ذم والمعنى وتشقى
الضياطرة بالرماح فقلب بان اسند الشقاء الى الرماح وحقه ان يسند الى الضياطرة
لوضوح المراد وعدم الالتباس **قوله** او لان ما لزمك فقد لزمته عطف على قوله لان
الاثبات اي وقلب في قيل حقيق على قول الحق بناء على انه جعل وجوبه على قول الحق مجازا عن
لزومه للحق بعلاقة اللزوم فان الواجب على المرء والمرء الذي وجب عليه ذلك الواجب
متلازمان فعبر عن لزوم الواجب له ووجوبه عليه بلزومه للواجب ووجوب نفسه على
الواجب وفيه مبالغة حسنة **قوله** او للاغراق في الوصف بالصدق اي او قلب للمبالغة
في وصف نفسه بالصدق فان مقتضى الظاهر ان يقال واجب علي ان اقول الا الصدق الا
انه قلب وقيل الصدق والقول الحق واجب عليه ان اكون انا قائله وان لا يرضى بان ينطق
به الا مثلي فان فيه مبالغة في وصف نفسه بالصدق حيث شبه القول الحق في نفسه
بالعاقل الذي يطلب ويسعى ان لا ينطق به الا من هو مثل المتكلم على سبيل الاستعارة
المكنية واثبت له لازم المشبه به وهو السعي والطلب تخييلا للاستعارة المكنية فانه اثبت
للقول الحق ان يجب عليه ان لا يرضى الا بمثله ناطقا به وفي قوله ان اكون انا قائله اشعار بان
الحقيق وان اسند الى موسى عليه الصلوة والسلام فالمعنى على اسناده الى وصفه اعني كونه
القائل به **قوله** او ضمن حقيق معنى حريص عطف على قوله فقلب وكذا قوله او وضع على موضع
الباء لافادة التمكن كقولك رميت على القوس وجئت على حالة حسنة اي رميت بالقوس
وجئت بحالة حسنة ثم ان موسى لما ادعى انه رسول من رب العالمين ذكر ما يدل على صحة
دعواه فقال قد جئتكم ببينة من ربكم اي بمعجزة ظاهرة يعني العصا واليد ثم انه عليه الصلوة
والسلام لما اثبت نبوته بما جاء به من البينة قال له فارسل معي بني اسرائيل اي خلهم
يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه الصلوة
والسلام لما صار والى مصر يشير اليه ابواه واقاربه من الارض المقدسة ثم انه عليه
الصلوة والسلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلبهم فرعون وكان يستعملهم في الاعمال

وذلك لانه اصله المعدول
عنه حقيق على ان لا اقول
الحق اي واجب علي القول
الحق ووجوب شيء على
شيء يستلزم لزومه لذلك
الشيء ويلزمه العكس فقلبه
للوجوب فلوحظ هذا اللزوم
فقلب وتجوز عن اللزوم
والمعنى انا لازم للقول الحق
ثم تنكب عنه وانا لم يجعل
وجوبه على قول الحق مجازا
من لزومه له بعلاقة اللزوم
ابدا بدون اعتبار اصله
ثم قلبه حتى يكون ذلك
وجها بدون اعتبار
القلب لعدم حسن جعل
الشخص لازما للقول [illegible]
اعتبار كون منشاء
العكس هذا اللزوم
فتامل [illegible]

الشافة مثل ضرب اللبن ونقل التراب فلما جاء موسى اراد ان يرجع بهم الى موطن آبائهم
الذي هو الارض المقدسة وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخل فيه موسى اربعمائة
عام فقال فرعون مجيبا له عليه الصلوة والسلام ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين
اي فاحضرها عندي لتصح دعواك فان الاتيان والمجيء وان كانا بمعنى واحد الا ان بينهما
فرقا من حيث ان المجيء يلاحظ فيه نقل الشيء من جانب المبدأ والاتيان يلاحظ
فيه ايصاله الى المنتهى فان مبدأ المجيء هو جانب المرسل ومنتهى الاتيان هو المرسل اليه فعلق
احضار البينة عند المرسل اليه على المجيء بها من جانب المرسل اي علق الاحضار المعلق على
المجيء بها من جانب المرسل على كونه صادقا في دعوى المجيء بها من جانب المرسل والثعبان الحية الضخم
الذكر وهو من اعظم الحيات قوله مبين اي بين انه حية لا لبس فيه ولا يختلج ببال احد
كونه من جنس العصا قوله اشعر اي كان له على ظهره شعور سود مثل الرماح الطوال
يقال رجل اشعر اي كثير شعر الجسد وفغر فاه اي فتحه قوله واحدث اي استطلق بطنه وجلوسه
في ثيابه حتى علم به جلساؤه ولم يكن احدث قبل ذلك الا في اربعين يوما مرة ولا يبصق ولا
يمتخط ولا يتنخع ولا تذرف عيناه ولا يمرض ولا يصدع ولا يتثاءب وكان على هذا اربعمائة سنة
فلما كان ذلك اليوم احدث وبصق وامتخط واخذه الصداع والمرض واختلف بطنه اربعين
مرة فلم يزل بعد ذلك يختلف بطنه حتى مات عليه وذكر في الوسيط انه قام به بطنه في ذلك اليوم
اربعمائة مرة ولم يستمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك ووصف العصا ههنا بكونها ثعبانا وهو العظيم
الهائل الخلق وفي موضع آخر بقوله كانها جان والجان من الحيات الخفيف الضئيل الخلق فكيف
الجمع بين هاتين الصفتين اجاب صاحب الكشاف عنه في غير هذا الموضع بجوابين
احدهما انه جمع لها بين الشيئين اي بين كبر الجثة كالثعبان وبين خفة الحركة وسرعة
المشي والثاني انها في ابتداء امرها تكون كالجان ثم تتعاظم وتنتفخ الى ان تصير ثعبانا
نقل صاحب التيسير عن وهب ان موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام لما دخلا دار فرعون
ووقفا بين يديه لقن الله موسى دعوة بها فقال لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب
السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم اني ادرأ بك في نحره واعوذ
بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت فتحول ما في قلب موسى من الخوف امنا
وتحول ما في قلب فرعون من الامن خوفا فمن دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمنه الله تعالى
ونفس كربته وهون عليه كرب الموت قوله من جيبه او من تحت ابطه لما كان النزع عبارة
عن اخراج الشيء من مكانه ولم يذكر المخرج منه في هذه الآية بين المص بقوله من جيبه

روي انه كان ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ولو كان له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية
سلمان

نداء بالعصا [illegible] المعجزات لانا معجزة [illegible] على معجزات [illegible] فرعون انه ضرب باب فرعون ففزع منها فرعون فشاب رأسه فخضب بالسواد فهو اول من خضب بالسواد
ابو حيان

٢٠٨

من جيبه لها شعاع الا انه لبس وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وطاك البيض
كالبيضة وصفه بقوله من غير سوء وبينه ثانيا بقوله او من تحت ابطه ايضا لا بقوله واضمم
اليك جناحك فلما اخرجها من الموضع الذي ادخلها فيه ظهر منها نور ساطع يضيء ما بين
السماء والارض قوله للناظرين متعلق بمحذوف هو صفة لبيضاء اي بيضاء مرئية
للناظرين كذلك لانها بيضاء في جبلتها واصل خلقتها لان يروى ان موسى كان آدم شديد
الادمة فلا يكون ما يرى في يده من البياض لونا اصليا وانما يراه الناظر بياضا
خارجا عن العادة فلذلك يجتمع عليه النظارة لغرابة لونها ونورها وقول صاحب الكشاف انه
متعلق ببيضاء اراد به التعلق المعنوي لا تفسير الاعراب يعني انه من تتمته قوله قال الملأ
واشراف قومه يعني قيل في التوفيق بين هذه الآية وبين قوله في سورة الشعراء وقال للملأ حوله
ان هذا لساحر عليم حيث اسند القول المذكور في هذه السورة الى الملأ وفي سورة الشعراء
اسنده الى فرعون وجه التوفيق ان هذا القول لما صدر عنه وعن قومه في مجلس التشاور
في امره صح اسناده الى كل واحد من الفريقين فلذلك اسند في هذه السورة الى قومه وفي تلك
الى نفسه قوله فماذا تامرون يحتمل ان يكون من كلام الملأ خاطبوا به فرعون وحده
تعظيما له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع وان يكون من كلام فرعون على اضمار القول اي قال
لهم فرعون لما قال الملأ ذلك فماذا تامرون اي ما الذي تشيرون به علي واختار ابن عباس
هذا الاحتمال ويؤيده قوله تعالى قالوا ارجه واخاه فان الظاهر انهم قالوا ذلك لفرعون جوابا
لقوله فماذا تامرون ولما كان السحر غالبا في ذلك الزمان ولا شك ان اهل كل صنعة على
طبقات مختلفة بحسب الحذاقة والمهارة زعم القوم ان موسى عليه الصلوة والسلام كان
حازما في علم السحر بالغا فيه الى اقصى الغاية وانه جعل علمه وسيلة الى طلب الملك
والرياسة فلذلك قالوا يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره قوله واصله ارجئه بهمزة
ساكنة وهاء مضمومة وفي هذه الكلمة ست قراءات مشهورة متواترة ثلث منها
مع الهمزة وثلث بدونها اما الثلث التي مع الهمزة فاولها قراءة ابن كثير وهشام عن ابن
عامر أرجئهو بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو حاصلة من اشباع الضمة وثانيها
قراءة ابي عمرو وهشام عن ابن عامر أرجئهُ بهمزة ساكنة وهاء مضمومة من غير
اشباع ضمتها وثالثها قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر ارجئهِ بهمزة ساكنة
وهاء مكسورة من غير اشباع كسرة الهاء واما الثلث التي بلا همزة فاولها قراءة
حمزة وحفص أرجِهْ بكسر الجيم وسكون الهاء وصلا ووقفا وثانيها قراءة الكسائي

ولا يمنا ناه لامكان الجمع في فعله واحدة
سلمان

وان نزول [illegible] وهذه السورة يحتمل وجوها احسنها ان يقول فرعون [illegible] او اللعن الخاصة الى صفة العامة [illegible] واحدا كما هو دينه المذكور
سلمان

وعن ورش عن نافع ارجهي بها مكسورة بعدها يا وحذفت لام الفعل وهي اليا علامة للجزم
واتصل الفعل بالضمير المنصوب وثانيتها قراءة قالون عن نافع ارجه بها مكسورة بغير يا وهذا
الفعل يستعمل مهموزا وغير مهموز وكلاهما لغة فصيحة مشهورة يقال ارجيت الامر وارجأته
اي اخرته ومنه قوله وآخرون مرجون لامر الله وترجي من تشاء وقري ايضا ترجي من تشا
بالهمزة وبدونها قوله وكذلك ارجهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير فان الاصل في ها
الضمير عنده اذا كانت ضمير الواحد المذكر كانت مضمومة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة
بواو واذا كانت مكسورة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بيا سوا كان ذلك الساكن حرفا
علة او حرفا صحيحا فالمضمومة نحو عقلوهو وشروه هو وفاجتباهو فخذوه هو ومنهو
وعنهو ونحو ذلك نحو لاخيهي وابيهي وابويهي وفيهي ونحو ذلك قوله واما قراءة ارجه
بسكون الها فللتنبيه المنفصل بالمتصل يعني ان ها الضمير انما تسكن اذا تحرك ما قبلها ولم يفصل
بينها وبين الحرف المتحرك قبلها بحرف ساكن نحو ضربته بسكون الها لكونها متصلة بالحرف
المتحرك قبلها والها التي في ارجه ليست متصلة بالحرف المتحرك قبلها لتخلل لام الفعل المحذوفة
بينهما تقديرا وهي الهمزة او اليا المحذوفة فاسكانها خلاف الاصل الا انها اسكنت تشبيها
لها بالتي اتصلت بالحركة نظرا الى صورة الكلمة بعد حذف لام الفعل كما فعل ذلك في يؤده
ونوله ونصله ونؤته منها فان حمزة وعاصما في رواية ابي بكر قرآ ها الضمير منها ساكنة مع
كونها منفصلة عن الحرف المتحرك قبلها تقديرا تشبيها لها بالتي كانت متصلة بالحركة نظرا الى
صورة الكلمة بعد حذف لام الفعل قوله وجعلها وكالها في اسكان وسط عطف على قوله تشبيه
فهو وجه ثان لاسكان ها ارجه فان حقها ان تكون مكسورة كما في به وفيه الا انها اسكنت
للتخفيف كما اسكنت وسط الكلمة في نحو كتفي وعضد لذلك فان ها ارجه لما كانت منفصلة
عن الواو في قوله واخاه الا انها شبهت بالمتصلة بها وجعلت وسط الكلمة نظرا الى اتصالها
بها في التلفظ فاسكنت كما اسكنت الباء في ابل للتخفيف قال صاحب الكشف في وجه القراءة
بسكون الراء في قوله تعالى في سورة المدثر ولا تمنن تستكثر ولك تشبيه ثرو بعضد فسكن
تخفيفا مع تخفيف العروض بينهما من حيث ان الساكن في احدهما وسط حقيقة وفي الاخر
وسط في التلفظ منفصل عما بعده حقيقة فلما جاز اسكان الراء في ثرو وجعلها بمنزلة وسط
الكلمة جاز اسكان الها في ارجه لذلك قوله وارسل في المدائن حاشرين قوله في المدائن
متعلق بارسل وحاشرين اي جامعين مفعول به ومفعول حاشرين محذوف اي حاشرين
السحرة والمداين جمع مدينة وهي البقعة المسورة المستولى عليها ملك واراد مداين صعيد

صعيد مصر وكان رؤساء السحرة بانصنا من المعجزة لوقت الحاجة اليهم والمعنى وابعث الشرط
الى هذه المدائن ليحشروا ويجمعوا اليك من فيها من السحرة الشرط جمع اعوان الامراء
قوله خبروا موسى فان كلمة اما فيه للتخيير وتطلق عليها حرف العطف مجازا قال المخيرون
ادبوا مع موسى عليه الصلوة والسلام حيث قدموه في ذلك فتسبب لما نهم قوله ان تلقي نحوه الا تكون
في محل النصب على انه مفعول به لفعل مقدر اي اما ان تفعل الالقاء اولا او نفعله نحن قبلك او
ان تكون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر اما التاؤك واما التاؤنا قوله
فنبهوا على ذلك بتغيير النظم الى ما هو ابلغ فان قولهم واما ان نكون نحن الملقين ابلغ من ان
يقالوا واما ان نلقي لاشتمال الاول على زيادة الربط بين المسند والمسند اليه قوله و
تعريف الخبر بالجر معطوف على قوله تغيير النظم وكذا ما بعده فان كل واحد منها محاب على
على رغبتهم في ان يلقوا قبله قوله فلذلك ان لدلالة كلامهم على رغبتهم في ان يلقوا قبله
قال موسى القوا قوله واسترهبوهم يعني ان استفعل ههنا بمعنى افعل والسين للتأكيد معنى
الرهبة وتقويته قوله فلما القوا سحروا اعين الناس اي قلبوها وصرفوها عن
ان يدرك الشيء على ما هو عليه بسبب فعلوه التمويهات فانهم جمعوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا كانها حيات جسام غلاظ ولطخوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل تلك
العصا فلما اثر حرارة الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة حتى انه خيل
الى الناس انها تتحرك وتلتوي باختيارها وجاؤا بسحر عظيم في زعم الناس قوله تعالى
فاذا هي تلقف قراءة العامة بتشديد القاف من تلقف يتلقف والاصل تتلقف بتائين
فحذفت احديهما وقرا حفص تلقف بتخفيف القاف من لقف يلقف على وزن علم يعلم يقال
لقفت الشيء القفه لقفا ولقفانا وتلقفته التقفه تلقفا اذا اخذته بسرعة فاكلته وابتلعته
روي انها ابتلعت جميع ما القوه من الحبال والعصي التي افكوها وقلبوها عن وجهها حتى ما تركت
في الوادي شيئا من سحرهم وانكشف الناس وولوا هاربين والثعبان على اثرهم فمات
منهم جمع عظيم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وفي رواية ابن عباس فمات بعضهم على بعض بقدر
سبعين الفا وقيل ان فرعون كان في جمعه اذ اقبل الثعبان في اثار الحيات حتى اقتحم على فرعون
في جمعه فقام فرعون عن سريره ونزل الى الارض وكان اعرج لم يعرج ذلك الا يومئذ فانه مشى
يومه سبع خطوات فعرفوا بذلك انه اعرج ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فلما ارادوا
معارضة المعجزة الالهية بتمويهاتهم السحرية وقع الحق اي ثبت صدق موسى عليه الصلوة و
السلام في قوله اني رسول من رب العالمين حيث صدقه الله تعالى بما اظهر على يده المعجزة الباهرة

فيرنا النوه السحرة كان
عصا حيوا فارتبنا الحسب
فلما اصابها حر الشمس
تحركت وخيل الى موسى
انها تسعى فاوجس في
نفسه خيفة موسى في ذلك خوفه
طبيعي فلا بأس في كونه على
نبينه وتيقنه بان القوم
لن يبلغوا وان الله سيظهر
ما صنعوا ويحتمل ان يكون
خوفه من وقوع التأخير
في ظهور حجته على سحرهم
منه

عهد ربك ان العصا
عصا له انه يشبه
بمعنى الايجاز لانه من
جنس التندر وتصدره
مكون مع ما بعده ما نتيدر
الايجاز منه

وبطل ما كانوا يعملون من التمويهات السحرية حيث قال السحرة لو كان ما اتى به موسى سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا ولما فقدت وقد ثبت بالسبر الظاهر ان ذلك امر الهي صدق فيه نبيه ليظهر
الحق ويبطل الباطل فغلب فرعون واتباعه وانقلبوا صاغرين والانقلاب بمعنى الصيرورة او بمعنى الرجوع الى المدينة بخلاف السحرة فانهم انقلبوا اعزاء بعزة الايمان
والسعادة الابدية قوله جعلهم ملقين كانه جواب بان يقال ان الظاهر ان يقال وخروا
ساجدين لان افعال العباد وان كانت حاصلة بخلق الله تعالى وايجاده الا ان الغالب
الشايع فيها اسنادها الى من قامت هي به لا الى من اوجدها وتقرير الجواب الاول انهم وان
سجدوا باختيارهم الا انهم جعلوا ملقين للتنبيه على قوة الدليل الموجب للعرفان والايمان
بحيث الجأهم ذلك الدليل الى التذلل والسجود وتقرير الثاني انهم جعلوا ملقين للتنبيه
على ان حكمة الله تعالى الجأتهم اليه بان خلق في قلوبهم داعية قوية دعتهم اليه ليتغيب بادرته
فرعون في حق موسى على نفسه وينكسر بالذين اراد بهم كسر موسى وتقرير الثالث انهم جعلوا
ملقين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم في سرعة الخرور وشدته حين
شاهدوا المعجزة القاهرة بحال من القي على وجهه فعبر عن حالهم بما يدل على حال المشبه بها
قوله لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون فانهم لو اقتصروا على قولهم آمنا برب العالمين
لتوهم انهم ارادوا به نفس فرعون لانه كان يزعم انه رب العالمين ويقول انا ربكم الاعلى فلما
ابدلوا من الاول قولهم رب موسى وهرون بعطف هرون على موسى زال التوهم لان فرعون
وان ربى موسى وهو صغير الا انه لم يرب هرون قطعا فعلم الكل بابدال الثاني من الاول
انهم كفروا بفرعون وآمنوا بالله تعالى قوله تحقيق الهمزتين بعدهما الف مبدلة من
الهمزة التي هي فاء الفعل ابدلت الفا لسكونها بعد همزة مفتوحة فان اصل هذه الكلمة
أأأمنتم بثلث همزات الاولى للاستفهام والثانية همزة افعل والثالثة فاء الكلمة في
امن والهمزة الثالثة تقلب الفا في جميع القراءات والهمزة الاولى محققة بلا خلاف و
لا خلاف الا في الثانية وقرأ حفص آمنتم بهمزة واحدة بعدها الالف المبدلة من فاء
الكلمة على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ ويحتمل ان يكون المعنى على الاستفهام الانكاري الا
انه حذفت اداة الاستفهام لدلالة السياق عليها وقرأ الحرميان وابو عمرو وابن عامر
بهمزة وهمزة مطولة اي بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين والالف المبدلة من
فاء الكلمة لما رأى فرعون ان السحرة باسرهم مع حذاقتهم في علم السحر لما اقروا بنبوة
موسى وآمنوا به في المجمع العظيم الذي اجتمع فيه الناس جميعا خاف ان يصير ذلك حجة

حجة قوية على صحة نبوته فالقى هذا الكلام مموها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان به فالقى الى
اسماعهم شبهتين اوليهما ان هذا المكر مكرتموه في المدينة يعني ان ايمان السحرة لموسى ليس لقوة الدليل
بل لانهم تواطئوا مع موسى في مصر قبل ان يخرجوا منها الى هذا المجمع فالمراد ان الامر كذا وكذا فخفي
ذلك بكم والشبهة الثانية قوله لهم ان غرض موسى والسحرة جميعا تواطئوا عليه اخراج القبط
من المدينة وابطال ملكهم ليتخلص الملك لبني اسرائيل فجمع فرعون بين الشبهتين لتثبت
على القبط ما ظهر من الحق في بطلان امر فرعون ولا يجد حيلة اقوى منهما في هذا الباب قوله
افض علينا صبرا يغمرنا ويعلو علينا والافاضة الماء صبه وارساله بكثرة ويقال فاض الماء يفيض
فيضا وفيضوضة اي كثر حتى سال على ضفة الوادي وغمر الماء اي علاه وستره والافراغ في اللغة
الصب يقال درهم مفرغ اذا كان مصبوبا في قالب غير مضروب واصله من افراغ الاناء وهو صب
ما فيه بالكلية اي الى ان يفرغ الاناء ولم يبق فيه شيء وتفسير الافراغ بالافاضة المنبئة على الكثرة
والغمر وتوصيف الصبر بكونه غامرا مستفاد من مفهوم الافراغ ومن تنكير صبرا فكانهم طلبوا من
الله تعالى كمال الصبر وتمامه وقوله كما يفرغ الماء اشارة الى ان افراغ الصبر وصبه من قبيل الاستعارة المكنية
والتخييلية شبه الصبر على وعيد فرعون بالماء الغامر تشبيها مضمرا في النفس وجعل نسبة الافراغ
اليه تخييلا للاستعارة بالكناية لان الافراغ من لوازم الماء وملايماته او شبه الصبر بالماء من حيث
انه مطهر من الاثام كما ان الماء مطهر من النجاسات الحقيقية والحكمية تشبيها مضمرا في النفس
وجعل ايقاع الافراغ عليه تخييلا للاستعارة المكنية ثم ان فرعون بعد ما رأى من موسى عليه الصلوة
والسلام ما رأى خافه اشد الخوف فلذلك لم يجسر ولم يتعرض له بسوء بل خلى سبيله فلذلك
قال الغوغاء اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي يفسدوا على الناس دينهم الذي كانوا عليه
واذا افسدوا عليهم اديانهم توسلوا بذلك الى اخذ الملك والاستيلاء على ملكه قيل انه فعل بهم ما او
عدهم به لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال فعل ذلك بهم وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
وايضا قوله تعالى حكاية عنهم ربنا افرغ علينا صبرا يدل على انه كان قد نزل بهم بلاء شديد حتى
طلبوا من الله تعالى ان يصبرهم عليه وايضا هذا هو الاظهر مبالغة في تحذير القوم عن قبول دين
موسى عليه الصلوة والسلام وان كانت الآية ساكتة عن انه فعل بهم ذلك اولم يفعل ومما يدل
على انه لم يفعل بهم ذلك انهم سالوا الله تعالى ان يتوفاهم من غير ان يسلط عليهم اعداؤهم
حيث دعوا بقولهم توفنا مسلمين والظاهر انه تعالى استجاب لهم دعاءهم وقرأ العامة قوله ويذرك
بياء الغيبة ونصب الفعل على انه معطوف على قوله ليفسدوا او على انه جواب للاستفهام بالواو كما
يجاب بالفاء كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والمعنى كيف يكون

يكون الجمع بين تركه موسى وقومه مفسدين وبين تركهم اياك وعبادة آلهتك ان لا وجه
لذلك على ان الاستفهام للانكار وقرئ ويذرك بالرفع عطفا على قوله اتذر اي اتذره ويذرك
بمعنى اتطبع له ذلك او على انه كلام مستانف اخبر وابه عن حال موسى او على الحال من موسى
باضمار المبتدأ اي والحال انه يذرك الشيخ قرئ ويذرك بالجزم على التوهم كانه توهم جزم
يفسد وانه جواب للاستفهام فان جواب الاستفهام كثيرا ما يكون مجزوما بان مقدرة نحو ائتني
بيتك اذرك فلو لم يذكر اللام في قوله ليفسد والجاز ان يكون مجزوما في جواب الاستفهام ويكون
قوله ويذرك ايضا بالعطف عليه فهذا الجائز قد توهم واقعا فالجزم المعطوف لذلك كانه
قيل اتذرهم يفسدوا فعطف عليه بالجزم وقيل ويذرك كما في قوله تعالى لولا اخرتني الى اجل
قريب فاصدق واكن بجزم اكن بناء على توهم كون اصدق مجزوما فانه منصوب بان مضمرة
بعد الفاء السببية الواقعة بعد حرف التحضيض فان المضارع ينتصب بان المضمرة بعد الفاء
في جواب التحضيض اجراء له مجرى العرض والتمني كما في قوله تعالى لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك وقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا فلما كان قوله فاصدق منصوبا
بان المضمرة كان الظاهر ان ينصب قوله واكن بالعطف عليه الا انه قرئ مجزوما بناء على توهم
كون اصدق غير مذكور بعد الفاء بل هو مجزوم في جواب التحضيض كانه قيل لولا اخرتني الى
اجل قريب اصدق واكن بجزم كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه **قوله** معبوداتك
على ان قوله وآلهتك جمع اله وان قرئ الاهتك بكسر الهمزة يكون مصدرا بمعنى العبادة
لما قال فرعون سنقتل ابناءهم جزع قوم موسى وتضجروا فسلاهم موسى بقوله استعينوا
بالله واصبروا وذكرهم ما وعد الله تعالى من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم بقوله
ان الارض لله يورثها من يشاء وقرر به الامر بالاستعانة بالله والصبر على ما اصابهم و
ثبتهم على الاستعانة بالله والصبر على ما يفعل بهم بقوله والعاقبة للمتقين فانه وعد لهم
بالنصرة لان المتقين وان كان عاما يتناول جميع افراده الا انه لا يخفى في ذلك الوقت الا في
ضمن بني اسرائيل فانه روي انه لما غلب سحرة فرعون وتبين نبوة موسى عليه الصلوة
والسلام بسطوع حجته آمن بموسى من بني اسرائيل ستمائة الف نفس وانقوا عن الشرك
والعصيان ثم ان قوم موسى لما اعتذروا عن تضجرهم بقولهم اوذينا من قبل ان تاتينا
بالرسالة ومن بعد ما جئتنا بها صرح موسى بما رمز اليه من البشارة وهي اهلاك فرعون
وقومه واستخلافهم في ارضهم بان يملكهم ما كان يملكه فرعون وقومه **قوله** فمن ما تلونا النظر
قد يراد به الفكر المؤدي الى العلم وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئي ليترتب عليه الرؤية وكل

واحد من المعنيين مستحيل في حقه تعالى فلذلك جعل النظر مجازا عن الرؤية التي هي غاية
للنظرين فمعنى ما تعملونه بوقوعه منكم لانه تعالى لا يجازي العبد على ما يعلمه منهم وانما يجازيهم
على ما يقع منهم ثم ان موسى لما قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم بدأ بذكر ما انزله بفرعون
وقومه من المحن حالا بعد حال الى ان وصل الى الاهلاك تطويرا للعبادة الفاسدة وحثا للمعتبرين
على النظر والاعتبار ليعلموا انه تعالى غالب على امره وانه عزيز ذو انتقام وانه لا يفلح الظالمون
اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه **قوله تعالى** بالسنين جمع سنة اجري مجرى المذكر السالم فاعرب
بالواو والنون رفعا والياء والنون نصبا وجرا وحذفت نونه حال الاضافة وجاء في
الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف واجري مجراه جبرا له عما فاته من لامه المحذوفة
قيل انها واو لقولهم سنوات وسانيت وسنية وقيل انها هاء لقولهم سانهت مسانهة وسنهات
وسنيهة والسنة في الاصل بمعنى العام مطلقا الا انها غلبت على زمان الجدب والقحط حتى
صارت كالعلم له بالغلبة كالدابة والنجم فان الدابة في الاصل اسم لكل ما يدب على الارض ثم
غلب على ذات القوائم الاربع وكذا النجم اسم لكل كوكب يبدو ليلا ثم غلب على الثريا وصار
كالعلم لها بالغلبة وكثرة استعماله فيها ولذلك اشتقوا من لفظ السنة فقالوا اسنت القوم
اذا اصابتهم السنة والقحط كما يقال اجدب القوم اذا اصابهم الجدب وهو ضد الخصب ويقال
اقحط القوم اذا وقعوا في القحط ويقال ايضا قحطوا على ما لم يسم فاعله اذا وقعوا فيه **قوله**
او نزع قلوبهم فان الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله تعالى قال واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض **قوله تعالى** يطيروا بموسى اصله يتطيروا ادغمت التاء في الطاء لقرب
مخرجهما قال تعالى اطيرنا بك وبمن معك اي تطيرنا وتشاءمنا فادغمت التاء في الطاء واجتلبت
همزة الوصل ليصح الابتداء بالساكن يقال تطيرت من الشيء وبالشيء اي تشاءمت منه وبه و
الاسم منه الطيرة على وزن العنبة وهو ما يتشاءم به من الفال الردي وفي الحديث انه عليه
الصلوة والسلام كان يحب الفال ويكره الطيرة وكانت العرب يتطيرون ويتفاءلون بما
سمعوا من الكلمة الحسنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير بل يكرهه ويبطل امره
وكانت العرب يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح وكانوا اذا ارادوا الخروج لحاجة ذهبوا
الى الطير في وكرها ينفرونها فاذا ارتفعت من وكرها وطارت الى جانب اليمين تيمنوا بها وسموها
سانحا وان طارت الى جانب الشمال تشاءموا بها وسموها بارحا فلا يخرجون الى ما قصدوا
ويرجعون وقيل اذا خرج احدهم الى مقصده واتى الطير من ناحية يمينه تيمن به وسماه سانحا
وان اتى من ناحية شماله تشاءم به وسماه بارحا فرجع الى بيته فنهى النبي صلى الله عليه وسلم

بقوله اقرّوا الطير على وكناتها والوكنة اسم لكل موضع يقع فيه الطير للاستراحة كان وقيل
هي اسم للموضع الذي تبيض فيه الطير سواء كان من خروق الحيطان او اغصان الشجر
روي انه عليه الصلوة والسلام قال من رجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك قيل وما كفارة
ذلك يا رسول الله تعالى قال ان يقول اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي
الى حاجته اي كل ما اصاب الانسان من الخير والشر واليمن والشوم ليس الا بقضائك و
تقديرك وحكمك ومشيتك والفرق بين الفال والطيرة مع ان كل واحد منهما استدلال
بالامارة على مآل الامر وعاقبته ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية
والطيرية فالكلمة الحسنة التي تجري على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران
الطير وحركات البهايم فان ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شيء من الاحوال
قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة وان جاءتهم سيئة اتى في جانب الحسنة بكلمة اذا
المستعملة فيما تحقق وقوعه وعرفت الحسنة للاشارة الى سعة رحمة الله تعالى وكونها
كالواجب وقوعه وانما لكونها امرا محبوبا يرغب فيها كل احد كان معهودا عندهم جعلها حيث
يتمناه كل احد فعرفت تعريف العهد واتى في جانب السيئة بكلمة ان المستعملة في مشكوك
الوقوع لكونها مما يندر وقوعها بالنسبة الى وقوع الحسنة فلم يكن مما تحقق وقوعه ولانها
دفع منها لما كان قليلا بالنسبة الى الحسنة ناسب ان يعبر عنه بلفظ النكرة قوله
اي سبب خيرهم وشرهم عنده لما قالوا سبب ما جاءنا من الخير والحسنة هو استحقاق
انفسنا اياه وسبب ما اصابنا من السيئة والشر هو شآمة موسى ومن معه كذبهم
الله تعالى في كل واحد من الحكمين بقوله الا انما طائرهم عند الله اي سبب ما اصابهم من
الخير والشر انما هو عند الله وصفة قائمة به وهي قضاؤه وتقديره ومشيته وهو الذي
ايتهما شاء اصابهم به وليس بيمن احد وشومه عبر عما عند الله تعالى بالطائر تشبيها له
بالطائر الذي يستدل به على الخير والشر قوله او سبب شومهم عند الله على ان الطير والطائر
عبارتان عن الشوم على طريق تسمية المدلول باسم الدليل بناء على انهم يستدلون
بالطير على الشوم قوله وهو اسم الجمع كقوم ورهط وقيل هو جمع طائر مثل صاحب
وصحب وجمع الطير طيور واطيار مثل فرخ وافراخ وقيل الطير ايضا قد يقع على الواحد كما في
قوله تعالى فيكون طيرا باذن الله على قراءة من قرأ طيرا قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من
آية عطف على ما قالوه اولا من ان ما اصابهم من الحسنة فلاجلهم واستحقاقهم لها وما
اصابهم من السيئة فبشوم موسى ومن معه وليس شيء منهما بتقدير الله تعالى وقضائه
بين

من بيده جرى الى اخرين لهم وهي انهم لم يميزوا بين المعجزات الباهرة الالهية وبين
تمويهات السحرة وجعلوا ما اتى به موسى عليه الصلوة والسلام من انقلاب العصا حية و
نحوه من باب السحر ومهما اسم شرط يجزم فعلين كقولك مهما تفعل افعل كان قائلا قال لك لا تقدر
على ما افعل فتقول له مهما تفعل افعل واختلفوا فيه فقال بعضهم هي كلمة غير مركبة على وزن
فعلى نحتها على هذا ان تكتب بالياء وقال الاخرون انها مركبة ثم اختلف هؤلاء فذهب الخليل
الى ان اصلها ما الشرطية زيدت عليها ما التاكيد الجزاء كما تزاد على سائر كلمات الشرط نحو متى ما
واما واينما لكن لما استكره تتابع المثلين فابدل الف ما الاولى هاء لتجانسهما في
الهمس فصار مهما وقال الزجاج هي مركبة من مه الذي يصوت به الكاف اي هو صوت
يتلفظ به من يكف غيره وما الشرطية وفيه بعد اذ لا معنى للكف مع معنى الشرط الا على بعد
وهو ان يقال فيما تفعل افعل مثلا انه رد على كلام مقدر كانه قال لك قائل لا تقدر على ما افعل فتقول
له مهما تفعل افعل وكان القبط قالوا لموسى عليه الصلوة والسلام اكفف عن دعوى الرسالة
من رب العالمين ما تأتنا به من آية فما نحن لك بمؤمنين وهي على القولين اي سواء كان
اصلها مه مع ما الشرطية او ما الشرطية مع ما المزيدة لتاكيد الجزاء وهي اسم شرط في محل
الرفع على الابتداء خبره فما نحن لك بمؤمنين او في محل النصب بفعل يفسره تأتنا به اي
اي شيء تحضرنا تأتنا به كقولك زيدا ضربته ونحو ذلك مما اضمر عامله على شريطة التفسير و
ضمير به يرجع الى مهما باعتبار لفظه وضمير بها يرجع اليه ايضا باعتبار كونه مبينا بآية وقوله من
آية بيان لمهما روي انه لما قال القوم لموسى عليه الصلوة والسلام مهما تأتنا به من آية
فهو سحر ونحن لا نؤمن بها وكان عليه الصلوة والسلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم
فقال ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة
تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم عبرة فارسل الله تعالى ما ذكره من الآيات المفصلات
والطوفان ما طاف بالقوم وعمهم واحاط بالجماعة من كل جانب كالماء الكثير والقتل
الذريع والموت الجارف اي العام يقال جرفت الشيء اجرفه بالضم اذا ذهبت به كله او جله قال
تعالى وطاف عليهم طائف من ربك وغالب استعماله في الماء الكثير الذي يغشى اماكنهم وحروثهم
فلذلك بينه المص بقوله من مطر وسيل وايده بقوله روي انهم امطروا ثمانية ايام الخ والموتان
بالضم الموت العام الواقع في الماشية والطاعون اخص منه لانه يختص بالانسان والجراد
جمع جرادة يقال له بالتركي كنه قوله الى تراقيهم جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر
والعاتق وهو موضع الرداء من المنكب والقمل قيل هي القردان وقيل دواب اشبهها

عن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه كان يدعو على الجراد
يقول اللهم اهلك الجراد اللهم اقطع
دابره اللهم اقتل كباره واهلك
صغاره وافسد بيضه وخذ
بافواهه عن معايشنا وارزاقنا
انك سميع الدعاء وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا
الجراد فانه جند الله
الاعظم كذا في رواية
الاوسط وروي مكتوب
على صدر كل جرادة
جند الله الاعظم
مسلم

الاصغر منها وقيل هي السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل انه شيء يقع في الزرع
ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي غضة قبل ان تقوى فيطول الزرع ولا سنبل له وقرأ
الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد به القمل المعروف الذي يقع في بدن الانسان
وثوبه **قوله** آيات نصب على الحال من مفعول ارسلنا اي ارسلنا عليهم هذه الاشياء
حال كونها علامات مبينات او منفصلات بان فصل بعضها عن بعض بزمان يمتحن فيه
احوالهم انهم هل يعتبرون ويهتدون بالمعجزات والحجج الباهرة ويستمرون على المخالفة
والعناد **قوله** يعني العذاب المفصل او الطاعون يعني ان الرجز اسم للعذاب ثم انهم
اختلفوا في العذاب المراد به هاهنا فقال بعضهم انه عبارة عن الانواع الخمسة المذكورة
من العذاب النازل بهم وقال سعيد بن جبير المراد بالرجز هاهنا الطاعون وهو عذاب
سادس من جملة ما اصابهم فمات به القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا
غير مدفونين فقدم الاحتمال الاول لان حمل اللفظ على المعلوم اولى من حمله على المشكوك
فيه **قوله** بعهده عندك على ان تكون ما في قوله بما عهد عندك مصدرية وان يكون المراد
بالعهد النبوة وان تكون الباء صلة لادع اي ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب بحق ما
عندك من عهد الله وهو النبوة فان حق النبوة مقتضاها ان يدعو النبي لامته لدفع
ما اصابهم من البلايا والمحن سميت النبوة عهد الله للمبالغة في كونها معهودا بها فانه لما
بعثه رسولا واوصاه بتحمل اعباء الرسالة ومشاق التبليغ فقد جعلت النبوة مما اوصي
به وعهد فجعلت نفس العهد للمبالغة في كونها معهودا بها **قوله** او بالذي عهده اليك اي اوصاه
اليك وامرك به على ان تكون كلمة ما موصولة عبر بها عما يدعوه به المتضرع الى الله تعالى في
طلب حاجته والباء ايضا صلة لادع اي ادع بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك
وقوله ان تدعوه به بدل من ضمير عهده وان كان قوله بما عهد اليك حالا من ضمير ادع تكون
الباء متعلقة بمحذوف اي ادع ربك متوسلا اليه بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده
اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك عند توسلك به **قوله** او تتعلق بفعل محذوف دل عليه
التماسهم بقولهم ادع لنا ربك ليت شعري ما الحاجة الى ارتكاب حذف عامل يتعلق به
حرف الجر اعتمادا على دلالة ادع على ذلك المحذوف مع كون ادع صالحا لان يتعلق به حرف
الجر ولا يصار الى ارتكاب الحذف الا اذا دعت الضرورة اليه وقوله الى اجل يتعلق بقوله
كشفنا وقوله هم بالغوه في محل الجر على انه صفة لاجل وجواب لما ينبغي ان يكون امرا مرتبا
على ابتداء وقوع ما دخلت عليه كلمة لما فيقتضي ان يكون النكث واقعا عقيب حدوث الكشف

يعني وهو صلة لادع
قوله بما عهد على تقدير ان
تكون ما مصدرية يكون
متعلقا بقوله ادع فعلنا
معنويا بان تكون الباء
فيه للقسم في السؤال
يسمى قسم الاستعطاف
وهو ما يكون جوابه جملة
طلبية كما في قولك بحق ربك
اخبرني فتكون ادع لنا
جواب القسم كانه قيل
اقسمنا بحق ما عندك
ادع لنا سلمه

الكشف والنكث ابتداء وقوعه من غير اعتبار بلوغه الى حد يعذبون فيه او يهلكون وذكر الغاية
ينافي كونه مرتبا على ابتداء وقوعه بحسب الظاهر ولا شك في انه حقيقة لان النكث انما يجيء
ابتداء وقوع الكشف لا الكشف بشرط انتهائه الى التعذيب والاهلاك حتى يكون النكث
بعد موتهم او غرقهم الا انه قيد الكشف بقوله الى اجل ليعلم ان كشف الرجز الواقع بدعائه
عليه الصلوة والسلام ليس المراد منه ارتفاع الرجز عنهم بالكلية بل المراد منه الكشف
الذي ينتهي به وفاؤهم بالعهد واصرارهم على الكفر والعناد **قوله** فاجئوا النكث
عقيب ابتداء وقوع الكشف تبين اصرارهم على الكفر فاعيد عليهم الرجز بالتعذيب
او الاهلاك واعلم انه تعالى بين ما كانوا عليه من المناقضة القبيحة لانهم تارة يكذبون
موسى وتارة عند الشدائد يفزعون اليه فزع الامة الى نبيها ويسألون ربه دفع ذلك
العذاب عنهم وذلك يقتضي انهم سلموا كونه نبيا مجاب الدعوة بعد زوال تلك الشدائد يعودون
الى تكذيبه والطعن في نبوته زاعمين انه انما يصل الى مطالبه بسحره فهم يناقضون انفسهم
في هذه الاقاويل **قوله** اي فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث اي زمان النكث لما جعل اذا
هم ينكثون جواب لما وقد تقرر ان كل واحد مما يلي كلمة لما وجوابها وجب ان يكون ماضيا لفظا
او معنى اول صلة الجواب بقوله فاجئوا النكث وجعل لما ظرفا لذلك الفعل المقدر وكلمة اذا مفعولا
به له والانتقام العذاب الواقع على طريق مجازاة السيئة بالسيئة والفاء فيه لسببية
النكث للانتقام والعقاب بحمل الانتقام على ارادة الانتقام لئلا يلزم كون الاغراق بعد الانتقام
والمعنى لما نكثوا العهد كلما كشفنا عنهم العذاب ولم ينتهوا عن الكفر والضلال وبلغوا الاجل
الموقت لهلاكهم اغرقناهم والنكث النقض واصله من نكث الصوف المغزول ليغزل ثانيا
فاستعير لنقض العهد بعد احكامه وابرامه كما في خيط الاكسية اذا نكثت بعدما ابرمت وهذا
من احسن الاستعارات **قوله** وقيل لجته عطف على البحر المذكور يعني ان اليم هو البحر الذي لا
يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه فقوله فاغرقناهم بانهم كذبوا تفصيل لما اجمل
بقوله فانتقمنا منهم فان الانتقام مجمل يتبين بالاغراق وكذا سببه الذي هو نكثهم العهد
كلما كشف عنهم العذاب مجمل يتبين بتكذيبهم الآيات وعدم فكرهم فيها جعل الغفلة عن الآيات
مجازا عن الحالة المؤدية اليها وهي عدم الالتفات اليها وعدم النظر والتفكر فيها فان من
اعرض عنها ولم يتفكر في ان ما اصابه من الشدائد انما اصابه بشؤم مخالفته وعصيانه وعدم انقياده
بما اتى به الرسول من المعجزات التي تميز بها المحق عن المبطل كان كالغافل عن الآيات منزلا منزلة
البهائم وانما حملها على المجاز لان حقيقة الغفلة ليست من الافعال الاختيارية للانسان بل هي

فانتقمنا [illegible]
فعلية فانا نكثنا
للدلالة على [illegible] الانتقام منهم
المذكور سابقا

بمنزلة النسيان فلا يصح ان يتهم بها الانسان فيعلم انه يجب على الانسان النظر في الدلائل والتفكر فيها وان الاعراض عنها من لم يتفكر فيها فذلك يدل على ان التكذيب كان مذموما **قوله** وقيل الخبر فيه نوله عنها للنقمة والمحن وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين وكان هذا القائل انما ذهب اليه لكونه خلاف الظاهر بناء على ان تخيل الغفلة عن الآيات عذر لهم في تكذيبها من حيث ان الغفلة ليست من كسب الانسان **قوله** مشارق الارض مفعول ثان لاورثنا فانه قبل النقل الى باب الافعال يتعدى الى مفعول واحد نحو ورثت اباه وبالنقل تعدى الى مفعولين وهو مشارق الارض ومفعوله الاول قوله القوم الذين كانوا يستضعفون يعني بني اسرائيل كان قوم فرعون يستذلونهم بقتل ابنائهم واستخدام نسائهم فاهلكهم الله بالاغراق ومكنهم على منازلهم ومساكنهم واورثهم ارضهم وديارهم وحمل الارض على ارض الشام ومشارقها ومغاربها جانباها الشرقية والغربية لان بني اسرائيل ملكها اغراق فرعون وقومه عند انقضاء مدة التيه ولانه وصفها بقوله التي باركنا فيها لان المراد باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق بكثرة المياه والاشجار وفنون الثمر وبكونها مساكن الانبياء والاولياء وذلك انما يليق بارض الشام وقيل المراد بها ارض الشام ومصر ونواحيهما الشرقية والغربية لان بني اسرائيل ملكوا ارض الشام اولا وملكوا ارض مصر في زمن داود وسليمان عليهما الصلوة والسلام وحلت البركة في نواحي ارض مصر بكثرة الزروع والثمار واصناف النبات والاشجار **قوله** ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اي ما وعده الله في حقهم من اهلاك عدوهم واستخلافهم في ارض عدوهم فسر كلمة الله بوعده اياهم بالنصر والتمكين وهو ما ذكره بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وفسر مضيها وانتهاءها الى الانجاز لان العدة بالشيء التزام لايقاعه بالعبارة واللسان وتمامها لا يكون الا بوقوع الموعود في الخارج والعيان **قوله** بسبب صبرهم على الشدائد على ان الباء سببية وما مصدرية ومتعلق الجر محذوف وهذه السببية كفى بها حثا وترغيبا على الصبر فان الصبر مفتاح الفرج **قوله** بعد مهلك فرعون الظاهر ان البعدية فيه رتبية فان عبور الجم الغفير عن البحر العميق من غير ان يبتل قدم احد اعظم آية بالنسبة الى هلاك عدوهم والا فالظاهر ان هلاك فرعون وقومه متأخر عن عبور بني اسرائيل البحر **قوله** تسلية مفعول له لقوله ذكر ما احدثه بنو اسرائيل يعني انه تعالى انما اقتص قصة بني اسرائيل وما احدثوه بعد ما رأوا من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رآه من بني اسرائيل بالمدينة **قوله** وقيل من لخم حي من اليمن

ومنهم

ابنا لنا زماننا عم

ويعني ارض ان م حصلت بالمراد ايضا مع انهم ملكوا ارض مصر ايضا صرح به ان بحث وغيرها بانهم ملكوا ارضها لعدم جزم بانهم ملكوا ارض ن ان النقض كما يستفاد منه اولا ان الارض مستوى الكلام من الآية الكريمة بيان ما تمكنوا او تولوا به من الارض وليس هو الا جهات شرق ارض ان م وجهات غربها من النواحي لانها ان ما تمكنوا من الارض بر شدك اليه قوله تعالى من دون الارض ومغاربها والا فغير المشارق والمغارب من نواحي ارض الشام ووسطها معروف لهم ايضا فتأمل

سنان

ما انها كالم المنه صح

في قوله كالم

٤٧

ومنهم الانف ملوك العرب في الجاهلية وقيل انه قبيلة بمصر والكاف في قوله كما لهم آلهة في محل النصب على انها صفة لقوله الها وما كافة للكاف التشبيه عن العمل لانها دخلت ههنا على الجملة مع ان حق حروف الجر ان تجر اسما مفردا **قوله** وصفهم بالجهل المطلق حيث لم يذكر مفعوله اما للاطلاق والتعميم ولاجرائه مجرى اللازم واكده بان وتوسيط قوم وجعل ما هو المقصود بالاخبار صفة له ليكون كالمحفوظ المعلوم **قوله** مكسر مدمر يعني ان قوله متبر من التبار وهو التكسير والهلاك يقال تبره تتبيرا اي كسره واهلكه ويقال الكسارة الذهب تبر لتكسرها والتهالك الناس عليها والدنانير اجمعها للاكرة ورضاض الشيء فتاته وكل شيء كسرته فقد رضرضته **قوله** بابقاع هؤلاء اسم ان فان هؤلاء من حيث كونه من اسماء الاشارة تفيد تمييز المشار اليه اكمل التمييز ومن حيث كونه مما يشار به الى البعيد يفيد تحقير المشار اليه وتحقير الشيء بعد تمييزه اكمل التمييز ابلغ في تحقيره **قوله** والاخبار عما هم فيه بالتبار اشارة الى ان ما موصولة وهم فيه جملة اسمية صلته الموصول وعائده والموصول مع صلته في محل الرفع على الابتداء ومتبر خبره قدم عليه ليؤذن بان حال ما هم فيه ليست غير التبار وحال عملهم ليست الا البطلان وهم لا يعدونهما وهما لهم ضربة لازب **قوله** وتقديم الخبرين في الجملتين وهما قوله متبر وباطل فان تقديم الخبر يفيد قصر الموصوف على الصفة فيدل على ان حال ما هم عليه ليست غير التبار وان حال عملهم ليست غير البطلان ولا يحصل هذا المعنى بتأخير الخبر **قوله** تنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة علة لقوله وتقديم الخبرين فان تقديمهما يؤذن ان حال ما هم عليه من الدين ليست الا التبار وان حال عملهم ليست الا البطلان وان التبار والبطلان لازمان لما هم فيه بقوله لا محالة والى لزوم البطلان لما مضى عنهم بقوله لازب واللام في قوله لما هم فيه صلة لاحق ولزوم الدمار لما هم فيه مستفاد من تقديم قوله متبر على قوله ما هم فيه ولزوم البطلان لما مضى عنهم مستفاد من تقديم قوله باطل على قوله ما كانوا يعملون **قوله** تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا علة لقوله وانما بالغ **قوله** اطلب لكم يعني ان قوله ابغيكم بمعنى ابغي لكم يقال بغيت لكم شيئا وبغيتكم شيئا بمعنى فالكاف يبغونكم الفتنة اي يبغون لكم اجاب موسى عليه الصلوة والسلام لبني اسرائيل حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة بوجوه كثيرة اجابهم اولا بقوله انكم قوم تجهلون وثانيا بان هؤلاء القوم متبر وثالثا بان ما كانوا يعملونه باطل ورابعا بان تعجب منهم على وجه الانكار والتوبيخ وقال أغير الله ابغيكم الها وغير منصوب على انه مفعول به لابغيكم وقوله الها اما تمييز او حال والتقدير

نصب عموم الكلام بحيث يعني انكم قوم تجهلون بكل شيء وهذا انسب بما يشعر بحالهم اللفظ

سنان

ابغي لكم غير الله جهة كونه معبودا او حال كونه معبودا ويجوز ان يكون آلها مفعولا به لابغيكم ويكون غيرا حالا منه والاصل ابغي لكم آلها غير الله صفة لاله فلما قدمت صفة النكرة عليها انتصب حالا قوله تعالى وهو فضلكم حال اما من الجلالة او من المخاطبين والمراد بالجملة على كل واحد من ضميريهما والظاهر ان المراد بكونهم مفضلين على العالمين انه تعالى خصهم بآيات قاهرة ومعجزات باهرة لم يحصل مثلها لاحد من العالمين قوله وفيه تنبيه اي وفي تعقيب الجملة الانكارية بهذه الجملة الحالية تنبيه وبيان لوجه الانكار قوله بما لم يمنحوه من النعم متعلق بتخصيص الله اياهم وقوله تنقلا علة للتخصيص وقوله ان قصدوا متعلق بتقوله فابلوا والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم آلها وهو الذي فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم ينعم بها على احد من العالمين ثم ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه فقال واذ انجيناكم قدر عامل الظرف وهو اذكر وقدر مفعوله ايضا وهو قوله صنيعكم موافقة لما اجمع عليه النحاة من ان كلمة اذ لازمة الظرفية ولو لم يقدر مفعولا لاذكر لكان اذ مفعولا به وهو خلاف الاجماع ثم استانف ببيان انجائهم فقال يسومونكم اي يبغونكم سوء العذاب اي اشده وافظعه ويحتمل ان تكون الجملة حالا من المفعول الصريح لانجيناكم ومن غير الصريح لاشتمالها على كل واحد من ضميريهما ولما جاز كونها حالا من كل واحد منهما معا لذلك قرأ نافع يقتلون على انه مضارع قتل الثلاثي وقرأ الباقون بالتشديد على بناء التفعيل لتكثير المفعول قوله نعمة او محنة نشر على ترتيب اللف فان كان المشار اليه الانجاء يكون البلاء بمعنى النعمة وان كان ذلكم اشارة الى العذاب يكون البلاء بمعنى المحنة فان البلاء يطلق على كل واحد منهما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات ثم انه تعالى شرع في بيان كيفية نزول التورية على وجه يتضمن بيان نوع آخر مما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة وهو ما ذكر بقوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار فقال واذ واعدنا موسى ثلثين ليلة عطفا على جملة قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قوله تعالى ثلثين ليلة ليس ظرفا لواعدنا لان المواعدة لم تقع في الثلثين بل هو المفعول الثاني لواعدنا فانه يتعدى الى مفعولين الا ان الموعود لما وجب ان يكون من فعل الواعد ونفس الثلثين ليس فعلا لواحد ممن قامت به المواعدة وجب لتصحيح الكلام من اعتبار الحذف وان يكون المحذوف متضمنا لكل واحد منهما وعده الله تعالى لموسى وهو ان ينزل عليه التورية ان صام ثلثين يوما واتى الطور ومما وعده موسى لربه وهو ان يصوم تلك المدة فيتاتى الطور فكانه قيل وواعدنا موسى ما يتعلق بثلثين ليلة و

قوله استنافا فجوابا بالسؤال هو من اتى بشيء انجاهم وما فعل بهم فرعون ويحتمل ان يراد الاستئناف النحوي ويؤيده قول الزمخشري لا محل له وقول المص او حال ويؤيد الاول قوله بيانا لما انجاهم منه ويسومونكم حكاية حال ماضية قوله او منهما معا اما من المخاطبين فباعتبار وقوع الفعل عليهم واما من آل فرعون فباعتبار تعلق الفعل بهم وصدوره عنهم قوله بدل منه ويحتمل الثاني ان جعل يسومونكم حالا
سنان افندي

قوله تعالى يسومونكم اي يبغونكم سوء العذاب اي يبغونكم باشد العذاب يقال سامه خسفا اذا اولاه ظلما وقيل يسومونكم اي يطلبونكم لكن الطلب يتعدى الى واحد فلابد من تضمين فعل يتعدى الى اثنين وهو التكليف اي يطلبونكم مكلفين اياكم سوء العذاب
سلمه

ان المص صاحب الحواشي تعلق وفيه حذف اي اتمام ثلثين اوتمت ثلثين
منه

وهو ان ينزل التورية عقيب تمام صوم الثلثين ومن صومه فصوم تلك المدة واتيان الطور وقال اكثر المفسرين ان تلك الثلثين كانت شهر ذي القعدة بتمامه اخبره الله تعالى بتمامه حقيقا ليكلمه فيوصي اليه ويكرمه بالتكلم به امر بتوحيد عمامته في موضع عليه الصلوة والسلام على طريق المواصلة بين ليلتين ونهارين فلما انسلخ الشهر كره ان يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول شيئا من نبات الارض فمضغه فاوحى الله تعالى اليه لا اكلمك حتى يعود فوك الى ما كان عليه اما علمت ان رائحة فم الصائم احب الي من ريح المسك وامره بصيام عشرة ايام من ذي الحجة وعلى هذه الرواية يكون الوحي والتكلم يوم النحر وقيل ان الثلثين كانت شهر ذي الحجة بكماله والعشر عشر المحرم فيكون المناجاة والتكلم في يوم عاشوراء والله تعالى اعلم والخلوف بالضم مصدر خلف من باب نصر وهو تغير رائحة الفم قوله بالغا اربعين اشارة الى ان اربعين نصب على انه حال من قوله ميقات ربه اي تم بالغا هذا العدد وقال في سورة البقرة واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ولم ينقل الاربعين الى الثلثين والعشرة وفصله في هذه الآية اليهما ولعل الحكمة في التفصيل ههنا بيان ان اصل المواعدة كان على صوم الثلثين وان زيادة العشر انما كانت لازالة الخلوف وما ذكر في سورة البقرة من اجمال الاربعين بيان لخلاصة الموعود ولكل وجهة والمص اشار الى هذه الحكمة بذكر قوله روي انه عليه الصلوة والسلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر الخ وقوله وقيل امره بان يتخلى عطف على قوله روي ان وقيل الحكمة في تفصيل الاربعين في هذه الآية الى الثلثين والعشر ان الثلثين مدة ضربت بان يتخلى ويتجرد فيها لما يتقرب به الى الله تعالى من الصوم وسائر وجوه العبادة وان العشر الذي بعدها مدة ضربت وعينت لان يفوز فيها بكرامة مولاه من انزال التورية عليه وتكليمه ومناجاته معه في تلك المدة روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجى موسى ربه بمائة الف واربعين الف كلمة في ثلثة ايام وصايا كلها فكان فيما ناجاه ان قال له يا موسى لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي اما الزاهدون في الدنيا فابيحهم جنتي فيها حتى يتبوؤا فيها على اطيب لمس ارغده واما الورعون عما حرمت عليهم فاذا كان يوم القيمة لم يبق عبد الا ناقشته الحساب الا الورعين فاني اجلهم واكرمهم وادخلهم الجنة بغير حساب واما البكاؤن من خشيتي فان اولئك لهم الرفيع الاعلى لا يشاركون فيه ثم ان موسى لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امر الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه من ذوي الجد والعقل ليشهدوا

قوله بالغا اربعين فاربعين حال من المحذوف هو حاله من المفعول ويجعل هو حالا اجراء للمعمول الباقي مجرى العامل المحذوف في اعراب ذلك العامل ومثله شائع كما في زيد في الدار وعندك وجاء زيد بشبابة السفر فيقولون لكائن في الدار وعندك اخبر ولابس شباب السفر حال مع ان الخبر والحال في الحقيقة هو العامل المقدر وفيه ان هذا انما يكون في الظروف وما يجري مجراها دون غيرها ليشهد به التتبع وقد يجعل اربعين مفعولا به بتضمن تم معنى بلغ لا يكون تم بمعنى بلغ كما توهم سنان
ترجمه ابن كمال باشا

ليعلم ما يفعلونه وتزيين كرامة الله تعـ اياه فيعلموا ويتخلف اخاه هرون عليهم ليكون نعم الكرامة
خليفتي على قومي واصلح امورهم وسقهم بالسيرة الصالحة التي لا فساد فيها وقمهم على
اخلفهم عليه من الايمان واخلاط الجبابرة لدى قوله واصلح ما يجب ان يصلح على انه
لم يفعل قوله او كن مصلحا عليه انه بمنزلة اللازم فان قيل ان هرون كان شريك موسى
في النبوة وكان اكبر سنا منه فكيف جعله خليفة لنفسه على ان شريك الانسان اجل حالا
من خليفته ورد الانسان من منصب الى ما هو دونه لا يجوز لكونه اهانة له فكيف فعله
موسى قلنا ان الامر كذلك لكن كان موسى اصلا في تلك النبوة وكان هرون مامورا باتباعه
وردءا له ووزيرا الا كليما ولا صاحب شرع فصح ان يقول له اخلفني في قومي وامره بان يصلح
ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل مع ان النبي شانه ليس الا الاصلاح ومخالفة المفسدين
تاكيدا لامره بالخلافة قوله لوقتنا الذي وقتناه وعيناه وحددناه له اشار به
الى ان الميقات بمعنى الوقت وانه تعـ اضافه الى نفسه لتوقيته تعـ اياه. لما جاء موسى و
انزال التورية عليه كما في قوله تعـ ان اجل الله لآت فانه تعـ اضاف الاجل الى نفسه لثبوته
بتاجيله والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات وقت مقدر لان يقع فيه عمل
من الاعمال وان الوقت ما يقع فيه شيء سواء قدره مقدر لان يقع فيه ذلك الشيء ام لا
قال المص في تفسير قوله تعـ ان يوم الفصل كان ميقاتا اي حدا يوقت به الدنيا وتنتهي
عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه واللام في قوله لميقاتنا للاختصاص اي اختص مجيئه
بميقاتنا كما في قولك اتيته لعشر خلون من الشهر وليست بمعنى عند قوله وفيما روى
من انه عليه الصلوة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه
تعـ ليس من جنس سماع كلام المحدثين لان كلامه تعـ صفة ازلية قائمة بذاته تعـ
ليست من جنس هذه الحروف والاصوات وذاته تعـ ليست في جهة فلا يسمع كلامه من
جهة مخصوصة فان كلمه تعـ عبارة عن ان يسمع كلامه القديم بعض المخلوقين بلا صوت
وحرف فيسمعه من جميع الجهات وروي ان جبرئيل كان معه ولم يسمع ما سمعه موسى من كلام
ربه ولذلك خص موسى باسم الكليم لاختصاصه بذلك من بين البشر وكما لا يبعد رؤية
ذاته تعـ مع ان ذاته تعـ ليست جسما ولا عرضا فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه
ليس من جنس الحروف والصوت وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة وقالت المعتزلة كلام
الله عبارة عن الحروف المؤلفة القائمة بالجسم المباين لذاته تعـ وان تكلمه عبارة عن
ان يخلق الكلام بالمعنى المذكور منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح
ولما

ويختلف في كيفية تكلمه تعـ فقيل بخلقه الكلام منطوقا به في بعض الاجرام من غير ... فسمعه عم اما من جهة وبا فيه الرواية او من جميع الجهات على خلاف المعتاد وقيل سماعه كلامه القديم من غير صوت ولا حرف كما يرى ذاته في الاخرة بلا كم ولا كيف فهذه ثلثة مذاهب فذهب الكلام ذاهب المذهب الاول للمعتزلة والثاني للشيخ ابي منصور الماتريدي والثالث للامام حجة الاسلام
سنان

ولما كان الكلام المحدثين من جنس الحروف والاصوات القائمة بالاجسام المتمكنة في مكان وجب
ان لا يسمع الا من الجهة التي كان المتكلم في تلك الجهة ولا يسمع موسى كلام ربه غلب عليه الشوق
الى رؤيته فقال رب ارني انظر اليك شوقا الى مشاهدة ذاته المقدسة وقال مفعول ارني
محذوف حذفه مبالغة في الادب حيث لم يواجهه بالتصريح بطلب رؤيته والتقدير
ارني نفسك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك قوله بان تمكنني من رؤيتك او بان تتجلى لي
جواب عما يقال النظر في قوله انظر اليك اما ان يكون عبارة عن الرؤية او عن مقدمتها
التي هي تقليب الحدقة الى جانب المرئي طلبا لرؤيته فعلى الاول يكون المعنى ارني نفسك حتى
اراك وهذا المعنى فاسد لان الشيء لا يكون غاية لنفسه وعلى الثاني يكون المعنى ارني نفسك
حتى اقلب حدقتي الى جانبك وهذا ايضا فاسد لوجهين الاول انه يقتضي اثبات الجهة له
تعـ والثاني ان تقليب الحدقة الى جانب المرئي مقدمة الرؤية وقد جعل غاية للرؤية ونتيجة
لها وهو فاسد وتقرير الجواب ان النظر بمعنى الرؤية الا ان المطلوب بقوله ارني ليس ان يخلق الله تعـ
رؤية ذاته المقدسة في موسى حتى يلزم كون الشيء غاية لنفسه بل المطلوب به ان يمكنه من
رؤية ذاته المقدسة او ان يتجلى ويظهر له بطريق اطلاق اسم الرؤية على مقدمتها وسببها
فان تمكينه تعـ اياه من الرؤية وكذا ان يتجلى له سبب لرؤية موسى اياه تعـ فاطلق عليه اسم
الرؤية المسببة عنه مجازا فلا اشكال قوله وذلك ادل لكونه تعـ جائز الرؤية في الجملة
اجاب الله تعـ موسى حين سال رؤية ذاته تعـ بنفي كونه عليه الصلوة والسلام قابلا للرؤية
حيث قال لن تراني لا بنفي اصل الرؤية بان يقول لن ارى ولو لم يكن جائز الرؤية لاجابه
بنفي اصل الرؤية بان يقول لن ارى فان قوله تعـ لن تراني لا يدل على امتناع رؤيته في نفس
الامر بل يدل على قصور الطالب عن رؤيته لتوقف الرؤية على حصول ما يستعد به الطالب
لرؤيته وعدم حصول ذلك المعد فيه بعد فانه يجوز ان يبقى فيه ح شيء من الحجاب المانع
لرؤيته اياه لم يرتفع ذلك الحجاب بعد وكلامه يدل على انه تعـ لو رد بان قال لن اريك ولن
تنظر الي لدل الكلام على امتناع رؤيته تعـ في نفس الامر وفيه بحث لان نفي اراءة ذاته
تعـ اياه لا يدل على نفي الاراءة مطلقا وكذا نفي النظر عنه لا يدل على انتفائه مطلقا لان
نفي المقيد من حيث انه مقيد لا يدل على انتفاء المطلق قوله وجعل السؤال لتبكيت قومه
لما كان سؤال الرؤية من موسى بقوله رب ارني انظر اليك دالا على جواز الرؤية في الجملة
من حيث ان موسى كان من اعلم الناس بالله تعـ وبصفاته وما يجوز في حقه وما لا يجوز
ولو كانت الرؤية في حقه تعـ ممتنعة لكان طلب رؤيته طلبا لما يستحيل في حقه تعـ وطلب

قياسا للرؤية على السماع من حيث انهما مدركان من غير جهة ... رويته

المستحيل لا يجوز ان يصدر من الانبياء خصوصا اذا اقتضى الجهل بالله تعالى وما يجوز في حقه وما لا يجوز اضطرت الى تاويل الاية فلو شئت ظاهرها بخالفنا ما ذهبوا اليه من امتناع الرؤية في حقه تعالى فقالوا في تاويلها انه عليه الصلوة والسلام لم يطلب الرؤية بناء على اعتقاد كونه تعالى جائز الرؤية وانما طلبها ليبكت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة فانهم لما طلبوا الرؤية انكر عليهم موسى واعلمهم الخطاء ونبههم على الحق فلجوا او تمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد من ان نراه ولا نؤمن لك حتى نراه فاراد عليه الصلوة والسلام ان يسمعوا النص من عند الله تعالى بالنحيلة ذلك وهو قوله تعالى لن تراني ليتيقنوا استحالته وينزجروا عن طلبه فلذلك قال رب ارني انظر اليك لا اعتقاد كونه تعالى جائز الرؤية فالمصنف ابطل تاويلهم وجعله خطاء وقال لو كانت الرؤية ممتنعة في حقه تعالى لوجب على موسى اقامة الدليل القاطع الدال على انه تعالى لا يجوز رؤيته وان يمنع قومه عن هذا السؤال باقامة ما يدل على امتناع رؤيته ولما لم يفعل ذلك مع كونه واجبا عليه لكون الانبياء عليهم الصلوة والسلام مبعوثين لتحقيق الحق وابطال الباطل علم انه تعالى جائز الرؤية وانه عليه الصلوة والسلام انما طلبها شوقا الى مشاهدة ذاته المقدسة حين سمع كلامه ولم يطلبها لتبكيت قومه والا لكان موسى تاركا للواجب ولا يجوز ترك الواجب على الانبياء قوله والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء تقرير الاستدلال ان كلمة لن لتابيد النفي لتصريح اهل اللغة بذلك فقوله تعالى لن تراني دال على موسى لا يرى الله تعالى ابدا ومن اصطفاه الله تعالى على الناس برسالته وكلامه من غير واسطة اذا لم يره ابدا كان غيره اولى بذلك فدل الجواب المذكور على استحالة رؤيته تعالى بهذا الوجه وابطل المصنف هذا الاستدلال من ثلثة اوجه الاول ان الاخبار بان موسى لا يرى الله تعالى لا يدل على انه لا يراه ابدا قال الامام الواحدي كون كلمة لن مفيدة لتابيد النفي في دعوى باطلة على اهل اللغة لا يشهد بصحته كتاب معتبر ولا نقل صحيح ويدل على فساده قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنون الموت يوم القيمة يقولون فيه يا مالك ليقض علينا ربك يا ليتها كانت القاضية والثاني ان الاخبار بعدم رؤية موسى اياه لا يدل على ان غيره لا يراه اصلا والثالث ان مدعى المستدل استحالة الرؤية وعدم وقوع الرؤية لا يدل على استحالتها ولما ابطل دليل من يدعي استحالة الرؤية ذكر انه ليس له ان يدعي الضرورة في هذه المسئلة بناء على ان دعوى الضرورة فيها مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية فان الرؤية وان كانت عبارة عن ادراك المرئي بحاسة البصر بعد النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته وان الادراك بالحاسة وتقليب الحدقة نحو المدرك انما يكونان اذا كان المدرك في جهة الا

الا ان ذلك انما يستلزم امتناع الرؤية اذا كانت الحاسة والقوة التي فيها باقيتين على هذه الحالة وذلك غير لازم لجواز ان يخلق الله تعالى في الحاسة قوة بها تتمكن النفس من رؤية ما ليس في جهة ولا جوهر ولا عرض وادراكها اياه عند النظر وفتح العين وتقليب الحدقة فان الرائي المدرك ليس هذا العضو المخصوص ولا القوة الحالة فيه بل هو شيء اخر يستعين في الرؤية والادراك بهما بما خلق الله تعالى فيهما بما تستعد به النفس من مشاهدة المرئي الواقع في جهة فلم لا يجوز ان يخلق الله فيهما ما يستعد به النفس من مشاهدة ما ليس بجسم ولا عرض ولا في جهة ومكان فلا يجدي الدعوى الضرورة فيها قوله استدراك يريد ان يبين ان لا انطباق بين لن تراني وانظر اليه يريد به بيان وجه اتصال هذا الاستدراك بما قبله وانه انما يقع بين كلامين متقابلين بالنفي والاثبات وذلك غير ظاهر بين قوله لن تراني لما كان جوابا لقوله ارني انظر اليك كان في قوة ان يقال لا تطلب النظر الي فانك لا تطيقه فيظهر وجه الاستدراك فكانه قيل لكن اجعل بيني وبينك ما هو اقوى منك وهو الجبل الذي بحضرتك فان استقر مكانه اي سكن وثبت فسوف تطيق ان تنظر الي وان لم يستقر مكانه فانك لا تطيق النظر الي فان الجبل مع صلابته لما تاثر من التجلي ولم يطق ذلك اندك وتفتت وتلاشى فكيف يطيق به الانسان الذي يدهش عند مشاهدة الامور الهائلة فكيف عند مشاهدة ذي العظمة والجلال المطلق الذي لا يوصف كبرياؤه وجلاله قوله والجبل قيل هو جبل زبير قيل هو اعظم جبل بمدين قوله مدكوكا معناه ان قوله دكا وقع موقع المفعول الثاني لجعل بمعنى صير يقال دككت الشيء ادكه دكا اذا دققته من انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى ربه للجبل صار لعظمته ستة اجبل فوقعت ثلثة منها بالمدينة احد وورقان ورضوى ووقع ثلثة بمكة ثور وثبير وحرا قوله ظهر له عظمته فسر التجلي بالظهور ولما لم يعقل ظهور ذاته الله تعالى للجماد قدر المضاف وهو العظمة والاقتدار والامر ومعنى ظهور عظمته تعالى واقتداره للجبل تعلقها به وظهور اثرها فيه قوله وقرا حمزة والكسائي دكاء بالمد والابالتنوين وهو تانيث الادك مثل احمر حمراء يقال ناقة دكاء اذا ذهب سنامها اي جعله ارضا مستوية وقد كان اعظم جبل بمدين ومن قراء دكاء جعله دكاء مثل حمراء احتاج الى تقدير الموصوف لان الجبل واحد مشخص لا يوصف بالجمع اي جعله جبلا اصغر الكثرة قوله مر تفسيره وهو انا اول من امن بك من امته قوله اي الموجودين في زمانك خص الناس باهل زمانه لانه تعالى لم يخبره على جميع الناس بالرسالة لان كثيرا من الناس سواه في الرسالة وقيل المعنى اني اصطفيتك على الناس جميع بمجموع امرين الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع لم يحصل لغيره وهرون وان كان نبيا واكبر منه سنا لكنه

[illegible]

كان مأمورا باتباعه وردءا له ووزيرا لا كليما ولا صاحب شرع قال تعالى حكاية عنه فارسله معي
ردءا يصدقني واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي ولما كان موسى اصلا في امر النبوة صح
ان يقال اني اصطفيتك على الناس دون اخيك **قوله** يعني اسفار التورية والالواح فانها اسفار من
حيث انها كتبت فيها التورية والاسفار جمع سفر يعني الكتاب قال تعالى اسفوا اي كتبا والرسالة مصدر
بمعنى الارسال وكان المقام مقام ان يقال اني اصطفيتك برسالتي اي بسبب ارسالي اياك والاتيان
بالجمع لفظ الرسالة لم يحمل على المعنى المصدري لان الاصل في المصدر ان لا يثنى ولا يجمع بل حمل
على الشيء المرسل به الى الغير وهو اسفار التورية لما طلب موسى ما اشتد شوقه اليه ولم يجب الى مطلوبه
عدد عليه وجوه نعمه العظيمة وامره بشكرها كانه قال ان كنت منعتك الرؤية فقد اعطيتك من
النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى ما خصصتك به من النعم
الجليلة واشتغل بشكرها والمراد تسلية عليه الصلوة والسلام عن منع الرؤية ه‍ قال الامام
اختلفوا في انه تعالى كلم موسى وحده او كلمه وكلم اقواما اخرين فظاهر الآية يدل على الاول لان
قوله تعالى وكلمه ربه يدل على تخصيص موسى بهذا التشريف والتخصيص بالذكر يدل على نفي الحكم
عما عداه قال القاضي بل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله تعالى لان الغرض من احضار
هم ان يخبروا بما يجري هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكلام وعن ابن عباس
انه قال جاء موسى ومعه السبعون فصعد موسى الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله
موسى وكتب له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع موسى صرير القلم عظم شوقه فقال رب
ارني انظر اليك الى هنا كلام الامام والله تعالى اعلم **قوله** بدل من الجار والمجرور يعني ان
قوله من كل شيء في محل النصب على انه مفعول كتبنا وان قوله موعظة وتفصيلا بدل منه فيكون
كلمة من فيه مزيدة لا تبعيضية ولم يجعلها ابتدائية حالا من موعظة وموعظة مفعولا
به لانه ليس له كثير معنى ولم يجعل موعظة مفعولا له وان كانت شرائط النصب حاصلة
لان الظاهر ان قوله تفصيلا عطف عليه وظاهر انه لا معنى لقوله كتبنا له من كل شيء لتفصيل
كل شيء **قوله** اي باحسن ما فيها الخ اشارة الى جواب ما يقال من انه تعالى انما ارسل موسى
الى قومه ليبلغهم التورية ويكلفهم بما فيها من الاحكام جميعا وقوله تعالى وامر قومك ياخذوا
باحسنها يقتضي ان يكونوا مامورين بان ياخذوا باحسنها وان لا يجوز لهم ان ياخذوا بغير
ذلك لان الامر بالشيء يقتضي النهي عن ضده مع ان احكام التورية باسرها حسن مشروع
يجوز الاخذ بها جميعا اجاب المصنف عنه بثلثة اوجه الاول ان ما في التورية من التكاليف
متفاوتة بعضها حسن وبعضها احسن منه كالعفو والقصاص والصبر والانتصار فان

دلت الايات على ان احدا من السبعين ما شارك موسى عليه السلام في التكليم ويؤيده ما مر من اعتبار الاسفار وانه لا يحصل ان التكليم محمول على سماع الكلام بل بنوع خصوصية الكلام وهو لم يحصل الا لموسى عليه الصلوة والسلام
سنان آفندي

ويحتمل ان يكون موعظة عطفا على مفعول له لوجود شرائط النصب فالمعنى كتبنا كل شيء مما يحتاجون اليه او بعض كل شيء للموعظة ولتفصيل كل شيء من الاحكام فيفيد ان المكتوب منحصر في المواعظ واحكام فالكتابة الفائتة بمجموع الامرين دون كل منهما
سنان

فان كلا واخذ حسنا وان كان من حسنا مشروعا يجوز الاخذ به الا ان العفو احسن من
القصاص والصبر احسن من الانتصار وانه تعالى امرهم بطريق الندب بان ياخذوا بما هو
افضل واحسن لكونه اكثر ثوابا كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقوله تعالى
فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فظهر ان يقال انه تعالى امرنا بالاحسن
لا يدل على منع الاخذ بالحسن ولا يقدح في كونه حسنا لان المنهي عنه لا يكون حسنا وذلك
لانه تعالى انما امرهم بالاخذ بالاحسن على طريق الندب وذلك لا ينافي كون غير الاحسن في
نفسه حسنا مشروعا الوجه الثاني ان التكاليف المشروعة في التورية منقسمة الى الواجب
والمندوب والمباح والله تعالى امرهم بطريق الندب ان ياخذوا بما هو الاحسن منها وهو الواجب
فانه احسن من غيره او امرهم بطريق الندب بان ياخذوا بالواجب والمندوب فانهما احسن
بالنسبة الى المباح وذلك لا ينافي كون الاخذ بالمباح حسنا مشروعا في نفسه وعلى الوجهين
يكون بناء احسن للزيادة على ما اضيف اليه والوجه الثالث ان يكون بناء احسن للزيادة
المطلقة والمعنى وامر قومك ياخذوا من تكاليف التورية بما هو الزائد في الحسن على كل ما
سواه مطلقا لا على المفضل عليه فقط حتى يلزم ان يكون المفضل والمفضل عليه مشتركا في
الحسن ويكون حسن المفضل ازيد من حسن المفضل عليه والتورية مشتملة على بيان المامور به
والمنهي عنه وبيان ما هو الحلال والحرام وقد امرهم الله تعالى ان ياخذوا بما هو البالغ في
الحسن وهو ما احله الله تعالى وما امر به وهما احسن مما حرمه ونهى عنه لا على معنى ان بينهما
اشتراكا في الحسن وان احدهما ازيد من الاخر فيه ضرورة انه لا حسن للمحرم والمنهي عنه
بل على معنى ان الحلال والمامور به ابلغ في الحسن من المنهي عنه والمحرم في القبح كما يقال الصيف
احر من الشتاء اي ابلغ في الحر من الشتاء في البرد والمعنى ان حر الصيف حدة وشدة وبرد
الشتاء كذلك وحدة حر الصيف اكثر واشد من حدة برد الشتاء فلذلك الحسن المامور به
مرتبة فيه والقبح المنهي عنه ايضا مرتبة فيه ومرتبة حسن المامور به اعلى من مرتبة قبح المنهي
عنه قال صاحب الكشاف في سورة مريم قولهم الصيف احر من الشتاء من وجيز كلامهم
يريدون به ان الصيف ابلغ في حره من الشتاء في برده وتحقيقه ان تفضيل حرارة الصيف
على حرارة الشتاء غير مراد بها هنا اذ ليس ذلك مما يرتاب فيه ذو حس بل المراد تفضيل قوة
الحرارة وشدة تاثيرها في بدن الانسان على قوة البرودة وتاثيرها في البدن فلما اريد باحسنها
ما هو البالغ في الحسن مما بين في التورية وهو المامور به فانه ابلغ في الحسن من المنهي
عنه في القبح كان اللازم من الآية ان لا يجوز الاخذ بالمنهي عنه فلا يكون بهذه الآية متناقضة

لكون احكام التورية باسرها حسنا مشروعا **قوله** ياخذوا الظاهر انه مجزوم على انه جواب للامر في قوله وامر قومك ولا يحتاج الى تاويله لان الواجب في مثله الجلال الجلي بين الشرط والجزاء وكون ما هو في معنى الجزاء لازما لما هو في معنى الشرط وليس الامر فيما نحن فيه كذلك لان امره عليه الصلوة والسلام اياهم بذلك لا يستلزم امتثالهم لامره بدليل عصيان بعضهم له عليه الصلوة والسلام في ذلك فقيل انه مجزوم على اضمار اللام تقديره ليأخذوا وقيل باحسنها الظاهر ان الباء فيه زائدة في المفعول والتقدير ليأخذوا احسنها كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **قوله تعالى** ساريكم دار الفاسقين موعظة بليغة تجري مجرى الوعيد على ترك الطاعة اي وامر قومك باخذوا باحسنها ويطيعوا ويقبلوا اوامرها ولا يهملوا فيستحقوا ان اريكم دار من فسق خاوية على عروشها ليعتبروا بها **قوله** وقرئ ساوريكم بواو خالصة بعد الهمزة المضمومة بمعنى سابين لكم من اوريت الزند اي اخرجت ناره فقوله ساريكم معناه سابين لكم وسائريها لكم لتستبينوا وتعلموا انه تعالى لا يرضى لعباده الكفر والفسق فينتقم منهم باهلاكهم وتخريب ديارهم فتكون الآية تهديدا ووعيدا للفساق وان قرئ ساورثكم يكون وعدا وبشارة بانه تعالى سيورثهم ارض اعدائهم وديارهم وهي ارض مصر وكانت لفرعون وقومه فهذا به من خالف امر الله تعالى على وجه يتضمن الوعد لبني اسرائيل بان يهلك اعداءهم ويورثهم ديارهم **قوله تعالى** سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق يحتمل ان يكون متصلا بقصة بني اسرائيل والمعنى وامر قومك ياخذوا باحسنها بجد ونشاط فاني اصرف عنها المتكبرين الذين يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم فلا يميلون الى الاهتداء بايات الله تعالى المنصوبة في الافاق كخلق السموات والارض وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والبر والبحر وانواع النبات والحيوان والمنصوبة في الانفس من خلقها على احسن تقويم بحيث لا سبيل للبشر الى ادراك ما فيها من عجائب الصنع بان يتفكروا فيها ويستدلوا بها على وجود الصانع الحكيم القادر على البعث والحساب ومجازاة كل واحد من اهل الطاعة والعصيان على حسب استحقاقه وطريق صرفه تعالى اياهم عن تلك الايات ان يطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها فلما كان التكبر مؤديا الى الحرمان عن الانتفاع بالايات المذكورة وتضييعها كان المقصود من الاية تحذير بني اسرائيل عن التكبر المفضي الى ان يصرفهم الله تعالى عن التفكر في الايات والاهتداء بها حتى ياخذوا احكام التورية بجد ورغبة ويحتمل ان يكون هذه الآية كلاما معترضا خلال قصة بني اسرائيل اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حرم المتكبرين
من

حيث حذر الفاسق عن الفسق لئلا يكون كمن قبله في ان يهلك هو واهله وتخلو داره منهم فتكون خاوية على عروشها كارض الشام فانها كانت للجبابرة الفاسقين فهلك اهلها وكذا ارض مصر كانت للعمالقة فهلكوا وخربت ديارهم او ساريكم يوم القيمة جهنم وشدة اهوالها فاحذروا ان تكونوا من اهلها منه

فيمنعهم فهم معاني القرآن والتدبر فيها كما قيل ان الله تعالى اذا اكرم قلوب البطالين بحكمتهم من فهم حكمة القرآن والاطلاع على عجائبه واحتج اهل السنة بهذه الآية على انه تعالى قد يمنع من الايمان ويصد عنه بان يطبع على قلوب المتكبرين الذين يتعظمون عن الانقياد للانبياء او اجابة دعوتهم استكبارا وطلبا للعلو والرياسة في الارض عقوبة لهم على استكبارهم فلا يعتبرون بايات الله تعالى ولا يهتدون بها الى الايمان فان من طبع على قلبه يكون مصروفا عن التفكر في الدلائل المؤدية الى التوحيد والايمان وقالت المعتزلة لا يمكن الاية على انه تعالى قد يصرف عبده عن الايمان بصرفه عن التفكر في اياته بان يطبع على قلبه لانه تعالى قال في حق الكفرة المتكبرين في الارض وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وفي سأصرف عن اياتي بلفظ المضارع المختص بالسين للاستقبال فدلت الآية على ان الكفر حصل لهم قبل هذا الصرف فلو حمل الصرف على الصرف عن الايمان لكان معنى الآية سنصرف المصروف عن الايمان ولا معنى له وايضا قوله تعالى سأصرف عن اياتي مذكور على وجه العقوبة على التكبر والكفر فلو كان المراد بهذا الصرف صرفهم عن الايمان بخلق الكفر فيهم لكان المعنى انه تعالى سيخلق فيهم الكفر عقوبة لهم على كفرهم فوجب حمل الصرف على معنى اخر غير الصرف عن الايمان بالصرف عن التفكر في الايات وهو صرفهم عن ابطالها او ان اجتهدوا في ابطالها كما اجتهد فرعون في ابطال آية موسى ومن الطعن والاشتهار بها حيث جمع السحرة لابطالها فابى الله تعالى الا ان يحق الحق ويبطل الباطل فصرفه الله تعالى عما اجتهد فيه فدمره تدميرا فاغرقه مع قومه في اليم اجمعين فعاد ضرر اجتهاده عليه حيث ظهر الحق وبطل سعي فرعون **قوله** بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق من دينهم الباطل او حال اي يتكبرون غير محقين **قوله** وهو يؤيد الوجه الاول يعني ان قوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يؤيد ان يكون المراد بالصرف صرف قلوبهم عن التفكر بجعلها مطبوعا عليها لان من لا يؤمن لا يؤمن بشيء من الايات بل يقول فيها ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين لا يعتقد بكون ما اتى به النبي معجزة وآية دالة على نبوته بل يعده من قبيل السحر وتمويهات ارباب الحيل فكيف يصح ان يقال في حقه سأصرف عن الطعن في آياتي و السعي في ابطالها مع انه طاعن فيها اشد الطعن **قوله** اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم على ان ذلك مبتدأ وقوله بانهم خبره والباء سببية وان مع ما في حيزه في تاويل المفرد وقوله تعالى وكانوا عطف على قوله كذبوا والتقدير وبانهم كانوا عنها غافلين فيكون في تاويل المفرد ايضا واشار اليه بقوله وعدم تدبرهم للايات واشار به ايضا الى ان المراد بالغفلة عنها عدم تدبرهم فيها

بان يظهر الحق ... الباطل بان ... صاحبه ... الكفر ... علمه

عبر عن عدم تدبر الآيات بالغفلة تشبيهاً بالمعرض عن الشيء بمن غفل عنه قوله
ويجوز ان تنتصب ذلك على انه مفعول مطلق لقوله ساصرف اي ساصرف المتكبرين في الارض
عن آياتنا ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم كانه قيل ذلك مرفوع بالابتداء او يجوز
ان تنتصب على المصدر ويجوز ان ينتصب على انه مفعول به لفعل محذوف اي فعلنا ذلك بسبب
انهم كذبوا قوله ولقاء الدار الآخرة على ان قوله ولقاء الآخرة من اضافة المصدر الى
مفعوله والفاعل محذوف وعلى الثاني يكون من اضافة المصدر الى ظرفه بتقدير في ويكون كل
واحد من الفاعل والمفعول محذوفا اي ولقائهم ما وعد الله في الدار الآخرة والموصول مع صلته
مبتدأ وقوله حبطت اعمالهم خبره وحبط اعمال الكفر عبارة عن عدم انتفاعهم بما عملوه
في الكفر من المعروف كصلة الرحم والصدقة وسائر الخيرات فان ثواب ذلك محبوط في حق الكافر
قوله الاجزاء اعمالهم لان نفس ما كانوا يعملونه لا يجزونه وانما يجزون بما وعد في مقابلته
قوله تعالى هل يجزون استفهام بمعنى النفي والانكار يعني انهم لا يجزون الا ما يستحقونه من العذاب
بسبب تكذيبهم بآيات الله ولقاء الدار الآخرة فجوزوا بحبط اعمالهم بمقابلة التكذيب
المذكور فلم يكن حبط عملهم وحرمانهم من ثوابها ظلما في حقهم بل انهم جوزوا به لاجزاء وفاقا
الظاهر قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد انطلاقه الى الجبل عطف على جواب لما في
قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمة من في قوله بعده ومن حليهم متعلقتان بقوله اتخذ و
جاز تعلقهما بعامل واحد مع اتحادهما لفظا لاختلافهما من حيث المعنى لان الاولى لابتداء
الغاية والثانية للتبعيض والحلي على وزن الثدي ما يتحلى به من الذهب والفضة وقرأ
حمزة والكسائي من حليهم بكسر الحاء اتباعا لكسرة اللام والباقون بضم الحاء وكسر اللام
وهو على القراءتين جمع حلي كثدي جمع ثدي اصلهما حلوي وثدوي نحو فلوس في جمع فلس
فاجتمعت الواو والياء فسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء وكسرت
عين الكلمة وان كانت في الاصل مضمومة لتصح الياء ثم ان شئت تركت فاء الكلمة على ضمها الاصلية
وان شئت حركتها بالكسر اتباعا لعين الكلمة كما قرأ به حمزة والكسائي وهذا اطرد في كل ما
جمع على فعول من المعتل اللام سواء كان يائيا كحلي وثدي او واويا نحو عصي ودلي في جمع عصا
ودلو اصلهما عصوو ودلوو وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام على الافراد اقامة
لاسم الجنس مقام الجمع الجسد اسم لجسم ودم ويطلق على جثة لا روح لها وهو منصوب على انه بدل
من عجلا لا على انه صفة له لان الجسد ليس مشتقا فلا ينعت به الا بتأويل لا على انه عطف بيان لانه
في النكرات قليل او ممتنع عند الجمهور والسامري رجل من قرية يقال لها سامرة كان رجلا مطاعا
في

في قوم موسى وكانوا قد سألوه آلهة يعبدونها فجيء ذلك الحلي فصاغ لهم من ذلك الحلي عجلا ثم اختلف
الناس فقال الحكيم انه كان قد اخذ كفا من تراب حافر فرس جبريل عليه السلام فالقاه في جوف
ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر فيه خوار مرة واحدة كما يدل عليه التنكير في قوله له خوار فقال
السامري هذا الهكم واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا
وجعل في جوفه انابيب على شكل مخصوص وكان قد وضع ذلك التمثال على مهب الريح فكانت الريح تدخل
في تلك الانابيب فيظهر منه صوت مخصوص يشبه خوار العجل ثم قيل انه ما خار الا مرة واحدة
وقيل كان يخور كثيرا فكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يخور ولا
يتحرك الا بالارادة وقال السدي كان يخور ويمشي قوله وقرئ جؤار بجيم مضمومة بعدها همزة
مفتوحة من جأر يقال جأر الثور يجأر اي صاح قوله كناية من اشتداد ندمهم لان سقوط
في اليد الذي هو عبارة عن عض اليد من لوازم النادم المتحسر فكني بذكر اللازم عن الملزوم
فقوله تعالى ولما سقط في ايديهم بمنزلة ان يقال ولما اشتد ندمهم لان شأن من اشتد ندمه وحزنه
ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في
قلوبهم ونفوسهم عبر عن وقوع الندم في القلب بسقوطه في اليد لان اليد جارحة عظيمة القدر
يتوسل بها الى عامة الافعال من الطاعات والمعاصي ويسند اليها ما لم يكن لها مدخل في حصوله كما
في قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وكثير من الذنوب لا تقدمه اليد فجعل الندم الذي هو من الكيفيات
النفسانية واقعا في اليد حالا فيها على سبيل الاستعارة التمثيلية وهذا الندم والاستغفار
المبني على العلم بانهم قد ضلوا وارتكبوا معصية الله تعالى وكان بعد رجوع موسى اليهم وتخبيطه خطائهم
وضلالهم بالبراهين القاطعة لما ظهر لهم بطلان ما فعلوه اظهروا الانقطاع الى الله تعالى وقالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بياء الغيبة فيهما على اسناد الفعل الى اسم الرب وضميره وقرأهما
حمزة والكسائي بتاء الخطاب ونصب ربنا على انه منادى مضاف حذف منه حرف النداء قوله
شديد الغضب وقيل حزينا يعني ان الاسف صفة مشبهة كالزمن ومعناه شديد الغضب
يقال اسفني فاسفت اي اغضبني فغضبت ومنه قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم وقال السدي
والكلبي الاسف الحزين قوله تعالى غضبان اسفا حالان من موسى وهو يدل على انه عليه
الصلوة والسلام كان عالما باتخاذهم العجل الا قبل مجيئه اليهم بسبب انه تعالى اخبره في حال المكالمة
بما كان من قومه من عبادة العجل ويدل عليه ايضا قوله تعالى فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم
السامري فرجع غضبان من ذلك متأسفا على ما كان منهم فسر قوله بئسما خلفتموني من بعدي
بقوله بئسما فعلتم وعملتم بعدي لانه يقال خلفه بما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل خاطب عبدة العجل

قوله او لان المراد اتخذوه الها
الا ان يكون اتخذ متعديا الى اثنين
احدهما محذوف فالاسناد حقيقي
وعلى الوجه الاول يكون متعديا
الى واحد لكن لا بد من تقدير
جملة هي يعبدون ليكون ذلك
مصب الانكار لان مجرد
اتخاذ العجل من الحلي لا يكون
متعلق الانكار اما لان اتخاذ
التصاوير ما كان محرما في ذلك
الزمان فان المصنف في سورة سبا
وحرمة التصاوير شرع مجدد
او لان انكاره ما كان بمثابة
اتخاذه الها والمقام مقام
التقريع والذم فتأمل ثم ان
المص انما اختار الوجه الذي
ذكره الزمخشري وهو ان يكون
من قبيل بنو فلان قتلوا زيدا
وانما القاتل واحد منهم
لكون الآية مسوقة للتوبيخ
ولا يلائمه هذا الوجه
سنان

بان قال لهم بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله اي من بعدي اي من بعد ذهابي
عنكم او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والدعوة الى عبادة الله والكف عن عبادة غيره ومن
حق الخلوف ان يسير بسيرة المستخلف وان كان المعنى بئسما قمتم مقامي وكنتم خلفاءي من بعدي
حيث لم تمنعوا من عبد العجل عن عبادته يكون الخطاب لهرون عليه الصلوة والسلام والمؤمنين
معه قوله وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس لا يجوز ان يكون قوله ما خلفتموني فاعل بئس
لان فاعله يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف باللام وهو ليس واحدا منهما فتعين
ان يكون فاعله مضمرا وقد تقرر ان الفاعل في باب نعم وبئس اذا كان مضمرا فيه يجب ان يفسر بنكرة
منصوبة او بما وفسر هنا بنكرة موصوفة بقوله خلفتموني منصوبة المحل اي بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم قوله اتركتموه غير تام يريد ان الامر واحد الاوامر وانه بمعنى المأمور به وهو
ان ينتظروا موسى اربعين ليلة حتى يأتيهم بالتورية بعد تمام تلك المدة وان العجلة عن الشيء
عبارة عن تركه غير تام وان الهمزة في قوله اعجلتم للانكار انكر على قومه عدم اتمامهم ما امرهم
الله تعالى به من ان ينتظروا موسى عليه الصلوة والسلام الى ان يجيء بهم من غير ان يتغيروا ويبا[ينوا]
مما تركهم عليه واصل العبارة اعجلتم عن امر ربكم الا انه اسقط الخافض وعدى الفعل بنفسه
على سبيل الاتساع وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بنفسه وهو سبق كانه قيل اسبقتم امر ربكم غير
منتظرين اياه بان فعلتم ما بدا لكم من عبادة العجل والعجلة العمل بالشيء قبل وقته ولذلك صارت
مذمومة بخلاف السرعة فانها غير مذمومة لكونها عبارة عن العمل بالشيء في اول وقته وقيل معنى
اعجلتم اسبقتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم اي لو جاز ان يعبد العجل تقربا الى الله بعبادته
لامر الله تعالى به فلم عبدتموه قبل ان يأتيكم امر من الله تعالى بعبادته قوله او اعجلتم وعد ربكم على
ان الامر واحد الامور وعبارة عن وعد ربه تعالى باعطاء التورية عند تمام اربعين ليلة و
الذي حملهم على سبق الميعاد وعدم صبرهم لتمامه عدهم كل واحد من عشرين يوما وعشرين
ليلة يوما كاملا وجعلوا الجميع اربعين يوما فلما مضى عشرون يوما بلياليها قدروا انه عليه
الصلوة والسلام قد مات فوبخهم موسى على ذلك بقوله اسبقتم ميعاد ربكم بناء على الزعم الفاسد
وما صبرتم الى ان يتم فبادرتم الى تغيير دين الله وعبادة غيره تعالى قوله طرحها اي رماها والقاها
الالواح انما يدل على وضعها على الارض ليتمكن له اخذ رأس اخيه اذ لا يمكن له اخذه مع بقاء الالواح
في يده فوضعها على الارض ثم اخذ ذلك ولا يفهم من لفظ الالقاء طرحها ورميها المؤدي الى انكسارها و
لعل المفسرين وجدوا رواية تدل على ذلك قوله تعالى يجره اليه حال من فاعل اخذ قوله ليرفقه اي
ليحمله على الرفق والشفقة فان بناء فعل قد يكون للحمل على الشيء نحو حفظ الكتاب قوله كالمنا

فعلى هذا يكون ... خلفتموني ... الخطاب للذين عبدوا العجل ... خلفتموني ... بعدي ...

الالواح فلما عاين ذلك القى الالواح
موسى ان قومه قد فتنوا فلم يلق الالواح
ليس الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى
صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي موسى
عن ابن عباس انه قال قال رسول الله
... فلا ... ولم ... القى الالواح ...
... ثم ذكر على ... عن موسى الغضب اخذ الالواح
ولما سكت عن موسى الغضب ... بعد ذلك
بالانبياء ... الله تعالى ... الايه
عظيمة على كتاب الله تعالى القران وانه بجرأته
تكسرت ... القاها
التي في الالواح ... القران الا انه
ولعل ... تكسرت قال الامام
القاها ... على الارض
نور ... القاها على الارض

... الانبياء ... عن ... الاخذ
... x

كالمنادي المضاف الى ياء المتكلم فانه كما يجوز فيه اربعة اوجه فكذا ان يقال يا غلامي بفتح الياء كما فتح
الكاف في غلامك وان يقال يا غلامي باسكان الياء للتخفيف وان يقال يا غلام بحذف الياء اكتفاء
بالكسرة وان يقال يا غلاما بقلب الياء الفا للتخفيف فلذلك يجوز الوجوه المذكورة في نحو يا ابن ام ويا ابن
عم فتقول يا ابن امي ويا ابن عمي بفتح الياء وسكونها ويا ابن ام ويا ابن عم بحذف الياء اكتفاء بالكسرة ويا ابن
اما ويا ابن عما بقلب الياء الفا للتخفيف فقرأ الاخوان وابن عامر وابو بكر يا ابن ام بكسر الميم وحذف
الياء اكتفاء بالكسرة وقرأ الباقون يا ابن ام بفتح الميم وحذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة
زيادة في التخفيف لطوله باشتماله على اضافة بعد اضافة او تشبيها له بخمسة عشر وانما قال تشبيها
لانه ليس من قبيل خمسة عشر حقيقة لان كل واحد من المضاف والمضاف اليه اسم منفرد عن الاخر
ولم يجعلا اسما واحدا بالتركيب بخلاف خمسة عشر قوله ما تشمتون لي لاجله على وزن يفعلون يقال
شمت به يشمت شماتة من باب علم يعلم اذا فرح ببلية اصابت عدوه ثم ينقل الى باب الافعال
للتعدية وشماتة العدو اشد من كل بلية فلذلك قيل والموت دون شماتة الاعداء وتشميت العاطس
وتسميته بالسين والشين الدعاء له بالخير وقيل الشين اعلى اللغتين فلما توهم موسى تقصير اخيه في
كف القوم عن عبادة العجل غضب عليه وشرع في استهانته بان اخذ شعر رأسه يجره اليه فنادى
اخوه على سبيل الاستعطاف فقال اني قد بذلت وسعي في كفهم عن ارتكاب الكفر حتى عادوني لذلك اشد
المعاداة وكادوا يقتلونني فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي فيفرحوا بذلك فان شماتتهم
بي اشد علي من كل بلية ولما اعتذر اخوه بهذا التواضع والاستعطاف ووضح له عذره وسمع منه
ما يتوقع من شماتة الاعداء باهانته اياه سكت عنه غضبه فقال رب اغفر لي ما فرط مني في حق
اخي ليرضي اخاه ويظهر لاصحاب الشماتة رضاه عنه لئلا يتم لهم الشماتة الى الحالة على ما
فعلوا من المعصية قوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل المفعول الثاني لقوله اتخذوا محذوف والتقدير
اتخذوا العجل الها او معبودا الظاهر ان المراد بالمتخذين قوم موسى وان هذا الكلام مما اخبر الله تعالى به
لموسى قبل ان يتوب قومه من عبادة العجل بان يقتلوا انفسهم كما اخبره الله تعالى بما كان من قومه
من عبادة العجل بقوله فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فلذلك رجع موسى الى
قومه غضبان اسفا من ذلك كما سيأتي روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لما قال الله تعالى لموسى
انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري قال يا رب هذا العجل اتخذه السامري فمن
كان صوته وخواره قال الله تعالى مني قال يا رب انت فتنت قومي فقال انما فعلت ذلك لانك سلمتهم
الى هرون فقلت اخلفني في قومي فلو لم يكن حكاية قوله تعالى لموسى بل كان مما خاطب به رسول
الله صلى الله عليه وسلم لورد ان يقال انه تعالى قد تاب على عبدة العجل بقتلهم انفسهم فكيف يصح

انه تعالى في حقهم سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا واما اذا كان ما اخبر به للاسلاف لموسى قبل ان يتوب قومه فقد صح انه تعالى في حقهم سينالهم غضب من ربهم حيث امرهم بان توبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم المراد هنا بالغضب غايته وهي الانتقام والتعذيب لان حقيقة الغضب لا تتصور في حقه تعالى **قوله** وذلة في الحيوة الدنيا وهي قتلهم انفسهم بايديهم فانه هوان عظيم وذلة وقيل هي توبتهم والمعنى حمل الذلة في الحيوة الدنيا على ما اصاب ابناءهم من قريظة والنضير من الاخراج من اوطانهم ووضع الجزية عليهم قال الامام الواحدي المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم عيرهم الله تعالى بصنيع آبائهم وعيّرهم بنسبهم اخبر الله تعالى عنهم بانهم سينالهم غضب من ربهم بان يعذبهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بان يوضع عليهم الجزية وقيل يعني ما اصاب قريظة والنضير من الجلاء والنفي من اوطانهم وانما حملهم عليهم لان الذين اتخذوا العجل حقيقة قد تابوا منه فلا وجه لان يقال في حقهم سينالهم غضب الا ان يقدر المضاف ويقال تقدير الاية لان الذين اتخذوا العجل حقيقة سينال ابناءهم غضب في الاخرة وذلة في الدنيا وقيل المراد بمتخذي العجل الذين باشروا اتخاذه ولم يتوبوا عنه بل اشربوا في قلوبهم حب العجل اخبر الله تعالى عنهم بانهم سينالهم غضب وذلة لاصرارهم على الكفر وعدم توبتهم منه ويدل عليه تعقيبه بقوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم **قوله** واشتغلوا بالايمان حمل الايمان على الثبات عليه والعمل بمقتضاه لان التوبة عن السيئات المتناولة للكفر والمعاصي يستلزم الاتصاف باصل الايمان فلا بد ان يحمل الايمان المعطوف عليها على الايمان الكامل المستجمع لثمراته فان الايمان المقرون بالمعاصي ينزل بالنسبة اليه منزلة العدم **قوله** سكن حمل السكوت على المعنى المجازي لتعذر حمله على معناه الحقيقي وهو قطع الكلام لان قطع الكلام فرع ثبوته وهو لا يتصور في الغضب فلا يتصور قطعه ايضا وهو من بديع الاستعارة بالكناية شبه الغضب بانسان يغري موسى ويقول له ان اخاك فعل كذا وقومك عبدوا العجل فاستحق اهانتك وعقوبتك فخذ بشعر رأسه فجره اليك وقل له كذا وكذا والق ما في يدك من الالواح ثم ينقطع الاغراء ويترك الكلام وجعل نسبة السكوت الى الغضب تخييلا لهذا التشبيه المضمر في النفس وهو من حيث ان التشبيه مضمر في النفس مدلول عليه بالقرينة استعارة بالكناية ومن حيث ان وجه التشبيه مركب تمثيل ويمكن ان يشبه سكون الغضب بسكوته فاطلق على سكونه اسم السكوت استعارة اصلية ثم اشتق من السكوت بمعنى السكون لفظ سكت فصار استعارة تبعية **قوله** اخذ الالواح التي القاها اشار الى

٥٢

ان الالواح المأخوذة هي الالواح المذكورة في قوله والقى الالواح وان تكسر بعضها وتخرق بعضها فان عمار وغيره من الاجلة ابن عباس التورية رفعت الى السماء بمجرد رواية ليس لها تقوم حجة لا يدل عليه قوله والقى الالواح فان معناه انه عليه الصلوة والسلام وضعها في موضع ليتفرغ لما قصده من التعرض لاخيه لا رغبة عنها فلما فرغ من التعرض لاخيه عاد الى ما وضعه من الالواح فاخذها بعينها فعلى هذا يكون معنى قوله وفي نسختها فيما نسخ اي كتب فيها نقلا عن الاصل وهو اللوح المحفوظ فان النسخ عبارة عن نقل اشكال الكتابة وتحويلها من الاصل المنقول عنه فاذا كتب كتابا من كتاب حرفا بعد حرف قلت نسخت هذا الكتاب من ذلك الكتاب اي نقلته **قوله** وقيل فيما نسخ منها بنى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما القى موسى الالواح تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله الالواح وفيها نقش ما في الاولى فعلى هذا يكون قوله وفي نسختها بمعنى فيما نسخ منها ولم يرض المص بهذا القول لان الظاهر ان تعريف الالواح في قوله اخذ الالواح للعهد والمعنى اخذ الالواح التي القاها والحال انه في تلك الالواح هدى ورحمة وحمل الكلام على معنى انه اخذ الالواح والحال ان فيما نسخت هي منه هدى بعيد وقوله وفي نسختها هدى جملة اسمية في محل النصب على انه حال من الالواح ورحمة عطف على هدى وقوله للذين متعلق بمحذوف لانه صفة لرحمة اي ورحمة كائنة للذين يرهبون ربهم وهم مبتدأ ويرهبون خبره والجملة صلة الموصول ولربهم مفعول يرهبون واللام فيه مقوية للفعل لانه لما تقدم معموله ضعف فقوي باللام كما في قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون فان اللام يكون مقوية حيث كان العامل مؤخرا او فرعا كقولك فعال لما يريد ويحتمل ان تكون لام العلة ويكون مفعول يرهبون محذوفا اي يرهبون معصية الله وعقابه لاجل ربهم لا للرياء ولا سمعة **قوله تعالى** واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره واختار يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر يقال اخترت فلانا من قوم كذا وقد يحذف الجار ويوصل الفعل الى الثاني ايضا بنفسه اتساعا فيقال اخترت زيدا الرجال والآية من هذا القبيل فان قومه مفعول ثان قدم على اولهما واوصل الفعل اليه بنفسه والتقدير واختار موسى سبعين رجلا من قومه مفعولا اول وسبعين بدل منه بدل البعض من الكل وهو ضعيف لان فيه حذف شيئين احدهما المختار منه فانه لابد للاختيار من مختار ومختار منه وعلى البدلية انما ذكر المختار دون المختار منه وثانيهما من الجارة والظاهر ان هذا الميقات هو ميقات المناجاة المذكور في قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال يا رب ارني انظر اليك فانه روي

شرب ما كان فيه صام و قدرت عليه و اعيدت في موضعين تأمله

وقولك لزيد ضربت [illegible]

انه عليه الصلوة والسلام لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امره الله تعالى بان يختار
سبعين رجلا من خيار بني اسرائيل ليشهدوا على ما يشاهدونه من كرامة الله تعالى اياه ففعلوا
ما امرهم ان يصوموا ويتطهروا ثم خرج بهم الى الطور فلما دنوا من الجبل غشيه غمام حتى احاط
بالجبل كله فدنا موسى ودخل بهم الغمام فلما دخلوا الغمام وقعوا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره
وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي
رجفة الجبل والرجفة هي الارتعاد والحركة الشديدة وفسرها المص بقوله اي الصاعقة لقوله تعالى
في سورة البقرة في حق السبعين الذين اختارهم موسى للميقات واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
اي لاجل قولك بان الله تعالى اعطاك التورية وكلمك او لن نقر بانك نبي حتى نرى الله جهرة اي عيانا
فاخذتكم الصاعقة اي ما تصعقون منه تموتون وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم وقيل
صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما
اصابكم ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث فهذه الاية تدل
على ان الرجفة المذكورة فيما نحن فيه هي الصاعقة او رجفة ابدانهم المتفرعة على الصاعقة
ولم يذكر سبب اخذ الرجفة اياهم ولعل سبب اخذها اياهم قولهم ارنا الله جهرة اي مقابلة فانه
يقتضي التشبيه وكونه تعالى في جهة فكان كفرا وقيل ليس المراد بهذا الميقات ميقات المناجاة
والتكليم بل هو ميقات اخر وقته الله تعالى لموسى ليأتي فيه سبعين رجلا من خيار بني اسرائيل
ليعتذروا عما كان من القوم من عبادة العجل فان قوم موسى لما عبدوا العجل ثم تابوا امر الله تعالى
ان يجمع سبعين رجلا ويخرجوا موضعا ينظرون فيه تلك التورية فلما خرج موسى معهم وكانوا
في اسفل الجبل اخذتهم الرجفة اي زلزلة الجبل او زلزلة ابدانهم فماتوا وقيل المراد بهذا الميقات
ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه
الله تعالى فلما رجع موسى وليس معه هرون قالوا انه هو الذي قتل هرون فاختار موسى سبعين
رجلا وذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى وقال ما قتلني احد ولكن توفاني الله تعالى فاخذتهم الرجفة
هناك **قوله** تمنى اهلاكهم واهلاكه قبل ان يرى ما رأى من اهلاك قومه بسبب الرجفة حال خروجهم
معه من بين قومه **قوله** او بسبب اخر متعلق باهلاكهم والمعنى لو شئت تعلقت باهلاكنا
قبل وقوع هذه الواقعة وهذا التمني انما يستفاد من كلمة لو بحسب دلالة المقام عليه والا فكلمة لو
اذا كانت للتمني لا تحتاج الى الجواب كما في قولك لو بغير الماء حلقي شرق وقولك لو ذات سوار
لطمتني وههنا قد ذكر جواب لو وهو قوله اهلكتهم فهو جواب لو الا ان الاكثر ان يكون جوابها
مقرونا باللام وكونه مجردا عن اللام نادر كما في هذه الاية وقوله تعالى لو نشاء اصبناهم وقوله تعالى لو

وعلل سبب الرجفة ان هؤلاء السبعين وان كانوا ما عبدوا العجل الا انهم ما فارقوا عبدة العجل عند اشتغالهم بعبادة العجل وقيل انهم بالغوا في النهي عن عبادة العجل فلذلك اخذتهم الرجفة سلمه

لو نشاء جعلناه اجاجا ونحوهما تعالى انه قال لما اخذتهم الرجفة بقي موسى عليه الصلوة و
السلام يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم وقد اهلكت خيارهم ولم يبق معي
رجل واحد منهم لو شئت اهلكتهم واياي معهم من قبل ان يصحبوني بسبب اخر فيعلم بنو
اسرائيل ما اصاب خيارهم ولا يتهمونني بالسآمة **قوله** او تمنى به اي ويجوز ان لا يكون المراد
تمني اهلاكهم بسبب اخر قبل ان يصابوا بهذه البلية بل يكون المراد دعاء الترحم عليهم بان يبقيهم
ويرد بهم الى قومهم سالمين فقال انك قدرت على ان تهلكنا بسبب آخر كاغراق فرعون علينا
واغراقنا في البحر وغيرهما فرحمت علينا وانجيتنا من ذلك كله فان ترحمت علينا بمرة اخرى
لم يبعد من فضلك العميم فلما دعا موسى وتضرع كشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة والظاهر ان الا
ستفهام في قوله تعالى اتهلكنا بمعنى النفي والاستبعاد على معنى انه لا يليق بشانك ان تهلك جما غفيرا
بذنب صدر عن بعضهم الذين كانوا سفهاء خفيفي الرأي منهم كما تقول اتهين من يخدمك اي لا تفعل
ذلك ويبعد ان يحمل الاستفهام على حقيقته ويكون المعنى اتهلكنا جميعا ام تخص اهلاكك بالسفهاء
منا لان موسى يعلم انه تعالى اعدل من ان ياخذ احدا بذنب غيره وقوله منا في محل النصب على انه حال
من السفهاء ويحتمل ان يكون للبيان والمراد بما فعله السفهاء طلب رؤية الله تعالى عيانا في ميقات
مكالمة موسى ربه على الطور على ان يكون السبعون اختارهم موسى لميقات المكالمة وطلب التورية
وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل على ان يكون السبعون اختارهم موسى لميقات التورية
والاعتذار عن عبادة العجل قال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة
اخذتهم الرجفة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم
وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند
ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فظن موسى انهم عوقبوا باتخاذ بني اسرائيل
العجل فقال سائلا منه تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء من عبادة العجل والضمير هي في قوله ان هي الا
فتنتك راجع الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها
السفهاء لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك
فتجاسروا على طلبها او احدثت في العجل خوارا او صوتا فضلوا به تضل بفتنتك من تشاء ضلاله
فيتجاوز عن حده بطلب ما ليس له ويتبع المخايل والظنون فيعبد ما لا يليق ولا يصح ان يعبد و
تهدي من تشاء هدايته فيقوي بها ايمانه ويثبت على ما هو الحق **قوله** وتبديلها بالحسنة وايضا
تغفر الذنوب الكثير بالعذر اليسير وتجود بالعطاء الجزيل الكثير وايضا كل من سواك انما يتجاوز الذنب صح
عن الذنب اما طلبا للثناء الجميل او للثواب الجزيل او دفعا للرقة الجنسية عن القلب واما

انت تغفر ذنوب عبادك لا لاجل غرض وعوض بل لمحض الفضل والكرم فلا جرم انت خير
الغافرين وارحم الراحمين فاغفر لنا وارحمنا بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين قوله تعالى
واكتب لنا اي واثبت لنا واقسم وذكر الكتابة لان ما اثبت وقسم قيل اي وفقنا في الدنيا للحسنات
التي يكتب من الحفظة ولكن شيئا خاصا فلا يلزم على كتبها قوله ويحتمل ان يكون امرا ان يكون هدنا
بكسر الهاء مبنيا للفاعل وللمفعول فان هاد يهيد لما كان متعديا جاز ان يبنى للفاعل والمفعول الخ
هاد يهود فانه لازم فلا يبنى للمفعول الا ان يعدى بنحو الباء جاز ان يكون مبنيا للمفعول من هاد يهيد
فاذا بني للمفعول تقول هيد بها كما تقول بيع متاع وعيد المريض بها فاصله هود بضم الهاء
وكسر الواو ينقل كسرة الواو الى الهاء ثم تقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فيقال هيد كقيل
وبيع وبعضهم يحذف كسرة الواو لثقلها عليها فيقول هود كقول وقد تقرر في الصرف ان مجهول
قال فيه ثلث لغات قول وقيل والاشمام وان قول لغة ضعيفة لثقل الضمة والواو ثم انه لما حكي
دعاء موسى عليه الصلوة والسلام بقوله انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين الاية
ذكر بعده ما اجاب به موسى وهو قوله تعالى عذابي اصيب به من اشاء اي اني اعذب من اشاء تعذيبه
وان التعذيب متعلق بمشيئتي وليس لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي ومن تصرف في خالص ملكه
فليس لاحد ان يعترض عليه واما رحمة الله تعالى فانها تعم الكل في الدنيا لانه ما من مسلم ولا كافر الا وعليه
اثار نعمته ورحمته في الدنيا بها يتعيشون وبها يتقلبون ولكنها تختص في الاخرة بالمؤمنين وذلك
قوله تعالى فساكتبها للذين يتقون اي ساجعلها في الاخرة للذين يتقون الشرك والمعاصي قال
التيسير خص بالعذاب من يشاء وعم بالرحمة كل شيء وفيه مجال لامال العصاة فانهم وان لم
يكونوا مطيعين فهم داخلون تحت قوله كل شيء روي انه لما نزل قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء
قال ابليس انا من ذلك الشيء فانزل الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الخ فتمناها اليهود والنصارى
وقالوا نحن نؤمن بالتورية والانجيل ونؤدي الزكوة فاختلسها الله تعالى من ابليس واليهود و
النصارى فجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو نبينا صلى الله عليه
وسلم فانه رسول بالنسبة اليه تعالى ونبي بالنسبة الى الامة وامي من حيث كونه على صفة امة العرب
فان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن ولا يحسبون والمشهور في الفرق بين الرسول والنبي ان الرسول
من اوحي اليه كتاب مختص به مؤيد بالمعجزات القاطعة والنبي من له معجزة قاطعة سواء كان صاحب
كتاب او لا فهو اعم من الرسول وكونه عليه الصلوة والسلام اميا من جملة معجزاته فانه عليه الصلوة
والسلام لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه ربما طالع في كتب الاولين فحصل هذه
العلوم من تلك المطالعة فلما اتى بهذا القران العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين من

ابن كمال
نحوه كما رووا ورد او مضمنا الى
الدعوة غير مستقلا كان في
اوا له شريعة غيره كدعوى عيسى
الى شريعة جديدة سواء كانت
صاحب دعوة [illegible] او انه يكون
من زيادة قبله [illegible] التورية فلا
كتاب [illegible] بني اسرائيل
معهم بان انبيا
النقض بان [illegible] تقلب عليه
نبي معه كتاب من قال الرسول
مستقل ومنهم من اصحاب كتاب
لم يكونوا
رد عليه بان اكثر الرسل

من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات الباهرة روي انه صلى الله عليه وسلم اختار في
طريقه رجلا من اليهود يمرض ابنا له فقال له يا يهودي هل تجدون شيئا عندكم مكتوبا في
التورية فاوما اليه اليهودي برأسه يعني لا انهم لا يجدونه عندهم مكتوبا في التورية فقال
له ابن اليهودي والله يا رسول الله انهم يجدونك مكتوبا في التورية ولقد اطلعت وانا في يده سفرا
من التورية يقرأ فيها صفتك وصفة اصحابك وذكرك فلما رأى تفسيره عنك فانا اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فكان اخر ما تكلم به الغلام حتى
قضى نحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه قال الراوي فخلينا
بين اليهودي وبينه وتولينا امره حتى واريناه وانصرفنا قوله فسأكتبها في الاخرة على
ان تكون السين للاستقبال او قوله او فسأكتبها كتبة على ان تكون السين للتأكيد وقوله منكم حال
منكم حال مبينة لقوله تعالى الذين يتقون كانه قيل فسأكتبها للموصوفين بهذه الاوصاف منكم
خاصة يا بني اسرائيل شرادة قوله الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل فان
هذه الصفة مختصة بهم قوله او كالربوا والرشوة عطف على الدم ولحم الخنزير بكلمة او
للاشارة الى انه يجوز ان يراد بالطيبات والخبائث ما يستطيبه الطبع السليم ويستلذه
وما يستخبثه الطبع وينفر عنه فتكون الاية دليلا على ان الاصل في كل ما يستطيبه الطبع الحل
وفي كل ما يستخبثه الطبع الحرمة الا لدليل منفصل وانه يجوز ان يراد بهما ما طاب في حكم الشرع
وخبث فمدلول الاية ح ان ما يحكم الشرع بحله فهو حلال وما يحكم بحرمته فهو حرام ولا حكم لاستطابة
الطبع واستخباثه فيهما قوله وقرض موضع النجاسة اي وقطع الموضع الذي اصابته النجاسة
من الجلد ومن الثوب وعدم الاكتفاء بغسله وكاحراق الغنائم وكتحريم العروق التي في اللحم
وكتحريم العمل يوم السبت بالكلية شبهت هذه التكاليف الشاقة بالحمل الثقيل وبالاغلال
التي تجمع اليد الى العنق ومما كلفوا باشتراط قتل النفس في صحة التوبة قوله اي مع نبوته على
ان يكون معه متعلقا بانزل حالا من ضميره بتقدير المضاف اي انزل ذلك النور مصاحبا لنبوته
قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت انزل مع نبوته لان
استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به قوله ويجوز ان يتعلق باتبعوا على ان يكون ظرفا
لاتبعوا كانه قيل اتبعوا القران مع اتباع سنن الرسول عليه الصلوة والسلام ويحتمل ان
يكون حالا من فاعل اتبعوا اي اتبعوا القران مصاحبين له عليه الصلوة والسلام في
متابعته فكما انه صلى الله عليه وسلم يتبع القران فكونوا معه في اتباعه واعلم ان موسى لما توسل
الى الله تعالى بولايته ونصرته في جميع الامور بقوله انت ولينا والنصرة يتعلق بامرين دفع

الضر وتحصيل النفع فسأل الاول لنفسه ولاخيه اذ بين سأل اولهما بقوله فاغفر لنا وثانيهما
بقوله وارحمنا لان المغفرة هي اسقاط العقوبة والرحمة ايصال الخير وقدم الاول على الثاني
لان دفع المضرة مقدم على تحصيل المنفعة واكد الاول بقوله وانت خير الغافرين ثم فصل
سؤال الرحمة الى استدعاء الرحمة الدنيوية بقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة والى
استدعاء الرحمة الاخروية بقوله وفي الاخرة وتقرب اليه تعالى في تحصيلها بقوله انا هدنا
اليك فلما كان حاصله مسئلة دفع العذاب وتحصيل الرحمة الدنيوية والاخروية اجابه
تعالى بقوله عذابي اصيب به من اشاء كانه قيل اما حدوث العذاب فيتعلق بمشيتي ولا قدرة
لاحد على دفعه ولا الاعتراض عليه واما الرحمة الدنيوية فهي عامة للمؤمنين والكافرين
والبر والفاجر واما الاخروية فمختصة بالموصوفين بالتقوى عن الكفر والمعاصي وايتاء
الزكوة والايمان بجميع الايات ومتابعة الرسول والموصوفون بهذه الصفات هم الموجودون
من بني اسرائيل في زمن محمد صلى الله عليه وسلم الموصوف بكونه رسولا نبيا اميا وبكون المتقين
المذكورين يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل وبكونه يأمر المتقين المذكورين
بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر ما ذكر من اوصاف الرسول الامي ولما اختصت الرحمة
الاخروية للمتقين الموصوفين بالصفات المذكورة كانت مختصة بالموجودين في زمن
الرسول النبي الامي من بني اسرائيل ويتبعونه في جميع ما يتعلق بالاعتقاد والعمل فان
التقوى وايتاء الزكوة والايمان بجميع الايات واتباع الرسول الامي وان وجد في غير بني اسرائيل
لكن المتقين المذكورين الذين يجدونه مكتوبا عندهم باسمه وصفته في التورية والانجيل
منحصر في الموجودين في زمن الرسول الامي فان المتمسك بالكتابين انما هو جماعة بني
اسرائيل لا غيرهم واما وجودهم في زمن الرسول الامي فلان اتباعه لا يمكن قبل وجوده و
بعثته واشار اليه الحسن بتوصيف قوله كتبه خاصة منكم يا بني اسرائيل وعبارة الكشاف
هكذا فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في اخر الزمان
من امة محمد صلى الله عليه وسلم وكلمة من في قوله منكم يا بني اسرائيل لبيان قوله للذين يكونون و
قوله من امة محمد خبر يكونون وقوله فلا يكفرون بشيء منها اشارة الى ان الجمع المضاف وهو قوله
تعالى باياتنا يفيد العموم والاستغراق وقوله فلا يكفرون بشيء منها تاكيد للاستغراق المدلول عليه كما
كانه قيل والذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون واما تقديم قوله باياتنا على عامله فهو لافادة
اختصاص ايمانهم بجميع الايات تعريضا لبعض امة موسى لانهم لم يؤمنوا ببعضها فمحصول الاية
ان الرحمة الاخروية مختصة ببني اسرائيل الموجودين في زمان الرسول الامي الذين امنوا به

به واتبعوه في جميع ما امر به ونهى عنه فان قيل الرحمة المذكورة لو اختصت بهم لزم ان لا
تثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك اجيب بان هذا الاختصاص بالاضافة الى بني اسرائيل
الموجودين في زمانه ولم يؤمنوا به لا بالاضافة الى جميع من عداهم فان قيل الضمير في قوله
تعالى فسأكتبها راجع الى الرحمة المذكورة في قوله ورحمتي وسعت كل شيء والرحمة العامة
الواسعة لكل شيء كيف تختص بجماعة مخصوصة اجيب بان هذه الرحمة اشارة الى مطلق الرحمة
التي اخبر عنها بانها عامة في الدنيا مختصة في الاخرة وانما ذكر اختصاص الرحمة بهذه الطائفة
في جواب موسى تخلصا من قصته الى ذكر سيد المرسلين ومدحته صلى الله عليه وسلم وعلى جميع
الانبياء والمرسلين وانه من التخلصات الفائقة ولا سيما قد عقبه بقوله فالذين امنوا به
وعزروه وقوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا قوله ومضمون الاية جواب دعاء
موسى اراد بالاية قوله تعالى عذابي اصيب به من اشاء الى قوله اولئك هم المفلحون واراد بدعاء
موسى قوله انت ولينا فاغفر لنا الى قوله انا هدنا اليك وقد ذكرنا وجه كونه جوابا للدعاء
عليه الصلوة والسلام بقولنا فلما كان حاصل مسئلة دفع العذاب وتحصيل الرحمة الى اخر
الكلام فان قيل ان موسى دعا لنفسه ولبني اسرائيل بالمغفرة والرحمة وحصول ما ذكر في معرض
الجواب ان العذاب لجماعة والرحمة لجماعة فكيف يكون هذا جوابا مطابقا لدعاء موسى عليه
الصلوة والسلام قلنا انه مطابق له من حيث ان سؤال المغفرة لحصول الدعاء
بالخلاص من عقوبة ما اقترفوه من الجرائم المعاصي وقوله عذابي اصيب به من اشاء
جواب عنه بان تعذيب العصاة ليس بواجب علي بل هو منوط بمشيتي اعذب من اشاء
تعذيبه واعفو عمن اشاء وهو جواب مطابق لسؤال المغفرة على وجه يتضمن ترهيب من
لم يجز رؤية الله تعالى جهرة من بني اسرائيل وترغيبهم في الاتصاف بالصفات التي
يستحق المكلف بها الرحمة الاخروية فظهر ان مضمون الاية جواب لدعاء موسى والنبي اعم
من الرسول لان النبي من ادعى النبوة واظهر المعجزات القاطعة سواء كان معه كتاب سماوي
مختص به منزل عليه او لم يكن بخلاف الرسول فانه لا بد ان يكون له كتاب التي يختص به مؤيد
بالمعجزات القاطعة فكل رسول نبي من غير عكس وجمع بينهما مع ان ذكر الرسول مغن عن ذكر
النبي ظاهر لان الرسالة يستلزم النبوة في التحقيق الا ان كل واحد منهما ينفك عن الاخر في
التعقل فان الرسول رسول بالنسبة الى الله ونبي بالنسبة الى امته والامي من حيث كونه على
صفة امة العرب فان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن وكونه عليه الصلوة والسلام اميا من جملة
معجزاته فانه عليه الصلوة والسلام لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه ربما طالع

في كتب الاولين فيختص بهذه العلوم تلك المطالب فهذه الاية تنبيه ان القران العظيم المشتمل على علوم
الاولين والاخرين من غير تعلم ومطالعة كتاب من جملة معجزاته الباهرة قوله وكان عليه
الصلوة والسلام مبعوثا الى كافة الخلق من الانس والجن على عمومه والى من سيوجد بعده الى يوم
القيمة بخلاف ساير الرسل فانهم بعثوا الى اقوامهم واهل عصرهم ولم يستمر شرايعهم الى يوم
القيمة قوله وان جعل بينهما اي وان اوقعت الجملة والفصل بين الجلالة وبين الموصول
وصلته اعتذار لوقوع قوله اليكم جميعا فاصلا بين الموصوف وصفته وجه العذر ان قوله
اليكم جميعا وان كانت متاخرة بحسب اللفظ عن الجلالة الا انه كالمقدم عليه رتبة لان
كلمة الى في اليكم متعلقة بقوله رسول المضاف الى الجلالة وقوله جميعا حال من ضمير اليكم
فصار الجار والمجرور والحال في حيز المضاف متعلقا به متقدما على الجلالة غير فاصل
بين الصفة والموصوف فجاز ان يكون الموصول مع صلته مجرور المحل على انه صفة للجلالة
كما جاز كونه منصوب المحل على المدح ومرفوع المحل على المدح او على انه مبتدأ وخبره لا اله
الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله الذي هو صلة الموصول يعني ان قوله لا اله الا هو
على الوجه الاول بدل من الصلة التي قبله وفيه بيان لها لان من ملك العالم كان هو الاله
المتفرد بالالوهية فلا يكون له محل من الاعراب كالصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله
لا اله الا هو من لبيان اختصاصه بالالوهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة الا الاله
قوله وانما عدل عن التكلم يعني ان مقتضى قوله اني رسول الله اليكم ان يقال فآمنوا بالله وبي
الا انه عدل عن ضمير المتكلم الى الاسم الظاهر ليجري عليه الصفات المذكورة فان الضمير لا يوصف
ولا يوصف به والمقام يقتضي توصيفه بتلك الصفات لكونها داعية الى الايمان به اما كونه
نبيا فقط واما كونه اميا فلما مر من انه معجزة باهرة من معجزاته عليه الصلوة والسلام
قوله ابتدأ الامرين وهما الايمان واتباعه فان من آمن به عليه الصلوة والسلام و
لم يلتزم شرعه فانه ليس له رجاء الاهتداء لان مجرد الايمان به لا يخرجه عن دائرة
الضلال بل هو بعد في خطط الضلالة ودائرتها والخطط جمع خطة بكسر الخاء وهي الارض
التي يختطها الرجل لنفسه بان يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه اختارها ليبني دارا
ومنه خطط الكوفة والبصرة ويقال صاحب الخطط ثم انه تعالى لما ذكر قوله واتخذ قوم
موسى من بعده من حليهم عجلا ذكر بعده اضدادهم وهم الثابتون على الايمان الثا
بتون بالحق من اهل زمان موسى عليه الصلوة والسلام فانهم اضداد عبدة العجل واضداد
من قال لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كما هو عادة القران العظيم في الجمع بين السعداء

السعداء والاشقياء في الذكر وقيل المراد بالذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من بني
اسرائيل وآمنوا به كعبد الله بن سلام واصحابه وقيل المراد به قوم وراء الصين باقصى
المشرق وذلك ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وانبرأ سبط منهم مما صنعوا
وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض وجعل
امامهم المصابيح يضيء لهم بالنهار فاذا امسوا الظلم عليهم النفق فنزلوا فاذا اصبحوا
اضاءت لهم المصابيح فساروا ومعهم نهر من ماء يجري واجرى الله تعالى عليهم رزقهم
فساروا فيه على هذا الوجه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين الى ارض
باقصى المشرق طاهرة طيبة فنزلوها وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوام
لا يضر بعضهم بعضا من اجل انه ليست لهم ذنوب وهم متمسكون بالاسلام لا يعصون
الله تعالى طرفة عين يصافحهم الملائكة فهم في منقطع من الارض لا يصل اليهم احد
منا ولا احد منهم الينا وانهم كبني اب واحد ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون
بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون ويحصدون جميعا فيضعون الحاصل في اماكن من
القرية فياخذ كل رجل منهم قدر حاجته ويدع الباقي روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لجبرئيل ليلة المعراج اني احب ان ارى القوم الذين اثنى الله تعالى عليهم بقوله ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فقال ان بينك وبينهم مسيرة ست سنين
ذاهبا وست سنين راجعا ولكن سل ربك حتى ياذن لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
وامن جبرئيل عليه السلام فاوحى الله تعالى الى جبرئيل ان اجبه الى ما سأل فركب البراق
فخطى خطوات فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم وردوا عليه سلامه وسألوه من
انت فقال النبي الامي قالوا انت الذي بشر بك موسى نحن ممن سبقك قال اوتروني قالوا
نعم قال جبرئيل قال فما بال قبورهم على ابواب دورهم فقلت ولم ذلك قالوا ذلك لاجل
ان نذكر الموت صباحا ومساء فقال ارى بناءكم مستوية قالوا ذلك لئلا يشرف بعضنا
على بعض ولئلا يستر احد على احد الريح والهواء قال فما لي لا ارى لكم قاضيا ولا
سلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا الحق فلم نحتج الى قاض يقضي بيننا
قال فما لي ارى اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا ونحصد جميعا فياخذ كل احد منا ما
يكفيه ويدع الباقي لاخيه فلا نحتاج الى مراجعة الاسواق قال فما لي ارى هؤلاء
القوم يضحكون قالوا مات لهم ميت فيضحكون سرورا بما قبضه الله تعالى على التوحيد قال
فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا ولد لهم مولود فانهم لا يدرون على اي دين يقبض فيبكون

لذلك قال فاذا اهل البلد لكم ذكر فاذا تضمنون بالرد المنصوص الا شكر اشهرا فقال الاثني
ما الوا نصوم شكرا شهرين قال اعلم والعلة لاجل موسى اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا
من الصبر على الذكر قال افتزنون قالوا وهل يفعل ذلك احد لم يفعل ذلك احد لخسفت السماء
وخسفت به الارض من تحته قال افتغيرون قالوا انما يرتد من لا يؤمن برزوح الله
نعم قال افتمرضون قالوا لانمرض ولا نتذنب انما يذنب اشتكى فيمرضون ليكون ذلك كفارة
لذنوبهم قال هل في ارضكم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها
فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم شريعته والصلوات الخمس عليهم وعلمهم الفاتحة و
سورا من القران قيل انهم كانوا يسبتون فامرهم ان يتركوا تحريم السبت وان يجمعوا وقيل
انهم قالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا بان قال لنا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه
مني السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى سلامه **قوله** فانه يتضمن معنى صيّر
يعني ان قطع يتعدى الى واحد فان ابقي على اصل معناه يكون انتصاب اثنتي عشرة على انه
حال من مفعول قطعنا هم اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وان جعلناه متضمنا معنى
صيّر يكون مفعولا ثانيا له **قوله** وتانيثه يعني ان اثنتي عشرة سواء جعل مفعولا ثانيا
لصيرنا هم او حالا لصيرناهم او حالا من مفعول قطعناهم عبارة عن قوم موسى فحقه
ان يقال اثني عشر الا انه انث اسم عددهم نظرا الى ان القوم في معنى الامة او القطعة
ومميز اثنتي عشرة محذوف للعلم حذوف للعلم به تقديره اثنتي عشرة امة او فرقة واسباطا
بدل من ذلك التمييز وانما قلنا ان التمييز محذوف ولم نجعل اسباطا مميزا لوجهين الاول
ان الاسباط لو كان مميزا لكان المعدود مذكرا لان الاسباط جمع سبط وهو مذكر فكان
ينبغي ان يقال اثني عشر اسباطا والثاني ان مميز احد عشر الى تسعة عشر يكون مفردا
منصوبا واسباطا جمع سبط فلا يصلح ان يكون مميزا له والخصر فروع بني اسرائيل في اثنتي عشرة
فرقة لانهم تشعبوا من اثني عشر رجلا من اولاد يعقوب عليه الصلوة والسلام فانعم الله
عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم احوالهم ويتيسر ضبطهم **قوله** او تمييز له عطف على
قوله بدل اي يجوز ان يكون اسباطا مميزا لاسم العدد بناء على ان كل فرقة من الفرق المقطعة
من بني اسرائيل ليس سبطا واحدا بل اسباط متعددة لان السبط ولد الولد فلو قيل اثني
عشر سبطا بالافراد لكان المعنى فرقنا بني اسرائيل اثني عشر ولد الولد وليس بمراد بل
المراد اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة اسباط فحذف ما هو المميز حقيقة وهو القبيلة واقيم
صفته وهو اسباطا مقامه واعرب باعرابه **قوله** امما على الاول اي على ان يكون اسباطا
بدلا

يعني صلة على التمييز انما يصح بهذا ان وجب وهو ان
يأول الاسباط بالقبائل
النبي من مفرد صالح لان يميز
بها فقط انتهى
محمد

بدلا من اثنتي عشرة بدلا جمع بدلا من اثنتي عشرة التي هي مفعول ثان لصيرنا هي في حكم
الساقط وكل واحد من البدل ليس مقصود ويكون مفعولا ثانيا لصيرنا اي صيرناهم اسباطا
امما فان بني اسرائيل مع كونهم اولاد اولاد يعقوب كلهم ايضا امم كثيرة لانهم صاروا اثنتي عشرة
فرقة وصارت كل فرقة امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحد من قوله اسباطا و
امما بدل من اثنتي عشرة اي من مميزه المحذوف وهو فرقة ويحتمل ان يكون امما نعتا لقوله
اسباطا ولا يجوز ان يكون امما بدلا من اسباطا على تقدير كونه بدلا من اثنتي عشرة
لان المبدل لا يبدل منه **قوله** وعلى الثاني اي على تقدير ان يكون اسباطا تمييز القوله
اثنتي عشرة عبر عنه بلفظ الجمع مع ان حق تمييزه ان يكون منصوبا مفردا للاشارة الى
ان كل واحد من احاد اثنتي عشرة قبيلة كثيرة وجماعة كثيفة يكون امما بدلا من اسباطا
لا من اثنتي عشرة لعدم جواز الفصل بين البدل والمبدل منه بما هو مميز المبدل منه ثم انه تعالى
ذكر من جملة ما انعم به على بني اسرائيل نعمة اخرى غير تقطيعهم اثنتي عشرة فرقة وهي ان
هيأ لهم طريق سقيهم وسقي دوابهم وهم في برية التيه فقال واوحينا الى موسى اذا
استسقاه قومه قال المفسرون عطش بنو اسرائيل في التيه فقالوا يا موسى من اين
لنا الشراب فاستسقى لهم موسى اي سأل الله تعالى ان يسقيهم الماء فاوحى الله اليه ان اضرب
بعصاك الحجر قيل كان حجرا خفيفا مربعا مقدار رأس الرجل امره الله بان يحمله معه فوضعه
في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء كان يخرجه من المخلاة فيضعه بين يديه فيضربه بعصاه
فيتفجر منه العيون لكل سبط عين وقيل كان في ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة فكانوا اذا نزلوا
وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلهم فذلك قوله تعالى قد علم كل
اناس منهم مشربهم اي موضع شربهم والفاء في قوله تعالى فانبجست فصيحة تفصح عن حذف
المعطوف عليه اي فضرب فانبجست والظاهر ان كلمة ان في قوله تعالى ان اضرب مفسرة
للايحاء لكونه بمعنى القول وجاز كونها مصدرية والجوهري لم يفرق بين الانبجاس والانفجار
وجعلهما بمعنى السيلان فلا فرق بين هذه الاية وبين قوله تعالى في سورة البقرة فقلنا
اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من حيث المعنى وقيل الانبجاس العرق
والانفجار السيلان فقوله انبجست بمعنى عرقت وانفجرت بمعنى سالت قال الراغب يقال بجس الماء
وانبجس انفجر لكن الانبجاس اكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق والانفجار يستعمل فيه
وفيما يخرج من شيء واسع فيفرق بينهما بالعموم والخصوص فكل انبجاس انفجار من غير
عكس وقيل الانبجاس خروج الماء بقلة والانفجار خروجه بكثرة فطريق الجمع بين هذه

والاسباط في بني اسرائيل
كالقبائل في العرب وهو يدل
على ان اصلهم من الارض الى اثني
عشر والقطعهم الى هذه الاثني عشر
فرقة كل منهم فانه بكونه احد منهم
من جهة رسم التنقيح
الامر على موسى عليه السلام
ان سبب تعرف احوالهم
ويسهل عليهم حصولهم اذا
ارادهم وبعلم كل
فريق مرجعهم ومادتهم
منه

الاية وهي في سورة البقرة ان اي ابتدئ بالخروج قليلا ثم بالخبر **قوله** وما ظلموا فيه اختصار واصله فظلموا انفسهم بان كفروا بهذه النعم لان من ارتكب المحظور فقد ظلم نفسه

ثم بني اسرائيل لما خرجوا من التيه قال الله لهم ادخلوا هذه القرية قيل هي اريحا وهي قرية قريبة من بيت المقدس بقرب مزار ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وقيل هي بيت المقدس وحطة فعلة من الحط كالردة من الرد والحط وضع الشيء من اعلى الى اسفل والحطة ههنا بمعنى المغفرة قيل انهم اصابوا خطيئة باباتهم على موسى دخول الارض التي فيها الجبارون فاراد الله ان يغفر لهم فقيل لهم قولوا حطة اي مسئلتنا حطة اي حط ذنوبنا او امرك حطة اي شانك يا ربنا ان تحط ذنوبنا وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط

وننزل في هذه القرية ونقيم فيها وادخلوا بابا من ابوابها منحنين متواضعين فقدم في هذه السورة قولوا حطة على قوله وادخلوا وفي سورة البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ولا اثر للتقديم والتأخير في اداء المعنى المقصود **قوله** وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء والباقون بالنون المفتوحة وكسر الفاء وقرا ابو عمرو خطاياكم على لفظ قضاياكم من غير همزة وابن عامر خطيئتكم بالهمزة وضم التاء من غير الف على التوحيد ونافع ويعقوب خطيئاتكم بجمع بالهمزة وضم التاء والالف بعد الهمزة على الجمع وكسر التاء وكذا في التيسير **قوله** وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف حيث جيء به مرفوعا ولم يعطف على ما هو مجزوم جوابا للامر لانه لو عطف عليه مجزوما لفهم ان اثابة المحسن مسببة عن امتثالهم ما امروا به كما ان مغفرة خطاياهم مسببة عنه وليس الامر كذلك بل المغفرة جزاء امتثالهم مسببة عنه بخلاف اثابة المحسن فانها محض تفضل ليست مسببة عن الامتثال **قوله** فبدل الذين ظلموا منهم قولا في الكلام حذف لان بدل يتعدى الى اثنين الى احدهما بالباء وهو المتروك والى الاخر بنفسه وهو الماخوذ وههنا ذكر الماخوذ دون المتروك والتقدير فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غيره والظاهر ان الذين امروا به ان يقولوا لفظا يؤدي ما يدل عليه لفظ حطة من التوبة والاستغفار لا ان يقولوا هذه اللفظة بعينها فخالفوه الى قول لا يؤدي معنى الاستغفار روي انهم قالوا حنطة مكان حطة استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب عفو الله ورحمته الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا الفانية والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس والمراد به ههنا الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا **قوله** واسألهم للتقرير والتقريع انه ليس المقصود من السؤال استعلام ما ليس معلوما للسائل لانه عليه الصلوة والسلام

كوضع الحمل عن ظهر الدابة منه

ذكر الماخوذ منه

كان قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحي بل المقصود منه ان يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم على ان يقرروا بقديم كفرهم واعتدائهم حدود الله ومخالفتهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام على طريق التوارث من اسلافهم وتقريعهم بذلك وان يظهر بذلك معجزة دالة على انه نبي حق اوحي اليه ما لا يعلم الا بتعليم او وحي فانه عليه الصلوة والسلام لما كان رجلا اميا لم يخالط اهل الكتاب السابقة ويبين هذه القصة على وجهها من غير زيادة ولا نقصان تبين انه علم ذلك بالوحي فكان ذلك بيانا على ما وقعت معجزة ظاهرة من جملة معجزاته عليه الصلوة والسلام **قوله** عن خبرها قدر المضاف لان المسئول عنه ليس نفس القرية بل هو خبرها وما وقع باهلها **قوله** واذ ظرف لكانت حاضرة البحر موجودة

عند وقت عدوانهم وتجاوزهم عما حد لهم من تعظيم يوم السبت بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة وفي تقييد العامل بتحقق مضمونه في ذلك الوقت اشارة الى ان القرية خربت بعد ذلك الوقت ويجوز كونه ظرفا منصوبا بالمضاف المقدر اي واسألهم عن خبر القرية اذ يعدون وكونه بدلا من المضاف المقدر فان المراد من القرية خبرها وحال اهلها وبينه وبين ذلك اشتمال واذ في قوله اذ تاتيهم ظرف ليعدون اي اذ عدوا اذ تاتيهم لان اذ ظرف لما مضى فيصرف المضارع الى الماضي او بدل بعد بدل من المضاف المقدر اي واسألهم عن وقت اعتداء اهل القرية عن اتيان حيتان البحر اليهم وجعل كلمة اذ بدل اشتمال من ذلك المضاف محل بحث لان اذ لازمة الظرفية لا تتصرف فيها ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول كلمة عن عليه لان البدل على نية تكرير العامل **قوله** قرئ يعدون بفتح العين وتشديد الدال وهي تشبه قراءة نافع لا تعدوا في السبت والاصل تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقرب المخرج وقرئ يعدون بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال من اعد يعد اعدادا اذا اتخذ روي انهم كانوا مامورين ان يشتغلوا بالعبادة في السبت فتركوها وهيئوا الآت الصيد **قوله** والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه جواب عما يقال كيف يكون السبت اسما لليوم السبت مع ان اضافته اليهم تمنع منه لان يوم السبت لا يختص بهم وتقرير الجواب ان يوم السبت اضيف اليهم لادنى الملابسة لاختصاصهم فيه باحكام ليست لغيرهم **قوله** ويؤيد الاول اي يؤيد كون السبت مصدرا امران الاول قراءة اسباتهم على لفظ المصدر والثاني قوله تعالى ويوم لا يسبتون فانه مقابل لقوله يوم سبتهم ومن المعلوم ان قوله يسبتون من السبت الذي هو مصدر لا من السبت الذي هو اسم اليوم لان اضافة اليوم اليه تمنع كونه بمعنى اليوم والمعنى ويوم لا يعظمون امر السبت بانقضاء يوم السبت

المقتنص حيان

بغروب الشمس لا تاتيهم الحيتان فلما كانوا لا يسبتون من السبت بمعنى المصدر كان السبت في
قوله يوم سبتهم ايضا بمعنى المصدر لتحقق مقابلة الفعل بترك الفعل قيل اذا كان يوم السبت
لم يبق حوت في البحر الا اخرج على وجه الارض البحر فخرج من خرطومه من الماء واذا كان يوم
الاحد غصن ولم ير شيء منها الى السبت المقبل ابتلوا بذلك بسبب فسقهم ومجاوزتهم بالمعصية
عقوبة لهم فلما اخبرهم الله بذلك وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن
الاصطياد وانما نهيكم عن الاكل فاصطادوا وقيل وسوس اليهم انما نهيتم عن الاخذ //
فاتخذوا حياضا على شط البحر تسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم تاخذونها يوم الاحد
ففعلوا ذلك زمانا واتسع بذلك رزقهم فقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا و
واكلوا وباعوا فصار اهل القرية اثلاثا وكانوا الخواص سبعين الفا ثلث منهم نهوا
وثلث لم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث اصروا على ارتكاب
المعصية فلما اصروا على ذلك قال لهم الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا //
القرية بجدار وجعلوا لانفسهم بابا وللمعتدين بابا ولعنهم داود عليه الصلوة والسلام
فاصبح الناهون ذات يوم فخرجوا من بابهم وانتشروا لمصالحهم ولم يخرج من المعتدين
احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر غلبتهم فعلوا على الجدار فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا
عليهم فعرفت القرود انسابها من الانس ولم يعرف الانس انسابها من القرود فجعلت
القردة تاتي انسابها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول الانسي الم ننهكم فيقول
برأسها نعم فنجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم **قوله** مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم
اشارة الى ان الكلام تم عند قوله تع ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وان الكاف في قوله كذلك
في موضع النصب بقوله نبلوهم اي بلوناهم وامتحناهم مثل ذلك البلاء الشديد الذي وقع بهم
في امر الحيتان بسبب فسقهم وعصيانهم بالاعتداء فقوله نبلوهم مستقبل بمعنى الماضي **قوله**
وقيل ذلك بما قبله متصل أي اشارة الى الاتيان المدلول عليه بقوله اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا فتم الكلام عند قوله كذلك والمعنى ويوم لا يسبتون لا تاتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان
الذي يأتي يوم السبت وهو الاتيان شرعا ثم استأنف فقال نبلوهم بما كانوا يفسقون و
الكاف على هذا في موضع النصب بالاتيان المدلول عليه بقوله لا تاتيهم اي لا تاتيهم مثل ذلك الاتيان
الذي يقع يوم السبت لا بقوله نبلوهم **قوله** والباء متعلقة بيعدون والظاهر انها متعلقة بقوله
نبلوهم على التقديرين اي سواء جعل ذلك اشارة الى ابتلائهم باتيان الحيتان يوم السبت
وعدم اتيانهم سائر الايام او الى اتيان الحيتان يوم سبتهم شرعا الا ان المص جعلها //
متعلقة

روي عن الامام انه منصور ابتلاهم الله بذلك النهي ليرى الخلق المطيع منهم والعاصي وان ذلك الامام نقل عن اخرين انهم قالوا ابتلاهم بذلك بما كانوا يفسقون في السر ليكون فسقهم وتمردهم ظاهرا عند الخلق كما كان ظاهرا عند الله لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا ابتلاء ظلم لا لفسق
منه

عبّر بالمستقبل لحكاية حال ماضية

متعلقة بيعدون نظرا الى ان الكون اعتيادهم بالفسق سببا لاعتدائهم //
بارتكاب ما نهوا عنه اقرب من كونه سببا لابتلائهم بذلك البلاء **قوله** نجز نهم اي استاصلهم
وطهر الارض منهم يقال اخترمهم الدهر وتخرمهم اي اقتطعهم واستاصلهم **قوله** قالوه
مبالغة جواب عما يقال كيف يصح من الصلحاء ان يقولوا لمن يعظ المعتدين لم تعظونهم مع ان
الظاهر منه كونه انكارا للوعظ والنهي عن المنكر وانكار النهي عن المنكر معصية بعيدة من
الصلحاء وتقرير الجواب ان الصلحاء لم يقولوا ذلك انكارا لوعظهم وانما قالوه اما مبالغة في بيان
عدم انتفاعهم بالوعظ او سؤالا عن علة موعظة قوم شانهم الاعراض عن القبول و
الاستخفاف بالوعظ والانهماك في الضلال حتى اسرفوا بذلك على ان يهلكهم الله ويعذبهم
عذابا شديدا ثم بين انه يحتمل ان يقول ذلك القول بعض الصلحاء المجتهدين في الموعظة والنهي
عن المنكر لبعض اخر منهم وان يقول من ارعوى وامتنع عن الموعظة بعد الاجتهاد البليغ
فيما لم يرعو منهم عنها فعلى الاول يكون اهل القرية فرقتين فرقة مذنبة صادوا السمكة
وفرقة صلحاء وعظوا الفرقة المذنبة ونهاهم وهذه الفرقة تقاولوا فيما بينهم بذلك وعلى
الثاني يكون اهل القرية ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقتان صالحتان اجتهد كل واحدة منهما
في موعظة الفرقة المذنبة ثم ان احدى هاتين الفرقتين ارعوى عن موعظة الفرقة المذنبة
ليأسهم عن القبول والاخرى لم ترعوا عنها وقالت الفرقة الساكنة من هاتين الفرقتين
للفرقة الواعظة لم تعظون **قوله** قيل المراد اي من الامة في قوله تع وقالت امة منهم طائفة
من الفرقة الهالكة والمعنى قالت طائفة من الفرقة الهالكة للفرقة الصالحة حين وعظوهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم بزعمكم قالوا ذلك استهزاء بالصلحاء فعلى هذا يكون
اهل القرية فرقتين فرقة مذنبة وفرقة واعظة ثم ان فرقة المذنبة تستهزئ وعاظهم
بان يقولوا لم تعظون قوما الخ لم يرض المص بهذا القول لان قوله تع قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم
يتقون لا يساعد هذا القول وذلك لان هذا القول من الله تع يستلزم ان يكون في القرية فرقتان
اخريان غير الفرقة الهالكة عبر عن احديهما بجمع الخطاب في قوله الى ربكم وعن الاخرى بجمع الغيبة
في قوله ولعلهم يتقون وقد مر ان اهل القرية على قول هذا القائل فرقتان فرقة مذنبة وفرقة
واعظة وعلى قول هذا القائل ينبغي ان يقال ولعلكم تتقون والمعذرة اسم مصدر وهو العذر و
قيل انها بمعنى الاعتذار وقراءة العامة معذرة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اي موعظتنا معذرة
وقرأ حفص عن عاصم بالنصب على انها مصدر فعل مقدر من لفظها اي اعتذرنا به معذرة
او على العلة اي وعظناهم لاجل المعذرة والمعنى ان الامر بالمعروف واجب علينا فعلينا

مع عظته هؤلاء العصاة معذرة الى الله تعالى ولعلهم يتقون الله وحيث كونها المعطية لان تخبر ا
الحق الواضح يرجى من العاقل قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به التفاتي يعني الى قوله نسوا استعارة
تبعية شبه تركهم لما ذكروا به عمدا بالنسيان المستلزم لتركه مطلقا على سبيل الاستعارة
استعارة تصريحية اصلية فاشتق منه نسوا فحصلت الاستعارة التبعية وحمل المجاز
لتعذر الحمل على الحقيقة ضرورة انهم لم يتركوا ما وعظوا به الا للمخالفة والعناد لا للنسيان
اياه قوله تعالى بعذاب بئيس بفتح الباء وهمزة مكسورة بعدها ياء على وزن رئيس اى بعذاب
ذو بأس وقرأ ابو بكر بيئس بفتح الباء وهمزة مفتوحة بينهما ياء ساكنة على وزن ضيغم
وقرأ ابن عامر بئس بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها على ان اصله بئس على وزن حذر
بفتح اوله وكسر ما بعده فخفف كما في كبد وكتف وقرأ نافع بيس بكسر الباء من غير همزة
مثل عيس على انه قلبت الهمزة ياء كما في ذيب او على انه فعل الذم نقل الى الاسمية فوصف به وقرئ
بيّس بتشديد الياء على وزن ميت وريس واصله بيئس قلبت همزته ياء وادغمت الياء
في الياء وبيس بياء ساكنة على التخفيف كهين في هيّن وبائس على وزن فاعل قوله تكبروا
عن ترك ما نهوا عنه فسر العتو بالتكبر والتمرد والعناد وفي جميع ذلك معنى الاباء عن
المنهي عنه انما يكون بالاطاعة ومعلوم ان الاطاعة لكونها لا توجب العقوبة غير مراد ههنا
فلذلك قدر المضاف والتكبر عن ترك المنهي عنه انما يكون بارتكابه الذي يوجب العقوبة فهو
من حيث المعنى نظير قوله تعالى وعتوا عن امر ربهم لان التكبر عن الامر انما يكون بترك المأمور
الذي يوجب العقوبة قوله كقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يعني
ان قوله تعالى قلنا لهم كونوا قردة ليس المراد به انه تعالى كونهم قردة بقوله كلام سمع بحكم طلب
التكوين لان حمل الكلام على انه تعالى امرهم بان يقلبوا انفسهم قردة غير معقول لانهم لا يقدرون
على ذلك وتكليف العاجز غير معقول بل المراد انه تعالى مسخهم قردة بتعلق قدرته بذلك الا انه
اخرج الكلام على طريق الاستعارة التمثيلية بان شبه تأثير قدرته تعالى والارادة في المراد من
توقف وامتناع ومن غير مزاولة عمل واستعمال آلة بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور
به من غير امتناع وتوقف فاستعير قوله تعالى كونوا قردة من امر المطاع للمطيع لما يجري
في التكوين وليس ثمة قول ولا امر ولا مأمور حقيقة قوله والظاهر ان الاية تقرير اولا
لما يدل عليه قوله واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قبل قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا
لهم كونوا قردة خاسئين فانه يدل دلالة ظاهرة على ان العذاب البئيس المذكور اولا غير
المسخ المذكور بعده وان القوم تمردوا بعد نزول ذلك العذاب فمسخهم الله تعالى قردة بعد

بعد ذلك وان جاز ان يكون قوله فلما عتوا عما نهوا عنه تكريرا للاية الاولى ونقض للاول ثم
انه تعالى لما شرح قبائح اعمال اليهود من قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الى هنا ذكر حكمه عليهم
بالذل والصغار وانه فرقهم في اطراف الارض ونواحيها ولم يجعل منهم ملكا يجتمعون عنده
ويحتمون به عن قهر من يعاديهم واستمر ذلك عليهم الى يوم القيمة فقال واذ تأذن ربك اى آذن
واعلم ان الامام الواحدي بانه قال اكثر اللغة على ان تأذن بمعنى آذن مثل توعد بمعنى اوعد وقيل
معناه حتم واوجب وقال الزمخشري تأذن ربك اى عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو
الاعلام لان من عزم على الامر وصمم نيته عليه يحدث به نفسه ويوذنها بفعله فقوله او عزم
عطف على قوله اعلم وهو ايضا مبني على كون تأذن بمعنى آذن الان الايذان قد يراد به التبيين
والاعلام للغير واشار اليه بقوله اعلم وقد يراد به العزم على الامر وتصميم النية واشار اليه
بقوله او عزم لان العازم على الشيء يوذن نفسه وعزم الله تعالى على الامر عبارة عن تقرر ذلك
الامر في علمه وتعلق ارادته بوقوعه في الوقت المقدر له قوله تعالى الى يوم القيمة متعلق
بقوله ليبعثن واللام فيه لام جواب القسم لان قوله اذ تأذن ربك جار مجرى القسم من حيث
دلالته على تأكيد الخبر المؤذن به قوله ليسلطن على اليهود واشار به الى ان ضمير عليهم لا
يرجع الى ما يرجع اليه ضمير قوله فلما عتوا عما نهوا عنه لانهم قد مسخوا قردة ثم هلكوا بعد ثلثة
ايام ولم يبق لهم نسل حتى يضرب عليهم الذلة والصغار الى يوم القيمة بل هو راجع الى من
اصر على اليهودية من بني اسرائيل الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى
الايمان به واتباع شريعته وهم الذين رجع اليهم ضمير قوله واسألهم عن القرية وكذا ضمير قطعنا
هم وضمير منهم ومنهم يرجع اليهم وظاهر قوله وقطعناهم في الارض امما يدل على انه لا يخلو
ناحية من نواحي الارض المسكونة الا وفيها امة منهم وحمله المص على المبالغة في تفرقهم
حيث قال بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم قوله تتمة لادبارهم علة للتفريق المذكور اى فرقنا
هم فيها تتميما لجزاء ادبارهم واعراضهم عن الحق حتى لا يكون لهم شوكة بالاجتماع
ابدا قوله اما مفعول ثان لقطعناهم باعتبار تضمنه معنى صيرنا او حال من مفعوله
باعتبار بنائه على اصل معناه وقوله تعالى منهم الصالحون جملة اسمية في محل النصب على
انها صفة لامما او بدل منه فيكون مفعولا ثانيا او حالا من مفعول قطعناهم اى فرقناهم
حال كونهم منهم الصالحون قوله تقديره ومنهم ناس دون ذلك او قوم دون ذلك على ان
دون ذلك صفة لموصوف محذوف مرفوع على الابتداء وقوله منهم خبر قدم عليه قوله اى
منحطون عن الصلاح ايماء الى ان قوله ذلك اشارة الى الصلاح المدلول عليه بقوله

ولما اخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم عما يعمله
بعد نعمته ثم بين بيان
الامر كذلك كان هذا اخبارا
صدر فاخذنا عن الغيب
وكان يجب ان الخبر الروي
في ان انه على الرجال الذين
اليهود اذ صح نقضا
انهم كانوا انقرضوا جميعا
ثم دانوا بالانتقام تذكروا
بالاسم الاسم ولولا انذا
التوجيه لكان ذلك الخبر
الذي فرض صدقه نقضا
لغفله فانهم في وقت ابتعاثهم
الرجال قد خرجوا عن
الذلة والقهر

الصالحون الا انه نح لا تجيس تقدير المضاف ليصح المعنى اي ومنهم دون اهل ذلك
الصلاح لبعد التقسيم قوله وبلوناهم اي عاملناهم معاملة المبتلى المختبر فتحنا
عليهم تارة باب الخصب والعافية وتارة الجدب والشدائد لعلهم يتوبوا عما هم عليه من
المعاصي الى الطاعة فان كلا من الحسنات والسيئات يدعو الى الطاعة اما الحسنات
فللترغيب فيها واما السيئات فللترهيب عن المعصية قوله مصدر نعت به يقال خلف فلان
فلانا اذا كان خليفته وخلف في قومه خلافة اي قام مقامه في تدبير احوال قومه والخلف والخلف
بسكون اللام وفتحها في الاصل مصدران كالضرب والطلب نعت به من جاء بعد احد وقام مقامه
يقال هو خلف سوء من ابيه وخلف صدق من ابيه اذا قام مقامه الا ان الاول يستعمل في الطالح الردي
والثاني في الصالح السوي قال الشاعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وقيل خلف بسكون اللام اسم جمع لخالف كركب لراكب وتجر لتاجر وقال الاخفش هما سواء منهم
من يحرك ومنهم من يسكن فيهما جميعا قوله والمراد به اي بالخلف الذين خلفوا من اليهود
الذين فرقهم الله في الارض امما موصوفين بان منهم الصالحون ومنهم دون ذلك قوله حطام هذا
الشيء الادنى الحطام ما تكسر من اليبس فشبه به العرض بفتح العين والراء والمراد به جميع متاع
الدنيا من النقود والاعيان يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر واما العرض بسكون
الراء فانه يطلق على النقود دون الاعيان اعني الدراهم والدنانير عبر عن متاع الدنيا بالحطام
لعدم بقائها وسرعة زوالها والادنى تذكير الدنيا والمعنى يأخذون عرض هذه الدنيا وانما ذكر
لانه لم يذكر الموصوف من نحو الدار والحيوة فكانه جعل وصفا للشيء او للمكان او للمقام ونحوها قوله
وهو من الدنو وهو القرب سميت هذه الدار وهذه الحيوة دنيا لدنوها وكونها عاجلة يقال دنوت
منه دنوا اي قربت والدني القريب واما الدني بمعنى الدون فهو من المهموز اللام يقال دنأ الرجل
دناءة ودنوءة اي صار دنيا خسيسا لا خير فيه قوله وورثوا الكتاب في محل الرفع على انه نعت
لقوله خلف وقوله يأخذون مستأنفا اخبر عنهم بذلك قوله وهو يحتمل العطف والحال يعني ان قوله
ويقولون يحتمل ان يكون معطوفا على يأخذون وان يكون حالا من فاعله الا ان علماء المعاني صرحوا
بان الجملة الحالية ان كانت فعلية وكان الفعل فيها مضارعا مثبتا امتنع دخول الواو عليها ووجب
الاكتفاء بالضمير نحو لا تمنن تستكثر واجابوا عن قول من قال قمت واصك وجهه وقول من قال
فلما خشيت اظافيرهم نجوت وارهنهم مالكا بانه مبني على حذف المبتدأ اي وانا اصك وانا ارهنهم
فتكون الجملة اسمية فيصح دخول الواو عليها واجاب بعضهم بان ما جاء في النثر من نحو قمت واصك
شاذ وما جاء في النظم من نحو نجوت وارهنهم ضرورة فعلى هذا ينبغي ان يكون مراد من قال انه قوله

قوله عطف على للذين يتقون قال الزمخشري ويكون انا لا نضيع اعتراضا وفيه نظر لانه لم يقع بين شيئين متلازمين من الواضح
الذي عدوها للاعتراض والاولى ان يكون استئنافا نحويا وقد يقال ليس المقام مظنة ان يسال لا تضيع لكون الاخرة خيرا لهم ولذا جعل
اعتراضا لا استئنافا وفيه ان عدم صحة الاستئناف لا يصحح الاعتراض على انه يجوز ان يكون الاستئناف نحويا
سلمه

ان قوله ويقولون حال انه حال بتقدير المبتدا اي وهم يقولون وقوله سيغفر لنا مسند الى
الجار والمجرور بعده وهو لنا ولما اخبر الاخذ فيما بعده كقولك لمن اعتذر لو اخذت اي
سيغفر لنا اخذ العرض لا بطريق الوضوح قوله يعني انهم يعرض مثله حالفين لما يحتجون الذنب
في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون انه لا يؤاخذنا بما اخذنا به
من عرض الدنيا ويتجاوز عنه والحال انهم مصرون على اخذه عائدون الى مثله غير تائبين عنه
فهذه الجملة الشرطية حال من فاعل يقولون وقوله من الضمير في لنا محل بحث وميثاق الكتاب
هو العهد المذكور في التورية وهو ان لا يقولوا على الله الا الحق اي لا يفتروا على الله بمثل القطع على
المغفرة مع الاصرار على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
وكد الله عليهم في التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق فقالوا الباطل وهو ما اوجبوا على
الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون عنها وليس في التورية ميعاد المغفرة مع الاصرار
على الذنب وقيل ذكر في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة قوله
عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى لما تباينت الجملتان خبرية وانشائية لم يصح عطف
الخبرية على الانشائية من حيث اللفظ وجاز عطفها من حيث المعنى لكون الانشائية
في معنى الخبرية لكون الاستفهام للتقرير كانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه و
نظيره قوله تعالى الم نربك فينا وليدا ولبثت فان المعنى قد ربيناك ولبثت ويجوز كونه
معطوفا على ورثوا فيكون قوله الم يؤخذ معترضا بينهما قوله وقرأ نافع الخ يعني انهم قرؤا
افلا تعقلون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة ووجه الخطاب التلوين والالتفات
من الغيبة الى الخطاب فالضماير كلها تكون عبارة عن طائفة واحدة وهو الخلف الموصوفون
بما ذكر ويحتمل ان يكون الخطاب لهذه الامة اي افلا تعقلون انتم حال هؤلاء وتتعجبون من
حالهم وعلى قراءة الغيبة يكون هذا الضمير عبارة عما هو المراد بالضماير المتقدمة وقراءة
العامة والذين يمسكون بالتشديد من مسك بمعنى فان فعل قد يكون بمعنى تفعل قال الامام
الواحدي يقال مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وروى ابو بكر عن عاصم يمسكون
مخففة وهو رديء لانه لا يقال امسكت بالشيء وانما يقال امسكت الشيء ومعنى يمسكون بالكتاب
يؤمنون به ويحكمون بما فيه قال عامة المفسرين نزلت في مؤمني اهل الكتاب الى هنا كلامه
قال مجاهد هم المؤمنون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام تمسكوا بالكتاب الذي جاء به
موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يأخذوا ما كلته قوله على تقدير منهم يعني ان الخبر الجملة
لا بد فيها من رابط يربطها بالمبتدا وذلك الرابط اما ضمير محذوف اعتمادا على دلالة النحو

والمراد وثوقهم على البت بالمغفرة
مع عدم التوبة فان ذلك ليس
بمذهب لاحد من الفرق الاسلامية
وقيد وعليه ما في الكشاف من ان
هذا مذهب اهل السنة بعينه
وذلك لانهم لا يجزمون بغفران
المطيع فضلا عن العاصي
بل لا يستحلون تعذيب الاول
ومغفرة الثاني لكن احتمالا لا
مرجوحا فهو في غاية البعد عن
مذهب اليهود الجازمين بمغفرة
العاصي المصر على العصيان
الى غلبتي ذكره ذريعة الى
الاقدام على المعاصي بل لعل
المنصف اعترف بان مذهب
اعني البت بمغفرة التائب
بحث لا يجوز تعذيبه اقرب
الى المذاهب وما نقله عن التورية
فليس بثابت كيف وهم حرفوها
قبل هذا بازمنة متطاولة
ولعل كان هذا من جملة المحرفات
ومع التبين عرف انه غير
محرف ولو سلم فيجوز ان
يخص بقوم موسى عم
او يكون منسوخا ثم قوله
المص والمراد وثوقهم الخ
مبني على كون قوله الم
يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
الاية ناظرا الى قوله وقوله
فقط دون قوله يأخذون
عرض هذا الادنى والحق
انه ناظر اليهما معا فانهم
لما حرفوا الاحكام فقد قالوا
على الله غير الحق فتامل
سلمه

عليه او الاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقال انا لا نضيع اجرهم الا
انه وضع المصلحين موضع الضمير تنبيها على انه تعالى لا يضيع اجرهم لاجل اصلاحهم **قوله**
وافراد الاقامة جواب عما يقال التمسك بالكتاب عبارة عن الايمان به ورعاية جميع ما فيه
من التكاليف والاحكام فيدخل فيه اقامة الصلوة فلا حاجة الى افرادها بالذكر بعد ذكر
التمسك بالكتاب وتقرير الجواب انه من قبيل ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه على شرف الخاص و
فضله كذكر جبرئيل بعد ذكر الملائكة المتنبه المذكور فان اقامة الصلوة اعظم العبادات وافضلها
بعد الايمان فافردت بالذكر لعلو قدرها بالنسبة الى سائر انواع التمسكات **قوله** اى قلعناه
ورفعناه فوقهم ذكر فعلين الاول منهما تفسير للنتق وثانيهما هو الناصب لقوله فوقهم
على الظرفية فان النتق عبارة عن قلع الشيء من موضعه والرفع ليس نفس معناه ولا جزء لفظه
النتق ولا جزء معناه بل النتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله ولما لم يكن نتقنا صالحا
لان ينصب فوقهم بنفسه جعل متضمنا لمعنى رفعنا فنصبه باعتبار ما في ضمنه من معنى الرفع
لكون نتق الجبل وقلعه من موضعه وسيلة الى رفعه فوقهم فقوله منصوب بنتقنا باعتبار تضمنه
لمعنى رفعنا كانه قيل رفعنا الجبل فوقهم بنتقه وقلعه من مكانه واصل النتق الجذب بقال
نتقت الغرب من البئر اى جذبته وعن الفراء ان النتق هو الرفع قيل الجبل هو الطور
الذى سمع موسى عليه الصلوة والسلام كلام الله تعالى واعطى الالواح وهو عليه وقيل هو جبل
من جبال فلسطين كان فرسخا في فرسخ وقيل هو الجبل الذى كان عند بيت المقدس روى انه
موسى لما اتى بنى اسرائيل بالتورية وقرأها عليهم وسمعوا ما فيها من التكاليف الشاقة
ابوا ان يقبلوها ويتدينوا بما فيها فامر الله تعالى الجبل فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم بحيث
حاذى عسكرهم جميعا ولم يبق منهم احد الا والجبل فوقه وكان عسكرهم فرسخا في فرسخ وقيل
لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على
حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا
على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت بها عنا العقوبة فقبلوها جبرا قيل كان
من اتى جبرا ينكص على عقبه حين وجد فرصة كذلك اهل التورية لما قبلوها جبرا ما لبثوا حتى
شرعوا في تحريفها **قوله** لانه لم يتبع متعلقة اى ما علق به وقوع الجبل وهو عدم قبولهم ما في التورية
حيث قبلوها وسجدوا على اتفاق جباههم ثم انه تعالى لما ذكر انه اخذ الميثاق على بنى اسرائيل
خاصة بنتق الجبل ورفعه فوقهم ذكر انه اخذ الميثاق عليهم ايضا باخذه على كافة بنى آدم بان
ميزهم عن سائر الحيوانات بالعقول السليمة الصالحة للتفكر فيما نصب لهم من الادلة السمعية
و

والعقلية ومما يشاهده من آثار القدرة الكاملة والصنايع العجيبة في الآفاق وفي انفسهم
ليعرفوا بها ان لهم صانعا قادرا على كل شيء عالما بجميع ما يصح ان يعلم الها واحدا لا شريك له وكانه
حين حملهم على ان يقروا بربوبيته ووحدانيته بان قال لهم الست بربكم فاجابوا بقولهم بلى
انت ربنا فقال واذ اخذ ربك من بنى اسرائيل من ظهورهم ذريتهم اى واذكر وقت اخذ الله الميثاق
على بنى اسرائيل آدم حين اخرج الله تعالى من ظهورهم واخرج اولادهم من ظهورهم نسلا بعد
نسل كنحو التوالد من الآباء فقوله تعالى من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض باعادة
الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم **قوله** اخرج من اصلابهم اى من اصلاب بنى آدم
الصلبية فلم يتعرض آدم عليه الصلوة والسلام كان له خمسون ابنا صلبيا فتضمنت الآية انه تعالى
اخرج من ابنهم صلبا نسلهم ثم اخرج من اصلاب نسلهم ذريتهم ثم اخرج من اصلاب تلك الذرية ما
تفرع منهم حتى اخرج جميع من هو كائن الى يوم القيمة ولم يذكر اخذ ذرية آدم من ظهره كما ان
الذرية كما اخذت من ظهور بنى آدم اخذت من ظهر نفس آدم واخذ الميثاق من الجميع اعتمادا
على انفهامه من الكلام لانه تعالى لما اخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد
الابناء من الآباء في الترتيب استغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم انهم كلهم بنوه واخرجوا من ظهره
روى انه تعالى اخرجهم جميعا وصورهم وجعل لهم عقولا يعلمون بها والسنا ينطقون بها ثم كلمهم
قبلا اى عيانا وقال الست بربكم فقالوا جميعا وقالوا اشهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك
فاخذ بذلك مواثيقهم فلما اقررتهم بربوبيته ووحدانيته واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب
آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه والمعتزلة انكروا هذه الرواية وقالوا ان البنية
لحصول الحيوة والعقل والفهم فتلك الذريات المأخوذة من ظهور بنى آدم لا يكون احد منهم عاقلا
فاهما عاقلا الا اذا حصل له قدر من الجسامة والبنية اللحمية والدموية واذا كان كذلك فمجموع
تلك الاشخاص الذين خرجوا الى الوجود من اول تخليق آدم الى قيام الساعة لا تحويهم عرصة
فلم يمكن ان يقال انهم حصلوا باسرهم دفعة واحدة في صلب آدم واجيب عنه بان البنية
ليست شرطا عندنا لحصول الحيوة والعلم فان الجزء الذى لا يتجزى قابل للحيوة والعلم فاذا
جعلنا كل واحد من تلك الذرات جوهرا فردا فلم قلتم ان ظهر آدم لا يسع لمجموعها وهذا اذا قلنا
ان الانسان عبارة عن الجوهر المتحيز سواء كان جوهرا فردا او جسما مركبا منها واما اذا قلنا
ان الانسان هو النفس الناطقة وانه جوهر غير متحيز ولا حال في المتحيز فلا سؤال ولا جواب
قوله اى ونصب لهم دلائل ربوبيته الح جعل قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم
وقالوا بلى من قبيل استعارة التمثيلية المبنية في تشبيه حال شيء بحال شيء آخر حيث شبه تمكينهم

ثم قال الامام الغزالي الثاني ثم تفسير هذه الآية قول اصحاب النظر وارباب المعقولات وهو انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك
الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى واودعها ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا وكان ذلك منه اذ اذنى
منه كما بعث الكل فيها عند النفخة الاولى ويحيى الكل فيها عند النفخة الثانية وكما انه تعالى علم آدم اسماء الاشياء كلها ثم اشهدهم على انفسهم بما
ركب فيهم من دلائل وحدانيته وغرائب صنعه فبالاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى وان لم تكن هناك قول باللسان
اهـ

من العلم بربوبيته بالاستدلال عليها بما نصب لهم من الادلة الدالة على ربوبيته ووحدانيته
باشهادهم عليها وسؤاله بان يقال لهم على سبيل التقرير الست بربكم فان ذلك التمكين بمنزلة
الاشهاد بان يقال لهم الست بربكم ونتيجة تمكنهم من العلم بالربوبية بالنظر والتفكر فيما نصب لهم
من الدلائل الدالة عليها باشهادهم واقرارهم بها فان تمكنهم من العلم بها منزل منزلة الشهادة
والاقرار بها بان يقولوا بلى انت ربنا لا رب لنا غيرك وباب التمثيل باب واسع وارد في القرآن
والحديث وكلام البلغاء قال تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقال الشاعر قالت له ريح الصبا قرقار واختلط المعروف بالانكار اي قالت ريح الصبا
للسحاب قرقر بالرعد اي صوت يقال قرقرت الحمامة وقرقر بطنه اي صوت كان ريح الصبا
يأمر السحاب بذلك ومنه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان الذي
ورائي لا يخليني ورائي وقوله امتلأ الحوض وقال قطني وحملهم على الاقرار بربوبيته تعالى
بتمكينهم من معرفته تعالى بنصب الادلة الدالة على وجوده وكمال قدرته واحاطة علمه بما يجب ان
يعلم وتمكينهم من معرفة ذلك بما ركز في عقولهم من قوة الاستدلال بتلك الدلائل والاستعداد
لمعرفة ربوبيته بالنظر والتفكر في تلك الدلائل منزل منزلة اشهادهم على انفسهم وحملهم على
الاقرار والاعتراف بربوبيته وكونهم متمكنين ومستعدين لمعرفة ربوبيته بالنظر والتفكر
فيما شاهدوا من عجائب صنع الله تعالى في انفسهم وفي الآفاق منزل منزلة اقرارهم واعترافهم
بانه تعالى ربهم والههم لا رب لهم غيره فلذلك قال واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
شهدنا اي قائلا الست بربكم على سبيل التمثيل والتشبيه قوله ويدل عليه اي على ان الكلام
من قبيل التمثيل دون التحقيق قوله تعالى قالوا بلى شهدنا ان يقولوا كراهة ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل ووجه دلالته على ذلك انه تعالى علل اشهادهم و
اخذ ميثاقهم بالاقرار والاعتراف بقوله ان تقولوا يوم انا كنا عن هذا غافلين فانه
مفعول له لقوله واشهدهم على انفسهم وهذا التعليل انما يحسن على تقدير ان يكون اشهادهم
على الربوبية بمعنى تمكينهم من معرفتها بنصب الدلائل لان غفلتهم عنها انما تزول بنصب ما
يدل عليها والظاهر ان قوله تعالى شهدنا من تتمة كلام الذرية وان قوله ان تقولوا علة لقوله
واشهدهم على انفسهم بكذا وكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا وقيل انه من كلام الملائكة
وذلك ان الذرية لما قالوا بلى قال الله للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا عليهم بالاقرار لئلا يقولوا
يوم القيمة ما اقررنا وما علمنا ان لنا الها يجب علينا طاعته واتباع امره قوله ان
يقولوا اصله عند الكوفيين لئلا يقولوا اسقطت لام العلة وكلمة لا وكذا الحال في نظائره

نقل عن القرطبي ان القوم
استدلوا بهذه الآية على ان
من مات صغيرا دخل الجنة
لاقراره في الميثاق الاول ومن
بلغ لم ينفعه الميثاق الاول
بل يكون ذلك حجة عليه ان اخل
بالتصديق والاقرار حيث صح
تمكنه من ذلك بالنظر الصحيح فيما
نصب له من دلائل الوحدانية و
ربوبيته واتى تلك الدلائل انه
تعالى اخرجهم من اصلاب آبائهم
ونقلهم الى ارحام امهاتهم الى
ان بلغوا بتقلب الاحوال عليهم
من نطفة ثم علقة ثم مضغة
مخلقة وغير مخلقة الى ان كانوا
كاملي العقل مستعدين للاستدلال
بما شاهدوا من آثار صنع الله تعالى
على ان لهم الها قادرا متفردا
بالربوبية وكمال العلم والقدرة
وهي الفطرة الاصلية التي فطر
الناس عليها تمكن الانسان
لماله وما عليه منه

ووجه الدلالة انه تعالى
وان كان له ان يتكلم عباره
الا ان العقل السليم يأبى عن
ان يكلم الذرات المأخوذة
من الاصلاب بان المقال
لان كون تلك الذرات تامة الخلقة
سوية الاعضاء يقتضي ان لا
يكون خلق الانسان من
النطفة على سبيل الابتداء بل
يجب ان يكون خلق على سبيل
الاعادة وقد اجمع المسلمون على
ان خلقه من النطفة هو
الخلق المبتدأ
اهـ

٦٣

في نظائره كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم وتقديره عند
البصريين كراهة ان تقولوا او هو مفعول له لقول الملائكة شهدنا وكلام الذرية قد انقطع
عند قولهم بلى فيحسن الوقف عليه قوله وقرأ ابو عمرو كلتيهما بالياء بالغيبة على وفق ما سبق
من قوله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا وقرأ الباقون
بتاء الخطاب لانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم وكلا الوجهين حسن
لان الغائبين هم المخاطبون قوله لان التقليد لا يصلح عذرا عند قيام الدليل دليل
لعدم تأتي الاعتذار بالتقليد مع اشهادهم على انفسهم بالمعنى المذكور وهو تمكينهم من
معرفة الحق بنصب الدلائل وتمكينهم من الاستدلال بها فان قوله او تقولوا علة ثانية لنصب
الدلائل الربوبية المنزل منزلة الاشهاد والحمل على الاقرار كانه قيل فعلنا ذلك لئلا يمكن
لكم الاعتذار عن الاشراك بتقليد اسلافكم المشركين قوله وقيل لما خلق الله تعالى آدم
اخرج من ظهره ذريته عطف على ما اختاره بقوله اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون
اي اخرجهم بتولد بعضهم من بعض على مر الزمان قوله لحديث رواه عمر رضي الله عنه
والحديث رواه الامام محيي السنة في المصابيح ومعالم التنزيل وهو ان عمر بن الخطاب رضي
لما سئل عن هذه الآية واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال عمر رض سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال عليه الصلوة والسلام ان الله خلق آدم ثم مسح
ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح
ظهره بشماله فاستخرج ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل
ففيم العمل يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
الجنة حتى يموت على عمل من اعمال الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل
النار حتى يموت على عمل من اعمال النار فيدخله به النار قال المص في شرح المصابيح معنى
الآية ان الله تعالى اخرج من اصلاب بني آدم نسلهم واشهدهم على انفسهم بان نصب لهم من
الادلة الدالة على ربوبيته ووحدانيته وركب فيهم العقول والبصائر وجعلها مميزة بين الحق
والباطل نزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل وخلق الاستعداد فيهم وتمكنهم
من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد والاعتراف تمثيلا وتخييلا ونظيره قوله تعالى انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين وقول الشاعر واذا قالت الانساع للبطن الحق وقوله قالت له ريح الصبا
قرقار فان اليقين الذي لا شك فيه انه لا قول ولا خطاب ثمة وانما هو تخييل وتصوير للمعنى و

لا يخفى ان الكلام في التقليد
لا بالحجة واما التقليد [illegible]
مع قيام الادلة والتمكن من
الاستدلال فالاصح انه صحيح
صح

وظاهر الحديث لايساعد هذا المعنى ولا ظاهر الاية فانه سبحانه وتعالى لما قال واذ اخذ ربك من بني ادم اخرج
الذرية من صلب ادم دفعة واحدة لا على توليد بعضهم من بعض على ما مر الزمان لما قال واذا
اخذ ربك من ظهر آدم ذريته والتوفيق بينهما ان يقال المراد من بني ادم في الاية آدم واولاده
وكانه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد بالاخراج توليد بعضهم من بعض على
ما مر الزمان واقتصر في الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الاصل عن ذكر الفرع وقوله عليه
الصلوة والسلام في الحديث مسح ظهر آدم يحتمل ان يكون الماسح هو الملك الموكل على تصوير
الاجنة وتخليقها وجمع موادها واسند اليه تعالى لانه هو الآمر كما اسند التوفي اليه في قوله تعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها والمتوفي لها هو الملك لقوله تعالى الذين تتوفيهم الملائكة و
يحتمل ان يكون الماسح هو الباري تعالى ويكون المسح من باب التمثيل وقيل هو من المساحة بمعنى
التقدير كانه قال قدر ما في ظهره من الذرية الى هنا كلام المص في شرح المصابيح واشار بقوله
في هذا الكتاب وقيل الى ان تفسير الاية بما روي عن عمر من استخراج الذرية من ظهر نفس
آدم وتعيين بعضهم للجنة وبعضهم للنار لا يخلو عن ضعف اما اولا فلانه لا يساعده فيه
واما ثانيا فلان ما فيه هو استخراج الذرية من ظهر آدم وما في الاية هو استخراجهم من
ظهور بنيه ثم انه تعالى لما ذكر انه اخرج ذريات بني ادم من ظهور ابائهم ونصب لهم دلائل
وحدانيته وربوبيته ومكنهم من ان يستدلوا بها على ربوبيته ويعترفوا بها اشار بهذه الاية
اي بقوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الاية الى ان الاستعداد الفطري لا يكفي في
الفوز بحسن الخاتمة بل لا بد من ان لا يضيعوا تلك الفطرة عند خروجهم الى دار التكليف و
يجتهدوا في ملازمة العمل بمقتضى الدليل ويجتنبوا عن الميل الى الحظوظ الدنيوية ومتابعة
الهوى ويعتبروا بحال من اتاه الله تعالى آياته اي علمه دلائل الربوبية ووحدانيته وفهمه تلك الدلائل
فانسلخ منها كما تخرج الحية من جلدها فاتبعه الشيطان اي لحقه وادركه فكان من الغاوين
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في زوج امرأة يقال لها البسوس
فانه رجل من بني اسرائيل كان قد اعطي له ثلث دعوات مستجابات فقالت له امرأته البسوس
اجعل لي من تلك الدعوات واحدة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله تعالى ان يجعلني
اجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت اجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت انه //
ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب زوجها فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهب فيها //
دعوتان فجاء بنوها فقالوا لابيهم ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس
يعيروننا بها ادع الله تعالى ان يردها الى حالها الاولى فدعا الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت

قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات
اي ومثل ذلك التفصيل البليغ
في احداث ان تفصل
الآيات كلها لا ندع مجملا
حتى ينقطع الاعذار
روح

٦٤

فيه الدعوات الثلث كلها وقيل انها نزلت في ابي عامر بن نعمان الراهب الذي سماه النبي
صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى
الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لست عليها لانك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب
طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بالقوة والسلاح وابنوا
لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر وآتي بجند اخرج بهم محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى
وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني انتظار المجيء فمات بالشام طريدا وحيدا فاستجاب
الله تعالى دعاءه على نفسه **قوله** او بلعم بن باعوراء وذلك ان موسى عليه السلام اراد ان يغزو
بلد ملك كان هو وقومه كفارا وكان بلعم يسكن معهم في تلك البلدة فقال الملك لبلعم ان موسى
رجل حديد ومعه جند كثير فان ظهر علينا اهلكنا فادع الله تعالى ان لا يسلط علينا ولا يمكنه
من دخول بلدنا وكان رجلا مستجاب الدعوة وكان عنده اسم الله الاعظم فامتنع منه وقال ان
فعلت كذا ذهبت دنياي واخرتي فالحوا عليه حتى دعا الله تعالى بان لا يمكنه من الدخول في
بلدهم ومملكتهم فبقوا في التيه اربعين سنة بدعائه فقال موسى يا رب باي ذنب بقينا
في التيه هذه المدة المديدة فقال الله تعالى بدعاء بلعم فقال يا رب كما سمعت دعاءه علي فاسمع
دعائي عليه ثم دعا موسى ان ينزع عنه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه
ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كانها حمامة بيضاء واخر المص هذا القول لان الظاهر ان
احتباسهم في التيه كان بقولهم انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون وكيف يليق بموسى ان يدعو على بلعم بزوال الايمان وكان مبعوثا ليدعو الناس
الى الايمان **قوله** حتى لحقه اشارة الى ان اتبع بمعنى تبع فيتعدى الى واحد وهو مبالغة فيه حيث
جعله اماما للشيطان وفي الصحاح اتبعت القوم على وزن افعلت اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم
ويقال ايضا اتبعت غيري يقال اتبعته الشيء فتبعه قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته
واردفته وقيل هو بمعنى استتبعه **قوله** مال الى الدنيا عبر عن الدنيا بالارض لان ما فيها من العقار
والرباع كلها ارض وسائر امتاعها مستخرج من الارض ويحتمل ان يكون الارض عبارة عن السفالة
والخطاط بقرينة ذكرها في مقابلة الرفع كانه قيل ولو شئنا لرفعناه الى منازل السعداء ولكنه مال
الى منازل الاشقياء بان سلك سبيلهم باتباع الهوى وايثار الحيوة الدنيا **قوله** وانما علق بمشيئة
الله تعالى يعني ان الظاهر ان يعلق رفعه بفعله الذي يستحق به الرفع مثل ان يقال لو لزم العمل بمقتضى
الايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها اي بسبب تلك الايات وملازمتها لان قوله بها افاد ان ملازمة الايات

ع
قوله فحمله الشيطان تابعا بالتبعية
اي قد يتعدى الى اثنين كما قال
تا فعيل متعد الى واحد فاتبعه خطواته
الزمخشري او الى اثنين على
ما كان متعديا الى اثنين جعله ابعد
حذف الثاني والمعنى جعله تابعا
لخطواته وهو كناية عن جعله
تابعا لنفسه وفي نسخة بارزة
وقال المحذوف هو الاول ثم قال
اي جعله تابعا لا فقد في
موضعين
ملحقة الاية لا يناسب
الصلوة والسلام
الاعتراض

والعمل بمقتضاها سبب لرفعنا فيكون الرفع بالايات متعلقا بلزوم الايات والعمل بمقتضاها
فكيف علق بمشية الله تعالى لاسيما قد استدرك عنه بفعل العبد وهو ايضا يستدعي ان
يعلق الرفع بفعل العبد الا انه علق الرفع بمشية الله تعالى تنبيها على ان السبب الحقيقي هو
المشية من حيث انها سبب للافعال الموجبة لرفع الدرجة فان الافعال المذكورة وسائط
في حصول الرفع فكما يصح تعليق الرفع بالوسائط المذكورة فيصح تعليقه بالمشية التي هي السبب
لتلك الوسائط والافعال والحاصل ان قوله لرفعناه بها يدل على ان سبب رفع درجة
العبد هو التمسك بالايات والعمل بمقتضاها الا انه جعل المشية سببا لرفعها حيث علقه
بها تنبيها على ان السبب الحقيقي لرفعها هو المشية فانه اذا شاء ان يرفع درجة العبد في الاخرة
يوفقه للتمسك بالايات والعمل بمقتضاها فيدخل الجنة بسبب اعمال المسببة عن المشية
فالسبب الحقيقي لرفع الدرجة هو المشية وان الاعمال اسباب ظاهرة له وكان المناسب لجعل
المشية سببا لرفع الدرجة ان يستدرك بها بان يقال لكنا لم نشأ فكان من المنحطين
درجة على طريق استثناء نقيض المقدم لينتج نقيض التالي الا انه استثنى السبب
الظاهري وهو فعل العبد وقيل لكنه اخلد الى الارض لكونه في قوة ان يقال لكنه لم يتمسك
بالايات والدلائل ولم يعمل بمقتضاها بل اتبع هواه بناء على ان انتفاء فعل العبد وارتفاعه
يستلزم انتفاء سببه الذي هو المشية فكان قوله لكنه اخلد الى الارض في قوة ان يقال لكنا لم
نشأ رفع درجته وكان ابلغ منه لان الاخلاد الى الارض كناية عن الاعراض عن ملازمة
الايات والعمل بمقتضاها والكناية ابلغ من التصريح فمحصول الاية انا لو شئنا رفع درجته
لرفعناه للعمل بمقتضى الايات ورفعنا درجته بتلك الاعمال ولكنا لم نشأ منه ذلك
فهي تدل على ان الكائنات باسرها من الكفر والايمان والطاعة كلها بمشية الله تعالى وهذه
الاية من اشد الايات على العلماء لانه تعالى بعد ان خص هذا الرجل بتعليم اياته ونعتهم مال
المهتدين والضالين وعلمه الاسم الاعظم وخصه بالدعوات المستجابات لما اتبع الهوى
انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب دل ذلك على ان من كانت نعم الله تعالى عليه اكثر اذا اعرض
عن متابعة الهدى واتبع الهوى كان بعده من الله تعالى اعظم واليه اشار صلى الله تعالى عليه
وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله تعالى الا بعدا وقال عليه الصلوة
والسلام ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف
لدينه قيل كان سبب انسلاخه عن الايات اعطاه عنه لامراته واخذه الحطام من اهل زمانه ولا
شيء اضر بالعالم منهما قيل كان لبلعم امرأة يحبها ويطيعها فجمع قومه هدايا عظيمة
فالوا

قيل ان رجلا كان يقال له بلعام وكان مجاب الدعوة وكان يسكن مدينة الجبارين وان موسى عليه الصلوة والسلام اقبل في بني اسرائيل يريد الارض التي فيها بلعام
فرغبوا منه رغبا شديدا فاتوا بلعام فقالوا انك مجاب الدعوة فادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعوا عليهم فاجدوا
والحوا عليه فقال اوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر في المنام فوامر في الدعا عليهم فقيل له لا تدع عليهم فانهم عبادي وفيهم نبيهم فاخبر من
من الدعاء عليهم فاهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يرجع اليه شيء فقالوا لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك

فاتحوا اليها وقبلتها فقالوا لا فقد نزل بنا ما ترى فكان بلعم في هذا الحال يقول ان لهولاء
لي يوما حقا وجوارا عليك وليس مثلك يجز الجيرانه عند الشدايد وقد كانوا محسنين اليك
وانت جدير ان تكافئهم وتهتم بامرهم فقال لها لولا اني اعلم ان الامر من عند الله لاجبتهم فلم
تزل به حتى صرفته عن رايه فدعا عليهم وروي انه لما انقضت مدة التيه اقبل موسى وقومه
وحاربوا اهل تلك البلدة وغلبوهم وقتلوا منهم واسروا واتوا بلعام بسر اخلاقهم
جاؤوا بما قبل من العطايا وهي عشرة صحاف ذهبا مملوة ورقا وغنموا ما ثم انه تعالى ضرب
له مثلا فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وذلك ان بلعام زجر ونهي
عن الدعاء على موسى حتى خاطبته اتانه التي كان يركبها وذلك ان امراته لما فتنته ركب
حمارة وتوجه الى جبل مشرف على بني اسرائيل ليطلع عليه فيدعو بني اسرائيل فلما سار
غير بعيد وقعت الاتان وامتنعت بان سقطت على الارض عن المسير فنزل عنها
فضربها فقامت فلم تسر الا قليلا حتى سقطت على جنبها ففعل كما فعل اولا فقامت فلم تسر
الا قليلا حتى سقطت فضربها فاذن لها حتى كلمت فقالت يا بلعم اني مامورة بما فعلت فلا
تظلمني انظر الى ما بين يديك الا ترى ان الملائكة امامي يردونني عن وجهي هذا اتقولون
اتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم يمتنع فخلى سبيلها ثم انطلق راجلا حتى اشرف
رأس جبل مشرف على بني اسرائيل فجعل يدعو عليهم فلما لم ينزجر بزجر الحمار وما سمع منها من
حبس الملائكة اياها مثله تعالى في خسته فقال فمثله كمثل الكلب فكما ان الكلب يلهث دائما طردته
او خليته على حاله فلذا هذا الكافر ان زجرته لم ينزجر وان تركته لم يهتد فالحالتان عنده
سواء كحالتي الكلب فانه لضعف قلبه وشدة حرارته دائم اللهث بخلاف سائر
الحيوانات فانها انما تلهث عند تحمل المشقة العظيمة كالاعياء والعطش الغالب واما
الكلب فانه يلهث في حالتي الراحة والكلالة قوله واللهث ادلاع اللسان اي اخراجه
يقال دلع الرجل لسانه فاندلع اي اخرجه فخرج ودلع لسانه اي خرج يتعدى ولا يتعدى وهو
بالدال المهملة قوله والتمثيل واقع موقع لازم التركيب يعني ان قوله فمثله كمثل الكلب واقع
موقع حوله فحططناه ابلغ حط ووضعناه منزلته الذي هو لازم لمدلول قوله ولكنه اخلد
اخلد الى الارض فانه بمنزلة استثناء نقيض المقدم ليثبت لازمه الذي هو انتفاء التالي
فان انتفاء الملزوم يستلزم انتفاء لازمه فلازم التركيب هو قولنا فلم يرفع درجته ومنزلته
اتم مقامه قوله فمثله كمثل الكلب للمبالغة في بيان حط منزلته فان في تمثيله بالكلب حطا
لمنزلته وفي تمثيله في اخس احواله زيادة حط لانه مع ان تصوير المعقول بصورة المحسوس

ابلغ في بيانه قيل في وجه التمثيل ان كل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء او عطش و ضعف سوى الكلب اللاهث فانه يلهث في كل واحدة من حالتي الاعياء والراحة وحالتي العطش والري فان ذلك عادة له وطبيعة اصلية فهو يواظب عليه لطبيعته الخسيسة لا لاجل حاجة وضرورة تدعوه اليه فلذلك من اتاه الله العلم والدين واغناه عن التعرض لاوساخ اموال الناس ثم مال الى طلب الدنيا والتي نفسه فيها كان حاله كحال ذلك اللاهث حيث انفق بحالة الخسيسة من غير حاجة تدعوه فكيف اذا دعته اليه حاجة فكان كالكلب اللاهث بكل حال ثم انه تعالى لما مثل هذا الكافر المنسلخ عن ايات الله المعرض عن العمل بمقتضاها بالكلب اللاهث في كل حال عمم بهذا التمثيل جميع من يكذب بايات الله ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايات الله تعالى على ان ذلك اشارة الى ما وصف به الكلب اي ذلك المثل الذي وصف به الكلب مثل كل مكذب لايات الله فان من كذب بايات الله الواضحة الدلالة من غير ضرورة تدعو الى التكذيب تكون التكذيب صفة لازمة له لزوم اللهث للكلب **قوله** فانها نحو قصتهم اي فان قصة بلعم نحو قصة اليهود فان بلعم بعدما اوتي ايات الله تعالى انسلخ منها ومال الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك اليهود بعد اوتوا التورية المشتملة على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر القران المعجز وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به انسلخوا عما اعتقدوا في حقه وكذبوه وحرفوا اسمه وبعثه فليحذروا عما آل اليه حال بلعم **قوله** اي مثل القوم الذين يعني ان ساء من افعال الذم بمعنى بئس فلا بد له من فاعل ظاهر معرف باللام او مضاف الى المعرف باللام او مضمر مميز بنكرة منصوبة كما في هذه ولا بد ان يكون بعده المخصوص والمذكور بعد المميز في الاية وهو القوم لا يصلح ان يكون مخصوصا بالذم لما تقرر من ان الفاعل وتمييزه والمخصوص لا بد ان يكون عبارة عن شيء واحد والقوم ههنا غير متحد مع الفاعل وتمييزه صدقا فلذلك قدر مضافا محذوفا من المخصوص وجعل تقدير الكلام ساء مثلا مثل القوم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ساء مثل القوم باسناد الفعل الى فاعله لفظ المضاف الى المعرف باللام وحذف المخصوص بالذم كما حذف المخصوص بالمدح في قوله تعالى فنعم الماهدون للعلم اي ساء مثل القوم مثلهم وهو كونهم كالكلب الذي يلهث دائما فعلى هذه القراءة يكون قوله الذين كذبوا باياتنا في محل الرفع على انه المخصوص بالذم فلا بد من حذف مضاف ليتصادق الفاعل والمخصوص على شيء واحد والتقدير ساء مثل القوم الذين اي صفتهم البحتة وتكذيبهم بايات الله واعراضهم عنها بعد قيام الحجة عليهم بها **قوله** اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا والاحسن ان يكون منقطعا عن الصلة ويكون اعتراضا ارد البيان حالهم وبيان انهم ما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم لان وباله

وقيل ايضا ان العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا بان يبدي عليهم انواع علومه ويظهر عليهم فضائل نفسه ومناقبها فلا شك انه عند ذكر تلك الكلمات وتقرير العبارات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن في قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا بمجرد الطبيعة الخسيسة سواء دعته الى ذلك حاجة وضرورة ام لا

وباله لا يتعدى الى الغير ولا افادة بهذه التخصيص تقديم المفعول ثم انه تعالى لما وصف الضالين وعرف حالهم بالمثل المذكور رتب بقوله من يهد الله فهو المهتدي المبينان كل واحد من الهدى و الضلال من الله تعالى وانه يهدي ايشاء تعالى يخص بعضا دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء ولما كانت هذه التصريحات مخالفة لما تشتهيه انفس المعتزلة اضطربوا وذكروا في تاويل الاية وجوها كثيرة منها ما ذكره الجبائي وارتضاه القاضي عبد الجبار وهو ان المراد من يهده الله الى الجنة وثواب الاخرة فهو المهتدي في الدنيا السالك طريق الرشد فيما كلف به فبين تعالى انه لا يهدي الى الثواب في الاخرة الا من هذه صفته ومن يضلله عن طريق الجنة فاولئك هم الخاسرون وهو ضعيف لانه قد حمل قوله من يهد الله على الهداية في الاخرة الى الجنة وقوله فهو المهتدي على الاهتداء الى الحق في الدنيا وذلك يوجب الركاكة في النظم بل يجب ان يكون الهداية والاهتداء راجعين الى شيء واحد ليحصل انتظام الكلام **قوله** والافراد في الاول اي افراد الخبر من في قوله تعالى فهو المهتدي وجمعه في قوله فاولئك هم الخاسرون لاعتبار جانب اللفظ في الاول وجانب المعنى في الثاني تنبيه على ما ذكر من ان المهتدين كنفس واحدة لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين فان لهم طرقا لا تنحصر فكل من آثر طريقا من تلك الطرق المختلفة فهو طائفة مستقلة مغايرة لمن آثر سائر الطرق فلذلك جمع لفظ الخاسرين ووحد لفظ المهتدين فان المهتدين وان تعدد اشخاصهم فهم طائفة واحدة نظرا الى اتحاد طريقهم **قوله** والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدين يعني انه تعالى اقتصر في الاخبار عنه على لفظ مطاوع هداه فقال فهو المهتدي و لم يصفه بوصف زائد على الاهتداء اللازم لهداية الله بخلاف الاخبار عمن اضله الله تعالى فانه تعالى لم يقتصر فيه على لفظ مطاوع الاضلال بل لم يذكر مطاوعه وذكر بدله الخاسرين تعظيما لشأن الاهتداء وتنبيها على انه في نفسه كمال تام مستلزم للاتصاف بجميع ما يمدح به من صفات الكمال وان للمدح به قائم مقام المدح بجميع صفات الكمال ثم انه تعالى بعد ما تبين ان المهتدي انما هو من هداه الله وان المتصف بكمال الخسران هو من اضله الله عن الصراط المستقيم بين ايضا انه خلق كثيرا من الجن والانس ليصير من اهل النار على ان اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كلام في قوله لدوا للموت وابنوا للخراب فان من علم الله تعالى منه انه يصر على الكفر والضلال باختياره فهو من اهل النار ثم وصفهم بانهم يقصبون مشاعرهم وانهم لا يستعملونها فيما خلقت لاجله فلا يلتفتون اذهانهم الى النظر في الدلائل الدالة على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعلم لا لاذهانهم اسلم طلب الحق ومعرفته وكذا لا ينظرون باعينهم الى الايات المودعة في الافاق والانفس نظر اعتبار واستدلال ولا يبصرونها الى ما يتلى عليهم من ايات الله تعالى ومواعظه ولا يسمعونها سماع تدبر و

قوله ما يمكن لا انه قدره بعض الفضلاء ثم يوجد فيه الى فعلى هذه يكون من في محل ابن في التبعيض او من البيان اي قدره بعض المناظرين وان قدره على الاخرين كما حذف خبره و يجوز ان يكون على صفة المجرور والمسند الاخير بما

لنكون لنفعله بيانا للتسلط والرفعون مثلا وخذاو هم عدوا ونتلو فوات الكبرائ بحمها اموالنا لذوي المبارك ودورنا نخرات اللهم يبتا وعليه اخبر الله في هذه الاية بيانا فيهم انهم يخرون البيان كفرهم ومن خلقه لجهنم فلا حيلة في الخلاص منها روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله انه قال ان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم وخلق النار وخلق لها اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم رواه مسلم نهاية البيان

وتأمل فصاروا كأنهم لا إدراك لقلوبهم ومشاعرهم حيث لم يستعملوها فيما خلقت لأجله
فصاروا كالانعام والبهائم في خلوهم عن الادراك والتمييز بل كانوا اضل عن الطريق المستقيم
منها لان الانعام كونها عديم العقل والتمييز يجتنب عما يضرها والكفار لا يجتنبون مضارهم بل يقدمون على
الكفر مع علمهم بانه يوردهم النار ولانهم يضلون ويضلون غيرهم والانعام لا تضل غيرها ولانهم لا
يهتدون وان يهدوا والانعام تهتدي اذا هديت اولئك هم الكاملون في الغفلة عن الامر
الآخرة وما اعد فيها للعصاة ولعل المقصود من ذمهم بهذه الاوصاف بعد الاخبار بانهم
خلقوا لجهنم بيان استحقاقهم للتعذيب بها من حيث انهم كلفوا بالتفكر فيما نصب من دلائل عظمة
الله تعالى وان يعرفوا وجوب طاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ولم يخرجوا عن عهدة التكليف
وضيعوا ما كلفوا به فلا جرم كان عاقبة امرهم ان يعذبوا بالنار والعياذ بالله تعالى ثم انه تعالى لما وصف
من خلقهم لجهنم بقوله اولئك هم الغافلون بين بعده ان له الاسماء الحسنى وامر عباده ان يدعوه
بها اي يعظموه بذكرها مثل ان يقولوا يا الله يا رحمن يا رحيم يا كريم ونبه به على ان الموجب لدخول جهنم
هو الغفلة عن ذكر الله وان المخلص عن عذاب جهنم هو ذكر الله بصفات فضله وجماله وبصفات
قهره وجلاله وارباب الذوق والمشاهدة يجدون ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله واقبل
على زخارف الدنيا وشهواتها وقع في نار الحرص وزمهرير البعد والحجاب واذا انفتح على قلبه باب ذكر
الله تعالى ومعرفته تخلص عن نيران البعد وحسرات الخسران الا بذكر الله تطمئن القلوب **قوله**
والمراد بها الالفاظ الدالة على ذات الباري من حيث اتصافه بصفة كما ورد في
الحديث من ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وهي
هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس الى اخرها وقيل المراد بها الصفات فان لفظ
الاسم قد يطلق على ما يتميز به الذوات من صفاتها العظام ويقال طار اسمه في الافاق اي انتشر
صيته ونعته فكانه قيل ولله الاوصاف الحسنى مثل كونه عالما بعلم قديم وقادرا على كل شيء وخالقا
لكل شيء ومريدا لكل كائن وغير ذلك وفي قوله فادعوه بها تنبيه على ان اسمائه تعالى توقيفية لا اصطلاحية
وانه لا يجوز ان يطلق عليه تعالى الا ما ورد في الشرع اطلاقه فيجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان
يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا فقيه ويا طبيب **قوله** واتركوا تسمية الزائغين
في اسمائه قدر المضاف اي الملحدين اذ لا معنى لترك نفس الملحدين فيها وفسر الالحاد بالزيغ لان
الالحاد عند اهل اللغة عبارة عن الميل عن القصد ولذلك قيل الملحد العادل عن الحق المدخل فيه
ما ليس فيه ومنه طريق الالحاد في اسمائه تعالى اما تسميته بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب سماوي
ولا ورد فيه توقيف نبوي او بما يوهم معنى فاسدا وان كان له محمل صحيح شرعا فان ابا المكارم ان

وان كان عبارة عن المستجمع لصفات الكمال الا انه يوهم معنى لا يصح في شانه تعالى وكذا ابيض الوجه
وان كان عبارة عن تقدس ذاته عن النقايص للكدورة الا انه يوهم معنى فاسدا ومن تسميته تعالى
بما لا توقيف فيه **قوله** او لا ابالوا عطف على قوله واتركوا تسمية الزائغين فان العدول عن الحق
قد يكون بتسميته بما لا توقيف فيه وقد يكون بانكار تسميته بما سمى به نفسه فانه روي ان رجلا من الصحابة
دعا الله في صلوته باسم الله وباسم الرحمن فقال رجل من المشركين اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون
ربا واحدا فما بال هذا الرجل يدعو ربين اثنين فانزل الله تعالى هذه الاية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادعوا الله وادعوا الرحمن رغما لانوف المشركين فان تعدد الاسم لا يستلزم تعدد المسمى
قوله اوذرهم والحادهم جزا عطف عليه ايضا والفرق بينهما انه ليس في هذا التاويل تقدير المضاف
بناء على ان ترك الموصوف من حيث انه موصوف عبارة عن ترك وصفه فان المشركين كانوا
يلحدون في اسمائه تعالى عن الحق باطلاقهم على الاصنام بان يزيدوا اخيرا او ينقصوا اشتقاقهم
اللات من لفظة الله والعزى من العزيز ومناة من المنان فانه نوع من الالحاد فيها فنهى الله تعالى
عنه ويحتمل ان يكون المراد بتركهم الاعراض عنهم وعدم المبالاة لمجازاتهم بقرينة قوله سيجزون بما
كانوا يعملون اي يجزون في الاخرة بجزاء عملهم **قوله** سنستدرجهم الاستدراج استفعال من الدرج
وهو التقرب اي سنقربهم الى الهلاك على التدريج في كتمان وخفية وقيل الاستدراج اتباع البر وانساء
الشكر قال عليه الصلوة والسلام اذا رايت الله تعالى انعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم انه
مستدرج ثم تلى هذه الاية والاستصعاد هو التنقل من سفل الى علو والاستنزال هو التنقل من علو
الى سفل درجة درجة والاملاء اطالة مدة احد وابقائه على ما هو عليه وعدم الاستعجال في مواخذته
والكيد الاخذ بخفية ثم انه تعالى لما بين ان كيده متين في حق المكذبين لآياته حثهم على التفكر في امر
رسوله صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه انما بعث لينذر العصاة عن مخالفة الله تعالى وتكذيب اياته و
يامر الثقلين بان يعبدوا الله الواحد امتناعا عن الشركاء والانداد ثم حثهم على النظر المؤدي الى
العلم بعظمة الله تعالى وكمال قدرته وسعة ملكه ليظهر لهم انه يجب ابتغاء مرضاته وان يحترز عن
مخالفته وعصيانه والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهب يقال له ملكوت العراق اي الملك الاعظم
المتعلق به كانه قيل اولم ينظروا في السموات والارض وغيرهما الدالة على عظم ملك الله تعالى وقدرته فيعلموا انه
لم يخلقها عبثا ولم يترك عباده سدى **قوله** فخذا فخذا اي قوما قوما وقبيلة قبيلة وكان عليه الصلوة
والسلام كثيرا ما يحذر قريشا عقوبة الله تعالى ووخامة النازلة في الامم السابقة فقام ليلا على الصفا
وجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان الى الصباح فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت
الى الصباح فنزلت الاية والجنة بناء نوع كالجلسة والقتلة ودخول من في قوله من جنة يدل على انه

فالمرتبة كان شأنه الدعوة الى الله وإقامة الدلائل لى خلقه والبينات الباهرة بالغا في فصيح نعت الفصاحة لا يحيط
بعجزه الأولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الخلق طيب العيش مرضي الطريقة نقي السيرة مواظبا على أعمال
حسنة صار بها قدوة للعقلاء العاملين كيف يتصور أن يكون فيه نوع من الجنون بل هو رحمة للعالمين وسماه صاحبهم

لأنه نشأ بينهم بصحبتهم ومخالطتهم
منه

ليس به نوع من أنواع الجنون **قوله** وأن مصدرية أو مخففة الظاهر أنها المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشأن واسم يكون أيضا ضمير الشأن وعسى وما في حيزها في محل الرفع على أنه خبر أن المخففة والمعنى و
أن الشأن قد اقترب أجلهم ومن به نوع افتراب أجله كيف يصح له أن لا يسارع الى طلب الحق وتخليص
نفسه من العذاب المعدة للعصاة قبل مفاجأة الموت ونزوله بغتة يقال غافصت الرجل إذا أخذته
على غرة وجعلها مصدرية مخالف لما نص عليه علماء النحاة من أن أن المصدرية لا توصل بالفعل الذي
لا يتصرف وعسى لا يتصرف فلا يقع صلة لأن المصدرية وكون اسم يكون ضمير الشأن يستلزم أن يكرر
تقدير الشأن في الآية لأنه يكون التقدير أولم ينظروا في أن الشأن عسى أن يكون الشأن قد اقترب
أجلهم وفيه نوع بعد والأولى أن يجعل قوله يكون واقترب متنازعين في فاعلية أجلهم ويجعل الثاني
على رأي البصريين ويضمر فاعل الأول ويمكن أن يقال يرجح التكرار المذكور على التزام الإضمار قبل الذكر
فإنه لا يصار إليه إلا عند الضرورة والباء في قوله فبأي حديث متعلق بيؤمنون وهي جملة استفهامية

فإن كل ذرة من ذرات الكائنات مع كونها ساوية في كونها مماثلة لسائر الذرات في الجوهرية إذا تخصصت في اللون والشكل والطبع والطعم وسائر الصفات وجب اختصاص كل واحدة منها بما خصصت من الصفات لا بد له من مخصص ولا بد أن ينتهي سلسلة المخصصات الى الواجب لذاته وإلا لدار وتسلسل
منه

سيقت للتعجب عن تصميمهم على الكفر بعد إلزام الحجة عليهم فإن ملك الله وسلطانه في السموات
والأرض وفي كل ما يسمى شيئا حجة والحجة دالة على ألوهيته ووجوب الإيمان به وقبول جميع ما جاء من
عنده فلما أرشدهم الله الى النظر في تلك الحجة وألزمها عليهم تعجب من سمع حالهم من تصميمهم على الكفر
وكونهم مطبوعين على قلوبهم ومشاعرهم حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن البالغ في حسن النظم والبيان
الى أقصى ما يتصور فعلى هذا يكون قوله فبأي حديث بعده يؤمنون متعلقا بتوبيخ قريش على
ترك النظر فيما يدل على صدقه عليه الصلاة والسلام وصحة ما يدعوهم إليه من توحيد صانع العالم
وعظم شأنه وكمال قدرته ليطمئن قلوبهم على التصديق بنبوته فإن النظر في أمر النبوة متفرع على
النظر في دلائل التوحيد وثبوت الصانع الحكيم القادر على ما يشاء والمراد من التعلق في قوله وقيل
هو متعلق بقوله عسى التعلق المعنوي بمعنى ارتباط الكلام بما قبله لا التعلق الصناعي ولم يرض
بهذا القول بناء على أن الأولى أن يكون متعلقا بالتوبيخ المستفاد من مجموع قوله أولم ينظروا في ملكوت
السموات الآية **قوله** كالتقرير والتعليل لما قبله للطبع والتصميم على الكفر فإنه لما وبخهم بتصميمهم على
الكفر وتماديهم في الضلال بين سبب إعراضهم عن الإيمان وتماديهم في الكفر والعصيان فقال من
يضلل الله فلا هادي له وهذا صريح في أن الهدى والضلال من الله تعالى وأنه يضل من يشاء و
يهدي من يشاء ولا يجب عليه ملك الأمرين بشيء قرأ حمزة والكسائي ويذرهم بياء الغيبة وجزم الفعل
وقرأ عاصم وأبو عمرو بالياء ورفع الفعل ونافع وابن كثير وابن عامر بالنون ورفع الفعل أيضا
ووجه القراءة بياء الغيبة إسناد الفعل الى الاسم الظاهر وهو اسم الله تعالى ووجه القراءة بنون المتكلم
الالتفات من الغيبة الى التكلم تعظيما للفعل ووجه القراءة برفع الفعل الاستئناف أي وهو

وهو يذرهم أو ونحن نذرهم على حسب القراءتين ووجه جزمه العطف على محل قوله فلا هادي
له لأن الجملة المنفية جواب الشرط فهي في محل الجزم فعطف على محلها والعمه التردد والحيرة لأنه
للقلب بمنزلة العمى بالنسبة الى الباصرة ثم إنه تعالى لما حثهم على الإيمان والتوبة بقوله وأن عسى
أن يكون قد اقترب أجلهم يحذرهم عن مفاجأة الموت قبل الإيمان والتوبة سأل جماعة من
اليهود وقيل قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة بين لنا وقت قيامها إن كنت
نبيا فإنا نعلم متى هي سأل اليهود عن ذلك مع علمهم بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا علام الغيوب
امتحانا منهم فنزل قوله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها أي متى يرسيها الله وأيان بمعنى متى
والمرسى مصدر ميمي بمعنى الإرساء وهو الإثبات يقال رسى الشيء يرسو رسوا إن ثبت وأرساه
غيره إرساء ومرسى والرسو والإرساء لا يستعملان إلا في ثبوت الشيء الثقيل وإثباته يقال
رست السفينة وأرسيتها أنا قال الله تعالى والجبال أرساها ولما كان أثقل الأشياء على الخلق هو
الساعة سمى الله تعالى وقوعها وثبوتها بالإرساء **قوله** لا يظهر أمرها إشارة الى أن التجلية إظهار
الشيء والتجلي ظهوره وقدر المضاف في قوله لا يجليها لأنه تعالى قد كشف وأظهر نفس قيام الساعة
بدلائل قطعية ونصوص متعاضدة وليس المنفي إلا إظهار أمرها في حق وقتها وتعيينه والمعنى
أنه تعالى يخفيها أخفاء مستمرا الى وقت وقوعها ولا يظهرها إلا في ذلك الوقت الذي وقعت فيه بغتة
بنفس الوقوع لا بالإخبار عنها لكون إخفائها أدعى الى الطاعة وأنهى عن المعصية كإخفاء الأجل
الخاص الذي هو وقت الموت كتم الله تعالى وقت قيام الساعة عن الخلق ليصير المكلف مسارعا
الى التوبة والطاعة في جميع الأوقات فإنه لو علم وقت قيامها لتقاصر المكلف عنها وأخرها وكذلك
أخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف في العبادة في ليالي الشهر كلها وأخفى ساعة الإجابة من يوم
الجمعة ليكون المكلف مجتهدا في الدعاء في جميع ساعاته والساعة من الأسماء الغالبة في القيمة
كالنجم في الثريا وسميت القيمة بالساعة لوقوعها بغتة ولكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضي
في ساعة يسيرة لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن أو لأنها على طولها عند الله كساعة من الساعات
عند الخلق وأصلها ساعة قيام الناس من الأجداث فلما غلبت تعينت فاستغنت عن الإضافة
واشتقاق أيان من أي أصله أي آن فركبت كبعلبك فصار أيان ومعناه أي وقت وأي فعل
فإن لفظة أي اسم معرب يستفهم به في الأكثر وقد يكون شرطية جازمة لفعلين نحو أيهم يكرمني
أكرمه وأيان في الآية خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر وهذه الجملة في محل النصب على أنها بدل من
الساعة بدل الاشتمال والظاهر كونها في محل الجر لكونها بدلا من المجرور يعني إلا أنه في الحقيقة بدل من
موضع عن الساعة وهو في محل النصب لأن موضع المجرور النصب وأصله أي أوان لأنه مصدر أوبت

اليه فيكون ايان فعلان من اوى كعطشان من عطش عبر عن الوقت المستفهم عنه بأي و
ايان لكونه واحدا من متعدد وبعضا منه والبعض آو الى الكل قوله عظمت على اهلها اشارة
الى ان المراد بثقل الساعة في السموات والارض ثقلها بالنسبة الى اهلها وان كلمة في بمعنى على كما في قوله تعالى
ولاصلبنكم في جذوع النخل والمعنى انها عظمت على اهلها خوفا من شدائدها وما فيها من الاهوال ومن
جملة اهوالها افنا من في السموات والارض واهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب وقيل المراد ثقلها بالنسبة
الى نفس السموات والارض من حيث انهما لا تطيقان مجيء الساعة لما فيها من تشقق السماء وتكور
الشمس والقمر وانتثار النجوم وتزلزل الارض ورجفانها وتبدلها بغير الارض المعهودة وبطلان
الجبال والبحار قوله حتى فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه اي اذا بالغ في السؤال عنه فان
التركيب يفيد المبالغة والاستقصاء في النعل ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استيصاله
يقال احفى في المسألة اذا الحّ والحّ ومن استقصى في تعلم الشيء وبالغ في السؤال عنه لزم انه يستحكم
علمه ويعلمه باقصى ما يمكن ويكون ماهرا في العلم فلذلك كني بقوله تعالى كانك حفي عنها عن كونه عليه الصلوة
والسلام عالما بها باقصى ما يمكن ولما ورد ان يقال لو كان الحفي بمعنى العالم لوجب ان يعدى بالباء
فكيف قيل حفي عنها اجاب عنه بان الحفاوة لما كان اصل معناه الاستقصاء في السؤال كان قوله حفي
عنها متضمنا معنى بليغ في السؤال عنها حتى احكمت علمها فلذلك عدي بكلمة عن قوله وقيل اي
قيل في وجه تعديته بكلمة عن ان قوله عنها ليست متعلقة بقوله حتى حتى يرد الاشكال بل هي متعلقة
بقوله يسألونك وقوله كانك حفي معترض بينهما وصلة حفي محذوفة وتقدير الكلام يسألونك
عنها كانك حفي بها قوله وقيل من الحفاوة بمعنى الشفقة عطف على قوله عالم بها يعني قيل ان قوله تعالى
كانك حفي عنها ليس كناية عن كونه عليه الصلوة والسلام عالما بها علما متقنا بل هو من الحفاوة بمعنى
الشفقة فان قريشا قالوا ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك
حفي شفوق تحتفي بهم للقرابة فتخصصهم بتعليم وقتها ولو علمت وقتها البلغت ذلك كل احد من غير تخصيص
بعض دون بعض كسائر الوحي قال الجوهري حفيت به بالكسر حفاوة وتحفيت به اي بالغت في
الطاعة والاكرام ومنه قوله تعالى انه كان بي حفيا اي بارا لطيفا يجيب دعائي وقيل هو فعيل من
قولهم حفيت به حفاوة وتحفيت تحفيا اي فرحت به وبششت فالمعنى يسألونك كانك حفي تسر و
تفرح بالسؤال عنها والحال انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر الله تعالى به ولم يؤته
احدا من خلقه فقوله تعالى كانك حفي عنها على جميع هذه الوجوه المذكورة في محل النصب على انه حال
من مفعول يسألونك اي يسألونك مشبها حالك بحال الحفي نظرا الى زعمهم واعتقادهم قوله لما نيط
به علة لتكرير يسألونك وقوله وللمبالغة اي في انكار سؤالهم عنه لزيادة قوله كانك حفي عنها وتكرير

وتكرير اللفظ لما نيط زائدة ليس بتكرير في الحقيقة قوله وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء
العلم بالغيب فانه عليه الصلوة والسلام لما سئل عن تعيين وقت قيام الساعة امر بان يجيبهم بانه
علم وقت قيامها مما استأثر الله تعالى به لم يطلع عليه غيره ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وبان يظهر
لهم كمال العبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيب فان من لا يعلم ان نفعه في اي الاشياء وضرره
في ايها كيف يعلم وقت قيام الساعة ونظيره قوله تعالى في سورة يونس يقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وخلاصة الجواب انما يعلم الغيب
من وقت قيام الساعة وغيره من يملك النفع والضر على الاطلاق وهو الله تعالى وانا لا املك من الامرين
الا ما ملكني الله تعالى منهما فكيف يتوهم في حقي اني اعلم الغيب واخبر به روي انه عليه الصلوة والسلام
لما رجع من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق نفرت الدواب منها فاخبر عليه الصلوة
والسلام بموت رفاعة بالمدينة وكان فيه غيظ المنافقين وقال عليه الصلوة والسلام بعده انظروا
اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي بن سلول رئيس المنافقين الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن
موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال عليه الصلوة والسلام ان ناسا من المنافقين قالوا
كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله تعالى قل
لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا واحتج عليه الصلوة والسلام على عدم علمه بالغيب بقوله ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لجعلته كثيرا على ان يكون بناء استفعل للتعدية كما في استنزله
قوله لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع تركيب ركيك لان المتبادر منه ان يكون كلمة
من بيانية لما في كلمة ما من الابهام ولا وجه له والعبارة الظاهرة ان يقال لو كنت اعلمه لما
كانت حالي على ما هي عليه من الفقر والضر ولاستكثرت من المال والمنافع وما مسني السوء من
كيد العدو وغيره ثم انه تعالى لما ذكر امر المعاد وانه لا يعلم ساعة ظهور القيمة غيره تعالى رجع الى
تقرير التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة قوله او من جنسها فان
الاشارة الى الشيء قد يكون باعتبار شخصه وقد يكون باعتبار نوعه قال عليه الصلوة والسلام
هذا وضوء لا يقبل الله تعالى الصلوة الا به اي بنوعه لان ارادة ذلك الفرد المعين لا يجوز وقال عليه
الصلوة والسلام في يوم عاشوراء هذا هو اليوم الذي اظفر الله تعالى فيه موسى على فرعون والمراد
نوع ذلك اليوم المشار اليه وقال تعالى لا تقربا هذه الشجرة والمراد نوعها لا شخصها فلذا جاز ان يكون
المراد بقوله تعالى وجعل منها زوجها خلق زوجها من جنسها اي جعل زوج آدم انسانا مثله قوله
وانما ذكر الضمير اي الضمير المستتر في قوله ليسكن اليها رجوعا الى النفس وهي مؤنث بدليل انه تعالى
وصفها بقوله واحدة وانث الضمير الراجع اليها حيث قال وجعل منها زوجها ذهابا الى المعنى المراد

ان
سبب نزولها ان اهل مكة قالوا يا محمد الا تخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري من الرخيص فنربح فيه وبالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما اخصبت فنزلت هذه الاية روي عن ابن عباس رضي الله عنه هو قول الكلبي وفي المراد بالضر والنفع قولان احدهما انه عام في جميع ما ينفع ويضر قاله الجمهور والثاني ان النفع الهدى والضر الضلالة قاله ابن جريج وقال مقاتل هذا متصل بالكلام الاول ومعناه لا اقدر ان اسوق الى نفسي خيرا ولا ادفع عنها شرا حين ينزل فكيف اعلم الساعة ق

قوله الا ان شاء ربه بيديه ان ياقدر يقدم
ان يدفعه ... شيء يتعلق بالتشعر و
... ... لان ... ... ان
... ... يختص بهم
سلام

بالنفس فان المراد بها آدم عليه الصلوة والسلام ثم بيّن ما يرجح الذهاب الى المعنى فقال الانسب
فلما تغشاها لفظ تذكير الضمير حيث لم يقل تغشتها ولما كان التغشي كناية عن الجماع كان المناسب ان
يسند فعل التغشي الى ضمير المذكر فلذا لم يقل تغشته [illegible] والتعمد الى ضمير المذكر واسند فعل السكون
ايضا الى ضمير المذكر ليناسب ما بعده واصل التغشي التغطية كني به عن الجماع والمناسب
ان يسند كل واحد من فعلي السكون والتغشي الى المذكر لان المذكر انس بالانثى واميل اليها وانه
هو الذي يغطي المرأة ويستر حال الوقاع لاستعلائه عليها والمشهور ان الحمل بالفتح ما كان في
البطن او على راس الشجر وبالكسر ما كان على ظهر انسان او على الدابة وحملا في الآية يجوز ان يراد به
المصدر وينتصب انتصابه وان يراد به نفس الجنين وهو الظاهر فينتصب انتصاب المفعول به كقولك
حملت زيدا **قوله** فاستمرت به وقامت وقعدت اي بسهولة من غير تعب يعني ان قوله مرت من
المرور بمعنى الذهاب والمعنى لابس المرور بمعنى الاجتياز والوصول وان مر واستمر بمعنى واحد على
ان السين فيه للطلب التقديري كأنه استخرجته الجوهري مر عليه وبه يمر مرورا اي اجتاز ومر
يمر مرورا اي ذهب واستمر مثله **قوله** وقرئ فمرت بتخفيف الراء وفيه وجهان احدهما انه اصله
التشديد ولكنهم كرهوا التضعيف في حرف مكرر فتركوه وهذه كقراءة وقرن بفتح القاف اذا جعلنا
من القرار والثاني انه من المرية وهي الشك اي فشكت بسببه اهو حمل ام مرض وقرئ فاستمرت
وقد ذكر معناه وقرئ ايضا فمارت بالف بعد الميم وتخفيف الراء من مار يمور اي جاء وذهب
وتصرف وفي كل وجه اصله مورت قلبت الواو الفا فصار مارت فوزنه فعلت ويجوز ان يكون وزنه
فاعلت ويكون مارت من المرية وهو الشك قلبت الياء الفا ثم خففت الالف لالتقاء الساكنين
والمعنى فشكت بسببه على ان فاعل بمعنى فعل ومتعلق الدعاء في قوله دعوا الله محذوف لدلالة
الجملة القسمية عليه اي دعواه في ان يؤتيهما ولدا صالحا اي سوي الاعضاء او صالحا في امر
الدين والجملة القسمية مع جوابها محكية بقول مضمر تقديره فقالا لئن آتيتنا صالحا اي ولدا صالحا
ويحتمل ان تكون جملة مستأنفة جوابا لمن قال فما كان دعاؤهما فاجيب بان يقال دعاؤهما لئن
آتيتنا ووجه دعائهما بذلك ان آدم عليه الصلوة والسلام اذ آدم عليه الصلوة والسلام راى حين
اخذ الميثاق على ذريته ان منهم سوي الاعضاء وغير السوي وان منهم التقي وغير التقي فسألا
ان يكون هذا الولد سوي الاعضاء او تقيا نقيا عن المعصية **قوله** اي جعل اولادهما له شركاء فيما
آتى اولادهما قدر المضاف وهو اولاد فهو ضمير مرفوع عائد الى الاولاد منصوب بان الثاني و
التقدير جعلا اولادهما لله شركاء فيما آتى اولادهما دفعا للاشكال الوارد على ظاهر الآية فانه
فسر النفس الواحدة بنفس آدم وفسر زوجها بحواء فلو لم يقدر المضاف للزم نسبتهما الى

اي واقعها جامعها منه

والمراد بالحمل الخفيف النطفة فانها لا تثقل على المرأة منه

الى الشرك وهما بريئان منه بالاتفاق فقدر المضاف لدفع هذا الاشكال فيكون اول الآية الوارد في
حق آدم وحواء كالكلام المعترض بين الكلام الوارد في شرح احوال المشركين حكاية الامر [illegible]
انه حين لما اثقلت دعا آدم وحواء ربهما لئن اعطيتنا ولدا صالحا لنشكرن لك على هذه النعمة
العظمى فلما اعطاهما صالحا شكرا لانهما ليسا بحيث يتعديان من انفسهما بذلك ثم لا يفعلان
ذلك وتم الكلام ثم شرع في توبيخ المشركين بقوله فلما آتاهما صالحا اي فلما اعطي اولادهما
المشركين البالغين مبلغ الوالد والوالدة ولدا صالحا سوي الاعضاء جعل هؤلاء الابوان
شركاء فيما اعطاهما بان سميا اولادهما بعبد العزى وعبد مناف ونحو ذلك وسجدا للاصنام شكرا
على هذه النعمة وعلى هذا التفسير قدر المضاف في ثلث مواضع وهي فلما آتاهما وجعلا فيما آتاهما
وهو احسن من تقرير المص فانه لم يتعرض لتقديره في قوله فلما آتاهما ولا وجه له لانه لو بقي
على ظاهره لكان المعنى لما اعطى الله آدم وحواء ولدا صالحا جعل اولادهما لله شركاء فيما
آتاهم الله من الولد السوي ولا وجه لهذا المعنى لان الاولاد لم يجعلوا لله شركاء فيما اعطاهم حين
اعطى الله آدم وحواء ولدا سويا وانما جعلوا ذلك بعد ان اعطى الله اباهما ذلك الولد بازمنة
متطاولة الا ان يقال كلمة لما ليست للزمان الضيق الذي وقع فيه الايتاء المذكور بل هي للزمان الممتد
فلا يلزم ان يقع مضمون الشرط والجزاء في ذلك الزمان الضيق كما في قولك لما ظهر الاسلام طهرت البلاد من
دنس الشرك والالحاد فانها انما طهرت بعد ظهوره بازمنة ممتدة وسنين متكثرة **قوله** ويدل عليه
اي على حذف المضاف قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فانه يدل على ان الذين اتوا بهذا الشرك جماعة
دون آدم وحواء وقوله تعالى بعده ايشركون ما لا يخلق شيئا فان المقصود منه الرد على من جعل الاصنام
شركاء لله وهذا المقصود انما يتم بان يكون الكلام واردا في حق المشركين وان يقدر المضاف في المواضع
المذكورة **قوله** وامثال ذلك لا يليق بالانبياء فان تسميته بعبد الحارث وان لم يكن شركا بالحقيقة
لان اسماء الاعلام لا تفيد معانيها اللغوية الا ان اتباع آدم لامر الشيطان مع نبوته وعلمه الكثير المدلول
عليه بقوله وعلم آدم الاسماء كلها وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لاجل وسوسة
الشيطان بعيد عمن جعله الله مسجود الملائكة وفضله عليهم لعلمه بما لم يعلمه الملائكة فانه مع كثرة علومه
كيف لم يتنبه بان اسم الشيطان هو الحارث وكيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث اضافة على الاسامي [illegible]
انه لم يجد سوى هذا الاسم انهم لا يخلون الاعلام المضافة عن الايمان الى المعاني الاصلية وملاحظة لا
وهذا القدر من الحاجة كاف في تقدير المضاف **قوله** فاعطاهما اربعين بطنا اضاف اثنين منهم الى عبد
مناف وشمس واضاف واحدا منهم الى نفسه وآخر الى داره التي هي دار الندوة وانه صاحب الكشاف هذا
بقوله فخصتي ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد وروي انه عليه الصلوة

اي لا يعارض

اي جمعه [illegible]

يعني لان آدم علم حين اخذ الميثاق على ذريته ان منهم سوي الاعضاء ومنهم غير سويه ومنهم التقي ومنهم الشقي

والسلام خرج من مكة مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر رضي الله عنه ومولاه عامر بن فهيرة و
دليلهما الليثي عبد الله بن اريقط فمروا على خيمتي ام معبد فسألوها لحما وتمرا ليشتروا فلم
يصيبوا عندها وكان القوم مسنتين فنظر عليه الصلوة والسلام الى شاة في جانب
الخيمة فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال عليه الصلوة والسلام
هل بها من لبن قالت هي اجهد من ذلك قال اتأذنين لي ان احلبها قالت بابي وامي ان رأيت
بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها
في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا باناء يربض الرهط اي يرويهم فحلب
فيه ثجا حتى علاه البهاء اي وبيض الرغوة ثم سقاها حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا ثم
شرب اخرهم ثم حلب ثانيا وغادره عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد فلما رأى اللبن عجب
وقال من اين لك هذا يا ام معبد والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت قالت
لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه لي فوصفته له فقال هو والله
صاحب قريش الذي ذكر لنا من امره كذا وكذا ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت
الى ذلك سبيلا فاصبح اهل مكة يسمعون صوتا عاليا بمكة يسمعون الصوت ولا يرون من
صاحبه • جزى الله رب العالمين خير جزائه • رفيقين حلا خيمتي ام معبد • هما نزلا بالهدى
واهتدت به • وقد فاز من امسى رفيق محمد • فيا لقصي ما زوى الله عنكم • به من فخار
لا يبارى وسودد • ليهن بني كعب مقام فتاتهم • ومقعدها للمؤمنين بمرصد • سلوا اختكم
عن شاتها وانائها • فانكم ان تسألوا الشاة تشهد • دعا بشاة حائل فتحلبت • له بصريح
ضرة الشاة مزبد فغادرها • رهنا لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد • الصريح اللبن
اذا ذهبت رغوته والضرة اصل الضرع الذي لا يخلو عن لبن وقيل هي الضرع كله
ما خلا الاطباء وهي جمع طبي بالضم رأس الضرع وقوله خيمتي نصب على الظرف اجراء
للموقت مجرى المبهم فان ظرف المكان انما يجوز نصبه بتقدير في اذا كان مبهما والموقت
لا يتعلق به عامله الا بشرط ان تكون كلمة في ملفوظة والخيمة من الظروف المحدودة فالقياس
ان تذكر معها كلمة في الا انها اجريت مجرى المبهم قيل الصوت المسموع بمكة الجني المسلم اقبل من
اسفل مكة حتى خرج باعلاها واللام في قوله يا لقصي للتعجب كما في قولهم يا للماء ويا للدواهي وقصي
عبارة عن القبيلة والمعنى تعالوا يا قصي ليتعجب منكم بسبب ما ضيعتموه من حظكم وعزكم
بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم وكلمة ما
في قوله ما زوى منكم استفهامية او موصولة اي اي شيء سلب الله عنكم وقبضه بما سبب
عليه

اي واقعين في السنة والقحط منها

عليه الصلوة والسلام وبسبب هجرته وارتحاله من بينكم فانه قد سلب عنكم بسبب ذلك
عزا عظيما وفخارا لا يعادل ولا يبارى قوله وقرأ نافع وابو بكر شركا بكسر الشين وسكون
الراء وتنوين الكاف وقرأ الباقون بضم الشين وفتح الراء ومد الكاف التي بعدها همزة
غير منونة جمع شريك والشرك مصدر بمعنى الشركة والمشركون لا ينكرون ان ما آتاهما انما
هو لله بالحقيقة والاصالة فكان الظاهر ان يقال جعلا لغيره شركا اي شركة فيما آتاهما
الا انهم لما اشركا فيه غيره فقد اثبتا له شركة فيه لان الشركة تكون بين بين ويحتمل
ان يكون الكلام مبنيا على تقدير المضاف اي ذوي شركة قوله جيء به على تسميتهم اياها آلهة
جواب عما يقال انما يعبر بلفظ هم عن العقلاء ولا يجمع بالواو والنون الا العقلاء فكيف
قيل في حق الاصنام وهم يخلقون وتقرير الجواب ان ذلك مبني على اعتقاد الكفار زعما منهم ما يعتقد
في العقلاء قوله وان تدعوهم اي المشركين يعني ان الضمير المنصوب في تدعوهم عبارة
عن المشركين وضمير الخطاب للرسول والمؤمنين اي وان تدعوا انتم هؤلاء المشركين الى
الايمان ولا يجوز ان يكون تدعو مسندا الى ضمير الرسول فقط لانه حينئذ كان ينبغي ان تحذف الواو
لاجل الجازم قوله وقرأ نافع لا يتبعوكم بتخفيف التاء قيل هما لغتان ولهذا قيل في قصة
آدم فمن تبع وفي موضع آخر فمن اتبع وقيل تبع بمعنى اقتفى اثره واتبعه بالتشديد بمعنى
اقتدى به ثم انه اكد مضمون هذه الشرطية بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون لم يقل ام صمتم مع ان مقتضى القياس والشائع في الاستعمال ان يذكر بعد همزة
التسوية واختيه الفعل ليؤول بالمصدر كما في قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم اما
اولا فلما ان الاسمية ابلغ في بيان عدم افادة الدعاء في حقهم لانه على تقدير ان يعطف الفعلية يكون
مدلول الكلام التسوية بين احداث الدعاء واحداث الصمات في حقهم وعلى تقدير عطف الاسمية
على الفعلية يكون مدلوله التسوية بين احداث الدعاء وبين الثبات على الصمات ولا شك
ان الثاني ابلغ في بيان عدم افادة الدعاء لان كون وجود الشيء كعدمه المستمر ادل على عدم
نفع وجوده من كون وجوده كعدمه الحادث واما ثانيا فلان المقصود في الاية بيان
التسوية بين احداث الدعاء وبين الاستمرار على الصمت عنه وذلك يقتضي ان يجعل في حيز
احداث الدعاء ما يدل على الثبات على الصمات وهو الجملة الاسمية وانما قلنا المقصود
في الاية تسوية الثبات على الصمت باحداث الدعاء لانهم ما كانوا يدعون الاصنام
لحوائجهم واغاثتهم ان يقطعوها ويسجدوا لها وانهم اذا حزبهم امر وعن لهم حاجة
دعوا الله لا دون اصنامهم كما اريد واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين

اليه فكانت عادتهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعاء الاصنام فكان المناسب لحالهم
ان يقال لا فرق بين احداثكم دعاء الاصنام وبين ثباتكم على ما انتم عليه عن الصمت
عن دعائها فلذلك قيل ام انتم صامتون **قوله** من حيث انها مملوكة مسخرة اشارة الى
جواب ما يقال من الاصنام جماد فكيف وصفت بانها عباد امثال الاحياء العقلاء والعبد لا
يطلق على الجماد فضلا عن ان يوصف بانه مثل الحي العاقل وايضا كيف عبر عنها بضمير العقلاء
في قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم وحاصل الجواب ان المراد بكون الاصنام عبادا مجرد كونها مملوكة
وبكونها امثال الاحياء العقلاء مماثلتها لهم من بعض الوجوه وهو كونها مسخرة منقادة لا مالكة كالعقلاء
فصح توصيفها بانها عباد ولا سيما ان المشركين لما ادعوا انها تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا انها
كونها عاقلة فاهمة فلهذا وردت هذه الالفاظ على وفق اعتقادهم **قوله** ويحتمل الجواب
آخر وتقريره ان الاصنام وصفت بانها عباد امثال المخاطبين تهكما بهم واستهزاء كأنه
قيل ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم ولو سلم ذلك فلا فضل لهم عليكم فلم
جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها آلهة وارباب **قوله** ثم دعا عليه بالنقص اي ابطل ان يكونوا
عبادا بيان ان الانسان افضل بكثير من الاصنام بل لا مناسبة بينهما اصلا فكيف يكون
الاخس الادنى الذي لا يجدي نفعا بوجه ما لا في جلب نفع ولا في دفع مضرة مثلا للافضل
الاكمل فضلا عن ان يكون مستحقا لعبادة الافضل اياه وقراء العامة ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم بتشديد ان فيكون الموصول بعده في محل النصب على انه اسم ان و
عباد مرفوعا على انه خبرها وقرئ بتخفيف ان ونصب عباد امثالكم على اعمال ان النافية عمل
ما الحجازية كما في قوله ان هو مستوليا على احد الا على اضعف المجانين قيل انها تعمل عمل ما
الحجازية عند الكسائي واكثر الكوفيين الا ان المص لم يرض به حيث قال ولم يثبت مثله وروى
ان سيبويه يختار الرفع في خبرها فيقول ان زيد منطلق بناء على ان عمل ما ضعيف وان عملها
فهي اضعف منها فكيف تعمل فان بني تميم لا يعملون ما ولا المشبهة بليس لدخولها على القبيلين
وانما يعملها اهل الحجاز فلذلك نسبت الى الحجاز فقيل ما ولا الحجازيتان واورد على هذه القراءة
انها تنفي كون الاصنام عبادا امثالهم والقراءة المشهورة تثبت ذلك لهم ولا يجوز التناقض في
كلام الله تعالى واجيب بان القراءة الدالة على نفي المماثلة معناها ان الاصنام ادنى حالا واحقر من عابديها (من عابديها — in the right margin)
من علية اهل عابديها انهم حالا واقدر على الضر والنفع بالنسبة الى الاصنام فانها جمادات لا تقدر
على شيء اصلا فكيف يعبد الكامل من هو دونه فتكون هذه القراءة بحسب محصول المعنى ومؤداها
موافقة للقراءة المشهورة دالة على المعنى المقصود بطريق الاولى وقراءة العامة بيطشون

بكسر

بكسر الطاء على انه من باب ضرب يضرب وقرئ بضم الطاء وهما لغتان تجيء منه البطش الاخذ
بقوة **قوله** وهي شركائكم يعني ان الجماعة المخاطبين بقوله ثم كيدون غير المخاطبين بقوله
قل ادعوا شركائكم فان المخاطبين بقوله كيدون هم الاصنام ومن عبدها وبقوله ادعوهم العبدة
فقط قيل انهم كانوا يخوفونه عليه الصلوة والسلام بآلهتهم قائلين نخاف ان يصيبكم بعض آلهتنا
بسوء فقال الله تعالى قل ادعوا شركائكم الاية يعني قل لهم اني قد ذممت اصنامكم وسفهت عقولكم
واحلامكم فاقصدوني بما شئتم من الكيد واستعجلوا فيه ولا تمهلوني فاني لا اخافكم ثقة
بالاله الذي هو المتفرد بالقدرة على النفع والضر والخير والشر ولا يقول مثل هذا الكلام الا الواثق
بعصمة الله تعالى ثم انه عليه الصلوة والسلام لما ذكر عدم مبالاته بهم علل ذلك بقوله ان
ولي الله وهو مثلث الياءات الاولى ياء فعيل وهي ساكنة والثانية لام الفعل وهي مكسورة
ادغمت فيها الياء الاولى والثالثة ياء الاضافة وهي مفتوحة والولي ههنا بمعنى
الناصر والحافظ اضيف الى ياء المتكلم والمعنى ان الذي يتولى نصرتي وحفظي هو الله الذي
اكرمني بتنزيل القران علي وايحائه الي وايجاد الكتاب اليه يستلزم رسالته لا محالة وقوله تعالى
وهو يتولى الصالحين تذييل وهو ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تاكيدا له وقوله ومن
عادته تعالى من اسمية الجملة فانها تدل على الثبات والدوام اي فان من عادته ان يتولى
ويكفي مهمات الصالحين ولا يحوجهم الى ما سواه ومن كان متوليا لمهمات الصالحين فكونه
متوليا لمهمات الانبياء عليهم الصلوة والسلام بطريق الاولى **قوله** من تمام التعليل لعدم
مبالاته بهم جواب عما يقال من ان هذه الاية قد ذكر مضمونها سابقا فما الفائدة في تكريره ههنا
وتقرير الجواب انه ذكر اولا لتقريع عبدة الاصنام وذكر ههنا انما ما للتعليل عدم مبالاته بهم وللفرق
بين من يستحق المبالاة ومن لا يستحق **قوله** يشبهون الناظرين يعني ان قوله تعالى في حق
الاصنام ينظرون اليك استعارة تبعية شبه مقابلة الاصنام لمن عبدها على وجه تخييل من
عبدها انها تنظر اليه من حيث ان من نحتها صورها بصورة من ينظر الى من يواجهه بان ركبوا
فيها ما يشبه الوجه والعين وسائر الاعضاء جعل ضمير ينظرون للاصنام وذلك يستلزم ان يكون
الضمير المنصوب في قوله وتراهم ايضا للاصنام وكذا المنصوب في قوله وان تدعوهم والظاهر ان المرفوع
في تدعوهم للمشركين وفي تراهم لكل من يتاتى منه الرؤية والمعنى انها المشركون ان تدعوا اصنامكم
الى ان يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم ويا من يصح منه الرؤية انك ترى الاصنام اجساما عارية
عن القوى الدراكة خالية عن الحس والحركة الارادية فكيف يصلح ان يكون آلهة ويحتمل
ان يكون المرفوع في تدعوهم للمخاطبين الموحدين والمنصوب للمشركين ويكون المعنى انها

قوله وان تدعوهم ... الضمير ... ولو الى المشركين توجيه للخطاب الى الكفار ... [illegible] ... الاصنام ... على ... [illegible]

المؤمنون ان تدعوا المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم سماع اجابة وتراهم يا محمد ينظرون اليك باعينهم وهم لا يبصرونك ببصائرهم ثم انه تعالى لما بين ان كيد المشركين لا يضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه حافظه وناصره امره بمكارم الاخلاق الداعية الى الالفة والاتفاق فقال خذ العفو وهو ما اتاك من غير كلفة يقال اعطيته عفو المال يعني بغير مسألة قال الشاعر
خذي العفو مني تستديمي مودتي ۞ ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ۞
روي انه عليه الصلوة والسلام سأل جبريل عما الاخذ بالعفو قال ان تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك ونحن الى من اساء اليك اي لا تطلب من احد فعلا او خلقا يشق عليه ولا تقبل من احد فعلا كان او خلقا الا ما طابت به نفسه وعفا لك من اخلاقهم وافعالهم وصدر عنهم بيسر وسهولة من غير ان يكلفهم به وتحملهم عليه يقال اخذت حقي عفوا اي سهولة قال اهل اللغة عفو المال ما فضل من نفقة نفسه وعياله وما اوتي من غير كلفة فمعنى الاية خذ من صدقاتهم ما يسهل عليهم اخراجه ويتيسر لهم كما قال تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل العفو وكان ذلك قبل وجوب الزكوة ثم نسخت بايجاب الزكوة وامر عليه الصلوة بعد ذلك بان يأخذ منهم القدر الواجب طوعا او كرها واعلم ان ما يأخذه الانسان من غيره على ضربين احدهما ما يجوز فيه المسامحة والمساهلة و ثانيهما ما لا يجوز فيه ذلك كاجر البغي وعسب التيس وثمن الخمر والخنزير واخذ الفضل في مبادلة الاموال الربوية والضرب الاول هو المراد بقوله تعالى خذ العفو واما الضرب الثاني فالحكم فيه ان يؤمر بالعرف اي بالمعروف وهو ما يستحسنه الشرع القديم والعقل السليم ولو اقتصر على الاخذ بالعفو في هذا الضرب لادى ذلك الى تغيير الدين وابطال الحق وانه لا يجوز ثم اذا امر احدا بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والاذى والضحك و الاستهزاء فلهذا السبب قال تعالى في اخر الاية واعرض عن الجاهلين اي تحمل الاذى والعفو عمن جنى والحلم عمن جفا فظهر بهذا ان هذه الاية مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس مع غيره **قوله** او الفضل اي او خذ عفو اموالهم وهو ما فضل عن نفقاتهم اي خذ من صدقاتهم ما تسهل عليهم ويتيسر عليهم وكان ذلك قبل وجوب الزكوة فسر العفو المأمور باخذه بثلثة اوجه الاول عفو افعال الناس واخلاقهم وهو ما اتوا به بصفاء خواطرهم و حسن رضاهم والمعنى لا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم في التكاليف كقوله عليه الصلوة والسلام يسروا ولا تعسروا اي عاملوهم باللين واللطف لا بالغلظة والعنف والثاني العفو عن المذنب الجاني بترك تعزيره وتعنيفه على ذنبه والثالث عفو المال وهو ما فضل عن نفقات العيال روي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع يا رب مع الظالم
والغضب

٧٤

والغضب يحملني على الانتقام ومخالفة ما امرت به من مكارم الاخلاق فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الى اخره اي كيف يتيسر المواظبة على هذه الاخلاق التي امرتني بها مع انه قد يعتري على الانسان حين الغضب والحدة ما يحمله على تبديل هذه الاخلاق الكريمة ويحمله على الانتقام ومخالفة ما امرت به عن هذه الاخلاق الكريمة فقيل له ان الغضب من نزغ الشيطان ونخسه فان نخسك الشيطان وغرزك بوسوسته فاستعذ بالله اي فاستعصم به من الشيطان وكيده ويعصمك ويثبتك على ما امرت جعل النزغ نازغا اسنادا مجازيا على طريق جد جده و المقصود من امثاله الدلالة على مبالغة الفاعل في ملابسة الفعل بحيث صار جميع ما قام من المعاني والاعراض ملابسا بذلك الفعل وكلمة اما اصلها ان الشرطية زيدت عليها ما التاكيد تعلق الجزاء بالشرط فيجب ان يؤكد فعل الشرط بنون التاكيد ثقيلة كانت او خفيفة لئلا ينحط فعل الشرط عن اداته في الدلالة على التاكيد **قوله** شبه وسوسته يعني ان قوله تعالى ينزغنك نزغ استعارة تبعية شبه اغراء الشيطان الناس على المعاصي بوسوسته اليهم بالنزغ والغرز ثم استعير اسم النزغ ثم اشتق منه والافعال هناك نزغ وغرز وفي قوله تعالى انه سميع عليم دلالة على ان المراد بالاستعاذة المأمور بها ما يكون باللسان وباستحضار القلب يعني الاستعاذة فكأنه تعالى اذكر ما يدل على الاستعاذة بلسانك فاني سميع لما تقول واستحضر معناه في قلبك فاني عليم بما في ضميرك وقلبك ولم يتعرض المص لهذا الاحتمال **قوله** لمة منه يعني ان طيف الشيطان لمته وهو الخاطر الشيطاني الذي يخطر قلب الانسان من جهة الشيطان وهو وسوسة عبر عما يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الشيطان بالنزغ الذي هو كالابتداء في الوسوسة وعما يصيب المؤمن من جهته بمس الطيف الذي هو ازيد من النزغ للاشارة الى ان صفاء قلبه عليه الصلوة والسلام يأبى عن ان يتعلق به الخاطر الشيطاني وغاية ما يمكن للشيطان في حقه عليه الصلوة والسلام ان يتصدى لوسوسته وهو الذي عبر عنه بالنزغ وعبر عن الوسوسة التي تمس المتقين بالطائف للاشارة الى انها لا تؤثر فيهم ونهاية امرها ان تدور حولهم فان الطائف ما دار حول الشيء اي كان الطائف من طاف يطوف طوفا وان كان من طاف به الخيال يطيف طيفا مثل باع يبيع يكون الطائف بمعنى الجائي والنازل وفي الصحاح طيف الخيال مجيئه في النوم وطيف من الشيطان وطائف منه بمعنى لمم منه قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة طائف بالالف والباقون طيف بغير الالف على انه مصدر قولك طاف به الخيال اي الم به ونزل او على انه مخفف من فيعل اصله طيف بتشديد الياء فخففت عين الكلمة كما قيل في ميت ميت وفي هين هين وفي لين لين والخيال في الاصل اسم بمعنى التخيل

خ في نسخة كيف يا رب والغضب وهو الصحيح لقوله بعده اي كيف الى اخره

قوله وقرأ ابن كثير يطيف على انه مصدر طاف به الخيال يطيف طيفا او على انه مخفف طيف في كلمة من كان يطيف كلمة لتبين تخفيف ميت او من طاف يطوف من الطواف كهين في تخفيف هين من ان يهون

الصورة في محل القوة المتخيلة ويطلق على نفس تلك الصورة وطيفه نزوله في محل المتخيلة نحو
خشوه المصيب بالمس من الوسوسة قوله في الاية وهي قوله تعالى ان الذين اتقوا الخ تاكيد وتقرير لما قبلها
بناء على ان الخطاب في الاية المتقدمة وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم الا ان حكمه يعم جميع المكلفين
قوله اي واخوان الشياطين يعني ان ضمير اخوانهم للشياطين وجمع ضميره لكون المراد به الجنس
الذي هو في معنى الجمع وان ضمير المرفوع في يمدونهم للشياطين والمنصوب لاخوانهم الكفرة والمعنى
واخوان الشياطين وهم الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان اي يكون مددا لهم بان يزينهم في الغي و
يحملهم عليه ويغريهم وعلى هذا يكون الخبر وهو يمدونهم جاريا على غير من هو له في المعنى لان الامداد
مسند الى الشياطين في المعنى وهو في اللفظ خبر اخوانهم فانه مبتدا ويمدونهم خبره اسند الى
ضمير الشياطين والعائد الى المبتدا هو الضمير المنصوب في يمدونهم كما في قولك جارية زيد يضربها فانه
اخبر فيه عن الجارية بفعل غيرها وهو غير زيد ولم يقل يضربها هو لان ابراز الضمير انما يجب في مثله اذا كان
الخبر صفة لا فعلا انه تعالى لما بين حال المتقين اذا مسهم شيء من وسوسة الشيطان وبين انهم تذكروا
ما امروا به فيبصرون مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيحترزون عنها بين حال غير المتقين
الذين هم اخوان الشياطين وبين ان الشياطين يكونون مددا لهم يعضدونهم في الغي
ويزينونه لهم ويحملونهم عليه ثم ان الشياطين لا يقصرون اي يمسكون عن الاغواء حتى يهلكوا
هم او ان الغواة لا يقصرون عن الغي ولا يتذكرون ما امروا به ولا يبصرون مواقع
الهلاك ليحترزوا عنها كتذكر المتقين واحترازهم عن مظان الردى والاقصار عن الشيء
الكف عنه اقصر عن الشيء اذا كف عنه وانتهى قوله وقرا نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم
من الامداد والباقون يمدونهم بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى وقيل الامداد يستعمل في افادة
المنافع والمد في المضار والمكاره قال تعالى وامددناهم بفاكهة وقال اتمدونني بمال وقال
انما نمدهم به من مال وبنين وقال في المضار ويمدهم في طغيانهم يعمهون وعلى هذا القول
يكون المناسب بهذا المقام قراءة العامة بفتح الياء لان ما افاده الشياطين لاخوانهم انما
هو من قبيل المضار وعلى قراءة نافع يكون الكلام من قبيل التهكم للغواة حيث اطلق ما لا
يختص بافادة المنافع على افادة المضرة كما اطلق البشارة على النذارة في قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم قال الكلبي لكل كافر اخ من الشيطان يمدونهم في الغي ويطيلون لهم الاغواء حتى
يستمروا عليه قوله ويجوز ان يكون الضمير جميعا ضمير لا يقصرون اولا للشياطين لانهم لا يقصرون
عن الاغواء ثم جوز ان يكون للاخوان لانهم لا يقصرون عن الغي والضلال وروي عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انه فسر الاية بقوله اي لا يفترون عن الضلال والاضلال اما

في الصحاح مد في غيه اي
امهله وطول له او صاروا
لهم مددا وقيل امددنا الغنم
صرنا مددا لهم وعلفنا من انعم
اي يعينونهم يمدون وفي
الصحاح امددنا بغيرنا
وامددت الجيش وهو هنا
الاغواء والتسهيل وقوله
كانهم اي الشياطين و
هؤلاء اي الاخوان بيان
لمعنى المفاعلة سكان

اما الغاوي فمن الضلال واما المغوي فمن الاضلال فعلى هذا يكون ضمير لا يقصرون للاخوان
والشياطين جميعا قوله ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين حمل الاخوان اولا على الغواة
الغير المتقين وجعل ضمير اخوانهم للشياطين وجعل الضمير المرفوع في يمدونهم للشياطين
وجعل المنصوب للغواة الغير المتقين ثم جوز ان يكون المراد بالاخوان الشياطين وبالضمير الذي
اضيف اليه الاخوان الجاهلين او غير المتقين لكونهم في حكم المذكور لان قوله ان الذين اتقوا
يدل على ما يقابلهم ويكون فاعل يمدونهم الاخوان الذين هم الشياطين ويكون ضمير المنصوب
لضمير اخوانهم الجاهلين الغير المتقين والمعنى والشياطين الذين هم اخوان الجاهلين الغير
المتقين يمدون الجاهلين في الغي وعلى هذا الوجه يكون الخبر جاريا على ما هو له لفظا ومعنى
حيث اخبر عن الشياطين بفعلهم قوله باية من القرآن او مما اقترحوه قيل كانت
يسألون النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيبهم انتظارا للوحي فربما تاخر نزول الوحي عليه فيقولون
افتعلتها او تقولتها من قبل نفسك كسائر ما تقرؤه علينا لانهم كانوا ينكرون كون القران وحيا
الهيا ويقولون انه تقوله من عند نفسه وان هذا الا افك افتراه فاذا تاخر الوحي عن زمان
سؤالهم يقولون هلا اخترعت شيئا تقرؤه علينا من عند نفسك وما اعذارك بابطاء الوحي
عنك قال الفراء تقول العرب اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك
وايضا انهم كانوا يطلبون منه ايات معينة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر
لنا من الارض ينبوعا وكقولهم احي لنا فلانا الميت ليكلمنا ويصدقك فيما تدعونا اليه و
نحو ذلك فربما لا ياذن الله تعالى له في اتيان ما اقترحوه فيقولون هلا اتيت ما سألناك وانك تدعي
انك رسول ربك والرسول لا بد له من اظهار معجزة تكون سببا لتصديق قومه اياه فهلا اتيتنا
بالمعجزة التي نطلبها منك وان تطلب من الله تعالى ان يجعلها على يديك فان كنت صادقا فيما تدعيه
من الرسالة لا بد ان يقبل الله تعالى دعاءك ويسعفك فيما اقترحته عليه قوله هلا جمعتها
يعني ان اجتباء بمعنى جمعه كانه قيل هلا جمعت الاية التي ننتظر ان يوحى اليك تقولا من عند نفسك
قوله او هلا طلبتها على تقدير ان يقترحوا عليه الصلوة والسلام بمعجزة معينة ولم ياذن الله
تعالى له في اتيان ما اقترحوه فيقولون لولا اجتبيتها من الاجتباء وهو الاصطفاء اي هلا تخيرتها
واصطفيتها عن سائرها بما تريد وطلبتها من الله تعالى بخصوصها قوله هذا بصائر الحجج ويدرك اشارة
الى ان البصائر جمع بصيرة بمعنى الباصرة الا ان الباصرة تطلق على القوة المودعة في
العين لابصار المحسوسات والبصيرة تطلق على القوة المودعة في القلب لادراك المعقولات
فان النفس الناطقة انما تدرك المعقولات بواسطة تلك القوة كما انها انما تدرك المبصر

بما يشعر بالبناء هذه الآن ان الدرك النفس للمعقولات اعتبا باستعمال البصيرة قد يتوقف على النظر والتفكر في الدلائل وقد لا يتوقف عليه بل قد يكون بغير نظر وفكر فلما كانت الدلائل اسبابا للمعارف البصيرة للنفس في ادراكها المعقولات اطلق لفظ البصائر على الدلائل والبراهين وعلى القرآن ايضا لاشتماله عليها الدالة على الحق والصواب في باب الاعتقاد والعمل اطلاقا مجازيا على طريق اطلاق اسم المسبب على سببه فان الدلائل اسباب لظهور منافع البصائر فلذلك وصف القرآن بانه بصائر وهاد الى الطريق المستقيم وسبب رحمة الله لمن عمل به فيدخله الجنة بفضله ورحمته ثم انه تعالى لما عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر اردفه بقوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له اي لاجله والضمير للقرآن فان شأنه يوجب الاستماع والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد **قوله** نزلت في الصلاة اي في تحريم الكلام فيها عبر عن الصلاة بقراءة القرآن لكونها اعظم اركانها قال قتادة كان الرجال في الجماعة وهم يصلون فيسألهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلاة لحوائجهم فانزل الله هذه الآية وامرهم بالانصات **قوله** واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وقال قراءة الامام قراءة للمأموم فلا يقرأ خلف الامام سواء اسر الامام او جهر لانه تعالى اوجب عليه امرين الاستماع والانصات فاذا فات الاستماع بقي الانصات واجبا والاحتجاج به على ترك القراءة خلف الامام ضعيف لان الانصات المأمور به المراد به النهي عن الكلام لا عن القراءة كما روي انهم كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت هذه الآية فامروا بالانصات وقيل المراد به النهي عن الجهر بالقراءة خلف الامام فان العرب تسمي تارك الجهر منصتا وان كان يقرأ في نفسه من غير ان يسمع احدا روي عن ابن عباس انه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة والسلام في الصلاة المكتوبة وقرأ اصحابه وراءه رافعي اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية آمرة بالانصات وترك الجهر بالقراءة خلف الامام فالآية سواء نزلت لتحريم الكلام في الصلاة او لتحريم الجهر بالقراءة خلف الامام لا دلالة فيها على حرمة القراءة على المأموم اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلان تحريم الجهر بالقراءة لا يستلزم تحريم القراءة نفسها خلف الامام ولو سلم ان الآية اوجبت على المأموم ان يستمع وينصت عن القراءة نقول الا ان عموم هذه الآية قد خصص بقوله عليه الصلاة والسلام اذا كنتم خلفي فلا تقرؤوا الا بفاتحة الكتاب فانه لا صلاة الا بها وبقوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بفاتحة الكتاب ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فانه يجوز تخصيص عموم القرآن بالسنة فالمأموم يقرأ الفاتحة في سكتات الامام ولا ينازع الامام في القراءة وقيل سكت الامام عند الشافعي بعد فراغه

او محمول على الكتب المنزل اي هذا القرآن كالبصائر للقلوب بها حيث انه يبصر الحق ويدرك الصواب روح

س

المراد بذكر الله تعالى في نفسه ان يذكره عارفا بمعاني الاذكار التي يقولها بلسانه مستحضرا لصفات الجلال والعزة والعظمة والكبرياء والكمال وذكره لان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة الا ترى ان الفقهاء اجمعوا على ان الرجل اذا قال بعت واشتريت مع انه لا يعرف معاني هذه الالفاظ ولا يفهم عنها شيئا فانه لا ينعقد البيع والشراء فكذا ههنا قال الامام سمعت ان بعض الاكابر من ارباب القلوب كان اذا اراد ان يأمر احدا من المريدين بالخلوة والذكر امره اربعين يوما بالخلوة والتصفية ثم عند استكمال هذه وحصول التصفية التامة يقرأ عليه اسماء التسعة والتسعين ويقول للذاكر المريد اعتبر حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوي تأثيره وعظم شوقه فاعرف ان الله تعالى انما يفتح ابواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب منه

من قراءته الفاتحة ليقرأ المأموم الفاتحة **قوله** متضرعا وخائفا اشارة الى ان قوله تضرعا وخيفة مصدران وقعا موقع الحال من فاعل اذكر وكذا قوله ودون الجهر صفة لمحذوف اي الحال اي ومتكلما كلاما هو دون الجهر فانه لما امر في صلاة الجهر بسكوت بان لا يجهر جهرا شديدا بل يقتصر على قدر ما يسمعه من خلفه ولما كان اكمل احوال الانسان ان يظهر عزة ربوبيته تعالى وذل عبوديته نفسه امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم تعليما للامة بان يذكر ربه في نفسه متضرعا مستدلا فان المقصود الاول انما يتم بقوله واذكر ربك في نفسك والمقصود الثاني انما يتم بقوله تضرعا وخيفة وهي بكسر الخاء اصلها خوفة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهذا الخوف يتناول خوف التقصير في الاعمال وخوف الخاتمة وخوف السابقة فان ما يظهر في الخاتمة ليس الا بحكم ما في الفاتحة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة **قوله** بالغدو والآصال متعلق باذكر اي اذكره في هذين الوقتين وهما البكرات والعشيات فان الغدو جمع غدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والآصال جمع اصيل نحو يمين وايمان وفي الصحاح الاصيل الوقت بعد العصر الى المغرب وجمعه أصل وآصال والعشي والعشية من صلاة المغرب الى العتمة واضافة الاوقات الى الغدو والعشيات بيانية وخص هذان الوقتان بالامر بالذكر لان فيهما يتغير احوال العالم تغيرا عجيبا يدل على ان المؤثر فيه هو الاله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الكاملة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغي له ان يذكر المؤثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله الى اسوء الحال فلذا خص الله هذين الوقتين بالامر وقيل الغدو والآصال عبارتان عن الليل والنهار اكتفى عن ذكرهما بذكر طرفيهما والمراد بذكر الله تعالى فيهما المواظبة عليه بقدر الامكان امر اولا بان يذكر ربه بلسانه على وجه يستحضر في نفسه معاني الاذكار التي يقولها بلسانه فان المراد بذكر الله في نفسه ان يذكره حال كونه عارفا بمعاني ما يقوله من الاذكار ثم اتبعه قوله ولا تكن من الغافلين للدلالة على ان الانسان ينبغي له ان لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه بقدر الطاقة البشرية ثم انه تعالى لما رغب رسوله صلى الله عليه وسلم في ذكر الله وعبادته ذكر عقيبه ما يقوي دواعيه في ذلك فقال ان الذين عند ربك اي المقربين لديه قرب الشرف والمكانة لا قرب المسافة والمكان وهو انهم مع علو منزلتهم وعصمتهم عن الكدورات الطبيعية الحاملة على الشهوة والغضب وساير الصفات الذميمة لما كانوا مواظبين على العبودية والخضوع فلأن الانسان مع كونه مبتلى بظلمة الطبيعة والكدورات النفسانية لأن يواظب على الطاعة اولى **قوله** وله يسجدون تقديم عليهم ليفيد الحصر والدلالة على انهم لا يسجدون لغير الله تعالى في سورة الاعراف

قوله [illegible] والآصال [illegible] ان الغدو [illegible] غدا يغدو غدوا مصدر [illegible] مصدر [illegible] وقت الغداة [illegible] وقراءة الايصال [illegible] في الآية [illegible]

فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار رواه مسلم وقال ربيعة بن كعب الاسلمي كنت ابيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آتيه بوضوئه وحاجته فقال سلني فقلت مرافقتك في الجنة فقال او غير ذلك فقلت هو ذاك فقال اعني على نفسك بكثرة السجود رواه مسلم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسجد عبد سجدة الا رفعه الله تعالى بها درجة وحط بها عنه خطيئة منه

بسم الله الرحمن الرحيم هذا اوان الشروع في الاغتنام بغنائم سورة
والغنيمة هي المال الماخوذ من الكفار قهرا واصل النفل الزيادة على اصل الشيء وسميت الغنائم
انفالا لكونها فضلا من الله تعالى وعطاء خص بها هذه الامة على سائر الامم فان سائر الامم لم
يحل لهم الغنائم وانما هي عطية تفضل الله بها على هذه الامة زائدة على ما اعطاه لسائر الامم
قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل • وباذن الله ريثي والعجل • اخبر بان تقوى الله خير ما اعطاه الله
وتفضل به على عباده **قوله** يعني حكمها اشارة الى ان المراد بالسؤال في هذه الاية سؤال الاستفتاء
وهو السؤال عن الحكم ولهذا عدي بكلمة عن ولو كان المراد به سؤال الاستعطاء لقيل يسالونك
الانفال كما يقال سألته درهما وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ يسالونك الانفال
بدون كلمة عن على ان المراد به سؤال الاستعطاء فان اريد التوفيق بين قراءته وبين قراءة
الجمهور يجعل كلمة عن بمعنى من التبعيضية فان حروف الصلة تتناوب كثيرا والظاهر ان المراد به سؤال
الاستفتاء والمعنى يستفتونك في حكم الانفال انها الى اين تصرف وكيف تقسم ومن الذين يتولون
قسمتها أهم المهاجرون ام الانصار ام هم جميعا فاجيبوا بان الحكم فيها لله ولرسوله صلى الله
عليه وسلم يضعها في موضعها التي امره الله تعالى بوضعها فيها والحاصل انها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يحكم فيها بامر الله ويضعها حيث شاء بما اراه الله تعالى فلما نزلت قسمها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين اهل بدر على السواء وكان ذلك تقوى الله تعالى وطاعة رسوله واصلاح ذات البين
واسند قوله تعالى يسالونك الى من لم يسبق ذكرهم صريحا وحسن ذلك لان السائل عن حكم الانفال
كان معلوما متعينا حال نزول الآية وهم اصحاب بدر رضي الله عنهم اجمعين فلم يحتج في اسناد
الفعل اليهم الى سبق ذكرهم صريحا **قوله** والنزاع ولاجل انه عليه الصلوة والسلام قسم
غنائم بدر بين الشبان المسارعين الى القتل والاسر وبين الشيوخ الثابتين في
المصاف تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يخلو المصاف عن المحاربين فيجد خيل
من خيول المشركين فرصة فيحملوا على رايته عليه الصلوة والسلام وعلى نفسه فيتعرضوه
بالسوء فانه لا بد في مجمع المحاربة من فئة تثبت تحت الراية ليتحاز اليهم المقاتلون ان انهزموا
ويتحصنوا بهم ولم يعط الشبان ما شرط لهم من وعد بقوله من قتل قتيلا او اسر اسيرا فله
كذا من السلب فذهب الشافعي ومن تبعه الى انه لا يلزم الامام ان يفي بما وعد لمتمحض خطر وقال ابو
حنيفة رضي الله عنه يلزمه الوفاء بما وعد به **قوله** واصلحوا الحال التي بينكم من المنازعة والمخالفة
بالمواساة والموافقة والمساعدة فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم اي لمواساة المقاتلة الذين
شرط

وسميت التطوع نافلة لكونه
زائدة على الفرض الذي هو
الاصلي وقال تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة اي
زيادة على ما سأل منه

شرط لهم النفل والشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم بالسوية لئلا يرد
الخلل على ما كان بينكم من التحابب والتآخي فان المؤمنين لابد ان يكونوا متحابين متآخين
في الله تعالى يساعد بعضهم بعضا فيما عن لهم من الامور واذا اجتمعوا الذين في الاختلاف والتنازع و
ان يطيعوا الله ورسوله في تفويض الامر اليهما والتسليم والانقياد لحكمهما وذات البين هي الاحوال
التي تقع بين الناس كما ان ذات الصدور هي المضمرات الكائنة فيها وذات الاناء هي ما حل فيه
الطعام والشراب ولما كان لما كان ما حل في الشيء ملابسا له قيل انه صاحب محله وذوه مثل ان
يقال اسقني ذا انائك اي الماء الذي فيه وذات بينكم في الاية صفة لمفعول محذوف تقديره واصلحوا ال
احوال الذات بينكم **قوله** ان كنتم مؤمنين شرط لابد له من الجواب وجوابه ما تقدم عليه عند
الكوفيين واما عند البصريين فانه جوابه محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه فالمذكور قبله
جواب من حيث المعنى بالاتفاق وجواب من حيث اللفظ ايضا عند الكوفيين ومن المعلوم ان
الشرط ملزوم ومقتض للجواب والجواب لازم له وان انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم فان كان
المراد بالايمان الذي جعل شرطا اصل الايمان يكون ما هو الجواب من حيث المعنى طاعة الله ورسوله
بقبول احكامه والاعتقاد بحقيته فان اصل الايمان يقتضي ذلك وينتفي بانتفائه وان كان ما هو الجواب
من حيث المعنى هو التحلي بمجموع الامور الثلثة التي هي طاعة الاوامر والانتهاء عن المعاصي واصلاح
ذات البين يكون المراد بالايمان الذي جعل شرطا كمال الايمان لانه هو المقتضي لمجموع الثلثة المذكورة لان
اصل الايمان لا ينتفي بانتفاء هذا المجموع وان كان الجواب طاعة الله ورسوله بقبول ما كلفنا به والاعتقاد
بحقيته يكون المراد بالايمان اصل الايمان لانه لا يقتضي التحلي بمجموع الثلثة بل يتحقق بمجرد الطاعة
بالمعنى المذكور فقوله فان الايمان يقتضي ذلك مبني على ان يكون الجواب ما يدل عليه قوله واطيعوا
وقوله فان كمال الايمان بهذه الثلثة مبني على ان يكون الجواب ما يدل مجموع قوله فاتقوا الله واصلحوا
واطيعوا فان المراد بالايمان حينئذ هو الايمان الكامل للعلم بان اصل الايمان لا يتوقف على التحلي بمجموع
تلك الامور كلها **قوله** فزعت لذكره استعظاما له يعني ان المراد من الوجل الذي هو الخوف
والفزع ههنا هو الخوف المتفرع على مجرد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمته وجلاله فان هذا الخوف
لا يزول عن قلب من ذكر الله تعالى عالما بنعوت جلاله وصفات كماله سواء كان ملكا مقربا او نبيا
مرسلا او مؤمنا تقيا فان كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى يلاحظ عظمته واستغناءه عن جميع ما
سواه ويعلم احتياجه اليه في جميع مهماته فلا جرم يهابه ويقشعر جلده ويغلب عليه الدهشة
بحيث لا يكاد يبقى وجوده واما خوف العقاب فانه لا يحصل بمجرد ذكر الله تعالى بل انما يحصل بملا
حظة معصيته وذكر عقاب الله تعالى انتقاما من العصاة واللائق بهذا المقام هو ان يحمل الخوف على

قوله فان الايمان يقتضي ذلك يعني
ان الملازمة بين الشرط والجزاء
ليست على حقيقتها بل عادية
اكثرية من قبيل ... ان
والدي ... يقتضي الولدية
نصح الوالد وان خالفه
فيه بعض الاولاد وقوله او
ان كنتم كاملي الايمان الخ يعني
ان الملازمة حقيقية لان
كمال الايمان لا يوجد بدون
هذه الخصال الثلثة قطعا
شيخ محمد المعروف
بقاضي زاد

مايتفرع على مجرد ذكر الله من ملاحظة عظمته وجلاله اللازم لكمال الايمان وقال الامام اللائق بهذا المقام ان يراد بالوجل الخوف من العتاب الذي هو وظيفة القضاة بناء على ان المقصود من هذه الآية الزامهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة الانفال خوفا من عاقبة عصيانه و الفعل منه ادا في ضعفه بولو تقبل من الزجر بهم بكلمة الحو القراءة المتواترة وجلت بكسر الجيم في الماضي وفتحها في الغابر في لغة اخرى قرئ بها في القراءة الشاذة وجلت بفتح الجيم في الماضي وكسرها في الغابر فتحذف الواو في المضارع كما في وعد يعد وقرئ فرقت بكسر الراء من الفرق اي التخويف وهو الخوف **قوله** والزيادة المؤمن به لا الاجزاء الايمان بمعنى التصديق الجازم والاقرار يقبل الزيادة والنقصان فان التصديق وهو الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض و طمانينة القلب بالحكم كيف يحتمل الزيادة والنقصان وكذا الاقرار لا يحتملهما فان الايمان المتعلق بشيء واحد لا يحتمل التفاوت بالزيادة والنقصان لكن يجوز التفاوت فيه بالقلة والكثرة باعتبار قلة متعلقه وكثرته فان التكاليف الالهية والايات القرانية لما كانت متتابعة متعاقبة في زمان نزول الوحي فعند نزول كل آية وحدوث كل تكليف وتصديق الامة بذلك يزداد تصديقهم بحسب الكمية والعدد على ما كان قبله فقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة اتوا باقرار جديد بحقيتها وصدقوها تصديقا واقرارا غير التصديق والاقرار المتعلقين بما نزل قبلها وكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق بحسب الكمية والعدد في كون كل واحد منهم آحادا لا ايمانهم الواقع قبل ذلك باقيا على حاله لا يزيد ولا ينقص في نفسه **قوله** او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة اي و يجوز ان يكون المراد بزيادة الايمان زيادته بحسب الكيف لا بحسب الكمية بحسب ازدياد المؤمن به فان الايمان له مراتب متفاوتة في القوة والضعف فان التصديق المتعلق بشيء واحد يزداد ويتقوى بتظاهر الادلة وكثرتها قال الفاضل التفتازاني والاصح ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات وبين يقين آحاد الامة ولهذا قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا و كذا بين ما قام عليه دليل واحد من التصديقات وما قامت عليه ادلة كثيرة ومنعه الامام بان الجزم الحاصل بسبب الدليل الواحد ان كان بحيث لا يحتمل النقيض يمتنع ان يكون التصديق الذي قام عليه الدلائل الكثيرة اقوى من الذي قام عليه دليل واحد وان كان بحيث يحتمل النقيض لم يكن ما قام من الدليل دليلا بل يكون امارة ولا يكون النتيجة معلومة بل يكون مظنونة **قوله** وحقا صفة مصدر محذوف اي هم المؤمنون ايمانا حقا وقيل تقديره اخبركم بذلك اخبارا حقا و

وبجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون جملة اسمية كما في قولك زيد ابوك حقا اي احقه حقا ويجوز على ضعف ان يكون مؤكدا لمضمون الجملة الواقعة بعده وهي قوله لهم درجات ويكون الكلام قد تم عند قوله هم المؤمنون ثم ابتدأ بقوله حقا لهم درجات وتقديم المصدر المؤكد لمضمون الجملة عليها مذهب ضعيف وصف الله المؤمنين بخمسة اوصاف ثلثة منها متعلقة بالقلب وهي الخشية والوجل عند ملاحظة عظمة الله وجلاله والانقياد لآيات الله واحكامه وتجرده عن الملص بالاخلاص وان لا يثق ولا يعتمد في امر من الامور الا على الله واثنان منها يتعلقان بالقالب والظاهر وهما الصلوة والصدقة ولا شك ان هذه الاخلاق والاعمال القلبية والقالبية لها تاثيرات في تصفية القلب وتنويره بالمعارف الالهية وينيله الى الكرامات الربانية والمنازل الروحانية والجسمانية في الجنان الرفيعة العالية فلذلك قيل لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم فان قيل اليس ان المفضول اذا علم حصول الدرجات العالية للفاضل وحرمانه عنها فانه يتألم قلبه ويتنغص عيشه وذلك ينافي كون ثواب الآخرة رزقا كريما وكرم الرزق انما يكون بخلوه عن التنغص اجيب بان استغراق كل احد في سعادته الخاصة به يمنعه من اعتراء ما يتفرع على الحقد والحسد عليه مع ان اهل الجنة لا يدخلونها الا بعد ان نزع الله ما في قلوبهم من غل و جعلهم اخوانا صافية القلوب عن كدورات الغل والحسد وبالجملة احوال الآخرة لا تناسب احوال الدنيا **قوله** تقدير هذه الحال في كراهتهم لها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له المراد بالحال المشبه بالاخراج هو قسمة الانفال بين الغزاة كما شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقتضى قوله الانفال لله والرسول فاتقوا الله فان هذه الحال مشابهة لحال اخراجه عليه الصلوة والسلام من بيته من حيث انهم كرهوا كل واحدة منهما كراهة طبيعية فان في طبع من له غناء من الشبان المسارعين الى القتل والاسر شيء من الكراهة لهذه القسمة حيث لم يصل اليهم ما شرط لهم بمقابلة اقتحامهم الخطر ويحتمل ان يكون المراد بالحال المشبهة بالاخراج ان شرط عليه الصلوة و السلام لمن له غناء زائد في امر القتال قدرا زائدا على سهمه من مال الغنيمة فانه عليه الصلوة و السلام لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا ليرغبهم في القتال فلما انهزم المشركون وقتل من قتل منهم واسر من اسر وطلب اصحاب الغناء ما شرط اعترض على طلبهم الشيوخ الذين ثبتوا عند الرايات لكونهم ردءا لمن انهزم من الشبان وحافظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ان يغتاله المشركون بغتة بشيء من الكراهة فقالوا لو اخذ هؤلاء ما شرطت لهم بقي خلق كثير من المسلمين بغير شيء ومن تاخر عن القتال لم يتأخر عنه جبنا ولا بخلا ببذل المهجة بل انما تاخروا عنه ليتبركوا بانفسهم خوفا

ولا يجوز عند الاخفش والاحوص الا [illegible] ثم عدم الاخفش ينقض ثم قوله بما هو كالاصل من التقديم عطف عليه [illegible] رتبتهما النحويين [illegible] سيما وهي لا تقدم على الاصل النطق في نفس التقديم ذهب الى الاخفش حذرا عما يلزم من التكرار كان مستانفا

في انفس بعض شيء من الكراهة لكن بعض من النبوغ اولا ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تنفيلهم كان له علة في محاربة الكفار وكره بعض الشبان بعد ما نزل هذه الآية انتزاع الغنائم من ايديهم وجعلها لله ولرسوله يحكم فيها ما شاء والمراد بالكراهة الطبيعي كانت تتعلق الغنائم في الشبان والمسارعين في الجهاد و الغزو ما شات لحكم الشرع طوعا ورغبة مسلمه

خيرة الله ورضاهم بكون قسمة الانفال مفوضة الى رأي رسول الله يقسمها على ما كان يأمره الله بها في طلعتهم من الكراهة والانفال الى رفيعهم بالخروج من المدينة لحرب الكفار كارهين لا

متى ان يحتال يحتمل فيشب القمر بهذه الحالة هو ابن خزيمة الاصحاب العيان ما يشبه الحال تخرج
اياه عليه الصلوة والسلام من بيته من حيث انهم كرهوا الكلام اخرجه منها طبعا فقال بهذه الحالة
في كراهتهم اياها كالحال اخراجك من بيتك للحرب في كراهتهم له طبعا والمراد باخراج الله اياه كونه
سببا آمرا بالخروج وجوده داعيا اليه فان جبرئيل عليه السلام اتاه وامره بالخروج فالكاف في قوله
كما اخرجك في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذه الحالة هي كون قسمة الانفال مفوضة
الى راي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها على ما كان يامره الله به مع ما في طبع بعض منهم من
الكراهة كحال رضاهم باخراجك من بيتك لحرب الكفار كارهين له **قوله** بالحق متعلق
بمحذوف منصوب على انه حال من مفعول اخرجك ملتبسا بالحق على ان يكون صفة مصدر محذوف **قوله**
النجا النجا مصدر حذف عامله يقال نجوت نجاء اي اسرعت وسبقت وتقديره اسرعوا
الاسراع او اغراء اي الزموا الاسراع **قوله** على كل صعب وذلول اي اسرعوا على كل مركوب صعبا
كان او ذلولا ولا تتوقفوا الى ان تجدوا مركبا ذلولا **قوله** عيركم اي الزموا عيركم او تداركوا عيركم
واحفظوها **قوله** اموالكم بدل من عيركم روي ان ابا سفيان رئيس العير لما سمع بمسير النبي
صلى الله عليه وسلم نحوه استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا
فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد خرج مع اصحابه ليتعرض عيرهم فخرج ضمضم الى
مكة سريعا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلث ليال رؤيا افزعتها
فبعثت الى اخيها العباس فقالت له والله يا اخي لقد رأيت الليلة رؤيا افزعتني وخشيت
ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم علي ما احدثك به قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا
اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث
فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر
الكعبة ثم صرخ بمثلها باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس
ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت
اي تفرقت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخلته منها فلقة فقال العباس
ان هذه لرؤيا وانت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي عتبة بن ربيعة بن عبد
شمس وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها وذكرها عتبة لابنه ففشى الحديث حتى تحدثت به قريش
قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا
عاتكة فلما رآني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال فلما فرغت
اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي ابو جهل يا ابن عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت
وما

غدر بمعنى غادر وهو تارك الوفاء واكثر ما يستعمل هذا في النداء بالشتم فيقال يا غدر صح

قوله ثم حلف اي اراد ان ياتي ... كان التخلف بالشي فوق ربيه اي فوقنا وهو ما اخذه من تخلف الطائف وهو ارتفاع عدة العهد او الناس فيها للصدقة

ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قال يا ابن عبد المطلب اما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ
نساؤكم قد زعمت عاتكة انها رأت في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلث
فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمضي الثلث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم اكذب
اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون رأت
شيئا ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من متعلقات عبد المطلب الا اتتني فقالت اقررتم
لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك
غيرة لشيء مما سمعت قال قلت والله ما كان مني اليه كبير وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكه
قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب فدخلت المسجد فرأيته فوالله
اني لامشي نحوه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان رجلا خفيفا حديد اللسان اذ هو سمع صوت
ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق
قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه
لا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا
ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه احدا فخرجوا سراعا و
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فنزل جبرئيل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى
الطائفتين اي الفريقين احدهما ابو سفيان مع العير والاخر ابو جهل مع النفير الى آخر القصة
قوله فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال هذا هو المقصود من ايراد القصة حيث تبين به وجه
قوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون فان من قال هلا ذكرت لنا القتال انما قال ذلك كراهة
للخروج عليه الصلوة والسلام من المدينة **قوله** لو سرت بنا الى عدن ابين ذكره لغاية بعد مكانه
ناحية اليمن وبعده البحر في المغرب ابين بالفتح اسم رجل من حمير تنسب اليه بلدة عدن لان ذلك
الرجل عدن بها اي اقام وروي بكسر الهمزة ايضا **قوله** فناداه العباس وهو في وثاقه اي في قيده
وقد كان خرج مع المشركين فاسر مع جملة من اسر من النفير يوم بدر **قوله** لا يصلح اي ناداه
يقول لا يصلح هذا الرأي وهو التوجه الى العير بعد الظفر بالنفير قيل انه كان قد اسلم قبل وقعة بدر الا
انه كان يكتم اسلامه من قومه لانه كان له اموال متفرقة على الناس فلم يظهر اسلامه قبل ان يجمعها وفي
الغطية انه كان لم يؤمن بعد قيل اسر العباس رجل خفيف الجثة يقال ابو اليسر وكان العباس
رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني
عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا قال عليه الصلوة والسلام لقد اعانك عليه ملك
كريم **قوله** استبشروا على امر المخاطبين من الاستبشار اي ابشروا كانه ضمن معنى نصرتم و

في معاونتهم في هذه المعركة فان الانصار كانوا عاهدوا ليلة العقبة ان ينصروه ما دام في المدينة
واذا خرج منها لا يكون عليهم معاونته ونصرته فاراد عليه الصلوة والسلام ان يعاهدهم على النصرة
في تلك المعركة ايضا **قوله** لو استعرضت بنا هذا البحر اي لو طلبت منا ان نعبر هذا البحر عرضا و
قوله بنا حال من فاعل استعرضت اي لو طلبت منا ولكن انت معنا ونحن في صحبتك لخضناه ومن
تجرد دون توقف وهذا المجاز من التعبير وفيه مبالغة **قوله** فكره بعضهم قول الفاء فيه للنتيجة
والتفريع فان القصة قد تمت بنقل مقالة العباس رضي الله عنه وتوثيقه اي اذا تقرر
ان القصة جرت على ما ذكر فقد ظهر ان بعض الصحابة استثقلوا قول رسول الله صلى الله عليه و
سلم ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل يريد بذلك ان تلقي النفير وجها لمشركين
آخر عدة وانفع للمؤمنين من الظفر بالعير لان في تلقي النفير كسر شوكة المشركين واظهار الدين الحق على
الاديان كلها ولما كان المقصود من ايراد القصة بيان وجه ارتباط قوله وان فريقا من المؤمنين
لكارهون لقوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق ببيان ان المعنى اخرجك ربك من بيتك لان تترك
التوجه الى العير وتوثر عليه مقاتلة النفير في حال كراهة فريق من اصحابك ما آثرت من محاربة النفير
وان تلك الكراهة انما صدرت من بعض اصحابه لا من جميعهم لان كبار الصحابة لا يليق بشانهم انكار
ما آثره رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرضهم عليه كان المناسب ان يذكر القصة بتمامها ثم يفرع عليه
بيان ان انكاره بعض منهم للكلام فلذلك ذكر قوله فكره بعضهم بعد الفراغ من ذكر القصة **قوله**
في ايثار الجهاد يعني ان الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ايثاره الجهاد مع النفير
على التوجه نحو العير وقوله باظهار الحق حال من الجهاد اي يجادلونك في ايثار الجهاد في حال كونه ملتبسا
باظهار الدين الحق فلذلك عبر عنه بالحق وقوله لايثارهم تلقي العير عليه متعلق بيجادلونك فانهم انما
خرجوا من المدينة طلبا لعير قريش فلما منعت قريش عيرها بالنفير امروا بالقتال مع النفير فشق
ذلك عليهم من حيث انهم لم يتاهبوا للقتال ولم يعدوا العدة مع قلة عددهم وكونهم رجالة لم يكن
فيهم الا فارسان وكثرة عدد المشركين وعددهم فلذلك جادلوه عليه الصلوة والسلام طلبا للرخصة
في ترك القتال وكان جدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير هلا قلت لنا ونحن في المدينة ان الخروج
لمقاتلة النفير لنستعد ونتاهب له **قوله** يجادلونك يحتمل ان يكون استئنافا لبيان طريق كراهتهم
للاخراج المذكور ويحتمل ان يكون حالا ثانية اي اخرجك في حال كون بعضهم كارهين مجادلين في
ايثار الحق المؤدي الى اظهار الدين الحق على الاديان كلها ويحتمل ان يكون حالا من ضمير كارهون
اي فريقا منهم كارهون في حال مجادلتهم وقوله بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية
اي بعد تبينه ووضوحه والجدال في الحق بعد تبينه اقبح من الجدال قبل انفضاحه ورجالة جمع راجل
وهو

وهو خلاف الفارس ويجمع ايضا على رجل مثل صاحب وصحب وعلى رجال وقوله كانما يساقون
حال من فاعل يجادلونك اي يجادلونك مشبهين بمن يساق الى الموت وقوله وهم ينظرون حال من
ضمير يساقون ولما كانت مجادلتهم مبنية على كراهة القتال والخوف من غلبة العدو شبه حالهم في
فرط فزعهم ورعبهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اي يشاهد اسباب
الموت وموجباته وفي تقييد مجادلتهم بكونها في حال كونهم مشبهين بمن يساق الى الموت ايماء الى
ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ في قوله واذ يعدكم الله منصوب باضمار اذكر وقوله
انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين وهما ابو سفيان مع العير وابو جهل مع النفير اي يعدكم
ان احديهما كائنة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك على املاكهم **قوله** الشوكة الحدة اي السلاح
الذي له حدة كسنان الرمح والسيف ونصل السهم فان الذي يشبه بواحدة الشوكة هو السلاح
المذكور لا نفس الحدة والشوكة نبت في طرفه حدة كحدة الابرة **قوله** ان يحق الحق ويثبته
قوله ان يحق الحق لان الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته وما يثبت للشيء لذاته فانه يمتنع
تحصيله بجعل جاعل وفعل فاعل فلما تعذر حمل الكلام على حقيقته وجب ان يكون المراد بتحقيق الحق
وابطال الباطل اظهار كون ذلك الحق حقا واظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك يكون تارة
باظهار الدلائل والبينات وتارة يكون بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فقوله تعالى
ويريد الله ان يحق الحق مع قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تريدون في قوة ان يقال
انكم تريدون العير لتفوزوا بالمال والله يريد ان تتوجهوا الى النفير لما فيه من اعلاء الدين الحق و
استيصال الكافرين فان قطع الدابر عبارة عن الاستيصال والمقصود من الايتين تمييز
ما بين الارادتين فلا يكون قوله ليحق الحق تكريرا لقوله يريد الله ان يحق الحق وان تبادر
الى الذهن كونه مكررا لان قوله ليحق الحق متعلق بمحذوف اي فعل ذلك لان يظهر دين الاسلام
على سائر الاديان وان يعليه على ما عداه من الاديان وهذا هو المذكور بقوله يريد الله ان يحق الحق
فان معناه يريد الله بحمل الرسول صلى الله عليه وسلم على ايثار تلقي النفير ان يظهر الاسلام
ويعليه وعلل الحمل المذكور ثانيا باظهار الاسلام وابطال الكفر وظاهره انه تكرار الا انه ليس بتكرار
في الحقيقة لان الاول مذكور لبيان ان مراد الله تعالى اعلاء الدين واظهار الحق الذي هو الاسلام
وان مرادهم اصابة المال وان لا يلقوا مكروها وبيان الفرق بين المرادين والثاني مذكور
لبيان الداعي الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار التوجه الى ذات الشوكة ونصره عليها
وقطع دابر المشركين كانه قيل لم يفعل ما فعل من حمله عليه الصلوة والسلام على ايثار التوجه الى
جانب النفير ونصر المؤمنين وقطع دابر الكافرين الا لهذه الحكمة الباهرة وهي اظهار الدين

الحق وابطال الكفر **قوله** اذ تستغيثون بدل من اذ يعدكم او هو ظرف منصوب به والمعنى ليحق
الحق وقت استغاثتكم وفيه ان قوله ليحق مستقبل لكونه منصوبا باضمار ان واذ ظرف لما مضى
فجعل المستقبل في الماضي الا ان يجعل الوقت لاستغاثتهم ماضيا بالنسبة الى زمان نزول الآية ويحقق الحق
مستقبلا بالنسبة الى وقت استغاثتهم بالنسبة الى زمان نزول الآية ايضا وان كان منصوبا
باضمار اذكر يكون الكلام مستأنفا اي منقطعا عما قبله والاستغاثة طلب الغوث والنصر والعون
ثم قيل هذه الاستغاثة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روي عن عمر بن الخطاب رض
وقيل انما كانت من المؤمنين لقوله تعالى اذ تستغيثون باسناد الفعل الى الجماعة ولا منافاة بين
القولين لانه عليه الصلوة والسلام دعا وتضرع كما روي والمؤمنون كانوا يؤمنون على
دعائه وروي انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره **قوله** فاستجاب
لكم اي اجابكم فان استجاب واجاب يستعملان بمعنى كما في قوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب فقلت ادع اخرى وارفع الصوت دعوة لعل ابا المغوار منك قريب
قوله متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا يعني ان الارداف بمعنى الاتباع يقال ردفه وارادفه
اذا جاء بعده وارداف الملائكة تتابعهم ومجيء بعضهم اثر بعض او اتباعهم المؤمنين ومسيرهم
خلفهم فان افعل قد يكون بمعنى فعل وفي الصحاح يقال اردفه امر بمعنى ردفه مثل تبعه واتبعه
فانهما بمعنى واحد **قوله** او متبعين بعضهم بعضا او انفسهم المؤمنين على ان تكون همزة
اردف للتعدية ردفه الى مفعول ثان وان قرئ مردفين بفتح الدال يكون اسم مفعول من اردف
المتعدي الى واحد بمعنى متبعين يتبعهم المؤمنون بان يكونوا مقدمة الجيش او من اردف المتعدي
الى اثنين ويكون بمعنى متبعين بان جعلهم ربهم ساقة الجيش وجعلهم تابعين للمؤمنين
قوله وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال **قوله** وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة
آل عمران وهو قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة
منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين **قوله** ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة لا الحصر جميع ما امد الله
بهم من الملائكة في الالف روي عن علي رضي الله عنه انه قال لما التقى الصفان جاءت ريح لم ار
مثلها قط شدة ثم ذهبت فجاءت اخرى مثلها ثم ثالثة فكانت الاولى جبرئيل عليه السلام في الف من
الملائكة فكانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل في الف من الملائكة فكانوا
في ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه في الميمنة وكانت الثالثة
اسرافيل في الف منهم ونزلوا في ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في الميسرة وكانت الملائكة
في

الفرق بين المستغيث
والمستنصر والمستعين و
المستفهم ان المستغيث يطلب
الظفر والمستنصر يطلب
الخلاص والمستغيث الملتجئ
القدرة والمستعين يطلب
القدرة كذا

في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلوا **قوله**
واختلف في مقاتلتهم فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة من الملائكة على الميمنة وفيها ابو بكر رضي الله عنه
وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي رضي الله عنه في صور الرجال وقيل قاتلوا يوم بدر ولم
يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود رضي الله عنه من اين كان ذلك
الذي كنا نسمعه ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين
بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر
وشق وجهه فحدث المسلم ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء
الثالثة وروي ان رجلا اتبع رجلا من المشركين ليضربه يوم بدر فوقع رأسه بين
يديه قبل ان يصل اليه سيفه وقيل ان الملائكة لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون سواد المسلمين ويثبتون
المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الارض جميعا فان جبرئيل اهلك بريشة من جناحه مدائن
قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وكانت وقعة بدر يوم الجمعة السابع عشر
من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة **قوله** الا بشارة استثناء مفرغ من اعم
عام العلل والتقدير وما جعل الله لعلة من العلل الا ليبشركم بالنصر ونصب بشارة
لوجود شرط النصب وهو اتحاد الفاعلين فاعل الفعل المعلل وفاعل العلة ولم ينصب قوله ولتطمئن
به قلوبكم لعدم وجود شرط النصب لان فاعل الجعل هو الله وفاعل الاطمئنان هو القلوب **قوله**
او متعلق بالنصر او هو ظرف له منصوب به اي وما النصر في وقت ان يغشاكم الله النعاس امنة الا
عند الله او هو ظرف لما في قوله عند الله من معنى الفعل فان المعنى وما النصر ثابتا وحاصلا من عند
احد الا من عند الله فانه حاصل من عنده في وقت تغشية النعاس اياكم امنة قرأ عاصم وابن
وابن عامر وحمزة والكسائي يغشيكم بضم الياء وتشديد الشين ونصب النعاس من التغشية
عدى الفعل بتضعيف العين الى مفعول ثان فان غشى يتعدى الى واحد والفعل مسند الى ضمير
الباري تعالى والتشديد للتكثير والمبالغة والمعنى يغشيكم الله النعاس امنة منه اي امانا من الله
مما خفتم فان الصحابة كانوا على امن من المشركين مع علمهم بالمقاتلة عن ابن مسعود انه
قال النعاس في القتال امنة من الله وهو في الصلوة من الشيطان وقرأ نافع يغشيكم بالضم
وتخفيف الشين من الاغشاء بهمزة التعدية واسناد الفعل الى ضمير الباري تعالى والمعنى ايضا
يغشيكم الله النعاس امنة منه وقرأ ابن كثير يغشاكم النعاس بفتح الياء وتخفيف الشين ورفع
النعاس على الفاعلية اي اخذكم النعاس **قوله** باعتبار المعنى جواب عما يقال كيف جاز نصب
امنة على انه مفعول له للفعل التغشية او الاغشاء مع فوات شرط نصب المفعول له وهو اتحاد الفاعلين

حاصله ولا تأسوا امنة اه
من النصر وفي الكشاف وجه
آخر ذكره بقوله او وما النصر
بالملائكة وغيرهم من الاسباب
الا من عند الله والمقصود
نصره الله والفرق بين الوجهين
ان الاول وهو ما اختاره المص
نفى التأثير عن الملائكة دفعا
لهذا التوهم حتى لا يتوهم انه
لولاهم لما غلبوا والثاني على
تسليم ان التأثير لهم وان
الملائكة وغيرها اسباب ووسائط
ومع ذلك فان التأثير هذه الكثرة
له وانه مسبب الاسباب و
ليس للوسائط دخل الا بارادة
الله سبحانه وترك المص لقلة
مناسبة هذا المقام
ستالكي
احمدي

لأن كل واحد من التغشية والإغشاء فعل الله تعالى والأمنة فعل المخاطبين وتقرير الجواب أن الفاعل
متحد في المعنى لأن المعنى إذ تنعسون أمنة والأمن فعل الناعسين **قوله** ويجوز أن يراد بها الإيمان بأن يكون
أمنة مصدر آمنه بمعنى أزال خوفه فهو جواب ثان باتحاد الفاعلين لأن فاعل التغشية والإغشاء
والإيمان كلاهما هو الله تعالى إلا أن كونها مصدر آمنه لا يساعده الوضع اللغوي **قوله** فتكون فعل المغشي
أيضا والسؤال وارد على قراءة ابن كثير كما يرد على القراءتين الأوليين لأن فاعل التغشي هو
النعاس وفاعل الأمنة هو المخاطبون والوجه الأول يدفعه عن جميع القراءات الثلاث بخلاف
الوجه الثاني فإنه لا يدفعه إلا عن القراءتين الأوليين ولا يدفعه عن القراءة الأخيرة لأن فعل التغشي
والإيمان متغايران فأراد أن يدفعه عنها أيضا فقال ويجوز أن يجعل الأمنة فعل النعاس كما أن
التغشي فعله فيتحد الفاعلان والأمنة مع كونها فعل المخاطبين الناعسين جعلها فعلا للنعاس
وأسندت إليه مجازا لكونها فعل أصحابه فأسندت إليه على طريق إسناد الفعل إلى الوصف القائم بفاعله
فأسند أمن الناعسين إلى نعاسهم **قوله** أو لأنه كان من حقه عطف على قوله لأنها لأصحابه وهو وجه
ثان لجعل الأمنة فعل النعاس مجازا أي ويحتمل أن يكون إسناد الأمنة إلى النعاس تخييلا للاستعارة
بالكناية بأن يشبه النعاس بشخص من شأنه أن يغشى القوم حال أمنه ولا يغشاهم حال خوفه
ولما كان الغشيان حال الأمن من توابع المشبه به ولوازمه كان إثباته للنعاس تخييلا للاستعارة
المكنية التي هي التشبيه المضمر فجعل للنعاس إذ غشي القوم حال الأمن من الكفار تشبيها له بالشخص وتخييلا
لذلك التشبيه للسامعين إبرازا للمعقول في صورة المحسوس ونظير هذا التمثيل والتخييل قول من قال
يهاب النوم أن يغشى عيونا • تهابك فهو نفار شرود يعني النوم يهاب أن يغشى عيونا أعدائك وتخافك
وإنهم لا ينامون من هول تهابك صفة عيونا ونفار مبالغة نافر وشرود فعول بمعنى فاعل من شرد
البعير إذا نفر وفي البيت مبالغة حسنة شبه النوم بشخص من شأنه أن يهاب وأثبت الهيبة للنوم
تخييلا التشبيه بالشخص الذي يهاب العدو **قوله** وقرئ أمنة بسكون الميم كرحمة كما قرئ أمنة بفتح
الميم مثل حيي حيوة أصلها حيية قلبت الياء الثانية واوا والحيوة مصدر ومعناها ضد الموت فإن
قيل كيف وصفت الأمنة بأنها منه تعالى مع أن كل نوم ونعاس وسائر الحوادث إنما يحصل من قبل الله
فلا بد لتخصيص هذا النعاس بأنه من الله تعالى من فائدة فما هي أجيب بأن الفائدة فيه الإشارة إلى
تفخيم هذا النعاس وانطوائه على ما لا يوجد في سائر آحاد جنسه وذلك من وجوه أحدها أن الخائف
إذا خاف العدو خوفا شديدا على نفسه وأهله وماله لا يأخذه النوم فكان حصول النوم لهم وقت
الخوف الشديد دليلا على أنه حالة غريبة خارقة للعادة ثانيها أن الأمن يكون دليلا لهم على أنه تعالى
أزال عنهم الخوف وأنعم عليهم الأمن وطمأنينة القلب كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه

أمنة قال النعاس في الحرب أمنة من الله تعالى وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وثانيها
أنه لو لم يحدث لهم هذا النعاس وما تبعه من الاستراحة في تلك الليلة لما تمكنوا في اليوم الثاني من
القتال والظفر على الأعداء فكان عروضه لهم في تلك الليلة نوعا عظيما من الإنعام عليهم وثالثها
أنهم ما ناموا نوما غرقا بحيث يتمكن العدو من مفاجأتهم وأخذهم على غرة بل كان ذلك نعاسا
حصل لهم بذلك استراحة وزال عنهم الكلال والإعياء مع أنهم كانوا بحيث لو قصدهم العدو
لعرفوا مجيئهم وقدروا على دفعهم فكان هذا الوجه أيضا نوع عظيمة النعمة ورابعها أن هذا النعاس
غشيهم دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس للجمع العظيم في الخوف الشديد دفعة أمر خارق
للعادة فلذلك قيل إن ذلك النعاس في حكم المعجز **قوله** نزلوا في كثيب أعفر الكثيب تل من الرمل
والأعفر بالعين المهملة الرمل الأحمر ويطلق على الأبيض الذي ليس بالشديد البياض
روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل مع المسلمين على غير ماء بالجانب الأقرب من المدينة
من الوادي ونزل المشركون بجانبه الأبعد من المدينة الأقرب إلى مكة والوادي بينهما ذو رمل
يغيب فيه الأقدام ثم باتوا ليلتهم تلك وناموا ثم استيقظوا وقد أجنب أكثرهم وغلب المشركون
على الماء وليس معهم ماء فوسوس إليهم الشيطان وخوفهم بما ذكره المص فأنزل الله تعالى مطرا عليهم
ليلا من الهم والحزن بأن أمطر عليهم ليلا حتى سال الوادي وامتلأ من الماء واشتد الرمل
فاغتسل المسلمون وتوضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وبنوا على عدوته حياضا فنزل قوله
تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أي من الحدث والجنابة
وأصل الرجز الأذى والتعذيب أطلق على الجنابة أو على وسوسة الشيطان وتخويفه لأن كلا ذلك
عذاب وصل إليهم من قبل الشيطان والربط الشد والتقوية وعلى صلة والمعنى وليربط
قلوبكم ويشددها ويقويها بجعلها واثقة بلطف الله وكرمه وجيء بكلمة على للإيذان بأن قلوبهم
امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها **قوله** بالمطر فإن نزول المطر على الوادي
سبب لتلبد ما فيه من الرمل الذي تغوص فيه الأقدام فيكون سببا لثبات الأقدام وعدم
غوصها فيه وكذا الربط على القلوب بجعلها واثقة على لطف الله سبب لثبات الأقدام في المعا
رك ومواضع القتال **قوله** وهو مفعول يوحي أي يوحي ربكم إليهم معنى هذا الكلام إني معكم
في تثبيت المؤمنين فثبتوهم فلذلك فتحت همزة أني وفسر معية الله تعالى مع الملائكة بمشاركته
معهم في تثبيت المؤمنين وكونه معينا لهم في ذلك إذ لا وجه لحمله على ما يفهم من قوله لا تحزن إن
الله معنا وذلك لأن الملائكة ما كانوا خائفين من الكفار حتى يقال لهم إني معكم فلا تخافوهم فينبغي
أن يكون إني معكم في تثبيت المؤمنين وذكر المص في كيفية هذا التثبيت ثلاثة أوجه الأول أن

نبال الكلابي صبر على الحرب ربطه قلبه أي قواه وشدده وأزال اضطرابه وارتيابه [illegible]

[illegible] كأنها علت عليها وارتفعت فوقها [illegible]

قوله لقوله اني معكم بمعنى الخبرية للخبرية والانشائية للمناسبة الخ اعني قوله اني معكم بتغير قوله سالقي اذ لا اعانة اعظم من القاء الرعب في قلوب الاعداء وقوله فاضربوا الخ تغير لقوله فثبتوا اذ لا تثبيت اقوى من ضرب الاعناق فاذا اجتمعا كان هو النصر ليس الا روحي
و القطع في قوله سالقي على تقدير كونه تلقينا يحتمل ان يكون بيانا لثبتوا باضمار القول وان يكون استينافا في جواب كيف نثبتهم
فقيل قولوا لهم قال الله سالقي
الخ روحي

الملائكة تثبيتهم بالبشارة اما بان عرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله ناصر المؤمنين و
هو عليه الصلوة والسلام عرف المؤمنين تلك البشارة واما بان يلهموا قلوب المؤمنين بنصرة الله
اياهم فكما ان الشيطان يمكن ان يوسوس الى الانسان فكذا يمكن للملائكة ان يلهموا اليهم واما
بان يتمثل الملائكة بصور الرجال فيثبتوا قلوبهم بان يذكروا لهم امارات النصر وعلاماته كان يكثروا
السواد انما يكون بذلك والوجه الثاني والثالث ظاهران **قوله** فيكون قوله سالقي الخ كالتفسير
لقوله اني معكم بالمعية في الاعانة والتثبيت ولا اعانة للمؤمنين اعظم من القاء الرعب
في قلوب اعدائهم فظهر ان قوله سالقي كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا فلذلك لم يعطف على ما قبله
وقوله فاضربوا فوق الاعناق كالتفسير لقوله فثبتوا اذ لا تثبيت للمؤمنين اقوى من ضرب اعناق
اعدائهم فسر الجملة الخبرية بالخبرية والانشائية بالانشائية **قوله** وفيه دليل على انهم قاتلوا الا انه
لما خاطب الملائكة بان قال لهم اني معكم في اعانة المؤمنين ولا شك ان شان المؤمنين
انما هو قتال المشركين فمن اعانتهم في ذلك لا بد ان يشاركهم في القتال **قوله** ومن منع ذلك
اي منع قتال الملائكة يوم بدر جعل الخطاب في قوله اني معكم للمؤمنين والمعنى اوحى ربك الى
الملائكة اني مع المؤمنين فانصروهم وثبتوهم الا انه عبر عن المؤمنين بضمير المخاطبين
اذ لا غائب بالنسبة اليه تعالى فيخاطب من شاء من خلقه فخاطب المؤمنين بقوله معكم ثم
غير الخطاب فخاطب الملائكة فثبتوا الذين آمنوا ثم فسر قوله للمؤمنين اني معكم احفظكم و
انصركم فلا تخافوا بقوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب يتبين به طريق نصرتهم
اياهم ثم غير خطاب الملائكة بقوله فثبتوا الى خطاب المؤمنين بقوله سالقي لانه كلام ملقى الى
المؤمنين ثم ذكر احتمالا انه لا يغير خطاب الملائكة الى خطاب المؤمنين بان يكون قوله سالقي
الى قوله كل بنان كلاما مع الملائكة وتلقينا لهم ما يثبتون به المؤمنين فعلى هذا لا دلالة في
الاية على قتال الملائكة والعُدوة والعِدوة جانب الوادي وناحيته وخصم كل شيء جانبه
وناحيته كذا في الصحاح واتفق القراء على فك الادغام في قوله ومن يشاقق الله لانه
كتب في المصاحف بقافين مكشوفين والادغام في مثله لغة تميم والفك لغة الحجاز ومعنى شاقوا
الله شاقوا اولياء الله قال صاحب الكشاف وسكت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت
لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كالمخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب
وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق **قوله** تقرير للتعليل يعني انه تقرير لكون المشاقة
سببا للعقوبة المذكورة العاجلة حيث جعل المشاقة شرطا للعقوبة الشديدة الصادرة
من الله قصد بذلك التعليل العقاب بالمشاقة **قوله** او وعيد فان قوله شديد العقاب
بدل

قوله اما على تغيير الخطاب فيكون التثبيت على هذا بالبشارة ووعد النصرة وتكثير السواد لا بالقتال و يكون قطع قوله سالقي على الاستيناف كانهم قالوا فما يكون بعد التثبيت فاجيبوا بقوله سالقي يعني عزمهم وانا انجز وعدكم بالقاء الرعب في قلوب اعدائهم فيكون الخطاب في قوله فاضربوا للمؤمنين متفرعا على القاء الرعب اي فاذا كان الامر كذا فاضربوا ايها المؤمنون
روحي

واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين و قيل هي الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابن الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاداني وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده
ابو

يدل على ان ما اصابهم في ذلك اليوم من القتل والاسر وغيرهما شيء قليل بالنسبة الى ما
اعد لهم من عقاب يوم القيمة **قوله** ومحله الرفع اما على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك العقاب
المذكور او على انه مبتدا حذف خبره اي ذلك العذاب واقع بكم ويجوز على راي الاخفش ان يكون
الخبر فذوقوه فانه يجوز زيادة الفاء في خبر المبتدا سواء تضمن المبتدا معنى الشرط او لم يتضمن كما
في قول الشاعر * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * واكرومة الحيين خلو كما هيا * وغير الاخفش
لا يجوزون زيادة الفاء في الخبر الا اذا تضمن المبتدا معنى الشرط ويحملون البيت على اضمار المبتدا
تقديره هذه خولان ويجوز ان يكون ذلكم منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله فذوقوه ويكون من باب
الاشتغال اي ذوقوا ذلكم فذوقوه حذف عامل المفعول به حذرا عن اجتماع المفسر والمفسر
والاحسن ان يكون منصوبا بفعل مضمر لا يفسره قوله فذوقوه مثل باشروا ذلك العذاب او عليكم
ذلك العذاب فذوقوه لتكون الفاء عاطفة لا زائدة الا ان عليكم من اسماء الافعال واضمارها
غير مشهور **قوله** عطف على ذلكم فان كان ذلكم خبر مبتدا محذوف يكون ما عطف عليه خبر الذلك
المحذوف ايضا ويكون التقدير الامر ذلكم وان للكافرين عذاب النار وان كان ذلكم مبتدا
حذف خبره وكان ما بعده معطوفا على ذلك المبتدا وكان التقدير ذلكم العذاب واقع بهم وان
عذاب النار معد للكافرين **قوله** ووضع الظاهر موضع المضمر فان اصل الكلام فذوقوه مع
ان لكم في الاخرة فوضع الكافرون موضع لكم شهادة عليهم بالكفر الذي هو علة الحكم ولفظ
الذوق اشارة الى ما يجل لهم في الدنيا من القتل والاسر وغيرهما بالنسبة الى ما اعد لهم
في الاخرة بمنزلة ذوق المطعوم بالنسبة الى الاكل **قوله** كثيرا يعني ان الزحف في الاصل مصدر بمعنى
الدبيب الا انه اطلق في الآية على الجيش الكثير الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب من قولهم
زحف الصبي يزحف من باب فتح يفتح اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجم الغفير على
طريق تسمية العين بالمصدر وهو منصوب على انه حال من مفعول لقيتم اي اذا لقيتموهم وهم
جم غفير اشار بقوله كثيرا الى انه حال من المفعول وحده ثم عطف عليه قوله ويكون يجوز كونه حالا من
الفاعل والمفعول معا اي لقيتموهم متزاحفين بعضكم الى بعض ومن الفاعل فقط
اي اذا لقيتموهم وانتم زحف اي جماعة كثيرة والزحف وان كان مصدرا في الاصل الا انه لما
جعل حالا من الاعيان والحال في المعنى خبر عن ذي الحال فيجب ان يصح حمله عليه واسم المعنى لا يصح
حمله على اسم الذات وجب ان يجعل زحفا اسما بمعنى الجماعة الذين يزحفون الى عدوهم قليلا
قليلا وان يجمع على زحوف نحو قلب وقلوب وبحر وبحور **قوله** والاظهر انها محكمة لما اوعد الله
في هؤلاء الايتين وقد ظهر نحو العدو في المحاربة مع الكثرة بانه قد باء بغضب من الله

قوله فذوقوه فيه تهكم بهم لان العذاب ليس من جنس المطعوم حتى يذاق وهو تعبير عن شدة الاصابة روحي

قوله او عليكم اي الزموا ذلكم العذاب فذوقوه وفيه اشارة الى ان الفاء على الاول شرطية تقديره ذلكم العذاب الذي تحقق فاذا كان كذا فذوقوه عاجلا ذلكم عذاب النار موجلا فستذوقونه في الاخرة
روحي

اي احتيج كذلكم ابو

وذلك لان الكلام سبب تكم واحد نص لتحقق حركته بالنسبة الى عاقبته النطفة وانا كانت في رزق نفس الامر على غاية الرعونة
ابو

وماويهم جهنم مطلقا ان سواء كانت الكفرة اكثر من المؤمنين او اقل او ساواهم اختلف
المفسرون في انها منسوخة او محكمة فقال بعضهم انها منسوخة بقوله تعالى في آخر هذه السورة
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الى قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
بعد قوله يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا اوجب الله تعالى على الواحد ان يقاوم العشرة
ولا يفر منهم ثم خفف واوجب على الواحد ان يقاوم الاثنين فليس لعسكر المسلمين ان يفروا من
مثليهم من الكفار ولهم ان يفروا اذا كان عسكر الكفار اكثر من مثلي عسكر المسلمين فلا يلحقهم الوعيد
المذكور في هذه الاية وهو ان يتعلق بهم غضب الله ويكون ماويهم جهنم فتكون هذه الآية منسوخة
بما نزل في اخر السورة لان هذه الآية اوعد على من فر عن قتال الكفرة مطلقا وما في اخر السورة
اوجب عليهم ان يقاوموا الكفرة اذا كانوا مثلي المؤمنين او اقل وجوز ان ينهزموا اذا كانت الكفرة
اكثر من مثليهم واختار المص كونها محكمة غير منسوخة لعدم التنافي بين حكميهما بناء على ان
الاية الواردة في اخر السورة خص الوعيد المذكور في هذه الاية بما اذا كان عدد الكفار اكثر
من عشرة امثال المؤمنين اولا ثم بما اذا كان عددهم اكثر من مثلي المؤمنين ثانيا فالوعيد المذكور
في هذه الاية عام خص منه البعض وطريان التخصيص على العام لا ينافي كونها محكمة فيما عدا مادة
التخصيص بين الله تعالى في هذه الآية ان الانهزام من العدو حرام الا في حالين احدهما ان
يكون متحرفا للقتال اي مائلا ومنتقلا من مكان الى مكان اخر للقتال يقال انحرف وتحرف اذا مال
من جانب الى جانب اخر والحرف الطرف والجانب فان من خدع الحرب ومكايدها ان يخيل
العدو انه منهزم ثم يعطف عليه من جانب آخر وثانيهما ان يكون متحيزا الى فئة اي منضما الى
جماعة ليستعين بهم ويعود الى القتال والتحيز والانحياز عبارتان عن الانضمام يقال حاز
الشيء اذا ضمه الى نفسه ولكل واحدة من هاتين الحالتين ليست انهزاما في الحقيقة بل هو من
قبيل التهيؤ والتعوّل للحرب فمن ولى ظهره لا لاحد هذين الغرضين فقد لحقه الوعيد المذكور بقوله
تعالى فقد باء بغضب من الله وماويهم جهنم وبئس المصير ثم ان الفئة التي ينحاز اليها المولي المنهزم
هل يعتبر كونها قريبة من الفئة التي هو فيها لينضم اليهم ليستعين بهم على الكفار في تلك المعركة اولا
يعتبر اختلف فيه فقال بعضهم لا يعتبر كونها قريبة من الفئة التي هو فيها لان المؤمنين كنفس
واحدة فمن لم يتوقع الظفر على العدو وبالغ في الفئة التي هو فيها تولى عنهم وينضم الى فئة
من المسلمين ليتقوى بهم على الكر بعد الفر واستدل عليه بما روي ابن عمر ان رسول الله صلى الله

وما كان الكفار مكرين للحنث والجزار ويظنون انه لا شهادة الا في هذه الحروب الذين يحرمون قتال الاعداء حذرا عن زوال الاخلاص المؤمنين فانهم يعتقدون ان لا عيش الا عيش الاخرة فيرغبون في الشهادة ويكثرون ثواب الاخرة فاوجب الله عليهم اولا ان يقاوموا عشرة امثالهم ثم لما علم منهم شيئا من الضعف بما حدث لهم شيء من الاطمئنان الى الدنيا اوجب عليهم ان يقاوموا مثليهم من الكفار

وقال محمد بن الحسن اذا بلغ الجيش اثني عشر الفا فليس لهم ان يفروا من عدد هم وان كثر عددهم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هزم قوم اذا بلغوا اثني عشر الفا من قلة اذا صبروا وصدقوا

الله عليه وسلم قال لمن انهزم وفر الى المدينة وقالوا يا رسول الله نحن الفرارون فقال عليه الصلوة و
السلام بل انتم العكارون وانا فئتكم العكار الرجاع الكرار ومنه العكرة وهي الكرة فقال اعكر بكر عكرا
وروي انه لما قتل ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر رضي الله عنهما فقال لو انحاز الي لكنت له فئة فانا فئة
كل مسلم **قوله** والا فلو معنى على تقدير ان يكون متحرفا ومتحيزا حالين من فاعل يولهم يكون الا لغوا
بمعنى انه لا مدخل له في انتصاب ما بعده لان الحال تنتصب بعامل ذي الحال بخلاف ما اذا كانا منصوبين
على الاستثناء من المولين فان الا ح لا يكون لغوا بل عاملا ناصبا للمستثنى ويكون المعنى ومن يولهم
فقد باء بغضب الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وعلى تقدير كونهما حالين يكونان في الحقيقة استثناء
مفرغا من اعم الاحوال والتقدير ومن يولهم متلبسا بحال من الاحوال الا بحال كانت الا في حال كذا
فقد باء بغضب **قوله** ووزن متحيز متفيعل على انه اسم فاعل تحيز يتحيز تحيزا اصله متحيوز
اجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء
ولو كان وزنه متفعلا لكان اسم فاعل من تحوز يتحوز تحوزا ولوجب ان يقال الا متحوزا بالواو
ولانه منقول من حاز يحوز حوزا وهو واوي فلما قيل متحيزا بالياء علم انه من تفيعل لا من تفعل
قوله يومئذ يوم وقت اذ لقيتم الكفار لان اليوم اسم لبياض النهار اذا اطلق واذا قرن
به فعل يمتد يراد به مطلق الوقت فيصير يومئذ بمعنى حينئذ **قوله** هذا اذا لم يزد يعني ان هذا الوعيد
المذكور بقوله تعالى فقد باء بغضب من الله الآية وان كان بحسب اللفظ متناولا لكل من تولى دبره وقت
ملاقاة الكفار الا انه مخصوص بما اذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين وقال الامام محيي السنة
اكثر اهل العلم على المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا ويولوا ظهورهم
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وان كانوا اقل من ذلك جاز لهم ان يولوا ظهورهم وينحازوا
عنهم قال ابن عباس من فر من ثلثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر اي ارتكب الحرام وهو كبيرة الفرار
من الزحف وقيل هذه الاية مخصوصة باهل بيته عليه الصلوة والسلام والحاضرين معه في
الحرب اذ ليس لهم فئة ينحازون اليها دون النبي عليه الصلوة والسلام فليس لاحد منهم ان ينحاز
الى من يتقوى به فيكون انصرافه عنهم فرارا عن الزحف وكبيرة بخلاف من عداهم من المسلمين فان
من عجز عن مقاومة الكفار بسبب قلتهم وكثرة الكفرة وغلب على ظنه انه ان ثبت قتل من غير
فائدة وان تحيز الى جمع كان راجيا للخلاص وطامعا في مقاومة العدو بسبب كثرة الفئة
وتقويهم لا يكون انصرافه عن قتال الكفار كبيرة مستوجبة للوعيد المذكور **قوله** لما طلعت قريش
من العقنقل وهو الكثيب الذي جاؤا منه الى الوادي العقنقل الكثيب العظيم المتداخل الرمل يجمع
على عقاقل والعوكل الكثيب العظيم الا انه دون العقنقل والخيلاء الكبر **قوله** ما رحبت رحبا وقد جاء

عـ
وان كان في كلام صحب لصحة المعنى لان الغفار منتهى في جميع الاحوال الا في هاتين الحالتين بخلافهما اذا كان ما بعدها منصوبا على الاستثناء فان الا عاملة فيه فاشار الى ان واسطة فيه
سنان

[illegible]

الى اعينهم لما كان اثبات الرمي لاحد ونفيه عنه متنافيان لا يجتمعان حمل الرمي المثبت على ما
هو المقصود من الرمي وغايته وحمل المنفي على صورته الصادرة منه وقيل المثبت غير المنفي باعتبار
متعلقيهما ولم يرض به لانه لا يلائم سبب النزول ولانه لا فائدة في الحكم بهذا المعنى لانه يعلم كل احد ان
من رمى احد الشيئين لا يكون راميا للآخر وقيل انه نزل في يوم احد في قتل ابي بن خلف وذلك انه
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وفتته وقال يا محمد من يحيي هذا وهو رميم فقال عليه الصلوة و
السلام يحييه الله ثم يميتك ثم يبعثك ثم يدخلك النار فاسر يوم بدر فلما افتدى قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عندي فرسا اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليه فقال عليه الصلوة والسلام
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل ابي يركض ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال عليه الصلوة والسلام استأخروا ورماه
بحربة فكسر ضلعا من اضلاعه فحمل فمات ببعض الطريق ففي ذلك نزلت الاية وقيل انها نزلت
يوم خيبر وذلك انه عليه الصلوة والسلام اخذ قوسا وهو على باب خيبر فرمى سهما نحو
الحصن فاصاب لبابة بن ابي الحقيق فقتله وهو على فراشه فانزل الله تعالى وما رميت اذ رميت
والاصح الذي عليه الجمهور انها نزلت في يوم بدر والآية في اثناء القصة كلام اجنبي
عنها والمعنى ان القبضة التي رميتها صورة فانت ما رميتها حقيقة لان رميك لا يبلغ
اثره الا ما يبلغ رمي سائر البشر ولكن الله رمى واوصل اجزاء تلك القبضة الى عيون
جميع المشركين ولم يبق مشرك الا دخل في عينه منها شيء فانهزموا فصورة الرمي
صدرت منه عليه الصلوة والسلام الا ان اثرها انما صدر من الله تعالى اذ ليس في وسع البشر
ان يرمي كفا من الحصا في وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين الا ويصيبها منه شيء قوله
وليبلي المؤمنين متعلق بمحذوف اي وليبليهم وينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصرة والغنيمة
والاجر العظيم فعل ذلك او هو معطوف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين
وليبلي المؤمنين والبلاء يطلق على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وذلك كما يكون
بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله اظهار ما علم كما علم لا
تحصيل علم ما لم يعلم لانه تعالى منزه عنه قيل ضمير منه يعود الى الظفر بالمشركين وقيل الى الرمي
والظاهر انه يعود الى الله وكان في الاصل صفة لبلاء فلما قدم عليه انتصب حالا والمقصود
تعظيم البلاء وتفخيمه والظاهر ان بلاء اسم مصدر يبلي اي ليبليهم ابلاء حسنا والمتبادر من
عبارة المص انه حمله على نفس الشيء المبتلى به على طريق اطلاق المصدر على المفعول حيث
قال ولينعم عليه نعمة عظيمة قوله ومحله الرفع اي على انه خبر مبتدأ محذوف اي المقصود او الامر ذلكم

وهو

فان قيل نفى القتل عنهم في قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم واثبت للنبي صلى الله عليه وسلم الرمي بقوله وما رميت اذ رميت ولكن رمى فما الفرق قلنا الفرق ان الذي وجد منهم الجرح والزهوق الى الله تعالى واما في الرمي فانه وجد من النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا نفى القتل عنهم واثبت الرمي للنبي صلى الله عليه وسلم حاشية

قيل معناه وما رميت خلقا اذ رميت مباشرة وكسبا بتحريك الآلات والاسباب فيه دليل على ان فعل العبد مخلوق الله تعالى على ما هو مذهب اهل السنة

وهو القتل او الرمي او الابلاء وتوهين كيد الكافرين وحملهم على ان يكون قوله وان الله
موهن كيد الكافرين معطوفا على ذلكم اي المقصود مما ذكر من القتل او الابلاء وتوهين كيد الكافرين
بقتل خيارهم واسر اشرافهم والقاء الرعب في قلوبهم قوله وحفص موهن كيد بالاضافة
والتخفيف وغير حفص ينونون لفظ موهن وينصبون كيد الا ان الحرميين وابا عمرو من
قراء موهن بالتنوين يقرؤون موهن بفتح الواو وتشديد الهاء والباقون من اصحاب التنوين
يقرؤون موهن باسكان الواو وتخفيف الهاء قوله خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم حيث عبر
عما جاءهم من الخزي والخذلان بالفتح على سبيل الاستعارة التهكمية اي ان تستنصروا يا اهل مكة
لاهدى الفئتين واكرم الجندين فقد جاءكم النصر ولا شك انه تهكم واستهزاء وروي ان ابا جهل
قال يوم بدر اللهم انصر افضل الفريقين واحقهما بالنصر وروي انه قال اللهم اينا كان اقطع
للرحم وافجر فاهلكه غدا دعا على نفسه لغاية جهله وروي عن ابي بن كعب انه قال هذا خطاب
للمؤمنين قال الله تعالى ان تستفتحوا اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وذلك ان المسلمين شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اصابهم من المشركين وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة و
قالوا له الا تدعو الله لنا الا تستنصر الله لنا فجلس محمارا لونه او وجهه فقال انه لقد كان
من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه ذلك
عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله
ولكنكم تعجلون الا ان اكثر المفسرين على انه خطاب للكفار قوله ويؤيد ذلك اي يؤيد كون الخطاب
السابق للمؤمنين خطابهم بالامر بطاعة الله وطاعة رسوله فان هذا الخطاب يشعر بكون
السابق لهم لكونه بمنزلة بيان الحكمة في مجيء الفتح والنصر لهم كانه قيل انما نصرتم على اعدائكم
لتتمكنوا من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ويكون الدين كله لله فعليكم طاعة الله فيما كلفكم به
قوله ولا تولوا عنه اصله لا تتولوا حذفت احدى التائين للتخفيف افرد ضمير عنه مع ان
المذكور قبله اثنان وان المأمور به طاعتهما لا طاعة احدهما فقط تنبيها على ان طاعة الله انما تكون
بطاعة رسوله وقيل افراد الضمير لكونه راجعا الى الجهاد المدلول عليه بسوق الكلام لان الكلام
من اول السورة الى هنا مسوق لما يتعلق بالجهاد او الى الامر المدلول عليه بطاعة الله اي لا
تتولوا عن هذا الامر الذي هو طاعة الله تعالى ورسوله وانتم تسمعون وجوبا سماع فهم وتصديق
قوله كالكفرة والمنافقين فان الكفار المجاهرين بالكفر والتكذيب يقولون سمعنا وعصينا والمنافقون
يدعون السماع والقبول بالسنتهم ويضمرون الكفر والتكذيب فلا ينتفعون بقولهم بالسنتهم

سمعا لا انهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين اصلا ورأسا فلذا اكدوا لعدم حجتهم وبهم لا يعقلون
قوله شر ما يدب على الارض عبارة عن ان يحمل لفظ الدابة على معناه اللغوي قوله او شر البهائم على ان
يحمل على معناه العرفي فان اهل العرف العام نقلوه من الوصفية وجعلوه اسما للبهائم وجمع الصم
مع انه خبر شر حملا على المعنى لانه يراد به الجنس وهو الكثرة قوله ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم
البكم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات الاول عبارة عن السعادة الاخروية من النجاة
عن دركات النيران والفوز بدرجات الجنات والثاني عبارة عن التنبه بالحجج والمواعظ والتوسل
بها الى الايمان والتيقن والمعنى لو استقر فيهم خير وهو استعداد قبول الحق والانتفاع بثمراته
لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع فهم وقبول ولو اسمعهم مع عدم استقرار الخير فيهم حتى فهموا و
قبلوا وباشروا العمل بمقتضى ما فهموه لما استمروا عليه بل تولوا عنه سريعا باتباع الشهوات
النفسانية والحظوظ العاجلة او بالارتداد عن الحق بعد قبوله والتصديق به لكونهم مجبولين
على ايثار العاجل على الآجل عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله تعالى بوجوده فيهم لان
كل ما وقع واستقر يجب ان يعلم الله تعالى بحصوله ووجوده فعدم علم الله تعالى بوجود الشيء من لوازم
عدمه في نفسه فعبر باللازم عن الملزوم فقيل لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم مقام ان يقال لو كان
فيهم خير لاسمعهم لكونه ابلغ في الدلالة على انعدام الخير فيهم لان نفي لازم الشيء نفي لنفس ذلك
الشيء ببينة فيكون ابلغ من نفي نفس ذلك الشيء وفي الآية اشكال من حيث ان النحويين يقولون
كلمة لو موضوعة للدلالة على انتفاء الشيء لاجل انتفاء غيره فاذا قلت لو جئتني لاكرمتك افاد انه
ما حصل الاكرام لعدم حصول المجيء فقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يدل على انه ما حصل
ذلك الاسماع لعدم حصول الخير فيهم وقوله ولو اسمعهم لتولوا يدل على انهم ما تولوا عن الحق لعدم اسماع الله
اياهم ذلك ومن المعلوم ان عدم التولي عن الحق خير فيكون اخر الكلام مناقضا لاوله لان اوله
يدل على عدم حصول الخير فيهم واخره يقتضي حصوله فيهم واجيب بان كلمة لو في الآية لمجرد الشرط
وبيان اللزوم مع قطع النظر عن انتفاء اللازم لاجل انتفاء الملزوم كما في قوله عليه الصلوة والسلام
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان لفظة لو فيه لو افادت ما ذكره النحاة لصار المعنى
انه خاف الله وعصاه وذلك مناقض فثبت انها لا تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره وانما تفيد مجرد
استلزام الاول للثاني ثم عدم الخوف اذا كان مستلزما لعدم العصيان فكون الخوف مستلزما
لعدمه يكون اولى وكذا لو الثانية في الآية لانه اذا تولوا عند الاسماع والتفهيم فتوليهم عند عدمهما
يكون اولى وهذا جواب الا انه مخالف لقول جمهور النحاة واجيب ايضا بانا لا نسلم ان عدم التولي لعدم
الاسماع خير وانما الخير ان يسمعوا ويفهموا ويحصل لهم التصديق بما سمعوه ويقبلوه ويعملوا بمقتضاه

من

من غير اعتراض وتردد لان الخير انما هو التعبد والامتثال لما كلف به المولى واستمعه ومجرد التعلق
بالحق مع عدم العلم بكونه حقا مأمورا به لا يكون خيرا لعدم وقوعه بطريق الطاعة للمولى وامتثال
امره قوله وقيل معنى قيل ليس معنى الآية انه تعالى لو علم فيهم خيرا لاسمعهم الدلائل والمواعظ سماع
تفهم وقبول بل المعنى لاسمعهم كلام قصي بن كلاب بان يحييه ويمكنه من ان يخبرهم بصحة نبوته
عليه الصلوة والسلام وانه تعالى لو اسمعهم كلامه لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه وكان لقصي
اربعة بنين عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار فالمراد بها دار الندوة وهي دار
بناها قصي ليجتمع قريش فيها للمشاورة اضاف ابنيه الى صنميه مناف وشمس واضاف الثالث
الى نفسه والرابع الى ما بناه من الدار والمراد بالذين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخي
لنا قصيا بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة وكانوا
يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد و
كانوا اصحاب اللواء فالمراد بقوله تعالى ان شر الدواب الصم البكم هؤلاء الابناء قوله تعالى استجيبوا
لله اي اجيبوا الله وللرسول بان تطيعوهما فيما دعاكم اليه كما في قوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب قوله واختلف فيه انه في جواز قطع الصلوة لاجابة الداعي فقيل انه مختص
باستجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز قطع الصلوة لاجابة غيره وقيل انه لا يختص به عليه الصلوة والسلام
بل يجوز لكل مصل ان يقطع صلوته لامر لا يحتمل التاخير كانجاء الغريق مثلا قوله فقيل هذا انه يجب
على المدعو اجابة الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دعاه سواء كان المدعو في الصلوة ام لا فلا يجب عليه
اجابة دعاء غيره عليه الصلوة والسلام وهو في الصلوة والفرق بين دعاء الرسول وبين دعاء غيره
حتى يجب على المصلي اجابة دعائه عم دون اجابة غيره ان الصلوة اجابة له عليه الصلوة والسلام
فلا تنقطع اجابته عليه الصلوة والسلام بل يكون استمرارا على الاجابة بخلاف دعاء غيره فانه يقطع
الصلوة ويبطلها وابطال العمل الذي شرع فيه للتحريم حرام لقوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم فظهر انه يجب على
المكلف اجابة دعاء الرسول مطلقا اي سواء كان المكلف في الصلوة ام لا ولا يجب عليه اجابة غيره و
هو في الصلوة بل هي حرام عليه واطلاق الآية يؤيد هذا القول كذا ظاهر الحديث ووجه القول الثاني
ان حكم الآية مختص بما اذا لم يكن اجابة الرسول مستلزمة لابطال العمل فلا تجب على المصلي اجابته
عليه الصلوة والسلام مطلقا وانما لام ابي بن كعب على ترك الاجابة بناء على انه عليه الصلوة
والسلام دعاه لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله لان الصلوة تعاد الى بدل
وهو القضاء وما لا يحتمل التاخير يفوت لا الى بدل فلذلك لامه على ترك الاجابة قوله او الشهادة
عطف على الجهاد اي ويحتمل ان يكون المراد بقوله ما يحييكم الشهادة قوله ما هي بداية مكنونات

قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال صاحب الكشاف في تفسيره يعني انه اي بعث فتنوية الفرصة التي هو واحدها وهي فرصة
التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله
ورسوله ثم قال والمجبرة على انه تعالى يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون قال المحقق التفتازاني
ما ذكره من قول يعني انه بحث هو تاويل المعتزلة وعند اهل السنة انه يحول بين الكافر وطاعته حتى اذا اراد ان يؤمن والله لا يريد ايمانه
حال بينه وبين قلبه كيف شاء وكذا اذا اراد المؤمن ان يكفر ولم يرد الله كفره يحول

القلوب فاذا غفل المرء عما في قلبه صار كان الله حال بينه وبين قلبه حتى لم يعلم ما في قلبه كما
قال علي رضي الله عنه اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني ويحتمل ان يكون المراد بحيلولته تعالى بين المرء
وقلبه ان يتصرف في قلبه ولا يمكنه من امضاء ما اراده من اخلاص قلبه وتصفيته عما يكدره
ويحجبه عن التحلي بالفضائل العلمية والعملية باجابة الرسول وقبول ما دعا اليه مما يوجب حيوة
قلبه قبل فوات الفرصة كانه قيل بادروا بتكميل نفوسكم وتصفية قلوبكم باجابة الرسول اذا
دعاكم لما يحييكم قبل فوات الفرصة فانها قد تفوت بان يكون الله حائلا بين المرء وقلبه بالموت او غيره
فلا يمكنه ان يوقع ما قصده بقلبه ويحتمل ان يكون المراد بالحيلولة المذكورة تصوير تملكه تعالى على العبد
قلبه وغلبته عليه فيفسخ عزائمه وثباته ولا يمكنه من امضائه على حسب ارادته فيحول بينه وبين
الكفران اراد سعادته ويجمع بينه وبين الايمان ان قضى شقاوته قوله على لغة من يشدد
فيه انه في الوقف فانك اسم كان ما قبل اخره متحركا كعمر وحكم فمنهم من يقف عليه بالتشديد ويقول
مررت بعمر وحكم بتشديد الراء في الاول والميم في الثاني ولما حذفت همزة مرء والقيت حركتها
على الراء صار ما قبل اخر الكلمة متحركا فوقف عليها بالتشديد واجري الوصل مجرى الوقف
فقرئ بين المر بالتشديد وصلا ووقفا والظاهر ان ضمير انه يرجع الى الله تعالى ليوافق ضمير اليه
ويجوز ان يكون ضمير الشان والمعنى انكم لا تتركون سدى بل تحشرون اليه تعالى فيجازيكم على حسب
اعمالكم قوله اتقوا ذنبا يعمكم اثره فسر الفتنة بالذنب لان الفتنة في الاصل بمعنى الاختبار
والامتحان وهو قد يكون بالنقمة والمحنة فحملت في الآية على النقمة المسببة من الذنب فاطلاق
الفتنة على الذنب من قبيل اطلاق اسم المسبب وارادة السبب وفسر اصابة الفتنة باصابة
اثرها ووبالها قوله ذنبا يعمكم اثره يدل على انه اختار ان يكون كلمة لا في قوله تعالى لا تصيبن للنفي و
يكون تصيبن صفة لفتنة بمعنى الذنب وهذا معنى واضح الا انه يرد عليه ان المضارع المنفي
بلا ليس فيه معنى الطلب ونون التاكيد يختص بالطلب من الامر والنهي والاستفهام والتمني و
العرض والقسم وهو قول المص وفيه شذوذ لا يخ وقول صاحب الكافية وقلت في النفي يدل على
ان نون التاكيد تدخل على المنفي في غير القسم على الشذوذ اجراء للنفي مجرى النهي بناء على ان
النفي لا يخلو عن شائبة معنى النهي كما في قوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم سليمان وجنوده فان لا يحطمنكم فعل منفي بلا دخلت عليه نون التاكيد اجراء للنفي مجرى
النهي فان قوله لا يحطمنكم جواب للامر بالدخول وجواب الامر جواب للشرط المقدر والتقدير ان
تدخلوا لا يحطمنكم ذكر المص في قوله لا تصيبن وجوها الاول ان يكون في محل الجزم جوابا للامر فيكون
لا نافية وقال في تصوير المعنى ح على معنى ان اصابتكم لا تصيب الذين ظلموا منكم وفيه بحث لان

قال السعيد من اسعده الله والشقي
من اشقاه الله والقلوب بيد الله
يقلبها كيف يشاء وهذا منقول
عن ابن عباس والضحاك
فلا يكون قول الظالمين بل
رده قول الجاهلين انتهى كلامه

وعن انس بن مالك رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر
ان يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك فقلنا يا
رسول الله آمنا بك فهل تخاف
علينا فقال ان قلب ابن آدم
بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبه كيف يشاء ان
شاء اقامه وان شاء ازاغه
والاصبع في اللغة الاثر الحسن
فمعنى قوله بين اصبعين بين
اثرين من آثار الربوبية و
هي الازاغة والاقامة ذكره
الثعلبي قال ابن عمر من يجعل
الله عليه اصبعا في الخير او في
الشر تلفه معا [illegible] والاصبع
ايضا في اللغة الملك بمعنى الحديث
بين مملكتين من ممالكه وهما
الازاغة والاقامة والتوفيق
والخذلان نهاية ابن الاثير

ويحتمل ان يكون المراد بالفتنة العذاب ويكون
المراد باصابتها اصابة نفسها
لا اثرها ووبالها

لان جواب الامر لابد ان يكون مسببا لازما للفعل المامور فيكون في الحقيقة جوابا للشرط المقدر
هو الفعل المامور فاذا قلت زرني اكرمك يكون الاكرام لازما مسببا عن الزيارة ويكون التقدير
ان تزرني اكرمك والمص جعل لا تصيبن جوابا للامر الذي هو اتقوا ولم يجعل هذا الجواب لازما
لفعل الاتقاء عن الفتنة بل جعله لازما لفعل آخر وهو اصابتها حيث قدر اداة الشرط داخلة
على غير مضارع اتقوا فقال ان اصابتكم الفتنة لا تصب الظالمين منكم ومثله لا يكون جواب
الامر حيث لم يكن من لوازم الفعل المامور به بل هو جواب لشرط مقدر غير الفعل المامور به قدر
بقرينة الجواب ودلالته عليه ولو كان جوابا للامر لكان التقدير ان تتقوا فتنة لا تصب الظالمين
منكم خاصة بل تعمكم وغيركم وهذا معنى فاسد لان من اتقى الفتنة كيف تصيبه الفتنة فضلا
عن ان تعمه وغيره فجعله جواب الامر مشكل لان ما يكون جواب الامر لابد ان يكون ح الفعل المامور به سببا له والاتقاء في الآية
ليس سببا لما جعل جوابا له ثم اورد على احتمال كونه جواب الامر سؤالا يمكن تقريره من وجهين
احدهما ان جواب الامر جواب الشرط متردد فيه فلا يليق به التاكيد وثانيهما
ان جواب الامر ليس فيه طلب ونون التاكيد مخصوصة بالطلب واشار الى الجواب عنهما بقوله لكنه
لما تضمن معنى النهي ساغ فيه ذلك وتقريره ان قوله لا تصيبن وان كان نفيا الا ان فيه معنى النهي
فان النفي اذا كان مطلوبا من المخاطب كان في معنى النهي كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحنك
فان لا تطرحنك نفي في معنى النهي فان المعنى لا تكن بحيث تطرحنك الدابة وكذا لا يحطمنكم في قول
النملة ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده فانه نفي بمعنى النهي اي لا تكونوا ايها النمل بحيث
يحطمنكم سليمان فلذلك دخلت نون التاكيد على جواب الامر فيهما فلذلك ايضا دخلت في قوله لا تصيبن
فانه نفي بمعنى النهي لان كونهم بحيث تصيبهم فتنة مطلوب بينهم فيكون في معنى النهي والوجه الثاني
من الوجوه التي ذكرها المص في قوله تعالى لا تصيبن ان يكون في محل النصب على انه صفة لقوله فتنة
ويكون كلمة لا للنفي ويكون دخول نون التاكيد على الفعل المنفي على طريق الشذوذ اجراء للنفي
مجرى النهي كما ذكرنا او للنهي بتقدير القول لان الجملة الطلبية لا تقع صفة الا بتقدير القول كانه قيل
اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كما وصف المذق بالجملة الاستفهامية في قول الشاعر حتى اذا
جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هل رايت الذئب
المذق اللبن المخلوط بالماء وسماره السمار بفتح السين وفي الصحاح السمار اللبن الرقيق
وسمي اللبن ترقيقه بالماء والمذق سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب والوجه الثالث
ان يكون جواب قسم محذوف والجملة القسمية صفة لفتنة اي فتنة والله لا تصيبن ولا نافية ويعضد
هذا الوجه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لتصيبن على انه جواب القسم المحذوف وان اختلف معنى

الفراء نبين ضرورة ان النفي يخالف الاثبات والوجه الرابع ما ذكره بقوله ويحتمل ان يكون نهيا بعد
الامر باتقاء الذنب ويحتمل ان يكون نهيا للمخاطبين عن ان يتعرضوا للظلم المدلول عليه بقوله
لا تصيبن الذين ظلموا بعد امرهم باتقاء الفتنة والذنب الذي اريد به الظلم بقرينة قوله الذين ظلموا
فان الفتنة في الاصل وان كانت بمعنى المحنة والعذاب الا انها اطلقت على الذنب والظلم لكونه سببا
لها واطلاق اسم المسبب وارادة السبب مجاز مشهور وحمل على المجاز لان الاتقاء عن فعل
الغير انما يكون بالاتقاء عن سببه الذي يؤدي اليه فالاتقاء المامور به حقيقة هو الاتقاء عن الفعل
الذي يؤدي الى نزول البلاء وعذابه فتم الكلام عند قوله واتقوا فتنة ثم ابتداء بقوله لا تصيبن الذين
ظلموا منكم وهو وان كان نهيا للفتنة بحسب الظاهر الا ان المعاني والاعراض لا يصح ان تؤمر بشيء
وان تنهى عنه فوجب ان يكون المراد نهي المخاطبين عن التعرض للذنب والظلم الذي هو سبب
لاصابة الفتنة اياهم فكان نهي الفتنة عن اصابتها اياهم كناية عن نهيهم عن ملزومها الذي هو
التعرض لما يؤدي اليها ونظيره قوله لا ارينك ههنا نهى نفسه عن ان يرى مخاطبه عنده وكنى به
عن النهي عن ملزومه الذي حضور المخاطب عنده وقوله الذين ظلموا اظهار وضع موضع الضمير
فان المعنى لا تصيبنكم الفتنة وضع الظاهر موضع ضميرهم تنبيها على ان سبب اصابة الفتنة اياهم هو ظلمهم ثم
بين الظالمين بقوله منكم للدلالة على ان ظلمهم له خصوصية ليست لظلم غيرهم ثم اكد تلك الخصوصية
بقوله خاصة وكذا اذا جعل لا تصيبن صفة لقوله فتنة وكانت كلمة لا للنهي بتقدير القول على معنى
اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن فان نهي الفتنة عن اصابة المخاطبين كناية عن نهيهم عن
ملزومها الذي هو التعرض لما يؤدي الى اصابتها اياهم **قوله** فان وباله يصيب الظالم خاصة
علة لنهي المخاطبين خاصة عن التعرض للظلم فان قوله لا تصيبن الذين ظلموا على تقدير كونه
نهيا وارد ابعد امرهم بالتقوى في قوة ان يقال لا يصيبنكم خاصة وبال الفتنة والظلم بسبب ظلمكم
ومعناه لا تتعرضوا انتم خاصة لما يكون سببا لاصابة وبال الفتنة اياكم خاصة وعلل اختصاص
وباله اياهم بقوله فان وباله يصيب الظالم خاصة **قوله** ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض
وعلى الاخيرين للتبيين هكذا في اكثر النسخ والظاهر ان المراد بالوجوه الاول الوجوه التي يكون كلمة
لا في قوله لا تصيبن فيها نافية وهي ان يكون لا تصيبن جواب الامر او جواب القسم المحذوف او
صفة لفتنة وبالوجهين الاخيرين ان يكون نهيا بعد امر ونهيا صفة لفتنة وجعل الاخيرين بناء
على تغليب كونه نهيا بعد امر على كونه صفة لفتنة لان كونه صفة ذكر مقدما على كونه جواب قسم محذوف
وكذا جعل الوجوه الباقية اولا مبني على تغليب ايضا والا فالوجهان الاخيران حقيقة هما كونه جواب
قسم محذوف وكون الجملة القسمية صفة لفتنة فلا يكون قوله لا تصيبن نهيا بل يكون نفيا وكلمة من

فان كلمة من على هذا الوجه للتبيين
منه

من في التنزيل يكون تبعيضية لان المعنى ان الفتنة لا تختص الظالمين منكم بل تعم غير الظالمين ايضا
وغير الظالم هو البعض الاخر من جملة المخاطبين بخلاف ما اذا كان نهيا صفة لفتنة او نهيا صفة
لفتنة او نهيا بعد امر فان كلمة من على التقديرين تكون بيانية لانه قد مر ان كلمة لا على تقدير كونها نهيا
يكون لا تصيبن نهيا للمخاطبين عن الظلم الذي هو سبب لاصابة الفتنة وقد عبر عن المخاطبين
باعتبار الظلم بالذين ظلموا على طريق وضع الظاهر موضع الضمير فيكون منكم بيانا للذين ظلموا وفي بعض
النسخ ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين فيكون المراد بالوجه الاول كونه جوابا
للامر وبالاخيرين كونها نهيا صفة لفتنة او نهيا بعد امر فيكون عدم التعرض لمعنى من على تقدير كون
لا تصيبن نفيا صفة لفتنة وكونه جواب قسم محذوف بناء على كونه معلوما بالمقايسة **قوله** وفائدته
اي فائدة تبيين الظالمين بالمخاطبين خاصة ونهيهم عن التعرض لما يكون سببا لاصابة وبال
الظلم اياهم التنبيه على ان الظلم منهم اقبح بالنسبة الى ظلم غيرهم ووجه التنبيه ظاهر **قوله**
والخطاب للمهاجرين بدليل قوله تعالى فآويكم لما امر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ثم
امرهم بالاتقاء عن المخالفة وعصيانه ذكر بعده مما يوجب عليه الطاعة وترك المخالفة والعصيان
وذكر لانهم كانوا في اول الامر بهم قليلين في العدد وكانوا بحيث يستضعفهم الناس كلهم حتى كانوا
يخافون ان يخرجوا من مكة حذرا من ان يستلبهم الناس فقواهم الله بان جعل لهم مأوى يرجعون
اليه وهو المدينة دار الهجرة والتخطف الاخذ والاستلاب بسرعة **قوله** بتعطيل الفرائض و
السنن فان اعمال استخفها الله على عباده ليحافظوا على ادائها في اوقاتها برعاية حدودها وحقوقها
فمن ضيعها فقد خان الله فيها **قوله** فاشار الى حلقه انه الذبح يعني ان بني قريظة لما قالوا الابي لبابة
ما ترى لنا انتنزل على حكم سعد اجابهم بان اشار الى حلقه ان حكم سعد فيكم ان تقتلوا فلا تنزلوا
على حكم سعد وهذا الجواب منه خيانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلوة والسلام اراد منهم
ان ينزلوا على حكم سعد ويرضوا بما حكم فيهم وهو صرفهم عنه **قوله** لنقضه اياه فان الذكر اذا اخذت
الرجل فقد ادخلت عليه النقصان **قوله** وهو مجزوم بالعطف على قوله لا تخونوا الله فداخل في حكم النهي
او منصوب باضمار ان بعد الواو الواقعة بعد النهي والمعنى لا تجمعوا بين الجنايتين كما في قوله ولا
تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وقوله لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
والجزم اولى لان فيه النهي عن كل واحد على حدته بخلاف النصب فانه نهي عن الجمع بين الشيئين
لا يستلزم النهي عن كل واحد منهما على حدته ثم انه تعالى لما نهى عن الخيانة نبه على ان الداعي الى الخيانة
انما هو حب الاموال والاولاد وبين انهما فتنة وحذر عن حبهما بحيث يؤدي الى الخيانة فقال
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة فلا يحملكم حبهما الى الخيانة وآثروا حب الله على حبهما

اي وفائدة تبيين الظالمين بينكم في الوجهين الاخيرين
منه

فدل على ان الظلم منكم اقبح من ظلم غيركم على ما في الكشاف
وان كان يحتمل ان يكون من غيركم
منه

ان الحكم في النهي عن الجمع بين الشيئين انه لا يجوز الجمع بينهما ويجوز فعل احدهما وترك الاخر [illegible]
منه

فان الله عنده اجر عظيم **قوله** لانهم اي الاموال والاولاد عبّر عنهما بضمير العقلاء تغليبا سبب الوقوع في الاثم او في العقاب او في محن الله بها كذا في اكثر النسخ والمعنى ان الفتنة قد يطلق على الآفة والبلاء وقد يطلق على الابتلاء والامتحان فالفتنة المذكورة في الاية ان كانت بمعنى الآفة يكون معنى قوله انما اموالكم واولادكم فتنة انهما اسباب مؤدية الى الوقوع في الآفة التي هي ارتكاب المعصية في الدنيا او الوقوع في عقاب الآخرة وان كانت بمعنى الامتحان يكون المعنى انهما اسباب لوقوع العبد في محن الله واختباره حيث يظهر بهما من اتبع الهوى عمن آثر رضا المولى وفي بعض النسخ او في محنة الله بلفظ الافراد على ارادة الجنس ومن جمع اعتبر تعدد امتحانه بكثرة متعلقاته ثم انه لما حذر عن الانهماك في محبة الاموال والاولاد رغب في تقوى الله بملازمة الطاعات والاجتناب عن المعاصي والمنكرات فقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وهو مصدر بمعنى الفرق كالغفران والشكران فسره المص بما يكون سببا للفرق والتمييز فان هداية القلب وتنويره بنور المعرفة واليقين فرقان يفرق بها بين الحق والباطل وكذا النصر واعلاء الكلمة فرقان يفرق به بين المحق والمبطل وكذا ما يخرج به المرء ويتخلص عن الشبهات من الدلائل والبراهين القاطعة فانها فرقان يفرق بها بين المرء والشبهات وكذا ما ينجو به المرء عما يخافه ويحذر عنه في الدارين من الطاعة فانه فرقان يفرق بين المرء وبين ما يحذر عنه من ذل الدارين **قوله** او ظهورا يشهر امركم اي ويحتمل ان يراد بالفرقان ما يكون سببا للظهور كما يسمى الصبح فرقانا لذلك فان من اتقى الله واطاعه يجعل له ظهورا وشهرة بين الناس بعلو القدر ورفعة الشان ويشيع ذكره الجميل وصيته بينهم **قوله** تذكار لمكر قريش اي تذكير لمكرهم وهو حيلة وتدبير في اهلاك احد وافساد امره بطريق الخفية بحيث لا يعلم المرء ذلك الا عند وقوعه والمكر وامثاله لا يسند اليه تعالى الا على طريق المقابلة والمشاكلة لا يجوز ابتداء لتضمنه معنى الحيلة والخدعة وهي لا يليق بعظمة الله **قوله** بالوثاق او الحبس او الاثخان المثبت الشيء عبارة عن الزامه بموضع وذلك قد يكون بشده وتوثيقه بالوثاق لان من شد فقد اثبت لانه لا يقدر على الحركة وقد يكون بحبسه في مكان وقد يكون بالاثخان اي توهينه واضعافه بالجرح لا يقدر معه على الحركة فسر الاثبات بكل واحد منها لكونه طريقا اليه وقرئ ليثبّتوك من باب التفعيل بتعدية الفعل بتضعيف العين بدل تعديته بالهمزة وليبيّتوك على بناء التفعيل من البيات وهو اسم من قولهم بيّت العدو اي اوقع بهم ليلا **قوله** فاجتمعوا دار الندوة الندوة على فعلة مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوة والنادي فان تفرق القوم عنه لا يسمى نديا كما لا يسمى الظرف كاسا اذا لم يكن فيه شراب ومنه سميت الدار التي بناها قصي بن كلاب بمكة

دار

[illegible]

[illegible]

دار الندوة لانهم كانوا ينتدون فيها اي يجتمعون للمشاورة **قوله** فانه كان قاصهم روي ان نضر بن الحارث من بني عبد الدار كان يختلف تاجرا الى فارس والروم والحيرة فيسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث العجم واشترى احاديث كليلة ودمنة وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التورية والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويقرأ فطفق يقعد المستهزئين والمقتسمين وهو منهم ويقرأ عليهم اساطير الاولين اي ما سطروه في كتبهم من اخبار الامم الماضية واسمائهم وكان يزعم انها مثل ما يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص الاولين والاساطير جمع اسطورة وهي المسطورة المكتوبة **قوله** ابلغ في الجحود بكون القرآن كلاما آتيا من الناس قبله فان قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا جحود لكون القرآن حقا بانكار كونه معجزا حيث ادعوا اقتدارهم على اتيان مثله وان عدم اتيانهم به انما هو لعدم تعلق مشيتهم بذلك ولو شاءوا لفعلوا وهذا الادعاء منهم محض مكابرة وعناد لانه عليه الصلوة والسلام تحداهم به عشر سنين فما استطاعوا معارضته مع فرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب ما يتعلق بالفصاحة والبيان فلما تحقق المخاتم دعتهم شدة المكابرة والعناد الى ان علقوا امطار مشيتهم ثم بالغوا في جحود حقيته حيث قالوا ما يدل على جزمهم ويقينهم ببطلانه فان المتوقع ان يعذبوا بمثل هذا العذاب الاثر على تقدير حقية القرآن وتعليقه عليها انما يصدر عمن جزم ببطلانه فيكون ابلغ في الجحود وجحد بالنسبة الى انكار اعجازه وعامة القراء قرؤا لفظ الحق منصوبا على انه خبر كان وجعلوا لفظ هو فصلا لا محل له من الاعراب وقرئ مرفوعا على ان هو في محل الرفع على الابتداء والحق خبره والجملة خبر كان وقوله من عندك حال من معنى الحق اي الثابت حال كونه من عندك او صفة للحق متعلق بمحذوف اي هو الحق المنزل من عندك وقوله من السماء صفة حجارة فيتعلق بمحذوف اي حجارة نازلة من السماء وفائدة تقييد الحجارة بكونها نازلة من السماء الدلالة على ان المراد بالحجارة السجيل وهو حجارة مسومة اي معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة روي انها حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم فلا بد من ذكر السماء ليتعين ان المراد من الحجارة السجيل اذ لو اقتصر على قوله امطر علينا حجارة لاحتمل ان يكون المعنى صب علينا من جانب فوقنا حجارة فلا يتعين كون المراد بالحجارة السجيل ويحتمل ان يكون المراد من ذكر قوله من السماء تاكيد المعنى المستفاد من الامطار قيل نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر فانه عليه الصلوة والسلام قتل يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا وهم

روي ان معاوية قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا اليه

طعيم بن عدي وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث **قوله** بيان لما كان الموجب لامهالهم
مع انهم قد استحقوا الهلاك بدعائهم حيث سألوا من الله ان يهلكهم ان كان القران حقا نازلا
فبين الله تعالى انه لم يهلكهم مع استحقاقهم لذلك لامرين الاول كونه عليه الصلوة والسلام مقيما
بين اظهرهم فانه تعالى لا يهلك اعداء دينه ما دام حبيبه فيهم تعظيما له وحفظا لحرمته والثاني
ان يكون فيهم من يستغفر من المؤمنين المستضعفين الذين لا يستطيعون المهاجرة عنهم
فبقوا مستضعفين على ان قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون معناه وقيل
معناه وفي اصلابهم من يستغفر وقيل معناه وفيهم من يؤول امره الى الاستغفار عن الكفر
قوله او قولهم اللهم غفرانك اي ويحتمل ان يكون المراد باستغفارهم قولهم اللهم غفرانك وذلك
انهم كانوا يقولون بعد الطواف غفرانك وروي ان قريشا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
ثم ندموا على ما قالوا لما امسوا فقالوا غفرانك اللهم فهذا هو المراد باستغفارهم ثم انه تعالى
لما بين ان الموجب لامهالهم هذان الامران ذكر انهم يستحقون العذاب ويعذبون
وان لم يكن على وجه الاستيصال بعد زوال ذلك الموجب فقال وما لهم ان لا يعذبهم الله اي
اي شيء لهم في ان لا يعذبهم الله بعد ذلك وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد
الحرام فكلمة ان في قوله ان لا يعذبهم مصدرية وموضعها الجر بحذف حرف الجر وهذا الجار
متعلق بما تعلق به قوله لهم من معنى الاستقرار **قوله** واللام لتاكيد النفي يعني ان اللام في
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم لام الجحود والفعل بعده منصوب باضمار ان وشرطها ان يتقدمها
كون منفي فذهب البصريون الى ان خبر كان في مثله محذوف وهذه اللام تتعلق بذلك الخبر
المحذوف والتقدير وما كان الله مريدا لتعذيبهم وذهب الكوفيون الى ان هذه اللام مع ما بعدها
في محل الخبر ولا يقدرون شيئا محذوفا ويزعمون ان الفعل بعدها منصوب بنفس اللام لا
باضمار ان واللام زائدة لتاكيد النفي وظاهر كلام المص يشعر بانه اختار مذهب الكوفيين
وليس بلازم لجواز ان يكون مراده بقوله واللام لتاكيد النفي انها مع متعلقها المحذوف
لتاكيد نفي العذاب لان انتفاء ارادة العذاب ابلغ واكد من نفي العذاب فجيء في خبر كان
الاول بلام الجحود دون خبر الثاني للدلالة على ان كونه عليه الصلوة والسلام فيهم ابلغ في
كونه سببا لعدم تعذيبهم من استغفارهم فاين بركة وجوده بين اظهرهم من بركة
استغفارهم **قوله** اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة جواب عما يقال من ان المكاء والتصدية
ليسا من جنس الصلوة فكيف جاز استثناؤهما من الصلوة اجاب عنه اولا بانهما نوع من
العبادة والدعاء في زعمهم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت يطوفون
البيت

البيت عراة يصفرون ويصفقون فعلم منه انهم يعدونهما نوعا من العبادة والدعاء
ويجعلونهما من افراد الصلوة فصح الاستثناء بناء على معتقدهم عن الزجاج انه قال
اعلم الله تعالى انهم كانوا مع صدهم اولياء المسجد الحرام عنه كان تقربهم الى الله تعالى بالصفير و
التصفيق وثانيا بانهما استثناء من الصلوة بناء على انهم يسمونهما صلوة حيث امروا
بالصلوة في المسجد الحرام فامتثلوا الامر بها بان فعلوهما فيه وثالثا بانهما استثناء منها تعريضا
للمشركين بتركهم ما امروا به في المسجد الحرام وجعلهم المكاء والتصدية مكانه فانه تعالى لما حكم عليهم
بانهم لا صلوة لهم الا المكاء والتصدية ومن المعلوم انهما ليسا بصلوة فقد حكم عليهم بانهم
لا يصلون اصلا تعريضا لهم بتركهم امتثال الامر وعبر عن المكاء والتصدية باسم الصلوة
بناء على جعلهم اياهما مكان الصلوة فعلى هذا يكون الاية من قبيل قول الشاعر ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * فان من كان عيبه مقارعة الكتائب و
فلول سيفه بسببها يكون بريئا عن العيب بالكلية وكذا من كان صلوته المكاء والتصدية يكون
بريئا من الصلوة بالكلية فهو تعريض عظيم لهم بالمخالفة والعصيان فامروا امر الاهانة والاذلال
بان قيل لهم ذوقوا العذاب اي عذاب السيف والاسر يوم بدر او عذاب النار يوم القيمة
فانه تعالى لما ذكر انهم ليسوا اولياء البيت الحرام بين بهذه الاية ما يخرجوا من ان يكونوا اولياء
البيت الحرام وهو ان لا يكون لهم صلوة عند البيت سوى هذين الفعلين المكروهين وهو
الصفير يقال مكا يمكو مكوا ومكاء اذا جمع كفيه ثم صفر فيهما واصل التصدية احداث الصدى وهو
ما يسمع من رجيع الصوت في الاماكن الخالية الصلبة يقال صدي يصدي تصدية والمراد به
ههنا تصويت اليدين بضرب احدهما على الاخرى وقيل انها ماخوذة عن الصد وهو المنع
نقل الى باب التفعيل للتكثير والمبالغة اصلها تصددة بدالين قلبت احدى الدالين ياء دفعا
لثقل التكرار كما في تقضي البازي اذ البازي كان اصله تقضض البازي عن سعيد بن جبير التصدية
صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلوة وعن مقاتل انه عليه الصلوة والسلام
كان اذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره فيصفقان
ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلوته وهم من بني عبد الدار فقتلهم الله تعالى ببدر **قوله**
وقرئ وصلوتهم بالنصب على انه خبر كان قدم على اسمه وحمل صاحب المفتاح هذه القراءة على
القلب بناء على انه لا يجوز ان يخبر عن النكرة بالمعرفة الا في ضرورة الشعر كما في قوله يكون مزاجها
عسل وماء ولا حاجة الى هذه التكلفات في قراءة العامة برفع صلوتهم ونصب مكاء **قوله**
يطوفون عراة ويتقصدون بتعريهم عن الثياب الاحتراز عن ان يطوفوا بيت الله بثياب

وقال ابن جني لا حاجة الى الاعتذار
النصب لان المكاء والتصدية اسما
جنس لانهما مصدران واسم
الجنس تعريفه وتنكيره سواء فلا
نعم يبالي بانهما جعلا اسما والاخبار
والمعرفة والنكرة في باب كان لا يستدل الكل
فلا فرق بين ان يقال ان الاخبار بالمعرفة
مكاء والا المكاء والنكرة عن المعرفة
بالعلم في نحو قوله
بينهن في حكم النكرة فصح
كما توصف بالنكرة

عصوا الله تعالى فيها فانزل الله تعالى ردا عليهم قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده،
فامروا بالكساء الثياب ونهوا عن التعري قوله تشبيك بين اصابعهم نفخا فيها كانهم
فان المكا، عبارة عن تشبيك الاصابع ثم وضعها على الفم وان ينفخ فيها قوله عن جزر
جمع جزور وهو البعير ذكرا كان او انثى الا ان اللفظ مونث تقول هذه الجزور فلذا لم يقل عشرة
جزر بالنار، قوله سوى من احابيش اي سوى من صار حبشيا وفي الكشاف انه استاجر
ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب والاحابيش جمع احبوش وهي الجماعة
من الناس من قبائل شتى، واستجاش اي طلب الجيش والالوف فيه اثنان واربعون شتالا
قوله والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله لانه طريق ثوابه والخلود في جنته لمن سلك على
ما امر به قوله ويحتمل ان يراد بهما واحد بان يكون سينفقون للاستمرار التجددي ويكون السين
في قوله فسينفقونها للتاكيد للتسوية فيتحد الانفاقان الا ان مساق الاول لبيان غرضهم
من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته اخبر اولا بانهم ينفقون ما انفقوا من اموالهم
ليمنعوا الناس عن سلوك سبيل الله ثم اخبر ثانيا في الاية ان عاقبة انفاقهم الحسرة وكونهم مغلوبين
وان يحشروا الى النار قوله وانه لم يجعل ينفقون في تجدد عطفا على قوله عاقبته بناء على ان السين
للاستقبال وفيه ان كون الاية لبيان حكم انفاقهم الذي سيقع بعد وقت نزولها لا يخلو عن بعد والظ
ما قلنا من كون السين للتاكيد والمعنى في قوله تعالى ثم تكون صرف اموالهم وما كانت عاقبته
انفاقهم حسرة في قلوبهم جعلت ذوات الاموال كانها عين الحسرة للمبالغة جعل الحرب سجالا
تشبيها بالمساجلة من حيث انه يكون تارة لهم وتارة عليهم كما ان السجل يكون بالمناوبة
تارة يكون لبعض المستقين المجتمعين على شفير البئر وتارة يكون للبعض الاخر منهم والسجل
هو الدلو العظيم يكون فيه ماء قل او كثر ولا يقال للدلو الفارغ من الماء سجل ولا ذنوب وهو الدلو الملآن
ماء قوله او ما انفقه المشركون مما انفقه المسلمون عطف على قوله الكافر من المؤمن يعني انه اريد
بالخبيث والطيب الفريق الكافر والفريق المؤمن يكون قوله ليميز متعلقا بيحشرون والمعنى يحشر
الذين كفروا الى جهنم ليميز فريق الكفار عن فريق المؤمنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض
فيركمه جميعا اي يجمعهم ويضم بعضهم الى بعض حتى يتراكموا ويتزاحموا في جهنم بان يضيق الله تعالى
عليهم كما قال تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين في الاصفاد فان الركم ليس عبارة عن الجمع
مطلقا بل هو الجمع بين الاشياء بحيث يتراكم بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم وان
اريد بالخبيث والطيب ما انفقه المشركون والمؤمنون اي ما انفقه الكفار في معاداة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما انفقه المؤمنون في نصرته وجهاد الكفار يكون اللام في قوله ليميز متعلقة بقوله

وفي القاموس وجعل الحرب بينهم سجال اي سجلا منها على هؤلاء واخر على هؤلاء اي ينوب لهم ونوبة عليهم... ساقى السجل الدلو العظيمة مملوءة مذكر ودلو ذكره ولا يقال لها فارغة سجل ولا ذنوب والجمع سجال... ساقى

٩٠
بقوله ثم تكون عليهم حسرة ويكون المعنى ثم يكون ما انفقه الكفار حسرة عليهم ليميز الله الخبيث من
الطيب ويضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيها في جهنم ويعذبهم بها كقوله تعالى يوم يحمى
عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قوله وهو ابلغ من الميز وان كان كل
واحد منهما يتعدى الى واحد تقول ميزت الشيء وميزت الشيء فانماز وتميز كلاهما بمعنى الا ان التشديد
ابلغ في الدلالة في الانباز للدلالة على الاحتمال والكلفة ثم انه تعالى لما بين ضلالهم في عباداتهم
المالية والبدنية ارشدهم الى ما هو الحق والصواب وهو الانتهاء عما هم عليه من المخالفة و
العصيان فقال قل للذين كفروا واشار المص الى ان اللام فيه للتعليل دون التبليغ حيث
قال قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان المعنى بلغ اليهم معنى هذه الجملة المحكية بالقول
باي عبارة كانت سواء اديته بهذه العبارة او بلفظ اخر يؤدي معناها لقيل ان تنتهوا بالخطاب
ثم انه تعالى لما امر بمقاتلة المشركين بقوله وقاتلوهم ومن المعلوم ان عند المقاتلة يدخل في ايدي
المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر والغلبة شيء وتلك الاموال تسمى غنيمة ذكر الله حكم الغنيمة
فقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية والغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما
فهو غانم والغنيمة ما كانت تحل للامم السالفة وقد احلت لهذه الامة اربعة اخماسها وبين الله
في هذه الاية مصارف خمسها ثم بين في اخر هذه السورة حل اربعة اخماسها لنا حيث قال
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا قوله اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا اشارة الى ان كلمة ما في
قوله تعالى انما غنمتم موصولة وغنمتم صلتها وان عائدها محذوف اي غنمتموه وان الاغتنام
معناه الاخذ والظفر وان الغنيمة في الشريعة هي المال الماخوذ من الكفار قهرا ووقع كلمة
ما ان تكتب منفصلة عن كلمة ان لكونها موصولة كما في قوله تعالى ان ما توعدون لآت لكنها
كتبت متصلة اتباعا للرسم والفاء في قوله تعالى فان لله خمسه مزيدة في الخبر لتضمن المبتدا معنى
الشرط لا يجوز دخول الناسخ عليه لانه لم يغير معناه ونظيره قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
مع قوله فلهم عذاب جهنم حيث زيدت الفاء في خبر المبتدا الذي دخلت عليه ناسخ الابتداء و
قوله تعالى فان لله خمسه في محل الرفع بالابتداء وخبره محذوف اي فان خمسه لله حكم ثابت فيما غنم
الله تعالى وبينه لعباده والجملة المركبة من هذا المبتدا وخبره في محل الرفع على انها خبر قوله انما غنمتم
قوله والجمهور على ان ذكر الله فيه للتعظيم لما دخلت لام الاختصاص تحمل الغنيمة على ستة اصناف
من المصارف وهم الباري تعالى ورسوله وذوا قرابة رسوله واليتامى والمساكين وابن السبيل
اختلف العلماء في ان خمس الغنيمة هل يجعل ستة اقسام ويصرف كل قسم منها لواحد من المصارف
المذكورة في القران او يخمس ويصرف السهام الخمسة المذكورة بعد ذكر الله تعالى بقوله للرسول ولذي

قوله الكلام عطف على قوله الحمد لله... على ان يراد بها الانتشار مطلقا لا على ان يراد به الخطاب... فان خطاب... في الفقه والكلام... ساقى

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فذهب اكثر المفسرين والفقهاء الى ان قوله لله افتتاح كلام بذكر اسمه تعالى على سبيل التبرك وتعظيم شان الخمس المذكور ليراعى حكمه حق الرعاية و لا يقصر فيه وليس المراد ان خمس الغنيمة يسدس ويصرف سهم منها الى الله تعالى بجعله في عمارة الكعبة او بضمه الى سهم الرسول بل المراد انه يخمس ويصرف كل خمس الى ما ذكره الله تعالى من الرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس فانه لو كان لله تعالى سهم على حدة لكان سهمه عليه الصلوة والسلام السدس لا الخمس قوله حكمه باق اي وحكم خمس الخمس بعد وفاته عليه السلام باق لم يسقط سهمه بوفاته بل اليوم يصرف الى مصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهو قول الشافعي روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقيل سقط سهمه عليه الصلوة والسلام بوفاته لانه لم يخلفه احد في الرسالة فلا يخلفه في سهمه وكذا سقط سهم ذوي القربى بوفاته عليه الصلوة والسلام فلا يعطى لهم لاجل قرابتهم بل يعطى لفقرهم وكان عليه الصلوة والسلام يعطي لقرابتهم لا لفقرهم حتى كان عليه الصلوة والسلام يعطي العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله واليه ذهب اصحابنا فخمس الغنيمة اليوم يجعل ثلثة اقسام ويصرف الى ثلثة اصناف اليتامى والمساكين وابناء السبيل قوله وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب يعني ان ذوي قرابة رسول صلى الله عليه وسلم عام خصص منه البعض لما روي انه عليه الصلوة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما وفضل قرابتهما على قرابة سائر ابناء عبد مناف من بني عبد شمس وبني نوفل وقال في حق بني المطلب انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وحمل القرابة في قوله تعالى وذي القربى على القرابة الكاملة وهي القرابة نسبا وتواصلا في حال العسر واليسر واعلم انه عليه الصلوة والسلام هو محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان لعبد مناف اربعة بنين هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل وكان له ابن آخر يسمى ابو عمرو الا انه لم يبق له ولد وكان لهاشم ولدان عبد المطلب واسد وكان لعبد المطلب عشرة بنين منهم عبد الله وابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب والحارث وزبير فكلهم وما يتفرع منهم هاشميون لكونهم من اولاد هاشم وكان عثمان بن عفان من بني عبد شمس وجبير بن مطعم من بني نوفل فلم يكونا ولا بنو المطلب من بني هاشم بل كانوا من ابناء اخوة هاشم وهم مطلب وعبد شمس ونوفل فكانوا بمنزلة واحدة من حيث كونهم من فروع اخوة هاشم بن عبد مناف فلذلك قالا نعرف تفضيل بني هاشم علينا بسبب كونك منهم ولا نعرف فضل بني مطلب علينا لاتحاد درجة قرابتنا مع درجة قرابتهم فلم فضلتهم علينا فاجابهما عليه الصلوة والسلام بان قرابتكما وان كانت بمنزلة قرابة بني المطلب من جهة النسب الا ان قرابة بني المطلب اقوى وارجح لانضمام قرابة

قرابة التواصل والتناصر الى قرابتهم النسبية بخلاف قرابتكما فانها لم تنضم الى قرابتكما النصرة قوله وقيل اي وقيل ذو القربى بنو هاشم وحدهم لكونهم فروع الاب القريب وهو هاشم بخلاف بني المطلب فانهم فروع الاب البعيد وهو عبد مناف وقيل هو جميع قريش وهي قبيلة ابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة وكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه قوله والغني والفقير فيه سواء لانهم استحقوه بسبب القرابة دون الفقر وقد ثبت انه عليه الصلوة والسلام والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله واليتامى جمع يتيم وهو الصغير المسلم الذي لا اب له يصرف اليه سهم من الخمس اذا كان فقيرا والمساكين اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل المسافر البعيد عن ماله لا يشترك صنف من هذه الاصناف بغيره في قسمة خمس الغنيمة ويجوز تفضيل بعضهم على بعض بمقدار الحاجة وما بقي من الخمس وهو اربعة اخماسها للغانمين الذين باشروا القتال للفارس ثلثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهم هذا عند الشافعي لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام اسهم للرجل ولفرسه ثلثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وعند ابي حنيفة رحمه الله للفارس سهمان وللراجل سهم قوله بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال المشركين لاعلاء الحق والدين قوله متعلق بمحذوف يعني انه شرط جوابه مقدر عند الجمهور وان اجاز الكوفيون ان يكون جوابه متقدما عليه وذلك الجواب المقدر هو قوله فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية حذف هذا الجواب لدلالة قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية ووجه دلالته عليه انه تعالى امر بالعلم بهذا الحكم المتعلق به لان العلم بمثل هذا المعلوم ليس مما يقصد لنفسه بل انما يقصد للعمل به قوله تعالى وما انزلنا في محل الجر عطفا على الجلالة وقوله يوم الفرقان ظرف منتصب بانزلنا وقوله يوم التقى الجمعان بدل من الظرف الاول اي فسلموه اليهم ان كنتم آمنتم بالله وبما انزله على نبيه يوم بدر من الآيات والملائكة والنصر قوله شط الوادي اي جانبه وشفيره وقوله بالعدوة متعلق بمحذوف لانه خبر المبتدأ والباء بمعنى في كقولك زيد بمكة اي اذ انتم نزول في شفير الوادي الادنى من المدينة وعدوكم نازلون في جانبها الابعد منها وقرئ العدوة بالحركات الثلث في العين الا ان المشهور الضم والكسر قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب والضم قراءة الباقين قوله وكان قياسه قلب الواو ياء فان فعلى ان كانت واوية تقلب واوها ياء في الاسم وتبقى على حالها في الصفة نحو حلي في تأنيث الاحلى وان كانت يائية تبقى الياء على حالها في الاسم والصفة وكل واحدة من الدنيا والقصوى فعلى من ذوات الواو اما الدنيا فلانها من

دنايد نود دنوا واما القصوى فلانها تدعى قصيا المكان بتعص قصوا اذا بعد وان كانا من قبيل الصفات
لكونهما من باب افعل التفضيل الا انهما الحقا بالاسماء دون الصفات بسبب استعمالهما في اكثر
المواضع بلا موصوف فكان القياس فيهما قلب الواو ياء نحو لفظ الدنيا على القياس حيث قلب
واوها ياء بخلاف القصوى فان واوها بقيت على حالها كالعود وذكر في المتصل ان فعلى تقلب
واوها ياء في الاسم دون الصفة وان القصوى صفة في الاصل ولم يعتبر غلبة الاسمية عليها و
الركب جمع راكب مثل صحب وصاحب والراكب هو راكب البعير خاصة كما ان الفارس من على الفرس
والمراد بالركب هنا العير وقوادها وهم ابو سفيان واصحابه وكانوا اجمعا على البعير وكانوا في
ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلثة اميال **قوله** وفائدتها اى فائدة الجملة الحالية الدالة على
تعيين مراكب كل واحد من الجيش والركب ومعنى الاية سلوا احمسها غنمتم الى ما عنى لكم
من المصارف واقنعوا بما بقى من يوس الاخماس الاربعة ان كنتم آمنتم بما انزلنا على عبدنا
اذ انتم نازلون بشفير الوادى الادنى الى المدينة وعدوكم نازل بشفير الوادى الاقصى من المدينة
الى جانب مكة والحال ان الركب نازل في مكان اسفل من مكانكم على ان اسفل وان كان منصوبا
على الظرفية واقعا موقع خبر المبتدا الا انه في الحقيقة صفة لظرف مكان محذوف والفائدة
في تعيين هذه المواضع الدلالة على قوة العدو وضعف حال المسلمين والتيات امرهم اى
اختلاطه وضعفه فان الالتباث اختلاط من اللوثة وهى الضعف واللين قال الشاعر في
صفة المصلوب، كانه عاشق قد مد صفحته، يوم الوداع الى توديع مرتحل، او قائم من نعاس
فيه لوثته، مواصل التمطي من الكسل **قوله** ولذا اى ولهذه الفائدة ايضا ذكر مراكز الفريقين
بقوله اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والحال ان الركب نازل في مكان اسفل من مكانكم
وبين وجه دلالة ذكر هذه المراكز على قوة العدو وضعف شان المسلمين بقوله على ان الخلو
من النخلية متعلق بتوطين نفوسهم **قوله** لاختلفتم اى يخالف بعضكم بعضا في الوفاء
بالوعد ولعزمتم على التخلي من القتال لقلتكم وضعفكم وعدم مساعدة منزلكم على مقاومة
العدو **قوله** ليحققوا علة للدلالة المذكورة في قوله وفائدتها الدلالة اى ورد النظم على وجه
يدل على قوة العدو وضعف حال المسلمين ليحققوا انما اتفق لهم من الفتح والغلبة امر خارق
للعادة اوقعه الله ليحق الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين والحمد لله على ذلك **قوله**
ولكن جمع بينكم على هذه الحال اشارة الى انه استثناء من الشرطية القائلة لو تواعدتم
لاختلفتم برفع تاليها اى لكنكم ما اختلفتم وما تخلفتم عن القتال بل جمع الله بينكم ليتم امرا كان
من حقه ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه واللام في قوله ليقضي الله متعلق بمحذوف دل

قوله وفائدتها الدلالة على قوة العدو الى ما ذكره في امر العدوة
العدو والحج ما يقول ضعف
لكن لقائل ان يقول ضعف
شان المسلمين وما عطف
عليه لا يظهر مما ذكر الا ان
يقال ان ذكر ما يخص بعدوتهم
العدو من تجبر الفرض الى
ما يقوى المؤمنين يدل على
ضعف حالهم ولذا ذكر
مراكز الفريقين لاجل الاخر
اى وللاشارة الى قوة
العدو وضعف المؤمنين
عين مراكزهم لان مراكز
العدو قرينة ضعفهم لان
مكانهم لا تجلج الا قامة
ولم يكن لهم ما يقويهم كان
لهم قوة لوحدهم ان يتحولوا
الى العدوة القصوى التي
فيها الماء كما روى

دل عليه لكن جعل ما اقتضت الحكمة ان يفعل مفعولا له تقديره ما يستند عن ان يفعل ويحتمل ان يكون
المعنى كان مفعولا في علمه تعالى وحكمه وما علم الله واراد وقوعه فهو مفعول لا محالة فانه تعالى دبر
تدبيرا عجيبا لوقوع الحرب بين الجمعين ونصر المؤمنين وقهر اعداء الدين حيث اخبر المؤمنين
باقبال العير بما لها كثير وركب قليل فخرجوا طامعين للظفر بهم ثم اسمع الكفار خبر خروج المؤمنين
لقصد العير واقلقهم واخرجهم من مكة ليمنعوا عيرهم ويحفظوا اموالهم واموال العير تحول ساحل
البحر وتوسط الكفار بين العير وبين المسلمين ووعد للمؤمنين احدى الطائفتين مبهمة
واحدث اسبابا داعية الى اجتماعهم مع الكفار والمحاربة معهم على الوجه الذي يكون غلبة المؤمنين
على الكفار حالكون التقاء الفريقين على ذلك الوجه امرا خارقا للعادة بعيدا كل البعد عن العادة
ليقضي امرا كان حقيقا بان يفعل ويكون هلاك من هلك عن مشاهدة بينة واضحة الدلالة على ان
الدين المرضي عند الله هو الاسلام لا مخالجة شبهة حتى لا تبقى له عند الله معذرة في عدم تحليه
بحلية الاسلام ويكون عيش من عاش ايضا عن مشاهدة تلك البينة حتى يقوى يقينه ويكمل
ايمانه فان وقعة بدر كانت من الايات الواضحة الدالة على حقية الاسلام فمن كفر بعد مشاهدتها كان
مكابرا معاندا عادلا عن الحق الذي وضح حقيته ويجوز ان يكون الهلاك مستعارا للكفر ويكون
الحيوة مستعارا للاسلام كما يستعار الموت والحيوة للجهل والعلم اى ليكون كفر وايمان من آمن عن و
ضوح بينة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله **قوله** وقرئ من حيي
بالفك اى بفتح اللام وهى لغة شاذة كخواني بالفك لان ماضيه مفتوح العين وفتحه في المضارع
ايضا من غير ان يكون شئ من عينه ولامه حرف حلق شاذ **قوله** للحمل على المستقبل علة
لاظهار الياء الاولى وعدم ادغامها في الثانية فان الياء الاولى تعين اظهارها في مضارع هذا
الفعل لانقلاب الثانية الفا فاظهرت الاولى ايضا في الماضي اتباعا للمستقبل **قوله** ولعل الجمع
بين الوصفين اى وصفي السميع والعليم لاشتمال كل واحد من الكفر والايمان على القول والاعتقاد
قوله اذ يريكهم في عينك في رؤياك اشارة الى ان الاراءة بصرية يتعدى الى اثنين وان قليلا
حال من المفعول الثاني وان المنام مصدر ميمي بمعنى النوم والمعنى اذ يريكهم الله يا محمد المشركين في
نومك حال كونهم قليلا اطلق لفظ العين على حاسة الخيال تشبيها لها بالباصرة في كونها سببا
لادراك المحسوسات العينية غاية ما في الباب ان الباصرة تدرك بها المحسوسات عند حضور المادة والباصرة
وحاسة الخيال تدرك بها عند غيبة المادة عنها روي عن مجاهد انه قال ارى الله كفار قريش
لنبيه صلى الله عليه وسلم في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبي حق والقوم قليل فكان
ذلك سببا لقوة قلوبهم فان قيل رؤية الكثير قليلا غلط فكيف يجوز من الله ان يفعل ذلك قلنا التغليط

بمعنى اراءة الشيء على خلاف ما هو عليه في نفس الامر انما يلزم ان لو ارى كمية الكفار اقل مما هم عليه بحسب الكمية بان اريا الالف مائة مثلا وليس بلازم لجواز ان يكون المراد باراءتهم قليلا بحيث يتخيل ،،

الرائي ضعفهم وكونهم مما لا يعتد بهم ولا يخاف من كثرتهم وشوكتهم لان الرؤيا تخييل ورسم صورة في المخيلة بحيث يؤول تلك الصورة وينتقل منها الى حال ذي الصورة فعلى هذا امكن قوله تعالى ولو اريكهم

كثيرا لفشلتم يعني لو رايت في منامك ما يكون تاويله قوة امرهم ثم اخبرت اصحابك بذلك لفشلوا اي

جبنوا ولتنازعوا واختلفوا في امر القتال ولم يتفقوا على قتالهم ومن جملة ما انعم الله به على اهل

بدر انه تعالى اراهم عدوهم اولا في المنام قليلا فخبرهم بذلك فقلوبهم ثم اكد ذلك التقليل الذي ظهر لهم في

المنام بان اراهم في اليقظة ايضا كذلك فانهم لما التقوا ببدر قلل الله المشركين في اعين المؤ

منين عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل في جنبي تراهم سبعين ،،

قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا وقلل ايضا عدد المؤمنين في اعين

المشركين وهو قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم فقلل الله عدد

المشركين في اعين المؤمنين وقلل ايضا عدد المؤمنين في اعين المشركين والحكمة في التقليل الاول

تصديق الرؤيا للرسول صلى الله عليه وسلم ولتقوى قلوب المؤمنين ويزداد جراءتهم عليهم والحكمة في

التقليل الثاني ان المشركين لما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتاهب والحذر

فصار ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم **قوله** الاكلة جزور مثل يضرب به في القلة اي قلتهم بحيث

تشبعهم جزور واحد والاكلة جمع آكل **قوله** قللهم في اعينهم جواب عما يقال ما الحكمة في تقليل المؤمنين

في اعين المشركين قبيل التحام القتال ثم تكثيرهم بعدهم **قوله** كرره لاختلاف الفعل المعلل به

وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة في الاول وتقليل كل واحد من الفريقين في اعين

الاخر في الثاني اولان المراد بالامر في التقاء الفريقين على الوجه المحكي حتى يكون استيلاء المؤمنين

على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به ههنا ،،

اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والحاصل ان التكرير اما لاختلاف الفعل المعلل

به او لاختلاف علته ثم قال والى الله ترجع الامور للتنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها

وانما المراد منها ما يكون وسيلة الى سعادة الاخرة ويؤديا الى مرضاة الرحمن **قوله** فخرا واشرا

اعتبر في مفهوم البطر معنى الافتخار وهو التعاظم والتكبر بما ثر الاصول من الآباء والامهات

والاشر هو الطغيان في النعمة بترك شكرها او جعلها وسيلة الى التكبر والخيلاء والبطر والاشر

مصدران من باب علم والرياء اظهار الجميل ليرى منه ذكره ان لا يجعله خالصا لوجه الله **قوله**

بطرا ورياء منصوبان على المفعول له ويجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحالين من فاعل

من فاعل خرجوا اي كالذين خرجوا بطرين ومرائين ورياء مفعول مضاف الى المفعول وقوله

ويصدون عطف عليهما حالين مطلقا ومفعولا لهما على تاويل المصدر اي وصدا عن سبيل الله

كان اهل مكة خرجوا منها موصوفين بهذه الاوصاف الذميمة قال عليه الصلوة والسلام لما راى قريشا

تنزل من العقنقل وهو الكثيب الذي منه جاؤا الى الوادي اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها

وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فنهى الله المؤمنين ان يكونوا امثالهم و

امرهم باخلاص النية والحسبة في نصرة الدين **قوله** فنشقوا جواب النهي يعني انه منصوب باضمار

ان بعد الفاء وعلى الثاني يكون مجزوما داخلا في حكم النهي **قوله** تعزف علينا القيان اي تغني

علينا الجواري بضرب آلات اللهو فان المعازف آلات اللهو التي يعزف بها والقينة الامة مغنية

كانت او غير مغنية والجمع القيان وقيل القينة الامة المغنية وليس كذلك **قوله** فوافوا بها اي فوردوا

ولكن سقوا كاس المنايا مكان كاس الخمور وناحت عليهم النوائح مكان تغني القيان **قوله**

معطوف على بطرا لما كان عطف الفعل على الاسم غير حسن كان ينبغي ان يجعل يصدون بمعنى صادين ان

جعل بطرا ورياء بمعنى بطرين ومرائين واما ان جعلا مفعولا لهما كان ينبغي ان يجعل يصدون في

تاويل المصدر اي خرجوا بطرا ورياء وصدا عن سبيل الله لان العلة التي حملتهم على الخروج هي نفس

الصد مع قطع النظر عن صدوره عن فاعله الآن صدهم لما كان امرا متجددا حادثا فيهم عند بعثة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعائه النبوة عبر عنه بصيغة الفعل بخلاف البطر والرياء فانهما ،،

صفتان ثابتتان راسختان فيهم فعبر عنهما بلفظ الاسم الدال على التمكن والثبات كقوله تعالى و

كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولو قيل يبسط لدل على ان البسط يتجدد ساعة فساعة **قوله**

مقالة نفسانية مصدر رقول قال لا غالب لكم بمعنى ان تزيين الشيطان وقوله لهم ذلك لم يكن بان

يتمثل لهم في صورة انسان ويقول لهم ذلك القول بلسانه شفاها كما كان حاله في وقعة بدر بطريق الوسوسة

والالقاء في الروع لانه هو المعهود فيما يسند الى الشيطان فلا يعدل عنه بلا دليل ومعنى الجار في قوله

في قوله واني جار لكم المجير الحافظ الذي يدفع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره

تقول العرب انا جار لك من فلان اي حافظك من مضرته فلا يصل اليك منه مكروه ولما لم يكن قوله

واني جار لكم مقالة لسانية بل كان من قبيل الوسوسة النفسانية كان المراد بما حكي عنه من قوله

واني جار لكم انه اوهمهم ان اتباعهم اياه فيما سول لهم وزينه اياهم قربة يجيرهم من مضرة من

قصدهم بسوء **قوله** ولكم خبر لا غالب اي لا غالب كائن لكم او صفة وخبره محذوف اي لا غالب

كائنا لكم واقع او موجود وعلى التقديرين اسم لا التي لنفي الجنس نكرة مفردة غير مضاف ولا

مشابه للمضاف فلذلك بني على الفتح وليس صلة اي ليس متعلقا بغالب لانه لو كان لكم متعلقا

لغالب بمعنى لا غالب لكم لما جاز بناء غالب بل وجب ان يكون معربا منصوبا لان اسم لا اذا
عمل فيما بعده يكون مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده ومن حيث ان ما
بعدهما متمم ومخصص لهما كما تقرر في النحو ان اسم لا اذا كان نكرة مضافا او مشبها له وكان تاليا
لكلمة لا بان لا تقع فاصلة بينهما يجب ان يكون منصوبا فظهر ان لكم لو كان معمولا لغالب لوجب
ان يقال لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا فلما بني غالب تعين ان لكم ليس معمول
غالب وان اليوم ليس منصوبا بغالب وان من الناس ليس حالا من الضمير في غالب لما تقرر من ان
اسم لا اذا عمل فيما بعده لا يجوز بناؤه لشبهه بالمضاف بل اليوم منصوب بما تعلق به الخبر ومن الناس
حال من الضمير فيه **قوله** رجع القهقرى قيل هذا اصل معنى النكوص الا انه قد اتسع فيه فاستعمل
في كل رجوع وان لم يكن قهقرى والمراد ههنا مطلق الرجوع لانه كناية عن الفرار وفيه بحث لانه لا
وجه لصرف لفظ النكوص عن اصل معناه بل المناسب للمقام ان يبقى على اصل معناه لان المقاتل
حين يفر عن موضع القتال لا يرجع قهقرى لخوفه من جهة العدو **قوله** على عقبيه حال مؤكدة لان رجوع
القهقرى انما يكون على العقبين **قوله** وخاف عليهم لا على نفسه اذ قد امهله الله تعالى وانظره الى يوم
الوقت المعلوم روي عن قتادة انه قال صدق اللعين في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب في قوله
اني اخاف الله فانه ما به مخافة الله ولكنه علم انه لا قوة له فاوردهم معركة القتال واخذلهم وتلك
عادته فانه يجمع من اطاعه ورطة الهلاك ثم يتبرأ منه وقيل لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام
خاف ان يأخذه جبريل ويعرفهم انه الشيطان وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون
الوقت الذي انظر اليه قد حضر فقال يا مال اشفاقا على نفسه **قوله** وقيل لما اجتمعت قريش عطف
على قوله معالة نفسانية والاحنة الحقد والبغض الكامن **قوله** يشنهم من الشنف وهو الطرد
يقال شنف فلانا عن مقصده اذا صرفته عنه **قوله** وكان بدر الخ جملة حالية بتقدير قد من
فاعل نكص ويجوز ان ينقطع كلام ابليس عند قوله اني اخاف الله ويكون قوله والله شديد العقاب
ابتداء كلام من الله تعالى كما يجوز ان يكون ذلك من بقية كلام ابليس **قوله تعالى** اذ يقول المنافقون
من اهل المدينة من الاوس والخزرج والذين في قلوبهم مرض من قريش كانوا قد اسلموا ولم يهاجروا
لعدم قوة اسلامهم ولمنع اقربائهم اياهم عن الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم معهم
كرها فلما رأوا قلة عدد المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم اذ خرجوا مع قلة
عددهم لحرب قريش مع كثرتهم وشوكتهم ولم يشكوا بل قطعوا بان قريشا يغلبهم فقال تعالى جوابا
لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي ومن يسلم امره الى الله تعالى ويثق به وبفضله فان
الله قوي يفعل باعدائه ما يشاء حكيم يدبر امور عباده على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة واذ

واذ نصب اما بقوله زين او بنكص او بشديد العقاب او باذكر وقوله غر هؤلاء دينهم منصوب المحل
بقوله يقول **قوله** لا يدي لهم به اي لا طاقة لهم به **قوله** ويدل عليه اي على كون الملائكة فاعل
يتوفى بياء المذكر الغائب قراءة ابن عامر تتوفى بتاء المؤنث الغائبة لكون الفعل مسندا الى
جماعة الملائكة والجماعة مؤنث والباقون قرؤوا بياء المذكر الغائب اما لاسناد الفعل الى ضمير الله تعالى
لتقدم ذكره او لاسناده الى الملائكة ويكون تذكير الفعل بناء على الفصل بينه وبين فاعله بالمفعول او على
ان تأنيث الفاعل غير حقيقي وان جعل يتوفى مسندا الى ضمير الله تعالى يكون الملائكة مبتدأ ويضربون خبره
ويكون الجملة حالا على ما اختاره المص ويحتمل ان يكون مستأنفة جوابا لمن قال كيف يكون حالهم
اذ يتوفاهم الله فعلى هذا يوقف على قوله الذين كفروا **قوله** وهو على الاول يعني ان قوله يضربون وجوههم
على ان يكون الملائكة فاعل يتوفى جملة حالية من الفاعل او من المفعول عن ابن عباس رضي الله عنهما
كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا
ادركتهم الملائكة يضربون ادبارهم وقال ابن جريج يضربون ما اقبل منهم وما ادبر اي يضربون
اجسادهم كلها **قوله** اي ويقولون ذوقوا اي ليس الاحتياج الى هذا التقدير لمجرد صحة عطف الانشاء
على الاخبار بل لان المعنى على ذلك لان هذا من كلام الملائكة قطعا وعذاب الحريق اشارة الى عذاب
جهنم والملائكة يقولون لهم ذلك القول عند التوفي انذارا لهم بانهم يذوقون عذابا عن قريب فلا
يكون ذوقوا للحال بل للاستقبال جعل القول المذكور بشارة على سبيل التهكم والاستهزاء **قوله**
وقيل كانت معهم مقامع عطف على قوله بشارة لهم بعذاب الآخرة اي وقيل الحريق اسم للنار و
ان الملائكة يضربونهم عند التوفي بمقامع من حديد كلما ضربوهم بها التهبت النار منها في جراحتهم
ويقولون لهم ذوقوا هذا العذاب الآن وستشبعون منه عن قريب **قوله** عطف على ما اي ذلك العذاب
بسببين بسبب ما كسبوا من كفرهم ومعاصيهم وبسبب ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد لان
تعذيب من يستحق ان يعذب من العدل فسر قوله تعالى بما قدمت ايديكم بقوله بسبب ما كسبتم اشارة
الى ان اليد في قوله تعالى بما قدمت ايديكم عبارة عن النفس الدراكة عبر عنها باسم اغلب آلاتها في
اكتساب الافعال وبين ان فائدة العطف الدلالة على ان سببية ما كسبته النفس من المعاصي
للتعذيب مقيدة بانضمام كونه تعالى منزها عن الظلم اليه فانه لو اقتصر على قوله بما قدمت ايديكم لا
يفهم كون المعاصي المكتسبة سببا للتعذيب الا انه لا ينافي جواز التعذيب من غير ذنب فعطف عليه
ما يدل تصريحا بعدم جواز ذلك فكان سبب تعذيبهم سوء ما اجترحوه وكونه تعالى منزها عن تعذيب
غير المذنب وجعل صاحب الكشاف نفي الظلم عنه تعالى سببا لتعذيبهم بناء على ما ذهب اليه من وجوب
عقاب العاصي واثابة المطيع على الله تعالى وان ترك تعذيب العاصي ظلم مناف للعدل الواجب عليه تعالى

وحاصل الجواب ان المبالغة في شيء كما يكون بحسب الكيفية اعني الشدة يكون بحسب الكمية اي الافراد وههنا كذلك فان العبيد يدل على
الكثرة بل الاستغراق فالظلام بهم يكون كثير الظلم بكثرة المتعلق لكثرة المفعول فيصير المعنى ليس بظالم لهذا ولا لذا الى ما لا يتناهى ولا شك
ان تعقيب كل واحد اصل الظلم فنفيه نفي الظلم رأسا
سنان

ان يقال او
والاولى ان يقال صفة لله تعالى
في غاية المرتبة العليا من
النعمة والكمال فلو كان
الله ظالما لكان ظلاما
كما انه تعالى لما كان عالما
كان علاما فنفى اللازم
لنفي الملزوم او يقال
نفي الظلام ابلغ من نفي
الظالم لانه كناية عنه
اذ نفي الظلام لازم لنفي
الظالم ضرورة انه اذا
انتفى الظلم انتفى الظلامية
والانتقال من اللازم الى
الملزوم كناية
معك

فتعذيب العاصي مثلا بما بين المتعجب وكونه تعالى منزها عن الظلم مجبورا بتراك تعذيب العاصي
ظلما والمصنف رد عليه ذلك بقوله ترك تعذيب من يستحقه ليس ظلما لا شرعا ولا عقلا فكيف كيف
نفي عنه تعالى سببا للتعذيب **قوله** بظلام للتكثير لاجل العبيد جواب عما يقال ظلام بناء المبالغة فالمنفي
عنه تعالى كونه مبالغا في الظلم وذلك يدل على جواز اتصافه باصل الظلم بناء على قاعدة رجوع النفي
الى القيد وهو باطل وتقرير الجواب ان لفظ ظلام وان دل على الكثرة الا ان المراد بكثرة الظلم كثرته باعتبار
كثرة متعلقه فان لفظ العبيد يدل على الكثرة فيكون ما اصابهم من الظلم كثيرا نظرا الى كثرتهم فالمنفي
عن كل واحد منهم اصل الظلم فالمعنى انه تعالى لا يظلم احدا من عبيده لان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام
الاحاد الى الاحاد **قوله** اي دأب هؤلاء على ان الكاف خبر مبتدأ محذوف والدأب العادة والشان
واصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا اي يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه
فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته لما بين الله تعالى حال كفار قريش من دوامهم
على الكفر ومخالفة الرسول ومعاداته حتى فارقتهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او
يخرجوك وصدهم المسلمين عن المسجد الحرام وبين ما نزل بهم يوم بدر من القتل والاسر وغيرهما من
الهوان والذل في الدنيا والاخرة بين ان عادة هؤلاء في كفرهم وعنادهم كعادة آل فرعون وذلك
فانهم ايقنوا ان موسى عليه الصلوة والسلام نبي بعثه الله تعالى اليهم ليهديهم الى سواء السبيل فكذبوه كذلك
كفار قريش جاءهم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بالايات الباهرة والدلائل الواضحة فكذبوه وجحدوا
نبوته فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وكعادة الذين كفروا من قبلهم وقوله كفروا بايات
الله المنزلة على نبيه جملة مستأنفة لبيان دأبهم وعادتهم فان قيل كيف علل قوله فاخذهم الله بذنوبهم
بقوله ان الله لا يبدل نعمة انعمها على قوم بالنعمة حتى يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء منها مع ان
الماخوذ بذنوبهم هنا الكفرة فاي نعمة لله تعالى على الكفرة حتى تسلب عنهم بترك الشكر قلنا نعم الدنيا
نعم الكافر وغيره فله تعالى ان يبدلها بالنقمة بان يسلبها عنه او يعذبه بنوع آخر عقوبة معجلة واشار المصنف
الى هذا بقوله حتى يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء منه فان الكفار الذين انعم الله عليهم بنعمة دنيوية
اذا بدلوا ما بهم من الحال الى ما هو اسوء منها يبدل الله تعالى ما بهم من النعمة وان كان ما بهم من الحال
حالا سيئا غير مرضية عند الله فان كفار قريش مع كونهم مشركين يعبدون الاصنام قد انعم الله
عليهم بنعمة الامهال وحسن الحال في العاجل وكان حالهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
انهم يصلون ارحامهم ولا يتعرضون للايات والرسل ويتدينون بدين الجاهلية فلما بعث عليه الصلوة
والسلام اليهم بدلوا ما بهم من الحال الى ما هو اسوء منها واحدثوا معاداة الرسول ومن تابعه و
ايذائهم والسعي في قتلهم والاستهزاء بالايات فبدل الله ما انعم عليهم من الامهال وحسن الحال في العاجل

بغتة

بغتة بما بهم من نعمة الامهال وحسن الحال **قوله** وليس السبب الحقيقي ظاهر قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا
نعمة انعمها حتى يغيروا ما بانفسهم ان يقال كيف يكون عدم تغيير الله النعمة عليهم حتى يغيروا حالهم سببا
لما حل بهم من العذاب العاجل وسوء الحال مع ان كون العدم سببا للوجود غير معقول اجاب عنه بان
العدم المذكور ليس سببا لما حل بهم حقيقة بل سبب امر وجودي وهو جريان سنة الله تعالى على ان يغير
نعمته على ما انعم بها عليهم عند تغييرهم حالهم والعدم المذكور مفهوم معبر عنه به على طريق التعبير عن
الملزوم بلازمه **قوله** لشبهه بالحروف اللينة من حيث كونه حرف غنة فكما تحذف حروف اللين
حال الجزم حذفت النون الساكنة ايضا للتخفيف لكثرة استعمال فعل الكون ولم تحذف في تحو لم يصن ولم
يخن لقلة استعمالها بالنسبة الى لم يكن وكثرة الاستعمال يستدعي التخفيف **قوله** ولما سيطر به من الدلالة
على كفران النعم فانه تعالى شبه اولا دأب كفار قريش بدأب آل فرعون وبين وجه الشبه بقوله كفروا
بايات الله ورتب عليه اخذهم بذنوبهم وبين وجه ذكر الاخذ بقوله ذلك الاخذ بان الله لم يك مغيرا نعمة
ثم كرر التشبيه المذكور فقال كدأب آل فرعون وبين وجه الشبه بقوله كذبوا بايات ربهم وهذا الوجه
هو الوجه المذكور في التشبيه الاول بحسب المال لان تكذيب الآيات كفر بها الا ان الايات في التشبيه الثاني
ذكرت مضافة الى الرب فيظهر بهذا التشبيه الدلالة على كفرانهم بنعم من رباهم بانواع النعم لان الرب
المالك المنعم على المربوب لان تربية المربوب انما تكون بتبليغه الى كماله بانواع النعم ولا شك ان تكذيب ايات
المنعم المربي كفران لنعمه وهذا المعنى غير متحقق في التشبيه الاول فلا يكون التشبيه الثاني تكريرا للاول
لافادته ما لا يفيده الاول وايضا نيط بالثاني بيان ما اخذ به آل فرعون بخصوصه وهو الاغراق و
لم يبين ذلك في التشبيه الاول **قوله** وقيل اي هذا ليس بتكرير بحسب الظاهر ايضا لان الاول تشبيه
الكفر والاخذ به وذلك لان الله تعالى وصف المتوفين ببدر بالكفر وبكونهم ماخوذين بما قدمت ايديهم
من الكفر والمعاصي ثم شبه ما وصفوا به بوصف الغبطة ومن قبلهم والثاني تشبيه تغيير الله ما انعم
به على قوم بسبب تغييرهم ما بانفسهم ولم يرض المصنف بهذا القول لان قوله تعالى في التشبيه الثاني
كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم مذكور لبيان وجه التشبيه فيكون قوله في التشبيه الاول كفروا
بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم مذكورا لبيان وجه التشبيه ايضا وجعله مشبها عدول عن الظاهر
بغير وجه ثم انه تعالى لما ذكر ان من اخذ من الامم المكذبة انما اخذ بذنبه اكد ذلك بقوله وكلا كانوا ظالمين
حيث ظلموا انفسهم بالتكذيب والعصيان ثم انه تعالى لما وصف كلهم بذلك بين ان اشدهم ظلما
لنفسه من اصر على الكفر والتكذيب بحيث لا يتوقع منه الايمان وكان ناقضا للعهد مرة بعد اخرى فقال
ان شر الدواب الذين كفروا فسر قوله الذين كفروا بقوله اصر على الكفر لاقتضاء قوله فهم لا يؤمنون
ذلك لان الكافر لا يخبر عنه بمجرد كفره بانه لا يؤمن وفائدة الفاء السببية التنبيه على ان كفرهم في

في الرسوخ والاستحكام بحيث يوجب انه لا يتوقع منه صدور الايمان وان تحقق المطبوعين بشر
تحقق المطبوع عليه جعل مثل هذا الكافر شر الدواب لان الدواب ثابتة على ما جبلت عليه وانه
ضيع مقتضى فطرته الاصلية بالكفر ونقض العهد الاول الفطري والخط عما جبل عليه ثم اصر على ذلك
ثم نكث العهد الظاهر فكان شر الدواب قوله ان لا يمالئوا اي ان لا يعاونوا العدو عليه والممالاة
المعاونة فان بني قريظة اعانوا المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر بالسلاح ثم قالوا
نسينا واخطأنا فعاهدهم ثانيا فنقضوه يوم الخندق قوله ركب كعب عطف على قوله فنكثوا،،
لبيان طريق ممالاتهم يوم الخندق وكان السبب فيه انهم لما رأوا غلبة المسلمين على المشركين
يوم بدر قالوا انه هو النبي الموعود بعثه في آخر الزمان فلا جرم يتم امره ولا يقدر احد على محاربته
ثم انهم لما رأوا يوم احد ما وقع من ضعف المسلمين شكوا وقد كان احرق كبدهم بنار الحسد من
ظهور دينه وقوة امره فركب كعب بن الاشرف مع اصحابه الى مكة فحالفوا المشركين على الاتفاق
معهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته فادى ذلك الى غزوة الخندق وكفى الله المؤمنين
القتال وهزم الاحزاب وحده وكان الله قويا عزيزا قوله ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ
كأنه قيل الذين اخذت منهم العهد فان فعل المعاهدة يتعدى بنفسه يقال عاهدته وعدي
في الآية بكلمة من نظرا الى ما في ضمنه من معنى الاخذ والسبة ما يسب به ويعاب وكذا العار
فانه ما يعاب به يقال عاره اي عابه والتعيير التعييب والمغبة العاقبة مصدر ميمي من غبت
الامور اذا صارت الى اواخرها وغب كل شيء عاقبته قوله تفرق عن مناصبتك اي تفرق
جمعهم وبددهم عن معاداتك وقصد الحاق المضرة بك والنصب مصدر قولك نصبت الشيء اذا
اقمته عليه في اقامة العداوة والحرب يقال نصب لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب و
التشريد تفعيل من شرد البعير يشرد شرودا اذا نفر فهو شارد وشرود والتشريد الطرد و
تفريق الشمل وتبديد الجمع يعني ان صادفت هؤلاء الناقضين في الحرب افعل بهم واوقع فيهم
من النكاية والقهر ما يضطرب به ويخاف منك امثالهم بحيث يذهب عنهم بالكلية ما يخطر ببالهم
من مناصبتك قوله وكانه مقلوب شذر بمعنى فرق يقال تفرقوا شذر مذر اذا ذهبوا في كل وجه و
ناحية انما قال ذلك لان مادة شرذ بتقديم الراء المهملة والذال المعجمة غير مستعمل في كلام العرب و
يدل عليه ان الجوهري لم يذكر هذه المادة في الصحاح عن ابي حيان انه لم يذكر قراءة فشرذ بالذال
المعجمة قال كذا هي في مصحف عبد الله وقيل عليه انه قد تقرر ان النقط والشكل امر حادث احدثه
يحيى بن يعمر فكيف يوجد ذلك في مصحف ابن مسعود قوله ومن خلفهم اي وقرئ بمن الجارة بدلا
من الموصوفة او الموصولة ومفعول شرد في قراءة العامة هو قوله من خلفهم واذا قرئ بمن

بمن الجارة يكون مفعول شرد محذوفا اي شرد امثالهم الكائنين معا وراءهم او في ورائهم فان من
وفي متقاربان في المعنى تقول اضرب زيدا من وراء عمرو ووراء عمرو بمعنى في ورائه فيكون معنى القراءتين
واحدا اذ لا فرق بين قولك شرد من خلفهم وبين شرد امثالهم في ورائهم من حيث المعنى و
يحتمل ان ينزل شرد منزلة اللازم ولا يقدر له مفعول ويكون من خلفهم بمعنى في خلفهم ويكون النبي
عليه الصلوة والسلام مأمورا بايقاع فعل التشريد وراء القوم ويكون امره عليه الصلوة
بايقاعه في ورائهم كناية عن تشريد من في تلك الجهة لان فعل التشريد في جهة ورائهم من لوازم
تشريد من في تلك الجهة فيكون معنى القراءة بفتح الميم وكسرها واحدا قوله لعل المشردين يتعظون
يعني ان كل واحد من ضمير لعلهم ويذكرون يرجع الى قوله من خلفهم فانهم اذا رأوا ما حل بالنا
قضين تذكروا واتعظوا عن ابن عباس رضي الله عنه ان نكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي
العهد لعلهم يذكرون النكال فلا ينقضون العهد وكلمة اما مركبة من كلمتين ان التي هي للشرط وما
التي هي لتاكيد معنى التعليق المذكور عليه بكلمة ان ولما اكدت اداة الشرط وجب ان يؤكد فعل
الشرط لئلا ينقص المقصود بالتاكيد عن اداته فلذلك قيل فاما تثقفن واما تخافن كما يؤكد
الفعل المقسم عليه في مثل والله لافعلن قوله على سواء ان كان بمعنى ثابتا على عدل وطريق سوي
في العداوة باظهار نبذ العهد لهم واخبارهم بذلك والانتهاء عن مناجزتهم الحرب على توهمهم بقاء
العهد فان ذلك يصير خيانة منك يكون على سواء حالا من فاعل فانبذ لانه بهذا المعنى من احوال
النابذ وليس من اوصاف المنبوذ اليه حتى يصح كونه حالا منه بخلاف ما اذا كان مستويا في الخوف
او في العلم بنقض العهد فانه يصح ان يوصف به النابذ والمنبوذ اليه فيصح ان يكون حالا من كل
واحد من النابذ والمنبوذ اليه او منهما جميعا قوله على طريق الاستيناف متعلق بقوله تعليل
كانه قيل لم امرتنا بذلك ونهيتنا عن المحاربة قبل نبذ العهد فاجيب ثم انه تعالى لما امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بان يفعل في حق من يظفر به في الحرب ممن آذاه ونقض عهده مرة بعد اخرى
ما يشرد به من خلفه قال في حق من لم يظفر به يوم بدر وغيره عن معارك القتال الذين
آذوه وبالغوا في عصيانه خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا
انهم لا يعجزون من قرأ بتاء الخطاب كسر سين تحسبن اي لا تظنن يا محمد الكافرين الذين سلموا
الآن سابقين فائتين عنا لا يلحقهم عذابنا بعد هذا الوقت فانهم لا يعجزوننا فيما يستقبل
من الاوقات بل نعذبهم في اي وقت اردنا تعذيبهم والمقصود تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن قرأ بياء الغيبة فتح سين تحسبن واسند الفعل الى ضمير احد او ضمير من خلفهم اي لا تحسبن
احدا ولا تحسبن من خلفهم الكافرين سابقين او الى الموصول المذكور بعده فيكون اول

قوله لانا حرب لهم لا
نا جلهم في المحاربة بان
نحاربهم قبل ان نظهر لهم
نبذ العهد ونخبرهم اخبارا
مكشوفا بينا انك قد
قطعت ما بينك وبينهم
فانا الان حرب لهم
على توهمهم بقاء العهد
خيانة منك مسلمة

[illegible]

مفعول يحسبن محذوفا وهو انفسهم حذف بها عن تكرار ذكرهم اي لا يحسبن الذين كفروا انفسهم
سابقين ويحتمل ان يكون محلها على حذف ان المصدرية وابقاء صلتها كما في قوله وتسمع بالمعيدي خير
من ان تراه وقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويكون
تقدير الآية لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فيكون ان المصدرية مع ما في حيزها سادة مسد
المفعولين ومن هذا القبيل قوله ومن اياته يريكم البرق اي ان يريكم وقوله افغير الله تامروني
اعبد اي ان اعبد ولعل المراد بنقل المص وهو ضعيف كونه قليل الورود في كلام العرب فقوله
او على تقدير ان سبقوا معطوف على قوله والمفعول الاول محذوف والمعنى على ان الفاعل الذين كفروا
على ان يكون المفعول الاول المحذوف وهو انفسهم او على ان يكون التقدير ان سبقوا سادا مسد المفعولين
قوله او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون اي ويحتمل ان يكون فاعل يحسبن قوله الذين كفروا
بناء على ان يكون قوله انهم لا يعجزون سادا مسد المفعولين على قراءة من قرا بفتح همزة
انهم فيكون كلمة لا في قوله لا يعجزون مزيدة ليصح المعنى ويكون سبقوا في محل النصب على انه حال عن
الفاعل بمعنى سابقين منفلتين هاربين والاظهر على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى الذين
كفروا ان يكون المفعول الاول محذوفا ويكون قوله انهم لا يعجزون بفتح الهمزة علة للنهي عن الحسبان
بتقدير لام العلة اي لانهم لا يعجزون فلا يحتاج الى جعل كلمة لا صلة قوله ولا يجدون طالبهم
عاجزا عن ادراكهم على ان همزة الاعجاز لوجود المفعول على فاعلية اصل الفعل وهو العجز كما تقول
اجلته اذا وجدته بخيلا ولما كان وجدانهم الطالب عاجزا متفرعا على فواتهم عنه مستلزما له
اعتبر عدم فواتهم عن الله تعالى في مفهوم قوله لا يعجزون على طريق اعتبار اللازم في مفهوم الملزوم قوله
الا انه تعليل على سبيل الاستيناف المبني على تقدير السوال فتكون الجملة المصدرة بكلمة ان المكسورة جوابا
لذلك السوال ولا تكون علة للنهي المذكور قبلها من حيث ان الكلام يتم عند ذكر مفعولي فعل الحسبان
قوله ولعل الآية يعني قوله ولا يحسبن الذين كفروا الآية ازاحة للوهم الذي يحذر ويتحرز
بسبب من نبذ العهد وايقاظ العدو فانه تعالى لما امر بنبذ العهد والتصريح به قبل المحاربة خطر بالبال
ان يقال كيف نوقظ العدو ونعلمهم بطرح العهد اليهم قبل المحاربة مع انهم ان علموا ذلك اما ان
يتاهبوا للقتال ويجمعوا اقصى ما يمكن لهم من اسباب التقوي والغلبة او يفروا ويتخلصوا وعلى
التقديرين يفوت المقصود وهو الانتقام منهم واما يمكن لصحة المحاربة معهم بغير نبذ العهد اليهم و
اعلامهم به ظهور امارات الخيانة منهم فازاح الله تعالى هذا المحذور بقوله ولا تحسبهم سبقوا فانهم
لا يفوتون ولا يعجزون واعلم ان النبذ انما يجب على الامام اذا ظهر خيانة المعاهدين بامارات ظنية
واما اذا ظهر انهم نقضوا العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة الى نبذ العهد كما فعل رسول الله صلى الله

مولا وان لا لا وعلى ان لا صلة اي زائدة وتسمى حروف الزيادة حروف الصلة لانه يتوصل بها الى زيادة الفصاحة وهي تزيين اللفظ وانما ... الوزن فلا تظن زيادة لا فهو ... ما منعك ان لا تسجد فوله لئلا يعلم ويؤيد هذا الوجه قراءة انهم يعجزون بحذف لا سنان

عليه الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم قوله
من نكل المشركين اي شهر بهم النكال بتفريق جمعهم واحدا كان او كثيرا ثم انه تعالى لما امر
بمحاربة الكفار وان يشرد بهم من خلفهم امر بعده باعداد ما يتقوى به على المحاربة من الخيل و
السلاح ونحوهما فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة اي ما استطعتموه حال كونه مما
يتقوى به في الحرب والحصر المستفاد من تعريف الطرفين في قوله عليه الصلوة والسلام الا ان القوة
الرمي من قبيل حصر الكمال لان الرمي اكمل افراد ما يتقوى به في الحرب كما في قوله عليه الصلوة والسلام
الحج عرفة والتوبة الندم فان افعال الحج ليست بمنحصرة في الوقوف بعرفة وكذا التوبة ليست
بمنحصرة في الندم بل يعتبر فيهما امور اخر غير الوقوف والندم وكذا يعتبر فيما يتقوى به في الحرب امور اخر
غير الرمي قوله فعال بمعنى مفعول كلباس بمعنى ملبوس وكتاب بمعنى مكتوب فرباط الخيل بمعنى حبل مربوط
فاضيف الصفة الى موصوفها بحسب بناء على جعلها من قبيل اضافة العام الى الخاص للبيان والتخصيص
والتخصيص كخاتم فضة قوله او مصدر سمي به على انه مصدر الثلاثي مثل صاح صياحا فانه يقال ربط
ربطا ورباطا فان مصادر الثلاثي ليست قياسية او على انه مصدر فاعل نحو رابط يرابط مرابطة
ورباطا ويجوز ان يكون المصدر باقيا على اصل معناه ويكون المعنى ومن ربط الخيال واقتنائها للغزو
ولم يتعرض له المص قوله او جمع ربيط بمعنى مربوط عطف على قوله فعال بمعنى مفعول كما قبله قوله
وعطفها على القوة يعني انه من قبيل عطف الخاص على العام للاشارة الى شرف الخاص وبلوغه
حيث لا يعد من افراد العام كما عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة لذلك فان رباط الخيل من جملة ما
يتقوى به في الحرب كما ان جبرئيل وميكائيل من جملة الملائكة قوله ترهبون به حال من فاعل
اعدوا اي اعدوا لهم الذي استطعتموه حال كونه مما يتقوى به وحال كونكم مرهبين به عدو الله
ويجوز ان يكون حالا من مفعول اعدوا وهو الموصول اي اعدوه مرهبا به والضمير في قوله به يجوز ان
يرجع الى مفعول اعدوا وهو الموصول وان يرجع الى الاعداد فتعين كون ترهبون حالا من الفاعل
والاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة روي ان الصحابة كانوا يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف
لكونها اقوى على الكر والفر ويختارون اناث الخيل عند البيات والغارات صهيلا وحدة بحرنا كذا
وقع في نسخة الروضة بعد قوله لقلة صهيلها قال النبي صلى الله عليه والسلام الخيل معقود في نواصيها
الخير الى يوم القيمة الاجر والغنم وقال عليه الصلوة والسلام من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا
وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة قوله لا تعرفونهم باعيانهم
حمل العلم بمعنى المعرفة اذ لم يذكر له الا مفعول واحد ولو كان على اصل معناه لتعدى الى اثنين
ولما كانت المعرفة تتعلق بالذوات دون النسب قال لا تعرفونهم باعيانهم ولو كانت متعلقة

بالنسبة الى العلم النفيل تعرفونهم من حيث كونهم اعداء الا ان جعل العلم بمعنى المعرفة وان كان صحيحا في قوله لا تعلمونهم لكنه لا يصح في قوله الله يعلمهم لما صرح به العلماء من ان المعرفة تستدعي سبق الجهل فلا يجوز اسنادها الى الله الا ان يراد بالمعرفة في حقه تعالى مجرد تعلق علمه بالذوات دون النسب مع قطع النظر عن كونها مجهولة قبل تعلقه بها **قوله** ومنه الجناح فانه سمي جناحا لكون الطائر يميل به الى احد جهتيه شاء ويعدى باللام والى فيقال جنح له والبه انث ضمير السلم مع انه مذكر لحمله على نقيضه الذي هو الحرب وهي مؤنث سماعي لحمل السلم عليها في التانيث كما في قول من قال السلم تأخذ منها **قوله** والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم فانه قد مر ان قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة المراد بهم يهود قريظة وانه تعالى امر ان يشرد بهم من خلفهم حين اظفره بهم وامر ان ينبذ اليهم ما يتقوى به في الحرب ونهى عن الخروج للحرب بدون القوة والاستطاعة بجميع اسبابها من الالات التي هي تقدر على الفعل واما القوة التي هي علة للفعل فانها مع الفعل فلما امر باعداد الالة والقوة للمقاتلة منهم قال بعده وان مالوا الى الصلح فصالحهم فتكون الاية مخصوصة باهل الكتاب ولا تكون منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الاية عامة وان الامر في قوله تعالى فاجنح لها للاباحة وان الامر فيه مفوض الى رأي الامام وليس يجب عليه ان يقاتلهم ابدا ولا ان يسعفهم الى الصلح عند طلبهم ذلك ابدا بل يبني الامر على ما فيه صلاح المسلمين فاذا كان للمسلمين قوة ينبغي ان لا يصالح ويبني ان يحاربهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية وان رأى المصلحة في المصالحة ومال اليها لا يجوز ان يصالحهم سنة كاملة الا اذا كانت القوة والغلبة للمشركين فح جاز ان يصالحهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة عام الحديبية عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل تمام المدة وكان ذلك سببا لفتح مكة **قوله** ولا تخاف من ابطالهم غدا عاقبة ان يطلبوا الصلح **قوله** اذا وجدت من المكارم حسبكم الحجكم وكافيكم وهو مفعول ثان لوجدت وان تلبسوا مفعول الاول والحر من كل شيء اكرمه ودون خز لثياب بالخا والزاي المعجمتين وهي الثياب المعمولة من الابريسم وما بعد البيت فاذا ذكرت المكارم مرة في مجلس انتم به فتقنعوا اي غطوا وجوهكم بحيائكم ونقول كفاكم من المكارم لبس الثياب الناعمة واكل المطعومات الطيبة واذا ذكرت المكارم في مجلس انتم به فغطوا وجوهكم من الحياء **قوله** يا ايها النبي حسبك الله الاية ليس تكرارا لما سبق لان ما سبق وعد له عليه الصلاة والسلام بالنصر عند ارادة العدو ان يخدعوه بطلب الصلح وهذه الاية وعد له بالنصر والظفر مطلقا قيل هذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال والمراد بمن اتبعك من المؤمنين الانصار وعن

قوله فخر ان الثياب الخز من الشيء اعلفة واحسنه وحسبكم بمعنى محسبكم وبروي الخز بالحاء والراء المعجمتين وهو الخز من الابريسم مصوف بالحذ بهم بان همهم مقصورة على طلب الاداود اللقمة واللبس البهيمة فهم لكام لبس احسن ثياب المكارم والخبرات فاذا ذكرت المكارم مرة في مجلس انتم به فتقنعوا تقنعوا ان تستروا وتغطوا وجوهكم من الحياء

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فتم عدد المسلمين باسلامه اربعين من الرجال والنساء فنزلت هذه الاية فعلى هذه الرواية تكون هذه الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين اشارة الى ان النصر والتأييد وان كان من عند الله وحده الا ان ذلك على قسمين احدهما ما يحصل من غير واسطة واسباب معلومة وثانيهما ما يحصل بواسطة الاسباب المعتادة فاشار تعالى الى الاول بقوله ايدك بنصره اي بنصره من غير واسطة سبب معلوم مشاهد والى الثاني بقوله وبالمؤمنين اي جميعا لا بالانصار بانفرادهم كما قيل ثم انه تعالى بين كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم الاية فانه عليه الصلوة والسلام بعث الى قوم شديد الانفة عظيم الحمية حتى لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عن قبيلته حتى يدركوا ثاره فكان دأبهم الخصومة الدائمة والمحاربة المستمرة بقتل بعضهم بعضا واغارة بعضهم بعضا لا يتوقع ان يقع بينهم الالفة والاتفاق ابدا فالف الله تعالى بين قلوبهم حتى صاروا كنفس واحدة بان بعث فيهم رسولا بشرا بالجنة النعيم لمن اطاعه ومنذرا بنار الجحيم لمن عصاه فآمنوا بالله تعالى ورسوله واليوم الاخر فتحولوا عما فيهم من الاحوال القبيحة والاخلاق السبعية الى الخصال الحميدة والاخلاق المرضية فكان جل همتهم ومطمح نظرهم طاعة الله وطاعة رسوله فصاروا بنعمة الله اخوانا متحابين متفقين على اظهار دين الله ونصر اعدائه متعاضدين لشرعه متفقين على طاعته ومجتنبين عن مخالفته وعصيانه فلما كانوا انصار دين الله كان عليه الصلوة والسلام مؤيدا بهم والحكمة فيه ان المحبة انما تتعلق بالمحبوب عند تصور خير وكمال فيه ثم ان الخيرات والكمالات على قسمين احدهما الخيرات والكمالات الدائمة الباقية وثانيهما الكمالات الشبدلة المتغيرة وهي الكمالات الجسمانية والخيرات الحسية البدنية فالمحبة المبنية على مثل هذه الكمالات سريعة الزوال فان الانسان متى تصور ان له في صحبة زيد مالا عظيما وجاها خطيرا انه يخطر بباله ان ذلك المال والجاه لا يحصل فيبغض لان المحبة لما كانت تابعة معللة بتصور الكمال وكان ذلك الكمال سريع الزوال والانتقال كانت المحبة المتفرعة عليه سريعة التبدل والزوال بخلاف ما اذا كان موجب المحبة تصور الكمالات الباقية المقدسة من التغير والزوال فان المحبة تكون باقية آمنة من التغير والزوال فان حال المعلول في البقاء والتبدل تابع لحال العلة وهذا هو المراد بقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اذا تقرر هذا فنقول كانت العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبين للمال والجاه والمفاخرة بهما وكانت المحبة الواقعة بينهم معللة بهذه العلة فلا جرم كانت تلك المحبة سريعة الزوال وكانوا بذلك السبب يقعون في الحرب والفتنة فلما جاءهم الرسول عليه الصلوة والسلام

ودعاهم الى عبادة الله والاعراض عن الدنيا والاقبال الى الاخرة وقبلوه زالت الخشونة
والخاصمات التي بينهم وصاروا اخوانا متوافقين ثم بعد وفاته عليه الصلوة والسلام فتحت عليهم
ابواب الدنيا وتوجهوا الى طلبها والرغبة فيها فعادوا الى المعاداة والمحاربة وهذا السبب الحقيقي
في كثرة وقوع الخلاف بين اهل الدنيا ودوام الالفة والمحبة بين اهل الله وطلاب الاخرة قوله وقيل
الآية في الاوس والخزرج عطف على ما بينهم من قوله وبالمؤمنين جميعا ذكر في اعراب قوله ومن اتبعك
ثلثة اوجه الاول ان يكون الواو فيه بمعنى مع ويكون كلمة من في محل النصب على المعية كقولك حسبك وزيدا درهم
والمعنى كافيك كافي من تبعك من المؤمنين الله ناصرا يقال اشتجر القوم وتشاجروا اي تنازعوا
والقنا جمع قناة وهي الرمح والمهند السيف المصنوع من حديد الهند وروي ان المصرع الاول هكذا
اذا كانت الهيجاء وانشقت العصى والانشقاق عبارة عن المخالفة وافتراق الكلمة والهيجاء الحرب تمد
وتقصر والثاني ان يكون الواو عاطفة ويكون كلمة من في محل الجر عطفا على الكاف في حسبك فان حسبك
مبتدأ مضاف الى الضمير المكني به عن المخاطب وهذا مبني على ما ذهب اليه الكوفيون من جواز العطف
على الضمير المجرور من غير اعادة الجار فانه يجوز عندهم ان يقال مررت بك وزيد ولا يجوز ذلك عند البصريين
الا باعادة الجار فانهم يقولون مررت بك وبزيد وحسبك الله وحسب من اتبعك الثالث انه في محل الرفع
عطفا على اسم الله اي يكفيك الله والمؤمنون والكافي الحقيقي هو الله تعالى واسناد الكفاية الى المؤمنين
لكونهم اسبابا ظاهرة لكفاية الله تعالى قوله واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت
اي يذيب لحمه ويضعفه يقال نهكت الثوب انهكه نهكا من باب فتح يفتح اي لبسته حتى خلق ونهكته
الحمى اذا جهدته واذابت لحمه ويقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه وقرب منه والحرض الذي اكله
اذابه الحزن او العشق وهو في معنى محرض وقد حرض بالكسر واحرضه الحب اي افسده فالحرض
القرب من الهلاك وما يسمى حتى يكون حرضا او يكون من الهالكين والتحريض على الشيء ان يحث الانسان
غيره ويحمله على شيء حتى يعلم منه انه ان تخلف عنه كان حارضا اي قريبا من الهلاك فتكون الآية امرا
الى المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على القتال لكانوا حرضين
مشفين على الهلاك قوله شرطية في معنى الامر يعني ان الآية وان كانت على صورة الاخبار بان
الواحد يغلب العشرة الا ان المراد منه الامر بالمصابرة والاجتهاد في القتال والوعد بانهم ان
صبروا غلبوا اخبر عليه انه لو كان المراد منها الاخبار لزم ان لا يغلب مائتان من الكفار عشرين
من المؤمنين قط ومعلوم ان الامر ليس كذلك وان قوله تعالى الآن خفف الله عنكم نسخ والنسخ اليق
بالامر منه بالخبر وان قوله تعالى والله مع الصابرين ترغيب في الثبات على الجهاد وهو لا يلائم الاخبار
ثم انه تعالى اثبت في الشرط الاول قيد الصبر وحذف قيد كون العدو من الذين كفروا وحذف في

اذا كانت الهيجاء
هو لكثير اذا كانت الهيجاء بالمد
واشتجر القنا الهيجاء الحرب
وقد يقصر واشتجروا
تنازعوا والقنا بالقصر
جمع قناة وهي الرمح واشتجار
القنا اختلاطها وهو كناية
عن قيام الحرب وتداخلها
فحسبك اي كافيك سيفا
مهندا اي مصنوعا في الهند
اشتهر سيفه بالجودة و
الحدة وقيل اي مصنوعا
من حديد هندي حتى نسبه الى
ويروى المصراع الاول
هكذا اذا كانت الهيجاء
وانشقت العصا انشقاق
تفرق الجماعة واختلافهم
بقول اذا كانت يوم الحرب
وحمي الوطيس ووقع الخلاف
بينكم مع الضحاك حسبك
مهند سنان

في الشرط الثاني قيد الصبر مبين كون العدو من الذين كفروا على عكس الاول فحذف من كل واحد منهما
ما اثبت في الآخر وهو في غاية الفصاحة قوله في قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر يكن بتاء التأنيث
نظرا الى تأنيث المائة في الآيتين وهما قوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا وقوله وان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين ووافقهم البصريان وهما ابو عمرو ويعقوب في الآية الثانية وهي قوله
وان يكن منكم مائة صابرة بتأنيث لفظ المائة وقرآ الآية الاولى وان يكن بتذكير الفعل للفصل
بين الفعل وما علق بقوله منكم ولان تأنيث المائة ليس بحقيقي اذ المراد بالمائة الذكور وقرأ الكوفيون
وان يكن منكم بتذكير الفعل فيهما لما ذكر واما قوله تعالى وان يكن منكم عشرون وان يكن منكم الف
فجميع القراء اتفقوا على تذكير الفعل فيهما في عبارة المص نوع ايهام قوله بسبب انهم جهلة
بالله واليوم الآخر يعني انه علة لغلبة الواحد العشرة وذلك ان من اعتقد ان لا حيوة الا
هذه الحيوة الدنيا فانه يشح بها ولا يعرضها للزوال واما من اعتقد ان الحيوة المعتبرة ما يكون
في الدار الآخرة فانه لا يبالي بهذه الحيوة العاجلة ويصرفها الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة
فيقدم على الجهاد بقلب قوي وهمة صادقة فيقاوم الواحد من مثله العدد الكثير ممن لا يؤمن باليوم
الآخر وحيوة الآخرة ووجوب ثبات الواحد العشرة كان في الابتداء روي عن ابن عباس انه قال
كتب عليهم ان لا يفر الواحد من العشرة ثم خفف عنهم وامروا بان لا يفر واحد من الاثنين قال
الامام محيي السنة كان هذا يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من
الكافرين فثقلت على المؤمنين فخفف الله عنهم وروي عن عطاء عن ابن عباس انه لما نزل
التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا ربنا نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة و
عدونا في اهليهم ونحن اخرجنا من ديارنا واموالنا وعدونا ليس كذلك قوله وتكرير المعنى الواحد
الجواب عما يقال لم كرر معنى ثبات الواحد للعشرة في التكليف الاول بذكر عددين متناسبين
في افادة ذلك المعنى وهما ثبات العشرين للمائتين وثبات المائة للالف وكرر ايضا معنى الواحد
للاثنين بذكر ثبات المائة للمائتين وثبات الالف للالفين وتقرير الجواب ظاهر فالذي استقر عليه
حكم التكليف بهذه الآية ان كل مسلم بالغ مكلف وقف بازاء مشركين عبدا كان المسلم او حرا
فالهزيمة محرمة عليه ما دام معه سلاح يقاتل به فان لم يبق معه سلاح فله ان ينهزم وان قابله
ثلثة حلت له الهزيمة والصبر احسن روي انه وقف جيش ثلثة الاف من المسلمين في غزوة مؤتة وقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة عليهم وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن ابي طالب
وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة مع مائتي الف من المشركين مائة الف من الروم ومائة الف
من المستعربة وهم لخم وجذام ثم انه تعالى علم حكما من احكام الغزو والجهاد في حقه عليه الصلوة والسلام

تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى دخل لفظ كان على يكون لان الاول ناقصة والثاني تامة
والمعنى لم يكن لنبي من الانبياء ان يثبت له اسرى وهو جمع اسير كجرحى جمع جريح واسارى جمع
الجمع وكلمة حتى في قوله حتى يثخن في الارض لانتهاء الغاية فدل الكلام على انه ان يقدم على الاسر
والفدا بعد حصول الاثخان وهو مشتق من الثخانة وهي الغلظة والكثافة في الاجسام ثم استعير
في كثرة القتل والمبالغة لان الامام اذا بالغ في القتل يكون العدو كشيء ثقيل يثبت في مكانه ولا يقدر
على الحركة يقال اثخنه المرض اذا اضعفه واثقله وسلب اقتداره على الحركة **قوله** وقرا البصريان وهما
ابو عمرو ويعقوب ان تكون بتانيث الفعل لكونه مسندا الى اسرى وهو جمع في تاويل الجماعة والباقون
بتذكير الفعل اعتبارا للفظ الجمع دون معناه فان تانيث اسرى غير حقيقي لان المراد بهم الذكور
واسند الفعل الى ظاهره وفي مثله جاز تذكير الفعل وتانيثه ومع هذا قد وقع الفصل بين الفعل وفاعله
بقوله له وكل واحد من هذه الامور اذا انفرد يجوز تذكير الفعل وتانيثه وعند اجتماع الكل يكون اولى
والحطام ما تكسر من اليبس عبر عما اخذوه من الفداء بالعرض لان منافع الدنيا وما يتعلق بها
لا ثبات لها ولا دوام فصارت كانها تعرض ثم تزول ولذلك سمى المتكلمون الاعراض اعراضا لما
ان لا ثبات لها كثبات الاجسام بل تطرا على الاجسام فتزول عنها والاجسام باقية بحالها **قوله**
فلم يهوانا لم يحب ما تحب يهوى يهوى يعني احب من باب علم **قوله** فخير اصحابه بان قال لهم ان شئتم
قتلتموهم وان شئتم اطلقتموهم بان خلوا منهم الفداء الا انه يستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ
الفداء فاستشهدوا يوم احد بسبب قولهم هذا واخذهم الفداء وكان فداء كل اسير عشرين
اوقية وفداء العباس ستين اوقية عشرون لنفسه واربعون لابني اخويه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث وكان العباس وابو طالب والحارث اخوة ابناء عبد المطلب والاوقية
اربعون درهما في الدراهم وستة دنانير في الدنانير **قوله** والقوه عرض على عذابهم ادنى من هذه
الشجرة اي حال كون ذلك العذاب اقرب اليهم من قرب هذه الشجرة التي والظاهر انه عليه الصلوة و
السلام اشار الى ما نزل بهم يوم احد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الغنائم
حراما على الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل
نار من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المؤمنون في الغنائم واخذوا فداء الاسرى
فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم جعل سبق الكتاب الالهي مانعا
من مس العذاب بهم وقال انهم استحقوا ان يمس بهم العذاب لكنه لم يمسهم لسبق ذلك الكتاب
وذلك الكتاب اما حكم الله الذي اثبته في اللوح بان لا يعذب من اخطا في اجتهاده او بان لا
يعذب من فعل محرما في حكم الله الا انه تعالى لم ينزل ما يدل على حرمته صريحا كاهل بدر فانه تعالى ما

نالهم من اخذ الفدية صريحا غير ان الفدية كانت من جملة الغنائم وانها حرام على الامم السالفة
فلما اخذوها قبل ان يؤذن لهم باخذها جعل الله تعالى سببا لاستحقاق العذاب وجعل عدم التصريح
بالنهي عنه مانعا لمس العذاب بهم فالاية على هذين الوجهين تدل على حرمة اخذ الفداء ويكون عدم
تعذيب من ارتكبها اما للحكم الذي اثبته الله تعالى في اللوح وهو حكمه بان لا يعذب من ارتكب ما هو محرم
عند الله بناء على الخطا في اجتهاده او بناء على انه لم يصرح بالنهي عنه وان كان المراد بالحكم الذي سبق
اثباته في اللوح ان الفدية التي اخذوها حلال لهذه الامة وانه سينزل عليهم اية تحليلها كما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير الاية لولا كتاب من الله سبق في تحليل الغنائم لكم لاصابكم
العذاب اي بسبب انهم اخذوا الفداء من اسارى بدر قبل ان ينزل اية تحليله وقبل ان يؤمروا باخذه
يكون مدلول الاية حل اخذها لهم وانهم انما عوتبوا لاخذهم اياها قبل ان يتبين لهم حلها لانهم ما لم يتبين
لهم حلها كان الظاهر عندهم بناء الحرمة السابقة واستحقاقهم العقوبة باخذها لشك حرمة ما حرم عليهم
ظاهرا الا ان حرمة الاخذ لما كانت ساقطة عند الله تعالى صادف الشك محلا لا حرمة له في علم الله تعالى
فسقط عقوبته بشك الحرمة لذلك ولم يبق الا استحقاقهم للعتاب لشكهم الحرمة الباقية ظاهر الحكم
الاستصحاب وقيل في تفسير الاية لولا انه تعالى حكم في الازل بالعفو عن هذه الجريمة لمسهم عذاب عظيم
قوله لا نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ فيه دليل على انه لم يكن احد من المؤمنين ممن حضر بدرا
الا احب اخذ الفداء غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهم اجمعين **قوله** وفائدته اي فائدة قوله
حلالا ازاحة ما وقع في نفوسهم منه اي حل المغنوم **قوله** بسبب متعلق بقوله وقع فان من سمع
العتاب المذكور يقع في قلبه اشتباه في امر حله **قوله** او حرمتها عطف على الضمير المجرور في منه بدون
اعادة الجار فانه جائز عند الكوفيين وذكر ضمير منه وانث ضمير حرمتها مع رجوعهما الى الموصول في
قوله ما غنمتم نظرا الى الاعتبارين المغنوم والغنيمة فانه وقع في نفوس من سمع قوله تعالى لولا كتاب
من الله سبق حرمة الغنيمة نظرا الى الوجهين الاولين واشتباه امر حلها نظرا الى الوجه الثالث
قوله نزلت في العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان اسر يوم بدر وكان
احد العشرة الذين ضمنوا اطعام من خرج من مكة لحماية العير وكان يوم بدر نوبته وكان خرج
بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها الناس فوقع القتال قبل ان يطعم بها وبقيت العشرون اوقية
معه فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم في ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى
وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك ومع ذلك كلفه فداء نفسه وابني اخويه الخ
قوله قال العباس فابدلني الله تعالى خيرا منه اي انه تعالى انجز ما وعده بقوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم حيث رزقني الآن عشرين عبدا الخ والاية وان نزلت في حق العباس خاصة

اي بحقيق الكفر وبذله عند الفتح واشاعته وبعز الاسلام بقهر اعدائه ثم يجوز له الاسر بعد ذلك ولهذا كان لكثير المسلمين وانبسط في اقطار الارض انزل قوله تعالى فاما منا بعد واما فداء سه

[illegible]

قاله لما اخذ الفداء من الاسارى شق ذلك عليهم فنزلت استمالة لهم

الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل انها نزلت في حق جملة الاسارى وهو الظاهر
لعموم قوله لمن في ايديكم وقوله من الاسرى وقوله في قلوبكم ويؤتكم مما اخذ منكم ويغفر لكم بلفظ الجمع
في الجميع **قوله** نقض ما عاهدوك عليه من الاسلام بالارتداد الى دين ابائهم فان هذه الآية ذكرت
في مقابلة قوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا الاية وقد فسر فيه بالايمان فينبغي ان تفسر الخيانة في
هذه الاية بالارتداد لان من اسلم على يده عليه الصلوة والسلام فقد عاهده على الثبات عليه
ونقض العهد خيانة وحاصل المعنى قل للاسرى ان اتيتم عن اخلاص يؤتكم الله في الدنيا والآخرة
خيرا وان نقضتم العهد وارتددتم الى دين آبائكم فترون ما رأيتم يوم بدر وفي ايقاع قوله فقد
خانوا الله من قبل توبيخ وتقريع بهم بانهم نقضوا الميثاق المأخوذ على كل عاقل في الازل بقوله الست
بربكم قالوا بلى **قوله** فامكن منهم اي اقدر المؤمنين عليهم يقال امكنه من الشيء وامكنه منه اي اقدره
عليه فتمكن منه ثم انه تعالى لما ذم الخائنين الناقضين للعهد مدح بعدهم المهاجرين والانصار
وقال في حقهم اولئك هم المؤمنون حقا وقال والذين امنوا وهاجروا الى قوله اولئك بعضهم اولياء
بعض قال اكثر المفسرين وتفسيره انه يتولى بعضهم بعضا في الميراث فان الاولياء جمع ولي
كصديق واصدقاء والولي من الولي بمعنى القرب والدنو كانه قيل بعضهم اقرباء بعض لا قرابة
بينهم وبين من لم يؤمن ولا بين من آمن ولم يهاجر كان التوارث في الابتداء بالهجرة والنصرة
لا بمجرد القرابة فكان لا يرث المهاجر من غير المهاجر ولا غير المهاجر من المهاجر وان كانا قريبين
مسلمين وكان كذلك الى ان فتحت مكة فسقطت فرضية الهجرة ونزل قوله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله اي اولى بميراث بعض من الاجانب فجعل التوارث بين
المسلمين اولا منوطا على التظاهر والتناصر وثانيا على القرابة قسم الله من آمن في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اربعة اقسام وذكر حكم كل واحد منهم القسم الاول من آمن بمكة في زمن
رسول الله وهو بمكة ثم انه اذا انتقل من مكة الى المدينة وافقه في تلك الهجرة والقسم الثاني من
بقي بمكة ولم يوافقه في تلك الهجرة والقسم الثالث الانصار الذين بذلوا النفس والمال في خدمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح مهمات اصحابه لما هاجر عليه الصلوة والسلام اليهم مع طائفة
من اصحابه والقسم الرابع من مؤمني زمانه عليه الصلوة والسلام هم الذين آمنوا من بعد و
هاجروا وجاهدوا مع جملة من جاهد من الصحابة واختلفوا في قوله تعالى من بعد فروى الواحدي
عن ابن عباس رض انه قال يريد الذين هاجروا بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل المراد
بعد نزول هذه الاية وقيل يوم بدر قال الامام والاصح ان المراد بعد الهجرة الاولى **قوله** اي بالنصرة
والمظاهرة عطف على قوله في الميراث فقوله بعضهم اولياء بعض اي انصاره واعوانه على الوجه
بمعنى

بمعنى الناصر بين الله تعالى ان فريقي المهاجرين والانصار بينهم الموالاة والمظاهرة بمعنى ان كل فريق
صاحبه ويهتم بشأنه ويخصه بمعاونته ومظاهرته والاية وان كانت في صورة الخبر الا ان المراد
بها الامر اوجب الله تعالى على كل واحد من الفريقين موالاة الآخر ومواساته ومواخاته فلذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة آخى بين المهاجرين والانصار فجعل كل واحد من المهاجرين
اخا لواحد من الانصار فباشروا على ما تقتضيه الاخوة حتى جعل كل انصاري شطر ماله لاخيه
المهاجري وربما يكون لرجل من الانصار امرأتان فيعرضهما على اخيه من المهاجرين على ان يتنزل
له عن احديهما شاء فكان التوارث في الابتداء بهذه المواخاة دون القرابة التي لم تكن مع الهجرة
الا ان من جعل الولي بمعنى الناصر يقول اوجب الله تعالى بهذه الاية على كل واحد من الفريقين المذكورين
ان يوالي الآخر وينصره ويكون عونا ظهيرا له ولا يخذله عند احتياجه الى المعاونة والنصرة الا ان
المفسرين لم يحملوا الولاية ههنا على الولاية بمعنى التعاون والتظاهر بناء على ان الولاية المثبتة
في هذه الاية هي الولاية المنفية في قوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء و
الولاية المنفية فيه ليست بمعنى النصرة لانه تعالى اوجب علينا نصرتهم اذا استنصرونا على عدوهم
من الكفار الذين ليس بيننا وبينهم عهد وميثاق حيث قال وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فحيث لا تنتقض العهد الواقع بيننا وبين هؤلاء القوم بان ننصر من لم
يهاجر الينا من المؤمنين على هؤلاء القوم فلما وجب علينا نصرهم امتنع ان تكون الولاية المنفية
بمعنى النصرة فلا تكون الولاية المثبتة في هذه الاية ايضا بمعنى النصرة فلذلك حملها المفسرون
على الولاية في التوارث غاية ما في الباب ان يكون الحكم بالتوارث منسوخا بسقوط فرضية الهجرة
قوله تشبيها لها بالعمل يريد ان المصدر الذي يجيء على فعالة بكسر الفاء انما يكون في الصناعات
الراسخة بمزاولة العمل كالكتابة والخياطة والزراعة والحراثة والتجارة والقصارة والصياغة
والحياكة والولاية ليست مما يحصل بمزاولة العمل الا على سبيل التشبيه فان حال الولي الذي يتولى
في نصرة اياه ومعاونته له في مهماته كحال من يزاول العمل فشبهت الموالاة بمزاولة العمل ثم استعير
اسم الولاية بالكسر للنوع المذكور ثم انه تعالى لما بين ان حكم المؤمن الذي لم يهاجر انقطاع الولاية
بينه وبين المؤمنين توهم انه يجب ان يتحقق بينهم التقاطع التام كتحققه بينه وبين الكفار
ازال هذا الوهم بقوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر اي يجب عليكم نصرهم على من يعاديهم
في الدين ولا تخذلوهم الا اذا كان من يعاديهم ويحاربهم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق اي عهد
موثوق حيث يجب عليكم الوفاء بالعهد وترك المحاربة معهم فلا يلزمكم نصر الذين امنوا ولم يهاجروا
عليهم **قوله** وهو بعمومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين يعني ان منطوق

قوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اثبات الموالاة بين الكفار ليسوا بجاطبين
بفروع الايمان فالمراد منه نهي المسلمين عن موالاتهم ومواريثهم لان الموالاة بينهم مرتبة على
التناسب في الكفر كما انها بين المؤمنين مرتبة على التناسب في الايمان والمفهوم عدم الموالاة
حيث لا مناسبة فيلزم انتفاء موالاة المومنين والكافرين في التوارث ووجوب تحقق المنافرة
والمباعدة بينهم وان وجد بينهم قرابة نسبية وقوله الا مركب من كلمتين ان التي هي اداة الشرط
ولا التي للنفي ادغمت النون الساكنة في اللام فصار الا وحذف نونها لا اعراب من تفعلوه علامة
للجزم باداة الشرط والضمير المنصوب في قوله الا تفعلوه راجع الى جميع ما ذكر من الامر والنهي لان قوله
اولئك بعضهم اولياء بعض امر بتواصل المسلمين بالتوارث والموازرة وقوله والذين كفروا
بعضهم اولياء بعض نهي للمسلمين عن تواصل الكفار فقوله الا تفعلوه معناه ان لم تفعلوا ما
امرتم به ولم تنتهوا عما نهيتم عنه وهو مراد المص بقوله ان لم تفعلوا ما امرتم به وبيانه المامور به
بالتواصل بين المومنين والانقطاع عن الكفار وجعل الانقطاع عنهم مامورا به لا ما مر من ان
قوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يدل على ان الموالاة بين الكفار مبنية على التناسب في الكفر
ويلزم انه يجب التقاطع اذا انتفى التناسب **قوله** لا قسم المؤمنين اي الذين امنوا زمان
نبوته عليه الصلوة والسلام والمقصود بيان ان هذه الاية ليس تكرارا لقوله ان الذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم الى اخر الاية بناء على ان ذلك مذكور لبيان حكمهم وهو
انهم يتوارثون ويتولى بعضهم بعضا في الميراث وهذه الاية مذكورة لبيان ان الكاملين في الايمان
منهم المهاجرون الاولون والانصار وان الذين امنوا بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وهاجروا وجاهدوا واتبعوا القسمين الاولين فانهم ملحقون بهما والمهاجرون الاولون من حيث
انهم استبقوا الى عزة الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الانصار والمهاجرون على
طبقات منهم من هاجر معه عليه الصلوة والسلام او بعد هجرته قبل صلح الحديبية هم المهاجرون الاولون
ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة وهم اهل الهجرة الثانية ومنهم ذو هجرتين الهجرة الى الحبشة
والهجرة الى المدينة رضي الله عنهم اجمعين تمت سورة الانفال بعون الله تعالى وتوفيقه والحمد لله
حق حمده والصلوة والسلام على نبيه محمد واله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين
محمد وعلى اله واصحابه اجمعين روي ان سورة الانفال نزلت في بدر واخر اية نزلت يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة واخر سورة انزلت كاملة سورة براءة وانما نزلت على راس سنة من الهجرة

والبراءة معناه انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابراءة اي انقطعت بيننا العصمة ولم
يبق بيننا علقة ومنه برئت من الدين المقشقشة اي المبرئة من النفاق كما يبرأ المريض من الجرب
والمبعثرة اي المظهرة لاسرار المنافقين يقال بعثرت الشيء اي بعثته على وجه الاثارة الخبر
اشاعتها والتنقير عن الامر البحث عنه والتنقير ايضا التعيب يقال نقرت الرجل نقرا اي عبته
والدمدمة اي المهلكة يقال دمدم الله عليهم اي اهلكهم ونشر بهم القوم وفرق بهم حائفين فزعين
وسميت مخزية لما فيها من قوله وان الله مخزي الكافرين وفاضحة لانها فضحت اقواما يوم الحج
الاكبر بما انزل الله عز وجل كشفه من سيئاتهم وما كانوا يكتمونه من الغش في حق النبي صلى الله عليه وسلم
عن حذيفة رضي الله عنه قال انكم تسمونها سورة التوبة والله ما تركت احدا الا نالت منه يقال
نال منه اذا عابه وتنقصه يعني انه لم يذكر خيرا احد من فرق الناس من المشركين والمنافقين
واهل الكتاب والمؤمنين الا بولغ في تهديدهم وتخجيل شانهم على ما يظهر من تصفحها **قوله** لانها نزلت
لرفع الامان لانها نزلت لبيان براءة الله تعالى وبراءة رسوله من عهود المشركين وامانهم و
امهالهم اربعة اشهر ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم من
حل وحرم وانما لم يفتتح بسم الله الرحمن الرحيم في كتاب الامان والمصالحة لاشتماله على وصفه
بما يرحمه البالغة والبركة العامة الشاملة فلا يليق ان يفتتح به كتاب المحاربة والمقاتلة
حتى قيل انه كان من شان العرب في الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فارادوا نقضه كتبوا
اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى
الله عليه وسلم بكتابتها بغير بسملة وبعث بها علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقرأها عليهم في الموسم ولم
يبسمل على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة **قوله** لان في الانفال ذكر العهود وما فيها
قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله وما ابدا على تناسب السورتين ان كل واحد منهما
يبين الاحكام المتعلقة بالغزو والجهاد **قوله** وقيل يعني انه لما ظهر الاختلاف بين الصحابة في انهما
سورة واحدة او سورتان تركوا بينهما فرجة بناء على قول من يقول انهما سورتان وما كتبوا بينهما
بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على من يقول انهما سورة واحدة **قوله** اي هذه براءة الى يعني ان
قوله براءة خبر مبتدأ محذوف ومن لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية متعلقان بمحذوف
هو صفة الخبر اي هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول هذا كتاب من
فلان الى فلان وليس كلمة من صلة براءة كما في قولك برئت من فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدأ
لتخصصها بصفتها ويكون الى الذين خبر كقولك رجل من بني تميم في الدار **قوله** وانما علقت
البراءة بالله ورسوله يعني ان عقد المسالمة والمعاهدة لا يختص وصدر عن المسلمين كلا حق

في كتاب رفع الامان ظ

وان ليس ختم سورة الانفال بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه تعالى صرح بهذا المعنى في قوله براءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتاكيدا له وتقريرا جعلت هذه السورة كانها متصلة بها ولم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم لانه لو كتب بينهما لدل على كونهما سورتين متغايرتين ـــــ ا هـ

البراءة ان تنبذ اليهم خرفعقد الجواب نعم ان عقد المعاهدة قام بالمؤمنين الا انهم انما عاهدوا
بما اذن الله لهم في معاهدة المشركين بقوله فان جنحوا للسلم فاجنح لها وراى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها مصلحة فعاهدهم باتفاق المسلمين ولما كانت المعاهدة باذن الله واتفاق
الرسول مع المسلمين نسبت البراءة اليه تعالى للدلالة على انه كما اذن في المعاهدة اذن في رفعها و
انه يجب عليهم نبذها ونسبت المعاهدة الى الصحابة عن عاهدتم وان كان المتولي للعهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم باذن الله لكونهم راضين بفعله عليه الصلوة والسلام ومتفقين معه فصاروا بذلك
كانهم عاهدوا المشركين فخوطبوا بان الله اوجب عليهم نبذ عهودهم اليهم العضباء لقب ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العضب وهو القطع يقال جمل اعضب وناقة عضباء اذا كانت مشقوقة
الاذن قيل ليست تلك الناقة مشقوقة الاذن الا انه لقب بها والرغاء صوت ذوات الخف قوله
واما المشركين اي الناكثين منهم فاما الذين لم ينقضوا العهود ولم يظاهروا احدا على المؤمنين
فقد امر الله باتمام العهود بينهم الى المدة المعهودة حيث قال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الى قوله
فاتموا عهدهم الى مدتهم وقال فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم
على ان كلمة ما توقيتية قوله عليه الصلوة والسلام لا يؤدي عني الا رجل مني قال ذلك لان عادة العرب
ان لا يتولى العهود ونقضه الا سيدهم او رجل من رهطه وعشيرته فبعث عليا رضي الله عنه ازاحة للعلة
لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه فينا في نقض العهد وعشيرة الرجل نسله ورهطه الادنون منه نسبا
روي انه عليه الصلوة والسلام لما خرج الى غزوة تبوك وتخلف المنافقون وارجفوا الاراجيف جعل
المشركون ينقضون العهود فامر الله بنقض عهودهم ومعنى الاية ان الله ورسوله قد برئا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم ويجوز له عليه الصلوة والسلام ان ينقض العهد
باحد ثلثة امور الاول ان يظهر له منهم خيانة مستورة ويخاف ضررهم فينبذ العهد اليهم حتى يستووا
في معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء والثاني ان يكون
قد شرط لبعضهم في وقت العهد ان يقرهم على العهد فيما ذكر من المدة الا ان يامر الله بقطعه
فلما امر الله بقطع العهد بينهم قطعه لاجل الشرط والثالث ان يكون العهد مؤجلا فتنقضي المدة
وينقضي العهد بانقضائها فح يكون الغرض من اظهار هذه البراءة ان يظهر لهم ان لا يعود الى العهد
وانه عليه الصلوة والسلام على عزم المحاربة والمقاتلة ولا يجوز له عليه الصلوة والسلام نقض
العهد في غير هذه الاحوال الثلث لانه لا يجري مجرى الغدر وخلف القول والله ورسوله بريئان منه
قوله تعالى فسيحوا على اضمار القول اي فقولوا لهم سيحوا اي سيروا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين
غير خائفين وصيغة الامر فيه ليس للايجاب والالزام بل المقصود الاباحة والاطلاق والا

والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف في هذه المدة والمعنى انكم آمنون من القتل والقتال في
هذه المدة ثم انكم بعد انقضاء تلك المدة تحاربون وتقتلون حيث ادركتم وتؤسرون الى ان تتوبوا
وللقصد من اباحة السير لهم في هذه المدة امور الاول ان يتفكروا لانفسهم ويحتاطوا في امرهم ويعلموا
ان ليس لهم بعد هذه المدة اما الاسلام او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام والثاني ان
لا ينسب المسلمون الى الخيانة ونقض العهد على غفلة المعاملة فان المسلمين لو حاربوهم عقيب
اظهار النقض من غير امهال لهم فربما ينسب الى وهمهم ذلك فامهلوا هذه المدة ليستعدوا
الحرب ويعدوا الآلة وفي ذلك تنزيه المؤمنين عن الخيانة واظهار شوكتهم وقوتهم وعدم التفاتهم
الى الكفرة واستعدادهم واختلف في ابتداء هذه الاشهر الاربعة فقيل ان سورة براءة نزلت
في شوال فيكون ابتداء اربعة اشهر من شوال الى انتهاء المحرم فينقضي الاشهر الحرم بانقضاء
خمسين يوما من يوم التبليغ الى اخر المحرم وقيل انها وان نزلت في شوال الا ان قراءتها على الكفار
وتبليغها اليهم كان يوم الحج الاكبر فالصواب الذي عليه الاكثر ان ابتداء هذه المدة اليوم العاشر
من ذي الحجة الى انقضاء عشرين من ربيع الاخر وقيل ابتداء تلك المدة كان من عشر ذي القعدة
الى عشرين من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت بسبب النسيء الذي كان فيهم
ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وهي حجة الوداع ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام الا
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاهد قريشا عام الحديبية ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت
منها واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم
خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره ان قريشا اخلفوك
الوعد ونقضوا ميثاقك المؤكد فقال عليه الصلوة والسلام لا نصرت ان لم انصركم ثم تجهز
الى مكة ففتح مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث ابا بكر رضي الله عنه تلك السنة اميرا
على الموسم ليقيم للناس الحج ثم بعث بعده عليا رضي الله عنه على ناقته العضباء ليقرأ على الناس
صدر سورة براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله من كل
مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان الى آخر ما ذكر المص فلما بلغ علي رض رسالته قالوا
عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهود وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد
الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف قوله ورفعه كرفع براءة يعني انه مرفوع اما على انه خبر

مبتدأ محذوف او على انه مخصص خبره قوله الى الناس والواو في قوله واذان لعطف الجملة
على الجملة ثم انه لما بين ان ذلك الاذان والاعلام باي شيء كان فقال ان الله بريء اي بانه
بريء فحذفت الباء التي هي صلة الاذان من ان الله تخفيفا قوله ورسوله مرفوع معطوفا
على المستكن في قوله بريء من غير تاكيد بمنفصل اقامة للفصل مقام التاكيد جعلت البراءة
واصلة الى الذين عوهدوا من المشركين وجعل الاذان واصلا الى الناس لان البراءة
مختصة بالناكثين من المعاهدين بخلاف الاذان فانه عام لجميع الناس من المعاهدين
الناكثين **قوله** يوم الحج الاكبر يوم العيد او يوم عرفة يعني اختلف في يوم الحج الاكبر انه يوم
النحر او يوم عرفة واحتج من قال انه يوم العيد بانه يتم فيه اركان الحج وهي الوقوف وطواف
الزيارة ويتم فيه معظم افعاله وهي الطواف والنحر والحلق والرمي وبان اعلام البراءة
كان فيه وبقوله عليه الصلوة والسلام يوم النحر هذا يوم الحج الاكبر واحتج من قال انه يوم عرفة
بقوله عليه الصلوة والسلام الحج عرفة فانه عليه الصلوة والسلام حصر افعال الحج في الوقوف
بعرفة وليس المراد انه لا يعتبر في الحج من غير الوقوف بل المراد ان معظم افعاله هو الوقوف
بعرفة من حيث ان من ادركه الوقوف في وقته فقد ادرك الحج ومن فاته الوقوف فيه فقد
فاته الحج ولما كان معظم افعال الحج واقعا في يوم عرفة سمي هذا اليوم حجا اكبر تنبيها على عظم
ما يقع فيه **قوله** فانه اكبر من باقي الاعمال اي فان ما يقع في يوم الحج وهو الوقوف ان اريد
بيوم الحج يوم عرفة اكبر من باقي اعمال الاعمال وان اريد به يوم النحر كان ما يقع فيه من الطواف
والنحر والحلق والرمي اكبر من باقي الاعمال وقيل سمي ذلك اليوم بيوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين
والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك في
القلوب جميع الطوائف **قوله** او على ان محل ان واسمها في قراءة من كسر ان واما من قرا
بفتح همزة ان فانه لا يرفع رسوله عطفا على محل اسم ان لانه لا يجوز العطف على محل اسم المفتوحة
بخلاف المكسورة ووجه الفرق ان المكسورة لا تغير معنى الجملة بل تؤكدها فاذا قلت ان زيدا
قائم افدت به ما افدت بقولك زيد قائم مع زيادة التاكيد فكان اسمها المنصوب في محل الرفع
على الابتداء من حيث كون المكسورة في حكم العدم فجاز العطف على محل ذلك الاسم بالرفع
بخلاف المفتوحة فانها تغير معنى الجملة فتكون هي مع ما في حيزها في تاويل اسم مفرد مرفوع او منصوب
او مجرور على حسب ما يقتضيه العامل فتكون اسمها كبعض حروف الكلمة فلا يبقى لمجموعها
بناء انه في محل الرفع على الابتداء او ان ما بعده مرفوع بالعطف على محله وابن الحاجب جعل
المفتوحة على قسمين الاول ما هو في المكسورة وهي التي وقعت بعد فعل القلب فجوز العطف
على

قوله الحج عرفة فمن فاته فاته الحج والمعنى معظم افعال الحج وقوف عرفة وهذا من باب حصر الكل على الجزء لكونه عمدة فيه كما تقول الانسان هو الراس والايمان هو التصديق والتوبة الندم اي خبر ذلك
روح سي

قوله فانه اكبر الحج فيكون اطلاقا للكل على الجزء الكامل فكانه ما عداه حجا اصغر وهذا الوجه جار بان على الكوفيين في يوم الحج العيد او عرفة
تدبر روح سي

٢٠٤

على محل اسمها نحو علمت ان زيدا قائم وعمرو ويعطف عمرو على محل زيد جعل المفتوحة في
مثلها كالمكسورة بناء على ان المفتوحة مع اسمها وخبرها وان كانت في تقدير المفرد من جهة ان
المعنى علمت قيام زيد لكنها في تقدير اسمين لانها مع اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي علمت
فكان المكسورة مع جزئيها بتقدير اسمين اي المبتدا والخبر فحكم المفتوحة بعد فعل القلب حكم
المكسورة في بقائها مع ما في حيزها مقام الاسمين فعلى هذا يجوز ان يكون ورسوله في الاية معطوفا
على محل المفتوحة لوقوعها بعد فعل القلب لان اذان بمعنى اعلام واعلم ان عبارة القوم اختلفت
في هذه المسالة منهم من يقول يعطف على محل اسم المكسورة بالرفع ومنهم من يقول يعطف على
محل ان واسمها واختارها المص وجه العبارة الاولى ان الاسم هو الذي كان مرفوعا قبل
دخول ان ودخولها عليه كلا دخول فبقي على كونه مرفوعا ومن قال على محل ان واسمها نظر الى ان
اسمها لو كان وحده مرفوع المحل لكان وحده مبتدا والمبتدا هو المجرد عن العوامل عندهم واسمها
ليس بمجرد والعبارة الاولى هي الاولى لان الاسم باعتبار كونه مرفوعا مجرد لان كلمة ان كالمعدوم
باعتباره وانما يعتد بها اذا اعتبر النصب **قوله** ولا تكرير فيه يعني ان جملة قوله واذان من الله
ليست تكريرا لقوله براءة من الله ورسوله الى ولكون الجملة الثانية اخبارا بوجوب الاعلام
بما ثبت من البراءة علق الاذان بالناس فان الاذان عام لجميع الناس من عاهد منهم و
من لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث وعلقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين
لكونها مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم **قوله** او ثبتم على التولي عن الاسلام لانهم كانوا
متولين عن الاسلام اي معرضين عنه فوجب ان يكون التولي المصدر بكلمة ان بمعنى التولي
عن التوبة او بمعنى الثبات على التولي عن الاسلام **قوله** استثناء من المشركين او استدراك
يعني انه استثناء متصل كانه قيل براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم
ينقضوا العهد منهم او منقطع كانه قيل فانبذوا اليهم عهدهم ولكن الذين لم ينكثوا منهم فاتموا
اليهم عهدهم ولا تجعلوهم كالناكثين قيل المراد من المشركين المعاهدين الذين لم ينقضوا شيئا
من عهدهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله تعالى باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة
اشهر فانهم لما لم ينقضوا العهد ولم ينكثوا استحقوا من الله تعالى ان يصان عهدهم ايضا من النقص
في النكث قرا الجمهور لم ينقصوكم شيئا بالصاد المهملة وهو يتعدى الى واحد والى اثنين ويجوز
هنا جعله متعديا الى اثنين بان يكون كم مفعولا اولا وشيئا مفعولا ثانيا والى واحد بان يكون شيئا
منصوبا على المصدر اي شيئا من النقصان وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة وهي على حذف المضاف
اي ينقضوا عهدكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وفي القراءة مقابلة النقض بالتمام

قوله التي ابيح للناكثين ان يسيحوا في الارض فيها اربعة اشهر [illegible] حيث لا [illegible] الاشهر الحرم [illegible] ان الاشهر [illegible] عندنا [illegible] ان [illegible] والاباحة فقال [illegible]
تامل

مع الاستغناء عن ارتكاب الحذف **قوله** واصل الانسلاخ خروج الشيء الشبيه باللباس
من لابسه كخروج الجلد من الشاة وانفصاله عنها شبه الشهر باللباس وجعل ابل الشهر
كاللابس المحاط به من حيث ان الزمان محيط بالابسة فاذا اهل الهلال صار كانهم بدخلون فيه
فيزدادون في كل ليلة لباسه الى ان يمضي نصفه ثم انه ينسلخ عنهم جزا فجزا الى ان ينقضي وينسلخ
بتمامه **قوله** التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها على ان يكون الالف واللام في الاشهر الحرم للعهد والمعهود
الاشهر المذكورة بقوله اربعة اشهر بناء على ان النكرة اذا اعيدت معرفة يراد بها عين الاول
الا اذا وصفت المعرفة بصفة تشعر المغايرة كقولك رايت رجلا فاكرمت الرجل الا زيد بالثاني
عين الاول في مثله والاشهر ههنا قد وصفت بالحرم وهي صفة مفهومة من نحو الكلام
فلا يقتضي المغايرة فيكون المراد بالمعرف ما ذكر منكرا قبل وذكر بعض المفسرين منهم الكواشي
ان المراد بالاشهر الحرم ما اريد بقوله منها اربعة حرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
واحد فرد وثلثة سرد وسميت حرما لان الله حرم فيها على المؤمنين قتال المشركين والتعرض
لهم ولم يرض المص بما ذكره الكواشي تخلالا بانتظام لفظ المعرف على المنكر لما مر من ان المنكر اما
شوال او يوم النحر وليس شيء منهما مبتدأ المعرف لان ما ذكره يقتضي بقاء حرمة الاشهر المذكورة
منكرا اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخ حرمتها وبقاء حرمتها خلاف الاجماع واما اذا حمل الاشهر الحرم
على الاشهر التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الاية
يكون امرا بمحاربة المشركين وقتالهم بعد انسلاخ تلك الاشهر المذكورة الى ابد الاباد ويكون
هذه الاية ناسخة لكل آية في القرآن فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء على
وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء **قوله** واحصروهم او حيلوا بينهم ان الحصر المنع والمراد انه حبسهم
ومنعهم عن التبسط في البلاد او منعهم عن المسجد الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم ان تحصنوا
فاحصروهم في حصنهم والمرصد نصب على انه ظرف لاقعدوا كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
وهو مفعول من رصده يرصده اي رقبه يرقبه ويصلح للزمان والمكان والمصدر الا ان قوله
واقعدوا عين كونه اسما للمكان الذي يرقب فيه العدو اي كونوا راصدين لهم لتاخذوهم من اية
جهة توجهوا انهم اه لما اوجب قتل المشركين حيث وجدوا بعد انقضاء الاشهر الحرم حتى
من هذا الحكم المشرك الذي استامن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياتيه ويسمع منه كلام الله
ودلائل التوحيد فقال وان احد من المشركين استجارك اي طلب منك الامان فامنه والاصلح
المختلف روي ان رجلا من المشركين قال لعلي رضي الله عنه ان اردنا ان ناتي الرسول الله عليه
الصلوة والسلام بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله او لحاجة اخرى فهل نقتل فقال علي
لا لان

بخطه ابراهيم ... الله ... الاية ازالة ... ايضا

ولا ما حتى يسمع كلام الله حتى يجوز ان يكون هنا للغاية وان يكون للتعليل وعلى كلا التقديرين يتعلق بقوله فاجره وهل يجوز ان يكون هذه المسئلة من
باب التنازع ام لا وفيه غموض وذلك انه يجوز من حيث المعنى ان يتعلق حتى بقوله استجارك او بقوله فاجره اذ يجوز تقديره وان استجارك احد حتى
يسمع كلام الله فاجره حتى يسمع كلام والجواب انه لا يجوز عند الجمهور لامر لفظي من جهة الصناعة لا معنوي فانا لو جعلناه من التنازع واعملنا

لا لان الله تعالى قال وان احد من المشركين استجارك فاجره اي آمنه حتى يسمع كلام الله وحتى
يجوز هنا للغاية وان يكون للتعليل وعلى التقديرين يتعلق بقوله فاجره وقول المص خلا ابد من ان يكون
انهم ربما يسمعون يدل على انه اختار كونها للغاية ومعنى الاية وان استجارك احد من المشركين
الذين امرتك بقتلهم اي استامنك بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله فاجره اي آمنه حتى
يسمع كلام الله فيما له وما عليه من الثواب والعقاب واحد فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده تقديره
وان استجارك احد من المشركين استجارك وليس مرفوعا على الابتداء لان حرف الشرط يقتضي
الفعل **قوله** ولا ان يفتوا مع وغرة صدورهم منصوب معطوف على قوله لان يكون اي استفهام
بمعنى الاستبعاد لان لا يثبتوا اما ظهر وه من العهد مع وغرة صدورهم وفسادها فان الموقع
منهم ان يثبتوه مع اضمار نقضه وعدم الوفاء به من قولهم فلان وغرة اي قدر صدره الحلق عليهم
الوفاء **قوله** وخبر يكون كيف ان كان ناقصة وفي خبرها ثلثة اوجه الاول ان كيف خبرها و
عهد اسمها والخبر ههنا واجب التقديم لاشتماله على ماله صدر الكلام وهو الاستفهام الانكاري وعند
الله ظرف لمحذوف هو صفة لهذا او ظرف لنفس العهد متعلق به لانه مصدر او ظرف ليكون على
قول من يجوز في كان الناقصة ان يعمل في الظرف وشبهه وللمشركين تبيين على معنى ان اللام فيه
للبيان كالتي في هيت لك فيتعلق بمقدر اي هذا الاستبعاد في حقهم وبالنسبة اليهم والوجه الثاني ان
يكون الخبر للمشركين ويكون كيف حالا من العهد ويكون عند الله كما ذكر في الوجه الاول والبيشار
المص بقوله وهو ان قوله عند الله على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون والوجه الثالث ان
يكون الخبر عند الله ويكون كيف حالا وللمشركين تبيينا على ما اختاره المص واما متعلق يكون
عند من يجوز ذلك واما حال من عهد ويحتمل ان يكون كان تامة بمعنى كيف يوجد عهد للمشركين عند الله
والاستفهام هنا بمعنى النفي فلذلك وقع الاستثناء بعده بالا اي لا يكون للمشركين عهد الا الذين
لم ينكثوا العهد كبني ضمرة ومحله اما النصب على اصل الاستثناء او الجر على انه بدل من المشركين لما
تقرر من انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا في كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور او
الرفع على ان يكون الاستثناء منقطعا بان يراد بالمشركين الناكثون فيكون الا بمعنى لكن **قوله**
وما يحتمل الشرطية والمصدرية فان كانت شرطية يكون في محل النصب على الظرف الزمان والتقدير
اي زمان استقاموا لكم في عهدهم فاستقيموا لهم بالوفاء وان كانت مصدرية يكون مقدرة ايضا
بالزمان منصوب المحل على الظرفية اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم وقوله ان الله
يحب المتقين اشعار بان المحافظة على العهد من لوازم التقوى كما ذكر وتعليل للامر بالاستقامة
اي يحب من اتقى نقض عهده لمن عاهد **قوله** وحذف الفعل اي الفعل المستفهم عنه للعلم به ومرجعه

والتقدير كيف يكون لهم عهد يثبتون عليه ويستحكم عند الله وعند رسوله وحالهم انهم ان يظهروا
عليكم قوله وخبرتماني البيت لكعب الغنوي يرثي اخاه ابا المغوار وما قبله لعمري لئن كان البعيد
الذي مضى وان الذي يأتي غدا لقريب وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
وبعده وكثيب الهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض والقليب البئر قبل ان تطوى والكثيب
التل من الرمل قيل الهضبة والقليب اسما جبلين في البادية التي فيها ابو المغوار يقول الشاعر
لصاحبيه اخبرتماني وقلتما لي ان من سكن في الامصار مات بالوباء الذي فيها فكيف مات اخي
في البادية وانت رأيت هضبة وقليبا كانا في الموضع الذي مات فيه اخوه حذف الفعل العامل في
كيف اي فكيف مات قوله حلفا يعني ان الال فيه اقوال احدها ان المراد به الحلف وهو قول قتادة
والمعنى انهم ان يظفروا بكم لم يراعوا فيكم حلفا سبق منكم ولا عهدا قدموه بل يفعلون بكم ما قدروا
عليه من الضرر وثانيها ان المراد به القرابة قال ابن عباس رضي الله عنهما واستشهد عليه ببيت
حسان بن ثابت يخاطب احدا بكر قرابة من قريش بانها كقرابة ولد الناقة وولد النعام
وليس بينهما مناسبة وان تشابها صورة والسقب الذكر من ولد الناقة والرأل ولد النعام
وثالثها ان المراد به الربوبية والالهية حتى ان العبد المشرك اذا ظفر بسيده المؤمن لا يرعى
حق ربوبيته وتربيته ثم ان المصنف بين وجه اطلاقه على هذه المعاني بقوله ولعله اي ولعل
لفظ الال في الاصل اسم للجؤار وهو الصياح اطلق على الحلف على طريق اطلاق اسم اللازم
وارادة الملزوم فانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا اصواتهم وشهروه وصار الال بمعنى الحلف
مجازا في الدرجة الاولى ثم انه استعير للقرابة تشبيها لها بالحلف من حيث كونها سببا للارتباط
بل القرابة تنعقد بين الاقارب ما لا يعقده التحالف فصار الال بمعنى القرابة مجازا في الدرجة
الثانية ثم استعير منها للربوبية والتربية مجازا في الدرجة الثالثة من حيث ان كل واحد منها
سبب للالفة والانضمام وقيل ان الال باي معنى كان من المعاني الثلاثة ليس مشتقا ومأخوذا
من الال بمعنى الجؤار بل هو مأخوذ من قولهم ال الشيء اذا حدده ومعناه الذي اله ليس الا
الحلف او القرابة او الربوبية والتربية او الجؤار عبارة عن تحديدها وتقويتها وقيل انه مشتق
من ال البرق يؤل اذا لمع والال البريق يقال للحربة الة للمعانها قال الراغب الال كل
حالة ظاهرة من عهد وحلف وقرابة والالة الحربة اللامعة وقيل الال اسم عبري بمعنى الاله
الاهي ايل من اسماء الله بالعبرانية فجاز ان يكون عرب فقيل ال واستدل على كونه من اسماء
الله بما روي عن مجاهد انه قال الال هو الله ويقرأه عكرمة لا يرقبون في مؤمن ايلا بالياء يعني
الله عز وجل وكان عبيد بن عمير يقول جبرال بالتشديد بمعنى عبد الله كما يقرأ جبريل وميكائيل
بالياء

قوله حلفا بفتح الحاء وكسر اللام بمعنى القسم هكذا صحح في النسخ التي رأيت واما صحح ابه من ان اللفظ بكسر الحاء وسكون اللام بمعنى العهد والحمل على التناسب اولى لكن الظاهر انه تعرض لابيانه لاحتمال كون الال بمعنى العهد على تقدير تفسير الذمة بحيث يعاب على اغفاله فلا يبعد ان يكون حلفا في عبارة المصنف محتملا لهما بناء على الذمة ثم ذكر له معنيين اخرين وهما القرابة والربوبية واستشهد للاول بقول حسان يخاطب ابا سفيان قبل اسلامه على سبيل الاستهزاء لعمرك الخ اي قرابتك منهم كقرابة السقب وهو بفتح السين الذكر من ولد الناقة والرأل ولد النعام استعملها بمعنى مطلق الولد بدليل اضافته الى النعام يريد لا قرابة بينك وبين قريش كما لا قرابة بين الذكر من ولد الناقة وولد النعام وان كان بينهما شبه ما ... حسان

بناء على ان الربوبية والتربية لا تخلو عن افادة الضمان والقصود

بالياء وروي ان ناسا قدموا على ابي بكر رضي الله عنه من قوم مسيلمة الكذاب فاستقرأهم كتاب
مسيلمة اللعين فقرأوا فقال ابو بكر رضي الله عنه ان هذا الكلام لم يخرج من ال اي من الله عز وجل قوله
او حقا يعاب على اغفاله واضاعته قال الاصمعي الذمة ما لزم ان يحفظ ويحمى ويذم الرجل على اضاعته
واهماله يعني ان اهماله يقتضي المروءة والحياء وقيل الذمة العهد والامان وفي الحديث ويسعى بذمتهم
ادناهم فان الذمة فيه بمعنى الامان والمعنى ان ادنى الناس اذا اعطى امانا للكافر نفذ على
جميع ولذلك اجاز عمر رضي الله عنه امان عبد على رضي الله عنه على جميع العسكر قوله استئناف
لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد كانه قيل بأي وجه لا يراعون الحلف او العهد او القرابة
وكيف يقدمون على عدم مراعاتها فاجيب بان السنتهم تخالف قلوبهم وما في بواطنهم من الضغائن
ينافي ما اظهروه بالسنتهم من وعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد استدل على عدم كونه
حالا من فاعل لا يرقبوا بوجهين الاول انه على تقدير كونه حالا منه يكون قيدا للجزاء المرتب
على الشرط الذي هو ظهورهم فيلزم ان يكون كل واحد من القيد والمقيد مرتبا على ظهورهم
واقعا بعده مع انهم بعد ظهورهم على المؤمنين لا يرضونهم حتى يقال انهم ان يظهروا عليكم لا
يرقبوا فيكم الا حال ارضائهم اياكم ولما ورد عليه ان يقال لم لا ان الحالية تقتضي تحقق الارضاء بعد
ظهورهم لجواز ان يرجع النفي الى القيد فقط او الى مجموع القيد والمقيد لا الى نفس المقيد وحده استدل
على عدم جواز الحالية بدليل اخر وهو ان المعنى على تقدير الحالية انهم لا يرقبون الال والذمة حال
ارضائهم اياكم وهذا المعنى ينافي المعنى المراد من الاية وهو انهم يرضونكم في الحال ولا يبقون عليكم
حال الظفر بكم اي لا يرحمونكم بل يفعلون بكم ما يقتضيه كمال العداوة ونهاية الحقد والضغينة من
من قولهم ابقى على فلان اذا رحمه ورعاه قوله متمردون فسر فسق الكافر بكونه متمردا عاتيا
عاريا عن العقيدة والمروءة الرادعة عن السوء اشارة الى دفع ما يقال من ان الضمير في اكثرهم
راجع الى المشركين لانهم المتقدم ذكرهم والشرك اخبث انواع الكفر والكفر اخبث وافحش
من الفسق لان المقام مقام المبالغة في ذم المشركين ولا مبالغة في ذلك بوصفهم بالفسق
بمعنى الخروج عن الطاعة لان الكفر ولا سيما الشرك افحش وجوه الفسق واشنعها ولما فسر
فسق المشركين بكونه تمردا اي ما خاليا عن الخصائل المرضية التي تفرق صاحبها من الكذب
والخديعة ونكث العهد وسائر ما يشين العرض وينافي المروءة فقد حصل به المبالغة في ذم المشركين
لان الفسق بهذا المعنى وصف زائد على شركه فان المشرك قد يكون عدلا في سمته وطريقه موصوفا
بالاخلاق المرضية وكثير منهم فاسقون في دينهم لا يحترزون عن الكذب ونقض العهد ونحو
ذلك مما يجر احدوثة السوء فمثله يكون في غاية الخيانة وملوما عند جميع اهل الاديان ش

فسقط بهذا ما يقال ايضا من ان جميع الكفرة فاسقون فلا يبقى لتخصيص اكثرهم بالذكر فائدة ،،
قوله من التفادي وهو التجانب والتباعد يقال تفادى الرجل عن كذا اذا تحاماه واحترز
عنه قوله لا عقيدة لهم تزعهم اي تمنعهم عن ارتكاب المنهيات يقال وزعه اي ردعه ومنعه
وبالفارسية بازداشت اورا والاحدوثة ما يتحدث به والمعنى خلق الاكثر لما في بعض الكفرة من
التنزه عن الافعال التي تجر الى ان يتحدث الناس في حقه من المثالب والمعايب قوله
وهو الثمن القليل الذي اختاره المشركون على اتباع احكام القران هو اتباع الاهواء والشهوات
قوله فصدوا يحتمل ان يكون لازما بمعنى فعدلوا وان يكون متعديا بمعنى منعوا وصرفوا غيرهم يقال
صد بنفسه صدودا اي اعرض وعدل وصده من الامر صدا اي منعه وصرفه عنه قوله عملهم هذا
يعني ان ساء بمعنى بئس وما المصدرية مع ما في حيزها في محل الرفع على انها فاعل ساء والمخصوص بالذم
محذوف اي بئس العمل عملهم هذا ويجوز ان يكون المخصوص بالذم ما يدل عليه قوله لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة اي بئس العمل عدم رعايتهم الال والذمة في حق مؤمن على ان قوله
لا يرقبون كلام مستانف جيء به تفسيرا لعملهم السوء كانه قيل ما عملهم المذموم فاجيب بانهم لا ،،
يرقبون في مؤمن فلا تكرار لان الاول لاستبعاد ثباتهم على العهد وهذا لبيان عملهم السيء ،
وقيل لا تكرار لان الاول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب
الذين نكثوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الاكلة الكلوبا من ابي
سفيان بن حرب كما روي عن مجاهد انه قال اطعم ابو سفيان حلفاءه لبعضهم بذلك عن شايعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم او لحملهم على نقض العهد الذي كان بينهم وبينه عليه الصلوة والسلام
فنقضوه بسبب تلك الاكلة فالثمن القليل على هذا ما اطعمهم ابو سفيان وقيل لا يبعد ان يكون
طائفة من اليهود اعانوا المشركين على نقض تلك العهود فيكون المراد من هذه الاية ذم اولئك
اليهود ولم يرتض المص بهذا القول لان كل واحد منهما لا يخلو من نقض العهد من المشركين
وكون الثاني تفسيرا لعملهم السيء انسب بما قبله لان الضمائر في الايات السابقة راجعة الى المشركين
الناقضين وتخصيص هذا الضمير باليهود او اولئك الاعراب تخصيص بلا دليل واخلال بالاسلوب
النظم قوله هم المعتدون في الشرارة بنقضهم العهد وبعدهم ما اخذه الله لكلمته دينه وما يوجبه
العقد والعهد قوله تم اخوانكم اشارة الى ان قوله فاخوانكم خبر مبتدا محذوف والجملة الاسمية
في محل الجزم على انها جواب الشرط فلهذا صدرت بالفاء الجزائية وقوله في الدين متعلق باخوانكم
لما فيه من معنى الفعل على ان ذلك حصول الاخوة في الدين على مجموع الامور الثلثة التوبة عن الكفر
واقام الصلوة وايتاء الزكوة والمعلق على الشيء بكلمة ان عدم عند عدم ذلك الشيء وهنا تمت
انه

قوله استبدلوا بالقران فالاشتراء استعارة تخفيفية مبنية على تشبيه استبدال اتباع الهدى والشهوات بايات الله بالاشتراء ويمكن ان يجعل هذا من قبيل استعمال المقيد في المطلق كالمرسن في مطلق الانف ثم في الاية على الاول استعارتان مكنيتان احدهما تشبيه الايات بالثمن في جعلها مبذولة لتحصيل الهوى والشهوات والاستعارة الاولى هو تخييل الثانية فهنا قرينة لا الثانية فشبه ابتاع الهوى بالمشترى والاستعارة الاولى ايضا مع ابتناء عليه قرينة لا وفي التعبير عما هو بمنزلة المشترى اعني الهوى بلفظ الثمن نكتة من الاشارة الى انه ينبغي ان يجعل هذا وسيلة مبذولة ومصروفة لنيل المطالب وتحصيل المارب لا مطلوبا ومرغوبا كالمشترى هكذا ينبغي ان يحقق هذا المقام
منه

انه متى لم توجد هذه الثلثة لا تحصل الاخوة في الدين ولا عصمة الدماء والاموال وهو مشكل لان
المؤمن لا يخرج عن الايمان بترك الصلوة ومنع الزكوة تسفلا لا استحلالا ولا يباح دمه بتركهما ،،
فينبغي ان يكون المراد باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الالتزام باقامتهما والاعتقاد بفرضيتهما قوله
ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض حيث وقع بين كلامين متناسبين فانه لما بين اولا حال
من لا يرقب في المؤمن الا ولا ذمة وينقض العهد ويقول بلسانه ما يأباه قلبه ويتعدى ما حد له ثم
بين انهم ان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة يكونوا اخوة لكم في الدين ولا يحل لكم ان تتعرضوا
لهم بالسوء ثم بين انهم ان نكثوا ايمانهم اي نقضوا عهودهم اما بان ارتدوا عن الايمان والعياذ
بالله او على ان يحمل العهد على مبايعة الاسلام بقرينة ذكره في مقابلة قوله فان تابوا الاية او بان
نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمروا عليه بناء على ان الاية وردت في ناقضي العهد
والذي جعلهم صنفين احدهما من تاب منهم والاخر من اقام على نقض العهد فلما كانت الشرطيتان
متناسبتين كانت جملة قوله ونفصل الايات لقوم يعلمون معترضة بينهما وقوله يعلمون منزل
منزلة اللازم كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم قوله للدلالة انهم صاروا بذلك الحيثية
لما نكثوا العهد في حال الشرك ثم امنوا واصلحوا ثباتهم باقامة الصلوة وايتاء الزكوة ثم ارتدوا
من الايمان فقد صاروا بذلك متقدمين في الكفر وائمة وكانوا احق بالقتال فلذا لانه على هذا
المعنى وضع الظاهر موضع الضمير قوله وقيل المراد ان قيل لبث الاية من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير
بل المراد الامر بمقاتلة الرؤساء خاصة اما لان قتلهم هم المقتدون في الشرارة ويدعون اتباعهم
الى الافعال الباطلة فليس المراد تخصيصهم بالذكر نفي الحكم عما عداهم كانه قيل فقاتلوا الذين نكثوا
ما بايعوا عليه من الايمان بالارتداد عنه او نكثوا الوفاء بالعهود لا سيما ائمتهم والرؤساء منهم او
لان تخصيص الرؤساء بالامر بقتالهم للنهي عن حضرة الذي هو مراقبتهم وحمايتهم قوله
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء
ولا الف بينهما والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير الف بينهما وهشام
كذلك الا انه ادخل بينهما الفا هذا هو المشهور بما روي عن القراء السبعة وليس فيها اشتهر
عنهم قلب الهمزة الثانية ياء خالصة فلذكر فالمص والتصريح بالياء لحن اي عند القراء
فان النحاة يجوزون ابدال الثانية ياء خالصة كراهة لاجتماع الهمزتين والقراء يدخلا ،،
ليسهل التلفظ بان يفصل بين الهمزتين ذكر في الوسيط ان اصل ائمة أءممة لانها جمع امام نحو
مثال وامثلة وحمار واحمرة ولكن لما اجتمعت بيمان ادغمت الاولى في الثانية والنقيت حركتها على
الهمزة قبلها فصارت ائمة فابدلت من الهمزة المكسورة ياء كراهة لاجتماع الهمزتين وهذا

الا ان يقال التعليق بكلمة ان انما يدل على كون المعلق عليه شرطا لا يتحقق عليه ولا يدل على انعدام المعلق عند انعدام المعلق عليه وهو انما يستفاد من دليل خارجي وذلك لجواز ان يكون للمعلق لازما اعم فيتحقق بدونه كتحقق ما حصل بلزوم ما لزم لو سلم ان تتمين التعليق يدل على انعدام المعلق عند انعدام المعلق عليه لكن لا نم انه يلزم من ذلك ان لا يكون المسلم التقي مؤمنا بعدم ايتاء الزكوة وانما يلزم ذلك ان لو كان المعلق عليه ايتاءها على جميع الثقات وبه ليس كذلك بل المعلق عليه هو الاتيان عند تحقق شرائط تحققه بدليل الا الشرع عنه قال ابن مسعود رضي امرتم بالصلوة والزكوة فمن لم يزك فلا صلوة له
منه

هو الاختيار عند جميع النحويين ومن قرا بهمزتين فقد راعى الاصل وليس بالوجه لهذا الامر
وجعل الشاطبي ابدال الهمزة الثانية يا خالصة مذهب النحويين لا القراء فالمحقق اختار
مذهب القراء لا مذهب النحاة في هذه اللفظة فان النحويين البصريين يوجبون ابدال الثانية
يا ومنهم من يحققها او يسهلها بين بين ومن ادخل الالف بينهما ادخلها للخفة حتى ينفصل بين
الهمزتين **قوله** لا ايمان لهم على الحقيقة اشارة الى جواب ما يقال كيف اثبت لهم الايمان في قوله
وان نكثوا ايمانهم ثم نفى عنهم بقوله انهم لا ايمان لهم وتقرير الجواب ان المراد بالايمان المثبتة
لهم ما اظهروه من الايمان وبالمنفية ما هو ايمانهم على الحقيقة فانهم اذا لم يراعوا ولم يفوا بها
فلا وجود لها في الحقيقة ولا اعتبار بها لان ما لا يترتب عليه احكامه ولوازمه فهو في حكم المعدوم
قوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم انتفى على ان يراد بالايمان ما بايعوا عليه من الايمان فان المبايعة عليه بمنزلة
اليمين على الثبات ويراد بنكثه الارتداد عنه **قوله** ولم ينكثوا انتفى على ان يراد به ما بايعوا عليه
من الوفاء بالعهد وبنكثه عدم الثبات عليه كما نقض مشركوا قريش عهد الصلح الواقع
بالحديبية باعانتهم بني بكر على خزاعة **قوله** وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام اي
عابه وازدراه جاز قتله لانه عوهد على ان لا يطعن في الدين فاذا طعن فقد طعن خرج
عن الذمة وعند ابي حنيفة رحمه الله يستتاب الذمي بطعنه في الدين ولا ينتقض عهده بمجرد
الطعن ما لم يصرح بالنكث وتمسك الحنفية بقوله انهم لا ايمان لهم على ان يمين الكافر
ليس بيمين حتى انه لو اسلم بعد انعقاد اليمين وحنث فيه لا يجب عليه الكفارة عندهم وعليه الكفارة
الشافعي وقال معنى الاية انهم لما لم يحفظوا ايمانهم ولم يراعوا صارت بمنزلة العدم في عدم
الوثوق بها لا انها لا ايمان لهم حقيقة كيف وقد وصفوا بنكثها ونكث اليمين لا يتحقق الا
بعد تحقق نفس اليمين عطف قوله وطعنوا في دينكم على ما قبله مع ان نقض العهد كاف لاباحة
القتال للزيادة في تحريض المؤمنين على قتالهم وقيل معناه وان نكثوا ايمانهم بطعنهم في دينكم
فقد يذكر الفعلان بالواو بينهما على ان يكون الثاني تفسيرا للاول كقولك استخف فلان بحقي وازدرى
عما طلبت اليه **قوله** لا امان والاسلام يعني ان الايمان بكسر الهمزة مصدر امن تقول
امن يؤمن ايمانا ثم ان الايمان يحتمل ان يكون بمعنى التصديق فالمعنى انهم كفرة لا ايمان لهم
بالله تعالى وباحكامه وان يكون من الامن والامان تقول امنت فانا امين وامنت غيري اي
اعطيته الامان فقوله لا ايمان لهم معناه لا تعطوهم الامان بعد نكثهم وطعنهم فانهم لا يحقون
ذلك بعده او انهم لا يعطون لاحد عهدا يعتقدونه له قراءة الباقون لا ايمان لهم بفتح الهمزة وهو
جمع يمين **قوله** وتشبث به اي بما قرا به ابن عامر الحنفي روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال

قوله فقاتلوا ابشروا فان الفتح قريب يريد فتح مكة على ما دل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قوله تعالى الا تقاتلون الى ترغيب في فتح مكة
فاستشكل هذا بان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة فكيف يكون الا تقاتلون ترغيبا في فتحها ووفق بجواز ان يراد ابيات البراءة من المشركين
نزلت بعده وجواز ان يكون قوله الا تقاتلون الاية نزلت قبله فاستشكل بانه بعد قتالهم في سنة الفتح كفتوح البراءة من العهود وما جد (...)

قال قوله تعالى الا تقاتلون قوما ترغيب في فتح مكة وقال الحسن لا يجوز ان يكون المراد منه ذلك لان سورة
براءة نزلت بعد فتح مكة **قوله** والاية من المعجزات لان الله تعالى قد وعد المؤمنين على لسان النبي صلى الله
عليه وسلم ان يعذب الكفار بايديهم ويخزيهم اي يذلهم بالاسر والقتل وينصر المؤمنين عليهم فانجز
وعده ولم يظهر شيء مما يخالف ما وعدهم **قوله** خطاب للمؤمنين وقيل للمنافقين واياما كان
فهو ترغيب في الجهاد بان يقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم باللسان من الايمان فلا تؤمروا
بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ومعنى بل التي تضمنتها ام المنقطعة الاضراب عن الزام
بالقتال الى توبيخهم على الحسبان **قوله** والمراد بنفي العلم نفي المعلوم اي ولم يوجد منكم ما يدل على صدقكم
واخلاصكم فيما اظهرتموه من الايمان وهو الجهاد ونظيره قولك ما علم الله مني ما قيل فيّ والمراد ما وجد
ذلك مني ولما كان علم الله بوجود الشيء من لوازم وجوده في نفسه وعدم علمه تعالى بوجوده من لوازم
عدم وجوده في نفسه جعل علم الله تعالى بوجوده كناية عن وجوده وعدم علمه بوجوده كناية
عن عدم وجوده لكون طريق الكناية ابلغ من التصريح من حيث انه بمنزلة اثبات الشيء ببينة لان
انتفاء لازم الشيء برهان قاطع يدل على انتفاء ذلك الشيء في نفسه **قوله** ولم يتخذوا عطف على
جاهدوا اي ولما يعلم الله الذين لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة فان من شعائر
المؤمن المخلص في ايمانه ان يجاهد اعداء دين الله تعالى بنفسه وماله وان يوالي الله ورسوله والمؤمنين ولا
يوالي غير الرسول والمؤمنين ولا يتخذ غيرهم اولياء من الكفار اولياء وخواصهم ويحتمل ان يكون قوله
ولم يتخذوا في محل النصب على انه حال من فاعل جاهدوا اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة فان
المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه يخالف ظاهره فبين الله تعالى انه لا بد وان يأتوا
بالجهاد مع الاخلاص خاليا عن الرياء والنفاق وموالاة الكفرة فان الجهاد انما يكون عبادة ان لو
اتى به ابتغاء الامر الله تعالى وبذلا للنفس والمال طلبا لمرضاة الله تعالى والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة
من دخل وهي البطانة اي الصديق المطلع على اسرار الباطن ولما يفيد ان ما بعده متوقع وقوعه كان قوله لا
المتوقع فاذا قلت لما يعلم الله ذلك فمعناه كان المعنى لم يوجد ذلك منه لكنه متوقع الوقوع فقوله تعالى ولما يعلم
الله الذين جاهدوا انتبه على ان تبيين ذلك متوقع اي على ان تبيين المخلصين وغيرهم من الذين
لم يخلصوا دينهم امر متوقع وان الله تعالى سيميز بينهم فانه تعالى لما فرض القتال تميز المنافق من غيره وتميز
من يوالي المؤمنين ممن يعاديهم **قوله** يعلم غرضكم منه اي من الجهاد يعلم من يجاهد رياء وسمعة ممن
يجاهد لاعزاز دين الله وقهر اعدائه فان المقصود من ايجاب القتال ليس نفس القتال بل هو ابتلاء
التي يتميز به من امن بلسانه ممن امن بقلبه فان المخلص يجاهد واثقا بالله وابتغاء لوجهه الكريم و
المنافق يجاهد مع الركون الى غير الله تعالى مذبذبا بين الفريقين وقيل من ظن انه يكتفى منه بالدعوى

بعده فاني ثالثة في عرض البراءة عليهم واجيبا بان الثانية اعلام جميع المشركين حتى يعلموا ان لا شيء بعد ذلك الا السيف او الاسلام ولا يقرب البيت بعد هذا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان

سكاكا

قوله خطاب للمؤمنين اي على عمومهم مخلصين او منافقين كما يشعر اليه الخطاب الاخر ان لعمومهما الكلام خلاف ما اذا اريد بالكافرين هو المنافقون وعلى قوله وقيل للمنافقين دون الكافرين اشارة اليه والخاتم برضى بعدها المنقول لنا فانه عموم الخطابين الاخريا كما اشرنا اليه سكاكا

فان قلت يعلم ...... بانه يوجد ويعلمه معلوما سيوجد او بوجه انه تعالى موجودا حين يوجد والعلم يعلم كل شيء على ما هو عليه والعلم بالشيء الذي يجازي عليه هو العلم بعد وجوده والقصد جعل نفي العلم بالوقوع مستلزما المجاز نفي العلم كالكناية على نفي الوقوع من حيث ان نفي الملزوم يكون مستلزما بالنفي اللازم في مادة تحقق اللزوم من الجانبين ولو جعل تعلق العلم بالوقوع لازما له كان نفي العلم مستدلا على نفي الملزوم فيكون التعليم اثباتا للنفي الملزوم بالبرهان

سكاكا

قوله ... الا ان كان ... (...) الاكتفاء ... ركعتين فريضة ... ركوب الاسب ... وان كان ... ايضا ... سكاكا

قوله الوليجة ... كالدخيلة فان ... من الدخول ... ثم البطانة ... ان ... النصح ... من احوالهم ... انهم ...

نزول الفخر ... ان سبب المشركون الحجيج هذا اعلان بكون المفاضلة بين المسلمين والكفار لا بين المسلمين فتكون سبب النزول فوائد
المسجد الحرام الخ وقول المشركين لليهود نحن سقاة الحجيج الى آخر ما ذكر الزمخشري وقد كمل المفاضلة بين المسلمين على ما في صحيح مسلم
من حديث نعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله عم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد

اخرجوا المسجد الحرام وقال آخر ... فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله عم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فنزلت الآية ... [illegible]

دون تحقيق المعنى نبه على غلطه في حسبانه وظنه **قوله** شيئا من المساجد فيه ان تعريف الجمع
بالاضافة للاستغراق او لتعريف الجنس فاذا لم يصح للمشركين ان يعمروا شيئا من المساجد
ان يعمروا جنس المسجد ثبت انه لا يصح لهم ان يعمروا المسجد الحرام بالطريق الاولى لانه افضل افراد
الجنس واشرفها فاذا لم يصح لهم عمارة الجنس كيف يصح لهم عمارة اشرف افراده فالآية
كناية عن منعهم من عمارة المسجد الحرام على وجه آكد من التصريح **قوله** لان الايمان بالله فيه
وتمامه الايمان به عليه الصلاة والسلام فانه اينما جرى ذكر الله تعالى يكون ذكره عليه الصلاة و
السلام مقارنا لذكره تعالى كما في كلمتي الشهادة والاذان والاقامة وغيرها فلما كان ذكرهما مزدوجين
صار كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه فكان الايمان به عليه الصلاة والسلام
مندرجا تحت ذكر الايمان بالله تعالى **قوله** ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه لان الصلاة
لا تتم الا بالاذان والاقامة والتشهد وهذه الاشياء مشتملة على ذكر النبوة فاكتفى بذكر اقامتها
عن ذكر الايمان به عليه الصلاة والسلام لان اقامتها توجب الايمان به ولان فرضية الصلاة
والزكاة انما علمت بشريعته عليه الصلاة والسلام ولا يتصور الاتيان بهما الا بالايمان بشارعهما
قوله اي في ابواب الدين جواب عما يقال اذا لم يصح عمارة المسجد الا لمن لا يخشى شيئا غير الله تعالى
لزم ان لا يصح عمارة لاحد من افراد الناس ضرورة ان كل احد يخشى ما يؤذيه ويضره
كالظلمة والسباع المهلكة والدواهي العظيمة والعياذ بالله ولا يمكن لاحد ان لا يخشى شيئا
منها وتقرير الجواب ان المراد بالخشية هي الرهبة الارادية الناشئة من تصور عظمته واحاطة
علمه بجميع المعلومات وكمال قدرته على مجازاة العباد على حسب اعمالهم المتعلقة بالديانات
من الطاعة والمعصية واما الخشية من المحذورات الطبيعية والنفسانية فانها من قبيل
الانفعالات الجبلية التي لا مدخل فيها للقصد والارادة فهي من قبيل الاحكام التي لا يتعلق بها
التكليف والمدح والذم والثواب والعقاب **قوله** فلا يشبهان بالجثث فلا يكون السقاية
والعمارة كمن آمن محمولا على ظاهره فلا بد ان يقدر المضاف اما في جانب المشبه بان يقال اهل
السقاية كمن آمن او في جانب المشبه به بان يقال السقاية كايمان من آمن وقوله تعالى والله
لا يهدي القوم الظالمين جملة مستأنفة جيء بها لبيان عدم التساوي بين اهل السقاية
والعمارة من المشركين وبين المؤمنين المجاهدين فان الطائفة الاولى محرومون عن
الهداية منهمكون في الضلالة بخلاف الطائفة الثانية فانهم مهتدون موفقون للحق
والصواب **قوله** نزلت في المهاجرين اي في الذين امروا بالهجرة وثقلت عليهم
الهجرة من اقاربهم الكفرة وقالوا ان نحن اعتزلنا عمن خالفنا في الدين قطعنا آباءنا و
ابناءنا

اقول فوضح جوابان المتبادر من فتح مكة هو تمام السورة وهو لا ينافي نزول بعضها بانا قبل فتحها وقد نزلت غير مرة فيحتمل ان يكون نزول
هذه الآية قبل فتحها فيحصل التوفيق وانمحى الاشكال فكانه اشار الى ما ذكرنا من التوفيق بقوله والاقرب دون الاصوب سلمان

وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين فنزلت زاجرا وانجل الرجل بانه
ابنه او ابوه او اخوه او سائر اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا يبقي عليه ثم رخص لهم
فيه بعد ذلك بقوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه تعالى لما امر المسلمين بالهجرة قبل فتح مكة
فمن لم يهاجر لم يقبل الله تعالى ايمانه حتى يجانب الآباء والاقرباء ان كانوا كفارا قال الامام وهذا
مشكل لان الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن حمل هذه الآية على ايجاب
الهجرة والحال ان الهجرة انما كانت واجبة قبل فتح مكة ثم قال والاقرب ان يكون هذه الآية
محمولة على ايجاب التبري من اقربائهم المشركين وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة واصدقاء
بحيث يفشون اليهم اسرارهم ويؤثرون المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام فانه
تعالى لما اوجب على المؤمنين ذلك كانهم قالوا كيف يمكن هذه المقاطعة التامة بين الرجل وبين
ابيه وابنه واخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والاولاد والاخوان واجب بسبب الكفر
وهو قوله ان استحبوا الكفر وهو قوله ويدل عليه قوله تعالى ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون اي
مشركون مثلهم كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه ولما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله انا ان اعتزلنا
عمن خالفنا في الدين نقطع عن اقربائنا وعشيرتنا وتذهب تجارتنا وتخرب مساكننا و
ديارنا فنزل قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الآية عشيرة الرجل اهله الادنون
وقيل القبيلة فعيلة من المعاشرة وهي المخالطة ماخوذ من العشرة لنسبة موصوفة بها
بمشابهتها من حيث ان الموصوف بالعشيرة جماعة يرجع اجتماعهم الى عقد وجهة ارتباط
كان بينهم كما ان معدود العشرة جماعة يرجع اجتماعهم الى كونهم معروض عقد العشرة كما ان
لابن وتامر ماخوذ من اللبن والتمر ليدل على نسبة موصوفة الى ماخذه غاية ما في الباب ان
النسبة الملحوظة في العشيرة بالمشابهة ومن قرأ عشيراتكم جمع السلامة وعشائركم جمع التكسير
نظر الى كل واحد من المخاطبين له عشيرة تخص القراءة بلفظ الجمع **قوله** جواب للشرط ووعيد لمن
آثر حظوظ نفسه على مصلحة دينه وهذا وعيد شديد لا يتخلص عنه الا اقل قليل فانك لو تتبعت
احوال اهل زماننا من الزهاد والورعين لوجدتهم يتحيرون ويتحزنون بفوات احقر شيء من الامور
الدنيوية ولا يبالون بفوات اجل حظ من الحظوظ الدينية فان محصول الآية ان من آثر هذه
المشتهيات الدنيوية على طاعة الرحمن فليستعد لنزول عقوبة عاجلة او آجلة ولينظر ان ما
آثره من الحظوظ العاجلة هل يخلصه من الاهوال والدواهي النازلة اللهم عفوك وغفرانك
يا ارحم الراحمين ولما كانت الهجرة عن الحظوظ العاجلة مما يشق على النفس ذكر الله تعالى لهم

قوله ثم اهل الرجل الذين يتكثر بهم اي يصيرون بمنزلة العدد الكاملة وذلك ان العشرة هي العدد الكاملة فصارت العشيرة اسما لاقارب الرجل الذين يتكثر بهم سواء بلغوا العشرة ام فوقها — منه

قوله وقل من يتخلص عنه فان اكثر الخلق يختار رضا نفسه على رضا الله تعالى ويحفظ الدنيا العاجلة على الحظوظ الاخروية الآجلة لما غلب عليه سلطان الهوى وحكم الحس ومن ترك الدين للدنيا فات كلاهما ومن ترك الدنيا للدين فاز بهما وبالسعادات الاخروية ... [illegible]

دفعة حنين وبين بذكرها ان من اعتمد على غير الله فقد خاب عن مراده فان عسكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في تلك الوقعة كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين وولوا
ادبارهم هاربين ولم ينفعهم كثرتهم ولم تدفع عنهم شيئا وضاقت عليهم الارض بما رحبت وحينما
اعتمدوا على نصر الله تعالى وتوكلوا عليه غلبوا على اعدائهم وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء وذلك يدل على الانسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا ومتى اطاع ورجح الدين
على الدنيا اتاه الدين والدنيا على احسن الوجوه فقوله تعالى ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة الاية تسلية
لاولئك المأمورين بمقاطعة الاباء والابناء لاجل مصلحة الدين ووعد لهم بانهم ان فعلوا ذلك
اوصلهم الله تعالى الى جميع مهماتهم على احسن الوجوه والمواطن جمع موطن وهو كل مكان اقام به الانسان
لامر وهذه الكلمة يصلح لان تكون مصدرا ميميا وان يكون اسم زمان ايضا لكونه معتل الفاء
كالموعد والمراد بالمواطن الكثيرة غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها ثمانون موطنا
منها موطن بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة قوله تعالى ويوم حنين منصوب عطفا على
محل في مواطن فان الفعل نصبه محلا حيث تعلق به بواسطة في ولما كان عطف الزمان على المكان
من قبيل عطف الخاتم على الحلق في قولك حلق وخاتم فضة لان عطف بعض متعلقات الفعل على
بعض انما يحسن اذا كان بينهما مناسبة قدر المضاف في قوله تعالى ويوم حنين فقال وموطن يوم
حنين ليكون من عطف المكان على المكان وجوز ان يقدر الزمان في المعطوف عليه فقال ويجوز ان
يقدر في ايام مواطن كثيرة ليكون من عطف الزمان على الزمان وجوز ايضا ان يجعل الموطن اسم
زمان كمقتل الحسين ليكون من عطف الزمان على الزمان من غير تقدير المضاف الا ان جعل المواطن
اسم زمان في هذا الموضع لا يخلو عن تكلف لانه يعتبر المعنى في ازمنة اقامات بواقع الحروب قوله
ولا يمنع ابدال اذ اعجبتكم كثرتكم منه اي من قوله يوم حنين ان يعطف قوله ويوم حنين على موضع
في مواطن رد على الزمخشري فانه جعل ابدال اذ اعجبتكم من يوم حنين مانعا من كونه معطوفا
على محل في مواطن ومنصوبا بعامله الذي هو قوله ولقد نصركم حيث قال يجب ان يكون يوم حنين
منصوبا بفعل مضمر هو نصركم ليكون من عطف الجملة على الجملة ولا يجوز كونه منصوبا بقوله لقد نصركم
ليكون عطفا على محل في مواطن لان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو كان المبدل منه منصوبا
بالفعل المذكور لكان ذلك الفعل ناصبا للبدل والمبدل منه ولما عطف عليه المبدل منه فيكون زمان
الاعجاب بالكثرة ظرفا معمولا للنصرة الواقعة في مواطن كثيرة لان البدل يجب ان يصح وقوعه موقع
المبدل منه فلو جعل المبدل منه ظرفا للنصرة المذكورة لكان البدل ايضا ظرفا لها فيكون النصرة الواقعة
في مواطن كثيرة واقعة اذ اعجبتهم كثرتهم والكثرة لم تعجبهم في جميع تلك المواطن فضلا عن ان تكون تلك

انما يعطف بعضها على بعض اذا كان من جنس واحد نحو ضربت زيدا وعمرا وصمت يوم الجمعة ويوم الخميس وصليت في المسجد وفي الدار ونحو ذلك واما اذا لم يكونا من جنس واحد فلا يعطف احدهما على الاخر والحيلة فيه ان يجعل كل واحد منهما [illegible] العاطف فتقول ضربت زيدا يوم الجمعة وصليت في المسجد يوم الجمعة منه

تلك الكثرة اعجبتهم فيها فلما لم يجز ان يكون المبدل منه منصوبا بالفعل المذكور وجب كونه منصوبا بفعل
مضمر هذا تقرير كلام الزمخشري ثم تقرير الرد ان كون المبدل منه منصوبا بالفعل المذكور انما يستلزم
كون المجموع الثلث منصوبا بذلك الفعل ولا يستلزم ان يكون لهم كثرة في جميع المواطن فضلا عن ان يكون
تلك الكثرة اعجبتهم فيها وصحة وقوع البدل موقع المبدل منه انما يستلزم كون المؤمنين منصورين
اذ اعجبتهم كثرتهم ولا يلزم منه ان يكون لهم كثرة في جميع المواطن قوله من الطلقاء وهم اهل مكة
سموا بذلك لانه عليه الصلوة والسلام اطلقهم يوم فتح مكة عنوة ولم يقيدهم بالاسار قوله هوازن
وثقيف منصوبان على انهما مفعول حارب روي انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة وقد بقيت
عليه ثلثة ايام من رمضان وصل فتحها الثلث عشرة ليلة مضت من رمضان ومكث فيها الى ان
دخل شوال مشت اشراف هوازن بعضهم الى بعض وكذا ثقيف بعضها الى بعض وحشدوا و
بغوا وقالوا والله ما لاقى محمد قوما يحسنون القتال فاجمعوا امركم فسيروا اليه قبل ان يسير
اليكم فاجمعوا امرهم على ذلك فاخرجوا معهم اموالهم ونساءهم وابناءهم وراءهم فحملوا النساء
فوق الابل وراء صفوف الرجال ثم جاؤا بالابل والغنم والذراري وراء ذلك لكي يقاتل كل
واحد منهم عن اهله وماله ولا يفر احد منهم بزعمهم فساروا كذلك حتى نزلوا باوطاس وقد كان
عليه الصلوة والسلام بعث اليهم عينا يتجسس عن حالهم وكان منهم يسمع اخبارهم فوصل
اليهم فسمع من مالك بن عوف امير القوم يقول لاصحابه انتم اليوم اربعة الاف رجل فاذا لقيتم
العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا جفون سيوفكم فوالله لا تضربون باربعة الاف
شيئا الا فرج فاقبل العين الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما سمع من مقالتهم فقال رجل
من المسلمين والله يا رسول الله لا نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمته
وابتلى الله المؤمنين بتلك الكلمة وقيل ان هذه الكلمة قالها ابو بكر رضي الله عنه وقيل قالها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام هو بعيد لانه يوهم الاعتماد على كثرة عدد المسلمين و
الاعجاب بكثرتهم ومن المعلوم انه عليه الصلوة والسلام كان متوكلا على الله منقطع القلب
عن الاسباب الظاهرة والظاهر ان القول المذكور لا ينافي التوكل على الله ولا يستلزم الاعتماد على
الاسباب الظاهرة لان قوله لا نغلب اليوم عن قلة لا يدل على اعتمادهم على كثرة العدد وانما يدل
على نفي القلة وانه وان اصابتهم المغلوبية لا يكون تلك المغلوبية لاجل قلة اعدادهم بل يكون لامر
اخر غير القلة كما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال لا يغلب اثنا عشر الفا من قلة وكلمتهم
واحدة والفل بالفتح اسم للمنهزم يستوي فيه الواحد والجمع يقال رجل فل وقوم فل واصحاب
الشجرة اهل بيعة الرضوان وهم الذين نزل فيهم لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت
المؤمنين [illegible]

لانهما ظنا انه عليه الصلوة والسلام بعدما [illegible] وتقدر ذلك عليهما منه

الشجرة واصحاب سورة البقرة هم المذكورون في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
قوله نكروا اعنتنا واحدا اي ارجعوا جماعة واحدة يعني دفعة واحدة والوطيس التنور وحمي
الوطيس كناية عن شدة الحرب والمراد بالسكينة ان يسكن القلب بسببه وهو الامن فان الانسان
اذا خاف يضطرب قلبه واذا امن سكن وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة
كناية عن الامن وجعل المص السكينة كناية عن الرحمة التي سكنوا بسببها قوله واعادة الجار
للتنبيه على اختلاف حاليهما فانهم انهزموا ثم كروا والخلافة عليه الصلوة والسلام فانه ما ولى ظهره
الى جانب المشركين قط قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا
على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف اول الخيول مولية ونجهم الناس منهزمين لا يلوون
على شيء ولم يبق معه عليه الصلوة والسلام الا العباس بن عبد المطلب وسفيان بن الحارث
بن عبد المطلب قال البراء والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قط قال رايته
وسفيان آخذ بركابه والعباس آخذ بلجام بغلته دلدل وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار وهذا من غاية شجاعته حيث لم يخف اسمه في تلك
الحال ولم يخف الكفار على نفسه وفي الاية دليل على ان المؤمن لا يخرج من الايمان وان عمل الكبيرة
لانهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم اكثر من عدد المشركين فسماهم الله مؤمنين
قوله يعني الملائكة فان المفسرين اتفقوا على ان المراد بالجنود المنزلة الملائكة الا انهم اختلفوا في
عددهم عن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما كشفنا
المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه
فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا واختلفوا ايضا في ان الملائكة هل
قاتلوا في ذلك اليوم ام لا فما روي عن سعيد بن المسيب يدل على انهم قاتلوا وقال آخرون ان
الملائكة ما قاتلوا الا يوم بدر وفائدة نزولهم في هذا اليوم القاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين
روي انه لما انهزم المشركون بوادي حنين ذهبوا مدبرين فاتوا اوطاس وبها عيالهم و
اموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الجيش
الى اوطاس فسار اليهم فاقتتلوا فهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب اميرهم
مالك بن عوف فاتى الطائف وتحصن بها واخذ ماله واهله ممن اخذ وقتل امير المسلمين
ابو عامر وروي ان المسلمين اصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ثم انه عليه الصلوة والسلام اتى
الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر شهر شوال فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم
فاتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس قوله ما كنا نعدها بالاهاب

قوله ويتفضل عليهم تفسير
للرحمة يعني ان قبول التوبة
محض تفضل منه تعالى من غير
وجوب عليه لو اراد لما
يتفضل عليهم بعد المغفرة
بالاثابة جزاء للتوبة فانها
عمل خير يستحق الجزاء
منه

نساءهم حسبوا ما بقي من المال خيرا لهم فاجابوا بهذا القول عن الاختيار وما سبي منهم من الذراري
والنسوان على استرجاع الاموال فان ترك الذراري والنسوان في ذل الاسر واختيار
استرجاع الاموال عليها يفضي الى الطعن في احسابهم وشانهم في المروءة قوله روي ان ناسا منهم اي
من الذين انهزموا من المشركين يوم حنين فانه روي ان اربعة عشر من هوازن جاؤوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسلمين وسالوه ان يرد اليهم اموالهم وسبيهم فقال عليه الصلوة والسلام اختاروا احدى الطائفتين
اما السبي واما المال قالوا انا نختار سبينا فقام عليه الصلوة والسلام واثنى على الله بما هو اهله ثم
قال اما بعد فان اخوانكم قد جاؤوا تائبين واني قد رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب
ذلك فليفعل ومن احب ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من اول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس
انا قد طيبنا ذلك يا رسول الله قوله فشانه ان يغلبهم بشانه ومن كان لا اي من لا يطيب نفسه ان يرده
فليعطنا ما عنده من السبي ولكن ذلك قرضا علينا والعرفاء جمع عريف بمعنى النقيب وهو دون
الرئيس قوله لخبث باطنهم مبني على ان يكون النجس بفتحتين مصدرا بمعنى النجاسة كالطلب [illegible]
عن المشركين بتقدير المضاف اي ذو نجاسة حيث تنجسوا بما في باطنهم من الشرك ويحتمل ان
يكون بناء على ان يكون نجس بفتحتين صفة مشبهة مثل حسن كما اشار اليه الجوهري حيث قال النجس
الشيء بكسر الجيم ينجس نجسا فهو نجس ونجس ايضا قال تعالى انما المشركون نجس قوله اولانه يجب ان
يجتنب عنهم الحمل على ان يكون الكلام من قبيل حمل المشبه به على المشبه للمبالغة في التشبيه كانه قيل
انهم بمنزلة النجس في وجوب الاجتناب عنهم وهو قريب من قول صاحب الكشاف او جعلوا كانهم النجاسة
بعينها مبالغة في وصفهم بها قوله اولانهم لا يتطهرون اي من الجنابة والحدث ولا يجتنبون عن النجاسات
الحقيقية فكانوا ذوي نجاسات حكمية وحقيقية فحكم عليهم بانهم نجس بمعنى ذوي نجس في اعضائهم
الظاهرة كما ان المعنى على الوجه الاول انهم ذوو النجس وخبث في باطنهم فالمناسب ان يقدم الوجه
الثالث على الثاني لاشتراك الوجه الاول والثالث في عدم كون الكلام محمولا على التشبيه والمبالغة
فيه والحاصل ان جمهور الفقهاء اتفقوا على ان الكفر لا يؤثر في نجاسة بدن الكافر من حيث انه كافر
نجاسة حقيقية وانما يؤثر في نجاسة باطنه بالاعتقاد الباطل فما قرأوا واول قوله تعالى انما المشركون
نجس بانهم ذوو النجاسة معنوية قلبية فان الصفة القائمة بقلوبهم بمنزلة النجاسة الملتصقة
بهم ومنهم من اوله بحمله على التشبيه البليغ على معنى انهم كالاعيان النجسة في وجوب الاجتناب
عنهم ومنهم من اوله بانهم لما لم يتطهروا عن الاحداث والنجاسات الحقيقية كانوا ذوي نجاسات
ملابسين لها فحكم عليهم بانهم نجس اما بتقدير المضاف او بان يكون النجس صفة مشبهة قوله
ورجس ككبد في كبد يعني ان النجس بكسر النون وسكون الجيم اصله نجس بفتح النون وكسر الجيم ثم خفف

اسم فاعل
على وزن كنفل

اي القصد
عن الذوات

يعني ان التركيب من
قبيل زيد اسد اي انه
من باب التشبيه البليغ
منه

او حال اى على انها اسم فاعل حذف موصوفها وهو الحال واقيمت هى مقام موصوفها والتقدير وان خفتم حالا عائلة وهى على التقديرين منصوبة على انها مفعول به لخفتم قوله فيده بالمشية اى مع ان التقييد بها ينافى ما هو المقصود من الاية وهو ازالة خوفهم من العيلة لفوائد الفائدة الاولى ان لا يتعلق القلب بتحقق الموعود بل يتعلق بكرم من وعد به ويتضرع اليه في نيل جميع المهمات ودفع جميع الافات والبليات والثانية التنبيه على ان الاغناء الموعود ليس يجب عليه بل هو متفضل في ذلك لا يتفضل به الا على مشيته وارادته والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة الى جميع الاشخاص ولا بالنسبة الى جميع الامكنة والازمان وكان ابرهيم عليه الصلوة والسلام لاحظ هذه الحكمة في دعائه بقوله وارزق اهله من الثمرات فان من التبعيضية في ذلك الدعاء بمنزلة قيد ان شاء في هذا الوعد قوله اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى دفع لما يقال من ان الاية نزلت لبيان حكم اهل الكتاب بعد ما تبين ان الحكم في حق المشركين ان يقاتلوا حيثما وجدوا الى ان يتوبوا عن شركهم ويسلموا ويدل عليه انه تعالى بين قوله الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخرة بقوله من الذين اوتوا الكتاب ومعلوم ان اهل الكتاب يقولون نحن نؤمن بالله و باليوم الاخر فاوجه توصيفهم بانهم لا يؤمنون بهما ووجه الدفع انهم وان قالوا نؤمن بالله و باليوم الاخر الا ان ايمانهم بهما ليس كما ينبغى فانهم لما قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله كان ايمانهم بالله كلا ايمان وكذا انهم لما قالوا ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لم تمسهم الا اياما معدودة وايضا لما اختلفوا في ان نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه كان ايمانهم باليوم الاخر كلا ايمان فلذلك قال تعالى في حقهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر واعلم انه تعالى لما بين حكم المشركين وهو البراءة عن عهودهم واعلام تلك البراءة للناس ووجوب مقاتلتهم وتبعيدهم عن المسجد الحرام ذكر بعده حكم اهل الكتاب وهو ان يقاتلوا الى ان يعطوا الجزية او يسلموا وحكم المشركين القتال او الاسلام قوله ما ثبت تحريمه بالكتاب المنزل على سيد المرسلين عليه وعليهم الصلوة والسلام و بسنته كالميتة والدم ولحم الخنزير وتحريف الكتاب وكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم و قيل ما ثبت تحريمه في كتابهم وعلى لسان رسولهم الذي يزعمون اتباعهما اى يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا قوله الثابت يعني ان الحق صفة مشبهة بمعنى الثابت وان اضافة الدين اليه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته كمسجد الجامع وجانب الغربي واصل الكلام ولا يدينون الدين الحق وهو دين الاسلام فانه دين ثابت نسخ جميع ما سواه من الاديان والبصريون يؤولون مثل هذا التركيب بان يقدروا للصفات المذكورة موصوفات مثل

باسكان عينه بنقل حركته الى ما قبله كما فعل في كبد وكتف اصلهما كبد وكتف والا بدّ من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه والتقدير انما المشركون قوم نجس او جنس نجس قوله واكثر ما جاء تابعا لرجس اى اكثر اوقات مجيء النجس بالكسر والسكون في حال كونه تابعا لرجس قال الفراء اذا قالوا مع الرجس اتبعوه اياه وقالوا رجس نجس والفاء في قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام للسببية اى فلا تقربوه بسبب انهم عين النجاسة فضلا عن ان يدخلوه فان نهيهم عن اقترابه للمبالغة في نهيهم عن دخوله ولان نهيهم عن اقترابه كناية عن النهي عن دخول الحرم لان اقتراب المسجد من لوازم دخول الحرم فنهى عن لازمه لينتقل الذهن الى تحريم الملزوم فلذلك ذهب الشافعية الى انه لا يجوز للكافر ان يدخل الحرم بحال ذميا كان او مستأمنا فاذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا ياذن له في دخول الحرم بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وان دخل مشرك الحرم متواريا فمرض فيه اخرجناه مريضا وان مات ودفن ولم يعلم نبشناه واخرجنا عظامه اذا امكن وعند الائمة الحنفية يجوز للمعاهد ان يدخل الحرم وانما يمنع عن الحج والعمرة فان قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام وان كان ظاهره المنع من الدخول مطلقا الا ان المراد منه المنع من الدخول حاجا او معتمرا واعلم ان جملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلثة اقسام احدها الحرم وحكمه قد ذكر آنفا والقسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لا يقيم اكثر من ثلثة ايام لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن عشت ان شاء الله لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسلما فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر رضي الله عنه واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلثا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او امان ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم قوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع حيث نهوا عن قربان المسجد ويمكن ان يقال المراد من نهيهم عن قربان المسجد نهي المسلمين عن تمكينهم قوله يعني سنة براءة اى سنة نزولها وتبليغها الى المشركين وهي السنة التاسعة من الهجرة وهي السنة التي حج فيها ابو بكر رضي الله عنه امير الاقامة الحج ونادى علي بالبراءة من المشركين والعيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر لما منع المشركون من قربان المسجد الحرام قال المسلمون انهم كانوا يأتون بالميرة ويتبايعون فالآن تنقطع المتاجر ويضيق العيش فنزلت قال مقاتل ثم اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وتبالة و حملوا الطعام الى مكة وكفاهم الله ما كانوا يخافون منه وصنعاء قصبة اليمن وجرش موضع باليمن وتبالة بالفتحات بلدة صغيرة باليمن قوله وقرئ عائلة على انها مصدر بمعنى العيلة كالكاذبة او

قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد وقيل جميع الحرم وهو الاقرب لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله و ذلك لان موضع التجارات ليس هو عين المسجد فلو كان المقصود من هذه الاية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع و انما يخافون العيلة اذا منعوا من حضور الاسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مع انهم اجمعوا على انه رفع الرسول صلى الله عليه وسلم من بيت ام هاني ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام لا يجتمع دينان في جزيرة العرب وهي من عدن ابين الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا منه رحمه الله والى هذا ذهب ابو حنيفة فان التزيان منعهم عن المسجد الحرام انه منعهم من الحج والعمرة لانه يلزمه فلما كان الحجاز مقصوده لم يجز اراده الحقيقة حذرا عن الجمع فيجوز لهم الدخول في اي مسجد كان والدليل عليه نداء علي رضي الله عنه الا لا يحجن بعد العام مشرك وقوله تعالى وان خفتم عيلة فان الخوف بسبب منعهم عن الحج ليس الا تدبر روحي

سجد الوقت الجامع وجانب المكان الغربي وتقدير الآية عندهم ولا يدينون الاسلام الحق
على ان اضافة الدين الى الاسلام من قبيل اضافة العام الى الخاص للتبيين والتخصيص كما
في كلا الدراهم وتوصيف الاسلام بالحق للمدح والثناء وعن قتادة ان الحق هو الله عز و
جل والمعنى ولا يدينون دين الله الذي هو الاسلام فان الدين عند الله الاسلام وقيل المعنى
ولا يطيعون طاعة اهل الحق على ان الدين الطاعة ودين الحق بتقدير المضاف اي دين
اهل الحق وطاعتهم والجزية فعلة من جزى ما عليه اذا قضاه وهي بناء النوع والهيئة
كالركبة والجلسة يسمى بها ما يعطيه المعاهد ما تقرر عليه بمقتضى عهده جزية لوجوب قضائه
عليه **قوله** اي عن يد مواتية اي موافقة غير ممتنعة والمعنى حتى يعطوها عن طاعة وانقياد
فاذا احتيج في اخذها منهم الى الجبر والاكراه لا يبقى عقد الذمة بل يعود حكم القتل والقتال
الآتية على ذلك الامر معاناة اذا ادوا فقته وطاعته فان الاعطاء عن يد قد يجعل كناية
عن الانقياد والطوع يقال اعطى فلان بيده اذا استسلم وانقاد وعلاقة المجاز ان من
ابى وامتنع لا يعطي بيده بخلاف المطيع المنقاد **قوله** او عن يد قاهرة مستولية عليهم واليد
يد الآخذ لا يد المعطي كما في الوجه الاول ويد الآخذ عبارة عن قدرته واستيلائه وكلمة
عن في غير الوجه الثاني سببية كما في قولك ينهون عن الاكل والشرب اي يبلغون الى غاية
السمن وحسن البنية بسبب الاكل والشرب **قوله** او انعام عليهم على ان تكون يد الآخذ عبارة
عن انعامه لا عن قدرته واستيلائه فان لفظ اليد كما يتناول القدرة يتناول النعمة ايضا
قوله او من الجزية عطف على قوله حال من الضمير **قوله** توجاء عنقه اي تضرب قفاه باليد
يقال وجأت عنقه وجبلة اي ضربته والحكمة في وجاء عنقه وعدم الاكتفاء باخذ الجزية انه
قيد اعطاءهم الجزية بقوله وهم صاغرون فلا يكفي في حقن دم الكتابي مجرد دفع الجزية بل لا بد
معه من الحاق الذل والصغار اليه ليحمله ذلك على ترك الكفر وقبول الدين الحق وهو المقصود
من شرع الجزية وليس المقصود منه تقريره على الكفر والرضا به فانه انما يمهل مدة رجاء انه
ربما يقف في هذه المدة على محاسن الاسلام وقوة دلائله فيتحول من الكفر الى الايمان وقال بعضهم
انما اقروا على دينهم الباطل باخذ الجزية حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة
التوراة والانجيل **قوله** لان لهم شبهة كتاب لما روي عن علي رضي الله عنه قال كان لهم كتاب يدرسونه
فاصبحوا ذات يوم وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واعلم ان الكفار ثلاثة انواع
نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا ولا يقبل منهم الا الاسلام وهم المشركون [illegible] والمرتدون ونوع
اخر يقاتلون حتى يسلموا او يعطوا الجزية وهم اليهود والنصارى [illegible] اليهود والنصارى

فبهذه

يعني ان رئيس المجوس [illegible] علي الكتيبة [illegible]

فبهذه الآية واما المجوس فبقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي
ذبائحهم ولانه عليه الصلاة والسلام اخذ الجزية من مجوس هجر وانه والنوع الثالث منهم الكفرة
الذين ليسوا مجوسا ولا اهل كتاب ولا من مشركي العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند واختلف
في حكمهم فذهب الشافعي الى انه لا يجوز اخذ الجزية عنهم وذهب ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله الى جواز
اخذ الجزية منهم لجواز اجتماع الدينين في غير جزيرة العرب وهم من غير العرب **قوله** اقلها في كل سنة
دينار لما روي انه عليه الصلاة والسلام بعث معاذا الى اليمن وامره ان يأخذ من كل حالم اي بالغ دينارا
ولم يفصل بين الغني والفقير والمتوسط وروي ان عمر رضي الله عنه قسم على الفقراء من اهل الذمة
اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين درهما وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين درهما
قوله انما قاله بعضهم من متقدميهم روي ان بخت نصر لما ظهر على بني اسرائيل قتل علماءهم ولم يبق
فيهم احد يعرف التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا استصغره فلم يقتله وذهب به الى بابل مع جملة
من اخذه من سبايا بني اسرائيل فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل على دير هرقل على شط
دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب
منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي
هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا في البعث فالقى الله عليه النوم ونزع منه الروح وبقي ميتا
مائة عام واما حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى احياه
بلدما اماته مائة سنة واحيى حماره ايضا فركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكرهم
ايضا الناس ومنازله فتتبع اهله وقومه فوجد ابنا له شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة
وبنو بنيه شيوخ ووجد من دونهم عجوزا عمياء مقعدة اتى عليها مائة وعشرون سنة كانت
امة لهم وقد كان خرج عزير منهم وهي بنت عشرين سنة فقال لهم انا عزير كان الله اماتني
مائة سنة ثم بعثني قالت العجوزة ان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء
بالعافية فادع الله لي يرد الي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على
عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت
فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه
فاذا هو عزير قال السدي والكلبي لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن
من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء
فمثلت التوراة في صدره فقال لبني اسرائيل يا قوم ان الله بعثني اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها تمثلت
علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه ثم ان رجلا قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت

في خابية ودفنت في كرم كذا فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه
غادر منها حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التورية في قلب رجل الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود
المتقدمون عزير ابن الله وقيل هو قول بعض من كان بالمدينة روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود ومنهم شاس بن قيس ومالك بن الصيف و
غيرهما فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فنزل قوله تعالى و
قالت اليهود عزير ابن الله قرأ عاصم والكسائي عزير مرفوعا منونا بناء على انه اسم عربي
بحجة حتى يجيز الصرف والتنوين فعزير مبتدأ وابن الله خبره وقرأ الباقون بغير تنوين اما لكونه
ممنوعا من الصرف للتعريف والعجمة او لانه وان كان اسما عربيا مرفوعا على الابتداء الا انه
حذف تنوينه لالتقاء الساكنين كما في قراءة من قرأ قل هو الله احد الله الصمد فان نون
التنوين في عزير ساكنة وكذا الباء في ابن الله فانه ايضا ساكنة فالتقى ساكنان فحذف
نون التنوين كما تحذف حروف العلة عند التقائها بالساكن ويحتمل ان يكون حذف التنوين
فيه مبنيا على ان عزيرا مرفوع على الابتداء وابن الله صفته والخبر محذوف اي عزير ابن الله
صاحبنا او امامنا او متبوعنا وقد تقرر ان لفظ الابن متى وقع صفة بين علمين غير منفصل
بينه وبين موصوفه حذفت الفه خطا وتنوين موصوفه لفظا وزيف المصنف هذا الاحتمال
بناء على ما نقل عن عبد القاهر الجرجاني انه قال في دلائل الاعجاز ان الاسم اذا وصف بصفة
ثم اخبر عنه فمن كذب ذلك الخبر انصرف التكذيب الى الحكم باتصاف المحكوم عليه بالمحكوم به ويكون
اتصاف المحكوم عليه بالوصف الذي نسب اليه مسلما فلو تعلق الانكار بقولهم عزير ابن الله
معبودنا لتوجه الانكار الى كونه معبودا لهم ويكون توصيفه بانه ابن الله مسلما ومن المعلوم
ان تسليم ذلك كفر قوله اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم جواب عما يقال ان القول انما يقال
بالفم فما معنى قوله تعالى ذلك قولهم بافواههم اجاب عنه بوجهين تقرير الاول ان القول وان كان
لا يتحقق الا بالفم الا انه قد يتوهم ان يكون القول المسند اليهم مجازا عن اداء المراد بغير اللفظ
كالكتابة والاشارة فبين ان القول الذي اسند اليهم واقع بافواههم والسنتهم دفعا لتوهم
التجوز وتاكيد النسبة اليهم وتقرير الثاني انه لو اكتفى بان يقال ذلك قولهم لفهم ان ذلك القول
يعتبر به عما في ضميرهم وان مدلوله ثابت في قلوبهم متايد ومستند الى الدليل والبرهان فقيل
بافواههم ليعلم ان ذلك القول ليس الا لفظا يتفوهون به بالسنتهم وليس يحكي به عما في ضميرهم
فهو بمنزلة الالفاظ المهملة الفارغة عن المعنى المندرجة تحته فان القول بانه تعالى له ولد ليس له
معنى يقبله العقل للعلم بانه تعالى منزه عن الحاجة والشهوة والمصاحبة والمباضعة معها فما

فما هو الا مجرد لفظ يتفوه بالفم بالمهمل قوله والهمزة لغة فيه قراءة العامة يضاهون بضم الهاء
بعدها واو ساكنة وقراءة عاصم بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو وقيل هما بمعنى واحد وهو
المشابهة وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت قوله اي يضاهي قولهم اي يضاهي قول اليهود والنصارى
الكائنين في عهده عليه الصلوة والسلام قول قدمائهم قوله او المشركون اي والمراد من قول الذين
كفروا من قبل المشركون والمعنى يضاهي قولهم قول المشركين من قبلهم الملائكة بنات الله على تقدير
ان يكون ضمير يضاهون للنصارى يكون المعنى يضاهي قول النصارى قول اليهود الذين قالوا عزير
ابن الله قوله تعالى قاتلهم الله من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم لتعذر ارادة الحقيقة او من قبيل
ما ذكر تعجبا مع قطع النظر عن العلاقة المصححة للانتقال من المعنى الاصلي الى المعنى المراد قوله
بان اطاعوهم او بالسجود لهم يؤيد الاول ما روى عن عدي بن حاتم كان نصرانيا وما اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا
الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
فقلت انا لسنا نعبدهم فقال عليه الصلوة والسلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما
حرم الله فتحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم ونحوه اطلاق عبادة الشيطان على طاعته وقبول
وسوسته كما في قول ابرهيم عليه الصلوة والسلام لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان فيكون قوله تعالى اتخذوا
اربابا التشبيه البليغ اي كالارباب والمعنى اطاعوا علماءهم وعبادهم فيما امروهم به طاعة
العبيد للارباب مثل قوله تعالى حتى اذا جعله نارا اي كالنار وقوله او بالسجود لهم اي وبالافراط في تعظيمهم
فانه بمنزلة العبادة لهم ويؤيده ما نشاهده من الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد
يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الدين فقد يلقي
اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون وقد خلي ببعض الحمقاء من اتباعه فربما ادعى الالهية والربوبية
واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف يبعد ثبوته في الامم السالفة وقد روي ان النسطورية
من النصارى يزعمون ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلثة وان عيسى ومريم لهما ناسوتية ولاهوتية
والاحبار جمع حبر بالفتح وقيل جمع حبر بالكسر قيل هما لغتان بمعنى وهو العقيب العالم الذي صنعته
تحبير المعاني بحسن البيان ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب الا انه غلب في علماء اليهود
من اولاد هرون عليه الصلوة والسلام والرهبان جمع راهب وهو الذي تمكنت الرهبة والخشية
في قلبه وظهرت اثارها في وجهه ولسانه وبيانه وغلب في عباد النصارى واصحاب الصوامع
منهم قوله والمسيح بن مريم عطف على رهبانهم جمع اليهود والنصارى في ضمير اتخذوا مع ان الذين
اتخذوا احبارهم اربابا هم اليهود وان الذين اتخذوا رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا هم النصارى

قوله او تعجب من شناعة قولهم
اي قصدت تعجب النبي من غير
ان يقصد الدعاء بالاهلاك
وان كان اللفظ على صيغة
الدعاء وهو لا ينافي
كونه محل التعجب بلا التباس في
وجوده فيما اذا قصد الدعاء
عليهم وحاصله انه قد يقصد
التعجب من غير ان يقصد الدعاء
ويدل عليه علم بحق التفرقة
بهذا الكلام هلاكهم من يشوه
به في حقه فلا في الوجه الاول
فظهر الفرق بين الوجهين
وان ضم على سبيل الدعاء
عليهم بالاهلاك ويلزمه منه
التعجب من السامع لانه
كلمة لا تستعمل الا في موضع
التعجب من شناعة فعل
قوم او قولهم انتهى
حسان

لامر الليس والمعنى اتخذ اليهود احبارهم اربابا والنصارى اتخذوا رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا
قوله اي وما امر المتخذون في حال مقررة لوجه الانكار على اتخاذهم اي فكيف تتخذونهم اربابا من
دون الله والحال انه تعالى ما امرهم في التورية والانجيل وبادلة العقل الا ليعبدوا الها واحدا وان الغير
للارباب المتخذة يكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ اي وما امر هؤلاء الارباب المتخذة الا ليعبدوا الله
ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم قوله وقيل انه تمثيل عطف
على ما يليهم من قوله حججه الدالة على وحدانية الله تعالى او القران او نبوته فان المجاز على جميع التقادير
يكون في المفرد حيث شبه احد الثلثة المذكورة بالنور من حيث انها اسباب للظهور فعبر عنها بلفظ
المشبه به وعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن الهيئة المشبه بها فيكون الكلام من قبيل الاستعارة
التمثيلية حيث شبه حالهم في طلبهم ابطال نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحدانيته تعالى ودينه
الحق الذي هو الاسلام بالتكذيب والشرك بالله وطاعة احبارهم ورهبانهم فيما شرعوا لهم من
مخالفة حكم الله تعالى بمن يريد ان يطفئ نورا عظيما قوي الاشراق منتشرا في الافاق بان اظهره الله
وانارة ويريد ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الاضاءة بنفخه وطمسه قوله وانما صح الاستثناء
المفرغ والفعل موجب حيث قيل ويابى الله الا ان يتم نوره مع انه لا يقال جاءني الا زيد لفساد المعنى
لان قوله تعالى ويابى الله في معنى ولا يرضى او لا يريد الا ان يتم قوله تعالى ولو كره الكافرون محذوف الجواب
وكذا حذف فيه مفعول كره لدلالة ما قبله عليه والتقدير ولو كره الكافرون اتمام نور الله يابى الا اتمامه
قوله تعالى هو الذي اي الذي يابى كل شيء الا اتمام نوره ودينه هو الذي ارسل رسوله بالهدى الذي هو
القران ودين الحق الذي هو الاسلام ان كان ضمير ليظهره لدين الحق يكون تعريف الدين للاستغراق وان
كان للرسول يحتاج الى تقدير المضاف في قوله على الدين اي على اهلها وغلبة دين الحق على ساير الاديان
بان يكون على التزايد ابدا او تتم عند نزول عيسى عليه الصلوة والسلام لما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ينزل عيسى ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام وقيل ذلك عند خروج المهدي فانه
لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او التزام اداء الخراج انه تعالى لما ذكر ان احبار اليهود ورهبان
النصارى يغيرون ما شرعه الله تعالى بتحليل ما حرم وتحريم ما احله وان سفلتهم يطيعون الرؤساء
في ذلك ذم الكثير رؤسائهم بحب الدنيا ومزيد الحرص على الدنيا والطمع فيها والاشتغال باخذ اموال
الناس بالباطل فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس
بالباطل الا ان المناسب لذمهم بحب المال والاشتغال باخذه بالطريق الباطلة ان يقال لياخذون
اموال الناس بدل لياكلون لان المذموم منهم مجرد اخذها بالباطل سواء اكلوه ما اخذوه او لم ياكلوا
الا ان الاكل لما كان معظم ما يقصد بالاخذ عبر عن الاخذ بالاكل على طريق التعبير عن الشيء باسم اعظم

مقاصد

ولما كان معظم مقاصد اهل الدنيا المال والجاه فانهم يشتغلون بهما عن تحصيل سعادة الاخرة وصف الله تعالى اكثر الاحبار والرهبان
بكونهم مشغولين بهذين الامرين اما المال فهو المراد بقوله تعالى ليأكلون اموال الناس واما الجاه فهو المراد بقوله ويصدون اي يمنعون الناس

مقاصده وفسر الاكل بالباطل باخذها بطريق الارتشاء في الحكم فانهم كانوا ياخذون الرشى
في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرايع ويوهمون الناس انهم حذاق يهتدون تاويل الايات
وبيان مراد الله تعالى منها فاكل المال مجاز مرسل عن اخذه حيث اطلق الاكل واريد الاخذ وجعلوا ان
يكون اطلاق اسم الاكل على الاخذ من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب قوله يجوز ان يراد به
الكثير من الاحبار والرهبان فيكون قوله والذين يكنزون الذهب معطوفا على كثيرا في قوله ان كثيرا
من الاحبار على طريق عطف الصفة على الصفة ويكون المعنى ان الذين جمعوا خصلتين مذمومتين
وهما الحرص على الدنيا المؤدي الى اخذ اموال الناس بالباطل وكثرة الاموال والبخل بها عن الانفاق في
سبيل الخير فيكون الاية مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها عن الانفاق وان يراد به المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حق الله تعالى فيه فيكون ذكرهم عقيب ذكر المرتشين من اهل الكتاب
اشارة الى التسوية بينهما في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وتغليظا عليهم ونهيا عن الكنز على الوجه
المذكور بعثا على الانفاق فيكون الواو في قوله والذين استينافية ويكون الاسم الموصول مبتدا
متضمنا لمعنى الشرط فلذلك دخلت الفاء على خبره قوله ويدل عليه اي على ان المراد من قوله تعالى ولا
ينفقونها في سبيل الله عدم اخراج زكوتها انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين وقالوا او عد الله بالعذاب
الاليم لمن كثر ماله وجمعه ولم ينفقه في سبيل الله ومن يستطيع على ان ينفق جميع ما رزقه الله تعالى
من المال ولا يدع لولده شيئا فلما قال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب
به ما بقي من اموالكم علم ان المراد بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وان الكنز الموعد عليه هو
ما جمع ولم يعط زكوته بقوله عليه الصلوة والسلام ما ادى زكوته فليس بكنز معناه ليس بكنز اوعد
عليه ويوم في قوله تعالى يوم يحمى عليها منصوب بعذاب او بمحذوف يدل عليه عذاب اي يعذبون يوم يحمى
والجملة مستانفة لبيان وقت عذابهم او باذكر اي اذكر يوم يجعل المكنوز يحمى عليها بان توقد عليها
النار الحامية اي الشديدة الحرارة يقال حمي النار اي اشتد حرارته وفسر كونه يحمى عليها في نار جهنم
بقوله توقد النار ذات حمي شديد عليها لان الشيء انما يكون محمي عليه بان يسلط عليه النار الحامية
اي الحارة اشد الحرارة وجعل اصل الكلام يوم تحمى تلك الكنوز بالنار لان المقصود بيان ان الكنوز
المكوي بها تجعل حارا اشد الحرارة فتكوى بها اعضاؤهم المذكورة والعبارة الظاهرة الدالة على
هذا المقصود هي قولنا تحمى الكنوز بالنار الا انه جعل الاحماء للنار حيث جعلت الكنوز محمي عليها وهو
عبارة عن احماء النار عليها للمبالغة في بيان شدة حر الكنوز المكوي بها فان احماء النار على
الكنوز ابلغ في الدلالة على شدة حر الكنوز من احماء الكنوز بالنار فعدل عن ان يقال يوم تحمى الكنوز
بالنار الى ان يقال يوم يحمى النار وتوقد على الكنوز للمبالغة ثم حذف النار واسند الى الجار والمجرور

عن متابعة خيار الخلق ولا
يمنعون عن متابعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويقولون
لاتباعهم ان الدين الحق
هو الدين الذي انتم عليه
ويلقون اليهم انواع الشبهات
والمكر والخديعة لئلا يزول
رياستهم وجاههم
منه

اي يجمعونه ويخبؤونه
ومعنى الكنز في كلام العرب
الجمع والضم وكل شيء
جمع بعضه الى بعض
فهو مكنوز ومنه ناقة
كناز اي منضمة
الخلق منه

تنبيها على المقصود وبيان بشدة حرارة الكنوز المكوي بها فلما عدل عن إسناد الفعل
إلى النار بإسناده إلى الظرف حسن تذكيره فقيل يحمى بالياء التحتانية والكنز في كلام العرب
هو الجمع وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز يقال هذا جسم مكتنز الأجزاء واختلف
في أن الكنز المذموم ما هو فقال الأكثرون هو جمع المال مع عدم إنفاقه فيما أمر الله أن
ينفق فيه بإخراج زكوته وقيل إن المال الكثير إذا جمع فهو الكنز المذموم سواء أديت زكوته
أو لم تؤد وتمسك هذا القائل بعموم هذه الآية حيث أوعد على الكانزين مطلقا فإن ظاهرها
يدل على المنع من جمع المال وتخصيص الوعيد بمن جمع المال ولم يؤد زكوته عدول عن ظاهره
بلا دليل وبما روي أنه عليه الصلوة والسلام قال لما نزلت هذه الآية تبا للذهب تبا
للفضة قالها ثلثا فقالوا فأي مال نتخذه قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين
أحدكم على دينه وبما روي عن علي رضي الله عنه كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه الزكوة
أو لم تؤد وما دونها نفقة وتمسك الأكثرون بقوله عليه الصلوة والسلام ما أدي زكوته فليس
بكنز وبقوله عليه الصلوة والسلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وبقوله عليه الصلوة والسلام
إن الله لم يفرض الزكوة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وبأنه كان في زمانه عليه الصلوة
والسلام جماعة مياسير كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه الصلوة والسلام يعدهم
من أكابر المسلمين وبأنه عليه الصلوة والسلام ندب إلى إخراج الثلث أو أقل في المرض
ولو كان جمع المال محرما لكان عليه الصلوة والسلام يأمر بتصدق كل المال بل كان يأمر الصحيح
في حال صحته بذلك وبقوله عليه الصلوة والسلام لسعد بن أبي وقاص إنك إن تدع ورثتك أغنياء
خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس **قوله** لأن جمعهم وإمساكهم بيان لوجه تخصيص
الأعضاء الثلث بالكي وتقريره أن مقصود الكانز من جمع المال لما كان طلب الوجاهة
بالغنى تعلق الكي بأعلى وجهه وهو الجبهة ولما قصد به أيضا التنعم بالمطاعم الشهية التي
ينتفخ بسببها جنباه وبالملابس البهية التي يلقيها على ظهره تعلق الكي بالجنوب والظهور
أيضا **قوله** أو لأنهم ازوروا عن السائل أي عدلوا عنه بأن صرفوا وجوههم عن
جانبه وانحرفوا عنه وأعرضوا عنه بأن يولوهم جنوبهم وظهورهم والازورار عن الشيء
العدول عنه والزور بالتحريك هو الميل قال تعالى وترى الشمس تزاور عن كهفهم قال أبو بكر الوراق
خصت هذه المواضع منه لما يدل على التوقع والآه والإعراض عنه **قوله** على إرادة القول
يعني أن هذه الجملة مقول قول مقدر أي يقال لهم هذا القول يوم يحمى عليها فتكوى بها أعضاؤهم
الثلثة **قوله** لأنفسهم توبيخ لهم وتهكم بهم أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ به وهو عين

قال عليه السلام كل مال أدي زكوته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وكل ما لم تؤد زكوته فهو كنز وإن كان فوق الأرض وبه قال ابن عباس والضحاك والسدي والجمهور فعلى هذا معنى الإنفاق إخراج الزكوة منه

والأولى الأقوال بالصواب القول الأول لأن الوعيد وارد في منع الزكوة لا في جمع المال الحلال ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام من أدى زكوة ماله فقد أدى الحق الذي عليه ومن زاد فهو خير له تأمل

حديث لسعد عليه الصلوة والسلام يعني فيما ورد في الشيخين أن الحمل إن المطلق يحمل على المقيد إذا اتحد الحكم والحادثة وههنا كذلك فإن الحكم هو الكي فقط لأنه دفع منهما وإن اتحاد الحادثة فكذلك فتنزل المطلق إلى المقيد هو قاعدة الأصوليين منه

عين مصدرنا وسبب تعذيبنا **قوله** أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه الأول على أن تكون كلمة ما
مصدرية والثاني على أن تكون موصولة وعلى الوجهين لا بد من تقدير المضاف لأن المعنى
المصدري وكذا عين الأموال المكنوزة ليست بمذوقة وإنما يذاق وبالا وعذابا ثم إنه
لما أوعد الكانزين الذين يجمعون المال ولا يعطون منه حق الله وكان وجوب أدائها
مشروطا بأن يمضي عليه سنة كاملة بين الله أن عدة الشهور التي يتم الحول بتمامها فقال إن
عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني أن عدد شهور سنة المسلمين التي علق الله تمام
السنة بانقضائها اثنا عشر شهرا قمرية فإن السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهرا
من الشهور القمرية ويدل عليه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب فإنه جعل تقدير القمر بالمنازل دليلا على السنين وإنما يصح
ذلك إذا كانت السنة محسوبة بسير القمر وقوله يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس
والحج فإن ذلك يدل أيضا على تقدير الأوقات وتعيينها بسير القمر بتجدد الأهلة وبسير القمر عند سائر
الطوائف عبارة عن مدة تدور فيها الشمس دورة تامة والسنة القمرية أقل من السنة
الشمسية بمقدار معلوم وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل إلى فصل فيكون
الحج والصوم والفطر تقع تارة في الصيف وأخرى في الشتاء وإنما قدرت الشهور القمرية باثني
عشر لأن الشهور الشمسية مقدرة بذلك لكونها معتبرة بنزول الشمس في البروج الاثني عشر
وتمام السنة الشمسية لما كانت معتبرا بانتهاء مسيرة الشمس في تلك البروج الاثني عشر وكان
الشهر معتبرا باستقرارها في كل برج منها وكانت السنة الشمسية عبارة عن مدة انقضاء اثني
عشر شهرا جعلت السنة القمرية اثني عشر شهرا أيضا لتوافقها على حساب قال الله والشمس والقمر
بحسبان والعدة مصدر بمعنى العدد ولذلك نصب قوله عند الله على الظرفية وقوله اثنا
عشر خبر إن وشهرا منصوب على التمييز والشهور جمع تكثير للشهر بخلاف الأشهر في قوله الحج
أشهر معلومات فإنه جمع قلة **قوله** في كتاب الله صفة لاثني عشر والتقدير اثنا عشر شهرا
مثبتة في كتابه وقوله يوم خلق السموات ظرف منصوب بما تعلق به قوله في كتاب الله أي مثبتة في كتاب
الله يوم خلق السموات ويجوز أن يكون ظرفا للقول في كتاب الله إن جعل مصدرا بمعنى في حكمه والمعنى
أن عدة الشهور اثنا عشر مثبتة في حكم الله الواقع يوم خلق السموات أي أمر ثابت في نفس الأمر
منذ خلق الله الأجرام والأزمنة وقيل تعلقه بالكتاب يقول إن جعل مصدرا لأنه إن جعل بمعنى
اللوح المحفوظ لا يجوز أن يتعلق به الظرف لأن أسماء الأعيان لا تعمل في الظرف إلا أن يتضمن معنى
الصفة كما في قوله أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر والحرم جمع حرام

قوله والمعنى أنه هذا الحكم إلى آخره دفع سؤال وهو صدر الآية يوهم كون الشهور اثني عشر شهرا قديما مع أن آخر الآية يدل على أنه حادث وأن ذلك الكون مخصوص بيوم خلق السموات والأرض فأشار إلى الجواب في بيان حاصل المعنى بأن المراد بالعدة الحكم هو نفس الأمر لا تغير وبأن المراد بيوم خلق السموات هو ابتداء المدة يعني منذ خلق السموات سعدي

من الشهور الاثني عشر اربعة اشهر حرم يحرم فيها القتال جعلت انفس الشهر حرما لكونها
ازمنة لحرمة ما حل فيها من القتال وهو من قبيل اسناد الحكم الى ظرفه اسناد المجاز او اجزاء
الزمان وان كانت متشابهة في الحقيقة الا انه لا يبعد ان يميز بعض الامور المتشابهة بمزيد
حرمة لم يجعلها في البعض الاخر كما ميز يوم الجمعة ويوم عرفة بحرمة لم يجعلها في سائر الايام
وكذا ميز شهر رمضان عن سائر الشهور بمزيد حرمة لم يجعلها لسائر الشهور وميز
بعض ساعات الليل والنهار بان جعلها اوقاتا لوجوب الصلوة فيها وكما ميز بعض الاماكن و
البلدان وفضلها على سائرها كالبلد الحرام والمسجد الحرام فخص تلك بعض الاوقات وبعض
الاماكن بمزيد التعظيم والاحترام فلا يبعد في تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة بان جعل
انتهاك المحارم فيها اشد واعظم من انتهاكها في سائر الاشهر ويضاعف فيها السيئات
بتكثير عقوبتها ويضاعف فيها الحسنات بتكثير مثوباتها وخص الاشهر الاربعة بالنهي عن ظلم
النفس فيها مع ان الظلم حرام في كل وقت لبيان ان الظلم فيها اغلظ واعظم وزرا كما في الملحد
في حرم مكة ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب السعير مع ان الظلم حرام في كل مكان
وقد اوعد عليه الصلوة والسلام من زنى بحليلة جاره مع ان الزنا حرام بكل امراة و
التخصيص في كل ذلك للتغليظ كانه قيل فلا تظلموا فيهن خصوصا انفسهم قوله وهي مصدر
كف فان مصدر الثلاثي قد يجيء على فاعلة نحو عافية وعاقبة وكاذبة وقع موقع الحال اما
من الفاعل او المفعول او منهما معا والمعنى على الاول قاتلوهم مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم
كذلك اي تعاونوا وتناصروا على ذلك وكونوا مجتمعين متوافقين في مقاتلة الاعداء وعلى الثاني
قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال معهم كما انهم يستحلون قتال جميعكم واذا
جاز كونه حالا عن كل واحد منهما جاز كونه حالا منهما معا والمعنى ظاهر واختلف العلماء
في حرمة القتال في الاشهر الحرم فقيل كان محرما ثم نسخ بقوله براءة من الله ورسوله
الى اخر الآيات وبقوله وقاتلوا المشركين كافة اي في الاشهر الحرم وفي غيرهن ويؤيده
انه عليه الصلوة والسلام حاصر اهل الطائف في بعض من ذي القعدة ولو كان القتال حراما فيه
لما فعل ذلك وقال آخرون انه غير منسوخ وقالوا ليس معنى الاية قاتلوهم في الاشهر الاثني عشر
كافة اي في جميعهن بل هي حال اما من الفاعل او المفعول كما ذكر ولو سلم انه حال من شهر
السنة فالمعنى وقاتلوا المشركين كافة وان قاتلوكم في الشهر الحرام وان يقاتلوكم فيه فليس
لكم ان تبتدأوا قتالهم والاصح انه منسوخ لانه عليه الصلوة والسلام حاصر الطائف في شهر
الحرام ولو كان القتال محرما فيه لما حاصرهم في الشهر الحرام قوله اي تأخير حرمة الشهر اشارة
الى

روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ضمير فيهن يرجع الى جميع الاشهر الاثني عشر اي فلا تظلموا في جميع الاشهر الاثني عشر انفسكم لانها شهود عليكم يوم القيمة وما ذكرناه انه يرجع الى الاربعة الحرم واليه ذهب اكثر المفسرين منه

الى ان النسيء مصدر على فعيل من انسأه بمعنى اخره كالنذير من انذره والنكير من انكره ومنه
النسيئة في البيع لان البيع بتأخير زمان ايفاء الثمن قرأ الجمهور النسيء بهمزة بعد الياء و
قرأ ورش عن نافع انما النسي بابدال الهمزة ياء وادغام الياء في الياء وقرئ النسء بحذف
الهمزة والنسي بالهمزة بغير ياء والنسا كما يقال منسأة ومنسا وميسا قوله وقرأ حمزة والكسائي
وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد على بناء المفعول من اضل واسناد الفعل الى الذين كفروا
والفاعل المتروك اما الله او الشيطان او بعض الكفرة والمعنى يضل الله به الذين كفروا او يضل
به الذين كفروا اتباعهم وقرأ باقي السبعة يضل بفتح الياء وكسر الضاد على بناء الفاعل
من ضل الثلاثي وحسن اسناد الضلال الى الذين كفروا سواء اضلوا غيرهم ام لا قوله
يحلونه النسيء من الاشهر الحرم اشارة الى ان ضمير يحلونه راجع الى المنسي الذي دل عليه
النسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما وحبوا تحريمه في العام القابل اي تركوه
على حرمته قوله حتى رفضوا خصوص الاشهر لانهم كانوا اصحاب حروب وغارات فربما
كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلثة اشهر متوالية ولا يغيرون فيها فكانوا يؤخرون تحريم
المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يردون التحريم الى المحرم
ولا يفعلون ذلك الا في ذي الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم فينادي مناد ان احلوه وحرموا
مكانه شهرا آخر فتغير شهر الحج ايضا ولما فتح الله مكة سنة ثمان من الهجرة وحج حجة
الوداع في السنة العاشرة من الهجرة وقف بعرفة فقال يا ايها الناس ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فلا شهر ينسأ ولا عدة تخطأ وان
الحج في ذي الحجة الى يوم القيمة قوله واعتبروا مجرد العدد بان قالوا الاشهر الحرم اربعة وقد
حرمنا اربعة اشهر وتركوا حرمة خصوص الشهر ورعاية حرمة احد الواجبين قوله
اي ليوافقوا يعني ان المواطأة عبارة عن الموافقة والاجتماع على حكم بيان انهم تواطؤا
على ذلك اذا اجتمعوا عليه كان كل واحد منهم يواطئ مواطأة الاخر فانهم يقولون الاشهر الحرم
اربعة فقد حرمنا اربعة اشهر فيتوافقون على رعاية نفس العدد ويلغون حرمة خصوص الشهر
الذي حرمه الله فانهم وان راعوا احد الواجبين الا انهم تركوا الواجب الاخر وهو رعاية حكم
خصوص الشهر حيث احلوا ما حرمه الله من الاشهر وهو قوله فيحلوا ما حرم الله اي ليتوصلوا
بهذه الحيلة الى احلال الشهر الذي حرمه الله قوله واللام متعلقة بيحرمونه على ما اختاره البصريون
من اعمال الفعل الثاني من المتنازعين لقربه واما الكوفيون فانهم يختارون اعمال الفعل الاول
لسبقه فمقتضى مذهبهم ان يكون اللام متعلقة بيحلونه قوله او بما دل عليه مجموع الفعلين لا بنفس

وقيل انه فعيل بمعنى مفعول من نسأه اي اخره فهو منسوء ويرد عليه انه ليس يجوز ان يخبر عن النسيء بمعنى المؤخر بانه زيادة والاصح الشهر والشهر لا يكون زيادة في الكفر ويجاب بانه مبني على حذف المضاف من الاول اي انساء النسيء زيادة في الكفر او من الثاني اي انما النسيء ذو زيادة في الكفر منه

مجموع الفعلين لان العاملين المستقلين لا يتواردان على معمول واحد تخصيص قراءة الجمهور زين
على بناء المفعول والفاعل متروك هو الشيطان او الله خلقا وسوء مرفوع على انه قائم مقام الفاعل
وقرئ على بناء الفاعل وسوء منصوب على المفعولية **قوله** وقرئ تثاقلتم على الاصل ادغمت تاء التفاعل
فيما بعدها فاجتلبت همزة الوصل للابتداء فصار اثاقلتم وقرئ ايضا اثاقلتم على الاستفهام حذفت
الهمزة المجتلبة للابتداء بانضمام همزة الاستفهام الانكاري فصار اثاقلتم لما ذكر الله تعالى فضائح الكفار
عاد الى الترغيب في مقاتلتهم ومعاتبة المؤمنين بسبب تثاقلهم للخروج الى غزوة الروم قبل الشام
فانه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة وغزا هوازن وثقيفا بحنين واوطاس وحاصر الطائف و
فتح الى الجعرانة واحرم بها للعمرة واعتمر الى المدينة فامر بغزوة تبوك في جانب الشام و
كان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت ثمار المدينة واينعت
واستكملت ظلالها وطالت المسافة بينهم وبين العدو فشق عليهم الخروج وتثاقلوا
فاستنفرهم اي طلب منهم الخروج الى الغزو يقال نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا اذا خرجوا
الى مكان لمصلحة توجب الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفر فنزل قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطأتم وتقاعدتم ضمن
اثاقلتم معنى الميل والاخلاد فعدي بالى فقوله تعالى اثاقلتم الى الارض اي ملتم الى الدنيا
ولذاتها والاقامة بارضكم ودياركم لبلوغ ثمارها وطيب ظلالها وتعب الخروج في زمن القحط
والعسرة وشدة الحرارة وكثرة العدو وكان ذلك في غزوة تبوك سنة عشر من الهجرة
بعد رجوعهم من الطائف والشقة السفر البعيد والمسافة التي تقطع بمشقة **قوله** بدل الاخرة
يعني ان كلمة من بمعنى البدل كما في قوله تعالى جعلنا منكم ملائكة اي بدلكم روي انه عليه الصلوة
والسلام قال والله ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع
ثم انه تعالى توعدهم على ترك الخروج فقال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما فقوله تعالى الا كلمتان
ان للشرط ولا للنفي اي ان لم تخرجوا الى الغزو يعذبكم عذابا موجعا لابدانكم وقلوبكم **قوله**
ونيل حجر غزوة للرسول ولا يخفى انه على الاول الدال فانه تعالى على كل شيء قدير فيقدر على تبديل
غيركم بكم وعلى تغيير اسباب نصرته عليه الصلوة والسلام وعلى نصرته عليه الصلوة والسلام
بلا مدد وبلحقه **قوله** فحذفت الجزاء فان التقدير ان لم تنصروه فسينصره كما نصره اذ اخرجه
الذين كفروا من مكة ولا يصلح قوله تعالى فقد نصره الله جزاء للشرط لان النصرة الواقعة
قبل وقوع مضمون الشرط لا يصح كونها جزاء مرتبا على وقوع مضمون الشرط في المستقبل
وكونه كالدليل على ما هو الجزاء حقيقة من حيث انه تعالى لما نصره ودل على انه تعالى نصره على جميع
من

اي ملتم الى حظوظ الدنيا و
شهواتها لكن الارض منبته
عنها وتباعد **قوله** ارضيتم
بالحياة الدنيا رومي

قوله فحذف الجزاء الا بدين اعتبار
المحذوف الماضي الصريح لا يصلح
جزاء للشرط واجاب عنه
بوجهين متقاربين ان نهما
انهم دليل الجزاء مقامه لكن
الاول مبني على القياس الجلي
فان من نصره الله في تلك
الحالة سينصره بالطريق الاولى
في هذه الحالة والثاني مبني على
الاستصحاب اي ان نصر الله
معه ان سينصره الى الآن
فالمعنى انه تعالى معه على ما
عوده كما قال ذكر باعثا
ولم اكن بدعائك رب
شقيا
رومي

من عاداه من الذين كفروا في زمان لم يكن معه الا رجل واحد علم منه انه تعالى سينصره ويظهر دينه
الآن وان تثاقل من استنفره من المؤمنين لانه الآن قد اتضح امر نبوته وحقية دينه وكثر اتباعه
عددا وعدة فالمذكور بمنزلة القياس الجلي فكانه قيل ان لا تنصروه فسينصره من نصره حين
لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله في الماضي وهو اضعف حالا واقل عددا على
انه ينصره في المستقبل وقد ايده الله تعالى واوضح شواهد نبوته بحيث لم يبق من يرتاب في حقية
دينه الا مكابر ومعاند فالنصرة الماضية بمنزلة الدليل للنصرة الآتية والوجه الثاني قريب من
الاول لاشتراكهما في حمل الكلام على حذف الجواب وكون المذكور بمنزلة الدليل الدال عليه و
الفرق عائد الى اختلاف وجه الدلالة فالمذكور على الاول بمنزلة القياس الجلي كما ذكره وعلى
الثاني بمنزلة الاستصحاب المعلوم للمخاطبين فكانه استدل على النصرة الموعودة بعلم المخاطبين
بانه من المنصورين فالمعنى ان لا تنصروه فقد عرفتم انه من المنصورين لا من المخذولين
كما شاهدتم ذلك اذ هو ثاني الاثنين لا ثالث معهما فاعلموا انه تعالى ينصره في المستقبل بناء على
ان الاصل بقاء ما كان على ما كان **قوله** واسناد الاخراج الى الكفرة مع ان ما وقع منهم
ليس الا هم اخراجه او قتله وهو عليه الصلوة والسلام انما خرج باذن الله تعالى وامره لا باخراج
الكفرة اياه وقد روي انه ابتلي المسلمون قال عليه الصلوة والسلام اني رايت دار هجرتكم ذات
نخل بين لابتين وهما حرتان وقال اني لارجوان يؤذن لي في الهجرة اليها فقال ابو بكر رضي الله عنه وهل ترجو
ذلك بابي انت وامي قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه عند هجرته و
علف راحلتين كانتا عنده الخبط اربعة اشهر قالت عائشة رضي الله عنها فبينا نحن جلوس
في بيت ابي بكر رضي الله عنه في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة
لم يكن من عادته ان ياتينا فيها فقال ابو بكر رضي الله عنه فداء له ابي وامي والله ما جاء به في هذه
الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال عليه الصلوة
والسلام لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت يا رسول الله قال فاني قد اذن
لي في الخروج قال ابو بكر فالصحبة بابي انت وامي يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام نعم قال
ابو بكر فخذ يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال عليه الصلوة والسلام نعم بالثمن وكان اشتراهما
بثمان مائة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم القصوى وكانت عنده يغزو عليها المغازي ويحج عليها
حتى ماتت في خلافة ابي بكر رضي الله عنه فجهزناهما باحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فوضعنا
شيئا من اللحم والخبز فخرج عليه الصلوة والسلام ليلا من بيته وانتهى الى بيت ابي بكر رضي الله عنه وكان
ابو بكر استاجر عبد الله بن اريقط ودفع اليه الراحلتين وواعده غار جبل ثور بقرب مكة

بعد ثلث ليال اتاه بالراحلتين صباح الليلة الثالثة ثم انه عليه الصلوة والسلام وابو بكر
ذهبا حتى وصلا الى الغار فدخل ابو بكر الغار اولا ليلتمس ما في الغار فقال عليه الصلوة والسلام
له ما لك فقال ابو بكر بابي انت وامي الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شيء كان في لا بك
وكان في الغار جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذي الرسول الله فمكث فيه ثلث ليال فلما طلع
صبح الليلة الثالثة اتى عبد الله بالراحلتين فركباهما وانطلقا نحو المدينة قال الزهري لما دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضا في اسفل الغار
والعنكبوت حتى نسجت بيتا على فم الغار فقال عليه الصلوة والسلام اللهم اعم ابصارهم فجعل
الطلاب يمشون حول الغار يمينا وشمالا يقولون لو دخل هذا الغار لتكسر بيض الحمامة
وتفسخ بيت العنكبوت عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال نظرت الى اقدام المشركين فوق
رؤوسنا ونحن في الغار فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر تحت قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وكان سبب هجرته عليه الصلوة والسلام الى المدينة ان قريشا اجتمعوا
في دار الندوة وتعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره الله تعالى بان يخرج هو وابو بكر
الى الغار ثم ان يتوجه الى المدينة فخرج عليه الصلوة والسلام وابو بكر اول الليل وامر عليا رضي الله
عنه ان يضطجع على فراشه ليتوهم سواد علي عن طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه الى ما امر الله ان يبلغا
اليه قوله على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور فيحذف لام الكلمة حال النصب حال اتصاله
بالساكن كما يحذف الالف المقصورة فيقول رايت قاضي البلد ورامي القوم بحذف الياء تشبيها لها
بالالف قال ابن الحاجب والتقدير فيما اذا استثقل كقاضي رفعا وجرا فانه يدل على ان اعرابه
في حال النصب لفظي لخفة النصب على الياء فانه في موضع النصب على انه حال من مفعول اخرجه سواء
قرئ بفتح الياء على اللغة المشهورة او باسكانها على لغة من يجري الناقص مجرى ما في آخره الف
مقصورة ومعنى ثاني اثنين احد اثنين فانه اذا حضر اثنان في موضع يكون كل واحد منهما ثانيا
للآخر لا يكون منهما ثالث الا الله تعالى قوله والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول فيكون قوله تعالى وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى معطوفا على قوله نصره الله اذ اخرجه وعلى قوله او بنا بيده اياه بالملائكة
يكون معطوفا على قوله وايده بجنود لم تروها وكلمة الكفار الشرك او دعوتهم الى الكفر وهي السفلى
الى يوم القيمة والتوحيد او الدعوة الى الاسلام عالية الى يوم القيمة جعل الله تعالى ذلك بان
اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الكفرة او بايده بالملائكة والحمد لله على ذلك وقراءة الجمهور
وكلمة الله مرفوعا على الابتداء ولفظ هي يجوز ان يكون مبتدأ ثانيا والعليا خبرها والجملة خبر
الاول ويجوز ان يكون هي فصلا والعليا الخبر واختار المص كونه فصلا وجعل فائدة التاكيد
دفع

دفع توهم انه قد يغير كلمة الله تعالى وجعل قراءة الرفع ابلغ بناء على ان النصب يشعر ان كلمة
الله كانت سفلى ثم صارت عليا وليس كذلك بل هي عالية في نفسها ابدا قوله اعلى ان انفروا قال عليه
الصلوة والسلام نعم اوجب عليه الخروج الى الغزو وهو اعمى لقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى بناء على
على انه تعالى اوجب الخروج الى الغزو بقوله تعالى انفروا خفافا وثقالا استنفر كل واحد من الخفيف و
الثقيل والاعمى ما هو الا خفيف او ثقيل وعلى التقديرين يجب عليه الخروج روي انه عليه الصلوة
والسلام لما اجاب لابن ام مكتوم بذلك رجع هو الى اهله فلبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل
قوله تعالى ليس على الاعمى حرج وقيل انه منسوخ بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج وقيل نسخت الاية بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فان ظاهر
الاية يوجب النفور على المؤمنين كافة قال مجاهد ان ابا ايوب رضي الله عنه شهد بدرا مع رسول الله
عليه الصلوة والسلام ولم يتخلف عن الغزوات مع المسلمين ويقول قال الله تعالى انفروا خفافا
وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلا قوله خير لكم من تركه فان قيل ما معنى كون الجهاد خيرا من تركه
والحال انه لا خير في تركه اجيب بان معناه ان ما يستفاد من الجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفيده
القاعد عنه من الراحة وسعة العيش والتنعم بهما قوله اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا يعني
ان اسم كان محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو الجهاد والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا
يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر تعالى بالغ في ترغيب المؤمنين في الجهاد عادلا
تقريرا لكونهم متثاقلين مائلين الى الاقامة بارضهم وبين ان المدعو اليه لو كان عرضا
قريبا وسفرا سهلا لاتبعوك اسم المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط قاصدا يعني ذو
القصد كقولهم لابن وتامر من حيث انه يقصده كل احد قوله ساد مسد جوابي القسم والشرط
لعل المراد انه جواب القسم الا انه لما حذف جواب لو لدلالة هذا الجواب عليه جعل هذا الجواب
كانه ساد مسد جواب القسم وجواب لو فان المشهور بين النحاة ان القسم والشرط اذا
اجتمعا وتقدم القسم على الشرط يجعل المذكور بعدهما جوابا للقسم ويجعل جواب الشرط
محذوفا لدلالة جواب القسم عليه وان ذهب بعض النحاة الى ان المذكور جواب الشرط
مع جواب جواب القسم وكل واحد من لام لم ولهم متعلق بقوله اذنت وجاز ذلك لاختلاف
معنى اللامين فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ ومتعلق الاذن محذوف اي لم اذنت لهم
في القعود حذف لدلالة ما سبق من اعتذارهم عن تخلفهم عن الغزو واعلم ان قوله تعالى لو كان
عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك دل على ان قوما تخلفوا عن اتباعه عليه الصلوة و
السلام لانه لولا انتفاء الشرط ثم ان قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت يدل على ان ذلك التخلف كان

قوله تعالى عفا الله الاضا [illegible] عن الخطاء ... [illegible] ... والله تعالى اعلم بالصواب

قوله عفا الله عنك اعلم ان هذا التلطف في الخطاب على طريقة قولك رايت رحمك الله وغفر لك ولا يمكن اجراؤه على ظاهره الذي هو عفا عنه ثم عاتبه
لظهور بطلانه اذ لا عتاب بعد العفو ولو سلم فذلك يشكل الاولى بنا بما يتعلق بامور الدنيا من تدبير الحروب ونحوها لا الافضل فيه مثل عتاب بلا ذنب فيمكن
وقد نازل الاجتهاد والخطاء في الاجتهاد ربما فضلا عن العتاب والعقاب وبهذا التقرير تبين انه لا تمسك في الاية لمجوزي صدور الذنب عن الانبياء

بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تجعل المص ذلك الاذن خطاء منه عليه الصلوة والسلام
لان العفو يستدعي سبق الخطاء وهذا الخطاء ليس من قبيل الذنب بل هو من قبيل ترك الاولى والخطا
في الاجتهاد فانه عليه الصلوة والسلام اجتهد في تلك الواقعة غاية ما في الباب انه لم يصب في
اجتهاده والمجتهد اذا اخطأ في اجتهاده فله اجر فان العلماء قد احتجوا بهذه الاية على انه
عليه الصلوة والسلام قد حكم بالاجتهاد في بعض الوقائع وبدخوله عليه الصلوة والسلام تحت
قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وهو عليه الصلوة والسلام سيد اولي الابصار فكان مامورا
بالاعتبار ايضا نقل الامام عن قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما الرسول صلى
الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين في التخلف عنه واخذه الفداء من اسارى
بدر فعاتبه الله عليهما كما تسمعون وعن سفيان بن عيينة انه قال انظروا الى هذا اللطف بدأ
بالعفو قبل ان يعيره بالذنب ثم قال قوله تعالى عفا الله عنك لا يستدعي سابقة الذنب لجواز ان يقال
انه تعالى قال ذلك للمبالغة في تعظيم رسوله وتوقيره بافتتاح الكلام بالدعاء كما يقول الرجل لغيره
اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي
وغرضه من هذا الكلام مجرد التعظيم والتبجيل قال علي بن الجهم يخاطب به المتوكل وقد امر بنفيه
عفا الله عنك الا حرمة تجود بفضلك يا ابن العلا الم تر عبدا عدا طوره ومولى عفا ورشيدا
هدى افقلني اقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى ولو سلمنا ان قوله تعالى عفا الله عنك
يستدعي سابقة الذنب لكن لا نم ان قوله لم اذنت لهم مقولا على سبيل الانكار عليه لانه عليه
الصلوة والسلام لا يخلو اما ان صدر عنه ذنب في هذه الواقعة او لم يصدر عنه ذنب فعلى التقديرين
يمتنع ان يكون قوله لم اذنت له انكارا عليه اما على التقدير الاول فلانه اذا لم يصدر عنه ذنب
كيف عليه الانكار واما على التقدير الثاني فلان قوله تعالى عفا الله عنك يدل على حصول
العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فظهر بطلان قول من احتج بهذه
الاية على صدور الذنب عنه عليه الصلوة والسلام من وجهين الاول ان العفو يستدعي سابقة
الذنب والثاني ان الاستفهام الانكاري بقوله لم اذنت يدل على ان ذلك الاذن كان معصية
وذنبا بل الاية تحمله على انه تعالى عاتب كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور حيث قال
فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قوله هلا توقفت حتى يتبين لك
اشارة الى ان حتى حرف جر للغاية كالى متعلق بمحذوف والفعل بعدها منصوب باضمار ان والمعنى
هلا توقفت الى ان يتبين قوله اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وحمل
الكلام على نفي الاستمرار والاعتياد بناء على انه حمل لفظ المضارع على الاستمرار كما في قولهم فلان

بعد النبوة وانه ليس بكناية عن الجناية ولا عن الخطاء في الاولى لما عرفت انه من باب التلطف يرشد اليه ما روي عن النبي عم انه لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ... الامر فيه ان يشتغل بها لترك الاولى ولا يسمى ذلك خطاء و كون الاستفهام في لم اذنت لهم للانكار لا يقتضي كون الاذن خطاء بل يكفيه كونه تركا للاولى ولو سلم فالكلام في دلالته على ... عنك على ذلك وليس كذلك كما عرفته ... ان هذا الكلام على تقدير كونه انشاء واما على تقدير كونه اخبارا فلا خفاء في انه يشعر بالذنب والخطاء وعليه يبنى ذكره انه كناية عن الخطاء في الاولى لكن قد عرفت انه انشاء من باب التلطف ثم انه انما جعله من باب الكناية على ذكره ولم يجعل الاخبار عن العفو مقصودا اصليا مع ظهوره وانه يوهم ... وقوع الخطاء بطريق الاقتضاء لما تقدم ان الاخبار بالعفو في العتاب مما ليس له وجه وجيه المصير الى الكناية عن الخطاء واعلم ان صاحب الكشاف جعل عفا الله عنك كناية عن الجناية ثم قال ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت وقيل عليه حيث ان الاذن كان ذنبا عاتبه الله تعالى عليه لكن تقديم العفو على ذكر الذنب يدل على الاذن بظاهره على تعظيم وتوقير فكيف قال اخطأت وبئس ما فعلت فجعله خطاء وسوء ادب واول بعض الافاضل كلامه بان مراده ان الاصل ذلك فابتدأ بالعفو ليطيب نفسه ... وتنبيها على لطف مكانه ولذلك قدم العفو على ما يوجب الجناية وليس تعبيره بهذا انشاء على ان البدو الى عفا الله ليس للتعظيم حتى يجعل خطاء ... ثم الناظر بعيد عن ان كلامه بمراحل ...

فلان يقري الضيف ويحمي الحريم فلما دخل النفي دل الكلام على نفي الاستمرار وان ليس من عادتهم الاستيذان
في ان يجاهدوا وان وقع ذلك منهم نادرا وجعل قوله تعالى ان يجاهدوا في موضع النصب بان المقدرة بان
كان اصله في ان يجاهدوا باضمار كلمة في ايضا متعلقة بفعل الاستيذان بحذف الجار واوصل الفعل
لدلالة المقام عليه ثم اشار الى احتمال آخر بقوله او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا
اي ويحتمل ان يكون متعلق الاستيذان محذوفا ويكون قوله ان يجاهدوا في موضع النصب على انه
مفعول له بتقدير المضاف والمعنى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا
قوله وتخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين اي تخصيص المحكوم عليه بعدم الاستيذان
في التخلف بان وصفه بوصف عدم الايمان بهما بان علة عدم الاستيذان الايمان بهما وعلة الاستيذان
عدم الايمان بهما بناء على ان قاعدة ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بعلية الوصف ليبين ان الاستيذان
لا يصدر الا من المنافقين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قيل كانوا تسعة
وثلثين رجلا ولما كان عدم الايمان بهما قد يكون بسبب الشك في الدين وقد يكون بسبب الجزم القطعي
ببطلانه بين الله تعالى ان عدم ايمان هؤلاء انما كان بسبب الشك في حقية الدين فقال وارتابت
قلوبهم فدل ذلك على ان الشاك المرتاب غير المومن قوله وقرئ عده بضم العين وفتح الدال
المشددة بعدها هاء الضمير للغائب اصله عدته بتاء التانيث فلما اضيف الى هاء الضمير حذفت
تاء التانيث كما حذفت من لفظ عدة في قول الشاعر واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اصله
عدة الامر فانهم يحذفون التاء حال الاضافة كما يحذفون التنوين ومنه قوله تعالى واقام الصلوة
وقراءة الجمهور عدة بضم العين وتاء التانيث وهي الزاد والراحلة وسائر ما يحتاج اليه المسافر
والمعنى لاعدوا له عدة فلما تركت الاضافة نونت الكلمة وقرئ عدة بكسر العين مضافة
الى هاء الضمير قيل هو اسم لما يعد كالذبح اسم لما يذبح وقرئ ايضا عدة بكسر العين وتاء التا
نيث والمراد بعدة من الزاد والسلاح مقتبسا من العدد قوله وهو استدراك عن مفهوم قوله
ولو ارادوا الخروج جواب عما يقال ما وجه الاستدراك في هذا المقام مع انه لا بد في لكن كاين
متقابلين في الجملة ولا تقابل بين طرفي كلمة لكن في الاية لان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له
معناه انهم لم يريدوا الخروج فلم يستعدوا له وقوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم معناه لكن لم يرد الله
انبعاثهم فلكن استدراك في نفي ارادتهم الانبعاث بنفي ارادة الله تعالى انبعاثهم ولا تقابل بوجه ما وتقرير
الجواب ان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج معناه نفي ارادتهم الخروج فيستلزم نفي الخروج عنهم وقوله تعالى
كره الله انبعاثهم فثبطهم يستلزم الحكم عليهم بالتثبط عن الخروج والاقامة حيث شاؤا المكان فقيل
لم يخرجوا لكن تثبطوا عنه بناء على انه تعالى كره انبعاثهم واستدراكه نفي الشيء باثبات ضده كلام

منتظم كما يقال فلان لم يحسن الي لكنه اساء، والتثبيط صرف الانسان عن الفعل الذي يهم به قوله
تمثيل حمل الكلام على التمثيل لان الظاهر ان القائل هو الله وان العدول الى بناء المفعول لتعظيم الفاعل
فيكون مدلول الآية انه تعالى امرهم بالقعود والتخلف عن الخروج الى الغزو وهو ينافي قوله تعالى انفروا
خفافا وثقالا فوجب ان يحمل الكلام على التمثيل بان يشبه القاء الله تعالى في قلوبهم التثبط وكراهة
الانبعاث بامر آمر امرهم بالقعود او تمثيل لوسوسة الشيطان اياهم بذلك وقوله تعالى مع القاعدين
ذم لهم وتعجيز والحاق لهم بالذين شانهم القعود وملازمة البيوت سواء حمل القاعدون على
اصحاب الاعذار كالمرضى والزمنى والعميان او على غيرهم كالنسوان والصبيان ونظيره في افادة الذم
قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف فسر الخبال بالشر والفساد وجعل قوله الا خبالا استثناء
متصلا مفرغا والمستثنى منه اعم المفاعيل والمعنى لو خرجوا فيكم اي كائنين فيما بينكم ما زادوكم
بخروجهم معكم شيئا الا خبالا الا كالتجبين وتهويل امر الكفار والسعي بين المؤمنين بالنميمة
وافساد ذات البين واغراء بعضهم على بعض وتحسين الامر لبعضهم وتقبيحه للبعض
الآخر ليتخلفوا ويتفرق كلمتهم ولا ينتظم امرهم ولما كان الاستثناء مفرغا من اعم العام
على معنى ما زادوكم شيئا الا خبالا لم يلزم ان يكون في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خبال
وفساد ويزيد المنافقون ذلك الفساد بخروجهم فيما بينهم لان الزيادة المستثناة انما هي
الزيادة بالنسبة الى اعم العام لا بالنسبة الى ما كان فيهم من القبائح والمنكرات وان كان
يتوهم ذلك بناء على ان المستثنى في الاستثناء المتصل يجب ان يكون من جنس المستثنى منه فيجب
ان يكون المستثنى في الآية داخلا في المستثنى منه وبعضا منه ويلزم منه ان يكون فيهم ما هو من
قبيل الخبال من القبائح وهذا الوهم فاسد لان جعل الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء
والخبال المستثنى بعض منه يصحح الاستثناء المتصل من غير ان يستلزم محذورا قوله ولاجل
هذا التوهم اي توهم ان الاستثناء المتصل يستلزم ان يكون في اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبال وفساد جعل الاستثناء منقطعا والمعنى ما زادوكم نفعا وخيرا ولكن خبالا ولما
وليس الاستثناء ههنا منقطعا لانه انما يكون فيما اذا ذكر المستثنى منه والمستثنى منه في الآية ليس
بمذكور فيكون الاستثناء من اعم العام فيكون الاستثناء متصلا قوله ولاوضعوا ركائبهم بينكم
اشارة الى ان الايضاع تهييج المركوب وحمل الراكب مركبه على الاسراع من قولهم وضع البعير
وضعا اذا اسرع واوضعته انا اذا حملته على الاسراع واراد ان مفعول اوضعوا محذوف
للتعميم ليذهب السامع كل مذهب كانه قيل لاوضعوا كل ما يوجد من الركائب كما حذف المفعول
لذلك في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اي يدعو كل احد والى ان خلالكم بمعنى بينكم منصوب
على

قوله تداركا لما فوت الرسول تعليل لورود الآيتين لهتك استارهم وكشف اسرارهم وما فوت الرسول ظهور كونهم على النفاق فانه لو لم
ياذن لهم صدر منهم ما يدل على نفاقهم فتكون حجة عليهم ولما اذن لهم فات ذلك فتوجه العتاب وسببه هذا ما قاله وقد ظهر في كلامه الاشارة
الى دفع ما اورد في هذا المقام من انه تعالى تثبيطهم مصلحة عظيمة كما دل عليه صريح الآية المتقدمة فلم عاتب نبيه في الاذن بالقعود ووجه اخر ذكره
الامام وهو ان خروجهم مع النبي عم اما مصلحة فلم كره الله انبعاثهم فثبطهم او مفسدة فلم عاتب نبيه في اذنه لهم وجوابه ان انبعاثهم الشنيعة غير خالية فلابد في نفيه من المحذورين فيوجه الايراد هو الاول ووجه الدفع ما ذكرنا من ان سبب العتاب تفويت ظهور ما يدل على نفاقهم من المسلمين على وجه يكون حجة لهم عليهم وقد يدفع بوجه آخر ذكره الزمخشري وهو ان اذنه عم لم يكن للنظر في المصلحة ولا علمها الا بعد الرجوع باعلام الله تعالى ولكن استاذنوه في ذلك واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها ولم يلتفت اليه المحص لان مثل هذا الا يصلح سببا للعتاب لانهم كانوا مسلمين في الظاهر لما ارادوا القعود طريق الشنيعة العقبة وتثبيطوا مثله المعاذير وكان الظاهر صدقهم فيما كان الظاهر بعد القبول لكنا غير توقف فيه نعم لو ترتب على القعود مفسدة كان للعتاب وجه ليس فان قلت انما عوتب على الاذن لا دائه الى التفويت قلت الكلام في العتاب على مجرد الاذن باعتذارهم مع عدم التفحص عن كنه معاذيرهم من غير نظر الى غيره بدليل ان الزمخشري جعل التفويت وجها اخر في الجواب فتامل وعلى ما ذكرنا انه لو لم ياذن لهم وخرجوا وترتب عليه المفسدة التي يثبطها الله لاستحق العتاب [illegible] السنة [illegible] العقدة [illegible] فلا يستحق العتاب بالاذن لهم لان كلا طرفيه مما يكون سببا للعتاب فتامل

على انه ظرف اوضعوا والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين والمعنى انهم لو خرجوا فيكم
لسعوا فيكم بالقاء ما يهيج العداوة وافساد ذات البين كالنميمة والتفريق وهو الاغراء
او بالقاء ما يؤدي الى الانهزام والتخذيل وتخصيص الايضاع بهذه الاغراض مستفاد من قوله
ما زادوكم الا خبالا قوله تعالى يبغونكم في محل النصب على انه حال من فاعل اوضعوا اي لاوضعوا
حال كونهم باغين اي طالبين الفتنة لكم والمراد بالفتنة ههنا افتراق الكلمة وقوله تعالى
وفيكم سماعون لهم يجوز ان يكون حالا من فاعل يبغونكم ومن مفعوله لاشتمال هذه الجملة على
ضمير كل واحد منهما ويجوز ان يكون مستأنفا قوله ضعفة يسمعون قولهم على ان اللام في لهم للتقوية
لكون العامل فرعا وعلى قوله او نمامون يكون اللام للتعليل اي سماعون حديثكم لاجل النقل
اليهم وقوله تعالى والله عليم بالظالمين وعيد لهم على طريق وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالظلم قوله يعني يوم احد فان ابن ابي انصرف يوم احد مع ثلثمائة من اصحابه وبقي النبي
عليه الصلوة والسلام مع سبعمائة من خلص المؤمنين وكذا ابتغوا الفتنة في حرب الخندق
حيث قالوا يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وفي ليلة العقبة ايضا حيث ائتمروا بين
[illegible] ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى تنفر وتلقي النبي صلى الله عليه وسلم وايضا هم
اثنا عشر رجلا من المنافقين على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا به عليه الصلوة
والسلام فاخبر الله تعالى بذلك وسلمه منهم والفتك ان يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد
عليه فيقتله وفي الحديث قيد الايمان الفتك اي لا يفتك مؤمن وروي ايضا انه عليه الصلوة و
السلام لما خرج الى تبوك ضرب عسكره على ثنية العقبة وضرب ابن ابي عسكره على جبل اسفل
من ثنية الوداع فلما سار النبي صلى الله عليه وسلم تخلف ابن ابي مع جماعة من اصحابه وقوله وبيان
لتثبطهم وهتك استارهم مجروران بالعطف على تسلية الرسول وقوله تداركا لما فوت الرسول
علة لما وقع من هتك الاستار وكشف الاسرار وازاحة اعذارهم الكاذبة فانه عليه
الصلوة والسلام فوت بمبادرته الى اذنهم في التخلف وقبول ما اعتذروا به من الاعتذارات
الكاذبة ما استحقوه من التغليظ والتكذيب فتدارك الله تعالى ذلك بان هتك استارهم وكشف
اسرارهم وابطل اعتذارهم قوله لما روي ان جد بن قيس روي انه عليه الصلوة والسلام لما تجهز
لغزوة تبوك قال له يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني طوال القد منهم فان الجلاد
من النخل هي الكبار الصلاب تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال جد ائذن لي في القعود ولا
تفتني بذكر نساء الروم فانه قد علمت الانصار اني رجل مولع بالنساء اي مفرط في التعلق
بهن فاخشى ان ظفرت ببنات الاصفر لا اصبر عنهن فاواقعهن قبل القسمة فاقع في الفتنة

والاثم او فاشتغل بمن يشغلني ذلك عن طلب المعاش وعن الخروج للغزو والجهاد وانى
ذكرا رادهم بنيل الله عذره وبيّن انه قد وقع في الفتنة بمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابو العالية كان الاصفر رجلا من الحبشة ملك الروم فولد له بنات لهن لم ير مثلهن في الحسن
واللعس جمع لعسا وهي مرارة كان لونها لون الشفة التي تضرب الى السواد قليلا وذلك يستملح
والروم كلهم يسمون بني الاصفر قوله اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيه لا ما احترزوا عنه من
كونهم مامورين بالخروج الى غزوة تبوك فانهم زعموا ان ذلك سبب يؤدي الى الفتنة اي
العصيان والمخالفة او ضياع المال والعيال او الاشتغال بنساء الروم فان الامر بذلك
ليس بفتنة بل الفتنة هي التي سقطوا فيه من التخلف وظهور نفاقهم فان تقديم الظرف بعد
حرف التنبيه يؤذن بعظم ما وقعوا فيه وهو التخلف ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وبفيد
ان ما سقطوا فيه هي الفتنة لا ما احترزوا عنه من كونهم مامورين بالخروج الى تبوك وانهم
ما وقعوا الا فيما زعموا انهم محترزون عنه قوله او الآن لاحاطة اسبابها بهم تكفرهم ونفاقهم
موضع المسبب بمكان السبب اشعارا بشدة ايجابه له كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا او
ايضا وضع الظاهر موضع المضمر اشارة الى سبب الاحاطة الذي هو الكفر قوله يتجوا اي
يفرحوا من البجح وهو الفرح يقال بجحته فبجح بتقديم المعجمة على المهملة اي فرحته ففرح قوله
ويتولوا اي يدبروا عن مقام التحدث به وموضع اجتماعهم قوله الا ما اختصنا باثباته
اي خصنا به قال الجوهري اختصه به اي خصه به ومعنى التخصيص مستفاد من اللام في
قوله لنا ومعنى الاثبات والايجاب من وعلى قوله او ما كتب اي رسم لاجلنا بكون اللام
للعلة قوله وقرئ هل يصيبنا بكلمة هل بدل لن من غير تشديد الياء وقرئ ايضا بتشديد
الياء وهو من فيعل لا من فعل يعني ان يصيب بتشديد الياء اصله يصيوب على انه مضارع
صيوب على وزن فيعل فلما اجتمعت الواو والياء في يصيوب وسبقت احديهما بالسكون
قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصار يصيبنا وليس اصله يصوب على انه مضارع
صوب لكان حقه ان يقال هل يصوبنا لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم
يصوب فان نقل الى باب التفعيل لتضعيف العين يقال صوب يصوب فلما قيل يصيب علم
ان صاحب الحوع بالرباعي بزيادة الياء بين الفاء والعين فقيل صيوب كما قيل بيطر في
بطر وان اشتقاقه من الصواب الذي هو يقابل الخطأ لان مدلول الصواب وقوع الشيء
فيما قصده به وعدم ميله عنه الجوهري صاب السهم يصوب صيوبة اي قصد ولم يجر والتعبد
العدل ضد الجور وهو الميل وقيل من الصوب وهو النزول قوله لان حقهم ان لا يتكلوا على

على غيره علة للحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على عامله كانه قيل فليتوكلوا عليه لا على
غيره وقوله قل لن يصيبنا الاية جواب عن فرح المنافقين بتخلفهم عن الخروج الى الغزو
واعتمادهم على الاسباب حيث قالوا قد اخذنا امرنا الذي يليق بنا من التيقظ والحذر
والعمل بالحزم قبل ان وقع بالمؤمنين من غلبة العدو عليهم وقوله هل تربصون بنا جواب
ان عنه والمعنى ان حق العبد ان يتوكل على مولاه ويبتغي رضوانه ويعتقد انه لن يصيبه
شيء من الاشياء الا ما قدر له كما روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان العبد لا يبلغ حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه
لم يكن ليصيبه ولا سيما انكم لا تنتظرون ان يقع بنا شيء من الاشياء الا احد الامرين الفتح
والغنيمة او الشهادة والمغفرة وكل واحد منهما احسن العواقب كما روي عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمانا
بالله وتصديقا برسله ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة
فما تنتظرون الا ما نلنا بما هو احسن العواقب وحرمانكم عن ذلك فاين انتم من التيقظ والعمل
بالحزم والقارعة الداهية الشديدة وكون العذاب من عند الله عبارة عن عدم كونه بايدي
العباد اي ونحن نتربص وننتظر ان يقع بكم احدى السوئيين من العواقب وهما ان يصيبكم
الله بقارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر اظهرتم
ما في قلوبكم من الكفر والنفاق قوله تربصوا وان كان على صيغة الامر الا ان المراد به التهديد
كقوله ذق انك انت العزيز الكريم قوله امر في معنى الخبر صرف صيغة الامر عن معناها الظاهر
لان قوله لن يتقبل منكم يابى عن حملها عليه اذ لا وجه لان يؤمر بشيء ثم يخبر بانه عبث لا يجدي
نفعا بوجه ما ونحو قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر
الله لهم اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ونحوه ايضا قول كثير لعزة عشقته اي
بنا او احسني لا ملومة لنا ولا مقلية ان تقلت اي لا نلومك اساءت الينا او احسنت
نقل عن الفراء والزجاج انهما قالا هذا اللفظ امر ومعناه معنى الشرط والجزاء اي ان
انفقتم طائعين او كارهين لن يتقبل منكم وان استغفرت لهم او لا تستغفر لهم لن يغفر الله
لهم وان اساءت الينا او احسنت لا نلومك والفائدة في سلوك هذا الاسلوب وهو ابراز
الخبر في صورة الامر المبالغة في بيان انتفاء الشيء البتة على كل حال اي سواء وجد ما يؤدي
الى ذلك الشيء عادة او ما يؤدي الى ضده فانه لو قيل لن يتقبل منكم سواء انفقتم طائعين
او كارهين لتبين عدم قبول انفاقهم البتة حيث جعل الطوع مساويا للكره في عدم كونه

عدل الى الا احدى الحسنيين تشنيع في محل النقب مستثنى على انه مفعول تربصون منه

عدل الى احدى السوئيين تشنيعا ضد الحسنى السوءى وهي تانيث الاسوء التي هي تانيث الاحسن كما ان السوءى تانيث الاسوء سعدان

على طريق شبه التكلم وهو الاجر او الغنيمة منه

فانتظروا مواعيد الشيطان انا منتظرون مواعيد الله من اظهار دينه منه

ان قلت خلاف الطوع هو الكره ... (marginal note)

مؤديا الى القبول الا ان هذا الخبر لما ابرز في صورة الامر كان ابين عدم القبول ابلغ واكد فانه
في قوة ان يقال امتحنوا وانفقوا على اى حال اردتم ثم انظروا هل يتقبل منكم ام لا وكان كثيرا ما
لغرة امتحن النفقا استحكام تعلق قلبه بكرة تجنيه لكره وعاملني بالاساءة والاحسان
وانظر هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت اليّ او محسنة والاخبار الصريح لا يفيد هذه المبالغة
قوله ونفى التقبل اى يحتمل ان يكون المراد منه انه عليه الصلوة والسلام لا يقبله منهم بل يرد
عليهم ما يبذلونه وانه لا يقبله منهم ولا يثيبهم عليه وجد بن قيس لما اراد ان يتخلف عن
غزوة تبوك قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ايذن لي في القعود في المدينة وهذا مالي اعينك
به فنزلت الاية جوابا له قوله تعليل له اى لعدم تقبل ما انفقوا اذ المراد بالفسق ههنا هو
التمرد والعتو في الكفر فيوجب ان لا يقبل شيء من اعمالهم قوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم
الا كفرهم يعني ان قوله الا انهم كفروا مستثنى مفرغ مرفوع المحل على انه فاعل منع وقوله
ان تقبل مفعوله الثاني عدى اليه الفعل بنفسه او بنزع الخافض اى ما منعهم من قبولها فان
منع قد يتعدى الى مفعوله الثاني بنفسه فيقال منعته الشيء فلانا حقه وقد يتعدى اليه بحرف
الجر فيقال منعته من حقه ويحتمل ان يكون بدل اشتمال من الضمير المنصوب في منعهم قرأ الكسائي
ان يقبل بالياء التحتانية على بناء المفعول لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وذلك
يجوز الامران وقرأ الباقون بالتاء الفوقانية وقرأ السلمي ان يقبل على بناء الفاعل ونصب
نفقاتهم على انها مفعول يقبل والفاعل ضمير البارى تعالى قوله ولا يأتون الصلوة وقوله ولا
ينفقون معطوفان على قوله كفروا اى ما منعهم قبولها الا كفرهم وكسلهم في اتيان الصلوة و
كراهتهم الانفاق فان الرغبة والنشاط في اداء العبادات للمؤمن بما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم من عند الله تعالى والمنافق لا يؤمن بذلك فلا يرجو ثواب الاخرة ولا يخاف عقابها
فيكون كسلان في اتيان الصلوة وكارها للانفاق فان قلت قد علل عدم قبول نفقاتهم اولا
بقوله انكم كنتم فاسقين وعلله ههنا بالكفر حيث قال الا انهم كفروا بالله وبرسوله فما وجه التوفيق
بينهما قلنا قد اشرنا اليه آنفا بقولنا المراد بالفسق ههنا هو التمرد والعتو في الكفر وقد اشار
اليه المص بما بعده بيان وتقرير له لان من اتصف بمجموع الامور الثلثة يكون فاسقا بالمعنى
المذكور فان قيل ظاهر الاية يدل على ان عدم القبول معلل بمجموع الامور الثلثة وهي الكفر بالله
وبرسوله وعدم الاتيان الى الصلوة الا وهم كسالى وعدم الانفاق الا وهم كارهون والحال
ان الكفر بالله سبب مستقل لمنع القبول وعند حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره اثر
فكيف يصح اسناد المنع من القبول الى الكسل في اتيان الصلوة وكراهة الانفاق واجاب

كانه يامره بذلك ليتحقق ثباته على العهد ويتبين غاية التبيين وقوله ان تنفق النفقات اى ان تنفقت كانه يقول لها امتحن الخ
منه

ويحتمل ان فاعل منع ضمير الله اى ما منعهم الله تعالى ويكون الا انهم منصوبا على اسقاط حرف الجر اى الا لانهم كفروا
منه

واجاب الامام عنه بقوله هذا الاشكال انما يتوجه على قول المعتزلة القائلين ان الكفر لكونه كفرا
يؤثر في هذا الحكم ولا يتوجه الى اهل السنة لان هذه الاسباب عندهم معرفات غير موجبة للثواب
ولا للعقاب واجتماع المعرفات الكثيرة على الشيء الواحد جائز ثم انه تعالى لما بين ان المنافقين
لا تقبل نفقاتهم لما بهم من موانع قبولها وعلم منه انهم محرومون من ثواب الاخرة ومنافعها بالكلية
للاشتراك في العلة بين ايضا ان ما يظنونه من منافع الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم
في الدنيا وزهوق انفسهم في حال كفرهم بسبب اشتغالهم بالتمتع بها عن النظر في عاقبة
امرهم فقال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور متعجب من حسنه
راغب فيه اى لا يسرك ما انعمنا به عليهم من الاموال والاولاد لامتحنا اياها فنجعلها منها
فان ذلك استدراج لهم يؤديهم الى عذاب اليم وضمير بها في قوله ليعذبهم بها راجع الى الاموال
دون الاولاد واشار اليه المص بقوله بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها ويجوز ان يرجع اليهما
معا بناء على ان الاولاد ايضا اسباب للتعذيب الدنيوى ومن حيث انهم ان عاشوا ابتلى الاباء
اصولهم بمتاعب تربيتهم وتحصيل اسباب معاشهم من الماكل والمشارب والملابس
وان ماتوا ابتلى اصولهم بجزع فراقهم فان من احب شيئا كان تألمه على فراقه شديدا فان
الاموال والاولاد قلما تخلو عن استتباع الشدائد والآلام والمصائب في جمعها وحفظها و
تربيتها وما يعتريها من الافات والاوجاع والاسقام والموت قوله حصنا يلجؤن اليه يعني
ان ملجأ مفعل من لجأ اليه يلجأ اى انضم ليتحصن به وهو يصلح للمصدر والزمان والمكان والظ
ان المراد به ههنا المكان الذي يتحصن فيه وفسره ابن عباس رض بالمهرب والمغارات جمع
مغارة وهي مفعلة اسم للموضع الذي يغور فيه الانسان اى يغيب ويستتر وكل شيء اخرجت
فيه فغبت فهي مغارة لكم والمدخل مفتعل من الدخول نقل الى باب الافتعال للدلالة على الاعتمال
والتكلف اصله مدتخل فقلبت تاء الافتعال دالا لتقرب الدال من التاء في المخرج وادغمت
الدال في الدال كما في ادان من الدين والمدخل اسم لمكان الدخول والمدخل اسم لمكان
الادخال والمتدخل اسم لمكان يدخل فيه الانسان بالتكلف والمتدخل المكان الذي يدخل فيه
الشيء بادخال غيره اياه فيه وذلك الشيء متدخل بكسر الخاء بناء على دخلته فيه فاندخل وذلك
المكان هو المتدخل فيه بحذف الجار واوصل الفعل اليه بنفسه كما قيل مشترك في المشترك فيه
وعطف المغارات والمدخل على الملجأ من قبيل عطف الخاص على العام لتخصيص عجزهم عما
الظفر بما يتحصنون فيه فان الملجأ هو المهرب الذي يلتجئ اليه الانسان ويتحصن به من اي
نوع كان والمغارات هي الكهوف الكائنة في الجبال الرفيعة والمدخل هو السرب الكائنة

الاعجاب هو السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به ومع نوع من اعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه
ثم شاع استعماله في السرور بما يتعجب منه مطلقا او نقول هو استحسان الشيء على وجه التعجب من حسنه
منه

واما قراءة مندخلا بالنون بعد الميم على انه اسم مفعول من اندخل فتبعها الاشكال لان باب انفعل لازم لا يتعدى فكيف بني منه اسم المفعول الا ان يجعل اسم مكان
منه

تحت الارض كالبئر والجموح النفور باسراع يقال فرس جموح اذا لم يرده لجام والمعنى انهم
لو وجدوا شيئا من ذلك لاقبلوا اليه وهم يسرعون اليه اسراعا لا يرده شيء
كالفرس الجموح قوله وقرئ يجمزون اي يسرعون ويعدون والجمز ضرب من السير اشد
من العنق وهو ضرب من سير الدابة والابل وهو السير الذي يجد حاجبه وينبسط عنقه والجماز
بالفتح والتشديد السير الذي يركبه المجتهد والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم الا انهم
كاذبون في ذلك وانما يحلفون خوفا من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولو استطاعوا تركوا
دورهم واموالهم والتجاوا الى بعض الحصون او الغيران التي في الجبال او السروب التي تحت
الارض لفعلوه تنفرا عنكم واستكراها لرؤيتكم ولقائكم ثم انه تعالى بين نوعا آخر من قبائح
افعالهم وهو طعنهم وتعييبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الصدقات وقسمتها بان يقولوا
انه عليه الصلوة والسلام لا يعدل فيها ويؤثر بها من يشاء من اقاربه واهل مودته قرأ العامة يلمزك
بكسر الميم من باب ضرب يضرب واللمز العيب كالهمز والتلامز والتمازر واللمزة والهمزة العياب
وقيل اللامز هو من يعيبك في وجهك والهامز من يعيبك بالغيب وقرئ يلمزك بضم الميم ويلمزك
بالتشديد ويلامزك على بناء المفاعلة وكلاهما للمبالغة قوله واذا للمفاجاة نائب مناب
الفاء في الدلالة على ارتباط الجزاء بالشرط فان حرف الشرط اذا لم يؤثر في الجزاء معنى يدل
على كونه مرتبطا بالشرط جزاء له لا بد من رابط بينهما واولى الاشياء الدالة عليه الفاء
لدلالتها على التعقيب بلا فصل والجزاء معقب للشرط كذلك وقد تنوب اذا المفاجاتية في
الجملة الاسمية مناب الفاء لدلالتها على التعقيب كالفاء فان مضمون الجملة الشرطية كون
وجود الجزاء مفاجأ لوجود الشرط فهي تناسب الفاء في الدلالة على ارتباطه بالشرط و
وقوعه عقيبه وهي انما تقوم مقام الفاء اذا كانت الجزاء جملة اسمية لانها لا تدخل الا على
الجملة الاسمية الا نادرا والمعنى انهم ان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط قوله والجواب محذوف
وذلك الجواب مرتب على اربعة امور الاول الرضا والقناعة بما اعطاهم الرسول صلى الله عليه
وسلم وان تطيب به انفسهم وان قل معتقدين انه عليه الصلوة والسلام انما فعل ذلك بامر الله
تعالى الذي لا اعتراض عليه وان جميع ما امر به حق وصواب موافق للحكمة والمصلحة والثاني
ان يظهر اثر ذلك الرضا على السنتهم بان يقولوا حسبنا الله اي كفانا ما تفضل به علينا فان
جميع ما اصابنا انما هو تفضل منه سواء كثر ما يدخل فيه ام لم يكن والثالث الاعتماد على
فضل الله في خزائن قدرته من منافع الدنيا وثواب الآخرة بان يقولوا سيؤتينا من فضله
غنيمة اخرى فيعطينا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها اكثر مما اعطانا اليوم والرابع ان

لئلا يجتمعوا معكم ويبعدوا عنكم — سلمه

لان سخطهم كان عقيب عدم الاعطاء بلا تأخر فناسب الفاء او اذا المفاجأة ... لكن حين سخطهم لا يمكن على ان تأخر سخطهم لما جبلوا عليه من خبث الذات — صح

روى الزجاج انه قال يقال لمزت الرجل وهمزته اذا اغتبته والهمزة اللمزة وهو الذي يغتاب الناس ويعيبهم فلم يفرق بين اللمزة والهمزة وفرق ابو بكر الاصم بينهما فقال اللمز ان يشير الى صاحبه بعيب جليسه والهمز ان يكسر عينه على جليسه الى صاحبه وفي التيسير قال الحسن يلمزك اي يعيبك وقيل اللمز العيب مسارة والهمز العيب مجاهرة قال الزجاج وقال ابو الليث اللمز هو الغمز في الوجه يقال رجل لمزة يعيبك في وجهك ورجل همزة يعيبك بالغيب — سلمه

اي كفانا الرضا بقضاء الله وحكمه ولا نؤثر على ما اصاب غيرنا من المال — صح

ان يبتهلوا الى الله بالطلب ويقطعوا رجاءهم عما سواه وهو قولهم انا الى الله راغبون لا نرغب
الا في عبوديته والاستكانة اليه روي ان عيسى عليه الصلوة والسلام مر بقوم يذكرون الله تعالى
فقال لهم ما الذي حملكم عليه قالوا الرغبة في ثواب الله فقال عليه الصلوة والسلام اصبتم ومر على
قوم آخرين يذكرون الله فقال لهم ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال عم اصبتم
ومر على قوم ثالث مشتغلين بذكر الله فسألهم عن سببه فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب
ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية في العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب
بمعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته فقال انتم المحقون
المحقون قوله ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحسينا لما فعله حيث خص جنس الصدقات
على الاصناف الثمانية المعدودة فان القصر يفيد اختصاصها بالاصناف المذكورة كانه قيل انما
هي لهم لا نصيب لغيرهم فيها فمن لمزه عليه الصلوة والسلام في قسمة الزكوات فقد ضل ضلالا
بعيدا لانه عليه الصلوة والسلام اصاب الحق في قسمتها حيث قسمها بين مستحقيها رغما
لانوف المنافقين وردعا لهم عن الخوض فانتهوا عن التكلم بمثل تلك الكلمة الشنعاء ثم انه تعالى
لما بين ان من يستحق الصدقات انما هو هذه الاصناف المعدودة اختلف العلماء في انه هل
يجوز صرفها الى بعض هؤلاء الاصناف مع وجود سائر الاصناف او يجب صرفها الى جميع من
وجد من تلك الاصناف فذهب الحنفية الى الاول وقالوا لو صرف جميع زكوته الى صنف
واحد من هذه الاصناف بل الى شخص واحد منهم يجوز وقالوا ليست اللام في قوله
تعالى للفقراء للدلالة على اثبات الملك لهم بالتسوية بينهم لانهم مجهولون والمجهول لا يصلح
للاستحقاق بطريق الملك ولا يصح التمليك للمجهول بل هي لبيان ان الاستحقاق لهم دون غيرهم
كما يقال الخلافة لبني العباس وميراث فلان لقرابته اي ليست الخلافة لغيرهم لا انها بينهم
بالسوية وقال الشافعي لا بد من صرفها الى جميع من وجد من تلك الاصناف ولا بد من التسوية
في انصباء تلك الاصناف بان يقسم زكوته على عدد الاصناف الموجودة منها فان وجد منها
خمسة اصناف يقسم زكوته خمسة اقسام ويصرف سهم كل صنف منها الى ثلثة اشخاص حتى
لو صرف سهم الفقراء الى فقيرين ضمن نصيب الثالث وهو ثلث سهم الفقراء ولا يجوز ان يجعل
حصة كل صنف الى اقل من ثلاث لانه تعالى حكم بان الصدقات لهؤلاء الاصناف وعبر عن كل
صنف بلفظ الجمع واقل الجمع ثلثة قوله من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته اي ولا
كسب له يسد به شيئا من مهماته ويصرفه الى شيء مما يحتاج اليه فالفقير اشد حاجة من المسكين
وهو قول الشافعي لان المسكين عنده من له مال او كسب لا يكفيه والفقير من لا مال له ولا كسب اصلا

اي نحن لا نطلب منه الا الايمان والطاعة عند اخذ الزكاة والنصرة عند الحرب ومن نعمه وانما نطلب الكتاب سعادات الآخرة بالاستغراق في العبودية — سلمه

فانهم لما لمزوه عليه الصلوة والسلام في حق الصدقات بين الله تعالى ان ما فعله عليه الصلوة والسلام لا يتطرق اليه اللمز والطعن بوجه ما لانه اخذ القليل من مال الغني بصرفه الى مصارفه ودفعا لحاجتهم — سلمه

لان قوله يوفعا نكرة وقعت في سياق النفي فتفيد العموم والمعنى ولا كسب له يتسد به شيئا من حاجته
فهو اسوء حالا بالنسبة الى المسكين لانه مشتق من فقار الظهر كانه اصيب فقاره واستدل
الشافعي بقوله تعالى واما السفينة فكانت لمساكين اثبت لهم ملكا مع انه سماهم مساكين
وبقوله عليه الصلوة والسلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا وكان يتعوذ من الفقر فلو
لان الفقير اسوء حالا من المسكين لما سأل المسكنة ولما تعوذ من الفقر وقال ابو حنيفة رح
الفقير احسن حالا لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة فانه يدل على ان المسكين في نهاية الفقر والشدة
كانه لصق بالتراب لغاية ضره وفاقته ولان لفظ المسكين صيغة مبالغة فدل على انه دائم
السكون لغاية عجزه ولا فائدة في هذا الخلاف لاقتضاء الآية استحقاق كل واحد منهما وقال ابو
يوسف ومحمد رحمهما الله لا فرق بين الفقراء والمساكين والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين و
المقصود شيء واحد وفائدة الخلاف تظهر في هذه المسئلة وهي انه لو اوصى لفلان وللفقراء
والمساكين فالذين قالوا الفقراء هم المساكين قالوا لفلان النصف والذين قالوا الفقراء
غير المساكين قالوا الثلث قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه اي
في الاسلام وكان عليه الصلوة والسلام يعطيهم ليتألفوا على الاسلام ويستقروا عليه روي انه
عليه الصلوة والسلام قسم غنائم الطائف وحنين بالجعرانة وقد غنم من المواشي ما لا يحصى
وغنم من الفضة اربعة الاف اوقية فاعطى المؤلفة قلوبهم اول الناس فاعطى الجماعة
منهم مائة من الابل ولبعضهم منهم خمسين وستين واقل واكثر واعطى لبعضهم اربعين
اوقية فضة زائدا على مائة من الابل ثم انه عليه الصلوة والسلام كان يعطيهم ذلك كل سنة
من الصدقات فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر جاؤا يسئلون منه الخط
بذلك فاعطاهم فجاؤا الى عمر وعرضوا عليه الخط وطلبوا منه التقرير فاخذ ذلك منهم وقال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتألفكم بذلك على الاسلام فاما اليوم فقد عز الاسلام فالاسلام اعز من
ان يرشى عليه فان ثبتم على الاسلام بغير رشوة فبها والا فبيننا وبينكم السيف فعادوا الى ابي بكر
رضي الله عنه وقالوا انت الخليفة ام عمر رضي الله عنه فقال هو ان شاء الله تعالى فسقط سهم المؤلفة
قلوبهم باجماع الصحابة رضي الله عنهم اجمعين قوله او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم
اسلام نظرائهم وهم ايضا من المسلمين قد اسلموا ونيتهم قوية في الاسلام الا انهم اشراف
قومهم فيعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام قوله وقيل اشراف او قيل انهم
قوم من اشراف الكفرة يرجى اسلامهم فيعطون ترغيبا لهم في الاسلام كما اعطى صفوان
بن امية لما يرى من ميله الى الاسلام والاصح انه عليه الصلوة والسلام لا يعطيهم من مال

١٢٥
مال الزكوة بل كان يعطيهم ذلك من خمس اموال الغنائم الذي هو خالص حقه قوله وقد
عد منهم اي من المؤلفة المسلمون الذين سكنوا بازاء قوم كفار او قوم مانعي الزكوة في موضع بعيد
لا يبلغهم جيش المسلمين الا بمؤنة كثيرة فهم لا يجاهدون الكفار ولا يقاتلون مانعي الزكوة اما لضعف
نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة ليجاهدوا
الكفار ويقاتلوا مانعي الزكوة حتى ياخذوا منهم الزكوة ويحملوها الى الامام قوله وللعدول في
ذكر الرقاب لما كان المقصود من الآية بيان مصارف الصدقات واختصاصها بما ذكر من المعدودات
كان معنى الآية انما الصدقات للصرف الى هذه المصارف المعدودة وانها مختصة بها لا تصرف الى غيرها
الا انه تعالى ذكر المصارف الاربعة المتقدمة بلام الاختصاص فقال للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وذكر الاصناف الاربعة الباقية بكلمة في فقال وفي الرقاب والغارمين
وفي سبيل الله وابن السبيل للدلالة على ان الاستحقاق الاربعة الاخيرة ليس لذواتهم الموصوفة
بما عبروا به من العنوان حتى تدفع سهامهم من الصدقة الى انفسهم فيتصرفوا فيها كيف شاؤا
كما تدفع سهام الاصناف المتقدمة الى انفسهم وانما يستحقونها للجهة التي احتاجوا بسببها الى
ان يدفع اليهم شيء من الصدقة فان المكاتب لم يستحق سهمه من الصدقة لكونه مكاتبا و
انما استحقه لاحتياجه الى فك رقبته وتخليصها من الرق وكذا المديون لم يستحقه لكونه مديونا
بل لاحتياجه الى تخليص ذمته من مطالبة من له الحق وكذا المجاهد والمسافر لم يستحقا لكونهما
مجاهدا ومسافرا بل لاحتياجهما الى ما يتمكنون به من الجهاد وقطع المسافة وان كانوا اغنياء
باموالهم المخلفة في بلادهم فلو لم يذكر كلمة في بل عطف الاصناف الاخيرة على الفقراء لفهم
انهم مصارف للصدقة لذواتهم الموصوفة بما عبر عنهم من الصفات كصفة الفقر والمسكنة
والمكاتبة والمديونية فيصرف اليهم سهامهم من الزكوة فيتصرفوا فيها كيف شاؤا فلما ذكرت
الاصناف الاخيرة بكلمة في علم انهم يستحقونها ليس لذواتهم بل للجهة التي استحقوا بسببها
وتلك الجهة في الرقاب فكها من الرق وفي الغارمين فك الذمة عن مطالبة الدين وفي
الغازي والمسافر المنقطع عن ماله اعانتهما باعطاء ما يوصلهما الى مقصودهما ووجه الدلالة
كلمة في على المعنى انها قد يستعمل لبيان السبب كما يقال عذب فلان في سرقة لقمة اي بسببها فمعنى
الآية وفي الصرف الى الرقاب في فكها وتخليصها من الرق وقيل العدول الى في للايذان بانهم احق
بها ووجه الايذان انها للظرفية فتدل على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات وانهم مصابها و
مواضع استقرارها وكلمة اللام لا تدل على هذا المعنى وانما تدل على مجرد اختصاص الصدقات بهم
فلما فرق بين الاصناف الاربعة الاولى والاخيرة بان جعلت الاولى مصارف لها والاخيرة

مصابها ومواضع استقرارها دل على ان الاخيرين اسخ في استحقاق التصدق عليهم بالنسبة
الى الاولى وكررت كلمة في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل للاشارة الى ان لهما فضل رجحان على
الرقاب والغارمين فقول المص في فك الرقاب اشارة الى هذا التفصيل فان فك الرقبة من الرق
موجب لاستحقاق المكاتب **قوله** على اداء النجوم اي على اداء بدل الكتابة سمي بدل الكتابة نجوما
لكون ادائه منجما على النجوم بمعنى الاوقات المضروبة لادائه فان النجم في الاصل اسم للكوكب ثم
اطلق على الوقت المضروب لكون تعينه متعلقا بحركة النجم ثم اطلق على ما ادي في ذلك الوقت
بطريق اطلاق اسم المحل على ما حل فيه ذهب اكثر الفقهاء الى ان المراد بالرقاب المكاتبون يعطون
شيئا من الزكوة ليؤدوا به بدل الكتابة فتتخلص رقابهم من الرق وقيل المراد بالصرف سهم من
الصدقة في فك الرقاب ان يشترى به عبد فيعتق او يفتدى به اسير فيطلق **قوله** المديونين
لانفسهم او لاصلاح ذات البين يعني ان الغارم والغريم وان كان يطلق كل واحد
منهما على من له الدين الا ان المراد بالغارم في الآية الذي عليه الدين وان المديون قسمان
الاول من ادان لنفسه فيعطى له من الزكوة ما يفي لدينه بشرط ان لا يكون له من المال ما يفي لدينه
فان كان له ذلك فلا يعطى والثاني من ادان في المعروف بسبب حمالات واصلاح ذات
البين فانه يعطى له من مال الزكوة ما يقضي به دينه وان كان غنيا لانه عليه الصلوة والسلام احل
الصدقة للغارم اما المديون الذي لزمه الدين بسبب معصية فانه لا يعطى له شيء منها لما
روي عن ابي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما من كان دينه في معصية
او في فساد فلا يعطى اليه شيء لان المقصود من الصرف المال اليه الاعانة والمعصية لا
تستوجب الاعانة والمصانع جمع مصنعة وهي شيء كالحوض يجمع فيه الماء ويطلق المصانع
على الحصون ايضا يعني ان المراد بالصرف في سبيل الله صرفه الى الغزاة وان كانوا اغنياء لاطلاق
قوله عليه الصلوة والسلام لا تحل الصدقة الا لخمسة لغاز في سبيل الله وقال ابو حنيفة وصاحباه
رحمهم الله لا يعطى الغازي الا مع الحاجة **قوله** فريضة مصدر لما دل عليه الاية لان قوله
انما الصدقات للفقراء في قوة ان يقال فرض الله لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن
في قوله للفقراء فانه لما حذف متعلقه انتقل ضميره اليه والتقدير انما الصدقات كائنة لهم و
مصروفة اليهم حال كونها فريضة اي مفروضة وفائدة التقييد الاشارة الى ان صدقة التطوع
يجوز صرفها الى هؤلاء والى غيرهم من بني هاشم ومواليهم والى بناء المساجد والرباطات
تكفين الموتى ونحوها **قوله** قضية للاشتراك فان الاصناف المذكورة لما عطف بعضها على بعض
بالواو الجامعة وقصر جنس الصدقات عليهم كان المعنى ان جنس الصدقات حق مشترك بينهم

واصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق والغرام العذاب اللازم وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان ولازما له وفي الصحاح الغرامة ما يلزم اداؤه وكذلك المغرم والغرم وقد غرم الرجل الدية
منه

والحمالة بالفتح ما يتحمله الانسان عن غيره من دية او غرامة مثل ان يقع حرب بين فريقين يسفك فيها الدماء فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى عنهم على نفسه لاصلاح ذات البين
منه

[illegible]

بينهم مختص بهم لا يجوز صرفها الى غيرهم والحق المشترك بين قوم يجب ان يصرف اليهم جميعا بالسوية
ومن جوز صرفها الى صنف واحد منهم نظر الى ان اللام ليست للتمليك لعدم جواز التمليك للمجهول
بل لام الاختصاص فمقتضى الاية اختصاص الصدقة بهم وان لا يجوز اخراجها منهم بصرفها الى
غيرهم واعلم ان الاصناف التي عبر بها عن الاصناف المذكورة وان كانت تعم المسلم والكافر الا ان
الاحاديث خصصها بالمسلم منهم ثم انه تعالى شرع في شرح نوع اخر من قبائح المنافقين غير لمزهم
اياه عليه الصلوة والسلام في قسمة الصدقات فقال ومنهم الذين يؤذون النبي بان يقولوا في حقه
ما يتاذى به الانسان ثم اذا قيل لهم لا تفعلوا هذا الفعل فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون في حقه فيقع
اي قال بعضهم لبعض
بنا يقولون هو اذن يعنون انه سامعة مبالغة في وصفه باستماع كل ما يقال وتصديقه اياه حتى صار
بذلك كانه نفس الاذن السامعة كما يسمى الجاسوس عينا مبالغة في وصفه بالتجسس بحيث صار كانه
نفس العين الباصرة يريدون به انه عليه الصلوة والسلام ليس له من التيقظ والتدبر ما يميز به
بين الصادق والكاذب بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع يسمع كلام المبلغ فنأتيه
منه ونحن ناتيه فننكر ما قلناه او نعتذر فيسمع عذرنا ايضا فيرضى **قوله** او اشتق فعل على
على قوله يسمى بالجارحة اي ويحتمل ان لا يكون لفظ اذن اسما للجارحة السامعة بل يكون وصفا على
وزن فعل مثل انف وشلل ماخوذا من اذن له اذا استمع قال الشاعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت
به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا فاشتق من الاذن بمعنى الاستماع لفظ اذن بضمتين ثم
اطلق على الرجل الذي يصدق كل ما يسمعه لاستماعه اياه كما اشتق لفظ انف بضمتين من
الانف بمعنى جارحة الشم واطلق على ما فيه معنى التقدم والسبق يقال روضة انف بالضم
اي لم يرعها احد وانف الابل اذا وطئت كلاء انفا وهو الذي لم يرع بعد وكاس انف اذا لم
يشرب بها قبل ذلك وكما اشتق لفظ شلل بضمتين من الشل بمعنى الطرد يقال شللت الابل اشلها
شلا اذا طردتها فانشلت والاسم الشلل **قوله** روي يعني ان الاية نزلت في جماعة من
المنافقين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويذكرونه بما لا يليق به من القول فقيل
لهم لا تفعلوا ذلك فانه ربما يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم بل
نقول ما شئنا ثم نذهب اليه ونحلف انا ما قلنا فيقبل قولنا فانما محمد اذن سامعة اي يسمع كل
ما يقال ويصدقه يريد انه ليس له ذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع
فيقبل كل عذر صدقا كان او كذبا ولم يعلم انه عليه الصلوة والسلام كذلك لكن لكرمه وحسن خلقه
فطن او لكنه عليه الصلوة والسلام انما يفعله لغاية فطنته وقصور عقله **قوله** تصديق
لهم بانه اذن الخ فان قوله تعالى اذن خير لكم خبر مبتدا محذوف اي هو اذن خير لكم وانكار لكونه

اذنا بالمعنى الذي ذكره بناء على ان الاضافة فيه لامية مفيدة للتخصيص والتقييد وان المعنى
هب انه اذن يسمع ما يقال له ويقبله لكنه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد فيكون الخير
مسموعا لا صفة للاذن ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير اي هو اذن خير ورحمة
فانه لو كان الخير صفة للاذن لكانت رحمة ايضا صفة له والاذن لا يوصف بالرحمة وذكر
جار الله وجها اخر وقدمه على هذا الوجه وهو ان تكون الاضافة فيه من باب اضافة الموصوف
الى الصفة للمبالغة في الاتصاف كما في قولهم رجل صدق وشاهد عدل على قصد المبالغة
في توصيفه بالصدق والسداد حتى كانه مطبوع منه ولا يتبين الا به نحو خاتم فضة فالمعنى
نعم انه اذن لكنه نعم الاذن فان من يسمع العذر ويقبله خير ممن لا يقبله لانه انما نشأ من
الكرم وحسن الخلق فعلى هذا لا يكون الخير مسموعا بل يكون صفة للاذن سلم الله تعالى قول
المنافقين في حقه عليه الصلوة والسلام انه اذن الا انه حمل ذلك القول على ما هو مدح له عليه
الصلوة والسلام وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة ثم فسر كونه اذن خير اذن رحمة
بثلثة اوصاف الاول انه يؤمن بالله لما يصدق به لما قام عنده من الادلة فيسمع جميع ما جاء
من عنده ويقبله والثاني انه يؤمن للمؤمنين اي يسلم لهم ويصدقهم فيما اخبروا به عنده لما
علم من خلوصهم وصدقهم ولا شك ان ما اخبر به المؤمنون المخلص يكون حقا وخيرا فمن استمعه
وقبله يكون اذن خير والثالث انه رحمة لمن اظهر الايمان من المنافقين حيث يقبل ما اظهروه
من الايمان ولا يكشف اسرارهم ولا يسعى في التفتيش عن بواطنهم وهتك استارهم ولا
يخفى ان من جمع بهذه الاوصاف يكون اذن خير لكافة الخلق لا سيما للمنافقين قوله
واللام مزيدة للتفرقة جواب عما يقال لم عدى فعل الايمان الى الله بالباء والى المؤمنين باللام
وتقريره ان الايمان يطلق على معنيين احدهما التصديق والتسليم والقبول وثانيهما ما
يقابل الكفر ويفيد الامان عن الخلود في النار والايمان بالمعنى الثاني يتعدى بالباء ويقال آمن
بالله ويؤمنون بالغيب فعدى بالمعنى الاول باللام تفرقة بينهما كما في قوله تعالى وما انت بمؤمن
لنا وقوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه وقوله انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله آمنتم
له قبل ان اذن لكم قوله وقرئ اذن خير برفع كل واحد من اللفظين وتنوينهما ورفع الاول على
انه خبر مبتدأ محذوف ورفع الثاني اما على انه صفة اذن او على انه خبر بعد خبر للمبتدأ المحذوف و
الجمهور على جر خير بالاضافة اللامية او البيانية قوله لهم عذاب اليم بايذائه عليه الصلوة و
السلام لانه قد تبين انه عليه الصلوة والسلام خير ورحمة لهم فايذاؤه عليه الصلوة والسلام
مقابلة الاحسان بالاساءة فيكون مستوجبا للعذاب الشديد لاستجماع كونهم في غاية الخبث
و

يعني انه من باب القول بالموجب وهو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده فيكون صفة مشبهة بمعنى السامع كما يقال له ولا يكون اسم الجارحة [illegible]

[illegible]

١٢٧

والضلال يؤذي رسول الله رب العالمين صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يحلفون بالله لكم على معاذيرهم
هم فيما قالوا او تخلفوا يعني اختلف في سبب نزول الاية فقال قتادة والسدي نزلت في جماعة
من المنافقين اجتمعوا فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من
الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فحقروه وقالوا عنده هذه المقالة فغضب
الغلام وقال والله ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا
هم فسالهم عنه فانكروا وحلفوا انهم ما قالوا ذلك وان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل
الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك
فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتوا اليه يعتذرون ويحلفون على معاذيرهم في
تخلفهم ليرضوا المؤمنين بالايمان الكاذبة وكان الواجب عليهم ان يرضوا الله تعالى بالتوبة عن الكفر
والنفاق والاجتهاد في طاعته ظاهرا وباطنا ويرضوا رسوله بقبول جميع ما امرهم به بخلوص قلوبهم
ونياتهم قوله وتوحيد الضمير جواب عما يقال كيف قيل احق ان يرضوه بافراد الضمير مع انه خبر قوله
والله ورسوله فالواجب تثنية الضمير اجاب عنه اولا بان الارضائين متلازمان فاكتفى بذكر
احدهما عن الاخر لعدم انفكاك الاخر عنه وثانيا بان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه وذكر
الله للتعظيم وللتنبيه على ان ارضاء الرسول ارضاء الله تعالى فلذلك اكتفى بذكر ارضائه عليه
الصلوة والسلام عن ذكر ارضائه تعالى كما في قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اكتفى
بذكر حكم الرسول للتنبيه على ان حكمه عليه الصلوة والسلام حكم الله وثالثا بان قوله والله مبتدأ واحق
ان يرضوه خبره والرسول مبتدأ ثان وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه واحسن منه ان يقال انه
حذف خبر المبتدأ الاول والمذكور خبر المبتدأ الثاني كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض و
الرأي مختلف فانه حذف فيه خبر الاول والتقدير نحن بما عندنا راضون وقوله راض خبر المبتدأ الثاني ولو
كان خبر الاول لجمع وانما قلنا انه احسن مما اختاره المص لما فيه من السلامة عن وقوع الفصل
بين المبتدأ والخبر لان المناسب ان يكون الخبر خبرا عما يليه لا عما هو ابعد منه وما اختاره المص ايضا
حسن لما فيه من جعل الارضاء متعلقا بمن يستحق الارضاء لذاته وهو الله سبحانه وتعالى وهو عليه
الصلوة والسلام انما يستحق الارضاء من حيث ان ارضاءه يستلزم ارضاء الله تعالى قوله تعالى ان
كانوا مؤمنين شرط حذف جوابه اي ان كانوا صادقين فيما اظهروه من الايمان فليرضوا
الله تعالى وارضاء رسوله بالطاعة واخلاص الايمان اولى لهم واحق ثم انه تعالى اوعدهم بقوله الم
يعلموا انه من يحادد الله قراءة الجمهور بياء الغيبة ردا على المنافقين وقرئ بتاء الخطاب فقيل هو

التفات من الغيبة الى الخطاب والفعل مسند الى المنافقين ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ
وقيل الخطاب للمؤمنين والاستفهام للتقرير قوله يحادد مفاعلة من الحد وهو الطرف والنهاية وكل واحد من
المتخالفين والمتعاندين في حد غير حد صاحبه كما يقال شاقه اي كان في شق غير شق صاحبه وعاداه اي
كان في عدوة غير عدوة صاحبه وهي جانب الوادي فالمحادة المخالفة والمعاندة ومجاوزة الحد
والمعاداة قوله على حذف الخبر يعني ان قوله فان له مبتدأ حذف خبره اي فحق ان له فان المفتوحة
يجوز الابتداء بها نحو عندي انك قائم اي قيامك حاصل عندي لان المفتوحة تقرر معنى الجملة وتجعلها في
حكم المفرد فكانت مع ما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر اذ لا يتم الكلام بها مع ما في حيزها كما في المثال
المذكور وهذه الجملة الاسمية التي بعد الفاء في محل الجزم على انها جواب الشرط فان كلمة من في قوله
من يحادد الله شرطية وقوله فان له نار جهنم جوابها والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر ان الاولى
وان جعلت ان الثانية تكريرا للاولى للتاكيد وكان التقدير من يحادد الله فله نار جهنم كانت الجملة
الشرطية ايضا خبر ان الاولى ولا يحتاج الى ارتكاب الحذف لان ان الثانية ح لم يدخل على ما بعد
الفاء حقيقة حتى يكون الجملة الاسمية التي بعد الفاء في تاويل المفرد ويحتاج الى تقدير الخبر الا ان
حملها على التكرير خلاف الظاهر فان الظاهر انها لتحقيق مضمون الجملة الجزاء كما ان الاولى لتحقيق مضمون
الجملة الكبرى مع ان جعلها تاكيدا للاولى يستلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط وايقاع
اجنبي بين فاء الجزاء وما في حيزه وان جعل فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره
الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم يلزم المخالفة لما صرح به النحاة من انه
اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مقرونا بلم وعلى ما ذكر من
الاحتمال يكون الجواب محذوفا وفعل الشرط مضارع غير مقترن بلم قوله وقرئ فان له بالكسر قال
ابن الحاجب في الكافية فان جاز التقديران جاز الامران اي ان وقعت المفتوحة في موضع جاز
فيه تقدير المفرد والجملة جاز فيه فتح ان وكسرها وذلك في مواضع احدها ان تقع بعد فاء الجزاء نحو من
يكرمني فاني اكرمه جاز فيه الكسر بان يجعل ان مع ما في حيزها في تاويل الجملة اي فانا اكرمه والفتح
بان يجعل ان مع ما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر اي فاكرامي له ثابت ولا يخفى ان كل واحد من التقديرين
جائز في الاية فجاز فيها الفتح والكسر وقد تقدم جواز ان يكون ان مع ما في حيزها مبتدأ في تاويل المفرد
ولا يخفى انه يجوز ايضا ان يجعل مع ما في حيزها جملة فتكسر ان قوله وذلك لان المنافقين حذرهم من انزال السورة
بناء على ترددهم ايضا في كفرهم جواب عما يقال كيف يحذر المنافقون نزول الوحي الكاشف عن نفاقهم
مع انهم ينكرون نبوته عليه الصلاة والسلام فكيف يجوزون نزول الوحي عليه وتقريره ان النفاق
لا يستلزم كون المنافق قاطعا بعدم نبوته عليه الصلاة والسلام لجواز كونه شاكا في صحة نبوته
عليه

على عموم علمهم بذلك مع طول مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وتحذيره اياهم من معصية الله وترغيبه في طاعته فتأمله

والعلم هنا يحتمل ان يكون على بابه فيتعدى الى مفعولين وان يكون بمعنى العرفان فيتعدى الى مفعول واحد منه

عليه الصلاة والسلام لان عدم مواطأة السنتهم قلوبهم يتحقق بكونهم شاكين في نبوته والشاك
فيها يجوز نزول الوحي عليه فيخاف ان ينزل عليه ما يفضحهم ويهتك استارهم وقيل في جوابه ان قوله
يحذر المنافقون وان كان في صورة الخبر الا انه ليس المراد به الاخبار بحذرهم عن نزول الوحي عليه
حتى يرد ان يقال انهم كيف يجوزون نزول الوحي عليه مع انكارهم النبوة بل المراد به امرهم بالحذر
اي ليحذر المنافقون واجيب عنه ايضا بانه اخبار بانهم يقولون فيما بينهم على وجه الاستهزاء به عليه
الصلاة والسلام انا نحذر ونخاف ان ينزل عليه ما يفضحنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بانهم
يقولون ذلك استهزاء وامره عليه الصلاة والسلام ان يعلمهم بانه تعالى مظهر ما يحذرون ويخافون
من ظهوره ويؤيد هذا الجواب قوله تعالى قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ
ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين وقيل اجتمع
اثنا عشر رجلا من المنافقين عنده عليه الصلاة والسلام على النفاق فاخبره جبريل باسمائهم
فقال عليه الصلاة والسلام ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت فليقوموا وليعترفوا وليستغفروا ربهم
حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قم يا فلان ويا فلان حتى اتى عليهم جميعا
ثم قالوا نعترف ونستغفر فقال عليه الصلاة والسلام الآن انا كنت في اول الامر اطيب نفسا
بالشفاعة والله تعالى كان اسرع في الاجابة اخرجوا عني حتى خرجوا بالكلية وقيل نزلت هذه
الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة بعد مارجع من
غزوة تبوك ليفتكوا به على غرة وغفلة فاخبره جبريل بذلك وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه
رواحلهم وكان عمار بن ياسر يقود راحلته عليه الصلاة والسلام وحذيفة يسوقها فقال عليه الصلاة و
لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل عليه الصلاة والسلام من العقبة قال
لحذيفة من عرفت من القوم فقال لم اعرف منهم احدا وكانوا متلثمين وكانت الليلة مظلمة
فقال عليه الصلاة والسلام انه فلان وفلان حتى عدهم كلهم وقال ان جبريل اخبرني بذلك فقال حذيفة
الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب قاتل باصحابه حتى اذا ظفر اقبل يقتلهم بل يكفيناهم
الله تعالى بالدبيلة قوله تعالى ولئن سألتهم اي عما كانوا فيه من الاستهزاء ليقولن انما كنا نخوض اصل
الخوض الدخول في مائع كالماء والطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث واذى والغرض
الداخل او غيره والمعنى انما كنا نتحدث ونخوض في الباطل من الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق
بالحديث واللعب فلما انكروا ما هم فيه من الاستهزاء والتخفيف امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان
يقول لهم ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن فذكرهم على الاستهزاء والتخفيف ووبخهم على استهزائهم

على هذا تسميتهم الاية سورة مجاز ونظيره تسمية ... السورة ... مجاز ... باعتبار ... الحال كذا روحه

بمن لا يصح الاستهزاء به على طريق الزام الحجة عليهم عليهم كانه قيل من المعلوم الذي لا يمكن
انكاره انكم كنتم على الاستهزاء الا انكم كيف تقدمون على استهزاء من وجب تعظيمه عقلا وشرعا باتي
عقلا تقدمون عليه فانه فرق بين ان يقال اتستهزئ بالله وبين ان يقال ابالله تستهزئ فان الاول
يقتضي الانكار على ملابسة الاستهزاء والثاني يقتضي الانكار على ايقاع الاستهزاء في الله وفي لفظ
الاعتذار قولان عن اهل اللغة الاول انه عبارة عن محو اثر الذنب من قولهم اعتذرت المنازل
اذا درست ويقال مررت بمنزل معتذر اي مندرس فالاعتذار هو الدروس ومنه اخذ الاعتذار
لان المعتذر يحاول ازالة اثر ذنبه والقول الثاني ان الاعتذار هو القطع ومنه يقال للقلفة
عذرة لانها تعذر اي تقطع ويقال للبكارة عذرة لانها تنقطع بالافتراع ويقال اعتذرت المياه
اذا انقطعت فالعذر لما كان سببا لقطع اللوم سمي عذرا قال الواحدي فالقولان متقاربان لان
محو اثر الذنب وقطع اللوم متقاربان **قوله** قد اظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان اعتبر الاظهار فيهما
لان المنافق لم يؤمن قط فضلا عن ان يكون بعد الايمان وفي الاية دليل على ان الجد واللعب في اظهار
كلمة الكفر سواء فان الهزل بالكفر كفر بلا خلاف بين الائمة وكذا لا فرق بين الجد والهزل في النكاح
والطلاق والرجعة لقوله عليه الصلوة والسلام ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق
والرجعة قال الترمذي في صحيح هذا الحديث انه حديث حسن والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ونقل القرطبي عن الموطأ ان سعد بن المسيب قال ثلث ليس فيهن
لعب النكاح والطلاق والعتق **قوله** وقرا عاصم بالنون فيهما فانه قرأ ان نَعْفُ بفتح
نون العظمة ورفع الفاء نعذب بضم نون العظمة وكسر الذال طائفةً بالنصب وقرا باقي
السبعة ان يعف عن طائفة بضم باء الغيبة وفتح الفاء تعذب طائفة بضم تاء التانيث و
فتح الذال ورفع طائفة لقيامها مقام الفاعل وقرئ بياء الغيبة وبناء الفاعل فيهما وهو الله
تعالى وقرا مجاهد ان تعف عن طائفة تعذب طائفة بتاء التانيث والبناء للمفعول فيهما
رفع طائفة لقيامها مقام الفاعل والقائم مقام فاعل الفعل الاول هو الجار والمجرور فالقياس
تذكير الفعل لانه يقال سير بالدابة ولا يقال سيرت بالدابة ولكنه انث الفعل حملا على المعنى فان
قوله ان يعف عن طائفة معناه ان ترحم طائفة فانث الفعل لذلك وهو غريب ثم انه لما شرح
قبائح افعال المنافقين بين بقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ان اناثهم كذكورهم
وان جميعهم شيء واحد فكل خصلة اتصف بها بعضهم فهي ناشئة من البعض الآخر لاتحاد
بينهم بحسب الشمائل والاخلاق فكلمة من في قوله بعضهم من بعض اتصالية كما في قولك انت مني
وانا منك اي امرنا واحد لا مباينة بيننا فيه وان كل ما في احدنا من الشمائل والاخلاق فهو ناش
و

ولا تشتغلوا بالاعتذارات حجة
عما ارادنا الاعتذار لا ينفع
علما لانا عليها نلنا
لا نفي عنه
سان

ستر نيتهم واخلاصهم الخ
على هذا الوجه ان يكون الخطاب
في منكم عاما للجميع ان قيس
وعلى الوجه الثاني ان يكون
مخصوصا بالمستهزئين منهم
وعلى الوجهين يكون
الخطابات المتقدمة مخصوصة
بالمستهزئين حتى قال الامام
الطائفتين على ما ذكره
المفسرون كانوا ثلثة
استهزأ اثنان وضحك
واحد والطائفة المعفو
عنها هي الضاحك والمعذبة
هي المستهزءان قالوا كان
ذنب الضاحك اخف فعفا
الله عنه وذنب المستهزئين
اغلظ فلم يعف عنهما
سان

ناش ومتدبر من الآخر فمن الاتصالية ابتدائية كما صرح به الشريف الجرجاني في شرح
المفتاح فعلى هذا التوجيه يكون الاية متصلة بجملة ما ذكر في شرح قبايح المنافقين لا بخصوص
قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم بان يكون تكذيبا لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقريرا لقوله وما هم
منكم كما قيل فان قوله وقيل انه تكذيب لهم الخ معطوف على ما فهم مما ذكره في تفسير الاية وعلى كلا التوجيهين
يكون قوله يأمرون بالمنكر الخ كالدليل لما قبله ومن قال انها متصلة بخصوص قوله ويحلفون بالله
انهم لمنكم قال لا تعلق لقوله بعضهم من بعض تعريض بانهم ليسوا من المؤمنين فيكون تكذيبا لهم في
حلفهم بالله انهم لمنكم وتقريرا لقوله وما هم منكم **قوله** اغفلوا ذكر الله اغفال الشيء تركه على ذكر منك فسر
نسيان الله على ترك ذكره لان الكلام مسوق لذم المنافقين ولا يذم الانسان بما لا مدخل
لكسب العبد واختياره فيه كالنسيان فانه لا مدخل لكسب الانسان واختياره فيه فلذلك فسر قوله
نسوا الله بقوله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته وايضا لما كان النسيان محالا في حقه تعالى فسر قوله
فنسيهم بقوله فتركهم من لطفه وفضله فلما كانت ارادة المعنى الاصلي للنسيان متعذرة في كل واحد من
الموضعين حمل على معناه المجازي وهو الترك على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الترك من
لوازم النسيان والمعنى انهم لما تركوا ذكر الله تعالى بالعبادة والثناء عليه ترك الله تعالى ذكرهم بالرحمة
والاحسان وجازاهم بالتفضيح والخذلان **قوله** الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة
الخير اعتبر الكمال ليصح حصر الفاسقين في المنافقين المستفاد من تعريف الخبر وتوسيط ضمير
الفصل فانه كم من فاسق غير منافق وفسر الفسق بالتمرد لان الكافر اذا وصف بالفسق
دل على المبالغة في الخروج عن امر الله تعالى وطاعته ولما وصفهم بكمال التمرد ذكر سوء حالهم في
الآخرة وجعل قوله خالدين فيها حالا مقدرة من المفعول الاول لقوله وعد لكونها غير مقارنة للوعد
قوله تعالى هي حسبهم جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب والمعنى ان تلك العقوبة كافية لهم ولا
شيء ابلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها ولا ابتنائه عطف قوله ولعنهم عليه لكونه بيانا لبعض
ما تضمنه الخلود في عذاب النار فان النار المخلدة مع كونها كافية في الايلام بالغة اقصى درجات
التعذيب تتضمن شدائد اخر من اللعن والذم والاهانة بالسلاسل والاغلال والعياذ بالله
من سخطه وعقابه **قوله** والمراد به اي بالعذاب المقيم ما وعدوه وهو الخلود في نار جهنم ذكره بعده
تاكيدا له ويجوز ان يراد به العذاب العاجل الذي لا ينفك عنهم ما داموا احياء وهو ما يقاسونه من
الخوف من اطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم على بواطنهم وافتضاحهم بذلك بين المؤمنين **قوله**
اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين يعني ان الكاف في قوله تعالى كالذين يجوز ان يكون في محل
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وان يكون في محل النصب على انه مفعول فعل محذوف بتقدير المضاف

مع عمل الترك بان ع
للشان الكلمة بعد غفلته
صحيحة قول الله
سلام

على ان المقصود تشبيههم بمن قبلهم في الاشتغال بالاستمتاع بلذائذ الدنيا و
الاشتراء بها عن السعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية الباقية وعلى الاول يكون المقصود تشبيههم بمن قبلهم
في ايثار اللذائذ الفانية على ما هو الذوابي وعلى التقديرين يكون الكلام التفاتا من الغيبة الى
الخطاب **قوله** بيان لتشبيههم بهم حيث وصف كل واحد منهم وممن قبلهم بكثرة الاموال والاولاد
ثم ذكر انهم استمتعوا بنصيبهم وخاضوا كاستمتاع من قبلهم وخوضهم سمي النصيب خلاقا لانه
مشتق من الخلق بمعنى التقدير ونصيب كل احد هو الجزء المقدر له **قوله** والتذاذهم بها اي تلهيهم
وتلعبهم بتلك الشهوات يقال لهو بالشيء الهو لهوا وتلهيت به والتهيت به التذاذا كلها بمعنى اي
لعبت به جعل استمتاع الاولين بخلاقهم جهة ذم لهم لان الاستمتاع والتلهي به يستلزم ،،
الذهول عن النظر في العاقبة وعن السعي في تحصيل السعادات الباقية **قوله** تمهيد لذم
المخاطبين حكمة لقوله ذم الاولين والمقصود دفع ما يقال من ان ذكر استمتاع الاولين بخلاقهم وقع
مكررا حيث ذكراولا قوله فاستمتعوا بخلاقهم ثم ذكر قوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والثاني مغن
عن الاول فما الفائدة في التكرير ووجه الدفع ان ما ذكراولا ذم للاولين بالاشتغال بالحظوظ الفانية
وذمهم بذلك تمهيد لذم المخاطبين بسلوكهم سبيل الاولين وتشبيه حالهم بحال الاولين في الاستمتاع
والالتذاذ بما هو كالظل الزائل والاعراض عن تحصيل السعادة الابدية الدائمة فلذلك شبه ،،
استمتاعهم باستمتاع الاولين وخوضهم بخوضهم ولم يسلك هذه الطريقة وهي تقديم التمهيد على
التشبيه في التشبيه الثاني وهي قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا حيث لم يقل وخاضوا وخضتم
كما خاضوا اكتفاء بتقديم التمهيد المذكور في التشبيه الاول فان التشبيه الثاني لما كان معطوفا على
التشبيه الاول علم ان المقدمة المذكورة هناك مقصودة ههنا فاستغنى عن ذكرها في التشبيه الثاني
قوله كالذين خاضوا لما كان خاضوا في قوله تعالى كالذي خاضوا صلة للموصول الذي قبله وكان ضمير
الجمع البه في قوله خاضوا والقياس ان يقال كالذين بلفظ الجمع فان الذين يجمع على الذين في الاحوال
الثلث في المشهور فاشار الى جوابه اولا بان الذي في الآية اصله الذين وتقدير الكلام وخضتم خوضا
كخوض الذين خاضوا على ان الكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف وحذف نون الذين ،،
تخفيفا ثم حذف المصدر الموصوف مع المصدر الذي اضيف الى الموصول فبقي وخضتم كالذي خاضوا
وثانيا بقوله او كالفوج الذي خاضوا بمعنى ان الذي صفة لموصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى فافرد
لفظ الموصول نظرا الى افراد الموصوف لفظا وجمع العائد اليه نظرا الى تعدد المرجع اليه من
حيث المعنى وثالث بقوله او كالخوض الذي خاضوه اي وخضتم خوضا كالخوض الذي خاضوه يعني
افراد الموصول لكونه صفة للمصدر المحذوف على ان المقصود تشبيه خوض المخاطبين بخوض من

من قبلهم وضمير خاضوا للاولين والعائد الى الموصول محذوف ثم انه تعالى لما شبه المنافقين بالكفار
المتقدمين في الاستمتاع بزخارف الدنيا والالتذاذ بذلك عن السعي في تحصيل سعادة الاخرة وفي
الخوض فيما خاضوا فيه من الكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين والعدول عما
امروا به والامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات بين سوء عاقبة هؤلاء
المتقدمين ليعتبروا بحالهم ولينزجروا عن اقتفاء اثرهم فقال انهم لم ينتفعوا باعمالهم شيئا
من ثواب الدارين وانهم خسروا الدنيا والاخرة جميعا وصاروا الى العقوبة الابدية ثم ،،
خوفهم بان ذكرهم انه اهلك من كان قبلهم من الامم بتكذيبهم الرسل فقال الم يأتهم نبأ الذين من
قبلهم والاستفهام في الم للتقرير اي قد اتاهم خبر الامم السالفة وسمعوا ذلك **قوله** اهلك نمرود
يعني ان المراد بقوم ابراهيم عليه الصلوة والسلام نمرود بن كنعان واصحابه والمراد باصحاب
مدين قوم شعيب ومدين اسم بلدهم والمؤتفكات جمع مؤتفكة وهي المنقلبة والمراد بها قرى
قوم لوط انقلبت فصار اعلاها اسفلها يقال افكه فانتفك اي قلبه فانقلب وقيل المراد بالمؤتفكات
قرى المكذبين مطلقا كقوم هود ولوط وصالح فان احوالها انقلبت من الخير الى الشر وضمير
اتتهم يجوز ان يرجع الى جميع من تقدم من المهلكين وخصه بعضهم بالمؤتفكات بناء على
ان كل قرية منها اتاها رسول من جهة لوط فلهذا جمع لفظ رسل في قوله اتتهم رسلهم اولم يلتفت
المص الى هذا الاحتمال حيث قال اتتهم يعني الكل اي لا المؤتفكات خاصة **قوله** فان السين
مؤكدة للوقوع اي للثبوت فان السين في الاثبات بمنزلة لن في النفي فتفيد تاكيد الثبوت
كما ان لن تفيد تاكيد النفي ثم انه تعالى لما اكد وعده بالرحمة على الاجمال بقوله سيرحمهم الله فصل
تلك الرحمة الموعودة بقوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار و
هو مذكور في مقابلة قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها ووعدهم ايضا مساكن طيبة اي قصورا عالية مبنية من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت
الاحمر في الجنات الموعودة لهم وهي جنة عدن اي اقامة وخلود فان الجنات الموعودة
كلها دار خلود واقامة فعلى هذا العدن مصدر بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدنا
وعدونا اذا اقام به ويقال تركت ابل بني فلان عوادن بمكان كذا بمعنى انها تلزم الابل ذلك
المكان وتألفه ومنه المعدن المستقر للجواهر ثم اشار الى في العدن قولا آخر وهو ان يكون اسم
علم لموضع معين في الجنة استندلالا بالاخبار الواردة فيها قوله عليه الصلوة والسلام
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومنها عدن وسط الجنة ومنها انه في الجنة

للتاكيد من
وبهذا تتمحض
غير قصد الى معنى
الاستقبال
سلمه

قال الامام والاقرب انه تعالى
اراد بالجنات البساتين
التي يتناولها النظر لانه
تعالى قال بعده ومساكن ،،
طيبة في جنات عدن و
المعطوف يجب ان يكون
مغايرا للمعطوف عليه
فتكون مساكنهم في جنات
عدن ومناظرهم ،،
الجنات التي هي البساتين
سلمه

قصرا بناه الله عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد ومنها عدن اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها **قوله** ومرجع العطف فيها اي ومبناه يعني ان العطف يقتضي التغاير فعطف قوله ومساكن طيبة على قوله جنات تجري يحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الذاتي بين المعطوف والمعطوف عليه بان يراد بالجنات البساتين وبالمساكن الطيبة القصور المبنية من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر مثلا ويكون لكل واحد من الموعودين الكل واحد من اهل الجنة او لجميعهم على سبيل التوزيع ويحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الوصفي مع اتحاد ذات الموعود **قوله** والمنافقين بالزام الحجة لا بالسيف فانه لا يجوز المجاهدة والمحاربة معهم بالسيف لانهم يظهرون الاسلام وينكرون الكفر وحكم شريعتنا ان نحكم بالظاهر فما امر الله تعالى بالجهاد معهم وهو عبارة عن بذل الجهد في صرف المبطلين عن المنكر وارشادهم الى الحق وليس في لفظ جاهدوا ما يدل على ان ذلك الجهاد بالسيف او باللسان او بطريق اخر وانما يدل على وجوب الجهاد مع كل واحد من الفريقين ولما لم يكن في الاية ما يدل على كيفية الجهاد معهما وجب المصير في معرفة كيفية الى دليل منفصل وقد دلت الدلائل المنفصلة على ان المجاهدة مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين قد يكون باظهار الحجة وقد يكون بترك الرفق والموافقة وقد يكون بالانتهار وهو زجره بكلام غليظ قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين يجاهدهم تارة باليد وتارة باللسان فمن لم يستطع فليكفهر في وجهه ومن لم يستطع فبالقلب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال المراد بقوله تعالى واغلظ عليهم اي عبس وجهك شدة الانتهار والنظرة بالبغض والمقت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان يكفهر في وجوههم **قوله** روي انه عليه الصلوة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين الخ روي انه عليه الصلوة والسلام خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس ان كان ما يقول محمد لاخواننا الذين خلفناهم في المدينة حقا فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي عامر يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فقام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبرئيل قبل ان يتفرقا بهذه الاية يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حتى بلغ فان يتوبوا

فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله وانا قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ثم تاب وحسنت توبته **قوله** او اخراجه مجرور معطوف على الفتك في قوله من فتك رسول الله ويحتمل ان يكون المراد بهمهم بما لم ينالوا ما قصده هؤلاء الخمسة عشر من فتك عليه الصلوة والسلام بالليل اذا تسنم العقبة فانه يحتمل انهم لما اجتمعوا لذلك الغرض كانوا قد طعنوا في نبوته عليه الصلوة والسلام ونسبوه الى الكذب في دعوى الرسالة وذلك هو قولهم كلمة الكفر ثم حلفوا على انهم ما قالوها والحال انهم قالوها وكفروا وهموا ويحتمل ان يكون المراد به الاخراج الذي هم به عبد الله بن ابي حيث قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد بالاعز نفسه الاذل وبالاذل رسول الله اجل الناس صلى الله عليه وسلم وسمع زيد بن ارقم قوله هذا ونقله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضي الله عنه بقتل عبد الله بن ابي فجاء عبد الله وحلف انه لم يقله فنزلت الاية **قوله** او بان ينفردوا معطوف من حيث المعنى على قوله من فتك الرسول فانه في قوة ان يقال اي بان يفتكوا اي ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى بما لم ينالوا ان ينفردوا عبد الله اي يلبسوه التاج كما روي عن السدي انه قال في قوله تعالى بما لم ينالوا هو قولهم اذا قدمنا المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي تاج الرياسة واتخذناه رئيسا وحكما بيننا فلم يفعلوا البتة **قوله** وما انكروا اي كرهوا وعابوا منه عليه السلام والنقمة اسم بمعنى التاذي والعذاب اي ما كرهوا وعابوا شيئا منه الا اغناء الله اياهم او ما صاروا ناقمين منه لشيء منها الا لاجل اغناء الله اياهم والظاهر ان قوله تعالى وما نقموا معطوف على قالوا في قوله تعالى ولقد قالوا كلمة الكفر في تفسير الكواشي ان قوله وما نقموا جواب يحلفون لانه بمعنى يقسمون والمعنى انهم يحلفون ما قالوا وما نقموا او ما كرهوا شيئا منهم الا اغناء الله تعالى اياهم وهو من قبيل قولهم ما لي عندك ذنب الا احساني اليك اي ان كان ثمة ذنب فهو هذا فهو تهكم بهم وتوبيخ كقولهم ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا **قوله** اثروا اي استغنوا او كثرت اموالهم والثراء كثرة المال يقال ثري اي كثر والفك الضيق **قوله** المتصدقين اصله المتصدقين ادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجها والمتصدق معطي الصدقة قال تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين **قوله** روي انه عليه الصلوة والسلام هذا جملة اي جزاء عملكم وهذا اشارة الى جعل التراب على راسه ويجوز كونه اشارة الى عدم قبول الصدقة منه فانه لكونه اهانة له وتاخيرا لامره الى يوم الحساب يصلح جزاء لعمله **قوله** ويجوز ان يكون الضمير المستتر في اعقبهم راجعا الى البخل المدلول عليه بقوله بخلوا ويكون المعنى فاورثهم بخلهم نفاقا متمكنا في قلوبهم بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بان قالوا لنصدقن وفيه تفكيك الضمير بلا فائدة لان الضمير الواقع قبله

وان ما معطوف على من خالف الرسول اي على مجموع الكلام فيكون المعنى وجحدوا على ... والحجر ... بان يخرجوا على بما لم ينالوا ... الحمد لاس ان يكون يخرجوا ... بما لم ينالوا ... الخ
سنان

وبعده وهو ضير من فضله وضير يلقونه راجع اليه تعالى فالظاهر ان يرجع اليه ايضا الضمير المستتر في اعقبه ويكون المعنى فجزاء الله عاقبة امرهم نفاقا بناء اعقبه الله خيرا اي جزاء عاقبة امره ذلك خيرا ويقال اكلت سمكة فاعقبتني سقما اي جرت تلك الاكلة والسمكة عاقبة اي سقما الجزاء اعقبه بطاعته اي جازاه قوله تعالى الى يوم يلقونه لتأبيد نفاقهم والدلالة على ان البخل ومنع حق الله مما اعطاه اياه يؤدي اليه الى ان يموت وهو منافق ولا يثبت له حكم الاسلام ابدا نعوذ بالله **قوله** فان خلف الوعد علة لجواز ان يكون المراد بالكذب كذبهم فيما وعدوه فان خلف الوعد لما كان متضمنا للكذب كان قبيحا من وجهين الاول كونه خلفا فانه قبيح من حيث انه ثلث اية النفاق والثاني كونه متضمنا للكذب الذي هو الثلث الاخر من آية النفاق ثم انه تعالى لما ذكر قبائح المنافقين من ايمانهم الكاذبة واخلافهم ما وعدوه الله تعالى هددهم على سبيل الانكار التقريري فقال الم يعلموا ان الله يعلم سرهم اي ما اسروه واضمروه في انفسهم ولم يتكلموا به سرا ولا جهرا فكيف يجترؤن على ما هم فيه من النفاق او العزم على الاخلاف **قوله** حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم يدل على ان عبد الرحمن رضي الله عنه كانت له يوم مات امرأتين وان ثمن ماله كان اكثر من مائة وستين الف درهم ليصح ان يصالح احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وفي الكشاف حتى صولحت امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وهو يدل على انه خلف اربع زوجات وان ثمن ماله كانت اكثر من ثلثمائة الف درهم وعشرين الفا ليصح ان يصالح احدى الزوجات الاربع عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم والله اعلم **قوله** اجر بالجر رجل يجر به البعير والباء زائدة اي اجر الجرير والمعنى بت استقى للناس على اجرة صاعين والوسق بالكسر ستون صاعا وقيل هو حمل بعير **قوله** جازاهم على سخريتهم فيكون تسمية جزاء السخرية سخرية من قبيل المشاكلة لوقوعه في صحبة قوله يسخرون منهم كما سمي جزاء الاستهزاء استهزاء وجزاء السيئة سيئة للمشاكلة فانها تورث الكلام حسنا عرضيا او من قبيل الاستعارة بناء على ان جزاء السخرية والسيئة مماثل لهما فاطلق اسم احد المتماثلين على الاخر لعلاقة المشابهة بينهما فعلى هذا يكون قوله سخر الله استعارة تبعية **قوله** يريد به التساوي بين الامرين يعني ان الكلام وان ورد على صورة الامر الا ان المراد به الاخبار بتساوي الامرين الاستغفار وتركه في عدم النفع كما في قوله تعالى انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وفائدة العدول الى صيغة الامر مع ان الخبر ايضا يدل على تساوي الامرين في عدم النفع مثلا ان يقال الاستغفار كعدمه من حيث ترتب المغفرة على شيء منهما

قال عليه الصلوة والسلام آية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا اؤتمن خان

وينتصب اجر بمحذوف وهو الباء وقيل هو الجرير والباء زائدة والمعنى اجر الجرير
للمص سلمه

قوله لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل نسبة هذا الفهم الى النبي عم بعيد عن الوهم لان استعمال السبعين في التكثير شائع في لسان العرب كما اعترف به بل وفي ساير الالسنة يجدونه في الادبية بكلمس حتى يقع مع كونه افصح العرب واعرفهم بامثالهم ومقاصدهم في محاوراتهم حتى احتاج فيه الى نزول اية اخرى تفصح عن ان المراد وكون العدد المخصوص هو الاصل لا يوقع مثله في هذا الوهم ثم انه كيف ذهب اليه فهمه مع انه ليس في هذا العدد شيء يوجب عموم قبول استغفاره اذا كان بهذا العدد دون ما وراءه ولو سلم ان فيه شيئا كذلك لا يتاتى ان يكون هذا مرادا الا في هذا المقام على ان فهم كون المراد منه العدد المخصوص فيكون عدم القبول من خصائصه بالنسبة الى ما فوق هذا العدد وما تحته فلم قال عليه الصلوة والسلام لازيدن عليه ولم يقل لابالغنه حتى يتبادر التنصيص عنه وقلت الحق انه عم فهم منه الكثرة لكن استعماله ليس الا في الكثرة المعتادة لا في اقصى ما يتصور ويطمع به البشر فمعنى قوله عم لازيدن على السبعين لابالغن في مرتبة الكثرة الى حد يفوق المعتاد في التكثير رجاء ان يغفر لهم فيما فوق المعتاد لكمال حرصه على مغفرته ولم ينف المغفرة لا في الحد المعتاد دون ما بعده وقال الزمخشري لم يخف عليه ذلك لكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رأفته على من بعث اليه كقول ابرهيم عم ومن عصاني فانك غفور رحيم اي اوقع في خيال السامع انه فهم العدد المخصوص دون التكثير فجوز الاجابة بالزيادة قصدا الى اظهار الرأفة والرحمة كما جعل ابرهيم عم جزاء قوله ومن عصاني اي لم يمتثل امري وترك عبادة الاصنام قوله فانك غفور رحيم دون ان يقول فانك شديد العقاب فخيل انه تعالى يرحمهم ويغفر لهم رأفة بهم وحثا على الاتباع وقيل اراد بقوله ومن عصاني فانك غفور رحيم انك تغفر له اذا استحدث التوبة والايمان وخيل انه يرحمهم مع العصيان رحمة لهم وحثا على الاتباع ثم ان بني كلامي التخصيص على فهم المراد بالسبعين العدد المخصوص وان الفرق يكون هذا تحقيقا عند المص وتخييلا عند الزمخشري وقوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله يساعد كلام المص دون كلامه فتامل وقال ابو حيان نسبة التخييل الى النبي عم سوء ادب لا يليق به واذا كان صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لنبي خائنة الاعين وما كانت ذنه فكيف يجوز عليه النطق بشيء على سبيل التخييل حاشا منصب الانبياء عن ذلك
سعدي افندي

منها الدلالة على المبالغة في تساوي الامرين كانه قيل ان شئت ان تعرف اني لا اغفر لهم
على كل حال فتخير بان تستغفر لهم تارة وبان تتركه تارة اخرى فانك تجدني استمر على عدم مغفرتهم
في الحالين قوله المتمردين في كفرهم يعني انه وضع الفاسقين موضع الكافرين للدلالة على
ان قوله بانهم كفروا معناه بانهم انهمكوا في الكفر وطبعوا عليه واصروا ووجه الدلالة ان المراد ،،
بالفسق فسق الكافر فلا بد ان يكون المراد به فسقا جليا بمعنى التمرد فيه والاصرار عليه
حتى يكون الكلام كالدليل على قوله فلن يغفر الله لهم فكانه قيل كيف يغفر لهم وهم كفار متمردون
في الكفر لا يهديه الله تعالى الى الحق ولا يرشده اليه دلالة وارشادا موصلا الى الحق مؤديا الى
العفو والغفران فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر ثم بالعفو عن الكفر وبارشاده
الى الحق ارشادا موصلا اليه وكل واحد من هذين السببين منتف في حق المتمردين في
كفرهم ما داموا مختارين للكفر والطغيان متمردين فيهما ولما انتفى سبب المغفرة في ،،
حقهم انتفى المسبب ايضا في حقهم وهو المغفرة فكان قوله تعالى ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين كالدليل على عدم مغفرة الله تعالى اياهم البتة كالتنبيه على
عذره عليه الصلوة والسلام في استغفاره لهم مع كونه ممنوعا عن الاستغفار لاصحاب
النار وذلك العذر انه لم يتبين له حين استغفاره لهم كونهم متمردين في كفرهم مطبوعين عليه
وانما تبين له ذلك بنزول هذه الآية فلذلك استغفر لهم قبل قيام هذا الدليل قوله بقعودهم عن
الغزو وخلفه على ان المقعد مصدر ميمي بمعنى القعود وان خلاف منصوب على انه ظرف للمصدر
اي فرحوا بقعودهم بعد ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على ان خلاف القوم اي
يخلفونهم بعد ذهابهم وروي عن الاخفش وغيره ان خلاف بمعنى خلف وبعد ويؤيده
قراءة ابن عباس رضي خلف بفتح الخاء وسكون اللام قوله فيكون انتصابه على العلة اي
فرحوا لاجل مخالفتهم اياه عليه الصلوة والسلام بان مضى هو عليه الصلوة والسلام للجهاد
وتخلفوا عنه او بقعودهم مخالفين له عليه الصلوة والسلام عبر الله تعالى عنهم بالمخلفين مع
ان الظاهر انهم تخلفوا عنه عليه الصلوة والسلام باختيارهم فكان الظاهر ان يقال فرح المتخلفون
للاشارة الى ان هؤلاء المخلفين انما تخلفوا بان استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،،
فاذن لهم وخلفهم بالمدينة فصاروا المخلفين باذنه عليه الصلوة والسلام اياهم او للاشارة
الى انهم خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان قوله ايثار الدعة لكراهتهم الجهاد والدعة الراحة
والخفض عطف تفسير لا يقال عيش خافض اي راغد وقوله على طاعة الله متعلق بقوله
ايثارا قوله وفيه تعريض اشارة الى فائدة قوله وكرهوا ان يجاهدوا الاية بعد قوله فرح المخلفون

وقال ابن عباس هو فعيل بمعنى فاعل اي يصدق
المؤمنين كاتب

بمقعدهم ثان فرحهم بالقعود عن الغزو يدل على كراهتهم للجهاد ويغني عن ذكرها والجهل جمع جاهل
وهي الزوج على وزن الجهل جمع جهلة والتثبط عن الامر عبارة عن الصرف عنه يقال ثبطه
عن الامر تثبيطا اي شغله عنه قوله اخبار عما يؤل اليه حالهم يعني ان قوله تعالى فليضحكوا وليبكوا
وان كانا على لفظ الامر وصورته الا ان المراد الاخبار بما سيؤل اليه حالهم اي فسيضحكون ضحكا
قليلا وسيكون بكاء كثيرا والمراد بالقلة العدم وبالكثرة الابد ويدل على ان المراد بصيغة
الامر الاخبار بما سيؤل اليه حالهم قوله تعالى بعدها جزاء بما كانوا يكسبون فان جزاء منصوب
على انه مفعول له للفعل السابق وعلة له ولا شك ان الجزاء انما هو علة لقلة الضحك وكثرة
البكاء لا للامر بهما ثم لما كان صيغة الامر في الاية بمعنى الخبر لا بد للعدول الى صيغة الامر من نكتة
وهي ههنا الدلالة على ان المخبر به امر حتم واجب الوقوع لا يحتمل الصدق والكذب ولفظ
الخبر لا يدل على هذا المعنى لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب وقوله تعالى قليلا وكثيرا
وان جاز كونهما منصوبين على انهما ظرفا زمان اي زمانا قليلا وزمانا كثيرا الا ان الظاهر كونهما
منصوبين على المصدرية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهذا اولى من حمل الكلام على حذف الزمان لان دلالة الفعل على المصدر اشد واقوى من دلالته
على الزمان لان الفعل يدل على المصدر بلفظه ومعناه ولا يدل على الزمان الا بدلالته على الحدث
الذي لا يقع الا في زمان قوله فان ردك الى المدينة فسر قوله تعالى رجعك الى طائفة منهم بقوله
ردك الى المدينة لان مرجع المسافر قصدا وبالذات انما هو منزله واهله لا اجزائه ثم قيد المدينة
بقوله وفيها طائفة من المتخلفين ليصح ان يترتب عليه قوله تعالى فاستأذنوك للخروج لان
مجرد رده عليه الصلوة والسلام الى المدينة لا يكون سببا لاستيذان المتخلفين من المنافقين
للخروج بل الذي يكون سببا له هو رده الى المدينة وفيها طائفة منهم وجعل ضمير منهم للمتخلفين
من المنافقين لانهم هم الممنوعون من الخروج معه ابدا فلذلك قال تعالى الى طائفة منهم لانه لو قال
فان رجعك اليهم اي الى المتخلفين مطلقا لفهم ان المتخلفين مطلقا منافقا او غير منافق
ممنوعون من الخروج معه وليس كذلك بل الممنوعون من الخروج هو المتخلف نفاقا فلذلك خص
المتخلفون بطائفة منهم وهم المنافقون من المتخلفين قوله او من بقي منهم عطف على قوله
منافقين اي ويحتمل ان يكون بطائفة من المتخلفين من بقي منهم على النفاق فان منهم من
تاب من النفاق وندم على التخلف كما ان منهم من تخلف بعذر صحيح فانه قد روي ان من بقي منهم
على النفاق كانوا اثني عشر رجلا فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله الى طائفة منهم وقال فيهم ما قال
قوله وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم لما فيه من الاهانة بهم واظهار نفاقهم
وبيان

وبيان انهم ليسوا ممن يتقوى به الدين ويعتز الاسلام كالمؤمنين المخلصين فانهم لا يمنعون من
الخروج الى الغزو بعد ان استأذنوا له كان ذلك تصريحا بكونهم خارجين عن زمرة من كلف بالجهاد
ولا شك انه تفضيح واهانة لهم وتجنبهم ثم انه تعالى كلف رسوله عليه الصلوة والسلام بان يفضحهم
ببيان حالهم بعد الممات حيث قال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر
له ويصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل اليه عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه
فارسل اليه القميص الفوقاني فرده فطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه فقال عمر رضي الله عنه لم تعطي قميصك
للرجس النجس فقال عليه الصلوة والسلام ان قميصي لا يغني عنه من الله شيئا وارجو من الله تعالى
ان يدخل به الناس في الاسلام وذلك ان المنافقين كانوا لا يفارقون ابن ابي فلما رأوه يطلب
منه عليه الصلوة والسلام قميصه ويتبرك به ويرجو ان ينفعه القميص في دفع عذاب الله تعالى و
جلب رحمته وفضله اسلم منهم الف فلما مات جاء ابنه يعرفه عليه الصلوة والسلام موت ابيه
فقال عم لابنه صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول الله لا يصلي عليه مسلم فقام عليه
الصلوة والسلام ليصلي عليه فجاء عمر رضي الله عنه فقام بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت الاية واخذ جبريل عليه السلام بثوبه وقال ولا تصل على احد
منهم مات ابدا فاعرض عن الصلوة عليه وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله عنه فان
الوحي كان ينزل على وفق قوله في ايات كثيرة منها هذه الاية وهو منصب عال ودرجة عظيمة رفيعة
له في الدين فلذا قال عليه الصلوة والسلام في حقه لو لم ابعث لبعثت نبيا يا عمر فان قيل كيف يجوز
ان يقال انه عليه الصلوة والسلام رغب في ان يصلي عليه بعد ان علم انه كافر قد مات على الكفر
وان صلوته عليه دعاء له بالمغفرة وقد منعه الله تعالى من ان يستغفر للمشركين وعلم انه لا يغفر
الكفار البتة وايضا عليه الصلوة والسلام ودفع قميصه اليه يوجب اعزازه وهو مأمور باهانة
الكفار فالجواب ان الخبيث لما طلب منه عليه الصلوة والسلام ان يرسل اليه قميصه يمس جلده الشريف
ليدفن فيه غلب على ظنه انه قد تاب عن نفاقه وآمن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان
الكافر فلما رأى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارة الدالة على اسلامه غلب على
ظنه انه صار مسلما فرغب في ان يصلي عليه فلما نزل جبريل فاخبره بانه مات على كفره ونفاقه
امتنع من الصلوة عليه واما دفع القميص اليه فذكروا فيه وجوها منها ان العباس رضي الله عنه عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر ولم يجدوا له قميصا يساويه في قده وكان رجلا
طويلا كساه عبد الله قميصه فهو عليه الصلوة والسلام انما دفع اليه قميصه مكافاة لاحسانه ذلك

ويكون ان الفرضية ان يعطي من ان
لا اعرض عن الصلوة عليه بل مع
معرض التعجب منه مع ان الله تعالى
نهاه ان يستغفر لاحد من الاعداء نبيا
قد نطق بنصرة الله ومن استثناه
الاعداء

وقال انصل على عدو
الله قائلا

فلما طلب عبد الله منه القميص دفعه اليه لهذا المعنى لا اعزازا له ومنها انه عليه الصلوة والسلام انما
دفعه اليه بمقتضى كرمه وغلبة الرحمة عليه كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فامتنع من
الصلوة عليه رعاية لامر الله ودفع اليه القميص لاظهار الرأفة والرحمة ومنها انه روى لعله اوحى
اليه انك لا دفعت اليه قميصك صار ذلك حاملا لدخول الف من المنافقين في الاسلام ففعل ذلك بناء
عليه ومنها انه روى امره ان لا يرد سائلا بقوله واما السائل فلا تنهر فلما طلب عبد الله منه القميص دفعه
اليه لهذا المعنى **قوله** وقيل صلى عليه ثم نزلت فانه روى انه عليه الصلوة والسلام لما قام ليصلى
عليه اخذ عمر بن الخطاب بثوب رسول الله فقال يا رسول الله اتصلى عليه فقال عليه الصلوة والسلام
انما خيرني الله حيث قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله ولا تصل على احد منهم رواه الامام الواحدي في الوسيط عن نافع عن ابن عمر **قوله**
والمراد منه منصوب معطوف على الضمير في قوله لان الضمير **قوله** ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا
اي ولكون الاستغفار ممنوعا في حق من مات كافرا رتب النهي عن الصلوة على احد موصوف بانه
منهم وموصوف بانه مات فان منهم صفة لاحد وكذلك قوله مات فانه ايضا في محل الجر على انه صفة احد
وابدا ظرف منصوب بمات على ما اختاره المص كانه قيل لا تصل على احد منهم يموت ابدا بان مات
على الكفر فان من مات على الكفر يموت ابدا وان احياء للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحيى قال الامام
نقلا عن الواحدي ان قوله مات في موضع جر على انه صفة للنكرة كانه قيل على احد منهم ميت وقوله
ابدا متعلق بقوله ولا تصل على احد يريد انه ظرف متعلق بالنهي والتقدير ولا تصل على احد منهم و
قال صاحب التيسير وفي الآية تقديم وتاخير تقديره ولا تصل ابدا على احد منهم مات **قوله** تكرير للتاكيد
يعني ان هذه الاية قد سبق ذكرها في هذه السورة نهيا للكل من تمتعها عن استحسان زهرة الدنيا وطيباتها
من الاموال والاولاد متحققا من حسنها فان كان ضمير اولادهم واموالهم في هذه الاية عبارة عنه في الآية
السابقة كانت هذه الاية تكريرا للاولى لتاكيد النصيحة بها والاعتناء بشانها تنبيها على ان هذه
النصيحة مما لا ينبغي ان يذهل السامع عنها وان الناصح لا بدله ان يرجع اليها في اثناء كلامه دائما
ولا سيما اذا تباعد احد الكلامين عن الآخر بناء على ان الابصار طامحة اي مرتفعة ناظرة
الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة اي متمنية حريصة عليها يقال طمح بصره الى الشيء
اذا ارتفع اليه والغبطة ان تتمنى مثل حال المغبوط من غير ان تريد زوالها عنه والا لكان حسدا
قوله ويجوز ان تكون هذه الاية في فريق غير الاول بان يراد بضمير اموالهم واولادهم في هذه الاية
غير ما اريد به في الآية الاولى فلا تكون الثانية تكريرا للاولى بل تكون كل واحد منهما آية مستقلة
ولا فرق بين الآيتين الا في عبارات مخصوصة اولها انه قال في الآية السابقة فلا تعجبك
بالفاء

كما روى ذلك انه آمن في ذلك اليوم الف من المنافقين روح

رواه البخاري عن عبيد بن اسمعيل ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة كلاهما عن ابي اسامة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مثله

والجار والمجرور اعني قوله منهم في محل الجر على انه صفة احد ومات صفة بعد صفة او محل النصب على انه حال وحدث وجب تقديم الحال عليه اذا كانت نكرة لم توضع بادا اذا سبقه نفي او نهي او استفهام لا يجب تقديمها لانه يجبر النكر مع شبه هذه الاشياء مستغن فلا يبقى فيه ابهام كذا في شرح الرضي

بالفاء وفي هذه الاية قال ولا تعجبك بالواو وثانيها انه قال في الاولى اموالهم ولا اولادهم
وههنا لم يذكر كلمة لا وثالثها انه قال هناك انما يريد الله ليعذبهم وههنا قال انما يريد الله ان
يعذبهم بكلمة ان بدل اللام ورابعها انه قال هناك في الحيوة الدنيا وههنا لم يذكر لفظ الحيوة
قوله ويجوز ان يراد بها بعضها عطف على قوله سورة من القران اي بتمامها اي ويجوز ان يراد
بقوله سورة السورة بتمامها وان يراد بعضها كالقران والكتاب فانه يطلق كل واحد منهما
على الكل وعلى البعض فكذا السورة ولا يخفى ان كل واحد منهما موضوع للقدر المشترك بين
الكل والبعض واطلاق اللفظ المشترك على كل واحد من معنييه حقيقة بخلاف السورة فانها
موضوعة بازاء المجموع فاطلاقها على البعض مجاز لا محالة **قوله** ويجوز ان تكون ان مفسرة
عطف على قوله بان آمنوا اي يجوز ان تكون كلمة ان في قوله ان آمنوا مصدرية حذف منها حرف
الجر اي بان آمنوا وان تكون مفسرة لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول لان انزال السورة يتضمن
كونها حاكمة آمرة وفي قوله استاذنك التفات من الغيبة في قوله وجاهدوا مع رسوله فانه عليه
الصلوة والسلام ذكر اولا بالاسم الظاهر ثم ذكر بكاف الخطاب **قوله** وقد يقال الخالفة للذي لا خير
فيه عطف على تفسير الخوالف بالنساء بناء على ان الخوالف جمع المؤنث وان تاء خالفة للتانيث
الجوهري يقال فلان خالفة اهل بيته وخالف اهل بيته ايضا اذا كان لا خير فيه انتهى فتاء
خالفة على هذا النقل من الوصفية الى الاسمية لا للتانيث فلا يكون الخوالف جمع المؤنث بل يكون
من صفة الرجال ولعل الوجه في تسمية من لا خير فيه من الرجال خالفة كونه غير محتاج الى ما دعي
اليه من المهمات فالمفسرون كانه يعيب على المنافقين تشبيههم بالخوالف فنزل فيهم هذه
الاية تعييرا لهم وذما يبين الله تعالى في الايات السابقة احوال المنافقين في التخلف عن الرسول
عليه الصلوة والسلام والقعود عن الغزو وزاد ههنا انه متى نزلت آية ذكر فيها الامر بالغزو
وقالوا له عليه الصلوة والسلام ذرنا نكن مع القاعدين من النساء والصبيان والضعفاء الذين
قعدوا للعذر **قوله** اي ان تخلف هؤلاء بيان لمعنى الاستدراك في قوله تعالى لكن الرسول والذين
آمنوا معه اي لكن لم يخل امر الجهاد بتخلفهم لانه قد جاهد من هو خير منهم ثم انه لما شرح
احوال المنافقين الذين كانوا في المدينة ابتداء بشرح احوال المنافقين من الاعراب وهم
سكان البوادي من العرب فقال وجاء المعذرون من الاعراب والجهد بالفتح مصدر جهد عيشه
بكسر الهاء بمعنى نكد واشتد **قوله** والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه فقوله وجاء المعذرون
معناه وجاء المقصرون في الجهاد بان توانوا ولم يجتهدوا فيه من غير عذر ذكر المص في لفظ
المعذرين ثلث قراءات تشديد الذال مفتوحة والثانية اسكان العين وتخفيف الذال والثا

بتشديد العين والذال معا وذكر للقراءة الاولى وجهين الاول ان يكون اسم فاعل من باب
التفعيل بمعنى المقصر في الجهاد موهما ان له عذرا ولا عذر له بل هو متقنع في اعتذاره قال
الجوهري التعذير في الامر التقصير فيه والثاني ان يكون اسم فاعل من باب الافتعال اصله المعتذرون
نقلت فتحة التاء الى العين وقلبت التاء ذالا وادغمت في الذال التي بعدها فصار معذرون
اي معتذرون والاعتذار قد يكون بالكذب كما في قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا
تعتذروا وقد يكون بالصدق كما في قول لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر يريد فقد جاء
بعذر صحيح وقيل المعذر بتشديد الذال من يعتذر بلا عذر والظاهر ان هذا القائل جعل المعذر اسم
فاعل من باب التفعيل ولا يخفى ان عذر المقصر في الامر يكون باطلا وجعل القراءة الثانية وهي قراءة
المعذرين باسكان العين وتخفيف الذال اسم فاعل من اعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه
فيكون صادقا في اعتذاره فالمعذرون بالتخفيف هم المبالغون في العذر وفي المثل لقد اعذر من
انذر اي بالغ في العذر من قدم الانذار قال الامام النسفي في التيسير قوله تعالى وجاء المعذرون
بالتخفيف اخبار عن قوم اتوا بالعذر الصحيح فعذروا اي قبل عذرهم وبالتشديد اخبار
اخبار عن اعراب تكلفوا بالعذر ولا عذر لهم فلم يعذروا وفي الآية ذم لهم الى هنا كلامه
وفسر عذرت بالتشديد بقوله اتيت بما هو في صورة العذر ولا عذر لي فيه حقيقة على
التفعل للتكلف وجعل القراءة الثانية اسم فاعل من تعذر بمعنى اعتذر فيكون اصلها
متعذرون بمعنى معتذرون ابدلت التاء عينا فادغمت العين في العين فصار معذرون
بتشديدين وجعل هذه القراءة لحنا بناء على ان التاء لا تدغم في العين لبعد مخرجهما
قوله وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة وهذا الاختلاف انما
هو في غير قراءة المعذرين بالتخفيف لان المعذر بالتخفيف من له عذر صحيح مقبول
غير متصنع في اعتذاره فلا وجه للاختلاف على هذه القراءة وكذا لا وجه للاختلاف على
قراءة التشديد ان كان المعذر اسم فاعل من باب التفعيل وكان المعذرون بمعنى المقصرين
في الجهاد المتهاونين فيه لان من قصر فيه لكسله وضعف همته لا يعتذر على تقصيره فضلا
عن ان يقال انه هل هو متصنع في اعتذاره ام له عذر صحيح فعلم من اختلاف القراء المذكور
في هذه الآية ان البادية المتخلفين عن الغزو صنفان صنف تصنعوا فيما اوهموا انهم قد تبرؤوا
من العذر وليس لهم عذر صحيح وصنف صدقوا فيه واتوا بالعذر الصحيح وذكر الصنف الاول
بقوله تعالى وجاء المعذرون على قراءة التشديد بمعنى المعتذرون بالباطل والتصنع وذكر الثاني
بقوله وجاء المعذرون على قراءة التخفيف لانهم هم المعتذرون الذين صدقوا في اعتذارهم
وعلى

وعلى قراءة التشديد ايضا ان اريد بالمعتذرين بالتصنع **قوله** فيكون قوله وقعد ..
الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم متفرع على قوله بالصحة يعني ان كان المراد بالمعذرين محقا
كان او مبطلا المعتذرين بالصحة يكون المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله المعتذرين بالتصنع
ومن لم يجئ ولم يستأذن في القعود فضلا عن ان يعتذر لان من كذب في ادعاء الايمان يكون ..
متصنعا في اعتذاره من غير اعتذار وان كان المراد بالمعذرين المعتذرين بالتصنع يكون
المراد بالذين كذبوا المتصنعين ويكون المراد بكذبهم كذبهم في اعتذارهم قرأ الجمهور كذبوا
الله بتخفيف الذال والمعنى كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان او فيما يتبعه من العذر وقرئ
بالتشديد اي لم يصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء عن ربه ولا امتثلوا امره **قوله**
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره يعني ان كلمة من في قوله منهم ليست بيانية والا كانت الاعراب
او المعذرون باسرهم كفرة وليس كذلك لانه تعالى كان عالما بان بعض الاعراب مؤمن وان بعض
المعذرين يعتذر لكسله لا لكفره فلا يصح ان يكون الوعيد المذكور في حق جميع الاعراب
ولا في حق جميع المعذرين بل لا بد من تخصيصه بالبعض منهم فلذلك اتى بكلمة من الدالة على
التبعيض ثم انه تعالى لما ذكر ثواب المجاهدين المخلصين ووعيد المتخلفين المنافقين بين
ان المتخلفين من اصحاب الاعذار ليس عليهم حرج واثم في تاخيرهم عن الغزو فقال ليس على
الضعفاء الآية والهرمى جمع هرم بكسر الراء وهو كبير السن وبالفتح مصدر بمعنى كبر السن والزمنى
جمع زمين وهو المقعد ثم انه تعالى شرط انتفاء الحرج عنهم شرطا معينا فقال اذا نصحوا لله و
رسوله والناصح الخالص والنصح اخلاص العمل عن الغش يقال نصح الشيء اذا خلص ونصح
له في القول اذا كلمه بما هو خير محض له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قالها ثلاثا
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال العلماء النصح
لله اخلاص الاعتقاد في وحدانيته ووصفه بصفات الالهية وتنزيهه عن النقايص و
الرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والتزام طاعته
في امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره في محبته ومحبة اهل بيته وتعظيم
سنته واحياؤها بعد موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء اليها والتخلق
باخلاقه الكريمة والنصح لكتاب الله قراءته والذب عنه وتعليمه واكرامه والتخلق به والنصح لائمة
المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه من امور المسلمين
ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم والنصح لعامة المسلمين ترك معاداتهم وارشادهم
الى ما هو الحق والصواب وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم وارادة الخير لكافتهم قوله

في هذه الآية اذا نصحوا لله ورسوله معناه ان المتخلفين من اصحاب الاعذار لا اثم عليهم في تخلفهم اذا اخلصوا الايمان لله ورسوله وامتثلوا امرهما في جميع الامور وبعضها ان لا يفشوا ما سمعوه من الاراجيف في حق الغزاة وان لا يثيروا الفتن وان يسعوا في ايصال الخير الى المجاهدين ويقيموا باصلاح مهمات بيوتهم ويسعوا في ايصال الاخبار السارة من بيوتهم اليهم وهذا كله بعد اخلاص ايمانهم واعمالهم من الغش والريا وكلمة من في قوله من سبيل زائدة لعموم النفي اي ليس عليهم شيء من الاثم بسبب قعودهم عن الغزو والجهاد ولا انخراطهم في سلك المخلفين حيث اتوا ما في وسعهم من النصح لله ورسوله واشير الى هذا التعليل بوضع المحسنين موضع الضمير فان مدحهم بتوصيفهم بالاحسان بناء على كونهم اتين بما يليق به وقد اشتهر ان تعليق الحكم على الوصف المناسب يشعر بعلية الوصف له **قوله** عطف على الضعفاء او على المحسنين فالمعنى على الاول ليس شيء من السبيل ثابتا على المحسنين ولا على الذين والمراد بقوله ولا على الذين سبعة نفر من الانصار سموا البكائين لانهم لما سمعوا قوله عليه الصلوة والسلام لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون **قوله** حال من الكاف في اتوك باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا واسناد الفيض الى الاعين مجازي والاصل تفيض دموعها عدل الى هذه الصورة للدلالة على المبالغة في فيضان الدمع كان العين كلها دمع فياض وكلمة من للبيان كانه قيل واعينهم التي هي الدمع تفيض فانه لما اسند الفيض الذي هو فعل الدمع الى اعينهم كانها دمع فائض ثم لما بين الدمع فقد جرد تلك الاعين الفائضة من الدمع المتصف بشدة الفيضان وكثرته مبالغة في اتصاف الدمع بصفة الفيضان لان التجريد عبارة عن ان ينتزع من المتصف بصفة امر اخر مثله في الاتصاف بها تنبيها على مبالغة تلك الصفة في ذلك المتصف بها حتى انتزع منه باعتبار اتصافه بها شيء اخر مثله فيها فانه لما اسند الفيض الى اعينهم اسنادا مجازيا وجعل اعينهم دمعا فائضا ثم قيل من الدمع بمن التجريدية فقد جرد من الدمع الفائض اخر مثله للدلالة على ان الدمع قد بلغ في اتصافه بالفيضان الى حيث يؤخذ منه شيء اخر منه ولا شك انه مبالغة عظيمة في توصيف الدمع بالفيضان كما في قولك لي من فلان صديق حميم فانه يدل على ان فلانا بلغ في الصداقة الى حيث يؤخذ منه صديق اخر مثله في الصداقة فلما كانت الاعين الفائضة التي جردت من الدمع باعتبار اتصافه بشدة الفيضان بمنزلة الدمع الفائضة صارت من التجريدية بمنزلة البيانية من حيث ان اعينهم الفائضة منتزعة من جنس دموعهم الفائضة فتنزعها فعول من الدمع في محل النصب على التمييز بمنزلة

قولك

قولك واعينهم تفيض دمعا اسند الفعل الى مجرد ما علمه ثم جعل الفاعل تمييزا اسلوكا بطريق الابهام والتبيين كما في قولك طاب زيد نفسا فهو ابلغ من ان يقال تفيض دموعها للدلالة على ان اعينهم كلها صارت كانها دمع فائض فلذلك عدل عن ان يقال واعينهم يسيل دمعها **قوله** حزنا نصب على العلة والعامل فيه تفيض فان قيل كيف جاز كونه منصوبا على انه مفعول له وشرط نصبه ان يتحد فاعله مع فاعل عامله وههنا قد اختلف الفاعلان لان الفيض اسند الى الاعين وفاعل الحزن اصحاب الاعين فوجب ان يكون المفعول له مجرورا بحرف الجر تكميل نصبه ههنا اجيب بان الحزن قد يسند الى العين مجازا فيقال عين حزينة وعين مسرورة ويجوز ان يكون العامل فيه تولوا فيتحد فاعل العلة مع فاعل المعلل حقيقة ويجوز ان يكون حزنا حالا من فاعل تولوا او من فاعل تفيض اي تولوا حزنين او تفيض اعينهم حزينة على ما تقدم من المجاز ويجوز كونه مصدرا منصوبا بفعل مقدر من لفظه اي يحزنون حزنا وهذه الجملة تقدرنا ناصبة لهذا المصدر في محل النصب على انها حال اما من فاعل تولوا او من فاعل تفيض جعل كلمة ان في قوله ان لا يجدوا مصدرية بتقدير حرف الجر اي لئلا يجدوا والآن جعله متعلقا بحزنا انما يجوز على تقدير ان يكون حزنا مفعولا له او حالا واما اذا جعل مصدرا مؤكدا للفعل المقدر من لفظه فلا يجوز ذلك لما تقرر في النحو ان المصدر المؤكد لعامله لا يعمل **قوله** لانه لن نصدقكم اشارة الى ان قوله لن نؤمن لكم استئناف لبيان وجه نهيهم عن الاعتذار لان المعتذر اذا علم ان عذره لا يقبل وجب عليه ان يمتنع عن الاعتذار وكذا قوله قد نبأنا الله من اخباركم فانه ايضا استئناف لبيان عدم تصديقهم اياهم روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا يعتذرون بالباطل فامر الله رسوله ان يقول لهم لا تعتذروا لن نصدقكم في اعتذاركم لانه تعالى اعلمنا بعض اخباركم ثم قال وسيرى الله عملكم بعد هذا اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه ثم ذكر انهم بعد ما اعتذروا بالمعاذير الكاذبة اذا انصرفتم اليهم سيحلفون ويؤكدون تلك المعاذير الكاذبة بالايمان الكاذبة قائلين والله ما قدرنا على الخروج ولو قدرنا عليه لما تخلفنا يريدون بذلك ان تعرضوا عنهم اعراض صفح وهو الاعراض عن الذنب وترك اللوم عليهم وتعنيفهم فاعرضوا عنهم اعراض مقت وتجنبوا اعراضكم عن الرجس النجس والتأنيب هو اللوم والتعنيف **قوله** يجوز ان يكون مصدرا اي لفعل مقدر من لفظه اي يجزون جزاء او لمضمون ما قبله فان قوله تعالى ومأويهم جهنم في معنى يجزون بعذاب جهنم ثم انه تعالى بعد ما بين انهم يحلفون بالله ليعرض المسلمون عن لومهم وعتابهم ايضا انهم يحلفون ليرضى المسلمون عنهم فيستديموا عليهم ما كانوا يفعلون بهم قبل

تخلفهم **قوله** او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم على ان يكون قوله تعالى فان ترضوا عنهم كناية عن
تلبيسهم على المؤمنين بالايمان الكاذبة قوله تعالى عن القوم الفاسقين موضوع موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالفسق الذي هو التمرد في الكفر للاشعار بان علة عدم رضاه تعالى عنهم هي صفة فسقهم
وتمردهم **قوله** الاعراب اهل البدو اشارة الى ان الاعراب وان كان على صورة الجمع لعرب نحو
حجر واحجار الا انه ليس جمعا له اذ الازم ان يكون الجمع اخص من واحده وذلك لان العرب هو
الصنف الخاص من بني آدم سواء سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فانه لا يطلق الا
على من يسكن البوادي فالاعراب جمع اعرابي كما ان العرب جمع عربي والمجوس جمع مجوسي و
اليهود جمع يهودي يحذف ياء النسبة في الجمع ويدل على الفرق بين العرب والاعراب قوله
عليه الصلوة والسلام حب العرب من الايمان وقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا حيث
مدح العرب وذم الاعراب الذين هم سكان البوادي فعلى هذا يكون العرب اعم من الاعراب
وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل البدو وعلى هذا القول
يكونان متباينين جعل الاعراب الذين هم سكان البادية اذا كانوا كفارا ومنافقين اشد
كفرا ونفاقا بالنسبة الى اهل الحضر لان اهل البدو يشبه الوحوش من حيث انهم مجبولون
على الامتناع عن الطاعة والانقياد ولان استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيدهم قساوة
لقلوبهم ومن نتيجة التكبر والتجبر والطيش عن الحق ولان من لم يدخل تحت تاديب
المؤدب ولم يخالط اهل العلم والمعرفة ولم يستمع لكتاب الله تعالى ومواعظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبيانه الشافية كيف يكون مساويا لمن اصبح وامسى في صحبة اهل العلم والحكمة
مستمعا لمواعظ الكتاب والسنة وان شئت ان تعرف الفرق بين اهل الحضر والبادية فقابل
الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ومن كان ابعد عن سماع القرآن والسنن كان اجدر
واولى بان لا يعلم حدود العبادات والشرايع المنزلة من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم
قوله غرامة وخسرانا يعني ان المغرم مصدر بمعنى الغرامة وهو ما ينوب الانسان في ماله من
ضرر بغير جناية وهو لا يكون الا بضياع رأس المال فلذلك عطف عليه قوله وخسرانا ومن لا
يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يرجو على انفاقه في سبيل الله ثوابا ولا يخاف على تركه عقابا
فلا جرم يعتبر ما انفقه غرامة وضياع مال بلا فائدة وكلمة من في قوله تعالى من يتخذ اما موصوفة
او موصولة في محل الرفع على الابتداء ومن الاعراب خبره ومغرما مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى يعتبر
وقوله ويتربص عطف على يتخذ عطف صلة على صلة او صفة على صفة والتربص الانتظار
والدوائر ما يدور ويحول للانسان من المصائب والآفات فمعنى تربص الدوائر انتظار

سوا اكان من العرب او من مواليهم سكان ... يطلبون ... فقط البيت والعلماء

فقد ظهر مما قررنا ان الاعراب جمع اعرابي وقد تقرر ان الاصل في الجمع المحلى بالالف واللام ان ينصرف الى المعهود السابق فان لم يوجد المعهود السابق حمل على الاستغراق للضرورة اذ لو لم يحمل عليه لزم الاجمال فلذلك قال بعض العلماء المراد بالاعراب هنا جمع معهودون من منافقي الاعراب كانوا يوالون منافقي المدينة فردوا هذا اللفظ اليهم وفي التيسير ان هذه الآية تتصل بقوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب اي سكان البوادي اذا كانوا كفارا ومنافقين وهم اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر الخ سلمه

انتظار المصائب بان تنقلب دولة المسلمين بموت الرسول صلى الله عليه وسلم و
غلبة الكفار عليهم **قوله** منوب جمع نوبة وهو اسم من نابه امر وانتابه اي اصابه والنائبة
المصيبة واحدة نوائب الدهر والعقبة النوبة **قوله** والسوء بالفتح مصدر اي هو مصدر
قولك ساءه نقيض سره يقال ساءه يسوءه سوءا بالفتح ومساءة نقيض سره والاسم
السوء بالضم يقال رجل سوء على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل ثم
يقال رجل سوء على طريق اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة في اتصافه بها كما يقال رجل
صدق للمبالغة في توصيفه بالصدق حتى كانه مطبوع منه ولا يتبين الا به نحو خاتم فضة ومن
هذا القبيل قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء وقوله وظننتم ظن السوء والسوء بالضم اسم
يطلق على ما هو من قبيل المكروه والبلاء **قوله** والسوء هنا وفي الفتح اي وفي الثانية مما في
سورة الفتح وهي ما في قوله وظننتم ظن السوء واما الاولى مما فيها وهي ما في قوله والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء فقد اتفق القراء السبعة على
فتح سينها **قوله** وسبب صلواته يعني ان قوله وصلوات الرسول منصوب بالعطف على قربات وجعله
صاحب الكواشي معطوفا على قوله ما ينفق الذي هو اول مفعولي يتخذ فالمعنى يطلب بنفقته و
دعوات الرسول التقرب الى الله ورسوله والمغفرة **قوله** سنن المصدق وهو من يأخذ الصدقة
والمتصدق معطيها **قوله** شهادة من الله تعالى بصحة معتقدهم يعني ان الاستيناف في قوله تعالى الا انها
قربة لهم وتصديرها بحرف التحقيق والتنبيه المؤذنين بثبات الامر وتمكنه شهادة من الله
تعالى بصحة ما اعتقدوه من كون ما ينفقونه في سبيل الله سبب قربات والضمير المنصوب في قوله
الا انها للنفقة المدلول عليها بقوله ما ينفق وقيل انه للصلوات والسين في قوله سيدخلهم
لتحقيق الوعد لان السين في الاثبات بمنزلة لن في النفي **قوله** قيل الاولى يعني قيل ان قوله تعالى
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما نزلت في اعراب اسد وغطفان وتميم والثانية نزلت
في عبد الله وقومه وذو البجادين لقب عبد الله بن نهم بضم النون والبجاد الكساء الغليظ
لقب به عبد الله لانه لما اراد المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعت امه بجادا له
نصفين فاتزر باحدهما وارتدى بالاخر ثم انه تعالى لما ذكر فضائل الاعراب الذين يتخذون
ما ينفقون في سبيل الله قربات بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهي منازل
السابقين الذين سبقوا في الهجرة والنصرة وهم قدماء الصحابة ومن التابعين وقيل
المراد بهم جميع الصحابة من المهاجرين والانصار فانهم سابقون الى الاسلام بالنسبة
الى سائر المسلمين ومن التابعين كما في قوله اجتنبوا الرجس من الاوثان فانه على الصفة

والسلام اوحي اليه وهو ابن اربعين سنة في مكة فبايعه جماعة من الناس فعدوا
عليهم كفار قريش فظلموهم ليردوهم الى ما كانوا عليه فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة
الى ارض الحبشة وملكها وهو النجاشي فخرجوا وهم نحو من ثمانين رجلا في رجب من السنة
الخامسة من النبوة وهذه هي الهجرة الاولى ثم بايعه في كل واحد من العقبتين جمع من الانصار
وكانت بيعة العقبة الاولى في سنة احدى عشرة من النبوة وبيعة العقبة الثانية في
السنة الثانية عشر ولما انصرف اهل العقبة الثانية الى المدينة بعث اليهم عليه الصلوة و
السلام معهم مصعب بن عمير ليفقه اهلها ويعلمهم القران فاسلم خلق كثير منهم ثم هاجر عليه
الصلوة والسلام اليها في السنة الرابعة عشر من النبوة وهي الهجرة الثانية وامر
بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة فهو وقع في يوم الثلثاء من شعبان على راس ثمانية
عشر شهرا من مقامه بالمدينة وفي هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان
في تاسع عشره وكانت عمرة الحديبية في سنة ست من الهجرة وفيها وقعت بيعة الرضوان
وقيل اجمع اصحابنا على ان افضل هذه الامة الخلفاء الاربعة ثم الستة الباقون الى تمام
العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية قراء الجمهور والانصار
مجرورا عطفا على المهاجرين والمعنى ان السابقين الاولين من هذين الجماعتين شانهم
كذا وقرئ مرفوعا عطفا على السابقين فعلى هذه القراءة يكون السبق صفة المهاجرين
فقط وعلى القراءة الاولى يكون صفة للجميع وينبغي ان يكون كلمة من في القراءة الثانية
للتبيين اذ لا وجه لتخصيص الحكم لبعض المهاجرين وتعميمه لجميع الانصار من اهل المدينة
انصارا لان المهاجرين ايضا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم نصروه عليه الصلوة
والسلام والذين هاجروا اليهم من المؤمنين لما جاؤهم فآووهم ونصروهم ثم اجتمعوا
جميعا على نصرته عليه الصلوة والسلام في المغزوات شرح الله تعالى احوال منافقي المدينة
اولا ثم ذكر بعده احوال منافقي الاعراب ثم بين ان في الاعراب من هو مؤمن مخلص ثم
بين ان رؤساء المؤمنين من هم وهم السابقون من المهاجرين والانصار ثم بين
بقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ان جماعة ممن يسكن حول المدينة موصوفون
بالنفاق وان كنتم لا تعلمون انهم كذلك وهم مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار فانهم
كانوا نازلين حول المدينة **قوله** وممن حولكم خبر مقدم ومنافقون مبتدأ مؤخر ومن
يجوز ان يكون موصولة وان يكون موصوفة والظرف الذي هو حولكم صلة او صفة ومن في
قوله ومن الاعراب لبيان الجنس **قوله** عطف على ممن حولكم على انه خبر عن قوله منافقون

بانهم من قوم حولكم ومن اهل المدينة فالكلام على هذا من عطف المفرد حيث عطف خبر على خبر ويكون قوله مردوا
مستانفا لا محل له من الاعراب كانه قيل ما درجة نفاقهم فاجيب بانهم مردوا على النفاق وهو قوله
المص او كلام مبتدأ للبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق وقدم على هذا الاحتمال ان يكون مردوا
صفة لقوله منافقون وقد فصل بينه وبين صفته بقوله ومن اهل المدينة والتقدير وممن حولكم و
من اهل المدينة منافقون ماردون والحق ان الفصل بين الصفة وموصوفها بما هو معطوف
على الموصوف قبيح بمنزلة ان يقال في الدار زيد وفي السوق العاقل **قوله** او خبر لمحذوف مردوا
صفته اي ويجوز ان يكون قوله ومن اهل المدينة خبرا مقدما لمبتدأ محذوف بعده موصوف
بقوله مردوا حذف الموصوف واقيم صفته مقام الموصوف والتقدير ومن اهل المدينة قوم اخلقوا
مردوا كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة
تعرفوني اي انا ابن رجل جلا اي كشف الامور وطلاع ثنايا الجبال والعقبات وهو كناية عن
قصد عظائم الامور وعدم عجزه عن حل شيء من المعضلات متى اضع العمامة والبس آلة الحرب
تعرفون جرأتي وشجاعتي فعلى هذا يكون الكلام من عطف الجمل عطفت جملة قوله ومن اهل المدينة
قوم مردوا على جملة قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والمرود على الشيء التمرن عليه
والمهارة فيه باعتياده وقوله لا تعلمهم بيان لقوله مردوا على النفاق اي بلغوا من المهارة في
النفاق الى حيث خفي نفاقهم عليك مع كمال فطنتك وقوة فراستك **قوله** وتنوقهم عطف تفسير
لمهارتهم يقال تنوق في الامر وتانق فيه اذا كان ماهرا في عمله بحيث يستحسنه كل من رآه فسر العلم
بالمعرفة حيث قال لا تعرفهم لان جعله على اصل معناه يحوج الى تقدير المفعول الثاني والمقام يابى
عن تقديره ولا يصار الى التقدير الا عن ضرورة ولا يلزم منه ان يكون العلم في قوله نحن
نعلمهم بمعنى المعرفة ايضا لا يجوز اسناد المعرفة اليه تعالى عند بعض العلماء غاية ما في الباب
ان يقدر له مفعول ثان اي نحن نعلمهم منافقين **قوله** بالفضيحة والقتل وقيل بالحرب وعذاب
القبر وقيل باخذ الزكوة ونهك الابدان اي جعلها ضعيفة بالاسقام والاوجاع روي انه عليه
الصلوة والسلام قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك
منافق فاخرج ناسا من المسجد وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والعذاب الثاني عذاب القبر و
قال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وقيل عذبوا بالجوع مرتين وقيل عذبوا في الدنيا
بالذبيلة وعذاب القبر وقيل الاولى ما اصابهم في الاموال والاولاد والاخرى عذاب الآخرة وقيل
الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار و
الاخرى احراقهم بنار جهنم وقيل الاولى اخذ الزكوة من اموالهم والاخرى عذاب القبر **قوله تعالى**

قوله لما اعترفوا بذنوبهم الآية وفي تفسير الكواشي آخرون مبتدأ اعترفوا صفته وخلطوا خبره وفيه ان الظاهر ان المقصود بالآية الكريمة هو الاخبار بان من المتخلفين قوم اعترفوا بذنوبهم لا الاخبار بان القوم المعترفين بذنوبهم خلطوا اعترافهم بتخلفهم حتى يكون اعترافهم صلاحا مغفورا عنه وانما المقصود بالاشارة بيان ضم هذا الاعتراف الى التخلف شيء هو مقتضى ما ذكره ذكره الكواشي فالوجه ان آخرون مبتدأ بتقدير الصفة واعترفوا خبره والتقدير وآخرون من اهل المدينة اعترفوا بذنوبهم او المبتدأ هو الموصوف المقدر اي وقوم آخرون اي اعترفوا وخلطوا عملا صالحا خبر بعد الخبر وفي اعراب الآية احتمال آخر وهو ان يكون وآخرون معطوفا على الموصوف المقدر مرددا على المنافقين والتقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق وآخرون اعترفوا بذنوبهم فيكون اعترفوا صفة لآخرون وخلطوا صفة بعد الصفة فتأمل

سمان

وآخرون عطف على منافقون اي وممن حولكم آخرون او ومن اهل المدينة آخرون ويحتمل ان يكون مبتدأ واعترفوا صفته وخلطوا خبره قال الواحدي اي ومن اهل المدينة آخرون اعترفوا اي اقروا بذنوبهم عن معرفة والآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك كسلا لا نفاقا ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وربطوا انفسهم على سواري المسجد واقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلقهم ويرضى عنهم روي انهم كانوا ثلثة ابو لبابة ومروان بن عبد المنذر ووديعة بن حرام وروي انهم كانوا خمسة وقيل كانوا ثمانية وقيل كانوا سبعة وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بسواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين ولما قدم عليه الصلوة والسلام من السفر دخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته ذلك كلما قدم من سفره فرآهم موثوقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله واقسموا ان لا يطلقوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقهم فقال عليه الصلوة والسلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت هذه الآية فاطلقهم واعذرهم وعملهم الصالح هو توبتهم واعترافهم بذنبهم وربطهم انفسهم وعملهم السيء هو تخلفهم وقيل عملهم الصالح خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيء تخلفهم عن غزوة تبوك قوله والواو اما بمعنى الباء جواب عما يقال ان الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به وفي الآية قد عطف احد المخلوطين على الآخر ولم يجعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به اجاب عنه اولا بان الواو مستعار لمعنى الباء بناء على ان الواو للجمع والباء للالصاق والجمع والالصاق متشابهان فصح ان يستعمل ما وضع لاحدهما فيما وضع للآخر بطريق الاستعارة كما في قولك بعت الشاة شاة ودرهما اي شاة بدرهم وثانيا بان كل واحد منهما مخلوط به كما انه مخلوط فانك اذا قلت خلطت السمن والعسل فكأنك قلت خلطت كل واحد منهما بالآخر وذكر ان الخلط نسبة بين المخلوط والمخلوط به لا تتعقل ولا تتحقق بدونهما ولكن اذا اردت ان تعبر عن تعلقها بهما عبارتان احديهما ان تجعل فعل الخلط متعلقا بهما معا مثل ان تقول خلطتهما او خلطت اللوز بالجوز وثانيتهما ان تجعل متعلقا باحدهما بنفسه والى الآخر بواسطة الباء مثل ان تقول خلطت الفستق بالبندق والعبارة الاولى ابلغ في الدلالة على تحقق الخلط بينهما لدلالتها على كون كل واحد منهما مخلوطا ومخلوطا به بخلاف الثانية فانها انما تدل على كون احدهما مخلوطا والآخر مخلوطا به ولا شك ان ما يدل على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر ابلغ في الدلالة على كمال الاختلاط ولو سلم عدم ابلغية احديهما بالنسبة الى الاخرى فنعم المقصود ايضا وهو ان يوجد في الكلام ما تتعلق به نسبة الخلط وهو

اذا قلت خلطت الماء واللبن يكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به وفي المثال تنبيه على ان في عملا صالحا وآخر سيئا كليهما مخلوط ومخلوط به كأنك قلت خلطت السمن بالعسل والعسل بالسمن فافهم

و ١٣٩

وهو المخلوط قوله عسى الله ان يتوب عليهم قال المفسرون عسى من الله تعالى يدل على الوجوب لان كلامه تعالى ينزل على حسب ما يتعارفه الناس فانه كابر الناس وعظماء هم اذا التمس المحتاج منهم شيئا يجيبون بما يدل على الرجاء والطمع كلعل وعسى تنبيها على انه ليس لاحد ان يلزمهم شيئا وانهم لا يفعلون ما يفعلونه الا على سبيل التفضل والكرم فهذا المعنى هو وجه ذكر عسى ولعل في مثل هذا الموضع ثم انه تعالى لما قبل توبة هؤلاء الذين تخلفوا واعترفوا بذنبهم اوجب الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ منهم صدقاتهم التي بذلوها ليتكمل بها توبتهم وتكون جارية مجرى الكفارة لتخلفهم وليس المراد منها الصدقة الواجبة والا لما قال عليه الصلوة والسلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا وانما المقصود من بذلها واخذها استكمال توبتهم وكونها طهرة لذنوبهم ويدل عليه ايضا ما روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ منهم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثان والصدقة الواجبة لا يؤخذ هكذا وقيل هذا كلام مبتدأ نزل لايجاب اخذ الزكوات من الاغنياء عليه واليه ذهب اكثر الفقهاء قالوا اوجب الله تعالى ان يأخذ منهم بعضا من اموالهم ليكون القدر المأخوذ طهرة لهم وذلك القدر المأخوذ غير مذكور هنا صريحا وليس المقصود ايجاب اخذ القدر المبهم على الاجمال فوجب ان يكون ذلك القدر معلوما له عليه الصلوة والسلام بان اوحى ذلك القدر اليه وبين له كميته وصفته حتى يكون قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة امرا باخذ تلك الصدقة المعلومة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كميتها وكيفيتها في نوع الاجمال ويكون الآية امرا باخذ تلك المقادير المعلومة له والظاهر ان قوله تعالى تطهرهم خطاب له عليه الصلوة والسلام وان الجملة في محل النصب على انها حال من فاعل خذ وانما ذكر لان قوله وتزكيهم خطاب له عليه الصلوة والسلام ولا يجوز ان يكون صفة لصدقة لقوله بها فان ضمير بها يرجع الى الصدقة فلا يجوز ان يكون فاعل تزكيهم ضمير الصدقة ايضا والتزكية قيل انها مبالغة في التطهير وقيل التزكية بمعنى الانماء والبركة في المال حيث قال وتزكيهم بها اي باخذها حسناتهم قوله واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار يعني ان المراد بالصلوة عليهم ان يدعو لهم بالخير والبركة ويستغفر لهم يقال عطفت عليه اي اشفقت عليه وقيل سنة ان يقول في حق مؤدي زكوته اللهم صل على فلان او على آل فلان كما روي انه عليه الصلوة والسلام لما اخذ صدقة آل ابي اوفى قال اللهم صل على آل فلان اي ابي اوفى واصحابنا منعوا ذكر الصلوة الا في حقه عليه الصلوة والسلام والشيعة يذكرونه في حق علي بن ابي طالب واولاده رضي الله عنهم واحتجوا عليه بانه تعالى امر بان يدعو المصدق بهذا الذكر في معطي الصدقة فكيف يمنع ذكره في حق علي واولاده قوله سكن اليه انفسهم يعني ان قوله

وذهب اكثر الفقهاء الى ان المأمور بها في هذه الآية هو الصدقة المفروضة وبه قال الشافعي الى ان المراد بهذه الآية طلبوا ان يتصدقوا بجميع اموالهم وامر الله تعالى ان يأخذ منها القدر المفروض ويكون الآية كلاما منقطعا عما قبلها والضمير في منهم عبارة عن الناس مطلقا وقد يقال انه عبارة عن هؤلاء المذكورين وان الزكوة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم حسنوا اسلامهم وبذلوا الزكوة امر الله تعالى رسوله بان يأخذها منهم وقال الحسن ليس المراد الصدقة المفروضة بل انهم لما تابوا بذلوا اموالهم كفارة للذنب الذي صدر منهم امر الله رسوله باخذ بعضها وهو الثلث وهذا اصح الاقوال واختاره الشيخان

سمان

[illegible]

سكن فعل بمعنى مفعول كالقنص بمعنى المقنوص وهو في اللغة ما سكن اليه وتطمئن به وقيل هو الرحمة قوله وجهها فانه اختار قراءة صلواتك بلفظ الجمع وهي قراءة الجمهور غير حمزة والكسائي وحفص قوله الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم الخ فانه لما تاب عليهم بقوله عسى ان يتوب عليهم قرر ذلك واكده على طريق الاستفهام التقريري فقال الم يعلموا ان الله يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وان كان الضمير لغيرهم يكون المقصود من الكلام ترغيب العصاة في التوبة والطاعة فقد روي انه لما تيب على الذين اعترفوا بذنوبهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فنزلت الآية ترغيبا لهم في التوبة وعدي قبول التوبة بعن في قوله يقبل التوبة عن عباده لتضمنه معنى التجاوز فانه في قوة ان يقال يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم قوله يقبلها يعني ان قوله ويأخذ الصدقات استعارة تبعية لان الآخذ حقيقة هو الرسول الله عليه الصلوة والسلام لقوله خذ من اموالهم صدقة ثم عينه لاخذها كما قال عليه الصلوة والسلام لمعاذ رضي الله عنه خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم فانه يدل على ان آخذ تلك الصدقة هو معاذ يأخذها ليصرفها الى الفقراء فالآخذ بالمال هم الفقراء فتعين ان الاخذ الذي اسند اليه تعالى في قوله ويأخذ الصدقات ليس آخذا حقيقيا بل هو بمعنى القبول شبه قبول صدقة المتصدق واثابته بما هو خير منه باخذ من يأخذ شيئا ليؤدي بدله فاطلق اسم المشبه به على المشبه فذكر الاخذ واريد القبول على سبيل الاستعارة الاصلية ثم اشتق من الاخذ بمعنى القبول لفظ يأخذ فسرت الاستعارة التي في الماخذ فكانت استعارة تبعية ثم انه تعالى لما قبل توبة من تاب منهم امر بان يقال لهم اعملوا ما شئتم ولا تنتظروا الى قبول توبتكم واخلصوا نياتكم فذكروا العمل بل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فيجازيكم عليه وكذا سيراه رسوله والمؤمنون فيعاملونكم ويخالطونكم اعتمادا على صدق توبتكم وثباتكم عليها ولا يهاجرونكم كما يهاجرون الكفار والمنافقين قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم مرجون بواو ساكنة بعد الجيم المفتوحة بدون الهمزة والباقون وهم ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم مرجئون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة كقراءتهم في الاحزاب ترجئ بالهمز وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته والارجاء التاخير ومنه ارجه واخاه اي امهله اعلم انه تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد ثلثة اقسام اولهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم فبين الله تعالى انه قبل توبتهم والقسم الثالث هم الذين بقوا موقوفين وهم المذكورون في هذه الآية والفرق بين القسم الثاني وبين هذا الثالث ان اولئك سارعوا الى

سميت المرجئة بهذا الاسم لانهم يؤخرون العمل عن الايمان الذي هو الاعتقاد في الرتبة ويقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر الطاعة ومنهم من يقول الايمان هو المعرفة بالله والخضوع والحب بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضر معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصي والايعاد عليهما وابليس كان عارفا بالله تعالى واتى كفره باستكباره وترك الخضوع لا بمعصية بل لعوده الى والتكبر فكان من الكافرين وفي الخوخي النقطة المرجئة هم الذين لا يقطعون على اهل الكبائر بشيء من عفو او عقوبة بل يؤخرون الحكم في ذلك الى يوم القيمة قال الامام سميت المرجئة بهذا الاسم لانهم لا يجزمون على القول بمغفرة التائب ولكن يؤخرونها الى مشية الله تعالى وقال الاوزاعي يؤخرون العمل من الايمان

الى التوبة حتى شد ابو لبابة واصحابه انفسهم على سواري المسجد واظهروا الجزع والندامة على ما فعلوا بخلاف هذا القسم الثالث وهو كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية فانهم كانوا من اهل بدر وكانوا اياسير ومع ذلك تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ولم يبالغوا في الاعتذار كما فعل غيرهم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية قال كعب انا اغنى اهل المدينة جملا فمتى الحق العسكر فتاخرت ايام وايست بعدها من اللحوق بهم فندم على ما صنعه وكذلك صاحباه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لكعب اعتذر اليه من صنعك فقال لا والله حتى ينزل توبتي واما صاحباه فاعتذرا اليه عليه الصلوة والسلام فقال ما خلفكما عني فقالا لا عذر لنا الا الخطيئة فنزل قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله فوقفهم الرسول عليه الصلوة والسلام بعد نزول هذه الآية ونهى الناس عن مجالستهم وامرهم باعتزال نسائهم وارسالهن الى اهاليهن فجاءت امرأة هلال تسأل ان تأتيه بطعامه فانه شيخ كبير فاذن لها في ذلك خاصة وجاء رسول من الشام الى كعب يرغبه في اللحاق بهم فقال كعب بلغ من خطيئتي الى ان طمع في المشركون قال فضاقت على الارض بما رحبت وبكى هلال بن امية حتى خيف على بصره فجعل ناس يقولون هلكوا وآخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله اما يعذبهم واما يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد ما مضى خمسون يوما بقوله تعالى لقد تاب الله على النبي الى قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا الآية اخر الله امرهم مدة ثم بين توبتهم على اجمل الوجوه حيث قرن توبتهم بتوبته تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار قوله والترديد للعباد جواب عما يقال كلمة اما واو اما للشك والله تعالى منزه عنه فما وجه ايرادها ههنا وتقرير الجواب ان كلمة اما ههنا لشك العباد ومثل كلمة او في قوله تعالى او يزيدون وكلمة لعل في قوله يتذكر والمعنى ليكن امرهم عندكم بين الخوف والرجاء فجعل اناس يقولون هلكوا اذ لم ينزل الله تعالى لهم عذرا وآخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم قوله وقرأ نافع وابن عامر بغير واو لموافقة مصاحفهم فان مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو وفي مصاحف غيرهم الواو ثابتة من اسقط الواو يحتمل ان يجعل قوله تعالى الذين اتخذوا بدلا من قوله وآخرون مرجون او يجعله مبتدأ وخبره يحتمل ان يكون قوله افمن اسس بنيانه بحذف العائد تقديره بنيانه منهم ويحتمل ان يكون قوله لا يزال بنيانهم وفيه بعد لطول الفصل ويحتمل ان يكون قوله لا تقم فيه بحذف العائد اي في مسجدهم قوله مضارة للمؤمنين يعني ان قوله ضرارا منصوب على انه مفعول له لقوله اتخذوا وان متعلق المصدر محذوف اي اتخذوه لضرار المؤمنين ولعلل اخر وهي ثلثة امور الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وان يفرقوا به جماعة المؤمنين الذين يجتمعون في مسجد قبا وان يترقبوا و

الذين يرجون انه الاعم ... الذين خلفوا ... يجحدون ... الابدال ... على النعمة ... الاعرب

والمعنى انهم ليجتمعوا من حولكم

او لانها منصوبة على الحال ... عطفا على ... اي احضنة الناس ... قدرت ... فتعين

وهو مع هذه الجنابة كائنة له
ولذا صلى ... يقال له ابو حنظلة ويتنظروا ويجيء من حارب الله ورسوله من قبل بناء ذلك المسجد وهو ابو عامر الراهب وهو
استشهد يوم احد فغسلته رجل كان قد تنصر في الجاهلية وترهب ولبس المسوح وتعلم علم النصارى فلما بعث رسول
الملائكة
الله صلى الله عليه وسلم حسده وعاداه لانه زالت به رياسته وقال له عليه الصلوة والسلام
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله معه عليه الصلوة والسلام الى ان قاتل معه
يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا
ما استطعتم من قوة والسلاح ابنوا لي مسجدا فاني ساتي من قيصر بجنود واخرج محمدا واصحابه
من المدينة فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء ابي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد الارصاد الانتظار
مع العداوة قال الزجاج وقال الاكثرون الارصاد الاعداد يقال ارصدت له اذا اعددته له
وقنسرين بكسر القاف وتشديد النون التي تكسر وتفتح اسم بلدة في الشام واللام في قوله لمسجد
لام الابتداء وقيل انها لام جواب قسم محذوف اي والله لمسجد اسس اي بني اصله على التقوى
وعلى التقدير في قوله لمسجد مبتداء واسس صفته واحق خبره والقائم مقام الفاعل ضمير
المسجد على حذف المضاف اي اسس بنيانه اي وضع اساس بنائه واختلف في المسجد الذي
اسس على التقوى انه مسجد هو فذهب قوم الى انه مسجد قباء وهو الاوفق للقصة لان الموازنة
بين مسجد المدينة ومسجد الضرار الذي بني في قباء وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان عليه الصلوة
والسلام يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله يفعله وزاد نافع عن ابن
عمر عن رسول الله فيصلي فيه ركعتين وقال الاخرون هو مسجد المدينة واختاره سعيد بن
المسيب وذكر ان رجلين اختلفا فيه فقال احدهما هو مسجد قباء فسألا رسول الله عنه فقال
هو مسجدي هذا وقال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي والظاهر
ان قوله لمسجد اسس نكرة موصوفة فلا يجب حملها على واحد بعينه بل يتناول على سبيل
البدل كل مسجد اتصف بالوصف المذكور قوله ولتحلفن جواب قسم مقدر اي والله
ليحلفن وقوله ان اردنا جواب لقوله ليحلفن نزع جواب القسم المقدر فعل قسم مجاب بقوله ان
اردنا وان نافية ولذلك وقع بعد الا قوله ومن تعم الزمان والمكان يعني ان كلمة من الجارة
اذا كانت لابتداء الغاية تجر المكان كثيرا كقولك جئت من البصرة وقد تجر الزمان ايضا
عند الكوفيين كما في هذه الآية وفي البيت كقوله من الصبح حتى تطلع الشمس لا ترى من
القوم الا خارجيا مستوما وقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر القنة
بالضم اعلى الجبل اما النكتة ومنزلنا قواء اي لا انس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا
اي خلت وعند البصريين لا تدخل كلمة من على الزمان وانه يكون لابتداء الغاية في الزمان
اذ هي
انما

روي انه عليه الصلوة والسلام لما قدم المدينة قال الراهب
لك الناس له عليه الصلوة و
السلام ما هو الذي جئت
به قال عليه الصلوة والسلام
جئت بالحنيفية دين ابرهيم
قال ابو عامر فانا عليها
فقال لست عليها قال
ابو عامر لكنك ادخلت
في الحنيفية ما ليس منها فقال
عليه الصلوة والسلام ولكن
جئت بها نقية فقال ابو
عامر امات الله الكاذب
طريدا وحيدا فقال عليه
الصلوة والسلام آمين
وسماه ابا عامر الفاسق
فخرج الى الشام ومات
بها طريدا وحيدا

انما هو كلمة منذ تقول ما رأيته منذ شهر ومنذ سنة فكلمة من لا يجيء الزمان عندهم فلو وضع
دخلت فيه كلمة من على الزمان يقدرون فيه شيئا غير الزمان فيقدرون المضاف في الآية و
في كل واحد من البيتين فتقدير الآية اسس على التقوى من تأسيس اول يوم فدخلت على
مصدر الفعل الذي هو اسس وتقدير البيتين من طلوع الصبح ومن مر حجج ومن مر دهر
والبصريون انما يمنعون كون من لابتداء الغاية في الزمان ولا يقولون انها لا تكون الا لابتداء
الغاية في المكان حتى يرد ان يقال المضاف المقدر في هذه المواضع ليس بمكان حتى يكون من
فيه لابتداء الغاية في المكان قوله اولى بان تصلي فيه فان قيل كون احد المسجدين اولى بان
يصلى فيه لا يوجب المنع من الصلوة في المسجد الآخر فكيف يكون قوله لمسجد اسس على التقوى
احق ان تقوم فيه علة للنهي المذكور بقوله لا تقم فيه ابدا اجيب بان التعليل وقع بمجموع الامرين
احدهما كون المسجد الضرار بنيا للاغراض الاربعة الفاسدة المذكورة بقوله ضرارا و
كفرا وتفريقا وارصادا وثانيهما كون المسجد الآخر بنيا على اساس قوي هو اساس
التقوى من الله بامتثال اوامره والاجتناب عن نواهيه فان قيل لم قال انه احق ان تقوم
فيه مع ان المفاسد المذكورة تمنع جواز قيامه في الآخر والجواب ان الكلام مبني على التنزل
والمعنى لو فرضنا جواز القيام في المسجد الضرار لكان القيام في مسجد التقوى احق واولى
لكونه بنيا على قاعدة محكمة فكيف والقيام فيه باطل لكونه بنيا لاغراض فاسدة ويمكن ان
يقال احق هنا ليس للتفضيل بل هو بمعنى حقيق اذ لا مفاضلة بين المسجدين قوله يحبون ان
يتطهروا اي من المعاصي حمل التطهر على الطهارة عن الذنوب والمعاصي لان ما في هذا المسجد
من الرجال ذكروا في مقابلة اهل مسجد الضرار وانهم قد وصفوا بمضارة المسلمين والكفر
بالله وتفريق جماعة المسلمين وارصاد معاداة الذين فينبغي ان يوصف مقابلوهم باضداد
ما وصف به هؤلاء الاشقياء ولا يكون ذلك الا بكونهم متنزهين عن الكفر والمعاصي وحمله
على الطهارة عن الجنابة قيل ان يناموا وعلى الاستنجاء بالماء بعد استعمال الاحجار ليس فيه هذا
اللطف والبنيان مصدر كالغفران والمراد به ههنا المبني واطلاق لفظ المصدر على المفعول
مجاز مشهور يقال ضرب الامير ونسج فلان اي مضروبه ومنسوجه والمعنى المؤسس بنيانه متقيا
مخافة الله ويرجو ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير متق والتأسيس احكام
اس البناء وهو اصله وشفا الشيء طرفه وشفيره والجرف الارض التي جرفت السيول
اصلها اي حفرته واكلته والجرف الاخذ الكثير يقال جرفت الشيء اجرفه بالضم جرفا اي ذهبت
به كله او جله وهار منقلب هائر يقال هار الجرف يهور اذا انشق من خلفه وهو ثابت بعد مكانه

قال يزيد بن شجرة رحمه الله
انت امرأة النبي صلى الله
عليه وسلم في صورة جارية
سوداء فقال لها النبي
صلى الله عليه وسلم من
انت قالت انا ام ملدم
انشف الدم واكل
اللحم واصفر الوجه
وادق العظم فقال
مري فاقصدي الانصار
فان لهم عليك حقوقا
فحم الانصار فلما كان
من الغد قال يا للانصار
فبرحموا عن آخرهم
فقال قوموا فعودوهم
فعادوهم فجعل يقول
ابشروا فانها كفارة
وطهور فقالوا يا رسول
الله ادع الله ان يرفعها
علينا حتى تكون كفارة
لذنوبنا وطهورا فانزل
الله فيهم عليهم فيه رجال
يحبون ان يتطهروا
بالحمى عن معاصيهم و
الله يحب المتطهرين من
الذنوب
... ابيان

لتوهما ثم نقلت لامه الى مكان العين كما فعل في اصله شائك فصار هار في فاعل كقاض

قوله بنيان دينه جاز ان يحمل البنيان على بنيان المسجد ويكون المعنى اي الفريقين خير اصحبه
بالمصاحبة والصلوة معهم من اسس بناء مسجده مريدا به تقوى الله وطاعته وهم اهل مسجد
قبا او مسجد المدينة ام من اسس بنيان مسجده على النفاق والكفر وتفريق المؤمنين
وارصادا لما في شانه كيد المسلمين وتوهين امر الدين والهمزة للاستفهام في قوله افمن للانكار
المساواة والمشابهة بين المؤسسين ولم يلتفت المص الى هذا التوجيه واختار ان يكون
المراد بالبنيان بنيان الدين لكونه انسب بسياق الاية ونظمها وذكره لانه علل النهي
المذكور اولا بقوله لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه واشار به الى ان
مسجد الضرار مؤسس من اول يوم من ايام وجوده على ما يضاد التقوى ويباينه وثانيا
بان اهل مسجد التقوى يحبون التطهر من المعاصي والاخلاق الذميمة واشار به الى ان اهل
مسجد الضرار متلوثون بلوث المعاصي والاخلاق الذميمة ولما لم يكن احد المسجدين كالآخر
ولا اهل احدهما كاهل الآخر ثبت انه لا وجه لقيامه عليه الصلوة والسلام في مسجد الضرار
وبهذا انتفت علة النهي ظاهرا الا انه مع ما ذكر ان اصحاب مسجد التقوى يحبون التطهر و
الاتقاء عما يشين امر الدين واشار به الى ان اصحاب المسجد الآخر لا يرغبون في التطهر
عنه بل يلوثون امر دينهم بما يهدمه ويباينه بقي ان يبين ان بين الفريقين بونا بعيدا فقال
افمن اسس بنيانه اي بنيان دينه على تقوى الله وطلب مرضاته بالاشتغال بطاعته
خير ام من اسسه على اتباع الشهوات النفسانية والاهوية الباطلة فاداه ذلك الاتباع
الى السقوط في نار جهنم ولا اشكال ان من اسس دينه على التقوى خير فثبت ان اصحاب التقوى
خير حالا ومآلا ولا خير في اصحاب مسجد الضرار اصلا فلا وجه لان يقوم عليه الصلوة والسلام
معهم في مسجدهم اصلا وبهذا الكلام يتم التعليل الثاني حقيقة ويرتبط بعض الكلام ببعضه
ارتباطا حسنا مقبولا بخلاف ما اذا حمل البنيان على بنيان المسجد قوله فانهار به فاعل
انهار اما ضمير البنيان وضمير به على هذا المؤسس الثاني اي تساقط بنيان دينه وتناثر بسبب
صاحبه فسقطا معا في نار جهنم والباء في به يجوز ان يكون معدية وان يكون للمصاحبة
واما ضمير الشفا واما ضمير الجرف وضمير به للبنيان او للباني المؤسس اي فتساقط الشفا
او تساقط الجرف به اي بالبنيان او بصاحبه في النار وقوله فادى به يشعر ان يكون فاعل
انهار ضمير الشفا او الجرف لان ضمير جنده لاحدهما اي ادى التغير وتناسب البنيان عليه الى
السقوط في النار وهو بيان لحاصل المعنى لا تعيين لمرجع الضمير والحذف يتخير الضمير جعله
تخييلا

قوله تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم من الباطل المنافي للتقوى كالنفاق والاضرار بالمؤمنين
وتوهين امر الدين يعني ان الظاهر بيان في مقابلة قوله افمن اسس بنيانه على التقوى من الله
وطلب مرضاته بملازمة طاعته في جميع تكاليفه ان يقال ام من اسس بنيانه على الباطل
الذي هو معصية الله فيما امر به ونهى عنه ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالاضرار بالمؤمنين
واضمار الكفر والنفاق وتفريق جماعة المؤمنين وموالاة اعداء الدين الا انه سلك
سبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه من اسس بنيان دينه على الباطل المذكور بمن اسس
بنيان بيته على شفا جرف هار مشارف الى ان يتساقط بما بني عليه فيؤول امره الى الهلاك كما شبه
من اسس بنيان دينه على الحق الذي هو التقوى وطلب الرضوان بمن احسن بناء بيته على قاعدة
قوية محكمة تثبت ويدوم ما عليه ابدا فعبر عن الهيئة المشبهة بها على سبيل الاستعارة
التمثيلية ثم رشح الاستعارة المذكورة بان اثبت للهيئة المشبهة ما يلائم الهيئة المشبه
بها وهو الانهيار والانهدام ووضع الترشيح المذكور في مقابلة الرضوان من حيث ان كل واحد
منهما كان متفرعا على تاسيس البنيان على ما بني عليه فان الرضوان متفرع على تاسيس الدين
على التقوى والانهيار متفرع على تاسيسه على امر ضعيف مشرف على البطلان والانطماس
او وضع الانهيار موضع التقوى المؤدي الى الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك المؤسس دينه
انما هو على امر يحفظه عن الوقوع في النار ويوصله الى رضوان الله وعلى ان تاسيس المؤسس
الثاني دينه على شيء هو بسببه على صدد الوقوع في النار فلا جرم يكون مصيره الى النار
قوله وهو ما جرفه الوادي الهائر اسند الجرف وهو القلع والهدم الى الوادي مجازا على طريق
اسناد الحكم الى السبب والمعنى ان شفا الجرف وهو الطرف الاعلى من الوادي الذي تجرفه اي
الحفر وذهب اصله فصار هائرا وهاويا انهدم طرفه الاعلى وسقط بسبب ذهاب اصله قوله
وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول فيكون بنيانه مرفوعا لقيامه مقام الفاعل
وقرأ الباقون اسس على البناء للفاعل ونصب بنيانه على انه مفعول به لاسس وفاعله
مستتر فيه راجع الى من قوله وقرئ اساس بفتح الهمزة واس بضم الهمزة وتشديد السين
وهما مفردان اضيفا الى البنيان ومعناهما اصل البناء قوله واسس بضمتين واساس
بالمد واساس بالكسر وثلثتها جمع فيه بحث لان الاسس بضمتين جمع اساس مثل قذال وجمع
قذل والآساس بالمد جمع اسس مقصور اساس كاسباب جمع سبب وجمع الاس بالضم
انما هو الاساس بكسر الهمزة كعساس جمع عس الا ان الاسس والآساس والاساس
لما كانت لغات بمعنى واحد جعلت بمنزلة لفظ واحد وجعلت جمع اس قوله وتقوى بالتنوين

اي وقرئ على تنوين منونا ولما ورد عليه ان الف تترى للتانيث فلا يكون غير منصرف كحبلى،،
فكيف يصح ان يدخل عليه التنوين اجاب عنه بان الفه ليست للتانيث بل هي للالحاق كالف
ارطى فلذلك جاز ان يدخل عليه التنوين كما جاز دخوله على تترى فان من نونها جعل الفها للالحاق
بجعفر اصلا وتترى من الوتر وهو الفرد قال ثم ارسلنا تترى اي واحدا بعد واحد وجرف
بالتخفيف اي بسكون الراء لغة في جرف بضم الراء كشغل وشغل وعنق وعنق قوله الى ما
فيه صلاح ونجاة فلا يهدي من ظلم بان اسس بنيان دينه على الباطل الذي لا اصل
له الى الصلاح بل يرديه ويسقطه في النار قوله وليس بجمع كالحملان جمع حمل والفعلان
جمع فصيل بل هو اسم جنس يطلق على الواحد وما فوقه فانه اطلق على الجنس باعتبار جواز
تدخل التاء فيقال بنيانة كتمر وتمرة ويوصف بالمفرد كما في قوله بنيان مرصوص فلذلك
فسر المص بقوله بناؤهم الذي بنوه جعل بنيانهم نفس الريبة للمبالغة في كونها سببا
لشكهم في الدين ونفاقهم وقد كان شكهم في حال بنائهم على ان بنوا هذا البناء كما قال اتخذوه،،
ضرارا وكفرا الخ ثم كان ما بنوه سببا لتزايد شكهم ونفاقهم حيث حملهم ذلك البناء على تحقيق،،
مقتضيات النفاق والتدابير الناشئة عنه ثم هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم غاظهم ذلك
وعظم عليهم هدمه فازدادوا تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فصار ذلك البناء كانه عين
الشك والنفاق والمستثنى منه في قوله الا ان تقطع قلوبهم محذوف هو اعم الازمنة او اعم الاحوال
اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت الا وقت تقطيع قلوبهم او في كل حال الا حال تقطيعها قطعا
بحيث لا يمكن ان يبقى فيها قابلية لان يستقر فيها الريبة وما دامت سالمة لا يمكن ان تزول
عنها الريبة والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم ابدا او يموتون على النفاق وقيل معناه الا ان
يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم قراءة ابن عامر وحمزة وحفص تقطع
بفتح التاء والاصل تتقطع بتائين فحذفت احديهما وعن ابن كثير تقطع بفتح التاء وسكون
القاف ونصب قلوبهم على المفعولية والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع وتشق انت
قلوبهم بقتلهم وقرا الباقون تقطع بضم التاء على بناء المفعول وهو مضارع قطع بالتشديد و
قرئ يقطع بالياء لكون تانيث القلوب غير حقيقي وقرا يعقوب الى ان بالى الجارة قوله تمثيل
لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم اذ لا يمكن ان يحمل الكلام على حقيقته لانه لا يجوز ان
يشتري الله شيئا على الحقيقة لانه مالك الكل كما ان انفسنا مخلوقة له وكذا اموالنا رزقه،،
فاخرج الكلام على صورة الاستعارة التمثيلية تلطفا في الدعاء الى الطاعة البدنية والمالية
اشترى الله من المؤمن الذي هو عبارة عن الجوهر الاصلي المكلف الباقي بعد خراب البدن
نفسه

اوسبب ريبة في امرهم حيث ضعف قلوبهم وزهق اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امر بيتهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وسارت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تقاعس ذلك الضعف فتزايد رعبا وارتابوا في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ينزلهم على ما كانوا اعليه من قبل او يامر بقتلهم ونهب اموالهم
اكد

والمعنى ان الله تعالى وعدهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
روحي

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد وبيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه والقذر بولغ في
ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة
بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة
في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذكر لهم في المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعد الله تعالى فان تمام الاستعارة موقوف على ذكر اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صحيحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة لاستحالة وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك بمعزل عن ان العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها
ابو

نفسه اي بدنه الذي هو مركبه وآلته في اكتساب الكمالات وماله الذي هو وسيلة الى رعاية مصلحة
هذا المركب فهو تعالى بمنزلة المشتري والمؤمن بمنزلة البائع وبدنه وامواله بمنزلة المبيع والجنة
بمنزلة الثمن روي ان الانصار لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون
نفسا قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط
لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترطت لنفسي ان تمنعوني ما تمنعون منه انفسكم
واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قوله بان لهم الجنة متعلق باشترى
وقد دخلت الباء هنا على المتروك على ما هو الاصل في باب المقابلة والعوض قوله استئناف،،
لبيان ما لاجله الشرى اي لبيان الصورة المشبهة بالشرى فان المقاتل في سبيل الله سواء
قتل او قتل لا شك انه يبذل ماله في تلك السبيل ثم ان اتفق ان يكون مقتولا فهو يبذل مع ذلك
بدنه ايضا وانه تعالى ياخذ منه ماله وبدنه ويعطي بدله الجنة فالمراد بالشرى الذي اخبر الله تعالى
بقوله اشترى من المؤمنين هذه الصورة المخصوصة المعينة فلما كان المطلوب من المفهوم
الكلي الاجمالي صورة مخصوصة معينة من بين الصور المتصورة على وجوه شتى صح للسائل
ان يقول حين سمع قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ما الصورة
المطلوبة بهذا الشرى فكيف يبذل المؤمن في سبيل الله نفسه وماله حتى يقبلها الله تعالى ويعطي
بدلها الجنة لاجله فاجيب بان يقال يقاتلون في سبيل الله فيبذلون انفسهم واموالهم فياخذها
الله منهم ويعوض لهم منها الجنة فعلى هذا الوجه لا يكون يقاتلون في معنى الامر وقيل انه امر في
صورة الخبر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم قوله وقرا حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول اي بتقديم كونهم مقتولين على كونهم قاتلين للاشعار بان طائفة،،
كثيرة من المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بل يبقون
بعد ذلك مقاتلين مع الكفار قاتلين لهم حسبما امكن لهم كما قال تعالى فما وهنوا لما اصابهم في سبيل
الله اي ما وهن من بقي وقرا الباقون بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول للدلالة على انهم
يقتلون ولا يرجعون عنهم الى ان يصيروا مقتولين ولا محذور في تقديم المبني للمفعول لان الواو لا يوجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل قوله مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى يعني لا حاجة
الى ان يقدر فعل من لفظ المصدر لان مضمون الجملة السابقة يصلح ان يكون ناصبا للمصدر لكونها
في معنى وعد الله لهم الجنة في مقابلة ما بذلوه من انفسهم واموالهم وقوله حقا نعت للمصدر وعليه
حال من حقا لانه لو تاخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا قوله مذكورا فيهما

يعني ان قوله في التورية متعلق بمحذوف هو صفة قوله وعدا اي وعدا مذكورا فيهما فيكون المعنى ان الوعد بالجنة للمقاتلين في سبيل الله من هذه الامة مذكور في كتب المنزلة **قوله** مبالغة في الانجاز لان قوله ومن اوفى بعهده استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله تعالى واوفى افعل التفضيل وقوله من الله صلته وهذه الاية مشتملة على انواع من التاكيدات فاولها كون المشتري هو الله تعالى المقدس عن الكذب والجملة اول دليل تاكيد هذا الوعد وثانيها انه عبر عن المقصود الذي هو الوعد بالجنة بالبيع والشراء وذلك حق مؤكد وثالثها كلمة على التي تفيد الوجوب ورابعها انه تعالى حقق الوعد واكده بقوله حقا وخامسها انه تعالى استشهد على حقيقة الوعد المذكور بكونه مذكورا في جميع الكتب الالهية وسادسها قوله ومن اوفى الى غير ذلك **قوله** والمراد بهم المؤمنون المذكورون بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وعد لهم الجنة اولا ثم بين بهذه الآية ان اولئك المؤمنون الموصوفون بهذه الصفات التسع فيكون الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات **قوله** ويجوز ان يكون مبتدا اي ويجوز ان يكون قوله التائبون مرفوعا على الابتداء وخبره محذوف والمعنى التائبون الى اخر الآية لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين ترك الجهاد فيكون الوعد بالجنة متعلق بالمجاهدين وبالذين اتصفوا بهذه الاوصاف وان لم يجاهدوا وعلى الوجه الاول يكون الوعد مخصوصا بالمجاهدين الموصوفين بما ذكر من الاوصاف ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين وكلا وعد الله الحسنى اي كلا من المجاهدين والقاعدين وعده الله الحسنى اي الجنة روي عن ابن عباس ان المراد بالتائبين التائبون عن الشرك وعن الحسن عن الشرك والنفاق وعن الاصوليين التائبون عن كل معصية وهذا اولى لان التائبون لكونه في تقدير الذين تابوا من الفاظ العموم فيتناول كل تائب فتخصيصه بالتائب عن بعض المعصية تحكم محض واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد يراد بها الرجوع عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى يراد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة والرحمة والعابدون هم الذين اتوا بالعبادة وهي فعل يشعر بتعظيم الله تعالى والتذلل والسائحون عند عامة المفسرين الصائمون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان كل ما ذكر في القران من السياحة فهو الصيام روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سياحة امتي الصيام وانما سمي الصائم سائحا لانه يمتنع عن الشهوات كالسائح في الارض فانه يقنع بما تيسر مما يوصله الى مقصده ولا يتوسع في استيفاء ما يميل اليه طبعه ولان الصائم لما كف نفسه عن الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه ابواب الشهوات انفتحت عليه ابواب المعارف ومال نفسه الى عالم المعقولات وانتقل من مقام الى مقام

من

ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين ومسلك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل

فقد يجي هذا الكلام فاعلم لكون كلمة الله هي العليا وان لم يوجد فيه هذه الصفات لان الشهادة ماحية للذنب ومنه قيل السيف محاء للذنب ويروى ان الله تعالى يحمل عن الشهيد مظالم الناس ويجازيهم عنه سنان

هذا الوجه الذي ذكره حسن قال الزجاج وهو وجه حسن من حيث اشتماله على غير المجاهدين ايضا

من درجات العرفان وهذا الانتقال هو السياحة في عالم الروحانيات فلذلك شبه الصائم بالسائح في الارض وقال عطاء المراد بالسائحين الغزاة في سبيل الله يقطعون المراحل الى ان يصلوا الى ديار الكفرة فيجاهدوهم وقال عكرمة هم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم عبر عن المصلين بالراكعين الساجدين لكون جهة العبادة اظهر في الركوع والسجود بالنسبة الى باقي اركان الصلوة فان هيئة القيام والقعود قد يؤتى بهما على وفق العادة بخلاف الركوع والسجود فانهما ليسا من الهيئات الطبيعية الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما الا على سبيل العبادة فكان لهما مزيد اختصاص بالصلوة فلذلك كني بهما عنها **قوله** للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وجه التنبيه ان العاطف يقتضي التغاير بين طرفيه وان المقصود من ذكر هذه الاوصاف بيان ان الموعود لهم بالجنة او التائبين عن الكفر حقيقة هم الجامعون لهذه الاوصاف مع قطع النظر عن جهة تغايرها فلذلك لم يتخلل بينها عاطف الا بين الامرون والناهون وبين قوله والحافظون لحدود الله وما قبله تخلل الواو الجامعة للدلالة على انهما جميعا في حكم فضيلة واحدة لا يعتبر احدهما بدون الاخر وتخللت بين قوله والحافظون وبين ما قبله للدلالة على ان بينهما تغايرا من حيث ان ما قبله فضائل مفصلة هي التوبة والعبادة والاشتغال بحمد الله والسياحة وغيرها وان المحافظة على حدود ما كلف به من الشرائع فضيلة مجملة تتناول غير ما ذكر من اصناف الفضائل وافرادها التي تعسر ضبطها وتفصيلها فلما كان بينهما تغاير من هذا الوجه عطف على ما قبلها للاشارة اليه **قوله** قد تم بالسابع وهو قوله الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر بناء على انهما في حكم خصلة واحدة لما دل عليه تخلل الواو الجامعة بينهما والا فالمذكور قبل قوله والحافظون ثمانية اوصاف وهو ثامنها وقيل انما دخلت الواو فيه لانها واو الثمانية كما في قوله تعالى وثامنهم كلبهم فان العرب اذا ذكروا اسماء العدد على سبيل التعداد يقولون واحد اثنان اربعة خمسة ستة سبعة ثم يدخلون الواو على ثمانية ويقولون وثمانية الى تسعة عشر للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام وان الثامن من ابتداء تعداد اخر قال القرطبي هي لغة فصيحة لبعض العرب وقيل انها لغة قريش وقيل هذا قول ضعيف لا اصل له **قوله** روي انه عليه الصلوة والسلام قال لابي طالب قيل كيف يصح ان يقال سبب نزول هذه الاية قوله عليه الصلوة والسلام لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه مع ان هذه السورة من اخر القرآن نزولا وقد مات ابو طالب بمكة في اول الاسلام واجيب عنه بانه لا بعد في ذلك لجواز ان يقال انه عليه الصلوة والسلام بقي يستغفر لابي طالب من ذلك الوقت الى وقت نزول هذه الاية اذ لا بعد في ان يكون المؤمنون يستغفرون لابائهم واقاربهم الذين ماتوا على الكفر وان يكون عليه الصلوة والسلام يفعل ذلك ثم انه تعالى نهاهم عن ذلك بانزال نزول هذه السورة **قوله** خرج الى الابواء هو بفتح الهمزة و

اي الواو في قوله تعالى والناهون عن المنكر يعني ان المعطوف والمعطوف عليه ههنا واحد وذاتا والواو يدل على المغايرة فالمعنى ان الواو بينهما وحاصل الواو الواو لجمع المعطوفين في حكم وافاد ان المغايرة الوصفين والمستفادة من الواو راجعة الى المغايرة في الصفات لا في الذات

ابن محمد

وسكون الباء منزل بين مكة والمدينة توفيت آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلوة والسلام
ولد بعد وفات ابيه عبد الله وكان مع آمنة فلما بلغ عليه الصلوة والسلام ست سنين خرجت آمنة
الى اخواله بالمدينة تزورهم ثم رجعت به الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت هناك قوله مستعبرا اي باكيا
من العبرة وهي الدمع قوله وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم وجه الدلالة ان امتناع الاستغفار
انما هو بعد تبين كونهم من اصحاب الجحيم وذلك انما يتبين بموتهم على الكفر فانه تعالى لما اخبر انه لا يغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ودل انه حل من مات على الكفر فماواه جهنم خالدا فيها ابدا كان طلب الغفران في حق من
مات على الكفر بمنزلة طلب ان يخلف الله تعالى وعده ووعيده ولا يجوز عليه مؤمن فضلا عن النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يجز لاحد ان يستغفر لمشرك تبين كونه من اصحاب الجحيم بموته على الكفر لما فيه من
تجويز تبدل حكم الله تعالى وقضائه وكان استغفار ابرهيم لابيه قبل ان يتبين له انه من اصحاب الجحيم لقوله تعالى فلما
تبين له انه عدو لله تبرأ منه اي قطع الاستغفار في حقه فلم يكن استغفار ابرهيم لابيه منافيا لقوله
تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى لانه انما استغفر لابيه
حال حيوته بان يوفقه الله تعالى للايمان بناء على انه عليه الصلوة والسلام وعد اباه بذلك ولم يستغفر له بعد
ان مات على الكفر قوله وعدها ابراهيم اباه على ان الضمير المرفوع في وعدها راجع الى ابراهيم وضمير اباه
الى ابيه حيث قال سلام عليك سأستغفر لك ربي فوفى بذلك الوعد وسال الله تعالى ان يغفر له بان
يهديه للاسلام ويجعله اهلا للمغفرة بسبب اسلامه فيغفر له ويؤيد هذا الاحتمال انه قرئ وعدها اباه
بالباء الموحدة قوله او وعدها ابرهيم ابوه على ان يكون الضمير المرفوع لابيه والضمير المنصوب لنفس
ابرهيم والمعنى ان اباه كان وعد ابرهيم بان يؤمن وفيه كذا فسال ابرهيم ان يغفر له بعد ما اسلم
واستحق لان يغفر له لا ان يغفر له حال كفره فلما تبين له بالوحي انه لا يؤمن او تبين له باستمراره
على الكفر الى ان يموت وموته عليه انه عدو لله تبرأ منه قوله بكسر التاء وهو ان يقول الرجل
عند الضجر والتوجع آه من كذا او يقول اوّاه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت
بالشكاية وفي الحديث الاواه الخاشع المتضرع وقيل انه عليه الصلوة والسلام كلما ذكر لنفسه تقصيرا
او ذكر له شيء من شدائد الاخرة كان يتأوه اشفاقا واستعظاما له فلذلك وصف بانه اواه والملائم
ما ذكره المص من انه كناية من فرط ترحمه لانه ذكر في معرض التعليل لاستغفاره لابيه المشرك والشكاسة
صعوبة الخلق يقال رجل شكس بسكون الكاف اي صعب الخلق وغلظ القلب والمعنى انه مترحم
متعطف ولفرط ترأفه كان يتعطف لابيه الكافر وصبر على الاذى ولذلك كان يحلم على ابيه ويتحمل على
اذاه ويستغفر له مع شكاسة خلقه وقوله لارجمنك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استغفر
لعمه وهو مشرك ولذا استغفر ابرهيم عليه الصلوة والسلام لابيه المشرك ثم نهي عن الاستغفار
للكافر

مطلب استغفار الانبياء لابويه

اصله أوه بسكون الواو وكسره الهاء فقلبوا الواو الفا فقالوا آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا أوّه وربما حذفوا الهاء فقالوا أوّ وبعضهم يفتح الواو مع التشديد فيقول أوّه وبعضهم يقول آوّه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية منه

مولد ازمان احد الاول معام الحسبان لصحة الامر بالتوبة يجب ودفع الاستبعاد ذكر لانه عليه الصلوة والسلام لم يصدر عنه
ذنب كما بينه عنه الوجه الثاني وانه يجوز ان يوجد انسان لم يقترف ذنبا لا كبيرة ولا صغيرة ولا بعد فيه فانه يجوز ان يبلغ حتى

ثم يعيش الا زمانا يسيرا ولا يصدر عنه في ذلك الزمان ما يسمى ذنبا فبين ذلك وازال الاستبعاد منه

للكافر نزلت هذه الاية لبيان عذر من استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع عنه وقيل انها نزلت
في بيان عذر قوم استمروا على العمل بالحكم المنسوخ غير عالمين بنسخه كمن استمر على ان يصلي الى بيت المقدس
بعد ان حولت القبلة الى الكعبة واستمر على شرب الخمر بعد نزول آية تحريمها بناء على عدم علمه بكل واحد
من تحويل القبلة الى الكعبة وتحريم الخمر والمعنى انه تعالى لا يحكم بضلال قوم عن الحق بان عملوا ما لم ينه عنه
او بان عملوا ما حرم عليه قبل ان يعلم تحريمه الا ان قوله تعالى حتى يبين لهم ما يتقون يأبى عن حمل الآية على ما
قيل فالوجه ان يقال انها نزلت في بيان عذر من فعل شيئا قبل نزول آية تحريمه والاضلال الاهلاك بمعنى اضل
الماء في اللبن قوله من اذن المنافقين في التخلف يعني ان توبة الله تعالى على النبي ومن معه معناها انه تجاوز
واعرض عن ذنبهم الذي فرط منهم من قبيل ترك الاولى وهو اذنهم للمنافقين في التخلف عنه عليه
الصلوة والسلام وهذا الاذن وان صدر عنه وحده الا انه اسند الى الكل لا نزاع عن قرب من ان
فعل البعض يسند الى الكل لوقوعه فيما بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا قوله او تبرأتهم عن علقة
الذنوب اي عصمهم عن التعلق بالذنب ابدا بتركه اتباعهم اياه عليه الصلوة والسلام في ساعة العسرة
وصبرهم على ما اصابهم من الشدائد فيها فانه اصابهم في غزوة تبوك من الشدائد ما لا يعلم تفصيلها
الا الله تعالى قوله وقيل هو بعث على التوبة اي قيل ليس المقصود من الاية بيان انه تعالى تجاوز عنهم ما
فرط منهم ولا انه برأهم عن علقة الذنوب بل المقصود تحريض المؤمنين على التوبة ببيان انها
صفة الانبياء والصالحين من عباده قال الامام الانسان طول عمره لا ينفك عن زلات اما من
باب الصغائر او من باب ترك الاولى ثم انه عليه الصلوة والسلام ومن معه من المؤمنين لما تحملوا مشاق
هذا السفر وصبروا على شدائده اخبر الله تعالى ان تحمل تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع ما صدر عنهم
من الزلات وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص فلذلك قال تعالى لقد تاب الله على النبي الآية
عن ابن عباس رض قال لما نزلت هذه الآية السورة ونزل بعدها بيان مقالات المنافقين على التفصيل
ظنت انه لا يبقى احد منا الا نزل فيه قران وسميت السورة الفاضحة الى ان نزلت هذه الآية
فلما نزلت هذه الآية سميت السورة بسورة التوبة قوله حتى شربوا الفظ وهو ماء الكرش
عن عمر رضي الله عنه قال خرجنا في قيظ شديد واصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ان الله تعالى عودك في الدعاء خيرا
فادع الله لنا قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السماء ثم سكبت سحابة فملأوا ما معهم ثم ذهبنا
ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وفيها كانت قصة دعائه بتمر قليل وجعله في قصعة ودعائه بالبركة
حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلثين الفا ازوادهم والتمر بحاله وفيها كانت قصة وضعه كفيه في
ماء قليل وانفجار الماء من اصابعه الشريفة حتى شربوا واستقوا دوابهم وملؤا اوعيتهم قوله

كما في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فان المغفور له فيه ليس ذنبا صدر عنه بل مطلقا ما يعد ذنبا في حق سواء فرط منه قبل البعثة او بعدها فانه تعالى لما استقصى في شرح احوال غزوة تبوك وبين احوال المتخلفين عنها واطال القول في ذلك ذكر في هذه الاية حكما آخر من احكامها وهو انه تعالى تاب وتجاوز وصفح عما فرط وصدر عنه عليه الصلوة والسلام وعن المؤمنين مما يعد ذلة في حقهم اي تاب عليهم كان ما اصابهم من الشدائد منه

يتعذر فيه التجاوز والتخلف عنه منه

الزمن الرحيل اي لازم الكرش منه

وفي كاد ضمير الشأن او ضمير القوم الذي دل عليه ذكر المهاجرين والانصار وقلوب مرفوع على انه فاعل يزيغ والجملة في محل النصب على انه خبر كاد اذا كان جملة لا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى اسمها الا اذا كان اسمها ضمير الشأن فانه لا يجب ان يكون فيها ضمير يعود الى اسمها وفي الاية ان جعل اسم كاد ضمير القوم يكون خبرها مشتملا على ضمير القوم وهو ضمير منهم وان جعل اسمها ضمير الشأن فلا يكون خبرها مشتملا على ما يعود الى اسمها ولا ضمير في قول المص والعائد عليه ان على اسم كاد على ان يكون ضمير القوم فان منهم لا يصلح ان يرجع الى الشأن والزيغ الميل ويحتمل ان يكون المراد بهذا الزيغ الزيغ عن الثبات على الايمان بان يخطر ببالهم ذلك على طريق حديث النفس من غير ان يعزموا على ذلك ويحتمل ان يراد به الزيغ عن الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يهموا ان ينصرفوا في غير وقت الانصراف من غير ان يؤذن لهم في ذلك للشدائد التي اصابتهم في تلك الغزوة لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما طرأ على قلوبهم فتاب الله عليهم والساعة يستعمل في اللغة بمعنى الزمان مطلقا كالغداة والعشية واليوم قال الشاعر ۞ غداة طفت علماء بكر بن وائل ۞ اي زمان طغيان وائل على الماء وقال ۞ وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ۞ عشية ما رعنا جذام وحميرا ۞ وقال اذا جاء وارتني يوما بني الغني فالمراد بساعة العسرة الزمان الذي وقع فيه غزوة تبوك فانه قد اصابهم فيها مشقة عظيمة من شدة الحر وشدة الجوع والعطش من قلة الزاد والماء والمركب فلذلك سميت غزوة العسرة وسمي من جاهد فيها الجيش العسرة **قوله** تكرير للتأكيد فان تكرير الحكم يدل على تحقيقه وتقرره مثلا اذا قيل عفا السلطان عن فلان ثم عفا عنه يفهم منه ان ذلك العفو محقق بالغ الى غاية القوة والكمال وهذه التوبة المحققة المؤكدة لما علقت باتباعهم اياه عليه الصلوة والسلام في ساعة العسرة ومكابدتهم ما وقع فيها من الشدائد كان التكرير تنبيها على علية المكابدة لتأكيد التوبة وتحققها **قوله** او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم اي ويحتمل ان لا يكون المراد بقوله ثم تاب عليهم التنبيه على علية المكابدة بل يكون المراد التنبيه على علية الكيدودة لتأكد التوبة نظرا الى ان تلك التوبة المؤكدة علقت بكيدودة قلوب فريق منهم تزيغ عن الحق بناء على ان ضمير عليهم في قوله ثم تاب عليهم للفريق الذين كاد تزيغ قلوبهم فيكون التوبة المذكورة معلقة بكيدودة قلوبهم الى ان تزيغ فيدل على علية الكيدودة لا كانه قيل ثم تاب على الفريق الذي كاد تزيغ قلوبهم لكيدودتهم الزيغ **قوله** تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم ذكر لتسميتهم مخلفين وجهين مع انهم لم يخلفهم احد وانما تخلفوا بارادتهم الاول انهم وان تخلفوا بارادتهم الا انهم جعلوا كان من خرج الى الغزو خلفهم وتركهم خلفهم فعبر عنهم بالمخلفين لذلك والثاني انهم لما لم يحكم في حقهم بشيء من التعذيب او قبول توبتهم بل جعلوا مرجون لامر الله في شأنهم عبر عنهم بالمخلفين حيث خلف امرهم الى ان يحكم الله في حقهم بما شاء فانه عليه الصلوة والسلام قال

ويحتمل ان يراد به الزيغ عن اتباعه عليه الصلوة والسلام في تلك الغزوة بقصد ان لا يخرج معه منه

وكان عند بعضهم تقيد بمجرد المقاربة مطلقا وعند الاخرين تقيد المقاربة مع عدم الوقوع فهذه التوبة المذكورة بعدها توبة عن تلك المقاربة منه

قوله تخلفوا التعبير باللازم على طريق الكناية واصله خلفهم او السلطان لكسلهم منه

قوله او خلف امرهم على بناء المجهول اي اخر امرهم بمعنى ان التخلف من الخلف احدى الجهات نحو بمعنى التأخر على انهم حقيقة ولكن اسناده اليهم اسناد مجازي وحقيقته اسناده الى امرهم منه

لانه من تخلف [illegible] السائل فقلت [illegible] لصاحبه [illegible] فقلنا [illegible] انه امر بالتخلف بل لعله [illegible] عنه وانما [illegible] انه تخلف

قال لكعب بن مالك ان عرض حين قدم المدينة ما خلفك عني الم تكن قد ابتعت ظهرك فاجابه كعب بان قال ما خلفني عنك عذر وانما تخلفت لمجرد الكسل وقلة الاهتمام فقال عليه الصلوة والسلام له قم عني حتى يقضي الله فيك وكذا قال عليه الصلوة والسلام لصاحبيه هلال بن امية ومرارة بن الربيع وكانا رجلين صالحين من الانصار شهدا بدرا وهلال هو الذي نزل فيه آية اللعان وكعب وان لم يشهد بدرا الا انه شهد بيعة العقبة وكان ايضا من الانصار فاوحى الله تعالى امرهم الى ان يقضي الله فيهم فلما اخر امرهم جعلوا المخلفين بمعنى مؤخرين **قوله** لاعراض الناس عنهم بالكلية فانه عليه الصلوة والسلام نهى المسلمين عن المكالمة معهم ولو بالسلام ورده ومن المعاملة معهم باي وجه كان وامر عليه الصلوة والسلام لهم بان يعتزلوا عن ازواجهم ومع ذلك كان عليه الصلوة والسلام معرضا عنهم لا ينظر اليهم فكانوا يخافون ان يموتوا فلا يصلي الرسول ولا المؤمنون على جنازتهم او يموت عليه الصلوة والسلام وهم مع الناس بتلك المنزلة فلا يكلمهم احد منهم ولا يصلي على جنازتهم **قوله** من فرط الوحشة والغم اي امتلاء قلوبهم بفرط الوحشة والغم بحيث لم يبق فيها ما يسع شيئا من الراحة والانس والسرور وعبر عن الراحة والسرور بفضاء عليهم حيث قيل ضاقت عليهم تنبيها على ان انتفاء الراحة والسرور بمنزلة انتفاء ذواتهم **قوله** ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة لم يفسر التوبة عليهم بقبولها منهم اذ لا وجه لان يقال قبل توبتهم ليتوبوا بل فسرها اولا بالتوفيق للتوبة على طريق التعبير عن الشيء بما يتوقف هو عليه لان التوفيق للتوبة اصل تتفرع عليه نفس توبتهم بمعنى رجوعهم عن المعصية وهذه التوبة تتفرع عليها توبة الله عليهم بمعنى قبولها منهم فههنا امور ثلثة التوفيق للتوبة ونفس توبتهم وقبول الله تعالى اياها ذكر الله الامر الثالث بقوله وعلى الثلثة ثم ذكر الامر الاول بقوله ثم تاب عليهم وعطفه على الامر الثالث بكلمة ثم لكونه اصل الجميع مقدما على الامر الثالث بمرتبتين فيكون كلمة ثم للتراخي الرتبي ثم ذكر الامر الثاني بقوله ليتوبوا وفسرها ثانيا بقوله او انزل قبول توبتهم على طريق التعبير عن بيان القبول بما يدل على نفس القبول فان قوله ثم تاب عليه بمعنى ثم قبل توبتهم وقد عبر به عن بيان قبولها وانزال ما يدل عليه فعلى هذا لا يكون كلمة ثم على اصل معناها لان انزال القبول متفرع على نفس القبول المذكور بقوله وعلى الثلثة فلا يكون قوله ليتوبوا بمعنى ليجددوا التوبة والرجوع عن المعصية فلذلك فسر بقوله ليعدوا في جملة التائبين وفسرها ثالثا بقوله او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى على ان يكون قوله ثم تاب عليهم تكريرا لقوله وعلى الثلثة للتأكيد وقوله وعلى الثلثة يجوز ان يكون معطوفا على النبي اي تاب على النبي وعلى الثلثة وان يكون معطوفا على الضمير المجرور في قوله عليهم اي ثم تاب عليهم وعلى الثلثة ولذلك اعيد حرف الجر **قوله** ان لا ملجأ مخففة عن الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر ولا مع ما في حيزها

قوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض الخ كلمة اذا شرطية كما هو الظاهر وجوابها محذوف وهو تاب عليهم فيكون هذا نظير قوله ثم تاب عليهم في التكرير وقيل كلمة ثم زائدة وما بعدها جواب اذا ورد بان زيادتها في لسان العرب غير ثابت وقيل كلمة اذا بعد حتى تجرد من معنى الشرط وتجعل لمجرد الوقت وههنا كذلك فلا يحتاج الى جواب يكون الغاية للفعل الذي قبلها اي قوله خلفوا اي خلفوا الى هذا الوقت منه

قوله اي علموا فسر الظن بالعلم لانه حالهم ذلك ولانه لا يلائم بالمدح كقوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قيل انما خص هذه الثلاثة بهذا التشديد لانهم اذعنوا الحق واعترفوا بالذنب فالذين يجري عليهم هذه حالهم لانه في الزجر ابلغ مما يجري على من يظهر اعتذاره من المنافقين ومن هذا الوادي قيل عظم ذنبهم واستحقوا به لذلك لانهم قوة وجهة للمنافقين والطاعنين اذ لان كعب من اهل العقبة وصاحباه من اهل بدر والشرع يطالبهم بحسب منازلهم ومن ههنا قيل زلة العالم او المقتدي اقل خطرا من سواه منه

خزان ومن الله اجرا وان مع ماني حيزها سادسة مفعول ظنوا معنى علموا وذلك لانه تعالى ذكر
هذا الوصف في معرض المدح والثناء وذا لا يكون الا مع علمهم بذلك ونظيره قوله تعالى الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم والمعنى وعلموا ان الشان لا النجاء من سخط الله تعالى الا الى الله فقوله الا اليه
استثناء من العام المحذوف ثم انه تعالى لما قبل توبة هؤلاء الثلثة ذكر ما يكون كالزاجر عن ارتكاب
مثل ما ارتكبوه مما لا يرضاه الله تعالى ورسوله كاهمال الصدق في الايمان وفي المعاهدة مع الله ورسوله
على السمع والطاعة فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين في ايمانهم و
عهودهم الموافقة مع الله ورسوله على الطاعة في جميع ما امروا به كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه اي كونوا امثال الصادقين كالخلفاء الراشدين والذين سلكوا مسلكهم وساروا
سيرتهم في الوفاء بما عاهدوا الله عليه وكونوا مع الصادقين في دين الله تعالى وطاعته
قولا وعملا ليلا ونهارا سرا وعلانية والحاصل ان المراد بالصدق الصدق في الاحوال
كلها بملازمة الطاعة في الاحوال كلها روي انه تعالى قال في الزبور كذب من ادعى محبتي فاذا جنه
الليل نام عني وقيل المراد بالصادقين هؤلاء الثلثة واضرابهم اي كونوا مثلهم في نيتهم و
اثباتهم وفي الآية دلالة على فضل الصدق وعلو درجته الا ترى ان ابليس كيف استنكف عن
معرة الكذب حيث ذكر الاستثناء في قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
فانه لو لم يذكر الاستثناء لكان كاذبا في ادعاء اغواء الكل واذا كان الكذب شيئا يستنكف منه
ابليس فالمسلم اولى به ان يستنكف روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني رجل اريد
ان اومن بك الا اني احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه
الاشياء ولا طاقة لي على تركها باسرها فان قنعت مني بترك واحد منها آمنت بك فقال
عليه الصلوة والسلام اترك الكذب فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج من عنده عرض عليه اصحابه
الخمر فقال ان شربت فسألني الرسول عن شربها ان كذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام
علي الحد ثم عرضوا عليه الزنى فجاء في ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى الرسول وقال ما
احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسدت على ابواب المعاصي كلها وتاب عن الكل
روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ما يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم ثم صبية
لا ينجزه اقرؤا ان شئتم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم
قال هل ترون في الكذب رخصة ثم انه تعالى لما حث المهاجرين والانصار على الخروج للغزو وحث
ساكني المدينة من غير المهاجرين والانصار ومن حولهم من الاعراب مزينة وجهينة واشجع واسلم
وغفار على الخروج فقال ما ينبغي لهؤلاء ان يتخلفوا عن رسول الله اذا استنفرهم واستنهضهم
الى

خطاب لمن يتدرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة الخ

كان ما تأتون وما تذرون تدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا الخ

الا ان القول بانه يكون الخطاب في قوله يا ايها الذين عاما لجميع المؤمنين لان امر كافة المؤمنين بموافقة هؤلاء الثلثة في كونهم مثلهم بعيد من حيث ان التكاليف الواقعة في الكتاب والسنة متوجهة على المكلفين في جميع الازمنة الى يوم القيمة وموافقة الثلثة موقوفة على وجودهم واما اذا كان الخطاب خاصا لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك كما ذهب اليه البعض فيحتمل ان يحمل الصادقين على العموم والخصوص منلا

الى الغزو وان يطلبوا بانفسهم عن نفسه حتى يتقدموا بحمل المشقة دونهم بل يلزمهم جميعا ان
يتحملوا معه قوله لا يصيبوا انفسهم عما لم يصن عليه الصلوة والسلام نفسه عنه تفسير بيان
حاصل المعنى فان الباء في قوله بانفسهم للتعدية فيقول رغبت عنه معناه اعرضت عنه فتعدى
بالباء فاذا قلت رغبت بنفسي عنه فكانك قلت جعلت نفسي راغبة عنه فمعنى ظاهر نظم الاية و
لا يجعلوا انفسهم راغبة عما النبي فيه بنفسه الكريمة عند الله من كل نفس من شدائد الغزو واهواله وحاصل
المعنى ما ذكره المص وابو خيثمة كنية رجل والضح شعاع الشمس وحرها وفي الحديث لا يقعدن
احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان تعالى ازنا السراب الشيء يرفعه اذا رفعه واظهره قوله
ولا يرغبوا يجوز النصب بعطفه على ان يتخلفوا بزيادة لا لتاكيد النفي والتقدير ولا ان يرغبوا و
الجزم ايضا على ان يكون كلمة لا للنهي قوله ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان يعني انه اشارة الى
وجوب متابعته ومتابعته المدلول عليه بقوله ما كان فان صيغته وان كانت صيغة النفي الا ان المراد
به النهي عن التخلف والنهي عن الشيء امر بضده الذي هو الامر بالمتابعة والمتابعة قوله تعالى
موطئا مفعول به او مصدر وكذا نيلا جاز ان يكون بمعنى النيل وان يكون مصدرا وقوله ليجزيهم متعلق
بكتب اي اثبت لهم ذلك في صحائفهم ليجزيهم وقوله احسن مفعول ثان بتقدير المضاف في احد الوجهين
اي ليجزيهم جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم بما نال منه اذا رزاه ونقصه قوله
اثبت لهم ذلك اشارة الى انه افرد ضمير كتب القائم مقام فاعله مع انه عبارة عن جميع ما
ذكر مما اصابهم من الظمأ والنصب والمخمصة ووطئهم ما يغيظ الكفار ووطؤه ونيل شيء مما
يتاذى الكفار من نيله وانفاق ما انفقوه في سبيل الله مثل ما انفق عثمان وعبد الرحمن بن
عوف فان عثمان رضي الله عنه جاء بالف دينار فجهز به جيش العسرة وجاء عبد الرحمن رضي
الله عنه باربعة آلاف درهم وقطع شيء من الاودية في مسيرهم الى ارض الكفار وهذه
المذكورات عدة امور فاللفظ تانيث الضمير الراجع اليها بان يقال كتبت لهم الا انه قيل كتب لهم اجراء
للضمير مجرى اسم الاشارة وكذلك افرد ضميره في قوله الا كتب لهم به عمل صالح مع كونه عبارة عن
الامور المتعددة المذكورة سابقا كما يفرد اسم الاشارة سواء اشير به الى شيء واحد او اشياء
متعددة كما في قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اي بين الفارض والبكر وقوله تعالى الا
كتب في محل النصب على انه حال من ظمأ وما عطف عليه اي لا يصيبهم ظمأ ولا كذا ولا كذا
في حال من الاحوال الا في حال كونه مكتوبا لهم بذلك عمل صالح قوله جزاء احسن اعمالهم يعني ان
قوله تعالى احسن ما كانوا يعملون مفعول ثان لقوله ليجزيهم وان كلمة ما مصدرية والمعنى ليجزيهم
احسن اعمالهم ونفس العمل لا يكون جزاء فلا بد من تقدير الجزاء مضافا الى احسن او مضافا اليه

الا ان يجعل نصب احسن على انه صفة المصدر اي ليجزيهم جزاء احسن من اعمالهم فيكون احسن تفضيل على بابه والمعنى ان جزاءهم احسن من اعمالهم عند الله تعالى النصب بنزع الخافض اي باحسن ما كانوا فلان الخ

م وحسنه بنسبته الى ثواب ... التخجيم الوعد الكريم مرتبة البنتي والتشريف يستحقه وكونه الكذب عن ما فعله من الامور لا تبع رضوله الباء بان اختلاف الشواكل كان في ذلك الخ

لفظ احسن فالتقدير ليجزيهم جزاء احسن اعمالهم او ليجزيهم احسن جزاء اعمالهم على ان
يكون احسن صفة لما هو جزاء لعلهم لا لنفس عملهم ووجه التقدير الاول ان اعمال المجاهدين
اما واجب او مندوب او مباح فالله يجزيهم على احسن اعمالهم وهو الواجب والمندوب دون
المباح ثم انه لما حث جميع المخلصين على الخروج للغزو بين انه لا يستقيم ان يخرجوا جميعا
فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة لكونه مخلا لامر المعاش **قوله** فهلا نفر اشارة الى ان
لا تحضيضية مثل هلا وقد تقرر ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضي يفيد التوبيخ انما يكون
على ترك الواجب فعلم ان الفعل واجب وان قوله فلولا نفر معناه الامر بالنفر وايجابه بتبع ،،
اولا انه لا يمكن نفير الكافة لان مطلوب كان من المطالب الدينية كالغزو والتفقه في الدين ثم
وبخ على ترك النفير بالجملة واوجب على كل فرقة ان ينفر منهم طائفة والتفقه معرفة احكام
الدين وهي تنقسم الى فرض عين كتعلم الطهارة والصوم والصلوة والى فرض كفاية مثل ان
يتعلم حتى يبلغ الى درجة الاجتهاد والفتوى والمراد من العلم في قوله عليه الصلوة والسلام طلب
العلم فريضة على كل مسلم ما يكون تعلمه فرض عين **قوله** ليتكلفوا التفقه اشارة الى ان صيغة
التفعل للتكلف **قوله** وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية حيث اوجبهما ،،
الله تعالى على طائفة من كل فرقة ولو كان من فروض الاعيان لاوجبها على كل واحد من احاد الفرقة
قوله لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من اهل كل قرية طائفة الا ان اخص اهلها في ثلثة لان الثلثة ،،
فرقة والخارج من الثلثة يكون اثنين او واحدا فيكون الطائفة في هذه الصورة اثنين او
واحدا وقد اوجب الله تعالى على من بقي من الفرقة ان يقبلوا خبر الطائفة الخارجة للتفقه لقوله
ولينذروا قومهم بان يخبروا قومهم بما تفقهوا به واوجب على قومهم ان يقبلوا خبرهم حيث قال
لعلهم يحذرون فان ايجاب على قومهم بان يقبلوا باخبارهم فلزم منه ان يكون خبر الواحد والاثنين
حجة شرعية وعلى هذا التوجيه يكون الضمير في قوله ليتفقهوا ولينذروا واذا رجعوا للطائفة ،،
النافرة للتفقه والمعنى لينذر الطائفة النافرة لان يستكملوا التحسب فو تهم النظرية دبر شغلوا
قومهم الباقين في اماكنهم اذا رجعوا اليهم بالانذار والتذكير وقيل للآية معنى اخر وهو فهلا نفر من
كل فرقة طائفة الى الغزو والجهاد ليتفقه الباقون في اماكنهم ولينذروا قومهم النافرين بما ،،
حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم فيكون ضمير يتفقهوا وينذروا للفرق الباقين في اماكنهم
بعد ما نفرت طائفة منهم للغزو وضمير رجعوا للطائفة النافرة للغزو ويتوضح المعنى الاخر
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخرج
الى الجهاد لا يتخلى عنه الا المنافق او صاحب علة فلما بالغ الله تعالى في تعييب المتخلفين ونز

على ترك الفعل والتوبيخ صح

قوله فهلا نفر من كل جماعة الخ فسر لولا بما هو تحضيض في التحضيض رعيا لاحتمال ان يكون ابتغية فالمراد كلمة التحضيض اذا دخلت في الماضي يفيد التوبيخ واللوم على ترك الفعل وفي المضارع يفيد طلب الفعل والحض عليه فهي فيه بمعنى الامر ولا يمكن ذلك في الماضي الغائب الا انا قد نستعمله اللوم على ترك شيء يمكن تداركه في المستقبل فكانا من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل ما فات انتهى يعنون انما حق يكون بمعنى الامر نظرا الى الاستقبال وهذا هو السر فيما قيل المقصود في الاية الكريمة الامر بهذا النفر فيفيد وجوب طلب العلم لا ما قيل من ان التوبيخ على ترك الفعل في الماضي يفيد وجوبه فيفيد ان الفعل واجب لان اللوم والتوبيخ قد يكون على ترك الاولى سمان

ولا يخصصه ان تخصيص الانذار بالذكر فيه مناقشة وهي ان الانذار والارشاد متلازمان فذكر احدهما في قوة ذكر الاخر فليس
ههنا تخصيص الانذار بالذكر دون الارشاد الا ان يراد به التخصيص بذكره وانما قلنا انهما متلازمان لان الانذار هو ان يقال
في شيء هذا لكونه مامورا به فمن فعل هذا لكونه منهيا عنه والارشاد ان يقال هذا مامور به فيجب فعله وهذا منهي عنه فحرم فعله و
يترتب المكروه على ترك الواجب وفعل الحرام ،، كاللازم البين لهما على ان عدم انفكاك الارشاد عن الانذار كاف في المناقشة بلا حاجة الى عكسه فتامل سمان

د توبيخهم في غزوة تبوك وانزل فيهم آيات شداد قال المؤمنون والله لا نتخلى عن شيء عن
الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية فلما قدم عليه الصلوة والسلام المدينة
وبعث السرايا الى الكفار نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الاية
توبيخا للمسلمين في خروجهم جميعا والمعنى لا يجوز ان ينفروا جميعا الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين
لتبقى طائفة في حضرة الرسول عليه الصلوة والسلام وتنفر الطائفة الاخرى الى الجهاد ليتنظم بكل واحدة
من الطائفتين مصلحة مهمة من مصالح الدين لان انتظام امر الدين في ذلك الزمان كما يتوقف
على من يقوم بجهاد الكفار يتوقف ايضا على من يقوم بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتعلم ما نزل
في زمان نفير المجاهدين من الشرايع والتكاليف ويبلغها للغائبين وبهذا الطريق يتم امر الدين
حيث ناب كل طائفة مناب الطائفة الاخرى ناب طائفة النافرة للغزو مناب الطائفة المقيمة
في امر الغزو ونابت الطائفة المقيمة مناب النافرين في امر التفقه فالطائفة المقيمة يتفقهون
في الدين بملازمتهم حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلمهم ما نزل من التنزيل فكلما نزل تكليف وشرع
عرفوه وحفظوه واذا رجعت الطائفة النافرة من الغزو انذرتهم الطائفة المقيمة بما تعلموه
من الشرايع والتكاليف وعلى هذا المعنى لا بد في الكلام من ارتكاب التقدير وتقدير الكلام فلولا ،،
نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة اخرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقه المقيمون
في امر الدين واشار المص اليه بقوله فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف النافرة ثم انه تعالى لما امر بقتال المشركين كافة ارشد
في ذلك الى الطريق الاصلح وهو ان يبدءوا بالاقرب فالاقرب منتقلا الى الابعد فالابعد فقال
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الا ترى ان امر الدعوة وقع على هذا الترتيب حيث قال عز
من قائل فانذر وما ارسلناك الا كافة للناس ومع ذلك قال وانذر عشيرتك الاقربين ،،
وامر الغزوات ايضا وقع على هذا الترتيب لانه عليه الصلوة والسلام حارب قومه اولا
ثم انتقل الى غزو سائر العرب ثم انتقل عنهم الى غزو الشام وكذا الصحابة لما فرغوا من امر
الشام دخلوا العراق والعلة في الابتداء بالاقرب ان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح ،،
فانه لما تعذرت المقاتلة مع جميع الكفار دفعة واحدة اقرب لشاكرهم ولهم ووليجدوا فيكم
غلظة من باب لا اريتك ههنا فانه وان كان على صورة ان ينهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب
ههنا الا ان المراد نهي المخاطب عن ان يحضر ههنا فكذا الآية فانها على صورة امر الكفار بان
يجدوا من المؤمنين غلظة لكن المعنى على امر المؤمنين بان يعاملوا مع الكفار بالغلظة و ،،
الخشونة على طريق الكناية حيث ذكر اللازم واريد الملزوم قراء الجمهور غلظة بكسر الغين

السرية قطعة من الجيش يبعثها الامام الى جهة من الكفار منه

قوله لما الشرع على الناس كالعلماء زماننا تعدد بالله عن ... ونتوب اليه ... ساير ... الهداية الى اخلاص النية في البداية والهداية انه على ذكر تقرير ... جلبي سمان

قوله ... الاصل لانه ... للجلد والتنا... الدباغة تنقص ... الصناعة ... نحرب ... تاذا حصل المقصود ... بدونه فدا ... واحق

... سمان

... بالغلظة ... سمان

وهي لغة اسد وقرئ بفتحها وهي لغة الحجاز وبضمها وهي لغة تميم ثم انه تعالى بعد ما ذكر
قبائح اعمال المنافقين ذكر من قبائح اقوالهم فقال واذا ما انزلت سورة الآية وكلمة ما صلة
مؤكدة لارتباط الجزاء بالشرط قوله تعالى فمنهم من يقول يحتمل ان يكون المراد يقول بعضهم لبعض
ليثبتهم على النفاق او يقولونه لعوام المسلمين ليصرفوهم عن الايمان او يقولون ذلك استهزاء
من غير ان يقصدوا به غرضا قوله وقرئ ايكم بالنصب على انه مفعول به لفعل محذوف يفسره
زادته هذه ايمانا يقدر الفعل متأخرا عن ايكم لان له صدر الكلام والجمهور على رفع ايكم لانه مبتدأ
وما بعده خبره اجاب الله تعالى عن انكارهم واستهزائهم الموقنين في اعتقادهم زيادة الايمان
بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعبادة فقال حصل للمؤمنين بسبب نزول سورة من السماء امران
الاول انها تزيدهم ايمانا والثاني انهم يستبشرون بسبب نزولها وحصل للمنافقين بسبب
نزولها امران مقابلان للامرين المذكورين الحاصلين للمؤمنين الاول انها تزيدهم رجسا
الى رجسهم والثاني انهم يموتون على كفرهم وهو اقبح من الاول والايمان الذي هو عبارة عن
التصديق يتصور زيادته على وجهين الاول ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى كان
ايمانه ازيد واقوى لان الشك يزول ويقوى اليقين بحسب كثرة الدلائل وقوتها كما اشار اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض لرجح ايمانه يريد ان
معرفته بالله تعالى اتم واقوى والوجه الثاني من وجهي زيادة التصديق زيادته بحسب ازدياد
المصدق به فان المؤمن لا محالة يصدق جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا شك
ان التكاليف والآيات الدالة عليها متوالية متعاقبة في زمانه عليه الصلوة والسلام فعند
نزول كل اية وتجدد كل تكليف كان المؤمن يزيد تصديقا واقرارا بحسب ازديادها يجب ان يصدق
به لانه كلما سمع اية جديدة اتى باقرار جديد وايمان زائد على ما حصل له قبل ذلك قوله تعالى نظروا
بالعيون يعني ان المراد من النظر النظر المخصوص الدال على الطعن في تلك السورة والاستهزاء
بها او على الغيظ قوله اي يقولون هل يريكم احد يعني ان قوله هل يريكم من احد في محل النصب
بقول مضمر وذلك القول المضمر مع مقوله في محل النصب على انه حال من فاعل نظر والمعنى انهم عند
سماع تلك السورة يتأذون ويريدون الخروج من المسجد زاعمين انهم لا يصبرون على استماعه
لغلبة الغيظ عليهم بسبب كونها ناطقة بعيوبهم وقبائح افعالهم او خوفا من ان يغلبهم الضحك
فيفتضحوا بين المؤمنين فيقول بعضهم لبعض هل يريكم من احد من المؤمنين ان قمتم من
مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا فيه وثبتوا واعلم
انه تعالى لما انزل هذه السورة من التكاليف الشاقة التي يصعب على الامة تحملها وتوطين النفس

على

على تحمل ما ختم السورة بما يسهل تحمل تلك التكاليف فقال عز من قائل لقد جاءكم رسول من انفسكم
بضم الفاء وقرئ بفتحها من النفاسة ووصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بخمسة اوصاف
الاول انه بشر مثلكم اذ لو كان من جنس الملائكة لصعب الامر عليهم وانه عليه الصلوة والسلام
ناش من اشرف قبائل العرب وصفه به ترغيبا للعرب في اتباعه ونصرته والقيام باعلاء دينه
واجراء شرعه كانه قيل لهم كل ما يحصل له من الدولة والرفعة في الدنيا فهو سبب لرفعتكم و
فخركم لانه مبعوث من بينكم ووصفه الثاني ما ذكره بقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم وكلمة ما فيه مصدرية
والعزيز الغالب الشديد والعنت الوقوع في امر شاق يقال عنت الرجل يعنت عنتا اذا وقع
في مشقة واعنته غيره واشق الامور دخول النار والمعنى شديد عليه ما يلحقكم من المشقة والالم بترككم
الايمان والثالث ما ذكره بقوله تعالى حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح احوالكم اذ من البين انه
عليه الصلوة والسلام ليس حريصا على ذواتهم والرابع ما ذكره بقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى سماه باسمين من اسمائه ولم يجمع الله تعالى اسمين من اسمائه
لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى بالمؤمنين متعلق برؤف قدم ليفيد الاختصاص
اي لا رأفة ولا رحمة له الا بالمؤمنين واما الكفار فليس له رأفة ولا رحمة فان قيل كيف وصف بكونه
رؤفا بالمؤمنين وقد كلفهم في هذه السورة بانواع من التكاليف الشاقة التي لا يقدر على تحملها الا
من وفقه الله تعالى فالجواب ان التكليف المذكور ايضا من كمال رأفته بهم من حيث انه اذا فعل بهم
ذلك حتى يتخلصوا عن العقاب المؤبد ويفوزوا بالثواب المجيد قوله قدم الابلغ جواب عما
يقال ان مقام المدح يقتضي الترقي من الفاضل الى الافضل فكيف عكس الامر في هذه الاية قوله
بلغكم معنتهم اي المشاقة التي يلحقكم من قبلهم والمعنتة مصدر ميمي من عنته اي شاقه ومساءة
تمت السورة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله فخمها اي قرأ ابن كثير وقالون عن نافع وحفص
عن عاصم بفتح الراء على التفخيم وبكسرها على الامالة المحضة ابو عمرو وحمزة والكسائي وابن
عامر وابو بكر وقرأ ورش عن نافع بين الفتح والكسر واختلف القراء في الحروف المقطعة التي
في اوائل السور اذا كان في اخرها الف وهي را وطا وها ويا وحا انها هل تقرأ بالامالة او
بالتفخيم وكلا اللغات صحيحة قيل الاصل في هذه الكلمات ترك الامالة لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء
ومن امالها فقد قصد بامالتها التنبيه على انها اسماء لا حروف لانها اسماء للحروف المخصوصة و
ليست بحروف وقد مر ان فواتح السور على وجهين احدهما انها اسماء السور والآخر ان تكون منزلة
كورة على نمط التعديد للحروف والتنبيه على الاعجاز اما من جهة ان القران من جنس كلامهم او من

جهة وورودها على لسان النبي الامي صلى الله عليه وسلم قوله لاشتماله على الحكم على ان يكون الحكيم بمعنى ذي الحكم قوله او لانه كلام حكيم على ان يكون وصف الكتاب بالحكيم من قبيل وصف الكلام بصفة من تكلم به على طريق الاسناد المجازي نحو نهاره صائم وليله قائم قال الاعشى وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها اي قصيدة غريبة مدحت بها الملوك حكيمة قد قلتها ليتعجب الناس ويقولوا من قالها والبيت يصلح شاهدا لكل واحد من الوجهين فان حكيمة يحتمل ان يكون بمعنى النسبة وان يكون من قبيل الاسناد المجازي قوله او محكم اياته على ان الحكيم فعيل بمعنى المفعول قوله وقرئ بالرفع وقيل اكان للناس عجب ان اوحينا على ان الامر بالعكس اي على ان عجب اسم كان وان اوحينا خبره وجاز كون عجب اسم كان مع انه نكرة لتخصصه بتقدم للناس عليه لانه في الاصل صفة فلما قدم عليه صار حالا او على ان كان تامة وعجب فاعله وان اوحينا بدل من عجب بدل الاشتمال او بدل الكل من الكل لان ايحاءه الى رجل منهم جعل نفس العجب مبالغة اي احدث للناس عجب لان اوحينا الى رجل منهم قوله واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم ولو قيل اكان عند الناس عجبا ان اوحينا الى رجل لما فهم هذا المعنى والاعجوبة امر عجيب يتعجب منه فاللام في قوله للناس للبيان متعلق بمحذوف كما في هيت لك اي هذا الخطاب لك وليس بمتعلق بقوله عجبا على طريق المفعولية كما في قولك عجب لسعي زيد في حاجتي لان معمول المصدر لا يتقدم عليه قوله من افناء رجالهم اي ممن لا يعرف بكونه ذا جاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من اسباب العز والعظمة وليس المراد انه عليه الصلوة والسلام ليس من مشاهيرهم نسبا لان شرف نسبه عندهم اظهر من الشمس وافناء جمع فنى على وزن فتى او جمع فنا على وزن ندا او هو ناحية من الناس الجوهري فناء الدار ما امتد من جوانبها ويقال هو من افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو قوله وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم عن معرفة الاوصاف التي بها اختاره تعالى للرسالة فانه عليه الصلوة والسلام لم يكن يقصر من عظمائهم في النسب والحسب والشرف وكل ما يعتبر في الرياسة من كرم الخصال الا في المال ولا مدخل له في شرف النسب ونجابة جوهرها الا انهم لجهلهم بحقيقة النبوة وشدة اعتنائهم بالمال وعظم الغنى في اعينهم تعجبوا من اصطفائه للرسالة والوحي وقالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قوله او المخففة من المثقلة فيكون اسمها ضمير الشان المقدر والتقدير ان اوحينا الى رجل منهم انه اي ان الشان انذر الناس الاية لما تقرر في النحو ان الجملة الطلبية لا تقع خبرا عن ضمير الشان وجب ان يكون تقدير الكلام ان الشان قولنا انذر الناس على ان يكون القول المقدر مبتدا ويكون الجملة الطلبية محكية به خبرا عنه ويكون خبر ضمير الشان

جملة

[هامش:] للمبالغة في توصيف من تكلم به بكونه حكيما كانه قيل انه ابلغ في كونه حكيما اي حيث كان كلامه حكيما كما يوصف الشعر بصفة من تكلم فيقال شعر شاعر للمبالغة سلمه

[هامش:] الظاهر ان يكون في تعلقا بعجب على حذف لام العلة اي احدث عجب لان اوحينا او يكون على حذف من اي من ان اوحينا سلمه

[هامش:] والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل في اما باعتبار ثبوته وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان ناسخ الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وتمام القرآن في عهد النبوة ولم يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلابد من ملاحظة كل من الكتاب والقران باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القران النازل وقتئذ المشتهر بين الناس اذ ذاك فانه كثيرا يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر اكو

جملة اسمية قوله عمم الانذار حيث جعل مفعول انذر الناس المتناول لجميع المكلفين من الكفار وعوام المؤمنين وخواصهم لان الانذار ينفع الجميع ليرتدعوا عن فعل ما لا ينبغي من الصغائر والكبائر ونزل الاولى بخلاف التبشير فانه لا يتعلق بالكفار اذ ليس لهم ما يبشرون به ولم يذكر المنذر به للتهويل والتعميم بان يذهب ذهن السامع كل مذهب مما يدخل تحت قدرة الله وغيره وذكر المبشر به لتقوى رغبة المطيعين فيما يوصلهم اليه وقدم الانذار على التبشير لان التخلية بحكم ما قبل التحلية فان فعل ما ينبغي لا يفيد ما دامت النفس ملوثة بالكفر والمعاصي والمبشر به ما ذكر بقوله تعالى ان لهم قدم صدق اي بان لهم وحذف الباء من ان وان شايع كثير قوله سابقة ومنزلة رفيعة اي اعمالا سابقة قدموها ذخرا لاخرتهم ومنزلة رفيعة يقدمون عليها بسبب الاعمال السابقة التي قدموها والمنازل الرفيعة التي يقدمون عليها قدما على طريق تسمية الشيء باسم الته لان السبق والقدوم يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد كانه قيل بشرهم بان لهم عمل صدق قدموه او منزلة صدق يقدمون عليها بحيث ان كل واحد منهما لكون الاول خالصا لله وكون الثاني في الحسن والرفعة واضافتها الى الصدق من قبيل اضافة الموصوف الى صفته للمبالغة في اتصافه بها كما في قوله رجل صدق على قصد المبالغة في اتصافه بالصدق والسداد حتى كانه مطبوع منه ولا يبتني الا به نحو خاتم فضة والاصل ان ينال لهم عند الله سوابق اعمال صادقة محققة فعبر عن سوابق الاعمال بالقدم واضيفت الى الصدق للمبالغة في صدقها وتحققها مطبوعة منه واذا قصد تبيينها لا يبتني الا به وقوله والتنبيه مبني على ان يراد بقدم صدق المنازل التي يقدمون اليها اضيفت الى الصدق على طريق اضافة المسبب الى سببه للتنبيه على انهم انما ينالون تلك المنازل بسبب صدقهم في الاقوال والاحوال والنيات ثم انه تعالى اجاب عن تعجب الكفار من تخصيص رجل منهم بالرسالة والايحاء اليه بالتوبيخ والانكار عليهم في تعجبهم من ذلك بان قال اكان للناس عجبا ان يبعث الله تعالى رسولا من جنسهم يبشرهم على طاعتهم بالثواب وينذرهم على مخالفتهم وعصيانهم بالعقاب مع انه ليس ان يتركوا سدى مما يقتضيه الحكمة بل الحكمة تقتضي اثابة المطيع وتعذيب العصاة وذلك يقتضي ارسال رسل للانذار والتبشير لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل بان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المهتدين وذلك الرسول ينبغي ان يكون من جنس البشر ليتيسر التبليغ والاستفادة فاي عجب في بعث البشر رسولا وهذا الجواب موقوف على ثبوت الامرين الاول ان يكون لهذا العالم الها قاهرا قادرا مدبرا للعالم على وفق ما تقتضيه الحكمة والثاني ان يتحقق البعث والحشر والقيمة لتجزى كل نفس بما كسبت فالله تعالى اثبت الامر الاول بقوله ان ربكم الذي خلق السموات والارض فانها

[هامش:] قوله سابقة يحتمل ان يكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة ويكون المراد تقدم الله تعالى يوم القيمة بهذه الامة كما قال عليه الصلوة والسلام نحن الاخرون السابقون وقال عليه الصلوة والسلام ان الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها انا ومحرمة على الامم حتى يدخلها امتي ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل بمعنى السعادة السابقة في القضاء الازلي ومن المنازل الرفيعة الروحانية والجسمانية وما ذكر في بيان وجه اطلاق القدم على السابقة وهو قوله لان السبق بها يؤيد الاحتمال الاول وان كان التقدم سببا للوصول الى المنازل السابقة كما انه سبب لتنعل السبق ايضا

اتفق المسلمون على ان فوق السموات جسما عظيما هو العرش المحيط بسائر الاجسام وقد يطلق ويراد به الملك يقال فلان على عرشه
اى على ملكه وقد يطلق على ابنية كما فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اى بناؤه على معنى انه تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء
كمال قدرته ونفاذ مشيئته والخلايق يبنون بنائهم على المواضع الصلبة البعيدة عن الماء لان لا ينهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام
على الماء كان فى غاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون
اى يبنون والمشهور عند جمهور المفسرين ان المراد من العرش المذكور فى هذه الاية هو الجسم العظيم المحيط للعالم وقالوا قوله تعالى ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون معناه انه تعالى خلق السموات والارض اولا بدليل انه تعالى قال فى اية اخرى وكان عرشه على الماء وذلك يدل على ان وجود العرش سابق على تخليق السموات والارض

لكونها امورا ممكنة فى ذواتها ومقاديرها وصفاتها محتاجة الى مايرجح جانب وجودها واختصاصها
بقدر معين ووصف معلوم وذلك المرجح يجب ان يكون واجب الوجود لذاته متحليا بجميع نعوت الجلال
والجمال متخليا عن صفات العجز والنقصان واثبت الامر الثاني بقوله اليه مرجعكم جميعا فان قيل
الموصولات موضوعة لان يشار بها الى مايعرفه المخاطب باتصافه بمضمون الصلة فقوله تعالى الذى
خلق السموات والارض فى ستة ايام يقتضى ان يكون تعالى خالقا للسموات والارض فى ستة ايام معلوما
عند العرب وهم لا يعلمون ذلك فكيف يحسن تعريفه تعالى بقوله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام اجيب
بان ذلك امر معلوم مشهور عند اهل الكتاب والعرب كانوا يخالطون معهم فالظاهر انهم سمعوه منهم فيحسن
هذا التعريف لذلك **قوله تعالى** فى ستة ايام اى فى مقدارها لان اليوم عبارة عن زمان مقدر مبدؤه طلوع
الشمس ومنتهاه غروبها فكيف يتحقق حين لا شمس ولا سماء ودل بقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق
السموات والارض فى ستة ايام على عظم شانه وكمال قدرته بخلق اصول الممكنات كلها فى مثل هذا الزمان فى
وقت يسير ودل على ملكه بالاستواء على العرش فان العرش اعظم المخلوقات والمراد بالاستواء عليه
الاستيلاء عليه بالقهر وانفاذ التصرف فيه وخص العرش بالاخبار عن الاستواء عليه لكونه اعظم
المخلوقات ومن كان مستويا عليه يكون مستويا قاهرا لما عداه بالطريق الاولى ثم قرر عظمة ملكه واكدها
بقوله يدبر الامر لان تدبير امر الخلايق كلها وتهيئة اسبابها وترتيبها على احسن النظام مما يبين امر
العظمة ويقرر ثم زاد فى تقرير معنى العظمة والكبرياء والعزة والجلال بقوله مامن شفيع الا من بعد اذنه
كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فقوله يدبر الامر حال من
فاعل استوى او مستأنف لا محل له من الاعراب **قوله** وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لكونه تاكيدا
وتقريرا لمضمون قوله تعالى اليه مرجعكم وهو وعد من الله تعالى بالبعث والاعادة لا يحتمل غير كونه
وعدا كقولك له على الف درهم وليس يحتمل غير الاعتراف وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله
تاكيد الغير فان حقا فى قوله وعد الله ذلك دعاء لهذه الجملة محتملة غير الحقية نظرا الى نفس
مفهومها كقولك زيد قائم حقا فان قولك زيد قائم وله يحتمل غير الحقية **قوله** بعد بدئه واهلاكه
فان الاية لما دلت على انه تعالى يعيد جميع المخلوقات ولا شك ان اعادتها لا يكون الا بعد ابدائها
والالزم ايجاد الموجود وهو محال علم ان تقدير الاية انه يبدأ الخلق ليكلفهم ويامرهم بالعبادة
ثم يميتهم ثم يعيدهم وقوله تعالى ليجزى متعلق بقوله تعالى ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزى ويجوز
ان يكون حالا اما من الفاعل او من المفعول اى يجزيهم ملتبسا بالقسط او ملتبسين به والقسط
هو العدل والمص اشار الى جواز كونه حالا من الفاعل بقوله اى بعدله والى كونه حالا من المفعول
بقوله او بعدلهم وعدم ظلمهم انفسهم بارتكاب المعاصى ورجح المص احتمال ان يكون قوله

ويحتمل ان يكون المراد بالايام الاوقات مطلقا كما فى قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اى وقتئذ
منه

قال ان عمر استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
منه

لبيان حكمة الاستيلاء على العرش ومن تدبير الممكنات وفيه تقرير لعظمته وبيان
لا سيما

قراءة الجمهور بالكسر لكونه استئنافا كالتعليل لمعنى قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا لانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الا[ه]ل المكلفين على اعمالهم وجب ان يكون مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ بفتح الهمزة اى لانه
منه

قوله تعالى ثم استوى على العرش قال ابن الخطيب لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها لان الاستواء على العرش معناه كونه
مستقرا عليه بحيث انه لولا العرش لسقط ولنزل واثبات هذا المعنى يقتضى كونه تعالى محتاجا الى العرش وانه لولا العرش
لسقط ونزل وذلك محال لاجماع المسلمين على انه تعالى هو الممسك له والحافظ له وايضا فان قوله عز وجل ثم استوى
يدل على انه قبل ذلك ما كان مستويا عليه وذلك يدل على انه تعالى يتغير من حال الى حال وكل متغير محدث وذلك باطل بالاتفاق
وايضا لما حدث الاستواء فى هذا الوقت دل على انه تعالى كان قبل هذا الوقت مضطربا متحركا وذلك من صفات المحدثات
وايضا ظاهر الاية يدل على انه تعالى انما استوى على العرش بعد خلق السموات والارض لان كلمة ثم للتراخى وذلك يدل
على انه تعالى كان قبل العرش غنيا عن العرش فلما خلق العرش امتنع ان ينقلب حقيقته وذاته من الاستغناء الى الحاجة
فوجب ان يبقى بعد خلق العرش غنيا عن العرش ومن كان كذلك امتنع ان يكون مستقرا على العرش فثبت بهذه الوجوه انه
لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها واذا كان كذلك امتنع الاستدلال بها فى اثبات الجهة فان تقرر هذا فقال جمهور المفسرين
المراد بالعرش هنا هو الجسم العظيم الذى فى السماء وهو مخلوق قبل خلق السموات والارض بدليل قوله تعالى وكان عرشه
على الماء وقيل المراد من العرش الملك يقال فلان على عرشه اى ملكه وقال ابو مسلم الاصفهانى المراد بالعرش انه تعالى لما خلق
السموات والارض سطحها ورفع سمكها فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه عارشا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون اى يبنون
وقال عز وجل وهى خاوية على عروشها والمراد ان القرية خلت منهم مع سلامة بنائها وقيام سقفها وقال وكان
عرشه على الماء اى بناؤه على الماء وانما ذكر الله تعالى ذلك لانه اعجب فى القدرة لان البانى يتباعد عن الماء الى الارض الصلبة
لئلا ينهدم بناؤه والله تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته فالمراد بالاستواء على العرش هو
الاستيلاء عليه بالقهر لقوله تعالى والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه فوجب حمل اللفظ على ذلك ولا يجوز حمله على العرش الذى فى السماء لان الاستدلال بوجود الصانع يجب ان يكون
بشىء معلوم ومشاهد والعرش الذى فى السماء ليس كذلك واما اجرام السموات والارض فهى مشاهدة محسوسة
فكان الاستدلال بها على وجود الصانع صوابا حسنا وبهذا الوجه نظير هذه الاية موافقة لقوله تعالى
انتم اشد خلقا ام السماء بناها الاية

ابن عادل

قوله بالقسط بمعنى بقسطهم اى بايمانهم الذى هو العدل القويم بكونه مذكورا فى مقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فانه لما كان عقاب الكفار مسببا بكفرهم ناسب ان يجعل اثابة المؤمنين مسببة بايمانهم وذلك انما يكون بان يكون المراد بقسطهم ايمانهم **قوله** لكنه غير الاسلوب اسنوراكرا عن كون المعنى ما ذكره فانه يقتضى ان يجعل تعذيب الكفار بالحميم والعذاب الاليم بسبب كفرهم غرضا من الابداء والاعادة كما جعل اثابة الذين امنوا وعملوا الصالحات بقسطهم وايمانهم غرضا منهما بان يقال يبدا الخالق ثم يعيده ليجزى المؤمنين ،، بسبب ايمانهم وليجزى الكافرين بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم وغير هذا الاسلوب حيث ابتداء بقوله والذين كفروا واخبر عنه بالجملة التى بعده وان احتمل ان يكون قوله والذين ،، كفروا منصوب المحل بالعطف على الموصول قبله ويكون الجملة التى بعده مستأنفة لبيان جزائهم لكنه خلاف الظاهر والحاصل انه ما غير اسلوب المعطوف عليه من ثلثة اوجه الاول انه جعل المعطوف جملة اسمية للمبالغة فى استحقاقهم العقاب والثانى انه ادخل لام التعليل على اثابة المؤمنين ولم يدخلها على تعذيب الكفار للتنبيه المذكور والثالث انه اسند اثابة المؤمنين الى نفسه ولم يعين بان شيء اثابهم للتنبيه على انه تعالى يتولى اثابتهم بما يليق بلطفه وكرمه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلذلك لم يعين ثوابهم ولم يسند عقاب الكفار الى نفسه للتنبيه على انه مقتضى سوء اعتقادهم وشوم افعالهم **قوله** ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا عطف على قوله انه لانه ذكر القراءة انه بفتح الهمزة ثلثة اوجه الاول ان يكون كلمة ان مع ما فى حيزها فى محل الجر باللام المحذوفة والثانى ان يكون فى محل النصب بالفعل الذى نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بداء الخلق ثم اعادته بعد بدئه والثالث ان يكون فى محل الرفع بالفعل الذى نصب حقا اى حق حقا بداء الخلق ثم اعادته **قوله** اى ذات ضياء قدر المضاف لان الضوء والضياء مصدران يقال ضاءت النار تضوء ضوءا وضياء اى تنورت والمعنى لا يحمل على العين فلا بد من تقدير ذو كما قيل فى رجل عدل انه بمعنى ذو عدل وكذا القمر ليس نفس النور بل هو ذو نور ويحتمل ان يكون من قبيل تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما قيل رجل عدل اشار اليه بقوله وسمى نورا للمبالغة لكن الظاهر ان يقال او سمى نورا بكلمة او بدل الواو وضياء مفعول ثان لجعل ان كان من الجعل بمعنى التصيير وحال من الشمس ان كان بمعنى خلق وانشاء **قوله** والياء فيه منقلبة عن الواو لانه من الضوء اصله ضواء قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ومن قراء ضئاء بالف بين همزتين قدم لام ضواء على العين فصار ضاوا ثم وقعت الواو بعد الف زائدة فقلبت همزة كما فى كساء **قوله** وهو اعم من الضوء لان النور يطلق

وابضا لا وجه لتخصيص القسط مع انه جزاؤهم ايضا بجازى الكافرين بالقسط اولى او بجزاؤهم بالقسط لا انتهى بكونه بالقسط بسبب المؤمنين الله يتكفل بفضله وبعاقب الكافرين بعدله سنان

يقتضى ان يجعل الجملة ان ثبتت بدل تعليل الابداء عليه صرحه سلمه والاعادة

ربما ذكرته انه نبه ارضى الله عنه على التنبيه اللام التعليل على العقاب بدم يدخلها على الذين كفروا لهم شراب من حميم فذلك لم عليه انه يكون خلقهم الرحمة لا للعقاب اى بحسب المعنى سلمه

على الكيفية الظاهرة بنفسها المظهرة لغيرها سواء كانت قائمة بالشيء لذاته كما للشمس او بالعرض كما للقمر والضوء انما يطلق على ما يقوم بالشيء لذاته فكل ضوء نور دون العكس وعند الحكماء الضياء ما يكون بالذات كما للشمس والنور بالعرض كما على وجه الارض فهما متباينان عندهم **قوله** اي قدر سير كل واحد منهما منازل بتقدير المسير مضافا الى الضمير الراجع الى الشمس والقمر على سبيل البدل ونصب منازل على انه ظرف مكان لقدر فانه قدر حركة كل واحد منهما في منازل ومنازل الشمس هي البروج الاثني عشر ثلثة منها بروج الربيع وهي الحمل والثور والجوزاء وثلثة منها بروج الصيف وهي السرطان والاسد والسنبلة وثلثة منها بروج الخريف وهي الميزان والعقرب والقوس وثلثة منها بروج الشتاء وهي الجدي والدلو والحوت تسير الشمس في كل واحد من هذه البروج شهرا وتنقضي السنة بانقضائها ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة **قوله** او قدره ذا منازل بتقدير ذا مضافا الى منازل فتكون منازل مفعولا ثانيا لقدره بنفسه بمعنى صيره ذا منازل بالتقدير وفسر الامام محيي السنة بقوله اي قدر له يعني هيأ له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها الى هنا كلامه يعني ان اصل الكلام قدر له فحذف الجار واوصل الفعل الى المجرور به وتخصيص القمر بذكر تقدير منازله لكون منازله محسوسة ومعاينة نزوله في كل ليلة في منزل منها السرعة سيره ولكون احكام الشرع منوطة بسير القمر فان الصوم والفطر والحج وغيرها مبنية على رؤية الاهلة وتعيين الشهور والسنين انما يعتبر شرعا بسير القمر والشمس انما يعرف بها ابتداء النهار وانتهاؤه واوقات الصلوة والفصول الاربعة من الشتاء والصيف والربيع والخريف **قوله** الا ملتبسا بالحق اشارة الى ان قوله بالحق حال مستثناة من اعم الاحوال اي ما خلقه بحال ما الا ملتبسا بالحق **قوله** وقرا ابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يفصل بياء الغيبة جريا على اسم الله تعالى في قوله ما خلق الله ذلك المذكور وقرا الباقون نفصل بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل هو ذكر بعض هذه الدلائل الباهرة عقيب بعض مع مزيد الشرح والبيان ثم انه تعالى لما اقام الدلائل الدالة على صحة القول بثبوت الاله الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالحشر والمعاد شرع بعده في شرح احوال من يكفر بها فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية ثم شرح احوال من يؤمن بها فقال ان الذين امنوا الاية **قوله** والعطف اما لتغاير الوصفين يعني ان الواو الواقعة بين الموصولين اما للجمع بين الوصفين المتغايرين الا انهما كرضا لذات الدنيا وزخارفها والذهول عن ايات الله ودلائل المعرفة الموجب للغير او بين الذاتين وهما الفرقة المنكرة للبعث الراضية بالحيوة الدنيا والقائلة بالمنغ

مطلب منازل الشمس

قوله من لا يرجى عنا اي لا يتطلع بنا لا نرجى اي قلبه منه

اي لا يكون من باب عطف الصفات بل يكون الموصول الثاني عطفا على اسم ان الذين لا يرجون الجمع ان الذين هم الغافلون اولئك خبر ان الجمع وان ذكر في خبره جزاء الذين دام ذلك في جزاء الذنب منه

في استيفاء اللذات الحسية الزائلة عن الايات المرغبة في اكتساب ما يؤدي الى السعادة الابدية **قوله** ومفهوم الترتيب وهو قوله يهديهم ربهم اي ترتب الحكم على الموصول الذي صلته مجموع الايمان والعمل الصالح فانه يدل على ان من لم يجمع بينهما يكون محروما عن الهداية فان ترتب الحكم على الوصف يدل على علية الوصف له وان انتفاء السبب يدل على انتفاء المسبب والحاصل ان المفهوم والمنطوق بينهما نوع تناف فان المفهوم يدل على ان سبب الهداية الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او الى ادراك الحقائق او الى ما يريدونه في الجنة مما فيها من النعيم الدائم هو مجموع الايمان والعمل الصالح بناء على ان ترتب الحكم على المجموع يدل على ان سبب الحكم هو المجموع والمنطوق يدل على استقلال الايمان بالسببية وان العمل كالتتمة له والتكملة والمنطوق اقوى من المفهوم فلما صرح بان سبب الهداية هو الايمان بعد ما رتبها على المجموع علم ان الاصل المستقل في السببية هو الايمان وان العمل كالتتمة له **قوله** تجري من تحتهم الانهار استئناف لبيان حسن عاقبتهم بسبب الايمان او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على المعنى الاخير على تقدير ان يكون المعنى يهديهم بسبب ايمانهم لما يريدونه في الجنة من المأكول والمشارب وغيرهما لا على المعنيين الاولين لان جريان الانهار من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة في البساتين والرياض لا يقارن هدايته الى سلوك ما يؤديهم الى الجنة ولا ادراك الحقائق التي لا يعلمونها وانما يقارن هدايتهم لما يريدونه في الجنة **وقوله** في جنات النعيم خبر آخر لقوله ان الذين امنوا او حال آخر من ضمير يهديهم او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي اي يهديهم ربهم في الجنة بسبب ايمانهم الى ما يريدونه فيها **قوله** اي دعاؤهم يعني ان الدعوى مصدر كالدعاء يقال دعا يدعو دعاء ودعوى كما يقال شكا يشكو شكاية وشكوى وسبحان مصدر بمعنى التسبيح معمول الفعل مقدر لا يجوز اظهاره مضاف اليه المنصوب بقوله اللهم اي يا الله انا نسبحك تسبيحا فلما حذف الفعل اضيف المصدر الى مفعوله فصار سبحانك وهو المنادى له فضل الله تعالى ووجوه احسانه ومجازاته للذين امنوا وعملوا الصالحات فقال اولا انه تعالى يهديهم بسبب ايمانهم الى سلوك ما يؤديهم الى الجنة او ليعلم ما لم يعلموه من الحقائق او لما يريدونه في الجنة ثم بين ان اهل الجنة يشتغلون فيها بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه لا من حيث انهم يكلفون بذلك في الجنة بل من حيث انهم يلهمون اياه فينطقون به تلذذا وابتهاجا وسرورا به بناء على ان كمال حالهم لا يحصل الا منه فان سعادة السعداء ونهاية درجات الانبياء والاولياء استسعادهم بمراتب معارج الجلال والارتقاء فيها ابدا دائما ولا سيما انه تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم كما ذكر آنفا بقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط ثم انهم لما دخلوا الجنة ووجدوا ما وعد لهم من تلك النعم العظيمة وشاهدوا كونه تعالى صادقا فيما وعدهم اياهم فعند ذلك قالوا سبحانك اللهم اي نسبحك يا الله عن الخلف في الوعد والكذب في القول ثم بين ان تحية بعضهم لبعض او تحية الملائكة

اي من لازم ادراك الحقائق عن معرفة الاشياء ان ايمانهم يهديهم الى خصائص في المعرفة ومن اخفى الالطاف ولوامع النور يستنير بها قلوبهم ويزول بها الشكوك والشبه عنهم كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذه الزوائد والفوائد يجوز حصولها في الدنيا او بعد الموت منه

قوله اي ان سبب الهداية لانهم اهتدوا الى ما يؤدي الى الجنة فكانهم وصلوا اليها فكانه قيل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يدخلهم ربهم الجنة بايمانهم فكانه مظنة ان يقال ما حالهم في تلك الجنة فاجيب بقوله تجري الى ان قيل انهم في بساتين ورياض تجري الانهار بين ايديهم وهم يتمتعون فيها بانواع النعيم منه

ايايهم سلام واضافة تحيتهم من اضافة المصدر الى فاعله ان كان المعنى وتحية بعضهم لبعض
ومن اضافته الى المفعول ان كان المعنى وتحية الملائكة اياهم كما قال والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب سلام عليكم او تحية الله عز وجل اياهم كما قال سلام قولا من رب رحيم ثم بين انهم يحمدون
الله تعالى آخر دعويهم بان يقولوا الحمد لله رب العالمين قوله تعالى آخر دعويهم مبتداء وان هي المخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف والجملة الاسمية التي بعدها في محل الرفع على انها خبر لها وان مع
اسمها وخبرها في محل الرفع خبر للمبتداء الاول وقرئ ان الحمد لله بتشديد نون ان ونصب الحمد وهي تؤيد
كونها مخففة من الثقيلة في قراءة العامة وخلاصة معنى الاية ان اهل الجنة يفتتحون كلامهم بالتسبيح
ويختمونه بالتحميد قوله واثنوا عليه بصفات الاكرام وهي الصفات الاضافية واعلم ان معرفة ذات
الله تعالى وصفاته والاطلاع على كنه حقيقته مما لا سبيل للخلق اليه بل الغاية القصوى معرفة
صفاته السلبية وصفاته الاضافية اما الصفات السلبية فهي المسماة بصفات الجلال واما
الصفات الاضافية فهي المسماة بصفات الاكرام فمن وصف الله تعالى بقوله يا ذا الجلال والاكرام صار
كانه وصف الله تعالى بجميع ما يعرف به من صفات كماله كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام
ثم انه تعالى لما اجاب عن مقال عجب من الله تعالى ان يخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة وهو من افناء
الناس لا من عظمائهم بقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم اجاب عن قول من
قال من منكري النبوة عليه الصلوة والسلام اللهم ان كان محمد صادقا في ادعاء الرسالة فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فقال ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لاهلكوا
من ساعتهم لان تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ما يستعجلونه من العذاب ولا يقتضي حكمته في اماتتهم عاجلا
لانهم ربما امنوا بعد ذلك او يخرج من اصلابهم من يؤمن فلذلك لم يعجل الله تعالى ما استعجلوه من الشر
والعذاب بل تركهم في طغيانهم يعمهون اي لاهين واستدراجا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته و
الاستعجال طلب العجلة فلذلك فسر قوله ولو يعجل الله للناس الشر بقوله ولو يسرعه اليهم قوله
وضع موضع تعجيله لهم بالخير يعني ان المقصود بيان انه تعالى لو يعجل لهم الشر الذي استعجلوه كتعجيله لهم
ما استعجلوه من الخير لوقع خلاف ما يقتضيه الحكمة وهو اماتتهم واهلاكهم في الحال فمقتضى الظاهر ان
يقال ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير على ان قوله
حين استعجلوه اي الشر ظرف لقوله يعجل الله وقوله استعجالا مصدر استعجلوه وقوله كاستعجالهم
بالخير صفة للمصدر المذكور والمقصود تشبيه تعجيل الشر لهم حين استعجلوه استعجالا مثل استعجالهم بالخير
تعجيل الخير لهم حين استعجلوه فان الانسان قد يدعو على نفسه او على غيره بالهلاك عند الغضب كما قال تعالى
ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا فقال تعالى لو استجيب لهم في دعائهم بالشر
لانه

قوله وضع موضع تعجيله لهم بالخير دفع لما يتراءى على ظاهر نظم الاية من الاشكال وهو ان الظاهر ان يشبه التعجيل بالتعجيل والاستعجال
بالاستعجال وليس لتشبيه تعجيل الشر باستعجالهم الخير كما هو المفهوم من ظاهر الاية معنى محصل يعتد به فدفعه بان اصل النظم تعجيله بالخير
فوضع موضعه استعجالهم بالخير لنكتة هي الاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم الخير فان استعجالهم متقدم على تعجيله زمانا لترتبه عليه

لانه لو استجيب لهم في ذلك لهلكوا في الحال وهو خلاف ما يقتضيه الحكمة الا انه يعجل لهم الخير حين استعجلوه
فانهم اذا دعوا الله بالرحمة والعافية والفرج يستجيب دعاءهم فيرزقهم ويكشف عنهم ما هم فيه من
الضر والشدة واستعجالهم الشر ذكر في ايات منها ما حكي عن النضر بن الحارث من قوله اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومنه قوله تعالى سأل سائل بعذاب
واقع وقوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب الى غير ذلك فقال تعالى ولو يعجل
الله للناس الشر استعجالهم بالخير فقوله استعجالهم بالخير صفة مصدر محذوف حذف مع عامله الذي هو
استعجلوه في قوله حين استعجلوه وهو ظرف لقوله يعجل الله وحذف ايضا ما شبه به تعجيل الشر للناس
وهو تعجيل الخير لهم ووضع موضعه قوله استعجالهم بالخير وعبر عن تعجيل الخير باستعجال الخير وجعل مشبها به تعجيل
الشر مع ان المقصود تشبيه التعجيل بالتعجيل لا تشبيه التعجيل باستعجال الخير ومن المعلوم ان العدول
عن الظاهر لا بد له من فائدة وذكر المص له فائدتين الاولى الاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم حيث عجل
لهم الخير كما استعجلوه حتى صار استعجالهم الخير كانه عين تعجيل الله تعالى لهم ذلك فلذلك عبر عنه باستعجالهم بالخير
والثانية الاشعار بان المراد من الشر المعبر عنه في جانب المشبه هو الشر الذي استعجلوه حيث عبر
في جانب المشبه به باستعجال الخير بدل تعجيله قوله عطف على فعل محذوف يعني ان الفاء في قوله فنذر عطف
يستدعي معطوفا عليه ولا يجوز ان يكون نذر معطوفا على قوله يعجل ولا على قوله لقضي اذ لو كان كذلك
لدخل في امتناع الذي تقتضيه كلمة لو وتركهم في طغيانهم يعمهون ليس بممتنع بل هو واقع فتعين
كونه معطوفا على فعل محذوف دلت عليه الشرطية فان قوله تعالى ولو يعجل الله يتضمن معنى نفي التعجيل
كانه قيل ولا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم اذ لا اصلاح في اماتتهم واهلاكهم اذ ربما امنوا
بعد ذلك او ربما خرج من اصلابهم من يكون مؤمنا وذلك يقتضي ان لا يعاجلهم الله تعالى بايصال
الشر اليهم المستلزم لاماتتهم واهلاكهم بناء على ان تركيبهم في هذه الدنيا لا يحتمل العذاب
المتوعد به وسمي العذاب في هذه الاية لانه اذى مكروه في حق المعاقب كما انه تعالى سماه سيئة
في قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ثم انه تعالى لما ذكر ان اهل مكة وان كانوا يستعجلون نزول
العذاب عليهم الا انه تعالى لا يعجله لهم اذ لا مصلحة في اهلاكهم عاجلا بين بقوله واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه الاية انهم كاذبون في استعجال العذاب وطلب نزوله عليهم عاجلا بناء على
انه لو نزل بالانسان ادنى شيء يكرهه ولا يصبر عليه بل يتضرع الى الله تعالى في ازالته عنه وذلك
يدل على انه ليس بصادق في هذا الاستعجال قوله تعالى لجنبه في محل النصب على انه حال من فاعل
دعا ولذلك عطف عليه الحال الصريحة والتقدير دعانا مضطجعا لجنبه او ملقيا لجنبه واللام على
بابها وقيل انها بمعنى على وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار

والمعنى على الاول دعانا مضطجعا او قائما او قاعدا اى دعانا في جميع احواله لا زالته لا
يفتر عنه في حال ما من احواله وعلى الثاني دعانا لجميع اصناف الضر يلتى لجنبه عاجزا عن
القعود او قاعدا لا يقدر على القيام او قائما لا يقدر على القعود والاضطجاع فانه لا يستغنى عن
الدعاء في شيء من انواع هذا الضر فان من الضر ما يغلب الانسان ويجعله صاحب فراش "
يضطره الى الاضطجاع ومنه ما يكون اخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما
يتمكن الانسان معه على القيام لا غير **قوله** كانه لم يدعنا اذ ضمير الشان لان حق الحروف
المشبهة بالفعل الدخول على المبتدا او الخبر سواء عملت او الغيت بالتخفيف لا يبطل الا العمل فيكون
باقيا على ما هو حقه من الدخول على المبتدا او الخبر وعلى هذا لا حاجة الى الضمير الشان في قوله كان
ثدياه حقان فان المختار به ليس الا الجر د بطلان العمل بالتخفيف والخبر المصدر وضمير ثدياه يرجع الى
النحر وحقان خبره حقه والاصل حقتان بحذف التاء على خلاف القياس وخفف كان
فبطل عمله حيث روى ثدياه بالالف ويروى ثدييه بالياء على اعماله مع الفاية التخفيف وهو شاذ
وقوله تعالى كان لم يدعنا في محل النصب على انه حال من فاعل مر اى مضى على طريقته متشابها بمن لم يدع
الى كشف ضره **قوله** مثل ذلك التزيين اشارة الى ان الكاف في كذلك اسم منصوب المحل على انه
صفة مصدر محذوف لزين والمراد بالتزيين تزيين الاعراض من التضرع والانهماك والانهماك
في الشهوات حين المكشوف الضر عنه سمى الكافر مسرفا لكونه مسرفا في امر دينه متجاوزا
عن الحد في الغفلة عنه فانه لا شبهة في ان المرء كما يكون مسرفا في الانفاق فكذا يكون مسرفا
في اتباع الهوى وتضييع العمر فيما لا يعنيه بل يضره لان من بذل ما انعم الله عليه من الحواس والعقل
والفهم والقدرة لاكتساب السعادات الباقية الابدية لتحصيل لذائذ الدنيا وطيباتها "
الخسيسة كان في انفاق اشياء عظيمة كريمة لاجل ان يفوز باشياء حقيرة خسيسة فوجب
ان يكون من المسرفين ثم انه تعالى لما ذكر انه لا يعجل للناس الشر حين استعجلوه بل يذرهم
في طغيانهم يعمهون انزل ما يجري مجرى التهديد لهم فقال ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الاية
فيرتدعوا عن انكار النبوة واستعجال الشر بمثل قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية
من انزل بهم عذاب الاستئصال كما نزل بمن قبلهم من المكذبين **قوله** او عطف على ظلموا بالتكذيب
واصروا عليه بحيث لم يبق فائدة في امهالهم فيكون السبب في اهلاكهم مجموع هذين الامرين فان "
ظلمهم عبارة عن احداثهم التكذيب وما يتفرع عليه وقوله وجاءتهم رسلهم وما كانوا ليؤمنوا "
عبارة عن اصرارهم على التكذيب بحيث لا فائدة في الامهال **قوله** واللام لتاكيد النفي فان لام
الجحود لا بد ان يتقدمها كون منفي وان يكون في خبر كان محذوفا فيكون هذه اللام بذلك الخبر المحذوف

والفعل

قوله او عطف على ظلموا اردهنا بان يجيء الرسل لا يطلع سيا [illegible] العطف يقتضي ذكر لا يستقيم وانت خبير بان هذا الا رد على الجمهور لانهم جعلوا الا بمعنى حين لا للتعليل ومن جعلها لو ان يقول لمجعل السببية باعتبار تقديره بما عطف عليه وهو وما كانوا ليؤمنوا فان ماله اصرارهم على التكذيب وهو السبب للاهلاك لا مجرد التكذيب مع احتمال الايمان فيما يستقبل من الزمان [illegible]

١٥٤

والفعل الواقع بعد هذه اللام منصوبا باضمار ان عند البصريين فيكون ان مع ما في حيزها في تاويل
المصدر والتقدير وما كانوا امريدين لايمانهم ونفي ارادة الفعل ابلغ من نفي نفس الفعل وهو المراد
بقوله واللام لتاكيد النفي ان نفي ارادة الفعل مستفاد من اللام وعند الكوفيين الفعل الذي بعد
اللام منصوب بنفس اللام لا باضمار ان واللام مع ما بعدها في محل النصب على انه خبر كان ولا
يقدرون شيئا محذوفا ويجعلون اللام مزيدة للتاكيد مكان المصدر الا له مذهبهم **قوله** الخلائف
من بعدهم اشارة الى جواب ما يقال قوله تعالى في هذه الاية ثم جعلناكم خلائف لننظر كيف تعملون يشعر
بانه تعالى ما كان عالما باحوالهم قبل استخلافه اياهم وانه يحتاج في العلم بها الى الاختبار والامتحان
وانه محال وتقرير الجواب ان المراد منه انه تعالى يعاملهم معاملة من يطلب العلم بما يكون "
منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة وان
الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وعن قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا الا لينظر
الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية
المرتبة على استعارة تصريحية تبعية اما كونه من قبيل الاستعارة التمثيلية فظ لانه تعالى منزه عن
حقيقة الاختبار لكنه شبه استخلافهم على الوجه المذكور بمعاملة من يختبر فاخرج كلامه على
صورة كلام المختبر وكونها مرتبة على استعارة تصريحية تبعية فلان النظر في اللغة عبارة عن
تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته ولا شك انه مستحيل في حقه تعالى فلا بد ان يجعل النظر في حقه
تعالى مستعارا للعلم المحقق الذي لا يتطرق اليه شك ولا شبهة بان يشبه هذا العلم بنظر الناظر "
وادراك عين المرئي على سبيل المعاينة والمشاهدة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل
الاستعارة التصريحية فلما اشتق من النظر بهذا المعنى المجازي لفظ ينظر سرت الاستعارة
التي في الماخذ الى المشتق منه **قوله** وفائدته اي فائدة ايراد كيف مع ان الاحوال تعالى ينظر
علكم اي هو خبر الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال فان كيف للسؤال عن الحال
فكانه قيل لننظر على اي حال تعملون ثم انه تعالى ذكر نوعا ثالثا من كلماتهم المبنية على طعنهم في
نبوته عليه الصلوة والسلام واجاب عنه وهو قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الاية
روي ان خمسة نفر من الكفار كانوا يستهزؤن بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران فقتل الله
كل واحد منهم بطريق كما قال انا كفيناك المستهزئين وهذه الاية نزلت في حقهم وقوله
تعالى لا يرجون لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين الحشر والقيمة فتر غريبة القران الذي "
اقترحوه لهذا القران المنزل بان لا يكون القران المقترح على ترتيب هذا القران المنزل ونظمه
ويكون خاليا عما استبعدوه من امر البعث والجزاء او عما استكرهوه من ذم آلهتهم وتحقيرها

قوله وعلمه بانهم يعرفون عن كفرهم [illegible]

وفسر التبديل بان يكون هذا القران المنزل باقيا على نظمه وترتيبه لكن يوضع مكان الايات الدالة
على ما استبعدوه واستنكروه ايات اخر موافقة لهواهم وطريقتهم حتى يرد ان يقال ان فرقا بين
تغيير القران المنزل وتبديله بغيره حتى يرد بينهما كلمة او الدالة على الترديد والتخيير قوله ولعلهم
سألوا ذلك بعضهم اليه قبل نزوه كانه جواب عما يقال كيف يصح من الكفار ان يقترحوا منه ان
ان يأتي من قبله بكتاب موافق لما يشتهونه وهم عقلاء جازمون باستحالته وكذا جازمون
باستحالة ان يكذب نفسه وياتي بما اقترحوه من قبل نفسه وتقرير الجواب انهم اقترحوا منه عليه
الصلوة والسلام احد الامرين على طريق التخيير مع علمهم باستحالة كل واحد من الامرين طمعا
منهم في ان يسعفهم الى اتيانه من قبل نفسه فيلزموه بان يقولوا قد تبين لنا انك كاذب في
دعوى ان ما تقرؤه علينا كلام الله وكتاب سماوي اوحي اليك بواسطة الملك وانك تقوله من عند
نفسك وتفتري على الله كذبا ويحتمل ان يقولوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء لا على سبيل الجد
قوله وهو مصدر بمعنى ان التلقاء مصدر كاللقاء على وزن تفعال ولم يجئ مصدر بكسر التاء الا
هذا والتبيان وقرئ شاذا بفتح التاء وهو القياس في المصادر الدالة على التكرار كالتطواف و
التجوال ويستعمل ظرف مكان بمعنى التلقاء والتجاه فينتصب انتصاب الظروف المكانية قوله
وجواب للنقض اي لقولهم كيف يصح لك ان تقول ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وقد رأيناك تما
برأ على حرمة شيء بعد ان كان مباحا له او بالعكس وما هو الا تبديل فقوله تعالى ان اتبع الا ما
يوحى جواب عن هذا النقض قوله ولذلك اي ولكون قولهم ائت بقران غير هذا او بدله متضمنا ذكروه
بطريق التعريض بقولهم ائت بقران غير هذا او بدله جعل التبديل خوفا في جواب سؤالهم وسماه
عصيانا ومن خاف من التبديل كيف يصح ان يسند اليه عليه السلام ما نظم من قبل نفسه فان كان التبديل
عصيانا موجبا للعذاب يكون اختراعه كذلك قوله لو شاء الله غير ذلك اي لو شاء الله ان
لا ينزل القران على غير هذا النظم المتلو ما قرأته عليكم بهذا النظم ولا اعلمكم الله تعالى على هذا
الوجه المعهود يقال دريت الشيء اي علمته وادريته اي غيري اي اعلمته من الدراية بمعنى
العلم روي عن سيبويه انه قال يقال دريته ودريت به ثم قال والاكثر ان يتعدى بالباء ويدل
عليه قوله تعالى ولا ادريكم به حيث عداه بالباء ولم يقل ولا ادريكموه قوله وقرئ ولا درأكم
بهمزة مفتوحة واسناد الفعل الى ضمير الغائب وقرئ ايضا ولا درأتكم بهمزة ساكنة
واسناد الفعل الى ضمير المتكلم ودرأ ان كان من الدراية يكون همزته منقلبة من الالف
المبدلة من الياء فان ادرأ اصله ادري قلبت الياء الفا ثم قلبت الالف همزة على لغة من
يقلب الالف المبدلة من الياء همزة واصل ادرأتكم ادريتكم قلبت الياء الفا على لغة من يقلب

قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بما في حيز الصلة من المقابحة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا على الله بما قالوا لانكارهم البعث واعتقادهم ان لا يوم يلقاهم من بعد ذلك انتهى سعدي

قوله وهو مصدر استعمل ظرفا ان اراد انه يستعمل ظرفا في موضع آخر فمسلم يقال جلست تلقاء فلان اي حذاءه وتوجهت تلقاءه اي جانبه وان اراد انه استعمل هنا ظرفا فلا لان ذلك اسم لا ظرف بدليل دخول حرف الجر عليه اللهم الا ان يراد به كونه بمعنى المكان مع كونه مصدرا في الاصل بمعنى اللقاء ذكره الجوهري وقيل اسم من اللقاء ذكره صاحب القاموس

[illegible]

١٥٥

تقلب الياء الساكنة المفتوح ما قبلها الفا ثم تقلب تلك الالف همزة وان كان من الدرء
بمعنى الدفع يكون همزته اصلية يقال درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا اي دافعا
وفي الحديث ادرؤا الحدود ما استطعتم قوله تعالى عمرا مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه
اي مدة متطاولة هي اربعون سنة فانه عليه الصلوة والسلام لبث فيهم قبل الوحي اربعين سنة
ثم اوحي اليه فاقام بمكة بعد الوحي ثلث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين و
توفي وهو ابن ثلث وستين سنة روى انس انه عليه الصلوة والسلام اقام بمكة بعد الوحي عشر
سنين وتوفي وهو ابن ستين سنة والاول اشهر واظهر قال ابن عباس في تفسير هذه الاية
لقد لبثت فيكم اربعين سنة لا احدثكم بشيء من القران ولا انبئكم به افلا تعقلون انه ليس من قبلي
قال الامام انما اقترحوا منه احد الامرين لاجل انهم اتهموه بانه هو الذي يأتي بهذا الكتاب من عند
نفسه لا من جهة الوحي فدفع هذا الوهم بانهم شاهدوه من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين
باحواله وانه ما طالع كتابا ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاء بهذا
الكتاب العظيم الذي عجز عن معارضته البلغاء والفصحاء وكل من كان له عقل سليم فانه يعرف
ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحي والالهام من الله تعالى وهذا خلاصة ما ذكره المص قوله
تفاديا مما اضافوه اليه كناية اي احترازا مما اضافوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ائت بقران
غير هذا وهو ما زعموا انه عليه الصلوة والسلام نظم هذا القران من عند نفسه ثم قال انه من عند
الله افتراء عليه فان قولهم ائت بقران غير هذا او بدله كناية عنه فقوله عليه الصلوة والسلام فمن
اظلم ممن افترى اي من اظلم منكم بتكذيبكم بايات الله وافترائكم بنسبة الشريك والولد اليه قوله
او تظليم عطف على قوله تفاديا اي ويجوز ان لا يكون المقصود منه التبرؤ عما اضافوا اليه بل المقصود
تظليمهم بنسبة الافتراء والكذب فكانه قيل اني لم افتر على الله ولم اكذب عليه وانتم قد فعلتم
ذلك حيث زعمتم ان لله شريكا وولدا وعبدتم الاوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عند
الله تعالى قوله تعالى او كذب باياته يؤيد الثاني وقوله تعالى ويعبدون من دون الله عطف على قوله
قال الذين لا يرجون لقاءنا او حال من فاعل قال يقترون وهم يعبدون ككونه واحكوجهه
ابدانا اصكارا ومستأنف لتقبيح فعلهم بعد بيان قباحة قولهم وهو الاولى قوله يعني من امور
الدنيا لانهم كانوا لا يقرون بالمعاد قوله وهو ان له شريكا او هؤلاء شفعاء عنده يعني ان
كلمة ما في قوله بما لا يعلم موصولة وعائدها مجرور والمعنى اتنبئون الله بالذي لا يعلمه الله كائنا
في السموات والارض وان كلمة ما عبارة عن ان له تعالى شريكا المدلول عليه بقوله تعالى و
يعبدون من دون الله او عن ان هؤلاء شفعاء واذا لم يعلم الله شيئا استحال وجود ذلك الشيء

[illegible]

لانه تعالى لا يعزب عن علمه شيء وذلك الشيء هو ان يكون له تعالى شريك او ان يكون ذلك الشريك شفيعا
لهم في الدنيا او في الاخرة كانه قيل اتخبرون الله بما يختفي ما يستحيل وجوده وهو ان يكون له تعالى شركا
في استحقاق العبادة او يكون هؤلاء شفعاء عند الله فان شانا من ذلك لو كان موجودا لعلمه الله تعالى
استحال وجوده **قوله** وفيه تقريع وتوبيخ اي في قوله تعالى اتنبئون الله بما لا يعلم تقريع لهم وتهكم
حيث نزلوا منزلة من يخبر علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركاء والشفعاء
عنهم عند الله واعلام ببطلانه واستحالته بان ما لا يتعلق علمه به لم يكن شيئا اصلا والتقييد
بالسموات والارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف **قوله** عن اشراكهم على ان يكون كلمة
ما في قوله عما يشركون مصدرية وقوله او عن الشركاء على ان يكون موصولة بمعنى الذي ومن
قرا تشركون بتاء الخطاب جعل الكلام موافقا لقوله اتنبئون الله وقرا الجمهور بياء الغيبة على
وفق قوله يعبدون ويقولون وانما اتى تشركون مضارعا دون الماضي تنبيها على استمرار حالهم
وعلى انهم على الشرك في المستقبل كما كانوا عليه في الماضي ثم انه تعالى لما نزه ذاته عن ان يكون له
شريك بين ان الناس كانوا امة واحدة موحدين على الفطرة من غير اختلاف بينهم وقيل
كانوا متفقين على الدين الحق وملة الاسلام وذلك كان في عهد آدم عليه الصلوة والسلام الى ان
قتل قابيل هابيل فحدث بذلك ما ليس في ملة الاسلام وقيل كان ذلك في زمن نوح عليه الصلوة والسلام
بعد الطوفان حين لم يبق على وجه الارض من الكافرين ديارا فان الناس كانوا حينئذ متفقين
على الدين الحق الى ان ظهر الكفر فيهم واختلفوا بان اتبع بعضهم هواه وقيل كانوا امة واحدة
متفقين على الضلال في فترة من الرسل فعلى هذا القول يكون المقصود من هذه الاية تسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم في اباء المشركين عن قبول دعوته الى التوحيد كانه قيل كيف تطمع
في اتفاق الناس كلهم على الايمان والحال انهم كانوا متفقين على الكفر والضلال وانما حدث
الاسلام في بعض منهم بعد ذلك وعلى القول الاول توبيخ اعتقاد المشركين وتنفيرهم عما هم
عليه من الشرك والضلال فان العرب اذا علموا ان ما هم عليه من الدين ليس دينا قديما وانه
انما حدث بعد ان لم يكن لم يتعصبوا لنصرته ولم يتاذوا بتزييفه وابطاله **قوله** فاختلفوا
باتباع الهوى مبني على ان يكون المراد بكون الناس امة واحدة كونهم مخلوقين على فطرة الاسلام
او كونهم متفقين على ما هو الحق من الاديان فان من اتبع هواه فقد خالف من لم يضيع فطرته
واتبع سبيل الرشاد وكذا من اتبع الاباطيل من الاديان فقد خالف من اتبع الدين الحق وقوله
او بعثة الرسل مبني على ان يكون المراد به اتفاقهم على الضلال في فترة الرسل ثم انه تعالى لما
وقع الاختلاف بينهم ناسب ان يعجل الحكم بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك المبطلين وابقاء المحقين
او

او بتعذيب المصرين على الضلال بعد بعثة الرسل واثابة المهتدين بطاعتهم اجاب الله تعالى عنه
فقال ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم والجزاء الى يوم القيمة ليتميز به دار التكليف عن دار
الجزاء لقضي بينهم عاجلا قوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية نوع رابع من مقالاتهم المتفرعة
على انكار النبوة كان اهل مكة يقترحون شيئا آخر سوى القران ليكون معجزة له عليه الصلوة والسلام
مثل اليد والعصى وقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر الايات بناء على ان ما
يزعمه بعضهم من ان القران يمكن معارضته كما اخبر الله عنهم من قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا **قوله**
بجحودكم ما انزل عليه من الايات العظام التي اعظمها واجلها القران العظيم فان ظهور مثل هذا الكتاب
الشريف من مثل ذلك البشر الذي نشاء فيما بينهم ولبث فيهم اربعين سنة لم يطالع كتابا ولم
يتلمذ لاستاذ ولم يتعلم حرفا ولم يصاحب عالما لا يكون الا بالوحي **قوله تعالى** واذا اذقنا الناس
رحمة الاية جواب ثان عن قول اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه وتقريره ان مشركي مكة عادتهم
المكر واللجاج والعناد وعدم الانصاف لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين ثم رحمهم وانزل
الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانواء والكواكب والى الاصنام واذا
كان كذلك فتقدير ان يعطوا ما سالوه من انزال المعجزات اخر فانهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم
وعنادهم وانما ينفع انزال الايات عليهم ان لو كان غرضهم من اقتراحها الخشية وطلب اليقين
ولكن ليس كذلك بل غرضهم منه التعنت واللجاج ولو اعطوا جميع ما اقترحوه من المعجزات الباهرة القاهرة
لا يقبلونها والحيا المطر العام ويكنى به عن الخصب والانواء جمع نوء وهي ثمانية وعشرون منزلا
ينزل القمر كل ليلة في منزل منها ويسقط في المغرب نجم واحد من تلك المنازل الثمانية والعشرين
في كل ثلثة عشر يوما مع طلوع الفجر ويطلع رقيبه من المشرق في ساعته في مقابلة ذلك الساقط
وهذا في غير الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وينقضي الجميع مع انقضاء السنة اي مع انقضاء ثلثمائة
وخمسة وستين يوما يقال ناء ينوء نوءا اي نهض بجهد ومشقة وناء اي سقط ايضا وهو من
الاضداد ويقال ناء بالحمل اذا نهض به مثقلا وانما سمي النجم نوءا لانه اذا سقط الساقط منها
بالمغرب فالطالع ينوء بالمشرق اي ينهض ويطلع وقيل انما سمي نوءا لسقوطه وغروبه قال
ابو عبيد ولم نسمع في النوء انه السقوط الا في هذا الموضع وكانت العرب تضيف الامطار والرياح
والحر والبرد الى الساقط منها قال الاصمعي الى الطالع منها في سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا فلما
انجاهم الله تعالى من القحط بانزال المطر على اراضيهم ليتم الامر على ابائهم واضافوا ذلك المطر
الى الانواء لا الى الله تعالى لئلا يشكروا الله تعالى ولا يؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم في ايات الله تعالى
قوله قد دبر عقابكم قبل ان يدبروا كيدكم يعني ان ما ياتيهم من العقاب اسرع في اهلاكهم مما اتوه

قوله حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر كان الظاهر ان يقال حتى يقصد عبادته بجلب نفع وعدم عبادته بترك الاثابة لكونه في الكلام تصريح بترتب المترتبة على العبادة ثم والثواب المترتب على تركها ووجه اختياره ان العبادة تقتضي جواز الاثابة ودفع ضر يترتب على تركها وكل منهما يتبع العبادة في الكلام اشارة الى العقاب ايضا وكلمة او ليست للترديد بل للترديد والتنويع سنان

وقال اخرون من عهد ابرهيم عليه الصلوة والسلام الى ان غير عمرو بن لحي فاختلفوا في الدين فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله تعالى وما كان الناس العرب خاصة الامة واحدة بهذه الاية بيانا ويكون التقليل انه تعالى بين فيها قبح فساد القول بعبادة الاصنام ويتبين في هذه الاية ان هذا المذهب ليس مذهب العرب من اول الامر بل كانوا على دين الاسلام وهو دين ابرهيم وليس فيه عبادة الاصنام وانما حدث فيهم هذا المذهب بتسويل الشيطان واتباعه من الاثام والغرض منه انهم اذا علموا ان هذا المذهب ما كان اصلا فيهم وانه انما حدث بعد ان لم يكن لم يتعصبوا لنصرته ولم يتاذوا من تزييف هذا المذهب وابطاله سنانه

نزل المراد بالايات من كتاب ربك كما نزل عليه بالعذاب ينزلوا ولو انزلنا بالعذاب بان دعا صلى الله عليه وسلم عليهم فقحطوا سبع سنين فاتاه ابو سفيان وقال ادع لنا بالخصب فان اخصبنا صدقناك فدعا الله تعالى فخصبوا ولم يصدقوا وانت خبير بان لا دلالة لهذا على اختصاص سخطنا بل بعم غيرهم ايضا ممن كانوا على صنفهم سنان

ثم ان كلا من الاذاقة والمس استعارة وان في الاية دليلا على سرعة تقلب بني ادم من حالة الخير الى حالة الشر سنان

من المكر في ابطال القرآن والنبوة روي عن مقاتل انه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم في اياته
بعقاب ذلك اليوم فكان اسرع في اهلاكهم من كيدهم في اهلاكه عليه الصلوة والسلام وابطال اياته
قوله وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة في جوابها لكن وصف الله تعالى نفسه بكونه اسرع مكرا
مع ان سرعة مكره انما يكون مفضلة بالنسبة الى سرعة المفضل عليها ولم يصفهم بسرعة المكر حتى يعين
مكره بكونه اسرع من مكرهم وتقرير الجواب ان كلمة اذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وقعت جوابا
للشرط وهي تدل على سرعة مكرهم فيتفضل سرعة مكره تعالى على سرعة مكرهم كانه قيل واذا رحمناهم
من بعد ضراء مستهم فاجاوا في وقت اذاقة الرحمة وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان ينفضوا
من رؤسهم غبار ضراء والمعنى انه تعالى قد دبر امر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيدكم في اطفاء
نور الاسلام والله تعالى منزه عن حقيقة المكر الا انه اطلق لفظ المكر على استدراجه اياهم على سبيل
الاستعارة او سمي جزاء المكر مكرا للمشاكلة قوله وعن يعقوب يمكرون بياء الغيبة ليوافق ما قبله من قوله
اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم ولهم وقرا الباقون بتاء الخطاب مبالغة في الاعلام ولمناسب قوله قل
الا اذ التقدير قل لهم لما اوعدهم الله تعالى بقوله قل الله اسرع مكرا اوعدهم بعقاب الاخرة فقال ان
رسلنا الاية والمراد بالرسل الحفظة وقوله ان رسلنا التفات اذ لو جرى على اسلوب قوله قل الله لقيل
ان رسله قوله وقرا ابن عامر ينشركم بفتح الياء وسكون النون من النشر وهو التفريق و
البسط الذي هو ضد الضم والطي وقرا الباقون يسيركم من التسيير والتضعيف فيه للتعدية
يقال سار الرجل وسيرته انا قوله يحملكم على السير فسر التسيير بحملهم على السير وتمكينهم منه ليصح جعل
كونهم في الفلك غاية متاخرة عنه حقيقة التسيير ليست متقدمة على كونهم في الفلك حتى يصح جعله غاية
له وصاحب الكشاف حمل التسيير على حقيقته واجاب عن لزوم كون ما هو المتقدم على الشيء غاية متاخرة
عنه بان الغاية ليست مجرد الكون في الفلك بل الغاية هي الكون في الفلك مع ما عطف عليه من قوله
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فان هذا المجموع غاية متاخرة عن السير في البحر وضمير جرين للفلك
لانه جمع مكسر اشار اليه المص بتفسيره بالسفن والجمع المكسر لا بد ان تكون صيغته مغايرة لصيغة مفرده
والمغايرة ههنا تقديرية بناء على ان ضمته كضمة اسد وبدن وان ضمة مفرده كضمة قفل وقرب و
نكتة الالتفات في قوله بهم المبالغة في التقبيح والانكار عليهم كانه يذكر لغيرهم حالهم ليتعجبهم منها ويحملهم
على الانكار والتقبيح وعصوف الريح شدة هبوبها قوله يجيء الموج منه صفة مخصصة لقوله كل مكان قوله
وهو بدل من ظنوا لان دعاءهم ملابس لظنهم الهلاك ملابسة الملزوم ويجوز ان يكون مستانفا على انه
جواب لمن قال ماذا كان حالهم اذ ذاك فقيل دعوا الله وقوله تعالى لئن انجيتنا موطئة للقسم المحذوف
ولنكونن جواب القسم وجوابه في محل النصب بقول مقدر وذلك القول المقدر في محل النصب على الحال

وجرين يجوز ان يكون معطوفا على كنتم وان يكون حالا بتقدير قد
سلمه
التعدية الباء في قوله وجرين بهم او للملابسة فيكون حالا
روح

١٥٧

والتقدير دعوا مخلصين لئن انجيتنا من هذه الريح العاصفة او من هذه الامواج المتلاطمة والشدائد
الهائلة لنكونن من الشاكرين على نعمة الانجاء باتباع اوامرك والاجتناب عما نهيتنا عنه ولاتباعك
الشرك وعبادة غيرك فان اخلاص الدين والطاعة لله تعالى عبارة عن ترك الشرك وعبادة غيره
تعالى قيل هذا الاخلاص ليس اخلاصا مبنيا على الايمان بل هو لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا هو الا انه
يكون جاريا مجرى الايمان الاضطراري فانهم يدعون مع الله ما يعبدون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يدعوا
الا الله على سبيل الاضطرار وقيل المراد بذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا فان تفسيره يا حي يا قيوم قوله
فاجاوا الفساد فيها يعني ان البغي وان كان يستعمل بمعنى الطلب يقال بغاه اي طلبه الا انه يبغون ههنا
بمعنى يفسدون ويكذبون الحق ويجترؤن على الله بمخالفته وعصيانه قوله وهو احتراز عن تخريب المسلمين
ديار الكفرة فانه وان كان افسادا في الارض بازالة صلاحها وصلاح ما فيها وابطال ما منها الا انه ليس
مما يذم به فاعله لكونه افسادا بحق والذي يذم به انما هو البغي بغير حق ووجه اتصال قوله تعالى هو الذي
يسيركم في البر والبحر الاية بما قبله انه تعالى ذكر قبله انه تعالى ذكر قد يبتلي الانسان بشيء من الضراء عقوبة
معجلة ثم انه تعالى اذا اذاقهم رحمة وكشف عنهم ما هم فيه من الضراء سارعوا الى القدح في ايات الله تعالى
وكيد رسوله لخبث باطنهم وكون ما وقع منهم من التضرع الى الله تعالى واخلاص الدين له انما هو من شدة
الخوف على سبيل الاضطرار ثم انه تعالى اوضح حالهم بان ذكر مثالا شبيها لافعالهم هو الذي يسيركم في البر و
البحر وبين انه تعالى قد يعطي الانسان سؤله فانه اذا ركب السفينة ووجد ريحا طيبة موافقة لمقصوده
حصل له مسرة عظيمة ثم قد تظهر له احوال شديدة كالرياح العاصفة والامواج المتلاطمة بحيث
يغلب على ظنهم انهم قد هلكوا ويقطعون بانه لا يقدر على كشف هذا الضراء الا الله تعالى فيتوجهون اليه
بالتضرع والدعاء ثم اذا انجاهم الله تعالى من هذه البلية العظيمة نسوا نعمة الانجاء ورجعوا الى ما الفوه
من الاخلاق الخبيثة والعقائد الباطلة فهذه الحال محققة واقعة بين اهل البغي من الناس شبيهة بحال
اهل مكة حين ما قحطوا سبع سنين ثم رحمهم الله تعالى بانزال الحيا على اراضيهم فطفقوا يقدحون في ايات
الله تعالى ويكيدون رسوله ثم انه تعالى بين ان البغي باطل لا يليق بالعاقل لانه يحوم حوله فقال يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم كلمة ان في قوله انما مكفوفة عن العمل وبغيكم مرفوع على الابتداء بتقدير المضاف و
قوله انفسكم خبره والتقدير ان وبال بغيكم واقع على انفسكم راجع اليها وقوله متاع الحيوة الدنيا مرفوع على
انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك البغي متاع يتمتعون به في الحيوة الدنيا ولا يبقى ويبقى عقابه فالمراد بالانفس
ذوات المخاطبين وعلى قوله او انه على امثالكم وابناء جنسكم يكون المراد بالانفس امثال المخاطبين عبر
عن امثالهم بانفسكم للاتحاد بينهم في الجنسية كما في قوله تعالى فاقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم ولا تقتلوا انفسكم
والمعنى انما بغي بعضكم على بعض وما تنالونه منه انما تتمتعون به في الحيوة الدنيا فما هو الا متاع الدنيا فقط

قوله مبطلين ان رفع الى
ان يفسر حين قال يعني
ملتبسين بغير الحق
سلمه

فيكون معنى البغي قصد الاستعلاء
بالظلم وقال الزجاج البغي الترفع
في الفساد والحسد من البغي
الشعر يقال بغى الرجل على الرجل
استطال وبغت السماء اشتد
مطرها وبغي الوالي ظلم وكل
مجاوزة وافراط على المقدار
الذي هو حد الشيء فهو بغي
سلمه

فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة
حقيقة مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية
التي يظهر بها في النشأة الاخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن
الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وان ورد بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بمتمتع في الحقيقة بل هو تنفر من حيث الحقيقة وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على تلك من الصورة وهو المراد من التنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم الخ

هذا ان يكون قوله على انفسكم صلة البغي متعلقا به ويكون متاع الحيوة الدنيا خبر قوله بغيكم وقرأ حفص متاع
الحيوة الدنيا بالنصب على انه مصدر فعله المحذوف فيكون بغيكم مبتدأ وعلى انفسكم خبره اي بغيكم وبال على
انفسكم تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او على انه مفعول بغيكم وقوله على انفسكم صلة بغيكم متعلق به والخبر محذوف
اي بغيكم متاع الحيوة الدنيا ضلال او محظور او على انه مفعول فعل دل عليه البغي اي بغيكم وبال على انفسكم
تبغون متاع الحيوة الدنيا ثم انه تعالى بعد ما بين ان البغي متاع الحيوة الدنيا عقبه بتمثيل الحيوة الدنيا في
سرعة تقضيها وانقراض نعيمها مع بهجته وزينته بحال نبات الارض النابت بماء المطر في سرعة جفافه
وذهاب حطامه بعد اخضراره وغضاضته ورونقه قبل انتفاع الناس به لتغير العقلاء وهو من التشبيه
المركب فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي حالها العجيبة فلا شبهها بالمثل السائر في الغرابة قوله مما يأكل الناس
حال من النبات اي كائنا مما يأكل وحتى كلمة غاية فلا بد لها من شيء ممتد من شأنه ان يستمر ويبقى الى الحد
وهو الاختلاط ههنا كأنه قيل اختلط نبات الارض بسبب الماء الى ان يأتيه امرنا حين ما اخذت الارض
زخرفها وتزينت وقوله اخذت الارض زخرفها استعارة بالكناية شبهت الارض بالعروس في
جعلها آخذة زخرفها كالعروس التي اخذت ثيابها الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بانواع الزينة
والحلي واثبت لها ما للعروس وهو اخذ زخرفها وهو قرينة الاستعارة بالكناية وازينت زينتها قوله
والمعنى صارت ذات زينة يعني ان همزة افعل في ازينت للصيرورة كما اغد البعير اي صار ذات غدة قوله
ما يجتاحها اي يهلكه عن اصله من الجوح وهو الاستيصال قوله كان لم تغن زرعها اي لم ينبت يقال
غني بالمكان اي اقام وغني اي عاش وهو من باب علم قوله في الموضعين وهما جعلناها ولم تغن
والمراد بالامس الزمان الماضي لا اليوم الذي قبل يومك كما في قوله واعلم علم اليوم والامس قبله و
لكنني عن علم ما في غد عم قوله وقرئ يغن بالياء على الاصل لان الفعل في الاصل مسند الى المضاف
المقدر وجملة قوله كان لم تغن اما حال من المفعول الاول لجعلنا او مستأنفة لا محل لها من الاعراب
جوابا لسؤال مقدر قوله لانه من التشبيه المركب حيث شبهت الهيئة الحاصلة من اجتماع الحيوة
الدنيا وما يلابسها من اللذائذ النفسانية والشهوات الطبيعية وسرعة زوالها بعد ذلك
بالهيئة الحاصلة من نزول المطر على الارض وما يحدث فيها من النضارة والزينة وانعدامها دفعة
بآفة سماوية والمشبه به في مثل هذا التشبيه هو الهيئة الحاصلة من اجتماع عدة امور لا الذي
يليه حرف التشبيه فلا يلزم كون الماء مشابها في قوله تعالى انما مثل الحيوة كماء والكاف في قوله تعالى كذلك نفصل
في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي نفصل الايات فيما يستقبل تفصيلا مثل هذا التفصيل
الواقع فيما مضى قوله دار السلامة من التقضي اي الانقضاء بيان لوجه تسمية الجنة بدار السلامة لما
نفر الله تعالى عباده بالمثل المذكور عن الركون الى الحيوة الدنيا رغبهم في الاخرة وما فيها من دار السعادة
و

كما في قوله ان تغنى [illegible] كان [illegible] فوق [illegible] الهيئة الحاصلة [illegible] المقدار [illegible] مطلع [illegible]

١٥٨

والكرامة فقال والله يدعو الى دار السلام روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال ما من يوم تطلع
فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى
ربكم والله يدعو الى دار السلام قوله او دار الله على ان السلام من اسماء الله تعالى فانه تعالى لما كان
واجب الوجود لذاته كان سالما عن الآفات في ذاته وغيره فيسمى سلاما لذلك قوله او دار
يسلم الله على ان المراد بالسلام التحية سواء كانت تحية الله تعالى او تحية الملائكة قال تعالى سلام
قولا من رب رحيم وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وكذا بعض اهل الجنة
يحيي بعضها بالسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام قوله وفي تعميم الدعوة حيث حذف مفعول
يدعو لقصد التعميم اي يدعو كل احد وخص الهداية بالمشيئة للايذان بان الامر غير الارادة فانه
تعالى يدعو المكلفين جميعا الى الجنة بان امرهم بالاسلام ودخول الجنة الا ان التوفيق للاسلام
والتدرع بلباس التقوى الذي هو الصراط المستقيم المؤدي الى الجنة متعلق بمشيئة الله تعالى
وارادته فمن شاء اهتداءه اليها اسلم واتقى ودخل الجنة ومن لم يشأ منه ذلك بقي في الضلال
فلما كان الامر عاما ومشيئة الاهتداء مختصة بالبعض ظهر ان الامر غير الارادة لا كما زعمه المعتزلة
من ان الامر هو الارادة وظهر ايضا بطلان ما زعمه المعتزلة من انه تعالى يريد من جميع المكلفين
طاعته واهتداءه الى الحق لانه تعالى لو اراد اهتداء كل احد من المطيعين والمصرين على الضلال
لم يبق لتخصيص الهداية بالمشيئة وجه روي عن جابر بن عبد الله انه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال اني رأيت في المنام كان جبرئيل عند رأسي وميكائيل عند
رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها
بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من اجاب الرسول و
منهم من تركه فالله تعالى هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول من اجابك
دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل منها ثم انه تعالى لما بين انه يدعو
عباده الى دار السلام ذكر ما اعد لهم من السعادات فيها فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة
والحسنى تأنيث الاحسن والعرب تستعمل هذا اللفظ في الخصلة المرغوب فيها والمص قدر له
موصوفا مؤنثا وهو المثوبة والثواب والمثوبة جزاء العمل وعوضه قال تعالى لمثوبة من عند
الله خير وفسر الزيادة بما يزيد على المثوبة بطريق التفضل وهي النظر الى وجه الله فروي انه
عليه الصلوة والسلام قرأ للذين احسنوا الحسنى وزيادة ثم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يثقل
موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله

رواه مسلم واحمد بن حنبل وابن ماجه والترمذي وزاد مسلم ثم تلا للذين احسنوا الحسنى وزيادة قالوا هذا حديث صحيح مرفوع الى النبي عم وصحفه الزمخشري فبدل اللقاء بالنقاش وقال هو حديث مرفوع اي مختلق ومفترى قيل لقصوره في باب الحديث والا فهو حديث مرفوع الى حضرة الرسول عم باسناد صحيح كما عرفته فكان الانسب ان يجوم حول التاويل بالانكشاف التام كما هو عادته في سائر النصوص

الدالة على الرؤية ولعله تركه لكون الانكشاف ايضا منفهما من قوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة فلو حمل النظر عليه يلزم التكرار منه

فما من شيء اعطوه احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد نظرهم اليه تعالى والقترة الغبار والقتر اخص منها ويؤيده قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت الجنة امرين احدهما نضرة الوجوه والثاني النظر اليه تعالى وروي عن علي رض انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رض الحسنى هي الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الزيادة ان تمطر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرته

قوله او لا يرهقهم ما يوجب ذلك على ان يكون الكلام كناية فان عدم تغشيانهما لازم لعدم غشيان ما يوجبهما فذكر اللازم لينتقل الى الملزوم وقد اخبر الله تعالى ان اهل النار ترهقهم حالتان الاولى ما اخبر عنه بقوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة والثانية الذلة التي اخبر عنها بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة نفى هاتين الحالتين عن اهل الجنة ليعلم انتفاء اسبابهما عنهم وهي الخوف والحزن والذل وليعلم ان نعيمهم الذي فازوا به في الجنة نعيم خالص لا يشوبه شيء من المكروهات وانه لا يتطرق عليهم ما اذا حصل غير صحة الوجه ويزيل ما فيها من النضارة والحسن ثم انه تعالى لما شرح حال المحسنين شرح بعده حال المسيئين فقال والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فقوله والذين كسبوا معطوف على قوله للذين احسنوا وهو مجرور بحرف الجر وقوله جزاء سيئة بمثلها معطوف على قوله الحسنى وهو مرفوع على الابتداء فهو من قبيل العطف على معمولي عاملين مختلفين والمجرور متقدم كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفي المسئلة ثلثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفراء والثاني المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه وفرارا عن قيام حرف واحد مقام عاملين والثالث التفصيل بين ان يتقدم الجار فنحو في الدار زيد والحجرة عمرو فيجوز او لا يتقدم فيمتنع كما اذا قلت ان زيدا في الدار وعمرا في القصر وتقدير الآية للذين احسنوا الحسنى وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها لا يزاد عليها ثابت للذين كسبوا السيئات

قوله او الذين مبتدأ اي ويجوز ان لا يكون الموصول الثاني مجرورا بالعطف على الموصول المجرور بل يكون مرفوعا على الابتداء ويكون قوله جزاء سيئة بمثلها خبره بتقدير المضاف في المبتدأ اي على التقدير ما ذكره بقوله اي ان يجازي الى قوله وفيه تنبيه اي في قوله جزاء سيئة بمثلها تنبيه على ان المراد بالزيادة ما يزيد على المثوبة تفضلا لانه ذكر ان المجازاة على السيئة انما تكون عدلا بان يجازي بمثلها ولا يزاد عقابها على اصلها قوله او كانما اغشيت او اولئك عطف على جزاء في قوله والخبر جزاء اي على تقدير ان يكون قوله والذين كسبوا السيئات مبتدأ يحتمل ان يكون خبره قوله كانما اغشيت ويكون ما بينهما من الجمل الثلاث جملا معترضة بين المبتدأ والخبر او لا او قوله جزاء

اي في تقدير جزاء السيئة بمثلها الاصل السيئة يكون بما تثليها غير زائد عليها مثلها

١٥٩

جزاء سيئة بمثلها وثانيها قوله ترهقهم ذلة وثالثها قوله ما لهم من الله من عاصم وان جعل الخبر قوله اولئك اصحاب النار يكون قد فصل بينهما باربع جمل معترضة رابعها قوله كانما اغشيت وينبغي ان لا يجوز الفصل بثلاث جمل فضلا عن رابع وقوله جزاء سيئة بمثلها جملة اسمية اما بان يكون قوله جزاء سيئة مبتدأ ويكون قوله بمثلها متعلقا بنفس جزاء لان هذه المادة يتعدى بالباء قال تعالى جزيناهم بما كفروا وجزاهم بما صبروا او يكون خبر المبتدأ المحذوف اي وجزاء سيئة بمثلها واقع ويحتمل ان يكون تقدير الكلام وجزاء مقدرة بمثلها ويكون الباء متعلقة بالخبر المحذوف ويحتمل ان يكون الخبر قوله بمثلها على زيادة الباء اي وجزاء سيئة مثلها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقرئ يرهقهم بالياء لان تانيث الذلة غير حقيقي والظاهر ان قوله وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا جيء بلفظ المستقبل لكون المقصود تعيينهم بوصفين الاول ان كسبوا السيئات في الماضي والثاني انه يرهقهم ذلة في المستقبل اي يوم القيمة قوله لانه العامل في قطعا علة لكون العامل في الحال اغشيت بيان لكونه عاملا في ذي الحال فان قطعا منصوب باغشيت مفعولا ثانيا وقد اقيم مفعوله الاول مقام الفاعل وقوله من الليل في محل النصب على انه صفة قطعا اي كانما البست وجوههم قطعا كائنا من الليل فلما كان من الليل صفة لقوله قطعا المعمول لاغشيت كان من الليل ايضا معمولا لاغشيت بحكم ان العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ايضا فلما كان مظلما حالا من الليل يكون معمولا لاغشيت ايضا لان العامل في الحال هو العامل في صاحبها ويجوز ان يكون العامل في مظلما على تقدير كونه حالا من الليل معنى الفعل في قوله من الليل اي قطعا كائنة من الليل في حال كونه مظلما قوله وعلى هذا اي على تقدير ان يقرأ قطعا بسكون الطاء يصح ان يكون مظلما بالتذكير صفة له او حالا منه لحصول المطابقة بينه وبين قطعا بالسكون فانه اسم جنس يجوز تذكير صفته نحو نخل منقعر وتانيثها نحو نخل خاوية وكذا يجوز التذكير والتانيث فيما انتصب عنه على الحالية بخلاف ما اذا قرئ قطعا بفتح الطاء فانه لا يجوز ح ان يكون مظلما صفة له ولا حالا منه لان قطعا جمع قطعة مثل دمنة ودمن وكسرة وكسر فكان يجب ح ان يقال مظلمة لان الموصوف او ذا الحال لما كان جمعا وجب تانيث الصفة والحال لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف وكذا بين الحال وصاحبها قوله مما يحتج به الوعيدية في قولهم بخلود الفساق في النار بناء على تناول قوله تعالى الذين كسبوا السيئات للفساق من اهل القبلة ولفظ يوم في قوله تعالى ويوم نحشرهم منصوب بفعل مقدر اي ذكرهم او خوفهم يوم والضمير في نحشرهم الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات وجميعا حال من ضمير المفعول في نحشرهم ومكانكم ظرف ومفسر بقوله الزموا وهو مشكل لان مكانكم لو كان اسما لالزموا نائبا منابه لزم ان يعمل

،، بتل عمله لان اسم الفعل يعامل معاملة مسماه ويعمل كعمله كما ينصب رويد وبله ودونك
وعليك لكون مسمياتها افعالا متعدية فيقال رويد زيدا اى امهله وبله زيدا اى دعه ودونك
زيدا اى خذه وعليك زيدا اى الزم زيدا فان كل واحد منها ينصب اسما مفردا كما ينصب
مسمياتها فلو كان مكانكم اسما لالزم لزم ان يتعدى الى المفعول به كما يتعدى اليه وليس كذلك فالظ
ان مكانكم منصوب بفعل مضمر اى الزموا مكانكم او اثبتوا مكانكم فلما حذف عامله انتقل ضميره
اليه فاكد ذلك الضمير بقوله انتم وعطف عليه شركاؤكم كما فى قولك زيد فى الدار هو وابوه قوله
فزيلنا وزنه فعلنا من زاله يزيله زيلا بمعنى ازاله يزيله من مكانه ازالة فان زال يزيل لغة
فى ازال يزيل فلما كان زال يزيل متعديا بنفسه كان نقله الى باب التفعيل للتكثير والمبالغة لا
للتعدية لان اصله الثلاثى متعد بنفسه قال الجوهرى زلت الشىء ازيله زيلا اى ميزته
وفرقته يقال زل ضانك من معزاك وزلته منه فلم يزل اى ميزته فلم يتميز وزيلته فتزيل
اى فرقته فتفرق وقيل وزنه فيعلنا من زال يزول واصله زيولنا اجتمعت الواو والياء
سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء والاول اظهر لان فعّل
اكثر من فيعل ولان مصدره التزييل ولو كان وزنه فيعل لكان مصدره فيعلة مثل بيطرة لأن
فيعل ملحق بفعلل ومصداق الالحاق اتحاد المصدرين وهذا التزييل وان كان مما يكون
فى الاخرة الا انه لتحقق وقوعه صار كالكائن الآن فلذلك قيل فزيلنا بلفظ الماضى بعد قوله و
يوم نحشرهم ثم نقول وكل واحد منهما مستقبل كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة واضاف
الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم فصيروهم شركاء لانفسهم فى تلك الاموال وقيل
لان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة وتعلق فلما كان الكفار هم الذين اثبتوا هذه الشركة
حسنت اضافة الشركاء اليهم قوله مجاز عن براءة ما عبدوه عن عبادتهم جواب عما يقال
كيف يتأتى للشركاء ان يقولوا ما كنتم ايانا تعبدون مع ان المشركين كانوا قد عبدوهم فيكون
هذا الكلام من الشركاء كذبا بين يدى الله تعالى فى موقف القيمة وتقرير الجواب انه انما يكون كذبا على تقدير
ان يقول الشركاء على ارادة نفى عبادة المشركين اياهم وليس كذلك بل يريدون بذلك نفى ان يكون
لهم مدخل فى عبادة المشركين اياهم حيث لم تكن العبادة بامر الشركاء وارادتهم وان الآمر بها
هواؤهم والشياطين فالمشركون فى الحقيقة انما عبدوا الشياطين واهواءهم ويدل عليه
امران الاول انهم استشهدوا بالله تعالى فى ذلك حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم والثانى
انهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاثبتوا لهم عبادة الا انهم زعموا انهم كانوا غافلين
عن تلك العبادة وقد صدقوا فى ذلك لان من اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لاتحس

لانهم جماد لا يقدرون على التكلم ببيانه

لاتحس اولا تشعر البتة قوله وقيل ينطق الله الاصنام يعنى انهم اختلفوا فى المراد بهؤلاء
الشركاء المتبرئين عن عبادة المشركين فقال بعضهم هم الملائكة والمسيح استشهادا بقوله
تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وبقوله لعيسى عليه الصلوة والسلام
ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قال سبحانك ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان
اعبدوا الله وقال الاخرون هم الشياطين حيث يتبرأ ممن عبدهم بقوله ليس لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقيل هم الاصنام فان الاصنام تنطق بهذا الكلام بان الله
يخلق فيها الحيوة والعقل والنطق فلاجرم قدروا على ذكر هذا الكلام فان قيل اذا احيى الاصنام
فهل يبقيهم او يفنيهم قلنا الكل محتمل ولا اعتراض على الله تعالى فى شىء من افعاله واحوال القيمة لا
يعلم منها الا القليل الذى اخبر الله تعالى عنه فى القران وقيل قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون
يجرى على حقيقته بناء على ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يكون
جاريا مجرى كذب الصبيان والمجانين المدهوشين ولانهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا و
لانهم جعلوها لبطلانها كالعدم فلهذا قالوا ما عبدونا ولان المشركين لما تخيلوا فيما
عبدوها اوصافا اكثرها غير موجودة فى الشركاء كانوا فى الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة
بتلك الصفات ولما كانت ذوات الشركاء خالية عن تلك الصفات صدق ان يقال ان المشركين
ما عبدوا الشركاء وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها فى الاعيان قوله فى ذلك المقام يعنى
هنالك باق على اصله الذى هو كونه ظرف مكان اى فى ذلك الموقف المدهش وقيل هو هنا ظرف
زمان على سبيل الاستعارة كما فى قوله تعالى هنالك ابتلى المؤمنون اى فى ذلك الوقت قوله تختبر
ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره يعنى ان قوله تعالى تبلو من البلاء وهو الاختبار اى تعرف
عملها اخير هو ام شر واشار بقوله فتعاين نفعه وضره الى ان المراد باختبار النفس ما قدمت
من خير او شر حدوث العلم لها بكون ما قدمته من الاعمال خيرا او شرا بمعاينة نتائجها و
اثارها فان الاختبار سبب لحدوث العلم فاطلق السبب واريد المسبب مجازا ومن قرأ
تتلوا بتائين منقوطتين من فوق جعله من التلاوة او من التلو والمعنى على الاول ان كل نفس
تقرأ ما كتب الحفظة من اعمالها فى صحفهم وعلى الثانى تتبع كل نفس ما اسلفته من العمل لان عمله
هو الذى يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرأ عاصم نبلو كل نفس بنون
المتكلم المعظم نفسه ونصب كل على انه مفعول به وقوله ما اسلفت على هذه القراءة يحتمل ان
يكون فى محل النصب على اسقاط الخافض فيكون نبلو من البلاء بمعنى العذاب اى نعذبها بسبب
ما اسلفت ويحتمل ان يكون منصوبا على انه بدل اشتمال من كل نفس لان تعرف حال عملها من كونه

قوله وقيل مع ما عطف عليه عطف بحسب المعنى على قوله مجاز فان مآل الاقوال الى انه حقيقة فحاصل الكلام يرجع الى اثنين فان شئت فارجعه الى ثلثة او الى اربعة سكتى

قوله وقيل الشياطين رد هذا بانه يرده قوله تعالى فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم كانت باغوائهم قلت لا يجب ان يكون قولهم هذا صدقا وحقا يحتمل ان يكذبوا ويحلفوا عليه لكن كان الغرض بنى كلامه على مذهب من لم يجوز الكذب فى القيمة بناء على انهم يعلمون ان الكذب لا ينفع يوم تبلى السرائر وتبدو الضمائر وقد سمعت من المصنف تفسير قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انهم يكذبون و يحلفون عليه ثم اشار رحمه الله الى الجواب عن القول بعدم ان يقع الكذب اذ ذاك بانهم لما كانوا حائرين من اهوال ذلك اليوم يعجزوا بين الصدق وغيره سكتى

ان كنا عن عبادتكم اى عن عبادتكم لغافلين [illegible] عبادتكم [illegible] والغفلة [illegible] بكمال الغفلة [illegible] الارتضاء [illegible] عدم [illegible] الملائكة بعبادتهم غير ظاهر [illegible] قطع [illegible] الشياطين [illegible] باشراكهم [illegible] يكونوا مجبرين لهم على ذلك
انتهى

حسنا او قبيحا سبب لتعرف انها سعيدة او شقية فكان بينهما ملابسة السببية فالمعنى ان الامة يقول في ذلك الوقت تختبر كل نفس بسبب اختبار ما اسلفت من العمل على نفسي انا نعرف حالا بمعرفة حال عملها ان كان احسانا فهي سعيدة وان كان قبيحا فهي شقية وحقيقة الاختبار لا يتصور منه تعالى فالكلام من قبيل الاستعارة التبعية كما اشار اليه بقوله تفعل بها فعل المختبر بحالها الخ **قوله** الى جزائه اياهم بما اسلفوا يعني انه لابد ههنا من تقدير مضاف لان الرجوع الى ذاته تعالى مما لا يتصور اي ورد العابدون والمعبودون الى حكم الله الذي هو مولاهم ومتولي امرهم على الحقيقة فيحكم بينهم ويتبين لهم المولى الحق عن المولى الباطل الذي زعموا انهم آلهتهم وشفعاؤهم فيجازي كلا بما يستحقه فسر المولى بالرب وهو المالك وعطف عليه لازمه الذي هو كونه متوليا لامورهم **قوله** وقرئ الحق بالنصب على المدح ومثله يسمى النصب على القطع فان اصله الجر على انه تابع المجرور قبله فقطع عنه ونصب باضمار امدح او اعني كقولهم الحمد لله اهل الحمد بالنصب **قوله** او المصدر المؤكد اي او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة وهي ردوا الى الله اي احقه الحق كما تقول زيد قائم الحق اي احقه الحق **قوله** او ما كانوا يدعون انها آلهة الفرق بينه وبين ما قبله ان كلمة ما على الاول عبارة عما كانوا في الدنيا يقولونه ويختلقونه من انهم آلهتهم تشفع لهم فانهم لما ردوا الى الله عز وجل وعاينوا حقيقة الحال لم يثبت منهم ذلك القول وعلى الثاني عبارة عن نفس شركائهم الذين كانوا يدعون في حقهم انهم آلهة وشفعاء فانه تعالى لما بين فضاحة المشركين حين ردوا الى مولاهم الحق وخيبتهم عما كانوا يتوقعونه من شفاعة شفعائهم لهم شرع في اثبات وحدانيته وتفرده بالالوهية واستحقاق العبادة فقال قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله فذلكم الله ربكم الحق فذكر امورا لا يقدر المشركون على ادعاء ان شركاءهم تقدر عليهم وهي احوال الرزق واحوال الحس واحوال الموت والحياة **قوله** اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باجتماع اسباب سماوية كالامطار النازلة من السماء واختلاف الفصول المتفرع على حركة الافلاك والكواكب ومواد ارضية فان اغذية الحيوانات لابد ان تكون نباتا او حيوانا والنبات لا تحصل الا من مواد ارضية والحيوان يحتاج الى الغذاء ولا يمكن ان يكون غذاء كل حيوان حيوانا آخر والا لزم ان يكون الحيوان قديما بالنوع وذلك باطل فثبت ان اغذاء الحيوانات يجب انتهاؤه الى النبات ومن المعلوم ان تولد النبات من المادة الارضية فثبت ان الارزاق لا تحصل الا باجتماع اسباب سماوية وارضية ويحتمل ان يكون المراد من يرزقكم من كل واحد منهما فانه تعالى يرزق من كل واحد منهما على الانفراد توسعة عباده ورحمة حيث لم يقتصر في ترزيتهم على جهة واحدة بل افاض عليهم نعمه من كل واحد منهما **قوله** ومن لبيان من عطف على قوله اي منهما اي وقيل كلمة من

قوله وردوا الى الله مولاهم الحق لا يخالف قوله ان الكافرين لا مولى لهم لان المولى هنا بمعنى الناصر وههنا بمعنى المالك سلمه

ومن الملحدين من يعجز السموات والارض لبس الا الله تعالى ولا يقدر كذا احوال الحواس لا يقدر على الانسان ... ولو كانت على ما ... تنظر الى منها سعي ... بعضهم انطق بعضهم واسمع بعضهم سلمه

من في قوله من السماء ليست لابتداء الغاية بل هي لتبيين جنس ما يرزق بتقدير المضاف وكلمة ام في قوله تعالى ام من يملك منقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية ولكن انما تقدر ههنا ببل وحدها ولا تقدر بعدها همزة الاستفهام مع ان المشهور ان ام المنقطعة تقدر بهما معا وانما لم تتقدر ههنا ببل والهمزة معا لانه وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من في قوله ام من يملك فهو كقوله ام ماذا كنتم تعملون والاضراب هنا اضراب انتقال كما هو القاعدة المقررة في القرآن لا اضراب ابطال **قوله** اي ومن يحيي ويميت فان كل واحد من الاحياء والاماتة اخراج لاحد الضدين من الآخر بمعنى تحصيله منه فانه كثيرا ما يقال كان الخارج كذا بمعنى كان الحاصل كذا وايضا انه تعالى يخرج الانسان من النطفة وبالعكس ويخرج الطائر من البيضة وبالعكس وقيل المراد انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن **قوله** وهو تعميم بعد تخصيص فانه تعالى ذكر اولا تدابير مخصوصة متعلقة بعالم الاجساد ثم ذكر التدبير الكلي المتعلق بمطلق العالم المتناول العلوي والسفلي ولعالمي الارواح والاجساد فان اقسام تدبير الله تعالى في ملكه امور لا نهاية لها وذكر كلها على التفصيل كالمتعذر فذكر بعض التفاصيل ثم عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي **قوله** اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته اشارة الى ان قوله تعالى ربكم الحق خبر فذلكم الله وان الجلالة صفة ذلكم وان الحق بمعنى الصادق اي الثابت ربوبيته لا ما اتخذتموه ربا لانه قيل ان الذي يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم به **قوله** اي كما حقت الربوبية لله تعالى الخ يعني ان الكاف في كذلك في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف من حقت والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق في قوله ربكم الحق او الى حقية مضمون قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال او الى حقية انهم مصروفون عن الحق بعد الاقرار به كما قال تعالى فسيقولون الله **قوله** بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء ايمانهم **قوله** او تعليل لحقية الكلمة على ان يراد بالكلمة العدة بالعذاب وان الاصل لانهم لا يؤمنون **قوله** هل من شركائكم الآية احتجاج آخر على بطلان مذهب عبدة الاوثان **قوله** جعل الاعادة كالابتداء في الالزام بالجواب عما يقال المشركون لا يعترفون بالبعث والاعادة كما اعترفوا بان خالق العالم ابتداء هو الله تعالى كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فصح الزامهم بان يقال لهم ان الله هو الذي يبدأ الخلق فهل من شركائكم من يبدأ الخلق حتى يصير وا مبهوتين بعجز شركائهم عنه فلكن يصح ان يقال لهم انه تعالى يعيد الخلق بعد فنائه فهل من شركائكم من يعيده مع انهم لا يعترفون بالاعادة وتقرير الجواب انه تعالى الزمهم بابتداء الخلق واعادته وان كانوا لا يعترفون بالاعادة تنبيها على وضوح برهانها

فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله اي وحده يريد ان قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال دل على ان خلاف الحق ضلال كونهما طرفي نقيض فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى اي تخصيص العبادة به المستفاد من جعل المسند الاسم الاشارة الى الموصوف بالصفات المذكورة وقع في الضلال فتامل سلمه

قوله والمراد بها اي بالكلمة العدة بالعذاب اي على تقدير كونه تعليلا واعترض عليه بان الذين فسقوا مظهر وضع موضع المضمر اشعارا بعلية الصلة وهي الفسق المفسر بالتمرد في الكفر لحقية الكلمة تعليلا بعدم الايمان يكون تكرارا واجيب عنه تارة بان هذا التعليل تصريح بما علم ضمنا وفيه ايضا دلالة على شرح الايمان بان عذاب المتمردين في الكفر بسبب انتفاء الايمان واخرى بان الذين فسقوا دل على كفرهم فمعنى الا يؤمنون على اصرارهم على الكفر فالتعليل الاول للعدة بالعذاب والثاني بذلك العلل فلا تكرار ثم ان اعتبار قيد التمرد والخروج عن حد الاستصلاح مستفاد من نفي الايمان في الاستقبال بقوله تعالى انهم لا يؤمنون سلمه

كانه قيل ومن يدبر امر العالم كله سلمه

يشير الى ان الاشارة الى الموصوف بتلك الصفات المذكورة وان الله صفة لاسم الاشارة اي لكونه بمعنى المعبود بالحق المستحق للعبادة وربكم خبر للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة وان الحق صفة ربكم وفي بعض النسخ وهو ربكم بالواو فعلى هذه النسخة يكون الله خبر الاسم الاشارة لا صفة له وربكم خبر بعد خبر او خبر لمحذوف وهو الضمير وهو ربكم سلمه

ودلالة على ان من انكرها كان مكابرا منكرا للظاهر البين الذي اعترف العقلاء بصحته والكون لما لم يساعد عقولهم على الاعتراف به مع وضوحه لغاية جهلهم وغباوتهم اشار الله تعالى الى جهلهم وعنادهم بامر النبي صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب بان قال له الله يبدأ الخلق ثم يعيده كانه قال لا يدعهم لجاجهم وعنادهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم قوله ولذلك امر الرسول الخ جواب عما يقال لم امر الله تعالى رسوله بان ينوب عنهم في الجواب مع ان الالزام انما يصح ان لو اعترفوا بذلك بانفسهم وتقريران كون الامر ظاهرا مؤيدا بالبراهين القوية اغنى عن اعترافهم به وانهم سواء اقروا او انكروا فالامر مقرر بين غاية ما في الباب ان لجاجهم وعنادهم لما منعهم عن الاعتراف به اناب عليه الصلوة والسلام عنهم في الجواب ثم انه تعالى الزم المشركين وبين بطلان مذهبهم بوجه آخر بعد الزامهم ببيان كونه تعالى متفردا بابداء الخلق واعادتهم وعجز شركائهم عن ذلك فقال قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتمكين والاقدار على النظر والتوفيق للتفكر والتدبر وادراك الحق والصواب احتج على فساد مذهبهم اولا ببيان تفرده تعالى في ابداء الخلق واعادتهم ثم احتج عليه ببيان تفرده تعالى في ارشاد الخلق وهدايتهم الى الحق بنصب الدلائل وارسال الرسل والتوفيق للنظر الصحيح والتدبر الصائب فان العقول مضطربة والافكار مختلطة وتعيين الحق صعب ولا يسلم من الغلط الا قليل من القليل فالاهتداء لادراك الحقايق لا يكون الا بهداية الله تعالى وتوفيقه للنظر الصحيح والاستدلال على وجود الصانع ووحدته اولا بابداء الخلق وثانيا بالهداية الى طريق الاستدلال به والتوفيق للنظر الصحيح كثير في القران ما لك حكاية عن الخليل عليه الصلوة والسلام الذي خلقني فهو يهدين وما هو حكاية عن موسى عليه الصلوة والسلام ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قوله وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام ايضا اعلم ان هدى يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما قد يعدى بالى لتدل على انتهاء الهداية الى المجرور بها فان الهداية كالسير في تضمنها معنى الانتهاء وقد يعدى باللام للدلالة على ان متعلق الهداية مع كونه منتهى للهداية غاية مطلوبة منها لا ان توجه الهداية نحوه على سبيل الاتفاق وانما تقصد لاجل تلك الغاية كما هو شان العلة الغائية مع معلولها فانها بحسب الوجود غاية متاخرة عن المعلول وبحسب التصور علة متقدمة حاملة للفاعل على الفعل ولذلك عدي ما اسند اليه تعالى باللام لان هدايته تعالى انما تتعلق بالحق لاجل ان يتحقق وقد ذكر لفظ يهدي في الآية ثلث مرات عدي الاول والثالث بالى والثاني باللام وحذف المفعول الاول من الافعال الثلثة والتقدير هل من شركائكم من يهدي غيره

وقيل يهدي بمعنى انتقل من قولك هديت العروس الى بيت زوجها و منه الهداية والهدي في الحج فالمعنى ان الاصنام جمادات لا تقدر على الانتقال من مكان الى آخر الا ان يحمل تنتقل تدر روحي

غيره الى الحق قل الله يهدي من يشاء للحق افمن يهدي غيره الى الحق احق ان يتبع ام الذي لا يهدي الا ان يهدى اختار المص قراءة حمزة والكسائي في قوله تعالى لا يهدي فانهما قرآ يهدي بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال ثم في هذه القراءة وجهين الاول ان يكون هدى يهدي لازما بمعنى اهتدى يهتدي واشار اليه بقوله هدى بنفسه اذا اهتدى والثاني ان يكون متعديا حذف مفعوله اشار اليه بقوله اولا يهدي غيره الا ان يهديه الله قوله وهذا حال اشراف شركائهم جواب عما يقال ان الشركاء في هذه الآية المراد بها الاصنام وانها جمادات لا تقبل الهداية فكيف يصح ان يقال في حقها الا ان يهدى وايضا كلمة من يستعمل في ذوي العقول دون الجمادات فلا يليق ان يقال في حق الاصنام من لا يهدي بين الله تعالى اولا فساد مذهب اهل الشرك مطلقا من عبدة الاوثان وغيرها بقوله قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ثم بين بهذه الآية فساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية اربابا كالملائكة والمسيح وعزير فسقط الاشكال المذكور قوله والاصل يهتدي اي اصل كل واحدة من القرائتين من قراءة يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وقراءة يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال يهتدي فلما ادغمت التاء في الدال فيهما اجتمع ساكنان فحركت الهاء بفتحة التاء المدغمة في القراءة الاولى وبالكسرة في الاخرى لكون الكسرة اصلا في تحريك الساكن وروى ابو بكر عن عاصم يهدي بكسر الياء والهاء اتباعا لحركة الياء بحركة الهاء وقيل هي على لغة تعلم قوله وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد اي بادغام التاء في الدال من غير تحريك الهاء وتركها ساكنة على حالها فجمع بين الساكنين بناء على ما قرر ان المدغم في حكم المتحرك ونسب الامام هذه القراءة الى قالون عن نافع ثم قال وقرأ ابو عمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتحة والسكون مختلسة على اصل مذهبه اختيار التخفيف ثم قال وذكر علي بن عيسى انه الصحيح الاجود من قراءة نافع وقرئ الا ان يهدى بضم الياء وفتح الهاء والدال المشددة على بناء المفعول من باب التفعيل للمبالغة قوله والمراد بالاكثر الجميع لان اتباعهم على اصل معناه يدل على ان اعتقاد بعضهم فيما ذهب اليه من قاعدة الشرك من ان شركائهم شفعاؤهم عند الله مستند الى برهان وليس كذلك بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد ويجوز ان يكون الاكثر باقيا على اصل معناه ويكون تقييده للاشارة الى ان الظن انما ينشأ في من له نوع نظر واستدلال وان بعضا منهم بمعزل عنه فضلا عن ان يتبع حكمه ومذهبه الى البرهان قوله تحصيل العلم في الاصول اي اصول الدين وهي الاحكام المتعلقة بالاعتقاد في الاحكام المتعلقة بالعمل وفروعها وثمراتها ثم ان ما حكاه الله عن كفار مكة من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه لما كان مبنيا على انكار كون القران كلاما الهيا معجزا للبشر عن معارضته

علمه ودليل على ان تحصيل العلم الجزء ونبه ودليل على ان تحصيله في اصول الدين واجب المتعلقة بالاعتقاد لا يكتفى بالظن والتقليد فيما يتعلق الا الاكتفاء بالظن في مسائل الفروع ولهذا يطلب ايضا لان معارف الكلام لانه يعلم بالعقل الاضافي ليس بالضروري فيتوقف على صحة العلم ولا بد للنظر بالقطع والدليل المفيد للظن قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وجدت معاني الآية دليل على حجية القياس كما زعمه ايمان المقلد فيشكل عدم العقيدة بنقض ايمان المقلد

واثبات مثله كما حكى عنهم انهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا واجاب عنه بقوله فقل انما الغيب
لله وساق الكلام الى هنا اجاب عن انكارهم لكون القران وحيا الهيا وادعائهم انه كلام
بشر اختلقه ثم قال انه كلام الله لا افتراء عليه فقال وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله
الاية على ان قوله ان يفترى في محل النصب على انه خبر كان اشار اليه المص بقوله افتراء من الخلق
وجعل المص هذه الاية مرتبطة بقوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا حيث قال وساق الكلام بعد
المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه يعني انه لما منع عن اتباع الظن
بين ان ما يجب اتباعه هو هذا القران وبين وجوب ذلك بانه ليس من شانه ان يفترى به على الله
بل لاعجازه يصدق نفسه ومن بلغه وجميع الكتب المتقدمة لانه لما صدق نفسه بسبب اعجازه و
كان مطابقا لتلك الكتب صدقها ايضا وكان عيارا عليها والعيار هو الذي يقاس به غيره ويسوى
قوله ونصبه يعني قراءة الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب وذكر المص له وجهين الاول انه خبر كان المضمر
تقديره ولكن تصديق الذي بين يديه اي ولكن كان تصديق ما قبله من الكتب واخبار الامم والانبياء
الماضين والثاني انه مفعول له لفعل مقدر اي وما كان هذا القران ان يفترى ولكن انزل للتصديق
وتفصيل ما كتب واثبت من العقائد والشرائع وقيل في تفسير وتبيين ما في الكتاب من الكتاب
من الحلال والحرام والفرائض والاحكام فان جعل قوله تصديق الذي خبر كان المقدر يكون قوله
وتفصيل الكتاب خبرا ثانيا وقوله لا ريب فيه خبرا ثالثا اي ولكن كان منفيا عنه الريب **قوله** ويجوز ان يكون
حالا من الكتاب ولما ورد ان يقال كيف جاز مجيء الحال من المضاف اليه ولا تنتصب الحال الا من الفاعل
او المفعول اجاب عنه بقوله فانه مفعول في المعنى فكانه قيل ولكن كان تفصيل الكتاب منفيا عنه الريب
وان كان لا ريب فيه كلاما مستانفا لا يكون له محل من الاعراب وان جعل قوله من رب العالمين متعلقا
بقوله تصديق او بقوله تفصيل على طريق التنازع يكون قوله لا ريب فيه اعتراضا بين العامل و
معموله ويحتمل ان يكون من رب العالمين متعلقا بالفعل المعلل المحذوف اي ولكن انزل من رب العالمين
للتصديق والتفصيل واعلم انه لما احتج على ان القران كلام الله ليس مفترى على الله من الخلق بكونه
مطابقا مصدقا لما تقدمه من الكتب الالهية مع كون مبلغه رجلا اميا لم يكتب ولم يقرا شيئا من
المدونات ولم يجالس احدا من العلماء كتابا مشتملا على نفائس علم الاصول وحقائق علم الاحكام و
الحلال والحرام ولطائف علم الاخلاق وعلى قصص الاولين من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واتمهم على الوجه المطابق لما في الكتب المتقدمة مشتملا على ما بلوغه الغاية القصوى من الفصاحة
والبلاغة بحيث عجز عن معارضته فصحاء العرب وبلغاؤهم مع شدة حرصهم على الطعن فيه و
توهين امره فلو لم يكن ما فيه من اصول الدين واقاصيص الاولين موافقا لما في التورية و

قوله افتراء من الخلق جعل متعلق من ان يفترى كما لا يخفى وقد يجعل مقدرا او من دون الله خبرا ثانيا لكان ثم الافتراء بمعنى المفترى و المعنى ما كان هذا القران ذا افتراء سكه

الافتراء في الاصل افتعال من فرت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب

وله ومع ذلك فاستعينوا اشار بلفظ ذلك الى التعليل المذكور وفيه اشارة الى ان هذا التعليل ملحوظ له صلى الله عليه وسلم عند تحديه بان ياتوا الى
ان تفريع الامر بدعوة من استطاعوا تفريع في المعنى للاستعانة بما يمكنهم ان يستعينوا به وجه الفائق فاستعينوا اعطف وادعوا على فاتوا القدرة
بالفائق ثم الفائق فاتوا فصيحة افادت سببيه القول المذكور او القول للامر بالاتيان او لنفس الاتيان لكن لحكم بشرط كونهم صادقين في نفس

والانجيل لسارعوا الى القدح فيه ولبالغوا في تكذيبه والطعن فيه قائلين بان ما فيه غير موافق
لما اخبر الله به في كتابنا فعلمنا بذلك ان ما فيه مطابق لما في الكتب المتقدمة مع انه عليه الصلوة والسلام
لم يجالس اهلها ولم يطالع شيئا منها وذلك يدل على انه عليه الصلوة والسلام اخبر عن هذه الاشياء
بوحي من الله وان القران معجز لا يقدر عليه البشر حتى يقوله من عند نفسه ثم يقول انه من عند الله
ولما اثبت ان القران العظيم مصدق لنفسه بسبب كونه معجزا اثبت انه مصدق للكتب السابقة
عيار عليها شاهد على صحتها بسبب كون مضمونه مطابقا لما في تلك الكتب وان تعين صدق كل واحد
من تلك الكتب بسبب ان الله تعالى صدق مبلغها بان اظهر على ايديهم المعجزات الباهرة لكن ليس
شيء منها معجزا مصدقا لنفسه **قوله** لكونه معجزا دونها جواب عما يقال كما ان القران مشتمل على
ذكر قصص الاولين وعلى ذكر اصول الدين على وفق ما في الكتب المتقدمة كذلك الكتب المتقدمة
مشتملة على ذكرها على وفق ما في القران فكيف حكم بان القران مصدق لها من غير عكس وتقرير
الجواب ان القران معجز دونها فهو الصالح لان يكون حجة وبرهانا لتصديق ما في سائر الكتب لا
العكس **قوله** بل ايقولون اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن الاستدلال
على ان القران لا يليق بحاله ان يكون مفترى ثم اخذ في انكار قولهم انه عليه الصلوة والسلام اختلق
هذا القران من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى ثم احتج عليهم بان يقول ان كان الامر كما زعمتم
فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله وان لم يف قدرة بعضكم باتيان مثله فاجتمعوا او ليستعن
بعضكم ببعض في معارضته فان عجزتم عن معارضته حال الاجتماع ايضا ظهر ان نظمه وتنزيله
ليس الا من عند الله وان قدرة البشر لا تفي بذلك **قوله** بل سارعوا الى التكذيب فسر التكذيب
بالمسارعة اليه لان تصديق الكلام وتكذيبه قبل العلم به والاحاطة بكنهه ومعرفة ما له ومرجعه
غير معقول ولما قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله علم ان المراد بالتكذيب المسارعة اليه
في غير اوانه ومعنى الاضراب في قوله تعالى بل كذبوا العدول عن محاورتهم وتبكيتهم بايراد الحجة الالزامية
عليهم ببيان انهم ليسوا من العقلاء الذين يمكن بالتزامهم بالمسلمات لتوغلهم في التقليد وسقوطهم
عن مرتبة النظر والاستدلال لانه قبل دعوى تحديهم والمباحثة معهم فانهم لا يتاملون الخطاب
لانهم متلذذون يسارعون الى الرد والقبول من غير خبرة وتعقل **قوله** او بما جهلوه ولم يحيطوا به
عطف على قوله بالقران يعني ان قوله بما لم يحيطوا بعلمه يحتمل ان يكون عبارة عن القران فيكون وجه
ذمهم بهذا الكلام انهم سارعوا الى تكذيب القران او ما سمعوه قبل ان يعرفوا اعجاز نظمه وبلاغة معناه
فيعرفوا انه ليس كلام البشر ويحتمل ان يكون عبارة عما فيه من الاخبار بالغيوب التي جهلوها كما لم ياتهم
بعد تاويلها وبيانها وبالجملة كلمة ما في قوله تعالى بما لم يحيطوا عبارة اما عن نفس القران او عما فيه

ولم يحيطوا بما علم

الامر او على زعمهم ولذلك قال ان كنتم صادقين اذ لولاه لم يحقق هذه النسبة هذا على تقدير كون فاتوا جواب شرط محذوف كما هو الظاهر لان تحليل المعنى ان كنتم صادقين فاتوا الخ على ان يكون فاتوا جزاء الشرط هو ان كنتم ويكون هذه الشرطية جزاء شرط محذوف هو ما تقدم والفاء جزائية تنبه على الشرط المحذوف لهذه الجملة الشرطية الجزائية ولم يدخل الفاء على جزاء هذا الشرط لدخوله على الفاء الجزائية الاخرى عليه واما على الوجه الاول فالجزاء محذوف دل عليه المذكور سكه

قوله سورة الله كأنه جعل من متعلقة بمحذوف وهو كائنا لا بادعوا ولا استطعتم وجعل ما كان من دون الله فكونا اشتاتا متعلقا من من لان الاستعانة من الله من في الاتيان بمثل القران بطريق الافتراء غير متصور ولان المقصود هو الاستعانة ممن يتمكنون ان يستعينوا به كما صرح به وليس الله كذلك او حالا عمن او صفة له والمتعلق مقدرا باللام ولا وجه لتعلقها باستطعتم واذا تعلقت بادعوا يكون بيانية واختاره الزمخشري حيث قدم من دون على من استطعتم على خلاف النظم القراني سكه

من الاحكام التي يجازى دينهم كامر البعث والجزاء فيكون وجه الذم انهم كانوا يسارعون الى تكذيب ما جهلوه من امر البعث والجزاء ونحوهما مما يخالف دينهم قبل ان يتبين لهم تأويل ما ورد في حقه من الاخبار بالغيب **قوله** ومعنى التوقع في لما ان كلمة لما تدل على ان الفعل المنفي بها متوقع منتظر الحصول لانها لنفي قد فعل وقد حرف التوقع فاذا قلت قد قامت الصلوة كان معناه قرب ما تتوقعه من قيام الصلوة فيكون قوله ولما يأتهم تأويله دالا على ان اتيان تأويل ما جهلوه امر متوقع منتظر الوقوع ومع ذلك انهم سارعوا الى التكذيب قبل اتيان ما يتبينه ويظهر صدقه لغلبة تباتهم وغلبة اتباع الاهواء على طباعهم **قوله** فرازوا الى جزبوا قواهم في معارضته فتضاءلت اي ضعفت واضمحلت قواهم عند قصد معارضته وهذا على ان يكون قوله بما لم يحيطوا بعلمه عبارة عن القران ويكون المعنى سارعوا الى تكذيبه او ما سمعوه قبل ان يحيطوا بالعلم بشانه وان نظمه على هذا الوجه هل يدخل تحت قدرة البشر ام لا وقبل ان يأتيهم تأويل ذلك النظر اي ما يؤل اليه ذلك النظم فان تكذيب الكلام قبل العلم بشانه وتحقق معناه وماله من خصائل السفه **قوله** او لما شاهدوا عطف على قوله كرر عليهم التحدي وهو ظرف لقوله اعجازه اي ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجاز القران من جهة لفظه لما كرر عليهم التحدي فعجزوا عن معارضته او ظهر لهم بالاخرة اعجازه من جهة معناه لما اتاهم تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب وشاهدوا وقوعه مرارا طبق ما اخبر به فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا وهذا على ان يكون قوله بما لم يحيطوا بعلمه بمعنى لم يحيطوا بعلم ما فيه من الاخبار بالغيوب التي جهلوها لكونها مخالفة لدينهم ثم انه تعالى لما وصف اهل مكة بانهم يسارعون الى التكذيب للحق في اول سماعه قبل النظر والعلم بشانه لغلبة اتباع الهوى على طباعهم وبعد ما ظهر حقيته بظهور اعجازه وعدم امكان معارضته تمردا وعنادا بين ان مثل هذا التكذيب عادة قديمة للكفار فقال كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم انبياءهم قبل النظر في معجزاتهم لغلبة تقليد الاباء واتباع الاهواء على طباعهم وبعده عنادا وتمردا ثم انه تعالى قسم المكذبين الى قسمين فقال ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به اي ومنهم من يصدق به في نفسه ولكن يعاند ومنهم من يشك فيه ولا يصدق او ومنهم من سيؤمن به فيما يستقبل ومنهم من يصر ولا يؤمن به **قوله** ولما فيه من ايهام الاعراض قيل انه منسوخ باية السيف اشارة الى انه ليس بمنسوخ حقيقة لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ واية السيف لم ترفع شيئا من حكم هذه الاية اذ ليس مدلولها ايجاب الاعراض عنهم وتركهم وما يدينون بل مدلولها اختصاص كل احد بجزاء عمله من الثواب والعقاب وبراءة كل احد عن جزاء عمل الاخر وذلك لا يقتضي حرمة القتال معهم حتى يكون هذه الاية

على ان الكاف صفة مصدر محذوف منه

اي بالقران وبالعذاب المدلول عليه بقوله كيف كان عاقبة الظالمين منه

١٦٤

الاية منسوخة باية السيف ثم انه تعالى لما قسم الكفار في الاية الاولى الى من يؤمن بالحق والى من لا يؤمن به قسم من لا يؤمن الى قسمين فقال ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من ينظر اليك القسم الاول ممن لا يؤمن في نهاية البغض والعداوة له عليه الصلوة والسلام فلذلك شبههم بالاصم من حيث انه لا ينتفع باستماع كلامه البتة والقسم الثاني منه اقل بغضا له عليه الصلوة والسلام وعداوة فلذلك شبه بالاعمى الذي لا يشاهد محاسن صاحبه لينتادله ويقتدي به فيما دعى اليه من سواء السبيل والاعمى اقرب الى التعرف والاستبصار بالنسبة الى الاصم لان الاعمى وان كان لا يدرك الصور والاعيان المبصرة الا انه يسمع الاصوات فيقف على المعاني المقصودة منها فيعتبر ويتبصر بخلاف الاصم فانه وان كان يدرك المبصرات الا ان ادراك الصور ليس كدلالة الالفاظ وجمع ضمير يستمعون وافراد ضمير ينظر مراعاة لمعنى من في الاول وللفظه في الثاني ولما شبههم بالصم والعمي فرع عليه وجوب التبرء عنهم فقال افانت تسمع الصم افانت تهدي العمي اي ابعد التبليغ انت تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم افانت بعد اظهار المعجزات ودلائل النبوة تقدر على هدايتهم ولو انضم الى عماهم عدم بصيرتهم وهمزة الاستفهام في افانت للانكار ان يكون هو الذي يقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل وهداية الاعمى الذي لا بصيرة له والمعنى ومنهم من يستمعون اليك باسماعهم الظاهرة ولكن لا ينفعهم ذلك الاستماع لكونهم صم القلوب افانت تسمع الصم اي صم القلوب ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم ومنهم من ينظر اليك باعينهم الظاهرة ويشاهدون دلائل نبوتك ولكن لا يبصرونك لكونهم عمي القلوب افانت تقدر على هداية مثلهم وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة **قوله** وفيه تنبيه اي في قوله افانت تسمع الصم تنبيه على ان حقيقة الاستماع ليست عبارة عن مجرد وصول الهواء المكيف بكيفية الصوت الى الصماخ السليم وان حقيقة الابصار ليست عبارة عن مجرد احاطة قاعدة الشعاع المخروطي بالمرئي والا لكان عليه الصلوة والسلام مسمعا كلامه لمن يسمع اليه ولا يكون لانكار اسماعه اياه معنى ضرورة انه عليه الصلوة والسلام اوصل الهواء المكيف بكيفية صوته الى صماخ من يسمع اليه بل حقيقة الاستماع هي فهم المعنى المقصود من الكلام وذلك انما يكون بالعقل السليم واستعماله على وجه يؤدي الى فهم المعنى المقصود من الكلام والتوضيح لمعنى لا بمجرد حاسة السمع ووصول الهواء المكيف اليها والا لصح ان يوصف البهائم بالاستماع ولما كانت حقيقة الاستماع متوقفة على العقل السليم والتوضيح الاتي لاستعماله على وجه يؤدي الى فهم المعنى المقصود من الكلام استحال منه عليه الصلوة والسلام ان يسمع من كان عقله مؤفا بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد وبعد ان يفهم الحكم والمعاني الدقيقة فلا ينتفع من كلام

قوله عدم العجز حمل الاعجاز على نفي العجز دون نفي الصرحة ليقدمه انه الظاهر ب ناسب لا تاكيدا ولتكون ... سنه

قوله فان المقصود من الابصار هو الاعتبار لم يقل فان حقيقة الابصار الاعتبار لان الاعتبار مقصود الابصار لا نفس الابصار بل نفس الابصار فانه ليس بخلاف استماع الكلام فانه نفس فهم المعنى كما سيجيء وهو كان حقيقة الابصار هو الاستبصار والاعتبار فقد ... سنه

وجواب لو محذوف تقديره لما امكنك اسماعهم ... [illegible]

[illegible]

عليه الصلوة والسلام الا كما تنتفع البهائم من كلام الناعق وهو الراعي الذي يصيح بغنمه يزجرها والنعيق صوت الراعي بغنمه وكذا قوله تعالى افانت تهدي العمي تنبيه على ان حقيقة الابصار ليست عبارة عن مجرد احساس المرئي بحاسة الرؤية وتقليبها نحو المرئي لان المكذبين يقلبون حدقتهم نحوه ويعاينون شواهد نبوته مع انه تعالى وصفهم بالعمي بل حقيقة الابصار هي الاعتبار والاستبصار والاستدلال وذلك لا يكون الا بنور البصيرة ومن كان فاقد البصيرة وان عاين النبي صلى الله عليه وسلم وعاين معجزاته الدالة على نبوته صح ان يوصف بالعمي لكونه فاقدا لما هو المقصود من الابصار وهو الاعتبار والاستبصار المتوقفين على البصيرة لا على الرؤية بالبصر الا ترى ان العمي المستبصر يتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق وهذا تسلية من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا ان تهدي من سلبته البصر ولا ان توفق للايمان من حكمت عليه بانه لا يؤمن والمقصود اعلام الرسول عليه الصلوة والسلام بانهم قد بلغوا في مرض القلب والعقل الى حيث لا يقبل العلاج والطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اعرض عنه ولا يستوحش من عدم قبوله للعلاج فلذلك وجب عليك ان تتبرأ عنهم ولا تشتغل من اصرارهم على التكذيب ولا تستوحش من حالهم وهذا معنى قول المص في الآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم **قوله تعالى** ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم لما حكم عليهم بانهم مسلوبو الحواس والعقول حيث قال في حقهم انهم صم عمي وانهم لا يعقلون فلا يدركون حسن الايمان ولا يقبلونه ولا يسمعون كلام الداعي سماع قبول ولا يبصرون شواهد صدقه في دعوى النبوة رؤية اعتبار واستبصار وكان هذا مظنة ان يقال اليس سلب اسباب كمالهم ووسائل اهتدائهم ظلما في حقهم قال على طريق الاستئناف ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلبها لانه متصرف في ملكه والمتصرف في ملكه كيف شاء لا يكون ظالما ثم قال ولكن الناس انفسهم يظلمون بترك استعمال مشاعرهم فيما خلقت لاجله وعدم تفكرهم وتفقههم بعقولهم في الدلائل المنصوبة في انفسهم وفي الآفاق وترك النظر والاعتبار ببصائرهم بالانهماك في الشهوات ويجوز ان يكون وعيدا لهم اي لا يظلمهم الله بالتعذيب بكفرهم وعنادهم يوم القيمة فانه عدل ولكن الناس انفسهم يظلمون باقتراف اسبابه واستجابهم اياه **قوله** وقرأ حمزة والكسائي بتخفيف لكن ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ونصب ثم انه تعالى لما وصف الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم نحشرهم ويوم منصوب بفعل مقدر اي اذكر ما حدث يوم نحشرهم او بقوله يتعارفون يوم نحشرهم **قوله** او صفة ليوم اي يوما مشبها اهله بمن لم يلبث قبله الا ساعة واندفع بهذا التقرير ما يرد من ان هذه الجملة كيف

من الظلم ولكنهم انفسهم […] يظلمون […] الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة […] للاستقبال […] يجوز ان يكون للوعيد […] الحجة وسياق الآية الكريمة على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص ان قولك ما زيدا ضربت يدل على انحصار النفي لا نفي الانحصار الا به على الفارع يفيد بحسب المقام وانما […] حرف النفي اذا دخل […] وصفة الفارع للانحصار […] اه

وهو […] انفسهم اما تأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول يظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على رأي من يراه موجبا له فلعل اعتبار قصرها دون الظالمية عليهم لما انه في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم اه

ليس يكون صفة ليوم مع ان مضمونها وصف المحشورين لا وصف يوم حشرهم ولا بد من مثل هذا التقدير على تقدير ان يكون الجملة المذكورة صفة للمصدر المحذوف اي حشرا كان المحشورين به لم يلبثوا وقرأ حفص يحشرهم بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير اسم الله في قوله ان الله لا يظلم وقرأ الباقون بنون العظمة على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم تعظيما لامر الحشر **قوله** يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون فان ما يشاهده الكفار من اهوال الآخرة اشد الشدائد وافظعها والعياذ بالله والانسان اذا عظم خوفه ينسى جميع ما جرى عليه قبل ذلك وايضا يستقصرون مدة ذلك اللبث في جنب لبثهم في موقف الحساب وفي سائر مواقف الآخرة **قوله** يعرف بعضهم بعضا كما كانوا يعرفون في الدنيا فكانهم لم يتعارفوا بسبب لبوث الآخرة يسيرة لا تؤثر في زوال ذلك التعارف ولما ورد ان يقال ما وجه التوفيق بين هذا التعارف وبين قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اشار الى الجواب بان حمل الآيتين على الحالتين فانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف اذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعضهم والجملة حال اخرى من مفعول نحشرهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة متعارفين وجعلها حالا مقدرة لان التعارف لا يكون حال الحشر او بيان لكونهم مشبهين بمن لم يلبث في القبر الا ساعة لان التعارف انما يبقى اذا قصرت مدة المفارقة ولا يبقى مع طول العهد وينقلب الامر به الى التناكر ثم انه تعالى لما ذكر انهم يبعثون ويحشرون كان مظنة ان يقال ما يكون حالهم بعد الحشر اجاب عنه بقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على طريق الاستئناف للشهادة من الله تعالى بخسرانهم في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين الى طريق التجارة وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم ووضع الذين كذبوا موضع ضميرهم اشعارا بان سبب الخسران انما هو تكذيبهم بلقاء الله وعدم اهتدائهم لاشتغالهم اي الناس المشاعر والعقول والبصائر في تحصيل المعارف واكتسابهم عقائد فاسدة وجهالات ادت الى الخسار والهلاك والعذاب **قوله** ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على سبيل التداخل فان يتعارفون حال مقدرة من مفعول نحشرهم والتقدير ويوم نحشرهم حال كونهم متعارفين قائلين قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله فعلى هذا يكون قد خسر الذين كذبوا من مقالة الكفار المحشورين وعلى الاول هو كلام الله سوقا للشهادة عليهم بالخسران وقوله تعالى وما كانوا مهتدين يجوز ان يكون معطوفا على قوله قد خسر الذين فيكون حكمه حكمه في الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين فيكون كالتاكيد لجملة الصلة لان من كذب بلقاء الله لا يكون مهتديا الى رعاية مصالح ما هو فيه من التجارة فيضيع رأس المال خائبا عن الخير بالكلية والمراد من الخسران النقص بهلاكها ابدا ولا شيء اعظم منه

قوله واما نرينك اصله ان نرينك زيدت كلمة ما على ان الشرطية ليحسن تاكيد فعل الشرط بالنون فان
تاكيد الفعل المعلق عليه من غير ان يؤكد اداة التعليق لا وجه له حتى قيل تاكيد الفعل بالنون مشروط
بزيادة كلمة ما بعد ان والا اكوّن هنا ابعرتية ولذلك عدى الفعل الى اثنين بالهمزة قوله وهو جواب
نتوفينك فان نتوفينك معطوف على الشرط السابق فيكون الكلام مشتملا على شرطين يستدعي كل واحد
منهما جوابا على حدة ولا وجه لان يكون قوله فالينا مرجعهم جوابا عن كل واحد اذ لا وجه لان يقال ان نرينهم
بعض ما نعدهم من العذاب في حيوتك فالينا مرجعهم فتعين ان يكون جواب الشرط الاول محذوفا اي
فذلك اشفى لصدرك والمذكور جواب نتوفينك قبل ان اي ان نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود فانك تراه
في الآخرة لان مرجعهم الينا فنجازيهم بما وعدناهم من العذاب قوله ذكر الشهادة واراد نتيجتها جواب
عما قيل انه تعالى شهيد على ما يفعلونه في الدارين فما معنى ثم جعل الجزاء والعقاب نتيجة الشهادة ومقتضاها
لان شهادة من احاط علمه بجميع افعالهم السيئة الخفية والظاهرة توجب العقاب الشديد لانه يحصي
بجميع ما سوى نحو يكون كلمة ثم واقعة في موقعها كانه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون ويعذبهم بعد رجوعهم
اليه وقوله ثم الله بعد قوله فالينا مرجعهم على طريق الالتفات من التكلم الى الغيبة تنبيه على ان المعاقب
هو الله الذي لا يخفى عليه خافية قوله فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه يعني ان الكلام فيه اضمار والتقدير
فاذا جاء رسولهم فبلغهم رسالته ودعاهم الى الحق فكذبوه فحذف ما حذف للعلم بمعونة المقام لا يبقى الاول
حال نبينا صلى الله عليه وسلم مع قومه بيّن ان حال جميع الانبياء مع اقوامهم كذلك فان قيل كيف يصح
ان يقال انه ما اهملت امة من الامم قط بل بعث الى كل واحدة منهم رسولا ينذرهم من المخالفة مع ان
زمان الفترة ليس فيه رسول كما يشهد عليه قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قلنا ان عموم قوله
ولكل امة رسول لا يقتضي ان يكون الرسول حاضرا مع كل واحدة من الامم فان تقدم الرسول على بعض
منهم لا يمنع كونه رسولا الى ذلك البعض كما لا يمنع تقدم رسولنا صلى الله عليه وسلم علينا من كونه مبعوثا
الينا الى آخر الابد غاية ما في الباب ان ما وقع من تخليط القوم في زمن الفترة يكون مؤديا الى ضعف اثر
دعوة الانبياء عليهم الصلوة والسلام قوله استبعاد له واستهزاء به يعني ان معنى الاستفهام في متى انجاز
من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعاد له وانكار فانه عليه الصلوة والسلام كلما هددهم
بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا متى هذا الوعد واحتجوا بعدم ظهوره على القدح
في نبوته عليه الصلوة والسلام واستحقاقه لان نستهزئ به فامر الله تعالى بان يجيب عن هذه
الشبهة بجواب يحسم مادة الاشكال فعاد قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا والمعنى ان انزال العذاب
على الاعداء واظهار النصرة للاولياء لا يقدر عليه الا الله وحده وانه تعالى عين لذلك الوعد وقتا
معينا ثم احلول ما وعد واوعد في ذلك الوقت حتى لا يرد الاشكال ان وقت كل حادث انما

قال الامام احتج المعتزلة بالاستثناء المذكور في هذه الاية على ان العبد قد يملك لنفسه ضرا ونفعا وما ذاك الا الاطاعة والمعصية فهذا
الاستثناء يدل على كون العبد مستقلا بهما واجيبوا بان هذا الاستثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن انتهى كلامه ...
ان لو كان التقدير الا ما شاء الله ان املكه من النفع والضر فاني املكه وليس بلازم لجواز ان يكون التقدير لكن ما شاء الله ...

١٦٦

انما يتبين في علم الله تعالى فاذا حضر الوقت الذي وقته الله تعالى لحدوث ذلك الحادث لا بد ان يحدث فيه
ويمتنع ان يتقدم عليه او يتاخر عنه قوله الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك
كائن يعني ان هذا الاستثناء يجوز ان يكون متصلا والتقدير لا املك لنفسي شيئا مما يجري في او ينفعني الا
ما شاء الله ان املكه واقدر عليه وان يكون منقطعا والتقدير ولكن ما شاء الله من ذلك كائن
فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب مع انه انما يكون بمشية الله لا بان املكه واقدر عليه والاستثناء
المنقطع استدراك من قوله لا املك كانه قيل لا املك انا ولكن الله هو المالك لكل ما شاء يفعل بمشيته
قوله ولكل امة اجل اي مدة مضروبة لهلاكهم على وجه الاستيصال جزاء على تكذيبهم رسلهم فان
الظاهر ان يكون المراد من الاجل في قوله لكل امة اجل الاجل الذي اصروا على تكذيب الرسل
قرينة التخصيص ذكره في جواب قول المشركين متى هذا الوعد وهذا العموم بظاهره يقتضي
ان يكون لكل امة من المصرين على التكذيب وقت مضروب لتعذيبهم بعذاب الاستيصال
فيجب ان يخص هذا الحكم بالامم الماضية لان هذا الحكم لا يعم امتنا بالحديث ويحتمل
ان يكون المعنى لكل امة مدة مضروبة لفناء عمر كل واحد منهم ثم لو لا الاية ان احدا لا
يموت الا بانقضاء اجله والمعنى الاول انسب لقوله لكل امة لانه لو كان المراد المعنى
الثاني لكان الظاهر ان يقال ولكل احد بدل امة قوله ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون
به فان الاستفهام في قوله متى هذا الوعد بمعنى الاستعجال والاستبطاء اي عد الامر بطيئا وهذا
جواب ثان عن قولهم متى هذا الوعد ومعنى الكلام ملزم بالحجة اخبروني ان ما استعجلتموه
من العذاب ان اتاكم في وقت اي شيء تستعجلون منه وليس شيء من العذاب يستعجل به لمرارته
وشدة اصابته وتنفر الطبع منه اشد النفرة وهو استفهام ومعناه التفظيع والتهويل
كما تقول لمن هو في امر تستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك قوله بياتا نصب على الظرف اي
وقت بياتكم وغفلتكم بالنوم وكذا نهارا اي وقت اشتغالكم بطلب المعاش والكسب واللهو
وجواب الشرط محذوف اي تندمون على الاستعجال او تعرفون الخطاء فيه والبيات اسم بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم اقيم مقام الوقت كقولك آتيك صياح الديك يقال بيت العدو اي اوقع بهم
ليلا ويقال بات يبيت بيتوتة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا
اي شيء من العذاب قد تقرر ان ماذا فيه وجهان ان يكون اسمين بمعنى ما الذي وان يكون اسما
واحدا بمعنى اي شيء ولا يجوز المراد ههنا ما الذي لان الضمير في منه للعذاب فلو كان بمعنى الذي
لخلا الصلة عن ضمير فلذا حمله اي شيء والتنكير فيه اما للوحدة النوعية او للتهويل فان كان
للوحدة فالمعنى اي نوع من العذاب تستعجلونه وعلى هذا يكون كلمة من في منه للتبعيض او للتبيين

وان كان للتهويل فالمعنى اي شيء هائل شديد تستعجلون منه ففي 2 تجريد بتجريد من العذاب
شيء هائل شديد يتعجب منه ومن شدته هوله كل من يراه او يسمعه وهو العذاب نفسه لا الفرد
منه والنوع او النوعين وكونها للتجريد عائد الى كونها للبيان لان ما جرد من العذاب وهو ذلك
الامر الهائل المتعجب منه صادق على جنس العذاب بيتين له بخلاف ما اذا كانت للتوحيد فان كان
قوله منه بمعنى من جنس العذاب فهي للبيان وان كان بمعنى من انواع العذاب فهي للتبعيض **قوله**
وهو متعلق بارايتم يعني ان قوله ماذا يستعجل تعلق الاستخبار فان ارايتم استخبار بمعنى
اخبروني فيستدعي مفعولا يتعلق هو به وهو جملة الاستفهام فيكون الشرط مع جوابه المحذوف
معترض المضمون الاستخبار ولذلك وسط بين جملة الاستخبار ولما كان في هذا الاستفهام تجهيل لهم وتنديم
قدر الجواب تندموا على الاستعجال وتعرفوا الخطأ فيه ولا مانع من تقديرهما معا او تقدير ما يفيد
المعنيين ولهذا حذف الجواب ووسط تاكيدا على تاكيد ثم قيل زيادة تنديم وتجهيل اذا وقع العذاب
آمنتم به وانقلب استهزاؤكم وتكذيبكم الى التصديق والاذعان وجيء بثم دلالة على زيادة الاستبعاد
وفيه ان هذا الثاني ابعد من الاول وادخل في الانكار فظهر بهذا التقدير انه لا بد ان يقال قوله وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاء ليس حسنا بناء على ان الجواب المقدر
لا يكون الا ما يدل عليه ما تقدم لفظا او تقديرا فلو قيل انت ظالم ان فعلت كذا يكون تقدير
فعلت كذا فانت ظالم فينبغي ان يجعل تقدير الاية ان اتاكم عذابه فاخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون
وتقدير تندموا او تعرفوا تقدير شيء لا دليل عليه ووجه الاندفاع انا لا نسلم انه لا دليل عليه فان مجموع
قوله ارايتم ماذا يستعجل منه المجرمون تجهيل لهم وتنديم **قوله** ويجوز ان يكون الجواب ما يكون الجملة
الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا فاي شيء يستعجل منه المجرمون
وقوله اثم اذا ما وقع زيادة تنديم وتجهيل كما مر قيل لا يجوز ان يكون قوله ماذا يستعجل منه المجرمون
جوابا للشرط لما تقرر في النحو من ان جواب الشرط اذا كان جملة استفهامية لا بد فيها من الفاء تقول
ان زارنا فلان فاي شيء نعطيه ولا يجوز حذفها الا عند ضرورة وما ذكر من المثال وهو ان اتيتك ماذا
تعطيني ليس من تمثيله لا من كلام العرب وقوله ماذا يستعجل منه المجرمون غير مصدرة بالفاء فلا يجوز
كونه جوابا للشرط وايضا في كونه جوابا اشكال آخر وهو ان الجواب لا بد ان يكون مرتبا على الشرط
متاخرا عنه واستعجال العذاب لا يكون مترتبا على اتيانه متاخرا عنه بل يكون قبل اتيانه واجيب
بانه لا شك ان الاستعجال ماض بالنسبة الى اتيان العذاب فلا يجوز ان يكون قوله ماذا يستعجل بمعنى الحال
حقيقة بل يكون حكاية عن الحال الماضية اي ماذا كنتم تستعجلونه لكن بمجرد هذا لا يكون ايضا جوابا
لان الاستعجال السابق لا يترتب على اتيان العذاب فلا بد من تقدير وهو ان يقال ان اتاكم عذابه

تعلمون ان اي شيء تستعجلون منه **قوله** او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به هكذا وقعت العبارة
فيما رايناه من النسخ والظاهر ان كلمة الباء زائدة وقعت من تحريف النساخ لانه على تقدير وجودها
يكون المعنى او يكون الجملة الشرطية متعلقة بقوله اثم اذا ما وقع تعلق المفعول بعامله ولا وجه له
فالصحيح ان تطرح الباء ويقال او قوله اثم اذا ما وقع بنصب قوله عطفا على ماذا اي ويجوز ايضا
ان يكون الجواب قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه وذلك الايمان
لا ينفع البتة لكونه حاصلا في وقت الالجاء والغرض ان الايمان انما ينفع صاحبه اذا صدر عن اختيار
قوله اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به اشارة الى ان الآن منصوب بفعل مضمر دل
عليه الفعل الذي تقدم في قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بتقديره الآن آمنتم به ولا يجوز ان يعمل فيه آمنتم الذي تقدم
ذكره لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده كما ان ما بعده لا يعمل فيما قبله لانه لصدر الكلام وقد قرا الجمهور
الآن بهمزة الاستفهام داخلة على الآن وهذا الفعل المقدر مع معموله مقول قول مقدر كما صرح به وقدر القول
والفعل الناصب لقوله الآن بلفظ الماضي ليطابق ما قبله وهو اذا ما وقع آمنتم وما بعده وهو قوله ثم
قيل وهذه اشياء لم تكن بعد بقرينة ما سبق من قوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه وعبر عنها بالفعل
الماضي تنبيها على انها كائنة لا محالة والمعنى ثم قيل لهم ذوقوا هذا العذاب فانه خالد لكم لا يزول حيث تعرفون
الى القبر فتعذبون فيه ثم تبعثون فتحشرون الى جهنم فتعذبون فيها ابدا **قوله** وقد كنتم به تستعجلون
جملة حالية من الضمير المجرور في به وتستعجلون بمعنى تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار
كنى عن التكذيب بذكر لازمه وهو الاستعجال لكون الكناية ابلغ من التصريح **قوله** عذاب الخلد من
اضافة الموصوف الى صفته اصله عذابا خالدا اي دائما لا يزول عنهم ابدا ثم قيل عذابا خالدا على طريق
التوصيف بالمصدر للمبالغة ثم اضيف العذاب الى صفته للدلالة على الاختصاص ثم انه تعالى لما ذكر
العذاب المؤبد ذكر بعده هل تجزون الا بما كنتم تكسبون تنبيها على ان رحمته سابقة على غضبه وانه تعالى
لم يخلق عباده الا ليرحمهم ويتفضل عليهم وان هذا العذاب الشديد المؤبد لم يصدر منه تعالى ابتداء بل
هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المترتب على تناول السم ثم انه تعالى لما اخبر عن الكفار بانهم يقولون
في هذا الوعد واجاب عنه بما اجاب حكى عنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفس تحققه كما
سألوا اولا عن زمان تحققه ولهذا اختلف جواباهما حيث اجاب عن السؤال الاول بقوله لكل امة اجل
واجاب عن الثاني بان هو متحقق واكده بالقسم فقال اي وربي انه لحق وفائدة القسم ان يستميلهم و
يتكلم معهم بالكلام المعتاد لان الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد اخرجه عن الهزل الى الجد
قوله وقيل الضمير للقرآن عطف على ما يفهم من قوله ان العذاب لكائن اما ادعاه لثابت فانه
يفهم منه ان كل واحد من ضميري هو وانه للوعد او ادعاء النبوة **قوله** والضمير الذي هو لفظ هو مرتفع

اعترض عليه ايضا بان يجعل
الاستفهامية لا تقع جوابا للشرط
بدون الفاء وبان كلمة ثم عاطفة
ولم يسبق شيء يصلح ان يعطف
هو عليه ولا يقدر شيء يعطف
هو عليه لان المعطوف عليه حينئذ
لا ينفع جوابا بشرط واجيب عنه
بان ثم ههنا ليست للعطف
بل لمجرد الربط كالفاء وانها
الاصل للعطف وقد دخل على
الجزاء لافادة التراخي فكانه
ثم قيل ان اتاكم عذابه
اثم اذا وقع آمنتم به فتامل
منه

ويكون قوله ماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراضا بين الشرط وجوابه
ويكون المعنى اخبروني ان اتاكم
عذابه بياتا او نهارا او وقع
تحقق آمنتم به بعد وقوعه ثم
جيء بحرف التراخي بدل الفاء
للدلالة على تاخر الايمان عن وقوع
العذاب والجزاء لا يعطف على
الشرط بكلمة ثم وانما يترتب
عليه بالفاء الا انه اجري ثم
مجرى الفاء لانه ايضا يفيد
الترتيب مع زيادة التراخي
المناسب لمقام التوبيخ منه

قوله وكلا الضميرين للقرآن نبه
ولهذا المعنى نظمه في سلك الاوليين
منه

على انه فاعل حق فانه صفة مشبهة بمعنى ثابت فيرفع الفاعل وهذا الفاعل ساد مسد الخبر ويجوز ان يكون
احق خبرا مقدما وهو مبتدا مؤخرا وجملة احق هو في محل النصب على انها مفعول ثان ليستنبئونك فان انبا
بمعنى اخبر فيتعدى الى اثنين والاكثر ان يتعدى الى الثلاثة بكلمة عن بان يقال استنبأت زيدا عن عمرو
اي طلبت منه ان يخبرني عن عمرو وقد يتعدى اليهما بنفسه واي حرف جواب بمعنى نعم ولكنها تختص بالقسم
ولا تستعمل الا فيه بخلاف نعم ولكونه من لوازم القسم يوصل بواو في التصديق فيقال اي والله وسمع من
العرب انهم يقولون ايو الله فيصلونه في التصديق بواو القسم ولا ينطقون المقسم به **قوله** ويؤيده
انه قرئ الحق هو اي قرأ الاعمش الحق بلام التعريف قال الزمخشري وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى
التعريض لانه باطل وذلك لان اللام للجنس كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق
واحق مبتدا ولفظ هو خبره مرفوع على انه فاعل حق لانه صفة مشبهة بمعنى ثابت فيرفع الفاعل
وهذا الفاعل ساد مسد الخبر ويجوز ان يكون خبرا مقدما وهو مبتدا مؤخرا **قوله** وما انتم بمعجزين
الاظهر انه معطوف على جواب القسم وهو قوله انه لحق فيكون قد اجاب القسم بجملتين احديهما
مثبتة بان واللام والاخرى منفية مؤكدة بزيادة الباء ومفعول معجزين محذوف اي ما انتم
بمعجزين الله من ان يقدر عليكم فيعذبكم وخلاصته ما انتم فائتين العذاب ناجين منه ثم
اخبر الله تعالى عن حالهم حين ينزل بهم العذاب فقال ولو ان لكل نفس ظلمت بالكفر والاشراك
والافتداء يجيء بمعنين مطاوع فداه فيكون لازما بمعنى الفدية ما فدي وبمعنى فداء
فيتعدى الى واحد يقال فداه وافتداه اذا اعطى فداءه فانقذه وهو في الآية بالمعنى الثاني
لان النفس الظالمة هي المعطية لفداءه **قوله** لانهم بهتوا علة لاسرارهم الندامة
واخفائهم اياها وعدم اظهارهم اياها بالنطق والتكلم على ان قوله اسروا من السر الذي هو
ما يكتم فانهم لما رأوا العذاب الشديد بابصارهم ابهتتهم لم يطيقوا بكاء ولا صراخا سوى
اسرار الندامة كمن يذهب به ليصلب فانه يبقى مبهوتا لا ينطق بكلمة وقيل اسروا الندامة
اخلصوها اي اخلصوا لله تعالى تلك الندامة على ان يكون اسرار الندامة كناية عن جعلها خالصة
لله تعالى بطريق ذكر اللازم لينتقل الى الملزوم لان التوبة والندامة لا تخلو عن السمعة والرياء
على ان يكون اسرار الندامة عبارة عن ايقاعها على احسن الوجوه وافضلها بناء على ان سر الشيء
صفوته وخالصته وفي الصحاح سر النسب محضه وافضله يقال هو في سر قومه اي في اوسطهم
وسر الوادي افضل موضع منه وقيل الاسرار كما يستعمل بمعنى الكتم والاخفاء يستعمل ايضا بمعنى
الاظهار والاعلان وهو من الاضداد وهو في الآية بمعنى الاظهار كما يقال اسررت الشيء بمعنى اسررت
الشيء اي اظهرته قال الشاعر فما بخعهم والله صبرهم وحتى اسررت بالاكف المصاهي اي اظهر

قوله ليس

قوله ويؤيده انه قرئ الحق هو بهمزة الاستفهام والتعريف باللام سلمه

قوله واحق مبتدا لكونه صفة واقعة بعد الاستفهام رافعة لظاهر وحق وان كان مصدرا في الاصل الا انه ههنا بمعنى ثابت سلمه

قوله او خبر مقدم وانما قلنا لظهوره ان يلي السؤال عنه الهمزة لتوفر ... مؤكدة

قوله واسروا الندامة معطوف على مقدر ... سلمه

... ولات حين اصطبار انهم بهتوا لما رأوا العذاب ... يطيقوا ... سلمه

على معنى انه ... سلمه

في الايام ... قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل ان الكفار وان اشتركوا في
العذاب فانه لا بد وان يقضي الله بينهم لانه لا يمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وخانه فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب
الباقين لان العدل يقتضي ان ينتصف للمظلومين ولا سبيل اليه الا بان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين ثم انه تعالى لما ذكر الظالمين بقوله
ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به قرر قدرته على الاثابة والعقاب بقوله الا ان لله ما في السموات والارض وقيل انه تعالى لما قال ان الظالم لو ملك خزائن ...

قوله ليس تكرارا لان قوله فاذا جاء رسولهم قضي بينهم قضاء بين الانبياء ومكذبيهم كما فسره
هناك والثاني مجازاة المشركين على الشرك لان الكلام مسوق للجواب للمكذبين الذين
يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقيل معناه قضي بين الظالمين والمظلومين
المدلول عليهما بقوله لكل نفس ظلمت قدم الجار في قوله واليه ترجعون للاختصاص اي اليه لا الى
غيره وفيه ايضا رعاية الفواصل وقرأ العامة ترجعون بتاء الخطاب وقرئ بياء الغيبة
ايضا قوله تعالى واسروا الندامة وقوله وقضي بينهم ورد بلفظ الماضي مع انهما مما يتعلق
بالكفار يوم القيمة لكونهما لتحقق وقوعهما بمنزلة الماضي والظاهر ان قوله وقضي مستأنف ويحتمل
ان يكون معطوفا على قوله رأوا ثم انه تعالى لما ذكر ان اتباع الظن لا يغني من الحق شيئا وان الذي
يجب اتباعه هو القران المعجز الذي لا يتصور فحصه ان يفترى من دون الله وصف القران ههنا
باربع صفات الاول انه موعظة وثانيها كونه شفاء لما في الصدور وثالثها كونه هدى ورابعها
كونه رحمة للعالمين فقال يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة الآية **قوله** اي قد جاءكم كتاب
يعني ان المراد انه جاءكم كتاب فيه هذه الفوائد لكنه جعل الجملة تعدادها للمبالغة والوعظ النصح
والتذكير بالعواقب يقال السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره جعل القران موعظة
لما فيه من الحكمة العملية التي هي الموعظة وجعله شفاء لما فيه من الحكمة النظرية التي هي شفاء
لما في الصدور من الامراض القلبية والموعظة مصدر بمعنى الوعظ وهو ارشاد الخلق ببيان
ما ينفعه من محاسن الاعمال وما يضره من القبائح والترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح
والعلم الكامل بهذا البيان هو الحكمة العلمية بكيفية العمل **قوله** بانزال القران اشارة الى ان فضل الله
ورحمته عبارة عن انزال القران الكريم لان هذه الآية متصلة بالآية الاولى وهي في ذكر القران
وقد وصفه الله بالرحمة في الآية الاولى وقال في آية اخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
يتلو عليهم آياته الى ان قال ذلك فضل الله كانه قيل لنبيه محمد لهؤلاء الذين يجمعون جميع الاحوال والنعيم
من زخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته فافرحوا لا بالاموال والحظوظ الفانية السريعة الزوال وروي انه
عليه الصلوة والسلام تلا قوله بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام والفضل الزيادة
في النعمة وفضل ما يتفضل به زائدا على اصل نعمة الايجاد على احسن الصور والبيانات ما يجيء القران
متصفا بالصفات المذكورة اليهم نعمة زائدة على اصل النعمة ورحمة للمؤمنين فانهم هم المتنعمون بمجيئه
لا فرح السفهاء واهل الاهواء بالنعمة الجسمانية وصف الله القران بما وصفه ثم قال فبذلك فليفرحوا
فليفرحوا كانه قيل وكل ما يحل الخ **قوله** والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا يعني ان قوله تعالى بفضل الله
وبرحمته لا بد له من متعلق ومتعلقه ليس فليفرحوا المذكور لانه متعلق بقوله فبذلك فلا بد ان يتعلق

بتقدير ولا بد للمقدر من قرينة تعينه وتدل عليه وهي ههنا هو الفعل المذكور بعد قوله فبذلك وتقدير الكلام بفضل الله وبرحمته ليفرحوا فبذلك فليفرحوا فحذف الفعل الاول لدلالة الفعل الثاني عليه فهما جملتان بمعنى واحد لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير فكانه قيل فبهما فليفرحوا فلما كان معمول الفعل الثاني هو فضل الله ورحمته من حيث المعنى كانت الجملتان بمعنى وكان الفعل المذكور مفسرا للمذكور قبله وفائدة التكرار التاكيد والتقرير والبيان بعد الاجمال فان عامل الجار والمجرور اجمل في الجملة الاولى وبين في الثانية ولا شك ان تبيين الشيء بعد اجماله اوقع في النفس وادخل في التقرير ومن فائدة التكرار على الوجه المخصوص وهو التكرير بتقديم المعمول على عامله ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بكونهما مفروحا بهما وذلك لان التقديم على المرة الاولى يفيد اختصاصهما به فلما كرر التقديم افاد ايجاب اختصاصهما به وتحقيقه وتقريره كانه قيل افرحوا بهما دون ما عداهما من فوائد الدنيا ونعيمها ووجه كون فليفرحوا قرينة للعامل المقدر مفسرا له على تقدير ان يكون العامل المقدر فليعتنوا ان الفرح بالشيء يستلزم الاعتناء بشانه وعند ذكر الملزوم ينتقل الذهن الى لازمه وقرينة المقدر لا يجاب يكون لفظه قوله او بفعل دل عليه قد جاءتكم اي ويحتمل ان يكون الباء متعلقة بفعل دل عليه فجاءتكم اي فجاءتكم الموعظة بفضل الله ورحمته ولا يجوز كونها متعلقة بجاءتكم الاولى للفصل بينهما بقل وفيه اشارة الى ان صاحب الكشاف تساهل في قوله ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا فانه يدل على كونها متعلقة بجاءتكم المذكور ولا وجه للفصل بينه وبين الجار والمجرور بجملة قل قوله والفاء الاولى وهي ما في قوله فبذلك فاء جزائية لشرط محذوف كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها اي ويحتمل ان تكون سببية دالة على ان مجيء الكتاب الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقديرين تكون الفاء الثانية تكرارا للاولى لقصد التاكيد كما في قوله لا تجزعي ان منفسا اهلكته • واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي • فان الفاء الاولى فيه جزائية والثانية تاكيد لها وقرا الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب على الاصل المرفوض فان الاصل في لفظ الامر سواء كان امر الغائب وامر الحاضر ان يكون باللام فان اصل اضرب لتضرب لكنهم حذفوا اللام في امر الحاضر لكثرة استعماله كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخفيفا ثم ادخلوا همزة الوصل احترازا عن لزوم الابتداء بالساكن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا انه قرا فلتفرحوا بتاء الخطاب قوله وقرا ابن عامر تجمعون بتاء الخطاب على انه خطاب للناس الذين خوطبوا بقوله يا ايها الذين امنوا قد جاءتكم وقرا الباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا ثم انه تعالى لما ذكر شبه منكري النبوة والبعث والجزاء عن مشركي مكة واجابهم ودفع شبههم شرع في بيان فساد طريقتهم في شرائعهم فبين ان تحريم بعض ما رزقهم الله وتحليل بعضه مع انه لم يشهد بذلك لا عقل ولا نقل طريق باطل ومنهج فاسد

١٦٩

فاسد فالمقصود ابطال مذاهبهم في اديانهم وفي احكامهم وانهم ليسوا على شيء في باب من الابواب فقال قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية جعل الرزق منزلا من السماء مع ان الارزاق انما تخرج من الارض اما لانه مقدر في السماء رزقكم كما قال تعالى وفي السماء رزقكم ولا يخرج من الارض الا على حسب ما قدر فيها فصار بذلك كانه ينزل منها او لانه انما يخرج من الارض باسباب سماوية كالمطر والشمس والقمر فان المطر سبب الانبات والشمس سبب النضج والقمر سبب التلون قوله وما في موضع النصب بانزل او بارايتم يعني ان كلمة ما في قوله ما انزل الله لكم اما استفهامية منصوبة المحل بانزل والمعنى اخبروني اي شيء انزل الله من رزق فبعضتموه والمقصود الانكار لتجزيتهم الرزق واما موصولة بمعنى الذي منصوبة على انه مفعول اول لارايتم والعائد محذوف والتقدير اخبروني الذي انزله الله ومفعوله الثاني هو قوله الله اذن لكم والعائد من هذه الجملة الى المفعول الاول محذوف تقديره الله اذن لكم فيه فان قيل كلمة قل في قوله تعالى قل آلله اذن لكم يمنع من كون الجملة الواقعة بعدها مفعولا ثانيا لقوله ارايتم قلنا كلمة قل هي التي ذكرت في قوله قل ارايتم كررت للتاكيد لانها لو حذفت من الكلام وقيل قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله اذن لكم فيه لتم الكلام بدونها فعلم بذلك انها انما كررت للتاكيد فلا تمنع كون ما بعدها معمولا لما قبلها قوله ويجوز ان تكون المنفصلة اراد بها قوله تعالى آلله اذن لكم فانه قد انفصل عن قوله قل ارايتم بتخلل كلمة قل بينهما لما ذكر ان كلمة ما في قوله تعالى ما انزل الله لكم في موضع النصب بانزل او بارايتم ذكر ان قوله آلله اذن لكم ام على الله تفترون متصلة بارايتم بكونه مفعولا ثانيا له والحال ان كلمة قل مكررة للتاكيد لانها لو كانت كلمة مستقلة لمنعت من كون ما بعدها معمولا لما قبلها فتكون همزة الاستفهام في آلله للاستفهام وتكون ام متصلة عاطفة والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه بان تقولوا الله امرنا به فان قيل الهمزة مع ام المتصلة يطلب بها تعيين احد الامرين وذلك يقتضي ان يكون كل واحد من الامرين محتملا ومن المعلوم انتفاء الاذن من الله فتعين كونهم مفترين على الله فكيف يسال عن تعيين احدهما قلنا السؤال لطلب التعيين لا يقتضي ان يكون كل واحد من الامرين ممكن محتمل الوقوع في نفس الامر حتى يقال لا يصح السؤال لطلب التعيين في هذا المقام لتعين احد الامرين واستحالة الاخر فيه بل يقتضي السؤال المذكور ان يكون كل واحد من الامرين محتملا عقلا في بادي الراي مع قطع النظر عن الادلة الخارجية وان كان احدهما متعينا والاخر مستحيلا في نفس الامر او في اعتقاد المخاطب ايضا فان كون التحليل والتحريم ماذونا فيه من قبله تعالى وعدم كونه كذلك قسمة صحيحة دائرة بين النفي والاثبات وكل واحد منهما محتمل بحسب العقل فيصح ان يسال المخاطب على تعيين احدهما ليقر بما هو الحق منهما عنده

كونه مفتريا على الله تقول انه تعالى امرنا بذلك والمقصود بهذا السؤال الزام الحجة على المخاطب بالجائه
الى الاعتراف بالحق فلا محذور قوله وان يكون الاستفهام للانكار عطف على ما يفهم مما قبله
من كون ام متصلة ويكون الى الاستفهام معها بمعنى ايهما اى ويجوز ان لا يكون المنفصلة متصلة
معادلة بارايتم بان يكون مفعول قوله قل ويكون الاستفهام للانكار ان يكون ذلك التحريم والتحليل باذن
الله لكم ويكون ام منقطعة بمعنى بل والهمزة اى بل انفترون على الله ومعنى بل فيه الاضراب عن ان يكون
ذلك باذن الله ومعنى الهمزة تقرير للافتراء وتوبيخ عليه فقرر الله تحريمهم وتحليلهم اولا بقوله
اخبرونى الذى انزل الله عليكم من رزق فجعلتم منه حلالا وحراما ثم انكر عليهم ان يكون ذلك
باذن الله ثم اضرب عنه وقرر افتراءهم على الله ثم انه تعالى لما قرر افتراءهم على الله هددهم بقوله
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب وكلمة ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وظن خبرها
ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف الى الفاعل والمعنى اى شىء ظن المفترين يفعل
بهم يوم القيمة وفى ابهام متعلق الظن بحذفه والسؤال عنه وعيد بليغ وتهديد عظيم ثم انه تعالى
لما هدد الكفار بابهام ما يفعل بهم يوم القيمة بين كونه عالما بعمل واحد من المطيعين والعاصين
وما فيه من الدواعى والصوارف ليحصل به السرور التام للمطيعين والخوف الشديد
للمذنبين فقال وما تكون فى شان ولا تتلو امنه كلمة ما نافية فى الموضعين ولذلك عطف بلا
النافية والشان مصدر شان شانه اى قصد قصده واصله الهمزة
يجوز تخفيفه وفسره المص بالامر حيث قال ولا تكون فى امر من امور الدنيا وهو الحكى عنها
فى الصحاح الشان الامر والحال والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير منه للشان
ومن للتبعيض وفى قوله من قران مزيدة لتاكيد النفى اطلق القران على البعض المتلو منه
لان كل جزء من القران قران فانه اسم للقدر المشترك بين الكل والجزء اى ولا تتلو قرانا حال
كونه تلاوته ببعض شئونك بل معظم شانك ويحتمل ان يكون الكلام محمولا على حذف المضاف
بان يكون كلمة من للعلة وتقدير الكلام وما تتلو من اجل شان بان يحدث لك شان فتتلو القران
من اجله كنزول مما خطيئاتهم اغرقوا اى من اجل خطيئاتهم قوله او للقران عطف على
قوله له اى ويحتمل ان يكون ضمير منه للقران فيكون كلمة من للتبعيض وفى قوله من قران للتبيين وان
جعل ضمير منه لله يكون كلمة من ابتدائية اى وما تتلو من عند الله من قران ومن فى قوله من قران
اما للتبعيض او مزيدة لتاكيد النفى قوله تعميم للخطاب فان الخطاب فى قوله ولا تعملون للنبى
صلى الله عليه وسلم والامة افيد باضمار قبل الذكر تفخيما لشانه وتعظيما له ثم جمع هو مع امته
فى قوله ولا تعملون تفضيلا لهم قوله ولذلك اى ولكون الخطاب الاول مختصا به عليه الصلوة

وتقديم قوله تعالى على الله على قوله تعالى ... تقبيح لتخصيص الله تعالى بالافتراء عليه لانه زيادة فى قبح الكذب

الصلوة والسلام والشان بعمه والامة ذكر حيث خص الخطاب بما فيه فخامة وهو تلاوة القران
وذكر حيث عمم ما يشمل الجليل والحقير وهو العمل والخطاب وان خص به عليه الصلوة والسلام
اولا يجب انتظام الا ان الامة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خوطب دخل قومه فى ذكر الخطاب
كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا جملة حالية لانه
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يكون شىء مما ذكر فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا
شاهدين مطلعين عليه وقوله تعالى اذ تفيضون فيه ظرف معمول الشهود او الافاضة
الدخول فى العمل بناء الافاضة الشروع فى العمل اذا اندفعوا فيه وافاضوا من عرفة اذا دفعوا منها
بكثرتهم قوله بوزن نملة صغيرة او هباء بالرفع لا بالجر اشارة الى ان قوله من مثقال ذرة فاعل
يعزب وكلمة فيه زائدة لتاكيد النفى وان مثقال الشىء ما يساويه فى الثقل وان ذرة عبارة
عن النملة الصغيرة او الهباء قوله اى فى الوجود والامكان بمعنى عزبها فى الوجود بقوله
فى الارض وعنها فى الامكان بقوله فى السماء كانه قيل لا يعزب علمه عن علم ما يوزن الذرة
فى الثقل لا داخلا فى الوجود ولا فى الامكان لان القران نازل على لسان العامة والعامة
لا تعرف ممكنا غيرهما بحيث لا يكون فيهما ولا متعلقا بهما قوله وتقديم الارض بعنى ان
حق السماء ان يتقدم ذكره على ذكر الارض لانها بمنزلة العلة الفاعلية بالنسبة الى
الحوادث الارضية ولذلك قدم ذكر السماء فى سورة سبا حيث قال عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وقدم على ذكر السماء لكون ما فى الارض تتمة فى
هذه الاية لان الكلام فى حال اهلها حيث قال ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا ثم
قرر ذلك بقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة ولما كان الكلام فى هذه الاية فى حال اهل الارض
كان المناسب ان يتقدم ذكرها على ذكر السماء وارتباط قوله لا يعزب عن ربك الاية بقوله
الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه انه بمنزلة البرهان على احاطة علمه بها قوله كلام
برأسه اى غير معطوف على ما قبله لانه لو عطف لكان معطوفا اما على محل من مثقال ذرة
فيكون فى محل الرفع على انه فاعل يعزب لان الجار والمجرور مرفوع المحل على انه فاعل يعزب ومن
مزيدة فيه كما فى قولك ما جاءنى من احد فيكون المعنى لا يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا اصغر شىء من
ذلك ولا اكبر فى حال من الاحوال الا فى حال كونه فى كتاب وهو اللوح المحفوظ او علم الله والاستثناء
من النفى اثبات فيكون المعنى ان مثقال ذرة وما هو اصغر منه او اكبر يعزب عن ربك حال كونه فى
الكتاب وهذا معنى باطل لان شيئا من الاشياء لا يعزب عنه فى حال من الاحوال لاسيما فى حال
كونه فى كتاب واما على لفظ مثقال او على لفظ ذرة وكان فتحه لا اصغر واكبر مع كونهما فى موضع الجر

قوله اذ تفيضون فيه اى تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة حيث ... اى انه بمنزلة ... الدالة ... المقارنة للزمان الماضى ايضا او ... صيغة الماضى ... كلمة اذ انها تفيد المقارنة بمعنى الماضى اهـ

الهباء الغبار وقدرها بكونها مثلا فى غاية الخفة عرفا ... دهنا ادنى ما ... فى الثقل لا ... سعدى

قوله وارتباط ... القصد ... انه وراد الكلام عطف على محل ... ان الكلام فى حيز التعليل ... النقد ... فى حال اهل الارض ... لا يعزب ... من قوله لا يعزب ... انه برهان على احاطة علمه بحال اهل الارض بانه ... لا يعزب عن علمه ما فى الارض ... فعلا ... ايضا ... اهلها فيها الاحق بالتقدم ... السماء وذكر احاطة علمه بما فيها ... استطرادى ... من التخصيص الذكرى اخص احاطة علمه بما فى الارض
سعدى

قوله وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع هذه القراءة يحتمل وجهين احدهما كونها لا بمعنى ليس وثانيهما كونها لنفي الجنس وملغاة فيكون ما بعدها مرفوعا على الابتداء لوجود شرط الالغاء وهو تكرر لا مثل لا حول ولا قوة بالرفع فيهما وهو مختار المص لكن فيه ان انفلس من قبيل الشابه للمضارع كما صرح به في المغني فلا يجوز رفعه فالوجه ان يكون لا بمعنى ليس

لعدم انصرافهما للوزن الفعل والصفة فيلزم المعنى الفاسد ايضا وهو ان يكون نفس الاصغر والاكبر او شيئا لما يعزب عنه ربك في حال كونها في كتاب فلذلك جعل كلاما برأسه جيء به لتقرير ما قبله لانه اذا لم يعزب عنه ربك ما هو اصغر من ذلك ولا ما هو اكبر تقرر انه لا يعزب عنه مثقال ذرة وجعل كلمة لا نافية للجنس واصغر واكبر اسمها فهما مبنيان على الفتح على قراءة الجمهور وقراءة حمزة ويعقوب برفع راء اصغر واكبر اما عطفا على محل من مثقال ذرة فانه مرفوع بالفاعلية ومن مزيدة فيه كما في قولك ما قام من رجل ولا امرأة بجر امرأة ورفعها واما على الابتداء ليكون كلاما برأسه وانما ورد ان يقال ان كثيرا من المعربين لم يجعله كلاما برأسه بل جعل قوله ولا اصغر ولا اكبر على قراءة الجمهور معطوفا على المجرور وجعل صورة الفتح جر غير المنصرف وجعله على قراءة حمزة معطوفا على محل الجار والمجرور فهم كيف يتخلصون عن لزوم فساد المعنى ح اجاب عنه بقوله و من عطفه على لفظ مثقال او محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمعنى لا يعزب عنه شيء لكن جميع الاشياء في كتاب ثم انه لما بين احاطة علمه بجميع اعمال المكلفين وكان ذكر وعد المحسنين المطيعين ووعيد العصاة اتبعه شرح احوال الاولياء فقال الا ان اولياء الله والاولياء جمع ولي وهو فعيل من الولي وهو القرب ووليّ كل شيء هو الذي يكون قريبا منه والقرب لا يمكن الا من الجانبين فلذلك قال المص الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة فان القرب من الله بحسب المكان والجهة محال فقرب العبد اليه تعالى انما يكون بملازمة طاعته والاجتناب عن مخالفته و عصيانه وقربه تعالى من العبد يكون باثابته واكرامه والخوف انما يكون من حدوث شيء من المكاره في المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شيء مما يكره في الماضي او من فوات شيء مما يحبه قوله والاية مجمل لان قوله اولياء الله عنوان مجمل لم يبين فيه جهة قربهم من الله لكي يخفى المراد منه وكان قوله الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا له حيث بين جهة قربهم من الله وهي ايمانهم وخوفهم من المقام بين يدي الله تعالى وكان تفسير اولياء الله ما اجمل اولا كقوله انه قال ما اولياء الله هم الذين وصفهم الله تعالى في الاية بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون قوله وقيل الذين امنوا عطف على ما بعده من قوله فسر قوله الذين امنوا انما صرح في ان اولياء عنوان مجمل بينه قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل وليّ الله لا بد ان يكون بينه وبين الله تعالى توليا وتقربا من الجانبين فقوله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون بيان تولّيهم لربهم وقوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة بيان توليه تعالى لهم والفرق كونه تفسيرا للمراد من اولياء الله وبين كونه بيانا لتوليهم لربهم ظاهر لان الاول لا يستلزم الاول قوله وما يريهم في الرؤيا الصالحة فانه ايضا مما يبشر به المؤمن روي ان عبادة

١٧١

عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه البشرى التي ذكرها الله تعالى بقوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا فقال عليه الصلوة والسلام هي الرؤيا الصالحة التي يراها الرجل الصالح او ترى له فعلى ما يكون مقتضى ظاهر النص ان لا تحصل الرؤيا الصالحة الا لاولياء الله الذين تنورت بواطنهم بنور الذكر فلا يرون الا الحق ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في روحه الا معرفته ومن المعلوم ان معرفة الله ونور جلاله لا يفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الخاطر على احوال هذا العالم الكدر المظلم فانه اذا نام يبقى قلبه كذلك فلا جرم لا اعتماد على رؤياه وعليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعنه عليه الصلوة والسلام الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوذ بالله وليبصق عن شماله ثلث مرات فانه لا يضره وقيل اذا رأى احدكم ما يحزنه فليقل اعوذ بما عاذت ملائكة الله من شر الرؤيا التي رأيتها ان تضرني في دنياي وفي اخرتي وعنه عليه الصلوة والسلام الرؤيا الصالحة التي يبشر بها المؤمنون جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فانما هي من الشيطان فيحزنه فلينفث على يساره ثلثا وليسكت ولا يخبر بها احدا ولعل وجه كون الرؤيا الصالحة جزءا واحدا من ستة واربعين جزءا من النبوة ان مدة الوحي كانت ثلثا وعشرين سنة منها ستة اشهر كان النبي عليه الصلوة والسلام يرى الرؤيا فيؤمر فيها بالانذار وكان ما يراه فيها يجيء كما يرى من غير ان يرى جبريل ثم جاء جبريل لانقضاء ستة اشهر ومن المعلوم ان ستة اشهر بالنسبة الى ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزءا من ثلاث وعشرين سنة قوله وبشرى الملائكة عند النزع قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون قوله وهذه الجملة يعني قوله ذلك هو الفوز العظيم والتي قبلها وهي قوله لا تبديل لكلمات الله وهذه لتحقيق المبشر به وقوله ذلك هو الفوز العظيم لتعظيم شان المبشر به قوله وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله جواب عما يقال كل واحدة من الجملتين كيف يكون اعتراضا والاعتراض انما يكون في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين معنى ولا يكون في اخر الكلام وقد انقطع الكلام عندهما وتقرير الجواب ان ما ذكر ليس حكما كليا بل مبني على كون ذلك هو الاكثر وان النادر القليل في حكم المعدوم فانه لا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت وتقول حدث في حادثة والحوادث جمة وتسكت ومن شرط ان يقع بعد الاعتراض كلام يسمي مثله تذييلا لا اعتراضا ثم ان المشركين كانوا يهددون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخوفونه بان يقولوا له عليه الصلوة والسلام نحن اصحاب اموال واتباع فنسعى في قهرك وابطال امرك

خنزل قوله تعالى ولا يحزنك قولهم الآية تسلية له عليه الصلوة والسلام قوله من الملائكة والثقلين
بينه بهالان كلمة من في قوله من في السموات والارض مختصة بالعقلاء فكانه قيل فمن يتعزز عليك
بكثرة اتباعه واموالهم فهو متعزز بما ليس له لان الموجودات كلها لله تعالى فمن استغنى بها عليك
فقد آل امره الى الذل والهوان لانه تعالى قادر على ان يسلب عنه ما يتعين به عليك ويتجبر عليه
وينقل جميع ما يتعين به اليك قوله اي شركاء على الحقيقة اشارة الى ان ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول
يدعون محذوف لدلالة المقام عليه والتقدير وما يتبع الذين يدعون الذين آلهة من دون الله
شركاء لانه تعالى منزه عن الشركاء والانداد فقولنا آلهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع
قوله ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوبا بيدعون والمعنى اي شيء
يتبع المشركون اي ما يتبعونه ليس بشيء ويجوز ايضا ان يكون موصولة معطوفة على من في قوله تعالى
الا ان لله من في السموات والارض والمعنى ان من فيهما والذين يدعو المشركون اباهم شركاء من
دون الله كلهم لله لا يصلح شيء منها ان يكون شريكا له تعالى قوله وقرئ تدعون بالتاء الخطاب للكبير
على ان يكون يحمل وما يتبع على الاستفهام كما صرح به بقوله واي شيء يتبع الذين تدعونهم ايها الكفار
شركاء فيكون الكلام الزاما لهم بان شركاءهم لا يتبعون الا الله فما لكم لا تتبعون شركاءكم في تخصيص
العبادة بالله تعالى بعد اقامة البرهان على وجوب تخصيصها بالله تعالى بقوله الا ان لله من في السموات
وما بعده وهو قوله ان يتبعون الا الظن النفات من خطابهم الى الغيبة لبيان سندهم في اتباع
شركائهم قوله او يحزرون عطف على يكذبون وقوله ويقدرون تفسير ليحزرون فان الحزر تقدير
الرأي على الاراء المهملة بمعنى التقدير والخرص وقد يطلق على الحزر والتقدير وقد يطلق على الكذب
يقال خرص يخرص خرصا اي كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب ثم انه تعالى لما ذكر ان العزة
لله جميعا احتج عليه بقوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فانه يدل على كمال قدرته
وتفرده باستحقاق العبادة وان المشركين ليسوا على شيء من امر الديانة قوله وانما قال مبصرا
بمعنى ان المبصر هو الذي يبصر والنهار لا يبصر بل يبصر فيه فكان الظاهر ان يقال لتبصروا فيه كما قال في الليل
لتسكنوا فيه فعدل عن هذا الظاهر واسند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره صائم وليله قائم
وعدل عن صورة الظرفية الى صورة الاسناد المجازي تفرقة بين الظرف المجرد وهو الليل وبين
الظرف الذي هو سبب فراغه ليس ظرفا مجردا واسند الابصار اليه فعلا وجعل النهار مبصرا ولم
يصرح بظرفيته للابصار تنبيها على انه ليس بظرف محض بل هو لكونه ذا ضياء سبب للابصار
اسباب المعاش كانه سبب فاعلي قيل هذه الآية في غاية الفصاحة حيث حذف في كل جملة ما
اثبت في الاخرى فانه حذف المفعول الثاني لجعل وذكر علته في الجملة الاولى فقيل لكم الليل لتسكنوا
واثبت

قوله وهو كالدليل على قوله الى اي على جميع تقادير وجوه الاعراب سوى كون ما موصولة
سعدي

قوله اي شركاء على الحقيقة قصد بهذا التقييد الرد على من منع كون شركاء مفعول يتبع لان اتباع المشركين اياها ثابت فلا معنى لنفيه
سعدي

قوله او موصولة معطوفة على من اي وله ما يتبعه المشركون يكون شريكا خلقا وملكا فكيف يكون شريكا له فقصد الآية نفي علم ما ذكر من الاسناد لان الآية على ان ما لا يعقل لا يصلح للربوبية وبهذا يكون دليلا مستقلا على عدم صلاحية ما عبدوه مطلقا عقلاء او غيرهم وقد يجعل ما في شيء المحذوف الخبر لا معطوفا على من اي وما يعبدون هؤلاء باطل
سعدي

قوله المتوحد بها الحجج اي الى ان في الآية ما يفيد القصر وهو ضمير الله مسندا اليه و الموصول مسندا دون يحكم مع صلاحية كل منهما لكونها حرفين لان يجعل مسندا اليه افاد ان الكلام مع من يعرف الله تعالى ويعرف ان في الوجود من جعل الليل سكنا والنهار مبصرا لكن لا يعرفه على التعيين فيطلب من يجعل مسندا اليه ويحكم به عليه فاذا نظم ان ذكر هو الله تعالى لا غير فيعين قصره
سعدي

والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المأمور به في قوله يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال من دخل معه
عليه الصلوة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل خلا ان لهم في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت
درجات استعداداتهم الفائضة عليهم حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في
عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
فالمراد من الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله تعالى هدايتهم
بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته سبحانه وتعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله تعالى برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من
انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا
في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا
يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكورة لله تعالى والتحابب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة
للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقية بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس فما ورد رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما
فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا متفرقين
الى نائين تلويهم وعطفا نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتأكيدا ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان
عظم شأنها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليرعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم
الانبياء فمقصود بحسن حالهم على طريقة التمثيل بالكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه وقوله
عز وعلا لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسيرا لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية
غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق
بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم
عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان
الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء
حسبما شرح حاله في بيان لما او لا هم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارهها والجملة مستأنفة كأنه
قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع
ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال و
توسط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان
بان نفي الخوف والحزن لانهم عما يؤدي اليهما من الاسباب
الىو

والجعل بمعنى ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فكم مفعول الثانى او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثانى لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثانى من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه و النهار مبصرا لتحركوا فيه لمصالحكم الخ

وانبت مفعول الثانى وحذفت علته في الجملة الثانية فقيل والنهار مبصرا اعتمادا على دلالة ما ذكر في احدى الجملتين على ما حذف في الجملة الاخرى والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتحركوا فيه لتحصيل اسباب معاشكم فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وحذف لتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه فالظلم الليل اى صار ذا ظلمة واضاء النهار اى صار ذا ضياء فكل واحد من البنائين للنسبة كقولهم لابن وتامر وقوله عيشة راضية ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من اباطيلهم وهو قولهم اتخذ الله ولدا كقول مشركى مكة الملائكة بنات الله فنزه عن التبنى فقال سبحانه ثم علل ذلك بقوله هو الغنى ثم قرر غناه بقوله له ما في السموات والارض ثم لما بين بالدليل الواضح امتناع ما اضافوا اليه من اتخاذ الولد نفى ما يعارض ذلك الدليل ليبقى سالما عن المعارض فقال ان عندكم من سلطان بهذا وكلمة ان فيه نافية وقوله عندكم يجوز ان يكون خبرا مقدما ومن سلطان مبتدأ مؤخرا ويجوز ان يكون من سلطان مرفوعا على انه فاعل للظرف قبله لاعتماده على النفى ومن مزيدة على كلا التقديرين وقوله تعالى بهذا يجوز ان يتعلق بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان وان يتعلق بمحذوف هو صفة لسلطان اى ما عندكم سلطان متعلق بهذا القول وهو قولهم اتخذ الله ولدا فيكون في موضع الجر حملا على لفظ موصوفه لان موصوفه مجرور بحرف الجار الزائد او في موضع الرفع حملا على محل موصوفه فانه في محل الرفع اما على الابتداء او على انه فاعل الظرف وان يتعلق بقوله عندكم على ان يكون الباء فيه بمعنى في اى ما عندكم في هذا القول حجة على ان يجعل القول مكانا للسلطان مجازا كقولك ما عندكم بارض مو ز ولما نفى عنه البرهان فيما قالوا من انه تعالى اتخذ ولدا وبخهم على افترائهم عليه تعالى ووجههم فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون والاستفهام فيه بمعنى الانكار وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهل وان العقائد لا بد ان يكون برهانية لا تقليدية ثم انه تعالى لما ذكر قبائح المشركين وذكر الدلائل الدالة على تحقيق الحق وابطال الباطل شرع في بيان الانبياء قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام تسلية لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فان المصيبة اذا عمت خفت ولتكون ذلك سببا لانكسار قلوب الكفار ووقوع الخوف في صدورهم وتقليل شرتهم وسفاهتهم فانهم اذا سمعوا ان الامم السالفة وان بالغوا في اذى انبيائهم الا انه تعالى قد اعانهم بالاخرة ونصرهم وقهر اعداءهم بطريق الاستئصال كان سماعه سببا لانكسار شرتهم وتمردهم مع ان بيان هذه القصص من غير زيادة ولا نقصان لبشر امى لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا معجزة له دالة على انه انما عرفها بالوحى والتنزيل فابتدأ بقصة نوح عليه الصلوة والسلام فقال واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه واذ في قوله تعالى اذ قال معمول النبأ لا لقوله اتل لانه مستقبل واذ ظرف لما مضى والمقام اما اسم لمكان القيام او مصدر

لا يبلغهم [illegible] ولا يعدون [illegible] والنفوذ [illegible] عدم النجاة من النار وذلك من عدم النجاة [illegible] وعدم النفوذ بالحجة في الزجر عن [illegible] ثم [illegible] على سبحانه [illegible] الافتراء

[illegible] عليهم الصلوة والسلام [illegible]

فعلى الاول يكون كناية عن النفس لان المكان من لوازمها كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اي
لاجله وعلى كونه مصدرا يحتمل ان يراد طول قيامه بينهم وقيامه على الدعوة والتذكير فانه عليه
الصلوة والسلام مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فيحتمل ان يستثقلوا ذلك وايضا لان قومه
قد الفوا ما لهم من المذاهب الفاسدة ومن الف طريقة في امر الدين يثقل عليه ان يدعى لخلافها
فان اقترن بذلك طول مدة الدعوة والتذكير كان اثقل واشد وذهب ابو البقاء الى ان قوله فعلى
الله توكلت جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجواب وفيه انه عليه الصلوة والسلام متوكل على
الله دائما كبر عليهم مقامه او لم يكبر فالاظهر ان يقال الجواب محذوف اي فافعلوا ما شئتم والمذكور
تعليل لعدم مبالاته بهم او يقال الجواب قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت جملة معترضة بين الشرط
والجزاء جيء بها لبيان كونه واثقا بالله في امضاء امره قراءة الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة من الا
جماع وهو العزم يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه ونويته فلما كان الاجماع بمعنى العزم
كان حقه ان يتعدى بعلى الا ان حرف الجر حذف في الاية واوصل الفعل الى المجرور بنفسه وقيل اجمع
وان كان بمعنى عزم الا انه يتعدى بنفسه في الاصل فقولك اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه و
كون احد المترادفين متعديا بحرف الجر لا يستلزم ان يكون مرادفه متعديا به وقراءة العامة و
شركاءكم منصوبا على انه مفعول معه والواو بمعنى مع اي اجمعوا انتم مع شركائكم امركم واعزموا
عليه وقراءة الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل في اجمعوا من غير تاكيد بمنفصل
لوجود الفصل بينهما بالمفعول كما تقول اضرب زيدا وعمرو وعن نافع فاجمعوا بوصل الالف
وفتح الميم من جمع يجمع وفيه وجهان الاول ان يكون تقدير الكلام فاجمعوا ذوي الامر منكم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واوقع الفعل عليه والثاني ان يكون المراد بالامر هنا
وجوه كيدهم ومكرهم والتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا فعلتموه وقوله للص او الاجتماع
على قصده اختيار منه للوجه الاول فالمعنى على قراءة الجمهور امرهم بالعزم وعلى قراءة الجمهور
نافع امرهم بالاجتماع على قصد اهلاكه واسناد الاجتماع او الجمع الى شركائهم وهم الاوثان امر
كان على مثل دينهم تهكم بهم وبشركائهم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون امرهم بان يعزموا
على كيده والسعي في اهلاكه منضمين الى شركائهم في ذلك العزم ثم نهاهم عن ان يجعلوا امرهم الذي
هم بصدده من اهلاكه عليه الصلوة والسلام والخلاص من ثقل قيامه على دعوتهم وتذكيرهم
غمة عليهم اي مستورا لا يدرون انه هل يتيسر لهم ذلك ام لا كانه قيل اعزموا على امركم بالجد في
الاهتمام والتعيين بحيث لا يبقى لكم تردد في حصول مرادكم فان من اضمر شيئا فشك في امضائه و
انتهاز الفرصة فيه لم يزل مغموما منه والناس لا يدري انه يتهيأ له امضاؤه ام لا والغم والغمة مصدران

كا

والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه تأمل

قوله فعلى الله توكلت يعني فاني واثق بوعد الله جازم بانه لا يخلف الميعاد فلا تظنوا بي ان تهديدكم اياي بالقتل والاذى يمنعني من دعائكم الى الله وتذكيركم منه

اي وقف على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل تأمل

١٧٧

كالكرب والكربة من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اذا التمس فلم ير قوله او ثم لا يكن حالكم غما اذا
اهلكتموني اي يحتمل ان لا يكون المراد بالامر في قوله عليه الصلوة والسلام ثم لا يكن امركم الذي عزمتم
عليه بل يراد به حالهم التي تترتب على عزم اهلاكه اي اعزموا على ما قصدتم من اهلاكه بحيث لا يكون
حالكم بعد هلاكه غمة اي غما وانقباضا بثقل مقامي وتذكيري قوله ادوا الي ذلك الامر يعني ان
مفعول اقضوا المحذوف وهو ذلك الامر وان قضاء الشيء وان كان عبارة عن اتمامه و
امضائه والفراغ منه فالمعنى بعد ما اجمعتم امركم وعزمتم عليه اقضوا وانهوا ما في ضمائركم و
استقر عليه اراؤكم وافرغوا منه وتخلصوا عما تثقل عليكم من مقامي وتذكيري قال الله تعالى فقضاهن
سبع سموات اي اتمهن ويقال قضى دينه اي اداه وفرغ منه والقضاء بهذا المعنى لا يتعدى بالى الا انه
عدي بالى في الاية لتضمنه معنى الاداء والالقاء كانه قيل ادوا الي ما استقر عليه رايكم وقرئ ثم
افضوا بقطع الهمزة والفاء من افضى يفضي اذا انتهى وبلغ اي ثم انتهوا الي بشركم ومن افضى اذا
خرج الى الفضاء والصحراء اي ثم اصحروا به وابرزوا الي ما اضمرتموه في صدوركم فقد تم ههنا ما يتعلق
بجواب قوله عليه الصلوة والسلام يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري ومعلوم ان مثل هذا
الكلام يدل انه عليه الصلوة والسلام كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان قاطعا
بان كيدهم لا يضره وان الله يحفظه من شرهم فلا يقدرون عليه ح فما سالتكم من اجر يا قوم
جزاء الشرط وتقدير الكلام ان توليتم عن قبول نصحي والتذكير بتذكيري فلا باعث يحملكم على ذلك
اذ ليس عندي ما يوجب توليكم ونفرتكم عني لاني ما سالتكم من اجر على الدعوة والتذكير ليثقل
ذلك عليكم فيكون سببا لاعراضكم عن تذكيري او يكون سببا لاتهامكم اياي بان تقولوا انما يعظنا
ويذكرنا طمعا في اموالنا واجورنا فنعرضوا عن قبول نصحي لذلك فالجزاء الحقيقي هو قولنا فلا
باعث يدعوكم الى التولي وقوله فما سالتكم علة لذلك الجزاء اقيم مقامه قوله او يفوتني لتوليكم
عطف على قوله يوجب توليكم وتقدير الكلام ح ان توليتم فلا ضرر لي بذلك التولي اذ لا منفعة لي
من قبلكم بمقابلة دعوتي وتذكيري حتى تنقطع تلك المنفعة بتوليكم فالجزاء الحقيقي ح هو قولنا
فلا ضرر بذلك التولي وقوله فما سالتكم علة لذلك الجزاء اقيم مقامه وقوله وامرت ان اكون من
المسلمين في حيز الجزاء ايضا قائم مقامه والتقدير فان توليتم فلا افزع عن دعوتكم وتذكيركم
لاني امرت بان اكون من المنقادين لحكمه سواء قبلتم نصحي او ابيتم قوله بعد فكذبوه عطف على قوله
قال لقومه اي اتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه كذا وكذا فكذبوه وتولوا عن قبول قوله والفاء في
قوله فنجيناه فاء فصيحة تفصح عن كون الكلام مشتملا على الحذف وتقدير الكلام فكذبوه تمردا وعنادا
فحقت عليهم كلمة العذاب فاغرقوا فنجيناه ومن استقر معه في الفلك على ان قوله في الفلك متعلق

قوله انتهوا الي بشركم الباء بمعنى مع اي انتهوا الي مصاحبين بشركم او للتعدية اي اجعلوه منتهيا الي والاول اظهر من ابرز اي خرج الى البراز اي الفضاء وبارز القرن برز اليه منه

قوله بعد فان توليتم ترتب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص تأمل

قوله انما ارسلنا [illegible] بالاسلام ... والانقياد [illegible] الاسلام [illegible] التخصيص بالذين [illegible] على [illegible] الذين [illegible] منه

بالاستقرار الذي تعلق به الظرف وهو معه لوقوعه صلة اي والذي استقر وامعه في الفلك ويجوز
ان يتعلق بنجيناه اي نجيناهم من الغرق في هذا المكان الذي هو الفلك **قوله** وجعلناهم اي جعلناهم
جمع الضمير في جعلناهم حملا على معنى من وخلائف جمع خليفة اي وجعلناهم يخلفون المغرقين
وتعريف المنذرين للعهد والمعهود هم الذين انذرهم نوح عليه الصلوة والسلام ولم يمتنعوا عن تكذيب
ايات الله والمنذرون وان كان يعم من آمن منهم ومن لم يؤمن الا ان المقام خصصهم بالذين
كذبوا بايات الله **قوله** كل رسول الى قومه لان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد وبالبينات
متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل جاؤهم اي جاؤهم ملتبسين بالمعجزات الواضحة ويجوز ان
يتعلق بجاؤهم على ان الباء للتعدية **قوله** فما استقام لهم ان يؤمنوا انهم كانوا قبل بعثة
الرسول اهل جاهلية مكذبين بالحق فلم تتغير حالهم بعد بعثة الرسول عما كانوا عليه قبل البعثة و
بعدها **قوله** بسبب تعودهم تكذيب الحق جعل الباء سببية وما مصدرية وضمير به للحق والاظهر
ان الباء صلة يؤمنوا وما موصولة عبر بها عن الحق الذي كذبوا به قبل بعثة الرسل وضمير به
راجع الى ما عبر عنه بما الموصولة لان كلمة ما لو جعلت مصدرية لزم ارتكاب الاضمار قبل الذكر في
به واللام في لام الجحود في ليؤمنوا لتاكيد النفي والكاف في قوله كذلك صفة مصدر محذوف اي مثل
ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله نطبع على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحق بسبب اصرارهم
على الكفر طبعا مثل ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله **قوله** معتادين الاجرام فسر الاجرام
بالاعتياد به لان قوله بما كانوا قوما مجرمين ذكر تعليلا لقوله فاستكبروا وذلك يقتضي ان يتقرر كانه
قيل فاستكبروا جريا على عادتهم القديمة والايات التسع هي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل و
الضفادع والدم والطمس وفلق البحر والحجر فقوله تعالى فلما جاءهم اسم ظاهر اقيم مقام ضمير
الايات المذكورة بقوله باياتنا وهي الايات التسع ويدل عليه قول الكفار لما جاءهم الحق ان هذا
لسحر مبين على طريق التشبيه البليغ لان المشبه بالسحر انما هو الايات والمعجزات فيكون قوله فلما
جاءهم الحق من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبهت الايات في النفس بشخص متحرك بالارادة
من شانه ان يجيء ويذهب وجعل اسناد المجيء من عند الله اليها تخييلا للاستعارة بالكناية وفائدة
العدول الى طريق الاستعارة الدلالة على غاية ظهورها حتى كان ظهورها شبيها بمجيء الاعيان
المحسوسة والى هذا المعنى اشار المصنف بعطف قوله وعرفوه على قوله جاءهم الحق فان مفهوم جاءهم الحق
من عند الله لا يدل على انهم عرفوا انه حق جاء من عند الله الا ان الناس قبل موسى وهرون عليهما الصلوة
والسلام الا بملاحظة تشبيه الايات الظاهرة لهم بشخص من شانه ان يجيء ويذهب وجعل اسناد
المجيء اليها تخييلا للتشبيه المذكور وتوصيف الايات بالحق وجعله عنوانا لها للاشعار بان ما جاء به

الكفرة تخييل وتمويه باطل بخلاف ما جاء به موسى من قلب العصا حية وفلق البحر وغير ذلك من الايات
فانه في درجة النفس حاكمة بانه ليس من قبيل التمويه والتلبيس بل امر الهي ظهر بخلق الله تعالى وايجاده تصديقا
له قرأ الجمهور ان هذا لسحر مبين فالمشار اليه بهذا ما جاء به موسى من الايات كقلب العصا حية و
اخراج يده بيضاء وقرئ ان هذا لساحر بلفظ اسم الفاعل فتكون الاشارة الى موسى والمبين اسم فاعل
من ابان بمعنى بان اي ظاهر انه سحر او ظاهر في نفسه فائق في نوعه متميز فيما بين اخواته والهمزة في قوله
اتقولون للتوبيخ والتقرير ومقول القول محذوف وهو انه لسحر حذف لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز
ان يكون المقول اسحر هذا لان الكفار بتوا القول بانه سحر وقطعوا حيث قالوا انه فقطعوا بكونه سحرا
فلا يصح منهم ان يستفهموا ويقولوا اسحر هذا حتى ينكر عليهم موسى ذلك القول بانه يقولون اتقولون للحق
لما جاءكم اسحر هذا فلا يجوز ان يكون اسحر هذا مقول اتقولون بل هو عين جملة مقول قوله قال
موسى انكر عليهم اولا اثبات القول بانه لسحر مبين ثم انكر كونه سحرا كائنا من قبيل التمويه والتلبيس
بقوله اسحر هذا انكارا لما قالوه **قوله** اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير استثناء من قوله ولا يجوز
ان يكون المحكي اسحر هذا اي لا يجوز ذلك بحال لان الاستفهام ينافي البت بانه لسحر مبين الا ان يحمل
الاستفهام على معنى لا ينافي البت به وهو ان يكون الاستفهام لتحقيق كونه سحرا انه يريد الحكم بان
صاحبه لا يفلح كانهم قالوا لموسى ما جئت به انما هو سحر مبين فكيف تطلب به الفلاح ولا يفلح الح
فيكون المحكي بقوله اتقولون هو مفهوم ما قالوه بتمامه لا ينافيه فرد موسى عليه الصلوة والسلام تلك
المقالة التي قالوها على سبيل الاستفهام التقريري ليفرعوا عليه الحكم بانه لا يفلح وانكرها بهمزة الانكار
في قوله اتقولون واثبت ان الفلاح لصاحبه حيث جاء بحق من عند الله ذكر المصنف في قوله
اتقولون للحق لما جاءكم ثلثة اوجه الاول ان القول فيه على اصل معناه وان مقوله محذوف
لدلالة ما قبله عليه وقول موسى اسحر هذا ابتداء كلام ذكر انكارا لقولهم ان هذا لسحر مبين وتجهيلا
والثاني ان يكون القول على اصل معناه ايضا ويكون الجملة الاستفهامية مقولا له بناء على ان
يكون الاستفهام للتقرير ويكون مقصود من يتكلم بها طعن موسى بانه ساحر فلا فلاح له والثالث
ان يكون القول من المقالة بمعنى قول السوء من قولهم فلان يخاف القالة وقولهم بين الناس تقاول
اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه فلا يستدعي مقولا وقد يكون الذكر بمعنى المقالة ايضا لما ذكرنا
يذكرهم **قوله** ولا يفلح الساحرون من تتمة كلام موسى انكر عليهم اولا في ان قالوا انه لسحر
اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر ثم انكر ما قالوه فقال اسحر هذا ثم قرر انكاره بقوله ولا يفلح
الساحرون اي لو كان سحرا لما افلحنا ولا قدرنا على ابطال سحر السحرة وقد بطل بما جئنا سحرهم
حيث القوا على الارض ساجدين **قوله** لتصرفنا يعني ان اللفت وهو اللي والصرف بمعنى

عن كذا اى صرفه ولواه عنه وقيل لفت الشيء وفتله بمعنى واحد اى لواه لهما اخوان ومطاوع لفت التفت كما ان مطاوع فتل انفتل واللام فى قوله لتلفتنا متعلقة بالمجيء اى جئتنا لهذا الغرض ولتكون لكما الملك والعز فى ارض مصر فلا تؤثر رياستكما على رياستنا فقالوه انكار المجيء صارفا اباهم عن دين آبائهم وكراهة لانتقال الملك والعز اليهما قوله الملك فيه اشارة الى ان الكبرياء مصدر بمعنى الملك والعز وان فى الارض متعلق به سمى الملك بالكبرياء لكون الكبر والعظمة من لوازم الملك ولكون التكبر على الناس من لوازمه من حيث ان الملوك يستتبعون اموال رعيتهم واراد انهم يكون اكبر الناس يكون مقصودهم بهذا الكلام ذمهما بانهما يريدان ان يتكبرا ويتجبرا فى ارض مصر كما قال القبطى لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض عن الزجاج انه قال سمى الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امور الدنيا ثم ان القوم لما بينوا ان سبب عدم ايمانهم بها امران احدهما كراهة المخالفة لدين آبائهم والآخر كراهة ايثار رياستهما على رياسة انفسهم صرحوا بالحكم المتفرع على ذلك السبب فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا ان يعارضوا معجزات موسى عليه الصلوة والسلام بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى من باب السحر فقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم وقرأ الاخوان سحار بصيغة المبالغة فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم بالسحر لان السحر كفر والامر بالكفر كفر بل اراد ان يلقوا ما معهم من الحبال والعصى ليظهر للخلق ان ما اتوا به تمويه وتخييل فاسد يغتر به السفهاء فلا يصح ان يعارض به المعجزة فالآية وكلمة ما فى قوله موسى ما جئتم به السحر موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ خبره السحر اى الذى جئتم به هو السحر الذى جئنا به من آيات الله والحصر مستفاد من تعريف الخبر فان تعريفه بلام الجنس قد يفيد قصر الجنس على المسند اليه قصرا حقيقيا مطابقا للواقع نحو زيد الامير اذا لم يكن فى الواقع امير سواه او قصرا ادعائيا مبنيا على المبالغة فى اتصاف المسند اليه بذلك الجنس نحو عمرو الشجاع اى انه الكامل فى الشجاعة فيبرز الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة مقصورة عليه لا يتجاوزه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال وقوله ما جئتم به السحر من قبيل الاول وقرئ آلسحر على الاستفهام على ان ما استفهامية اى اى شيء جئتم به أهو السحر او آلسحر هو كانه استفهام انكار وتحقير للشيء الذى جاؤا به ويجوز ان يكون كلمة ما استفهامية منصوبة المحل بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وقوله جئتم به مفسر لذلك الفعل المقدر فيكون كلمة ما من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير والتقدير اى شيء اتيتم جئتم به وقوله آلسحر اما خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ حذف خبره واما جعلت موصولة بمعنى الذى اتى فيصير

بنعل

بفعل مقدر يفسره ما بعدها لان ما بعدها صلتها والصلة كما لا تعمل فى الموصول لا تكون تفسيرا لما هو العامل فيه فتلخص من هذا انها اذا كانت استفهامية جاز ان تكون فى محل رفع او نصب واذا كانت موصولة تعين ان تكون محلها الرفع على الابتداء قوله والسحر بدل منه اى من اسم الاستفهام ولذلك اعيد معه اداة الاستفهام ليساوى البدل المبدل منه فى انه استفهام كما تقول كم درهما مالك أعشرون ام ثلثون فتجعل اعشرون بدلا من كم باعادة اداة الاستفهام ولا يلزم ان تضمر للسحر خبرا لانك اذا ابدلته من المبتدأ صار واقعا موقعه وصار خبر المبتدأ خبرا عنه قوله فما آمن فى مبتدأ امرهم اى عقيب الالقاء فان الفاء للتعقيب تفيد اشعارا بان ايمانهم لم يتأخر عن الالقاء بل وقع عقيبه قوله الا ذرية اى الا طائفة من ذرارى قوم موسى وهم بنو اسرائيل فان فاء التعقيب تدل على ان السحرة لما القوا حبالهم وعصيهم وعارضهم موسى عليه الصلوة والسلام قولا بانه قال لهم ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين لم يتأخر ايمان الذرية عنه بل وقع عقيبه بخلاف ايمان السحرة فانه وقع بعد ان غلبوا وانقلبوا صاغرين قوله وقيل الضمير لفرعون لما تقدم ذكر موسى وفرعون اختلف فى مرجع ضمير قومه فاختار المص كونه راجعا الى موسى لكونه اقرب المذكورين ولانه لو رجع الى فرعون لكان الظاهر ان يقال على خوف منه بدل على خوف من فرعون اذ لا وجه لذكره باسمه الظاهر بعد ذكره بضمير الغائب فى قوله من قومه وقيل ضمير قومه يعود الى فرعون ويضعف عوده على موسى لان المعروف من اخبار بنى اسرائيل انهم كانوا قد فشت فيهم انواع الذل والقهر بسبب استيلاء فرعون عليهم وكانوا يرجون ان يكشف الله عنهم ما هم فيه من انواع الشدائد بظهور المولود الذى يحذر فرعون من ظهوره ومن زوال ملكه بسببه فلما جاءهم موسى عليه الصلوة والسلام اتفقوا على اتباعه والايمان به ولم يحفظ ان طائفة من بنى اسرائيل كفرت بموسى فيبعد ان يقال معنى الآية فما آمن لموسى الا ذرية قليلة من بنى اسرائيل وعن ابن عباس فى رواية اخرى عنه ان المعنى الا ذرية من قوم فرعون وهم ناس يسير من قومه آمنوا بموسى منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطته قوله على خوف حال من فاعل آمنوا اى آمنوا كائنين على خوف ومع خوف قوله وجمع جواب عما يقال كيف يعود ضمير الجمع فى ملائهم على فرعون وهو شخص مفرد وهذا الجواب انما يحسن ان لو كان التعبير عن المفرد بضمير الجمع واردا فى كلام من يعظم فرعون واى قدر لمثل فرعون عند الله حتى يعظمه بان يعبر عنه بضمير الجمع فينبغى ان يقتصر على الجواب الثانى وهو ان يكون المراد بفرعون آله كما يطلق ربيعة ومضر ويراد آلهما قوله او للذرية او القوم اى ويحتمل ان يكون ضمير ملائهم للذرية

والمعنى على خوف من ملإ الذرية وهي بنو اسرئيل فان الملإ من القوم اسم يطلق على الرؤساء الذين يرجع الى قولهم وان يكون لقومه سواء اريد بالقوم قوم موسى او قوم فرعون اي وملإ قوم موسى او وملإ قوم فرعون **قوله** وهو بدل منه اي من فرعون بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك اعجبني زيد علمه ويجوز ان يكون قوله ان يفتنهم في محل النصب على انه مفعول به لخوف اي على خوف فتنة واعمال المصدر المنون كثير منه قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وافراد ضمير يفتنهم الراجع الى فرعون مع ان المذكور قبله هو الملإ للدلالة على ان الخوف من الملإ بسبب الخوف من فرعون **قوله** واسباط الانبياء بنو اسرائيل فانهم من فروع يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم الصلوة والسلام واستخدمهم فرعون وجعلهم ارقاء مقهورين **قوله** وليس هذا من باب تعليق الحكم بشرطين مختلفين جواب عما يقال كيف علق ايجاب حصر التوكل عليه تعالى بشرطين مختلفين احدهما التصديق بوجود آله واجب الوجود لذاته مستجمع لجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقصان والآخر الاستسلام والانقياد للتكاليف الصادرة عنه تعالى وترك المخالفة والعصيان ولا شك انهما امران مختلفان وقد علق وجوب التوكل عليه تعالى على اجتماع هذين الشرطين فلزم ان لا يجب التوكل الا عند حصولهما جميعا لان الحكم المتوقف على اجتماع امرين ينعدم بانعدام احد الشرطين كما اذا قال الشارع ان كان المكلف زانيا محصنا يجب رجمه ولو انتفى احد الامرين لا يجب رجمه وكذا في هذه الاية لما قيل عليه توكلوا ان اجتمع فيكم الايمان والاسلام ولو تحقق الايمان وانتفى الاسلام لزم ان لا يجب التوكل وليس كذلك بل انه يجب على كل من آمن بالله سواء استسلم وانقاد او خالف وعصى وتقرير الجواب ان المعلق بالشرطين المذكورين ليس حكما واحدا حتى يجب انتفاؤه بانتفاء احد الشرطين بل هناك حكمان مختلفان علق كل واحد منهما بشرط على حدة علق وجوب التوكل على الايمان بالله تعالى وعلق حصول التوكل على الاسلام وهو ان يسلموا انفسهم لله ويجعلوها سالمة خالصة له تعالى بان لا يجعل للهوى والشيطان مدخلا وتصرفا فيها فمن لم يسلم نفسه لله تعالى بهذا المعنى لا يحصل له التوكل عليه وهو تفويض الامور كلها الى الله تعالى والاعتماد عليه في كل الاحوال والامور فلما كان المعلق بالايمان هو وجوب التوكل عليه لكون الايمان به تعالى هو الذي يقتضي ذلك وكان المشروط بالاسلام حصول ذلك التوكل بناء على ان التوكل لا يوجد مع التخليط اي مع تخليط الهوى والشيطان بالموثر الحقيقي في تدبير احواله بان يتبعهما في بعض اموره سقط ما ذكر من لزوم عدم وجوب التوكل عليه تعالى بانتفاء الاسلام ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فان المعلق بالدعوة وجوب الاجابة والمعلق بالقدرة حصول الاجابة فلما قال فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا عليه للدلالة على

١٧٦

على ان المامور به قصر التوكل عليه تعالى والامتناع عن التوكل على غيره تعالى ثم ان موسى عليه الصلوة والسلام لما امرهم بقصر التوكل عليه تعالى قبلوا قوله وامتثلوا امره فقالوا على الله توكلنا ثم التجأوا اليه تعالى وسألوا منه شيئين احدهما قولهم ربنا لا تجعلنا موضع فتنة وعذاب لهم بان تسلطهم علينا فيعذبونا اجعلوا موضع الفتنة فتنة على التشبيه البليغ او جعلوا الفتنة بمعنى المفتون فان اطلاق لفظ المصدر على المفعول سائغ شايع كالخلق بمعنى المخلوق وثانيهما قولهم ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ثم انه تعالى لما بين ان موسى عليه الصلوة والسلام لما راى تخوف المؤمنين امرهم بالتوكل عليه تعالى اتبعه بذكر انه امر موسى وهرون باتخاذ المساجد والاقبال على الصلوة فقال واوحينا الى موسى واخيه هرون ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا اي اتخذا لقومكما مباءة اي مرجعا يرجعون اليه من قولهم تبوأ المكان اذا اتخذه مباءة يرجع اليه كما يقال توطنه اذا اتخذه وطنا قال اكثر المفسرين كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في كنائسهم وبيعهم وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى عليه الصلوة والسلام امر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلوة فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من آل فرعون وان يجعلوا تلك البيوت قبلة اي مصلى ومساجد متوجهة نحو القبلة قيل وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون اليها وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم على خيفة من الكفرة لئلا يفتنوهم ويردوهم عن دينهم كما كان عليه المؤمنون في اول الاسلام وكلمة ان في قوله ان تبوءا يجوز ان يكون مفسرة لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول وهو الايحاء ويجوز ان يكون مصدرية فيكون ان تبوءا في موضع النصب على انه مفعول به لاوحينا اي اوحينا اليهما التبوء وهو النزول والرجوع يقال تبوء المكان اذا اتخذه مباءة ومنزلا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه وكل واحد من قوله لقومكما وبمصر متعلق بقوله تبوءا وقوله بيوتا مفعول تبوءا كما اشار اليه بقوله ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا اثنى الضمير اولا في قوله ان تبوءا ثم جمعه في قوله واجعلوا واقيموا ثم وحده في قوله وبشر لما ذكره وتفسير القبلة بالمصلى اشارة الى ان جعل البيوت قبلة عبارة عن جعلها موضع عبادة لا تصح الا بالتوجه نحو القبلة وخلاصة هذا المعنى الامر بجعلها مصلى فان التوجه الى القبلة كان شرطا في صحة الصلوة بحيث لا يتحقق الصلوة بدون القبلة والتوجه اليها صار في الصلوة كانها عين القبلة وكذا صار موضع الصلوة ايضا كانه عين القبلة فلذلك قيل اجعلوا بيوتكم قبلة واريد اجعلوها موضع عبادة لا تصح الا بالقبلة والتوجه اليها ثم ان موسى عليه الصلوة والسلام لما بالغ في اظهار المعجزات وتقرير الدلائل والبينات وراى القوم مصرين على الجحود والعناد دعا عليهم ومن

وقيل لا تفتنا بان فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم انا لو كنا على الحق لما سلطتهم الله علينا فيصير ذلك شبهة قوية في اصرارهم على كفرهم فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم او انك لو سلطتهم علينا لاستوجبوا العقاب الشديد في الآخرة وذلك يكون فتنة لهم

وكذا قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة يعني واجعلوه موضع صلوة وهو كناية عن استقبالها جعلها مصلى او مصلى قبل مساجد الحي يريد ان تلك البيوت المتخذة اما للسكنى فمعنى جعلها قبلة جعلها مصلى يصلون الصلوات ايضا فيها اليها فيكون القبلة مجازا عن المصلى بعلاقة ان من صلى فيها يتوجه اليها او للصلوة فيكون مساجد فمعنى جعلها قبلة اما كونها موجهة نحوها او كونها مصلى يصلون الصلوة فيها اليها ثم الظاهر ان قوله مصلى او مساجد يكون لفا ونشرا على ترتيب قوله يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة

قوله لانهم كانوا مؤمنين مخلصين يعني التعليل على كون المنزل اثر التوكل او على تنبيه صدقهم في قولهم والدعوة المجابة هي قولهم ربنا لا تجعلنا الخ ثم دلالة الاجابة على الايمان مسلمة بناء على ان دعاء الكافرين في ضلال غير مقبولة واما دلالتها على الاخلاص فلا

حتى من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب جرمه وكان جرمهم حب الدنيا وزينتها فلذلك تركوا
الدين وعاندوا من يدعو اليه فلذلك ابتدأ عليه الصلوة والسلام بقوله ربنا آتيت فرعون
وملأه زينة واموالا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان لهم من لدن فسطاط مصر وهو اسم مدينة
الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
ليضلوا بضم الياء والباقون بفتح الياء وذكر المصنف في هذه اللام ثلثة اوجه الاول ان يكون لام امر
الغائب بمعنى الدعاء عليهم كانه قيل ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال والاضلال وليكونوا ضلالا
مضلين وانما دعا عليهم بذلك بعدما عرض عليه الصلوة والسلام عليهم آيات الله وبيناته عرضا
متكررا واورد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم
عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا
استكبارا وعلى النصيحة الا ابعادا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم
الا الغي والضلال وان ايمانهم كالامر المحال او ما اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم
فدعا الله بما علم انه لا يكون غير ذلك لتكون ذلك شهادة منه عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة و
انهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم والوجه الثاني ان يكون لام الصيرورة
والعاقبة كما في قوله لدوا للموت وابنوا للخراب فلما كانت عاقبة قوم موسى هو الضلال وقد علمه
الله تعالى ذكر اياه لا جرم عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ والوجه الثالث ان يكون لام التعليل
حقيقة بل مجازا لان الله تعالى اتاهم ذلك ليؤمنوا ويشكروا النعمة فتوسلوا به الى مزيد البغي و
الكفر شبهت حالهم بحال من اعطي المال لاجل الاضلال والضلال فورد الكلام بلفظ التعليل
بناء على هذه المشابهة ولان ايتاء النعمة على الكفر والضلال استدراج وتثبيت عليه فيكون
الايتاء كانه لاجل التثبيت على الضلال ومسلا به وعلى التقديرين يكون اللام متعلقة بآتيت
ولا يكون دعاء فيكون لفظ ربنا مكررا للاول لا مقدمة للدعاء واعلم ان الاشاعرة استدلوا
بهذه الآية على انه تعالى يضل من يشاء ويريد اضلاله من وجهين الاول ان اللام في قوله ليضلوا لام
العلة والمعنى انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا وهذا صريح في انه تعالى يريد
اضلالهم والثاني انه دعا بقوله واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا فقال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما
ولولا انه تعالى يفعل ذلك بمن يشاء لما حسن من موسى عليه الصلوة والسلام ان يسأل ويقول
اقس قلوبهم واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ولما قال تعالى قد اجيبت دعوتكما
وقالت المعتزلة في جواب الاشاعرة لا يجوز ان يكون المراد بالآية ما ذكرتم لانه تعالى منزه عن
فعل القبائح وارادة الكفر قبيحة وحينئذ لا يكون اللام فيها للتعليل بل يكون لام العاقبة
فان

١٧٧

اي غيرها وروي ان جماعة من الصالحين كان يخلفهم السياحة انهم عاينوا الجبال بمصر ورأوا بها حجارة على هيئة الدنانير والدراهم فيها آثار النقش وعلى هيئة الفلوس وعلى هيئة البطيخ والخيار والقثاء الى غير ذلك

فان عاقبة قوم موسى لما كانت هي الضلال عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ على سبيل الاستعارة
التبعية او يكون لام الدعاء رغبة مراعاة لتلاؤم الكلام بايراد الادعية مسوقة على نسق
واحد قوله والطمس المحق وهو المحو والابطال قال اكثر المفسرين قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم
اي امسخها وغيرها عن هيئتها لانهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وانما امرتهم بان يستعينوا بها
على طاعتك وسلوك سبيلك قال قتادة صارت اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم
حجارة وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وكان الرجل مع اهله في فراشه فصارا حجرين و
كانت المرأة قائمة تخبز فصارت حجارة وعن ابن عباس رضي قال بلغنا ان الدراهم والدنانير
صارت حجارة منقوشة بنقش الدراهم والدنانير المسكوكين قال السدي مسخ الله تعالى
اموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق والاطعمة فكانت احدى الآيات التسع قوله جواب
للدعاء كقولك اتيتني فاشكرك او مجزوم على انه دعاء في صورة النهي كانه قيل اللهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق وحينئذ يكون المعنى اي فلا يؤمنوا الى ان يروا العذاب الاليم وكان
كذلك فانهم لا يؤمنون الى الغرق وكان ذلك ايمان بأس فلم يقبل وقيل هو في محل النصب على انه
معطوف على قوله ليضلوا فلا يؤمنوا فيكون ما بينهما اعتراضا قوله لانه كان يؤمن جواب عما
يقال انه تعالى حكى الدعاء المذكور في هذه الآية عن موسى عليه الصلوة والسلام وحده بقوله
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة الى قوله قد اجيبت دعوتكما فلم اضيف
الدعوة اليهما في قوله دعوتكما وتقرير الجواب ان الدعاء وان صدر عن موسى عليه الصلوة
والسلام وحده الا ان هرون كان مؤمنا لدعائه والمؤمن شريك الداعي فلذلك اضيف
الدعوة اليهما جميعا قرأ العامة ولا تتبعان بتشديد تاء الافتعال وبنون التاكيد الثقيلة
على انه نهي للمخاطبين مؤكدا بنون التاكيد الثقيلة وتقول في نهي الواحد لا تتبعن فهي جملة
نهي معطوفة على جملة امر وروى ابن ذكوان عن ابن عامر انه قرأ ولا تتبعان بتشديد
التاء وكسر نون التاكيد الخفيفة لالتقاء الساكنين بناء على ما ذهب اليه يونس والفراء من
جواز وقوع النون الخفيفة بعد الالف سواء كانت الالف الف التثنية او الالف فاصلة بين
نون الاناث ونون التاكيد نحو هل تضربنان يا نسوة ولا يرى سيبويه والكسائي وقوعها بعد الالف
وقرئ ولا تتبعان بسكون التاء وكسر النون الخفيفة ولا تتبعان بسكون التاء وكسر النون الثقيلة
كلاهما من تبع تبعا اذا اقتفى اثره ومشى خلفه او مر به قوم فمضى معهم وتبع واتبع بتشديد التاء
بمعنى واحد يقال اتبعت القوم على وزن افتعلت اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ويقال تبعته حتى
اتبعته اي اقتفيت اثره ومشيت خلفه حتى ادركته ثم انه تعالى لما اجاب دعاء موسى وهرون

يعني انه في محل النصب على انه جواب اطمس واشدد

امر بني اسرائيل بالخروج من مصر وكان فرعون غافلا عن ذلك ولم يعلم احد من فرعون وملائه بالغداة
وتهيئهم للخروج بان اصابهم الله تعالى تلك الليلة ببلية شغلتهم عن الالتفات الى حال بني
اسرائيل حيث مات لهم في تلك الليلة ابكارهم فاشتغلوا بدفنهم فلما سمع فرعون بخروجهم
خرج بمن معه لطلب لحاقهم فاتبعهم الى ان ادركهم ولحقهم بغيا وعدوا اى ظلما واعتداء روى انه كان
مع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف وكانت مقدمة عسكر فرعون سبعمائة الف كل رجل على حصان
على رأسه بيضة وبيده حربة وهو خلفهم في جمع كثير فلما انتهى بنوا اسرائيل الى البحر قالوا يا موسى
اين ما وعدتنا من نصر الله هذا البحر بين ايدينا وهذا فرعون على اثرنا ومعه جماعة امتلأ وجه
الارض بهم فقال موسى للبحر انفلق يا خالد فقال البحر انفلق لك اقدم منك واشد خلقا فنودي موسى
ان اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق البحر لموسى عليه الصلوة والسلام وقوله وكان بنوا اسرائيل
اثني عشر سبطا فانفتح من البحر لكل سبط طريق يبس وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل فدخل
كل سبط من هذا الطريق وخرجوا من منتهاه سالمين وابقى الله تعالى ذلك الطريق اليبس ليطمع فرعون
وجنوده في العبور فلما دخل مع جمعه الى ان دخل اخرهم وهم اولهم بالخروج انطبق عليهم البحر فلما
ادركه الغرق بان غمره الماء قال آمنت فان قيل الانسان المنغمس في الغرق لا يمكنه ان يتلفظ بهذا
اللفظ فكيف حكى الله تعالى عنه انه ذكر ذلك فالجواب من وجهين الاول ان الكلام الحقيقي هو كلام النفس
لا الكلام اللسان فذكر هذا الكلام بالنفس كما قيل ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على
الفؤاد دليلا والثاني ان يكون المراد بالغرق مقدماته **قوله** اى جوزناهم في البحر الى ان
بلغنا بهم الشط واخرجناهم قال الجوهري جزت الموضع اجوز جوازا اى سلكته وسرت فيه
فالمعنى في قوله تعالى جاوزنا بهم البحر بقوله جوزناهم في البحر للاشارة الى ان بناء فاعل في الاية
ليست للمشاركة بل هو بمعنى الثلاثي فيكون سافرت بمعنى الثلاثي والى ان الباء في قوله بني اسرائيل
للتعدية وعبر عن التعدية الحاصلة بالباء بقوله جوزناهم وزاد كلمة في فقال في البحر للاشارة
الى ان لفظ البحر في الاية منصوب على الظرفية وزاد ايضا قوله حتى بلغنوا الشط للاشارة الى ان
ان الجواز في هذا الموضع ليس عبارة عن مجرد السير فيه بل يتضمن مع ذلك الانتقال عنه بجعله
خلفه **قوله** باغين وعادين مصدران منصوبان على ايقاعهما موقع الحال او على انهما مفعول
لهما اى فادركهم لاجل البغي والعدوان **قوله** وقرا حمزة والكسائي قال آمنت انه بكسر الهمزة على
اضمار القول والتقدير قال آمنت فقال انه لا اله الا الذي فالقول المضمر تفصيل وتفسير لقوله
آمنت **قوله** او الاستئناف بدل او تفسير الآمنت فاذا كان بدلا من آمنت يكون محكيا بالقال
المذكور قبل آمنت فيجب كسر الهمزة واطلاق الاستئناف على البدل مبني على كونه معمولا في الاقصر او ابتداء
لعامل

لعامل المبدل منه ولو جعل كونه ابتداء كلام واستئناف واختار بذلك علة مستقلة للكسرة
وكونه بدلا من آمنت علة اخرى لكان اظهر وافيد **قوله** نكب عن الايمان اى عدل واعرض
عنه أو ان بناء التكليف والاختيار وبالغ فيه حين لا يقبل حرصا على القبول حيث كرر المعنى
الواحد بعبارتين مختلفتين ان قرئ انه بفتح الهمزة وبثلاث عبارات ان قرئ بكسرها
حيث قال اولا آمنت وقال ثانيا انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وقال ثالثا وانا
من المسلمين وكانت المرة الواحدة كافية حين بناء التكليف والاختيار روى عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال غار النيل على عهد فرعون فاتاه اهل مملكته فقالوا ايها
الملك اجر لنا النيل فقال اني لست براض عنكم حتى قالوا ذلك ثلث مرات فذهبوا فاتوه فقالوا
يا ايها الملك ماتت البهائم وهلكت الصبيان والابكار فان لم تجر لنا النيل اتخذنا الها غيرك
فقال لهم اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه فالصق
خده على الارض واشار بالسبابة فقال اللهم اني خرجت اليك خروج العبد الذليل الى سيده
واني اعلم انه لا يقدر احد على اجرائه غيرك فاجره فقام فجرى النيل جريا فاتاهم فقال لهم
اجريت لكم النيل فخروا له سجدا فاعترض له جبريل فقال ايها الملك ان عبدا املكته على عبيدي
واعطيته مفاتيح خزائني وعادى واحب من عاديته وعادى من احببته فقال لو كان فرعون
لو كان لي ذلك العبد لغرقته في بحر القلزم فقال جبريل ايها الملك اكتب لي بذلك كتابا فدعا
بدواة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن المصعب جزاء العبد
الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه
فقال جبريل هذا ما حكمت به على نفسك **قوله** اتؤمن الآن اشارة الى ان قوله الآن ظرف منصوب
بفعل محذوف والهمزة للانكار تاخير الايمان الى وقت الاضطرار واليأس عن نفسه فان الايمان
انما يقبل اذا وقع عن اختيار واتباع دليل وبرهان والذي يقع عن الاضطرار ودفع البأس
عن نفسه لا يقبل كايمان الكفرة في الاخرة وقت معاينة العذاب وقوله تعالى وقد عصيت قبل جملة
حالية جيء بها تقريعا له على تضييع زمان الاختيار واختلف في قائل هذا الكلام فقيل هو جبريل
عليه السلام وانما قال وكنت من المفسدين في مقابلة قول فرعون وانا من المسلمين وقيل
القائل هو الله تعالى لانه قال بعده فاليوم ننجيك ببدنك الى ان قال وان كثيرا من الناس عن اياتنا
لغافلون وهذا ليس الا كلام الله تعالى وظاهر اللفظ وان دل على ايمانه وتوبته انما لم يقبل بعصيانه
السابق وكونه من المفسدين ويلزم منه ان لا يقبل منه توبة العاصي ابدا الا ان المانع لقبول
توبته ليس لمجرد عصيانه وفساده من قبل بل المانع لقبولها انما هو تاخيرها الى وقت الاضطرار

قوله بيدنك عاريا عن الروح معنى لوحظ فيه معنى العرى اما عن الروح او عن اللباس او معنى التمام فجعل حالا باحد هذه المعاني فلم يكن هذا من قبيل التاكيد شلغو كذا قال فلان بلسانه وجاء فلان بنفسه كما قاله ابو حيان ولو قال عاريا عن الروح او عن اللباس او كاملا سويا كان احسن انتظاما
ستاته

واصراره على المعصية والفساد في زمان الاختبار **قوله** بنبدنك اي نخرجك ونخلصك من قعر البحر الى وجه الماء كالسمك الطافي جعل اخراجه من قعر البحر الى ظاهر الارض او الى وجه الماء نجاة له على وجه التهكم به والنجوة المكان المرتفع الذي تظن ان من عليه لا يبلغه الماء والباء في قوله ببدنك للمصاحبة كما في قولك خرج زيد بعشيرته اي مصاحبا ببدنك فهو في موضع الحال من مفعول ننجيك ومعناه عاريا عن الروح او بدنا سويا لم ينقص منه شيء ليلا تبقى منه شبهة في انه بذلك او عاريا عن اللباس وقيل المراد بالبدن الدرع وكانوا ابنوا اسرائيل لم يصدقوا بغرقه وقالوا امامات فرعون ولا يموت ابدا وكانت له درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف بها فالقاه البحر بامر الله تعالى الى الساحل وعليه تلك الدرع فعاينوه وايقنوا بموته وقرئ بابدانك على ان يجعل كل جزء من بدنه بدنا كما يجعل كل جزء من جرمه جرما فيقال بعوض باجرامه وشابت مفارقه مع ان له جرما واحدا ومفرقا واحدا وعلى ان يراد بالبدن الدرع الذي يكون قصيرا كميش ويجيء بناء على انه يظاهر بينها اي يلبس بعضها فوق بعض خوفا على نفسه بناء الظاهر بين ثوبين اي طارق بينهما وطابق **قوله** لتكون متعلق بقوله ننجيك **قوله** وراءك وهي ياتي بعدك يخلفك على الاول ظرف مكان وعلى الثاني ظرف زمان **قوله** وقرئ لمن خلفك بفتح اللام والقاف فعلا ماضيا اي لتكون آية لخالقك الذي هو الله سبحانه كسائر آياته فانه تعالى لما اغرقه مع جميع قومه ثم لم يخرج احدا منهم من قعر البحر بل خصه بالاخراج كان ذلك آية عجيبة دالة على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وعلى صدق موسى عليه الصلوة والسلام في دعوى النبوة ذكر المصنف في كونه آية ثلثة اوجه على القراءة المشهورة الاول كونه لمن وراءه من بني اسرائيل علامة تدلهم على كونه مربوبا مقهورا بمعزل عن الربوبية والامتناع عن الموت والهلاك والالماهلك مع المغرقين والثاني كونه لمن ياتي بعده من القرون علامة يزجرون بها عن سلوك سبيله من الافراط في الطغيان والتوغل في العصيان والثالث كونه حجة يستدلون بها على ان الانسان على اي حال كان مملوك مقهور ثم ذكر قراءة من قرأ لمن خلفك بفتح اللام والقاف وبين وجه كون فرعون آية لخالقه عز وجل بان القاءه الى الساحل بين المغرقين آية تدل على انه تعالى فعل ذلك ليكشف تزويره ويميط شبهة السفهاء في امره ثم قال وهذا الوجه ايضا كالوجوه الثلثة الاول يحمل على القراءة المشهورة ثم انه تعالى لما ذكر خاتمة قوم فرعون ذكر خاتمة بني اسرائيل فقال ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق اي انزلناهم واسكناهم مكانا محمودا صالحا للاقامة على ان مبوأ اسم مكان اضيف الى الصدق مدحا له فان عادة العرب اذا قصدوا مدح شيء اضافوه الى الصدق كقولهم رجل صدق وقال تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والمراد بالمبوأ الصدق قيل هو الشام ومصر وقيل الاردن وفلسطين وهي الارض المقدسة التي كتب

وقيل كانت له درع من ذهب وقيل من حديد وله سلاسل من ذهب وقيل كانت مرصعة بها وفي مواقف وفي قوله يعرف بها اشارة الى ان الحكمة في بقاء درعه عليه ان يعرفوه بها ولا يشكوا فيه وقيل معنى ببدنك بصورتك التي تعرف بها وكان قصيرا اشقر ازرق قريب اللحية من القامة ولم يكن في بني اسرائيل شبيه له تعرفونه بصورته
ستاته

١٧٩

الله تعالى ميراثا لابراهيم عليه الصلوة والسلام وذريته والظاهر ان المراد بني اسرائيل الذين بوأهم الله تعالى مبوأ صدق هم الذين بخواص فرعون فاورثهم الله تعالى جميع ما كان في ايدي قوم فرعون من الناطق والصامت والحرث والنسل كما قال تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها كانوا على ملة واحدة ومقالة واحدة ثم اختلفوا وتشعبوا في كثير من امور دينهم قبل البعثة طلبا للرياسة وتنافس بعضهم على بعض حتى ادتهم ذلك الى القتال بناء على تعسفهم في التاويل وما وقع هذا الاختلاف والتشعب الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا ما هو الحق في امر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه وقيل المراد ببني اسرائيل طائفة منهم وهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في امر الدين اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم منهم من صدقه وآمن به ومنهم من عاند واصر على ما كان عليه وما اختلفوا الا من بعد ما علموا اصدقه بنعوته وتظاهر معجزاته فان نعوته الكريمة مبينة مسطورة في الكتب الالهية فلما رأوه موصوفا بتلك النعوت علموا انه هو النبي الذي وعد الله تعالى بارساله في آخر الزمان قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم عن ابن عباس رضي انه قال هم قريظة والنضير وبني قينقاع انزلهم الله منزل صدق ما بين المدينة والشام من ارض يثرب ورزقهم من الطيبات وهو ما في تلك البلاد من الرطب والتمر الذي لا يوجد مثلها في البلاد وقيل المراد بالعلم ههنا القران وسمي القران علما لكونه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مرسل مشهور وقيل العلم هنا العلم بمعنى المعلوم والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان معلوما عندهم بنعته فانهم كانوا يخبرون بمبعثه ويفتخرون على سائر الناس فلما بعثه الله تعالى اختلفوا في امره فمنهم من صدقه وكفر به اكثرهم حسدا وبغيا **قوله** على سبيل الفرض والتقدير فان مضمون القضية الشرطية على تقدير وقوعه يستلزم وقوع الجزاء ولا اشعار بها البتة بوقوع الشرط ولا بعدم وقوعه ولا يستلزم ايضا امكان وقوعه فانه قد يعلق الشيء على ما يستحيل وقوعه عقلا كقوله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فانه يستحيل ان يكون عليه الصلوة والسلام في شك مما انزل اليه الا انه فرض فرض المستحيلات وعلق عليه قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانهم يدلونك على حقية امر نبوتك وعلى حقية كون القران كلاما الهيا لما ذكر الاختلاف بني اسرائيل عند ما جاءهم العلم ذكر ما يتقوى قلبه عليه الصلوة والسلام ويزيد طمانينته في حقية امر نبوته وحقية القران فان اليقين يزداد بتظاهر الادلة والشواهد **قوله** والمراد اي من فرض كونه عليه الصلوة شاكا في حقية ما انزل اليك تحقيق ذلك كانه قيل امر نبوتك وحقية

قوله ولذلك قال عليه الصلوة والسلام الخ لكون المراد هذا دون ذاك قال عليه الصلوة والسلام اي وفيه ان مضمون قوله عليه الصلوة والسلام ينفي وقوع الشك ولا ينافي ذلك امكانه لكنه اراد الامكان الوقوعي المقارن للوجود فما لاستقبال كبعض لا ولا معنى للنفي امكانه للا
سكان

قوله واضح الله لا مدخل للمرية فيه الخ بما دل اسناد المجيء الذي هو من خصائص المحسوس الى الحق الذي هو المعقول على ان القصد الى تشبيه المعقول بالمحسوس في الظهور والوضوح ولم يكن ظهور الحق الا بالادلة والبراهين فسره بذلك ابرازا اياه في صورة الحال الظاهر ترتب النهي عن الامتراء عليه وقوله انه لا مدخل الخ في محل الرفع على انه نائب فاعل واضح الوجود للاعتماد
سكان

ما انزل اليك امر محقق حتى ان اهل الكتب المتقدمة يعرفون ذلك بكونه مكتوبا في كتبهم **قوله** دال التوا في محل الجر بعطفه على ذلك في قوله تحقيق ذلك اي وتحقيق ان القران مصدق بما في الكتب المتقدمة وقوله او وصف وقوله او تهييج الرسول معطوفان على قوله تحقيق ومن ذهب الى ان الخطاب وان كان مع الرسول في الظاهر الا ان المراد الامة او كل من سمع انما ذهب اليه بناء على انه عليه الصلوة والسلام لو كان شاكا في نبوة نفسه لكان غيره اولى بالشك في نبوته وان شك في نبوة نفسه كيف يقول باخبار اهل الكتاب عن نبوته ثم انه تعالى لما حقق واستشهد عليه بكون القران مصدقا بالكتب المتقدمة قال لقد جاءك الحق من ربك الآية ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وازال ضيق صدره بتاخير اسلام قومه فقال ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون اي وجبت عليهم لعنته وسخطه او قوله هؤلاء في النار ولا ابالي وحاصله ان من علم الله تعالى منه اختيار الكفر واصراره عليه شاء كفره فلا يؤمن ابدا ثم انه تعالى لما فرغ عن قصة نوح وموسى عليهما الصلوة والسلام شرع في القصة الثالثة وهي قصة يونس عليه الصلوة والسلام فقال فلولا كانت قرية آمنت الاية ولولا ههنا تحضيضية بمعنى هلا وحرف التحضيض اذا دخلت على الماضي تكون للتوبيخ على ترك الفعل وتخ اهل القرى المهلكين على ابائهم عن الايمان قبل معاينتهم العذاب الاليم ولفظ كانت ههنا تامة وآمنت صفة لقرية وقوله فنفعها عطف على آمنت ومن مجيء لولا للتحضيض بمعنى هلا ما في قول الفرزدق تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا • وفي مصحف ابي وعبد الله فهلا وبه قرا ، وهذا نص في انها للتحضيض وقيل ان لولا ان في بمعنى ما النافية ومنها ما في هذه الاية وتقديرها فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس فهو من حيث اللفظ استثناء منقطع لان ما بعد الا وهو قوم يونس ليس بداخل في جنس ما قبلها وهو القرية وهو بحسب المعنى متصل لان المعنى ما آمن من اهل قرية الا قوم يونس واتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى بين بقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية اتبعه بهذه الاية للدلالة على ان من علم الله تعالى منه اختيار الكفر واصراره عليه لا يحلي في قلبه داعية الايمان فلا يؤمن ابدا وان من ندم على ما مضى من الكفر والعصيان ورغب في الايمان والطاعة يوفقه للايمان فيؤمن قبل معاينة العذاب وينفعه ايمانه كقوم يونس فان قيل ما الفرق بين فرعون وقوم يونس حتى قبلت توبة احدهما ولم تقبل توبة الآخر قلنا ان فرعون تاب حين ما ادركه الغرق وشاهد العذاب بخلاف قوم يونس فانهم تابوا لما ظهر لهم امارات نزول العذاب قبل ان يشاهدوه فقبلت توبتهم وهذا الفرق هو الذي اراده المص بقوله امنوا اول امارات العذاب ولم يؤخروه الى حلوله اي كما اخره فرعون الى حلوله **قوله** لكن

قوله فان السبب الاصلي لايمانهم متعلق ذلك لان المراد بنفي الايمان في قوله تعالى لا يؤمنون نفيه في وقت الفعل المقول له تعالى حتى يروا العذاب الاليم تقديره الايمان الذي بعد تعلق الارادة بتعلقها به في وقت النزول لا مطلقا
سكان

١٨٠

لكن قوم يونس لما امنوا جعل الاستثناء منقطعا لان المراد من القرية اهل القرية التي اهلكها الله وقوم يونس ليسوا بداخلين في اهل تلك القرية ليصح اخراجهم من اهلها ويكون الاستثناء متصلا مع ان معنى الاستثناء المتصل اخراج المستثنى عن حكم المستثنى منه وعلى تقدير ان يكون الجملة التحضيضية مسوقة للتحضيض اي للتوبيخ اهل القرية الهالكة على ترك الايمان حال الاختيار لم يحكم على اهل القرية بشيء من النفي والاثبات ليصح اخراج قوم يونس عن ذلك الحكم فتعين كون الاستثناء منقطعا على تقدير ان يفسر الجملة بقوله فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب واما اذا جعلت الجملة التحضيضية في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لانه حكم على اهل القرى الهالكة بعدم الايمان وقوم يونس داخل في اهل تلك القرى فيصح اخراجهم من حكم اهل تلك القرى وهو عدم الايمان والوجه في جواز كون الجملة التحضيضية في معنى النفي وكون حرف التحضيض متضمنا لمعنى النفي ان حرف التحضيض اذا دخلت على الماضي يكون للتوبيخ على ترك الفعل فيكون الجملة التحضيضية في قوة جملتين ما امنوا ولم ما امنوا فان اعتبر فيها معنى النفي كان الاستثناء متصلا لا محالة لكون المعنى ح ان اهل القرى العاصية الذين استحقوا الهلاك بسبب عصيانهم ما امنوا الا قوم يونس فانهم امنوا فنجوا من الهلاك وان اعتبر فيها معنى التحضيض لا يكون الاستثناء متصلا اذ لم يحكم على المستثنى منه بشيء حتى يخرج المستثنى من ذلك الحكم **قوله** ويؤيده اي يؤيد كون الجملة في معنى النفي وكون الاستثناء متصلا انه قرئ الا قوم يونس بالرفع على انه بدل من قرية ووجه التاييد ان ابدال المستثنى من المستثنى منه انما يجوز في كلام غير موجب ولا يجوز الابدال في مثل جاءني القوم الا زيدا لان المبدل منه في حكم الساقط فيكون تقدير الكلام جاءني الا زيد وهو يستلزم ان يجيء اليه جميع العالم الا زيد وهو محال ثم انه تعالى لما ذكر شبهات الكفار في انكارهم النبوة واجاب عنها من اول السورة الى هنا وذكر قصة نوح وموسى لتلين شكيمتهم لقبول الحق وتخوفهم من ان ينزل عليهم ما نزل بمن كذب الانبياء الماضين لم يترتب على ذلك في حق اكثر الكفرة الا التمادي على الطغيان والثبات على التمرد والعصيان فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجل ذلك لشدة حرصه على ايمان قومه فنزل قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم ربين به ان الكفر والايمان وسائر ما يصدر عن الانسان انما يصدر بقضاء الله وقدره وارادته ومشيته فمن علم منه ان يختار الهدى والايمان على الضلال والعصيان يشاء ايمانه ويوفقه له ومن علم منه اختيار الماءلوفات الطبيعية والتخلق بالاخلاق البهيمية على الاتصاف بالصفات الملكية من الطاعة والانابة الى طريق السعادة الابدية يشاء منه

قوله وهو دليل على القدرية وهم المعتزلة لقبوا بها عندنا لاسنادهم افعال العباد الى قدرتهم وانكارهم القدر فيما قالوا ان من
يقول بالقدر احق بان ينسب اليه منا فيه ولكن نقول كما يصح نسبة مثبته اليه يصح نسبة نافيه ايضا اذا بالغ في نفيه لانه ملتبس به

الكفر والعصيان فلا يؤمن بالله تعالى الملك المنان نعوذ بالله من سوء الخاتمة والخذلان قوله
وهو دليل على القدرية القائلين بانه تعالى يريد ايمان الكافر وطاعة العاصي لكن الكافر والعاصي
انما يكفر ويعصي بقدرة نفسه وارادته ووجه الاستدلال ان الاية صريحة في انه تعالى ما اراد ايمان
الكل وذلك لانه تعالى لو شاء ايمان الكل لآمن الكل وكلمة لو لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على ان
ما في حيز لو منتف فلا يريد ايمان الكل واجاب القدرية عن هذا الاستدلال كالجبائي و
القاضي وغيرهما بان قالوا انهم ان الاية تدل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكل الا ان المشيئة المنفية هي
مشيئة الالجاء اي لو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان لقدر عليه ولكنه ما فعل ذلك لان الايمان الصادر
من العبد على سبيل الالجاء لا ينفعه فائدة ثم قال الجبائي ومعنى الجاء الله تعالى اياهم الى الايمان ان يعرفهم
انهم لو حاولوا ترك الايمان لحال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لا بد وان يفعلوا ما الجئوا اليه ورد
المص هذا الجواب بقوله والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر فتحمل الاية على طريق اهل السنة
انه تعالى اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته فقال انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه لم
ايمان الكل وانما شاء ايمان من علم منه اختيار الايمان وشاء الكفر ممن علم منه اختيار الكفر ثم
انكر على النبي صلى الله عليه وسلم في شدة حرصه على ايمان الكل بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
اي بعد ما تقرر ان ايمان الكل منوط بمشيئة الله تعالى اياه وانه لم يشأ ايمان الكل كيف تتمنى تحصيل
ما لم يتعلق به مشيئة الله تعالى قوله وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء الخ اعلم ان تركيب الاية و
نظمها مشتمل على اعتبارات مناسبة للحال والمقام منها ترتيب الاكراه بالفاء العاطفة على المشيئة
اعلى الحكم بانه تعالى لو شاء ايمان الكل لآمنوا جميعا لكنه لم يشأ ايمان الكل ومنها تقديم الفاعل المعنوي
على الفعل فان الضمير انت في الاية فاعل معنوي لقوله تكره لانه لو اخر عنه لكان تأكيدا للفاعل المستتر
فيه فيكون فاعلا معنى الا انه قدم عليه وجعل مبتدأ ومنها ايلاء الفاء العاطفة للجملة التي قدم فيها
الفاعل المعنوي حرف الاستفهام الانكاري بان يذكر الجملة المصدرة بالفاء بعد حرف الاستفهام
بلا فصل واضافة الايلاء الى ضمير الفاء من اضافة المصدر الى فاعله وحرف الاستفهام منصوب على
انه مفعول المصدر فان الفاء لما ذكرت بعد همزة الاستفهام بلا فصل فقد جعلت الهمزة قريبا لها
نفسها من قولهم وليك فلان اي قرب منك ولكل واحد من هذه الاعتبارات فائدة على حدة
فمعنى الاية اذا لم يشأ الله ايمان الكل فانت تقدر على اكراههم عليه وانما يقدر عليه الله تعالى وحده
ان شاء لان تقديم الفاعل المعنوي المصدر بالفاء على الفعل وايلاء حرف الاستفهام يدل على ان
اصل الفعل محقق مقرر وان الكلام في فاعله من هو وهمزة الاستفهام تدل على انكار فاعلية
المذكور لذلك الفعل وثبوته للغير وهو الله تعالى قوله للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فيه تسامح

اولى به من المثبت لقوله عليه الصلوة والسلام القدرية مجوس هذه الامة يعني به انهم يشاركون المجوس في اثباتهم خالقين للخير والشر فهم ايضا يجعلون العبد خالقا لافعاله فالحديث دال على انهم هم القدرية دوننا

اي وهو دليل لنا عليهم انه تعالى لم يشأ ايمان الكل وانما اراد الايمان ممن علم منه اختيار الايمان

قوله كلهم لافادة شمولهم ... من الالفاظ العموم ... لا يفيد العموم ... في سياق النفي ... اي لفظ كلهم ... ارادة العموم ... تأكيدا ما هو ... العموم ... على الايمان ... الاصوليون في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون ... السجود

قوله للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل ... تعلق به ... لا يتعلق ... الاختيار ... التخصيص

تسامح والمراد ان ايمان الكل خلاف ما تعلق به مشيئة الله تعالى فيكون مستحيلا ولا يمكنه
عليه الصلوة والسلام تحصيل المستحيل فضلا عن ان يحث ويحرض عليه كانه لما ثبت انه تعالى
لم يشأ ايمان الكل كان ايمان الكل خلاف ما تعلق به مشيئة الله تعالى فيكون مستحيلا والمستحيل
لا يقدر عليه احد فانت تقدر على تحصيله قوله ولذلك اي ولكون مدلول الكلام ان ايمان الكل
خلاف ما تعلق به مشيئة الله تعالى فيكون مستحيلا قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا
باذن الله تعالى والاذن في اللغة الاطلاق في الفعل ورفع الحجر عنه والارادة والتوفيق من
توابعه فيصح تفسير الاذن بهما ايضا وقرأ ابو بكر عن عاصم ونجعل بنون العظمة و
الباقون بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير البارئ تعالى وقرئ ويجعل الرجز بالزاي
بدل السين وهما بمعنى ثم قال على الذين لا يعقلون اي عن الله اوامره ونواهيه وحمل الرجس
على الخذلان مجاز في المرتبة الثانية لانه في الاصل عبارة القذر ثم نقل الى العذاب
لاشتراكهما في الاستكراه والتنفير ثم نقل الى سببه الذي هو الخذلان وحمل الرجس عليه
مع كونه مجازا فيه في الدرجة الثانية بقرينة ذكره في مقابلة اذن الله وتوفيقه فدلت الاية
على ان خالق الكفر والايمان هو الله تعالى حيث ذكر اولا ان الايمان انما يحصل بمشيئة الله تعالى و
تخليقه ثم ذكر ان الرجس ايضا لا يحصل الا بجعله وتخليقه او ورد في مقابلة الايمان عدم العقل وفي
مقابلة الاذن له الرجس لان الايمان انما يكون بصحة العقل والنظر في الدلائل العقلية والسمعية والكفر
على الكفر المقابل للايمان مسبب عن عدمه فاومأ به الى ان العاقل هو المؤمن ومن لم يوفقه الله تعالى
للايمان لعدم عقله لزم كفره الموجب للعذاب فرتب لازمه الكفر الذي هو الرجس على ملزومه الذي
هو عدم العقل للجمع بين التهديد والتوبيخ هددهم ببيان انهم اهل الرجس والعذاب ووبخهم
بجعلهم عديمي العقل فمحصول الاية ان النفس لا تتحلى بحلية الايمان الا باذن الله تعالى وتوفيقه وانه
تعالى يجعل الرجس الذي هو لازم الكفر والعصيان على الذين لا يعقلون اي على الكفار عبر عنهم
بذلك لان عدم العقل سبب للكفر نزل اولا لا يعقلون منزلة اللازم اولا بناء على ان وجود
الشيء ينزل منزلة عدمه لعدم ترتب المنافع المترتبة على وجوده عليه ثم قدر له مفعول اي
لا يعقلون دلائله واحكامه وايد الاحتمال الاول بقوله تعالى قل انظروا وقرأ حمزة وعاصم بكسر
اللام لالتقاء الساكنين بناء على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر وقرأ الباقون بضمها
بان نقلوا حركة الهمزة الى اللام قوله وماذا ان جعلت استفهامية اما ان يكون ماذا كلمة اسما
واحدا بمعنى اي شيء مرفوع المحل على الابتداء وخبره في السموات اي اي شيء في السموات
او بان يكونا اسمين بمعنى ما الذي على ان تكون كلمة ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء

قوله العذاب والخذلان فانه سبب حمل الرجس اولا على العذاب الذي هو احد معانيه ثم راعى المناسبة وحمل الكلام ثانيا من باب المقابلة بالخذلان في مقابلة الاذن والتوفيق للايمان فيلزم ان يكون مجازا في المرتبة الثانية لانه في الاصل هو القذر ثم نقل الى العذاب لاشتراكهما في الاستكراه والتنفير ثم الى سببه قال الامام الرجس عبارة عن الفاسد المستقذر فحمله على كفرهم وجهلهم اولى من حمله على العذاب في كونه حقا وصدقا وصوابا وفيه انه يأباه كلمة على ويبقيه قوله على الذين لا يعقلون

ويكون كلمة ذا بمعنى الذي وفي السموات صلته ويكون الموصول مع صلته خبر المبتدا او على التقدير من الاكون
الجملة الاسمية مفعول انظروا والكوفة معلقا عنها بالاستفهام ولم يذكر في الكافية غير هذين الوجهين
وجهما ماذكر مقبول ونعماذا اصنعت وجهان احدهما ما الذي وجوابه رفع والاخر اي شيء وجوابه نصب
انتهى ما فيها واشار المص الى ان فيه وجها ثالثا وهو ان يكون ماذا كلمة اسما موصولا بمعنى الذي
ويكون في محل النصب بانظروا وهو ضعيف في هذه الاية لان النظر للخلق اما ان يكون بصريا او قلبيا
والاول يعدى بالى والثاني بفي ولا شيء منهما في الاية قوله وما نافية او استفهامية فان كانت
نافية يكون مفعول تغني محذوفا اي وما تنفع الايات والرسل المنذرون شيئا من قوم لا يتوقع
ايمانهم وان كانت استفهامية يكون هي مفعول تغني اي اي شيء تنفع الايات ضمن الاغناء
معنى الدفع فعدي بكلمة عن والنذر يجوز ان يكون جمع نذير بمعنى الانذار وان يكون جمع نذير بمعنى
المنذر والمعنى وما تغني الايات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله
ثم انه تعالى خوفهم بقوله فهل ينتظرون اي فما ينتظر مشركوا مكة شيئا الا مثل وقايع الله تعالى في الامم
الذين مضوا كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الذين كذبوا رسلهم والعرب تسمى العذاب والنعم
اياما فانه تعالى وذكرهم بايام الله اي بنعم الله فكل ما مضى عليك من خير او شر يسمى اياما والوقوع في الايام
والمعنى ان الذين كذبوك ولم يؤمنوا بك ما ينتظرون شيئا الا ايام مثل ايام الامم الماضية المكذبة
اي يجب ان لا ينتظروا بعد اصرارهم على تكذيبك الا العذاب ثم انه تعالى امره عليه الصلوة والسلام بان يقول
لهم انتظروا اما تستحقون بنزوله بكم اني معكم من المنتظرين لذلك قوله على حكاية الحال الماضية
متعلق بتعبيره في قوله كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا بلفظ المضارع فيهما مع ان كلا واحد منهما من
الاحوال الماضية عبر عنه بلفظ المضارع لقصد احضاره في ذهن السامع وجعله بمنزلة المشاهد
المحسوس قوله كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا واصحابه الاول على ان يكون الكاف منصوب المحل //
بننجي والثاني على ان يكون منصوبا على انه صفة لمصدره المحذوف اي ننجي المؤمنين منكم بعد اهلاك المكذبين
مثل انجاء الرسل بعد اهلاك اممهم المكذبين او ننجي محمدا صلى الله عليه واصحابه حين نهلك المشركين انجاء
مثل انجاء الرسل الماضية حين اهلاك اممهم المكذبين وحقا على التقديرين جملة معترضة بين
العامل ومعموله منصوب بفعله المقدر اي حق ذلك حقا وقيل منصوب على انه بدل من الكاف المنصوبة
على انها صفة مصدر محذوف وتقدير الكلام انجاء مثل ذلك حقا قوله قل يا ايها الناس ان
كنتم في شك من ديني الاية لما ذكر الله تعالى ما يدل على وحدانيته وكمال قدرته بقوله قل انظروا ماذا
في السموات والارض امر رسوله بان يبين للمشركين خلاصة دينه لينظروا فيه بنظر الانصاف
والاعتبار ليزول شكهم في امره عليه الصلوة والسلام وامر دينه فان معنى الاية الاولى قل

قوله وقيل منصوب بدل من الكاف كذلك اي مثل ذلك
بمعنى الشكر والتقدير انجاء حقا او انجاء
الانجاء حقا انجاء مثل ذلك انه قد يجعل
حالا كونه حقا ثم الذي تقدم
كذلك منصوبا بننجي
وحقا بننجي الثاني تامل
سنان

بل للمشركين الذين لا يعرفون وحدانية الله تعالى ووجوب تخصيصه بالعبادة انظروا ماذا في السموات
والارض من عجايب اثار قدرة الله تعالى لتعلموا انه منزه عن الشركاء والانداد فانه لا سبيل الى معرفة
الله تعالى الا النظر في عجايب مصنوعاته وغرايب اثار قدرته كما قال عليه الصلوة والسلام تفكروا في الخلق
ولا تتفكروا في الخالق واثار قدرته اما سماوية واما ارضية والاولى كحركات الافلاك ومقاديرها
دبرها وما فيها من الكواكب السيارة والثانية ما في الارض من العناصر والمعادن واصناف
النباتات وانواع الحيوانات ولو تفكر احد في كيفية حكمة الله في تخليق جناح بعوضة لانقطع عقله
قبل ان يصل الى اول مرتبة من مراتب ما فيه عجايب الصنع وغرايب الحكم ففي كل شيء له اية تدل
على انه واحد فلما اثار هذه الدلائل امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولما كان هذا الشرط والجزاء
ليس بينهما بحسب الظاهر ارتباط بكون الاول مستلزما للثاني لان شكهم في دينه عليه الصلوة و
السلام ليس سببا لعدم عبادة الاوثان وتخصيص العبادة بالله تعالى ولا يظهر وجه جعل قوله فلا
اعبد الذين الخ جزاء لقوله ان كنتم في شك من ديني حمل الجملة الجزائية في تاويل الاخبار بمضمونها
وتنبيه فكانه قيل ان كنتم تشكون في ديني وصحته فاتى ابين لكم خلاصة ديني اعتقادا وعملا //
فاسمعوا وصفه واعرضوه على العقل الصرف وانظروا فيه بنظر الانصاف اهو اصح واصوب من دينكم
ام لا وهل هو محل للريب ام لا فان خلاصة ديني اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون الله //
القادر الخالق للكل ولكن اعبد الله الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم وامرت اي امرني الله تعالى بدليل
العقل وصريح الوحي ان اكون من المؤمنين وبهذا التاويل يظهر ارتباط الجزاء المذكور بما قبله
فان الجزاء المسبب عن الشرط قد يكون نفس مفهوم الجملة الجزائية نحو ان تكرمني اكرمك فان نفس
الاكرام المتكلم هو المسبب المترتب على اكرام المخاطب اياه وقد يكون الجزاء هو الاخبار بمفهوم
الجزاء او اعلامه للمخاطب كما اذا قلت ان اكرمتني اليوم فقد اكرمتك امس كانه قيل ان اعتبار اكرامك
اياي اليوم واعتدادك به سبب لان اخبرك باكرامي اياك امس يعني بان اعتبرت اكرامك اياي
الان واعتنيت به على ما اعتبره واحاسب اكرامي اياك امس فكذا الكلام فيما نحن فيه من الاية فان
شكهم في صحة دينه عليه الصلوة والسلام سبب لان يخبرهم ويبين لهم خلاصة دينه ليزول شكهم
في صحته فان التنزه عن عبادة المخلوق المصنوع والاشتغال بعبادة الخالق القادر على كل شيء
لا شك في صحته الاسفها وانما خص بالذكر من بين صفاته العلى كونه متوفيا لهم لكون الموت
اهول الاشياء واشدها على النفس فكان اليق بان يخص بالذكر في مقام التهديد والتخويف و
لانه ذكر عن قريب انه تعالى اهلك الامم المكذبين ثم انجى رسله والذين امنوا ثم قال بعده كذلك ننجي محمدا

قوله وصحته اشار بهذا العطف
الى ان شكهم ليس مقصورا على
كونه في نفس دينه عليه الصلوة
والسلام انه ما هو بل هو فيه و
في صحته ايضا وان الجواب
بمجرد الشك فيهما معا لا
يظهر ذلك من تقريره فلا وجه
لما قيل ان الشك في نفس الدين
على ما جاء في الخبر انهم كانوا
يقولون انه عليه الصلوة
والسلام خرج من دين ابائه
الى دين اخر لا في صحته فلا
وجه لقوله وصحته لان الجواب
لا يطابقه انتهى سنان

قوله فهذا خلاصة ديني
اعتقادا وعملا الظاهر ان
قوله وامرت ان اكون من
المؤمنين من جملة الجواب
وقوله اعتقادا ناظر
اليه وانما وسطا قوله
فهذا خلاصة ديني
لضرورة اختصاص
قوله وامرت ان اكون
الخ بتفسير يجب ان يذكر
عقيب تمامه لما لم يكن بين
الشرط وظاهر الجواب
ربط ضم اليه قوله
فاعرضوه على العقل
الصرف الخ فلا حاجة الى
جعل من شك قوله وما
يكونوا نعمة فيبقى الكلام
ان اكرمتني اليوم فقد
اكرمتك امس تاويله
الجزاء بالاخبار و
الاعلام فان كلا منهما [illegible]

فعلى الاول يكون مستقلة وعلى الثاني موكدة لان اقامة الوجه
تتضمن التوجه الى الحق والاعراض عن الباطل ستاب

ان اكون من المومنين اشارة الى كونه مأمورا الى تحصيل اصل الايمان وقوله وان اقم وجهك
للدين حنيفا اشارة الى كونه مامورا بالاستغراق في نور الايمان والاعراض بالكلية عما سواه
قال الامام قوله تع ولا تكونن من المشركين لا وجه لكونه نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور
في قوله في اول الاية فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله فينبغي ان يحمل هذا الكلام
على ما يفيد فائدة زائدة وهي ان من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا
وهذا هو الذي يسميه اصحاب القلوب شركا خفيا ثم قال قوله تع ولا تدع من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك اشارة الى مقام هو اخر درجات العارفين لان ما سوى الحق ممكن لذاته
موجود بايجاده والممكن لذاته معدوم بالنظر الى ذاته وموجود بايجاد الحق اياه واذا كان
كذلك فما سوى الحق لا وجود له الا بايجاد الحق وعلى هذا التقدير لا نافع الا الحق ولا ضار
الا الحق وكل شيء هالك الا وجهه واذا كان كذلك فلا حكم الا لله ولا رجوع في الدارين الا الى
الله ثم قال تع في اخر الاية فان فعلت فانك اذا من الظالمين اي لو اشتغلت بطلب المنفعة
والمضرة من غير الله فانت من الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه فاذا
كان ما سوى الحق معزولا عن التصرف كان اضافة التصرف الى ما سوى الحق وضعا للشيء
في غير موضعه فيكون ظلما وطلب الانتفاع بالاشياء التي خلقها الله للانتفاع بها من الطعام والشراب
ونحوهما لا ينافي الرجوع بالكلية الى الله بشرط ان يكون بصر عقله عند توجهه الى شيء من هذه الاشياء
شاهدا لقدرة الله في وجوده واحسانه في ايجاد تلك الموجودات وابداع تلك المنافع فيها وجازما
بانها في انفسها وذواتها معدومة هالكة ولا وجود لها ولا بقاء ولا تاثير الا بايجاد الله وابقائه وانما
ما يرى من الخواص عليها بجوده واحسانه قوله تع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو اي
مسلما ذلك ايضا فانه معطوف على الجمل السابقة فان قوله تع ولا تدع معطوف على جملة الامر وهي
اقم فيكون داخلة في صلة ان الموصولة وكذا في قوله ولا تكونن من المشركين معطوف عليها
اي امرت بكذا وكذا وقيل له ولا تكونن من المشركين ولا تدع اي لا تعبد من دون الله ما لا ينفعك
ان اطعته ولا يضرك ان عصيته وخذلته اي ان انقطعت عنه وتركت عبادته قال الاصمعي
اذا تخلف الظبي عن القطيع قيل خذل قال صاحب الكشاف اذن في قوله فانك اذن من الظالمين
جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان قوله تع وان
يردك بخير بعد ما ... وان يردك بخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالاخر جانب كل واحد من العبارتين
مع ان التغيير في اللفظ يدل على زيادة العناية بالمقدم فقوله وان يردك بخير يدل على ان المقصود
هو الانسان وسائر الخيرات مخلوقة لاجله وهذه الدقيقة لا تستفاد الا من هذا التركيب قوله

عليه الصلوة وصحبه حيث نهلك المشركين فدل ذلك على انه تع يهلك اولئك الكفار ويبقى
المومنين ويقوي دولتهم ولذلك قال ههنا ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم اشارة الى ما
يتضمنه تلك الايات كانه يقول اعبد ذلك الذي وعدني باهلاككم وابقائي مع اصحابي ثم انه لما بين
لهم خلاصة دينه عملا بان قال لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم بين
لهم خلاصة دينه اعتقادا فقال وامرت ان اكون من المومنين فدل ذلك على انه ما لم يصر ظاهر
الانسان مزينا بالاعمال الصالحة لا يستقر في القلب نور المعرفة والايمان واصل الكلام
وامرت بان اكون لان فعل الامر يتعدى الى مفعوله الثاني بالباء ولا يتعدى اليهما بنفسه
حذفت الباء في الاية الا ان في حذف الباء قاعدتين احديهما مطردة وهي حذفها من ان
وان والاخرى غير مطردة وهي قاعدة الحذف والايصال وهي غير مطردة ويمكن ان يكون
حذف الباء في الاية مبنيا على كل واحدة من القاعدتين قوله عطف على ان اكون فيكون كلمة
ان في قوله ان اقم مصدرية موصولة كالتي في قوله ان اكون غاية ما في الباب ان يكون صلة ان
الاولى جملة خبرية وصلة ان الثانية جملة طلبية ويجوز ان يكون صلة الموصول الحرفي جملة طلبية
كما يجوز كونها خبرية لان حق ان هذه ان يكون مع الفعل في تاويل المصدر ولا فرق بين ما
حكي بصيغة الامر وما حكي بصيغة الخبر في تضمن معنى المصدر وانما وجب في الموصول الاسمي
كالذي والتي واخواتهما ان يكون صلته خبرية لان وصفه ليتوصل به الى وصف المعارف بالجمل
والجمل لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية والموصول الحرفي ليس كذلك فلا يجب ان يكون صلته خبرية
ويسمى نحو ان وما المصدريتين وان المشبهة وكي موصولا حرفيا لكونها مع الجملة التي بعدها في
تقدير المفرد فاذا وقعت في التركيب يكون لها محل من الاعراب وتلك الجملة تسمى صلة قوله والمعنى
وامرت بالاستقامة لما قرر ان كلمة ان في الموضعين مصدرية وانها مع صلتها في تاويل المصدر وفي
المنصب على انه مفعول به لفعل الامر فيكون المعنى امرت بالكون من المومنين وبالاستقامة
في الدين والاستبداد فيه وفيه اشارة الى ان اقامة الوجه للدين كناية عن توجيه النفس
بالكلية الى عبادة الله والاعراض عما سواه فان من اراد ان ينظر الى شيء نظرا بالاستقامة
والاستقصاء فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث لا يلتفت يمينا ولا شمالا اذ لو التفت الى
جهة منهما بطل تلك المقابلة واختل النظر بالاستقامة ولذلك كني باقامة الوجه عن صرف القوى
بالكلية الى الدين وقيل المعنى اقم وجهك في الصلوة نحو القبلة فالتقدير وامرت بالاستقامة
في الصلوة نحوها قوله حنيفا حال من الدين او من الوجه اي حال كون الدين مستقيما لا اعوجاج
فيه بوجه ما او في حال كونك مائلا اليه ميلا كليا معرضا عما سواه اعراضا كليا فقوله اولا امرت
ان

ولم يستثن اي علم بقول وان يرد اي يجز فلا راد لفضله الا هو لانه لما فرض ان تعلق الخيرية واقع
بارادة الله تعالى اياه لم يبق للاستثناء معنى لان ما اراده الله تعالى لا يرده راد الا هو ولا غيره
لان ارادته تعالى قديمة فلا تتغير وكذا مراد الله تعالى لا يرده نفسه والا لم يكن مرادا له ولا غيره
ايضا وهو ظاهر بخلاف الضر فانه وان اصاب وقعت اصابته بارادة الله تعالى الا ان ارادته
تعالى قد يتعلق بكشفه وازالته فيكشفه بارادته ثم انه تعالى لما بين الحق واوضح دلائله من اول
السورة الى هنا امر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي الرسول
والدين والقران من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اتبع الهدى فما ينفع الا نفسه
ومن آثر الضلال فما وبال ذلك الا على نفسه وكل الامر اليهم بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه
حث على ايثار الهدى والاعراض عن الضلال والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
تمت سورة يونس والآن اوان الشروع بسورة هود عم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر كتاب مبتدا وخبر على ان يكون الر اسما للسورة
فيكون في محل الرفع على الابتداء وكتاب خبره واحكمت آياته صفة كتاب وقوله او كتاب خبر مبتدا
محذوف على ان يكون الر مذكورا على نمط تعداد الحروف للتحدي وتقديم دليل الاعجاز من حيث
دلالته على ان المتحدى به مؤلف من جنس ما يتركبون منه كلامهم فلولا انه كلام الله لما عجزوا
عن اتيان مثله فلما لم يكن له محل من الاعراب كان قوله كتاب خبر مبتدا محذوف اي المؤلف منها
كتاب وقوله احكمت صفة له وقوله من لدن حكيم صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت
او فصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وذكر في احكام اياته اربعة معان الاول انها نظمت
نظما محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم والثاني كونها ممنوعة من الفساد بان
ينسخ شيء منها والثالث ان احكامها عبارة عن تحقيق مدلولاتها بالحجج والدلائل والرابع
ان يكون احكامها بمعنى جعلها حكيمة اي مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية فان العلوم الدينية
اما نظرية لا تعلق لها بالعمل بل المقصود منها مجرد الاعتقاد كمعرفة وجود الصانع ووحدته و
سائر صفات جلاله وجماله ومعرفة وجود الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما فيه من
نحو الصراط والميزان والحساب والجزاء واما عملية متعلقة بكيفية العمل وهي قسمان احدهما
ما يتعلق بتهذيب الاعمال الظاهرة ويسمى علم الفقه والآخر ما يتعلق بتهذيب الاعمال الباطنة
وهو علم التصفية ورياضة النفس ولا يوجد في العالم كتاب يساوي القران الكريم في بيان
هذه المطالب المتممة قوله تعالى ثم فصلت بالفوائد من العقائد فقوله بالفوائد متعلق بفصلت
وقوله من

وقوله من العقائد بيان للفوائد ووجه تفريق آياته بالفوائد ان يورد بين آياته فوائد
جمة من العقائد والاحكام ونحوهما بمثال عقد منفصل اذا فرق بين ما فيه من اللآلئ بجواهر
غينة على فصل تزيين العقد بها هكذا الكتاب الكريم زين بايراد فوائد لطيفة بين اياته فمعنى قوله
تعالى ثم فصلت اياته زينت بالفوائد كما تزين القلائد بالفرائد قوله او جعلت سورا اي وفصلت
طائفة من آياته في الانزال اي انزلت نجما نجما اي وقتا وقتا فان النجم في الاصل اسم للكوكب
الطالع ثم نقل الى الوقت لكون طلوع النجم سببا لمعرفة الاوقات ومغايرتها قوله او فصل فيها
اي بين ولخص فيها ما يحتاج اليه العباد في معاشهم ومعادهم فان التفصيل قد يستعمل بمعنى
التبيين ايضا غايته في الباب انه جعل نفس الآيات مفصلة مبينة والمفصل هو ما يحتاج
اليه المكلف على طريق الاسناد المجازي حيث اسند التفصيل الى ما فيه ذلك قوله وقرئ
ثم فصلت بتخفيف من الثلاثي المجرد بمعنى فرقت بين الحق والباطل كقوله فلما فصل طالوت
قوله وثم للتفاوت في الحكم يعني ان كلمة ثم وان كانت موضوعة للتراخي في الزمان الا انها
استعيرت هنا للتراخي في الحال والوصف والتفاوت فيه اي هي محكمة احسن الاحكام لفصاحة
لفظها ومعناها او لاحكامها بالحجج والبراهين ثم مفصلة احسن التفصيل كما تقول فلان كريم
الاصل ثم كريم الفعل واستعيرت للتراخي في الاخبار والاعلام لان تفصيل الآيات ليس
متراخيا عن احكامها بحسب الزمان وانما التراخي في الاخبار والاعلام والظاهر ان المراد
بالتراخي في الاعلام مجرد ترتب اعلام احدهما على اعلام الآخر لظهور انتفاء التراخي الحقيقي
بين الاخبارين فان الاخبار بالتفصيل وقع عقيب الاخبار بالاحكام قوله او صلة لاحكمت
وفصلت اي معمول لاحد الفعلين يتعلق به على سبيل التنازع من حيث صناعة الاعراب
لان المعمول الواحد لا يكون معمولا لعاملين مستقلين الا انه يتعلق بهما من حيث المعنى فان
المعنى احكمها وفصلها حكيم خبير والباء في المصنف يقوله وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها بكلمة
الواو دون او وفي تعلق قوله من لدن حكيم خبير بقوله احكمت ثم فصلت طباق حسن فان تفصيل
يفيد ثبت فكانه قيل احكمها حكيم وفصلها وبينها خبير بالاشياء واحوالها وحكم على آيات الكتاب
بكونها محكمة ومفصلة ثم وصف الكتاب بكونه منزلا من لدن حكيم خبير كان ذلك تقريرا لكون اياته
محكمة مشروحة مبينة فان منزل الكتاب لما كان حكيما اي محكما للامور واضعا كل شيء في
موضعه وكان خبيرا بحيث لا يجري في الملك والملكوت شيء الا وعنده خبره ولا يعزب عن علمه شيء
في السموات ولا في الارض كان ما نزل من عنده محكما مفصلا اي سالما عن الخلل من جهة نظمه ومعناه
ومشروحا مبينا قوله على اكمل ما ينبغي وهو متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من كلا احد

من احكامها وتفصيلها وقوله باعتبار ما ظهر امره متعلق باحكامها وقوله وما
خفى متعلق بتفصيلها على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى وهو تقرير لاحكامها على ما
ينبنى باعتبار ظاهر نظمه ولتفصيلها وتبينها على ما ينبنى باعتبار ما خفى معناه وكلمة ما
مصدرية والمصدر بمعنى الفاعل فان كون الكتاب منزلا من لدن حكيم يقرر متانة الفظ
نظمه واحكامه وكونه منزلا من لدن خبير يقرر كون ما خفى من معناه مفصلا مبينا
مشروحا فايات الكتاب باعتبار ظاهر نظمها محكمة وباعتبار ما خفى من معناها مفصلة
وقوله من لدن حكيم خبير تقرير لهما فالخبير المبنى من العليم فان العلم اذا اعتبر تعلقه بخفيات
الامور يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا ولكونه ابلغ من العليم ورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم فى قوله
تعالى وهو العليم الخبير لان لا تعبدوا ويعنى ان كلمة ان فى قوله تعالى الا تعبدوا مصدرية موصولة بالنهى لجواز ان يكون صلة الموصول الحرفى جملة طلبية كما مر آنفا وهى مع صلتها
الطلبية فى محل النصب على انها مفعول له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع و
حذف اللام منه مع عدم اتحاد فاعله مع فاعل الفعل المعلل بناء على القياس المطرد فى
حذف حرف الجر من ان وان والتقدير كتاب احكمت اياته ثم فصلت لاجل ان لا تعبدوا
الا الله وهذا التأويل يدل على ان المقصود الاصلى من انزال هذا الكتاب الشريف انما هو
تخصيص العبادة بالله تعالى وقيل كلمة ان مفسرة لان فى تفصيل الايات معنى القول وان
المفسرة فى تقدير القول فقوله تعالى ونادينا ان يا ابرهيم تقديره ناديناه وقلنا يا ابرهيم
ولهذا لا يجيء بعد صريح القول لان تقدير القول بعد صريحه لا معنى له وانما يجيء بعد كلام فيه معنى القول
ليدل على القول المقدر فكانه قيل ههنا ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال لا تعبدوا الا الله و
يجوز ان لا يكون قوله الا تعبدوا متصلا بما قبله بل يكون كلاما منقطعا عنه مقولا على لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم فتكون كلمة ان فيه مصدرية ايضا ولهذا فسره بقوله ترك عبادة غير الله
بمعنى الزموا تركها او اتركوها تركا فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول قوله
عطف على ان لا تعبدوا فتكون كلمة أن فيه ايضا مصدرية وقد سبق انه يجوز وصلها بالامر
والنهى وان فات معنى الامر والنهى عند تأويلها بالمصدر لفوات معنى الماضى والاستقبال عنده كانه
قيل لاجل تخصيص العبادة بالله تعالى ولاجل الاستغفار وهو طلب المغفرة من الله وهى ان يستر على
العبد ذنوبه فى الدنيا ويتجاوز عن عقوبتها فى الاخرة ولما ورد ان يقال التوبة وهى الرجوع عن
المعصية والضلال لا تتراخى عن الاستغفار فما وجه ايراد كلمة ثم بينهما اشار الى دفعه بان
جعل التوبة التى هى الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب على طريق اطلاق
اسم

ودجوب كونها جزئية فى حلة الموصول الاسمى انما هو التوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفى فليس كذلك [illegible]

[illegible] الا الله حملها على المفسرة اولى لان قوله وان استغفروا معطوف على قوله ان لا تعبدوا فيجب ان يكون معناه اى لا تعبدوا الا الله ليكون الامر معطوفا على النهى فان كونه بمعنى لان لا تعبدوا يمنع عطف الامر عليه والجواب عنه ان قوله وان استغفروا لما كان معطوفا عليه يكون ان فيه ايضا مصدرية وقد سبق انه يجوز وصلها بالامر والنهى وان فات معنى الامر والنهى عند التقدير بالمصدر لفوات معنى الماضى والاستقبال عنده كانه قيل لاجل تخصيص العبادة بالله تعالى ولاجل الاستغفار

اسم السبب على المسبب وجعل كلمة ثم قرينة المجاز لان التوصل الى المطلوب يتراخى عن الرجوع
الى الطريق قوله يمتعكم مجزوم لكونه جواب الامر وهو قوله استغفروا وهو قوله يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى معناه يعيشكم في امن ودعة الى آخر اعمارهم الى ان يجعله
عيشة راضية والدعة الراحة والمراد يجعل عيشة فى امن ودعة الى آخر اعمارهم ان يجعله
الله تعالى راضيا فى حقه فان المؤمن انما يشتغل باستغفار ربه وطاعته لايثاره طاعة ربه على
هوى نفسه وكونه راحته واطمئنان قلبه فى الاشتغال بطلب مرضاة ربه وتفويض جميع اموره
اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتمادا على ضمانه بكفاية مهماته بقوله تعالى ومن يتوكل على
الله فهو حسبه وان الخير فيما اختاره الله تعالى فى حقه ومن كان هذا شأنه لا جرم يعيش فى امن
وراحة لكونه راضيا بقضاء الله تعالى فى حقه وان كان لا يخلو عن تحمل مشاق من يشتغل على نفسه
وطبيعته فان اشد البلاء للانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فالاية بهذا المعنى لا تنافى
قوله عليه الصلوة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فانه بظاهره وان دل على ان
نصيب المؤمن عدم الراحة فى الدنيا الا ان المراد ان المؤمن المستغفر المنيب الى ربه وان عاش
فى الدنيا فى امن وراحة الا ان حاله فى الدنيا بالنسبة الى حاله فى الاخرة كحال المسجون فى المضيق
بخلاف من ربط قلبه بغير الله تعالى من الاسباب فانه ابدا فى الم الخوف من فوات محبوبه وزوال
ما رغب فيه فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا قوله او لا يهلككم بعذاب الاستيصال عطف
على قوله يمتعكم اى قيل ليس معنى قوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا انه تعالى يعيشهم فى امن ودعة الى اجل
مسمى بحيث لا يرون فى الدنيا الا ما يحبونه ليتأتى فى معنى الاية قوله عليه الصلوة والسلام الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر بل معناه انه تعالى لا يهلكهم بعذاب الاستيصال كما استأصل طغاة
الكفرة قال الامام ان قوله تعالى الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد اجلين وانه يقع فى ذلك
التقديم والتأخير فالجواب انه لا دلالة له على ذلك فان معنى الاية ان العبد لو اشتغل بالاستغفار والانابة
الى الله تعالى برعاية جميع ما كلف به لكان اجله فى الوقت الفلانى والا لكان اجله فى وقت اخر لكنه تعالى عالم
بانه هل يشتغل بذلك فيمتد عمره الى اطول الاجلين ام لا يشتغل به فيموت قبله فلا جرم كان عالما بان
اجله ليس الا فى ذلك الوقت المعين فثبت ان لكل انسان اجلا واحدا الى هنا كلامه وقال الكعبى ان للمقتول
اجلين اجل القتل واجل الموت وان المقتول لو لم يقتل لعاش الى اجله الذى هو اجل الموت وعند
الفلاسفة ان للحيوان اجلين اجلا طبيعيا هو وقت موته لتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين
واجلا اخترامنيا بحسب الافات والامراض وعندنا الاجل واحد والمحال راجعة الى ما قاله الامام فى قوله
والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة اى مقدرة بالاضافة الى كل واحد فلا
تتغير قوله فان تولوا يعنى ان لفظ تولوا وان كان على لفظ الماضى المسند الى ضمير الغائبين الا انه

عن الاعتراض جواب
على تفسير الاجل المسمى باخر
الاعمار المقدرة بان قوله
عليه الصلوة والسلام الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر فى
وقوله اشد البلاء بالانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل وقوله تعالى ولولا
ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة تدل على ان
نصيب المطيع عدم الراحة
فى الدنيا فيحصل الجمع بين
هذه النصوص وبين
ان يفسر هذه الاية بان
يقال فى امن وسعة الى
حين الموت سلمه

عانيه [illegible] فطاعة
[illegible] ربه لا [illegible]

[illegible]
الى [illegible] ان [illegible]
[illegible] التوبة [illegible] التوصل
[illegible] والاستغفار
عبادة [illegible] التوبة
والتوبة وذلك [illegible]
ذكره [illegible]

مضارع مسند الى ضمير المخاطبين ليوافق قوله عليكم وقوله الا تعبدوا الا الله وان
استغفروا اي وان تعرضوا عن تخصيص العبادة بالله تعالى وعن استغفاره والانابة
اليه فلا اخاف عليكم قرأ الجمهور تولوا بفتح التاء والواو واللام المشددة على انه
مضارع تولى حذف منه احدى التائين تخفيفا وقرئ تولوا بضم التاء وفتح الواو وضم
اللام على انه مضارع ولى من قولهم ولى هاربا اي ادبر ثم انه تعالى لما امر بان تولوا عن عبادة
الله تعالى وطاعته بين بعده صفة ذلك التولي فقال الا انهم اي الكفار يثنون صدورهم قرأ
الجمهور بفتح الياء وسكون الثاء المثلثة على انه مضارع ثنى يثني اي يعطف ويصرف و
الا حرف تنبيه اي تنبهوا على احوال المشركين وقبح افعالهم حيث يعرضون عن الحق
ويولون ظهورهم نحوه ويقبلون على الكفر يريدون بذلك الاستخفاء من الله تعالى ذكر الله تعالى
للكفار حالين يريدون بكل واحدة منهما الاستخفاء من الله تعالى احديهما انهم كانوا يعرضون
عن الحق ويولون ظهورهم نحوه وذلك ان جماعة من الكفار كانت يخلو بعضهم ببعض
فيشتغلون بذم النبي صلى الله عليه وسلم وسبه عبر عن اشتغالهم بالمذمة باعراضهم عن الحق
وعن اتباع ذلك فعللوا بهم بارادتهم الاستخفاء من الله تعالى فجعل ثني الصدور كناية عن
الاعراض لانه من لوازمه وقوله يستخفوا منه ليس علة للثني بمعنى الاعراض لان الاعراض عن
الحق ليس للاستخفاء فلا بد من تقدير ان يثنون صدورهم حال كونهم مريدين لان يستخفوا و
يتواروا عنه ويكتموا عداوته وحالهم الثانية انهم يستغشون ثيابهم لئلا يراهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان طائفة من المشركين اذا راوه عليه الصلوة والسلام يقبل
اليهم ومن عادته عليه الصلوة والسلام انه اذا لقي الكفار كان يعظ ويدعوهم الى الله و
يسمعهم كلام الله تعالى استغشوا ثيابهم لئلا يراهم الرسول عليه الصلوة والسلام ولا يسمعوا
كلامه والاستخفاء في كل واحدة من الحالين انما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان استخفاء
سترهم منه لما لم يتيسر الا باخفائه من الله تعالى قال المص يستخفوا استترهم من الله تعالى فلا يطلع
رسوله والمؤمنين فان اطلاع الله تعالى على ما استروه يستلزم اطلاع الرسول والمؤمنين
عليه فكان مطلوبهم حقيقة اخفاء سترهم من الله تعالى وقرئ يثنونه بالتاء والياء لان
تانيث الصدور مجازي جاز تذكير الفعل المسند اليه باعتبار تأويل فاعل بالجمع وتانيثه باعتبار
تأويله بالجماعة ويثنوني مضارع اثنوني على وزن افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة
وهو بناء مبالغة فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وتثنون بفتح التاء وسكون الثاء
المثلثة وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة والاصل تثنونن بوزن تفعوعل
من

رر رر عن ابن عباس انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق
ابو السعود

من الثن بكسر الثاء المثلثة وهو يبيس الحشيش والكلأ وقيل الا الضعيف والمراد مطاوعة
نفوسهم للثني او ضعف قلوبهم وقرئ تثنئن بان يجعل مكان الواو المكسورة في القراءة
الاولى همزة مكسورة على وزن تطمئن من الثن وهو ضعيف من الكلأ كما تقدم قوله الا
حين يستغشون ثيابهم جعله صاحب الكشاف منصوبا بفعل مضمر حيث قال معناه ويريدون
الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى والظاهر تقرير المص
كونه منصوبا بيعلم والمعنى تنبهوا واعلموا انه تعالى يعلم سرهم وعلنهم حين يستغشون
ثيابهم وهذا معنى واضح وكان الزمخشري انما جوز غيره لئلا يلزم تقييد علمه تعالى بسرهم و
علنهم بهذا الوقت الخاص وهو تعالى عالم بذلك كله في كل وقت ولا يلزم ذلك لانه تعالى اذا علم ذلك
في وقت التغشية الذي شانه ان يخفى فيه السر فاولى ان يعلم ذلك في غيره وهذا الكلام وارد
على حسب ما تعارفه الناس من تفاوت العلم بحسب الحال والا فالله تعالى لا يتفاوت علمه
بحسب تفاوت احوال الخلق وما في قوله ما يسرون يجوز ان يكون مصدرية وان يكون بمعنى
الذي بحذف العائد اي يسرونه ويعلنونه ثم انه تعالى لما ذكر انه يعلم ما يسرون وما يعلنون
اردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات فذكر ان رزق كل حيوان مع اختلاف طباع
الحيوانات واغذيتها انما يصل اليه من الله تعالى فلو لم يكن عالما بجميع المعلومات لما حصلت
هذه المهمات الغير المحصورة والدابة اسم لكل حيوان له دبيب ذكرا كان او انثى الا انه
اختص بحسب عرف البعض بذات القوائم الاربع وبحسب عرف العرب بالفرس والمراد
في الاية معناه الوضعي اللغوي باتفاق المفسرين روي ان موسى عليه الصلوة والسلام
عند نزول الوحي اليه تعلق قلبه باحوال اهله فامره الله تعالى بان يضرب بعصاه صخرة فضربها
فانشقت وخرجت صخرة ثانية ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت منها صخرة ثالثة
ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع
الحجاب عن سمع موسى عليه الصلوة والسلام فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي و
يعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني قوله وانما اتى بلفظ الوجوب جواب عما يقال وصول الرزق
الى الحيوان انما هو بطريق التفضل ومنوط بمشيئته ان شاء رزق وان لم يشأ لم يرزق وكلمة
على للوجوب فما فائدتها وتقرير الجواب ان ايصال الرزق لكل حيوان وان كان بطريق التفضل
ومحض الجود والاحسان الا انه تعالى لما وعده وتكفل بايصاله صار واجبا من هذه الحيثية لانه
تعالى لا يخلف الميعاد فاتى بما يدل على الوجوب لفائدتين احديهما التحقيق بوصوله والثانية حمل
العباد على التوكل عليه في شان الرزق قوله اما كنها في الحيوة والممات اشارة الى ما روي عن

ابن عباس رضي الله عنه ان مستقرها المكان الذي تأوي اليه ليلا او نهارا وتستقر فيه ومستودعها
الموضع الذي تدفن فيه اذا ماتت فانها تستودع فيه الى حين تبعث ويحتمل ان يكون المراد
بمستقرها الاصلاب وبمستودعها الارحام وان يراد بمستقرها مساكنها من الارض حين
وجودها بالفعل وبمستودعها ما اودعت هي فيه قبل ان توجد بالفعل كالاصلاب والارحام
والبيض والمواد التي كانت هي بالقوة كالنطفة وما يجري مجراها قوله وكانه اريد بالآية
بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها بيان كونه تعالى عالما بالمعلومات بعد بيان كونه
عالما بما يسره اهل مكة في قلوبهم وبما يعلنونه بافواههم واريد بما بعدها وهو قوله تعالى وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام بيان كونه قادرا على كل الممكنات باسرها
قوله اي خلقهما وما فيهما قدره للتوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى فقضيهن
سبع سموات في يومين وقوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين اللذين خلق الارض فيهما فالمجموع
ستة ايام يومان لخلق السموات السبع ويومان لخلق الارض ويومان لخلق ما عليها
من الجبال الراسيات وانواع النباتات والحيوانات وسائر ما عليها من البركات و
الاقوات ويحتمل ان يراد بالسموات والارض ما في جهتي العلو والسفل وما بينهما مخلوق في
ستة ايام قوله لا انه كان موضوعا على متن الماء معطوف على قوله لم يكن حائل بين العرش
والماء قبل خلق السموات والارض يعني انه يفهم من قوله وكان عرشه على الماء ان العرش كان
موضوعا على متن الماء وليس كذلك بل هو من قبيل قولك كانت السموات على الارض فانك لا تريد
به ان السموات موضوعة على متن الارض فكذا العرش ليس موضوعا على متن الماء قبل
خلق السموات والارض بل المراد انه لم يكن تحت العرش قبل خلقهما الا الماء وفيه دليل
على انهما خلق العرش والماء قبل ان خلق السموات والارض وما ورد في الحديث ان
اول ما خلق الله العرش لزم ان يكون الماء اول حادث بعد العرش من اجرام العالم والعرش
الجسم المحيط بسائر الاجرام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك من حيث ان الامور
والتدابير تنزل منه خلق العرش بسرير الملك ليطوف به الملائكة ويحفون حوله ويجارون
الله تعالى ويعظمونه من حوله كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش قوله وقيل
كان الماء على متن الريح عن كعب الاحبار انه قال خلق الله تعالى ياقوتة خضراء ثم نظر اليها
بالهيبة فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء والله
اعلم قوله اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم جواب عما

وكان عرشه قبل خلقهما
على الماء ليس تحته غير
الماء اي كان فيهما بعرجه
او يكون موضوعا على
سبيل ما ورد في الاثر فلا
ذلك انه على امكان
الخلا كيف لا ولو دل على
وجوده لا على امكانه
فقط ولا على كون الماء
اول ما حدث في العالم
بعد العرش وانما يدل
على ان خلقهما اقدم من
غيره فرض النسبة بينهما

عما يقال من ان الابتلاء انما يصح من الجاهل بعواقب الامور ولا يتصور الابتلاء في حقه تعالى فضلا
عن ان يخلق ما خلقه لاجل الابتلاء فما وجه قوله تعالى خلق ذلك لاجل ان يبلوكم ايكم احسن الخ
وتقرير الجواب ان لام العلة في قوله ليبلوكم وان كانت باقية على ظاهرها واصل معناها عند
المعتزلة القائلين بان افعاله تعالى معللة بمصالح العباد الا ان اهل السنة كما ينزهون الله
تعالى عن حقيقة الامتحان والابتلاء ينزهونه عن ان يكون افعاله معللة بمصلحة ما من
المصالح ويجعلون قوله ليبلوكم استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه خلق ما خلقه من الاجرام
العلوية والسفلية بخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم فعبر عن خلقه ذلك بخلق
من يخلق للابتلاء على سبيل الاستعارة قوله وانما جاز تعليق فعل البلوى جواب عما
يقال من ان التعليق من خصائص افعال القلوب وفعل البلوى ليس منها فكيف جاز تعليقه
وتقرير الجواب ان الابتلاء اي الاختبار لما كان احد طرق العلم واشهرها استعير للعلم كما
استعير له النظر والاستماع لكون كل واحد منهما سببا للعلم وطريقا مؤديا الى العلم فصار
كل واحد منهما سببا للعلم وطريقا مؤديا الى العلم فصار كل واحد منهما كانه نفس العلم من
حيث استلزامه له فكما ان العلم يجوز تعليقه فكذا ما كان في حكم العلم وشبيها له فيقال انظر
ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا وانظر ايهم ازكى طعاما وانما قيل ان فعل البلوى
معلق في الآية لان التعليق عبارة عن ابطال عمل الفعل في اللفظ دون المعنى اذا توسط
بينه وبين في معموله احد الامور الثلثة احدها لام الابتداء كما في قولك ظننت لزيد منطلق
وثانيها الاستفهام كما في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت ايهم في الدار وثالثها حرف النفي كما
في قولك علمت ما زيد منطلق وهذه الامور لما اقتضت صدر الكلام منعت ما قبلها عن العمل
فيما بعدها فرفع ما بعدها على الابتداء وفعل البلوى يستدعي فاعلا وهو المختبر ومفعولا يتعدى
اليه بنفسه وهو المختبر ومفعولا آخر يتعدى اليه بالباء وهو المختبر به كالذهب ولنبلونكم بشيء من
الخوف وهذه الآية قد عمل في الفاعل ومفعوله الاول حيث قيل ليبلوكم باسناد الفعل الى المختبر وهو
خالق الامور المذكورة والى المختبر وهو المخاطبون وعلق عن مفعوله الذي يتعدى اليه بواسطة الباء
لانه لم يعمل فيه لفظا وان تعلق به من حيث المعنى اما انه لم يعمل فيه لفظا فلان المختبر به لا بد ان
يكون مفردا لانه هو المفعول بواسطة الباء وحرف الجر لا يدخل في الجملة وما وقع موقع المختبر به
في الآية هو قوله ايكم احسن عملا فلما ورد عليه كلمة التعليق وهي تقتضي الجملة فقد بطل عمله
في المفرد الذي هو مقتضاه وكذا كل واحد من فعلي النظر والاستماع شانه ومقتضاه ان يعمل
في المفرد وهو المنظور فيه والمسموع ولما وردت اداة التعليق على المنظور فيه والمسموع ليست

قوله فان جملة ذلك الحسبان
لكونها مشبهة بمعاملة المبتلي
لاحوالكم

ان انه لم يعمل فيه لفظا فلان
طريق عمله فيه لفظا ان
يكون المتعدي مفردا ويتعدى
اليه الفاعل بواسطة حرف الجر
لفظا او يكون منصوبا بنزع
الى فضل ولا شيء منها في
الجملة الاستفهامية بواسطة
الباء لانها لا تدخل الجملة
ولا يكون الجملة منصوبة
بنزع الى فضل فظهر انها
ليست معمولة لفعل البلوى
لفظا

وقيل انهم انظر احسن وجها واسمع انهم احسن صوتا كان الواقع موقع المنظور فيه والمسموع
جملة فبطل بمقتضى الفعل وهو العمل في المفرد واما كون الفعل معلقا بما دخل عليه اداة التعليق
من حيث المعنى فلان ذلك هو المنظور فيه والمسموع والمخبر به حقيقة فان قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا حاصل معناه ليبلوكم فيعلمكم صالح العمل وههنا سؤال مشهور وهو انه جعل فعل البلوى
ههنا معلقا بقوله ايكم احسن عملا وقد ذكر في سورة الملك انه ليس بمعلق فبين الكلامين
تناقض صريح واجيب بان القول بالتعليق مبني على اعتبار كون العامل فعل البلوى فانه يقتضي
ان يعمل في المخبر به وهو لا يكون الا مفردا لان حرف الجر لا تدخل على الجملة واداة التعليق
تقتضي الجملة فابطلت مقتضى الفعل وهو العمل في المفرد فكان معلقا عن العمل في المفعول
بواسطة الباء، واما القول بانه ليس بمعلق عنه فمبني على اعتبار كون فعل البلوى بمعنى العلم
لكونه من اشهر طرق العلم واسبابه فيكون العلم عاملا في قوله ايكم احسن عملا فان افعال
القلوب ان جاز ان يعلق عن المفعولين جميعا اذا وردت اداة التعليق قبل المفعولين
كما في نحو علمت لزيد قائم برفع الاسمين حيث بطل عمل فعل العلم في كل واحد منهما
بورود اداة التعليق عليهما مع تعلق العلم بمضمون جملة واما اذا وردت كلمة التعليق في
المفعول الثاني كما في الآية فلا تعليق حينئذ بل يعمل الفعل فيه لان الفعل لا اثر له في لفظ الجملة
التي عدي الفعل اليها بنفسه حتى يقال علق الفعل عنها بل انما يعمل في محلها فلا فرق بين وجود
اداة التعليق وعدمها بالنسبة لا عمل الفعل فيه كما في قولك علمت زيدا ابوه قائم و
علمت زيدا لابوه قائم فان عمل علمت ليس الا في محل ابوه قائم سواء ورد اداة التعليق
عليه او لا فقوله ليبلوكم ان جعل بمعنى العلم متضمنا بمعنى العلم يكون عاملا في مفعوله الثاني
فلا تعليق بهذا الاعتبار وان تحقق التعليق باعتبار كون العامل في قوله ايكم احسن
عملا فعل البلوى فاندفع التناقض بين **قوله** وانما ذكر صيغة التفضيل يعني ان قوله
تعالى ايكم احسن عملا يؤذن ان المقصود من خلق هذه الاجرام العلوية والسفلية ان
يتميز من كان عمله احسن ممن كان عمله حسنا اي يحصل الامتياز بين المتقين وبين
عامة المؤمنين مع ان الابتلاء والاختبار شامل لفرق المكلفين ممن كان عمله حسنا،
واحسن وقبيحا واقبح فالجمع بين صيغة التفضيل والاختبار يدل على اعتبار عموم الابتلاء
وخصوصه مع انهما متنافيان واجاب عنه بان الابتلاء وان كان يعم لفرق المكلفين الا
ان المراد ابتلاء المحسنين منهم خاصة والتمييز بين من اتى باحسن الاعمال وحسنها لا بين
من اتى بالحسن والقبيح ولا بين من اتى بالاقبح والقبيح للتنبيه على ان المقصود من خلق العالم

عبارة المص في تلك السورة وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين نحو علمت لزيد قائم منه

اي وقوعها مفعولا ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم منه

العالم الاولي بالقصد وبالذات هو ايمان المكلفين وعملهم الصالح وان المعتبر عند الله من
ذلك ما هو الاحسن من ذكر ما هو قبيح او اقبح فذكر صيغة التفضيل للحث والتحريض على احسن
الاعمال والترغيب فيه وهو اعم من الاعمال البدنية كالطاعات والخيرات والقلبية كالاعتقادات
الحقة والثبات كانه قيل ليظهر من هو اكمل عملا ويتميز عمن هو على خلافه ولهذا قال النبي صلى الله عليه
ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وفيه تعظيم للمحسنين المتقين
وتشريف لهم واشارة الى انهم من الله بمكان ثم انه لما بين انه خلق هذا العالم لاجل ابتلاء،
المكلفين وامتحانهم واقتضى ذلك نشأة اخرى لهم بان يبعثوا من قبورهم ويحشروا الى موقف
القيمة للحساب والجزاء لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب و،
تخصيص المسيء بالمحنة والعقاب وذلك لا يتم الا بان يتحقق البعث والحساب فلذلك خاطب
نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا واللام
في قوله لئن قلت لام موطئة القسم وفي قوله ليقولن لام جواب القسم وحذف جواب الشرط
لدلالة جواب القسم عليه وانكم محكي بالقول ولذلك كسرت همزته في قراءة الجمهور وانه قرئ ان هذا
الا سحر بكسر السين تكون الاشارة بهذا الى البعث او القول به المدلول عليه بقوله ولئن قلت
انكم مبعوثون او الى القران المتضمن لذكر ذلك كانه قيل لو تلوت عليهم من القران ما فيه اثبات البعث
لقالوا هذا المتلو سحر اي كالسحر في البطلان فان قولهم ان هذا الا سحر معناه انه باطل كالسحر الظاهر
البطلان واذا جعلوا البعث او القول به ظاهر البطلان كالسحر لزم بطلان ما يتفرع عليه
من الوعد والوعيد والثواب والعقاب وقرئ ان هذا الا ساحر فتكون الاشارة الى الرسول
اي انه كاذب مبطل كالساحر الكاذب **قوله** في الخديعة بيان لوجه الشبه على زعمهم بين السحر
وبين ما ذكر من البعث او القول به او القران المتضمن لذكره فان السحر لا شك انه خديعة يخدع الناس
بالتخييل والتمويه وكذا الامور المذكورة على زعمهم فانهم يزعمون انه عليه الصلوة والسلام انما يذكر
ذلك لمنع الناس عن لذات الدنيا وصرفهم الى الانقياد له ودخولهم تحت طاعته **قوله** اي ان يكون
ان بمعنى على ذكر في الصحاح ان ان المفتوحة قد تكون بمعنى لعل لغة في قوله تعالى وما يشعركم انها اذا
جاءت لا يؤمنون فان كلمة ان فيه بمعنى لعل ويدل عليه قراءة ابي لعلها لا يؤمنون فعلى هذا تكون
معنى الاية ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن ولما ورد ان يقال انه عليه الصلوة
والسلام قاطع بالبعث فكيف يقول لعلكم مبعوثون وايضا القراءة المشهورة صريحة في القطع والبت
وهذه القراءة تقتضي عدم القطع والبت فيتنافيان اجاب عنه بان ذلك انما يلزم ان لو كان لعل لتوقع
المتكلم وليس كذلك بل هو لتوقع المخاطب على سبيل الاخبار عنه بان يتوقع ذلك لانهم لا يتوقعون البعث

اشارة الى وجه الرد الا كالسحر لقول الرسول بيان نفي هو ايهم انكم عليه الصلوة والسلام اجابه مبعوثون وهو انهم عليه الصلوة والسلام، كلام هو من باب التشبيه البليغ حيث شبهوا نفس البعث او قوله عليه الصلوة والسلام به او القران المتضمن لذكره بالسحر في الخديعة حيث زعموا انه عليه الصلوة والسلام انما ذكر ذلك لمنع الناس عن لذات الدنيا وصرفهم الى الانقياد له ودخولهم تحت طاعته او في البطلان منه

او علامة مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج في العناد ويشمئزوا اسماعهم عن القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه اباءهم من انكار البعث وذكروا ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر

ابو السعود

بل على سبيل امره بذلك فالمعنى توقعون بعثكم فلما لم يكن لعل للترجي المتكلم لم يلزم محذور رثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم يكذبون الرسول ويقولون ان هذا الا سحر مبين حكى عنهم نوعا اخر من اباطيلهم وهو انه اذا تاخر عنهم العذاب الذي توعدهم به اخذوا في الاستهزاء بان يقولوا ما السبب الذي حبسه عنا فاجاب الله تعالى بانه اذا جاء الوقت الذي عينه الله تعالى لنزول ذلك العذاب لم يصرف عنهم بل احاط بهم قوله وهو دليل على ان جمهور البصريين لما راوا ان يوم منصوب بقوله مصروفا الذي هو خبر ليس استدلوا به على جواز تقديم خبر ليس عليه بناء على انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها يجوز تقديم نفس خبرها عليها اولى فان يوم لما تقدم على ليس مع كونه معمولا لخبره فجواز تقديم نفس الخبر اولى لانه اذا تقدم الفرع فالاولى ان يتقدم الاصل ثم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان تاخر عنهم الا انه لا بد ان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين للعذاب فقال ولئن اذقنا الانسان فقيل المراد به مطلق بدلالة الاستثناء وهو قوله الا الذين صبروا لان الاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل فيه ولولا الاستثناء المذكور في هذه الاية لدخل فيه المؤمن والكافر وقيل المراد به الكافر لان الاصل في المعرف بلام التعريف ان يشار به الى المعهود السابق الا ان يمنع مانع منه ولا مانع ههنا فوجب حمله على المعهود السابق وهو الكافر المذكور في الاية المتقدمة فوجب ان يجعل الاستثناء في هذه الاية على الاستثناء المنقطع لعدم دخول الذين صبروا في الكفار قوله وفي اختلاف الفعلين نكتة لا يخفى ان اراد باحد الفعلين ما في قوله ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الخ وبالاخر ما في قوله من بعد ضراء مسته فانه تعالى ذكر الاذاقة مع النعماء والمس مع الضراء اشارة الى ان النعماء ادوم حتى يجد الانسان ذوقها ويتلذذ بها بخلاف الضراء فان المس مبدا الوصول دلالة على قلة ضررهم كانهم يجردونهم اذ جزعوا وكفروا النعم التي تمتعوا بها في الازمنة المتطاولة والحكمة في كون الكافر يؤسا شديد الياس من عود مثل ما سلب عنه من النعمة قاطعا رجاءه من فضل الله تعالى وسعة رحمته انه لا يعتقدون ان تلك النعمة انما حصلت له من جود الله وفضله واحسانه بل يعتقدون ان السبب في حصولها سبب اتفاقي فيستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة اخرى فلا جرم يستبعد عود مثل تلك النعمة عند زوالها فيقع في الياس حال زوالها ويقع في كفران ما سلف له من النعم العظيم لانه اذا اعتقد ان حصولها انما كان على سبيل الاتفاق او بسبب اعتقاده انه انما حصلت له بسبب جده وسعيه لا يشتغل بشكر الله تعالى على تلك النعم روي عن علي رضي الله عنه انه قال اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر قوله بطرا بالنعم مغترا بها لان من يذكر سعادة الاخرة اذا وجد لذة عاجلة دنيوية يزعم انه قد فاز بنهاية السعادة فيعظم فرحه بها ويفتخر على الناس ولا يشتغل بشكر المنعم كما انه لا يلازم الصبر عند البلاء والشدة قيل ان كفار مكة لما قالوا للرسول الله

قوله تعالى فلعلك تارك بعض الاية في مقام الامر والمعنى لا تترك بعض ما يوحى كذا سمعت من استاذي بحر رنفلاس المولى ابن كمال

قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك صلى الله عليه وآله وسلم والترجي بالنسبة الى المخاطب وقيل للاستبعاد فان العرب تقول لرجل اذا رادوا ابعاده لعلك ان تقدر تفعل كذا مع انهم لا شك فيه فالمعنى لا تترك وقيل للسؤال لعله صلى الله عليه وسلم لعلك تارك الا انه للانكار في الاية لا فيه وقيل للتوقع الكفار فانه قد يكون لتوقع المتكلم وهو الاصل لان معاني الانشاءات قائمة به وقد يكون لتوقع المخاطب وهو ايضا كذا لتنزيله منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام نحو لعل الساعة قريب وقد يكون لتوقع غيرهما ممن له نوع تعلق بالكلام كما في ما نحن فيه يعني انك بلغت من الثراكة على ايمانهم مبلغا يرجون بعض ما يوحى اليك

سماني

الله صلى الله عليه وسلم ائت بقران غير هذا ليس فيه سب آلهتنا وما لا يخالف دين ابائنا فهم عليه الصلوة والسلام ان يترك سب آلهتهم ظاهرا فنزل قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك مما يخالف راي المشركين ويقدح في دينهم مخافة ردهم عليك واستهزائهم به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال اخرون ائتنا بالملائكة ليشهدوا لك بالنبوة وقال اخرون لو كنت صادقا في دعوى انك رسول الله وتصفه بانه قادر على كل شيء وانت عزيز عنده مقرب لديه فهلا انزل عليك كنزا اي مالا كثيرا من شانه ان يجعل كنزا اي مالا مدفونا فان الكنز اسم للمال المدفون وهو لا ينتفع به فوجب ان يراد به ههنا المال الكثير من شانه ان يكنز فلما لم يفعل الله ذلك علمنا انك لست بصادق فيما تدعيه من الرسالة فاجابهم الله تعالى بان بين انه عليه الصلوة والسلام رسول ليس من شانه الا ان ينذر من عصاه بالعقاب ويبشر من اطاعه وآمن به بالثواب ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء والذي ارسله هو القادر على ذلك ان شاء فعله وان لم يشاء لا يفعله ولا اعتراض لاحد عليه قوله ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه فان لعل في قوله تعالى فلعلك تارك للترجي بالنسبة الى المخاطب والمعنى لعظم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما انت عليه من تبليغ ما اوحي اليك جواب عما يقال كيف يصح منه عليه الصلوة والسلام ان يتوقع من نفسه ان يخون في الوحي ويترك تبليغ بعض ما يوحى اليه وقد اتفق المسلمون على انه لا يجوز له عليه الصلوة والسلام ان يخون في الوحي ويترك تبليغ بعضه والا لارتفع الوثوق من احكامه وبطل فائدة الرسالة وتقرير الجواب ان الترجي والتوقع انما هو بالنسبة الى المخاطب لا يلزم من توقعه عليه الصلوة والسلام الخيانة من نفسه لوجود ما يدعوه اليها وقوع تلك الخيانة لان مجرد وجود ما يدعو الى الشيء لا يكفي في وجوده بل لا بد معه من ارتفاع ما يمنع عنه فمن اين يحكم بارتفاعه حتى يقع في الاشكال قوله وعارض لك احيانا ضيق صدرك يعني ان قوله تعالى وضائق عطف على قوله تارك وعدل الى ضائق مع ان الضيق اكثر منه استعمالا بناء على ان المقام ليس مقام التعبير بلفظ الصفة المشبهة لانه عليه الصلوة والسلام لا يتوقع من صدره الفسيح ان يثبت ويستقر فيه الضيق بسبب انه يتلو على كفار مكة بعض ما يوحى اليه حتى يقال لعلك ضيق به صدرك بلفظ الصفة المشبهة بل المقام مقام التعبير بلفظ اسم الفاعل على معنى انه لعلك تترجى وتتوقع من نفسك ان يعرض لك ويحدث فيه احيانا ضيق صدرك من تلاوة بعض ما يوحى اليك على الكفار فلذلك اوثر لفظ ضائق على ضيق وهذا مطرد في كل ما يبنى من الثلاثي ليدل على من قام به الفعل على طريق الثبوت والاستقرار يؤتى بلفظ الصفة المشبهة وعلى طريق الحدوث والعروض يؤتى بلفظ اسم الفاعل فيقال في الاول حسن ثقيل وسمين وفي الثاني حاسن وثاقل وسامن قوله مخافة ان يقولوا يعني ان قوله ان يقولوا في محل النصب على انه مفعول له لضائق اصله مخافة ان يقولوا فحذف المضاف

وجعلا صاحب النشر منفصلة وقال تقديره ابل أيقولون ام يقولون افتراه وقد تقديره ابل يكتفون بما اوحينا اليك نجيزه ام يقولون انه ليس من عند الله بل افتراه محمد صلى الله عليه وسلم واتى به من عند نفسه للحكم

واتهم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه محلا وخبر به يعود على بعض ما يوحى وقيل مبهم يفسره ان يقولوا قوله وام منقطعة مقدرة ببل والهمزة فالتقدير بل ايقولون افتراه وا، اختلقه من عند نفسه وقال انه كلام الله تعالى افتراء عليه اضرب عن تثبيته عليه الصلوة والسلام على تبليغ جميع ما اوحى اليه آمنا من ان يلحقه عليه الصلوة والسلام من جهتهم مكروه فان قوله تعالى فلعلك تارك وضائق نهى عن ترك تبليغ شيء مما اوحى اليه وتثبيت له على تبليغ جميع ما اوحى اليه وبشارة له عليه الصلوة والسلام بالامن مما يخاف ان يلحقه من جهتهم فلما اضرب عن ذلك انكر عليهم قولهم افتراء قوله والهاء لما يوحى ان الضمير الذي في قوله افتراه كذا الذي في قوله مثله لما يوحى قوله في البيان وحسن النظم اشارة الى جواب ما يقال كيف يكون ما ياتون به مثله والحال ان ما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى يعني ان المراد بالمماثلة مجرد كون ما ياتونه مثلا للقران في البيان وحسن النظم وبه يتم تعجيزهم قوله تحداهم اولا بعشر سور تصريح بان هذه السورة متقدمة النزول على آية سورة البقرة وهي قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة مثله وعلى التي في سورة يونس وهي قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله حكم بتقدم هذه السورة على سورة البقرة لانه مدنية وهذه السورة مكية وحكم بتقدمها ايضا على سورة يونس مع ان كل واحدة منهما مكية لان التحدي بعشر سور ينبغي ان يكون متقدما على التحدي بسورة اذ لا معنى للتحدي بالعشر بعد التحدي بسورة وتبين عجزهم عن معارضتها وتوحيد المزيد ان قوله مثله صفة لعشر سور فالظاهر ان يقال امثاله كما قيل مفتريات لان كل واحدة صفة لعشر سور وتجوز ان يقال اجراء كل واحد من الافراد والمطابقة للموصوف من خصايص لفظ المثل لقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى حور عين كامثال اللؤلؤ و قوله تعالى ثم لا يكونوا امثالكم والغرض الشعر والتعرض الشعر خاصة بما قرضت الشعر قرضه اذا قلته قوله جمع الضمير لكم في قوله فان لم يستجيبوا لكم مع انه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو المامور بالتحدي لقوله تعالى قل فاتوا بعشر سور ويحتمل ان يكون ضمير لكم له عليه الصلوة والسلام وللمؤمنين وان كان قوله قل خطابا له عليه الصلوة والسلام خاصة لما ثبت في الاصول من ان كل ما امر به الرسول فالمؤمنون يجب عليهم ان يتبعوه في ذلك الا ان يقوم دليل على ان المامور به من خصايصه عليه الصلوة والسلام فيكون قوله لكم خطابا له وللمؤمنين لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدون المشركين لوجوب متابعتهم اياه عليه الصلوة والسلام فيما امر به قوله وللتنبيه معطوف من حيث المعنى على قوله من حيث انه يجب عليهم اتباعه عليه الصلوة والسلام في كل ما امر به والمعنى ان المؤمنين ايضا كانوا يتحدون المشركين

بناء

بناء على ان امره تعالى للرسول بالتحدي متناول لهم لامرين احدهما انه يجب عليهم اتباعه عليه الصلوة والسلام في مباشرة جميع ما امر به سوى ما خصه الدليل كما قيل وجمع الضمير للتنبيه على انهم ايضا مامورون بالتحدي بناء على ان التحدي مما يوجب الحج وثانيهما التنبيه على ان التحدي الذي امر به الرسول مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم وذلك يقتضي ان يكون امره تعالى اياه بالتحدي متناولا لهم ايضا ويكونوا مامورين به ايضا لتحقق علته ذلك فيهم قوله ولذلك اي ولدخول المؤمنين في خطاب فان لم يستجيبوا لكم على معنى فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين باتيان مثله رتب على الشرط المذكور بالفاء الجزائية قوله تعالى فاعلموا انما انزل بعلم الله ايمانا والعلم الى الخبر الحج و ما ملتبسا بما لا يعلمه الا الله اشارة الى ان كلمة ما في قوله انما انزل كافة مهيئة للفعل لان يدخل عليه الحرف المشبه بالفعل وفي انزل ضمير يعود على ما يوحى اليك وقوله بعلم الله حال من فاعل انزل والمعنى فاعلموا ان ما يوحى اليكم تنزل في حال من الاحوال الا في حال كونه ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز للخلق والاخبار بالغيوب التي لا سبيل للخلق اليه ويجوز ان يكون موصولة اسمية او حرفية اسما لان والخبر الجار والمجرور وتقديره فاعلموا ان تنزيله او ان الذي انزل ملتبس بعلم وجه اتصال الشرط المذكور في هذه الاية بما قبله ان القوم ادعوا ان القران مفترى على الله تعالى فامر عليه الصلوة والسلام بان يقول لهم لو كان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق على مثله وانتم فصحاء العرب تقدرون على مثل ما يقدر عليه فصحاء الخلق فاتوا بعشر سور مثله مفتريات على الله ثم قال تعالى له عليه الصلوة والسلام فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله اي ان لم يقدروا على معارضته ثبت انه من عند الله فقوله تعالى انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقول الحاكم هذا الحكم جرى بعلمي ثم عطف على ما سد مسد مفعولي اعلموا قوله وان لا اله الا هو اي واعلموا عند عجز الكل ان لا اله الا الله القادر على ما لا يقدر عليه احد غيره وان الاشراك به ظلم عظيم وان ما تعبدونه من دون الله ليس فيه شيء من الالوهية حيث استعنتم في معارضته بجميع من استطعتم من دون الله من الاصنام وغيرها ثم ظهر عجزهم عند ظهور انها لا تنفع و لا تغني شيئا من المطالب ومن كان كذلك كيف يصلح للالوهية فصار عجز القوم عن المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا لالهيتها فلذلك قال تعالى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا ان لا اله الا هو فانه لما ثبت كون القران معجزا وانه كلام الله تعالى ثبت صدقه عليه الصلوة والسلام في دعوى النبوة وانه يستلزم الجزم بان الشان لا اله الا هو فان كان الخطاب في لكم وفي قوله فاعلموا وقوله فهل انتم مسلمون له عليه الصلوة والسلام كان جمعه للتعظيم او كان له وللمؤمنين لا يكون المراد بقوله فاعلموا الامر باحداث العلم لانه عليه الصلوة والسلام والمؤمنون عالمون بالامرين قبل نزول هذه الاية بل المراد بالثبات

فاعلموا اي فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه لتزدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وانه من حجته المعجزات الدالة على صدقه عليه الصلوة والسلام في دعوى الرسالة والجزم بصدقه عليه الصلوة والسلام يستلزم الجزم بان الشان لا اله الا هو للحكم

فان قلت من اين علم اعجازه
بالنسبة الى المؤمنين ولم
يتعرض لبيان ان مثله علمت
من حيث ان المتحدين
علموا في البلاغة تعجزهم
يوجب عجزهم او حيث انه
بلغ من الفصاحة الى حيث
عرفوا عجزهم عن الاتيان
بمثله من غير المباشرة
سنان

على العلم وكذا ليس المراد بقوله فهل انتم مسلمون الاستفهام عن احداثهم الاسلام بل المراد تثبيتهم
عليه وتقوية نشاطهم للرسوخ والاخلاص فيه قوله مطلقا اي بالنسبة اليكم والى كل من دعوتموه
من دون الله ممن استطعتم قوله ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين وذلك لان الاية المتقدمة اشتملت
على خطابين احدهما خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى قل فاتوا بعشر سور مثله والثاني
خطاب الكفار بقوله فاتوا وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين في ادعاء
الافتراء فلذلك جاز في خطاب لكم وجهان الاول ما مر من انه خطاب للرسول والمؤمنين
او للرسول على وجه التعظيم وان المعنى ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم في الاتيان بما يماثله
فاعلموا ايها المؤمنون اثبتوا على ما انتم عليه من العلم بانه منزل من عند الله الذي لا اله الا هو والوجه
الثاني انه خطاب مع رؤساء الكفار والمعنى ان الذين تدعونهم من دون الله اذا لم يستجيبوا
لكم في الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القران انما انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا
الله فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة الدالة على ان القران كلام منزل من عند الله
والقائلون بهذا القول قالوا هذا القول اولى من القول الاول لان في هذا القول لا حاجة الى الاضمار
فكان اولى ولان اقرب المذكورين هو الكفار فرجوع الضمير اليهم اولى قوله وفي مثل هذا الاستفهام
معنى ان قوله تعالى فهل انتم مسلمون بعد تقرير ما يدل على حقية الاسلام وكذا قوله تعالى فهل انتم منتهون
بعد تقرير ما يدل على مفاسد الخمر وان كان لفظه استفهاما الا ان معناه امر وايجاب بليغ لكن الكلام
لما ذكره من الدليل فان قلنا انه خطاب مع المؤمنين كان معناه ايجاب الثبات على الاسلام
والترغيب في زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه ايجاب الدخول
في الاسلام عليهم وترغيبهم في التفكر فيما يوجبه من الحجة القاطعة قوله باحسانه و
بره متعلق بقوله يريد اي من كان يريد بما عمله من اعمال البر والاحسان كصلة الرحم
والصدقة وبناء القناطر واصلاح الطرق وتسويتها واجراء الانهار وحفر الابار والسعي
في دفع الشرور حال كونه مرادا من تلك الاعمال ان يتمتع بلذات الدنيا وطيباتها تمام الانتفاع
بجزائها وقضاء شهوات النفسانية وحظوظه العاجلة كثناء الخلق عليه ونحوها فانه
جزاء عمله يصل اليه في الدنيا تاما كاملا ولا ينتفع في الاخرة بشيء مما عمله ولا يستحق به في
الاخرة الا النار قوله والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم فان
نزلت في المنافقين والكفار الذين يعملون المبرات فوجه الحكم عليهم بقوله اولئك الذين ليس لهم
في الاخرة الا النار الخ ظاهر لفقدان شرط قبول العمل فيهم وهو الايمان فهم مخلدون في النار
بكفرهم وان نزلت في المرائين من المؤمنين يكون المعنى انهم يستوفون ما يقتضيه صور اعمالهم

لان العمل عبادة انما يكون بشرط الاخلاص
ومن اراد بعمله غير وجه الله لم يخلص للعبادة بل عمله
طلبا لشيء من الدنيا رياء وسمعة فاستحق
اجرة ما يقتضيه صورة
اعماله

قوله لا ينقصون شيئا من
اجورهم ومنها تمييز ختم
التقييد منها الثاني للاعمال
دون الحيوة الدنيا كما يكون
اعادة على ارادة والمعنى
وهم فيها لا ينقصون جزاء
اعمالهم في الدنيا دون الثانية
الى دار القرار مظلومين
فيكون تأكيدا لما تأكيدا
بخلاف ما ذكره المص
سنان

اعمالهم الصالحة في الدنيا من المنافع التي ارادوها باعمالهم وان النار عذابهم النتيجة
وهي استيفاء الدنيا باعمال الدين حيث اتوا ما هو في صورة العبادة لله واردوا به
زينة الحيوة الدنيا فكانوا في الحقيقة عابدين لاهوائهم فاستحقوا بذلك ان يعذبوا
في نار جهنم لاتخاذهم اهواءهم آلهة فامرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء عفا
عنهم فقوله تعالى ليس لهم في الاخرة الا النار ان كان نازلا في حق المرائين من المؤمنين
يدل بظاهره على ان المرائين يخلدون في النار وليس كذلك لان المؤمن لا يخلد في النار
فلا بد من تقييده بان يقال ليس لهم في الاخرة بمقابلة ما عملوه رياء وسمعة الا النار
الا ان يعفو الله عنهم ويتجاوز عن مجازاتهم بمقابلة شركهم الخفي وليس في الاية ما يدل
على انهم لا محالة يعذبون بالنار وانما يدل على انهم لا يستحقون بذلك الا النار والمراد
بالاطلاق المذكور بقوله مطلقا اطلاق المشار اليه بقوله اولئك وهو من كان يريد
بما عمله في صورة البر زينة الحيوة الدنيا سواء كان من مرائي المؤمنين او من المنا
فقين او الكفار المجاهرين فقوله المص في مقابلة ما عملوا اشارة الى ما ذكرنا من وجه
التقييد في حق المرائي روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيمة يدعى برجل جمع القران فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت به اناء
الليل والنهار ابتغاء لوجهك الكريم فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد
قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى الم اوسع عليك فما عملت فيما آتيتك فيقول فقد
وصلت الرحم وتصدقت طلبا لمرضاتك فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد
وقد قيل ذلك ويؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقال له ما عملت بما اعطيتك من القوة فيقول
قاتلت اعداء الدين حتى قتلت في سبيلك فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جرئ مقدام
فارس قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة
اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة روي ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية رضي الله عنهما
فبكى معاوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها الى قوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وذكر القرطبي نقلا عن بعض العلماء ان
معنى هذه الاية هو قوله عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات قراءة الجمهور نوف بنون العظمة
وتشديد الفاء من وفى يوفي وقرئ يوف بياء الغيبة وبناء الفعل للفاعل وهو ضمير الباري تعالى
وقرئ توف بضم التاء وفتح الفاء المشددة من وفى يوفي مبنيا للمفعول ورفع اعمالهم على انه
قائم مقام الفاعل فقوله نوف في هذه القراءات مجزوم على انه جواب الشرط كما في قوله تعالى من كان

روي عنه عليه الصلوة و
السلام انه قال لاشد
الناس عذابا يوم القيمة
من يرى الناس ان
فيه خيرا ولا خير فيه وروي عنه
عليه الصلوة والسلام
ايضا قال تعوذوا بالله
من جب الحزن قيل
وما جب الحزن قال
واد في جهنم يلقى فيه
القراء المراؤون
اه زكي

يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وقراءة الحسن البصري
يؤته بتخفيف الفاء وثبوت الياء من اوتي ورفع الفعل مع انه جزاء الشرط لان اداة الشرط
لما لم يعمل في فعل الشرط لكونه ماضيا جاز رفع الجزاء كما في قوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لا غائب مالي ولا حرم برفع يقول قال ابن الحاجب فان كل واحد من الشرط والجزاء مضارعا او
الاول فالجزم وان كان الجزاء وحده مضارعا فالوجهان **قوله** لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة
اشارة الى ان قوله فيها متعلق بقوله حبط والضمير يرجع الى الاخرة والمعنى وظهر في الاخرة حبوط
ما صنعوا وبطلانه حيث لم يروا له ثوابا فيها وان تعلق الظرف بقوله صنعوا تعين ان يكون
ضمير فيها للدنيا لان الاخرة ليست دار العمل كما تعين ان يكون للدنيا في قوله نوف اليهم اعمالهم
فيها قراءة الجمهور وباطل ما كانوا يعملون برفع باطل اما على انه خبر مقدم وما كانوا يعملون مبتداء
مؤخر وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية التي قبلها واما على ان باطل معطوف على خبر اولئك
اي اولئك باطل ما كانوا يعملون وقوله ما كانوا يعملون في محل الرفع على انه فاعل باطل والمص اختار
الاحتمال الاول حيث جعل كل واحد منهما جملة واسم الفاعل مع فاعله لا يكون جملة وقرئ
وباطلا بالنصب اما على انه مفعول يعملون وتقديم معمول الخبر كان عليها دليل على جواز تقديم
خبرها عليها والمسئلة مختلف فيها بين النحاة فعلى هذا يكون ما ابهامية منصوبة المحل على انها
صفة للنكرة قبلها والمعنى وباطلا اي باطل كانوا يعملون ويجوز ان تكون كلمة ما زائدة كما ذهب
اليه ابو البقاء واما على ان يكون باطلا بمعنى المصدر على معنى بطل بطلانا ما كانوا يعملون وقرئ
وبطل ما كانوا يعملون بلفظ الماضي المعطوف على قوله حبط **قوله** والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شانه وهو كونه على بينة وبرهان عقلي من ربه وان يتبع بينة كتابان سماويان
وهما القران والتورية يعني ان كلمة من في قوله افمن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء
حذف خبرها اعتمادا على دلالة همزة الانكار وفاء التعقيب عليه ووجه دلالتهما عليه ان
همزة الانكار دخلت على الجملة المصدرة بفاء التعقيب فافادت انكار التعاقب والتقارب
بين مدخول الفاء وبين امر آخر وليس ذلك الامر الا ما ذكر قبله بقوله من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها وكان تقدير الكلام ومعناه ما ذكره بقوله افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة
الدنيا ومثل هذا الحذف كثير في القران منه قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا اي كمن
هداه الله تعالى وقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما الى غير ذلك ثم ان فاء التعقيب
لا بد لها من شيء يعطف بها عليه ولم يتعرض المص له والظاهر ان تقدير الكلام اغير ذلك فيتم مطمح نظر اهل
الاهواء فمن كان على بينة من ربه هل يساوي هؤلاء الجهال **قوله** وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص

لما كان همزة الاستفهام تقتضي صدر الكلام وكان الفاء العاطفة تقتضي المعطوف عليه قدر صاحب الكشاف المعطوف عليه بين
همزة الاستفهام وحرف العطف فقال معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة وهذا التقدير هو القاعدة المقررة عنده في مثل
هذا الموضع الا التقدير الذي ذكره لا بد فيه من تقدير فعل يستقيم المعنى اي ابذكر اولئك فيذكر هؤلاء او ابعد المقال والهمزة لانكارهما اي
التعقيب والبعث بقوله اي لا يعقبونهم ولا يقاربونهم وبقي الكلام من ان المعطوف عليه على تقدير المص ما هو والظاهر هو جملة من

يعني ان المراد بقوله افمن كان على بينة كل مؤمن مخلص متمسك بالادلة العقلية والسمعية
الدالة على ما هو الحق فيكون الحكم الدال على انكار المقارنة بينه وبين من قصر همته وفكره على الدنيا
شاملا لهم جميعا غير مختص به عليه الصلوة والسلام او بمؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه على ما قيل **قوله** ويتبعه ذلك البرهان يعني ان قوله يتلوه من التلو لا من التلاوة وقوله ذلك
البرهان اشارة الى وجه تذكير ضمير يتلوه الراجع الى بينة فان الظاهر ان يقال ويتلوها الا انه ذكر ضمير البينة
باعتبار المعنى وتنوين شاهد للتفخيم وكون القران تابعا للدليل العقلي كونه موافقا له في المدلول وشاهدا
مصدقا له **قوله** او لسان الرسول على ان ضمير منه له عليه الصلوة والسلام والتالي وان كان ذات
الرسول او لسانه آلة تلاوته الا ان التلاوة اسندت الى الالة مجازا كما يقال عين باصرة واذن
سامعة ولسان ناطقة والمعنى افمن كان على حجة بينة وهي القران ويتبع ذلك القران شاهد منه
الله تعالى وهو جبرئيل او شاهد من الرسول وهو لسانه وضمير يتلوه على على تقدير ان يكون من التلاوة
يتعين ان يكون للبينة باعتبار المعنى اي بتأويل القران واما على تقدير ان يكون من التلو فيحتمل
ان يكون لمن كان على بينة وان يكون لنفس البينة **قوله** ومن قبله كتاب موسى جملة
مبتداة اذ لا وجه لعطفه على شاهد اذ لم يقرأه القران ولا على بينة وهو ظاهر فكان جملة
مستقلة غير داخلة في حيز شيء مما قبلها وجعل قراءة النصب في كتاب موسى مبنيا على ان
يكون المراد بالبينة القران ويكون يتلوه من التلاوة فالمعنى ويتلو القران شاهد ممن كان
على بينة ويتلو كتاب موسى من قبل القران وفصل بين العاطف والمعطوف بقوله من قبله
وقوله اماما ورحمة منصوبان على الحالية من كتاب موسى سواء قرئ مرفوعا او منصوبا
والموعد اسم مكان والمرية بكسر الميم وضمها لغتان بمعنى الشك **قوله** بان يحبسوا ويعرض اعمالهم
اشارة الى ان ذلك ليس في مكان خفي يعرضوا عليه والمراد عرضهم على الموقف المعد للحساب
والسؤال ويحبسهم فيه الى ان يقضي الله تعالى بين العباد وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه
قال ان الله تعالى يدني المؤمن يوم القيمة فيستره من الناس فيقول اي عبدي اتعرف ذنب كذا
وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال تعالى فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم
ثم يعطى كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
الا لعنة الله على الظالمين فيفضحهم بما كانوا عليه في الدنيا ويبينون انهم ملعونون عند
الله تعالى بسبب ظلمهم **قوله** تهويل عظيم بما يحيق بهم لظلمهم بالكذب على الله تعالى لان اللعن
وهو الطرد والابعاد عن الخير يكنى به عن اهول مراتب العقوبات وقوله لظلمهم اشارة الى ان
الظالمين في قوله لعنة الله على الظالمين من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى علته

استحقاقهم اللعن والابعاد عن الرحمة بناء على ان تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بكون مأخذ الاشتقاق علة للحكم ثم اشار بتوصيف الظالمين بقوله الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا الى ان استحقاقهم اللعن له علة اخرى غير الظلم وهي منع الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتخويف وادخال الشبه وطلبهم العوج لسبيل الله تعالى يقال بغيت الشيء اي طلبته وبغيتك الشيء طلبته لك وقوله ويبغونها بمعنى يطلبون لها والسبيل مؤنث سماعي فلذلك انث ضمير يبغونها في طلبهم العوج لسبيل الله ولا يوصفهم اياها بالانحراف عن الحق بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان طلب صفة الشيء سبب لتوصيفه بها وثانيا بطلب العوج لاهلها على حذف المضاف اي ويبغون لاهلها ان يرتدوا او ينحرفوا عنها قوله وتكريرهم لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم به اما التاكيد فانه مستفاد من تكريرهم فان تكرير المسند اليه يفيد تاكيد شانه في الاتصاف بمضمون الخبر واما الاختصاص فانه مستفاد من تكريرهم على الوجه الخاص وهو تقديمه على الكافرين فحصر الكفر بالاخرة عليهم حيث بنى قوله كافرون عليهم فان بناءه عليهم يفيد تخصيص الكفر بالاخرة بهم للمبالغة في توصيفهم بالاخر بحيث كان من عداهم ليسوا بكافرين بالاخرة فقدم قوله بالاخرة على عامله مع ان حق المعمول ان يتاخر عن عامله ليفيد تخصيص كفرهم بالاخرة الحقيقية فههنا تقديمان تقديم بالاخرة على عامله ليفيد كفرهم بما هو الاخرة حقيقة حتى كان كفرهم بما عداها ليس بكفر في جنب كفرهم بها وتقديم هم على الكافرين ليفيد تخصيص الكفر بالاخرة بهم فقوله وتكريرهم لاختصاصهم به اي بالكفر بالاخرة اي لتميزهم وانفرادهم بذلك على ان الباء داخلة على المقصور كما في قولك نخصك بالعبادة وخصه بالذكر والشايع في الاستعمال ان تدخل الباء على المقصور عليه فكان الظاهر ان يقال وتكريرهم ليفيد اختصاص الكفر بالاخرة بهم قوله استيناف اي جواب لما يقال ما يفعل بهم يوم القيمة ان اخر عقابهم اليه وسبب تضعيف العذاب عليهم انهم ضلوا واضلوا غيرهم ولانهم كفروا بالله وبالبعث الاول كفر بالمبدا والثاني كفر بالمعاد ولانهم كانوا يستثقلون سماع الحق وابصارهم الحجج وما يدل على الحق من الايات فيعذبون بكل واحد منهما واختار المص هذا الوجه حيث قال وكانت العلة لمضاعفة العذاب قوله وقيل اي قيل ان قوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بين قوله وما كان لهم من دون الله من اولياء وبين قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون نحو البيان والتبيين ولم يرض المص بهذا القول لان الظاهر ان عدم استطاعة السمع والابصار من احوال الظالمين الملعونين وجعله من احوال

ان افعال العباد الاختيارية ... وجدها ... لا انهم ... العبيد استطاعة ... سبحانه بارتة على ان يوجد في العبد قدرة واختيارا الا اذا لم يكن ... والمراد بنفي ... والهدايا ونكون ... بالعبد والمراد ... ابالة مقارنته واراديه من ... تاثير ... وجوده ...

احوال الالهة للخلو عن بعد قوله لتصامهم يقال تصام اي ارى من نفسه الصمم وليس به صمم لما نفى الله تعالى عنهم استطاعة السمع والابصار مع انهم يستطيعون سمع الاصوات والحروف ويبصرون المبصرات حمل الاية على الاستعارة التصريحية التبعية شبه تصامهم عن استماع الحق وبغضهم له بعدم استطاعتهم السمع فاطلق على المشبه اسم المشبه به وكذا شبه تعاميهم عن ايات الله بعدم ابصارها فاطلق عليه عدم الابصار على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق من اللفظ المستعار قوله ما كانوا يستطيعون السمع وقوله ما كانوا يبصرون والمعنى انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولتعاميهم عن ايات الله كانهم لا يبصرونها قوله وقيل هو بيان ما نفاه عطوف على ما اشار اليه من التاويل اي وقيل لا حاجة الى التاويل وانما يحتاج اليه ان لو كان قوله ما كانوا يستطيعون من صفات الكفار وليس كذلك بل هو من صفات الاوثان فهو بهذا الكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا لكونه في حق الكفار وما قبله وما بعده في حق الاوثان قوله اطمأنوا اليه الاخبات الخضوع والخشوع ويستعمل باللام يقال اخبت لله واستعماله بالى في الاية لتضمنه معنى الاطمئنان والانقطاع قوله يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى جعل المشبه نفس الكافر مع ان نظم الاية يدل على ان المراد تشبيه مثل الفريقين وحالهما بمثل الاعمى والاصم ومثل البصير والسميع نظر الى مآل المعنى وحاصله فانه بعد ما شبه مثل الفريقين بهؤلاء الاربع كان الظاهر ان يقدر في جانب المشبه به مثل آخر فيكون المعنى تشبيه الحال بالحال لا تشبيه انفس الفريقين بانفس هؤلاء فانه تعالى شبه حال الكافر وهو عدم انتفاعه ببصره في اجتلاء الايات المنصوبة بين يديه وعدم انتفاعه بسمعه في استماع الايات المتلوة عليه بعدم انتفاع الاعمى والاصم بحاسة البصر والسمع وشبه حال المؤمن وهو انتفاعه ببصره وسمعه في ذلك بانتفاع البصير والسميع ببصره وسمعه الا ان تشبيه حال شيء بحال شيء آخر لما استلزم تشبيه الشيء الاول بالثاني تجوز المص فقال يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى الخ والفرق بين ما ذكر من الاحتمالين ان الكافر على الاحتمال الاول شبه بشخص متغايرين ذاتا وهما الاعمى والاصم فيكون تشبيه الكافر تشبيهين ضرورة تعدد التشبيه بتعدد المشبه به وكذا المؤمن شبه بشخصين متغايرين ذاتا وهما البصير والسميع فيكون تشبيه المؤمن ايضا تشبيهين بخلاف الاحتمال الثاني فان كل واحد من الاعمى والاصم متحد مع الآخر ذاتا وان عطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفة على الصفة كما تقول نحو من تصفه بالبطالة هو الاكل والشارب

قوله كقول الصابح فالغانم فالآيب اولا فالحق زيادة للحارث وهو من باب ابيات الحماسة والمفضليات لابن زيابة اي يا حسرة ابي من اجل الحارث لما حصل له مراده وانصب برى الاوصاف المتعاقبة فلم يكن لم به لان الحارث توعد ابن زيابة بالتقليم فنكص عن جوابه فيلزم على ظاهره والصابح هو المغير صباحا عطف بالفاء نظرا الى الترتيب في الاتصاف حسام

فالغانم فدخوح من تصفه بالجراءة والشجاعة هو الصابح فالغانم فالآيب ولا يكون من قبيل عطف الذات كما في الاحتمال الاول فيكون تشبيه كل واحد من الفريقين تشبيها واحدا حيث شبه الكافر بشخص جامع للوصفين وكذا المؤمن بشخص آخر موصوف بوصفين فيكون تشبيه كل واحد منهما تشبيها واحدا لاتحاد المشبه به قوله وهذا من باب اللف والطباق اللف في اصطلاح اهل البديع ذكر متعدد على التفصيل او الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد ذلك المتعدد كما في الآية الكريمة فانه ذكر فيها الفريقان ثم ذكر ما لكل منهما بقوله كالاعمى والاصم والسميع والبصير والطباق هو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة سواء كان تقابلهما حقيقيا او اعتباريا وسواء كان التقابل تقابل الايجاب والسلب او غير ذلك ولا شك ان الاعمى والبصير وكذا الاصم والسميع امران متقابلان قوله تمثيلا على ان يكون المثل اسما بمعنى التمثيل كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه تمثيلا على التمييز المنقول عن الفاعل اي هل يستوي الفريقان من جهة التمثيل والتشبيه شبه الله فريق الكافرين في عدم انتفاعهم بالمشاعر بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالسميع والبصير في الانتفاع بها ثم انكر استواء التشبيهين او استواء حقيقتيهما او حاليتهما ولفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر المشبه مضربه بمورده ثم يستعار للصفة العجيبة والحالة الغريبة تشبيها لهما بالقول المذكور في الغرابة فانه لا يضرب الا ما فيه غرابة واعلم ان عادة الله تعالى جرت في القرآن العظيم على انه اذا اورد على الكافر ما يدل على الوحدانية وحقية امر النبوة اتبعها بذكر القصص ليؤكد بها تلك الدلائل فلذلك ذكر في هذه السورة الكريمة قصصا متعددة فبدأ بقصة نوح عليه الصلوة والسلام فقال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي اني لكم بفتح الهمزة على اضمار حرف الجر اي باني لكم على ان الجار والمجرور متعلق بحال محذوفة اي ارسلناه ملتبسا وبانا بهذا الكلام وقرأ الباقون اني لكم بالكسر على اضمار القول والتقدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال لهم اني لكم نذير اي مخوف مبين اي مظهر لكم الانذار على الكمل طرق قوله بدل من اني لكم بفتح الهمزة اي ارسلناه ملتبسا بقوله لقومه لا تعبدوا الا الله اي بالنهي عن عبادة غير الله والامر بعبادة الله تعالى قوله الا الله استثناء من النهي ويجوز على قراءة الفتح ان يكون ان مفسرة ايضا والمفسر اما ارسلنا واما نذير لان كل واحد منهما في معنى القول وكذا على قراءة الكسر يجوز ان يكون ان مصدرية منصوبة المحل بما في حيزها على انها مفعول مبين اي مبين مضمون هذا الكلام ومعناه وان يكون مفسرة متعلقة بنذير قوله وهو في الحقيقة صفة المعذب يعني ان اسناد الاليم الى اليوم

مجاز

بان شبه حال فريق الكفار في تعاميهم عن الآيات المنصوبة بين يديهم وتصامها على الآيات المتلوة عليهم بحال من اجتمع في العميان العمى والاصم لا يبدا في خبطه وضلاله لان الاعمى اذا سمع شيئا ربما يهتدي الى الطريق والاصم ربما ينتفع بالاشارة ومن جمع بينهما فلا خلاص له

وتوح هو ابن ملكان بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهما الصلوة والسلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي بعث عليه الصلوة والسلام على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مائتين وخمسين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة

مجاز على طريق اسناد الحكم الى زمانه مثل صام نهاره حيث اسند الصوم القائم بالصائم الى زمان صومه وقد يسند الاليم القائم بالمعذب الى الوصف القائم به وهو العذاب فيقال اليم عذاب اليم على طريق جد جده اسند الجد القائم بذات الشخص الى الوصف القائم به وهو الجد لملابسة بالفاعل الحقيقي من حيث انه وصف قائم به فقوله على طريق جد جده ونهاره صائم لف ونشر مرتب فان الاول نظير لاسناد الاليم الى العذاب الذي هو الوصف القائم بفاعله الحقيقي والثاني نظير لاسناده الى زمانه فان المتالم حقيقة هو الشخص المدرك لا الوصف ولا زمانه لكن يوصف به وصف ذلك الشخص وزمانه للمبالغة في اتصافه بالتالم بدلالته على ان الشخص بلغ في تالمه الى حيث سرى ما به من التالم الى ما يلابسه من الزمان والاولى قوله لكن يوصف به العذاب وزمانه يشعر بان قوله اليم كما يجوز كونه صفة يوم يجوز ايضا ان يكون صفة عذاب ويكون جره للجوار كما في قولك هذا حجر ضب خرب ويحتمل ان يكون قوله يوصف به العذاب لمجرد تتميم الفائدة لا للاشعار بان الاليم في الآية يجوز كونه صفة للعذاب ثم انه تعالى لما ذكر انه ارسل نوحا عليه الصلوة والسلام الى قومه فدعاهم الى عبادة الله تعالى وحده حكى عن قومه انهم طعنوا في نبوته بثلثة انواع من الشبهات شبهتهم الاولى قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا والآحاد المتفقة في الحقيقة النوعية كيف يجوز ان يختص ابعاضها بالنبوة الى حيث يجب على باقي الآحاد طاعته ويكون مخالفته وعصيانه موجبة للخلود في النار وشبهتهم الثانية ما ذكروه بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي لو كنت صادقا في دعواك لاتبعك اشراف الناس فكيف نتبعك ونؤمن بك وقد اتبعك اخساء الناس كالحاكة والاساكفة ونظير قوله تعالى حكاية عنهم في سورة الشعراء أنؤمن لك واتبعك الارذلون وشبهتهم الثالثة ما ذكروه بقولهم وما نرى لكم علينا من فضل وكلمة من في سياق النفي للعموم والاستغراق فانا لم نشاهد فضلك علينا فيما يتعلق بفضيلة بحسب الظاهر فكيف نعترف بفضلك في اشرف الفضائل واعلى المقامات وهو الرسالة من جانب رب العالمين ثم انه تعالى حكى عن نوح عليه السلام ما اجاب به قومه فقال يا قوم الخ قوله اخساؤنا هو جمع خسيس كشقي واشقياء واراذل يحتمل ان يكون جمع ارذل صفة كاحمر وقياسه ان يجمع على رذل كحمر جمع احمر الا انه جمع على اراذل كما جمع ابطح على اباطح وابطل على اباطل لجريانه مجرى الاسماء من حيث انه يجر ذكر موصوفه وقيل هو جمع ارذل الذي هو للتفضيل نحو افضل واماضل وقد جاء الاكابر مجرميها واحاسنكم اخلاقا وهما جمعا اكبر واحسن ويحتمل ان يكون اراذل جمع جمع بان يكون جمعا لارذل ورذل يكون

من الفضل ورعاية الصالح العاجلة وقوة الجدل مسلم

اراذل جمع ارذل كأكلب واكالب وقيل بل هو جمع لاراذل ام اراذل جمع لرذل ايضا الجوهري

الرذل الدون الخسيس وقد رذل فلان بالضم يرذل رذالة ورذولة فهو رذل ورذول بالضم من

قوم رذول واراذل ورذلاء قوله اي ظاهر الرأي على ان يكون بادي بفتح الباء الصريحة اسم

فاعل من بدا يبدو بدوا اي ظهر قوله او اول الرأي اي اتبعوك بأول نظر من غير روية وتأمل

بل في اول وهلة دون تثبت ولو تثبتوا لما اتبعوك فيكون بادي من بدأ يبدأ ابدأ ام يكون اصله

بادي بالياء بادئ بالهمزة ابدلت الهمزة فيه ياء لكسرة ما قبلها ويدل عليه قراءة ابي عمرو

بادئ بالهمزة وقرأ الباقون بالياء الصريحة قوله وانما استرذلوهم لذلك اي لم يعلموا

من اتبع نوحا انما اتبعوه في نفس حدوث ظاهر الرأي او اوله من غير تعمق وتدبر في حقيقة امره

وصدقه في دعواه قوله قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده

جواب عن شبهتهم الاولى والمعنى ان الاتفاق في الحقيقة النوعية انما يستلزم المساواة

في لوازم الماهية ولا ينافي الامتياز والاختلاف في العوارض المفارقة كالنبوة والرسالة

فيجوز ان يكون بعض احاد الحقيقة البشرية متميزا عن سائر افرادها بكونه على بينة تؤدي

الى معرفة الله وصفاته وما يجب ويمتنع ويجوز في حقه بان يؤتيه الله تعالى رحمة من عنده

وهي اما النبوة واما المعجزة الدالة على النبوة قرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت بضم العين

وتشديد الميم المكسورة والباقون بالفتح والتخفيف اما القراءة الاولى فاصلها فعماها الله

عليكم اي ابهما عقوبة لكم على تقصيركم في ابتغاء الحق ثم بني الفعل للمفعول وترك ذكر الفاعل وهو

الله تعالى للعلم به ويدل عليه قراءة ابي بهذا الاصل فعماها الله عليكم واما القراءة الثانية فان

العمى اسند الى البينة مجازا فان الحجة كما توصف بانها مبصرة وبصيرة لوضوحها قال تعالى

فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي واضحة مبينة فلذلك توصف بالعمى وجعلت عمياء لخفائها فان

دليل السيارة اذا كان بصيرا يهتدي ويهدي غيره واذا كان اعمى لا يهتدي فضلا عن ان يهدي

غيره فلذلك الحجة والبينة اذا كانت واضحة تكون موصلة الى المطلوب كالدليل البصير واذا كانت

خفية لا توصل اليه كالدليل اذا كان اعمى فمعنى عميت عليكم البينة انها لم تهدكم كما لو عمي

على السيارة دليلهم وتوحيد الضمير جواب عما يقال قد ذكر امران بينة ورحمة فكان الظاهر

ان يقال فعميتا عليكم فان نوحا عليه الصلوة والسلام لما دعا قومه الى توحيد الباري تعالى

وتخصيصه بالعبادة وطعنوا في نبوته بثلاث شبه اجاب عن طعنهم اياه منها بانه على

بينة تثبت بها صحة ما ادعيه من النبوة ورحمة من ربه هي تلك البينة او النبوة التي تثبت

بها فان كل واحدة منهما رحمة من الله تعالى يتوصل به الى الفوز بسعادة الدارين الا ان كل

قوله قال يا قوم انما قال يا قوم تلطفا بهم بالاسترداد الى جنسيتهم من قوم قوله لان الكفار ليسوا اهل الصلوة والسلام الا انبياء عليهم السلام ونصيحتهم كذا استفدت من استاذي المرحوم عن ابن كمال رحمه الله تعالى

وكلمة على في قوله تعالى ان كنت على بينة للاستعلاء المجازي وهو الاستيلاء والاقتدار على اتباعها والاستدلال بها مستقيم

قوله او لانه خفاء مما يوجب خفاء النبوة بها والتعليل مع الاخرين ناظر الى كون الرحمة غير النبوة كما ان الاول ناظر الى اتحادهما وحمل غريب في هذا الوجه البينة فيكون وانا في رحمة من عنده اعتراضا بين المتعاطفين

قوله او على تقدير في البينة يعني بحذف الضمير ولا اختلافه فيكون الضمير لقرطه بمعنى البينة والضمير يخفيت بعد البينة فانهم انكروها بعد المعجزة فوقف استعارة ايضا لكن باعتبار عدم الاهتداء دون عدم الهداية وهذا غير ما ذكره جار الله فان حاصله ان الضمير للنبوة فيقدر عميت اخرى بعد لفظ البينة فيرجع ضميره للبينة وحذفه اي عدم ذكره في النظم للاختصار ودلالة الملفوظ عليه ويرد عليه ان الوجه ان يجعل الضمير للبينة من غير حاجة الى التقدير

قوله الجئكم على الاهتداء بها اي لعدم كون ذلك في وسعي فلا يرد عليه ان ايمان المكره مقبول فلم لا يلزمهم ولا يحتاج الى الجواب بانه لم يكن في دينهم ذلك وقيل المعنى لو امكنني الالزام مع الكراهة لالزمتكم ويؤيده ما روي عن قتادة والله لو استطاع نبي الله نوح عليه الصلوة والسلام لالزمها قومه ولكنه لم يكن ذلك سنان

كل واحدة منهما عميت وخفيت عليكم لعدم تفكركم فيه فان البينة لا تؤدي الى المطلوب الا بشرط التفكر فان لم تقبلوها لعدم تفكركم فيها فلا اقدر على الزامكم على قبولها والاهتداء بها الى التصديق بنبوتي التي هي خصني الله بها من بينكم والله يؤتي فضله من يشاء فظهر من هذا التقرير ان مقتضى الظاهر ان يقال فعميتا عليكم الا انه وحد الضمير لان البينة والرحمة وان تغايرتا بحسب المفهوم الا انهما متحدتان ذاتا فان المراد بهما البرهان الدال على نبوته وهويته باعتبار كونه شاهدا على نبوته وصحة دعواه ورحمة باعتبار انه ينتفع به في اثبات دعواه وان لم يتحدا ذاتا بان يكون المراد بالرحمة النبوة وبالبينة الشاهد بصحة ما ادعاه من النبوة ويكون الظاهر ان يقال فعميتا الا انه اكتفي بافراد الضمير بناء على ان خفاء البينة يستلزم خفاء النبوة فلم يحتج الى تثنية الضمير لحصول المقصود بافراده وارجاعه الى البينة وعدم التعرض لخفاء الرحمة وخفائها لاستلزام خفاء البينة خفاءها او بارجاعه الى الرحمة التي هي النبوة وعدم التعرض للبينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت النبوة عليكم بعد قيام البينة عليها ويحتمل ان يكون توحيد الضمير بناء على رجوعه الى كل واحدة منهما **قوله** وحيث اجتمع ضميران الخ اجتمع في قوله انلزمكموها بعد الضمير المرفوع المستتر ضميران منصوبان متصلان وقدم الاعرف منهما وهو ضمير الخطاب وهو اعرف من ضمير الغائب فجاز ان ينفصل الضمير الثاني بان يقال انلزمكم اياها وان يتصل ايضا كما في الاية وانما قال وقدم الاعرف لانه لو قدم ضمير الغائب وقيل انلزمهاكم لانفصل ضمير الخطاب وجوبا وحاصل جوابه عليه الصلوة والسلام لقومه انهم لما طعنوا في نبوته عليه الصلوة والسلام بما ذكروا من الشبه قال لهم يا قوم باي سبب تظنون في حقي ان اكذب فيما ادعوكم اليه وكيف تتهمونني بذلكم والحال ان صورتي ليس صورة من يطمع في اموالكم ولا صورة من يطمع الرياسة عليكم في امور الدنيا ولا اتوقع الاجر الا من الله بناء على سعة فضله وكرمه ولا ابتغي الا مرضاته في تبليغ رسالته اليكم فبلا عذر لا تقبلون ما دعوتكم اليه **قوله** جواب لهم حين سألوا طردهم انفة من المشاركة مع الاراذل وموافقتهم فان قوله عليه الصلوة والسلام وما انا بطارد الذين امنوا يدل على انهم سألوا عنه ان يطرد الذين هم اراذل الناس واخساؤهم على زعمهم كراهة ان يجمعوا معهم عنده عليه الصلوة والسلام فاجاب بان قال لهم ما انا بطارد الذين امنوا وبين سبب امتناعه عن طردهم بقوله انهم ملاقوا ربهم اي انهم يخاصمون طاردهم عنده ويقولون انه طردناه عن مجلسه نتعلم احكام الدين واتباع الوحي من غير سبب يدعوا اليه او انهم فائزون بلقاء ربهم وقربه فكيف اطردهم او

قوله او بارجاعه عطف على قوله بافراده سنان

قوله على التبليغ اي مطلقا وهو مراد جار الله ايضا لان الضمير عايد الى نفس القول لانه عايد الى منا فان صدره اخبار برسالته للنذارة ويعجب تبليغ خاص ذكره لكونه ملاقيا للامر لكنه نبههم من جهة القول انه مبلغ مطلقا فهو مرجع الضمير واراد بقوله يرجع اليه يتعلق به سنان

قوله فانه الا يحول بشئ كلا الضمير مع تقدير المعنى انه لا يجوز منه لاعتراضه على اجر التبليغ وهو الثاني للحصر المستفاد من الاية لان الحصر الاول لاجر والثاني لله دال على انتفاء الغير وهو ان الاجر هو الا مول من الله لا غيره سنان

قوله حين سألوا طردهم لتنوين حين قالوا اطردهم لكنا نستنكف نجالسهم سنان

انهم يلاقون الله تعالى فيعاقب طاردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان

الصحيح او مما تشهدونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي دون التمعن في النظر والتدبر

الحاصل به **قوله تعالى** ولا اقول لكم عندي خزائن الله اي لا ادعي التفضل عليكم بالغنى وكثرة

المال حتى تجحدوا فضلي بان تقولوا وما نرى لكم علينا من فضل **قوله** عطف على عندي فالمعنى

لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا لذلك وليس

بمعطوف على قوله لا اقول اذ لا يستقيم ان يقال لا اعلم الغيب حتى تكذبوني وانما يجوز عطفه عليه

ان لو كان المعنى لا اقول عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي

الرأي من غير بصيرة **قوله** تزدري عليه اذا عابه الجوهري زريت عليه بالفتح زراية وزريت

اذا عبت عليه ويقال انه زاري على فلان اي عائب ساخط غير راض عنه قال ابو عمرو

الزاري على الانسان الذي لا يعده شيئا وينكر عليه فعله والازدراء التهاون بالشيء وازدريت

اي حقرته وتاء الافتعال اذا وقعت بعد الزاي تبدل دالا قياسا مطردا نحو ازدجر

اصله ازتجر **قوله** وقد منا لهم المنال الاسم لما بنا لمن خبر قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت

جدالنا ايدل على انه عليه الصلوة والسلام قد اكثر في الجدال معهم وذلك الجدال كان في بيان التوحيد

والنبوة والمعاد وهذا يدل على ان الجدال في تقرير الدلائل وازالة الشبهات حرفة الانبياء

ودلت الاية ايضا على انهم استعجلوا العذاب الذي كان عليه الصلوة والسلام يتوعدهم به

فقالوا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم انه عليه الصلوة والسلام اجابهم بقوله انما

يأتيكم به الله ان شاء يعني ان ما توعدون به من العذاب ليس في يد احد غير الله فيأتي به ان شاء

في اي وقت شاء لا يعجزه اي لا يفوته احد قال الامام فان احدا لا يعجزه اي لا يمنعه مما اراد

ان يفعله والعاجز هو الذي يفعل ما عنده فيتعذر به مراد الغير فيوصف بانه اعجزه فقوله تعالى وما انتم

بمعجزين اي لا سبيل لكم الى ان تفعلوا ما عندكم فيمتنع على الله تعالى ما شاء من العقاب ان اراد

انزاله بكم **قوله** شرط ودليل جواب يعني ان قوله تعالى ان اردت ان انصح لكم شرط جزاؤه

محذوف لدلالة ما قبله عليه وليس ما قبله جواب الشرط عند البصريين لانهم لا يجوزون تقدم

الجزاء على الشرط وكذا جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم محذوف حذف لدلالة الجملة

الشرطية المتقدمة عليه وتقدير الكلام ما ذكره من قوله ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت

ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي فتكون الاية الكريمة نظير قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك فقولك

ان كلمتني اكرمتك جواب قولك ان اتيتني وهي مسئلة اعتراض الشرط على الشرط وفي مثله يكون

الجزاء المذكور معلقا على الشرط المذكور اولا وواقعا عند وقوع ذلك الشرط بشرط حصول

قوله حتى جحدتم فضلي حتى اتهمتم بجحدوا فضلي كما انتفى من ضمن تجحدوا فضلي المعنى قاله جار الله لتكون المعنى لا ادعي التفضل عليكم بكثرة المال واني استحق النبوة بذلك حتى تجحدوا انكاركم فضلي لكن لا انفي انهم وما نرى علينا لكم فضل كما قال جار الله واشار اليه المصنف بصيغة المضي فان مرادهم هنا نفي التفضل بغير المال سكان

قوله شرط ودليل جواب دليل الجواب جملة لا ينفعكم لانه لعدم صحة تقديم الجواب على المذهب الاصح وجملة الجملة دليل جواب ان كان الله فيكون الكلام متضمنا لشرطين كل مختلفين احدهما جواب للاخر وجملة الاخر في الذكر متقدما في المعنى كقولهم اذا اعترض شرط على شرط ولا عاطف كان الثاني في نية التقديم وجملة نظير المسئلة القريبة المختلف فيها بينا وبين ان نعيد وجملة جار الله لا ينفعكم دليل جواب ان كان الله وجملة ان اردت قيد الجواب على التخريج الاصح لمراده فهو شرطية واحدة مقيدة فليس هو نظير المسئلة الا ان الاولى عكس هذا العدم فائدة التقييد على ما ذكره ولكان لا سطا تفيد في ما ذكره من النظر سكان

مسئلة اعتراض الشرط على الشرط

١٩٦

حصول الشرط الثاني ولما كان حصول الشرط الثاني شرطا لكون الشرط الاول مستلزما

للجزاء ومن المعلوم ان الشرط مقدم على المشروط في التحقق والوجود وجب ان الحكم بتحقق

الجزاء الا عند وجود الشرط الاول بعد وجود الشرط الثاني ففي قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك

ان اتاه ثم كلمه لا يجب الاكرام ولكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام ولو قال الرجل لامرأته انت

طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول

مستلزما للطلاق ولكن ان كلمت ثم دخلت تطلق قال الامام لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح

لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزاء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي ان يكون

الشرط المؤخر في اللفظ متقدما في الوجود وذلك لان الرجل اذا قال لامرأته انت طالق ان دخلت

الدار كان المفهوم كون الطلاق من لوازم ذلك الدخول فانه اذا ذكر بعده شرطا آخر مثل ان يقول

ان كلمت زيدا كان المعنى ان تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول الشرط الثاني

والشرط متقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء

بذلك الشرط الاول واذا لم يوجد الشرط الثاني لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول ولهذا

المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ متقدم في المعنى والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى

قوله وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل مع ان جداله معهم انما هو نصح لهم وارشاد

الى اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وازالة شبهاتهم الواهية ولما كانت هذه الاية حجة لنا

على المعتزلة القائلين بان كفر العبد وغوايته انما هو بقدرة العبد وارادته ولا يتعلق به قدرة

الله وارادته قالوا ظاهر الاية يدل على انه تعالى اذا اراد اغواء القوم لم ينتفعوا بنصح الرسول وهذا

مسلم لانا نقطع بانه تعالى لو اراد اغواء قوم لا ينفعهم نصح الناصحين لكن لا يلزم منه ان يكون

غواية الغاوين بقدرة العبد وارادته لان صدق الشرط لا يستلزم وقوع المقدم ووجه كونها

حجة لنا عليهم انه لولم يصح تعلق ارادة الله تعالى بالاغواء ولم يكن وقوع خلاف ما اراده الله

محالا لما اجابهم النبي المعصوم بهذا الجواب اشار المصنف الى وجه كونه حجة لنا بقوله دليل على ان ارادة

الله تعالى الخ **قوله** اذا بشم اي اذا حدثت فيه التخمة من كثرة شرب اللبن فهلك **قوله تعالى**

ام يقولون افتريه الظاهر ان كلمة ام فيه منقطعة اضرب الله تعالى عن حكاية جواب نوح لقومه الى

انكارها ما لو افي حقه من انه اختلق الوحي الذي بلغه اليهم ودبره في نفسه واضافه الى الله

تعالى والتعرض بلفظ البعول لقوم نوح انه اختلق الوحي بنفسه على ان الضمير المرفوع المستتر في افتريه لنوح

والبارز للوحي الذي بلغه اليهم وهذا ما ذهب اليه اكثر المفسرين وقال مقاتل ان الضمير المستتر

فيه يرجع الى نبينا صلى الله عليه وسلم وعليه وان هذه القصة وقعت في اثناء قصة نوح على

قوله وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل فكانه قال نعم لا طائل تحته ان كان الله يريد ان يغويكم لكن لا علم بذلك فانصح لكم ما لم انقطع عنه فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الاية ثم ان المراد لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم في الاستقبال ولذا اجمل عليه كلمة ان واما في الماضي فقد وقع النصح مرارا ولم ينفعهم فذلك مفروغ عنه فلا حاجة الى صرفه للماضي بتقدير من الناس بل لا ثقله بعض الافاضل سكان

معناه بل ايقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه خبر نوح فكانه اعتراض به في تضاعيف القصة عند سوقها طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها انتهى

طريق الاضراب عن بيان قصة نوح الى انكار ما يقوله اهل مكة في حق نبينا والمعنى ام يقول اهل مكة افترى محمد القران واختلقه من عند نفسه قل يا محمد ان اختلقته فعلي اجرامي اي جزاء جرمي وانا بريء من اجرامكم في اسناد الافتراء الي ثم رجع الى قصة نوح وقرأ الجمهور اجرامي بكسر الهمزة وهو مصدر اجرم اي كسب ذنبا وقرئ في الشاذ أجرامي بفتح الهمزة وهو جمع جرم كقفل واقفال ولا دلالة لقول ان افتريته على انه عليه الصلوة والسلام كان شاكا في امره بل هو قول يقال على وجه الفرض في مقام الانكار على كلام المخاطب وفي الكلام حذف مضاف اي فعلي وبال اجرامي وعقابه وفيه حذف اخر فان المعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب ذنبي وان كنت صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب وحذفت بقية الكلام لدلالة قوله وانا بريء مما تجرمون عليها روي عن ابن عباس انه قال بعث نوح عليه الصلوة والسلام بعد بلوغه سن اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة و خمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل ابن مائتي سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة قوله داخل على انه المفعول وقوله انه لن يؤمن قائم مقام فاعله وقوله فلا تبتئس هو تفتعل من البؤس ومعناه الحزن في استكانة وخضوع يقال ابتأس فلان اي بلغه ما يكرهه وقوله باعيننا حال من فاعل اصنع ولما كان تعالى منزها عن الجوارح والاعضاء كان العين المضافة اليه تعالى مجازا عن الحفظ ورعاية المصنوع عن ان يزيغ عن الصواب في صنعته ويختل شيئا مما يليق على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب فان من عظمت عنايته بحفظ الشيء يجعله نصب عينه فلما كان العين مجازا عن الحفظ المسبب عنها كان لفظ الاعين مجازا عن المبالغة في الحفظ والرعاية فمن قال بحملته يعني كان مراده بتحفظي واحتياطي ومن قال بحملته يعني اراد حملته بنهاية ما في وسعي من التحفظ لانه لا يمكن حمل الكلام المذكور على ظاهره لان العين ليست من الالات التي يستعان بها على مباشرة العمل فلا يكون من قبيل قولك قطعته بالسكين فتعين حمله على المجاز ولفظ العين مع كونه مجازا عن الحفظ لكون اضافته الى المتكلم حقيقة اذا كان المتكلم مركبا من الاعضاء والجوارح واما في حقه تعالى فانما تصح الاضافة على طريق التمثيل والتشبيه لكونه تعالى منزها عن الاعضاء والابعاض فيشبه بمن له كثرة بمعنى الحفظ

و

١٩٧

والرعاية فكان قوله باعيننا بمعنى اصنع الفلك حال كونك محفوظا باتم وجوه الحفظ عن ان يمنعك احد ممن يعاديك او يخالفك من ذلك العمل وعن ان تزيغ في عمله عن الصواب ووحينا اليك كيف تصنعها وعد الله تعالى له في عمل السفينة امرين ان يحفظه عن جميع ما يمنعه عن اتمام ذلك العمل على وجه الصواب وان يوحي اليه كيفية عمل تلك السفينة وخلاصة المعنى اصنع الفلك محفوظا منا ووحينا اليك كيف عملت السفينة قوله وقيل المراد بالسخرية الاستجهال اي ان استجهلونا في بناء السفينة في البرية اليابسة الخالية عن الماء فانا نستجهلكم في استجهالكم ايانا بناء على الظاهر وجهلا بحقيقة الامر كما هو عادة الجهلة في الاحتجاب عن حقائق الامور فان استهزائهم وتسخرهم للمنهمك في امر ما كان منشأ عن الجهل بحكم ذلك الامر وعاقبته اطلقت السخرية واريد بها سببها الذي هو الجهل بما في ذلك الامر من الحكمة على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب قوله ينزل عليه ويحل عليه حلول الدين يعني ان قوله يحل اما من الحلول بمعنى النزول او من الحلول بمعنى انتهاء الاجل وعلى الثاني يكون الكلام من قبيل الاستعارة المكنية شبه العذاب الاخروي الذي قضى الله تعالى بحقهم بالدين المؤجل الواجب الحلول واثبت له الحلول الذي هو من لوازمه ليكون تخييلا للتشبيه المضمر في النفس قوله غاية لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الطوفان والواو في قوله وكلما الى اخرها للحال اي انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قوله او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وهو هنا الجملة الشرطية ومعنى كون حتى حرف ابتداء ان يكون ما بعدها كلاما مستأنفا لا تعلق له بما قبلها من حيث الاعراب ولا يراد به ان يكون ما بعدها مبتدأ لان ذلك لا يطرد اذ قد يرد بعدها جملة شرطية مستأنفة كما في هذه الاية وكونها حرف ابتداء لا ينافي كون ما بعدها غاية لما قبلها فان صنعة الفلك لا تنتهي ما جاء امر الله تعالى وفار التنور فكانت كلمة حتى واقعة بين انتهاء صنعة الفلك وابتداء مجيء امر الله تعالى وهو المراد من كونها للغاية فالمعنى وكان يصنعها الى ان جاء وقت الطوفان قوله والباقون اضافوا يعني ان اكثر القراء قرؤا باضافة كل الى زوجين على ان اثنين مفعول احمل ومن كل زوجين حال من المفعول لانه كان صفة للنكرة فلما قدم عليها انتصب حالا وعلى قراءة حفص يكون زوجين مفعول احمل واثنين صفة مؤكدة له كما في قوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين ومن كل على هذه القراءة يجوز ان يتعلق باحمل وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين والزوج يطلق في المشهور على كل واحد مما له ازدواج مالك ومن كل شيء خلقنا زوجين ويقال للمرأة زوج مالك وخلق منها زوجها يعني امرأتها ومالك فانه خلق الزوجين الذكر والانثى فالواحد يقال له زوج مالك ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فالزوجان عبارة عن كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر

وبقال للكل واحد منهما زوج يقال زوج حمام وزوج نعل وروي ان نوحا عليه الصلوة والسلام
قال يارب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير فجعل يضرب بيديه
في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة قال الحسن لم يحمل
نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما يتولد من التراب كالحشرات والبق والبعوض فلم
يحمل منه شيئا قوله تعالى واهلك عطف على زوجين او اثنين على قراءة العامة او معطوف
على اثنين قوله زوجته المسلمة وكانت لنوح امرأتان احدهما كافرة وهي واعلة ام كنعان
وهو ابنه الذي انعزل عنه فكان من المغرقين واخرى مؤمنة وهي التي ذكرها الله تعالى بقوله واهلك
وحام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك قوله قيل كانوا اي قيل كان من آمن
معه تسعة وسبعين زوجته المؤمنة وبنوه الثلثة مع نسائهم الثلاث وهم سبعة نفر ونوح
ثامنهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم اي من غير من آمن معه وهم سبعة نفر وكان
الجموع تسعة وسبعين والجموع منهم ومن نوح ثمانون نفرا قيل ان في ناحية الموصل قرية يقال
لها قرية الثمانين سميت بذلك لان اصحاب السفينة لما خرجوا منها بنوا تلك القرية فسميت
باضافتها اليهم وفاعل قال في قوله تعالى وقال اركبوا فيها يجوز ان يكون ضمير نوح وان يكون ضمير
الباري اي وقال الله تعالى لنوح ومن معه وضمير فيها للسفينة وهو متعلق بقوله اركبوا وفعل
الركوب يتعدى بنفسه يقال ركبت الفرس والسفينة وعدي في الاية بكلمة في لتضمنه معنى ادخلوا
او صيروا فيها راكبين واليه اشار المص بقوله اي صيروا فيها جعلت الصيرورة في جوف السفينة
ركوبا واستعلاء عليها لكون السفينة في الماء بمنزلة المركوب في الارض فيكون قوله اركبوا فيها
من قبيل الاستعارة التبعية شبهت الصيرورة في جوفها بالركوب فاطلق عليها اسم المشبه به
استعارة اصلية واشتق من الركوب بمعنى الدخول والصيرورة لفظ اركبوا فسري اليه
الاستعارة في المأخذ قيل انهم ركبوا السفينة يوم العاشر من شهر رجب وكان يوم الجمعة
كانت السفينة البيت الشريف فطافت اسبوعا فسارت بهم مائة وخمسين يوما
واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة يوم عاشوراء من المحرم
قوله متصل باركبوا لانه كان حالا من فاعل كان من تمامه والمعنى متصلا بما قبله والباء
فيه للملابسة اي اركبوا فيها ملتبسين باسم الله اي مسمين الله وقت اجرائها وارسائها
او مكانيهما ويحتمل ان يكون بسم الله محكيا بالقول المقدر اي اركبوا فيها قائلين بسم الله
وقت الارساء والاجراء او مكانيهما فالمجرى والمرسى على التقديرين ظرفان منصوبان بما
في قوله الا انهما صوريات ويحتمل ان يكونا مصدرين واقعين موقع ظرف الزمان كما في قولك
آتيك

ح آلالهما واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري او هوائي فكيف يغرق من الغرق وايضا لان كتاب الله لم يدل على ذكره ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه وما اكثر الروايات الواهية

اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفار والفارة فاقبلا على الروث فاكلاه فلما افسد الفار في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله تعالى اليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار فاكلاه فذلك قوله تعالى ونصنع الفلك حازن

قيل انه نفى الحية والعقرب وقالا نحن سبب الضرر فقالا احملنا وذلك انه لا نضر احدا ذكرك فمن قال سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم تضراه
بقاعي

وقد رفعه الله تعالى من الغرق وبقي موضعه واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس
حازن

قوله متصل باركبوا انه يكون قوله بسم الله جملة واحدة ويكون بسم الله قيدا لا اركبوا حالا مقدرة من فاعله والباء فيه للملابسة اي مسمين الله وقت الاجراء والارساء او مكانيهما
شيخ

آتيك خفوق النجم او صياح الديك اي وقت خفوقه او وقت صيحه ويجوز ارتفاعهما بسم
الله اي بما تعلق به الباء مما قدرنا حالا على انهما فاعلان له اي اركبوا فيها كائنا بسم الله
مجراها ومرساها اي اجراؤها وارساؤها فيكون بسم الله مع متعلقه المقدر حالا كما تقدم
ويكون المجموع جملة واحدة قوله او جملة من مبتدأ وخبر عطف على قوله متصل باركبوا
اي ويحتمل ان لا يكون المجموع جملة واحدة بل يكون قوله بسم الله مجراها جملة اخرى مغايرة لقوله
اركبوا فيها على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبره او صلته متعلقا به وخبر المبتدأ محذوفا
اي مما يجب ان يعلم وعلى تقدير ان يكونا جملتين يحتمل ان تكون الجملة الثانية مقتضبة اي جملة
مقتطعة عما قبلها من حيث الاعراب لاختلافهما خبرا وطلبا حيث امرهم في الجملة الاولى
بالركوب فيها ثم اخبر ان مجراها ومرساها بسم الله فان الاقتضاب عرفا الخروج من كلام
الى كلام آخر لا علاقة بينهما ويقابله التخلص وهو الخروج برابطة مناسبة بين الامر بالركوب
وبين الاخبار بان مجرى السفينة ومرساها بذكر اسم الله لاختلافهما خبرا وانشاء او يحتمل ان
تكون الثانية حالا من واو اركبوا او من الضمير المجرور في قوله فيها وههنا بحث من وجهين الاول
ان هذه الجملة كيف تكون حالا من الواو مع انه قد تقرر ان الحال اذا كانت جملة لا بد فيها من
عائد يرجع الى ذي الحال ولا عائد ههنا يرجع الى ضمير اركبوا الا ان المضمر في بسم الله على تقدير كونه
خبر المجراها يعود الى المبتدأ الذي هو مجراها والثاني ان المص قطع بكون هذه الحال حالا مقدرة
مع ان مضمونها مقارن للملابسة العامل بذي الحال حقيقة لان المعنى اركبوا وباسم الله اجراؤها
ولا اشكال ان الواقع حال ركوبهم هو نفس مضمون الحال لا تقديره فلا يكون مقدرة اللهم الا ان
يجعل الجملة في تأويل مجراها باسم الله فان اجراءها لم يكن وقت الركوب حقيقة بل هو مقدرة
عنده كما تقول اركب الفرس سائرا باسم الله واعلم ان الاحوال الاربعة موطئة ومقدرة ومؤكدة
ومنتقلة لان الحال اما مبين بهيئة الفاعل او المفعول فلا يخلو اما ان تكون مبينة للهيئة بذاتها
او بانضمام الغير فان كانت مبينة للهيئة بالغير فهي الحال الموطئة لانها لا تبين هيئة ذي الحال
بذاتها بل تبين بما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال
في الحقيقة كقرآنا في قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا وان كانت مبينة لها بالذات فاما ان
تكون مبينة للهيئة المتحققة في الحال او في المستقبل فان كانت مبينة في الاستقبال فهي الحال
المقدرة وان كانت مبينة للهيئة المتحققة في الحال فاما ان تكون لازمة لذي الحال او مفارقة
عنه فالاولى مؤكدة والثانية منتقلة قوله ويجوز ان يكون الاسم مقحما والمعنى بالله اي بقدرته
وامره اجراؤها واجراؤها وارساؤها وتمام البيت فقوما وقولا بالذي قد عرفتما ولا تخمشا

مقتطع

قوله او قائلين باسم الله بتقدير ويتعلق باسم الله قائلين بتقدير والقائلة على تقدير التقدير حال مقدرة لان الوجهين وقت الاجراء والارساء بعد الركوب لكن يمكن ان يجعل ليس الا مقدرة بمجرد واحد استمرار الركوب فيها بزمان المقارنة حاصلة في الجملة كما في قوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله فان ذكر يصدق بوجود الدعاء في خلال زمان الركوب دون اوله فتامل

عصام

ابن كمال

وجها ولا تحلقا الشعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
قاله لبيد بن ربيعة العامري يوصي به ابنتيه حين حضرته الوفاة بالبكاء والندبة عليه قوله
وقرا حمزة والكسائي يعني ان القراء السبعة اختلفوا في مجراها فقرا الاخوان وحفص بفتح الميم
وامالة الراء واتفقوا على ضم ميم مرساها وقرا ابن مسعود وعيسى الثقفي وزيد بن علي والاعمش
مرساها بفتح الميم فضم الميم فيهما بناء على انهما من اجرى وارسى والفتح على انهما من جرى ورسا
قوله على صفتين لله تعالى فيه ان اضافة اسم الفاعل الى معموله لفظية فلا تفيد تعريفا فكيف جاز
وقوعه صفة للمعرفة والظاهر انهما بدل لان من اسم الله ولم يرد بكونهما صفتين للجلالة النعت
النحوي بل يكون مفهومه معنى قائما بالغير قوله ان لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم
يريد ان قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم جملة مستانفة جيء بها بيانا لما يوجب الامر السابق
كانه قيل لم تامرنا بركوب السفينة فاجيبوا بان قيل لهم اركبوا لينجيكم الله من الغرق
النازل بالعصاة بمغفرته ورحمته وفيه اشارة الى ان نجاتهم لم تكن لاستحقاقهم بسبب
انهم كانوا مؤمنين بل انما نجوا بمحض رحمة الله تعالى وغفرانه كما هو مذهب اهل السنة
متصل بمحذوف يعني ان قوله تعالى وهي تجري بهم حال من شيء محذوف تضمنته جملة دل
عليها اركبوا كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم وقوله وهم فيها اشارة
الى ان قوله بهم متعلق بمحذوف وهو حال من فاعل تجري اي تجري ملتبسة بهم كقوله تعدو
بنا الجماجم والترائبا اي تدوس حوافرها ملتبسة بنا ونحن راكبون عليها جماجم القتلى و
ترائبهم ولو جعلت الباء للتعدية لم يحتج الى هذا التاويل قوله وما قيل من ان الماء طبق
اي ملأ ما بين السماء والارض جواب عما يقال اذا ملأ الماء ما بين السماء والارض
لم يتصور الموج فيه فما معنى جريانها في الموج واجاب عنه اولا بان الرواية ليست بثابتة
وثانيا بان جريانها في الموج كان قبل التطبيق وكان سيرها في جوف الماء كما تسبح السمكة كان
في زمان آخر فلا تنافي بين جريانها في خلال الامواج وسيرها في جوف الماء وقرا الجمهور نوح
ابنه بكسر تنوين نوح لالتقاء الساكنين وقرئ بضم التنوين اتباعا لحركة الاعراب وقرا
علي رضي الله عنه ابنها باضافة ابن الى ضمير امراة نوح بناء على انه كان ربيبه وقيل كان لغير رشدة
بان زنت امراته وهي تحت نكاحه وهو خطاء اذ الانبياء عليهم الصلوة والسلام عصمت
من الكشخنة اي من كون نسائهم زانية وان اتفق ان يكون نساؤهم كافرة وقرئ ابنه
بفتح النون والالف وحذف الالف اكتفاء بالفتحة كما تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ ابناه
بالالف وهاء السكت على صيغة الندبة وهي وان كانت مختصة بالتفجع والتحزن لكن الاانه

ولا يصح ان يكون علة لقوله اركبوا لعدم المناسبة فيقدر ما يصح به التعلق بان يقال امتثلوا ما امرتم به لينجيكم الله بمغفرته ورحمته او يقال اركبوا فيها ذاكرا الله ولا تخافوا الغرق بسبب ما فرط منكم من التقصير لان الله غفور رحيم منه

وكانه اعتبر قوله تعالى انه ليس من اهلك وقوله عليه الصلوة والسلام ان ابني من اهلي لا يدل على بنوته له وانما يدل عليها لو قال ابني مني منه

انه عليه الصلوة والسلام لما راى ابنه مشرفا على الغرق والهلاك ناداه بصيغة الندبة
على وجه التوجع والترحم ولما اورد ان يقال كيف يحكم بانه على صيغة الندبة والقوم قد نصوا
على انه لا يجوز حذف حرف النداء من المندوب اجاب عنه بانه حكاية ندبته عليه الصلوة
والسلام وليست ندبة في نفسها فلهذا استوغ حذف حرف النداء وقوله تعالى وكان في معزل
في محل النصب على انه حال من ابنه لانه مفعول به والمعزل بكسر الزاي اسم لمكان العزل وهو
التنحية والابعاد اي وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه بناء على ظن ان الجبل يعصمه من
الغرق واختلف في انه هل كان ابنا له حقيقة او ربيبه فقيل انه ابنه في الحقيقة لانه تعالى نص
عليه بقوله ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه بقوله بني وصرف اللفظ على معنى المجاز
وهو الذي رباه من غير ضرورة لا يجوز وقيل انه كان ربيبه اسند الا بقراءة ابنها واستبعادا
لان يكون ولد الرسول المعصوم كافرا وليس ببعيد لانه قد ثبت ان والدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووالد ابراهيم عليه الصلوة والسلام كانوا كافرين فكيف يبعد ان يكون الولد ايضا
كافرا فان قيل انه عليه الصلوة والسلام لما قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
كيف ناداه مع كفره اجيب عنه بوجوه الاول انه كان ينافق اباه فظن نوح عليه الصلوة
والسلام انه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما احب نجاته والثاني انه عليه الصلوة
والسلام كان يعلم انه كافر لكن ظن انه شاهد الغرق والاهوال العظيمة فانه يقبل الايمان
فصار قوله يا بني اركب معنا بمنزلة ان يقول يا بني آمن بالله ونفوت جلاله ولا تكن مع
الكافرين في الكفر واركب مع المؤمنين والثالث ان شفقة الابوة لعلها حملته على ذلك
النداء والذي تقدم من قوله الا من سبق عليه القول كان كالمجمل فلعله جوز ان لا يكون هو
قيل انه ولد على فراشه لغير رشدة احتجاجا بقوله تعالى في حق امراة نوح
فخانتاهما وهذا قول خبيث لان الانبياء معصومون عن مثل هذه الفضيحة
ومرادهما اباهما الخيانة في الدين حيث سلكتا سبيل النفاق وقيل كانت
تقول زوجي مجنون وكانت امراة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا به قوله
ر الياء قرا حفص عن عاصم يا بني بفتح الياء في جميع القران والباقون
بكسر الياء ان تكون الكسرة دليلا على ياء الاضافة المحذوفة فان اصل ابن
بنو فحذفت واوه وعوضت منها همزة الوصل فلما صغرت عادت الواو
فصارت بنيو فاجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
الياء في الياء فصار بني ثم اضيف الى ياء المتكلم فصار يا بنيي وقد تقرر في النحو ان الاسم

ويعد نوح الحديث بني على ان ... قال في زبدة البصري ومعدل الحسن البصري عنه فقال سالت الحسن كان ابنه فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله تعالى حكى عنه انه قال ان ابني من اهلي وانت تقول ما كان ابنه فقال انه لم يقل انه مني ولكن قال من اهلي وهذا يدل على قولي منه

فقوله ونادى ... نداء واسند اليه ... النداء ... عليه ... بمعنى قوله ... على وجه التعليل ... النداء الى ... هو النداء على ... به حقيقة النداء ... عطف الشيء على نفسه ... عليه انه لا ... النداء والعلم ... الى ... بالارادة ... فالوجه ان يكون نادى على ... والقصد الى ... فقط لا ... انه ... ابني من اهلي ... مع انه ... ووقع به النداء ... المناج ... فقال ... على ان ... بعقب الجملة في الذكر منه

المنادى المضاف الى ياء المتكلم خمس لغات منها سكون ياء الاضافة مع كسرة ما قبلها نحو
يا غلامي ومنها فتح ياء الاضافة مع كسرة ما قبلها لان ياء الاضافة اسم والاصل في الاسماء
الاعراب والاصل في الاعراب الحركة فكان المناسب ان يبنى ما بني منه على الحركة الا انه اختير
الفتحة للخفة وهذان الوجهان اعني الفتحة والسكون مطردان في غير النداء ايضا نحو جاء في
غلامي وغلامِيَ ومنها ان تحذف ياء الاضافة للتخفيف ويجعل كسرة ما قبلها دليلا عليها نحو
يا غلامِ ومنها ان تقلب الياء الفا للتخفيف ايضا فان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة
نحو يا غلاما وهذان الوجهان لا يكونان الا اذا كان الاسم المضاف منادى وقد جاء شاذا
في المنادى ايضا حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة نحو يا غلامَ ويا ابَ فظهر بهذا
التفصيل ان من قرأ يا بنيِّ بكسر الياء جعله من قبيل يا غلامِ في حذف ياء الاضافة اكتفاء
بالكسرة ومن قرأ يا بنيَّ بفتح الياء جعله من قبيل يا غلامَ في حذف الالف المبدلة من الياء
اكتفاء بالفتحة وهذا الحذف ليس شاذا فيه كما شذ في يا غلامَ لما في هذه الكلمة من الثقل
الحاصل باجتماع ثلاث ياءات الاولى ياء التصغير والثانية الياء المبدلة من لام الكلمة
والثالثة ياء الاضافة واعلم ان مجموع ما وقع في القرآن من لفظ يا بني ستة الفاظ
واحد منها في سورة هود وهو يا بني اركب معنا وثانيها في سورة يوسف وهو يا بني لا تقصص
رؤياك وثلثة منها في سورة لقمان واولها في لقمان قوله يا بني لا تشرك وثانيه قوله يا بني
انها ان تك مثقال حبة وثالثه قوله يا بني اقم الصلوة وسادسها في الصافات وهو قوله يا بني
اني ارى فالجمهور كسروا الياء في الجميع غير ابن كثير فانه وقف عليها في اول ما في لقمان اي
قرأ بياء ساكنة فقال يا بنيْ لا تشرك بالله باتفاق الرواية عنه وكذا في ثالث ما في لقمان
في رواية قنبل عنه فقال يا بنيْ اقم الصلوة بان حذف ياء الاضافة لكثرة حذفها في باب
النداء ثم استثقل الياء المشددة المكسورة فحذفها وابقى الياء الاولى وهي ياء التصغير
ساكنة فمنهم من جمع بين اللغات مع اتباع الاثر ومنهم اختار بعضها مع اتباع الاثر
قوله وعاصم بالجر عطفا على ابن كثير وقرئ باظهار باء اركب وادغامها في ميم معنا وقراءة
حفص الادغام قوله وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة على ان يكون عاصم بناء النسبة فيكون
بمعنى المعصوم فيكون من رحم بمعنى المرحومين والاستثناء متصلا لان المرحوم من جنس
المعصوم كما انه متصل على الوجهين الاولين وهما ان يكون المعنى لا عاصم الا الراحم ولا عاصم
الا مكان المرحومين بتقدير المضاف لان الراحم من جنس العاصم وكذا مكان المرحومين
واما اذا كان المعنى لا عاصم الا المرحوم فيكون الاستثناء منقطعا ويكون المعنى لا

لا عاصم اليوم لكن من رحمه الله يعصمه ذكر صاحب الانتصاف ان الاحتمالات الممكنة اربعة
لا عاصم الا راحم ولا معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا راحم فالاولان
استثناء من الجنس والاخيران من غير الجنس وزاد الزمخشري احتمالا خامسا وهو لا عاصم
مرحوم على انه من الجنس بتاويل حذف المضاف تقديره لا مكان عاصم الا مكان مرحوم والمراد
بالمنفي التعريض بعدم عصمة الجبل وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها
اقرب من البعض قوله نودي بما ينادى به اولو العلم حيث نودي يا باسم يخصهما وقيل يا ارض
ويا سماء وطلب به اقبالهما واجابتهما بما نودي له تشبيها لهما في سرعة انقيادهما لامر ربهما
وانفعالهما بفعله فيهما بلا توقف وقبول ما يريد منهما بحيث تتعلق ارادته من غير توقف ولا
توان بالمامور المطيع للآمر المطاع القادر على ما يشاء خشية وهيبة من عظمته وجلالته فنودي
بما ينادى به العاقل المميز المطلوب اقباله وامرتا بما يؤمر به المدرك المتفطن لما امر به
تنبيها على كمال قدرته ونفاذ امره ومشيته في الكل واورد قيل على بناء المفعول دلالة على
عظمة القائل وجلالة قدره وعلو شانه بحيث لا يتوهم ان يكون ذلك القائل الا الله الواحد
القهار القادر على ما يشاء لانه لا يذهب وهم احد الى ان يقول غيره مثل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر العظيم الهائل سواه فالاية من قبيل الاستعارة المكنية
والتخييلية حيث شبههما بالمامور المدرك المتفطن لما امر به المطيع المسارع الى
الامتثال من غير لبث المبادر الى الطاعة بلا تردد ولبث وهذا التشبيه المضمر في
النفس استعارة بالكناية وتعلق الامر بهما الذي هو من لوازم المشبه به قرينة
للتشبيه المذكور وتخييل له وقوله ابلعي استعارة تبعية فان البلع في الاصل ادخال الطعام
في الحلق بعمل الجاذبة والمراد به ههنا ان تنشف الارض ما عليها من الماء وتشربه
شبه غور الماء في الارض وشربها اياه ببلع الحيوان المشروب فاطلق عليه اسم
البلع ثم اشتق من البلع بذلك المعنى لفظ ابلعي فصار استعارة تبعية والاقلاع ليس بمجاز
لانه يوصف به الحيوان والجماد يقال اقلع الرجل عن عمله اذا فرغ وكف نفسه عنه ويقال اقلعت
السماء بعدما امطرت اذا امسكت عن انزال المطر فليس هو مجردا ولا تشبيها والغيض النقصان
يقال غاض الماء يغيض غيضا اذا نقص وقل وانغاض مثله ويقال ايضا غاضه الله بمعنى
نقصه انه يتعدى ولا يتعدى ويقال ايضا اغاضه الله بمعنى واستعمل غاض في الاية متعديا لانه
الفعل لا يبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا اذا كان متعديا بنفسه قوله والجزم ما وعد بمعنى
ان القضاء ههنا بمعنى الفراغ والاتمام والمعنى اهلك قوم نوح وفرغ من اهلاكهم وتم امرهم

فكان من العقوبتين وفي ابراد كان دون نضار مبالغة في كونه منهم ابو السعود

ما علم وجهك من ماء ... النطوف فان دون الباء ... العيون فيما سن ... المعهود ... والانا ابو السعود

يقال نشف الثوب العرق والفعل من باب علم اي شربه سلمه

وفي الصحاح وقد يكون الغضاء بمعنى الفراغ يقال قضيت حاجتي وضربه فقضى عليه اي قتله
كانه فرغ منه وسم قاض اي قاتل **قوله** هلاكا لهم يعني ان بعدا في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم
الظالمين مصدر منصوب بفعله المقدر اي وقيل بعدوا اي من رحمة الله بعدا او المعنى الدعاء عليهم
بذلك واللام متعلق بفعل محذوف على سبيل البيان للمدعو عليهم بهذا الدعاء كانه قيل يدعى
بهذا الدعاء لاجلهم كما في سقيا لك ووهبت لك ويجوز ان يتعلق بقوله قيل اي قيل لاجلهم هذا القول
وقول المص هلاكا لهم يشعر كونها لام البيان وقوله يقال بَعِدَ بعدا وبَعَدًا اذا بعد بعدا بعيدا
بحيث لا يرجى عوده اشارة الى الفرق بين بَعُدَ بضم العين وبَعِدَ بكسرها بالاول اخبار على البعد
مطلقا وهو ضد القرب والثاني اخبار عن غاية البعد بحيث لا يرجى عوده وان لفظ
بعدا في الآية مصدر بَعِدَ بالكسر قال الجوهري البعد ضد القرب يقال بعُد بالضم فهو بعيد
اي تباعد وابعد غيره والبَعَد بالتحريك جمع باعد مثل خادم وخدم والبعد ايضا الهلاك
تقول منه بعِد بالكسر فهو باعد اي هالك انتهى كلامه والمتبادر منه ان يكون بعد بالكسر حقيقة
في هلك وجعله المص استعارة لذلك من البعد البعيد **قوله** والآية في قوله وقيل يا ارض ابلعي
ماءك الى هنا **قوله** بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي وجه الدلالة ان نداءه هو قوله
رب فلو لم يقدر الارادة للزم ان يعطف الشيء على نفسه ويجوز ان يكون وجه العطف ان
قوله نادى مجمل وقوله رب ان ابني من اهلي مفصل فعطف المفصل على المجمل بفاء التعقيب
بناء على ان التفصيل ان يكون عقيب الاجمال في الذكر وليست الفاء للتعقيب الزماني فلا اشكال
قوله وان كل وعد بني على ان اضافة المصدر للاستغراق اذا لم توجد قرينة كونها محمولة
على العهد **قوله** في حاله او فيما له لم ينج فيكون النداء بعد غروق ابنه استفسارا للمانع من
انجاز ما وعده في حق اهله الذين من جملتهم ابنه المغرق ويجوز ان يكون هذا النداء قبل
غرقه طلبا لانجاز ما وعده في حق اهله ويدل عليه انه تعالى نهاه عن ان يسال نجاة ابنه و
ان ينجز ما وعده في حق اهله حيث قال فلا تسالني ما ليس لك به علم فانه يدل على ان
النداء كان قبل ان يغرق ضرورة ان طلب تخليص ابنه من الغرق انما يكون قبل ان يغرق
وذكر هذه المسئلة بعد قوله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين الى قوله وقيل بعدا
للقوم الظالمين لا يستلزم كون تلك المسئلة بعد الغرق لان الواو لا يوجب الترتيب وان
الترتيب في اللفظ لا يستلزم الترتيب في الوجود واختار المص ان يكون هذا النداء بعد
غروق ابنه لما سبق انه عليه الصلوة والسلام نادى ابنه بان يقول يا بني اركب معنا فامتنع
من الركوب معهم فحال بينهم الموج فكان من المغرقين ثم ذكر بعد نجاة المؤمنين باستقرار

قوله وابعاد الاخبار ... وقيل على ان ... وغيض وقضي ... على غاية ... للمفعول للدلالة ... العظمة والجلالة بحيث اذا ... ذكرت هذه الافعال لا ينصرف ... الذهن الى المفعول ... الا اليه

باستقرار السفينة على الجودي ثم ذكر بعده هذه الآية فهذا الترتيب يدل على ان نداء ربه في حق ابنه
وقع بعد غرق الابن طلبا للحكمة في عدم انجاز وعده في حق ابنه مع انه تعالى وعده بان ينجي اهله
ولانه قد تقرر انه تعالى قد نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا وهو يستلزم ان يكون هذا النداء بعد غرق
الابن لان كونه قبل الغرق ينقض سؤال النجاة لابنه الظالم مع علمه باصراره على الكفر باستناعه
عن الركوب مع المؤمنين واختياره صحبة الكفار فلو كان هذا النداء قبل غروق الابن طلبا لانجائه
من الغرق لكان مرتكبا لما نهي عنه باستدفاع العذاب عمن علم انه من الظالمين وارتكاب
المنهي عنه معصية فلا يجوز في حق الانبياء فلذلك اختار ان يكون هذا النداء بعد الغرق طلبا
لحكمة عدم انجائه مع انه من اهله فان قيل ما ذكرته يقتضي ان لا يجوز ان يكون نداؤه عليه
عليه الصلوة و ... السلام ربه قبل غرق الابن لتضمنه استدفاع العذاب عن الظالم
فكيف جوز المص ان يكون ذلك قبل غرقه قلنا المنهي عنه هو المخاطبة استدفاع العذاب عمن
علم انه من الظالمين وهو عليه الصلوة والسلام انما سال نجاة ابنه وهو غير عالم بكفره واشتياه
من سبق عليه القول من اهله انما يدل على ان في اهله من هو غير ناج ولا يدل على ان ابنه كنعان
لانه كان يتعامل مع ابيه على وجه النفاق ويستر عنه كفره ويظهر له الايمان فلذلك خفي حاله على
ابيه فسال اندفاع العذاب عنه ولم يعلم كفره من امتناعه عن الدخول في السفينة مع المؤمنين
وقوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء لانه لا يدل على كفره صريحا لجواز ان يكون امتناعه عن
الدخول لكراهته الاحتباس في السفينة وظن ان الصعود على الجبل الشامخ يجري مجرى الركوب
في السفينة في الخلاص عن الغرق فلما راى من ابنه اظهار الايمان ولم يدر افعاله واقواله ما يعلم به
قطعا انه كافر ظن انه مؤمن فنادى ربه طالبا لما يشير ان يخلصه باي طريق كان اما بان يمكنه
من الدخول في السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل فعند ذلك اخبر الله تعالى بانه منافق وانه ليس
قوله لانك اعلمهم واعدلهم علة لكونه تعالى افضل الحاكمين في الحكم بناء على ان مناط الفضل في الحكم
هو العلم والعدل فمن كان اوفر حظا منهما كان افضل حكما ويحتمل ان يكون بناء حاكم للنسبة
بمعنى ذي الحكمة كما يبنى دارع من الدرع ولابن من اللبن وتامر من التمر ويكون المعنى انك اكثر حكمة
من بين ذوي الحكم **قوله** واصله انه ذو عمل فاسد لما حمل على ذات الابن انه عمل كان التركيب
من قبيل رجل عدل في توصيف الذات بالمعنى المصدري للمبالغة فاحتيج الى توجيهه بتقدير ذو
ونظيره قول الخنساء اخت صخر تصف ناقة هلك ولدها ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي
اقبال وادبار اي ذات اقبال وادبار جعلها من كثرة اقبالها وادبارها كانها نفس الاقبال والادبار
قوله ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما بمعنى لما كان الاصل في تعليل

ترتعي مغفلة على الحبس
وندبة عنه ...

قوله انه ليس من اهلك يعني انه عمل فاسد فلا يكون من اهل من صلح عمله للاشارة الى ان
احد الا يكون من اهل الآخر الا اذا وافقه دينا وعملا وان القرابة النسبية بينهما لا تكفي في كونه
من اهل الآخر فانها لا تعتبر اذا اختلفا دينا وعملا ولما كانت علة عدم كون ابنه من اهله كون
ابنه ذا عمل فاسد وحذفت كلمة ذو للمبالغة في ذم ابنه اورد غير صالح بدل فاسد تصريحا
بالمنافاة بين وصف من كان من اهل نوح وبين وصف ابنه فان وصف اهل نوح كونه
ذا عمل صالح ووصف ابنه كونه ذا عمل غير صالح فلما نفى عن ابن نوح كونه من اهله بالمنافاة
بين عمليهما كان المناسب ان يستدل عليه بان عمل ابنه غير صالح ومن المعلوم ان عمل اهله صالح
وتنافي الوصفين يدل على تنافي الموصوفين فعلم ان ابنه ليس من اهله قوله وانتفاء المجرور
بالعطف على المناقضة اي وتصريحا بانتفاء ما يوجب النجاة لمن نجا من اهله وهو
وصف الصلاح عن ابنه حيث كان ذا عمل غير صالح وفساد العمل وان استلزم كونه غير
صالح الا ان التصريح بالمقصود اولى واقرب الى الفهم قوله وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير
صالح على صيغة الفعل الماضي وغير منصوبا على انه نعت لمصدر محذوف والمعنى ان ابنك عمل عملا
غير صالح يعني اشرك وكذب وقرأ الباقون على صورة الاسم المنون المرفوع على انه خبر
ان وغير مرفوعا على انه صفة للمرفوع قوله وانما سمى نداءه سؤالا يعني ان المنهي عنه
بقوله فلا تسألن هو الطلب المدلول عليه بقوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك
الحق فان هذا النداء ان كان قبل غرق ابنه يكون المقصود منه طلب انجاز وعده
بنجاة ابنه وان كان بعد غرقه يكون المقصود طلب بيان المانع للانجاز في حقه فلما
كان المقصود منه على التقديرين الطلب قال له فلا تسألن اي لا تطلب مني ما لا تعلم انه
صواب ام لا سمى نداءه سؤالا او طلبا قوله وانما سماه جهلا لان استثناء من سبق
عليه القول من اهله قد دل على ان ابنه ممن سبق عليه القول واستوجب العذاب فانه
لما قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول كان عليه ان يوطن
نفسه على انه من اهله من يستوجب العذاب لكونه ذا عمل غير صالح وان يعلم بالفراسة
ان ذلك هو ابنه الذي امتنع عن ركوب السفينة مع المؤمنين والتجأ الى الاعتصام بالجبل
طمعا في الخلاص عن العذاب المعد للظالمين وان لا يشتبه عليه ما لا يشتبه على العقلاء
المستبصرين فعوتب عليه لعدم استقصائه في تعرف حال ابنه من الكفر والنفاق بان
سماه جاهلا لا اثما وقد عمل عمل الجهال حيث دعا ربه بقوله رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا ثم طلب منه نجاة كافر من جملة الكفرة قوله وقرأ ابن كثير فلا تسألن
بفتح

جواب عما يقال ان اثبات النجاة للعمل ونفي الصلاح عنه مثلا زمان فلم اوثر الثاني على الاول مع انه احصر وتقرير الجواب ان الصلاح صفة اهل نوح وكان نفي عنه كونه من اهله نفي عنه ايضا حتى اذا علم ان عدم صفتهم كان سببا لهلاكه علم منه صريحا ان صفتهم هي التي كانت سبب نجاتهم لا كونهم من اهل نوح وعبارة الفساد وان دلت على هذا المعنى ضمنا الا ان التصريح بالمقصود اولى واقرب الى الفهم سلمه

بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة ولم يجعل الفعل متصلا بياء المتكلم بل اكده بنون
التأكيد الثقيلة وقرأ نافع برواية قالون وابن عامر فلا تسألن بفتح وتشديد النون
المكسورة من غير اثبات الياء بعدها وبرواية ورش عن نافع فلا تسألني باثبات
الياء بعد النون المشددة حال الوصل والباقون باسكان اللام وكسر النون وتخفيفها
باثبات الياء وصلا لابي عمرو ويحذفون الياء في الحالين للكوفيين فمن خفف النون
جعلها نون الوقاية ومن شددها جعلها نون التأكيد ثم انه تعالى لما قال له فلا تسألني
ما ليس لك به علم قال عليه الصلوة والسلام عند ذلك قبلت يا رب هذا التكليف ولا اعود
اليه الا اني لا اقدر على الاحتراز عنه الا باعانتك وهدايتك فلهذا ابتدأ اولا بقوله اني اعوذ
بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم وان اعود الى مثله ابدا ثم اشتغل بالاستغفار
لما مضى فقال والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وحقيقة التوبة تقتضي امرين احدهما
العزم على ترك الفعل في المستقبل والى الاشارة بقوله اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم و
ثانيهما الندم والاستغفار لما مضى والى الاشارة بقوله والا تغفر لي الآية قوله انزل
من السفينة مسلما من المكاره اشارة الى ان قوله بسلام حال من فاعل اهبط بمعنى انزل
اي انزل ملتبسا بسلامة من الآفات او مسلما عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وهو
الثناء الحسن والذكر الجميل امره الله بان ينزل من السفينة ثم وعده عند الخروج منها
بالسلام والتحية والسلامة من الآفات اولا ثم بالبركة ثانيا والبركات الخيرات النامية
ومن عطف على قوله بسلام فيكون مثله في الاعراب فانه عليه الصلوة والسلام لما خرج من
السفينة وعلم انه ليس في الارض مما ينتفع به من الحيوان والنبات صار كالخائف في انه
كيف يعيش وكيف يظفر بجميع ما يحتاج اليه في بقاء نفسه من المأكول والملبوس والمشروب
فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات
وذلك لا يكون الا بسعة الرزق وتواتر الخيرات والبركات وقيل المراد بالبركات الموعودة
له عليه الصلوة والسلام كونه ابا من جاء بعده من البشر الى يوم القيمة كما قال تعالى وجعلنا
ذريته هم الباقين فانه قد روي انه عليه الصلوة والسلام لما خرج من السفينة مات من
كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته حتى صار عليه الصلوة والسلام
ابا ثانيا من حيث ان من كان على وجه الارض من البشر انما تولد منه ومن اولاده فهذا
هو البركات الموعودة له عليه الصلوة والسلام قوله وعلى امم ممن معك على ان تكون كلمة
من في قوله ممن معك لبيان الجنس فان مصداق كونها بيانية صحة وضع الذي مكانها وجعل

قوله وبركات عليك الخ اختصاص عليك من كلامهم له وعندي هو بركات صفة له والمعطوف وقوله قيد للكلام المعطوف والمعطوف عليه فكانه قيل سلام وبركات ثابتة عليك و... تأخير المعطوف عن القيد الاول في النظم تقدير مثله في المعطوف واما القيد الثاني ثابت عليه تقدير لاحدها مثله ويجوز ان يكون ... ذا لا دال على الثاني فيه تقديره للاول على المذهب البصريين سلمه

قوله طلب المغفرة والرحمة بالكناية ابلغ في ... اغتنم ... ان يقال اللهم ... سلمه

من معه في السفينة اما لان الامة اسم للجماعة وكان من معه نوح جماعات متحزبين اولان
كل واحد منهم سيتفرع ان جماعة في المآل بحسب تولد الاولاد الكثيرة قوله او على امم ناشئة
ممن معك على ان تكون كلمة من لابتداء الغاية فالمراد بالامم ح المؤمنون المتوالدون منهم الى
اخر الدهر قوله اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا على ان تكون امم مرفوعا بالابتداء وسنمتعهم
صفته والخبر محذوف لدلالة قوله ممن معك عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم
مؤمنين ينشاؤن ممن معك وممن معك امم ممتعون في الدنيا منقلبون الى النار ويجوز
ان تكون امم مبتدأ وسنمتعهم خبره ومسوغ الابتداء بالنكرة كون المبتدأ مخصصا بالوصف
التقديري اذ التقدير وامم منهم اي ممن معك سنمتعهم ثم انه تعالى لما ذكر قصة نوح عليه الصلوة و
السلام على الوجه المذكور قال تلك القصة بعض انباء الغيب نوحيها اليك مجهولة عندك وعند
قومك من قبل هذا العلم الذي انزل اليك بالوحي او من قبل هذا الوقت او من قبل ايحائنا اليك فاذا
ثبت عندك ان نوحا تشمر على دعوة قومه وتبليغ الرسالة اليهم وصبر على اذى قومه
ولم يعجز عن تحمل مشاق الرسالة فاصبر انت ايضا على ما اصابك في تبليغ الرسالة واذية قومك
كما صبر نوح على اذى قومه حتى تفوز بما فاز به نوح وقومه في الدنيا والاخرة قوله عطف على قوله
نوحا الى قومه يريد ان المنصوب عطف على المنصوب والمجرور على المجرور كانه قيل ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه وهودا الى عاد فان قيل عاد قبيلة من العرب بناحية اليمن وهود علم شخص معين
والشخص الواحد كيف يكون اخا للقبيلة قلنا ليس المراد بالاخوة ههنا انتساب شخصين
الى صلب واحد او رحم واحد او الى صلب ورحم بل المراد بها انه واحد منهم كما يقال يا اخا
تميم ويا اخا قريش لرجل منهم وهود عليه الصلوة والسلام وان لم يكن اخا لعاد في الدين الا انه
كان واحدا من قبيلة عاد كما ان صالحا كان واحدا من قبيلة ثمود وغيره صفة لاله ومن
رفعه حمله على المحل ومن قرأه مجرورا حمله على اللفظ ثم لما ارسله الله تعالى الى عاد دعاهم
الى تخصيص العبادة بالله تعالى وان يتركوا عبادة آلهتهم اجابوه بقولهم ما نحن بتاركي آلهتنا
عن قولك قوله ثم توسلوا اليها بالتوبة عن اشراك الاوثان به تعالى في استحقاق العبادة لما
كانت مغفرة الكفر والذنوب المكتسبة فيه بسبب الايمان الذي يجب ما قبله منوطة بالتوبة عن
الكفر وعبادة غير الله تعالى وكانت التوبة وسيلة الى المغفرة الحاصلة بالايمان فسر المص قوله تعالى ثم
توبوا اليه بقوله ثم توسلوا اليها بالتوبة ومن المعلوم ان ما يتوسل به الى الشيء متقدم على ذلك الشيء
في الحصول فيكون التوبة بهذا التفسير متقدمة على المغفرة الحاصلة بالايمان فينبغي ان تكون كلمة ثم في
قوله تعالى ثم توبوا اليه للتراخي في البيان فان المغفرة مطلوبة بالذات فلذلك امرهم بطلبها ثم بين

بين ما يتوقف عليه ذلك المطلوب فقال ثم توبوا اليه للاشارة الى ان التوبة والتبري عن عبادة
غير الله متأخر بالذات والرتبة عن المغفرة الحاصلة بالايمان به تعالى وتوحيده والرغبة فيما عنده فان
ما يتوسل به الى الشيء وان كان مقدما عليه في الحصول الا انه لما كان مقصودا لاجل ذلك الشيء كان
متأخرا عنه في الرتبة فكلمة ثم في قوله ثم توبوا اليه للتراخي في بيان كون التوبة متأخرة عن المغفرة
بالرتبة لكونها مقصودة بالغرض وقد اشار المص في اول السورة الى وجه اخر لايراد كلمة ثم فيه
وهو ان تكون كلمة ثم على اصل معناها بان تكون التوبة التي هي الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل
الى المطلوب بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب ولا شك ان التوبة بمعنى الوصول الى ما عند
الله تعالى من الكرامة متأخرة عن الاستغفار عن الشرك قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا
مجزوم على انه جواب للامر جعل الاستغفار والتوبة سببا لتتابع الامطار وكثرة النعم
والازواج وازدياد قوتهم بكثرة الاموال والاولاد على ما حصل لهم اليوم من ذلك وكانوا
في قوة شديدة فوعدهم الزيادة على ذلك لان الشكر على النعمة يربط العتيد ويجلب المزيد
قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد رغبهم في كثرة الامطار وتقوية
على القوة ووعدهم ذلك على الاستغفار والتوبة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
طوالا حراصا على ازديادها ونضاعفها فوعدوا على ما حرصوا عليه بشرط الايمان والصالح
قوله كثير الدر فان المدرار من ابنية المبالغة من الدر وهو الخير ويستعمل في الصب يقال سحاب
مدرار وغيث مدرار اذا تتابع القطر ومدرارا حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا للمبالغة
يستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور ولان المراد بالسماء السحاب او المطر فذكر حملا على المعنى يقال
سحاب مدرار وغيث مدرار اذا تتابع منه القطر قوله صادرين عن قولك حال من الفاعل
خطب الدين ان كلمة عن في قوله عن قولك على قياس ما سلف في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها
للسببية وما نحن بتاركي آلهتنا بسبب قولك حقيقته ما يصدر تركنا آلهتنا عن قولك
وعلى هذا يكون عن قولك متعلقا بالحال من الاعراب ومحله حال لا جمله مستقرا وقدر صادرين
عن قولك فصادرين اما من صدر يصدر صدرا بمعنى رفع ودفع او من صدر يصدر صدرا بمعنى رجع
والاول باطل لانهم ليسوا بمدفوعين عن القول وكذا الثاني لان الرجوع عن القول لا يتصور
الا اذا كانوا قائلين له ولم يكونوا كذلك اصلا والصواب مصدرين من الصدر عن قولك الى هنا
كلامه وحاصل جواب قوم هود له انك ما جئت بحجة تدل على صحة دعواك ولم يبق الا مجرد قولك
يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وما نحن بتاركي آلهتنا بمجرد قولك قوله ما نقول الا قولنا
اعتراك بين ان كلمة ان في قوله ان نقول نافية واعتراك مفعول القول والاستثناء مفرغ

ناصية مقدم شعر الرأس وفي الاصل اسم منبته والعرب اذا ارادوا التمثيل بغاية الذل يقولون ناصية فلان بيد فلان اي جعلها
... وجعل مثله تمثيلا ابلغ من جعله كناية لما فيه من تشبيه الهيئة بالهيئة دونها
سـ ـان

والتقدير ما نقول في شي الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بجنون لسبك
اياها وصدك عنها قوله والا لغو ليست بعامل لان المستثنى المفرغ معرب على حسب
العامل قوله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء يعني ان هودا عليه الصلوة والسلام لما سمع قول
قومه ان آلهتنا اضرت بك وسلبوا عقلك لسبك اياهم وصدك عن عبادتهم اجابهم بان اشهد
الله على برائته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لانكاره بالوهيتهم وتثبيتا له ثم
نفي عنهم الاضرار بقوله فكيدوني ثم لا تنظرون اجابهم بالبراءة عن آلهتهم وقابلهم بعدم
المبالاة بهم بالهتهم ثقة بالله واكد البراءة وقررها بشهادة الله وشهادة العبادة
على مجرى العادة وبالغ في ذلك بان قال اني اشهد الله وخالف بين اشهاد الله واشهادهم
بان بت في الاول واكد اضبار تحقيقا للتوحيد وعدل عن الخبر الى الامر في الثاني فقلته
مبالاة بهم وزاد على ذلك بان امرهم بالاجتماع على الكيد في اهلاكه وعدم الانظار و
التوقف في امره اي اجتمعوا واحتالوا انتم واصنامكم في عداوتي وقصد اهلاكي ثم لا
تمهلوني فان قوله جميعا حال من فاعل كيدوني وكلمة ما في قوله مما تشركون موصولة بحذف
العائد اي مما تشركونه ومن دونه حال من فاعل تشركون اي تشركونه مجاوزين الله
وحكمه في امر التوحيد قوله وهذا من اي يقبل عليه الصلوة والسلام على قومه مع كثرة عددهم
فيقول لهم احتالوا انتم واوثانكم جميعا على عداوتي وقصد اهلاكي ولا تمهلوني من اعظم
معجزات الانبياء من العاتك الجري الفاتل والجمع الفاتك والفتك ان يأتي الرجل صاحبه
وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله بهذا الكلام حال من فاعل المواجهة اي مواجهة الواحد
اياهم ملقيا بهذا الكلام قوله وتثبطهم بالنصب عطف على قوله مواجهة الواحد والتثبط
عن الامر الاعراض والاشتغال عنه والكلاءة الحفظ فان قيل قوله واشهدوا
انشاء طلبية فكيف عطف على قوله اشهد الله وهو جملة خبرية ولا يجوز عطف الانشاء
على الخبر قلنا الجملة الثانية وان كانت على صورة الطلبية الا انها خبرية معنى لان
اشهاد الله اشهاد حقيقة جيء به ليؤكد به ما ذكره من البراءة عن شركهم بخلاف
بخلاف اشهاده عليه الصلوة والسلام اياهم على البراءة فانه ليس اشهادا حقيقة اذ لا
يقول احد لمن يعاديه اشهدك على اني بري منك ومن معتقدك بل هو عبارة عن عدم
المبالاة بهم والاستهانة بمخالفتهم فلما اختلف الاشهادان في المعنى خولف بينهما في
الصيغة فجيء بصيغة الامر وان كان المراد بها الخبر لان الجملتين المتعاطفتين اذا اختلفتا
خبرا وطلبا لا بد ان يقدر الطلب بالخبر او بالعكس قوله والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك
اي

اي استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته تعالى فيهم فان الناصية هي منبت الشعر في مقدم الرأس
ويسمى بها الشعر النابت هناك ايضا تسمية له باسم منبته والاخذ بناصية الانسان عبارة
عن قهره والغلبة عليه وكونه في قبضة الآخذ بحيث يقدر على التصرف فيه كيف شاء لان
كل من اخذت بناصيته فقد غلبت عليه وقهرته فكان اخذ الله تعالى بناصية خلقه استعارة تمثيلية
لكونه قادرا على التصرف فيهم كيف شاء قوله تعالى ان ربي على صراط مستقيم استيناف لبيان
ما يوجب التوكل عليه والمعنى انه تعالى مع كونه قادرا على الخلائق ليس الا على الحق والعدل لا يظلمهم
ولا يعاقبهم بقدرته عليهم الا ما تقتضيه الحكمة ووقوعهم قوله فلا يفوته عنده معتصم ولا
يفوته ظالم قوله وان تولوا تعذر اي لا يعاتبني بتوليكم ويتخلق بناء اعذرته فيما صنع
اعذره عذرا اي رضيت بما صنع ولم الم به قوله استيناف بالوعيد لهم فان عامة القراء
رفع يستخلف استينافا وقال ابو البقاء هو مرفوع بالعطف على الجواب المقترن بالفاء وقرئ
بالجزم ايضا عطفا على الجواب المذكور لان محله الجزم والمعنى ان تولوا يهلككم الله تعالى ويستبدل
قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وقراءة العامة ولا تضرونه بالنون لانه مرفوع معطوف
على يستخلف ومن جزم يستخلف سقط النون منه لكونه معطوفا على المجزوم وشيئا منصوب على المصدرية
اي لا تضرونه شيئا من الضرر بتوليكم واعراضكم انما تضرون انفسكم قوله او حافظ مستول عليه على
تقدير ان يكون قوله ان ربي على كل شيء حفيظ علة لقوله ولا تضرونه شيئا وما قبله على تقدير ان يكون علة
لقوله ويستخلف ربي قوما غيركم قوله تكرير اي ليس المراد بالنجاة الثانية ما يغاير الاولى بالذات وانما
يغايرها بالاعتبار يعني الله تعالى اولا انه احسن اليهم بمنن الانجاء ثم بين ان ما نجاهم عنه عذاب غليظ
وانما احسن اليهم بمثل هذا الاحسان ويجوز ان يكون المراد بالنجاة الاولى النجاة من عذاب الدنيا
وبالثانية النجاة من عذاب الاخرة فحينئذ يكون معنى قوله ونجيناهم وحكمنا بانهم لا يستحقون عذاب
يوم القيمة والمراد بالسموم ما نزل بهم من الريح العقيم التي عذبهم الله تعالى بها سبع ليال وثمانية ايام
تدخل في مناخرهم وتخرج من ادبارهم وتضرب بهم على الارض على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل
خاوية وقيل المراد بالرحمة ما هداهم اليه من الايمان وقيل المراد به لا ينجو احد وان اجتهد في الايمان
والعمل الصالح الا برحمته وقصتهم ان عادا انتشروا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم
اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا عليه الصلوة والسلام نبيا و
كان اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلث
سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت وسألوا الله الفرج وطلبوا من
الله تعالى الفرج فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا ورئيسهم قيل بن عنز فدخلوا مكة

فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشاء الله تعالى ثلاث سحابات بيضاء وحمراء
وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك منها ما شئت فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض
ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله
تعالى فيها حتى ماتوا رحمهم الله تعالى ثم انه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد عليه الصلوة
والسلام فقال والى ثمود اخاهم صالحا ... اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه تعالى قال سيروا في الارض
فانظروا اليها واعتبروا او اشارة الى نفس القبيلة الجامعة للاوصاف الثلث المذكورة
جحودهم بدلالة المعجزات على الصدق وعصيانهم الرسل واتباع الرؤساء الجبابرة المعاندين
قوله لا غير والحصر مستفاد من تقديم الفاعل المعنوي فان قوله تعالى هو انشأكم من قبيل
قولك انا قمت في انه يجوز ان يقدر ان اصله انشأكم هو فيكون هو فاعلا في المعنى وان كان
تاكيدا في اللفظ للفاعل المستتر وقوله كونكم منها اشارة الى ان من في قوله من الارض لابتداء
الغاية بمعنى ابتداء انشائكم منها والخطاب مبني على تغليب الحاضرين على الغائبين من نوع
البشر فان مادة الجميع هو التراب لما ذكره من قوله فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق
نسله منها من التراب من الدم المتولد من الاغذية المتولدة من التراب اذ لا خفاء في
ان الاغذية النباتية متولدة من الارض والاغذية الحيوانية لابدان تنتهي الى الاغذية
النباتية المتولدة من الارض فثبت انه تعالى انشأ نوع البشر بجميع افرادها من الارض
قوله عمركم فيها واستبقاكم على ان بناء استعمركم للتعدية فان بناء استفعل يجيء احيانا
للتعدية كاستنزله واستهلكه بمعنى ازله واهلكه يقال عمر الرجل يعمر عمرا اي عاش زمانا طويلا
وهو من باب علم الا ان مصدره عمر بفتح العين وسكون الميم واستعمره الله اي اطال بقاءه ونظيره
بقي الرجل واستبقاه الله تعالى اي ابقاه وقولهم عمرت الخراب اعمره عمارة من باب نصر واستعمركم
في الآية يجوز ان يكون من العمارة من العمر كما قال او اقدركم على عمارتها وامركم بها على ان استعمار
طلب العمارة لا بمعنى التعمير والطلب المسند الى الله تعالى يحمل على الامر الايجاب والاقدار على
العمارة مدلول التزامي للامر بها وايجابها وقيل استعمركم في الآية ليس من العمر ولا من العمارة
بل هو من العمري وهو جعل الدار لغيره مدة عمره ذلك الغير بشرط ان ترد الدار الى الواهب اذا
مات المعمر فيكون استعمركم بمعنى اعمركم كما يكون استهلكه بمعنى اهلكه فالمعنى اعمركم فيها دياركم
ثم هو يرثها منكم عند انقضاء اعماركم ويجوز ان يكون المعنى على تقدير كونه من العمري انه تعالى
جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها
عمره

العمارة متنوعة الى واجب
ومندوب ومباح ومكروه
فالواجب كسد الثغور
وبناء القناطر على الانهر
وبناء المسجد والجامع في المصر
والمندوب كبناء المدارس
والرباط ... للناس
امورهم والمباح كالبيوت
التي يسكن بها ويتمكن بها
والحرام كابنية الظلمة و
غيرهم للمباهاة واسال
الله التوبة والمغفرة
منه

لنظامه

عمرت ثم بين كيفية الجوهري اعمرته دارا او ارضا او ابلا اذا اعطيته اياها وقلت هي لك
عمري او عمرك فاذا مت رجعت الي والاسم العمري والموهوب على هذا الوجه يكون للمعمر
في حال حيوته ولورثته من بعده ولا يرجع الى ملك المعمر لانه عليه الصلوة والسلام اجاز العمرى
وابطل شرط المعمر قوله موقع في الريبة او ذي ريبة يعني ان مريب اسم فاعل من اراب بمعنى
اوقعه في الريبة او من اراب الرجل بمعنى صار ذا ريبة الاول متعد والثاني لازم والشك
ان يبقى الانسان متوقفا بين النفي والاثبات والريبة قلق النفس وانتفاء الطمانينة
باليقين واسناد الارابة الى الشك باي معنى كان من المعنيين المذكورين اسناد مجازي
لان المريب بمعنى الاول هو انتفاء ما يرجح احد طرفي النسبة او تعارض الادلة لا نفس الشك
والمريب بالمعنى الثاني هو الشاك لا الشك القائم به الا انه جعل الشك ذا ريبة على طريق
قولهم جد جده قوله وحرف الشك في قوله ان كنت على بينة والحال انه عليه الصلوة والسلام
كان على يقين في انه على بينة من ربه وحجة واضحة دالة على انه محق فيما دعا اليه من
التوحيد وسائر ما ارسل به لا لكونه ليس مقطوعا به عنده بان يكون محتمل الوقوع وعدم الوقوع
عنده بل اتى بحرف الشك باعتبار حال المخاطبين فانه من قبيل كلام المنصف يستدرجهم و
يقول لهم قدروا اني على حق ثم انظروا ان عصيت ربي في تبليغ رسالته ومنعكم
عن الاشراك به فلا بد ان ينتقم الله مني فتفكروا اهل تقدرون على منع عذاب الله تعالى عني بل ما
تزيدونني غير تخسير او اهلاك فان التخسير الاهلاك ويجوز ان يكون بمعنى التفعيل هنا النسبة ويكون
المعنى فانكم تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه ان اخسركم اي غير ان انسبكم الى الخسران بقال اخسره
«قوله انكم لخاسرون»
وبدعه اذا نسبه الى الفسق والبدعة فكذا خسره اذا نسبه الى الخسران يعني ان ثمود عمروا
بلاد عاد بعد هلاكهم وخلفوهم فيها وكثروا وعمروا اعمارا طويلا لا تفي الابنية فنحتوا البيوت من
الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم
صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون فاشار سيدهم جندع بن
عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال اخرج من هذه الصخرة ناقة على خلقة الجمل كثيرة
الجوف كثيرة الوبر عشراء اي اتت عليها من يوم ارسل الفحل فيها عشرة اشهر فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فآمن به جندع في جماعة وامتنع الباقون فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء
غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج بين رجليها فيحلبون ما شاؤا

وفي هذه الناقة كانت معجزة
من وجوه احدها انه تعالى خلقها
من الصخرة وثانيها انه خلقها
في جوف الجبل ثم شق عنها
الجبل وثالثها انه تعالى خلقها
على تلك الصورة دفعة واحدة
من غير ولادة ورابعها انه
كان لها شرب يوم ولكل
قوم شرب يوم آخر و
خامسها انه كان يحصل
منها لبن كثير يكفي الخلق
العظيم وكل واحد من هذه
الوجوه معجز قوي الا انه
تعالى اجمل في القرآن وجعل
نفس الناقة آية ثم قال
فذروها تاكل في ارض الله
المراد انه تعالى رفع عن القوم
الخ منه

حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون ثم مال عليه الصلوة والسلام فذروها تأكل في ارض الله
يعني انه لما رفع عن القوم مؤنتها فصارت مع كونها آية لهم تنفعهم ولا تضرهم ثم انه عليه الصلوة
والسلام لما خاف عليها من جهتهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر احتاط في حقها فقال و
لا تمسوها بسوء فان مسها بسوء يستتبع عذابا عاجلا وقد كان في المدينة تسعة رهط يفسدون
في الارض ولا يصلحون منهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وكانت في تلك المدينة امراة
جميلة غنية وكانت تتأذى بالناقة لاجل سائمتها فان الناقة كانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم خاصة
على تلك المراة لانها كانت اكثرهم ماشية فقالت من عقر الناقة ازوج نفسي منه فخرج قدار بن
سالف ومصدع بن دهر فكمن له مصدع في مضيق من ممرها ورماها بسهم فاصاب رجلها فمرت
بقدار وهي تجر رجلها فضربها بالسيف فعقرها فقتلوها وقسموا لحمها على جميع القرية وكان في القرية
تسعمائة اهل بيت ويقال الف وخمسمائة فذلك قوله فعقروها قوله لتنكيرها علة لتقدمها
على ذي الحال فان ذا الحال اذا كان نكرة وجب تقديم الحال عليه كقوله لعزة موحشا طلل قديم لانها لو
تأخرت عن تلك النكرة لكانت صفة لها فلما قدم عليها انتصب حالا لامتناع تقدم الصفة على
الموصوف والعامل في آية اما ما في التنبيه او اسم الاشارة لتضمنهما معنى الفعل وقد تقرر ان
عامل الحال اما فعل او شبهه او معناه قوله غير مكذوب فيه اوله لعدم امكان حمله على ظاهره
لانه ليس من شان الوعد ان يكون مكذوبا لان المصدوق والمكذوب من كان مخاطبا بالكلام
المطابق للواقع وغير المطابق له فلا يوصف بهما الا الانسان الصالح للخطاب فلذلك
جعل اصل الكلام وعد غير مكذوب فيه فحذف حرف الجر فانتصل الضمير المجرور بالاسم المفعول
باقامته مقام المفعول به توسعا كما في قوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي شهدنا فيه فاجري
الظرف مجرى المفعول به ويحتمل ان لا يكون من قبيل الاتساع بل يجعل من قبيل الاستعارة المكنية
بان شبه الوعد بالمخاطب فيوصف بانه غير مكذوب تخييلا والاتساع في الظرف قد يكون بان ينصب
نصب المفعول به من غير ان يقدر كلمة في كقوله ويوم شهدناه اي شهدنا فيه فانه جعل اليوم مشهودا
على الاتساع وهو مشهود فيه وقد يكون بان يضاف اليه الفعل على طريق اضافته الى المفعول به
بان يكون الاضافة بمعنى اللام لا بمعنى في كما في ضرب اليوم ومكر الليل ذهب اليه النحاة في مثله
قوله او وعد غير مكذوب اي غير كذب يعني ان كلا واحد من الوجهين السابقين مبني على ان يكون
المكذوب اسم مفعول بمعنى من خوطب بكلام كاذب ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الكذب كالمجلود
والمعقول فانهما مصدران بمعنى العقل والجلد الذي هو الصلابة والجلادة قوله اي نجيناهم
من

تشبيه سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها

اي صوته

ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها ابو السعود

٢٠٦

من خزي يومئذ يعني ان قوله ومن خزي متعلق بمحذوف معطوف على نجينا كرر لبيان ما نجاهم
عنه وهو هلاكهم يوم الصيحة اذ جاء امرنا فان اذ مضاف الى جملة محذوفة عوض عنها
التنوين او هو الذل والهوان الذي ينزل بهم في ذلك اليوم ولزمهم بحيث بقي ما لحقهم من العار
بسبب ما نزل عنهم ونسبوا اليهم الى يوم القيمة فان معنى الخزي العيب الذي يظهر فضيحته ويستحيى
من مثله ويحتمل ان يكون يومئذ بمعنى يوم يقوم الناس لرب العالمين ويوم القيمة وان لم يتقدم
ذكره حتى يكون التنوين عوضا عنه الا انه في حكم المذكور لانسياق الذهن اليه عند ذكر الخزي
والفضيحة وقرئ يومئذ بفتح الميم على انها حركة بناء اكتساء المضاف من المضاف اليه و
هو قوله اذ فانه مبني غير متمكن وتنوينه تنوين العوض والاضافة الى غير المتمكن من اسباب
البناء كقولهم على حين عاتبت المشيب على الصبى فان المضاف كما يكتسب التعريف والتنكير
من المضاف اليه فكذا يكتسب منه البناء وقرأ الباقون بكسر الميم لاضافة الخزي اليه قوله الصيحة
فعلة بنت للمرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال صاح يصيح صياحا اي صوت
بقوة عن ابن عباس قال لما امهلهم صالح ثلثة ايام قالوا وما علامة ذلك قال ان تصبحوا في
اليوم الاول وجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم يأتيكم العذاب
في اليوم الرابع فكان كما قال قيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت فلما راى قومه تلك العلامات
قصدوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين فلما كان ضحوة اليوم الرابع تكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فان قيل كيف يعقل ان تظهر هذه العلامات مطابقة
لقول صالح ثم يبقون مصرين على الكفر اجيب بان الامارات ما دامت غير بالغة الى حد يوجب
اليقين لم يمتنع بقاؤهم على الكفر فاذا بلغت الى حد يوجب القطع واليقين فقد انتهى الامر
الى حد الالجاء والقسر فلا يقبل الايمان في ذلك الوقت قوله جاثمين اي خامدين ميتين لا
يتحركون وجثومهم سقوطهم على وجوههم وقيل الجثوم السكون يقال للطير اذا باتت في اوكارها
جثمت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الاموات قوله كان لم يغنوا فيها اي
كانهم لم يوجدوا ولم يقيموا فيها والمغنى المنزل والمقام الذي يقيم الحي به يقال غني الرجل
بمكان كذا اذا اقام فيه وغني اي عاش ومن منع صرف ثمود جعله اسما للقبيلة فمنع صرفه
للتانيث والعلمية ومن صرفه جعله اسما للحي او للاب الاكبر ثم انه تعالى لما فرغ عن قصة
ثمود ذكر بعدها قصة رابعة فقال ولقد جاءت رسلنا ابرهيم واتى فيها بكلمة قد لان السامع
متى سمع قصصا متعددة يتوقع ان يذكر بعدها قصة اخرى وقد حرف التوقع فلذلك صدرت
القصة بها ودخلت اللام في لقد لتاكيد الخبر قوله سلمنا عليك سلاما على ان يكون سلاما
او نسلم عليك سلاما الخ

يعني ان تلك الجملة وان لم يكن يدل لفظا عليها ولا لفظ يدل عليها لكن لها دلالة معنوية باقي الذهن اليها عند ذكر الخزي والفضيحة سلمه

في نظم الآية منصوبا على انه مصدر لفعل محذوف وذكر الفعل مع فاعله في محل النصب بالقول فلما
حذف الفعل انجم المصدر مقامه قوله اي امركم سلام الخ على ان سلام خبر مبتدا محذوف وان
جعل بتقديره وعليكم سلام يكون سلام مبتدا محذوف الخبر فالملائكة سلموا عليه بالجملة الفعلية
الدالة على التجدد والحدوث ورد السلام عليهم سلام بالجملة الاسمية الدالة على الدوام و
الثبات ليكون تحيته اياهم احسن من تحيتهم اياه والسلم بكسر السين وسكون اللام لغة في
سلام كالحرم والحرام والحل والحلال وقيل السلم بالكسر ضد الحرب وناسب ذلك المقام لانهم
لما امتنعوا من تناول طعامه فنكرهم واوجس منهم خيفة قال لهم انا سلم اي مسالم لكم غير محارب
فلم تمتنعون من تناول طعامي وهذا وجه بعيد لانه يقتضي ان يكون تكلم ابراهيم بهذا اللفظ
بعد احضار الطعام والقرآن يدل على ان هذا الكلام واقع منه قبل احضار الطعام لانه تعالى
قال قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ بفاء التعقيب فدل على ان مجيئه بالعجل
الحنيذ بعد السلام قوله فما ابطأ مجيئه به على ان كلمة ما نافية وان فاعل لبث هو قوله ان جاء
وان فاعل جاء ضمير ابراهيم قوله او فما ابطأ في المجيء به على ان ما ايضا نافية وفاعل لبث ضمير
ابراهيم الا ان قوله ان جاء في محل الجر على تقدير فما لبث في المجيء به او فما تأخر عن المجيء به والحنيذ
الحجارة المحماة والحنيذ هو المشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة فان اهل البادية يشوون
اللحم في الاخاديد بالحجارة المحماة وقيل الحنيذ هو الذي يقطر دسمه من قولهم حنذت الفرس
اذا القيت عليه الجل وحبسته في الشمس حتى يقطر عرقا قوله انكرهم منهم يعني ان نكر بمعنى انكر يقال
نكره وانكره واستنكره بمعنى واحد وهو عدم المعرفة والمعنى انه لم يعرف حالهم وانهم لم امتنعوا
من تناول طعامه وكانت العادة في ذلك الزمان ان من اتاهم ليلا اذا لم يتناول من طعامهم
امنوه والا خافوا منه فلما رأى ايديهم لا تصل الى طعامه خاف منهم ان يريدوا به مكروها و
الايجاس الادراك فان الواجس هو الهاجس الذي يخطر القلب يقال اوجس في نفسه كذا
اي اخطرها فيكون اوجس بمعنى ادرك واخطر واستشعر قوله وامرأته قائمة قيل كانت
قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم قوله او باصابة رأيها
قيل ان سارة قالت لابراهيم ارسل الى ابن اخيك لوط وضمه اليك فان الله تعالى لا يترك قومه حتى
يعذبهم فعند تمام هذا الكلام دخلت الملائكة على ابراهيم فاخبروه بانهم جاؤا لاهلاك قوم
لوط فوافق قولهم قولها فلذلك ضحكت لشدة سرورها بحصول الموافقة بين كلامها وبين كلام
الملائكة وعن السدي انه قال لما قال ابراهيم لهم الا تأكلون قالوا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال
ثمنه ان تذكروا الله على اوله وتحمدوه على آخره فقال جبريل لميكائيل حق لمثل هذا ان يتخذه

٢٠٧

ربه خليلا فضحكت امرأته سارة فرحا منها بهذا الكلام وعن مجاهد وعكرمة انهما قالا ضحكت
ههنا بمعنى حاضت يقال ضحكت الارنب اي حاضت ومن مجيء الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر
وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم يعد حقا ثديها ان تحلما يعني ان وصلني بسلمى وقت ما حدث
لها الحيض في ابتداء بلوغها داخلة في جملة نساء لبابة اي خالصة عما يكدر الوانهن وابدانهن
من نوائب الزمان لباب كل شيء خالصه عما يكدره ومنه سميت المرأة لبابة والحلمة رأس الثدي و
هما حلمتان والسمرة شجرة يسيل منها صمغ يشبه الدم غير بعيد ان يكون ضحكت في الآية بمعنى حاضت
لان انكارها الولادة وعدها عجبا حيث قالت أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب
بائن عن كونه بمعنى حاضت فانها لو حاضت قبل ان بشرت بالولادة لا تتعجب اذ لا عجب في حمل
من تحيض فان العادة قد جرت على ان كل من تحيض يصح منها ان تلد ولا تعجب من ولادتها ويؤيد
كون الضحك في الآية بمعنى الحيض انه قرئ فضحكت بفتح الحاء فان ضحكت بفتح الحاء تختص بالحيض ويدل
على ان ابا البقاء استشهد على ان ضحكت في الآية بمعنى حاضت بقوله يقال ضحكت الارنب بفتح الحاء
اي حاضت قوله نصب ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام يعني انهم جعلوا الفتحة
الباء في يعقوب علامة نصب وجعلوا الاسم منصوبا بفعل مقدر دل عليه قوله فبشرناها باسحق
والتقدير ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب فان البشارة بالمولود يتضمن هبته وتدل عليها فيكون
من قبيل عطف الجملة على الجملة ولا يكون يعقوب مبشرا به حينئذ اخبر اولا بتبشير اسحق ثم اخبر بهبة
يعقوب اياه وقيل في وجه نصبه انه معطوف على محل باسحق لانه في محل النصب على انه مفعول به غير
الصريح لبشرناها كقوله وارجلكم بالنصب عطفا على محل برؤسكم وقيل فتحة يعقوب علامة
الجر لانه غير منصرف للعجمة والعلمية ومعطوف على لفظ اسحق عطف مفرد على مفرد والمعنى
انا بشرتها بهما ومن المعلوم ان جر غير المنصرف يكون بالفتحة ورد كونه مجرورا بالعطف على
لفظ اسحق بان حرف العطف نائب مناب العامل هو الباء الجارة فكما لا يجوز الفصل بين الجار
والمجرور كذلك لا يجوز الفصل بين حرف العطف النائب عن الجار وبين المجرور المعطوف على
المجرور بذلك الجار فلا يجوز الفصل بين العاطف وبين يعقوب بالظرف وهو قوله من وراء وقرأ
الباقون ويعقوب بالرفع على انه مبتدأ والظرف السابق مع متعلقه خبره والتقدير ويعقوب مولود
من بعده على ان يكون قوله ومن وراء اسحق بمعنى ومن بعده ويكون الجملة الاسمية في محل النصب
على انها حال من اسحق فيكون كل واحد من اسحق ويعقوب مبشرا به اي فبشرناها باسحق متصلا
به يعقوب بان يولد بعد اسحق على انه فاعله قوله وعلى هذا اي على كون وراء بمعنى ولد الولد لا يصح
الاخبار عن يعقوب بانه من وراء اسحق ضرورة انه ليس ولد ولد اسحق بل هو ولد ولد ابرهيم

فلما حكم على يعقوب من اسحق بانه من وراء اسحق بمعنى انه ولده وولد ولده وجب تأويله بان يقال المراد
يكون يعقوب ولد ولد اسحق كونه ولد ولد ابرهيم من جهة اسحق وبواسطة وفيه نظر لانه تعسف ،،
ظاهر لان تسمية ابن الشخص بانه ولد ولد ذلك الشخص بعيد كل البعد لا وجه لتصحيحها اصلا قوله
والاسمان يعني ان اسمي اسحق ويعقوب يحتمل وقوعهما في البشارة بان بشرها الله تعالى بالولدين
المذكورين حال كونه تعالى سماهما بذينك الاسمين فيكون المبشر به امرين نفس الولدين وانه تعالى
سماهما بذينك الاسمين بنفسه بشرها بهما كما بشر الله تعالى زكريا بنفس يحيى وتسميته بهذا الاسم
تشريفا له حيث قال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ويحتمل انه تعالى
ذكرهما بهذين الاسمين حكاية لما اختاره فيهما الولدين في تسميتهما به قوله وتوجيه الثناء
البهامي ان الظاهر توجيه الى ابرهيم لان الولد ينسب الى ابيه وانه فيه في حق الاب وبالنسبة
اليه قوله يا عجبا اصل الويل الخزي يقال ويل لفلان اي خزي له من قطاعة ما ارتكبه بما هو
شر خارج عن حد امثاله في جنسه ثم اطلق للابدان بورود الامر العظيم الذي لم يعهد مثله شرا
كان او خيرا تعجبا من غرابته وخروجه عن حد امثاله واصل يا ويلتي فابدلت يا الاضافة
الفا دكسرة التاء فتحة لكون الالف مع الفتحة اخف من الياء مع الكسرة قوله وهو استعجاب
من حيث العادة دون القدرة لان التعجب من قدرة الله يوجب الكفر لكونه مستلزما للجهل بقدرته
تعالى بل هو استعجاب من حيث العادة كانها قالت لم تكن امرنا خلاف ما هو المعتاد بين الناس
فلذلك اجابوها منكرين عليها استعجابا من حيث العادة فقالوا اتعجبين من امر الله اي
من قدرته وقولهم رحمة الله وبركاته عليكم الكلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك
والتعجب وان كانت استعجابك من حيث العادة فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من
الله تعالى عليكم يا اهل بيت خليل الرحمن انكرت الملائكة عليهم تعجبها بقولهم اتعجبين من امر
الله لانها كانت في بيت ظهور خوارق العادات والمعجزات فكان اللائق بها ان لا تستغرب
مجيء الولد من هرمين بل كان عليها ان تشكر نعمة الله وتحمده لا تتعجب منه لاعتيادها بامثالها
فلهذا قالت الملائكة رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي انها متكاثرة عليكم وليس بما بشرت
به بكان التعجب لانه تعالى خصكم من بين الناس بامثال هذه الكرامات قوله منكرين عليها
حال من فاعل قالوا اي قالوا ذلك منكرين عليها في قولها ان هذا الشيء عجيب قوله فان
خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة اي من حيث ظهورها في بيت النبوة ليست
ببدع اشاره الى ان النداء بيا اهل بيت تنبيه على وجه كون استعجاب امثال هذه الكرامات منكرا
منها وهو كونها من اهل بيت النبوة لاسيما اذا كان النداء لقصد التخصيص فان النداء
فيه

قوله يا عجبا معنى ارادت التعجب لا اصل الويل اذ لا يناسب المقام ويؤيده قولها ان هذا لشيء عجيب وقولهم اتعجبين وعن الزجاج لم ترد الدعاء بالويل على نفسها ولكنها كلمة تخف على افواه النساء اذا طرأ عليهن ما يعجبن منه
سنان

قوله كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة شرحا هو نص في تقدير حرف النداء مع التنزيل لقصد الاختصاص لا انتفاء دلالة الابهام ايا ها وكون العصابة عبارة عادل عليه ضمير المتكلم في لنا بخلاف المثل لاحتمال كونه لحقيقة النداء كما ذكره جار الله لكن لم يرض به المصنف لخلوه عن معنى المدح المناسب للمقام
سنان

فيه تخصيص للمنادى بما يخص كقوله اللهم اغفر لنا ايتها العصابة وكذا ان كان منصوبا
على المدح فان توصيفهم ايا ها بكونها اهل بيت خليل الرحمن مدح لهم واشارة الى ان استعجاب
ما بشرت به لا يليق بشانها ثم انه تعالى بين ما هو السبب في فيضان رحمة الله تعالى وبركاته
عليهم بقوله انه حميد مجيد يعني انكم مشتغلون بما يستحق ما عليه ان يحمد فلذلك حمد الله عليكم حمدا
فعليا بان افاض عليكم انواع رحمته وبركاته ثم انه تعالى لما فرغ عن قصة ابرهيم عليه الصلوة
والسلام شرع في قصة خامسة وهي قصة لوط عليه الصلوة والسلام فقال فلما ذهب عن
ابرهيم الروع يعني الخوف والفزع الذي اصابه من عدم تناول الملائكة من طعامه يقال راعه
يروعه روعا اي افزعه واما الروع بالضم فهو القلب سمي به لكونه محل الروع ففرقوا بين
الحال والمحل بحركة الحرف الاول من اللفظ الدال عليهما وفي الحديث نفث روح القدس في
روعي قوله يجادلنا في شانهم روي في كيفية مجادلته مع الملائكة انهم لما قالوا لابرهيم انا
مهلكوا اهل هذه القرية جادلهم بان قال لهم ارايتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم
مع الظالمين من اهلها فقالوا لا قال واربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد
قالوا لا قال فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فهذه صورة
جدال ابرهيم مع الرسل في شان قوم لوط وكيفية اهلاكهم فالله تعالى مدحه في جداله هذا بقوله
ان ابرهيم لحليم اواه منيب بين به ان ما حمله على هذه المجادلة هو رقة قلبه وفرط رحمته
والحليم هو الذي لا يتعجل في مكافاة من يؤذيه ومن كان كذلك فانه يتاوه اذا شاهد من وقع
في الشدة والبلاء ويتوجع بمشاهدة عقوبة المعذبين وينيب ويرجع الى الله تعالى في تخليصه
اياهم بان طريق تقتضيه الحكمة فلذلك وصفه الله بقوله منيب قوله جيء به مضارعا مع ان
جواب لما ينبغي ان يكون ماضيا لكونها موضوعة للدلالة على وقوع امر في الماضي لوقوع غيره
فيه يقال لما جاء الصيف ارتفع البرد فاجاب عن مجيئه مضارعا بوجوه الاول انه جيء
مضارعا على حكاية الحال الماضية والثاني ان المضارع الواقع في سياق جواب لما يكون
بمعنى الماضي كان المضارع الواقع في حيز كلمة لو يكون بمعنى الماضي للفرق كلو فعلت كذا ،،
ليقال لكذا وكان الماضي الواقع في سياق الشرطية يكون بمعنى المضارع والثالث ان
جواب لما محذوف اي فلما كان كذا اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا وقوله يجادلنا ،،
جملة مستانفة جيء بها لبيان ما شرع فيه والرابع انه متعلق بالجواب المحذوف قبله
والتقدير فلما كان كذا اخذ او اقبل يجادلنا فقولنا اقبل او اخذ هو الجواب المحذوف وقوله
يجادلنا حال من فاعل اقبل حذف الجواب واقيم قيده مقامه قوله او دليل جوابه عطف

قوله يجادلنا رسلنا في شانهم يحتمل الحمل على المجاز بالحذف وعلى المجاز في الاسناد فيجادل رسلنا في بيان تخفيفه وانما حمله عليه لان اسناد فهمه المجادلة الى الرسل في سورة العنكبوت وقيل لان المجادلة مع الله تعالى جرأة عليه وسوء ادب وفيه ان حقيقة المجادلة غير مرادة بل السؤال والتكلم الابتدائي المدح عقيبه بقوله ان ابرهيم لحليم اواه
سنان

المجادلة مع الملائكة بان يطلب منهم ان يتركوا اهلاكهم فوم لوط وان كان لا يخلو عن سوء ادب يحب الظلال عليه الصلوة والسلام للتكلم ابا ان يعتقد ان الملائكة جاؤا من عند انفسهم لاهلاك قوم لوط ويعتقد منهم انهم جاؤا لذلك بامر الله تعالى والاول سوء ظن بهم لانهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون والثاني لان محصول المجادلة ان يطلب منهم ترك الغضب امر الله تعالى وهذا منكر الا انه مدحه تلك المجادلة بقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب ولو كانت المجادلة الواقعة منه عليه الصلوة والسلام ذنوبا لما مدحه بهذا المدح العظيم
ملهته

قوله فاعل عطف على الفاعل بحصوص ... ان ... او فعله ... جيء به ... الحمد ... بشمخ ... العبد الى ... العبد لا ... بان ... برزق
سنان

قوله او دليل جواب المحذوف عطف على قوله جواب لما تكون بجادلنا ح استيناف كلام اما نحوي او بياني وكلام جار الله ظاهر في الاول ثم لا يخفى انه لا بد في كون المضارع لحكاية الحال من تقدير مثل اخذ وشرع فلا يكون هذا من قبيل تقدير الجواب ولا مقابلا لكون يجادلنا على حكاية الحال وقد يقال هذا اذا اريد بها استمرار الماضي واما اذا اريد بها تصوير المجرد فلا مساس

على قوله جواب لما وكذا قوله او متعلق به **قوله** قدره بمقتضى قضائه الازلي يعني ان المراد بامره قضاؤه وحكمه الازلي بعذابهم وبحيئه عبارة عن تعلق ارادته الازلية بوقوعه في وقته والارادة الازلية تسمى قضاء وتعلقها بوقوع المراد في الوقت المقدر له تسمى قدرا قال المصنف في شرح المصابيح القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها **قوله** سيء بهم اي احزنه مجيئهم بناء على ساءه يسوءه سوءا بالفتح ومساءة نقيض سره روي ان الرسل الذين بشروا ابرهيم انطلقوا من عنده الى لوط وكان ما بين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شبان حسان مرد من بني آدم ولم يعرف لوط انهم ملائكة فخاف عليهم من ان يتعرض بهم قومه بالسوء لغاية حسنهم وجمالهم وان يعجز عن مقاومتهم في دفعهم عن اضيافه فلذلك ضاق بهم ذرعا اي قلبا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر طاقته وسعة خطوته فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فيضعف ويمد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة فيقال ما له به ذرع ولا ذراع اي ما له طاقة **قوله** سيء بهم مبني للمفعول والقائم مقام فاعله ضمير لوط من قولك ساءني كذا اي حصل لي سوء وبهم متعلق به اي بسببهم وذرعا نصب على التمييز اي ضاق بسببهم ذرعه وطاقته قراءة العامة يهرعون مبنيا للمفعول من اهرع بمعنى اسرع وقرئ بفتح الياء مبنيا للفاعل من هرع والاهراع الاسراع في المشي وقال ابو عبيدة قوله يهرعون اليه اي يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا قوله ومن قبل اي من قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون السيئات وهي اتيانهم الذكور في ادبارهم فتمرنوا بها اي تعودوا ابتغاء مرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة اي تعوده واستمر عليه روي انه لما دخلت الملائكة دار لوط مضت امرأته وكانت كافرة فقالت لقومه دخل دارنا قوم ما رأيت احسن وجوها منهم ولا انظف ثيابا ولا اطيب رائحة فجاءه قومه يهرعون اي يسرعون **قوله** فداهن اضيافه يعني انه اراد بقوله هؤلاء بناتي بناته الصلبية وانه ما دعاهم الى الزنا بهن بل دعاهم الى التزوج بهن بناء على جواز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعته وكان ذلك جائزا في شريعتنا ايضا في اول الاسلام فانه عليه الصلوة والسلام زوج ابنته من عتبة بن ابي لهب ومن ومن ابي العاص بن وائل وكانا كافرين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا **قوله** او مبالغة عطف على قوله كرما وحمية اي او فدا بناته اضيافه للايذان بان الزنا بنات امل حبا من اتيان الذكور وكانوا يعتقدون حرمة الزنا فبين ان هذا ايذن الا بالنكاح وذلك لا يدل الحال **قوله** او اظهارا عطف عليه

٢٠٩

عليه ايضا والانتصاص البغض والانكار يقال نغص من ذلك الامر انغص نغصا اذا غضبت ونشق ذلك عليك وقيل المراد بقوله بناتي نساء قومه عبر عنهن بقوله بناتي لان النبي بمنزلة الاب لقومه كما ان ازواجه بمنزلة الام فيكون نساء قومه بمنزلة بناته واختار الامام هذا القول بناء على ان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لا يليق باهل المروءة فكيف باكابر الانبياء مع انه قد صحت الرواية انه كان له بنتان والجمع العظيم كيف تسلي بها **قوله** انطف لكم فعلا واقل فحشا لما ورد ان يقال ان لفظ اطهر لكونه افعل التفضيل تدل على ان اتيان الذكور فيه طهارة الا ان اتيان الاناث ازيد طهارة منه ولا طهارة في اتيان الذكور شرعا فاوجه جعل هن اطهر اشار الى الجواب عنه بانه ليس المراد بالطهارة كون اتيانهم حلالا ومشروعا حتى يرد ما ذكر بل المراد بالطهارة النظافة بحسب العقل وقلة استحياش الطبع ولا شك ان اتيانهن ازيد في الطهارة بهذا المعنى بالنسبة الى اتيانهم والظاهر ان العبارة هكذا او اقل فحشا بكلمة او بدل الواو ليكون الكلام من قبيل قولك الميتة اطيب من المغصوب اذ من المعلوم ان الميتة لا طيب فيها اصلا حتى يكون المغصوب اطيب منها بل المراد انها اقل حرمة بالنسبة الى المغصوب لان المغصوب حرام لما فيه من حق العبد والميتة حرام احترازا عن حق الله ولا شك ان الحرمة لصيانة حق العبد اشد واغلظ بالنسبة الى الحرمة احترازا عن حق الله لاستغنائه تعالى وسعة غفرانه بخلاف العبد فكذا قوله تعالى هن اطهر معناه هن اقل فحشا **قوله** هؤلاء بناتي على القراءة المشهورة جملة برأسها وهن اطهر لكم جملة اخرى ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي بدلا او عطف بيان ويكون هن فصلا بين المبتدأ والخبر واطهر خبر المبتدأ وهو هؤلاء ويجوز ان يكون هن مبتدأ ثانيا واطهر خبره والجملة خبر الاول **قوله** وقرئ اطهر بالنصب على ان هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة اسمية مرفوع المحل على انها خبر هؤلاء واطهر منصوب على انه حال من هن وعاملها ما في هؤلاء من معنى الفعل كما في قوله وهذا بعلي شيخا **قوله** لا فصل عطف على قوله خبر بناتي اي لا يجوز ان يكون هن فصلا بين الحال وصاحبها لان ضمير الفصل انما يقع بين المبتدأ والخبر ولا يقع بين الحال وصاحبها قال ابن الحاجب ويتوسط بين المبتدأ والخبر قبل العوامل وبعدها صيغة مرفوع منفصل مطابق للمبتدأ ويسمى فصلا ليفصل بين كونه نعتا وخبرا ولو كان هؤلاء مبتدأ وبناتي خبره وهن فصلا واطهر حالا من بناتي لزم ان يقع ضمير الفصل بين الحال وصاحبها **قوله** ولا تفضحون الى على ان يكون قوله ولا تخزون من خزي يخزي خزيا من باب علم اي ذل وهان فيكون قوله ولا تخزون بمعنى لا تلحقوا بي ذلا وهوانا ولا تفضحون في شأن ضيفي وان كان من خزي بالكسر ايضا يخزى خزاية اي خجل واستحيى يكون معناه ولا تخجلون **قوله** لو قويت بنفسي على دفعكم اي

لدفعتكم بها عن اضيافي فان جواب لو محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه وعبارة المص تصوير
لحاصل المعنى لا توجيه لنظم الآية لانه قد تقرر في النحو ان كلمة ان انما تقع بعد لو لكونها مع ما في
حيزها واقعة موقع المفرد على انها فاعل فعل محذوف فان قولك لو انك قائم تقديره لو ثبت قيامك
فتقدير الاية لو ثبت تحقق قوة لتنبيه بدفعكم عن اضيافي لدفعتكم بها عن اضيافي ويجوز ان تكون
كلمة لو في الاية للتمني فلا يحتاج الى تقدير الجواب الا ان جعلها شرطية محذوفة الجواب ابلغ لان النفس
ح تذهب كل ما يصلح ان يكون جوابا من التمنع والدفع والقهر ونحوها وفي تقرير المص اشارة الى
ان قوله او آوي معطوف على قوله لو ان لي بكم قوة من حيث المعنى لانه صور معناه بان مآل لو
ثبت بنفسي على دفعكم وعطف عليه قوله او آوي الى ركن شديد وقوله انتقم به عنكم وان كان صفة
لركن شديد الا ان فيه اشارة الى تعيين الجواب المحذوف فالمعنى لو قويت عليكم بنفسي او آويت
الى قوي انضم واستند اليه وانتقم به فيحميني منكم لفعلت والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من
الجبل شبه به من اشتاق الى ان يتقوى بهم من العشائر والاعوان فعبر عنهم بالركن على سبيل
الاستعارة فطمس اعينهم واعماهم كما قال تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم
النجا بالمد والقصر مصدر منصوب على الاغراء اي بادروا النجاء انفسكم وتكريره للتاكيد
رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد اي كان يريد او يتمنى ان يأوي الى ركن
شديد وفي قوله عليه الصلوة والسلام رحم الله اشارة الى ان هذا الكلام من لوط عليه
الصلوة والسلام ليس مما ينبغي لانه يوهم قنوطه ويأسه من ان يكون له ناصر ينصره و
الحال انه لا ركن اشد من ركنه الذي كان يأوي اليه اليس الله بكاف عبده وقرئ
او آوي بالنصب باضمار ان كما في قوله للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف
فتكون معطوفا على قوة كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اوويا الى ركن شديد وهذه القراءة
تدل على جواز ان يكون آوي في قراءة الرفع معطوفا على قوة ايضا بناء على انه كان
منصوبا في الاصل باضمار ان فلما حذفت ان رفع الفعل كما في قوله تعالى ومن اياته يريكم
البرق وقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
فاسر باهلك قرئ بقطع الهمزة من الاسراء وبوصلها من السرى وهما لغتان بمعنى يقال
سريت سرى واسريت اسراء بمعنى اذا سرت ليلا واما سار فانه مختص بالسير نهارا و
ليس مقلوبا من سرى فانه بمعنى سار ليلا وقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا مع
ان الاسراء والسرى لا يكون الا بالليل للتاكيد كقولك سرت امس نهارا مع ان السير لا يكون
الا بالنهار والباء في قوله باهلك يجوز ان تكون للتعدية وان تكون للحال بمعنى مصاحبا لهم وفي

قوله او آوي الى ركن شديد له فائدة زائدة على الاول فان المراد بالاول تحقق قوته بنفسه على الدفع والثاني حصول من يعينه على الدفع

قوله بجناحه يعني على ما روي ... اصل صورته وقيل مسح بيده وجوههم فاعماهم ...

يعني لا تنحى لوط عليه الصلوة والسلام بابه فدخلوا ... جبرئيل عليه السلام ... بجناحه اصل صورته ... فاعماهم وصاروا وجوههم لا يبصرون الطريق وانصرفوا وهم يقولون النجا النجا ان في بيت لوط اسحر قوم في الارض

وفي قوله بقطع للحال اي مصاحبين بقطع والمراد به ظلمة الليل وقيل الباء فيه بمعنى في اي
اخرجوا ليلا لتسبقوا نزول العذاب الذي موعده الصبح فالملائكة لما قالوا ان موعدهم
الصبح قال لوط عليه الصلوة والسلام اريد اسرع من ذلك فلو اهلكتموهم الآن فقالوا
اليس الصبح بقريب والمراد بالاهل في قولهم فاسر باهلك ابنتاه فانه روي انه لم يؤمن
بلوط الا ابنتاه اسم كبراهما ريثة واسم صغراهما عروبة **قوله** وقرا ابن كثير ونافع
بالوصل حيث وقع في القرآن فاسقطا الهمزة من قوله تعالى فاسر باهلك وقوله فاسر بعبادي
وقوله ان اسر بعبادي في حال الوصل واثبتاها مكسورة حال الابتداء والباقون قرؤا
الجميع بهمزة القطع تثبت مفتوحة حال الوصل والابتداء واختلاف القراءتين مبني على
اختلاف اللغتين فان اسرى وسرى لغتان بمعنى فمن جعله من سرى وصل همزته و
جعله من اسرى قطعها **قوله** ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه يعني ان الالتفات يجيء
بمعنيين الاول الانصراف كما في قوله تعالى اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فالمراد على هذا النهي
عن التخلف لانه انصراف عن امتثال المأمور به والثاني ان ينظر الانسان الى ورائه
فالظاهر ان المعنى ح اخرج اهلك من قريتك ولا ينظر احد منكم الى خلفه اي الى ما خلفه في
تلك القرية من امواله واصدقائه ونحوهما فالملائكة امروهم بان يخرجوا منها ويتركوا ما
خلفوا فيها وينقطعوا تعلق قلوبهم بها **قوله** الا امرأتك قرأ ابن كثير وابو عمرو برفع امرأتك
والباقون بنصبها لما اختار المص ان يكون قوله الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك
علم من ذلك انه اختار قراءة من نصب امرأتك لان المستثنى اذا وقع بعد الا غير الصفة في
كلام موجب يجب نصبه والكلام الموجب ما لا يكون نفيا ولا نهيا ولا استفهاما فقوله تعالى
فاسر باهلك موجب بهذا المعنى وليست كلمة الا بعده للصفة بمعنى غير فوجب نصب
المستثنى بعدها ولو كانت للصفة لكان المستثنى بعدها تابعا لما قبلها كما في قوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان قوله تعالى الا الله بمعنى غير الله ومن قرا برفع امرأتك جعله بدلا
من احد وهو احسن من نصبها على الاستثناء لان الافصح ان يكون ما بعد الا بدلا عما قبلها
اذا وقعت في كلام غير موجب وان جاز النصب على الاستثناء **قوله** والنهي في اللفظ
لاحد وفي المعنى للوط جواب عما يقال المناسب بقول الملائكة للوط عليه الصلوة والسلام
فاسر باهلك ان يكون نهيهم له عليه الصلوة والسلام ايضا فما وجه قولهم ولا يلتفت منكم
احد بتوجيه النهي الى احد مع ان مخاطبتهم انما هو مع لوط عليه الصلوة والسلام فاجاب
عنه بان النهي ايضا له عليه الصلوة والسلام في المعنى كأن الاهل يناسب اخر كلامهم

لا قوله الا امرأتك فان الاخصر او اولا بالامر متجهاً بالمقصود وسلك في النهي طريق الكناية لكونه ابلغ بالنسبة الى التصريح والمعنى فاسر باهلك في بعض من الليل ولا تدع منهم احدا يلتفت و يتخلف عن السرى كما لو قلت لخادمك لا يقم من اهل البيت احد فان النهي فيه من حيث اللفظ لاهل البيت الا انه في المعنى للخادم لانك تريد لا تدع احدا منهم يقوم ثم انه لما اختار ما اطبق عليه اكثر القراء وهو ان يكون قوله الا امرأتك منصوبا بين طريق نصبه وهو وقوع الاستثناء في كلام موجب تام فقال الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك فان الاستثناء الواقع بعد كلام موجب تام يجب نصب المستثنى فيه البتة واستدل عليه بقراءة من قرأ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك من غير ان يذكر بينهما ولا يلتفت منكم احد فانه يجب نصب المستثنى في هذه القراءة لتعين كون الاستثناء فيها من كلام موجب وهو قوله فاسر باهلك اذ لم يذكر فيها قوله ولا يلتفت منكم احد **قوله** وهذا اي كون الاستثناء من الاهل وكون لوط مأمورا بان يسرى بامرأته مع من اسرى بهم من اهله انما يصح على ان يفسر الالتفات بالتخلف عن السرى فانه ان فسر بالنظر الى الوراء تكون قراءة النصب بهذا التأويل مناقضة لقراءة الرفع مع ان كل واحدة من القراءتين صحيحة متواترة قطعا لان المرأة على قراءة النصب لا تكون خارجة من القرية مع من خرج من اهله لكونه مأمورا بان يسرى باهله الا امرأته وعلى قراءة الرفع تكون المرأة خارجة منها ولا تكون ممنوعة عن النظر الى وراءها في الذهاب ولا شك ان خروجها مع من خرج من القرية وعدم خروجها معهم متناقضان ومن المعلوم ان تحقق المناقضة بين القراءتين المتواترتين محال وما يستلزم هذا المحال محال فتفسير الالتفات بالنظر الى الوراء محال على تقدير ان يكون الاستثناء من الاهل وفسر الالتفات بالتخلف اذ لا مناقضة بين ان لا تخرج المرأة من القرية وبين تخلفها من السرى وهو ظاهر ولما كانت القراءتان متناقضتين بحسب الظاهر حيث ان قراءة النصب استلزمت عدم خروج المرأة وقراءة الرفع استلزمت خروجها وعدم كونها منهية عن الالتفات قيل لا محذور في ذلك بناء على ان اختلاف القراءتين مبني على اختلاف الروايتين فانه كما روي انه عليه الصلوة والسلام خلفها في القرية مع من خلفهم فيها روي ايضا انه اخرجها منها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها فرد المص هذا القول بقوله ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين لان الروايتين متناقضتان يمتنع اجتماعهما صدقا وكل واحدة من القراءتين صحيحة متواترة قطعا فلو حملت احدى القراءتين على احدى الروايتين والقراءة الاخرى على الرواية الاخرى مع ان احدى الروايتين باطلة

٢١١

باطلة قطعا لوجب ان يكون احدى القراءتين باطلة لبطلان مبناها وهو مما لا يجترئ عليه مسلم **قوله** فالاولى في الجواب ان الاستثناء في قراءة النصب عن قوله فاسر باهلك والمرفوع في قراءة الرفع بدل من احد ودفع التناقض بتفسير الالتفات بالتخلف عن السرى ويرجح على هذا الاحتمال ان يجعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت فانه يجوز النصب على الاستثناء ويختار البدل فيما بعد الا في كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل على البدلية والا قليلا على الاستثناء وكذا قوله الا امرأتك وقع بعد كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور فيجوز فيه النصب والرفع هو المختار الا ان اكثر القراء اتفقوا على نصبها ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على ما ليس بافصح عند النحاة لقوة سنده لان قراءة القرآن انما يعتمد على صحة الرواية فالمعنى فاسر باهلك ولا يتخلف منكم احد الا امرأتك اي دعها تفعل ما شاءت ولا تناقض فيه مع تعلق الاستثناء بكلام واحد في القراءتين فلذلك رجحه على ما ذكره اولا **قوله** ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات جواب عما يقال كيف يجوز ان يجعل الاستثناء عن قوله ولا يلتفت مع ان الاستثناء من غير الموجب ايجاب فيلزم ان يكون امرأته مأمورة بالالتفات بل اللازم عدم نهيها عنه وذلك لما مر من ان قوله ولا يلتفت نهي للوط في المعنى والاستثناء من النهي عدم النهي **قوله** ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع لان المستثنى المنقطع يجب نصبه عند الاكثرين ولا يجوز البدل الا على لغة تميم وعليها وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس فان اليعافير والعيس مستثنى منقطع بعد الا مع رفعه على البدلية من انيس ولا يحسن ان يحمل اعراب افصح الكلام على اللغة القليلة وفي قوله لا يحسن اشارة الى انه يجوز جعل الاستثناء منقطعا على كل واحدة من القراءتين بان لا يقصد اخراج المرأة من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات بل يقصد استئناف الاخبار عنها بانه يصيبها ما اصابهم فالمعنى لكن امرأتك يجري عليها كذا وكذا **قوله** جواب لاستعجال لوط روي انه عليه الصلوة والسلام قال للملائكة متى موعد هلاكهم قالوا ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب **قوله** عذابنا فسر الامر بالعذاب فيكون مجيئه عبارة عن تعلق الارادة الازلية بوقوعه في وقته ثم فسره بما هو ضد النهي فيكون الامر بمعنى المأمور به على التفسير الاول ويكون المعنى فلما جاء العذاب الذي امرنا به ويلزم منه ان يتحد السبب والمسبب لان الجعل المذكور في قوله جعلنا عاليها سافلها هو العذاب المأمور به في حقهم فيكون حاصل المعنى فلما جاء عذابنا عذبنا فينبغي ان يكون مجيئه عبارة عن تعلق الارادة الازلية بوقوعه في وقته وكذا اذا كان الجائي امر الله بالعذاب يكون مجيء الامر عبارة عن تعلق الامر الازلي بالعذاب المأمور به **قوله**

وقد يجاب بان الانس ما يباشر الانسان و الا ان ... بالاتصال روحه

ويؤيده الاصلان يؤيد كون المراد بقوله امرنا امرنا ملك بالعذاب ان الاصل ان يحمل اللفظ على
معناه الاصلي الحقيقي قوله وكان حقه جعلوا عاليها باسناد الجعل الى الرسل المرسلين لتعذيبهم
واهلاكهم الا انه اسند الفعل الصادر من المبلغ الى نفسه تعظيما لذلك الفعل من حيث ان المباشرين
انما فعلوا ذلك بان امرهم الله بذلك قوله عاليها سافلها مفعول الجعل الذي بمعنى التصيير
فانه روي ان جبرئيل رفع مداينهم الى السماء بحيث لم ينقلب لهم جرة ولم ينكب لهم اناء و
لم ينتبه منهم نائم ثم قلبها عليهم وكانت المدائن المؤتفكات خمس مدائن وكان فيها
اربعمائة الف نفس وقيل اربعة آلاف الف قوله على المدن او شذاذها اي الذين
لم يكونوا مع اهل المدائن فيها بل خرجوا منها وتفرقوا الى حيث شاؤا لمصالحهم يعني انهم
اختلفوا في ان اهل المدن عذبوا بتقليب مدائنهم وبامطار الاحجار عليهم بعد تقليب
مدائنهم وان امطار الاحجار يختص بشذاذهم ومسافريهم اينما كانوا من البلاد
ونواحي المدائن قوله واصله سنك كل وهو بالفارسية حجر وطين فعرب وغيرت
حروفه للاماري ويبصره ما روي عن ابن عباس انه قال هو حجر وطين كالآجر المطبوخ
وقيل انه فعيل على وزن فعيل من اسجله اذا ارسله او من عطيته من السجل وهو الدلو اذا
كان فيه ماء قل او كثر ولا يقال لها سجل وهي فارغة سجل وقيل هو من السجل وهو الكتاب
اي مما كتب الله تعالى ان يعذب به قوم لوط وقوله منضود صفة سجيل والنضد جعل الشيء
بعضه فوق بعض ومسومة حال من حجارة وهي وان كانت نكرة الا انها لما وصفت
انتصب عنه الحال وعند ربك ظرف منصوب بمسومة او بمحذوف على انها صفة لمسومة قوله
بعرض حجر يسقط عليه عرض الشيء ناحيته يقال فلان عرضة للناس لا يزالون يقعون
فيه وجعلت فلان عرضة لكذا اي نصبته له قوله وقيل الضمير للقرى المهلكة والمعنى وما تلك
القرى المهلكة من كفار مكة ببعيد لان تلك القرى في ارض الشام وهي قريب من مكة
وتذكير البعيد مع ان صيغة فعيل انما يستوي فيه المذكر والمؤنث اذا كان بمعنى المفعول
نحو قتيل وذبيح ونحو قريب وبعيد بمعنى الفاعل فلا يستويان فيه الا لنكتة وهي تأويل
الحجارة بالحجر وتاويل القرية بالمكان قوله اراد اولاد مدين يعني ان مدين اسم ابن
ابراهيم ثم صار اسما للقبيلة وهي المراد به في الآية وكثير من المفسرين ذهبوا الى ان مدين
اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم والمعنى على هذا التقدير وارسلنا الى اهل مدين بحذف
المضاف كما في قوله واسأل القرية اي اهلها وكان اهل مدين مع شركهم يطففون المكيال وينقصون
اي يميلونه الى اغياره اي جوانبه ويبخسون حق الناس اي ينقصونه ونقص يتعمل
لازما

حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فبقي الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه منه

ووصف تلك الحجارة بنضدها لانه خلقها في سابق وقد نضد بعضها على بعض واعدها لاهلاك الظلمة او لكون بعضها فوق بعض في النزول او لان كل حجر منها فان ما فيه من الاجزاء منضود بعضه على بعض وملتصق بعضها ببعض منه

لازما ومتعديا يقال نقص الشيء نقصا ونقصانا ويتعدى الى اثنين اولى اوليهما بنفسه
والى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف تقول نقصت زيدا من حقه وحقه وهو في الآية كذلك اذ
المراد لا تنقصوا الناس من المكيال والميزان اي مما يكال ويوزن بهما على طريق ذكر المحل
وارادة الحال قوله فانه ملاك الامر وملاك ما يقوم به يقال القلب ملاك الجسد والتوحيد
ملاك امر الدين فلذلك دعا شعيب قومه الى التوحيد اولا ثم الى سلوك سنن العدل في
عقد المعاوضة فانه يقتضي ان يستوفي كل واحد من المتعاوضين حقه من غير زيادة ولا نقصان
والآية بظاهرها تدل على ان من عليه الايفاء يحرم عليه ان ينقص حق المستوفي من المكيل و
الموزون وتدل ايضا على ان المستوفي يحرم عليه ان يستوفي ما هو ازيد من حقه لان الاستيفاء
الزائد على حقه يستلزم نقص حق الموفي من المكيل والموزون وقد نهى عنه بقوله ولا تنقصوا
المكيال والميزان لان المقصود من نقصهما نقص ما يكال ويوزن بهما عن القدر الواجب
قوله لاشتماله عليه يعني انه من قبيل صام نهاره وقوله هذا يوم عصيب من حيث ان الفعل
اسند الى زمانه لملابسة بالفاعل الحقيقي فان اليوم مشتمل على ما وقع فيه من العذاب و
الشدة قوله صرح بالامر بالايفاء كانه قيل فائدة الامر بايفاء الكيل والميزان واتمامهما
بعد قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان مع ان النهي عن الشيء امر بضده والامر به نهي عن
ضده او مستلزم له فاجاب عنه بان فائدته المبالغة في التكليف باقامة العدل لان التصريح
بالنهي عنه توبيخ للمنهي وتعيير له ليزجر عن ارتكابه فاذا ورد بعده الامر بضده كان ادخل
في الانزجار عن القبيح والمسارعة الى القبول والامتثال لانه ترغيب وحث بعد ترهيب وزجر
وله فائدة اخرى وهو التنبيه المذكور وذلك لان النهي عن التطفيف تقبيح لمباشرته عمدا لان
النهي عن الشيء يقتضي ان يكون المنهي عنه مما يتعمده المنهي ويفعله باختياره فلا يكون المباشرة
سهوا او نسيانا منهيا عنه بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان فلذلك لم يكتف شعيب عليه
الصلوة والسلام بتكليفهم بالامتناع عن التطفيف عمدا بل كلفهم ايضا بالسعي في ايفاء
الحق اي اعطائه تاما كاملا وان استلزم ذلك ان يعطي قدرا زائدا على اصل الحق ليخرج عن
العهدة بيقين لكن اعطاء الزيادة ليس بمامور به لقوله بالقسط فانه حال من فاعل اوفوا بل
قد يكون اخذه واعطاؤه حراما وذلك اذا كان المعقود عليه من الاموال الربوية وللتنبيه على
هذا المعنى قال بعد النهي عن التطفيف ويا قوم اوفوا الكيل والميزان اي اسعوا في ايفاء الحق
واعطائه على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن العهدة ملتبسين
بالعدل والسوية ثم ذكر فائدة قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم مع انه تكرير لقوله ولا تنقصوا

اعلم ان العلماء اختلفوا في ان الامر بالشيء هل هو نهي عن ضده ام لا وكذا النهي عن شيء هل هو امر بضده فذهب امام الحرمين والغزالي الى ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده ولا يقتضيه العقل وقال القاضي ابو اسحق انه نهي عن ضده واليه ذهب الامام في المعالم والقاضي في المنهاج وقال القاضي ابو اسحق والنهي كذلك يعني ان النهي عن الشيء امر بضده منه

المكيال والميزان بحسب الظاهر لان البخس هو النقص وقد نهي عنه فقال انه تعميم بعد التخصيص يعني انه ليس بتكرير لما سبق لان المقصود بما سبق النهي عن البخس في المقدار وخصص المكيال والميزان بالذكر لكونهما اكثر الآلات التقديرية استعمالا والمقصود من هذه الاية هو النهي عن البخس في مطلق ما يبخس الناس بعقد المعاوضة والمعنى لا تنقصوا الناس ما يستحقون عليكم بالعقود اي شيء كان وكذا قوله ولا تعثوا في الارض فانه ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص فان العثي الافساد مطلقا والتمادي في انواع الفساد وهو اعم من البخس في المقدار وكسر الحق الثابت بعقد المعاوضة والمكس هو اخذ العشر والخراج وما يؤخذ اليوم في الاسواق ظلما وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما يأخذ السمسار وهو المتوسط بين البايع والمشتري كالدلال وما يقال بالتركي ميانجي وباج دار وكومركجي ويقال لكل واحد منهم مكاس وعاشر والبخس يطلق على ثلثة معان الهضم وهو الظلم وكسر الحق يقال هضمه حقه اذا ظلمه وكسر حقه والثاني النقص والثالث المكس واختار المص ان يكون المراد بالبخس نقص الحق الثابت بعقد المعاوضة وضعف قول من قال المراد به المكس لعدم ملايمته للمقام **قوله** وفائدة الحال الاشارة الى جواب ما يقال ان العثي الافساد فيكون قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين بمنزلة ان يقال ولا تفسدوا في الارض مفسدين فما وجهه وتقريره ان الفساد خروج الشيء عن الاعتدال اللايق به فمعنى الآية لا تخرجوا اشياء ما في الارض عن الاعتدال اللايق به وذلك الاخراج قد يكون لقصد الاصلاح كما فعله الخضر عليه الصلوة والسلام من قتل الغلام وخرق السفينة وقد يكون لقصد الاضرار والافساد كفعل الظلمة والمنهي عنه من الافساد في الآية هو الافساد على الوجه الثاني فلذلك قيده بالحال ومعنى القصد في قوله مفسدين مستفاد من اسناد الفعل الى الفاعل المختار لان الفعل الذي من شانه ان يصدر عن قصد واختيار اذا اسند الى الفاعل المختار يكون المراد صدوره عنه بقصده وارادته كما قدر في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة بان يقال معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة وتقرير الجواب الثاني ان الافساد المنهي عنه هو افساد حال الغير واضراره والافساد الذي جعل قيدا له هو افساد حال نفسه من امر دينه ومصالح آخرته لان من سعى في افساد حال الغير فهو في الحقيقة ساع في افساد حال نفسه ولم يرض بهذا الجواب لتلك فائدة التقييد بالحال **قوله** ما ابقاه لكم من الحلال يعني ان بقية فعيلة بمعنى المفعول واضافتها للتشريف كما في بيت الله وناقة الله فان ما بقي بعد ايفاء الكيل والوزن من الرزق الحلال يستحق التشريف وشرط الايمان في خيرية ما بقي بعد الايفاء لان فائدته وهو حصول الثواب والنجاة من العقاب انما تظهر مع الايمان لان الكافر مخلد في عذاب النيران سواء اوفى الكيل والميزان او سلك سبيل الخذلان **قوله** ان كنتم مصدقين لي ويحتمل ان يكون المراد بالايمان تصديق شعيب حقيته في قوله لا تنقصوا المكيال والميزان

لان نقص الحقوق مطلقا اعم من النقص في الكيل والوزن منه

قال الراغب العثي والعيث يتقاربان نحو جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يستعمل في الفساد الذي يدرك حسا والعثي فيما يدرك حكما منه

اي كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك منه

والميزان واوفوا الكيل والميزان وامره اياهم بالاكتفاء بما بقي لهم بعد الايفاء وقد مر مرارا ان جواب مثل هذا الشرط محذوف عند جمهور البصريين وان ما تقدم عليه هو دليل الجواب وان ذهب آخرون الى ان جوابه هو ما تقدم عليه **قوله** وقيل البقية الطاعة بان المعنى طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان منفعة الطاعة تبقى ابدا وما على وجه الارض من حطام الدنيا كظل زائل لا يدوم فتكون البقية بمعنى الباقية وسميت الطاعة والعبادة التي يقصد بها وجه الله بقية لبقاء ثوابها للمكلف ابدا ومنه قوله تعالى والباقيات الصالحات اي التي يبقى ثوابها من الطاعات فان البقاء عبارة عن ثبات الشيء على الحالة الاولى ويضاده الفناء وتقديم الضمير وايلاؤه حرف النفي في قوله وما انا عليكم بحفيظ ح عبد بليغ والمعنى الله حفيظ عليكم اعمالكم ومجازيكم بها لا انا انما انا نذير مبلغ وقد انذرت وبلغت ونصحت واعذرت اي صرت ذا عذر **قوله** والاشعار بان مثله ان يشرك ما هو عليه من التوحيد والنهي عن الشرك [illegible] والتطفيف لا يأمر به امر فطنة وعقل بل امر وسوسة وجنون فذلك الامر يداوم عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا لفظ الصلوة وقالوا اصلواتك وخصوها بالذكر من بين افعاله فان قولهم اصلواتك بادخال همزة الانكار على الصلوة يشعر بانه لا شيء يحمله على ذلك سواها معلوم انها لا يحمل عليه فتعين انه لا حامل له عليه سوى الوساوس وخفة العقل **قوله** بحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره فانه لو لم يقدر المضاف لزم ان يكون شعيب عليه الصلوة والسلام مأمورا بفعل الكفار اي تركهم والتطفيف وهو محال فوجب ان يقدر المضاف ليكون عليه الصلوة والسلام مأمورا بفعل نفسه الذي هو ان يكلف قومه بترك ذلك فالمعنى اصلواتك تأمرك يا شعيب بتكليفك ايانا ان نترك **قوله** او ان نترك اشارة الى ان كلمة او بمعنى الواو لان ما كلفهم به شعيب هو مجموع الامرين لا احدهما فمن اجابه على سبيل الانكار والاستهزاء انما يقول له اصلواتك تأمرك بتكليفك ايانا بهذين الامرين ولا يقول تأمرك بان تكلفنا باحدهما **قوله** وقرئ بالتاء فيهما على معنى اصلواتك تأمرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء انت على ان يكون معطوفا على مفعول تأمرك اي تأمرك ان نترك او ان تفعل ما تشاء **قوله** تهكموا به يعني ان قولهم الحليم الرشيد من قبيل الاستعارة التهكمية التبعية حيث وصفوه بغاية السفه والغواية فشبهوهما بالحلم والرشاد بجامع الضدية فاستعاروا لهما اسمي الحلم والرشاد على طريق الاستعارة التصريحية التهكمية فاشتقوا منهما الحليم الرشيد فسرى الاستعارة منها الى المأخذ الى المشتقين فصارتا استعارتين تبعيتين **قوله** او علّلوا اعطف على قوله تهكموا اي ويحتمل ان لا يقصدوا به

[illegible]

التهكم بل اراد هابه تعليل انكار ما سمعوا منه واستبعاده بان قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك
كانهم قالوا لكين لا ننكر عليك ما سمعناه منك وانت تدعي في قومك بالحليم الرشيد وما تأمرنا به و
تدعونا اليه بناء فيما اشتهرت به بين قومك قوله اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال
روي ان شعيب عليه الصلوة والسلام كان كثير المال قوله وهو اعتذار عما انكروا عليه فانهم
لما قالوا انك تدعي حليما رشيدا في قومك فكيف يليق بك ان تبادر الى تغيير طريقتنا المألوفة من
عبادة الاوثان ومن ان نفعل في اموالنا ما نشاء اجابهم شعيب بطريق الاعتذار عن دعوتهم
الى التوحيد ونهيهم عن الشرك والتطفيف فقال اصدقتم فيما قلتم من اني حليم رشيد فيما
بينكم لكن من اين قلتم ان ما كنت عليه الآن بناء في ما وصفتموني به فان ما انا عليه الآن ليس
غير الارشاد والنصيحة لكم انظروا بعين الانصاف وانتم ابناء ان كنت على نعم جليلة
روحانية من عند ربي بان فضلني بالعلم والنبوة ورزقني من عنده نعما جسمانية فكيف
يسع لي ان اخالف امره وقد امرني وكلفني بان ادعوكم الى توحيده وانهاكم من عبادة غيره وعن
البخس والتطفيف ونحو ذلك من المعاصي والمنكرات مع كثرة ما عندي من نعم الله الجسمانية والروحانية
فلا تلوموني بسبب امتثالي ما امرت به من تبليغ رسالته اليكم قوله يقال خالفت زيدا الى كذا اذا
قصدته وهو مول عنه على ان يكون الى كذا متعلق بمحذوف وهو حال من فاعل خالفت اي خالفته
مائلا الى ما هو مول عنه اي ما اريد مخالفتكم مائلا الى ما انهاكم عنه فقوله مخالفته عنه اذا كان الامر
بالعكس اي اذا وليت عنه وهو قاصده لان مخالفتك زيدا حال كونك موليا عن كذا انما يكون
اذا قصده زيد قوله وهذه الاجوبة اي فيما خاطبهم به من قوله ان كنت على بينة من ربي الى قوله
ان كنت على بينة اريد الا الاصلاح ما استطعت شان عظيم لا يخفى فانه عليه الصلوة و
السلام راعى اولا حق الله في نهي قومه عن الشرك حيث قال كيف اخون من انعم علي بجلائل
النعم الجسمانية والروحانية بالتهاون في تبليغ رسالته ومخالفته في امره ونهيه وثانيا راعى
حق نفسه بان يطيع من انعم عليه ويلازم شكر نعمته ولا يعرض نفسه لسخطه وثالثا
راعى حق الناس حيث قال ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وكل ذلك يقتضي ان
آمركم بما امركم به وانهاكم عما نهيتكم عنه ولامر ما سمي خطيب الانبياء قوله وما مصدرية يعني
ان كلمة ما في قوله ما استطعت مصدرية واقعة موقع الزمان كما في قولك آتيك صباح الديك
اي مدة استطاعتي للاصلاح وقيل انها خبرية اي موصولة بمعنى الذي بدل من الاصلاح
من غير تقدير المضاف اي ان اريد الا الاصلاح القدر الذي استطعته منه او على تقدير المضاف
اي ان اريد الا الاصلاح اصلاح ما استطعت بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
واعرب

قوله اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة حلالية على ... العلم والنبوة واراد بالعلم الاكمل التوحيد والنبوة وهو افقه قوله ان كنت على جار الله والمنح ... حجة واضحة وبقيس ... سناه

قوله انتهى وعلاها حق الله وهو المتك (؟) اليه بجواب ارايتم ان كنت على بينة من ربي و ... قوله حق النفس حق ... وهو ما ذكره بقوله وما اريد ان اخالفكم الاية وحق الناس وهو ما ذكره بقوله ان اريد الا الاصلاح وهو يجمع كونه تاكيدا لما تقدمه بلحم منه الجواب سناه

قوله ... النار والشمس ... تعليل ... عا ... بتقدير المضاف ... عاجز ... ذهب ... ان الاسباب ... بعض الاشباه سناه

واعرب باعرابه قوله لا يجرمنكم شقاقي من اضافة المصدر الى مفعوله اي شقاقكم
وعداوتكم لي ان يصيبكم عذاب العاجلة وهو عذاب الاستيصال في الدنيا مثل ما اصاب
من قبلكم من الامم وجرم قد يستعمل متعديا الى واحد فيقال جرم زيد ذنبا اي كسب ويستعمل
متعديا الى اثنين ايضا فيقال اجرمته ذنبا اي كسبته اياه فهو مثل كسب في انه يتعدى تارة الى
واحد والى اثنين اخرى وهو في الاية عدي الى اثنين اولهما الكاف والميم وثانيهما ان يصيبكم
واستشهد الزمخشري لتعديته الى اثنين بقوله ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة
بعدها ان يغضبوا اي طعنت هذا الرجل طعنة قتلته بها فكسبت هذه الطعنة قبيلة فزارة ان
يغضبوا قوله وعن ابن كثير يجرمنكم بضم حرف المضارعة وقراءة العامة لا يجرمنكم بفتح الياء
المضارعة على انه مضارع جرم الثلاثي وقرئ بضمها على انه مضارع اجرم المنقول من جرم
المتعدي الى واحد وقراءة العامة ان يصيبكم مثل بضم لام مثل على انه فاعل يصيبكم وقرئ
بفتحها ايضا وتلك الفتحة فتحة بناء وذلك لان مثل وان كان فاعل يصيبكم كما في القراءة المشهورة
الا انه بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فان كلمة مثل
وغير مع ما وان مشددة ومخففة يجوز بناؤهما على الفتح واعرابهما على حسب ما يقتضيه
العامل كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال فان
غير بني على الفتح مع انه فاعل لم يمنع قوله زمانا او مكانا اي ليس زمان اهلاكهم ببعيد من الزمان
الذي انتم فيه او ليس بلاد قوم لوط ببعيد من مدين بلدتكم قوله وافراد البعيد مع انه
خبر عن الجمع لان القوم اسم جمع فالقياس ان يقال ببعيدين او بعيدين الا انه افرد بناء على ان
في الكلام مضافا مقدرا والتقدير وما اهلاك قوم لوط او على ان فيه موصوفا مقدرا اي
وما هم بشيء بعيد قوله ولا يبعد ان يسوى في امثاله من نحو الغريب والقليل والكثير
بين المذكر والمؤنث جواب عما يقال من ان لفظ القوم مؤنث لقوله كذبت قوم نوح
فالقياس ان يقال ببعيدة فلم ذكر ببعيد وما ذكره من كون امثاله على زنة المصادر جواب
ثالث غير تقدير المضاف والموصوف لانهما جوابان عن هذا السؤال ايضا والصهيل صوت
الخيل والشهيق صوت الحمار قوله يفعل بهم ما يفعله البليغ المودة بمن يوده يعني ان الودود بناء
مبالغة من ود الشيء يوده ودا او ودادة اي احبه وآثره والمشهور وددت بكسر العين وحكى
الكسائي وددت بفتحها والودود فعول بمعنى المحب اي يود عباده ويرحمهم وقد تقرر انه تعالى اذا
وصف بما هو من قبيل الكيفيات النفسانية الانفعالية يراد به غايته فلذلك فسر المصنف كونه تعالى
ودودا محبا للعباده بانه يفعل بهم ما يفعله البليغ المودة بمن يوده وقيل الودود في اسماء الله

قوله مثل ... الا انه ... بني على الفتح ... فاعل ... وقد ... ونحوه ... وقال ... غصون ... وقيل ...

بمعنى المفعول والمعنى ان عباده يحبونه لكثرة احسانه وانفضاله عليهم قوله وهو اي قوله عليه الصلوة والسلام ان ربي رحيم ودود وعد للتائبين بقبول توبتهم والتفضل عليهم لما تبين انه تعالى اذا وصف بالرحمة والمحبة يراد غايتهما وبيان لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة راعى شعيب عليه الصلوة والسلام في جوابه لقومه ترتيبا لطيفا لانه بين اولا ان ظهور البينة وكثرة انعام الله عليه في الظاهر والباطن يمنعه من الخيانة في وحي الله ويصده عن التهاون في تبليغه كانه قال انما اسعى واجتهد في تبليغ ما اوحي الي رعاية لحق الله ثم بين ان في سعيه هذا رعاية لحق الناس ثم لما بين صحة طريقته اشار الى الوعيد على الاصرار بما هم عليه من الكفر والعصيان وحثهم على الاستغفار والتوبة وعلل قبول ذلك بانه رحيم ودود قوله بعد الوعيد على الاصرار بقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط

قوله وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه لا لعدم فهمهم اياه فان الرجل قد يقول لصاحبه لا ادري ما تقول وان كان قد فهم كلامه استهانة به لانه لما لم يقبله صار كانه لم يفهمه فيقول ذلك القول والمقصود من ذكر التوجيهات التي ذكرها لقولهم ما نفقه كثيرا مما تقول الجواب عما يقال انه عليه الصلوة والسلام كان يخاطب قومه بلسانهم وكان فصيح المقال واضح البيان لا يشتبه على احد ما اراده بكلامه فلم قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول مع انه يحسن محاورته مع قومه وكمال اقتداره في مراجعة جوابهم حتى سمي خطيب الانبياء فكيف لا يفهمون كلامه قوله الضعيف اي الذي لا يكون له قوة جسمانية يمتنع بها عمن اراده بسوء كالرجم ونحوه ثم فسره بالمهين الذي لا يكون له عز ومنعة يمتنع بهم على من اراده بسوء ثم قال ان الضعيف في لغة حمير عبارة عن الاعمى وقال حمله على هذا المعنى غير مناسب للمقام لان كلامهم مسوق لبيان انه عليه الصلوة والسلام يستحق الرجم على زعمهم وانه لا مانع من قتله عليه الصلوة والسلام يمنعهم عما ارادوا به الا رهطه ولا يخفى ان هذا المسوق لا يناسبه ان يقالوا انا لنريك فينا اعمى لان المقصود من اثبات الضعف له عليه الصلوة والسلام ان يسلب عنه ما يكون سببا لامتناعه عمن اراد به سوءا واثبات الضعف بمعنى العمى ليس سببا لما يمتنع به عمن اراد به سوءا لان ما به الممانعة والمدافعة هو القوة الجسمانية والاعوان والمنعة فحمل الضعيف على غير القوة وعلى عدم المنعة يناسب المقام بخلاف حمله على عدم البصر لان البصر ليس من اسباب المدافعة فحمل الضعيف على هذا المعنى لا يناسب المقام ومع هذا فقوله فينا يبطل حمله على هذا المعنى فانه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لكان كلاما لغوا لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم قال الامام واعلم ان اصحابنا يجوزون العمى على الانبياء الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لان حمل لفظ الضعيف على معنى

على معنى الاعمى ليس بسديد في هذا المقام فكيف يستدل به عليه واما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه لا يجوز لكونه منفرا فانه لا يمكنه الاحتراز عن النجاسات ولانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى واشار المصنف الى الجواب عن هذا الاستدلال بقوله والفرق بين ولعل مراده ان مناط امر النبوة كون الانسان موحى اليه من قبله تعالى وكونه مبلغا لما اوحي اليه والعمى لا يخل بهذا المعنى بخلاف القضاء والشهادة فان مناطهما تمييز من له الحق ومن عليه الحق والعمى مناف له قوله لا لخوف من شوكتهم اي من مهابتهم بسبب كثرتهم وغلبتهم نفى عن قومه الشوكة والمهابة كيلا يخالف قوله سابقا وانا لنراك فينا ضعيفا مهينا لا عز لك بكثرة الاعوان وغلبتهم ولانهم يعبروا عن قومه وعشيرته بالرهط وهو اسم للثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة والجماعة القليلة لا يكون لهم شوكة لكنهم ابقوا الحرمة لهم لكونهم على ملتهم ودينهم ولما استهانوا بكلامه واظهروا النفرة عنه جعلوه ممن يستحق الرجم بالحجارة او السب والشتم بالالسنة فقالوا لا حرمة لك عندنا ولا تعز علينا وانما يعز علينا عشيرتك ورهطك فلذلك لا نرجمك ولولاهم لرجمناك والرجم في اللغة الرمي وذلك قد يكون برمي الحجارة على قصد القتل فسمي القتل برمي الحجارة رجما تسمية للمسبب باسم سببه قوله او باصعب وجوه القتل يحتمل ان لا يكون اطلاق الرجم هنا من قبيل اطلاق اسم السبب وارادة المسبب بل يكون من قبيل الاستعارة التبعية بان يشبه القتل باصعب الوجوه بالقتل بالحجارة واطلاق اسم المشبه به استعارة تصريحية وان يشتق من الرجم بهذا المعنى لفظ رجمنا فسرى اليه الاستعارة التبعية المأخذ قوله وهذا ديدن السفيه اي عادته يعني ان جوابهم للشعيب بقولهم يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الى هنا لا يدفع ما ذكره شعيب من الدلائل والبينات بل هو من قبيل مقابلة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة كما هو ديدن السفيه المحجوج اي المغلوب بالحجة قوله وفي ايلاء ضميره حرف النفي اي ضمير الخبر انت الذي هو عبارة عن شعيب حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه اي تنبيه على ان التردد بينهم وبين شعيب عليه الصلوة والسلام انما هو في الفاعل لا في اصل الفعل بان يتفق المتكلم والمخاطب على وجود اصل الفعل لكن المخاطب يخطئ في تعيين الفاعل والمتكلم يقصد ابرازه الى الصواب كانهم قالوا ما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا فلذلك اجابهم بقوله ارهطي اعز عليكم من الله ولو قالوا ما عززت علينا لم يصح هذا الجواب قال صاحب المفتاح في تفسير الاية ان العزيز علينا يا شعيب رهطك لا انت لكونهم على ديننا ولذلك قال عليه الصلوة والسلام في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله اي من نبي الله قوله ولذلك اي ولكون الكلام في الفاعل لا في نفس الفعل وكون مدلول كلامهم اثبات العزة لرهطه ونفيها عنه قال شعيب عليه الصلوة والسلام في جوابهم ارهطي اعز عليكم ولو كان معنى كلامهم

وبهذا ينقض ان يكون اصل الكلام ما عززت انت علينا فقدم [illegible] للاختصاص [illegible] تقرر ان تقديم [illegible] بغير تخصيص [illegible] ان وقع المسند اليه بعد حرف النفي بلا فصل نحو ما انا قلت [illegible] لفائدة التقديم لم اقله مع انه مقول لغيري [illegible] يفيد الفعل عن المذكور الذي نفي عنه [illegible] على الوجه الذي [illegible] التقديم المذكور وانما [illegible] الحال في تعليله لان كلمة ما [illegible] بالزمان ولكن الاختصاص [illegible] دخولها على [illegible] فالقياس ان تكون [illegible] الاسم او شبهه [illegible] ذلك علم بعد [illegible] ما عززت ان اصل الكلام [illegible] والتقديم لاجل الاهتمام و الاختصاص سلمه

بجردنفي العزة عنه بدون اثباتها لرهطه لما كان جوابه بقوله ارهطي اعز عليكم من الله مطابقا للكلام بحيث لا يكون بينهما مناسبة اصلا وانما يطابقه اذا كان معنى كلامهم اثبات العزة لرهطه مع نفيها عنه وكان الظاهر ان يجيبهم بان يقول ارهطي اعز عليكم مني الا انه قال اعز عليكم من الله للايذان بان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله تعالى فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله تعالى قوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي اي فلا تحفظون حرمتي ولا ترحمونني بسبب اني نبي الله وتحفظون حرمة رهطي بسبب انهم على دينكم وفي الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت علي وفيه ايضا ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته قوله والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى امس إمسي بكسر الهمزة والى الدهر دُهري بضم الدال قوله اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم من امركم اي متمكنين من عداوتي وجمعي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد والمكانة الحالة التي يتمكن بها صاحبها من عمله وقوله اعملوا على صيغة الامر ومعناه التهديد قوله سوف تعلمون مجيئه ههنا بدون الفاء لكون الكلام استئنافا جوابا لما يقال فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت على مكانتك فاجيب بانه سوف تعلمون اينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله ومجيئه بالفاء في قصة نوح فقيل فسوف تعلمون للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك قوله فهو اي فحذف الفاء ههنا ابلغ في التهويل من ربط الكلام بما قبله بالفاء السببية المؤذنة لكون ما قبلها سببا لما بعدها فان سلوك طريق الاستيناف فيه تكثير المعنى بتقليل اللفظ بالنسبة الى ربط الكلام بما قبله بالفاء السببية فان المخاطب يكون في صورة الاستيناف طالبا لمعرفة مآل حالهم فيكون الجواب بالتهويل اوقع في ذهنه بخلاف ما لو ربط الكلام بكلمة الفاء قوله عطف على من يأتيه لا انه قسيم لجواب عما يقال كان الظاهر ان يقال ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب وذلك لان قوله اعملوا على مكانتكم اني عامل يشتمل على عمل الصادق والكاذب ولم يذكر في قوله سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه الا عاقبة الكاذب منهم ومنه والآية مسوقة لبيان عاقبة العاملين منهم ومنه فكان الظاهر ان يقال من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق سالم من العذاب حتى يتضمن قوله من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى شعيب المبعوث اليهم فما وجه قوله ومن هو كاذب جاحدا اي منكرا لما علم وقد ذكر الجاحد بقوله من يأتيه عذاب يخزيه وتقرير الجواب انه وان كان معطوفا على قوله من يأتيه عذاب الا انه من قبيل عطف الصفة على الصفة لا من قبيل عطف احد العاملين اللذين

لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فيلزم منه ان من اهان الرسول فقد اهان الله تعالى منه

زعمهم فكانكم ان القوم اعز من الله حيث تزعمون انكم تركتم قتلي اكراما لرهطي والله تعالى اولى بان يتبع امره كانه قال حفظكم اياي في الله اولى منه في رهطي منه

والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة كل ما في وسعكم وطاقتكم من ايصال الشر الي واني ايضا عامل بقدر ما آتاني الله من القدرة سوف تعلمون اينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله منه

قوله وحذفها ثمة لانه جواب سؤال تضمنه السياق مرادا به تصريحا هناك وتقديرا ههنا منه

اللذين كل منهما قسيم مقابل للآخر حتى يقال الظاهر ان يقال ومن هو صادق فانهم لما اوعدوه بالرجم والتعذيب وكذبوه فيما دعاهم اليه وجمعوا الوصفين في حقه اجابهم برد ما وصفوه من الوصفين اليهم فقال سوف تعلمون من الجامع بين الوصفين مني ومنكم فقوله ومن هو كاذب وارد على مقتضى الظاهر واجاب الزمخشري بانه من قبيل احد الذاتين المتباينين على الاخرى وكان الظاهر ان يقال ومن هو صادق الا انه عليه الصلوة والسلام عبر عن نفسه بقوله ومن هو كاذب بناء على انهم يدعونه كاذبا كانه قال ومن هو كاذب على زعمكم وقال صاحب الانتصاف الظاهر ان الكاذبين جميعا الكفار فقوله من يأتيه عذاب يخزيه فيه ذكر جزائهم وقوله ومن هو كاذب فيه ذكر جرمهم الذي هو الكذب فيكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدد ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما تعني المخاطب في الكلامين واذا ثبت سوق الكلامين اليهم لم يخل ذلك من الدلالة على ذكر عاقبة المحق الصادق لان احد الفريقين اذا كان مبطلا والآخر محقا وتبين ان احدهما بعينه هو المبطل تعين ان يكون الآخر هو المحق قطعا فذكره لاحد العاقبتين صريحا يفهم منه ذكر الاخرى تعريضا والتعريض ابلغ واوقع من التصريح في كثير من المواضع وهذا منه ولذلك لم يذكر عاقبة شعيب استغناء عنها بذكر عاقبتهم قوله فعيل بمعنى الراقب كالصريم بمعنى الصارم او المراقب كالعشير بمعنى المعاشر او المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع والغفير بمعنى المغتفر قوله انما ذكره بالواو كما في قصة عاد وهو قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه لم يجئ بالفاء اذ لم يسبق ذكر الوعد الجاري مجرى السبب للوفاء حتى يجيء الفاء السببية الدالة على سببية الوعد السابق للوفاء المرتب عليه بل في كل مجيء العذاب فيها من غير ان يسبق ذكر الوعد فكانه قصة بنفسها وما قبلها قصة اخرى لكنهما متعلقان بقوم واحد فهما متصلتان من وجه آخر فكان المقام مقام ان يعطف احدهما على الاخرى بالواو التي تعطف بها القصة على القصة بخلاف قصتي صالح ولوط فانه سبق ذكر الوعد فيهما قال تعالى في قصة صالح فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقال في قصة لوط ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جيء بالفاء السببية فيهما قوله غير ان صيحتهم كانت من تحتهم صاح جبرئيل فيما بين قوم صالح فصاروا في مواضعهم ميتين لا يتحركون وقوم شعيب اخذتهم الصيحة من السماء وقيل ارسل الله سحابة فيها عذابهم ولم يعلموا انها سحابة العذاب فصارت عليهم كهيئة الظلة فيها ريح فلما رأوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فاتتهم صيحة من جهتها فاهلكتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة

روي عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لم يعذب الله تعالى امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم

قوله وقرىء تبعُدت بضم العين الجمهور على كسر العين من بعدت على انه من بعد يبعد بكسر
العين في الماضي وفتحها في الغابر بمعنى هلك ارادت العرب ان يفرقوا بين البُعد بمعنى الهلاك
وبين البعد الذي هو ضد القرب ففرقوا بينهما بتغيير البناء فقالوا بَعُدَ بضم العين في ضد القرب
وبعِد بالكسر في ضد السلامة بمعنى هلك والبُعد بالضم والسكون مصدر لهما والبَعَد بفتحتين
انما يستعمل في مصدر مكسور العين وقرئ بعدت بضم العين اخذا من ضد القرب لانهم اذا
هلكوا فقد بعدوا ومنه قول الشاعر من كان بينك في التراب وبينه شبران فهو في غاية البعد
قوله بالتورية او المعجزات يعني يجوز ان يراد بالايات كل واحد من التورية والمعجزات اما جواز ارادة
التورية فلانها آيات وعلائم دالة على ما هو الحق من الاحكام المتعلقة بالاعتقاد والاعمال
والمعاملات واما جواز ارادة المعجزات فلانها علائم دالة على صدق مدعي النبوة في دعويها،
فان اريد بالايات التورية وبالسلطان المبين المعجزات الباهرة والحجج البينة الواضحة،
الدالة يكون عطفه على الايات من قبيل عطف الذات على الذات لان السلطان الحجة التي
يتسلط بها المدعي على من خالفه والمبين اذا كان من ابان بمعنى بان يكون بمعنى البين الجلي
الواضح الدلالة وان كان من ابان المتعدي يكون بمعنى المظهر الكاشف للمدعي وعلى التقديرين
يكون السلطان المبين مغايرا بالذات للآيات بمعنى التورية وان اريد بالايات المعجزات و،
بالسلطان المبين المعجزات الباهرة او العصا بخصوصها يكون عطف قوله وسلطان مبين
عليها من قبيل عطف الخاص على العام اظهارا لشرف الخاص كعطف جبريل على الملائكة قوله
ويجوز ان يراد بهما واحد ويكون عطفه عليها من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد،
الموصوف فان ما اظهره من المعجزات الباهرة كما وصف بانها علائم مضافة اليه سبحانه دالة على
نبوته فوصف ايضا بانها سلطان لاي حجة بينة له يتسلط بها على من خالفه قال الامام ان
قيل اذا حملتم الآيات على المعجزات والسلطان على الدلائل والمبين ما يكون سببا للظهور فما
الفرق بين هذه المراتب الثلثة قلنا الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات التي تفيد
القطع والتخمين الا انه اسم مشترك بين الدليل القطعي الذي فيه جلاء وبين ما ليس فيه جلاء
والسلطان المبين مخصوص بما فيه جلاء ولما كانت معجزات موسى عليه الصلوة والسلام كذا
لا جرم وصفها الله تعالى بانها سلطان مبين قوله فاتبعوا امره بالكفر بموسى اي يحتمل ان يراد
بالامر ما هو ضد النهي وان يراد به الطريق والعادة التي اتخذه سبيلا وكان دهريا نافيا للصانع
والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على كل اهل بلد ان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته

مطلب كان فرعون دهريا نافيا للصانع والمعاد

وعبوديته فجهلهم الله تعالى بقوله وما امر فرعون برشيد فانه حال من مفعول اتبعوا ومن،
المعلوم ان كل الرشد بمعرفة الله تعالى وعبادته فمن كان خاليا محروما عنهما من السعادتين كان
محروما عن الرشد بالكلية قوله مرشد او ذي رشد من قبيل اللف والنشر المرتب الاول مبني
على ان يكون المراد بالامر ضد النهي والثاني الضلال في امره ليس الا محض ضلال ليس فيه رشد اصلا
قوله يقدم بمعنى يتقدم الجوهري قدم بالفتح يَقدُم قُدْماً اي تقدّم والمعنى يتقدمهم في العقبى يقودهم
الى النار كما يتقدمهم في الدنيا يقودهم الى الضلال وهمزة اوردهم للتعدية لانه بدون الهمزة،
يتعدى الى واحد قال تعالى ولما ورد ماء مدين اي لما حضره فعدى بالهمزة الى اثنين فاحضرهم النار
وادخلهم فيها والورد الموضع الذي يرده والورد المورود والمدخل المدخول فيه ونحو بئس
الورد النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده قوله فاوردهم النار
بمعنى يوردهم ذكر بصيغة الماضي لان الايراد المذكور لتحقق وقوعه نزل منزلة المتحقق قال الامام
السني والايراد الادخال ثم نقل عن ابن عباس انه قال كل ما في القران من الورود فهو ذكر جهنم
فهو الدخول ومنه قوله تعالى بئس الورد المورود اي المدخل المدخول وقوله تعالى ثم لا واردون وان منكم
الا واردها وغير ذلك قوله ونزل النار لهم منزلة الماء لان الورود عبارة عن المجيء الى
الماء والايراد احضار الغير اليه فالمورد هو الماء الذي يرد اليه الوارد فيكون قوله فاو
ردهم النار من قبيل استعارة المكنية والتخييلية شبهت النار في النفس بالماء بجامع
الضدية على سبيل التهكم وجعل اثبات الايراد لها تخييلا اشار بقوله فسمى اتيانها موردا ان
ورودا على ان المورد مصدر ميمي لان مصادر المزيدات يكون على وزن اسم المفعول
ولو قال فسمى اتيانها ايرادا او فسمى اتيانها اتيان المورد هو الماء لكان اظهر قوله اي
بئس المورد الذي وردوه اشارة الى ان المورد صفة كاشفة للورود المخصوص
بالذم محذوف فالذي وردوه قوله والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد على
ان يكون معناه وما امر فرعون بالكفر بموسى برشد الى الخير والعاقبة الحسنة فانه مظنة
ان يقال لم حكمت بانه ليس امره ذلك مرشدا الى العاقبة الحميدة فاجيب بانه يتقدم قومه
يوم القيمة فيوردهم النار ومن كان عاقبة امره هكذا كيف يكون امره مرشدا الى الخير
والفلاح وان كان معناه وما طريق فرعون بذي رشد مأمون العاقبة يكون قوله
يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار تفسيرا وبيانا لسوء عاقبة طريقه لكونه مؤدياه
النار قوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنة هي الغرق ويوم القيمة لعنة اخرى هي
ما اصابهم في الاخرة من العذاب عبر عما اصابهم في الدارين من العذاب باللعنة لان

يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار يعني كما تقدم قومه في الدنيا فادخلهم البحر فغرقهم كذلك يتقدم قومه يوم القيمة فيدخلهم النار ويدخل هو اياهم في النار كما كان قدوتهم في الكفر والضلالة في الدنيا فكذلك هو قدوتهم واياهم في النار
ابن كمال

والورود ايضا الدخول ... منه

اللعنة هي الطرد من رحمة الله وكل معذب مطرود منها جعل ما لحق قوم فرعون في الدنيا
والاخرة من اللعنتين رفدا اي عونا ومقويا لان كلا واحد من اللعنتين عون للاخرى ثان
به ومدد تقوى به فان اللعنتين اللتين اصابتهما في الدارين رفدت احديهما الاخرى فان
كل شيء جعلته عونا للاخر فقد رفدته به فان اصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده اي ليجعله
عمادا يقال عمد الحائط اي وضع له عمادا ولما يستعمل الرفد في معنى العون يستعمل بمعنى العطية
ايضا يقال رفدته ارفده رفدا اذا اعطيته كما يقال اذا اعنته والارفاد الاعانة والاعطاء
واشار اليهما بقوله بئس العون المعان او العطاء المعطى جعل كل واحدة من لعنتي الدنيا والاخرة
عونا للاخرى ومعانا بها ووجهه ظاهر واما جعل كل واحد من اللعنتين عطية لفرعون وقومه
مع انه نقمة وعذاب شديد لهم فمن قبيل الاستعارة التهكمية تشبيها للنقمة بالنعمة والمحنة
بالمنحة بجامع الضدية واطلاقا لاسم المشبه به على المشبه حيث عبر عن اللعنة بالعطية
على سبيل الاستعارة التهكمية ثم اسند المعطى الى العطاء الذي هو اللعنة على الاسناد
المجازي نحو جد جده وجنونه مجنون حيث جعل الرفد بمعنى العطية المجازية معطى مع ان المعطى
حقيقة هو فرعون وقومه لملابسة العطية بمعنى اللعنة بالمعطى الحقيقي **قوله** منقوص
عليك اشارة الى ان قوله نقصه عليك خبر بعد خبر لقوله ذلك والمعنى ذلك النبأ بعض انباء
القرى المهلكة منقوص عليك ويجوز ان يكون نقصه خبرا ومن انباء القرى حالا من المنقول
لجواز العكس ايضا وثمه مضاف محذوف اي من انبا اهل القرى ولذلك اعيد ضمير العقلاء عليهم
في قوله وما ظلمناهم **قوله** منها قائم جملة اسمية وقوله وحصيد مبتدا حذف خبره لدلالة
خبر الاول عليه اي ومنها حصيد اي محصود شبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم
على ساقه وما عفى منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقي منها شيء وبعضها هلك
وما بقي منها اثر وقيل القائم ما بقي حيطانه وسقطت سقوفه والحصيد ما محا اثره وقيل القائم
العامر والحصيد الخراب والضمير المرفوع في قوله وما زادوهم للاصنام والمنصوب لعبدتها و
عبر عن الاصنام بواو العقلاء لانهم نزلوها منزلة العقلاء **قوله** اذ لا واو ولا ضمير والجملة
الاسمية اذا وقعت في موقع الحال لا بد في ارتباطها بذي الحال من الواو والضمير معا او من
الواو وحدها او من الضمير وحده وهو ضعيف وقوله يدعون حكاية حال ماضية اي التي كانوا
يعبدونها وكلمة ما في قوله فما اغنت نافية اي لم تغن ولم تدفع عنهم شيئا من العذاب حين
جاءهم عذابه ويجوز استفهامية ولما ظرف منصوب بما اغنت فلذلك فسره المص بقوله حين
جاءهم عذابه **قوله** هلاكا او تخسيرا لظاهر انه يقال اهلاك او تخسير لان تب يستعمل لازما فيقال

وقال صاحب الكشاف ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة يدل على ان تسمية اللعنة رفدا ليس من قبيل الاستعارة التهكمية وانما يكون من ذلك القبيل ان لو كانت رفدا للمعذبين وليس كذلك بل هي رفد ومدد لنفس العذاب فلا تهكم في تسميتها رفدا لكونها رفدا عين حقيقة بل يكون اسناد الرفود الى الرفد من باب جد جده نعم لو فسر الرفد بالعطاء لكانت تسمية اللعنة به من قبيل الاستعارة التهكمية الا انه لا يكون الاسناد مجازيا

قوله منقوص عليك اي لا يبعد ان يقال المعنى نقصها الآن او في المستقبل بعد وقوع الاشتباه سنان

واما جعله خبرا ابتدائيا لانه من باب نقص القرى حالا من الاعلام فهو بعيد معنى التقبيح لانه التعبيرات

ثم ان المبتدا هو مضمون منها اي بعضها لان قائم مبتدا ومنها خبره لان المقصود الاخبار بان بعضها قائم وبعضها حصيد لا ان القائم منها والحصيد منها فتأمل سنان

فيقال تب اي هلك وتب اي خسر فاذا نقل الى باب التفعيل يتعدى الى واحد فيقال تببه تتبيبا
اي اهلكه اهلاكا او خسره تخسيرا ومعنى خسره اوقعه في الخسران ومعنى تتبيب اوقعه في التباب
وهو الخسران او الهلاك فيقال تببه تتبيبا اي اهلاكا فظهر ان التتبيب لما كان من التباب بمعنى
الهلاك يكون التتبيب بمعنى الاهلاك الا ان المص فسره بالهلاك لان الحالة الزائدة عليهم
بسبب عبادة الاصنام هو الهلاك لا الاهلاك وينبغي ان يكون بناء التفعيل من تب اللازم
لقصد تكثير الفعل والمبالغة فيه كما في طوف البيت بمعنى بالغ في طوافه والوجه في ايقاع عبادة
الاصنام اياهم في الخسران انهم كانوا يعتقدون انها تنفعهم وتدفع عنهم المضار بسبب عبادتهم
اياها فلما لم يجدوا شيئا مما اعتقدوا فيها لا لجلب نفع ولا لدفع ضر عند احتياجهم اليه بل وجدوا
بسبب عبادتها مضرة عظيمة ثبت انه ما زادهم عبادتها غير تتبيب وتخسير اي ايقاع في الخسران
العظيم **قوله** ومثل ذلك الاخذ اشارة الى ان محل الكاف في قوله وكذلك الرفع على انه خبر قوله اخذ
ربك اذا اخذ القرى فان الجمهور على ان الاول مصدر مرفوع على الابتداء والثاني فعل ماض وقرئ
كلاهما فعلين ماضيين **قوله** وهي ظالمة جملة حالية من القرى بحسب اللفظ الا انها في
الحقيقة حال من اهل القرى لكن القرى لما اقيمت مقام اهلها اجريت الحال عليها وفائدة
تقييد اخذ القرى بحال كونها ظالمة الاشارة الى ان علة اخذها كونها ظالمة فان تقييد الحكم بالوصف
مشعر بعلية الوصف له وانذار كل ظالم عن وخامة الظلم الاشارة الى علة الاخذ **قوله**
وهو مبالغة في التهديد والتحذير اصل التهديد مستفاد من تشبيه اخذ القرى الظالمة بما ذكر من
تفصيل كيفية اخذ القرى المهلكة والمبالغة فيه مستفادة من جعل الاخذ اليما فان الاخذ
مولم والالم قائم بالماخوذ حقيقة واسند الى الاخذ المتعلق به لملابسته بالماخوذ كما في قولهم
جد جده على الاسناد المجازي للمبالغة في شدة الاخذ وصعوبته فان جعل الاخذ اليما يدل
على انه في شدته وصعوبته على الماخوذ يبلغ الى حيث يالم جميع ما يتعلق بالماخوذ حتى يالم به الاخذ
نفسه كما في جد جده وهذا وعيد لاهل مكة ولاهل كل الخلائق ظلموا او مبالغة عظيمة في التحذير عن
الظلم **قوله** اي فيما نزل بالامم الهالكة لعبرة يعتبر بها عظم عذاب الاخرة لعلمه بانهم انما عذبوا في
الدنيا لتكذيبهم الانبياء واشراكهم بالله فاذا عذبوا على ذلك في الدنيا وهي دار العمل فلان يعذبوا
عليه في الاخرة التي هي دار الجزاء كان اولى بل عذاب الاخرة اشد وابقى وما حاق بهم في الدنيا
انموذج منه يعتبر به وينزجر عما ارتكبه هؤلاء الامم الهالكة من ايقن بحقيقة القيمة وحاق عذابها لان من
من ايقن بحقيقتها انما يتيقن بها لعلمه بان صانع العالم فاعل مختار يعذب حيث يشاء ويرحم من
يشاء على حسب ما تقتضيه حكمته فمن سمع بابتلاء المهلكين بعذاب الاستيصال يعتبر بحالهم

والكناية عن نفس الاخذ الثالث كما في مثل الاخذ والتالي اخذ ربك ذلك الاخذ اذا اخذ القرى والافادة باعتبار معنى الشدة المنفهمة من لفظ التركيب بمعناه الاصلي سنان

ويزجر عما ارتكبوا به جوفا من وخامة عاقبته فلولا ما ارتكه انه في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة بان
علم انه تعالى فاعل بالاختيار يخلق ما يشاء ويبقيه ويفنيه ويبدؤه ويعيده على حسب مشيته فانه يعتبر
بحال المهلكين ويزجر عما ادّاهم الى الهلاك واما من زعم انه تعالى موجب بالذات فانه يزعم ان العالم قديم
بالنوع وما ثبت قدمه يمتنع عدمه فيستحيل فنا العالم وقيام القيمة فلا يعتبر بحال المهلكين ويقول
ما ظهر في ايام الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الطوفان والصيحة والريح ونحو ذلك انما حدث
اسباب سماوية واوضاع فلكية وقرانات كوكبية اتفقت في ايامهم لا بارادة الفاعل المختار
على حسب استحقاق المجرمين بذلك فلا يعتبرون به **قوله** ان يجمع له الناس يعني ان مقتضى الظاهر ان
يقال ذلك يوم يجمع له الناس لان فعل الجمع الذي وصف به اليوم مترقب بعد لم يتصف اليوم
به الآن اذ من المعلوم ان الناس ليسوا مجموعين الآن لما في يوم القيمة من الحساب والجزاء وكان
الظاهر ان يقال يجمع له الناس على وفق قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع اي لاجله ولما فيه من الحساب
والجزاء لكن عدل عن مقتضى الظاهر للدلالة على ان اليوم متصف بمعنى المجموع له على وجه الثبات
واللزوم دون التجدد والحدوث وان شان اليوم ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه
الموصوف بذلك صفة لازمة ويدل ايضا على ثبات اسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه فان
ههنا امرين اسناد الجمع الى الناس ووصف اليوم بجمع الناس واسم المفعول يدل على ثباتهما
ولزومهما بخلاف فان الذوق يحكم بالفرق بين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ونظيره قوله
لمن تهدده انك منهوب ماله محروب قومه اي مغلوب فان اسم المفعول فيه من الدلالة على تمكن
الوصف وثباته ما ليس في الفعل فلذلك اوثر اسم المفعول على الفعل في الاية فقوله تعالى مجموع صفة اليوم
جرت على غير من هي له حيث اسند الى الناس ورفعه مع انه صفة لليوم لفظا **قوله** فاتسع فيه
باجراء الظرف مجرى المفعول به بحذف حرف الجر وتعدية الفعل الى ظرفه على صورة تعديته الى المفعول
به كقوله ومشهد قد كفيت الغائبين به في محفل من نواصي الناس مشهود نواصي الناس اشرافهم
والمقدمون منهم يقول رب مشهد عظيم الشان تكلمت فيه وكفيت الغائبين بالنطق عنهم
على طريق النيابة من قبلهم في محفل يشهد فيه رؤساء الناس واماثلهم فمعنى قوله تعالى يوم مشهود
يوم مشهود فيه الخلايق الموقف لا يغيب فيه احد فالمشهود هو الموقف والشاهدون الخلايق و
المشهود فيه اليوم **قوله** ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه جواب عما يقال لما عدل الى ان جعل اليوم
مشهودا فيه وان حمل الكلام على حذف حرف الجر اتساعا كما في قوله ويوم شهدناه سليما وعامرا
مع ان اليوم كما يصح ان يجعل مشهودا فيه يصح ان يجعل ايضا مشهودا في نفسه كما تقول شهدت
ايام قضاء فلان وشهدت يوم العيد اي ادركته وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك الا انه يصح جعل

قوله والتعبير عن يجمع بالمجموع مع انه بمعناه وضعا للدلالة على معنى الثبات اي الاستمرار في جميع ازمان الاستقبال حيث لم يعتبر في وصفه معنى الحدوث كما اعتبر في المستقبل وحاصل ما ذكره ان ههنا امرين اسناد الجمع لليوم الى الناس ووصف اليوم بجمع الناس له ولفظ المفعول دال على ثباتهما و لزومهما فاشار الى الاول بقوله وان الناس لا ينفكون عنه والى الثاني بقوله على ثبات معنى الجمع لليوم واليوم متعلق بالجمع لا بالثبات فقد بين اللام في قوله مجموع له الناس في قوله وانه من شانه لا محالة كما تنبه لذلك فان قلت دلالته على الامر الثاني ظاهرة لا على الاول قلت من حيث ان الثاني يستلزم الاول فتامل
منه

وبروز الناطقين بدل الغائبين على معنى كنت الناطقين الحاضرين ان ينطقوا في محفل ملتئم من اشراف الناس كبير مشهود
منه

جعل اليوم مشهودا في نفسه الا ان المقصود من الاية تعظيم اليوم وتميزه عن سائر الايام
وذلك انما يحصل بجعله مشهودا فيه بان يحضر فيه الاولون والاخرون موقف الحساب لان الايام
كلها سواء في كونها مشهودا يدركها الخلق **قوله** الا لانتهاء مدة معدودة متناهية
يعني ان الاجل يطلق على مدة التاجيل ~~يطلق على مدة~~ كلها من اولها الى اخرها ويطلق
على اخر تلك المدة ومنتهاها ايضا والمراد بالاجل في الاية مدة التاجيل كلها كما في قولك انتهى
الاجل وبلغ آخره ويدل عليه توصيفه بقوله معدودة فان الاجل بمعنى اخر المدة لا تعدد
فيه لكونه انا واحدا فلا بد من تقدير المضاف اي لانتهاء اجل معدود وبلوغ آخره فان كل
ما له عدد فهو متناه وكل ما كان متناهيا فهو معدود فمدة بقاء العالم لا بد ان تكون متناهية
فيوم القيمة عند انتهائها **قوله** ان الجزاء على ان يكون عدم التصريح بذكر فاعل ياتي من قبيل
ابهام الشيء لقصد التعظيم والتهويل كانه قيل يوم ياتي الشيء المهيب الهائل العظيم الشان
وتعيين الجزاء مستفاد من سوق الكلام ومعونة المقام **قوله** او اليوم يرد عليه ان اضافة
اليوم الى اتيان اليوم يستلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال لان يوم ياتي اليوم معناه يوم
يوجد اليوم لان اتيان اليوم وجوده فيكون للزمان زمان وايضا اليوم انما يضاف الى الاجل الحادث
وتعيينه واضافته الى اتيان اليوم يستلزم تحديد الشيء بنفسه واليوم انما يتعين بما وقع فيه
لا بنفسه اجيب بان الكلام مبني على تقدير المضاف والمعنى يوم ياتي هوله واتيان هول اليوم ليس
اتيان نفسه فلا محذور **قوله** او يا تيهم الله كقوله او ياتي ربك وقوله وجاء ربك لا وجه لجعل
الاتيان مسندا الى الضمير له تعالى لكونه محوجا الى التاويل مع تيسر الاحتمال الغير المحوج اليه
وانما يرتكب التاويل اذا وجب المصير اليه بان يرد النظم على وجه يحوج اليه كما في قوله الا يوم
يا تيهم الله واصل قوله لا تكلم لا تتكلم حذفت احدى التائين تخفيفا **قوله** بما ينفع وينجي دفع لما
يتوهم من المناقضة بين هذه الاية وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وما
حكى عن المشركين من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فان كل واحد منهما يدل على ان اهل
الموقف يتكلمون بدون سبق الاذن وقرينة التخصيص قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
ولا يلزم من كون الكلام المتعلق بجلب النفع او دفع الضر موقوفا على الاذن ان يكون جميع ما صدر
من اهل الموقف مسبوقا بالاذن ثم لما ورد ان يقال هذه الاية تدل على ان بعض النفوس يتكلم
بالاذن وينافيه قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون الاية فانه يدل على انهم لا ينطقون اصلا
لا باذن ولا بغيره اجاب عنه بوجهين لا يخفى محصولهما **قوله** فمنهم شقي وسعيد ظاهره يدل على
ان اهل الموقف لا يخرجون عن هذين القسمين اللذين احدهما مخلد في النار لا ما شاء ربك

وليس كذلك لانه كونه مشهودا فيها فان الفرق بين الصورتين في غاية الظهور لانه لا يقال مشهود فيه الا يوم يشهد فيه الخلايق من كل ادب لامر له شان او لخطب يهمهم كيوم العيد و العرفة والجمعة وايام الحروب و قدوم السلطان ويقال يوم مشهود لكل يوم ادركه احد
منه

معدود
وصف الزمان بانه معدود وجعله يوصف بالعدد مجازا مع انه لا يوصف يعني ان الناس فيه ضبطه بكونه كتابة اذ انما يصح اذا ثبت ان هذا الجعل بهذا امكان ارادة المعنى الحاصل اشترط في الكتابة
منه

حين
يدل على ان يوم بمعنى حين اي يوم المضاف الى الجملة بمعنى حين والمراد به الجزء الاول من اليوم الذي هو فاعل ياتي فالمعنى لا تتكلم نفس وقت مجيء يوم القيمة او مجيء اول جزء منه فيخرج مجيء اليوم فلا يرد ان يقال يلزم من هذه الاضافة ان يكون للزمان زمان
منه

وثانيهما مخلدون في الجنة ابدا الآمانشاء ربك فيلزم ان تكون اطفال المشركين والمجانين

الذين لم يعقلون صلاحا لاكفرا غير خارج عنهما فان قلت انهم من اهل الجنة فبلا ايمان وان قلت

انهم من اهل ~~الجنة~~ اهل النار فبلا ذنب روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن اطفال المشركين انهم من اهل الجنة او من اهل النار فقال عليه الصلوة

والسلام الله اعلم بما كانوا عاملين من الكفر والايمان ان عاشوا او بلغوا واعلم ان امرهم

فيما يتعلق بالامور الدنيا وية تبع لاشرف الابوين وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام حيث

ما من آبائهم وفيما يتعلق بامر الآخرة من الثواب والعقاب موقوف موكول الى علم الله لان

السعادة والشقاوة ليستا معللتين عندنا بالاعمال بل الله تعالى خلق من شاء سعيدا

ومن شاء شقيا وجعل الاعمال دليلا على السعادة والشقاوة وانت تعلم ان عدم الدليل

وعدم العلم به لا يوجبان عدم المدلول والعلم بعدمه فكما ان البالغين منهم شقي ومنهم سعيد

كذلك الاطفال والمجانين قوله شقي مبتدأ تقدم عليه خبره وقوله وسعيد عطف على شقي حذف خبره

لدلالة خبر الاول عليه والشقي من وجبت له النار بمقتضى الوعيد والسعيد من وجبت له الجنة

بمقتضى الوعد قراءة الجمهور فاما الذين شقوا بفتح الشين على انه من شقي اللازم وقراءة الحسن

بضمها على انه من شقي المتعدي فلذلك بني للمفعول يقال اشقاه الله كما يقال اشقاه الله وكذا سعيد

يستعمل لازما ومتعديا يقال سعد فهو سعيد وسعده الله بمعنى اسعده فهو مسعود **قوله** فالمراد

منهما الدلالة على شدة كربهم فان الانسان اذا عظم غمه وقوي كربه انحصرت حرارته الغريزية

وروحه الحيواني في داخل قلبه وعند ذلك يحتاج الانسان الى ان يرد نفسا الى داخل قلبه على مقدار

قوته وقدرته على شدة التنفس حتى تروح تلك الحرارة القوية بدخول الهواء البارد ثم ان تلك

الحرارة لما كانت محصورة في داخل القلب استولت البرودة على الاعضاء الخارجية فربما تعجز

النفس عن دفع ذلك الهواء الكثير المستنشق فيبقى ذلك الهواء الكثير في الصدر منحصرا ويقرب من

ان يخنق الانسان منه فيجتهد الطبيعة في اخراج ذلك الهواء فعلى قياس قول الاطباء الزفير

استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق

هو اخراج ذلك الهواء عند مجاهدة الطبيعة في اخراجه وكل واحدة من هاتين الحالتين تدل

على شدة الكرب والغم بطريق دلالة اللازم على ملزومه فكان اثبات الزفير والشهيق لهم تخييلا

لتشبيه الحالة الثابتة لهم من مقاساة حر جهنم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه

روحه فيكون قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق استعارة مكنية وتخييلية ويحتمل ان يكون الزفير

والشهيق مستعار الصراخهم شبها بصوت الحمار **قوله** ليس لارتباط دوامهم في النار بدوا

معطوف على اطفال المشركين والمجانين

بدوامهما لما دل قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض على ان دوامهم في النار مرتبط بدوامهما

فمتى زالتا ينقطع دوامهم في النار وليس الامر كذلك لدلالة النصوص على انهما الاتدومان وينتأبد

دوامهم في النار فوجب ان لا يكون قوله تعالى ما دامت السموات والارض لتوقيت دوامهم في النار بل

يكون عبارة عن التأبيد والمبالغة في الدوام على طريق قول العرب ما دام ثبير وما لاح كوكب

وما ناحت حمامة وما تعاقب الملوان وغير ذلك مما يعبر به عن التأبيد ولو سلم ان المراد به التوقيت

ولكن لا نسلم انه يلزم من زوالهما زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من جهة المفهوم لما

تكون استلزام زوالهما لزوال عذابهم من قبيل المفهوم فلانه يفهم من توقيت دوام عذابهم بدوامهما

ان يزول عذابهم بزوالهما بناء على ان الشيء يزول بزوال وقته وكذا لا يلزم من دوام عذابهم

دوامهما الا بطريق المفهوم لانه لما وقت دوام عذابهم بدوامهما فقد جعل دوامهما كالملزوم

لدوام عذابهم ومن المعلوم ان اللازم يدوم بدوام الملزوم ولما كان كل واحد من الامرين من قبيل

المفهوم لم يعتبر في مقابلة المنطوق وقيل قوله تعالى ما دامت السموات والارض لتوقيت خلودهم ما

دامت السموات والارض في النار وذلك لا ينافي تأبيد عذابهم واغا فيه ان لو اريد بهما سموات

الدنيا وارضها وليس بلازم لجواز ان يراد بهما سموات الآخرة وارضها فان كل ما علاك فهو سماء

وكل ما استقرت عليه قدمك فهو ارض ولا شك ان اهل الآخرة لا بد لهم من مقلة ومظلة فان اريد

بالسموات والارض اياهما لا يلزم انقطاع عذابهم وعدم خلودهم لان سموات الآخرة وارضها لا تزولان

ولم يرض المص بهذا القول لان اطلاق السموات والارض على مقل اهل الآخرة ومظلهم مبني على

تشبيههما بسموات الدنيا وارضها وانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ووجود من

عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه في اطلاق اسم السموات

والارض على مقلة الارض ومظلتها فان صحة الاطلاق مبنية على صحة التشبيه وما لم يصح التشبيه

لم يصح الاطلاق اجاب صاحب الكشف عن هذا النظر بقوله اقول انا اذا اريد ما يظلهم وما يقلهم

فهو ظاهر السقوط لان هذا القدر معلوم الوجود لكل عاقل واما الدوام فليس مستفادا من دليل

دوام الثواب والعقاب بل مما يدل على دوام الجنة والنار سواء عرف انهما دار الثواب والعقاب

وان اهلهما السعداء والاشقياء من الناس او لا على انه ليس من باب تشبيه ما يعرف بما لا يعرف

بل المعكس انتهى كلامه لا شك ان الجنة وان النار لا يفنيان ولا يبيدان وكذا اهلهما لا يفنون

ولا يبيدون ولا يموت الحور فانه من المستحيل ان يكون في الجنة مقبرة فانهما لم يكونا فكانتا بتكوين

الله تعالى اياهما ويدومان بادامة الله تعالى اياهما خلقهما الله تعالى قبل ان يخلق الخلق قال تعالى في حق الجنة

اعدت للمتقين وفي حق النار اعدت للكافرين والجنات والنيران كون على ما مر اخو الجواب

قوله لان دوامها كالملزوم لدوام عذابهم تعليل لقوله فلزوم زوال العذاب من زوالهما ولزوم دوامهما من دوامه الا بطريق المفهوم وذلك لان انتفاء اللازم ولا وجود اللازم وجود الملزوم لجواز ان يكون اللازم اعم سالك

وجه كونه من باب تشبيه ما لا يعرف بما يعرف اثبات ان تلك الدار جنة والدار المقلة والمظلة المستلزمة للمقلة والمظلة والحاجة كونهما حسيين

اي ما يحملهم

قوله وجه لا وان شقوا جواب عما يقال الاشقياء والثلث في صور السعداء والعصاة ليسوا منهم بمكن ان يكون بهم المراد بالاشقياء الثاني ايضا وان جعل بان جعل العصاة داخلين في الاشقياء والسعداء باعتبارين خلاف الظاهر الاية اذ فيه تفريع جزاء اهل الموقف بالشقاوة والسعادة سالك

نقل الامام عن بعض المفسرين انهم قالوا هذا الاستثناء يفيد اخراج اهل التوحيد من النار لان قوله تعالى واما الذين شقوا ففي النار يفيد ان جملة
الاشقياء محكوم عليهم بهذا الحكم ثم قوله الا ما شاء ربك يوجب ان لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفي في زوال حكم الخلود عن المجموع زواله عن
بعضهم فوجب ان لا يبقى حكم الخلود لبعض الاشقياء ولما ثبت ان الخلود حق واجب للكفار وجب ان يقال ان الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق
من اهل الصلوة وكذا قوله واما الذين

ولا ينبغي الجحيم ولا الجنان وما اهلوهما اهل اشتغال اي لا ينتقلون من الوجود الى العدم وكذا لا ينتقل
اهل الجنة بعد ما دخلها الى النار واهل النار وهم الكفار لا ينتقلون من النار الى الجنة وان انتقل
الى موضع آخر من مواضع التعذيب ولا شك ان اهل الاخرة لا تبرا لهم من مقلة ومظلة وان لم تعلم
كيفيتهما ونعلم خلودهم بينهما ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء اطلق اسم السموات والارض على مقلة دار الاخرة ومظلتها
والله اعلم **قوله** استثناء من الخلود اي من خلود الذين شقوا اذا استحقوا دخول النار لكفرهم او
لفسقهم حكم عليهم بانهم في النار يخلدون فيها الا ما شاء ربك استثنى به فساق الموحدين عما حكم
به على مجموع الاشقياء من الخلود في النار ويكفي في انتفاء الحكم على المجموع بالخلود في النار انتفاؤه
عن البعض الذي هو عصاة المؤمنين ثم حكم على السعداء بانهم يخلدون في الجنة واستثنى عنهم عصاة
المؤمنين بقوله الا ما شاء ربك اخرجهم عن حكم الخلود في الجنة لان المراد من الخلود في الجنة استقرار الدوام
فيها من حين افتراق اهل الموقف فرقتين فريق في الجنة وفريق في النار الى ابد الاباد وعصاة
المؤمنين الذين عذبوا بالنار على حسب عصيانهم ليسوا بمخلدين في الجنة بهذا المعنى لاستقرارهم
فيها باعتبار الابتداء فصح استثناؤهم من الخلود بهذا الاعتبار كما صح استثناؤهم من الخلود في
النار باعتبار الانتهاء والمستثنى منه الزمان المدلول عليه بقوله تعالى خالدين فيها ما دامت
السموات والارض اي الا الزمان الذي او الا زمانا شاء ربك فلا يخلدون فيه على ان ما موصولة او
موصوفة ويحتمل ان يكون المستثنى منه الضمير المستتر في خالدين فيكون كلمة ما عبارة عمن يعقل
على راي من راى ذلك فبطل الحرج الذي لا محيد عنه ان يحمل ما على معنى من لا لافادة معنى الوصفية
الموصوفة ليؤذن ان اخراجهم بمحض مشيته وسبق رحمته لا الاستحقاق منهم فينطبق عليه
قوله ان ربك فعال لما يريد وتحقيقه ان قوله خالدين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار في الظرف
وهو قوله في النار وانت تعلم ان الحال قيد الحكم فاذا انتفى الحكم من البعض بالاستثناء ينتفي مقيدا
والمعنى ان الذين شقوا مستقرون في النار مقدرين الخلود الا المرحوم الذي شاء الله ان لا يستقر
مخلدا فيفيد انه ان لا يستقر فيها مطلقا او يستقر غير مخلد واحوال العصاة على هذا النهج كما علم
من النصوص الصحيحة **قوله** او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير عطف على قوله لان بعضهم
وهم فساق الموحدين الخ اي كما صح استثناء الفساق من حكم الخلود في النار نظرا الى اخراجهم
منها عند انتهاء تعذيبهم على حسب عصيانهم ومن الخلود في الجنة نظرا الى عدم استقرارهم فيها ابتداء
كذلك يصح استثناء اهل النار من الخلود فيها نظرا الى انهم ينقلون منها الى موضع آخر من مواضع
التعذيب كالزمهرير وغيره ويصح استثناء اهل الجنة من الخلود فيها نظرا الى انهم يتنعمون بما هو اعلا

سعدوا ففي الجنة يفيد ان جملة السعداء محكوم عليهم بهذا الحكم وقوله الا ما شاء ربك اوجب زوال حكم الخلود في الجنة عن المجموع ويكفي في زواله عن الجميع زواله عن البعض وما ذلك البعض الا الفساق من السعداء وليس زوال حكم الخلود عنهم بان يدخلوا الجنة ثم يخرجوا منها الى النار لان الامة قد اجمعوا على انه يمتنع ان يقال ان احدا يدخل الجنة ثم يخرج منها الى النار وان كل من يدخل الجنة فهو خالد فيها بعد دخوله فيها بل المراد منه زوال حكم الخلود عنهم عدم دخولهم فيها من اول الامر فانهم ما خلدوا فيها تخليدا من دخلها اول وهلة فان الخلود في مكان كما ينتفي بالانتقال عنه انتهاء ينتفي ايضا بان لا يدخله ابتداء والفساق منهم متخلفون عن الجنة ايام عذابهم

ولا حاجة ههنا جعلها مقدرة وانما احتيج الى التقدير في مثل قوله تعالى فادخلوها خالدين لان الخلود بعد الدخول وهي ههنا حال عمن استقر فيها فلا حاجة الى التقدير

اعلا من الجنة **قوله** او من اصل الحكم عطف على قوله من الخلود في النار اي ويحتمل ان يكون قوله الا ما
شاء ربك استثناء من اصل الحكم وهو الحكم بكونهم في النار على وجه الخلود فيها وكونهم مستثنى من اصل
الحكم يكون على وجهين الاول ان يكون الحكم مقيدا بحين اتيان اليوم فيكون المعنى ان الاشقياء
في النار حين اتيان اليوم الا زمان توقفهم في الموقف للحساب او غير مقيد باليوم فيكون المعنى انهم
في النار الا مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ فانهم في تلك المدة ليسوا في النار وعلى الوجهين يكون
الاستثناء من اصل الحكم المدلول عليه بقوله ففي النار فقوله او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ عطف
على قوله زمان توقفهم في الموقف فان كان الحكم غير مقيد باليوم يكون المعنى الذين شقوا في النار
الا مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ على ان كلمة ما في قوله ما شاء ربك مصدرية والمصدر المأول قائم مقام
المدة التي هي مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ **قوله** وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من
الخلود اي على ان يكون الحكم مطلقا غير مقيد باليوم ويكون المستثنى مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
لا يحتمل ان يكون من اصل الحكم لانه كما يصح ان يقال انهم في النار الا مدة لبثهم فيهما يصح ايضا ان يقال
انهم خالدون فيها الا مدة لبثهم فيهما لانتقاص التأبيد من مبدأ وجودهم لانه ينتقص باعتبار
المبدأ وان لم ينتقص باعتبار المنتهى في حقهم بخلاف التأويل الاول وهو ان يكون الحكم مقيدا باليوم
فانه لا يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود فانه لا يصح ان يقال انهم في النار حين يأتي اليوم
خالدين فيها من ذلك المبدأ الا مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ لان الاستثناء انما يكون بعد الدخول
ومدة لبثهم فيهما غير داخلة في مدة الخلود لان الخلود انما اعتبر من مبدأ معين هو حين يأتي
اليوم **قوله** وقيل هو اي الاستثناء من قوله فيها زفير وشهيق كانه قيل لهم فيها زفير وشهيق في
جميع ازمنة كونهم في النار الا زمانا شاء ربك ان ينقطع ذلك منهم بان لا يسمع منهم شيء من ذلك
قوله وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان اي سواهما فالمعنى انه تعالى لما قال
خالدين فيها ما دامت السموات والارض فهم منه انهم يكونون في النار في جميع مدة بقاء السموات والارض
ثم قال سوى ما زاد على ذلك من الخلود الدائم ذكرا ولا مدة خلودهم ما ليس عند العرب مدة اطول
منها ثم زاد عليها الدوام الذي لا آخر له بقوله الا ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها ثم قال ان
ربك فعال لما يريد حيث قهر كافة الاشقياء بالخلود في النار واستثنى منهم الذين تعلق مشيته
بمغفرتهم وانجائهم منها **قوله** وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع فان الاستثناء
في الاشقياء وان دل على خروجهم من النار الا انه لا يلزم من خروجهم من العذاب وانقطاعه
كما ان الاستثناء في السعداء وان دل على خروجهم من الجنة لا يستلزم خروجهم من الثواب
فانهم يتنعمون بما هو اعلى من الجنة وكلمة ما في قوله الا ما شاء الله موصولة او موصوفة بمعنى الاشياء

بان يهجروا ما كنتم خالدين

بمعنى ما نص عليه بانهم خالدون فيها ولا ينقطع عنهم اصل النعيم وهو الذي بعد دخولهم فيها

في حق الاشقياء انهم في النار خالدون فيها الا الزمان الذين او الا زمانا شاء ربك ان لا يكونوا
فيها بان ينقلوا الى موضع اخر اشد عذابا منها وفي حق السعداء الا الزمان الذي او الا زمانا شاء ربك
ان لا يكونوا في الجنة بان ينقلوا الى ما هو اعز منها فبان الله تعالى اخبرنا بالذي يشاء لاهل الجنة فقال
عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع كما في قوله تعالى فجعلهم جذاذا ولم يخبر بالذي يشاء لاهل النار وروي عن
ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها
احقابا وعن ابي هريرة رضي الله عنه مثله ذكره صاحب الكشاف ومذهب اهل السنة ان لا يبقى فيها احد من اهل
الجنة الايمان واما مواضع الكفار فمخلدة ابدا وما اسند المص على انه ليس المراد من الاستثناء
في الثواب الانقطاع بالفرق بين الثواب والعقاب بذكر التأبيد في الثواب دون العقاب
فان قيل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا **قوله** اي اعطوا اعطاء
لان قوله في الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانما قال انه قيل اعطوا اعطاء وعطاء اسم
مصدر والمصدر في الحقيقة الاعطاء ثم انه تعالى لما قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص
عبدة الاوثان وما حل بهم من انواع العذاب والنقم اقبل عليه مسليا بقوله فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء اي لا تشك بعد ما انزل اليك من مآل الاشقياء في سوء عاقبة قومك وبال عبادتهم
الاوثان وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم **قوله** فلا تك اصله فلا تكن حذفت النون لكثرة الاستعمال
ولان النون الساكنة لم يبق منها عند التلفظ بها الا مجرد الغنة فلما وقعت في اخر الكلمة وهو محل
التغيير حذفت تشبيها بحروف العلة والمعنى اذا تبين عندك ما قصصت لك من قصص المشركين — مطلب
المتقدمين فلا تكن في شك من عبادة قومك المشركين في انها ضلال سيء العاقبة على ان كلمة
ما مصدرية ويجوز ان تكون موصولة اي من حال الذين يعبد ومن في انه يضر ولا ينفع ثم قال على
سبيل الاستيناف ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم اي انهم مشركون مثل ابائهم ما يعبدون
عبادة الا مثل عبادة ابائهم على ان ما مصدرية او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبده اباؤهم
من الاوثان على انها موصولة ولما شبه عبادتهم بعبادة ابائهم تبين انهم يجازون بمثل
ما عذب به اباؤهم **قوله** لتقييد التوفية يعني ان قوله غير منقوص حال من قوله نصيبهم جيء بها
لتقييد التوفية وتبيينها فان الشيء قد يوفى وهو ناقص وقد يوفى وهو تام كامل فقيل غير
منقوص لبيان ان توفية النصيب انما هو على وجه الكمال والتمام ويحتمل ان يكون حالا مؤكدة
لان لفظ التوفية يشعر بعدم النقص فقد استفيد معنى الحال من عاملها وهو شان الحال المؤكدة
وما بعد هذه الاية الى قوله مريب من جملة التسلية ايضا فانه تعالى بين في هذه الاية ان

ان كفار مكة ينكرون التوحيد ويعبدون الاوثان كما يعبد اباؤهم وانه تعالى يوفيهم نصيبهم
من العذاب كما وفى اباءهم بين بهذه الاية انهم كما ينكرون التوحيد ينكرون نبوته عليه الصلوة
والسلام ويكذبون كتابه كما انكر قوم موسى عليه الصلوة والسلام نبوته واختلفوا فيما انزل
عليه من الكتاب والمقصود منه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل ان اختلف فيما
انزل عليك من القران فلا تضطربن من ذلك ولا يشق عليك فقد اختلف فيما انزل على من
قبلك **قوله** وقرأ ابن كثير وابو بكر ونافع بالتخفيف اي بتخفيف ان المثبت بالفعل واعمالها
مع التخفيف باعتبار الاصل لان الفعل يعمل بعد التخفيف كما يعمل بدون التخفيف نحو لم يك زيد قائما
فكذلك الحرف الذي يعمل بشبهه الفعل واعمال المخففة لغة ثابتة عن العرب كقول من قال
كان ثديبه حقان وتنوين كلا عوض من المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة بتشديد لما على ان اصله لمن ما بكسر الميم على انها من الجارة دخلت على ما
الموصولة او الموصوفة والمعنى وان كل المختلفين فيه لمن الذين والله ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم
او لمن خلق او جماعة والله ليوفينهم ربك فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ما وجب ادغامها
في الميم اصلاحا للفظ فقلبت ميما وادغمت فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الاولى منها فصار لما
وقرأ الباقون لما بتخفيف الميم على ان اللام فيه موطئة للقسم واللام التي في ليوفينهم لام
الابتداء او بالعكس اي اللام الاولى ابتدائية والثانية لام جواب قسم مضمر والجملة من
القسم وجوابه خبران اي وان كل المختلفين والله ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم صالحة كانت او
فاسدة ولما اجتمعت اللامان زيدت بينهما كلمة ما للفصل كما فصل بالالف بين النونين في
يضربانِّ وبين الهمزتين في آانت اصلاحا للفظ **قوله** وقرئ لما بالتنوين على انه مصدر
لمه بمعنى جمعه فيكون تنوينه كتنوين كلا عوضا عن المضاف اليه وان كلهم جميعهم كقولك
جاءني القوم كلهم اجمعون وقوله اكلا لما تبشران لما في هذه القراءة منصوب على انه صفة كل
على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة او على ان الجمع بمعنى الجامع كما قيل في اكلا لما اي جامعا
بين نصيبه ونصيب غيره او اكلا جامعا لاجزاء الماكول وكذلك تقدير هذا وان كلا ليوفينهم
ربك اعمالهم لما اي يوفينهم توفية جامعة لاعمالهم جميعا ومحصلة لاعمالهم تحصيلا فهو كقولك
قياما لاقومن وقعودا لاقعدن يعني ان قوله لما في هذه القراءة منصوب بقوله ليوفينهم على
انه مفعول مطلق له من غير لفظه كانه قيل توفية جامعة لاعمالهم ليوفينهم كما تقول قياما لاقومن
نقل هذا عن ابن جني وقال ابو البقاء وانتصابه على الحال من ضمير المفعول في ليوفينهم ضعيف
قوله وان كل لما عطف على قوله لما بالتنوين اي وقرئ وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى

والتقدير وان كلا جميعا ليوفينهم جزاء اعمالهم والمقدر بمعنى المصدر اي المصدر بمعنى الكل كلا نجمعه وصف به الكل للدلالة على الاجتماع فان الكل يحتمل الاجتماع والافتراق

الاكل وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ ومعنى الاية ان من عجلت عقوبته ومن اخرت ومن
صدق الرسل ومن خالفهم سواء في انه يوفيهم جزاء اعمالهم في الاخرة فجمعت الاية الوعد
والوعيد لان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله تعالى انه
بما يعملون خبير تاكيد للوعد والوعيد فانه لما كان عالما بجميع المعلومات كان عالما بمقادير
الطاعات والمعاصي فكان عالما بمقادير اجزيته الاعمال كلها فلا يضيع شيء من الحقوق وذلك
نهاية البيان قراءة العامة يعملون بياء الغيبة اجراء على ما تقدم من المختلفين وقرئ بما تعملون
بتاء الخطاب جريا على الخطاب المتقدم وقرئ بياء الغيبة التفاتا من الخطاب اليها **قوله** في
الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف لان التصرف والانحراف عما يدل عليه النص
بظاهره ينافي الاستقامة كما امر قال الامام وعندي انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما
دل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى فاستقم كما امرت والعمل بالقياس انحراف
عنه وكذا لما ورد القرآن بالامر باعمال الوضوء في الاعضاء مرتبة في اللفظ وجب الترتيب فيها
ولما ورد الامر في الزكوة باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل
ما ورد امر الله به كل ذلك لقوله تعالى فاستقم كما امرت **قوله تعالى** ولا تركنوا بفتح الكاف على انه
من باب علم على قراءة العامة وقرئ بضم الكاف ايضا على انه من باب نصر وقوله تعالى فتمسكم منصوب
باضمار ان في جواب النهي وقوله وما لكم الاية حال من مفعول فتمسكم اي تمسكم حال انتفاء ناصركم
ويجوز ان يكون مستأنفة وقوله ثم لا تنصرون جملة فعلية معطوفة على الاسمية قبلها وقرئ ثم
لا تنصروا بحذف نون الرفع عطفا على تمسكم وكلمة ثم فيه اما للاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم بعد
استحقاقهم العذاب بسبب ركونهم او منزلة منزلة الفاء السببية في الدلالة على ان
مساس النار اياهم في حال انتفاء ناصرهم سبب لانتفاء كونهم منصورين بالكلية مع الدلالة
على استبعاد النصرة مطلقا ثم انه تعالى لما امره عليه الصلوة والسلام بالاستقامة في العقائد
والاعمال التي من جملتها اقامة الصلوة اردفه بالامر بها خاصة تنبيها على ان اعظم
العبادات بعد الايمان بالله تعالى هو الصلوة وقوله طرفي النهار ظرف لاقم وقراءة العامة
زلفا بضم الزاي وفتح اللام وهي جمع زلفة بسكون اللام نحو غرف في جمع غرفة وقرئ زلفا
بضمتين وهو ايضا جمع زلفة وضم اللام للاتباع كما قالوا في جمع بسرة بسر بضمتين **قوله**
وساعات منه قريبة من النهار اشارة الى ان الزلفة اول ساعات الليل وانه منصوب على
الظرفية لعطفه على طرفي النهار قال الامام كثرت الاقوال في تفسير طرفي النهار والاقرب ان
الصلوة التي تقام في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار زمان طلوع

٢٢٤

طلوع الشمس والطرف الثاني منه زمان غروبها فالصلوة التي تقام في الطرف الاول هي
صلوة الفجر والتي تقام في الطرف الثاني لا يجوز ان تكون صلوة المغرب لانها داخلة في التي
تقام في زلف من الليل فوجب ان يحمل ما يقام في الطرف الثاني على صلوة العصر اذا عرفت
هذا علم كون الاية دليلا على قول ابي حنيفة رحمه الله في ان التنوير في الفجر افضل وفي ان
تاخير العصر افضل وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على وجوب اقامة الصلوة في طرفي النهار
وبينا ان طرفي النهار هو الزمان المقارن لطلوع الشمس والزمان المقارن لغروبها
واجتمعت الامة على ان اقامة الصلوة في ذلك الوقت من غير ضرورة غير مشروع فتعذر
العمل بظاهر الاية فوجب حمله على المجاز وهو ان يكون المراد اقم الصلوة في الوقت
الذي يقرب من طرفي النهار لان ما يقرب من الشيء يجوز ان يطلق عليه اسم ذلك الشيء
واذا كان كذلك فكل وقت كان اقرب الى طلوع الشمس والى غروبها كان اقرب الى ظاهر
اللفظ واقامة صلوة الفجر عند التنوير اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها عند
التغليس وكذلك اقامة صلوة العصر عندما يصير ظل كل شيء مثليه اقرب الى وقت الغروب
من اقامتها عندما يصير ظل كل شيء مثله والمجاز كلما كان اقرب الى الحقيقة كان حمل
اللفظ عليه اولى فثبت ان ظاهر هذه الاية يقوي قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى في هاتين
المسئلتين فظهر بهذا سر قول المص لان صلوة الصبح اقرب الصلوة من اول النهار
ثم قال واما قوله زلفا من الليل فهو يقتضي الامر باقامة الصلوة في ثلث زلف من الليل
لان اقل الجمع ثلثة والمغرب والعشاء وقتان فيجب الحكم بوجوب الوتر حتى يحصل زلف ثلث
يجب ايقاع الصلوة فيها واذا ثبت وجوب الوتر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب في حق
الامة ايضا لان الامة مكلفون بما كلف الرسول عليه الصلوة والسلام الا ما خصه الدليل
ونظير هذه الاية بعينها قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فالذي قبل
طلوع الشمس هو صلوة الفجر والذي قبل غروبها هو صلوة العصر ثم قال ومن اناء الليل فسبح
وهو نظير قوله وزلفا من الليل عن سعيد بن جبير في طرفي النهار الغداة والعشي فصلوة طرف الغداة
صلوة الفجر والتي في طرف العشي الظهر والعصر **قوله** وسبب النزول ان رجلا من الانصار كان
يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت ما هو اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما
فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال له هل صليت معنا فقال نعم قال
اذهب فانها كفارة لما عملت ذهب ابن عباس رضي الله عنهما وعامة اهل التفسير الى ان تعريف

الحسنات للرهط الخارجي والمراد ان الصلوات الخمس يكفرن ما بينهن من الذنوب ما اجتنبت
الكبائر وعن مجاهد ان الحسنات هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **قوله** فهلا كان اشارة الى ان كلمة لولا تحضيضية دخلت على الماضي
فافادت اللوم والتوبيخ على ترك الفعل ومن القرون يجوز ان يتعلق بكان لانها هنا تامة اذ
المعنى فهلا وجد او حدث من القرون ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من اولو بقية لانه
لو تأخر عنه لجاز ان يكون نعتا له ومن قبلكم حال من القرون وينهون صفة لاولو بقية لما
بين الله تعالى ان الامم المتقدمة حل بهم عذاب الاستئصال بين ان السبب فيه امران الاول
انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض فان كلمة التحضيض هنا بمعنى الجحد والنفي
اي لم يكن في القرون التي اهلكناهم من قبلكم اصحاب بقية وخير ودين يقومون بالنهي عن الفساد
ولو كان فيهم هؤلاء لما اهلكناهم والسبب الثاني في نزول عذاب الاستئصال بهم ما ذكره بقوله
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وطغوا فيه بسبب من ترادف النعم عليهم فان المترف
من ابطرته النعمة وسعة العيش قراءة العامة اولو بقية بفتح الباء وكسر القاف وتشديد
الياء وفيها وجهان احدهما انها صفة على فعيلة بمعنى فاعل ثم غلبت الاسمية عليها حيث لم
يحتج الى ذكر الموصوف واجرائها عليه بل يجعل كناية عن الفضل والجودة على طريق ذكر الملزوم
وارادة اللازم فان الاستبقاء من لوازم الفضل والجودة لان الانسان انما يستبقي افضل ما
يخرجه اي يكسبه فشاع اطلاق البقية على الفضل والجودة فيقال فلان من بقية القوم اي
من خيارهم وافاضلهم ومن قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا اي خيار وقوله اولو بقية
من الرأي والعقل مبني على ان يكون بقية بمعنى باقية جارية على موصوف مقدر اي اولو خصلة
باقية من الرأي والوجه الثاني ما ذكره بقوله ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ويجوز ان تكون
بقية مصدرا بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى والبقوى بفتح الباء والبقيا بضم الباء اسمان
بمعنى الابقاء وهو الترحم يقال ابقيت على فلان اذا رحمته ابقاء اي رحمة والاسم منه البقيا
بضم الباء وكذلك البقوى بفتح الباء قلبت الياء واوا في البقوى لانه الاصل في كل فعلى من الناقص
اليائي والمعنى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه **قوله**
ويؤيده انه قرئ بقية بفتح الباء وسكون القاف وتخفيف الياء المفتوحة على وزن لقية من
بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره وفي الحديث بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي انتظرناه والبقية
المرة من مصدره والمعنى فلولا كان اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه
بهم لاشتغالهم **قوله** لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك اي ينهون عن الفساد بمعنى

قوله اولو بقية من الرأي والعقل فالبقية فعيلة بمعنى الفاعل [illegible] ما يبقى من الشيء [illegible] بالقطعة [illegible] كانه [illegible] سلمه

بل يجعل عبارة عن كل ما يطلق عليه الخير من العقل والتمييز والتدبير والفضل فلذلك خلت التاء فانها قد تدخل على الصفات لتنزل على غلبة الاسمية عليها كالنطيحة والذبيحة سلمه

قوله ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية يحتمل ان يكون هذا ما قال جار الله لكن البقوى بالباء الموحدة وكذا التقوى بالتاء المثناة اسم لا مصدر الا ان يقال اراد انهما مصدران في الاصل ثم استعملا اسمين ويحتمل ان يريد ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى تقيا وينصره قوله ويؤيده انه قرئ بقية بفتح الباء وسكون القاف وخفة الياء الا انه جعله بمعنى مصدر الافعال ولا باس سلمه

قوله لكن قليلا ممن انجينا منهم [illegible] سلمه

بمعنى ان قوله الا قليلا استثناء منقطع لانه لو جعل متصلا مع كون ما قبله محمولا على ظاهر معناه و
هو التحضيض لفسد المعنى اذ لا معنى لتحضيض اولي البقية على النهي عن الفساد الا القليل من
الناجين لانه لو جعل قوله الا قليلا استثناء متصلا من حكم المحضضين على النهي عن
الفساد لكان القليل الذي نجي من عذاب الاستئصال خارجا عن كونهم محضضين على النهي عن
الفساد لان شأن المستثنى ان يسلب عنه ما اثبت للمستثنى منه فيكون حكم المحضضين متعلقا
بما عدا القليل الناجين بخلاف ما اذا لم يحمل الكلام على ظاهره وجعل الا قليلا استثناء من النفي
اللازم من التحضيض فان التحضيض على النهي عن الفساد يستلزم انتفاء النهي عنه فانه حينئذ يصح
ان يجعل الاستثناء متصلا فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية ينهون الا قليلا وهو معنى
صحيح غاية ما في الباب ان ينصب المستثنى في غير الموجب مع ان الافصح ان يرفع على البدلية ولا
محذور فيه كيف وقد قرئ ما فعلوه الا قليل منهم بالرفع والنصب وكلمة من في قوله ممن انجينا
حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض وذلك لان مدخول من البيانية يجب ان يكون عبارة عن المبين
كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فعلى تقدير جعلها للبيان تكون الناجين من عذاب
الاستئصال هم القليل الذين نهوا عن الفساد وتكون الكثير الذين لم ينهوا محكوما عليهم بالعذاب
وهذا المعنى مطابق لما جاء في سورة الاعراف من قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس بخلاف ما اذا جعلت للتبعيض فانه حينئذ يكون قوله ممن انجينا بدلا من
قليلا فيلزم ان يكون الناهون بعض الناجين ويكون البعض الاخر من الناجين غير
ناهين وهو مخالف لما في سورة الاعراف من ان الناجين هم الناهون وان ما عدا الناهين
محكوم عليهم بالعذاب ثم انه تعالى لما بين السبب الاول لنزول عذاب الاستئصال على الامم
السالفة وهو انه لم يكن فيهم قوم ينهونهم عن الفساد في الارض شرع في بيان السبب الثاني
له فقال واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه قراءة العامة واتبع بهمزة وصل وتاء مشددة مفتوحة
بعدها اي اتبعوا ما انعم الله به عليهم من الشهوات اي المشتهيات جمع شهوة بمعنى المشتهى يقال
شهيت الشيء بالكسر شهوة اذا اشتهيته اشتهاء كانه قيل واتبع الذين ظلموا شهواتهم اي
ما يشتهونه ومعنى اتباعه الاهتمام بتحصيله وتحصيل اسبابه والاعراض عما وراء ذلك والترف
من الترفه وهي النعمة والمترف ايضا الذي ابطرته النعمة وسعة العيش اي اطغته **قوله**
نشؤ الظلم مستفاد من جعل ظلموا صلة الذين لان وضع الموصولات للاشارة الى ما يتميز عند
المخاطب بمضمون الصلة وترك النهي مع الكفر مستفاد من مفهوم ظلموا لان معناه ظلموا بترك
النهي عن الفساد وبالشرك الذي هو ظلم عظيم واتباعهم الهوى مستفاد من قوله واتبعوا ما

ما اترفوا فيه قوله اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد لما ترى ان التحضيض على النهي عن
الفساد يدل على انتفاء المحضض عليه ولا يجوز عطفه على انجينا لانه صلة من ويمتنع ان
يتبع قوله واتبع صلة ولا معنى لجعله حالا من فاعل انجينا لان انجاء القليل ليس في حال اتباع
الكثير الشهوات وانما نجوا منها لهلاك الكثير واخذهم بجزاء اترافهم فتعين جعله عطفا
على مقدار الا ان صاحب الكشاف جعله معطوفا على نهوا المقدر جزاء الا بمعنى لكن والمص عطفه على
ما دل عليه جملة التحضيض ولعله نظر الى ان فيما اختاره عطف احد سببي الاستيصال على الآخر
الا انه وضع الظاهر موضع المضمر في قوله واتبع الذين ظلموا للتصريح بان اتباع الشهوات ظلم
منهم وانه هو المؤدي الى الاستيصال وهذه المناسبة منتفية فيما اختاره صاحب الكشاف
قوله وكانوا مجرمين عطف على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك لان اتباع
الشهوات لا يخلو عن جرم او اعتراض للحكم عليهم بانهم قوم مجرمون اي قوم عادتهم الاجرام
والوقوع في الاثم ومثله لا يسمى اعتراضا في اصطلاح النحاة لان المعترضة عندهم يجب
ان يتوسط بين كلامين يرتبط احدهما بالآخر الا ان المص وصاحب الكشاف يجوزان
وقوعها في آخر الكلام قوله وقرئ واتبع بضم همزة القطع وسكون التاء وكسر الباء على
بناء المفعول من باب الافعال ولا بد حينئذ من حذف المضاف اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيه على
ان الواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم ويجوز ان يفسر القراءة
المشهورة بتقدير المضاف ايضا اي واتبع الذين ظلموا جزاء ما اترفوا فيه وانما تعين جعل
الواو حالية في هذه القراءة لعدم الحاجة الى تقدير المعطوف عليه لقوله واتبعوا المضي جعله
حالا من فاعل انجينا وتقييد انجاء الناهين بحال اتباع التاركين جزاء اترافهم وتعرضهم
لعذاب الاستيصال بسبب ظلمهم بالاشراك وترك النهي غاية ما في الباب احتيج الى تقدير المضاف
في هذه القراءة وهو سهل لوضوح القرينة الدالة عليه بخلاف القراءة المشهورة فانه لا وجه
لجعل الواو حالية فيها لما مر من ان انجاء القليل الناهي عن الفساد ليس في حال اتباع الذين
ظلموا شهواتهم فتعين جعلها عاطفة والاحتياج الى تكلف تقدير المعطوف عليه ثم اشار
بقوله ويجوز ان يفسر المشهورة الى انه يجوز ان يجعل الواو حالية فيها ايضا بتقدير المضاف
لارتفاع ما يمنع به الحالية بتقديره كانه قيل انجينا القليل الناهي وقد اتبع الذين ظلموا //
بالشرك وترك النهي جزاء اترافهم وانهماكهم في شهواتهم وبعض هذا التفسير تقدم ذكر
انجاء الناهين اذ يناسب ان يتبين هلاك من تركه وانهمك في شهواته ثم انه تعالى لما
بين ان سبب هلاك الامم السالفة امران فشو الظلم فيما بينهم واتباعهم الشهوات
بين

بين انه ليس من شانه ولا يصح له ان يهلك القرى بمجرد شركهم ما لم ينضم اليه ظلم بعضهم
على بعض في المعاملات الواقعة فيما بينهم فاذا انضم اليه ذلك يهلكهم ويعذبهم بعذاب الاستيصال
وذلك لانه تعالى لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه يمهل الكافرين ويمدهم ولا يعاجل في تعذيبهم و
يؤخرهم الى دار الجزاء وانما يعجل عقوبة الظلمة الذين دابهم وعادتهم ظلم الخلق وايذاؤهم
ولذلك قالت الفقهاء اذا تزاحمت الحقوق يقدم حقوق العباد على حق الله تعالى لاحتياج
العباد وسعة رحمة الله تعالى وكرمه واللام في قوله تعالى ليهلك القرى لام الجحود ينتصب الفعل
بعدها باضمار ان وهي متعلقة بخبر كان المحذوف والتقدير وما كان الله مريدا لان يهلك اهل
القرى بمجرد الظلم والمراد به ههنا الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم هذا ما ذهب
اليه البصريون وقال الكوفيون قوله ليهلك خبر كان واللام زائدة لتاكيد النفي قوله بظلم متعلق بيهلك
والباء فيه سببية وجوز الزمخشري ان يكون حالا من فاعل قوله ليهلك والتنكير في قوله بظلم
للتعظيم اي لا يهلكهم بسبب ظلم لا ظلم اعظم منه وهو الشرك حال كونهم مصلحين فيما بينهم قوله
وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة حيث صرح بان الامور تابعة لمشية الله في الوقوع
ولا يجري في ملكه الا ما يشاء ويتبين انه لم يرد ان يتفق الناس كلهم على ملة الاسلام ومن المعلوم
انه تعالى امر كلهم وكلفهم بالايمان والطاعة ويلزم منه ان يكون الامر غير الارادة والا لزم كونه تعالى
آمرا للكل بالايمان وغير آمر به قوله وان ما اراده يجب وقوعه يدل عليه قوله ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة حيث جعل تعلق الارادة باتفاق الكل على ملة واحدة مستلزما موجبا
لاتفاقهم عليها قوله تعالى ولا يزالون مختلفين بعد بيان ان الامور منوطة بمشية الله تعالى
ولا تجري في ملكه الا ما يشاء يدل على ان معناه لكن شاء ان يكونوا مختلفين على اديان وملل
شتى بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك وموحد لما علم منهم اختيار ذلك فلا يزالون //
مختلفين هكذا كما شاء قوله الا ناسا هداهم الله تعالى اشارة الى انه استثناء متصل من ضمير
مختلفين وجاز كونه استثناء من فاعل لا يزالون ولا ضرورة تدعو الى جعله استثناء منقطعا
بمعنى لكن من رحم لم يختلفوا قوله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق اشارة الى ان الاختلاف
في الاحكام الاجتهادية لا ينافي كون المختلفين فيها من المرحومين ان كان ضمير خلقهم للناس يكون
قوله ذلك اشارة الى ما هم عليه من الاختلاف او اليه والى الرحمة وان كان الضمير المذكور لمن
فذلك اشارة الى الرحمة وعلى التقادير يكون اللام في قوله لذلك للعاقبة لا للعلة لان افعاله تعالى
لا تكون معللة بالاغراض ليس المراد من اجتماع فريقي الجنة والناس في جهنم اجتماع جميع
آحاد كل واحد من الفريقين فيها بل المراد اجتماع العصاة منهما فيها للعلم بانها انما اعدت

قوله واللام فيه للعاقبة لا للعلة
لان افعاله تعالى غير معللة ولانه
لو خلقهم للاختلاف واراد
منهم ذلك لكان لا يجوز ان يعذبهم
عليه اذ كانوا مطيعين له
بذلك الاختلاف ولان الآية
حينئذ تكون مخالفة لقوله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا
ليعبدون

قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية
عطاء يريد انه تعالى خلق اهل
الرحمة للرحمة واهل الاختلاف //
للاختلاف وخلق الجنة و
خلق لها اهلا وخلق النار
وخلق لها اهلا وهذا اختيار
الفراء والزجاج قال الزجاج
ويدل على صحة هذا قوله تعالى بعده
وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين
قال الثعلبي يريد من كفار الجن
وكفار الانس وهذا تصريح
بانه تعالى خلق اقواما للهداية
والجنة واقواما اخرين //
للضلالة والنار واجمعين
تاكيد والاكثر ان يستعمل
وقد جاء ههنا بدونها

لتعذيب العصاة بها ويجوز ان يكون فائدة التاكيد لقوله اجمعين تقرير ان اهل النار هو
مجموع الفريقين لا من احدهما فقط قوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل اشارة الى ان كلا منصوب على انه مفعول
به لقوله نقص قدم على عامله وان تنوينه بدل عن المضاف اليه المحذوف ومن انباء الرسل
بيان لكلا او صفة له وما نثبت بيان آخر لكلا بتقدير اعني او بدل من كلا وفائدة ايراده
على سبيل البيان او البدل التنبيه على ما هو المقصود من ذكر القصص المذكورة في هذه السورة
الكريمة وهو تثبيت الفؤاد على اداء الرسالة والصبر على ما اصابه من اذى قومه فانه عليه الصلوة
والسلام اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع اممهم
مثل حاله مع امته سهل عليه تحمل اذى قومه وامكنه الصبر عليه فان الانسان اذا ابتلي بمحنة وبلية
فراى جماعة يشاركون له فيها خف على قلبه بليته فان البلية اذا عمت طابت ومع ذلك يحصل
له عليه الصلوة والسلام بسماع تلك الاقاصيص من زيادة اليقين وطمانينة القلب فيما يتعلق
بكمال قدرة الله وحكمته ورحمته على عباده ما لا يطلع على كنهه الا هو قوله او منصوبا عطفا
على قوله بيان لكلا ويحتمل ان يكون ما نثبت مفعولا نقص ويكون كلا منصوبا على المصدر بان يكون
تنوين كلا عوضا عن المضاف اليه المحذوف الذي هو الاقتصاص المتناول لكل نوع من انواع
كانه قيل نقص عليك ما نثبت به فؤادك اقتصاصا متناولا لجميع انواعه قوله وجاءك في
هذه السورة تخصيص هذه السورة بالحكم بمجيء الحق فيها مع ان ما جاء في جميع السور حق يحتج
تدبره واذعانه والعمل بمقتضاه تشريفا لها ورفعا لمنزلتها ثم انه تعالى لما ذكر الفائدة المختصة
به عليه الصلوة والسلام من اقتصاص انباء الرسل والفائدة التي تعم المؤمنين جميعا شرع
في تهديد من لم يتاثر من اقتصاصها ولم ينتفع بها فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم
اي على حالكم من الجهل والعناد انا عاملون على حالنا من الهداية والارشاد وانتظروا ابا يفيها
من سعادة الدارين انا منتظرون ان يصيبكم عذاب الدارين وخسرانهما ثم انه ختم الكلام بكلام
جامع يتضمن وعد المؤمنين وتهديد المعاندين حيث بين ان ما غاب علمه عن الخلق في السموات
والارض علم مختص به تعالى لا يعلمه احد غيره فقال ولله غيب السموات والارض بتقديم الظرف المفيد
للاختصاص كما في قوله تعالى له الملك وله الحمد وكذا التقديم في قوله واليه يرجع الامر كله قوله
وقرأ نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح الجيم اي يرد وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الجيم
اي يعود الامر كله يوم القيمة اليه لا الى احد غيره فيجازي كل احد على حسب احاطة علمه بجميع
احواله اعتقادا او عملا قوله تعملون انث وهم اشارة الى انه اختار قراءة نافع وحفص
وابن عامر وهي القراءة بتاء الخطاب على تغليب الخطاب على الغيبة على وفق قوله اعملوا وقراء

فان اعملوا وان كان على صيغة الامر الا ان المراد به التهديد

ما ورد على قوله تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب ان يقال على تقدير ان يكون المراد بالكتاب السورة يكون حاصل الكلام ايات السورة
ايات السورة ولا فائدة فيه اشار الى دفعه بان المراد بالمبتدا الايات من حيث هي لا نحصى السورة وبالخبر الايات من حيث كونها موصوفة بكونها

٢٢٦

وقرأ الباقون بياء الغيبة رجوعا الى قوله للذين لا يؤمنون وهذا الخلاف الواقع هنا واقع ايضا
في اخر النمل تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تلك اشارة الى ايات السورة فان الر على تقدير كونه اسما للسورة كما قيل يكون ايا تامة ولا
نقضيا فيصح ان يشار اليها بقوله تلك وان يكون تعريف الكتاب للعهد الخارجي والمعهود السورة
المسماة بقوله الر فيكون الر فيكون مبتدا وتلك ثانيا وما بعده خبر الثاني والجملة خبر الاول كانه قيل
هذه السورة اياتها ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب او الواضحة معانيها على ان المبين
من ابان اي ظهر ووضح او المبينة على ان المبين من ابان بمعنى بين واوضح فان كان المبين بمعنى الظ
يحتمل ان يكون المراد بظهور الكتاب بمعنى السورة ظهور كونه معجزا للعرب موجبا لتبكيتهم او ظهور
معانيه للعرب بكونه نازلا بلسانهم وان كان بمعنى المبين لا تبدو تقدير المفعول هو كونه من عند الله
لا من كلام البشر او ما سالت اليهود اشار اليهما بقوله او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود
ما سالوا او اعلم ان نافعا وابن كثير وعاصما قرءوا الر بفتح الراء على التفخيم والباقون بكسرها على الامالة
والاصل في امثالها ترك الامالة كما تركت في ما ولا اذ لا دليل على كون الفاتها منقلبة عن الياء ومن
امال لا نظر الى ان هذه الالفاظ اسماء الحروف المخصوصة فقصدوا بامالتها التنبيه على انها اسماء
للحروف ثم انهم اتفقوا على ان قوله الر وحده ليس باية واتفقوا على ان قوله طه وحده اية ومسئلة
تعيين الايات وتمييزها عما ليست باية توقيفية لا مدخل فيه للراي روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء
المشركين ان يعقوب عليه الصلوة والسلام كان كنعانيا متوطنا بكنعان وهو من نواحي الشام
فسلوا محمدا صلى الله عليه وسلم بان سبب انتقال آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه
الصلوة والسلام فنزلت السورة بسبب سؤالهم قوله سمي البعض قرآنا فان قرآنا حال من مفعول
انزلناه وهو ضمير الكتاب الذي عبر به عن السورة وهي بعض القرآن قوله وهو في نفسه
اما توطئة للحال او ليس حالا في نفسه لان الحال يجب ان يكون صفة قائمة بذي الحال مبينة
باعتبار نفسها هيئة الكتاب بمعنى السورة وامتيازها باعتبار الغير وهو ما يتعين من الصفة
التي هي قوله عربيا فان الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة فقوله قرآنا
كذلك فانه توطئة للحال والحال في الحقيقة هو عربيا ولا يكون في نفسه حالا لانها للهيئة
الا اذا كان مصدرا بمعنى المفعول وكان عربيا صفة له او حالا من الضمير فيه على سبيل التداخل
اي انزلناه حال كونه مقروءا حال كونه عربيا قوله اي انزلناه مجموعا او مقروءا
بلغتهم بمعنى قرآنا يجوز ان يكون مصدر قرات الشيء بمعنى جمعته وان يكون مصدر قراته بمعنى

يكون حاصل الكلام ايات السورة ايات من حيث كونها موصوفة بكونها ظاهر الاعجاز او بكونها مظهرا لغيرها ما ينبغي فلما تحقق التغاير بين الموضوع و المحمول بهذا الاعتبار حصلت الفائدة من الحكم وان اتحدا ذاتا منه

الظ ان الر اسم للسورة و انه في محل الرفع على انه مبتدا حذف خبره او خبر مبتدا محذوف اي الر هذه السورة او هذه السورة الر اي مسمى بهذا الاسم وان ابقيتها على اصل معناها وهو ان يكون اسما للحروف التي تتركب منها الكلام وجعلتها تعديدا للحروف على طريق التحدي وتنزلتها منزلة ان يقال ان المؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع على الابتداء او الخبرية والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هو المتحدى به منه

وجه التعليم لا بد ان من ان المشار اليه لا بد ان يتقدم على الاشارة لان الشيء ما لم يوجد لا يمكن ان يشار اليه انه لا يلزم ان يكون موجودا في الخارج قبل الاشارة بل يكفي ان يكون موجودا في ذهن المخاطب قبلها وما نحن فيه من هذا القبيل فان الر سواء جعل اسم السورة او جعل تعديدا للحروف وابدلها على السورة او المتحدى به المؤلف من الايات وعلى التقديرين يحضر في ذهن المخاطب الايات التي تضمنت السورة او المتحدى به فيصح ان يشار اليها بتلك باعتبار حضورها ذهنا وان كانت مترقبة بحسب الوجود الخارجي قال صاحب الكشاف في قولك هذا فراق بيني وبينك تصور فراق حضر عند حلول الميعاد فاشار اليه وجعله مبتدا وخبرا منه

ان قولنا يجوز ان يكون مصدر تلوته وسمى القران قرانا لكون سورها وآياتها مجموعة مقرونا
بعضها مع بعض في التلاوة والكتابة قوله احسن الاقتصاص على ان يكون لفظ القصص
مصدرا بناء على ما جاء من المصدر بناء قصه يقصه قصصا كما بينا شكله سلا اذا طرده
قوله او احسن ما يقتص على ان يكون القصص فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب والنفض
بمعنى المنقوض والمحسوب والمنفوض يقال نفضت الثوب والشجر انفضه نفضا اذا حركته لينتفض والنفض بالتحريك ما تساقط
من الورق والثمر وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض فان اريد به المعنى المصدري
يكون المعنى نقص عليك احسن الاقتصاص ويكون انتصابه على انه مصدر لنقص ويكون
مفعول نقص محذوفا اكتفاء بدلالة قوله بما اوحينا اليك هذا القران عليه وان كان بمعنى
المفعول يكون المعنى احسن المقصوص ويكون منصوبا على انه مفعول به فان اريد بالقصص
الاقتصاص يكون المعنى نقص عليك هذه القصة على وجه هو احسن من اقتصاصها
اياها على موسى في التورية فانه روي ان اليهود تفاخروا بان الله تعالى لم يقص يوسف
عليه الصلوة والسلام في التورية وهي غير مذكورة في القران فنزلت هذه السورة على ابلغ
طريقة واعجب اسلوب بلغة العرب التي هي افصح من لغة اليهود لمنزله افتخارهم على المسلمين
وان كان القصص بمعنى المقصوص فقد وصف الله تعالى هذه القصة بانها احسن ما يقتص
ويحكى لما فيها من الفوائد والحكم والعبر ما ليس في غيرها قال يحيى الحسنة سمى الله تعالى قصة يوسف
احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من
سير الملوك والممالك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز
عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من الفوائد ولذلك قيل ان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه
بهما اهل الجنة وقيل لا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح اليها واستانس وسكن
اليه واطمأن ثم الظاهر انه ليس المراد ان قصة يوسف عليه الصلوة والسلام احسن
الاقاصيص مطلقا لئلا يلزم كونها احسن من قصة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم
بل المراد انها احسن الاقاصيص المفيدة لما تضمنت قصة يوسف عليه الصلوة والسلام
من الفوائد كمعرفة سير الملوك والممالك ومكر النساء وغير ذلك مما ذكرنا قوله واشتقاقه
ليس المراد من اشتقاق القصص بمعنى الحكاية والاخبار من قصة اذا اتبع الاشتقاق
على اصطلاح التصريفيين لان القول باشتقاق المصدر من الفعل مع كونه قولا ضعيفا
انما يصح فيما اذا كان مدلول المصدر عين المعنى المصدري الذي تضمنه الفعل الاصطلاحي
وهذا المعنى مفقود فيما نحن فيه لان المعنى المصدري الذي دل عليه قصه بمعنى اتبعه معنى
مباين

كنفض نحو قبض بمعنى المنفوض والسلب بمعنى المسلوب

بمعنى مباين للقصص بمعنى الحكاية والاخبار بل المراد بالاشتقاق ههنا النقل المبني
على المناسبة بمعنى المعنى الاصلي والمعنى المنقول اليه فان المعنى الاصلي للقصص هو الاتباع
قال الله تعالى وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وقال فارتدا على اثارهما قصصا اي اتباعا
ثم نقل منه الى الحكاية والاخبار فقيل قص الحديث اي حكاه لوجود معنى الاتباع في الحكاية
لان حاكي الحديث يتبع ما في حفظه وخياله شيئا فشيئا ونظيره التلاوة بمعنى القراءة فانها ايضا
منقول من التلاوة بمعنى الاتباع لوجود معنى الاتباع في القراءة لان القارئ يتلو اي يتبع ما
في حفظه او ما في كتابه شيئا فشيئا والباء في قوله بما اوحينا متعلقة بنقص وما مصدرية
والمعنى نقص عليك بايحائنا اليك هذا القران وضمير من قبله يرجع الى الايحاء قوله ان جعل
مفعولا بمعنى ان جعل قوله احسن القصص مفعولا لان وقت قول يوسف لابيه كلا وكذا
مشتمل على ما هو احسن المقصوص اشتمال الظرف على المظروف فجاز كونه بدلا منه كما جاز
كونه منصوبا باضمار اذكر واما اذا كان مفعولا مطلقا بمعنى نقص عليك احسن الاقتصاص
فلا يجوز الابدال ح بل يتعين كونه منصوبا باضمار اذكر لان زمان قول يوسف ليس نفس
الاقتصاص ولا بعضه ولا ظرفا له مشتملا عليه لان الاقتصاص انما وقع وقت نزول القرآن
في اخر الزمان لا في زمان قول يوسف لابيه ما قال قوله ويوسف عبري اي اسم اعجمي علم فلذلك
منع من الصرف ولو كان عربيا لما وجد فيه الا العلمية فكان منصرفا منونا ويدل على كونه اعجميا معربا
قراءته بفتح السين وكسرها على وجه التلعب به فان العرب اذا عربت اسما ليس من لغتها غيروه
بانواع من التغيير فيعبرون بذلك كانهم يتلعبون به فمفتوح السين وان كان على وزن المضارع
المبني للمفعول ومكسور السين على وزن المضارع المبني للفاعل من آسف وكان ينبغي ان لا ينصرف
لوزن الفعل والتعريف الا انه لما لم يجر على القراءة المشهورة مع انه ليس على وزن الفعل فيها
بل للعجمة والتعريف تعين كونه عجمة وان قرئ بفتح السين او كسرها ايضا لئلا يلزم كون اللفظ
عربيا تارة واعجميا اخرى قوله لتناسبهما في الزيادة فان ياء الاضافة وتاء التانيث لما
تناسبا من حيث ان كل واحدة منهما زيادة ملحقة باخر الاسم عوضت تاء التانيث عن ياء
الاضافة وذكرت بدلها وابقيت مكانها وليس في كلام العرب حذف الحرف اعتباطا بلا علة توجب
اليه من قولهم عبطت الناقة واعتبطها اذا ذبحها وليس بها علة فلما عوضت احدى المتناسبتين
عن الاخرى وجب حذف اولهما لئلا يجتمع العوض مع المعوض عنه قوله ولذلك ولكونها تاء تانيث
قلبت هاء في الوقف ولو كانت اصلية لبقيت على حالها في الوقف والوصل كبنت واخت
ابانه ولكونها عوضا عن ياء الاضافة لا يجوز الجمع بينهما الا عن ضرورة كما في قوله يا ابتي لا زلت

وان هو الخفية من النفث معنى ورسمها ضبط الى ان يظهر وان الضمير ان ان لانثت من قبل اي الى الكتب من القرآن نقلت عنه

قوله بدل الاشتمال زاد جار الله فان قلت نقص فيه وقته فقد وقع به ان يقال اذا كان الوقت بدلا لكونه مقصوصا والا معنى لم وحاصله ان المراد لا نزله هو اقتصاص قوله نا ان اقتصاص لازم لا اقتصاصه وقت اسم وفي زمنه بل لا يكون في بدلا لاشتمال بل بدل الكل او البعض الا ان ينبغي بظاهر اللفظ وبعد التسليم ان بدل الاشتمال كما ذكرنا لا يكون البدل عين المبدل منه ولا بعضه بل يكون المبدل مشتملا على البدل من حيث كونه دالا عليه اجمالا ومتقاضيا له بوجه حتى تبقى النفس عند ذكر المبدل منه مشوقة الى ذكره منتظرة له فيجيء هو بيانا لما اجمل اولا ولا يخفى ان ما نحن بصدده ليس من هذا

فبلاد ابها لنا أملُّ في العيش ما كنت علمتنا فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر اجيب بانه كثيرا ما يوصف المذكر بما فيه تاء التانيث نحو غلام يَفَعَةٌ ورجل رَبْعَةٌ ويقال حمامة ذكر وشاة ذكر والربعة بسكون الباء مربوع الخلق لا قصير ولا طويل واليفعة بفتح الياء والعين مرتفع القامة واليفاع ما ارتفع من الارض وايفع الغلام اي ارتفع من الارض وهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر وغلام يفع ويفعة ايضا **قوله** الا ابن عامر فتحها الا فيه بمعنى لكن لما ذكر علة كسر التاء في يا ابت توهم انه لا يجوز غير الكسر فدفع ذلك التوهم بان قال الا ان ابن عامر فتح التاء في ابت حيث وقع في القران لكون الفتحة حركة اصلها الذي ياء الاضافة فان التاء عوض عن ياء الاضافة التي حقها ان تكون مفتوحة لكونها اسما والاسماء حقها ان تكون متحركة لاصالتها في الاعراب وكون الفتحة اخف الحركات كما حركت تارات وكان حقها بالفتح الا ان ياء الاضافة اسكنت للتخفيف لانها حرف لين بخلاف التاء فانها حرف صحيح تحركت بحركة اصلها لان العوض حقه ان ياخذ حكم المعوض عنه او لان يا ابت اصله يا ابتا فحذفت الالف اكتفاء بالفتحة وقرئ يا ابتُ بضم التاء اجراء اللفظ ابت مجرى نحو ثبة من الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض فانها اذا نوديت تبنى على الضم فيقال يا ثبة اقبل فكذا اقبل يا ابت بجعلها مفردا معرفة **قوله** رأيت من الرؤيا لا من الرؤية والرؤيا وان كانت من الرؤية الا انها اختصت بالرؤية في المنام كالقربة فانها وان كانت من القرب الا انها اختصت بالقرب من جهة النسب والقربة اختصت بما يكون من جهة المسافة فرق بينهما بحرف التانيث وقرئ اني رأيت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين احترازا عن توالي الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة **قوله** استيناف على تقدير السؤال عن حال رؤيتها كان سائلا سأل كيف رأيتهم فقال رأيتهم لي ساجدين وليس بتكرار وانما اجريت مجرى العقلاء حيث جيء بضمير العقلاء وبلفظ ساجدين وهو جمع العقلاء لوصفها بالوصف المختص بالعقلاء وهو السجود **قوله** وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء على ان اصله يا بنيا الذي اصله يا بنيي ابدلت ياء الاضافة الفا كما قيل في يا غلامي يا غلاما بناء على ان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة ثم حذفت الالف اكتفاء بالفتحة وقرأ الباقون يا بني بحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة كما قيل يا غلام في يا غلامي فان ابن جعفر علي بني فاذا اضيف الى ياء المتكلم قيل يا بنيي فان شئت ابدلت ياء الاضافة الفا فقلت يا بنيا وان شئت حذفتها اكتفاء بالكسرة كل ذلك للتخفيف روي ان يوسف عليه الصلاة والسلام راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض على هيئة الدائرة واذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا

مطلب

هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة هذه الرؤيا فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل ففهم يعقوب عليه الصلاة والسلام من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه من بين اخوته للنبوة ويجتبيه للوحي والحكمة وينعم عليه كما انعم في ابائه فخاف ان يحسده عليها اخوته ويحتالوا حيلة في اهلاكه فلذلك نهاه عن ان يقص عليهم رؤياه والرؤيا هي انتقاش الصورة المنحدرة اي المنهبطة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والرؤيا بهذا المعنى تتناول الصادقة منها والكاذبة والصادقة منها انما تكون باتصال النفس الناطقة بعالم الملكوت وارتسامها بما فيها من المعاني الحاصلة هناك اللائقة بحالها وبان يحكي المتخيلة ما ارتسم في النفس بان ينتقش فيها ما ارتسم في النفس ويلقيها الى الحس المشترك فتشاهدها وهذه هي الرؤيا الصادقة الجوهرية يقال حكيت فعله وحاكيته اذا فعلت مثل فعله والمحاكاة المشابهة يقال فلان يحكي الشمس حسنا ويحاكيها اي يشابهها في الحسن ثم ان كانت الصورة المتخيلة الجزئية شديدة المناسبة لذلك المعنى الكلي الذي استفادته النفس من عالم الملكوت استغنت الرؤيا عن التعبير فانه عليه الصلاة والسلام راى سجود الكواكب والشمس والقمر فلم يحتج ما رآه من الصورة الى التاويل بان يأول الكواكب باخوته حيث كانوا رجالا استضاء بهم كما يستضاء بالنجوم ويأول الشمس بامه والقمر بابيه لان الشمس مؤنث والقمر مذكر مع امتيازهما عن الكواكب بشدة الانارة وقوتها وقيل الشمس ابوه والقمر امه وقيل القمر خالته لان امه راحيل كانت قد ماتت ولم يدخل عليه حين ما دخل عليه قومه وهو بمصر ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا ولم يحتج سجودهم الى التعبير وخرج على نوعين ما رآه يوسف عليه الصلاة والسلام وهو كرؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام في المنام ذبح ولده فان نفس الذبح لم يحتج الى التعبير الا ان الولد عبر بالكبش لكونه فداء ولده فان يوسف عليه الصلاة والسلام رآهم يسجدون له اما بوضع جباههم على الارض على وجه التعظيم والتكريم لا على وجه العبادة او بتواضعهم له ودخولهم تحت امره فخرج الامر على عين ما راى **قوله** وانما عدي كاد باللام وهو يتعدى بنفسه كما في قوله فيكيدوني جميعا فالظاهر على هذا ان يقال فيكيدوك الا انه عدي باللام لتضمينه معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل فيكيدوا ويحتالوا لك او فيحتالوا لك كائدين **قوله** تاكيدا علة للتضمين يعني ان النكتة في اعتبار التضمين التاكيد والمبالغة في النهي والتحذير عن قصص رؤياه فان اعتبار الفعل المضمن والمتضمن فيه اكد وابلغ في التخويف والتحذير **قوله** ولذلك اي ولكون المقام مقام التاكيد والمبالغة في التحذير اكد بالمصدر فقيل فيكيدوا لك كيدا والكيد الاحتيال في ايصال الشر الى الغير وهو غير عالم بما في قلبك **قوله** وكما اجتباك اي مثل اجتبائك واخبارك واصطفائك من بين اخوتك لهذه الرؤيا على ان الكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى يجتبيك لامور عظام اجتباء مثل اجتبائك لهذه الرؤيا **قوله** كلام مبتدأ خارج

عن التشبيه لم يجعل التعليم مشبها باجتبائه للرؤيا الشريفة كما شبه اجتباؤه لامور عظام //
باجتبائه لها لان المقصود تشبيه اجتبائه لامور عظام مغايرة لخصوص هذه الرؤيا الشريفة
وبهذا المقصود قد تم بقوله يجتبيك ربك غاية ما في الباب انه لم يفصل ما اجتباه من العظائم //
ليذهب في ذهن السامع كل مذهب فان المفعول به الصريح قد لا يذكر لقصد التعميم كما في قوله تعالى والله
يدعو الى دار السلام اي يدعو كل احد كذلك قد لا يذكر المفعول به الغير الصريح لذلك كما في هذه الآية ولما
تم المقصود بقوله يجتبيك ربك كان قوله ويعلمك من تأويل الاحاديث كلاما مبتدأ خارجا عن
التشبيه مسوقا لبيان ما له من الفضائل غير ما اجتباه له من الفضائل المختصة به من بين
اخوته قوله ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب لانه عليه الصلوة والسلام رأى احد عشر كوكبا في
رؤيا يوسف باحد عشر اخوته المشبهين بالكواكب في ان اهل الارض يستضيئون بعلمهم و
دينهم ويهتدون بارشادهم ودعوتهم الى الحق وذلك يقتضي ان يكون جملة اولاد يعقوب انبياء
قوله او علامات نبوتك فان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وعن
سبب انتقال اولاد يعقوب من كنعان الى مصر فذكر عليه الصلوة والسلام لهم قصة يوسف فوجدوها
موافقة لما في التورية فتعجبوا منه وجعلوها آية لنبوته قوله والمراد باخوته علاته اي بنو علاته
وهم الاخوة لاب وكان بنيامين اخا ليوسف لاب وام فهو من بني الاعيان وما عداه من
اخوته الاحد عشر كلهم من بني العلات سبعة منهم من ليا خالة يوسف لانها اخت امه //
راحيل وكل واحدة منهما بنت خال يعقوب وكان له بنتان كبراهما ليا وراحيل فولدت ليا ليعقوب
سبعة بنين وراحيل ابنين يوسف وبنيامين وكان ليعقوب سريتان زلفة وبلهة فولدت
كل واحدة منهما ابنين وكان ليعقوب عليه الصلوة والسلام ثلثة عشر ابنا الا ان واحدا
منهم لم يولد له ولد فكان الاسباط اثني عشر وما اشتهر من ان يعقوب كان له اثنا عشر ابنا
المراد بهم الاولاد الذين تناسلوا واللام في ليوسف لام الابتداء وفائدتها تحقيق مضمون الجملة
وتأكيده اي زيادة محبته لهما امر محقق لا شبهة فيه قوله وحده يعني وحدا حب مع ان
المراد اثنان لان افعل من كذا لا يتغير عن صيغة الواحد المذكر بخلاف اخويه وهما افعل
المحلى باللام وافعل المضاف فانه لا بد في المعرف باللام المطابقة وفي المضاف جاز الامران
قوله دلائل قدرة الله تعالى وحكمته فان من سمع هذه السورة يظهر له ان كبار اولاد يعقوب بعد
ما اتفقوا على اذلال الاولاد يوسف وفعلوا به ما فعلوا فقد اصطفاه الله تعالى للنبوة والملك وجعلهم
خاضعين له منقادين لحكمه وان وبال حسدهم قد انقلب عليهم وهذا من اجل الدلائل على
قدرة الله تعالى وحكمته قوله او علامات نبوتك لان من سمع هذه السورة وتبين ما فيها من

قوله وتخصيصه بالاضافة
لاختصاصه بالاخوة من الطرفين
كانه قيل الاضافة في اخوة يدل على
اختصاص المضاف بالمضاف اليه
بالاخوة وليس كذلك لانهم اخوته
ايضا فبالاضافة وتخصيصه
ينبغي ان تخصيص بنيامين
وتمييزه بالاضافة اليه للاشارة
عنهم بالاخوة من الطرفين
وانما اضافوا وانبهوا الاضافة
ولم يذكروه باسمه اشارة الى
ان سبب محبته ابيهم له كونه
اخا ليوسف ولهذا لم يتعرضوا
له
سعدي

وان التعدد [illegible] كان له فيه تخصيص ابان لمن سار بحبه
[illegible]
والحكمة [illegible]
انقدر [illegible] التخصيص
صلى الله عليه وسلم [illegible]
ان كبار الاولاد [illegible]
تم

من قصة يوسف واخوته وجدها على وفق ما في الكتب المتقدمة من غير ان تسمع ذلك من
احد ولا قراءة كتاب جعل ذلك علامة دالة على صدقه في دعوى النبوة قوله لتفضيل المفضول
او لترك التعديل في المحبة كانه اشارة الى جواب ما يقال انهم كيف نسبوا اباهم المكرم بكرامة
النبوة الى الضلال المبين ومن بالغ في ذم الرسول وطعنه فقد كفر لا سيما اذا كان الطاعن
ولده فان هتك حرمة الابوة والنبوة اقبح من هتك احدى الحرمتين وتقرير الجواب ان مرادهم
بما نسبوا اليه من الضلال هو الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن رعاية الرشد //
والصواب فيما يتعلق بها مع ان تضليلهم اباهم في مجرد ترك التعديل في المحبة ليس تضليلا في
الحقيقة لان المحبة ليست من الامور الاختيارية فان قيل ان الحسد من امهات الكبائر
لا سيما وقد اقدموا لذلك الحسد على تضييع ذلك الاخ الصالح والقائه في ذل العبودية وتبعيده
عن ابيه المشفق وايقاعه في الحزن الدائم وارتكابهم بالكذب الصريح وبالجملة فاتفق خصلة
مذمومة الا وقد اتوا بها وكل ذلك ينافي العصمة والنبوة اجاب الامام عنه بقوله الامر كذلك الا ان
المعتبر عندنا عصمة الانبياء بعد زمان بعثتهم وعصمتهم قبل ذلك ليست بواجبة قوله ويرضى به
الآخرون فصاروا كلهم بذلك بمنزلة الآمر بالقتل قوله من تعبير الرؤيا هكذا فيما رأيته من //
النسخ والظاهر تعبير الرؤى على انه جمع الرؤيا لان المقصود تفسير التأويل بالتعبير وتفسير
الاحاديث بالرؤى والجمع لا يفسر بالمفرد وقوله لانها احاديث علة لاطلاق لفظ الاحاديث
على الرؤى وقد ورد في كتب الاحاديث ان الرؤيا ثلثة حديث النفس وتخويف الشيطان
وبشرى من الله تعالى يقال عَبَرْتُ الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها وكذا عبّرت تعبيرا وكان يوسف
عليه الصلوة والسلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها قوله او من تأويل غوامض
كتاب الله تعالى الخ عطف على قوله من تعبير الرؤى فعلى هذا في الكلام اشارة الى ان العلم اجل
النعم وان اشرف العلوم تأويل كتاب الله تعالى وتفسير سنن انبياء الله عليهم الصلوة
والسلام نقل عن الراغب ان التأويل من الاول وهو الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع
الذي يرجع اليه فالتأويل رد الشيء الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالاول كقوله
تعالى وما يعلم تأويله الا الله والثاني كقوله تعالى هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله اي
بيانه الذي هو غايته المقصود منه قوله وهو اسم جمع للحديث ولم يجعله جمعا للحديث
لان فعيلا لا يجمع على افاعيل بل يجمع على فُعُل نحو قبيل وقُبُل وعلى افعلة نحو رغيف وارغفة
وفُعلان نحو رغيف ورغفان وعلى افعلاء نحو نبي وانبياء وعلى فعلاء نحو شهيد وشهداء و
على هذا فِعال نحو كريم وكرام وعلى افعال نحو شريف واشراف فنحو اقاطيع واحاديث يبنى //

قوله من تعبير الرؤيا كان الظاهر الرؤى
الا ان الرؤيا لما كان مصدرا كان
يجمع افراده وانواعه ولذلك
الاصل ان لا يثنى ولا يجمع الا بلفظ
الواحد
سعدي

ان يجعل اسم جمع حديث وقطيع قال صاحب الكشاف في سورة المؤمنين الاحاديث
يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة
التي هي مثل الاضحوكة والاعجوبة انتهى ولا يصح ان يجعل جمع احدوثة في الآية لانها عبارة عما
يتحدث به الناس تلهيا بحيث يتعجب منه ويضحك لانه يقال احاديث النبي ومن الممتنع ان يطلق
على الكلام النبوي احدوثة وقيل انه جمع مكسر لواحد ملفوظ به وهو الحديث على الوجه الشاذ
وقيل انه جمع لواحد غير ملفوظ به كانهم جمعوا احديثا على احاديث ثم جمعوا الجمع كقطيع واقطعة و
اقاطيع قوله ويتم نعمته عليك بالنبوة مبني على ان يحمل الاجتباء في قوله يجتبيك ربك على الاجتباء
للامور العظام والدرجات العالية اذ لو حمل على الاجتباء للنبوة وفسر اتمام النعمة ههنا ايضا
بالنبوة لزم التكرار قوله او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة مبني على ان يحمل الاجتباء ههنا
على الاجتباء للنبوة فان من انعم الله تعالى عليه في الدنيا بالنبوة والملك ثم اوصله في العقبى الى الدرجات
العلى فقد اتم نعمته عليه فان اعز المناصب واجل النعم والكمالات في حق البشر ليس الا النبوة وكل ما سواها
فهي ناقصة بالنسبة اليها قوله عليك يجوز ان يتعلق بقوله يتم وان يتعلق بنعمته وكرر على في قوله وعلى آل يعقوب ليمكن
العطف على الضمير المجرور قال ابن الحاجب واذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض نحو مررت
بك وبزيد والآل وان كان اصله اهل الا انه فرق في الاستعمال فان الآل لا يستعمل الا في الاشراف يقال
آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولا آل الحائك بخلاف الاهل فانه يقال اهل الحجام ونحوه والنسل
الولد ذكرا كان او انثى وان كان يعني الاهل والاتباع من الاولاد وغيرهم الا انه حمله اولا على
المخصصين بالنبوة منهم حيث قال يريد به سائر بنيه بناء على ان المراد من تمام النعمة النبوة
ثم حمله على نسله مطلقا لانهم يتقلبون في الدارين قوله وقيل على ابراهيم بالخلة الخ فعلى هذا يكون
المراد من اتمام النعمة في حق يوسف عليه الصلوة والسلام تخليصه مما توجه اليه من المحن ليصح تشبيه
ابويه به في انعامه تعالى على احدهما بانجائه من النار وعلى الاخر بتخليصه من الذبح ولا يخفى ان حمل
اتمام النعمة في حقه عليه الصلوة والسلام على تخليصه من المحن لا يخرج عن بعد والظاهر ان يعقوب عليه
الصلوة والسلام كان قاطعا بصحة هذه البشارات التي بشر بها ابنه وتحزنه ليس الا لاجل
افتراقه عنه والعدم وقوفه على تفاصيل ما اصابه من المحن والبلايا في غربته وخوفه عليه من
حسد اخوته وكيدهم اياه ليس خوفا من اهلاكهم اياه في الحقيقة بل هو خوف من اضرارهم بما
يسوءه ويسلب عنه حضوره وقوله لهم اخاف ان ياكله الذئب ليس عبارة عن تهاونهم في حفظه
بل عن كونهم في حكم الذئب في حقه وبالنسبة اليه في الاضرار به قيل انما سمي يعقوب يعقوب لانه
يعقوب وعيصا كانا توامين فاقتتلا في بطن امهما حيث اراد يعقوب ان يخرج فمنعه عيص وقال

والاقرب ان يحمل الاجتباء هنالك على الاجتباء لمطلق الدرجات العالية من النبوة وغيرها وان يحمل تمام النعمة على الاتصال المذكور

وقال لئن خرجت من قبلي لاعترضن في بطن امي فلاقتلنها فتاخر يعقوب فخرج عيص فاخذ
يعقوب بعقب عيص فخرج بعده فلهذا سمي به وسمي الآخر عيصا لما عصى فخرج قبل يعقوب وكان
عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب صيد وكان يعقوب صاحب
غنم فلما كبر اسحق عليه الصلوة والسلام وعمي قال لعيص يا بني اطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك
بدعاء دعا لي ابي به وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب اجرد فخرج عيص لطلب صيد فقالت امه
ليعقوب يا بني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها وقدمها الى ابيك وقل انا
ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء يعقوب بالشواء قال يا ابتاه كل قال من انت قال ابنك عيص
فمسه فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت امه هو ابنك عيص فادع له قال قدم
طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال ادن مني فدنا منه فدعا له ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك
فذهب يعقوب وجاء عيص فقال قد جئتك بالصيد الذي اردت فقال اسحق يا بني قد سبقك اخوك
فغضب فقال والله لاقتلنه فقال اسحق عليه الصلوة والسلام يا بني قد بقيت لك دعوة فهلم ادعو
لك بها فدعا ان تكون ذريته عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم فقالت ام يعقوب ليعقوب الحق
بخالك فكن عنده خشية ان يقتلك عيص فانطلق الى خاله لَيَّا بن ناهر وكان يعقوب مع خاله وكان
له بنتان احدهما ليا وقيل لاوي وهي اكبرهما والاخرى راحيل وهي اصغرهما فخطب يعقوب الى
خاله بان يزوجه احداهما فقال هل لك مال قال لا ولكن اعمل لك فقال نعم صداقك ان ترعى لي سبع
سنين فقال يعقوب اخدمك سبع سنين على ان تزوجني راحيل قال ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع
سنين فزوجه الكبرى وهي ليا قال له يعقوب انك خدعتني انما اردت راحيل فقال له خاله انا لا ننكح الصغيرة
قبل الكبيرة فهلم فاعمل سبع سنين اخرى فازوجك اختها وكان الناس يجمعون بين الاختين الى ان
بعث الله تعالى موسى عليه الصلوة والسلام فرعى له سبع سنين اخرى فزوجه راحيل فجمع بينهما وكان
خال جهزهما ودفع الى كل واحدة منهما امة تخدمها اسم احديهما زُلْفَة واسم الاخرى بُلْهَة
فوهبتا الامتين ليعقوب فولدت ليا اربعة بنين وولدت راحيل ابنين وولدت كل واحدة من
الامتين ثلثة بنين فبلغت جملة بنيه اثني عشر ابنا سوى البنات قيل ان اسماء اولاد
يعقوب بعينه في التورية رُوبيل وشمعون ويهودا ولاوي من امراته ليا ويوسف وبنيامين
من امراته راحيل والستة الباقون من الامتين نَفْتَالي وزبالون ودينة ودان ويَسَّاكر
وجاد فاراد يعقوب ان يخرج الى بيت المقدس ولم يكن له نفقة وكان ليوسف خالة اصنام من
ذهب فقالت ليا ليوسف اذهب واسرق منها من اصنامه فلعلنا نستنفق منه فذهب
واخذها وكان يوسف اعطف على ابيه وكان احب الاولاد اليه فحسده اخوته لما راوا من حب

ابيه له ورأى يوسف في المنام الى آخر القصة قوله ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يعني ان قوله
ارضا منصوب على انه ظرف مكان وظرف المكان انما ينصب بتقدير في اذا كان مبهما غير محدود ولفظ
ارضا لما كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهما من هذا الوجه فلذلك انتصب نصب الظروف المبهمة
فان قيل كيف يكون مبهما وتنكيرها في حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة عن العمران وعن ارض ابيه
فزال بذلك ابهامها فانه من المعلوم ان يوسف لم يخل من الكون في ارض فتبين انهم ارادوا ارضا بعيدة
عن التي هو فيها ومثل هذا المكان لا يتعدى اليه الفعل الا بواسطة في فلما لم يذكر لفظا وجب ان يكون
انتصابه مبنيا على اسقاط الخافض لا لكونه من الظروف المبهمة كما في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فان الصراط والسوق والدار ونحوها من ظروف المكان المحدودة فلا يتعدى اليها الفعل الا بكلمة
في ملفوظة فان لم يكن ملفوظة يكون نصب الظرف المحدود على اسقاط الخافض فالجواب ان الظرف
المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا اقطار تحويه وارضا في الاية من هذا القبيل فلذلك انتصب
انتصاب الظروف المبهمة وذكر الوجه في قولهم يخل لكم وجه ابيكم لتصوير اقباله عليهم بلا منازع لانه
اذا خلصت محبته لهم بلا منازع اقبل بوجهه عليهم ويجوز ان يكون المراد بالوجه الذات كما في قوله
ويبقى وجه ربك قوله وقرئ غيبة بالغيبات المتوالية اما على انه مصدر كالغلبة او على انه جمع
غائب نحو ناصر ونصرة قيل هو في مصحف ابي غيبة بسكون الياء وقيل الغيابة تكون في قعر الجب ان
اسفله يكون واسعا وراسه ضيقا فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه والجب البئر التي لم تطو //
سميت جبا لانه ليس فيها غير جب الارض وقطعها ومفعول فاعلين محذوف اي فاعلين برأيي
ومشورتي او فاعلين ما يحصل به غرضكم من تبعيد يوسف عن ابيه والسيارة جمع وهو بناء المبالغة
والالتقاط تناول الشيء المطروح ومنه اللقطة قوله ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظ ابن
يوسف منهم فان يعقوب عليه الصلوة والسلام كان يخاف عليه منهم ويحفظه منهم لما تشمم من حسدهم
اي وجد نسيم حسدهم وريحه ثم انهم لما احكموا العزم على تبعيد يوسف عن ابيه اما بالقتل او بالتغريب
الى ارض يحصل به اليأس عن اجتماعه مع ابيه ذكروا هذا الكلام لابيه وقالوا لم تخافنا
عليه ونحن نحبه ونريد له الخير قوله لا تأمنا حالا من الكاف والمشهور لا تأمنا بادغام النون
الاولى في الثانية واشمامها الضم ومرادهم بالادغام بطريق الاشمام أن لا يدغم احدى
النونين في الاخرى ادغاما صحيحا بل ينفصل احدى النونين عن الاخرى بحيث يكون شبيها
بالاظهار لكنه ليس باظهار حقيقة كما انه ليس بادغام صحيح ومثله يسمى اخفاء وهو عبارة عن
تضعيف الصوت بالحركة والفصل بين المدغم والمدغم فيه لان لا يسكن الحرف المدغم راسا بل يختلس
حركتها فيقرأ تأمنا بفتح الميم واختلاس ضمة النون الاولى ليدل على ان الفعل مرفوع وقرأ

وقرأ بعضهم ذلك بالاشمام بمعنى آخر وهو ان يهيأ الشفتان لتلفظ الضمة ليدل على ان
اعراب النون المدغمة بالضمة مع الادغام الصريح وفيه عسر كثير فالواو ويكون الاشارة الى الضمة
بعد الادغام او قبل كماله والاشمام يقع بازاء معان وهذا من جملتها وقرئ بالادغام الصريح من
غير اشمام وقرأ الحسن ذلك بالاظهار مبالغة في بيان اعراب الفعل والمحافظة على حركة
قوله نتسع في اكل الفواكه في الصحاح رتعت الماشية ترتع رتوعا اي اكلت ما شاءت
وذلك انما يكون بالاتساع في الماكول ومن قرأ بكسر العين جعله من باب الافتعال من الرعاية
بمعنى الحفظ اي يحفظ بعضنا بعضا قرأ ابو عمرو وابن عامر نرتع بالنون وسكون العين
ومثله نلعب وهي قراءة المص ومن قرأ بالياء في الفعلين اسند الفعل الى يوسف قوله
ونلعب بالاستباق والانتضال جواب عما يقال كيف قالوا ليعقوب النبي عليه الصلوة والسلام
نلعب والنبي لا يرضى ولا يأذن للحرام وتقرير الجواب ان المراد من اللعب المباشرة للمباحات لاجل
انشراح الصدر كما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر رضي الله عنه حين سمع
انه تزوج ثيبا فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك اي هلا تزوجت بكرا مع ان لعبهم كان الاستباق
والمناضلة وهما من قبيل العبادة اذا اريد بهما تعلم المحاربة مع الكفار وسموه باللعب
لكونه في صورة اللعب وقرأ ابن كثير بفتح النون في نرتع وكسر العين من نرتع على أن
نفتعل من الرعاية اي نتحارس ويحفظ بعضنا بعضا وقرأ نافع بفتح الياء فيهما وكسر
العين وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء فيهما وجزم العين من يرتع هذا رواية للمص
وفي معالم التنزيل وقرأ يعقوب نرتع بالنون ويلعب بالياء على اسناد الرتع الى انفسهم //
لانهم كبار بالغون لا يليق بهم اللعب واسناد اللعب الى يوسف لصغره والرتع هو الاتساع في
الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في ملاذه وشهواته واجمعوا على جزم يلعب فقرأ يرتع
بضم الياء من ارتع ماشيته اذا وسع عليها في الماكل وقرئ يرتع بكسر العين من ارتعى ويرتع
يلعب على الاسناد الى يوسف او هو يلعب لصغره قوله ان تذهبوا به فاعل قوله ليحزنني ذهابكم به //
فان قيل كيف جاز وقوعه فاعلا له وهو مستقبل لان اقتران الفعل المضارع بان المصدرية و
السين وسوف يخصصه بالاستقبال وقوله ليحزنني فعل حالي لما تقرر من ان لام الابتداء يخصص
الفعل المضارع بالحال وكونه فعلا حاليا يستلزم تحقق الفعل قبل تحقق فاعله وذلك محال اجيب
عنه بان الفاعل محذوف والتقدير ليحزنني تصور ذهابكم وتوقعه فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وتصور ذهابهم به موجود في الحال فزال الاشكال اما اللام في قوله ليحزنني لام الابتداء
فانها تدخل على الفعل المضارع كما تدخل على اسم الفاعل نحو ان زيدا لقائم وليقدم ودخولها

على المضارع من جملة اسباب مضارعته لاسم الفاعل واللام في قوله لئن اكله الذئب موطئة للقسم
وقولهم انا اذا لخاسرون جواب القسم ساد مسد جواب الشرط قوله واشتقاقه من تذاءبت
الريح نقل عن الاصمعي انه قال قولهم تذاءبت الريح ماخوذ من فعل الذئب لانه ياتي كذلك والمعنى
ان الرياح اتت كما ياتي الذئب فيكون تذاءبت ماخوذا من الذئب وقد عكس المصنف والزمخشري و
لا ضير لان المشابهة تكون من الجانبين فاذا صح ان يشبه اتيان الذئب بهبوب الريح صح ان يشبه
هبوب الريح بمجيء الذئب ايضا قوله ضعفاء مغبونون لما تعذر حمل الخسران ههنا على معناه الاصلي
الواقع في عقود المعاوضة جعله مجازا عن الضعف المؤدي الى الغبن والخسران او عن الكناية
للدعاء بالخيبة والحرمان على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب قوله وعزموا يعني
ان اجمعوا بمعنى عزموا يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه وان تعريف الجب للعهد قوله
وجواب لما محذوف وفي الاية محذوف اخر وتقدير الاية ومعناها قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة
انا اذا لخاسرون فاذن له وارسله معهم وقوله فلما ذهبوا به متصل بهذا
المحذوف روي ان يوسف عليه الصلوة والسلام لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا
غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وروي اجعل لي فرجا مما انا فيه فما
بات فيه قال الحسن القي يوسف في الجب وهو ابن اثني عشرة سنة وقيل وهو ابن سبع عشرة سنة
ولقي اباه بعد ثمانين سنة روي ان هوام البئر قالت بعضها لبعض لا تخرجن من مساكنكن
فان نبيا من الانبياء نزل بساحتكن فما تحجرن الا الافعى فانها قصدت يوسف فصاح بها جبريل
عليه الصلوة والسلام فبقيت الصماء في نسلها وعلم جبريل يوسف عليهما الصلوة والسلام حين القي
في الجب اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل عسير ويا
صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد يا لا اله الا انت سبحانك اسئلك ان تجعل لي فرجا ومخرجا
وان تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وان تحفظني وترحمني يا ارحم الراحمين
قوله فجاءه جبريل بالوحي فان طائفة عظيمة من المحققين قالوا المراد بالوحي المذكور
في قوله فاوحينا اليه وحي النبوة والرسالة وقيل المراد منه الالهام كما في قوله واوحينا الى
ام موسى قوله بشره بما يؤول اليه امره يعني ان المقصود من قوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم
هذا ايناسه وتطييب قلبه اي اوحى الله الى يوسف تقوية لقلبه في البئر انا لننصرنك ونردك
ولتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد اليوم وهم لا يشعرون بانك يوسف في وقت اخبارك اياهم
بامرهم وهو قوله لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وروي انهم حين دخلوا
عليه لطلب الحنطة وعرفهم وهم له منكرون دعا بالصاع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال

قال ابن عباس رضي الله عنه وكان يعقوب عم ينظر وراءه حتى غاب عن عينه وكانوا يكرمونه ويحملونه على اكتافهم حتى غيبوه عن عين يعقوب فلما علموا انه محجوب عن عينه وضعوه على الارض ولطموه وجروا برجله كذلك العبد المؤمن ما دام تحت نظر مولاه يكون في امن وامان من ابليس وجنوده واذا احتجب عن الله بالاخلال او ملل وقع في شبكة الشيطان

الصاع

فقال عليه الصلوة والسلام ان هذا الجام ليخبرني انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف فطرحتموه في
البئر وقلتم لابيكم اكله الذئب قوله وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا عطف بالمعنى على قوله
وهم لا يشعرون انك يوسف فانه في قوة ان يقال هذه الجملة الاسمية حال من مفعول لتنبئنهم منفصل
به من حيث المعنى فيكون معنى الآية اوحى الله اليه حين القي في الجب يا يوسف لا تبتئس بما صنعوا
بك فانك تحول الاحوال وتتقلب وخاتمة حسدهم عليهم بان اعطيك عزا وشرفا وعلو شان واجعلهم
يحتاجون اليك وانت تقرعهم بما فعلوا بك والحال انهم لا يشعرون انك هو الذي حسدوه وفعلوا
به ما فعلوا من انواع الاذى ثم نقل قول من قال ان قوله وهم لا يشعرون متصل باوحينا على انه حال
من الوحي الذي دل عليه فحوى الكلام فان المعنى آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون بايحائنا اليه و
الفائدة في اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه لربما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله وعلى ما
اختاره من الاحتمال وهو ان تكون الجملة الاسمية متصلة بقوله لتنبئنهم يفهم من الكلام ان يوسف
عليه الصلوة والسلام مامور من قبله تعالى ان يستر نفسه عن ابيه واخوته طول تلك المدة مع علمه
بوجودهم الى ان ياذن الله له في ان يظهر لهم نفسه والا لما صح قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم
لا يشعرون انك يوسف ولعل الحكمة في ذلك انه تعالى قضى على يعقوب ان يوصل اليه تلك الغموم الشديدة
الحاصلة له بسبب فراق ثمرة فؤاده وقرة عينه فيكثر رجوعه اليه تعالى وينقطع من غيره فينال
ما وعد للصابرين من الاجر بغير حساب روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما قال يعقوب
واخاف ان ياكله الذئب قالوا اما سمعنا بذئب اكل انسانا فمن اين تقول هذا قال رايت فيما يرى النائم
كاني على قلة جبل ويوسف على بطن الوادي وقد احاطت به عشرة ذئاب يريدون قتله فاردت
النزول لانقذه فلم اجد الى ذلك سبيلا فبينا انا كذلك انشقت الارض فسقط يوسف فيها فانتبهت لذلك
واستيقظت فاذا يوسف في حجري فقلت الحمد لله قال ابن عباس الجبل حال يعقوب والذئاب اخوة
يوسف وانشقاق الارض وقوعه في غيابة الجب فقيل لابن عباس وهل كان يعقوب يعلم تاويل الرؤيا
قال نعم قالوا فلم ارسله معهم قال اما علمتم ان اذا جاء القضاء عمي البصر قوله آخر النهار فان العشاء
آخر النهار الى نصف الليل وانتصابه على الظرفية اي جاؤه في هذا الوقت ويكون جملة حالية
من فاعل جاؤه اي متباكين وقرئ عشيا بضم العين وفتح الشين على تصغير عشي نحو اصيل في تصغير
اصيل وقرئ عشا بضم العين والقصر على انه جمع اعشى ويضعف لان قدر ما بكوا في ذلك اليوم
لا يعشو منه الانسان قوله اي ذي كذب يعني ان الكذب والكذب مصدران بمعنى يقال كذب كذبا وكذبا
فهو كاذب وصف الدم بالكذب على طريق رجل عدل بمعنى ذو عدل ومعنى كون الدم ذا كذب كونه مكذوبا
فيه اي يزعم كذبوا فيه بان قالوا انه دم يوسف وليس كذلك فهو مصدر بمعنى المفعول فيه قوله تعالى

قوله وتعدده عن اوجاعهم هذا مع ما عطف عليه ... واحد وقوله وطول الزمن ... آخر فالاولى اعادة الجارة كما فعله جار الله سنان

قوله وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر وهو قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وقوله وهم له منكرون متعلق بقوله فدخلوا عليه حال من الضمير ... اي طالبين الميرة وهي بكسر الميم الطعام المجلوب من بلد الى بلد وقوله بشره اي بواسطة جبريل بما يؤول اليه امره من ايتائه الملك والحكمة ورجوع اخوته اليه وما يقع بينهم من المعاتبة واعترافهم بذنوبهم واستغفارهم سنان

على قميصه في محل النصب على انه حال من قوله بدم لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما قدم عليه
انتصب حالا واختلف النحاة في جواز تقدم الحال على صاحبها المجرور قال ابن الحاجب في الكافية ولا
يتقدم على العامل المعنوي ولا على المجرور في الاصح واختار المص كونه في محل النصب على انه ظرف جاءوا
كانه قيل جاءوا فوق قميصه بدم وليت شعري ما معنى كون فوق القميص ظرفا لمجيئهم كظرفيته للصلوة
للمصلي في قولك صليت فوق القميص وعن صاحب التقريب ان كونه ظرفا للمجيء مع بقاء المعنى المقصود
فيه خرازة ونحوه ان يقال انه حال من جاءوا بتضمينه معنى الاستيلاء اي جاءوا مستولين على قميصه
قوله وقيل اصله اي اصل الكذب هو البياض الخارج على اظفار الاحداث وهو جمع حدث بمعنى الشاب
يقال رجل حدث ورجال احداث اي شبان ولما كان اصل الكذب هو البياض المذكور كان قوله بدم
كذب من قبيل التشبيه البليغ شبه به الدم الملاصق في تأثر المحل به فان القميص يتأثر بما لصق من
الدم كتأثر الاظفار بالبياض المذكور قوله ولذلك اي ولاجل استدلاله بسلامة القميص على كذبهم في
قولهم اكله الذئب قال اضرابا عن قولهم وابطالا له بل سولت لكم انفسكم اي هونت لكم انفسكم امرا عظيما
هو الاقدام على التفريق في حق يوسف والاعتذار بالكذب والعذر الباطل كانه قال لهم هل كان يوسف
في هذا القميص حين اكله الذئب قالوا نعم ما اكله وصل اليه ولم يخرق قميصه ولم اعهد ذئبا بلغ حلمه
في حق ما افترسه الى هذا الحد لو اكله الذئب لخرق قميصه فجعلوا ابطلوا كذبهم فقال بل سولت لكم
انفسكم امرا عظيما بالغا في القبح الى اقصى الغاية قوله وهذه الجريمة الخ جواب عما يقال قد ثبت ان آل
يعقوب انبياء وانه عليه الصلوة والسلام استدل على نبوتهم بضوء الكواكب في نسله والانبياء
عليهم الصلوة والسلام معصومون عن امثال هذه الجرائم فكيف صح لهم ارتكابها اجاب عنه اولا بمنع
استنبائهم وعلى تقدير تسليم ذلك بان ارتكابهم لها قبل الاستنباء ومن قرأ يا بشري بتشديد
الياء قلب الف بشرى ياء وادغمها في ياء الاضافة وهي لغة هذيل قوله وقرأ الكوفيون واما الكوفيون
فالعاصم منهم قرأ يا بشرى بفتح الراء بعدها الف غير ممالة وحمزة والكسائي منهم اما لا الالف فيه امالة
الكبرى واما ورش بين بين على اصله والتنوين في قول الوارد مالك بن ذعر هذا غلام للتعظيم
اي هذا غلام فائق الحسن احسن ما يكون من الغلمان قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطي يوسف
شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الحسن والجمال من جدته سارة وكانت حسناء جميلة فلما رآه
مالك بن ذعر قال يا بشرى نادى البشارة وطلب منها ان تقبل اليه بشارة لنفسه او ان تقبل الى اصحابه
بشارة لهم والضمير المرفوع في اسروه للوارد واصحابه والضمير المنصوب لنفس يوسف اي اخفوه عن
سائر الرفقة مقدرين كونه متاعا للتجارة وقيل تقدير الكلام اسروا امره بتقدير المضاف والمراد بامر
يوسف وجدانهم اياه في الجب وقالوا فيما بينهم نخفي امره من السيارة فانا ان قلنا للسيارة التقطناه
من

قوله في موضع النصب على الظرف
فيه نظر لان مجيئهم لا يكون على
القميص ولهذا اختير الاولى في ان
يكون حالا من ضمير جاءوا بتضمينه
معنى الاستيلاء اي جاءوا مستولين
على قميصه وبدم حال من القميص
والباء للملابسة اي ملتبسا
بدم كذب

يبدو في الاظافير كالنقش نبذا
صح

والتسويل والتسول استرخاء
ما تحت السرة من البطن

الصبر الجميل هو الذي لا شكوى
فيه الى الخلق ولا ينافيه
الى الخالق ولذلك قال انما
اشكو بثي وحزني الى الله

قوله وقيل هو صاحب له قال
القرطبي لو كان كذلك لما جاز
اضافته الى ياء المتكلم فان
نك قد يخاطب الانسان
بان يخفيه الى نفسه العلم
وربما وبه فكانه يدعى
تلقي مطلوبه اختصاصه
به لكون هذا عون في
تلقي مطلوبه بالنور قلت
هذا غير سليم في كلام العرب

وقد قيل انه كان في رقعة
بعينه من العيون لم يكن
[illegible]
كان ما فيه
حين النبي عليه
الصلوة والسلام

[illegible] الذئب قال لهم لم تتهموا ان الذئب [illegible] فارجعوا واصطادوا ذئبا [illegible] بسلسلة الى يعقوب عليه
الصلوة والسلام فقال ايها الذئب بئس ما فعلت حيث اكلت محبا كالبدر المنير فارحمت على ذلك الصغير وما شفقت على هذا الشيخ الكبير فانطق الله الذئب
فقال السلام عليكم يا نبي الله ان لحوم الانبياء محرمة علينا وانا بريء مما تتهمني به والله لا يحكم بيني وبين اولادك اذ قالوا على الزور افتروا في صحيح ابرهيم
عليه الصلوة والسلام ان الزور والبهتان عظيم فتحير يعقوب ونكس اولاده رؤوسهم فقال ايها الذئب من اين انت قال انا غريب جئت من بلاد مصر في
طلب اخي فقد فارقني ودخل دار الشام فلقيت الذئاب فاخرجوني انه قد اصطاده ملكهم على ان يذبحه غدا واني سبعة عشر يوما ما ذقت طعاما من حزني عليه فبكى عليه الصلوة والسلام وقال اذا حزن الذئب على الفراق فكيف اظن انا على الفراق ثم قال ايها الذئب هل عندك خبر يوسف قال نعم قال فاخبرني قال لا قال لم قال اخشى ان العار [illegible] عارا والنمام مبغوض عند الله وعند الناس والجنة للابرار وليس للغماز من الرحمة نصيب قال يعقوب اشفع في اخيك فقال ان كنت

من الجب شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالاصوب ان نخفي امره منهم
ونقول لهم ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر والمعنى على الاول
اخفوا نفس يوسف ولم يظهروه لسائر الرفقة قوله وقيل الضمير المرفوع في اسروه
لاخوة يوسف فانهم لما وجدوا يوسف عند السيارة اخفوا كونه اخا لهم بل قالوا انه عبد
لنا ابق ولم يرض المص بهذا القول لان قوله بضاعة يأبى عنه لان اخوة يوسف لم يجعلوا
كونه اخا لهم حالا ما قدروا ولم ينفعهم كونه بضاعة لهم وانما اخفوه لمجرد تبعيده عن ابيه
ليخلو لهم وجه ابيهم فالوجه ان يكون الضمير المرفوع للوارد واصحابه ويكون الضمير المنصوب
لنفس يوسف او لامره بتقدير المضاف قوله واشتقاقه من البضع وهو القطع يقال
بضعت اللحم بضعا قطعته والبضعة القطعة من اللحم الراغب والبضاعة اسم للقطعة
الوافرة من المال تقتنى للتجارة والبضع في العدد هو ما بين الثلث الى التسع سمي به لكونه
منقطعا من العشرة والمعنى اسروه حال ما جعلوه بضاعة وقدروا ذلك في انفسهم قوله
بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم على ان ضمير يعملون للوارد واصحابه وما بعده على ان
يكون الضمير لاخوة يوسف اي عليم بسوء صنيعهم لابيهم واخيهم بنيامين قوله
وفي مرجع الضمير المرفوع في شروه يجيء الوجهان المذكوران في ضمير اسروه فانه قد ذكر
ان ضمير اسروه اما للوارد واصحابه او للاخوة فان كان للوارد واصحابه يكون ضمير شروه ايضا
لهم فيكون شروه بمعنى باعوه اذ لا معنى لاشترائهم ما التقطوه وان كان ضمير اسروه للاخوة
يكون ضمير شروه ايضا لهم فيكون شروه بمعنى باعوه اذ لا وجه لحمله على الاشتراء فظهر ان شروه
على تقدير ان يكون بمعنى باعوه يحتمل ان يكون الضمير المرفوع فيه للوارد واصحابه وان يكون
للاخوة لان كل واحد من الفريقين يصح ان يكون بائعا لما في يده ولا يصح ان يكون مشتريا
قوله او اشتروه من اخوته اي ويحتمل ان يكون ضمير شروه للسيارة ويكون الشرى بمعنى
الاشتراء فانه اذا كان ضمير اسروه للاخوة وكان المعنى اسر اخوة يوسف كونه اخا لهم وقالوا
انه عبد لنا ابق منا نبيعه لمن اراد ان يشتريه منا يجوز ان يكون ضمير شروه للسيارة ويكون
شروه بمعنى اشتروه قوله بخس لما كان البخس مصدر بخسه حقه يبخسه اي نقصه وكان
الثمن لا يوصف بالبخس بالمعنى المصدري جعله بمعنى المبخوس اما لرداءته وغلبة غشه او لنقصان
وزنه قوله الضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر اي غرضهم عن يوسف وقلة رغبتهم فيه
ظاهر لانهم حسدوه وقالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة وكان اجل همتهم
تبعيده عن ابيه بان تطرحوه ارضا فكانوا من الزاهدين فيه فان الزهد والزيادة عبارتان

جعل الله لك ما يريده
لا بطالكم [illegible]
عليه الصلوة والسلام في
الشام [illegible] الى مصر
وتابع ما جرى عليه من الاحوال
الى ان صار بمصر وحصل
ذكر الذي رآه في المنام

[illegible] يشعرونهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
واصحابه

تشفع في اخي فانا اشفع
في ابنك فانه رجع اخي الي
فقال اسأل الله ان ترد
اليك ولدك
هكذا وجدته
في حاشية البخاري
تحرره

عن قلة الرغبة في الشيء وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم انهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به يبيعه بادنى شيء ولا يرغب فيه ولانه يخاف ان يظهر له مستحق فينزعه من يده
وان كانت الرفقة متباعين اياه من اخوته فزهدهم فيه انهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان
يأبق منهم ايضا فيضيع مالهم ان جعلت الالف واللام في قوله من الزاهدين بمعنى الذي لا يجوز
ان يتعلق فيه بالزاهدين لان الزاهدين حينئذ يكون بصلة الذي وما يتعلق بالصلة لا يتقدم على
الموصول بل يتعلق بمحذوف حذف لكونه مفسرا بالزاهدين كما حذف رافع احد في قوله تعالى وان
احد من المشركين استجارك لكونه مفسرا بالمذكور فكانه قيل وكانوا زهدوا فيه فيحذف متعلق
فيه لدلالة قوله من الزاهدين عليه قوله تعالى وقال الذي اشتراه روي الامام محيي السنة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان السيارة لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر
فابتاع منه يوسف بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه
قدمت السيارة بيوسف فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه وزنه
ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا ووزنه اربعمائة رطل وهو ابن ثلاث عشرة سنة
فابتاعه قطفير من مالك بن ذعر بهذا الثمن فذلك قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته
الى هنا كلام الامام بعبارته وهذا الخلاف مبني على ان يكون الشراء غير الشراء المذكور اولا
لانه واقع بثمن بخس وهذا الثمن كذلك قوله والمشهور انه اي فرعون موسى من اولاد فرعون
يوسف وان قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات خطاب للاء فرعون موسى من قبيل
خطاب الاحفاد باحوال الآباء قوله ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة بان يعتد لبثه في السجن
لبثا في منزل العزيز لكون ذلك بامره فكان كانه في منزله ثلاث عشرة سنة قيل لما اشترى العزيز مالك
بن ذعر هذه الاشياء قال يوسف لمالك لا تاخذ هذه الاشياء ثمنا عني فاني حر وبين له نسبه
فقال مالك لم لم تخبرني قبل قال لان ذلك لا يمكن لي قبل فاني مالك العزيز وقال لا يصح لمثلي وانا تاجر
من تجار ولا يتمكن مستظل بظلال دولتك ان اربح عليك فاذا اشتريته بعشرين درهما فلا
آخذ منك الا هذا القدر ولو انك لا ترضى بامتنانه عليكم لم آخذ منك فلو تم ما حسن الي هذا فانه
فانه اهل للاحسان ثم ان مالكا جاء الى يوسف وقال اني قد علمت بنبوتك ولكني لم اقصر في دعا أي الى يوسف
بك فاقض حاجتي قال فما حاجتك قال انا رجل لا ولد لي فادع الله تعالى ان يرزقني اولادا
فنظر يوسف الى جبريل عليهما الصلاة والسلام متقبلا بقوله ادع الله تعالى للتاجر فانه تعالى
قريب مجيب فقال يوسف وما اقول قال قل يا من يعتز ويذل يا من يفنى ويرفع يا من يعطي ويمنع
يا من هو على كل شيء قدير ارزق الشيخ اولادا ذكورا قال ابن عباس فاستجيبت دعوته وكان

وان جعلت للتعريف جاز ان يتعلق فيه بالزاهدين لانعدام المانع منه

مورد قيل كان في ايام فرعون موسى حقيقة لا يستلزم ان لا يكون قائلا بقوله ولقد جاءكم يوسف بل يحتمل ان يكون مقولا بخبر ... وهو خلاف المشهور

ولبث في السجن بضع سنين اي سبع سنين بعد قوله لبث ... اذكرني عند ربك ... قبل خمس سنين فكان مجموع مدة لبثه فيه اثنتي عشرة سنة منه

الى الارض من جهدي ثم قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب يا كله ثم قالت ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتشر من جسدي قالت
ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذن يذهب نصيبي من الجنة صح

٢٤٢

وكان لمالك بن ذعر اثنا عشر جارية فجمع البهن وباشرهن فحملت كل جارية وولدت ذكرين
فاجتمع له اربعة وعشرون ابنا تعلقه من التعبير والمثوى موضع الاقامة يقال ثوى بالمكان
اقام به ثوى ثواء واكرام المقام واحسانه عبارة عن انزاله منزلة من يكرم وهو كناية عن
احسان تعهده وحسن المعاملة والمجاملة معه ليكون نفسه طيبة في صحبته معهم فلذلك قال في
حق العزيز انه ربي احسن مثواي وضمير امره يجوز ان يرجع الى المبتدا والمعنى انه تعالى فعال لما
يشاء في ارضه وسمائه لا يمنعه مانع من تنفيذ ما اراده وان يرجع الى يوسف والمعنى انه تعالى هو المدبر
للامر بكليته الى غيره ولا يؤثر فيه تدبير غيره قوله وهو العلم المؤيد بالعمل قال القشيري من
جملة الحكمة الذي آتيه الله تعالى نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته وامتنع عما راودته زليخا الخ
ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره وقيل قال الله تعالى في قصة موسى عليه الصلوة والسلام
ولما بلغ اشده واستوى ولم يقل ههنا واستوى لان موسى اوحي اليه عند منتهى الاشد و
الاستواء وهو اربعون سنة واوحي الى يوسف عند اوله وهو ثمان عشرة سنة وقال الامام
نقلا عن الحسن انه عليه الصلوة والسلام كان نبيا من الوقت الذي التقى في غيابة الجب لقوله
تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم وما كان رسولا ثم انه صار رسولا من الوقت الذي بلغ اشده لقوله تعالى
ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما ثم قال ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذي القي في
غيابة الجب ثم نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى ولما بلغ اشده اي لما بلغ ثلثا
وثلثين سنة ثم ذكر اقوال العلماء في تفسير الحكم والعلم فقال اولها ان المراد من الحكم الحكمة والمراد
من العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية
ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية واما اصحاب الافكار والانظار العقلية فانهم يصلون اولا الى الحكمة
النظرية ثم يترقون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه الصلوة والسلام هو الاول لانه صبر على
البلاء والمكاره والمحن ففتح الله تعالى له ابواب المكاشفات والقول الثاني ان الحكم هو النبوة لان النبي
يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين والقول الثالث انه يحتمل ان يكون المراد من الحكم صيرورة
نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها وحتى صارت القوة الشهوية
والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر
النفس قوله تعالى بلغ اشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما وعلما اشارة الى
استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية قوله والتشديد للتكثير فان صيغة فعل قد يكون لتكثير
المفعول ان وجد كما في هذه الآية وقد يكون للمبالغة والاهتمام في ملابسة الفعل في هذه الآية وقوله
طوفت البيت وقد يكون لتكثير الفاعل كما في قولك موتت البهايم وانما غلقتها لئلا يلجأ اليها احد ولئلا

وهو كناية عن اكرامه نفسه بطريق ذكر اللازم وارادة الملزوم كما يقال رسالة الله على المجلس العالي فلان نفسه فان اكرام مثواه ولم يتعرض لكرمه

سكه

يتخلص يوسف عنها قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني امرأة العزيز التي كان
يوسف في بيتها طلبت يوسف عن نفسه اي لاجل نفسه اي طلبته لما تريده النساء من الرجال وبناء
المراودة وان كان للمشاركة بين اثنين الا ان المراد بها الطلب الواقع من واحد وقوله عن نفسه
يعني من اجل نفسه والمراد انها دعت يوسف الى نفسها ليقضي بها مستوطرا عدول عن المسند اليه في الآية
بايراده اسم موصول لفائدتين الاولى استهجان التصريح باسم زليخا عند ذكر المراودة واسنادها
اليها لانه عن تهجنه وقباحته فايراد اسم الموصول ههنا كايراده في قولهم ما خرج من السبيلين
ينقض الوضوء والثانية زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام وزيادة تقرير المسند ايضا فان الغرض
المسوق له الكلام بيان نزاهة يوسف عليه الصلوة والسلام وطهارة ذيله عن ارتكاب الفاحشة
والمذكور ادل عليه بالنسبة الى ان يقال راودته زليخا او امرأة العزيز لانه اذا كان في بيتها ويمكن من
نيل المراد منها ولم يفعل كان ذلك غاية في النزاهة وفيه ايضا تقرير المراودة لدلالته على فرط المخالطة
والالفة وذلك يقتضي المراودة ويقررها قوله والكلمة على وجهين اي سواء كانت بمعنى اقبل وبادر او بمعنى
تهيأت اسم فعل بني على الفتح وهي قراءة الكوفيين واهل البصرة واللام في هيت لك للبيان اي
متعلقة بمحذوف على سبيل البيان للمهيت له كقولك سقيا لك فان اللام فيه لبيان المدعو له بالسقي كأنها
قالت لك اقول او الخطاب هذا على تقدير ان يكون هيت اسم فعل واما على تقدير كونه فعلا ماضيا من
هاء يهيء بمعنى تهيأ بان قرئ هئت على وزن جئت فان اللام حينئذ يتعلق بالفعل المذكور اذ لا حاجة
حينئذ الى التقدير ولما قالت زليخا هذا الكلام قال يوسف عليه الصلوة والسلام معاذ الله وهو منصوب على انه
مصدر فعل محذوف اي اعوذ بالله معاذا يقال عاذ يعوذ عياذا وعياذة ومعاذا اي عوذا وعاذ اي التجأ الى الله
في ان يعيذه من المعصية وان يزيل عن قلبه ما يدعوه اليها قوله او مشارفة الهم عطف على قوله
ميل الطبع فان من شارف الاتصاف بوصف يجعل موصوفا بذلك الوصف فان تسمية القريب الى الشيء
باسم ذلك الشيء شائع فيما بينهم يقال قتلته لو لم اخف الله سمى نفسه قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف عليه
الصلوة والسلام وان لم يهم بمخالطتها اصلا الا انه تعالى قال في حقه وهم بها لكونه مشارفا للهم
بتحقق اسبابه من مراودة المرأة وتخلية المجلس وغير ذلك ولم يرض المص بما ذكره المفسرون
من ان يوسف عليه الصلوة والسلام هم بهذه المرأة هما صحيحا لانها همت به حتى حكي انها
استلقت له وقعد هو بين رجليها واخذ يحل تكته فلما رأى البرهان من ربه زال
عنه كل ما طرأ عليه من الشهوة واختار ما ذهب اليه المحققون من المفسرين من
انه عليه الصلوة والسلام كما انه بريء من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل الباطل فهو ايضا
بريء من الهم المحرم نقل صاحب التيسير عن الامام ابي منصور الماتريدي رحمه الله انه قال

ان هذا ما قاله اهل التفسير من انها استلقت له وهم بها وحل ازاره وامثال هذه من
الخرافات فهذا كله مما لا يجوز ان يقال ويدل على فساد ما قالوه وجوه احدها قوله هي راودتني
عن نفسي وثانيها قوله تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء وثالثها قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
ورابعها قولهن ما علمنا عليه من سوء وخامسها قولها الان حصحص الحق انا راودته عن
نفسه فاستعصم فهذا كله دليل على انه لم يكن منه شيء من ذلك وليس في ظاهر الآية شيء مما قالوه
سوى قوله تعالى وهم بها وله تأويل صحيح وهو انها همت به هم عزم وهم بها هم خطرة ولا صنع
للعبد فيما يخطر بقلبه وسكت المص الى اخره حتى قال بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله ان يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم الطبيعي فان المصارع ليس من يلقي قرنه على الارض في المعركة
بل المصارع من غلب على هواه وكف نفسه عن اتباع شهوته مع امكانه خوفا من الله تعالى
قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
لشبق الغلمة الشبق شدة الغلمة والغلمة بالضم شهوة الضراب فان قوة الرجولية تستلزم
شدة الغلمة وكلما كانت الغلمة اشد كان الصبر اعظم واشق فان عظم الصبر على قدر عظم
البلية وكلما كان اعظم كان صاحبه بالمدح احق والبرهان هو ميثاق الله تعالى المأخوذ على
عباده في اجتناب المحارم وقيل ناداه جبرئيل بقوله لا تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان
الانبياء وقيل تمثل له يعقوب عاضا انامله وقيل تمثل قطفير قوله لخالطها اشارة الى ان جواب
لولا محذوف وهو قوله لخالطها حذف لدلالة قوله وهم بها عليه ثم صرح بانه لا يجوز ان يجعل
قوله وهم بها جواب لولا وعلله بان لولا في حكم اداة الشرط والشرط له صدر الكلام فلا يتقدم
عليها جوابها فان البصريين لا يجوزون تقديم جواب الشرط على اداته ويجوزه الكوفيون
ويقولون قوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه دليل على ان يوسف عليه الصلوة والسلام
بريء من الهم المحرم لان قوله وهم بها جواب لولا قدم عليه فيدل على انتفاء الهم لتحقق رؤية
البرهان ثم يقفون على قوله ولقد همت به ويبتدؤن بقوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه قوله اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه على ان الكاف في كذلك في محل النصب على انه صفة مصدر
محذوف لفعل مقدر هو ثبتنا مثل ذلك التثبيت وقوله او الامر كذلك على ان الكاف مرفوع المحل
على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف على الاول
وبمحذوف اخر على الثاني اي فعلنا ذلك لنصرف والفرق بين السوء والفحشاء ان السوء خيانة
السيد او مقدمات الزنا من اللمس والقبلة والفحشاء الزنا وقرأ الكوفيون وابو عمرو المخلصين
بفتح اللام والمعنى انه من عبادنا الذين اخلصناهم للنبوة والطاعة والباقون بكسرها اي

اى الذين اخلصوا دينهم لله قوله اى تسابقا فان الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل
كالانتضال والتناضل وفعل الاستباق يتعدى بنفسه الا انه حذف الجار واوصل الفعل اتساعا
لكن فى قوله تعالى واختار موسى قومه او ضمن الاستباق معنى ابتدرا وهو يتعدى بنفسه يقال ابتدرا
السلاح اى تسارعوا الى اخذه فلما همت زليخا بيوسف فر يوسف منها فاسرع يريد الباب ليخرج
واسرعت زليخا وراءه لتمنعه الخروج فادركته من خلفه وتعلقت بقميصه فاجتذبته من خلفه
فانقد القميص اى انشق حين هرب منها وتبعته تمنعه والفيا اى صادفا سيدها اى بعلها وهو
قطفير قبل الفنا مقبلا يريد ان يدخل وقبل الفناء جالسا مع ابن عم للمراة لما رات زوجها
على تلك الهيئة المريبة وهى مغتاضة على يوسف اذ لم يوافقها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما
تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى ان يوافقها خيفة منها ومن
مكرها فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم وما نافية اى ليس جزاؤه الا
السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اى شىء جزاؤه غير السجن قوله ايهاما علة لقولها ذلك
وقوله تبرئة علة الايهام قوله وتغييره عطف على تبرئة والتغيير من الغيرة اى اوهمت ذلك ابقاعا
لسيدها فى الغيرة على يوسف واغراء للسيد بيوسف كى ينتقم منه قوله وانما قال ذلك مع ان مقتضى
المروة ان يستر ما راه من الزلات بذيل كرمه لا سيما زلة من احسن اليه بوجوه الاحسان
والاكرام دفعا عن نفسه البلاء الذى عرضت المراة زوجها اياه فى حق يوسف من السجن
او العذاب فانه لم يقل ذلك تحريا ارادة ان يشنع اولا ولا وانما قاله لاجل ان ينفى عن نفسه او عرضه
ووجب عليه دفع التهمة عن نفسه ولو لم تكذب المراة فى حقه ابتداء لما اظهر حقيقة الحال ولكتم جرمها
وستر عيبها وانما قال دفعا لما عرضته له ولم يقل دفعا عن نفسه ما اوجبت المراة عليه من السجن
او العذاب الاليم لان المراة لم تصرح بان يوسف اراد بها سوءا بل ذكرت كلاما مجملا وقالت ما جزاء من
اراد باهلك سوءا اى كل من اراد باهلك سوءا فما جزاؤه الا السجن او التعذيب ليكون ابلغ فى تأدية
مرادها وهو تخويف يوسف وانما كان ابلغ كالبرهان لاستخفافه العقاب بان يعم الراجح من سلك
المجهول قوله وشهد شاهد من قبيل الاستعارة التبعية لان الشرطية المذكورة
ليست بشهادة حقيقية لكنها شبهت بالشهادة من حيث انها تفيد فائدة الشهادة
لبراءة يوسف حيث يثبت بها ما ادعاه يوسف عليها ويبطل به قولها عليه واطلق عليها اسم
الشهادة استعارة اصلية ثم اشتق منه لفظ شهد فكان استعارة تبعية قوله قيل ابن
عمها كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما يرجع الملك بمشورته فى الحوادث العظام واتفق فى ذلك
الوقت انه كان جالسا مع زوجها لدى الباب حين تسابقا اليه والفيا زوجها لديه فقالت

فقالت المراة ما قالت فقال الحكيم ان كان قميصه قد من قبل فانت صادقة والرجل كاذب وان كان
قد من دبر فالرجل صادق وانت كاذبة لان انشقاق القميص من جانب الدبر يدل على ان الرجل
هرب منها وهى تبعته فاجتذبته فقدته ولو كان الانشقاق من جهة القبل يدل على انه قصدها
وهى دفعته فقدت قميصه فى اثناء المدافعة فلما نظروا الى القميص ورأوا انه قد من خلفه قال
ابن عمها انه اى ان امر المراودة ثم ابعاد البرىء بانه اراد باهلك سوءا فما جزاؤه الا السجن او العذاب
الاليم من كيدكن وحيلكن اى كيدكن عظيم ثم قال ليوسف اعرض عن هذا اى اكتمه وقال لها
استغفرى لذنبك وقيل كان الشاهد صبيا فى المهد وكان ابن خال المراة انطقه الله الشهادة على
لسان اهلها لتكون الزم للحجة عليها لان شهادة القريب على قريبه خالية عن التهمة بالكلية
تكون اولى بالقبول قوله ماشطة فرعون من قبيل الاضافة لادنى ملابسة لان الماشطة
كانت لابنة فرعون لا لنفسه روى ان تلك الماشطة لما آمنت بموسى عليه الصلوة والسلام
اخبرت الابنة اباها بايمان الماشطة فامر فرعون بالقائها مع جميع اولادها فى النار فاخذوا
يلقون اولادها واحدا بعد واحد فى النار بين يديها وبمرآها فلما بلغت النوبة الى آخر اولادها
وكان صغيرا يرضع امه يقول قال لامه يا اماه اصبرى على ما اصابك من البلاء فانك على الحق
وان الله عنده اجر عظيم وقصة صاحب جريج ان جريجا كان رجلا عابدا وكان له صومعة يتعبد
فيها وكانت فى زمانه امراة حسناء بغية قالت لافتننه فعرضت له نفسها مرارا فلم يلتفت اليها
فمكنت نفسها من راعى غنم كان يأوى بغنمه الى الصومعة فولدت غلاما وقالت انه من جريج فضربوه
وهدموا صومعته فصلى جريج ركعتين ودعا ربه فى ان يظهر حقيقة الحال فانصرف الى الغلام وطعنه
باصبعه وقال يا ابا غلام من ابوك قال انا ابن الراعى قوله والشرطية محكية على ارادة القول
جواب عما يقال كيف جازت حكاية الجملة الشرطية بعد فعل الشهادة مع ان الجملة الشرطية
فيها معنى التوقف والتعليق وفعل الشهادة يقتضى الاداء والاخبار بثبوت حق هذا على ذلك و
بينهما تناف واجاب عنه بوجهين الاول انها محكية بعد القول المحذوف كانه قيل وشهد شاهد فقال
ان كان قميصه الخ والثانى ان ذكر فعل الشهادة من قبيل اطلاق لفظ الخاص وارادة العام بناء على
ان الشهادة نوع من القول وتسمى تقول هذه الشرطية شهادة مع ان الشهادة فى عرف الشرع عبارة
عن الاخبار بثبوت حق الغير على غيره بلفظ اشهد وليس تقول هذه الشرطية من هذا القبيل
تشبيها لتقول لها بالشهادة من حيث انه يؤدى مؤدى الشهادة حيث ثبت قول يوسف ويبطل قولها
فكان قوله وشهد استعارة تبعية قوله والجمع بين ان وكان بمعنى ان كلمة ان تدل على الاستقبال وكان
على المضى فينبغى ان لا يجمع بينهما الا انه جمع بينهما لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد بمعنى ان الشرط

ماضيا لفظا لكنه في تأويل المضارع لان المراد ارشاد العزيز الى ما يعلم به من الصادق ومن الكاذب
منهما بان يتتبع الامارة التي يتميز بها الصادق والكاذب كانه قال تتبع الامارة فان تجد الامر كذا فالصادق
هي والا فالآخر ونظيره قولك ان احسنت اليّ فقد احسنت اليك من قبل لمن يمنّ عليك باحسانه فان
كلمة ان فيه وان دخلت على الماضي لفظا الا ان المعنى ان تمنّ عليّ امنّ عليك لو ان تعتد احسانك اليّ
فيما مضى فانا اعتد احساني اليك فيه فلما كان الشرط في تأويل المستقبل ارتفع المنافات بينه وبين كلمة
ان قوله وقرئ من قبل ودبر بثلث ضمات من غير تنوين على بنائهما على الضم لكونهما مقطوعين
عن الاضافة والاصل من قبله ودبره فلما قطعا عن الاضافة جعلا غاية نفسهما بعد ما كان
المضاف اليه غايتهما كقبل وبعد وقرئ من قبل ودبر بالفتح بجعلهما علمين للجهتين ومنعهما من
الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ من قبل ومن دبر بسكون العين تخفيفا ثم ان من قرأ بسكون
العين منهم من قرأ بالجر والتنوين على الاصل ومنهم من جعلهما كقبل وبعد في البناء على الضم وهذه
القراءات الثلث من الشواذ وقرأ الجمهور من قبل ومن دبر بضمتين وبالجر وبالتنوين والمعنى
من خلف القميص ومن قدامه او من خلف يوسف وقدامه قوله لقربه وتفطنه للحديث من غير
احتياج الى الايقاظ والتنبيه بحرف النداء ولما ظهر للقوم براءة يوسف عما نسب اليه من السوء
قال زوجها ليوسف اعرض عن هذا الحديث ولا تذكره لاحد حتى لا ينتشر ولا يحصل العار العظيم
وقيل انه من قول الشاهد ثم قال للمرأة واستغفري لذنبك اي توبي الى الله واطلبي من زوجك
المغفرة والصفح حتى لا يعاقبك قيل ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة اكتفى منها بالاستغفار قوله فتاك
تراود فتاها اي عبدها زوجها العبد يسمى فتى والامة فتاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن
احدكم عبدي وامتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي اختص من اعتقته عبد زوجها الى [illegible] لطاعته
لا وتصرفه فيما يخالف الباس اسباب المنزل قوله والعزيز بلسان العرب الملك الا ان المراد به
خازن الملك وكان يسمى عزيزا لتلقب الملك اياه به او على انه معنى عزيز عند الملك يكرم لديه او على
انه ذو منعة لكثرة خدمه واعوانه قوله وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي جواب عما يرد من ان
يقال النسوة مؤنث حقيقي اسند ما اليه الظاهر فيجب تانيث الفعل فلم ذكر وتقرير الجواب انا لا نسلم كونه
مؤنثا حقيقيا ان لو كان موضوعة لجماعة الاناث من بني آدم وليس كذلك بل اسم مفرد موضوع لجمع
المرأة فتانيثها بهذا الاعتبار غير حقيقي فجاز الامران فيما اسند اليه من الفعل استدل على كون الفتى
ناقصا يائيا بكون مصدره بالياء ولو كان واويا لكان مصدره مستعملا بالواو وليس كذلك والفتوة
شاذة قوله امرأة العزيز مبتدأ وقوله تراود فتاها خبره وقوله قد شغفها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا
وان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا اما من فاعل تراود او من مفعوله وحبا تمييز منقول من

قوله وان السوء الخ حاصله ان [illegible] السوء كذا قاله في قراءة ان [illegible] هذه الامارات [illegible] في يوسف او قد القميص منه

قوله لقربه وتفطنه يريد ان حرف النداء اما لبعد المنادى فيطلب قربه بالاقبال واما لبلادته فيطلب تفطنه بالحديث وكلا منهما منتفٍ ههنا منه

قوله اكتفى [illegible] اي لا التحدث ولا الذكر به حذرا [illegible] كان قليل الغيرة على ان فطنته [illegible] حيث اكتفى بعدم اطلاع الخلق واستر بالاستغفار فكما سلب عنه الغيرة لطفا [illegible] وقال ابو حيان تربية اقليم العزيز اقتضت منه

انا لنريها في ضلال مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او نظيرا لامرأة بين الناس فالجملة تقرير [illegible] التوبيخ والتشنيع وتجهيل عليها بانها على خطأ عظيم وانما لم يقلن انا لفي ضلال مبين اشارة بان ذلك الحكم غير صادر عنهن بمجازفة بل عن علم [illegible] مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه منه

٢٤٧
من الفاعل اذ الاصل قد شغفها حبه قرأ العامة شغفها بالغين المعجمة اي شق حبها شغاف
قلبها وهو حجاب القلب وغلافه ومعنى شغف الحب المرأة ان الحب اصاب شغافها وشغفه وبلغ الى
فؤادها كما يقال كبده اذا اصاب كبده ورأسه اذا اصاب رأسه قوله وقرئ شعفها بالعين المهملة
اي احرق قلبها وفي الصحاح شعفه الحب اي احرق قلبه وشعفت البعير بالقطران اذا اشعلته به
يقال هنأت البعير اهنؤه اذا طليته بالهناء وهو القطران قوله وانما سماه مكرا وهو الاحتيال
والخديعة والاغتياب ليس اخفيا لا حقيقة الا انه اطلق عليه المكر على سبيل الاستعارة لان الغيبة
انما تذكر على سبيل الخفية فاشبهت المكر او لانهن انما قلن ذلك مكرا بها واحتيالا لان يرين يوسف لان يوسف
كان يوصف عندهن بغاية الحسن والجمال فغلب عليهن شوق رؤيته فقلن ذلك احتيالا لرؤيته بناء
على انهن اذا قلن ذلك على قصد لوم زليخا بهذه المراودة عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها في المراودة
عندهن او لان زليخا استكتمتهن اي اسرّت اليهن حبها ليوسف حبا شديدا وطلبت منهن ان
يكتمن سرها فافشين ذلك السر ولم يفين بما وعدنه فكان قولهن مكرا وخديعة حقيقة روي ان
زليخا لما سمعت بمكرهن اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة من اكابرهن واعتدت اي اعدت
وهيأت لهن متكأ وهو بضم الميم وتشديد التاء وفتح الكاف والهمزة بعدها الشيء الذي يتكأ عليه
من وسادة ونحوها وآتت كل واحدة منهن سكينا لتقطع كل واحدة منهن بذلك السكين ما بين يديه
من اللحم ونحوه من انواع المطعومات والفواكه فلما اشتغلت كل واحدة منهن بتناول ما بين يديها على
طريق المعالجة بالسكين قالت ليوسف اخرج عليهن وكانت اجلسته في موضع آخر فخرج
عليهن يوسف فلما رأينه اكبرنه اي اعظمنه من جهة الحسن والجمال وحرن مبهوتين متحيرين و
قطعن ايديهن وجرحن بزعمهن انهن يقطعن ما في ايديهن من الاترج ونحوه ولم يجدن الم قطع
ايديهن لشغل قلوبهن بيوسف عن عكرمة قال كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل
القمر ليلة البدر على سائر النجوم ويؤيده ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي الى السماء يوسف الصديق كالقمر ليلة البدر قوله وقيل
متكأ طعاما او مجلس طعام سمي الطعام متكأ لان اهل الطعام لان اهل الطعام اذا جلسوا
للاكل يتكئون على الوسائد فسمي الطعام متكأ تشبيها له بالمتكأ كان اهل الطعام يتكئون عليه كما
يتكئون على الوسائد وسمي مجلس الطعام متكأ لكون الاتكاء من لوازمه عندهم فانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب تترفا اي تنعما واستكبارا ولهذا نهي عن الاكل متكئا ومن مجيء الاتكاء بمعنى
تناول الطعام قول جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله قيل ظللت اعمل كذا بكسر
ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل واتكأنا اي طعمنا والقلل جمع قلة وهي الجرة التي يتبرد فيها الحلال

صرف الفعل عنه واسند الى الضمير المبهم ثم فسر الضمير بالتمييز لكون المقصود بعد الاجمال اوقع في النفس والذ منه

قوله تراود [illegible] زليخا اياه وفي بعضها [illegible] النسوة اياه والاول ارجح [illegible] من باب الافعال والاول [illegible] من الثلاثي والاول انسب منه

قوله او لان زليخا استكتمتهن سرها اي انما اطلعتهن واستكتمتهن اي طلب منهن ان يكتمن سرها فافشينها فلم يوفين بما وعدنه ثم سمعته ارسلت اليهن وذكر في تسمية هذا الاغتياب مكرا وجوها تكون على الاول استعارة وعلى الاخير حقيقة منه

النبيذ الحلو يقول اشغلنا طول النهار بالنوم والكل الطعام وشرب الشراب وقوله وشربنا زنجبيل بمعنى انجانا وقيل المتكا ليس عبارة عن الطعام مطلقا بل هو طعام يحز جرا ان يحتاج الى ان يقطع بالسكين لانه متى كان كذلك احتاج الانسان الى ان يتكئ عليه عند القطع وقرئ متكا اصله متكا فحذفت همزته تخفيفا ومتكاء بالتشديد والمد وهي كقراءة العامة الا انه اشبع فتحة الكاف فتولد منها الف كما قيل منتزاح في منتزح ومتكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف وهو الاترج وقيل هو اسم لكل ما يقطع بالسكين اترجا كان غيره من الفواكه من متك الشيء بمعنى بتكه اي قطعه وقرئ ايضا متكا على وزن مفعلا من تكأ يتكأ اذا اتكأ قوله لانها تدخل الكبر اي تخرج من حد الصغر والصبي وتصل الى حد البلوغ بالحيض في الحيض لما كان علامة كبر السن وعلامة له سمي به لوله مجازا او الهاء في اكبرنه ضمير المصدر المدلول عليه بقوله اكبرن اي اكبرن الاكبار او ضمير يوسف على حذف اللام والمعنى حضن له من شدة الشبق وهو الشهوة الضراب ومن مجيء الاكبار بمعنى الحيض قول من قال يأتي النساء على اطهارهن ولا يأتي النساء اذا اكبرن اكبارا واستدل على كون شدة الشبق باعثا لسيلان دم الحيض بقول المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق اي فان ظهرت بلا برقع حاضت الابكار الشواب في خدورهن شوقا الى وصالك فان المرأة اذا اغتلمت واشتدت شهوتها سال دم حيضها والعواتق جمع عاتق وهي الجارية الشابة اول ما ادركت ويلعت في بيت اهلها ومنع من البروز للرجال قوله جرحنها يعني انه ليس المراد بقطعهن ايديهن ابانتها عن المعصم بل هو عبارة عن مجرد الجرح قوله كما قرأ ابو عمرو فانه وحده قرأ حاشا بالفين الالف التي بعد الحاء والتي بعد الشين في موضعين من هذه السورة حال الوصل على الاصل وحذفها حال الوقف اتباعا للرسم وقرأ الباقون بحذف الالف الاخيرة وصلا ووقفا على اطلاق الاصل لكثرة دوران هذه الكلمة على الالسن واتباعا للرسم واختلف النحويون في هذه الكلمة فذهب سيبويه ومن تابعه من البصريين الى انه حرف والكوفيون الى انه فعل فمن جعلها حرفا خفض بها ومن جعلها فعلا نصب بها هذا اذا استعملت للاستثناء لتنزيه ما ذكر بعدها عن الفعل الذي نسب الى ما ذكر قبلها ولما كانت كلمة استثناء لا ابتداء بها الكلام ولا تذكر الا بعد كلام فقد كقولك اساء القوم حاشا زيد وزيدا واما اذا ذكر لغير الاستثناء وقد ابتداء الكلام كما في قولك حاشا لله فذهب صاحب الكشاف والمص الى انها في مثل هذا الموضع اسم موضوع موضع التنزيه واللام للبيان فمن قال حاشا لله فكانه قال براءة وتنزيها ثم قال لله لبيان من يبرئ وينزه نقلت من الحرفية الى الاسمية كما نقلت كلمة عن وعلى الى الاسمية وقيل من عن يمينه اي من جانب يمينه ومن عليه اي من فوقه وكلمة حاشا كانت في الاصل حرف جر يستثنى بها ثم ابتدئ بها الكلام ووضعت موضع التنزيه ونقلت من

من الحرفية الى الاسمية الا انها لما كانت بمنزلة المصدر كانت اسما معربا فجوزوا ان تكون منونة الا انها لم تنون مراعاة لاصلها الذي هو الحرفية كما لم تنون كلمة عن في قولك جلست من عن يمينه قوله وقرئ حاشا الله على اضافة حاشا الى الله كاضافة البراءة اليه بناء على تنزيلها منزلة المصدر كما ان قراءته بالتنوين مبني على التنزيل المذكور والمعنى برئ الله براءة من العجز عن خلق مثله لما حذف الفعل اضيف المصدر الى فاعله كما اضيف الى المفعول في قوله سبحان الله اصله اسبح الله تسبيحا اي نسبحا قوله وقيل حاشا فاعل عطف على قوله وهو حرف يفيد معنى التنزيه اي قيل ليس حاشا في الاصل حرف استثناء يفيد معنى التنزيه بل هو فعل على فاعل وفيه ضمير يوسف والمعنى ان يوسف جانب ونزه مما يتوهم فيه من البشرية وما يتوقع من مثله من الموافقة والانجذاب لمن راودته لاجل الانه وطلبا لمرضاته وهربا من مخالفته وعصيانه على انه من الحشا بمعنى الناحية قوله وبشر اي قرئ ما هذا بشرى بكسر الباء الجارة الداخلة على الشرى اي ما هذا بعبد يملك بالشرى وهذه القراءة لا توافق رسم المصحف لان بشرا كتب فيه بالالف والشرى انما كتب بالياء قوله فذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه الظاهر انه ذلكن في نظم الآية مبتدا والموصول بصلته خبره والمص قدر ضمير هو وجعله مبتدأ وجعل اسم الاشارة مع صفته التي هي الموصول مع صلته خبره للاشارة الى جواب ما يخطر بالبال من ان زليخا كيف اشارت الى يوسف عليه الصلوة والسلام بما يشار به الى المحسوس البعيد وهو عليه الصلوة والسلام حاضر عندها قريب منها لانها امرته بان يخرج اليهن ويحضر معهن في مجلسهن وتقرير الجواب ان يوسف وان كان حاضرا في مجلسها قريبا منها الا انها قصدت الاشارة الى العبد الكنعاني الذي اغتبنها به حال غيبته في قولهن عشقت زليخا عبدها الكنعاني وهذا القصد اقتضى ان يذكر العبد هو ويخبر عنه مع ما في حيزه لان اسماء الاشارة مطلقا وان كانت موضوعة لان يشار بها الى المشاهد المحسوس الا ان لفظ ذلكن بما يصلح للاشارة الى غائب عينا كان او معنى بان يحكى عنه او لا ثم يشار اليه اشارة عقلية تنزيلا للاشارة التعليقية منزلة الحسية بتنزيل مسبوق ذكره منزلة المشاهد وغيبته منزلة البعد فلذلك قال المص في تقدير الكلام فهو ذلك العبد الكنعاني الخ وجعل ذلك الاشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني قوله او فهذا هو الذي لمتنني فيه على ان يكون ذلكن مبتدأ والموصول بصلته خبره واشير الى المشاهد القريب بلفظ البعيد تعظيما له بالبعد تنزيلا لبعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة ولما اظهرت زليخا عند النسوة عذرها في شدة محبتها له وهو انهن لحقهن بنظرة واحدة ما هو اعظم مما لحقها مع طول زمان كونه عندها كشفت عن حقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم كما في قوله الا انه عن يمينه وهذا تصريح بانه عليه الصلوة والسلام كان بريئا عن تلك التهمة وقولها فاستعصم ابلغ من ان يقال امتنع

فالزمخشري قال فالالف يكون للسكت ولم يلتفت المص اليه بناء على ان تحريك هاء السكت لحن ولو كانت للسكت لسكنت بجرى هاء الضمير في تحريكها واجرى حال الوصل مجرى حال الوقف في اثباتها

الرواية تنصيص المجاز فذلك اسماء الاشارة ونحوه ينقض تحجيم اصحاب البعض من الاسماء اللسان مثل حذر والادبية الوجه والحذر وجعل حذر باقتراح حيث يدللجارية في ابواب الب

لدلالته على طلب المقدرة الزائد على ما هو عليه من العصمة ونحوه استمسك واستوسع واستجمع الرأى
ففيه مبالغة عظيمة في الامتناع والتحفظ عن ارتكاب المعصية كانه مع كونه في غاية العصمة طلب من نفسه
العصمة لعدم اعتداده بما فيه من العصمة البالغة قوله ان ما آمر على ان تكون كلمة ما موصولة ورجع
ضميره الى الموصول بحذف الجار كما في امرتك الخير وحذف المفعول الصريح ايضا والتقدير ما آمره به قوله
او امرى اياه على ان تكون كلمة ما مصدرية فيرجع الضمير الى يوسف والمعنى ولئن لم يفعل موجب امرى
اياه ومقتضاه فرقوا بين الصاغر بمعنى الذليل وبين الصغير مقابل الكبير وجعلوا الاول من باب
علم يعلم وجعلوا مصدره صَغَرا وصَغارا كالطلب وهلاكا وجعلوا الثاني من باب حسن وجعلوا
مصدره صغرا على وزن كبر قوله آثر عندى فسر المحبة بالايثار والاختيار لعدم صحة حملها على اصل
معناها لان كون الشيء محبوبا حقيقة عند المحب يستلزم كونه مرضيا له مرغوبا فيه عنده ومن المعلوم
ان السجن مكروه عند يوسف غير مرضي له فلا يكون محبوبا له حقيقة فلذلك فسر المحبة بالايثار لان
اختيار الشيء لا يستلزم كونه مرضيا عند من يختاره فان من اكره على الزنا مثلا بفعل آخر يختار
اهون الشرين مع ان شيئا منهما لا يكون مرضيا عنده قوله واسناد الدعوة اليهن جميعا لان
الدعاء انما صدر منها خاصة لانهن جميعا قلن ليوسف اتق الله في ربتك واطعها واجبها الى ما
دعتك اليه ولئن لم تفعل انك اذا لمن الظالمين فان العبد الذي عصى سيدته يستحق لان يعذب عذابا
اليما وقيل كل واحدة منهن شغفن به ودعته كل امرأة منهن الى نفسها فلذلك قال السجن احب
الي مما يدعونني اليه قوله وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا لانه اوهم به التجلد على الدعاء والاقتدار على
تحمل ما اصابه من الشدائد والصبر عليه ولما كان في قوله والا تصرف عنى معنى الدعاء وسؤال اللطف
قال الله فاستجاب له ربه انه هو السميع للدعاء من الملتجى اليه قوله من السفهاء فسر الجهل بالسفاهة التي هي ترك
العمل بمقتضى الحكمة لان الصبوة لا توجب حقيقة الجهل ثم جوز ان يكون المراد بالجاهل المنزل منزلة
الجاهل لعدم جريه على مقتضى علمه فان العالم اذا لم يعمل بمقتضى علمه ولم يحصل منه فائدة العلم وجدواه
فهو والجاهل سواء فاذا لم يترتب الفائدة المطلوبة من الشيء عليه يجعل ذلك في حكم المعدوم
قوله وفاعل بدا ضمير يفسره ليسجننه لا نفس ليسجننه لانه فعل والفعل لا يكون مخبرا عنه وتقدير
الكلام ثم بدا لهم سجنه اي حبسه في السجن وكلمة ثم في قوله بدا لهم يدل على استبعاد راى سجنه بعد
رؤية الآيات والشواهد الدالة على براءته فان العزيز لما ظهرت له براءة يوسف بما رآه من العلامات
الدالة عليها ولم يتعرض له بل قال اعرض عن هذا الحديث واكتمه كيلا ينتشر بين الناس وحالت
المرأة بعد ذلك بحيل شتى حتى تحمل يوسف على موافقتها في مرادها ولم يلتفت اليها يوسف ولما ايست
عنه خطرت ببالها ان تحبسه مدة فتراه انه لان قلبه لها وانه لا تنبعه في الحبس لتنتقم منه بذلك

وقوله من السفهاء اى من الذين يجهلون قدر الحكمة فيعملون بداعى الهوى ثم الجهل يجاز عن السفاهة فالجهل مطلقا والسفاهة داعى الهوى بنفس العلم به ضد الحكمة لانه ضد الحكمة سلمه

قلابها حرب قلر

الا انه ابهم بهذا الفعل مقام ذكر الاسم سلمه

٢٤٩

بذلك فقالت لزوجها ان هذا العبد الكنعاني فضحني في الناس يقول في حقى انها راودتني عن
نفسي ولا اقدر على تحمل هذه الفضاحة فارى ان الاصلح ان تحبسه لا مدة تنقطع هذه المقالة
بها وكان العزيز مطواعا لها جملا زلولا زمامه في يدها فاغتر بقولها فرضي بحبسه وعمل برأيها في
سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته بذلك وحتى في قوله حتى حين جارة بمعنى الى كانه قيل
ليسجننه زمانا ما الى اهل اللغة الحين قدر من الزمان غير محدود ويقع على القصير والطويل و
لا دلالة في الآية على تعيين قدر مدة حبسه الا انه روى انه لبث في السجن خمس سنين وقيل سبع
سنين وهو الاشهر وقيل لبث اثنتي عشرة سنة والله اعلم وقرئ لتسجننه بتاء الخطاب على
صورة اسناد الفعل الى جماعة الذكور كانه خاطب بعضهم العزيز ومن معه من اهل المجلس
او خاطب العزيز وحده على وجه التعظيم وفي الآية محذوف والتقدير لما رأوا حبسه حبسوه و
حذف ذلك لدلالة قوله ودخل معه السجن قوله معه ودخل معه اي واتفق دخول آخرين السجن
معه اي في سجنه قوله بدلا ان يسماه اي يسقياه السم بدال سماه اي سقاه السم وسم
الطعام اي جعل فيه السم قيل انهما كانا غلامين للملك ريان احدهما صاحب طعامه والآخر
صاحب شرابه فنمي الى الملك ان صاحب الطعام يريد ان يسمه اي ان يطعمه طعاما مسموما فظن الملك
ان صاحب الشراب مطلع على قصده وانهما اتفقا على قصد اهلاكه فامر الملك بحبسهما فعلى الحال
ان صاحب الشراب غافل عما فعل صاحبه وقيل ان جماعة من اهل مصر ارادوا المكر بالملك
فضمنوا الذين الغلامين ما لا ليسما الملك في طعامه وشرابه ثم ان الساقي نكل عنه وقبل الخباز
الرشوة فسم الطعام فلما احضر كل واحد منهما طعام الملك وشرابه قال الساقي ايها الملك لا تأكل
الطعام فانه مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب
فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام على دابة فاكلته
فهلكت فامر الملك بحبسهما قوله اي اراني في المنام يدل على ان المراد الرؤية في المنام قولهما
نبئنا بتأويله لان رؤية العين لا يطلب له تأويل وايضا لو كان المراد حكاية ما نظر اليه حال
اليقظة لكفاه ان يقول اعصر ولما احتاج الى ان يقول اراني واختلف في انهما هل رأيا شيئا او لم
يريا فقال بعضهم ان يوسف لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد برؤيا نخترعها فذكرا له ما اخترعاه
من الرؤيا ولم يكونا رأيا شيئا وقال الآخرون انهما رأيا ما ذكراه له من الرؤيا فعبرها لهما فوقع كما
عبر قوله تنهش منه اي تأخذ بمنقاره وتأكل يقال نهش اللحم اذا اخذه بمقدم اسنانه قوله
لانهما اي الفتيان رأياه في السجن يذكر الناس ما ينتفع به الناس في معاشهم ومعادهم

ذكر في الكشف النفيسة انه يوصف ذلك الكلام ثلاثا خفيا اوزمانا بلانية على شيء من الوقت بعد يجوز على نصف سنة وربع سنة شيء معين من الوقت فانه من الوقت سلمه

ويؤيد هذا القول ما يحكى من قرب من انه عليه الصلوة والسلام قال رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس سلمه

فقال الآخر اني رأيت كأني في بستان فاذا انا باصل حبلة حسنة فيها ثلاثة اغصان عليها ثلث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك فشربه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلث سلال فيها خبز والوان الاطعمة وان سباع الطير تأكل منها السلة العليا سلمه

وقيل المراد باحسان يوسف عليه الصلوة والسلام احسانه في علم التعبير لانه عليه الصلوة والسلام حين عبر الرؤيا لاحدهما اهل السجن ووقع الامر على ما عبر به والدوران
(المحسنين) كرر ما كان احسان يوسف فقال انه كان يعود المريض ويعين المحتاج ومكارم الاخلاق في جميع الامثال وكان يعود مريضهم ويواسي حزينهم واذا ضاق عليهم
رجل مكانه يوسع له وان احتاج احد جمع له ما يحتاج اليه

فانه عليه الصلوة والسلام بين به انه يخبر عن المغيبات بتعليم ربه اياه بطريق الوحي والالهام لا بطريق التكهن والتنجيم اظهر لهما بذلك انه نبي مؤيد بالمعجزة وجعله ذريعة الى مقصوده

فلما سمعا ذلك منه علما انه عالم يحسن الى الناس في جميع ما يحتاجون اليه سيما في تعبير الرؤيا
فلما سمع يوسف قولهما انا نريك من المحسنين وصل به قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الخ ليريهما انه
فائق في العلم قادر على تاويل رؤياهما وكان لهما وظيفة من الطعام يرزقانه كل يوم وكان ذلك الوقت
موقتا باتيان وظيفتهما من الطعام فقال لهما اعبر لكما ما قصصتما من الرؤيا قبل ان يأتيكما
وظيفتكما المعهودة هذا على تقدير ان يرجع الضمير المجرور في قوله الا نبأتكما بتاويله الى ما قصصتماه
من الرؤيا ويحتمل ان يرجع الى الطعام ويكون المعنى اني قادر على تاويل ما هو اعجب وابدع من تاويل
رؤياكما فاني قادر على تاويل طعام يأتيكما كل يوم قبل ان يأتيكما ذلك الطعام بان اقول لكما يأتيكما
اليوم طعام ماهيته كذا وكيفيته كذا وكميته كذا ومن قدر على هذا لا يتعذر عليه تاويل رؤياكما فاخبر
بعد ذلك يبين لهما كل يوم ما يحمل اليهما من الطعام قبل ان يأتيهما ويقول اليوم يأتيكما كذا وكذا
من الطعام ومن صفته كيت وكيت فيكون الامر كما اخبر وجعل هذا الكلام ذريعة الى دعوتهما
الى التوحيد كما هو طريقة الانبياء عليهم الصلوة والسلام في انتهاز الفرصة في الدعوة الى الحق
يمهدون مقدمة تلين بها القلوب لاستماع الحق وقبوله ويتفرعون عليه ما قصدوه من الدعوة
الى التوحيد فانه اول ما يجب على الانبياء ان يدعوا اليه امروا ونفي الشرك عن نفسه اولا كون
ذلك ابلغ في دعوتهم الى التوحيد فانه لو دعاهما اليه ابتداء لما التفتوا الى كلامه فيفوت غرضه
وجعله ذريعة الى الشروع في مقصوده الذي دعوتهما الى التوحيد قوله او كلام مبتدا مستأنف
ليس تعليلا لما قبله ذكره ليتوسل به الى مقصوده الذي هو دعوتهما في الربوبية الى التوحيد فهو
على الوجهين لا محل له من الاعراب قوله ذلكما اي وكون يوسف عليه الصلوة والسلام وصف
نفسه بتخليتها عن رذائل الكفر وتحليتها باتباعه ملة ابائه الكرام وبكونه من اهل بيت النبوة يجوز
للخامل اي لمن لم يكن مشهورا بالفضائل والمفاخر ان يصف نفسه بالمكارم والمفاخر حتى
يعرف ويقتدى به ولا يكون ذلك من قبيل التزكية التي نهي عنه بقوله تعالى ولا تزكوا انفسكم فان قيل قوله
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يوهم انه عليه الصلوة والسلام كان من هذه الملة اجيب عنه اولا بان
الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه ان يكون قد خاض فيه وثانيا انه عليه
الصلوة والسلام كان عبدا لهم بحسب زعمهم الفاسد ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايمان
خوفا منهم ثم انه اظهره في هذا الوقت وادعى النبوة واظهر المعجزة وهي الاخبار عن الغيب
فكان هذا اجراء بمجرى ترك ملة اولئك الكفرة بحسب الظاهر قوله وتكرير الضمير في قوله وهم بالاخرة
هم كافرون للدلالة على الاختصاص والتاكيد واختصاصهم بالكفر مستفاد من التقديم وتاكيده
من التكرير قوله اي شيء كان معنى ان كلمة من زائدة للدلالة على العموم والاستغراق اي ما كان لنا
ان

وان قيل معنى كشف الالتباس بيان ما ... قبل نقل ظاهر اللفظ ... عن وضعه الاصلي الى ما يعود اليه ... بيان المجمل ... الدليل الذي يحتاج الى تفصيل وكشفه وذلك لان صاحبي السجن كانا يعلمان على الاجمال ما يحمل اليهما من الطعام لكن ماهية ذلك الطعام وكيفيته لم يكن معلومة عندهم فاذا بين ذلك فقد فسر ما هو المبهم عندهما وسمي هذا البيان والكشف تاويلا على سبيل المشاكلة لقولهما نبئنا بتاويله

وكون ابيه وجده وجد ابيه انبياء الله ورسله لاجل ان يقوى رغبتهما في الاستماع منه والوثوق به ولم يكن ذلك من قبيل التزكية التي نهي عنه بقوله تعالى ولا تزكوا انفسكم فان فضل ابرهيم ثم فضل اسحق ويعقوب عليهم الصلوة والسلام كان امرا مشهورا في الدنيا فاذا ظهر انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان انقيادهما له اتم وتاثرهما بكلامه اكمل فلذلك عدها شرفا لنفسه ولم يعد ذلك من قبيل التزكية المذمومة

ان نشرك به من شيء من الاشياء ملكا كان ذلك الشيء او انسيا او جنيا فكيف بصنم منحوت قوله
يا ساكنيه او يا صاحبي فيه الاول على ان تكون الاضافة في صاحبي السجن من قبيل اضافة اسم الفاعل
الى مفعوله بان يجعل السجن مصحوبا بالمصحوبين بسبب كونه فيه كما في نحو اصحاب الجنة واصحاب النار والثاني
على ان تكون من قبيل اضافته الى الظرف على طريق اضافته الى المفعول به اتساعا كما في قولك يا سارق
الليلة فان الليلة ليست بمسروقة بل هي مسروق فيها لكنها جعلت مسروقة بحسب الظاهر اتساعا
فكذا الحال في قوله يا صاحبي السجن لان السجن ليس مصحوبا بل هو مصحوب فيه ثم انه عليه الصلوة والسلام
لما ادعى النبوة واظهر المعجزة وهي الاخبار عن المغيبات ووقوعها كما اخبر عنها وبين نسبه وكونه
من بيت النبوة وبين ان شان الانبياء عليهم الصلوة والسلام ان يوحدوا صانع العالم ويخصوه
بالعبادة وان ينزهوه عن الشركاء بالكلية شرع في مقصوده فقال يا صاحبي السجن اارباب متفرقون
الاية على سبيل الاستفهام الانكاري انكر التعدد الالهة بناء على بطلان لازمه الذي هو فساد
العالم واختلال نظامه المشاهد فان تعدد الالهة يوجب فساد السموات والارض ولما تبين
ان العالم لا بد له من صانع وان تعدده محال تعين انه واحد منزه عن شريك ينازعه
فيما اراده فثبت ان وحدة الصانع خير من التعدد المستلزم للمحال قوله الا اشياء يعني
المراد بالاسماء المسميات لان الاسم لا يعبد وقوله باعتبار اسام في محل النصب
على انه صفة اشياء اي ما تعبدون من دونه الا اشياء ملحوظة باعتبار اسام سميتموها اي
اطلقتموها على تلك الاشياء من عند انفسكم من غير حجة تدل على تحقق مسميات تلك
الاسماء في تلك الاشياء اي سميتم اشياء ليس فيها معنى الالوهية الهة فعبدتموها باعتبار
تلك الاسامي فكانكم تعبدون تلك الاسماء الخالية عن المسميات ما انزل الله بها اي
بتسميتها من حجة تدل على تحقق مسمياتها فالاسماء في قوله عليه الصلوة والسلام ما تعبدون
من دونه الا اسماء عبارة عما يعبده المشركون من الاشياء التي يسمونها الهة من غير ان
يكون عندهم سلطان وحجة تدل على صحة تسميتها الهة عبر عن تلك المعبودات بالاسماء
مجازا للاشعار بخلوها عن معنى الالوهية بالكلية ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله
ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ثم انه عليه الصلوة والسلام لما قرر امر
التوحيد ودعاهما اليه شرع في تاويل رؤياهما فقال للساقي ما احسن ما رايت فانك
رايت انك كنت في بستان في اصل حبلة حسنة فيها ثلثة اغصان عليها ثلثة عناقيد من
عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدك فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه اما ما رايت
من الكرمة وحسنها فهو الملك وحسن حالك عنده وللخباز بئس ما رايت فانك انه كان

[illegible]

فوق رأسك ثلث سلال فيها خبز والوان الاطعمة وانت سباع الطير تاكل من السلة
العليا اما السلال الثلث فثلثة ايام يوجه اليك الملك عند انقضائهن فيصلبك وتاكل
الطير من رأسك فقالا ما راينا شيئا ما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ منه يعني سيقع
بكما ما عبرت لكما صدقتما او كذبتما وانما حتم يوسف عليه الصلوة والسلام بوقوع الامر بهما من
قبل وحي اتاه من الله تعالى ويبين ان عاقبة كل واحد منهما تكون على الوجه الذي قرره يوسف
لهما لانه لو بنى جوابه على علم التعبير لما قال قضي الامر لان علم التعبير مبني على الظن والحسبان
والقضاء هو الالزام الجازم والحكم القاطع الذي لا يصح ابتناؤه على الظن والحسبان ولا
يبعد ان يقال انه عليه الصلوة والسلام بنى جوابه ذلك على علم التعبير وقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان
لم يعن به ان الذي ذكره واقع لا محالة بل عنى به ان حكمه في تعبير ما سألاه عنه هو ذلك الذي ذكره قوله
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه الى اشارة للجواب عما يقال انهما استفتيا في امرين مختلفين
فلم وحد الامر وقيل قضي الامر الذي تستفتيان والظاهر ان يقال الامران اللذان فيهما تستفتيان وتقرير
الجواب انهما وان استفتيا في امرين بحسب الظاهر لكن مرجع سؤالهما الى استكشاف عاقبة ما نزل
بهما وهو التهمة بسم الملك المؤدية الى الحبس وانها هي النجاة او الهلاك وعاقبة ما نزل بكل واحد
منهما امر واحد فلذلك وحد الامر الذي تستفتيان فيه قوله الظان يوسف ان بنى ما ذكره من
التعبير على القواعد المذكورة في علم التعبير لان تلك القواعد لا تفيد اليقين فيصح ان يسند الى يوسف
عليه الصلوة والسلام ح الظن بالمعنى المشهور فيكون المعنى وقال يوسف للشرابي الذي ظن هو
يوسف انه ناج واما ان عبر به عن وحي فلا يصح ان يسند الظن بالمعنى المشهور اليه عليه الصلوة
والسلام ح لان الوحي يفيد اليقين دون الظن فيتعين كونه مسندا الى الشرابي فيكون المعنى
وقال يوسف للشرابي الذي ظن كونه ناجيا بسبب ما سمع من التعبير فانه يجوز ان يكون ظانا في
نجاته من حيث انه لم يطمئن قلبه بنبوة يوسف عليه الصلوة والسلام لكن كان حسن الاعتقاد
في حقه فلذلك غلب على ظنه انه مصيب في التعبير قوله ذكر ربه من قبيل الاسناد للملابسة
لان الذكر مصدر حقه ان يضاف الى فاعله وهو الشرابي او الى مفعوله وهو يوسف ولم يضف
الى شيء منهما بل اضيف الى الملك وهو غير الصريح الذي هو سيد الشرابي على طريق اضافة المصدر
الى ما يلابس فاعله الحقيقي وهي قريبة من الاسناد المجازي بل هما من واد واحد ومن قبيل
الاضافة الى المفعول الصريح بتقدير المضاف اي انسى الشيطان الشرابي ان يذكر اخبار ربه وخبر
انساه على الوجهين للشرابي وعلى الوجه الاخر ليوسف وح يكون التقدير ان الشيطان انسى يوسف
ان يذكر ربه وان لا يستعين بغيره من المخلوقين فان اللائق بمنصبه ان لا يعرض حاجته

حاجته سوى الله تعالى وان يقتدي بجده ابرهيم عليه الصلوة والسلام فانه حين وضع في
المنجنيق يرمى به في النار جاءه جبريل عليه الصلوة والسلام وقال هل لك من حاجة فقال اما اليك
فلا ثم قال الى الله قال سله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي قال المفسرون لما استعان يوسف بغير
الله تعالى عاقبه بان حبس سبع سنين بعد الخمس التي حبسها الى وقت قوله اذكرني عند ربك وروي
ان جبريل عليه الصلوة والسلام دخل على يوسف عليه الصلوة والسلام في السجن فلما رآه يوسف
عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين ما لي اراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر الطاهرين
يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني اذ استشفعت بالآدميين فوعزتي
لالبثنك في السجن سبع سنين كذا قال الاصمعي البضع ما بين الثلاث الى التسع وعامة المفسرين على
ان المراد بالبضع ههنا سبع سنين وهو منصوب على الظرف الزماني قوله [illegible] جمع مهزول من الهزال
وهو ضد السمن وسمان جمع سمين وسمينة مثل كرام جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة
كرام والعجف الهزال الذي ليس بعده هزال وعجاف جمع عجفاء وجمع على فعال مع ان افعل وفعلاء
لا يجمعان على فعال حملا على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض
البقرات السمان صورة الخصب وكذا السنبلات الخضر ولذلك قيدها المص بقوله قد انعقد حبها
والبقرات العجاف صورة القحط وكذا اليابسات التي حان وقت حصادها ولم يذكر عدد السنبلات
اليابسات اكتفاء بذكر عدد البقرات السمان والعجاف وعدد السنبلات الخضر لان ذكر العدد فيها
يدل على ان الكلام في هذا العدد المعين ولم يذكر ايضا حال السنبلات الخضر واليابسات ايتهما
غلبت على الاخرى استغناء عن بيان حالها ببيان حال البقرات فانه قد بين في البقرات ان
العجاف التي هي صورة القحط غلبت على ما هي صورة الخصب فعلم منه غلبة اليابسات على ما هو
صورة الخصب قوله واعراب السمان على المميز اي جعل السمان مجرورا على انه صفة لمميز سبع
وهو البقرات ولم ينصب على انه صفة للتمييز وهو سبع حتى يكون تمييز العدد مطلق البقرات الموصوفة
بالسمن لان التمييز بها اي بالسمان من البقرات لا بجنس البقرات يعني ان المقصود من تمييز العدد
رفع الابهام المستقر فيه وهذا المقصود انما يحصل على الوجه الاكمل بان يميز السبع بالبقرات الموصوفة
بالسمن ولو جعل سمان صفة سبع وجعل بقرات تمييز السبع الموصوفة بالسمن لوقع التمييز بجنس
البقرة ولو جعل سمان صفة للتمييز لوقع التمييز بنوع البقرة وهو البقرات السمان ولا شك ان التمييز
بالنوع اكمل وابلغ من التمييز بالجنس لاشتمال النوع على الجنس مع امر زائد على مفهوم الجنس قوله
في وصف السبع الثاني بالعجاف مع ان القياس على السبع الاول يقتضي ان يجعل العجاف مجرورا على انه مميز
للعدد كما ميز السبع الاول باضافته الى العجاف بل وصف به لتعذر كون العجاف مميزا للعدد حال

كونها مجردة عن الموصوف وذلك لان المقصود من التمييز بيان جنس المعدود وحقيقته و
العجاف صفة لا تدل على الحقيقة ولا تبينها وانما تدل على شيء ما متصف بالعجف فلا يصلح للتمييز
ما لم يكن جاريا على الموصوف فتعين كونه مرفوعا على انه صفة للعدد قوله ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا اي بتفسيرها وتأويلها يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبارة اي فسرتها ويقال ايضا
عبّرت تعبيرا بالتثقيل بمعنى فسرتها ايضا ولغة التخفيف اثبت في السنة الفصحاء بالنسبة
الى لغة التثقيل ويقال ايضا عبرت النهر اعبره عبورا اذا جاوزته ووصلت الى الجانب
الاخر من عرضه قيل لعابر الرؤيا عابر لانتقاله من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية
قوله واللام للبيان اي لبيان يعبرون له فانه لما قال الملك لهم ان كنتم تعبرون لم يعلمون ان مراد
الملك منهم عبارة اي شيء فبين ان مراده عبارتهم الرؤيا فاللام متعلق بمحذوف على انها
لبيان المعبور له فقال للرؤيا كما ان اللام فيه في قوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين للبيان
فيه اي شيء زهدوا فقيل فيه اعني في يوسف قوله او لتقوية العامل فان العامل هنا وان كان
فعلا قويا على العمل الا انه ضعف بسبب تقدم معموله عليه فزيدت اللام على معموله ليقوى على
العمل فيه كما تزاد لذلك اذا كان العامل فرعا كما في قوله تعالى فعال لما يريد ومثل هذه اللام
لا تتعلق بشيء وانما تزاد لمجرد التقوية وقد تزاد عند فقدان الامرين وهما فرعية العامل
وتقدم معموله كما في قوله تعالى ردف لكم اي ردفكم فان اللام فيه زائدة مع ان العامل فيه ليس بفرع
ولم يتقدم معموله عليه ايضا قوله تنتدبون لعبارة الرؤيا اي تجيبون من دعا لعبارتها وهي
تفتعلون من ندبه لامر فانتدب له اي دعاه لامر فاجاب لدعائه وبناء الافتعال فيه للمطاوعة
فعل كما في قولك جمعته فاجتمع واعلم انه لما دنا وقت خلاص يوسف عليه الصلاة والسلام دبر
الله لخروجه منه تدبيرا اخرج بسببه عن السجن على وجه اقتضى ذلك الخروج الى ان يتحقق رؤياه
التي رآها عند ابيه صغيرا من سجود احد عشر كوكبا والشمس والقمر وذلك التدبير انه تعالى ارى ملك
مصر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هائلة واضطرب بسببها وقال ان استيلاء الضعيف الناقص
على الكامل القوي لا بد ان يكون صورة شر يظهر في المملكة فيعرجها او يفسدها الا انه لم يعلم ان ذلك
الشر على اي كيفية يظهر وانه هل له من تدبير يخفى بسببه وقعه على الخلق فتشوق ورغب في
تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه فجمع اعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال لهم يا ايها الملأ افتوني في
رؤياي ثم ان الله تعالى اعجز من حضر عنده عن تعبير رؤياه ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة
والسلام من ضيق الحبس فقالوا للملك ان الرؤيا تكون على قسمين منها ما يكون منتظمة فيسهل
الانتقال من الامور المتخيلة الى الحقائق الحقائق الاصلية ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا يكون

وقيل لعابر الرؤيا عابر لانه يتفكر في اطراف الرؤيا ويتنقل من احدها الى الاخر كعابر النهر فانه يتنقل من جانبي الى الاخرى

كانه لما قيل ان كنتم تعبرون قيل لاي شيء فقيل للرؤيا

هو اوردها في الصحاح في الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس فلان اضغاث احلام اي مختلطة كونها مختلطة الاصل الاضغاث

قوله فاستعير للرؤيا الكاذبة تشبيها لها بما جمع حزمة من انواع النبات والحشيش بجامع الاختلاط من غير تمييز بين الجيد والرديء وتسميته لا باسم المشبه به
واضافة الاضغاث الى الاحلام قرينة الاستعارة والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام وسكونها الرؤيا اي ما يراه النائم في النوم باطلا او حقا فان الاحلام لو لم يتناول
كلا القسمين لما اضيف اليها الاضغاث التي هي الاباطيل اضافة بمعنى من فانها تستدعي ان يكون المضاف اليه جنسا يندرج فيه المضاف وغيره وقد يخص الرؤيا
بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام الرؤيا من الله والحلم من الشيطان

٢٤٧

لا يكون ترتيبها موافقا للترتيب اصلا وهذا القسم من الرؤيا الاضغاث تشبيها له بالحزمة الملتقطة
من اخلاط النبات والعيدان والاضغاث جمع ضغث بكسر الضاد وهو الحزمة المذكورة والاضغاث
في اضغاث احلام بمعنى من اي اضغاث من احلام ضيفت الى الاحلام لبيان جنسها وهو اضافة
المشبه به الى المشبه كما في لجين الماء اي كالفضة في بياضه وصفائه فكذا اضغاث احلام
معناه احلام كالاضغاث في اختلاطها وعدم انتظامها قوله وانما جمعوا يعني ان ما رآه الملك
حلم واحد لكنهم جمعوا وقالوا اضغاث احلام للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان حيث جعلوه
اضغاث احلام كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس العمائم مع انه لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا
عمامة واحدة للمبالغة في وصفه بركوب الفرس فقولهم هذه اضغاث احلام معذرة للعذر في
جهلهم في تأويلها اي ليس لها تأويل عندنا انما التأويل للرؤيا الصحيحة فلما اعترف الحاضرون
عند الملك بالعجز عن تأويل رؤياه جرى الشرابي بين يدي الملك فقال انا انبئكم بتأويله فقال وما
يدريك يا غلام ولست بكاهن ولا بمعبر فقص على الملك ما جرى له مع صاحبه من انهما رأيا في
السجن منامين واخبر كل واحد منهما رؤياه لرجل يسمى بيوسف فطلب منه تعبير رؤياه فعبرها لنا
وصدق جميع ما وصف ولم يسقط من تعبيره شيء فان اذنت لي مضيت اليه واتيتك من
قبله بتعبير هذه الرؤيا وهو قوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بدال مهملة مشددة وهي قراءة
العامة اصله اذتكر على وزن افتعل من الذكر فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فابدلت دالا
فاجتمع متقاربان فابدل اولهما بجنس الثاني وادغم وهو اما جملة حالية من الموصول او من نجا
او معطوف على نجا فلا محل لها لكونها معطوفة على ما لا محل لها والمعنى تذكر الشرابي يوسف وقوله
اذ كرني عند ربك بعد امة من الايام او الاشهر او السنين وهي سبع سنين قراءة الجمهور بعد
امة بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة وهي المدة الطويلة الحاصلة من اجتماع الجمع
العظيم سميت المدة الطويلة امة اي جماعة لحصولها باجتماع الايام والساعات وقرئ بعد امة
بكسر الهمزة اي نعمة انعم بها عليه وهو خلاصه من السجن ونجاته من القتل وقرئ بعد امه بفتح
الهمزة والميم الخفيفة والهاء المنونة من الامه وهو النسيان يقال امه يأمه امها بفتح الميم
وسكونها ثم ان الملك امر الشرابي بان يأتي السجن ويطلب من يوسف تعبير ما رآه فحضر الشرابي
مجلس يوسف عليه الصلاة والسلام وقص عليه الرؤيا بعين اللفظ الذي ذكره الملك فعبر يوسف
تلك الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين والظاهر انه اخبر من يوسف بذلك وجعله امر اخرجه في صورة
الاخبار للمبالغة في ايجاب المأمور به كان المأمور به قد وجد فاخبر المتكلم عن وجوده كما في قوله
تعالى والمطلقات يتربصن وقوله والوالدات يرضعن خلاف الظاهر لان بناء الفعل على اصل

هم ما حمل الرؤيا على خلاف ما هو المذكور في علم التعبير

وهو على تقدير بناء تزرعون على الخبرية لا يدخل في تعبير الرؤيا بل هو مجرد نصيحة وقعت في خلال التعبير على انه اعتراض اثناء ما هو بشانهم منه عليه الصلوة والسلام قبل تتميم التاويل منه

او يجوز ان يكون نصب[ا] ان يامر بالفلاح مفاده الكلام

الخبرية انسب بمقام التعبير ويدل على كونه خبرا بمعنى الامر قوله فذروه في سنبله قوله وهو على الاول
اي قوله فما حصدتم فذروه في سنبله على تقدير ان يكون قوله تزرعون سبع سنين دأبا مبنيا على الخبرية لا
مدخل له في تعبير الرؤيا بل هو مجرد نصيحة وقعت في اثناء التعبير لان تعبير البقرات السبع السمان قد تم بقوله
تزرعون سبع سنين دأبا بخلاف ما اذا كان تخرجا في صورة الخبر فان تعبير البقرات السبع السمان ح
يكون بمجموع الامرين قوله وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة والباقون بسكونها وهما لغتان في مصدر
دأب يدأب اي دام على الشيء ولازمه واعتاد به وانتصابه على انه حال من فاعل تزرعون اما على
جعلهم نفس الدأب والاعتياد مبالغة في اعتيادهم بالزراعة او على جعل المصدر بمعنى اسم الفاعل
اي تزرعون دائبين او على تقدير مضاف اي ذوي دأب كما في رجل عدل فانه اما من قبيل الوصف
بالمصدر للمبالغة او من قبيل كون المصدر بمعنى اسم الفاعل او على تقدير المصدر او على انه مفعول
مطلق لفعله المحذوف اي تزرعون تدأبون دأبا والجملة حال من فاعل تزرعون قوله الا قليلا
استثناء من مفعول فذروه امرهم بحفظ الاكثر بتركه في سنبله والاكل بقدر الحاجة ثم يأتي بعد ذلك
السنين السبع سبع سنين شداد اي صعاب مجدبات تشتد على الناس تأكل تلك السنون ما ادخرتم
لاجلهن اي يذهبنه ويفنينه اسند الاكل والافناء الى السنة وهي لا تاكل شيئا اسنادا مجازيا على
طريق اسناد الفعل الى زمانه كما في قوله والنهار مبصرا تطبيقا بين المعبَّر والمعبَّر به فان البقرات
السبع السمان في جانب المعبَّر مأولة بسبع سنين مخصبات والسبع العجاف مأولة بسبع سنين
مجدبات وقد اسند الى هذه السبع العجاف الاكل اي اكل البقرات السمان فكذا اسند الاكل في المعبَّر به ايضا
الى السنين الجدبة مع ان الاكل انما هو حال اهلها تطبيقا بينهما قوله الا قليلا مما تحصنون مستثنى
من قوله ما قدمتم لهن والاحصان احراز الشيء في حصن يقال احصنه احصانا اذا
جعله في حرزه والمراد احرازه للبذر قوله او يغاثون من الغوث اي ينقذون يقال استغثت
فلانا فاغاثني اي طلبت منه ان ينقذني فانقذني قوله وقرأ حمزة والكسائي تعصرون بناء
الخطاب على تغليب المستفتي وهو الشرابي فان يوسف عليه الصلوة والسلام لما خاطبه باسناد
الفعل الى جماعة الذكور وجب ان يدخل في الخطاب هو والناس فوجب المصير الى التغليب
وقرأ الباقون بياء الغيبة على اسناد الفعل الى الناس والمعنى يعصرون العنب خمرا او الزيتون
زيتا والسمسم دهنا والمراد بيان كثرة النعيم والخير وقرئ يعصرون على بناء المفعول
من عصره اذا انجاه اي ينجون من كرب القحط والجدب ويحصلون الى سعة العيش وكثرة
النعم من العصرة وهي النجاة والعصر المنجى ويعضد هذا الوجه مطابقته لقوله يغاث الناس
وفيه يعصرون سواء قرئ بمعنى يمطرون او ينقذون من الكرب والشدة ويحتمل ان يكون المبني

وقد وقع شداد في قوله سبع شداد على انه صفة سبع ولم يجعل مجرورا ... منه

قوله من الغيث او من الغوث ... يجوز ان يكون الفعل ... من الغيث ... يقال غيثت الارض ... ويستغيثون الغيث ويجوز ان يكون الفعل مبدلا من الواو وعلى ان يكون من الغوث الذي هو الفرج ... من الكرب ... اي التقدير من الكرب الذي ... وسد القحط في قصة الرؤيا منه

المبني للفاعل ايضا من عصره بمعنى انجاه ويكون المعنى يغيثهم الله بالامطار ويغيث بعضهم بعضا
وينقذه من كرب الجدب قوله او من اعصرت السحابة اي ويحتمل ان يكون يعصرون على بناء
المفعول من اعصرت السحابة عليهم بمعنى امطرت عليهم واعصر لازم لا يبنى للمفعول لان همزته
للحينونة كما في احصد الزرع اي حان وقت حصاده وكذا اعصرت السحابة معناه شارفت
ان يعصرها الرياح فتمطر فلما قرئ يعصرون على بناء المفعول ذكر له وجهان احدهما ان يعدّى
الفعل بنزع الخافض لان السحابة اذا شارفت ان يعصرها الرياح يكون الناس مشارفين لان
تمطر عليهم السحابة فقيل يعصرون بمعنى مشارفين لان يعصر السحابة عليهم وثانيهما ان يضمن
السحابة معنى مطرت فتعدى بتعديته فانه يتعدى بنفسه يقال مطرنا قوله وهذه بشارة يعني
ان المستفتي انما طلب تعبير سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وتعبير سبع سنبلات خضر تتولى
عليها السبع اليابسات فتغلبها وقد عبرهما يوسف عليه الصلوة والسلام بما ذكره الى قوله الا قليلا
مما تحصنون ولا مدخل لقوله ثم ياتي من بعد ذلك السبع الشداد عام تام يكون فيه كذا وكذا في التعبير
ولعله عليه الصلوة والسلام علم ذلك بالوحي بان زاده الله تعالى علم عام لم يسالوا عنه ويجوز ان يكون
ان يعلم من الرؤيا بناء على ان الملك لما رأى ان العجاف سبع دل ذلك على ان السنين الجدبة لا تزيد على هذا
العدد ومن المعلوم ان الحاصل بعد انتهاء زمان القحط ليس الا زمان الخصب بحكم ان العالم لا يخلو
عن احد الضدين او بحكم ان سنة الله تعالى جرت على ان يوسع على عباده بعد ان ضيق عليهم قيل ان
الله ذكر حكاية هذه القصة من الساقي ادبا ومن يوسف كرما ادب الساقي قوله انه لم يذهب الى السجن
للسؤال الا باذن سيده وكرم يوسف قوله انه عجل جواب سؤاله ولم يعاتبه على ما كان منه من النسيان
ولم يقل له الآن ذكرت وصيتي لك حين خرجت من السجن بان تذكرني عند الملك كي يخلصني ولم تذكرني
حتى وقعت لكم الحاجة الى ثم ان الساقي لما سمع تعبير رؤيا الملك وعرضه على الملك استحسنه وانكشف عنه
كربه فقال ائتوني بهذا العالم الحكيم اقربه مني وارفع منزلته فان مثله لا ينبغي ان يهان ويحبس فعاد
الشرابي الى يوسف فقال اجب الملك فابى يوسف عليه الصلوة والسلام ان يخرج من السجن الا بعد
ان يتفحص الملك عن حاله مع النسوة لتنكشف حقيقة الحال وبراءته مما اسند اليه من الخيانة في حق
العزيز واهله وليظهر كمال عقله وصبره ووقاره فان من بقي في السجن اثنتا عشرة سنة اذا
طلبه الملك وامر باخراجه اذا لم يتبادر الى الخروج وصبر الى ان يتبين براءته دل ذلك على براءته عن جميع
انواع التهم وعلى ان كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتانا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تعجب
من يوسف عليه الصلوة والسلام وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر الى الخروج حيث قال لقد عجبت
من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما

قوله فما حصدتم الخ يعني انه جملة انشائية لكون قوله ... على تزرعون ... بمعنى الامر ... على الانشاء وعلى الاخبار ... اخباره اظهر لانه تعبير الكلام ... فيناسب الاخبار ولانهم ... على عادتهم ... ذكر ... مع انه يعارض ... بعطف ... بعد ذكر الاية ... بان الفاء ... والبيان ... خارجة عن العبارة بان فذروه ... الخبر ... والمشهور ويجعل التقدير ... حصدتم فذروه في سنبله ... التاويل ... فما حصدتم فذروه في سنبله ... يكون ... في صورة الامر لكونه عليهم ... عليه الصلوة والسلام منه

ما اخبرتهم حتى اشترط عليهم ان يخرجوه ولقد عجبت منه ايضا صبره ووقاره حين اتاه
الرسول ودعاه الى اجابة دعوة الملك حيث لم يبادر الى اجابة دعوته بل قال ارجع الى ربك فاسأله الآية
ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت
العذر وان كان حليما ذا اناة فقوله عليه الصلوة والسلام والله يغفر له ونحوه مقدمة تذكر امام
المقصود تعظيما لما قبله ذكره وتكثير الحرمته وهو كما تقول لمن تعظمه عفا الله عنك لقد اصبت فيما
فعلت قوله وانما قال فاسأله ما بال النسوة يعني ان مقصود يوسف ان يفتش الملك عن حالهن
ليعلم ان المراودة والطلب من اي جانب وقعت ليظهر عند الملك براءة يوسف وليس مقصوده
ان يسأل الساقي الملك نفس حال النسوة والعبارة الدالة على هذا المقصود ان يقال فاسأله ان
يفتش عن حالهن فلم قال يوسف فاسأل الملك ما بال النسوة فالجواب انه عليه الصلوة والسلام
قال ذلك تهييجا للملك على البحث وتحقيق الحال لان الانسان اذا سئل عن شيء جد في بيانه واجتهد
في تحقيقه والتفحص عنه ويستنكف عن ان ينسب الى الجهل بخلاف ما اذا التمس منه شيء مثل ان
يلتمس الساقي من الملك ان يفتش عن حالهن فان المخاطب قد يسمع ويساعد السائل في قضاء
حاجته وقد لا يلتفت اليه فلم يحصل فيه من التهييج ما في قوله فاسأله ما بال النسوة قوله وانما لم يتعرض
لسيدته مع ان الظاهر ان يفردها بالذكر ويقول للساقي فاسأله ما بال امرأة العزيز لانها هي التي
راودته واوقعته في الحبس المؤبد الا انه اقتصر على ذكر اللاتي قطعن ايديهن كرما ومراعاة
للادب قوله وفيه تعظيم كيدهن بانه كيد بعيد الغور لا يعلم غوره الا الله واستشهادا بعلم الله
عليه وعلى انه برئ مما قرف به اي اتهم به يقال قرفت الرجل اي عبته ويقال هو يقرف بكذا
اي يرمى به ويتهم فهو مقروف اي متهم وفيه ايضا ابعاد لهن بانه تعالى يعاقبهن بكيدهن فيجازيهن
عليه فلما امر يوسف الرسول بذلك رجع الرسول الى الملك وبلغه رسالة يوسف دعا الملك النسوة و
فيهن امرأة العزيز فقال لهن ما شانكن وقصتكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن
منه ميلا اليكن وقوله راودتن وان كان خطابا بالجماعة النساء الا انه يحتمل ان يكون المراد منه
خطاب زليخا وحدها على طريق اسناد فعل الواحد الى الجماعة لوقوعه بينهم برضاهم واتحادهم
ويحتمل ان يكون المراد منه خطاب الجماعة اما لان كل واحدة منهن راودته عن نفسه لاجل نفسها
او لان كل واحدة منهن راودته عن نفسه لاجل امرأة العزيز فان اللفظ يحتمل كل واحد من هذه
الوجوه ولما علمت امرأة العزيز ان هذا التفتيش انما هو ليظهر ما وقع بينها وبين يوسف ويتميز
المجرم منهما عن البريء صرحت بما هو الواقع وقالت الآن حصحص الحق اي وضح وانكشف وتمكن
في القلوب والنفوس الجوهري حصحص الشيء بان وظهر وقال ايضا حصحص البعير اذا اثبت ركبته

قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قوله عليه الصلوة والسلام للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة كشاف

وذلك لان تعلق السؤال بكلمة ما التي يسئل بها عن حقيقة الشيء فان قلت سألته ما الانسان كان معناه طلبت منه ان يبين لي ماهية الانسان وحقيقته واذا قلت سألته الخبر كان المعنى طلبت منه ان يعطيني الخبر فلما قال فاسأله ما بال النسوة فقد امره ان يطلب من الملك كشف حقيقة حالهن سعد

قوله انا راودته عن نفسه قالته بعد اعترافها بعصمته له وتفصيلا لما اجملته ثم زادته بقولها وانه لمن الصادقين اعترفت قبل ان يسأل عن حالها مقابلة للاحسان اخذ وقابله ان يشهدن عليها اولا فانها لم تحصل في الاجتراء مشاهدة حتى تحملت ذنبها عليه فلما ثبت ان حجته اقرت بذنبها فان النساء في الحب لا تبالي بانتهاك سترها وظهور سرها قاله التفسير سعد

ركبتيه للنهوض بالثقل واستشهد بالبيت فظهر به ان حصحص يستعمل لازما بمعنى ظهر ومتعديا بمعنى
اثبت وان ما في البيت متعد وهو قوله فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما
الصم جمع اصم وهو الحجر الصلب المصمت والصفا جمع صفاة وهي الصخرة الملساء وثفنات البعير
مباركه من خف الصدر والركبتان والرجلان يقال ناء ينوء نوءة اذا نهض بالحمل بجهد ومشقة و
قوله ثم صمما اي مضى في السير وكل واحد من حصحص وناء مسند الى ضمير البعير يقول هذا البعير
الذي تحت سلمى اثبت ثفناته في ارض ذات حجارة صلبة وركبت عليها سلمى ثم قام بسلمى وقصد السفر ومضى
في السفر ثم ان النسوة لما شهدن عند الملك ليوسف ببراءته ونزاهته عن السوء بالكلية واقرت
زليخا بانها هي التي راودته عن نفسه وانه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي وسلم الشرائط
هذه الشهادة والاقرار وعاد الى يوسف في السجن واخبره بكلامهن قال عليه الصلوة والسلام ذلك
التثبت الذي وقع مني حين ما قلت له ارجع الى ربك فانه اطلقك من السجن ودعاك الى نفسه ليكرمك
ويرفع منزلتك وعدم مسارعتي الى الخروج بمجرد الدعوة انما وقع مني ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب
وهو في محل النصب على انه حال من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا اي ملتبسين بالغيب او على
الظرفية اي لم اخنه بمكان الغيب وهو مكان الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم
ايضا ان الله لا يهدي اي لا ينفذ ولا يسدد كيد من خان الامانة كما لم يسدد كيد امرأته حتى اقرت
بخيانة امانة زوجها ذكره عليه الصلوة والسلام تعريضا بامرأته في خيانتها امانة زوجها
وبنفس العزيز في خيانته امانة الله حين ساعد امرأته بعد ظهور الآيات الدالة على براءته
حيث افترها في حبسه وتاكيد الامانة كانه قال لو خنته في حرمه لما هدى الله كيدي وانما سمى
فعل الخائن كيدا لان شانه ان يفعل بطريق الاحتيال والتلبيس فمعنى هداية الكيد انفاذه وجعله
مؤديا الى ما قصد به ويحتمل ان يكون المعنى لا يهدي الخائن الى الخير بسبب كيده الا انه اوقع الفعل
على الكيد مبالغة قوله كل الاوقات ظرف منصوب بقوله لامارة اشار به الى ان المستثنى منصوب على الظرفية
ومستثنى مفرغ من اعم الاوقات وقوله الا وقت رحمة ربي بناء على ان يكون كلمة ما مصدرية وان
المصدر المأول مستثنى مفرغ والتقدير ان النفس امارة بالسوء في كل الاوقات الا وقت رحمة ربي وقوله
الا رحمة اللاتي من النفوس على ان ما موصولة مستثنى من الضمير المستتر في امارة كانه قيل ان النفوس
باسرها لامارة بالسوء الا النفس التي رحمها ربي فانها لا تأمره فتعريف النفس للاستغراق فلذلك جاز
استثناء النفوس المرحومة منها كما في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وفيه نظر لما
فيه من ايقاع كلمة ما على من يعقل وهو غير مشهور الا انه جائز كما في قولهم اما طاب لكم على ارادة
الوصف قوله وقيل الاية اي قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه حكاية قول راعيل عطف على قوله

قوله وتاكيد الامانة اي الوقت هذا وان كان لا ينفذ ولا يسدده اراد كيده فينبغي ان يستعمل فالاستعارة تحصل في كلمة كيدا الاستعارة او في [illegible] سعد

صحيحتين عن [illegible]

يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن وجاز ارتباطا لا نبها قبلها على تقدير كونها من كلام
راعيل انها لما شهدت على براءة يوسف وامانته وانها هي التي راودته عن نفسه قالت ذلك الذي
قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال غيبته واعترفت بما هو الواقع متى حين
ما سئلت عنه ومع ذلك ما ابرئ نفسي من الخيانة فاني خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد
باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله
بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها وطلبت رحمته بالعفو عما ارتكبته من الخيانة
ولم يرض المص بهذا القول ان يجعل هذا الكلام بقية كلام المرأة لان قوله وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كلام لا يحسن صدوره الا ممن احترز عن المعاصي ثم تذكر هذا الكلام
على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التي استفرغت جهدها في المعصية **قوله** بتقدير النفس على
ان تكون الاية من تتمة كلام يوسف وقوله او بتقدير المستقر على ان تكون من كلام زليخا **قوله** وقرأ قالون
والبزي وفي اكثر النسخ وعن ابن كثير ونافع بالسوء لا بمخالفة لان قالون انما يقرأ رواية عن نافع
والبزي رواية عن ابن كثير فان النافع له راويان قالون وورش وكذا ابن كثير له راويان
قنبل والبزي **قوله** اي نقيا الثواب ان يوسف فكلمه اي كلم الملك يوسف وهو الظاهر لان من اتى الملك
ابتداء لا يحسن له ان يبتدئ بالكلام بل الملائم ان يكون الذي يبتدئ الكلام هو الملك وان جاز ان
يكون الفاعل ضمير يوسف والمفعول ضمير الملك والدنيا جودة الراي والذكاء **قوله** مؤتمن على كل شيء
العموم مستفاد من حذف المفعول به الغير الصريح لقوله امين ومن كون تنوينه للتعظيم يحكى ان يوسف
بان ما رايت بقرات خمس لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل ايضا وما
كان منها على الهيئة التي راها الملك من غير ان ينقص شيئا منها ثم عبر تلك الرؤيا بين يدي الملك فقال
له الملك فما ترى ايها الصديق قال الآن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن
وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون المجدبة بعت الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال
الملك من لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر على ان تعريف الارض
للعهد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية رحم الله اخي يوسف انه لما تأنى في الخروج من
السجن سهل الله عليه ذلك الامر على احسن الوجوه ولما سارع في التماس ان يوليه الملك على خزائن
ارض مصر اخر الله تعالى ذلك المطلوب سنة ولو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لولاه من ساعته و
علم منه ان ترك التصرف وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى اولى وانه مقتضى التوكل والتبري من الحول
والقوة روي عن اصحاب الاخبار انهم قالوا اقام يوسف عليه الصلوة والسلام في بيت الملك سنة
فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعا الملك وتوجه بتاج الكرامة وادخل خاتم الملك

في اصبعه وقلده سيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت والكلة السر الرقيق بخاط
كالبيت ينوقي فيه من البق ثم امره ان يخرج فخرج متوجها لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه
في صفاء لونه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ولزم الملك بيته وفوض امره اليه وعزل
قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل المرأة
قطفير فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت
امرأة حسناء ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك فغلبتني
نفسي ثم قالت له يا يوسف ان الحرص والشهوة يجعلان الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى يجعلان
العبيد ملوكا فلما اتى بها يوسف عليه الصلوة والسلام وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم و
ميشا ابني يوسف واستوثق ملك مصر ليوسف فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف اي مثل ذلك الانعام
الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف على ما يريد في الارض ارض مصر والكاف في كذلك منصوبة بالتمكين
وذلك اشارة الى ما انعم الله تعالى عليه من النجاة من غم الحبس وجعل الملك اياه خالصا لنفسه مكينا
امينا لديه اي مثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه مكنا يوسف في ارض مصر على ان اللام في ليوسف زائدة
كما في قوله تعالى ردف لكم وقوله يتبوأ حال من يوسف ثم انه عليه الصلوة والسلام لما التمس من الملك ان يجعله
واليا على خزائن ارض مصر وكانت اربعين فرسخا وبفوض اليه احرازها وتفريقها بين استحقاقه
لذلك فقال اني حفيظ عليم قال قتادة واسحق حفيظ لما من لا يستحقها عليم بوجوه التدبير فيها قال
صاحب الكشاف حفيظ احفظ ما تستحفظني عليم بوجوه التصرف فيها فقال الملك ليوسف قد وهبت هذا السرير
والخاتم والتاج فقد تخلت لك منهن وانت احق بهن مني فقال يوسف اما السرير فاشد به ملكك
واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا من لباس آبائي قال الملك فقد وضعته
من رأسي اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير متوجها ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره
ثم اقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى مكنا ليوسف في الارض يعني ارض مصر يتبوأ منها
اي ينزل حيث يشاء ويصنع منها ما يشاء اذ كانت خزائنها وكل بلادها بيده وتحت حكمه والتمكين الاقدار
واعطاء المكنة والمكانة **قوله** وقرأ ابن كثير حيث نشاء بنون العظمة لله تعالى ردا على قوله مكنا وقرأ
الباقون بياء الغيبة ردا على قوله يتبوأ ولا خلاف في قوله نصيب برحمتنا من نشاء فانهم
اتفقوا على انه بالنون وقوله تعالى ولا نضيع اجر المحسنين شهادة من الله تعالى ليوسف بالاحسان
ومدح الله تعالى بانه من المحسنين كيف يصح ان يجعل الهم الذي اسند اليه بالهم الاختياري وقوله للذين آمنوا
وكانوا يتقون من باب وضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على ان المحسنين هم الذين آمنوا وكانوا
يتقون اي العلماء العاملون بعلمهم وايماء الى ان اجر الاخرة انما يستحق بهما وان غير المؤمن المتقي

زليخا ... تزوجها وهو ابن ... سنة

قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض الاية التمكين اما من المكنة اي القدرة او من المكان ويقال على الوجهين مكنه ومكن له والمعنى مثل ذلك التمكين و الاقدار في نفس الملك والسلطنة اعطينا له القدرة في ارض مصر او بمثل ذلك جعلنا له مكانا في ارض جبنا حيث الله جعلنا منزلا وما فيها يتبوأ منها حيث يشاء وقد يقال الغنى ... وشاء ... في الارض على الوجهين ... بتبوأ حال ... يتبوأ ... يكون منها ... حالا من حيث ...

لا نصيب له في الاخرة وان اجر الاخرة وهو الجنة خير من اجر الدنيا ونعيمها ~~الحسن~~ نعيم **قوله**
حتى استرقهم جميعا ان لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار مملوكا له فقال الناس تالله ما راينا كاليوم
ملكا اجل ولا اعظم من يوسف ثم قال يوسف للملك كيف رايت صنع الله فيما خولني من الملك فما ترى
فقال الملك الراي رايك وانا لك تابع فقال يوسف اني لم املك مصر باهلها لاخربها واهلك اهلها ولا لان
تقر بانك لي عبد تابع لحكمي ثم قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت
عليهم اموالهم واملاكهم ورددت عليك ملكك على شرط ان لا تخالفني في سيرتي وسنتي
فقال الملك فان ذلك لك والامر بيدك ثم ان شدة سني القحط والمجاعة لما عمت سائر البلاد
واصابت كنعان من توابع ارض الشام ونزل بيعقوب ما نزل بالناس دعا بنيه وقال لهم
بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا واذهبوا اليه لتشتروا منه الطعام فارسلهم
الى مصر وامسك بنيامين اخا يوسف من ابيه وامه فقدم بنوه العشرة مصر فدخلوا على يوسف
فعرفهم وهم له منكرون اي لم يعرفوا انه اخوهم يوسف لطول العهد فانه روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال كان بين ما القوه في غيابة الجب وبين ان دخلوا عليه اربعين سنة
فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوا لبعد حاله التي راوه عليها عن حاله حين فارقوه لانهم
راوه على سرير الملك وعلى راسه تاج الملك وعلى ظهره ثياب الملوك وايضا انهم لما راوه على تلك الحال
استعظموه وغلبت عليهم هيبته وشوكته فلم يقدروا على الاستقصاء في تامل حليته فلم يعرفوه
لذلك الا انه عليه الصلوة والسلام عرفهم في اول ما نظر اليهم وقيل عرفهم بسبب انه كان اخبر حين
ما القوه اخوته في الجب بانك لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فعلم بذلك انهم يصلون اليه
ويدخلون عليه البتة فلذلك كان مترصدا لوصولهم اليه وكان يتفحص عن كل من وصل الى بابه
من البلاد البعيدة ويتعرف احوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين هل هم اخوته ام لا فلما
وصل اخوته الى بابه تفحص عن احوالهم تفحصا ظهر له بذلك انهم اخوته ولما عرفهم امر فتيانه بانزالهم
في منزل حسن واكرامهم ثلثة ايام ثم قال لهم بعد الثلثة من انتم قالوا نحن من اولاد يعقوب
النبي ابن اسحق بن ابرهيم عليهم الصلوة والسلام من اهل كنعان فقال لعلكم جئتم تنظرون
عورة بلادي فاخاف ان يحل اي ضرر منكم فاري ان احبسكم الى ان يظهر لي انكم ابناء النبي
ابن الذبيح ابن الخليل وانكم جئتم تمتارون لاهلكم بان يشهد عندي من اثق به بانكم
لستم بجواسيس بل جئتم ممتارين فمن يشهد لكم بانكم لستم بعيون وان الذي تقولونه حق
قالوا لا يعرفنا في هذا البلد احد ليشهد لنا فقال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم
الاصغر الذي امسكه ابوكم عنده ليتسلى به من اخيكم الذي هلك في البرية ليشهد عندي بصدقكم
فيما

اي تمكني بنيل حوزة الالهية الى ملكه اياه منه

وكان يوسف عليه الصلوة والسلام في تلك الايام فقيل لا يشبع من طعام وبيده خزائن الارض له فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجائع وامر يوسف طباخ الملك ان يجعلوا غداءه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع لئلا ينسى الجائع ومن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار منه

فيما قلتم حتى ارسلكم جميعا فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وقد كان احسنهم
راينا في حق يوسف فخلفوه عنده فاذن لهم في الخروج الى ابيهم فجهزهم بجهازهم اي هيأ اسبابهم
واعطى لكل واحد منهم حمل بعير من الطعام وكان لا يبيع لمن قدم للميرة اكثر من بعير لئلا
يضر بالاخرين فسالوا حملا زائدا لبنيامين فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم
في قولهم ان اباه له ابن آخر غير ما حبسه ليستانس به وطلبوا لاجله حملا زائدا **قوله** فقوله
وقيل كان يوسف الح عطف على ما يفهم مما سبق من انه انما قال ائتوني باخ لكم ليشهد لكم بصدقكم
فيما قالوا من انا لسنا بعيون بل نحن ابناء يعقوب النبي عليهم الصلوة والسلام قال عليه الصلوة
والسلام باخ لكم ولم يقل باخيكم بالاضافة مبالغة في عدم تعرفه لهم فانهم فرقوا بين مررت
بغلامك وبغلام لك وقالوا الاول يقتضي عرفانك بالغلام دون الثاني **قوله** وهو اما نهي او نفي
بمعنى ان قوله ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون نفيا داخلا في حكم الجزاء مجزوما بالعطف
على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وثانيهما ان يكون بمعنى النهي
بل يكون نهيا
وعلى التقديرين اي سواء كان خبرا او نهيا يكون مجزوما على الاول بالعطف على ما هو في محل الجزم
وعلى الثانية بلا الناهية **قوله** لا نتواني على ان قولهم لفاعلون بمعنى الاستقبال جيء لتاكيد الوعد
اي وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نتواني فيه ولا نتقصر ويحتمل ان يكون بمعنى الحال على ان يكون
الفعل مجازا عن القدرة عليه على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب اي لقادرون على
ذلك لا نتواني فيه الفتية جمع قلة للفتى والفتيان جمع كثرة له كالصبية والصبيان والفتى اسم
للمملوك شابا كان او شيخا والتنكير ليوافق الرجال فانه جمع كثرة للرحل والكثرة لكثرة المامورين
بالجعل والقلة باعتبار قلة المباشرين للجعل لانهم ليسوا اكثر من العشرة والمراد بالرحال
اوعيتهم والرحل كل شيء يستصحبه المسافر من الاوعية والمراكب وسائر ما لا بد منه في السفر و
بضاعتهم الثمن الذي ابتاعوا به الطعام **قوله** فانه وكل بكل رحل واحدا يعني اي يهيء ويحفظ
البضاعة التي يجعل في ذلك الرحل تعليل لتصحيح الموافقة بين الفتيان والرحال بايرادهما على جمع
الكثرة فان الظاهر ان رحال الاخوة ليست اقل من عشرين غرارة فاذا وكل بكل غرارة واحدا
من الفتيان يكون المامورون بالتعبئة كثيرا زائدا على العشرة **قوله** حكم بمنعه اي بمنع اعطاء
الطعام كيلا حيث قيل فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي لان منع الكيل بمعنى المكيال لا معنى له
في هذا المقام فلا بد ان يكون الكيل فيه مصدر قولك كلت له الطعام اذا اعطيته كيلا وانا كلت له
اذا توليت فعل الكيل لاجله ويقال اكتلت عليه اذا اخذت منه كيلا يقال كال المعطي واكتال الآخذ
واذا قلت كلته يكون المعنى كلت له وقال الله واذا كالوهم اي كالوا لهم **قوله** نرفع المانع من الكيل

اي تمس الطعام اي فلا طعام لكم بكال فتمس من قبيل ذكر المحل وارادة الحال منه

اي من اعطاء الطعام بالكيل فان عدم اتيانهم باخيهم اليه لما كان مانعا من كيله لهم وكنا لم
منه كان ارسالهم اليه رفعا لذلك المانع وانما زاد بهذا البيان كون الارسال مستلزما للاكتيال
فان مقتضى الاكتيال قد كان موجودا بدون الارسال فلا بد ان يكون عدم الاكتيال على الارسال مستلزما
للاكتيال انما هو لكون الارسال مستلزما لارتفاع المانع من الاكتيال ويحقق عليه النامنه به وقراء
الاخوان يكتل بياء الغيبة على اسناد الفعل الى الاخ اي ارسله معنا يكتل اي ياخذ اخونا الذي هو فرد
بعير كما ياخذ كل واحد منا ذلك وانا له لحافظون من ان يصيبه ضرر ومكروه ولما ضمنوا الحفظ بنيامين
وقالوا وانا له لحافظون من ان يصيبه شيء من المكاره قال يعقوب عليه الصلوة والسلام هل آمنكم
عليه الا كما آمنتكم على اخيه من قبل وهو استفهام انكاري يتضمن معنى النفي وقوله الا كما امنتكم في
محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي لا ائتمنكم على بنيامين ائتمانا الا مثل ائتماني اياكم على
يوسف من قبل فاني ائتمنتكم عليه وضمنتم لي حفظه بان قلتم وانا له لحافظون ثم خنتم في حفظه وضيعتموه
في البادية ثم جئتموني عشاء باكين قائلين لقد اكله الذئب فالآن انتم تضمنون لي حفظ بنيامين
وتقولون ما قلتم عند ضمانكم بحفظ يوسف وهو قولكم وانا له لحافظون فكيف آمنكم على بنيامين
واعتمد على ضمانكم بعد ما شاهدت منكم خلف الوعد وعدم الثبات على القول ثم قال فالله خير حافظا
اي حفظ الله لبنيامين خير من حفظكم اياه يريد اني قد فجعت بكم في حفظ يوسف فكان ما كان
فالآن اتوكل على الله في حفظ بنيامين فتوكل على الله في حفظه فرده اليه سالما روي ان
يعقوب عليه الصلوة والسلام لما قال فالله خير حافظا قال الله عز وجل وعزتي لاردن عليك كليهما بعد ما
توكلت علي وقراء الاخوان وحفص فالله خير حافظا على التمييز منقولا من الفاعل عليه والمعنى حافظ
الله خير من حافظكم لانه في حفظه خير حافظ من حافظكم كما ان حفظه خير من حفظكم ويحتمل
ان يكون منصوبا على الحالية وفيه نوع ضعف لما فيه من تقييد كونه خيرا بهذه الحال الا انه مدفوع
بان هذه الحال لازمة مؤكدة لا مبينة مقيدة قوله عز وجل ولما فتحوا متاعهم المتاع يطلق على ما يصلح
لان يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام الذي حملوه وان يراد اوعية ذلك الطعام وبضاعتهم
ما حملوه من كنعان ليشتروا به الطعام قوله ما نبغي على ان تكون كلمة ما في ما نبغي استفهامية
منصوبة المحل على انها مفعول نبغي قدمت عليه لان لها صدر الكلام والمعنى اي شيء نبغي منه ونطلب
بعد هذا الاكرام حيث اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب عليه الصلوة والسلام لما فعل
ذلك فانه انزلنا منزلا حسنا واكرمنا فيه بالطيب بشاشته ثم باع من كل واحد منا حمل بعير من
الطعام ورد الينا ما قبضه منا من ثمن ما باع من الطعام على احسن الوجوه قوله
ولا نطلب وراء ذلك احسانا على ان تكون كلمة ما نافية اي لا نطلب وراء ما وصل الينا من احسانه احسانا
آخر

نصب على انه نعت مصدر محذوف اي الا ائتمانا مثل ائتماني اياكم على اخيه من قبل وقوله الا كما امنتكم على كذا وانتم [illegible]

٢٤٧

آخر قوله او لا نبغي في القول على ان تكون كلمة ما ايضا نافية ويكون البغي بمعنى التعدي في المقال اي ما نتجاوز
الكذب اي لا نكذب في وصفه بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال فانه ما وصفنا في جميع ذلك قوله
فنستظهر بها اي نستعين ونتقوى بها على مهماتنا قوله هذا اي تكون جملة نمير اهلنا معطوفة على
محذوف اذا كانت كلمة ما استفهامية وفسر البغي بالطلب قوله ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام
بعد ما رجعنا بها يقال مارهم يميرهم ميرا اذا اتاهم بطعام والميرة الطعام الذي يمتاره الانسان اي يجلبه قوله
ونزداد كيل بعير اشارة الى ان الكيل ههنا بمعنى المكيل ووسق البعير المراد به ههنا حمل البعير وفي الصحاح
الوسق ستون صاعا او حمل بعير وذلك اشارة الى ما كيل لهم حين دخلوا عليه وجهزهم بجهازهم
استقلوا ذلك فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع اليه فيكون المعنى ونزداد لكل واحد منا ومن اخينا
وسق بعير زائدا على ما كيل لنا اولا ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى كيل بعير وهو ما ازداده بالنجاة
اخيهم اي نزداده حصة اخينا من الكيل لانها شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يجعله شيئا خطيرا
قوله ما اتوثق به يعني ان الموثق مصدر ميمي بمعنى الثقة وقد استعمل في الاية بمعنى المفعول والمعنى
حتى تعطوني عهدا اثق به واعتمد عليه ومعنى كون ذلك العهد كائنا من عند الله كونه مؤكدا باشهاد
الله عليه وبسبب القسم بالله عليه ولما كان المعنى حتى تحلفوا بالله كان قوله عليه الصلوة والسلام لتأتنني
به جواب القسم قوله الا ان تغلبوا او تهلكوا جميعا يعني ان كونهم محاطا بهم كناية اما عن كونهم مغلوبين
مقهورين بحيث لا تقدرون على اتيانه البتة او عن هلاكهم وموتهم جميعا فان من احاط به العدو يصير
مغلوبا عاجزا عن امضاء مراده او هالكا بالكلية ومن اطلاق الاحاطة وارادة الهلاك قوله تعالى واحيط
بثمره اي اصابه ما اهلكه فهلك قوله او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم
ظاهر كلامه يدل على انه فرق بين الاستثناء من اعم الاحوال وبين الاستثناء من اعم العلل حيث
شرط في كون قوله الا ان يحاط بكم مستثنى مفرغا من اعم العلل ان يكون قوله لتأتنني به في تاويل النفي
ولم يشترط ذلك في كونه مستثنى من اعم الاحوال حيث قال تقدير الكلام على كونه مستثنى من اعم الاحوال
لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم ولم يتعرض لتأويل لتأتنني به بالنفي وان صح ان يأول به
ايضا بان يقال المعنى لا تمتنعون من الاتيان به على كل حال الا حال ان يحاط بكم واول قوله اقسمت بالله
بالنفي وجعل الا فعلت مستثنى مفرغا من اعم العام في المفعول به حيث قال قولهم اقسمت بالله الا فعلت
تقديره ما اطلب منك شيئا الا فعلك وقول صاحب الكشاف والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في
النفي وحده الظاهر انه مبني على الاكثر لانه الصحيح ان الاستثناء من اعم العام في الاثبات فلا حاجة الى
تاويله بالنفي كما في قوله لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم فان هذا الاستثناء صحيح من غير تاويل الاثبات

لان قوله ونزداد [illegible] الاستئنافية لا الاخبار [illegible] ان يعطف على الجملة الاخبارية [illegible] يكون معطوفا على محذوف

والثاني اذا كانت نافية ويجوز الامران ان يكون معطوفا على محذوف وان يكون مستأنفا والمعنى على قوله ما نبغي لكونه خبرية لا نبغي ولا نكذب على الملك فيما وصفنا من جملة كرمه انه رد بضاعتنا [illegible]

ونظيره في الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت عليك بالله الا فعلت وروي عن الزمخشري انه قال [illegible] اقسمت بالله الا فعلت [illegible] معنى النفي والطلب [illegible] الاستثناء [illegible] وليس يوقف لانه في معنى [illegible] الاسم فالكلام [illegible] حتى قال سيبويه سألت الخليل عن قول العرب اقسمت بالله لما فعلت وفي كلام الزمخشري ان الاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وفيما هو مأول به كما في لتأتنني به الا ان يحاط بكم مقدرا بالنفي وذكر صاحب الانتصاف ما تحصيله انما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي لانه اذا لم يذكر المستثنى منه في الكلام النفي يكون الكلام مشعرا بعموم المستثنى منه لان النفي على وجه الاطلاق انما يصح اذا عم حكمه لجميع افراد الحكم النفي فاذا نفي الاتيان به على وجه الاطلاق شمل نفي جميع صور الاتيان به ووجوهه فكان الكلام بعموم ما فيه من النفي كانه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاثبات فانه لا اشعار له بعموم الاحوال لانه لا يتوقف الا على احدها ثم قال وقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فان يعقوب عليه الصلوة والسلام قال لا آمن على يوسف واخاف ان يأكله الذئب فابتلي من ناحية هذا القول حيث قالوا اكله الذئب وقال ههنا لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا عليه فابتلي ايضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه
منه

بالبنى بخلاف ما اذا اراد جعله منشئ من اعم العلل فانه لا يصح المعنى ح الآ ابنا وبل للابنات بالبنى والاتبة العظمة والكبريا يقال اتابه الرجل اذا تكبر وكوكبة واحدة اى جماعة عظيمة يجمعه كوكب الشيء معظمه وكوكب الروضة نورها **قوله** فيعانوا اى يصابوا بالعين يقال عنت الرجل اى اصبته بعيني فانا عائن وهو معين بحذف العين ومعيون باثباته **قوله** وللنفس آثار منها العين لما بين ان يعقوب عليه الصلوة والسلام اما قال لبنيه لا تدخلوا مصر من باب واحد بناء على انه عليه الصلوة والسلام خاف عليهم من العين لعلمه بان العين حق يدل عليه اجماع العلماء من الزمن الاقدم وتطابق السنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام على حقيتها حتى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول لهما ان اباكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهما الصلوة والسلام اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة الامة واحدة الهوام وهى الحيات وكل ذى سم يقتل واما ما لا يقتل وسمه فهو السوام وواحدها سامة كالعقرب والزنبور وقد يطلق الهوام على كل ما يدب من الحيوان واللامة الملمة من الممت به اى نزلت وجىء على فاعلة ولم يقل ملمة للازدواج بهامة ويجوز ان تكون على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لمه يلمه اذا جمعه وقال ان ادركتم الناس اى تجمهم رور عنه عليه الصلوة والسلام العين حق ولو كان شيء يسبق القدر سبقت العين القدر وعن عائشة رضى الله عنها كان يؤمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وهو الذى اصيب بالعين فلما ثبت بهذه الآثار ان العين حق واطبق المتقدمون من المفسرين على ان يعقوب عليه الصلوة والسلام انما قال ذلك لبنيه خوفا عليهم من العين قال المص اولا انه خاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ثم شرع في بيان سبب تأثير بدن المعين اذا رآه العائن واستحسنه وتعجب منه وللنفس آثار منها العين يعنى ان تأثير نحو لا يجب ان يكون مستندا الى القوى الجسمانية بل قد يكون التاثير نفسانيا محضا ويدل عليه ان اللوح الذى يكون قليل العرض اذا كان موضوعا على الارض يقدر الانسان على المشى عليه ولو كان موضوعا فيما بين جدارين عاليين يعجز عن المشى عليه وما ذلك الا لان خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه وايضا اذا تصور الانسان كون فلان مؤذيا له حصل في قلبه غضب يتسخن بذلك مزاجه جدا فمبدأ تلك السخونة ليس الا ذلك التصور النفسانى وايضا مبدأ الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصور النفس يوجب تغير بدنه الخاص لم يبعد ايضا ان يكون بعض النفوس بحيث يتعدى تأثيرها الى سائر الابدان فثبت لا يمتنع في العقل ان يكون بعض النفوس يؤثر في سائر الابدان فان جواهر مختلفة بالماهية فجاز ان يكون بعض

بعض النفوس بحيث يؤثر في تغير بدن حيوان آخر بشرط ان يراه ويتعجب منه ثم ان يعقوب عليه الصلوة والسلام بعد ما امر بنيه برعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم بين لهم ان يصل الى العبد الا ما قدره الله تعالى واراد وجوده بقوله تعالى وما اغنى عنكم من الله من شيء فان الحذر لا ينجى من القدر فانه لا يصل الى العبد الا ما قدره الله تعالى ولا يدخل في الوجود الا ما اراده الله تعالى الا انه يجب عليه ان يراعى الاسباب المعتبرة في هذا العالم لمحض التعبد والاتباع لما اجرى الله تعالى عادته من جعل المسببات مرتبطة بالاسباب من غير ان يربط قلبه بشيء من الاسباب ولا يعتمد الا بمشية الله تعالى وقضائه وفضله ورحمته فانه ليس الحكم فيما يقضى ويريد الا الله تعالى ان شاء اهلاك عباده بهلكهم سواء دخلوا متفرقين او مجتمعين وما عليهم الا رعاية الاسباب الظاهرة وان يكلوا الامر اليه تعالى فلذلك قال ان الحكم الا لله اى ما الحكم الا لله تعالى فيما دبر وقضى **قوله** جمع بين الحرفين اى بين حرفى العطف مع ان المعطوف بهما جملة واحدة دالة على ايجاب تخصيص التوكل بالله تعالى في جميع امورهم **قوله** لتقدم الصلة بيان لوجه ذلك الجمع بينهما فان قوله عليه الصلوة لو لم يتقدم على متعلقه لما امكن الجمع بينهما وقوله للاختصاص علة لتقدمها وقوله كان الواو بيان لفائدة الجمع بينهما فان فائدة الواو عطف فعل سائر المتوكلين على فعل نفسه وهو تخصيص التوكل بالله تعالى وفائدة الفاء التسبب والظاهر ان جواب لما في قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم قوله ما كان يغنى عنهم من الله من شيء وفاعل يغنى المصدر المدلول عليه بقوله لما دخلوا اى ما كان رأى يعقوب ودخولهم من الابواب المتفرقة امتثالا لامر يعقوب يغنى ويدفع من الله اى مما قضاه الله وقدره شيئا حيث اصابهم ما اصابهم من التفرقة بين يعقوب وابنه بنيامين ونسبة السرقة اليه وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم من ابيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف البلية على ابيهم والحرازة الهزار والنوبة وقوله فسرقوا اى نسبوا الى السرقة **قوله** اى ولكن حاجة اشارة الى ان حاجة منصوبة بالا لكونها بمعنى لكن وقضاها خبر لكن والمعنى ان رأى يعقوب عليه الصلوة والسلام في حق بنيه وهو ان يدخلوا من ابواب متفرقة واتباع بنيه له في ذلك الرأى ما كان يدفع عنهم شيئا مما قضاه الله عليهم ولكن يعقوب اظهر بذلك الرأى ما في نفسه من الشفقة والاحتراز عن ان يعانوا ووصى به **قوله** على حذف جواب فلما اى فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن والتأذين كثرة الاعلام على ان تخصيص العير للتكثير **قوله** لسلالم يعلا بامر يوسف جواب عما يقال كيف يليق بيوسف عليه الصلوة والسلام ان يتهم اقواما ويتسبهم الى السرقة كذبا وبهتانا وتقرير الجواب الاول ان المنادى قال من عند نفسه بناء على ان يوسف عليه الصلوة والسلام وضع السقاية بنفسه في رحل بنيامين ولم يطلع عليه احدا وامر بذلك بعض اصحابه او غيره

وكان قتادة يفسر الآية باصابة العين ويقول ليس وما اغنى عنكم من الله شيئا ابطالا له لان تأثير العين ليس مشروطا بالاجتماع والافتراق وكلما قدره بد لو كائن لا محالة قال الامام واعلم ان الانسان مامور بان يراعى الاسباب المعتبرة في هذا العالم ومامور ايضا بان يجزم بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله وان الحذر لا ينجى من القدر فان الانسان مامور بان يحذر من الاشياء المهلكة والاغذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغى ان يكون جازما بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله ولا يدخل في الوجود الا ما اراده الله فينبغى للانسان ان يجمع بين رعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم وبين ان لا يعتمد عليها وان يراعيها الا لمحض التعبد بل يربط قلبه بمشية الله تعالى وفضله ورحمته وان ينقطع رجاءه عن كل شيء سواه منه

مبنى لتقدم الصلة للاختصاص حيث بيان نص تخصيص او وجب تقديم الصلة فادخل العاطف عليها لا بخالفة وقصد بيسبح التوكل على الصلوة والسلام لنحو كلامهم او وجبا لقار الناس بخلفاء السبب دون العطف للبلد بكره منه

ع والقول الثانى ان جوابها محذوف تقديره امتثلوا وقضوا حاجة ابيهم الآن ارتكاب الحذف انما يحتمل الكلام على ما يصلح جوابا صريحا لا يخلو عن تعسف والثالث ان الجواب هو قوله آوى اليه اخاه لان ما زال البغاء وهو جواب لما الآخر والثانية كقولك لما جئتنى ولما كلمتك اغضبتنى وحسن ذلك ان دخولهم على يوسف بعقب دخولهم من الابواب منه

الجملة وتنتسب حاجة في نفس يعقوب عدله وصى وقيل وهى كان اضطرابا في قلبه مرد غرض خاطره ازال ذلك عنه بعد نسيه ثم النظار قضاها صبر الا بمنه لكن وقع للباب صفة لحاجة منه

باخفاء ذلك عن الكل ثم طلب الصواع ولم يوجد فامر اصحابه بان يجدوه فطلبوها ولم يجدوها وما
كان هناك احد غير الذين ارتحلوا فغلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فنادى المنادى منهم
على حسب ظنه انكم لسارقون فحلفوا بقولهم تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا
سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه قال ابن
عباس رضى الله عنهما كانوا فى ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقته سنة وكان استعباد
السارق فى شرعهم جاريا مجرى وجوب القطع فى شرعنا فقال اصحاب يوسف فانا نحتاج الى ان
نفتش رحالكم فاناخوا واتوا ببرائهم ففتشوا رحل الاخ الاكبر ثم الذى يليه حتى بلغ بنيامين
فوجدوا الصواع من سوسانه فنكسوا على رؤسهم وانقطعت السنتهم فاخذوا بنيامين مع ما معه
من الصواع وردوه الى يوسف من عند انفسهم وتقرير الجواب الثانى ان المراد انكم لسارقون يوسف
من ابيه الا انهم لم يصرحوا بهذا المعنى على ما هو الاصل فى باب المعاريض كقول ابراهيم عليه الصلوة و
السلام فى حق سارة هى اختى فى الدين لتسلم من يد الكافر مع ان الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى
مصلحة دينية ليست ببهتان بل هى مستحسنة عند الاحتياج اليها كقوله لايوب عليه الصلوة
والسلام خذ بيدك ضغثا فاضرب به وتخلص بذلك عن تجلدها ولا تحنث وتقرير الجواب الثالث ان
تعبية السقاية واخفاءها ثم النداء بنسبة السرقة اليهم كان برضا بنيامين فلم يأثم فيه
بنسبة السرقة اليه فلم يكن ذنبا فان من نسبت السرقة اليه فى الحقيقة هو من وجد الصواع فى
رحله غاية ما فى الباب انه نسب فعل البعض الى الكل لوجوده فيما بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا مع
ان القاتل واحد منهم روى ان يوسف عليه الصلوة والسلام لما اظهر لاخيه انه اخوه قال انا لا افارقك بعد
هذا فقال يوسف قد علمت اغتمام الوالدين بانقطاعك عنهما بغير سبب يوجبه ولا يمكننى حبسك عندى
الا بعد ان انسب اليك امرا فظيعا يوجب ذلك قال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فانى ادس صاعى هذا فى
رحلك ثم انادى ايها العير فقد افتقدتكم فانى فقدت الصاع لعل بعضا منكم سرقه فان وجد الصاع فى رحلك
كان لى سبيل الى حبسك وتقرير الجواب الرابع ظاهر وهو ان المعنى انكم لسارقون على سبيل الاستفهام فلا
كذب ولا بهتان سميت الابل التى عليها الاحمال عيرا لانها تعير مرة الى ههنا واخرى الى موضع اخر يقال
عار الفرس اذا انفلت وذهب ههنا وههنا من فرحه ونشاطه ومنه سمى الفرس عيارا لمجيئه وذهابه فى طلب
صيده والمراد بالعير ههنا اصحاب الابل على حذف المضاف كما فى قوله عليه الصلوة والسلام يا خيل الله اركبى ان
يا فرسان خيل الله فحذف المضاف وقيل العير بالكسر جمع عير بالفتح وهو الحمار الوحشى والاهلى ايضا
واصلها عير بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لئلا تنقلب الياء واوا كما فعل ذلك فى بيض جمع ابيض
اصله بيض نحو احمر وحمر ثم العير فى الاصل اسم لجماعة الحمير ثم اطلق على قافلة الحمير ثم توسع فاطلق
على

على كل قافلة تشبيها لها بقافلة الحمير قوله وهو واقبلوا عليهم جملة حالية من فاعل قالوا انهم قالوا ذلك مقبلين
عليهم اى شىء ضاع منكم قوله وفقرىء صاع قيل لا فرق بين الصاع والصواع بناء على قراءة
صاع الملك مكان صواع الملك وقيل الصواع اسم والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فالكوز
اسم والسقاء وصف وجمع صواع صيعان كغراب وغربان وجمع صاع اصواع كباب وابواب
قوله حمل بعير الحمل بالضم ما جعل للانسان من شىء على شىء يفعله وكذلك الجعالة والجعيلة مثله
قوله وكم الدوابي وهو شد افواهها لكعام والكعام شىء يجعل فى فم البعير يقال كعمت البعير
اذا شددت به فمه فهو مكعوم قوله وانا به زعيم قول المؤذن اى وانا بحمل بعير من
الطعام كفيل اؤديه الى من جاء به قوله وقولهم تالله قسم فيه معنى التعجب مما اسند اليهم اى
يلازمه التعجب غالبا ومنه تالله تفتؤا تذكر يوسف كانهم قالوا ما اعجب حالكم انتم تعلمون علما
جليا بسبب ما شاهدتم من احوالنا انا برءاء مما تنسبونه الينا فكيف تقولون لنا
انكم لسارقون قوله كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم فانهم لما وجدوا بضاعتهم فى
رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا اخذها والسارق لا يفعل ذلك البتة قوله اى السرق
بفتحتين على انه مصدر قولك سرق منه مالا يسرق سرقا والاسم السرقة بالكسر الراء فيهما
ولو كانت عبارة المصدر السرق بكسر الراء لكان قوله الصواع تكرارا لانه هو المسروق لما ادعوا
البراءة من فعل السرق قال اصحاب يوسف لهم ان كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة فما جزاء
السارق او فعل السارق او فما جزاء الصواع اى سرقته على حذف المضاف قوله اى جزاء
سرقته اخذ من وجد فى رحله اشارة الى ان قوله جزاؤه مبتدأ وقوله من وجد فى رحله خبره
بتقدير المضاف وكلمة من موصولة فى كل واحد منهما ثم قرروا ذلك الحكم والزموه بقولهم فهو
جزاؤه اى فاخذ السارق نفسه هو جزاء سرقته كما تقول حق زيد ان يكسى ويطعم عليه ثم تقول
فذلك حقه تقرر به ما ذكرته من استحقاقه لذلك وتلزمه به قوله او خبر من عطف على قوله تقرير
للحكم اى ويحتمل ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ ثان وقوله
وجد فى رحله صلتها وقوله فهو جزاؤه خبرها زيدت الفاء فى خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط و
يحتمل ان تكون من شرطية ووجد فى رحله فعل الشرط وقوله فهو جزاؤه جزاء الشرط ومن مع
ما فى حيزه على التقديرين خبر المبتدأ الاول فهو جزاؤه قوله على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير
جواب عما يقال كيف يكون قوله من وجد فى رحله فهو جزاؤه خبر المبتدأ الاول ولا عائد فيها يعود
الى الاول وتقرير الجواب انه لو قيل من وجد فى رحله فهو هو لتحقق الرابط بان يكون الضمير الاول
راجعا الى من والثانى الى المبتدأ الاول ولما قيل فهو جزاؤه فقد وضع الظاهر الذى هو مرجع الضمير
قبل

قوله بعينه كان نسخ عمره في شريعتي
قوله هكذا كان
عليه الصلوة والسلام
السارق نسخه جزاء سرقته
كان سرعته فكذا بمعنى فهذا فى
محل الرفع على الابتداء كما انكم
لا يجلد لا انت لا يجلد ولا سهم كان
نفسه وشرعه خبره او بعدها محل
النصب على انه خبر كان وشرعه اسمه
وكان حكم السارق عندهم بنفسه
ان يفرح فيصفق باخذه بعد ضربه
عند السادة على الزامهم
الاستغناق ستاتا

قوله نعم
فى الشرح لما صار هو سارقا فخيرا انه
بنعمة الضمير الاول بينهما نعرب الحج
الضمير الاول بين اللفظ بما
نعم نعم
الضمير

الثاني مقام ذلك المضمر وحصل الربط بذلك كما يحصل بنفس ذلك الضمير ثم ان اخوة يوسف لما افتوا بان جزاء السارق ان يأخذه المسروق منه ويسترقه قال المؤذن او يوسف لا بد من تفتيش اوعيتكم فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة ثم استخرجها من وعاء بنيامين فحبسه بما قبلوا عنده بمقتضى فتواهم وهو خلاف حكم الملك فان حكمه ان يضرب السارق ضربا وجيعا ويغرم مثلي ما اخذه قوله بان علمناه اياه فسر الكيد المسند اليه تعالى بالتعليم والايحاء لان حقيقة الكيد مستحيلة في حقه تعالى وذلك لان الكيد عبارة عن المكر والخديعة وهو ان يوهم غيره خلاف ما يخفيه في نفسه وذلك في حق الله تعالى محمول على التمثيل فان صورة صنع الله تعالى في تعليمه يوسف عليه الصلوة والسلام ان لا يحكم على اخوته حكم الملك وهو ان يضرب السارق ويغرمه مثلي ما اخذه بل يحكم عليهم على سنن مذهبهم وهو ان يستعبد السارق سنة صورة صنع من يوهم الغير خلاف ما يخفيه لان مقصود يوسف ايواء اخيه اليه ولا يتم هذا المقصود الا بهذه الحيلة وما كان ليأخذ اخاه في دين الملك هو عين الكيد قال المص في بيان الكيد كانه قيل ما كان ليوسف ان يأخذ اخاه ويضمه الى نفسه بدين الملك وحكمه الا ان يشاء الله ذلك الا ان الهمناه ان يرد الحكم الى اخوته بان يقول لهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين لان يجيبوه بقولهم جزاؤه من وجد في رحله فهو الهام المؤدي الى الجواب المذكور بمنزلة انه تعالى كادهم لاجل يوسف حيث اجرى على السنتهم بذلك الالهام ان يقولوا جزاء السارق استرقاق المسروق منه اياه فتمكن يوسف بذلك من اخذ اخيه منهم وضمه الى نفسه فالاستثناء من اعم الاحوال اي ما كان ليأخذ اخاه من اخوته في دين الملك في حال من الاحوال الا في حال ان يجعل الحكم بالاخذ حكم الملك ويجوز ان يكون منقطعا تقديره لكن اخذه منهم بمشية الله تعالى واذنه بحكم دين غير دين الملك قرأ الكوفيون درجات بالتنوين والباقون باضافته الى من نشاء وقرأ يعقوب بالياء في الافعال الثلاثة في يرفع ويشاء وفاعلها ضمير الباري تعالى لما قال في حقه عليه الصلوة والسلام ولذلك كدنا ليوسف بمعنى علمنا ان يجعل السقاية في رحل اخيه وان ينسبهم الى السرقة وان يسأل عنهم جزاء السارق عندهم بين ان ارتفاع درجته في باب العلم بمشية الله تعالى وارادته وانه ذو حظ عظيم من العلم فقال نرفع درجات من نشاء اي بالعلم كما رفعنا درجة يوسف فيه والجملة استئناف تقرر مضمون قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييل لما قبله فان التذييل ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا له وهو من هذا القبيل فانه تعالى بين اولا ان اخوة يوسف وان كانوا علماء فضلاء الا انه تعالى فضل يوسف عليهم في العلم ثم قرر ذلك بقوله انا نرفع درجات من نشاء بسبب العلم كما رفعنا درجة يوسف اكد ذلك بانه المنفرد بالعلم

بالعلم الكامل وان علوم جميع الخلائق مستفادة منه فائضة عليهم بتعليمه اياهم فيكون تعالى فوق كل ذي علم من خلقه قوله واحتج به من زعم وهو المعتزلة الذين يزعمون انه تعالى عالم وليس بذي علم اذ لو كان ذا علم لكان فوقه عليم بمقتضى هذه الآية وهو باطل واجاب عنه المص اولا بتخصيص عموم قوله كل ذي علم بذي علم من الخلق لان الكلام فيهم لان الكلام مسوق لبيان تفضل يوسف على ساير اخوته في العلم وثانيا بان العليم صفة مشبهة يدل على المبالغة في اتصاف الذات بالعلم بما هو من حيث انه امر مستمر دائم الثبوت لها فكان العليم بمعنى من له العلم البالغ الذي لا يرتقي الى درجته علم احد غيره وهو الله عز وجل فاذا كان المتفضل بالعلم هو الله تعالى يكون المتفضل عليه من له العلم من الخلائق وثالثا بان قوله كل ذي وان كان بمعنى كل واحد من ذوي العلم على ان يكون كلمة كل استغراقية لاحاطة الافراد الا انه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم على ان يكون كل مجموعية لا استغراقية ومن المعلوم انه تعالى لا يدخل في كل العلماء والا لكان فوقه عليم لان من كان فوق العلماء يكون خارجا عنهم لا محالة فقولنا كل العلماء مخصوص بالخلق وكذا كل ذي علم ثم ان الصواع لما خرج في رحل بنيامين افتضح اخوة يوسف ونكسوا على رؤسهم وقالوا [illegible] وتبرئة لساحتهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان هذه الوقعة ليست ببعيدة منه فان اخاه الذي هلك في البرية كان ايضا سارقا ونحن لسنا على طريقتهما وسيرتهما لانهما كانا من ام اخرى واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف على اقوال الاول انه كانت لابرهيم عليه الصلوة والسلام منطقة يتوارثها الاكابر من اولاده ويتبركون بها فورثها اسحق عليه الصلوة والسلام ثم انتقلت الى ابنته عمة يوسف وكانت اكبر اولاده وكانت تحب يوسف حبا شديدا بحيث لا تصبر عنه ساعة وكانت حضنته بعد وفاة امه راحيل فلما اراد يعقوب عليه الصلوة والسلام ان ينتزعه منها احتالت بان شدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها ففتشوا فوجدوها مشدودة على يوسف فقالت انه سرقها مني فهو لي سلم اي هو سالم افعل به ما شئت فاحتالت به لان لا ينتزعه ابوه منها بناء على ان حكم السرقة عندهم ان يجعل السارق عند المسروق منه ويسترق فتركه يعقوب عليه الصلوة والسلام عندها الى ان ماتت بهذه الحيلة والقول الثاني ما روي عن سعيد بن جبير انه كان لجده ابي امه كافرا يعبد الوثن فامرته امه ان يسرق ذلك الوثن ليفرغ عن عبادة الاوثان والقول الثالث انه كان في البيت عناق وهي الانثى من ولد المعز والنعجة ان قدم السائل يسأله شيئا وكان عليه الصلوة والسلام يكره ان يرد السائل من غير شيء فاعطى السائل اياه قوله والضمير للاجابة يعني ان اسرها راجع الى الاجابة فانهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اسر يوسف اجابة كلامهم هذا واضمرها

في نفسه في ذلك الوقت او استرضا لنهم ان يتعلم هذا او لم يبحث معهم في حقه ولم يقل لهم اي شيء
سرق وبان كيفية اخذ ما اخذوا ماهية السرقة وحقيقتها واخفى نسبة السرقة اليه اي تجاهل
عنه ونزل نفسه منزلة من لم يسمعها وعلى هذه الوجوه يكون قوله قال انتم شر مكانا كلاما مستانفا
لبيان منزلتهم عند الله تعالى **قوله** وقيل انها كناية اي قيل ان كلمة ها في قوله اسرها ضمير مبهم يفسره الجملة
التي بعدها وهي قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها بدل الكل والبدل يفيد فائدة التفسير
والبيان والظاهر يبدل بدل الكل من ضمير الغائب مرفوعا كان او منصوبا كما في هذه الاية فان
ضمير اسرها منصوب نحو لك ضربته زيدا فانه يجوز عند الاصح قال ابن الحاجب ولا يبدل ظاهر من ضمير
بدل الكل الا من الغائب نحو ضربته زيدا والضمير كما يفسر بالظاهر المفرد كما في ربه رجلا ونعم
رجلا زيد فان فاعل نعم ضمير مستتر فيه ورجلا تفسير لذلك الضمير يفسر ايضا بالظاهر الجملة كضمير
الشان في نحو قل هو الله احد وقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله فانها لا تعمى الابصار
وانث الضمير المفسر بقوله انتم شر مكانا نظرا الى كون المفسر جملة او كلمة فانه كثيرا ما يسمى الطائفة
من الكلام المنتظم لتاديته مقصودا من المقاصد كلمة فيقال الكلمة ضوابط لتقصيدته فالمعنى انهم
لما قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال يوسف في نفسه سرا انتم شر مكانا **قوله** مكانا تمييز اي
انكم شر منزلة في السرقة من يوسف لان يوسف لم يكن منه سرقة حقيقة وقد سرقتم اخاكم من ابيه
او انكم شر منزلة في سوء الصنيع حيث فعلتم بيوسف ما لا يجوز لاحد ان يفعله في حق احد من الاجانب
ولم يرض المص بما قيل بناء على ان الضمير لا يفسر بالجملة الا اذا كان الضمير ضمير الشان وضمير
اسرها ليس كذلك **قوله** ان الامر ليس كما تصفون فان ما نسبتم الى يوسف من السرقة لم يقع الا
طلبا لمرضاة الله والمرء لا يلام به بخلاف ما وقع منكم من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم بان اخذتم
قرة عينه من عنده بالحيلة فطرحتموه بالجب ثم قلتم لابيكم اكله الذئب وانتم كاذبون ثم بعتموه
بعشرين درهما ثم لم يزل ما في قلوبكم من الحقد والبغض باقيا بانقضاء السنين والاعوام حتى رميتموه
بالسرقة ثم ان يوسف عليه الصلوة والسلام لما اخذ اخاه بنيامين من اخوته بحكم السرقة مع انهم
اعترفوا بان حكم الله تعالى في السارق ان يسلم الى المسروق منه ليستعبده سلكوا سبل الشفاعة و
الاستعطاف وقالوا انك وان اخذته بحق الا ان العفو والصفح واخذ الفداء ايضا جائز في شرع
نتوقع من فضلك وكرمك ان تنظر الى كبر قدر ابيه عند الله تعالى وكبر سنه ان يعفو عنه ويرسله
وتاخذ احدنا مكانه **قوله** هذا اي خذ هذا التفسير فانه المعنى المستفاد من ظاهر النظم فانه ملايم
لاستعطافهم باطلاق المذنب وحبس البريء ظلم في مذهبكم وفي مقتضى فتواكم فكيف نخلونا
على ارتكاب ذلك الا ان مراد يوسف من الظلم الظلم بالعدول كما اذن له واوحى اليه من اخذ

قوله او من المحسنين الا احسان ت
اي ... فينبغي ان
الجملة على التقدير اي الا ان الاول في محل احوي
المعنى الا ان المعنى على الاستئناف ... والوجه
كانه انا على طريق الاستيناف ...
طريق السائل الذي ... يوصل الى
كما كنت تحسن الينا فيما سلف ...
الاحسان من شيمة والمعنى ... بعد
الشافي اثبات احسانه على العموم ...
على الناس ... سلمه

من اخذ بنيامين وعدم ارساله مع اخوته تطيبا لخاطره لا يشاره صحبة يوسف مدة فيكون اخذ غيره
مكانه ظلما بالنسبة الى ما اوحى اليه فاجابهم بطريق التورية بمراده **قوله** يئسوا يعني ان استفعل ههنا
بمعنى المجرد فانه يقال يئس واستيأس بمعنى نحو عجب واستعجب ومعنى يئسوا منه يئسوا اليأس من اجابته
اياهم وعدل الى بناء الاستفعال للمبالغة في يأسهم من اجابته لهم كانهم مع كونهم في غاية اليأس
منه طلبوا من انفسهم اليأس منه لعدم اعتدادهم بما كانوا فيه من اليأس كما مر في قوله فاستعصم
وقرأ البزي عن ابن كثير بخلاف عنه استايسوا بالف بعد التاء من غير همز وبعد الفاء ياء مفتوحة
على ان فاء الكلمة همزة وعينها ياء فيقال ايس يايس وعلى قراءة العامة فاء الكلمة ياء وعينها همزة
فيقال يئس ييئس فاذا نقل الى باب الاستفعال يقال استياس وعلى اللغة الاولى استايس نقل الجوهري عن ابن
السكيت انه قال ايست منه آيس يأسا لغة في يئست منه ايأس يأسا ومصدرهما واحد **قوله**
نجيا يعني ان النجي مصدر بمعنى التناجي منصوب على انه حال من فاعل خلصوا على طريق التوصيف
بالمصدر للمبالغة في تناجيهم او على تاويله باسم الفاعل كما في رجل عدل وانما وحده مع ان ذا الحال
جمع لانه مصدر او صفة على فعيل كصديق ونحوه الا انه وحده وان اجري على الجمع نحو هم صديق
لكونه بزنة المصادر كالصهيل وهو صوت الفرس والنهيق وهو صوت الحمار وعلى تقدير كونه مصدرا
يكون المعنى انهم انفردوا عن الناس وصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كانهم تناجيا محضا لاجتماعهم
للتكلم انما خلصوا فيه بجدهم واهتمامهم كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في
تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم **قوله** ومامزيدة ذكر في كلمة
ما في قوله ما فرطتم ثلثة اوجه الاول ان تكون مزيدة فيتعلق الظرف الذي قبلها بالفعل الذي بعدها والتقدير
ومن قبل هذا فرطتم اي قصرتم في حق يوسف وشانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وزيادة ما كثيرة والثاني
ان تكون مصدرية فيكون ما فرطتم في تاويل المصدر واما في محل النصب بالعطف على مفعول الم تعلموا
كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف غاية ما في الباب ان قوله من قبل وقع
فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ولا باس به اذا كان الفاصل ظرفا وان قال بعضهم انه
لا يجوز الا في ضرورة الشعر ويجوز ان يكون وجه نصبه كونه معطوفا على اسم ان اي الم تعلموا ان
اباكم قد اخذ عليكم موثقا وان تفريطكم في حق يوسف واقع من قبل هذا واقع في حق يوسف على الاول
يكون خبر ان المقدرة هو قوله من قبل وعلى الثاني يكون خبرها هو قوله في يوسف ويحتمل ان يكون المصدر المأول
في محل الرفع على الابتداء وخبره من قبل قدم عليه اي وتفريطكم في شان يوسف واقع من قبل وارد عليه
ان الظروف التي هي غايات اذا بنيت لكونها مقطوعة عن الاضافة لا تقع اخبارا للمبتدا وكذا لا تقع صلة
ولا صفة ولا حالا لانها بذلك تكون ناقصة ساقطة من حيز الافادة وما لا يفيد لا يقع خبرا ولا شيئا من

ذلك فانك تقول يوم السبت مبارك او السفر بعده ولا تقول السفر بعده وتقول زيد عمرو خلفه ولا
تقول زيد عمرو خلفه والثالث في كلمة ما ان تكون موصولة اسمية بمعنى الذي وصلتها فرطتم بمعنى قدمتم
اي ومن قبل هذا اما فرطتم وقصرتم في يوسف اي ما قدمتموه من الجناية العظيمة ومحلها النصب او الرفع اما
النصب فعلى انه معطوف على مفعول الم تعلموا او التقدير اخذ ابيكم الميثاق والذي قدمتموه في يوسف من قبل
واما الرفع فعلى الابتداء وخبره من قبل والتقدير والذي قدمتموه في يوسف واقع قبل هذا ثم انهم لما تناجوا
وتفكروا قال كبيرهم ان ابانا قد اخذ علينا موثقا عظيما من الله وايضا نحن متهمون بواقعة يوسف
فليس لنا تخلص من هذه الورطة فانا لا افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي
بالتوفيق او بالخروج منها او بتخليص اخي من يد من اخذه بسبب من الاسباب ولو بالمقاتلة معهم
وهو خير الحاكمين واما انتم فارجعوا الى ابيكم وتبينوا له عذركم في عجزكم عن تخليص بنيامين من يد
عزيز مصر واذكروا لابيكم كيفية الحال على ما شاهدتموها فقولوا له ان ابنك سرق قوله روي انهم
كلموا العزيز في اطلاقه يعني ان يوسف عليه الصلوة والسلام لما اخذ بنيامين بتهمة السرقة من
ايديهم غضبوا غضبا شديدا وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم
لغضبه احد واذا صاح ألقت كل امرأة حامل سمعت صوته ولدها وكان مع هذا اذا مسه احد من
ولد يعقوب سكن غضبه وقيل هذه الخاصية كانت في شمعون من ولد يعقوب فلما غضبوا لهذه الحالة
دخلوا على يوسف فقال روبيل لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل الا القت
ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب
روبيل فمسه وبروى خذ بيده فأتي به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان
ههنا لبذرا من بذر يعقوب ولما صار امرهم الى هذا ورأوا انه لا سبيل لهم الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا
له يا ايها العزيز ان له شيخا كبيرا يحبه ولا يصبر عنه فاطلقه وخذ احدنا مكانه بدلا منه انا نراك من
المحسنين قوله ان ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر جواب عما يقال كيف حكموا عليه بانه
سرق بمجرد ظهور الصواع في رحله مع قيام احتمال ان يضعه فيه غيره لحكمة مع ان بنيامين قال لهم
كيف تنسبونني الى السرقة بمجرد وجدان الصواع في رحلي فان كان هذا القدر مصححا للنسبة الى السرقة
الى احد يلزم ان تكونوا سارقين لوجود البضاعة في رحالكم وتقرير الجواب انهم ما قالوا ذلك بناء
على انهم شاهدوا ما يدل على كونه سارقا بحسب الظاهر فانهم شاهدوا ان اصحاب العزيز اخرجوا
الصواع من رحله بعدما ادعوا السرقة عليهم وفتشوا رحالهم حكموا بذلك انه سارق واخذوه
بحكم السرقة فبهذا السبب غلب على ظنهم انه سرق فشهدوا عليه بانه سرق بناء على الظن
ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا وما شهدنا الا بما علمنا اي رأينا من انهم اخرجوا

اخرجوا الصواع من رحله وحكموا بذلك انه سارق واما حقيقة الحال فغير معلومة لنا فان الغيب
لا يعلمه الا الله فالمراد بالغيب على هذا باطن الحال وقيل المراد به عواقب الامور فالمعنى ما كنا
نعلم ان ابنك سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف ولو علمنا ذلك لما ذهبنا به الى الملك
ولما اعطيناك موثقا من الله في رده اليك قوله واصحاب العير قدر المضاف كما قدر في قوله واسأل
القرية اي واسأل اهل القرية واصحاب العير الذي اقبلنا وتوجهنا الى كنعان فيهم اي كائنين معهم
قيل المراد باصحاب العير قوم من الكنعانيين صحبتهم متوجهين الى كنعان لما كانوا متهمين بسبب
واقعة يوسف عليه الصلوة والسلام امرهم كبيرهم روبيل بان يبالغوا في ازالة التهمة عن انفسهم
ويقولوا لابيهم ان لم تصدقنا فيما نقول فاسأل اهل القرية التي لحقنا المنادي فيها واسأل ايضا
العير الذي خرجنا من مصر معهم حال توجهنا اليك قوله تأكيد في محل القسم اي ليس المقصود بقولهم
وانا لصادقون اثبات صدق انفسهم بذلك لانهم ذكروا ما يدل على صدقهم بقولهم واسأل اصحاب
القرية واصحاب العير فيكون مقصودهم بقولهم وانا لصادقون تأكيد ما يدل على صدقهم فان من ذكر ما
يدل على صحة دعواه ثم قال واني لصادق فيما ادعيته يريد بذلك تأكيد ما ذكره من الدليل الذي دل عنده
الاشتباه في صحة ما ادعيه قوله اي فلما رجعوا الى ابيهم يريد ان في الكلام اضمارا والمعنى فلما رجعوا
الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم كبيرهم لم يصدقهم وقال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا حيث افتيتم الملك
ان جزاء السارق ان يؤخذ ويسترق فيفتي الملك اخذ بنيامين على فتواكم والا فما ادري الملك ان
السارق يؤخذ ويسترق فان ذلك انما هو من ديني وشريعتي لا من دين الملك ولولا فتواكم وتعليمكم
لما حكم الملك بذلك فامري صبر جميل فانهم لما كانوا متهمين عند يعقوب عليه الصلوة والسلام بسبب
واقعة يوسف اتهمهم ايضا في واقعة بنيامين ان جزاء السارق ان يؤخذ ويسترق لغرض لهم
في ذلك الفتوى لان اخذ السارق لم يكن من دين الملك بل هو من دين يعقوب وهذا الظن انما صدر
من يعقوب بناء على عدم صفاء قلبه في حقهم بسبب واقعة يوسف وليس الامر كما ظنه لانهم استفتوا
عن جزاء السارق قبل ان يظهر الصواع في رحل بنيامين فافتوا بان جزاء السارق نفسه يؤخذ
ويسترق فلما خرج الصواع في رحل بنيامين اخذه يوسف بفتواهم ولم يشعروا ان مراده من
الاستفتاء الزامهم بفتواهم الآن يعقوب عليه الصلوة والسلام ظن انهم افتوا بذلك بعد ظهور الصواع
في رحل بنيامين لغرض لهم في ذلك فقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل قوله واخيهما الذي
توقف بمصر وهو كبيرهم الذي قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي حتى يشاء بولده عليه
الصلوة والسلام يا اسفا الالف فيه منقلبة عن ياء المتكلم والاصل يا اسفي فتحت الفاء وصيرت الياء
الفا للتخفيف فان الفتحة مع الالف اخف من الكسرة مع الياء والمقصود من نداء الاسف ونحوه

اشار الى التأسف والتحزن ليخفف ما يوجبهما وقوة ما يدعو اليهما كانه يقول انما الاسى اخص بهذا
اوانك الرزء المصيبة وَرُزْء يوسف لما كان قاعدة المصائب واصلها وكان عهدا بطريان سائر المصائب
عليه كان اشد واقوى بحيث صار سائر المصائب في جنبه كان لم يكن لانه يتجدد بطريان غيره عليه والرزء
الحادث وان كان ينبغي ان يكون اشد تأثيرا على النفس الا ان رزء يوسف لما تجدد مع كونه اصل المصائب
كلها صار كانه هو المصيبة كل المصيبة فلذلك قال يا اسفا على يوسف مع ان الحادث بحسب الظاهر رزئهما
قوله وفي الحديث الخ اشارة الى جواب ما يقال اليس ان الاولى عند نزول المصيبة ان يقال انا لله وانا اليه
راجعون حتى ينال الثواب الموعود في حق المسترجع بقوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و
اولئك هم المهتدون فلم لم يسترجع يعقوب عليه الصلوة والسلام بل قال يا اسفا وتقرير الجواب ظاهر
قوله كان العبرة محقت اي محت وابطلت سواد عينيه اشارة الى ان قوله وابيضت ليس المراد به
الابيضاض حقيقة بل هو كناية عن كثرة البكاء فان من استمر على البكاء وسالت دموعه على الخلاف
بين عيناه كانهما ابيضتا ببياض الدمع السائل مع بقاء سواد عينيه على حاله قيل ما جفت عينا
يعقوب عليه الصلوة والسلام من وقت فراق يوسف الى وقت لقائه وكان ما بينهما ثمانين سنة
وقيل قوله وابيضت عيناه معناه ضعفت بصره لكثرة بكائه من الحزن فان العبرة اذا كثرت محقت
سواد العين وغيرته الى بياض كدر وقيل معناه عمي بصره وقرئ من الحزن بفتحتين وقراءة العامة
بضم الحاء وسكون الزاي وهما لغتان كالعُدْم والعَدَم قوله وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند
التفجع فان امثال ذلك مما لا يدخل تحت التكليف لكون الانسان مجبولا عليه ومجرد البكاء لا ينافي الصبر
فان الصبر حبس النفس عما لا يرضى به الرب تعالى من القول والفعل ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم
لمحزونون وعنه عليه الصلوة والسلام انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن الصوتين الاحمقين صوت
عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكى على ولد فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل
الحزن عارا على يعقوب عليه الصلوة والسلام روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه
السلام ما بلغ من وَجْدِ يعقوب على يوسف عليهما الصلوة والسلام قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان
له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قوله مملوء من الغيظ وهو الغضب
الكامن للعاجز والاجزاع الابتلاء قوله وهو في الاصل مصدر بمعنى الاشفاء على الموت وفسر في الاية
بقوله مريضا مشفيا على الهلاك كما فسر الحرض باسم الفاعل في نحو رجل عدل وانما قال ابناء يعقوب عليه
الصلوة والسلام هذا القول ليسألوه عن كثرة التأسف بناء على ان تحمل المشاق والاستمرار عليه

فالبث هو الهم المبثوث لعدم القدرة على حفظه فان الانسان متى امكنه ان يمسك لسانه من ذكر ما به من الحزن لم يكن ذلك الحزن مستوليا عليه واما اذا عظم وعجز الانسان عن ضبطه وانطلق اللسان بذكره فذلك هو البث والظاهر انه مصدر بمعنى المفعول ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل الذي فرد الجميع وحضوري وبث فكري والحزن اعم من البث فاذا عطف على الخاص يراد الافراد الباقية فيكون المعنى لا اذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الا مع الله

عليه يؤدي الى الضعف الغالب بل الى الهلاك قيل البث اشد الحزن سمي بثا لان صاحبه
لا يصبر على اخفائه حتى يبثه اي يشكوه اجابهم بان ما بهم الهم من قبيل البث الذي لا يطاق
الصبر عليه الا اني لا اشكو الى احد منكم ولا الى امثالكم فانما اشكو الى الله تعالى ملتجئا اليه في خلوتي
وشكايتي وهو معنى توليه عنهم الى الله تعالى وقال المص في تفسيره واعرض عنهم كراهة لما صادف
منهم فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي يعني ان جواب القسم
اذا لم تقترن به علامة الاثبات وهي لام الابتداء ونون التاكيد معا عند البصريين نحو والله
ليفعلن او احدهما عند الكوفيين يحمل صورة الاثبات على النفي وجواب القسم لتاكيد النفي
فلو قيل والله احبك كان المراد لا احبك وهو من قبيل التورية فان الذهن يتبادر منه الى اثبات
المحبة وليس كذلك وظهر منه ان معنى الآية تالله لا تفتؤ اي لا تزال تذكر يوسف ونظيره في كون
القسم لتاكيد النفي فيما اذا كان الجواب خاليا عن علامة الاثبات قول امرئ القيس فقلت لها
بالله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي يروى ان امرأ القيس سرى الى ابنة قيصر
فقالت له تريد ان تفضحني الست ترى الرقباء والذين حولي فقال يمين الله لا ابرح حتى اصل
اليك واقضي منك وطري والاوصال جمع وصل بكسر الواو وهو المفصل ورسم لفظ تفتؤ بالواو
والقياس ان يرسم على تفتأ بالالف من صنعه ورحمته بتقدير المضاف وكون من تبعيضية
اي اعلم ما لا تعلمونه حالكونه من صنع الله ورحمته وهو انه تعالى ياتيني بالفرج من حيث لا
احتسب وان كان المعنى اعلم من جهة الله تعالى بوحي والهام اني ما لا تعلمون من حيوة يوسف
وبرائته فتبايين من السرقة تكون كلمة من ابتدائية وهذا القول منه يدل على انه عليه الصلوة
والسلام كان يتوقع حيوة يوسف وملاقاته معه وذكروا لهذا التوقع وجوها احدها ان ملك
الموت اتاه فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم اشار الى جانب
مصر وقال اطلبه ههنا وثانيها انه علم ان رؤيا يوسف حق وانه يسجد له مع اخوته وثالثها
انه تعالى اوحى اليه انه سيوصله اليه ولكنه تعالى ما عين وقته فلذلك بقي في القلق والتحزن و
رابعها انه لما اخبره بنوه من سيرة الملك وحاله في اقواله وافعاله طمع ان يكون هو يوسف وقال يبعد
ان يكون هذه السيرة من الكافر لا يليق الا بصاحب الوحي والالهام فغلب على ظنه ان ذلك
الملك هو يوسف فعند ذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه اي استقصوا اخبارهما وتعرفوهما
فان التحسس طلب الشيء بالحاسة فان قلت كيف خاطبهم بهذا اللطف وقد تولى عنهم فالجواب
ان التولي عنهم ملتجئا الى الله والشكاية اليه والاعراض عن الشكاية الى احد منهم ومن غيرهم
لا ينافي الملاطفة والمكالمة معهم في امر آخر وتحسسوا من حالهما اشارة الى ان الكلام

فيه بتقدير المضاف وان كلمة من تبعيضية اي تحسسوا خبرا من اخبار يوسف وتعرفون بعض
احواله و الروح بفتح الراء ما يجده الانسان من نسيم الهواء من التنفس والاستراحة فروح الله
تفريجه وتنفيسه ومن قراء بضم الراء جعله مستعارا الرحمة الله تشبيها بالروح التي تحيى بها العباد
قوله بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية اشارة الى ان الفاء في قوله فلما دخلوا عليه فاء فصيحة تفصح
ان في الكلام مطويا والتقدير ان يعقوب عليه الصلوة والسلام لما قال لبنيه اذهبوا فتحسسوا قبلوا وصية
ابيهم فعادوا الى مصر ودخلوا على يوسف فقالوا يا ايها العزيز الاية ابتدؤا بالحكاية عما اصابهم
من الفقر وهو الهزال من شدة الجوع مع ان اباهم بعثهم للتحسس والتفحص من حال ابنيه تليينا
وترقيقا لقلب يوسف عليهم وجعلوا ذلك وسيلة الى ان يطلبوا منه ارسال بنيامين الى ابيه ولا يخطر
ببالهم حيوة يوسف عليه الصلوة والسلام حتى تحسسوا منه والمزجاة اسم مفعول من ازجيت
الشيء اذا دفعته ورددته احتقارا له فقولهم مزجاة بمعنى مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقارا لها لرداءتها من كونها دراهم زيوفا لا تروج في ثمن الطعام او لقلتها قيل كانت بضاعتهم
من امتعة العرب كالصوف والسمن واللبن والاقط وسويق المقل لما وصفوا شدة
حالهم وصفوا ايضا بضاعتهم بانها مزجاة حقيرة فرعوا عليه قولهم فاوف لنا الكيل اي اتمم لنا
ما يعادل بضاعتنا المزجاة وتصدق ان تتفضل علينا بالمسامحة وعدم الالتفات الى رداءة
بضاعتنا وقلتها وقبولها مكان الجيد الكثير او بالزيادة على حقنا تفضلا منك او برد اخينا
بنيامين ومن قال بان حرمة الصدقة مخصوصة بنبينا صلى الله عليه وسلم حمل قولهم وتصدق
علينا على ظاهره وقال ان الصدقة كانت حلالا لهم ومن قال بحرمتها على الانبياء كلهم قال
معناه وتفضل علينا بقبول المزجاة الردية او القليل مكان الجيد او التام الكثير او برد اخينا
والتصدق التفضل مطلقا قال النبي عليه الصلوة والسلام لعمر رضي الله عنه حين سأله عن قصر صلوة السفر
حال الامن ما لنا نقصر وقد امنا هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اي تفضل
بها عليكم لكنه حقيقة في العرف بما يبتغي به المثوبة من الله تعالى ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم
تصدق علي ان الله لا يتصدق وانما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او
ارحمني قوله ان هل علمتم قبح ما فعلتم به فتبتم عنه يعني انه استفهام عن لازمه الذي هو التوبة اذ
لا معنى للاستفهام عن علمهم بنفس ما فعلوا به لما راى تمسكنهم وضعف حالهم دعاهم الى التوبة والرجوع
الى الله تعالى شفقة عليهم ونصيحة لهم كما هو عادة الانبياء عليهم السلام ولم يقل ذلك على سبيل المعاتبة
والتثريب وهو التعيير والاستقصاء في اللوم قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عطف على ما قبله
من حيث المعنى اي انما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة وقيل قال ذلك لانه لما قرأ كتاب يعقوب
لم

قال ما مرشمون ان يكتب كتابا الى عزيز مصر فكتب من يعقوب الحزين الى عزيز مصر ولو عرفت اسمه لذكرته اني باس اعتز بعزة نفس من شاء الى رجال قد
اشماز قلبي والحزن قد قطع اوصالي وانا باء عن الافراح دان من الاتراح دائم البكاء والنواح والصياح واني من نطفة الاباء الكرام فلا يتوكلون منا
اللصوص تحق من الخصوص وقد اخبرت بالمكر وصفت الصاع بالسلاسة رحل ولدي فلا تتغير فعل السفهاء مع اولاد الانبياء فاني سمعت انك كريم وربنا رحيم اسالك
ان ترد علي ولدي قبل ان يجري على لساني
ما في خلدي فيحيكم وافاكم دعواتي
فان دعوة المظلوم مستجابة

٢٥٤

لم يتمالك اسره وعيل صبره فقال لهم ذلك استعظاما لما فعلوا به وتوبيخا لهم بذلك كانه قيل ما اعظم
ما ارتكبتم في حق يوسف وما اقبح ما اتيتم به من قطيعة رحمه وتضييع حقه وفي حق ابيكم من
عقوقه وهتك حرمة ابوته وبنوته وتحميلكم عليه من الهموم والاحزان ما ذهب بها عيناه من كثرة
البكاء عليه وفي حق ولده الذي هو اخ ليوسف من ام حيث افردتم اياه عن اخيه بان جعلتم يوسف
في البرية وفرقتم عنه اخاه وبما كنتم تؤذونه وتهينونه بعد يوسف حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا
منكم الا على وجه الذلة والعجز صورة كتاب يعقوب الى يوسف عليهما الصلوة والسلام من يعقوب اسرائيل
الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار ليحرق فنجاه الله تعالى منها وجعل النار عليه بردا
وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت
عيناي من كثرة بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا
دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام روي ان يوسف عليه الصلوة والسلام
لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولما خاطبهم بذلك نظروا في زي دائه
ومنظره وشمائله فعرفوه وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن
راسه فنظروا الى علامة في قرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء وهي الخال
واللام في قولهم لانت يوسف لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان والاستفهام
في قولهم ائنك لانت يوسف لتقرير كونه عليه الصلوة والسلام وتحقيقه ولذلك اكدوا الكلام
بان ولام الابتداء تعجبا منه وقرأ ابن كثير انك بكسر الهمزة على لفظ الخبر وقرأ الباقون على الاستفهام
ثم انهم اختلفوا فقرأ نافع أينك بفتح الالف غير ممدودة وبالياء وقرأ ابو عمرو آينك بمد الالف وبالياء
وهؤلاء رواية قالون عن نافع وقرأ الباقون ائنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام قوله
ذكره تعريفا لنفسه جواب عما يقال انهم سألوا عن نفسه فكان مقتضى الظاهر ان يقال بلى وانا يوسف
فلم زاد في الجواب قوله وهذا اخي وتقرير الجواب انه ليس من قبيل الزيادة على المقصود لانه انما ذكره
لتعريف نفسه بانه هو يوسف لانهم يعرفون ان بنيامين هو ابن يعقوب واخ ليوسف فلما قال في حقه
انه اخي كان فيه مزيد تقرير وبيان لكونه يوسف لا محالة ومع ذلك فيه تفخيم لشان اخيه بنيامين
انه اشد اتصالا به بسبب كونه اخاه من ابيه وامه وفي التصريح باسمه الشريف وعدم اقتصاره
على ان يقول بلى وانا هو فائدة اخرى وهي ان ذكر الشيء باسمه العلم يفيد تعيينه اكمل التعيين فكانه

قال انا المظلوم الذي قصدتم في حقي ما لا يفعله المرء في حق اعداء عدوه حيث آذيتموني اشد
الايذاء من حيث مفارقتي عن منظراني وضربني كل واحد منكم ضربا وجيعا وقصدتم قتلي ثم طرحتموني
في الجب واشار بقوله وهذا اخي الى انه مشارك لي في التاذي من قبلكم بانواع الايذاء الا انه لك
وفقنا للانتهاء عن المعاصي والصبر على ما اذيتمونا فمن الله علينا بالجمع بيننا بعد التفرقة وبلغنا
بفضله الى عز الدنيا والآخرة قوله والحال ان شاننا انا كنا مذنبين اشارة الى ان كلمة ان
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المقدر وخبرها الجملة التي بعدها وان الجملة الكبرى في محل
النصب على انها حال من ضمير علينا قوله لا تانيب عليكم اي لا تعنيف ولا لوم يقال انبه تانيبا اي
عنفه ولامه لما اعترفوا بذنبهم وبكونهم خاطئين آثمين بما فعلوا به قال لا تعيير ولا توبيخ عليكم
بعد اليوم قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بذنبكم وفي الحديث اذا زنت امة احدكم فليجلدها
الحد ولا يثربها بالزنا قوله للازالة متعلق بما تعلق به قوله من الثرب يعني ان التثريب تفعيل
بني من الثرب للازالة فان التثريب في الاصل ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد يسمى
اللوم على الفعل وتقبيحه تثريبا تشبيها له بالتثريب في اشتمال كل واحد منهما على معنى التمزيق
قوله اليوم متعلق بالتثريب يعني ظرف معمول له وعليكم خبر لا التي لنفي الجنس متعلق بمعنى
الاستقرار لان لا التي لنفي الجنس تعمل عمل ان تنصب اسمها بشرط ان يكون مضافا او مشابها
به ولم يقع بينها وبين اسمها فاصلة وان كان مفردا كما في قوله لا تثريب بني على ما ينصب
به وخبرها محذوف وهو معنى الاستقرار الذي تعلق به قوله عليكم اي لا تثريب عليكم اليوم
وفيه انه يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو عليكم لانه خبر لا اجنبي بالنسبة الى
اسمها والمنفي بلا التي لنفي الجنس هو جنس التثريب وحقيقته ونفي الجنس يستلزم انتفاء
جميع افراده فلا دلالة في اللفظ على كون المنفي تثريب المتكلم فقط لكن المص حكم بان المنفي
هو تثريب المتكلم حيث قال والمعنى لا اثربكم اليوم مستفاد من اللفظ بمعونة المقام قوله
او بالمقدر للجار اي او هو ظرف معمول لما قدر متعلقا لقوله عليكم فانه خبر لقوله لا تثريب متعلق
بمعنى الاستقرار واليوم ظرف لذلك المعنى اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم وقوله اليوم وان كان
بحسب اللفظ قيد النفي اصل التثريب او لاستقراره الا انه من حيث المعنى يفيد نفي التثريب
في جميع الايام لانه لما دل على انتفاء التثريب في اليوم الذي هو مظنة وقوعه فيه ومحل
له عادة كان دالا على انتفائه في سائر الايام بطريق الاولى فعلى هذا يوقف على قوله اليوم
ويبتدئ بقوله يغفر الله لكم على انه عليه الصلوة والسلام لما ازال عنهم تثريب الدنيا وملامها
طلب من الله ان يغفر لهم في الاخرة فان المراد بقوله يغفر الله لكم الدعاء لهم بالمغفرة قوله او

روي ان رسول الله عليه السلام اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما تظنون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت النبي فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال النبي عليه السلام غفر الله لك ولمن علمك

او بقوله يغفر الله لكم اي او هو ظرف معمول بقوله يغفر الله لكم ووجه تقييد مغفرتهم بذلك
اليوم انه يحتمل فيه ما يكون سببا لمغفرتهم وهو انه عليه الصلوة والسلام صفح عن جريمتهم في
ذلك اليوم وان حجالتهم على ما فعلوا من الجرائم واعترافهم به وندامتهم وتوبتهم على خطيئاتهم
وقع في ذلك اليوم ايضا فلذلك قال عليه الصلوة والسلام يغفر الله لكم اليوم فعلى هذا يوقف على
قوله لا تثريب عليكم ويبتدئ بقوله اليوم يغفر الله لكم ويكون محصول الكلام انه عليه الصلوة والسلام
نفى عنهم جميع افراد التثريب بنفي حقيقته ثم بشرهم بانه تعالى غفر ذنبهم في هذا اليوم لان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له او دعاء لهم بذلك قوله ينظرن اني بالعبث الاولى ان
يزعمون اني في فتى العمر اشتر لتابشي بسير والآن قد علموا ابيكم انه من حفدة ابرهيم
عليه الصلوة والسلام اي من اولاد اولاده وفي الصحاح الحفدة الاعوان والخدم وقيل
ولد الولد وفي الدعاء واليك نسعى ونحفد اي نسرع من الحفد وهو السرعة قوله نر قيل
القميص المتوارث روي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما قوله
اذهبوا بقميصي هذا فان نمرود الجبار لما القى ابرهيم عليه الصلوة والسلام في النار نزل
اليه جبريل عليه الصلوة والسلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واقعده
على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسا ابرهيم ذلك القميص اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه
يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فالقي في الجب والقميص في عنقه فذلك
قوله اذهبوا بقميصي هذا وعن مجاهد قال امره عليه الصلوة والسلام جبريل عليه السلام
ان ارسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا صح وعوفي قال
الحسن لولا ان الله تعالى اعلمه ان بصره يرتد اليه بارسال القميص اليه لما قال فالقوه على وجه
ابي يات بصيرا هذا هو المسطور في كثير من التفاسير والمص قدم على هذا الاحتمال احتمال
ان يكون المراد من القميص القميص الذي كان عليه ولعل وجهه انه اختار فيما قبل ان يكون
المراد بقوله وابيضت عيناه انه كثر بكاؤه بحيث صارت عيناه كانهما ابيضتا بياض
العبرة ولم يرض بما قيل من ان المراد ضعف بصره واعمي ولما كان المراد بابيضاض عينيه انهما
غرقتا في دموعه منذ فارقه يوسف من غير ان يصير اعمى ولا ضعيف البصر يكون المراد بقوله
يات بصيرا انه اذا القي قميص يوسف على وجهه وعلم بذلك سلامته يسلي قلبه ويسكن بكاؤه و
يعود بصيرا كما كان بان يبصر بعين غير مغمورة بالدموع وهذا المعنى لا يقتضي ان يكون المراد
بالقميص القميص المتوارث بل يحصل بان يكون المراد به ما عليه من القميص قوله انتم والا يعني
انه عليه الصلوة والسلام ادخل اباه الغائب في خطابهم بناء على تغليب المخاطبين

نقل عن بعض التفاسير ان يوسف عليه الصلوة والسلام [illegible] ان اباك قد ذهب بصره [illegible] قال ارسلوا اليه قميصي فانه يرجع بصره [illegible] والاضعف البصر [illegible] الا ضعيف القلب [illegible] وانه اذا اخبر بسلامة ابنه و القي قميصه على وجهه يسلي قلبه ويسكن بكاؤه وهو الذي اراده بقوله يات بصيرا وهذا المعنى لا يتوقف على ورود القميص بل يحصل بكل [illegible]

على الغائب قيل كان اهل يعقوب عليه الصلوة والسلام نحواً من سبعين انساناً وقبل دخول
قوم يوسف عليه الصلوة والسلام مصر وهم ثلثة وتسعون نفساً من بين رجل وامراة روى
ان يهوذا هو الذي حمل القميص الى ابيه وقال انا احزنته بحمل القميص الملطخ بالدم اليه فافرحه كما
احزنته وقيل حمله وهو حاف الرجل وحاسر الراس من مصر الى كنعان وبينهما ثمانين فرسخاً
قيل مسيرة ثمانية ايام وقيل عشرة ايام يقال عبق به الطيب بالكسر اى لزق وتلصق به
ومن العجب انه لم اوصل اليه ريح يوسف حين انفصلت العير من مصر ولم يوصل خبره اليه
وهو مقيم بمصر في مدة ثمانين سنة يفعل الله ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته قوله ولذلك
اى ولكون الفند عبارة عن نقصان العقل بشرط ان يكون ذلك النقصان حادثا من الهرم
لا يقال في حق العجائز انها مفندة لان نقصان عقلهن في ذاته غير حادث من الهرم قوله او يعقوب
نفسه يعني ان المستكن في القاه كما جاز ان يرجع الى البشير وهو الظاهر جاز ان يرجع الى يعقوب
ويكون تقدير الكلام فلما ان جاء البشير وبشره بحيوة يوسف وبقى ابنه واعطاه قميصه
اخذ يعقوب ذلك القميص من يد البشير والقاه على وجه نفسه عاد بصيرا كما كان بعد ما ضعف بصره
وابيضت عيناه بكثرة الدموع اى بعد ما صارتا كانهما ابيضتا ببياض العبرة فان البشير لما
بشره بحيوة يوسف وجاء بقميصه عظم فرحه وزالت احزانه وسكنت دموعه فقوى بذلك بصره و
زال ما فيه من الضعف الذي حدث فيه بسبب كونه مغمورا مغرقا في الدموع وهذا معنى قوله لما انتعش
فيه من القوة والانتعاش الارتفاع يقال نعشه الله فانتعش اى رفعه الله فارتفع و
يقال انتعش العاثر اذا نهض من عثرته ومن قال انه عمى بالكلية فانه يقول ان القميص
لما القي على وجهه اعاد الله بصره وجعله بصيرا كما كان قوله اخره الى السحر قيل قام الى
الصلوة وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه
واغفر لاولادي ما فعلوا في حق يوسف فاوحى الله اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين وقيل انه عليه
الصلوة والسلام استغفر لهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني اداوم على هذا الاستغفار
فيما يستقبل من الزمان فقد روى انه عليه الصلوة والسلام كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف
وعشرين سنة وروى ان ابناء يعقوب قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء وما يغني عنا
عفوك ان لم يعف ربنا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى قل صبرهم فظنوا انها الهلكة فنزل جبرئيل عليه السلام
وقال ان الله تعالى اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعد ذلك على النبوة كذا في الكبير قيل ان البشير لما جاءه
وبشره بحيوته وسلامته سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين

▪ [هامش] تكلم جاء البشير بشر ابنه ورجع الى البشير سرورا تملكت من قول البشير والا لو تبع البشير يعني اعطيته وزاد ذلك بصيرا

▪ [هامش] قوله اخره الى السحر وهو الوقت الذي يقبل الله فيه الدعاء ولهذا قال الرحمن فسوف لكم وروح وادعية قال ابن عباس رضي الله عنه الحديث اوراد الى ليلة الجمعة ورويت ايضا عنه وعن عطاء ومن انه الى سحر ليلة الجمعة

اتر دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة بوجه قوله روى انه عليه الصلوة
والسلام وجه اليه رواحل اى روى ان يوسف عليه الصلوة والسلام بعث مع البشير الى
ابيه يعقوب عليه الصلوة والسلام جهازا واموالا ومائتي راحلة يتجهز بها ويأتيه باهله وولده
اجمعين فتهيأ يعقوب عليه الصلوة والسلام للخروج الى مصر فتوجه اليه مع اولاده واهاليهم على
رواحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف استقبله ومعه ثلثمائة الف فارس كل واحد منهم
معه جنة من فضة وراية من ذهب وكانت الافراس كلها مراكب والفرسان كلهم غلمانه فتزينت
الصحراء بهم واصطفوا صفوفا فلما صعد يعقوب تلا ومعه اولاده وحفدته نظر الى الصحراء مملوا
من الفرسان مزينة بالالوان فتعجب من كثرة ما رأى فيها وزينتها فقال له جبرئيل عليه السلام انظر الى
الهواء فان الملائكة حضرت سرورا بحالهم كما كانوا باكين محزونين مدة لاجلكم ثم نظر يعقوب الى
الفرسان فقال ايهم ولدى يوسف فقال جبرئيل هو ذلك الذي فوق رأسه ظلة فلم يتمالك اذ وقع نفسه
من البعير فقال جبرئيل يا يوسف ان اباك يعقوب قد نزل اجلالا لك فانزل اجلالا له فنزل من فرسه
وجعل كل واحد منهما يعدو الى الآخر حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج الفرسان بعضهم
في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول والبوقات فصار اليوم كانه يوم
القيمة قيل لما دنا كل واحد منهما من صاحبه قصد يوسف ان يبتدأ بالسلام فمنع من ذلك بناء على
ان يعقوب كان افضل واحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب
الاحزان قوله وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلوة والسلام ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعين رجلا كلهم اقوياء مقاتلون ليس فيهم احد من الذرية ولا من الهرمى وذكر الامام
النسفي في التيسير انه كانت الذرية الف الف ومائتي الف سوى المقاتلة وكان يوسف اول نبي من
بني اسرائيل وكان بين دخول يوسف مصر الى يوم خروج موسى منها اربعمائة عام الى هنا عبارته
قوله ضم اليه اباه وخالته فان اكثر المفسرين فسروا ابويه بهما بناء على ما روى ان امه راحيل
كانت قد ماتت في نفاس بنيامين ولما ماتت امه تزوج ابوه خالته ليا فسماها الله تعالى باحد
الابوين لان التربية تدعى اما لقيامها مقام الام في التربية ولكونها اخت الام كما ان العم يدعى ابا
لكونه اخا الاب ومنه قول ابناء يعقوب لابيهم حين قال لهم ما تعبدون من بعدي نعبد الهك واله
آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق فانهم عدوا اسمعيل من آباء يعقوب وهو عمه قوله والمشية متعلقة
بالدخول المكيف بالامن يعني ان فعل المشية لا بد له من مفعول ولما لم يذكر وجب تقديره وذلك المقدر
ليس نفس الدخول اذ ليس لتعليقه بالمشية كبير نفع بل هو الدخول المقيد بالامن لان قوله آمنين حال
من فاعل ادخلوا وتقدير الكلام ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخولكم آمنين دخلتم آمنين فحذف

▪ [هامش] فاستقبله يوسف والملك في اربعة الآف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فنشفت على عيسى بصفة ... والسلام كم ... والسعود

▪ [هامش] وقيل ان يعقوب قال السلام عليك يا مذهب الاحزان بالنعمة على صنيعنا قال لم تعلم ان القيامة تحبسنا وتلقاها وجاء رفعت ان تسلب ونحل ان فجلا بيني وبينك ...

معفول المشية والجزاء لدلالة الكلام على كل واحد منهما ثم اعترض بالجملة الشرطية بين الحال
وعاملها دعاء وعدلهم الامن في دخولهم مصر ببيان انه موضع امن من القحط وسائر المكاره
مع ان نواحي مصر مواضع قحط وان ملوك مصر قبل ولاية يوسف عليه الصلوة والسلام عليه كانوا
كفارا لا يدخلها من كان على خلاف دينهم الا باجازتهم والاتيان منهم خوفا من اضرارهم بهم
فرعون فوعد عليه الصلوة والسلام لهم الامن من جميع المكاره معلقا بمشية الله رجاء لذلك
من فضل الله وكرمه والعرش في اللغة السرير الرفيع قال ولها عرش عظيم والمراد بالعرش
ههنا السرير الذي كان يوسف يجلس عليه وخص ابويه بالجلوس معه على سريره تعظيما لهما
واظهارا لشرفهما على سائر من دخل داره **قوله** والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين
استقبلهم جواب عما يقال ما معنى ندب اباهم بدخول مصر بقوله ادخلوا مصر بعد قوله فلما دخلوا
على يوسف اوى اليه ابويه والدخول عليه والجلوس على سريره انما يكون بدخول مصر وتقرير الجواب
انا لا نسلم ذلك لجواز ان يكون عليه الصلوة والسلام حين استقبلهم نزل لهم في خيمة او بيت
كان له هناك فدخلوا عليه في ذلك البيت او الخيمة وضم اليه ابويه واعتنقهما ثم قال لهم قبل
ان يدخلوا مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين **قوله** فان السجود كان عندهم يجري مجراها
يعني ان السجود لغير الله على وجه التحية والتكرمة له كان جائزا في شريعتهم واستمر ذلك
الى ان جاء الاسلام ونهى عنه واقيمت المصافحة مقامه واكثر المفسرين على ان المراد بالخرور
سجدا وضع الوجه على الارض بناء على انه هو المتعارف المتفاهم من اطلاقه وقيل المراد به
الانحناء والتواضع فان التواضع قد يسمى سجودا كما في قول الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر
فعلى هذا القول ينبغي ان يكون الخرور بمعنى المرور كما في قوله لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم
يمروا **قوله** وقيل معناه خروا لاجله اي لاجل وجدان يعقوب اباه سجدا لله شكرا لله بمقابلة
نعمة وجدان يوسف هذا على ان يكون الضمير المجرور في قوله له وخروا له راجعا الى الوجدان
الذي هو في حكم المذكور او الى يوسف بتقدير المضاف اي لوجدانه فكانه قيل خروا لله شكرا لاجل [تفهيمهم]
يوسف اي في مقابلة نعمة وجدانه ويحتمل ان يكون الضمير المجرور المذكور ليوسف ايضا و
يكون اللام بمعنى الى اي خروا الى يوسف سجدا لله بمقابلة نعمة وجدان يوسف بان جعلوا يوسف
بمنزلة القبلة وسجدوا لله فان اللام قد يستعمل بمعنى الى كما في قول حسان اليس اول من صلى
لقبلتكم اي الى قبلتكم الا ان جعل اللام بمعنى الى في القول المص خروا لاجله بعيد لا يخفى **قوله**
وقيل الضمير المجرور لله لا ليوسف وجاز ارجاع الضمير اليه تعالى لكونه في حكم المذكور لدلالة المقام
عليه ولكونه لا يغيب عن قلب المخلوق **قوله** والرفع مؤخر عن الخرور وقوعا وان قدم عليه

قوله تحية وتكرمة اي لا عبادة وقيل ان المراد التواضع والتعظيم
واعترض عليه بانه كانت اليمين بعقب منامه يوسف واخرته
والجواب لعل اخوانه حلفهم على ان يسجدوا له تواضعا وعلم يعقوب انه لو لم يفعلوه صار ذلك
سببا لظهور الاحقاد القديمة بعد سكونها فسجد هو لرفع جلالته
... بعبرته اهدا بينهم ...
لذلك ... الانفة ... للرؤيا
او امروا بذلك تحقيقا للرؤيا بحكم حقيقة ... وقد ... يوسف ... يقول يا ابت هذا تاويل رؤياي
يريد لا ينبغي ان نسجد لي الا انه هذا امرت به بحكم حقيقته لا يعلمها الا هو كما امر الملائكة
بالسجود لادم لذلك سكت

عليه لفظا لان الواو لا تفيد الترتيب وهو جواب عما يقال لو كان المراد بالسجود سجود التحية والتكرم
لكان ينبغي ان يسجدوا له قبل صعودهم على السرير في اول الملاقاة لان ذلك الوقت هو وقت التحية
وهو خلاف ما يفهم من قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا فانه يشعر انهم صعدوا السرير ثم
سجدوا له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان يوسف لما رأى سجود ابويه واخوته له
هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل وهذا يدل على ان يوسف
كان راضيا بذلك في قلبه الا انه لما علم ان الله تعالى امره بذلك لحكمة لا يعرفها الا الله كما امر الملائكة
بالسجود لآدم لحكمة لا يعرفها الا هو سكت وقال ذلك كانه يقول يا ابت لا يليق بمثلك على جلالتك في
النبوة والدين والابوة والشيخوخة والعلم ان يسجد لولده الا ان هذا امر امرت به وتكليف كلفت
به فان رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حق كما ان رؤيا ابرهيم ذبح ولده صار سببا لوجوب
ذلك [التحقيق] في اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سببا لوجوب ذلك
السجود **قوله** رأيتها ايام الصبى اشارة الى ان قوله من قبل ظرف لرؤياي وهي ما قاله لابيه في ايام
الصبى اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين جعل الله تعالى هذه الرؤيا
حقا حيث اسجدهم له في اليقظة كما رآه ذلك في المنام **قوله** ان ربي لطيف لما يشاء تعليل
لقوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن الآية فان خلاصه من كل ما اصابه من المحن وحصول
الاجتماع بينه وبين ابويه واخوته مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال وان كان
في غاية البعد بحسب العقل الا انه تعالى لطيف التدبير اذا اراد حصول شيء سهل اسبابه فحصل
وان كان في غاية البعد عن الحصول قيل اللطيف الذي يوصل اليك ارباحك في رفق ثم ان يعقوب عليه
الصلوة والسلام اقام بمصر بعد موافاته باهله وولده اربعا وعشرين سنة باغبط حال واهنأ
عيش الى ان حضرته الوفاة فاوصى الى يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند
ابيه وجده ففعل ذلك يوسف وكان عمر يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة ولما جمع الله تعالى ليوسف
شمله واقر له عينه واتم تاويل رؤياه دعا ربه وشكره وحمده فقال رب قد آتيتني من الملك اي بعض
الملك فانه لم يكن له ملك الدنيا **قوله** انت وليي استئناف لبيان وجه تخصيصه اياه تعالى بعرض
حاجته اليه والولي بمعنى الناصر ومتولي الصالح والمتقرب الى الغير بالكرم والاحسان
اعترف بما انعم الله عليه من جلائل النعم ثم سأل ان يتم عليه تلك النعم بان يقبضه على الاسلام ويلحقه
بالصالحين لان من ملك الدنيا بحذافيرها ثم سارت عاقبته والعياذ بالله بغير جميع ما هو عليه
في الدنيا من سعة العيش هباء منثورا ذكر في التفاسير المعتبرة ان يوسف عليه الصلوة و
السلام لما جمع الله تعالى بينه وبين ابويه واخوته اخذ بيد ابيه فطاف به على خزائنه فادخله

نفى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر

قوله ... كان النظر ... فاتحة ... الرحمن ... اعتبار انه علم ... عند ... سكان

على خزائن الذهب والفضة وخزائن الحلي والجواهر وخزائن الثياب والاقمشة الى ان
حتى ادخله خزانة القراطيس فرأى يعقوب عليه الصلوة والسلام ما فيها من القراطيس بحيث
لا يعد ولا يحصى فقال يا بني ما اعقك لابيك كان عندك هذه القراطيس على هذه الكثرة وكنت
منى على ثمانية مراحل ومكثت اربعين سنة ولم ترسل الى ورقة تبين خبر سلامتك فما الذي
منعك عن مكاتبتي قال امرني جبريل عليه السلام بذلك قال افلا تسأله قال يا ابت انت اشد
انبساطا اليه مني فاذا جبريل فسأله يعقوب انت نهيتني ابني عن مكاتبتي قال نعم قال ولم قال لان
الله تعالى امرني بذلك قال افلا تسأله قال انت نفسي وقال سل الله تعالى فقال عز وجل قال العبد يعقوب
انسيت يوم قلت لهم اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب فلا اخفتني باينعب قوله
ليكونا شرعا فيه اى سواء بين الناس في هذا الامر شرعا اى سواء وفتح الراء وسكونها لغتان
بمعنى يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قوله فتمنى الموت وهو المروي عن قتادة فانه روي انه
قال تمنى يوسف الموت واللحوق بربه ولم يتمن الموت احد من الانبياء قبله واطبق كثير من المفسرين
على هذا القول وذهب ابن عباس رضي الله عنهما الى ان معنى كلامه انك اذا توفيتني فتوفني على الاسلام
فمطلوبه ان لا يسلب عنه الاسلام ما دام حيا فيموت وهو مسلم وليس فيه ما يدل على انه تمنى نفس
الموت قوله وقد ولد ليوسف من راعيل امرأة العزيز قطفير خازن ريان وهي المراد بزليخا
افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف وولد لافرائيم نون بن افرائيم وولد لنون يوشع بن نون
وهو فتى موسى فيوسف جد يوشع بن نون قوله ورحمة عطف على افرائيم وميشا يعني انه ولد
ليوسف من امرأة العزيز ثلثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة ايوب عليه الصلوة والسلام
وكان يوسف عليه الصلوة والسلام اول انبياء بني اسرائيل ثم انه تعالى لما بين قصة يوسف مع
اخوته وابيه وما جرى عليه من ايام غربته بين ان اقتصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه القصة على اهل مكة على الوجه المطابق لما في الكتب المتقدمة معجزة له عليه الصلوة والسلام
دالة على صدقه في دعوى الرسالة لان هذه القصة من انباء الغيب بالنسبة اليه عليه الصلوة
والسلام لا يمكن له ان يتلقاها الا من جهة الوحي لانه عليه الصلوة والسلام لم يطالع الكتب ولم
يخالط احدا من اهل الكتاب ليتعلم منهم ولم تكن بلدته بلدة العلماء وان هم الا امة اميون فتلاوته
عليه الصلوة والسلام هذه القصة الطويلة على وجه لم يقع فيها تحريف ولا غلط من غير مطالعة
كتاب ولا تعلم من احد كيف لا تكون معجزة روي ان اليهود وجماعة من كفار قريش سألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما في التورية لم يسلموا بل اصروا على ما
هم عليه من الكفر مع مشاهدة هذا البرهان الجلي الدال على انه نبي صادق الوحي اوحي اليه فحزن عليه

قوله ثم نقله موسى عليه الصلوة والسلام الى الاب فاخرجه عظامه من مصر ودفنه عند ابيه وقال القرطبي ونقل تابوته بعد اربعمائة سنة فلما موسى اخرج عظامه من تابوته من مرمر لنقله وجعله في تابوت من خشب ونقله فيه نسخه

قوله حاضر بمكرون اي يحتالهم على استنزاله من ابيه في الغور حتى ابانا الصبر وبايعهم ان يفعلوا لهم ما لو لا ان اتانا علم يوسف الجواب حتى في الغاية في الجب وبعثت من جاؤا بالقميص ملطخا بالدم كذب نسخه

قوله وكم من آية بشر الى ان كاين كمعنيهم كم الخبرية في اللغات مركب من كاف التشبيه وان المنون ولهذا جاز الوقف عليها بالنون تشبيها للتنوين بالنون الاصلية ولهذا رسم في المصحف نونا وبؤكد كم في افادة التكثير وهو الغالب والاستفهام على الندرة نسخه

قوله بعبادة غيره هذا بناء على القول بان الاية نزلت في مشركي مكة والقول بانها في المنافقين وقوله او باتخاذهم الارباب ونسبة الولد الى الله بناء على
القول بانها في اهل الكتاب اتخذوا احبارهم اربابا من دون الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله نسخه

عليه الصلوة والسلام لذلك فعزاه الله تعالى بان اصرارهم على الكفر ليس لتقصير ما اظهرت لهم من دلائل
نبوتك بل هو لعدم تأملهم في تلك الدلائل لان ذات الدليل لا يفيد العلم بالمدلول الا بشرط النظر والتأمل
فيه فقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين لعنادهم ولانه تعالى ختم على قلوبهم واسماعهم وان
لم يؤمنوا بهذه المعجزة الباهرة فلا عجب لانه كم من آية في السموات والارض دالة على وجود الصانع ووحدته
وكمال حكمته وقدرته يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عن دلائلهم وعادتهم اللجاج والعناد و
الجحود على جز الارض عطفا على السموات وضمير عليها للآيات ويمرون عليها صفة للآية وقرئ والارض
بالرفع على الابتداء وخبره يمرون عليها فيكون ضمير عليها للارض وقرئ بالنصب ايضا على انه من باب ما
اضمر عامله على شريطة التفسير لان يمرون عليها مشتغل عنها والفعل المحذوف مفسر بما بعده بمعنى
اي يطؤن الارض او يسلكون الارض يمرون عليها وضمير عليها للارض قوله وانما حذف هذا الشئ
استغناء بذكره بمعنى ان المقصود من قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك الآية اقامة البرهان على
حقية امر نبوته عليه الصلوة والسلام ببيان ان معرفته عليه الصلوة والسلام هذا النبأ لا تبدان تكون باحد
طرق ثلثة احدها ان يحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به في حقه وثانيها ان يلقى احدا سمع ذلك
ويتعلمه منه وثالثها ان يعلمه بطريق الوحي والشقان الاولان باطلان فتعين الشق الثالث الا انه تعالى
اقتصر على بيان بطلان احد الشقين الاولين ولم يتعرض لبيان بطلان الشق الثاني منهما استغناء
بذكره في غير هذه القصة ولا يخفى على احد كثرة الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته
في كل واحد من السموات والارض كارتفاع السموات بغير عمد نراها وحركاتها الدائمة على نسق واحد
من غير توان واختلال وتزيينها بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات المختلفة في سرعتها وبطئها
وفي اضوائها وهيآتها وكانبساط الارض واتساعها واختلاف الوانها وما فيها من اصناف النبات والحيوان
والمعادن وما فيها وعليها من الاجرام العنصرية المائية والهوائية والنارية وفي كل شئ من هذه المعدودات
آية دالة تدل على انه تعالى اله واحد له القدرة الكاملة والحكمة البالغة ولما سمع المشركون قوله تعالى وكاين
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون قالوا نحن لا نعرض عنها بل نستدل
بها على وجود الصانع القديم القادر على ما يشاء ونؤمن به فانزل الله تعالى قوله وما يؤمن اكثرهم بالله
بان يقروا بان الله تعالى هو الخالق لهذه المخلوقات بقدرته الا وهم مشركون بعبادة غيره من الاوثان او
باتخاذ الاحبار والرهبان اربابا او القول باتخاذه ولدا كقول المشركين الملائكة بنات الله وقول
النصارى المسيح ابن الله وقول اليهود عزير ابن الله فان كل واحد من هؤلاء الفرق وان قالوا الله
ربنا وحده الا انهم مشركون بسبب هذه الاقوال فمعنى الآية ان اكثرهم وان اظهروا الايمان بالله
بالسنتهم الا انه مشركون حقيقة ثم انه تعالى خوفهم بقوله افأمنوا يعني المشركين قوله يعني الدعوة

بعبادتهم باخبارهم الكفر وتقليد الآباء نسخه

كم كذلك ثابت في العدد والعقل وكان عدد من الدلائل يمرون وهم معرضون نسخه

الى التوحيد الخ يعني ان هذه اشارة الى المعنى الحاضر في اذهان المخاطبين وهو ما هو عليه الصلوة
والسلام عليه من دعوتهم الى التوحيد والى اعداد الطاعة وتهيئتها لاجل المعاد وجعل ذلك
المعنى مبتداء واخبر عنه بانه سبيلي وجعل قوله ادعو الى الله الى قوله وما انا من المشركين جملة
مستانفة لبيان السبيل فلا محل لها من الاعراب وضعف قول من قال انها في محل النصب على انها
حال من ياء المتكلم في سبيلي لان انتصاب الحال من المضاف اليه خلاف الاصل والدعوة الى الله
معناها الدعوة الى توحيده وطاعته وثوابه الموعود للمطيعين وقوله على بصيرة حال من فاعل
ادعو اى ادعو الى توحيد الله وطاعته حال كونه مستوليا على بصيرة وكون الحجة بصيرة عبارة
عن كونها واضحة مرشدة الى المطلوب تشبيها لها بكون مرشد القوم ودليلهم بصيرا متمكنا من
الارشاد والهداية بخلاف ما اذا كان اعمى وذكر في قوله انا ومن اتبعني احتمالين الاول ان يكون
قوله ومن اتبعني عطفا على المستتر في ادعو فلذلك اكد بالضمير المنفصل وهو قوله انا والمعنى
ادعو الى توحيد الله وطاعته انا كائنا على بصيرة ويدعو اليه من اتبعني كذلك اى كائنا على
بصيرة فيتم الكلام عند قوله ومن اتبعني والاحتمال الثاني ان يكون انا مبتدا مؤخرا وعلى بصيرة
خبر امقدما ويكون قوله ومن اتبعني عطفا على انا لا على المستتر في ادعو فيتم الكلام عند قوله ادعو
الى الله ويكون قوله على بصيرة انا ومن اتبعني كلاما مستانفا معناه انا ومن اتبعني على حجة وبرهان
وانزهه تنزيها من الشركاء على ان سبحان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر اى اسبح الله
تسبيحا اياه بقوله وما انا من المشركين تعريضا بانهم هم المشركون وان جملة وسبحان الله عطف
على قوله ادعو الى الله والجملة المعطوفة تحتمل ما عطفت هي عليه كلام كلاما مستانف جيء لبيان
السبيل **قوله** رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة ما قالوا ذلك تعجبا وانكارا للنبوة عليه الصلوة
والسلام فرد الله عليهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اى كيف يتعجبون من ارسالنا
اياك والحال ان من قبلك من الرسل كلهم كانوا رجالا مثلك ولم يكن احد منهم ملكا ولا امراة ولا
جنيا قرا حفص نوحي اليهم بالنون وكسر الحاء على بناء الفاعل وفي قوله وما ارسلنا
وقرا الاخرون بالياء وفتح الحاء على بناء المفعول والجملة صفة لرجالا او قوله من اهل القرى صفة
ثانية وصف المرسلون الاولون بكونهم رجالا من اهل القرى اى من اهل الامصار دون اهل
البوادي لان اهل الامصار من الرجال اعقل وافضل واعلم واحلم واهل البادية يغلب عليهم
القسوة والجفاء ولذلك قيل من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل **قوله** من المكذبين بالرسل
فيكون الايات تاكيدا لقوله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله وعلى قوله او من المشغوفين
بالدنيا يكون المقصود من الاية تحريض المشركين على الاعتبار تعاظا باحوال من قبلهم من الذين

الذين احترقت قلوبهم بحب الدنيا وجدوا وجدوا في تحصيل ملاذها واغتروا بزخارفها وزينتها الفانية
واعرضوا بذلك عن التفكر في الايات المنبثة في الانفس والافاق والاعتبار بها لينالوا به سعادة
الابد ويفوزوا بالشفاء الدائم فخسروا احسرانا مبينا والمعنى على الاول افلم يروا ما حاق بالمكذبين
قبلهم بسبب تكذيبهم بالرسل فيحذروا تكذيبك وعلى الثاني افلم يروا ما حاق بالمنهمكين على
الدنيا بسبب تهالكهم عليها واعراضهم بذلك عن التفكر في الايات فيحذروا عن سلوك سننهم
قوله ولدار الحالة الاخرة لما كان اضافة الدار الى الاخرة من قبيل اضافة الموصوف الى صفته
بحسب الظاهر وهي غير جائزة عند النحاة اولها بالتاويل المشهور في مثله وهو ان الاخرة في هذه الصورة
ليست صفة للدار ليلزم اضافة الموصوف الى الصفة بل هي صفة لموصوف مقدر والتقدير ولدار
الحالة الاخرة او ولدار الساعة الاخرة كما في مسجد الجامع فان تقديره مسجد الوقت الجامع والمعنى
ان الجنة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي كما قال عليه الصلوة والسلام لشبر من الجنة خير من
الارض وما فيها **قوله** غاية محذوف يعني ان كلمة حتى تدخل على ما هو غاية لما ذكر قبلها صريحا او تقديرا
ولم يذكر في الاية شيء يكون ما بعد حتى غاية له فاحتيج الى تقديره واختلفت عبارات المفسرين
في تقديره فقدره المص امهلوا من قبلهم من المكذبين حتى ايس الرسل واشار به الى ان قوله استياس
بمعنى ايس نقل الى باب الاستفعال للمبالغة في ياس الرسل عن ان ينصرهم الله على اقوامهم
كانهم مع كونهم في غاية الياس عن ذلك طلبوا من انفسهم ان يياسوا عن ذلك وقدره
الزمخشري وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وظنوا
انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وقدره بعضهم وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اوحي اليهم فدعوا
قومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم قومهم وتكذيب قومهم اياهم حتى اذا استياس الرسل فكل واحد
مما قدروه يفهم من سياق الكلام الا ان ما ذكره المص احصر واقرب والمعنى يغترن قريشا تمادي
اباؤهم على الكفر والتكذيب بان الرسل قبلك قد تطاول عليهم مدة التكذيب وعداوة الكفار
اياهم وانتظار النصر حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصرة لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا
فجاة فاهلك المكذب ونجى المصدق **قوله** اى كذبتهم انفسهم او كذبهم القوم بوعد الايمان
على ان يسمى اخلاف الوعد كذبا كما يسمى انجاز الوعد صدقا قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده
اى انجز لكم ما وعده بتخفيف الذال فيهما لانه تفسير قراءة الكوفيين قد كذبوا بتخفيف الذال وبناء
الفعل للمفعول من قولهم كذبه فلان اى القى اليه خبرا كاذبا وضمير ظنوا للرسل اى ظن الرسل ان انفسهم او ان قومهم
قالوا لهم قولا كاذبا وقرا غير الكوفيين من السبعة بتشديد الذال وبناء الفعل للمفعول وذكر
الامام محيي السنة في توجيه هذه القراءة وجهين فقال فمن شدده قال معناه حتى اذا استياس

الرسل من ايمان قومهم وظنوا اي ايقنوا يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم
والظن قد يستعمل بمعنى اليقين بمعونة القرائن الحالية وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى
اذا استيأس الرسل عمن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم فظنوا ان من آمن من قومهم قد كذبوهم ايضا
وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة وتاخر النصر عنهم فالظن على هذا المعنى ليس بمعنى اليقين بل
هو على اصل معناه بخلاف المعنى الاول فانه لا وجه لان يكون الظن فيه على اصل معناه لان يأسهم
عن ايمان قومهم يستلزم ان يتيقنوا بتكذيب قومهم اياهم واصرارهم عليه قوله وقيل الضمير للمرسل
اليهم عطف على ما قبله من حيث المعنى فانه يفهم منه ان الضمائر في قوله تعالى فظنوا انهم قد كذبوا
راجعة الى الرسل سواء جعل الفاعل المقدر لكذبوا انفس الرسل او قومهم ولعل هذا القائل انما
ارتكب خلاف الظاهر حيث جعل الضمائر كلها للمرسل اليهم مع ان الظاهر كلها للرسل وجعل المعنى استيأس
الرسل وظن قومهم انهم قد كذبوا بان كذبهم الرسل في دعوى النبوة وفي ايعاد من لم يؤمن بنزول
العذاب عليهم وكذا القائل الثاني ارتكب تفكيك الضمير بان جعل ضمير ظنوا للمرسل اليهم لتقدمهم في قوله
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم او لكونهم في حكم المذكورين من حيث ان الرسل يستدعي مرسلا اليه وجعل
ضمير انهم وكذبوا للرسل بناء على انه زعم ان جعل الضمائر كلها للرسل في قراءة التخفيف غير جائز لزعمه
ان الفاعل المقدر لقوله كذبوا ح يكون هو الله تعالى ويكون المعنى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم
كذبهم الله تعالى فيما وعدهم على لسانهم من نصرهم على اعدائهم ولا يليق باحد من المؤمنين ان
يظن انه تعالى اخلف ما وعد فضلا عن رسل الله فان كل مؤمن قاطع بان الله تعالى لا يخلف الميعاد لزمه
لا تبديل لكلماته فهذا القائل لما زعم ان جعل الضمائر كلها للرسل يستلزم هذا المحذور جعل الضمائر كلها
للمرسل اليهم وجعل القائل الثاني ضمير ظنوا للمرسل اليهم وجعل الضميرين الاخيرين في جعل كلا للرسل
يجعل الفاعل المقدر لكذبوا الا انفس الرسل او قومهم كما اختاره المص فلا وجه لارتكاب خلاف الظاهر لذلك
ضعف المص كل واحد من القولين المذكورين قوله والثاني للرسل ولو قال والثاني وما بعده
لكان اظهر وافيد الا انه اكتفى بذكر الثاني لان كونه للرسل يستلزم كون الثالث لهم ايضا قوله
وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما جواب عما يقال كيف نقل عن جعل الضمائر كلها للرسل مع ان
ابن عباس جعل كلها لهم وجعل الفاعل المقدر لقوله كذبوا ضمير الباري بان يكون كذب الله تعالى اياهم عبارة
عن اخلاف ما وعدهم من النصر فقد اسند الى الرسل انهم ظنوا ان الله تعالى قد اخلف رسله ما وعدهم من
النصر ولو لم يجز اسناد هذا الظن الى الرسل لما فعله ابن عباس وتقرير الجواب انا لا نم اولا صحة هذه
الرواية على تقدير تسليمه نقول لانه اراد بالظن ان يخطر بالبال ويجري بالقلب من شبه الوسوسة و
حديث النفس لان الرسل كانوا بشرا وقد يخطر ببال البشر ان يسند اليه تعالى ما لا يجوز اسناده
اليه

اليه تعالى على سبيل التوهم او نقول انه اراد باخلاف الله تعالى رسله ما وعده لهم من النصر المبالغة في التراخي
والامهال على سبيل التمثيل بان شبه تراخي النصر الموعود لهم وامهاله باخلافه وعدم الوفاء به فعبر عن
المشبه باسم المشبه به ثم اشتق من اخلاف النصر بمعنى تراخيه لفظ اخلف الله ما وعدهم من النصر قوله
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي فالمعنى وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا قومهم من
النصر لتراخيه عنهم بحيث لم يروا له اثرا وقوله تعالى جاءهم نصرهم جواب اذا اي لما بلغ الحال الى الحد
المذكور جاءهم نصرنا فنجي قرا ابن عامر وعاصم ويعقوب فنجي بنون واحدة وجيم مشددة وياء مفتوحة
على انه فعل ماض بني للمفعول وقوله من نشاء قائم مقام الفاعل وقرا الباقون من السبعة فننجي
بنونين ثانيهما ساكنة وجيم خفيفة وياء ساكنة على انه مضارع انجى وقوله من نشاء مفعوله و
فاعله ضمير المتكلم المعظم نفسه وجيء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية لان القصة ماضية
وقرئ فنجا على لفظ الماضي من الثلاثي قوله النبي والمؤمنين تفسير لقوله من نشاء يعني ان المراد
به الرسل والمؤمنون وذكرهم على الابهام ولم يذكرهم بما يختص بهم من الاوصاف تعظيما لهم فان ذكر
الشيء على الابهام يدل على انه بلغ من الفخامة الى حيث لا يمكن تعيينه بخصوصه كما في قوله تعالى فغشيهم
من اليم ما غشيهم وتنبيها على انهم الذين علم كل احد انهم هم الذين يستاهلون ان يشاء الله نجاتهم
فان تعريف الشيء بالموصولية يدل على ان كل احد يعرفه بمضمون الصلة ولا يميزونه عن غيره الا بذلك
ثم انه تعالى وان ابهم ذكرهم الا انه بين ان المراد بالمنجين نجاتهم اضداد المجرمين وهم الرسل واتباعهم
فقال ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين فانه لما بين ان العذاب مخصوص بالمجرمين لزم لهم علم
منه نجاة اضدادهم الذين هم الرسل واتباعهم وضمير قصصهم في القراءة المشهورة وهي القراءة
بفتح القاف يحتمل ان يرجع الى الانبياء او اليهم وان يرجع الى يوسف واخوته ورجح صاحب الكشاف
الاحتمال الاول بقراءة من قرا في قصصهم بكسر القاف فانه جمع قصة وقصة يوسف واخوته قصة
واحدة فلا وجه لان يطلق عليها لفظ الجمع والقصص بفتح القاف وان كان في الاصل مصدر ايقال
قص عليه الخبر قصصا الا انه يستعمل ايضا اسما بمعنى القصة ويمكن ان يقال قراءة الكسر لا تعضد
عود الضمير الى الانبياء او اليهم لان قصص يوسف واخوته وابيه تشتمل على قصص كثيرة وانباء
مختلفة والعبرة اسم من الاعتبار وهو العبور من الطرق المعلومة الى الطرق المجهولة ومن عرف
قصصهم وتفكر فيها علم ان من قدر على اعزاز يوسف بعد ما ابتلي والقي في الجب وعلى اطلاقه بعد
ما سجن سنين متطاولة على وجه لا يخطر ببال احد وعلى تمليكه مصر بعد ان كانوا يظنون انه عبد
لهم وعلى جمعه مع ابيه واخوته على احسن الوجوه بعد ان نزغ الشيطان بينهم لقادر على اعزاز محمد
صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته وجعله سيد ولد آدم وعلم ايضا انه عليه الصلوة والسلام مع كونه

امثالهم بغرا ولم يكتب ولم يجالط احدا ممن يقف على الاخبار الماضية لماتلى هذه القصة وبينها على
وفق ما في الكتب المتقدمة من عند نفسه كان ذلك منه معجزة عظيمة دالة على انه نبي كريم اوحي اليه لا شك
في نبوته واسم كان في قوله تعالى ما كان حديثا يفترى ضمير القران لقوله ولكن تصديق الذي بين يديه
اي ليس من شانه ان يفتريه احد من عند نفسه على وجه يوافق مضمونه ما في الكتب الالهية المنزلة
قبله ثم اكد كونه غير مفترى بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه اي ولكن كان تصديق ما نزل قبله
من الكتب الالهية تمت سورة يوسف عليه الصلوة والسلام والحمد لله حق حمده على جميع الآئه والصلوة
على رسوله خاتم الانبياء وعلى آله واصحابه ما دعي الحق باسمائه ونتقرب اليه بتلاوة اياته واستغفرانه
لي ولوالدي ولجميع اسلافي من قرابتي واصحابي ولجميع المؤمنين والمؤمنات والحمد لله رب العالمين

سورة الرعد اثنتي واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** قيل معناه انا الله اعلم وارى على ان يكون حروف
المر مختصرة من الكلمات التي تركبت تلك الكلمات منها كما اختصر الشاعر قوله قاف من وقفت
حيث قال قلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت وقوله تعالى المر ان جعلته اسما لهذه السورة الكريمة
سوا جعلته خبر مبتدا محذوف والتقدير هذه السورة المر اي مسماة بهذا الاسم او جعلته مبتدا و
تلك مبتدا ثانيا وآيات الكتاب خبر الثاني والجملة خبر الاول يكون تلك اشارة الى ما تضمنته سورة المر
من الآيات وان اريد بالكتاب السورة يكون التعريف فيه للعهد الخارجي والمعهود السورة المسماة بتلك
المر فلما كان معنى التركيب على هذا التوجيه ايات السورة وهو من قبيل انا ابو النجم وشعري شعري وظل
هذا التركيب لا يجري فيه ما يجب الظاهر فيتح الا التاويل المذكور في قوله وشعري شعري وهو ان يجعل الاضافة
المعتبرة في جانب المحمول منزلة منزلة وصف المضاف وتخصيصه بما لا يفهم من الموضوع فكانه
قيل والشعر الصادر عني شعر كامل يشتمل على صنايع عجيبة واعتبارات مناسبة للحال والمقام في
كلام مفيد ومدح لشعره وكذا الكلام في تاويل الآية اشار المص اليه بتوصيف ايات السورة
بقوله الكاملة فكانه قيل الايات الواردة في هذه السورة ايات كاملة **قوله** والقران عطف على السورة
في قوله يعني بالكتاب السورة فكانه قيل آيات هذه السورة آيات كاملة من حيث انها ايات القران
قوله عطف العام على الخاص على ان يراد بالكتاب السورة فان ما انزل اليه عليه الصلوة والسلام من
ربه اعم من السورة **قوله** او احدى الصفتين على الاخرى على ان يراد به القران فان الكتاب
بمعنى الكلام المنظوم الذي من شانه ان يكتب صفة للقران مغايرة لصفة المنزل من الرب تعالى
فيكون من قبيل ما مدح قومه بعد الغزاري العدو بان قال لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة
وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر فان ما فيه من العطف من قبيل

من قبيل عطف بعض الصفات المتغايرة على البعض مع وحدة الموصوف بها ومنه قوله الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله تعالى الحق على التقديرين خبر مبتدا محذوف اي
هو الحق **قوله** والجملة كالحجة على الجملة الاولى لانه اذا انحصر جنس الحق فيما انزل اليه عليه
الصلوة والسلام حصل الكمال من حيث بلوغه في متانة النظم والاشتمال على مهمات الخلق في باب
الاعتقاد والاعمال الى حيث صار سائر الكتب الالهية بالنسبة اليه كانه ليس بحق كان مضمون
هذه الجملة كالحجة الدالة على ان ايات السورة هي التي استحقت لان تسمى ايات السورة الكاملة
العجيبة في بابها فان القران كله اذا كان هو الحق المفضل على سائر الكتب كانت آيات هذه
السورة ايات الكاملة من حيث انها من سور القران الذي هو الحق الكامل في بابه **قوله**
وتعريف الخبر الخ جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون قوله تعالى والذي انزل اليه من ربك في محل
الرفع بالابتداء وخبره الحق مع ان كون الحق منحصرا في الاحكام المنزلة اليه عليه الصلوة والسلام
يستلزم ان يكون الاحكام الثابتة بالاجماع والقياس باطلة لانها ليست مما انزل اليه
عليه الصلوة والسلام فلا تكون حقا فتكون باطلة لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فلا يكون
القياس ونحوه من الادلة الشرعية الدالة على الحق والصواب وتقرير الجواب ان المنزل من
عند الله اعم من الحكم المنزل صريحا كالاحكام الثابتة بصريح نص القران ومن الحكم المنزل ضمنا
كالتي تثبت بالسنة والاجماع والقياس فان الحكم الثابت بواحد منها وان لم يثبت بنص
القران صريحا لكنه يثبت به ضمنا من حيث كونه اصلا يستند اليه كل واحد من الادلة الثلثة
المذكورة لكون المنزل ناطقا بحسن اتباع كل واحد منها ومقررا لحجيته ثم انه تعالى لما ذكر ان
المنزل على رسوله هو الحق بين ان اكثر الناس لا يؤمنون به وكونه حقا منزلا من
عند الله تعالى زجرا لهم وتهديدا ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد فقال الله الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها اي انشاها مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها فان بيان وصف
الشيء بلفظ الفعل لا يستلزم حدوث ذلك الوصف فيه بعد ما لم يكن موصوفا به بل قد يكون
لبيان كونه نشا بذلك الوصف ابتداء كما تقول للخياط وسع كم القميص وللحافر ضيق
فم البير ودلالة هذه الاية على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ظاهرة لانه لا يقدر على رفع سقف
فيه سعة عظيمة بغير عمد يرانا الناس الا الواحد القهار القادر على كل شيء واما دلالتها على صحة
المعاد فلان من قدر على رفع السماء بغير عمد لقادر على اعادة الخلق واحيائهم بعد الموت بل
رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشيء بعد فنائه اذ في الشاهد من قدر
يقدر على اعادة شيء فني ولا يقدر على رفع سقف ذي سعة وبعد بغير عمد وفي الاية اشارة

الى ان الدلالة على صحة المعاد مقصود بهذه الاية حيث قال في اخرها يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون **قوله** او بعمرو كادبم وادم استشهد على ان يجيء فعول على فعل بتخفيف بان يجمع ادبم على ادم وما ادرى ما وجه الشهادة فانه لا تقاس صفة على صفة اخرى في الجمع وان فرض عمد بتخفيفين يجوز ان يكون جمع عماد نحو كتاب وكتب وان يكون جمع عمود نحو رسول ورسل وقوله بغير عمد في محل النصب على انه حال من السموات اي رفعها خالية عن عمد وترونها في محل الجر على انه صفة لعمد فيكون الضمير المنصوب فيه راجعا الى عمد والمعنى رفعها خالية عن عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل ان يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعا اي لا عمد فلا رؤية ويحتمل ان يكون لانتفاء الرؤية فقط بان يكون لها عماد غير مرئي وهو قدرة الله تعالى فانه تعالى يمسكها مرفوعة بقدرته فكأنها عماد لها فقوله بغير عمد مرئية معناه بعمد غير مرئية وكلمة النفي وان كانت متقدمة في الذكر فهي متأخرة في المعنى ويحتمل ان لا يكون ترونها صفة لعمد بل يكون كلاما مستأنفا ويكون الضمير المنصوب فيه راجعا الى السموات ويكون المقصود به الاستشهاد على كون السموات مرفوعة بغير عمد كأنه قيل ما الدليل على كونها مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها غير معمودة فاستشهد على كونها مرفوعة بغير عمد برؤية الناس اياها كذلك **قوله** وهو دليل على وجود الصانع فان ارتفاع السموات على سائر الاجسام والاختصاص بما يقتضي ذلك الارتفاع لا يكون مقتضى جسميتها والا لشاركها جميع الاجسام في ذلك لتحقق ما يقتضي ذلك في الجميع فلا بد ان يكون ذلك المخصص خارجا عن ذاته ليس بجسم ولا جسماني اذ لو كان ذلك المخصص الخارجي جسما او جسمانيا لكان متحيزا اما بالذات او بتبعية موضوعه فينتقل الكلام الى اختصاصه بذلك التحيز فمقتضى جسميته لكان جميع افراد المتحيز مختصا بذلك الحيز فلا بد ان يكون ذلك المخصص فاعلا مختارا يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته ولما تبين ان ارتفاع السموات بغير عمد يدل على وجود الصانع المختار بالطريق تبين ان سائر ما ذكر من الايات كتسخير الشمس والقمر واجرائهما على مقتضى حكمته وارادته ومد الارض طولا وعرضا وخلق جبال رواسي فيها وغير ذلك يدل على وجود ذلك بالمنهج المذكور استدل عليه اولا باحوال السموات حيث قال الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وثانيا باحوال الشمس والقمر حيث قال وسخر الشمس والقمر فان اختصاصهما بالحركة الدائمة على وجه مخصوص من السرعة والبطء والدوام دون السكون ودون الحركة على سائر الوجوه مع كون الاجسام متماثلة في الجسمية لا بد له من مخصص حكيم انه تعالى لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي انشاءها ممدودة لا انها كانت مجموعة في مكان فبسطها ووجه الاستدلال بامتداد الارض ان كونها ممدودة اي ذات امتداد من الطول والعرض والعمق على قدر معين مع جواز كونها ازيد

ازيد مقدارا مما هو الآن عليه او انقص منه لا بد له من مخصص الحكيم ومد الارض وبسطها طولا وعرضا لا ينافي كريتها لان الكرة اذا كانت في غاية الكبر يشاهد كل قطعة منها كالسطح والتفاوت الحاصل بينها وبين السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى ثم استدل عليه بحصول جبال ثابتة فيها غير منتقلة عن اماكنها فان حصول الجبال في بعض جوانبها دون البعض مع كون طبيعة الارض واحدة لا بد وان يكون بتخصيص الفاعل المختار الحكيم وكذا حصول الانهار في بعض جوانبها دون البعض لا بد ان يستند اليه ثم استدل عليه بعجائب خلقة النبات حيث قال ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ومما يدل على كمال حكمة الله تعالى ان الحبة اذا وقعت في الارض واثرت فيها نداوة الارض ربت وكبرت فينشق اعلاها واسفلها فيخرج من شقها الاعلى الشجرة الصاعدة ومن شقها الاسفل العروق الغائصة في اسفل الارض وهذا من العجائب لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من احد جانبي تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء ومن الجانب الاخر منها جرم غائص في الارض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ثم ان تلك الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها خشب وبعضها نور وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع فالجوز له اربعة انواع من القشور فقشره الاعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته قشرة المحيطة باللب وتحت تلك القشرة قشرة اخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا قد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلا قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الانجم والافلاك لا بد وان يكون لاجل تدبير الحكيم القديم ثم استدل باحوال الليل والنهار حيث قال يغشي الليل النهار فان الانعام لا يتم الا بالليل وتعاقبهما **قوله** ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير يعني انه ليس المراد بالاستواء على العرش التمكن والاستقرار عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد به الاستيلاء على الملك والتصرف في مبدعاته بناء على ان العرش في الاصل سرير الملك فصح ان يجعل الاستواء عليه كناية عن الاستيلاء على الملك ونفاذ الامر والتدبير كما بيناه والظاهر ان كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخي لان استيلاءه تعالى على التصرف في مصنوعاته ليس بمتراخ عن رفع السموات بل هي لمجرد العطف مع قطع النظر عن الترتيب ايضا لان الاستواء على العرش ليس مرتبا على رفع السموات الا ان يجعل الترتيب في الاخبار لا في التحقق والوقوع **قوله** يجري لمدة معينة تتم فيها ادواره يعني ان المراد يجري بان كلا واحد

دوارنه سبع

منتهى لا اجل مسمى جريانه الى الوقت المعلوم الذى تتم عنده دورته فان الشمس لها مائة وثمانون
منزلا تنزل في كل يوم منزلا من تلك المنازل وتتم سيرها في تلك المنازل في ستة اشهر ثم انها تنحدر
عن كل واحد من تلك المنازل الى ما قبله في ستة اشهر اخرى فهى تتم دورتها في منازلها في سنة بخلاف
القمر فان له ثمانية وعشرين منزلا انه يقطع منازله في شهر ويحتمل ان يكون المراد بالاجل المسمى الغاية
المضروبة لفناء الدنيا وقيام الساعة والمعنى ان كل واحد منهما يجرى الى يوم القيمة وعند مجئ
ذلك اليوم تنقطع حركتها **قوله** امر ملكوته اى امر ملكه وسلطنته فان الملكوت من الملك كالرهبوت
من الرهب يقال للفلان ملكوت العراق اى ملكه وعزه ولفظ الجلالة في قوله تعالى الله الذى رفع السموات
بغير عمد ان كان مبتدأ وكان الموصول مع صلته خبره يكون قوله يدبر الامر كلاما مستأنفا لبيان الحكمة
في رفع السموات على الوجه العجيب والاستواء على العرش وتسخير الشمس والقمر كانه قيل ما الحكمة في انشائها
على هذا الوجه العجيب وفي تسخير الشمس والقمر لما اريد بهما والاستواء على العرش فاجيب بانه يدبر
امر ملكوته ويفصل الآيات قدرته لتنكر المكلفون بمشاهدة المصنوعات ويعلمون ان من قدر على ابدائها
قدر على اعادتها اقدر ويتهيؤا للقاء من فوق حسابه وجزائه كما اشار اليه بقوله لعلكم بلقاء ربكم
توقنون وان كان قوله الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها صفة للفظ الجلالة يكون قوله يدبر خبرا
للمبتدأ ويفصل خبرا بعد خبر ويكون المقصود من توصيف المسند اليه بالموصول مع صلته جعله
ذريعة الى التعريض بتعظيم شان الخبر الذى هو التدبير والتفصيل كما في قول الفرزدق ان الذى
سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول فانه قال ان الذى سمك السماء فيه ايماء الى ان الخبر المبنى
عليه امر من جنس البناء والرفعة فكذا توصيف المبتدأ بقوله في الآية الذى رفع السماء بغير عمد
ترونها الى آخر الصلات ذريعة وايماء الى ان الخبر المبنى عليه امر عظيم الشان يليق ان يصدر عمن
هذا شانه **قوله** متجاورات بينها متصلة على ان يكون المراد بالآيات آيات القرآن ويكون المراد
بتفصيلها انزالها مفرقة على حسب تجدد المصالح والثانى على ان يكون بها الدلائل الدالة على وجود
الصانع وعلمه وقدرته وحكمته وبتفصيلها احداث بعضها عقيب بعض على سبيل التميز والتفصيل
قوله وانث للتانيث جواب عما يقال قوله رواسى لما كان صفة جبال لزم ان يكون راسية صفة
جبل وهو مذكر فما وجه دخول التاء في صفته وهي راسية وتقرير الجواب انا لا نم ان راسية صفة
جبل بل هي صفة اجبل وهو جمع جبل والجمع لكونه في تاويل الجماعة يعامل به معاملة المؤنث وفيه بحث
وهو ان راسية لما كانت الرواسى صفة اجبل كانت الرواسى صفة للمجموع من جماعات الجبل فيلزم ان
يكون الجبال جمع الجمع وليس كذلك بل كل واحد من الجبال والاجبل جمع جبل الا ان جمع كثرة والثانى جمع
قلة فالجواب الثانى هو الاولى وهو ان يقال ان راسية صفة جبل وان التاء فيه للتانيث
بل

بل هى للمبالغة كما في علامة وراوية **قوله** ضمها الى الجبال جواب عما يقال كل واحد من الرواسى والانهار
واختصاصه ببعض جوانب الارض دون بعض دليل مستقل على وجود الصانع الحكيم فلم جمعهما وعلق
بهما فعلا واحدا حيث قال وجعل فيها رواسى وانهارا اى خلق في الارض اياهما والوجه في كون الجبال
اسبابا لتولد الانهار ان الجبل جسم صلب فاذا تصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت الى
الجبل احتبست هناك فلا تزال الابخرة تتراحم وتتضاعف فتنعقد مياها فتحصل بسبب الجبل
مياه عظيمة ثم انها لكثرتها وقوتها تثقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الارض فهذا هو السبب في تولد
الانهار من الجبال فلما كانت الجبال اسبابا لتولد الانهار ضمت الانهار الى الجبال فقيل وجعل فيها رواسى وانهارا ولما كانت
بينهما هذه العلاقة القوية ترى انه تعالى ابتما ذكر الجبال قرن بها ذكر الانهار كما في هذه الآية وفي قوله تعالى
وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا **قوله** متعلق بجعل على انه حال من مفعوله اى
وجعل فيها زوجين اثنين حال كونهما من جميع انواع الثمرات قدمت على ذى الحال لكونه نكرة قوله تعالى
يغشى الليل اما مستانف لبيان الحكمة في انشاء الشمس والقمر وتسخيرهما كانه قيل لم تسخرهما وذللهما لما
اراد منهما فاجاب عنه بانه ما يلبس النهار بظلمة الليل وتغطية النهار به غير معقول لانهما متضادان
لا يجتمعان واللباس لا بد ان يجتمع مع اللابس فقدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو
وهو الذى يلبس ظلمة الليل او حال من ضمير اسم الله المستتر في الافعال المذكورة قبلها او هي رفع وسخر
ويفصل ويدبر وجعل شبه احداث الظلمة في الجو الذى هو مكان ضوء النهار بالباسه اياه وتغطيته
بها فاطلق عليه اسم الاغشاء والالباس فاشتق منه لفظ يغشى فصار استعارة تبعية **قوله**
ولولا التخصيص فادر الى اشارة الى ان المقصود من قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات الآية اقامة
الدليل على انه لا يجوز ان يكون حدوث ما حدث في هذا العالم مستندا الى الاتصالات الفلكية و
الحركات الكوكبية من وجهين الاول ان قطع الارض مختلفة في صفاتها مع اشتراكها في الطبيعة الارضية
وكونها متجاورة متقاربة بحيث يكون تاثير الشمس وسائر الكواكب فيها على السوية فدل ذلك على
ان اختلافها في صفاتها بتقدير الفاعل المختار العليم القدير **قوله** من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع علة الاشتراك ان تلك القطع فيما بعضها لا يتوسط ما يعرض من الاسباب
السماوية والثانى ان القطعة الواحدة من الارض يسقى بماء واحد ويكون تاثير الشمس فيها متشابها
ثم ان ما فيها من الثمار يجئ مختلفة في اللون والطعم والطبيعة والخاصية حتى انك قد تاخذ عنقودا
واحدا من العنب فيكون جميع حباته نضيجة حلوة الا الحبة الواحدة منه فانها تبقى حامضة يابسة
ونحن نعلم بالضرورة ان نسبة الطبايع والافلاك الى الكل على السوية وهذا يدل دلالة قاطعة
على ان الكل بتقدير الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية والاسباب السماوية وهذا هو المراد

فلما كانت الجبال محل

اى غشى اخفى ضوء الجو بالظلمة وستره بالظلمة تغطيته فاشتق منها يغشى
منه

بقول تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل قوله نخلات اصلها واحد تفسير للصنوان على
وجه يشير الى ان صنوان جمع صنو كقنوان جمع قنو عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال صنوان ما
كان من نخلتين وثلثا او اكثر اصلهن واحد وغير صنوان يريد به المتفرقة الذي لا يجمعها اصل واحد قوله
وقرا ابن كثير وابو عمرو الالفاظ الاربعة بالرفع عطفا على وجنات لا يخفى ان المرفوع بالعطف
على قوله وجنات انما هو قوله وزرع ونخيل واما رفع قوله صنوان وغير صنوان فلكونه تابعا للنخيل والنخل
والنخيل بمعنى واحد وقرا الباقون بجر الالفاظ الاربعة عطفا على اعناب واختار المص هذه القراءة
ويدل عليه قوله وبساتين فيها انواع الاشجار فان البساتين تفسير للجنات والباء والنون فيه علامة
النصب او الجر على قراءة من جعل وجنات منصوبا بالعطف على زوجين او مجرورا بالعطف على كل
الثمرات الا ان العامة قرءوا قطع وجنات مرفوعين اما على الابتداء واما على الفاعلية للجار
قبله وقوله فيها انواع الاشجار والزروع تفسير لقوله من اعناب وزرع ونخيل صنوان فدل ذلك على
انه قرا الالفاظ الاربعة مجرورا بالعطف على اعناب قوله ان في الثمر يعني ان الاكل هو الثمر الذي يؤكل
كذا روي عن الزجاج وروي عن غيره ان الاكل ما يؤكل الاكل ثمرا او غيره ويؤيده قوله تعالى في صفة
الجنة اكلها دائم وظلها وهو عام جميع المطعومات ومن قرا يسقى بالياء المنقوطة من تحت اسند
الفعل الى ما ذكر اي يسقى ما ذكر من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المتفقة الاصول والمختلفة
الاصول بماء واحد ونفضل بعض هذه الاشياء المذكورة على بعض في الثمر من جهة الشكل والقدر
والرائحة والطعم ويحتمل ان تكون قراءة يسقى بالياء التحتانية مبنيا على اسناد الفعل الى كل واحد منها
او على تغليب المذكر على المؤنث ومن قرا تسقى بالتاء الفوقانية اسند الفعل الى ضمير جنات او
الى الاشياء المذكورة ويؤيدها قوله تعالى ونفضل بعضها اي بعض هذه المذكورات ومن قرا يفضل
بالياء التحتانية على بناء الفاعل عطفه على قوله يدبر ويفصل ويغشي ومن قرا نفضل بنون العظمة
قال تقديره ونحن نفضل وقرا نافع وابن كثير الاكل ساكنة الكاف في جميع القران والباقون بضمة
الكاف وهما لغتان قوله حقيق بان يتعجب منه من يعجب منه التعجب حالة انفعالية تعرض للنفس
عند ادراك ما لا يعرف سببه فهو مستحيل في حق الله تعالى فكان المراد وان تعجب من انكارهم البعث
فقد عجبت في موضع كان اللائق بك ان تتعجب منه لان من تمكن قدرته من الدلائل الدالة على وجود المبدأ
القادر على كل شيء فهو بعينه دال على صحة البعث والاعادة ايضا ولا يخفى ان انكار الشيء مع
قيام ما يدل عليه دلالة واضحة امر عجيب لا ينبغي ان يصدر عمن له ادنى تمييز وبصيرة قوله بدل من
قولهم بدل الكل لان مضمون هذه الجملة الظرفية الاستفهامية هو مضمون قولهم ومتحد معه صدقا فتكون
هذه الجملة في محل الرفع على انها بدل من قولهم ويجوز ان تكون في محل النصب على انها مفعول قولهم وكلمة

قوله فان من قدر على انشاء ما قص عليك من العجائب كان قادرا على الاعادة ... فقط فكان ان تعجب عندكم على ... من الاعادة ... الاية فافهم

وكلمة اذا فيها ظرف محض ليس فيها معنى الشرط والعامل فيها ما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد
وتقديره اذا كنا ترابا انبعث او نحشر ولا يجوز ان يكون العامل فيه كنا لانه مضاف اليه فلا يعمل
في المضاف ولا يعمل فيها ايضا خلق جديد لان ما بعد اداة الاستفهام وما بعد ان لا يعمل فيما قبلهما ولما
حكى الله عنهم هذه المقالة العجيبة وهي انكار البعث واستبعاده بعد قيام ما يدل على صحته و
امكانه حكم عليهم بثلثة اشياء اولها قوله اولئك الذين كفروا بربهم لان من انكر البعث و
القيمة انما ينكره لانكار قدرة الله تعالى عليه واحاطة علمه بجميع الكليات والجزئيات او لانكار
صدق من صدقه الله تعالى باظهار المعجزات الباهرة على يده وحكم عليهم ثانيا بقوله واولئك
الاغلال في اعناقهم والاغلال جمع الغل وهو طوق يقيد به اليد الى العنق يقال غل الرجل فهو
مغلول اذا طوق وقيد به والمص فسر الاغلال اولا بما هم عليه من سوء الاعتقاد والاعمال
الخبيثة شبهها بالاغلال في لزومها لهم ومنعها اياهم عن الالتفات الى غيرها ايقال للرجل
هذا غل في عنقك لعمل اعتاد عمله ردئيا لا يرجى خلاصه منه فكانه قيل صار الكفر في اعناقهم
اغلالا لا تنفك عنهم ثم فسرها ثانيا بالحقيقي الاصطلاحي فقال او يغلون يوم القيمة وحمل الكلام على
الحقيقة وان كان اولى الا ان المص قدم التفسير الاول في الذكر لان ظاهر الآية يقتضي حصول
الاغلال في اعناقهم في الحال والغل الحقيقي غير حاصل في الحال بل هو ليحصل يوم القيمة بخلاف
الغل بمعنى الكفر والضلال فانه حاصل في الحال فحمل الكلام عليه رعاية لجانب الحقيقة من بعض
الوجوه فلا رجحان لاحد التفسيرين على الآخر من هذا الوجه وترجح الوجه الاول لانه يفيد تقبيح
حالهم في الدنيا وقوله اولئك اصحاب النار يفيد تقبيح حالهم في الاخرة فلذلك كان انسب
بهذا المقام وعلى الوجه الثاني يكون المعنى اولئك يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون على معنى انهم هم الموصوفون بالخلود في النار لا يخلد فيها غيرهم انما هو
في النار لا في غيرها لان كل واحد من توسيط ضمير الفصل وتقديم فيها يفيد الحصر فثبت
ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ثم انه تعالى ذكر قبائح افعالهم انهم يطلبون منه عليه
الصلوة والسلام تعجيل ما هددوا به من عذاب الدنيا قبل مجيء وقته استهزاء به كقولهم
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
فانه عليه الصلوة والسلام كان يهددهم تارة بعذاب القيمة وتارة بعذاب الدنيا وكلما
هددهم بعذاب القيمة انكروا القيمة والبعث بان قالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا او قالوا ائذا كنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او قالوا ائذا كنا ترابا ائنا
لمخرجون او قالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد او قالوا المردود وننفي الحافرة

وان خلودهم

ائذا كنا عظاما نخرة وكلما هددهم بعذاب الدنيا استعجلوه وقالوا متى تجيئنا به استهزاء به
منهم فالمراد بالسيئة في هذه الآية ما هددوا به من عذاب الدنيا وعقوبتها وبالحسنة العافية
والسلامة استهزاء بها منهم وقبل الحسنة متعلق بالاستعجال ظرف لما في ضمنه من معنى الطلب
ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انها حال مقدرة من السيئة والمعنى على الاول يطلبون منك
العجلة بالسيئة اي في انزالها واتيانها قبل الحسنة اي قبل ان يعافيهم الله تعالى في الدنيا
ويؤخر عذابهم الى يوم البعث والجزاء فان انظار المشركين وامهالهم بتأخير ما
استحقوه من عذاب الاستيصال الى يوم القيمة احسان من الله تعالى في حقهم وهؤلاء المشركون
لم يرضوا بما هو حسنة في حقهم وهي ان يعافيهم الله تعالى في الدنيا ويؤخر عذابهم الى يوم
القيمة بل طلبوا منه عليه الصلوة والسلام نزول ما هددوا به عاجلا بدلا ان يعافيهم في الدنيا
سميت العقوبة سيئة لانها تسوءهم وتؤذيهم **قوله** وقد خلت حال من فاعل يستعجلونك
والعامة على فتح الميم وضم الثاء المثلثة في المثلات وهي جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء ايضا
كسمرة وسمرات وهي العقوبة الفاضحة ويقال لها مثلة ايضا بضم الميم وسكون الثاء مثل
صرفة وصدقة ويجمع على مثلات بسكون الثاء وقيل المثلة العقوبة المبقية في المعاقب شيئا
من التغيير تبقى صورة المعاقب مع ذلك التغيير قبيحة ومنها قولهم مثل فلان بفلان اذا قبح صورته
بان قطع اذنه او انفه او سمل عينيه او شق بطنه فهذا اصل معناها ثم يقال للعار الباقي
والخزي اللازم مثلة قال الواحدي اصل الحرف من المثل الذي هو الشبه ولما كان الاصل
ان يكون العقاب مماثلا للجرم المعاقب عليه سمي بهذا الاسم وقرئ المثلات بضمتين اتباعا
لفاء الكلمة لعينها والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء جمع مثلة وهي لغة الحجاز والمثلات
بضم الميم وسكون الثاء على ان يكون المثلة بالضم والسكون لغة اصلية او مخففة من المثلة
بضمتين وهو قول بالتخفيف بعد الاتباع وقرئ المثلات بفتحهما جمع مثلة على وزن صرفة
او جمع مثلة كركبة وركبات **قوله** مع ظلمهم انفسهم لما جعل قوله تعالى على ظلمهم حالا من
الناس الذي هو معمول المغفرة وكان تعلق العامل بذي الحال مشعرا بالتعلق بمضمون الحال كان معنى
الآية ان الله لذو مغفرة للناس ظالمين انفسهم متمردين عليه واشار بايراد لفظة مع الى ان مغفرته
مقترنة بأنهم لا تتوقف على توبتهم عن المعصية كما زعمت المعتزلة فتكون تقييد المغفرة بقوله على ظلمهم
دليلا على جواز مغفرة اصحاب الكبيرة قبل التوبة لان التائب عن ذنبه لا يقال في حقه انه على ظلمه ثم
الناس المعرف باللام وان كان عاما للكفار واصحاب الكبائر الا ان المراد به في الآية اصحاب الكبائر
فقط للنصوص الدالة على ان الكفار لا يغفر لهم ما داموا على الكفر فكانه قيل ان ربك لذو مغفرة
لعصاة

سترت فلانا على الكلام حال اشتغاله بالاكل

لعصاة المؤمنين وان كان على ظلمهم انفسهم وانه لشديد العقاب للكفار ولمن شاء عقابه
من عصاة المؤمنين عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه
لما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ثم انه تعالى لما حكى من الكفار انكارهم البعث
والجزاء بعد ما ظهر دلائل عظمته وكبريائه وكمال علمه وقدرته وحكى عنهم استعجالهم السيئة قبل الحسنة
ذكر من قبائحهم انهم ينكرون نبوته عليه الصلوة والسلام بعد ما شاهدوا من شواهد نبوته و
معجزاته الباهرة ما يكفي للطالب المسترشد في التيقن بامره وتزيل الشك والشبهة في صدقه
فيما ادعاه من النبوة ويقترحون منه آيات اخر كفلق البحر وقلب العصا حية تسعى واحياء الموتى
واخراج الناقة الجوفاء من الصخرة الصماء فقال ويقول الذين كفروا الآية فلقن الله تعالى اياه عليه
الصلوة والسلام ان يجيبهم بان يقول ليس علي اتيان كل ما يقترح علي وانما علي الانذار عن مخالفة
حكم الله تعالى وما يتوقف عليه ذلك الانذار وهو اتيان ما يثبت به النبوة من جنس المعجزات وقد
اتيت منها ما يكفي للعاقل المسترشد فطلب الزيادة على ذلك من قبيل التحكم والعناد لا من قبيل
الاسترشاد فلا يلتفت اليه لتمام الحجة بدون اتيان الباقي وايضا فتح هذا الباب يفضي الى
اتيان ما لا نهاية له لان النبي عليه الصلوة والسلام كلما اتى بمعجزة جاء واحد آخر فطلب منه معجزة
اخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وانه باطل **قوله** نبي مخصوص
بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم فان كل شيء عنده بمقدار يعطي كل نبي ما اقتضته حكمته
من الآيات التي تناسب زمان دعوته وطريقة قومه فان اهل كل عصر يمتاز عن سائر الاقوام
بنوع من الكمال ويغلبون به على سائرهم فالمناسب لنبي كل زمان ان تكون معجزته من جنس
ما يعدونه اشرف المفاخر واجل الكمالات حتى يكون ما اتى به معجزة قاهرة ولما كان الغالب
في زمان موسى عليه الصلوة والسلام هو السحر جعل معجزته ما يعجز عنه السحرة ولما كان الغالب في زمن
عيسى عليه الصلوة والسلام هو الطب جعل معجزته ما يعجز عنه الاطباء كاحياء الموتى وابراء الابرص
والاكمه ولما كان الغالب في ايام نبينا صلى الله عليه وسلم هو الفصاحة والبلاغة جعلت معجزته
ما يعجز عنه الفصحاء وهو القرآن العظيم الذي بلغ في الفصاحة والبلاغة الى حد خارج عن قدرة
البشر بل عن قدرة الانس والجن جميعا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فانهم لم يؤمنوا بهذه
المعجزة الباهرة فعدم ايمانهم بسائر ما اقترحوه من المعجزات اولى **قوله** او قادر على هدايتهم
عطف على قوله نبي مخصوص اي ويحتمل ان يكون المراد بالهادي هو الله تعالى والمعنى ان قومك ان لم
يعتمدوا على ما اظهرته من المعجزات فلا يضيق قلبك بسببه لانه ما عليك الا الانذار واظهار ما يصح

للمسترشد ان يستدل به على صدقه في دعوى النبوة وليس اليك هدايتهم ولست بقادر على ذلك بل هو الله فانه يهدي من عباده بما يشاء من آياته ومعجزاته فلا يهتك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك **قوله** ثم اردف ذلك بذكر ما يدل على كمال علمه وقدرته وتقديره للاشياء على مقتضى حكمته فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى الآية تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه من الآيات وانما لم ينزل بناء على ان الامر مقدر عنده على ما يجب ان يكون عليه في حكمته من تخصيص كل نبي بما يختص به من الآيات وعلى انه تعالى قادر على هدايتهم لكنه لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر لعلمه بانهم يختارون الثبات على الكفر **قوله** اي حملها او ما تحمله يعني ان كلمة ما في قوله ما تحمل يحتمل ان تكون مصدرية على معنى يعلم حمل كل انثى لا يخفى عليه حملها وكذا كلمة ما في قوله وما تغيض الارحام وما تزداد يحتمل ان تكون مصدرية اي يعلم غيضها وازديادها ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل بيعلم والعائد محذوف اي ويعلم ما تحمله من الولد انه ذكر او انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير الى غير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ايضا ما تنقصه الارحام وما تزداده وغاض يستعمل لازما ومتعديا يقال غاض الماء يغيض غيضا اي قل ونضب كما يقال انغاض ويقال ايضا غاضه الله ومنه قوله وغيض الماء وكذا زاد فانه يقال زدته فزاد بنفسه وازداد واختلفوا فيما تنقصه الارحام وما تزداده ما هو فقيل هو جثة الولد فانها قد تكون كبيرا وقد تكون صغيرا وقد تكون تام الاعضاء وقد تكون ناقصة وقيل هو مدة ولادته فانها قد تكون تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى والى اربعة عند الشافعي رحمه الله تعالى والى خمسة عند مالك رحمه الله تعالى وقيل هو عدد الولد فان الرحم قد يشتمل على ولد واحد وعلى اثنين وثلثة واربعة روي ان شريكا وهو احد فقهاء المدينة كان رابع اربعة في بطن امه وقيل هو دم الحيض فانه يقل ويكثر ولا حد لعدد الولد عند الشافعي فانه قال اخبرني شيخ باليمن ان امراته القت بطونا في كل بطن خمسة اولاد وقيل اقصى ما عرف اربعة وعليه ابو حنيفة رحمه الله تعالى لما روي ان شريكا رابع اربعة في بطن امه واقصى مدة الحمل عند الشافعي اربع سنين لما روي ان هرم بن حيان ولد لاربع سنين ولذلك سمي هرما وعند مالك خمس سنين وعند ابي حنيفة سنتان لما روي ان الضحاك ولد لسنتين **قوله** فان جعلتهما لازمتين تعين ان تكون ما مصدرية لانها ان جعلت ح موصولة لبقيت الصلة بلا عائد اذ لا معنى لان يقال ويعلم الذي تنقص الارحام وتزداد **قوله** فانهما لله تعالى على تقدير كونهما متعديين فحق الكلام ان يقال ويعلم الذي ينقصه الله في الارحام ويزداده فيها فاسند الفعلان الى محلهما مجازا **قوله** او لانهما على تقدير كونهما لازمين فان حق الكلام ح ان يقال ويعلم الذي ينتقص في الارحام ويزداد او يعلم انتقاص ما في الارحام وازدياده فاسند كل واحد من الفعلين الى الارحام مجازا لما حكى الله تعالى عن الكفار انهم يقولون منكرين لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه لقنه ان يجيبهم ببيان مقدمات يظهر بها

والمقصود بيان وجه انتظام هذه الآية بما قبلها وبيانه مما حاصله عنهم اولا انهم طلبوا بالاخرة غير ما شاهدوا من الآيات ثم اتبع على كمال علمه بانه يعلم ما تحمل كل انثى تنبيها على انه تعالى يعلم من حالهم انهم لو طلبوا الآية الاخرى للاسترشاد او لاجل التعنت والعناد ولو علم انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد ومزيد الطمأنينة لاظهره لهم وما منعه عنهم ولكنه لما علم منهم انهم لم يقولوا ذلك الا لمحض العناد واللجاج منعه عنهم ح

وكان من التابعين منه

باجرائهم وجفائهم فلقنه اولا ان يقول لهم ليس علي الا الانذار وليس علي اتيان كل ما يقترحه المعاندون وثانيا ان يقول لهم لكل قوم هاد يهديهم الى الحق باتيان آية تكفي للمسترشد في اهتدائه الى الحق وثالثا ان يقول لهم ان من كان في العلم والقدرة بهذه المثابة لا يقدر على انزال ما اقترحوه من الآيات وانما لم ينزله لعلمه بكونهم متعنتين في اقتراحهم لا مسترشدين ورابعا ان يقول لهم كل شيء واقع بمقدار عنده لا يتجاوز ولا ينتقص عن ذلك الحد والقدر ويدخل في عموم هذا الكلام ان آية كل نبي لا تتجاوز عن الحد المقدر في علم الله وقضائه وانما تنزل على وفق ما اقتضته حكمته **قوله تعالى** كل شيء مرفوع على الابتداء وقوله بمقدار خبره وقوله عنده في محل النصب على انه ظرف لقوله بمقدار قدم عليه ليفيد الاختصاص والمعنى ان كل حادث مخصوص بمقدار معين من جهة وقت حدوثه ومن جهة احواله القائمة به عنده اي في علمه الازلية وارادته السرمدية بان هيأ اسبابا تقتضي حدوثه في الوقت المقدر لحدوثه مع [illegible] للاحوال العارضة له في وقت حدوثه وبقائه ونظير هذه الآية في افادة هذا المعنى قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل شيء منصوب بفعل يفسره قوله خلقناه بقدر لا به لكونه مشتغلا عنه بضميره ويدخل افعال العباد في عموم كل شيء فيبطل به قول المعتزلة **قوله** عالم الغيب يجوز ان يكون مبتدأ وخبره الكبير المتعال وان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم وقرئ عالم بالنصب على المدح ووقف ابن كثير وابو عمرو في رواية على ياء المتعالي وصلا ووقفا وهذا هو الاشهر في لسانهم وحذفها الباقون وصلا ووقفا لحذفها في الرسم **قوله** الغائب عن الحس يعني ان الغيب مصدر استعمل بمعنى الغائب كالشهادة بمعنى الشاهد الحاضر للحس ثم انه تعالى لما بين كونه عالما بجميع المعلومات بقوله الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام اكد بيان احاطة علمه بجميع المعلومات فقال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الآية لتكون متصلة بالمقدمة الثالثة التي ذكرها بقوله الله يعلم ما تحمل الخ **قوله** من اسر القول مبتدأ ومن جهر عطف عليه وسواء خبره قدم عليه ومنكم حال من الضمير المستتر في سواء لانه بمعنى مستو ولم يثن الخبر مع انه خبر عن شيئين لانه في الاصل مصدر وان كان هنا بمعنى مستو والاستواء انما يكون بين شيئين فصاعدا ومعنى الآية ان الانسان سواء كان اضمر القول في نفسه او اظهره بلسانه وسواء كان مستخفيا في مختبأ من ظلمة الليل او ظاهرا بارزا للناس لا يتفاوت علم الله تعالى في حقه باختلاف احواله **قوله** عطف على من او على مستخف على ان من في معنى الاثنين لما كان الاستواء بين شيئين ظهر وجه الحكم بالاستواء في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به لان من جهر بالقول شخص مغاير لمن اسره فصح ان يحكم عليهما بالاستواء واما قوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فلا يظهر فيه وجه الحكم بالاستواء لان الظاهر ان كلمة من فيه موصوفة وصفت بجملة هو مستخف بالليل وسارب بالنهار والشخص الواحد الموصوف بوصفين

قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به سواء خبر مقدم ومنكم حال من الضمير في سواء لانه بمعنى مستو ولم يثن [illegible] والتقدير ذوا سواء او مبتدأ ومن اسر خبره والاول اوفق للمعنى والثاني للفظ [illegible] ومن جهر به كلام واحد [illegible] وكلام النص ظاهر في الاول [illegible] فان الحكم المذكور في الاول وهو استواء السر والجهر معلوم بالطريق الاولى دون الحكم المذكور في الثاني وهو الاستواء في المخفي والمظهر مما عبر عنه التلفظ سنان

قوله كانه قال سواء منكم انسان هو مستخف [illegible] صاحب [illegible] فقط سنان

مختلفين في زمانين متغايرين لكن يصح ان يحكم عليه بالاستواء فلا كذلك فيما نحن فيه ووجه صحة الحكم
بالاستواء معه بوجهين الاول ان يكون قوله وسارب معطوفا على قوله من فهو مستخف على طريق
عطف الذات على الذات لا على طريق عطف الصفة على الصفة مع وحدة الذات لان المعطوف عليه
الشخص المستخفي بالليل وجب ان يكون مغايرا له بالذات ولا اختفاء في صحة الحكم بالاستواء عليهما والثاني
ان يكون معطوفا على قوله مستخف ولا يلزم منه ان يحكم على شخص واحد بالاستواء وانما يلزم ذلك ان لو
كان كلمة من عبارة عن شخص واحد وليس بلازم لجواز ان يكون عبارة عن اثنين فكانه قيل سواء
منكم اثنان احدهما مستخف بالليل والآخر سارب بالنهار ولا اختفاء في صحة الحكم بالاستواء على الشخص
وكلمة من قد يعبر بها عن اثنين كما في قول الفرزدق يخاطب ذئبا للغنيمة، تعش فان عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان، وما قيل فقلت له لما تكشر ضاحكا، وقائم سيفي من يدي بمكان، بالاضافة
نكن مثل من يا ذئب الخ قوله تكشر اي ابدى اسنانه وقائم السيف وقائمته مقبضه والمعنى فقلت له
وانا قابض بقبض سيفي قبضا قويا بعده شيء من القوة يظهر تجلده وشجاعته يخاطب ذئبا
اتاه مبديا اسنانه ويقول له ان عاهدتني على ان لا تخونني كنا مثل رجلين يصطحبان
لكون الموصول عبارة عن اثنين حملا على المعنى والبيت نظير الآية من حيث تحقق الحمل على المعنى
في كل واحد منهما اما في البيت فظاهر واما في الآية فلان كلمة من فيها ايضا عبارة عن اثنين،،
وصف كل واحد منهما بوصف يخصه وان كانت الآية مخالفة للبيت من حيث اشتمالها على الحمل
على اللفظ من ايضا حيث افرد المبتدا الذي هو لفظة هو حملا على لفظة من وليس هذا الحمل
في البيت قوله لمن اسر او جهر او استخفى او سرب يعني ان الضمير في له معقبات راجع الى من
في قوله سواء منكم من اسر القول الى آخره اي للذي صفاته كذا معقبات وكلمة او في
قول المص او جهر وقوله او سرب للتنويع كانه قيل للذي يستوي الله في سمعه بين اسراره
وجهره وسوى في رؤيته بين استخفائه وذهابه في طريقه بالنهار قوله ملائكة تعتقب اي،،
تتعاقب بان يأتي بعضهم عقيب بعض قوله من عقب مبالغة عقب يعني ان صيغة التفعيل
هنا للمبالغة والتكثير كما في تخوطوق البيت وقيل للملائكة معقبات لكثرة تعاقب بعضهم
بعضا او لكثرة تعاقبهم افعال العباد واقوالهم فيكتبونها فيكون اطلاق المعقبة على الملك
كاطلاق النسابة والعلامة على الرجل في ان التاء فيها ليست للتانيث فان الملائكة لا
توصف بالذكورة والانوثة وقيل ذكر معقبات بلفظ التانيث لان واحدها معقب وجمعه
معقبة ثم جمع المعقبة على معقبات فلا حاجة الى جعل التاء في معقبة للمبالغة لجواز كونها للتانيث،،
للجماعة قوله او لعتقب عطف على قوله عقب فيكون اصل معقبات معتقبات فادغمت التاء

قوله ليس ... استوى ... او جهر او استخفى ... يريد ان الضمير في له ليس للمفرد ولهذا ... المطلق الثاني على ... ولهذا ... معقبات ... جاز اللا... ... الاشارة ... فعو فيه بالضمير معا على الاسم او الكلام على البدل وا باسم ... ... الكلام بشير بان الكلام معقبات وكذا ما ضمير يحفظونه وقد يجعل الاول لله والثاني للعبد وفيه تفكيك الضمير ...

في القاف كما ادغمت في الذال في قوله تعالى وجاء المعذرون اصله المعتذرون ذهب جمهور
المفسرين الى ان المراد بالمعقبات الملائكة والحفظة ووصفهم بالمعقبات اما لاجل ان ملائكة
الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يعقبون اعمال المكلفين واقوالهم بالحفظ
والكتبة وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب لتكثر ذلك العمل منه بالعود قال الامام يحيى السنة
الضمير المجرور في قوله تعالى له معقبات لله تعالى اي لله تعالى ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا
صعدت ملائكة الليل جاء عقيبها ملائكة النهار واذا صعدت ملائكة النهار جاءت عقيبها ملائكة
الليل قوله وقرئ معاقيب جمع معقب بسكون العين وكسر القاف كمقاديم في جمع مقدم ومطاعيم
في جمع مطعم ومعقب اسم فاعل من قولهم ذهب فلان فاعقبه ابنه اذا اخلفه وهو مثل عقبه او جمع معقبة
فلما قصد فصدان يجمع جمع التكسير زيدت الالف وعوضت الياء عن حذف احدى القافين،،
قوله تعالى من بين يديه متعلق بمحذوف على انه صفة لمعقبات اي لهذا الذي استوى قوله او جهر به و
استخفى بالليل او سرب بالنهار معقبات كائنة من قدامه ومن وراء ظهره اي من جوانبه وتخصيص
القدام والخلف بالذكر ليس للتخصيص بل لكونهما اشرف جهات الانسان واشهرها والمعنى لهذا،،
الشخص حفظة حوله او كائنة من بين يدي اعماله ومن خلفها اي يكتبون ما قدمه من الاعمال وما
اخره منها وقوله تعالى يحفظونه صفة اخرى لمعقبات ويجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن في
الجار والمجرور الواقع خبرا مقدما وقوله من امر الله متعلق به وقوله بالاستمهال او الاستغفار لدفع ما يقال
كيف يصح للمعقبات ان يحفظوا احدا من امر الله وما قضاه عليه اي يحفظونه من بأس الله ونقمته
اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب او يحفظونه من المضار التي
من شانها ان يقتضي الله باصابتها اياه فان المعقبات لا يدعون لدفع المضار المقدرة ويدل
عليه ما روي عن مجاهد انه قال ما من مسلم ينام الا وكل به وكلاء من الملائكة يحفظونه من الجن
والهوام فاذا اراده شيء منها قالوا وراءك الا شيء قد قضي له ان يصيبه وما روي عن
عمرو بن جندب انه قال كنا جلوسا عند سعد بن قيس بصفين فاقبل علي رضي الله عنه يتوكأ على
عنزة له بعد ما اختلط الظلام فقال سعد يا امير المؤمنين قال نعم قال اما تخاف ان يغتالك احد
قال انه ليس من احد الا ومعه من الله حفظة يحفظونه من ان يتردى في بئر او يخر من جبل او
يصيبه حجر او يصيبه دابة فاذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر قوله وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
قال الجوهري الحرس حرس السلطان وهم الحراس الواحد حرسي لانه قد صار اسم جنس،،
فنسب اليه ولا تقول حارس الا ان تذهب الى معنى الحراسة والحفظ دون الجنس وقال الجلواز
الشرطي والجمع الجلاوزة وهم اعوان السلطان فالمقصود من الكلام على هذا القول توبيخ،،

قوله او من الاعمال ما قدم واخر والثلاث كلمة من على هذا تعليلية اي لاجله معقبات يعقب بعضهم بعضا في النزول الى الارض لاجل ما بين يديه من الاعمال ولاجل ما خلفه اي لاجل ان يكتبوا ما قدمه وما اخره من الاعمال والاقوال

... بعد الجلاوزة جمع جلواز ... ... كاتر ... ...

قوله يحفظونه ... يحفظون بزعمهم لا انهم يحفظون في الواقع اذ لا حافظ عن قضاء الله بحسب الواقع

كاتر ...

النافل المتمادي في غروره والتهكم على اتخاذه الجلاوزة والحرس بناء على توهم انهم يحفظونه من الله وقضائه شيئا كما يشاهد من بعض الملوك والسلاطين يتخذون الحرسة والشرطي لذلك والعاقل يعلم ان القضايا الالهية والنوازل المقدرة مما لا يمكن التحفظ منه فاتخاذهم لذلك سعي ضايع لا فائدة فيه **قوله** من امر الله اي من اجل ان الله تعالى امرهم بحفظه فكلمة من للتعليل والسببية كما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا وبدل على كونها للسببية انه قرئ يحفظونه بامر الله اي بسبب امر الله ثم انه تعالى يحفظونه من امر الله اي من بأسه ونقمته اذا اذنب او من المضار لما او بهم انه لا يجب احداث شيء من النقمة والعقوبة او شيء من المضار ازال ذلك الوهم بقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني انه تعالى انما يحفظهم اذا لم يغيروا ما بانفسهم من الطاعة وشكر ما انعم الله تعالى به عليهم الى المعصية والكفران فاذا غيروا ذلك الى الكفران والعصيان غير الله تعالى ما بهم من النعمة والعافية الى ضده ولا يحفظه من بأسه ولا من المضار ثم بين انه اذا حقت كلمة العذاب على هؤلاء الذين غيروا ما بانفسهم وحان وقت حلول النقمة بهم لا يحفظهم لذلك فلا مرد له اي لا يقدر احد على رده عنهم فتفرغ المعقبات عن حفظهم **قوله** وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف واحتيج الى تقديره لان المفعول له انما يجوز نصبه بتقدير اللام بشرطين احدهما ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل وثانيهما كونه مقارنا له في الوجود والشرط الاول منتف في الاية لان الخوف من صواعق البرق والطمع في غيثه ليسا بفعل لفاعل الفعل المعلل لان الاراءة فعل الله تعالى والخوف والطمع فعل المخاطبين ويحتمل ان يكون انتصابهما على ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال اما من المفعول الاول لقوله يريكم اي يريكم البرق حال كونكم خائفين من صواعقه طامعين في مطره او ذوي خوف وطمع واما من مفعوله الثاني وهو البرق اي يريكم اياه حال كونه ذا خوف وطمع او مخوفا ومطموعا على اطلاق المصدر بمعنى المفعول او حال كون البرق نفسه خائفا طامعا على اطلاق المصدر بمعنى الفاعل للمبالغة كما يقال رجل عدل للمبالغة والصاعقة نار لطيفة تسقط من السماء بحال هائلة قال المتنبي مدحا الممدوح شبه كالسحاب الجون يخشى ويرتجى برجى الحيا منها وتخشى الصواعق **قوله** وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه عطف على قوله خوفا من اذاه وطمعا في الغيث اختار ان يكون المخوف منه اذى البرق والمطموع فيه الغيث واستضعف ان يكون المخوف منه والمطموع فيه شيئا واحدا هو المطر ويكون الخائف منه والطامع فيه شخصان مختلفان واعلم انه تعالى لما خوف عباده بانزاله ما لا مرد له من السوء اتبعه بذكر آيات دالة على وجود صانع قادر على ما يشاء فقال هو الذي يريكم البرق الى قوله الرعد الصوت والبرق نار يكونان مع السحاب واراءة البرق مع السحاب دليل باهر على قدرة الله تعالى وذلك لان السحاب

جسم

وكنت ارى انك الطعهم من جوع

وبتقدير المضاف وكذا ان اريدا بالاخافة والاطماع يحمل الفاعل

فوري من الاحوال الجلية بالاحوال الشيخة حمل التنبيه على المعنى بالتبديل بما يضادها لا على تجدد ازالة النعمة ذلك لا يكون سببا لا ازالة الاعمار كي اذا شكر ما هو عليه من المنعمة ثم انه ليس معنى الاية لا ينزل باحد عقوبة الا بانه يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائبة بذنوب غيره كما قال صلى الله عليه وسلم انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث كذا ذكره القرطبي ثم قال ان العقوبة توجب العقوبة بل شكر او للاستدراج سنان

والقول بان تلك الاجزاء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت فرجعت الى الارض باطل لان الامطار مختلفة فتارة يكون قطراتها كبيرة وتارة يكون صغيرة وتارة يكون متقاربة واخرى يكون متباعدة وتارة تدوم زمانا طويلا وتارة لا تدوم فاختلاف الامطار في هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لا بد ان يكون بتخصيص الفاعل المختار وايضا فالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرع في نزول الغيث اثرا عظيما ولذلك كانت صلوة الاستسقاء مشروعة فعلمنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصية

جسم مركب من اجزاء رطبة مائية ومن اجزاء هوائية ولا شك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء جسم بارد رطب حكم والنار جسم حار يابس وحصول الضد من الضد وظهوره في خلاله في غاية البعد بحسب العقل فلا بد من صانع قادر يولف بين الماء والنار ثم قال وينشئ السحاب الثقال عطفا على قوله يريكم البرق فان هذه الاجرام الثقال بالمطر لا يقدر على انشائها واحداثها في جو الهواء الا الواحد القهار القادر على ما يشاء والسحاب اسم الجنس واحده سحابة وصف بثقال جمع ثقيلة لكونه في معنى الجمع يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونساء كرام **قوله** ويسبح سامعوه يعني ان اسناد التسبيح والحمد الى الرعد اسناد مجازي من قبيل اسناد الفعل على سبب فاعلية الفاعل لذلك فان الرعد صوت فليس من شانه ان يسبح ويحمد الا انه لما كان سببا لما لمن يسمعه على ان يسبح الله تعالى ويحمده اسند اليه التسبيح والتحميد اسنادا مجازيا فانه لما كان سببا لما لمن سمعه وهو رجاء المطر على ان يسبح الله تعالى ويحمده بان يقول سبحان الله والحمد لله صار كانه يسبح ويحمد بنفسه **قوله** او يدل الرعد بنفسه الخ عطف على قوله ويسبح سامعوه اي ويحتمل ان يكون المراد بتسبيح الرعد وتحميده ان يسبح ويحمد حقيقة بناء على ان التسبيح والتحميد ونحوهما ليس الا الدلالة على اتصاف ذاته تعالى بكونه منزها عن العجز والنقصان وموليا لجميع النعم على طريق التفضل والاحسان ولما كان حدوث الرعد بمعنى الصوت المخصوص دليلا دالا على وجود صانع متعال عن النقص والزوال موصوف بنعوت التفضل والاحسان كان ذلك في الحقيقة تسبيحا منه لله تعالى وتحميدا فلذلك وصف الرعد بمعنى الصوت المخصوص بانه يسبح ربه ملتبسا بحمده ولما كان قول المص ويسبح سامعوه مبنيا على ان يكون المراد منه الملك الموكل بالسحاب بناء على ما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله تعالى فقيل له عليه الصلوة والسلام فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب زجره حتى ينتهي الى حيث امر وقيل الرعد ملك يسوق السحاب فاذا تفرقت سحابة ضمها الى اصلها فاذا اشتد غضبه صارت من فيه نار هي الصاعقة وقيل الرعد ملك والبرق سوطه الذي يزجر به السحاب والله تعالى اعلم والمخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد به ههنا آلة يسوق بها الملائكة السحاب على تقدير ان يكون المراد بالرعد الملك الموكل بالسحاب يكون المراد بالملائكة في قوله والملائكة من خيفته ما عدا ذلك الملك لما اشتهر من ان العام اذا عطف على الخاص يراد به الافراد المغايرة لذلك الخاص وقيل المراد بهؤلاء الملائكة اعوان الرعد فان الله تعالى جعل له اعوانا فهم خائفون خاضعون طائعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده و

مور فيجيبون سبحان الله وبحمده ولله وهذا بعيد ايضا لان عند اهل السنة ليست بشرط لحصول الحيوة فلا يبعد ان يخلق الله الحيوة والعلم والقدرة والنطق في اجرام السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له وقد كان يسبح الجبال في زمن داود شرح الم

قالت الفلاسفة الريح اذا احتقنت في داخل جرم السحاب استوت البرد على ظاهره فالجهد السطح الظاهر منه ثم ان ذلك الريح يمزقه تمزيقا عنيفا فيتولد من ذلك التمزيق الشديد حركة عنيفة وهي واجبة للسخونة وهو البرق ورد بانه لو كان الامر كذلك لوجب ايضا ان يحصل البرق ان يحصل الرعد وهو الصوت الحادث من تمزق السحاب وليس كذلك اذ كثيرا ما يحدث البرق القوي ولا يحصل الرعد والصوت الحادث انما يحصل بحدوث البرق شرح الم

والملائكة من خيفته وعلى كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي ديته وعن عبد الله بن الزبير رضي الله
عنهما أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من
خيفته وعن محمد بن علي الباقر قال إن الصاعقة تصيب المسلم والكافر ولا تصيب الذاكر وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد الرعد كان
يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه قال إن الملائكة خائفون من الله وليس خوفهم كخوف بني آدم فإنه لا يعرف أحدهم من
على يمينه ومن على يساره ولا يشغلهم عن عبادة الله تعالى طعام ولا شراب ولا شيء أصلا يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ثم اختصاصهم بذلك لأنهم أعلم بعظمة الله تعالى وكبريائه فهم أشد خوفا من بعض
رجلا قال إنما يخشى الله من عباده العلماء ثم قال ويرسل الصواعق إلخ فإن إرسال الصاعقة من أظهر
الدلائل على وجود الصانع القادر على كل شيء لأنها نار تتولد في السحاب المركب من الأجزاء المائية
والهوائية وأغلب أجزائه ماء فتولد النار في مثل هذا المركب بعيد عن مقتضى العقل مع أن نارية
الصاعقة أشد وأقوى بالنسبة إلى النار التي يشعلها الإنسان لما شاهد من أثرها لا يشبه أثر ما
عندنا من النار فاختصاصها بتلك القوة لا بد أن يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار إياها بذلك
قوله والواو إما لعطف الجملة أي جملة قوله وهم يجادلون على جملة قوله تعالى هو الذي يريكم البرق
خوفا وطمعا إلى آخر الآيات الدالة على وجود الصانع القادر على كل شيء ومن جملته البعث
والجزاء ذكر الله تعالى ما يدل على إحاطة علمه بجميع المعلومات وكمال حكمته وقدرته على كل شيء ثم أخبر
أن مكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون فيما وصف الله تعالى به من كمال العلم والقدرة والتفرد
بالألوهية وبعث من في القبور والحساب والجزاء ويقولون من يحيي العظام وهي رميم ويثبتون له
شركاء وأندادا وينسبون إليه الولد ويقولون الملائكة بنات الله ويقولون آلهتنا خير أم الله أو
يقولون له عليه الصلاة والسلام صف لنا ربك وبين أنه من أي شيء أهو من خشب أم حديد
أم ذهب أم فضة بعد سماع الدلائل الدالة على أنه إله واحد ليس كمثله شيء وأنه منزه عن الشركاء
والأنداد وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن علمه محيط بجميع المعلومات وقدرته متعلقة بجميع المقدورات
قوله أو للحال أي من مفعول يصيب أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم كما أصاب أربد بن ربيعة أخا لبيد
الشاعر حال كون عامر بن الطفيل يجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول عامر غدة وموت
روي من فرعين بمنصرا صابني غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وسلول قبيلة من
العرب أرذل القبائل ثم توجههم إلى الله أنكر أتيت بشطاهر أنجاه سلولتي قبال على نعلي فقلت اقطعوها
بارك الله فيكم إنه لكريم غير مدخلا رجلا كان عامرا يقول أبلغت بأمرين كل واحد منهما أشر من

حتى إذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان في البحر

قوله فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة فقتله ظاهره أن هذا كان في المجلس ... [illegible]

من الآخر أحدهما أن غدة كغدة البعير وثانيهما أن موته موت في بيت أرذل الخلائق والغدة الطاعون
المخصوص بالإبل وقلما يسلم منه يقال أغد البعير أي صار ذا غدة وهي طاعونه روي أن عامرا أوصى
إلى أربد بن ربيعة أني إذا رأيتني أكلم محمدا فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويقول ما لي إن أسلمت فقال عليه الصلاة والسلام لك ما للمسلمين وعليك ما على
المسلمين فقال أتجعل لي الأمر بعدك فقال ليس ذلك إلي إنما ذلك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على
الوبر وأنت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أليس ذلك لي
اليوم فدار أربد خلف النبي صلى الله عليه وسلم وعامر في المجادلة معه عليه الصلاة والسلام ليضربه عليه
الصلاة والسلام بسيفه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى عنه فلم يقدر على سله وجعل
عامر يومئ إليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما
أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فأرسل الله ملكا فلطمه بجناحه فأذراه في التراب وخرجت على
ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول أغدة كغدة البعير وموت في بيت
سلولية ثم دعا بفرسه ثم أجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله تعالى دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم
فقتل عامرا بالطاعون وأربد بالصاعقة فنزل قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
وهم يجادلون في الله والحال أنهم في المجادلة معه عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالإله قوله
وهو شديد المحال حال من الجلالة الكريمة أي وهم يجادلون في الله والحال أنه شديد المكر والكيد
لأعدائه يهلكهم من حيث لا يحتسبون والمحال المماحلة وهي شدة المكايدة والمماكرة يقال تمحل لكذا
إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان وقد يطلق
المحل على القوة يقال محل به إذا غلبه قوله وقيل فعال من المحل بمعنى القوة عطف على قوله ولعل أصل المحل
بمعنى الخطاء ولعل وجه ترجيح ما اختاره أن كون المحل بمعنى القوة ليس بمشهور فلذلك لم يذكر في
الصحاح قوله وقيل مفعل من الحول أو الحيلة فيكون أصله محولا أو محيلا فقلبت واوه أو ياؤه ألفا
على غير قياس فالميم على هذا زائدة كما في مزور ومحور ومبعود بخلاف ما إذا كان المحال مصدر ماحل
من المحل بمعنى الكيد أو بمعنى الخطاء أو بمعنى القوة فإن الميم حينئذ يكون فاء الفعل وفي الصحاح الحيلة
بالكسر من الاحتيال وهو من ذوات الواو وكذا الحيل يقال لا حيل ولا قوة لغة في لا حول وأما المحل كون
المحال من الحول أو الحيلة بقراءة من قرأ بفتح الميم فإنه مصدر بمعنى الاحتيال والأصل في القراءات أن
يفسر بعضها بعضا قوله ويجوز أن يكون بمعنى الفقار وهو عمود الظهر فإن المحال لغة فيه أيضا فيقال
فرس عقد المحال أي قوي الفقار الواحدة محالة والميم أصلية قولهم ساعد الله أشد وموساه

والسلولية قبيلة من العرب الأرذل منهم ... [illegible]

قوله والمحال ... [illegible]

المحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ يقال محل البلد وأمحل البلد إذا أصابهم القحط والمحل المكر والكيد يقال محل به إذا سعى به إلى السلطان وفي الدعاء لا تجعله علينا ماحلا مصدقا أي خصما مجادلا مصدقا على أن يكون من قولهم محل بفلان إلى السلطان إذا سعى به إليه قيل معناه اللهم اجعله لنا شافعا مشفعا والضمير للقرآن يعني أن من اتبعه وعمل بما فيه كان شافعا له مقبول الشفاعة ومصدقا عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به

احد معناه انه تعالى لو اراد تحريم البحر يشق اذنها لخلقها كذلك بان يقول لها كن مشقوقة الاذن فيكون
كذلك قوله الدعاء الحق اشارة الى ان قوله تعالى دعوة الحق من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة كما
في كلمة الحق وان الدعاء بمعنى العبادة والتضرع لقضاء الحاجة فان الحق لا يعبد ولا يدعو الا الله لانه
هو المستحق لان يعبد ويدعى فعبادته والتضرع اليه حق واقع في موقعه فالكلام محمول على ظاهره
على رأي الكوفيين فانهم يجوزون اضافة الموصوف الى الصفة وعند غيرهم محمول على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي له عبادة اهل الحق ودعاؤهم فانهم لا يعبدون غيره ولا
يتضرعون الا اليه وحذف اهل المضاف اليه واضيفت الدعوة الى الحق لما بينهما من الملابسة
فان عبادتهم ملابسة بالحق واقعة في موقعها لكونها عبارة لمن يحق ان يعبد قوله او يدعى الى عبادته
اي ويحتمل ان يكون اصل الكلام ولله دعوة الخلق الى عبادته فالتقدير الثاني على ان الدعوة بمعناها
وحذف فاعلها واضيفت الى مفعولها وهو الحق بمعنى عبادة الخالق فان الدعوة الى عبادة الخالق
مختصة به تعالى لانه هو المختص بها دون غيره فاضيفت الدعوة الى الحق بمعنى العبادة للملابسة بينهما
ويحتمل ان يكون المراد بدعوة الحق الدعوة المستجابة الغير الضايعة كالاشتغال من الاصنام
فانها ضايعة باطلة فاضيفت الدعوة الى صفته التي هو الحق بمعنى المستجاب للملابسة بينهما ويدل
هذا الاحتمال قوله تعالى والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء قوله او على تأويل دعوة
المدعو الحق عطف على عطف على قوله لما بينهما من الملابسة اي ويحتمل ان يكون اضافة الدعوة الى
الحق بناء على التأويل المذكور في نحو مسجد الجامع وبقلة الحمقاء حتى لا يكون من قبيل اضافة الموصوف
الى صفته بان يحمل الكلام على حذف المضاف الذي هو الموصوف بانه الحق قوله وقيل الحق هو الله
يرد عليه ان الكلام ح يكون نظير قولنا ان يقال لله دعوة الله وان يقال لزيد دعوة زيد ولا معنى له الا
ان يقال اللام فيه ليس لام العلة فمعنى الكلام كل دعاء يتوجه الى الحق انما يتوجه اليه لالوهيته وكونه جامعا
لجميع صفات الكمال التي من جملتها كونه مجيبا للسائلين قوله والمراد بالجملتين وهما قوله وهو
شديد المحال وقوله له دعوة الحق يعني ان قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون
في الله ان انزل في عامر واربد بان يكون قوله وهم يجادلون في الله حالا من مفعول يصيب يكون كل واحد
من الجملتين كلاما مستأنفا لتعليل قوله فيصيب من يشاء وهو عامر واربد ويكون المعنى اصابة
الصاعقة باربد واصابة الغدة بصاحبه بمحال من الله تعالى ومكر بهما لا يشعران وان دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت دعوة الحق اي دعوة مجابة وان هلاكهما
بذلك اجابة لدعوته عليه الصلوة والسلام على ان يكون قوله تعالى الدعوة الحق بمعنى له الدعوة المجابة
او ان اصابة ما اصابهما ايتهما دليل على انه عليه الصلوة والسلام على الحق في دعائه بقوله اللهم

والمعنى ان الدعوة الحق التي هي التضرع والعبادة فسلطانا يكون حقا وصوابا وربما يكون باطلا وخطأ فانه يكون حقا مختصا به تعالى لا يشاركه فيها غيره (منه)

الا انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فيكون الكلام مشعرا باختصاص الدعوة والعبادة اي بالدعوة المختصة بكونها حقا فاضيفت الدعوة الى الحق لكون الاضافة مفيدة لاختصاص المضاف بالمضاف اليه (منه)

قوله او على الدعوة المجابة على ان الحق بمعنى الثابت اي الغير الضايع اي اطلق وعلى الاول بمعنى المتحقق اللايق الغير الباطل وعلى الثاني بمعنى كان اطلاقه على الحق يكون الحق ما يقابل الباطل ويكون بينه وبين الدعوة ملابسة الوصفية والموصوفية المصححة لاضافتها (منه)

اللهم اكفنيهما بما شئت من حيث انه تعالى له الدعاء الحق وانه لا يجيب ذلك الا هو وان نزلت في عامة
المجادلين يكون وعيد الكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله تعالى بهم وتهديدا
لهم باجابة دعائه عليه الصلوة والسلام عليهم او بيانا لضلالهم وفساد رأيهم في المجادلة و
الدعوة لالهتهم لان التهديد انما يكون على الضلال ولان تخصيص دعوة الحق به تعالى يدل على ان
دعوة المشركين لالهتهم ضلال عن الحق ثم بين ضلالهم في دعوتهم لالهتهم بقوله والذين يد
عون من دونه لا يستجيبون لهم والموصول فيه ان كان عبارة عن الاصنام يكون الراجع اليه
محذوفا هو مفعول يدعون لان المستكن في يدعون ضمير المشركين فلا يصح رجوعه الى الاصنام و
التقدير والاصنام الذين يدعوهم المشركون وقدم المص هذا الاحتمال في الذكر بناء على ان الاصل
في القراءات توافقها في المعنى وان كان عبارة عن المشركين يكون المحذوف مفعول يدعون وهو
الاصنام لان المستكن فيه راجع الى الموصول ح وحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لانه حال
من المفعول المحذوف ليدعون وفاعل قوله لا يستجيبون راجع الى مفعول يدعون المحذوف عاد اليه
ضمير العقلاء لمعاملتهم اياه معاملة العقلاء والتقدير والمشركون الذين يدعون الاصنام لا تجيب
لهم الاصنام الا استجابة مثل استجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء المستقر في قعر البئر من بسط كفيه
اليه يطلب منه ان يبلغ فاه وما هو ببالغه وكيف يبلغه الماء والباسط على شفير البئر والماء في
قعرها مع ان الماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه
ويبلغ فاه وكذلك ما يدعوه المشركون جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وتلخيص المعنى لا ينتفع عبدة الاصنام بدعائهم اياها الا كانتفاع من يمد يده الى الماء
وهو لا يصل اليه واللام في قوله ليبلغ فاه متعلقة بقوله باسط والمستكن فيه ضمير الماء قوله الا
استجابة من بسط الاستثناء فيه مفرغ من اعم عام المصدر اي لا يستجيب الاصنام شيئا من الاستجابة
الا استجابة مثل من بسط كفيه اي مثل استجابة الماء من بسط على ان اضافة الاستجابة الى من
من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله فان فاعلها الماء ومن بسط مفعوله والاستجابة بمعنى الاجابة كما في قوله
وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب قوله وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم
للاصنام عبر بالقلة عن العدم مبالغة في ابطال الصدق واشمام الطرف لمن التهكم وهو عطف
على قوله الا استجابة الخ اي شبه المشركون الذين يدعون الاصنام ويعبدونها بمن اراد ان يغترف
الماء ليشرب فبسط كفيه الى الماء ناشر اصابعه في عدم انتفاع كل واحد منهما بسعيه فهو تشبيه
المفرد المقيد باخر مثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه شيء من المنفعة هو كالراقم على الماء فان المشبه
هنا ليس هو مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكون رقمه على الماء وكذلك الا

فيما نحن فيه شبه المشركون متعبدا لكونه يدعو الصنم ويعبده بباسط كفيه متعبدا بغيد كونه سطها
الى الماء ليبلغ فاه وبسكن عطشه في حرمان كل واحد منهما عما قصده بفعله فعلى هذا يكون الاستثناء مفرغا
من اعم الاحوال لا يستجيب الاصنام لهؤلاء المشركين في حال من الاحوال الا في حال كون المشركين مشبهين
بباسط كفيه الى الماء بحذف ما اذا كان التشبيه تمثيلا على طريق تشبيه الهيئة المنتزعة من عدة امور
باخرى مثلها كما يفهم من تقرير المص فانه يفهم من كلامه انه شبه حال الاصنام مع من دعاهم
من المشركين ومن عدم استجابتهم الى طلبة المشركين وعدم فوز المشركين من دعائهم الاصنام
شيئا من الاستجابة بحال الماء الواقع بمرأى من العطشان الذي بسط اليه كفيه يطلب به ان يبلغ
الماء فاه ويكسر عطشه ببرد كبده ووجه الشبه عدم استطاعة المطلوب منه اجابة الدعاء وخيبة
الطالب عن نيل ما هو اقصى مرامه من فعله وهذا كما ترى منتزع من عدة امور قوله وقرئ
تدعون بالتاء الفوقانية وحينئذ يتعين ان يكون قوله الذين عبارة عن الاصنام بحذف العائد الذي
هو مفعول تدعون اذ لا معنى لان يقال المشركون الذين تدعون ولما كان الموصول في هذه القراءة
عبارة عن الاصنام قدم المص احتمال كونه عبارة عن الاصنام في القراءة بالياء التحتانية لان
الاصل عند اختلاف القراآت توافقها في المعنى قوله الا في ضياع وخسار فان دعاء الكافرين
اصنامهم مبناه على زعم ان الاصنام يشفع لهم عند الله ضائع لا منفعة فيه ويخسرون بذلك حيث
يستحقون به الخلود في النار وكذا دعاؤهم لله في ضياع ايضا لانه تعالى لا يجيب دعاءهم لكفرهم وبعد
هم من الله تعالى مع قربه ثم انه تعالى لما سفه المشركين وبين خيبتهم عن طلبتهم بدعائهم من دون
الله تعالى زاد في تجهيلهم بقوله ولله يسجد من في السموات والارض يعني ان اهل السموات والارض كلهم يخضعون
سجودهم لله تعالى يسجدون له طوعا كالملائكة والمؤمنين من الثقلين في الشدة والرخاء و
منهم من يسجد له كرها كالمنافقين والكفار المجاهرين فانهم يسجدون له حالة الشدة والاضطرار
ويسجد له ظلال هؤلاء الساجدين مطلقا بالعرض نقلا لهم عن مجاهد انه قال ظل المؤمن يسجد
لله تعالى طوعا كما ان المؤمن يسجد له طوعا وظل الكافر يسجد له كرها كالكافر نفسه وبالجملة سجود الظل
يتبع سجود اصله ان سجد اصله طوعا يسجد له ظله طوعا وان سجد اصله كرها يسجد ظله كرها و
هذا على تقدير ان يكون المراد بالسجود معناه الشرعي الحقيقي وهو وضع الجبهة على الارض ويحتمل
ان يكون المراد به انقياد اهل السموات والارض لما اراد الله تعالى احداثه فيهم شاؤا او ابوا وعدم
اقتدارهم على ان يمتنعوا عليه تعالى في ذلك وانقياد ظلالهم لما اراد الله تعالى من التصرف فيها من الامتداد
والتقلص والفيء والزوال من جانب الى جانب قوله وانتصاب طوعا وكرها بالحال
اي طائعين وكارهين والعلة اي انهم يسجدون لكونهم طائعين وكارهين ولعل المراد بكون

لكون الكره علة لسجودهم انه تعالى يلجئهم الى السجود بانزال الشدائد عليهم لكونهم كارهين
قوله ظرف ليسجد على ان الباء بمعنى في اي يسجد هؤلاء المذكورون في هذين الوقتين والغدو
نقيض الرواح وهو الصباح للجوهري الرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس
الى الليل وقد يكون مصدرا تقول راح يروح رواحا وهو نقيض قولك غدا يغدو غدوا وقوله تعالى
بالغدو والاصال اي بالغدوات فعبر بالفعل عن الوقت كما يقال آتيك طلوع الشمس اي وقت
طلوعها والاصيل ما بين العصر الى غروب الشمس والمراد بسجودهم في هذين الوقتين الدوام
لان سجود هؤلاء المذكورين سواء اريد به حقيقة السجود او الانقياد لا اختصاص له بالوقتين
وتخصيصهما بالذكر مع ان ما ذكر ساجد لله تعالى منقاد له في عموم الاوقات ولا يختص بوقت
دون وقت لان انقياد الظلال له تعالى بالامتداد والتقلص اظهر في هذين الوقتين ثم انه
تعالى لما صرح بان جميع الكائنات ينقاد له ويخضع لجلاله وجريا على مقتضى العبودية عاد الى
الرد على المشركين في دعائهم ما دون الله تعالى بان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسألهم
سؤال تقرير فقال قل من رب السموات والارض ولما تعين لهم ان يجيبوا بالاقرار بان لا رب لها سواه
تعالى امره عليه الصلوة والسلام بان يتولى الجواب بنفسه تنبيها على تعين الجواب بذلك وعلى
خطائهم في دعاء غيره تعالى وعبادتهم اياه فكانه حكاية لاعترافهم بذلك وتأكيد عليهم ثم
الزمهم الحجة وبين جهالتهم فقال قل افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد اقراركم بذلك تتخذون
من دونه اولياء ثم ضرب مثلا للذي يخص الله تعالى بالعبادة ولمن يشرك به تعالى غيره في العبادة
فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير يعني المشرك الذي لا يميز الرشد من الغي والمؤمن
الذي يعرف الحق والصواب فيتبعه ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الجهل والعلم فانه
تعالى لما احتج على ضلال من يدعو الاصنام من دونه تعالى بتشبيه حال الاصنام مع من
يدعونها من المشركين بحال الماء مع من بسط اليه كفيه ليبلغ فاه ويزيل عطشه في ضياع سعيه
في الحرمان عن الظفر بما اراده من دعائه كحرمان باسط كفيه الى الماء عن الظفر بما اراده من
بسط كفيه الى الماء واحتج على ضلالهم ثانيا بان ما يدعونه من دون الله تعالى لا يملك ان يجلب لنفسه
نفعا ولا ان يدفع عنها ضرا فضلا عن يملك ذلك لغيره فكيف يصح ان يدعى طمعا لذلك منه ثم
شبه من تمسك بانهى الحجتين وبصر بهما بالبصير ولا سماه بصيرا او جاهلا شبه الجاهل المعرض
عنهما بالاعمى وسماه اعمى ثم ذكر ان الجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات والعلم بها كالنور وكما ان كل
احد يعلم بالضرورة ان الاعمى لا يساوي البصير وان الظلمة لا تساوي النور كذلك يعلم كل احد
بالضرورة ان الجاهل بمثل هذه الحجة لا يساوي العالم بها وهذا معنى قوله تعالى قل هل يستوي الاعمى

شبه المتمسك بالدليل بالبصير فيما يجب والبيان ... من اعرض عن الدليل واتبع هواه بالاعمى صح

قوله داخلة في حكم الانكار اي نفي الخلق منفي لا قيده كما يدل عليه قوله ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين والمراد بقوله لكنه الاشتراك انه نفي الخلق ثم النفي التقييد حتى يرجع النفي
الى القيد وحاصله نفي جعلهم شركاء الذين يقدرون على ما يقدر عليه على ما وجهه واثبات جعلهم شركاء عاجزين عما يقدر عليه الخلق بجهلهم غاية التجهيل ومعنى الاضراب
ان تمسكهم المذكور لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة فحكاية ذلك ادخل في الذم وفيه طرف من التهكم منه

والبصراء هل تستوي الظلمات والنور قوله وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يستوي الظلمات بالياء
من تحت والباقون من فوق باعتبار ان الفعل مسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي ومثل هذا الفعل
يجوز فيه التذكير والتانيث والفاء في قوله افاتخذتم سببية مرتبة للكلام الثاني على الاول
وادخل همزة الانكار بين السبب والمسبب انكارا على تعكيس الامر وهو ان من علم انه تعالى رب السموات
والارض وجب عليه ان يعبده ويوحده فهم جعلوا ذلك العلم سببا للاشراك به اذ دخلت همزة الانكار
على الفاء لان المنكر الاتخاذ بعد العلم والاقرار فانه اقبح من الاتخاذ بدونه قوله وهو دليل ثان على
ضلالهم والدليل الاول ان من كان جمادا لا يحس دعاء من دعاه ولا يقدر على اجابته كيف يصح ان
يدعى ويعبد قوله بل اجعلوا لله شركاء يعني ان كلمة ام منقطعة متضمنة بمعنى بل الاضرابية والهمزة
الانكارية ووجه الاضراب انه تعالى حملهم اولا على الاقرار بان رب السموات والارض هو الله تعالى ورتب
على اقرارهم به التعنيف والتوبيخ على تعكيسهم الامر حيث اتخذوا من دونه اولياء مع ان اقرارهم
بانه تعالى رب السموات والارض يقتضي ان يوحدوه ويخصوه بالعبادة ثم ذيل ذلك التعنيف والتوبيخ بان
شبههم بالعميان لعدم اهتدائهم الى الحق بالحجج والبينات وشبه جهلهم بالحق بالظلمة ولزم من ذلك
تشبيه من تبصر واهتدى الى الحق باتباع الحجة والبرهان بالبصير وتشبيه ما اتضح له من الحق بالنور
ثم اضرب عن التوبيخ عليهم بجعلهم ما هو سبب للتوحيد والايمان سببا للاشراك والكفران الى
انكار اتخاذهم شركاء لا يذهب الوهم الى صلاحيتهم لذلك الاتخاذ حيث اتخذوا شركاء لا يقدرون
على احداث ما يقدر الخلق على احداثه فضلا عن ان يخلقوا كخلقه تعالى فظهر بذلك ان تمسكهم ذلك
لم ينشا عن شبهة فضلا عن حجة فالاضراب الى هذا الانكار ادخل في ذمهم وبيان ضلالهم
فكان اتم بالنسبة الى ما ذكر قبله فلذلك عدل اليه قوله جعل الخلق موجب العبادة فان توبيخ
المشركين على اتخاذهم شركاء عاجزين عن الخلق في قوة ان يقال ان شركاءهم لو قدروا على
الخلق لاستحقوا العبادة لان الخلق والايجاد اصل جميع النعم فلما كانت نعمة الايجاد اصل جميع النعم
كانت موجبة للعبادة التي هي شكر للمنعم بمقابلة نعمته وشكر المنعم واجب على المنعم عليه ومن لا يقدر
على الخلق لا يستحق العبادة وسواه تعالى لما لم يقدر على الخلق لم يستحق العبادة احد سواه تعالى
لانتفاء لازم استحقاق العبادة عنه وهو الخلق فثبت انه تعالى هو المنفرد بالالوهية والربوبية
قوله بمقدارها اي بمقدار الاودية التي عبر بها عن الماء الجاري فيها على طريق ذكر المحل وارادة الحال
لما مثل الله تعالى المؤمن وما هو عليه من الايمان بالبصير والنور ومثل الكافر وكفره بالاعمى والظلمة
اكد تمثيل الايمان والكفر بالنور والظلمة بتمثيل الحق الذي هو التوحيد والطاعة بالماء الصافي
وبالفلز الخالص ومثل الباطل الذي هو الشرك والعصيان بزبدهما وبين وجه الشبه بما انتفع

اعلم ان همزة الاستفهام اذا كانت للانكار يكون الانكار على احد معنيين على الاول لم كان كذلك والثاني لم يكن كذا والانكار ههنا بالمعنى الثاني كما اشار اليه بقوله والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله تعالى عليه فاستحقوا العبادة كما استحقها فنتخذهم له تعالى شركاء ونعبدهم كما نعبد الله تعالى اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عن ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق منه

بما انتفع الناس به من الزبد باطلا مطروحا ومن الثبات نافعا مقبولا ومن المعلوم ان الكتب
الالهية وكلام الحكماء مشحونة بالامثال لما في تكثيرها من الفوائد قوله انزل من السماء ماء اي
من السحاب على ان يكون المراد بسماء الشيء ما علاه كما يراد بسماء البيت سقفه او من جانب
السماء بتقدير المضاف او من السماء نفسها بناء على ان مبادي المطر تنزل منها قوله فاسالت فيه
يعني ان الاودية مجاز مرسل من قبيل ذكر المحل وارادة الحال لان الوادي في الاصل مجرى الماء
واريد في الآية النهر الذي يجري فيه بقرينة اسناد السيلان وتنكير اودية للابهام لان المطر انما
ياتي في البقاع على المناوبة فيسيل بعض اودية الارض دون بعض قوله بقدرها الذي يعلم
الله تعالى انه نافع على تقدير ان يجعل الاودية مجازا عن الماء الذي يجري فيها قوله او بمقدارها في الصغر
والكبر على تقدير ان يراد بالاودية معناها الحقيقي اي ان صغر الوادي قل الماء وان اتسع كثر الماء قدم
التفسير الاول لان المقصود من الكلام تمثيل الحق والباطل بالماء الذي ينتفع به الناس وبزبده
والماء انما ينتفع به اذا نزل على المقدار الذي علم الله تعالى انه نافع لان بعض الانهار السائلة يتضرر
به الناس لكونه مهلكا لكل ما يمر عليه فناسب ان يفسر قوله بقدرها بالقدر الذي لا يتضرر به الناس
من الماء ويؤيد هذا التفسير انه تعالى اسند السيلان الى الاودية فدل ذلك على ان المراد بالاودية المياه الجارية
فيها على طريق ذكر المحل وارادة الحال وانث ضمير بقدرها رعاية للفظ اودية قوله رفعه اشارة الى
ان احتمل بمعنى حمل فان افتعل قد يكون بمعنى فعل نحو جال واجتال وتعريف السيلان للاشارة الى
حصة معينة من حقيقة السيل ولتقدم ذكرها كناية بذكر الفعل الدال عليها وهو قوله فسالت
قوله وضر الغليان اي الوسخ والكدر الذي يعلو وجه الماء بالغليان والظاهر ان قيد الغليان بناء
على الغالب لان الزبد اسم لكل ما علا وجه الماء من رغوة وغيرها سواء حصل بالغليان او بغيره
قوله تعالى ومما توقدون عليه خبر مقدم لقوله زبد ومثله صفة لزبد مصححة للابتداء بالمنكر ومن في
قوله مما لابتداء الغاية اي زبد مثل زبد الماء ناشئ مما توقدون عليه او للتبعيض اي زبد مثله بعض
ما توقدون عليه وتلخيص المعنى المتقد عليه من جواهر الارض له زبد مثل الزبد الذي يكون على وجه
الماء يعلو عليه اذا اذيب فالصافي ينتفع به كما ينتفع بالماء وزبده يبطل كما يبطل زبد الماء والفلزات
جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي وهو ما في الارض من الجواهر المعدنية كالذهب والفضة
والنحاس وغيرها قوله على وجه التهاون بها وجه التهاون انه عدل عن التعبير عنها باسمها الظاهر مثل ان
يقال الفلزات الارضية او الجواهر المعدنية ونحوها وعبر عنها بما يدل على حالة هي احط حالات هذه
الجواهر وهي كونها يوقد عليها النار وتذاب بها ولما ورد ان يقال جعل هذا التعبير مبنيا على ارادة
التهاون بها لا يناسب المقام لان المقصود تمثيل الحق بها وتحقيرها لا يناسب ذلك اشار الى جوابه

اي انما اريد على تقدير ان يجعل الاودية مجازا عن الانهار وان جعلته حقيقة فقط منه

الاجساد السبعة الذهب والفضة والرصاص والحديد والنحاس والانك والقلعي منه

بقوله اظهارا الكبريائه يعني ان حقارتها عند خالقها لا ينافي عزة قدرها عند المخلوقات قوله تعالى عليه
متعلق بقوله توقدون وقوله في النار في محل النصب على انه حال من كلمة ما او من ضمير عليه اي يوقدون
عليه حال كونه كائنا او ثابتا في النار وقوله ابتغاء حلية مفعول له علة للايقاد و يجوز ان يكون
مصدرا في موضع الحال اي مبتغين حلية يتزينون بها وقوله او متاع عطف على حلية والمتاع كالاواني
يتمتع به ومن قرأ يوقدون بياء الغيبة اسند الفعل الى ضمير الناس لكونه في حكم المذكور قوله
مثل الحق والباطل فحذف المضاف لان ما ضرب الله به ليس نفس الحق والباطل بل هو مثلهما و
الغثاء جمع غثاة وهي ما يحمله الماء ويقال له بالفارسية كاريز ويطلق الغثاة ايضا على
الريح الصغير قوله وبالفلز عطف على قوله بالماء قوله والباطل منصوب بالعطف على الحق في قوله
مثل الحق قوله وبيتين ذلك ان يبين كون وجه الشبه ما اشار اليه بقوله مثل الحق في افادته وثباته
وقوله ومثل الباطل في قلة نفعه وسرعة زواله ان يبين ذلك بما اثبته للمشبه به من الذهاب باطلا
والثبات نافعا قوله جفاء ان مرميا به يقال جفى الوادي جفاء اذا رمى بالغثاء والزبد وجفأت القدر
بزبدها اي رمى به عند الغليان وانتصابه على الحال من فاعل يذهب واجفاء لغة في جفاء والجفال
بالضم ما نفاه السيل وجفالة القدر ما اخذته من رأسها بالمغرفة والكاف في قوله كذلك في محل النصب
بيضرب اي مثل ذلك الضرب والبيان يضرب الله ويبين مثل الحق والباطل مثل الحق والباطل
بالماء الصافي وزبده وبفلز الارض وزبده ثم ما رمثل ذلك الضرب والبيان يضرب الله ويبين
المسائل المشتبهة قوله على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما يعني على تقدير كون
اللام متعلقة بيضرب يكون الكلام مبنيا على المسامحة بناء على ظهور المراد ودعوى كون المثل المضروب
في الآية وهو الماء الصافي الذي يمكث في الارض والفلز الخالص وزبدهما على تقدير ان يجعل
اللام متعلقة بيضرب يكون مضروبا لانفس الفريقين ومثلا لهما وليس كذلك بل هو مثل لشأنهما وهو
استجابة احدهما وعدم استجابة الآخر فان اجابة المؤمنين الى ما دعاهم اليه ربهم من توحيد و
طاعة كالماء الصافي والفلز الخالص في كونها نافعة لهم وعدم اجابة الكفرة اليه بمنزلة زبد الماء
والفلز في البطلان فمن جعل اللام متعلقة بيضرب وجعل الحسنى صفة لمصدر استجابوا المحذوف
وجعل قوله والذين لم يستجيبوا معطوفا على الموصول المذكور قبله جعل المثل المذكور مضروبا لانفس
الفريقين وهو مضروب لشأنهما ومن وقف عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وابتدأ بقوله
للذين استجابوا لربهم الحسنى جعل الظرف مستقرا غير معمول ليضرب حتى يرتكب المسامحة فيكون الحسنى
مبتدأ خبره قوله للذين استجابوا قدم عليه ليفيد الاختصاص ويكون قوله والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره قوله لو ان لهم الى اخر الآية وعلى ما اختاره المص يكون قوله لو ان لهم الخ كلاما مبتدأ لبيان

وجعلوا ان يكون متعلقا بيوقدون ايضا ثم

لبيان مآل غير المستجيبين وليت شعري ان المص لم اختار كون الظرف لغوا متعلقا بيضرب
والظاهر ما ضعفه اولى من الذي اختاره لخلوه عن ارتكاب المسامحة ولان ثواب المستجيبين
يكون مذكورا على هذا القول كما ذكر عقاب غير المستجيبين بخلاف ما اختاره المص لان الاجابة
تكون مقيدة بالحسنى على ما اختاره ولا تقابل بينهما وبين عدم الاستجابة مطلقا وهو المذكور
في الآية والمهاد فعال بمعنى الممهود المبسوط كاللباس بمعنى الملبوس والكتاب بمعنى المكتوب من
مهدت الفراش مهدا اي بسطته اطلق ههنا بمعنى المستقر مطلقا ثم انه تعالى لما مثل المشركين
الجاهلين بمنحى العبادة والاستجابة الى ما دعى اليه بالاعمى ومثل المؤمن العالم بالبصير
وانكر تحقق الاستواء والمشابهة بينهما ما لا يعد ذلك افمن يعلم كمن هو اعمى بادخال همزة
الانكار على الفاء السببية الدالة على كون ما بعدها على ما قبلها كانه قيل ابعد ما علمتم ان العالم
المحق كالبصير وان الجاهل المبطل كالاعمى هل بقيت شبهة المشابهة بين الفريقين فان
انتفاء المشابهة بين الاعمى والبصير معلوم لكل احد ثم ذكر انه لا ينتفع بهذه الامثال الا اولوا
الالباب الذين ينتقلون من كل صورة الى معناها ومن ظاهر كل حديث الى ما هو سره ولبابه
قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله مبتدأ خبره اولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد
الله اولئك لهم اللعنة ويحتمل ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه لان عطف الجملة
الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة يشهد بكون الموصول الاول
مبتدأ كما في الجملة المعطوفة وان اجريت الموصولات المذكورة وما في حيزها على اولي الالباب
على انها صفات لهم يكون قوله اولئك لهم عقبى الدار استئنافا بذكر صفات من استوفى عنهم
الحديث اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم عقبى الدار بسبب اتصافهم بتلك الصفات فان
الاستئناف قد يكون باعادة اسم ما وقع عنه الاستئناف كما في قولك احسنت الى زيد زيد حقيق
بالاحسان وقد يكون بذكر صفته دون اسمه كما في قولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل
لذلك والسؤال المقدر فيهما لماذا احسن اليه وهل هو حقيق بالاحسان والاستئناف المبني على الصفة
ابلغ لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقة القديمة في المثال المذكور قوله تعالى بعهد الله
اما من اضافة المصدر الى مفعوله اي يوفون بما عاهدوا الله عليه وعقدوه على انفسهم من
الاقرار بربوبية الله تعالى حين قيل لهم الست بربكم فقالوا بلى واما من اضافته الى الفاعل اي
يوفون ما عهد الله عليهم والزمهم به وفرض عليه في كتبه قوله تعالى ولا ينقضون الميثاق تعميم
بعد تخصيص لان المراد من الوفاء بعهد الله الوفاء بما جرى بينهم وبين الله تعالى ونحوه على انفسهم
واوصاهم به اباهم وبقوله ولا ينقضون الميثاق ان لا ينقضوا شيئا من العهود الجارية

قوله التبرأة عن مشابهة الاعمى الخ يحتمل عن مشابهة الالف وكلاهما بمعنى وكانه فرق بين العقل واللب في الاصطلاح واعتبر فيه الخلوص عما في شيء كالقصص في اللغة حيث ان لب كل شيء وخلاصته التنبيه يدفع ما يتبادر ان قوله وقصد ان يقال عن الجاهل بين ذوي عقول مؤمنا اوكافرا فيلزم ان يتذكر الكفار ايضا والمقصود نفي ذلك فما يكون في اطلاق الآية لطلوع وهو ان الكفار بمنزلة الجاهلين
سنان

بينهم وبين الله تعالى ومن التي جرت بينهم وبين العباد قوله ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق
الناس كصلة الرحم وصلة الاخوة الايمانية قال تعالى انما المؤمنون اخوة ويدخل في هذه الصلة ،،
ايصالهم بالخيرات ودفع الآفات بقدر الامكان وعيادة المرضى وشهود الجنائز وافشاء السلام
والتبسم في وجوههم وكف الاذى عنهم ويدخل فيه صلة كل حيوان حتى الهرة والدجاجة وعطف
قوله ويخشون ربهم على قوله يصلون من قبيل عطف العام على الخاص ايضا لان خشية الله تعالى
ملاك كل خير من اتيان ما ينبغي وترك ما لا ينبغي واما عطف قوله ويخافون سوء الحساب على
قوله يخشون فهو من عطف الخاص على العام كما اشار اليه بقوله عموما في الاول وخصوصا في الثاني
وكذا عطف واقاموا الصلوة وانفقوا على قوله وصبروا فان اقامة الصلوة والانفاق وان كانا
داخلين في الصبر على ما تكرهه النفس الا انهما خصا بالذكر تنبيها على شرفهما قوله سرا لمن لا يعرف
بالمال فان الافضل لمن لا يعرف بالمال ان يسر انفاقه ويكتمه لان الاصل في العبادات الخفاء
لكونه ادخل في الاخلاص حتى ان الغني الذي يجب عليه الزكوة ان لم يتهم بترك ادائها فالاولى له
ان يؤديها سرا وان اتهم بترك ادائها فالاولى ادائها علانية قوله يجازون الاساءة بالاحسان
مثل اعطاء من حرمهم والعفو عن ظلمهم ووصل من قطعهم قال عليه الصلوة والسلام لمعاذ
بن جبل صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك قوله او يتبعون الحسنة اي
يفعلون حسنة عقيب ما صدر عنهم سيئة لتمحوها روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ
بن جبل رضي الله عنه اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل المراد يدرؤن السيئة
بالحسنة لانهم كلما اذنبوا تابوا اليه فدفعوا بالتوبة ما يستحقونه من عقوبة الذنب روي ان شقيق
بن ابرهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال له عبد الله من اين انت فقال
من بلخ فقال هل تعرف شقيقا قال نعم فقال وكيف طريقة اصحابه فقال اذا منعوا صبروا وان
اعطوا شكروا فقال عبد الله طريقة كلابنا هكذا فقال فكيف ينبغي ان يكون الامر فقال الكاملون
هم الذين اذا منعوا شكروا وان اعطوا آثروا قوله عاقبة الدنيا اي التي تخلف الدنيا
وتجيء بعدها وكل ما خلف شيئا وجاء بعده فهو عاقبة والتاء لتانيث الموصوف فان المراد
بها الجنة والنار وان كانت عاقبة الدنيا بالنسبة الى الكفار لقوله تعالى وعقبى الكافرين النار
الا انها يستحق ان تسمى عاقبة لانه تعالى انما خلق الجن والانس ليعبدوه فيثابوا بالرحمة
ونعيم الجنة والنار كانت عاقبة بالنسبة الى الكفار لسوء اختيارهم قال الواحدي العقبى كالعاقبة
ويجوز ان يكون مصدرا كالشورى والقربى والرجعى اضيف الى فاعله والمعنى اولئك لهم ان
يعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة قوله والجملة اريد بها قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار ذكر الله
في

قال والذين علوا البحر لبني اسرائيل ان في التورية مكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وابرر والديك وصل رحمك امدد لك في عمرك وايسر لك يسرك واصرف عنك عسرك وعن ابن عمر رضي قال من اتقى ربه ووصل رحمه نسئ له في عمره واثرى ماله واحبه اهله وقال عليه الصلوة والسلام اعجل الخير ثوابا صلة الرحم واسرع الشر عقابا البغي وتبين [illegible] تدع الديار بلاقع منه

السر اسلم لما يكتم وينال للجماعة سترا لان شانه ان يكتم منه

٥ قال الامام الواحدي الصحيح ما قال ابن عباس رضي الله عنهما وذكر ان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور اهله معه في الجنة وذلك يدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتي بالاعمال الصالحة فلو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله يدخل الجنة ثم قال الامام واعلم ان هذه الحجة ضعيفة لان المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيده سرورا وبهجة فاذا بشر الله تعالى المكلف بانه اذا دخل الجنة فانه يحضر معه آباؤه واولاده واهله الصالح لا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك ويقوى بهجته به ويقال ان من اعظم سرورهم ان يجتمعوا فيتذاكروا احوالهم في الدنيا ثم يشكرون الله تعالى على الخلاص منها والفوز بالجنة

في صلة قوله الذين تسعة امور وعد لمن اتصف بها ثلاث كرامات الاول ان يكرموا بالجنة التي هي
عقبى الدار والثاني ان يضم اليه من آمن من اهله وان لم يعملوا مثل عمله والثالث دخول الملائكة
عليه من كل باب من ابواب منازلهم وقصورهم مبشرين له بدوام السلام قوله وان الموصوفين
بتلك الصفات عطف على قوله انه يلحق بهم من صلح من اهلهم يعني ان قوله تعالى ومن صلح يحتمل ان يكون
المراد به من صلح لدخول الجنة بان آمن وصدق بما صدق به ٥ الموصوفون بالصفات التي
وقعت صلة لقوله الذين وان لم يعملوا مثل اعمالهم فانه يدخل الجنة ايضا تبعا لهم وتعظيما لشانهم و
يحتمل ان يكون المراد به من صلح لان ينضم اليهم بان يعمل مثل اعمالهم فان الآباء والازواج والذريات
لا يدخلون الجنة بقرابتهم للصالحين ولا يدخلونها الا بالاعمال الصالحة لان الجنة دار الثواب و
ان من يدخلها لا يدخلها الا بثواب بما اوتي به من الاعمال الصالحة الا انهم بعد دخولهم الجنة يجمعون
مع قراباتهم ليتم لهم النعمة بزيادة الانس والبهجة بهم وهو مراد المص بقوله والوصلة في دخول
الجنة زيادة في انسهم اي وصلة بعضهم ببعض واجتماعهم بهم في حال دخولهم الجنة بمقابلة اعمالهم
الصالحة نعمة زائدة على دخولهم الجنة حيث يزداد بها انسهم وسرورهم قوله من ابواب المنازل
بان يكون لمنازلهم وقصورهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك يبشرهم بدوام السلامة قوله
او من ابواب الفتوح بان يكون الباب بمعنى النوع ويكون المعنى من كل نوع من انواع الفتوح والتحف
بان يأتي كل ملك بتحفة غير التحفة التي اتى بها الملك الآخر على اختلاف خيراتهم وطاعاتهم قوله سلام
عليكم في محل الحال اي قائلين سلام عليكم ومسلمين قوله متعلق بعليكم اي بما تعلق به عليكم اي
سلام عليكم بسبب صبركم او بدل صبركم ويحتمل ان لا يتعلق بنفس الظرف بل يكون خبر مبتدا محذوف
اي هذا الثواب الجزيل والسلامة الدائمة ثابت لكم بما صبرتم فكلمة ما مصدرية اي بسبب صبركم او
بمقابلة صبركم على مشاق الطاعات ومخالفة الهوى ولا يجوز ان يتعلق بسلام لان المصدر لا يعمل
اذا فصل بينه وبين معموله قوله عذاب جهنم على ان يحمل الدار على جهنم فيكون سوء عذابها ويحتمل
ان يحمل الدار على الدنيا كما في قوله لهم عقبى الدار فلا بد ان يقدر العاقبة اذ لا وجه لان يقال ولهم سوء الدنيا
ثم انه تعالى لما قال في حق ناقضي عهد الله اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ورد ان يقال انهم لو كانوا
ملعونين مطلقا ومعذبين في الآخرة لما فتح الله عليهم ابواب النعمة في الدنيا اجاب تعالى عنه بقوله
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايمان
بل هو متعلق بمحض مشيئة الله تعالى فقد يضيق على المؤمن ٥ امتحانا لصبره وتكفيرا لذنوبه ورفعا ،،
لدرجاته بمقابلة صبره لا لهوانه وحقارته عند الله تعالى ويوسع على الكافر استدراجا لا اكراما له ثم
سفه اهل مكة بفرحهم بما نالوا من الدنيا واغترارهم بما هو متعة لا تدوم ولذة كعجالة

تقول المص والوصلة في دخول الجنة زيادة جواب عما يقال لو كان المراد بقوله ومن صلح الموصوفين بتلك الصفات من اهلهم لا ظهرت الفائدة في وعد المطيع به لان دخولهم الجنة ليس من ثمرات اطاعته بل هو من ثمرات اطاعة اهله منه

وصلح بمعنى اللام لغة مرجوحة منه

وهو قول ابن عباس رضي

قوله ولا انه علة ان مجرد الانساب لا ينفع اي لا ينفع في الحاق في الدرجة بل لا بد بعد الايمان من عمل صالح لان السعي لا ينفع الا بالعمل اذ لا يلزم من دخول الجنة الاشتراط في الحاق الاشتراط في الدخول منه

قال صاحب الكشاف الله وحده يبسط الرزق ويقدره دون غيره يبسط الرزق لمن يشاء وله التصرف فيه [illegible] نعمت وتمكن شرعا صاحب الكتاب تفيد الحكم والاختصاص تقديم المبتدا ارفاد في البنية لان تقديم [illegible] مكانه وليس مثل انا عرفت في احتمال التخصيص التقوي منه

٥ قال الواحدي معنى القدر في اللغة قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان فمعنى يقدر ههنا انه يعطيه رزقه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء قوله في الآخرة اي في جنب الآخرة والجار ان يكون ظرفا للحيوة ولا للدنيا لانهما لا يقعان في الآخرة وانما هو حال و التقدير وما الحيوة الدنيا كائنة في جنب الآخرة الا متاع

الراكب وهو ما ينجو الراكب من ثمرات او شربة حلب ما شية فان نعيم الدنيا بالنسبة الى ما في الاخرة ليس الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر منه بم يرجع فان قيل نهاية اشتر من سعاهنه مما فرح واغتر بزخارف الدنيا وضيع ما اعده الله تعالى لمن آمن به واطاعه من النعيم الدايم والملك لا يبلى فقوله تعالى وفرحوا استئناف اخبار وليس بمعطوف على صلة الذين قبله لانه يستلزم تخلل الفاصل بين ابعاض الصلة وهو الخبر وايضا هو ماض وما قبله مستقبل ولا توافق بينهما الا ان مقتضى الظاهر ان يظهر فاعل فرحوا اذ لم يسبق ذكر كفار مكة وبعضهم يقول لم يسبق ذكرهم فاخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ليتمكن المراد في ذهن السامع بالابهام والتصريح ولظهوره من حيث دلالة المقام عليه في الاول وللذم والتسجيل على كفرهم في الثاني ولبيان ان قولهم ذلك انما نشاء من كفرهم وجحودهم بالايات المنزلة عليه لعدم اعتدادهم بها واعتبارهم لها فلذلك امر الله تعالى رسوله بان يقول في جوابهم ان الله يضل من يشاء وهو كلام جار مجرى التعجب من قولهم كانه قيل لهم ما اعظم عنادكم حيث لم تعتدوا بهذه الايات الباهرة التي لم يؤت نبي مثلها وكفى بالقران الكريم وحده آية ان الله يضل من يشاء فمن كان مثلكم في الجحود والتصميم على الكفر فلا سبيل الى اهتدائه وان اوتي بكل آية **قوله** الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بدل من قوله من اناب كانه قيل ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم بان يؤمن بالله وتطمئن اي يسكن ويستقر قلبه بذكر الله لانسه به واعتماده عليه ورجائه منه فان القلق والاضطراب مما يحدث في القلب لكونه فاقدا المطلوب والمطلوب منحصر في قسمين مطلوب لذاته ومطلوب لكونه وسيلة الى المطلوب لذاته والمطلوب لذاته هو المستجمع لجميع الكمالات من العلم المحيط والقدرة على كل شيء وغير ذلك وما سواه انما يطلب لكونه وسيلة اليه فمن ذكر الله تعالى واحاطته بصفات جلاله وجماله استانس به واعتمد عليه في جميع مهماته فلا جرم تطمئن قلبه ويقبل اليه بكليته وتطمئن قلبه لان من ذكر الله تعالى موقنا بجلال ذاته وكمال كبريائه احبه ومن احبه لا جرم يستانس به وتطمئن قلبه اي يسكن اليه ويزول وحشته واضطرابه ويعتمد على سعة فضله ورحمته **قوله** او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته فان المؤمن اذا ذكر عظمة الله تعالى وعلو شانه وعز سلطانه لا جرم يغلب عليه الخوف والخشية كما قال في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد الاطمئنان ثم اذا ذكر سعة رحمته وفيضان بحار فضله واحسانه على جميع خلقه سكن قلبه وزال وجله واضطرابه وايضا القلوب لا تحصل لاطمانينة اليقين الا بذكر ما نصبه الله تعالى من الدلائل الدالة على وجوده ووحدته فالم يذكر القلب بهذه الدلائل يبقى في قلق الشك والتردد ويذان الوجهان يبتنيان على تقدير المضاف في قوله بذكر الله وقوله او بكلامه مبني على ان يكون المراد بذكر الله كلامه فتكون الآية تعريضا بالكفار الذين قالوا لولا انزل عليه آية من ربه فانهم انما قالوا ذلك لعدم تفكرهم فيه ووقوفهم على كونه معجزة فاهرة
باهرة

بيان ما صدر منهم بعد هذا وتغير حاله وتغيرا عليهم بما صنعوا سكان

قوله بفتح النون اي سكون العين والاصل نعم ان بفتح النون وكسر العين فسكن العين بنقل كسرتها الى النون فكان نعم بكسر النون وسكون العين وهو القراءة المشهورة او بغير ذلك نقلا فتكون نعم بفتح النون وسكون العين سكان

قوله من بعد ما اوتيتم به جعل الشاق اسم آية وهو ما يوثق به الشيء فهو الله هو قوله الست بربكم ويثاقه قولهم بلى وان كان المجموع عهد العهد وقد سمي العهد ميثاقا لانه يوثق به التعلق بين المتعاهدين سكان

باهرة بخلاف المومن فان قلوبهم تطمئن به ولا تطلب معجزة سواه **قوله** خبره طوبى لهم على ان طوبى مبتداء ولهم خبره والجملة خبر المبتداء الاول وجاز الابتداء بطوبى اما لانه علم للجنة بلسان الحبشة او علم لشجرة معينة في الجنة تظلل الجنان كلها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل اصلها في قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في قصور المومنين في الجنة وكان اهل الكتاب ادعوا ان تلك الشجرة لانفسهم فاخبر الله تعالى انها للذين آمنوا لا لهم واما لانه نكرة تخصصت بالتكلم لانه في معنى الدعاء نحو سلام عليك وويل له كانه قيل خبر لهم او حسنى او نعمى لهم بيان لطوبى لك اي اصبت خيرا **قوله** فيجوز فيه الرفع والنصب اما الرفع فلما ذكره من ان طوبى لهم في محل الرفع على انه خبر المبتداء المذكور واما النصب فعلى انه مفعول فعل مضمر اي جعل الله طوبى لهم او على انه من المصادر التي ينصب تارة بفعلها المضمر ويعدل الى الرفع اخرى للدلالة على الثبات والدوام كقولك سلاما لك وسلام لك واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والاصل طابت حالهم طيبا فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه واتيد جواز النصب فيه بقراءة من قرا وحسن ماب بالنصب **قوله** مثل ذلك اشارة الى ان الكاف في محل النصب بالفعل الذي بعده وان الاشارة الى ما هو الحاضر في ذهن السامع المخاطب من ارسال الرسل المتقدمين الى اممهم فشبه ارساله عليه الصلوة والسلام الى امته بارسال سائر الرسل الى اممهم كانه قيل كما انه قد خلت من قبلكم امم ارسلنا اليهم ارسلناك ايضا الى هذه الامة وحالهم انهم يكفرون بالله **قوله** وقيل نزلت في مشركي مكة عطف على ما يفهم من قوله ارسلناك الى هذه الامة وحالهم انهم مشركون يكفرون بالبليغ الرحمة وهو ان يكون معنى الاية انا ارسلناك الى هذه الامة لتتلو عليهم القران وترغبهم بحلية الايمان وحالهم انهم يكفرون بالاله الذي وسعت رحمته ولا يعرفون قدر رحمته وانعامه اليهم بارسالك وانزال القران العظيم عليك لتتلوه عليهم ويكون معنى الاية على ما قبله انهم يكفرون باطلاق اسم الرحمن على الله تعالى ويقولون لا نعرف رحمانا غير مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ولا اشكال ان المفهوم من قوله وهم يكفرون بالرحمن انهم يكفرون بالله البليغ الرحمة لا انهم يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه **قوله** والمراد منه تعظيم شان القران الذي ارسل معه عليه الصلوة والسلام الى هذه الامة ليقرا عليهم وهم يكفرون بالله البالغ الرحمة فيكون ذلك في جملة المقول اي قل لهم ان الرحمن الذي تكفرون به هو ربي لا اله الا هو وان القران الذي انزله عليكم شانه في عظمته وحرمته انه لو ثبت ان كتابا نزل واسمع الكتب لو قرئ على الجبال السائرات عن مقارها ولو قرئ على الارض لتصدعت وتشققت من خشية الله ولو قرئ على الموتى لحيوا وتكلموا لكان ذلك الكتاب هو القران فما لكم لا تؤمنون بالله البالغ الرحمة

قوله ويجوز فيه الرفع فتكون الجملة في محل الرفع على انه خبر المبتداء بالتاويل ... الجملة ... خبرية بان يكون اخبارا من الله تعالى بان لهم ... او كنز الها ... احرزا ناب خبرا لا خلافه فتامل سكان

قوله ارسلت ... اليك ... النصب او وجب ... تحمل الفعل عن ... الموصوف ... اياهم الكف ... بالايجاز ... وفي ... نه ما لا يخفى سكان

قوله وهم يكفرون بالرحمن قال ... ابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان اهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا ما يريدون فانزل الله فيهم هذه الاية ... على الصحابة

[illegible]

ولا تستقطعون بهذا القرآن فعلى هذا يكون الجواب المحذوف هو قوله لكان هذا القرآن وإن كان المراد من
الشرطية المذكورة المبالغة في عناد الكفرة لكون الآية متصلة بقوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه فيكون بيانا لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر ويكون الجواب المحذوف ما ذكره بقوله
أو لما آمنوا به ويكون قوله وقيل إن قريشا إلخ تأييدا لهذا الوجه لاشتراكهما في الدلالة على أن المراد
من الآية الجواب عن عناد الكفرة والقطع جمع قطعة وهي القطعة المفرزة من الأرض **قوله**
وعلى هذا تقطيع الأرض قطعها بالسير شدد للمبالغة في التقطيع وذلك لأن قوله تعالى أو قطعت به الأرض
جواب لقولهم سخر لنا الريح لنركبها كما سخرت لسليمان ونتجر إلى الشام بركوب الريح فإن معناها
لتقطع ما بين مكة والشام من المسافة بركوبها فالجواب المقدر على هذا القول أيضا هو لما آمنوا روي
أن أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية المخزومي جلسوا في فناء الكعبة مع نفر من المشركين فأتاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الإسلام فقال عبد الله بن أبي أمية إن سرك أن نتبعك
فسير لنا جبال مكة بالقرآن واذهبها حتى تنفسح علينا فإنها أرض ضيقة علينا لا تمكنا لمزارعنا
واجعل لنا فيها عيونا وأنهارا لنغرس فيها الأشجار ونزرع فلست كما زعمت بأهون على ربك من
داود عليه الصلاة والسلام حين سخر له الجبال تسبح معه أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام و
سائر البلاد لميرتنا وحوائجنا ونرجع إلى مكة في يومنا وقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت
ولست بأهون على ربك من سليمان أو أحيي لنا جدك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله
من أمرك أحق هو كما تقول أم باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى فأنزل الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال فأذهبت عن وجه الأرض أو قطعت به الأرض أي شققت فجعلت أنهارا وعيونا أو
كلم به الموتى أي لكان هو هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار **قوله**
دليل الجواب متقدم أي قبل جواب لو هو جملة قوله وهم يكفرون قدمت على الجملة الشرطية وتقدير
الكلام وهم يكفرون بالرحمن لو أن قرآنا سيرت به الجبال كأنه قيل لو سيرت به الجبال أو
قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبق من علمنا فيهم كقوله تعالى
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وهذا
في الحقيقة دال على الجواب لما تقرر من أن الجواب لا يتقدم على الشرط عند البصريين **قوله**
وتذكير كلم خاصة مع أنه نظير سيرت وقطعت في إسناد كل واحد منها إلى ظاهر الجمع لاشتمال
الموتى على المذكر كاشتماله على المؤنث فغلبت المذكر على المؤنث وليس الجبال والأرض كذلك **قوله**
وهو إضراب عما تضمنه لو من معنى النفي فإنها إنما تستعمل لانتفاء الجزاء لانتفاء الشرط
فقوله تعالى لو أن قرآنا سيرت به الجبال إن كان المقصود منه تعظيم شأن القرآن يكون المعنى
لو

قوله هو إضراب عما تضمنه الجملة منه كأنه قيل إنه لم يوجد قرآن كذلك فكأنه قيل لم يوجد قرآن سيرت به الجبال إلخ بل لله الأمر جميعا بمعنى الإضراب عن التقدير المذكور يحتمل الأخفش أن يكون الجواب الملائم للإضراب أن يكون المعنى المقدر أن آمنوا حتى يكون المذكور ولو وجد قرآن بالوصف المذكور لما آمنوا أي ليس القرآن موجبا للإيمان بل لله الأمر جميعا فإيمانهم مشروط بإرادته ويؤيد ذلك ما يجيء من أن قوله أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم وقوله قال بعضهم من أنه عطف على محذوف تقديره ليس لك من الأمر شيء بل لله الأمر جميعا

كازروني

عليه بأن الآية المذكورة الكوفيون

لو أن قرآنا ما من الكتب المتقدمة فعل به شيء مما ذكر من الأفعال المذكورة لكان ذلك القرآن
هو هذا القرآن المنزل عليك لكن لكونه داخلا تحت قدرة الله تعالى لا لأن لعلو شأن القرآن أن يفعل
به ذلك لم يفعل به شيء من ذلك لا لأجل عدم قدرة الله تعالى عليه بل لله القدرة على كل شيء كأنه قيل
دعوا اقتراح ما ذكرتم من تسيير الجبال وغيره والتردد في قدرة الله تعالى على كل شيء وفي عزة
كلامه المجيد فإنه ليس الأمر كما زعمتم بل لله الأمر جميعا يفعل ما تعلق به مشيئته وإرادته وكذا إن
كان المقصود منه المبالغة في عناد الكفرة تتضمن كلمة لو معنى النفي أيضا لأنه يكون معنى الكلام
أنه لو ثبت أن شيئا من القرآن المنزل إليك أو غيره فعل به ما اقترحوه من الآيات لما آمنوا
لشدة شكيمتهم وكمال عنادهم لكن لم يفعل بشيء من القرآن ذلك ولا يخطر ببالك أن عدم
وقوع ذلك ليس لعدم قدرة الله تعالى بل لله الأمر جميعا يفعل ما يشاء بقدرته **قوله** ويؤيده أي يؤيد
كون الإضراب عما تضمنه لو من معنى النفي على معنى الآن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين
له شكيمتهم فإن قوله أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمانهم مع ما رأوا من كثرة عنادهم ومكابرتهم
بعد ما رأوا الآيات ذكر في معرض التعليل لقوله بل لله الأمر جميعا وهذا إنما يحسن إذا كان المعنى
لكنه تعالى لم يأت بما اقترحوه لعلمه بأنه لا تلين به شكيمتهم **قوله** وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم يعني
أن استعمال اليأس في معنى العلم مجاز من قبيل إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب لأن اليأس عن
الشيء إنما يكون بعد العلم بأن المأيوس منه لا يكون فيكون اليأس متوقفا على العلم مسببا عنه وقيل
إن اليأس حقيقة في العلم ولغة نخعية والنخع قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النخعي **قوله** وذلك
أي لكون المراد من اليأس العلم مجازا أجملوا أن المخففة مع ما في حيزها في محل النصب على أنها مفعول
فعل اليأس بمعنى العلم فإن كلمة أن فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة الاسمية
بعدها خبرها وكلمة لو لما كانت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره كان معنى الكلام أفلم يعلم الذين آمنوا أن الله
لا يهدي جميع الناس لعدم تعلق مشيئته لاهتداء الجميع لعلمه بأن بعضهم يختار الكفر والضلال
فيكون هذا الكلام مؤيدا لكون الإضراب في قوله تعالى بل لله الأمر جميعا عما تضمنه كلمة لو في قوله ولو أن قرآنا
سيرت به الجبال من معنى النفي والمعنى بل إنه قادر على إتيان ما اقترحوه إلا أن إرادته لم تتعلق
بذلك لعلمه بأن إتيانه لا يؤدي إلى اهتدائهم **قوله** وهو على الأول يعني أن قوله أن لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا على تقدير أن يكون اليأس مستعملا في معناه الحقيقي يكون مفعول لم ييأس محذوفا
ويكون قوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا متعلقا بالمحذوف وتقدير الكلام ما ذكره من قوله
أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمان المشركين علما منهم أن الشأن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا أو يكون متعلقا بآمنوا متعلقا به بنزع الخافض لأن آمن يتعدى بالباء ويكون تقدير الكلام

قوله فإن معنا ويتبين بهدى العلم فإن قلت لا يلزم من نفي هدى بعض الناس من إيمان الكفرة بعض المذكورين إذ يجوز أن يكون بعض المذكورين غيرهم قلنا المراد من المذكورين في هذا الموضع المشركون المذكورون بغرينة أن نزول الآية المذكورة فيهم لا مطلق الناس فيفهم من الكلام أن إيمان بعض هؤلاء المشركين غير مراد

كازروني

انه لم ينقطع عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان الشان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فلما كان
قوله ان لو يشاء الله مفعول آمنوا كان مفعول قوله الم ييأس محذوفا ايضا اي الم ييأس عن ايمان هؤلاء
الكفرة الذين امنوا بان الشان كذا قيل الاستئناف في قوله افلم ييأس بمعنى الانكار والفاء فيه عاطفة داخلة
على تفريع ما بعدها على امر معلوم قبلها اي فلييأس المؤمنون عن ايمان الكفرة باتيان ما اقترحوه من
الايات لما راوا من كثرة عنادهم ومكابرتهم بعد مشاهدتهم الايات العظام ثم انه تعالى لما وصف الكفار
باصرارهم على الكفر هددهم بانهم لا يزالون تلحقهم الدواهي الى ان يهتدوا او الى قيام الساعة او الى
فتح مكة فقال ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة اختار المصنف ان تعريف الذين كفروا
بناء على ان اصابة الوقايع الشديدة لبعض الكفار كالقتل والسبي والاسر تفريع الكل وتحلقهم ثم ذكر ما قيل من ان
الاية نزلت في كفار مكة فيكون التعريف للعهد الخارجي ثم اكد التهديد والتسلية فقال ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا اي انهم لما اقترحوا انه عليه الصلوة والسلام معجزات زائدة على ما
اتى به استهزاء به وعدم اعتناء بما اتى به من الايات العظام وكان عليه الصلوة والسلام يتأذى بهم
نزل قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية له عليه الصلوة والسلام بذكر قوله ملاوة من
الزمان بفتح الميم وضمها وكسرها اي حينا وبرهة منه قوله والخبر محذوف فان كلمة من في قوله تعالى
افمن هو قائم موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وقوله هو قائم صلتها وخبرها محذوف لدلالة قوله
وجعلوا لله شركاء عليه تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع لما ذكر ان الامر
كله لله ليس لاحد منه شيء انكر على المشركين في تسويتهم بين المطلع على سرهم وعلنهم رقيب
قادر على مجازاتهم بين من هو على خلافه بل عاجز عن تدبير نفسه فضلا عن ان يقوم على غيره والمعنى
ابعد ما ثبت ان الامر لله جميعا وانه القادر على اتيان ما اقترحوه من الايات وان الامور منوطة
بمشية الله تعالى وانه لو شاء لهدى الناس جميعا وانه تعالى يقتضي مشيته وحكمته بمجازاة الكفرة
بالقوارع والدواهي حتى يأتي وعد الله بنصر رسله واوليائه ولو بعد حين وياخذ المستهزئين بهم
بعد ما املى لهم برهة من الزمان هل تسوون بين من هذا شانه في العلم والحكمة والقدرة على
مجازاة كل نفس بما كسبت وبين شركائكم الذين زعمتم انها شركاء الله تعالى فان هذه المذكورات
تفصيل لقوله تعالى لله الامر جميعا وبيان لكونه تعالى هو المتولي لامور خلقه والمحصي لاعمالهم ومجازيهم
على حسبها وهو معنى القيام على كل نفس بما كسبت فلما تبين ذلك كله قال بعده افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت ومعنى القيام ههنا التولي لامور خلقه والتدبير لامر ارزاقهم وآجالهم و
احصاء اعمالهم للجزاء على حسبها كقولك فلان قائم بالسلطان والبلاد لذلك المعنى ههنا افمن هو
قائم بالتدبير على كل نفس بجزاء ما كسبت وتلخيصه افمن هو مجازي كل نفس بما كسبت كمن ليس

بهذه الصفة من الاصنام لا تضر ولا تنفع وهو تعجب عظيم للمشركين وتعجيب من سخافة عقولهم
وفي بعض النسخ او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية اي قائم على كل نفس بكسبها وبجعلها لله شركاء
ثم انه تعالى لما بين جراءة المشركين في جعلهم لله شركاء زاد في ذلك فقال قل سموهم اي صفوهم الذين جعلتموهم
شركاء لله بما هو عليه من الاوصاف القائمة بهم من كونهم قطع نحاس صاغهم الصائغ الفلاني او
قطع خشب اصلحها النجار الفلاني او غير ذلك فانظروا هل تجدون فيهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون
لان يجعلوا شركاء لله فانهم ان سموهم بالاحجار او خشب او نحاس او نحو ذلك فانفضحوا باشراكهم اياها
برب العالمين ثم زاد في تجهيلهم فقال ام تنبئونه وام بمعنى بل منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن
الزامهم الحجة بان طلب منهم ان يصفوا شركاءهم فينظروا هل تجدون فيها ما يدل على استحقاقهم لان
يعبدوا ويتخذوا شركاء له تعالى وعدل الى الاستفهام بان قال اتنبئون الله بشركاء لا يعلمهم في الارض
يعني بما ليس بشيء لان ما لا يعلمه عالم الغيب والشهادة لا وجود له ونفي للشركاء على وجه بليغ لانه كناية
عن نفي الوجود عنه واسند الى نفي اللازم عن نفي الملزوم وهذا على تقدير ان يكون كلمة ما عبارة عن
الشركاء الذين يستحقون لان يعبدوا ويتخذوا شركاء ثم اشار الى احتمال كونها عبارة عن صفاتهم
التي يستحقون العبادة لاجلها فقال او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها الله والحال انه تعالى احاط
بكل شيء علما فيكون نفيا لتلك الصفات عنهم بنفي لازمه ثم اضرب عن قوله سموهم بوجه آخر فقال ام
بظاهر من القول اي بل اتسمونهم شركاء تسمية خالية عن اعتبار المعنى على طريق تسمية الزنجي
كافورا فان الكافور طيب خالص البياض وليس في الزنجي الا كونه مسمى باسم الكافور وليس فيه شيء
من معنى الكافور بل تسمونهم بمجرد ظاهر القول واطلاق لفظ الشركاء او الآلهة عليهم من غير ان يكون
فيهم معنى وحقيقة من الالوهية والشركة كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
ذلكم قولهم بافواههم اسم بلا مسمى وهذا احتجاج عجيب في غاية البلاغة ينادي على نفسه بالاعجاز
ثم انه تعالى اضرب عن الاحتجاج عليهم وعدل الى ما هو اهم وهو بيان انهم لا ينتفعون بذكر الدلائل
الدالة على فساد رايهم فقال بل زين للذين كفروا مكرهم كانه قيل دع الاحتجاج على فساد رايهم
وبطلان طريقتهم فانه لا فائدة فيه لانه زين لهم كفرهم ومكرهم للاسلام بشركهم فان تمويه
عزائم الضعفاء وترويج ما هم عليه من الكفر وتقليد الاسلاف مكر للاسلام والمكر الاحتيال
والاخذ على غرة قوله وقرا ابن كثير الخ وقرا الكوفيون وصدوا ابنا للمفعول من صد المتعدي
لتوافق زين وعلى قراءة غيرهم يحتمل ان يكون متعديا كما اختاره المصنف حيث قال اي وصدوا
الناس وان يكون لازما بمعنى اعرضوا ونكلوا ومصدر اللازم الصدود ومصدر المتعدي الصد وان
قرئ وصد بالتنوين يكون معطوفا على مكرهم كانه قيل بعد الاحتجاج على بطلان مذهبهم دع ذكر

الدلائل لانه لا فائدة فيه واعلم انه زين لهم طريقتهم المموهة التي دعاهم اليها سواء ذكرهم وصدهم
الناس عن سبيل الحق قوله وقرئ بالكسر على انه بني للمفعول اصله صُدِدُوا بضم الصاد فنقلت كسرة
الدال الى الصاد كما في قيل وبيع ومثل هذا النقل في الفعل الصحيح شاذ قوله من عذابه او من رحمته
من واق يعني ان قوله تعالى ما لهم من الله من واق فيه وجهان من الثانية في كلا الوجهين زائدة
للاستغراق ومن الاولى متعلقة بواق في الوجه الاول ومتعلقة بمحذوف على انه حال من واق في الوجه
الثاني اي ما استقر لهم كائنا من رحمته واق فقدم الحال لكون ذي الحال نكرة قوله صفتها التي هي مثل
في الغرابة اي كالمثل السائر في الغرابة على ان قوله هي مثل تشبيه بليغ من قبيل زيد اسد فان لفظ المثل
بمعنى شبه كشِبْه بمعنى شَبَه لغة ثم انه خص في العرف العام بالقول السائر بالقول في الغرابة فانه
لا يضرب من الاقوال الا ما فيه غرابة كما استعير مثل الجنة لصفتها الغريبة تشبيها لها بالقول السائر قوله
على طريقة قولك صفة زيد اسمر جواب عما يقال كيف يصح ان يحكم على صفة الجنة بانها تجري من تحتها
الانهار مع ان مفهوم تجري من تحتها الانهار من احوال نفس الجنة لا من احوال صفاتها ومعنى الحمل في
العرضيات اتصاف ذات الموضوع بمفهوم المحمول ذات الموضوع فيما نحن فيه هي مثل الجنة بمعنى
صفتها ولا يصح توصيفها بمفهوم جريان الانهار وتقرير الجواب ان ما ذكرتم انما يلزم ان لو كان ضمير من تحتها راجعا
الى صفة الجنة وليس كذلك بل هو راجع الى الجنة نفسها والمعنى صفة الجنة جريان الانهار من تحتها ان من
تحت اشجارها وقصورها كما اذا قلت صفة زيد اسمر فانه لا بد ان يقال الا مر نفس زيد لا صفته
فما وجه الحكم على صفته بانها اسمر لانه انما يرد ان لو كان ضمير اسمر راجعا الى صفته وليس كذلك بل هو
راجع الى نفس زيد كانه قيل صفته السمرة فيه ويحتمل ان يكون الحمل مبنيا على تقدير الموصوف اي
مثل الجنة وشبهها جنة تجري من تحتها الانهار عرض الله لنا الجنة التي لم نرها بما رأيناه و
شاهدناه في الدنيا بان شبهها بها لنرغب فيها ونجتهد فيما يوصلنا اليها فعلى هذا الوجه يكون
لفظ المثل باقيا على معناه الاصلي اللغوي ولا يكون مستعارا للصفة العجيبة من القول السائر
وهذه الوجوه مبنية على ان يكون قوله تجري من تحتها الانهار خبر المقول مثل الجنة واما اذا جعل
مثل الجنة مبتدأ محذوف الخبر كما ذهب اليه سيبويه فقوله تجري حينئذ يكون حالا من العائد المحذوف
من الصلة والتقدير وعدها المتقون مقدرا جريان انهارها قوله اكلها دائم اي ثمرها
غير منقطع كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة فان الاكل اسم للمأكول كما في قوله تعالى لما عظم شان القرآن
وبين ما آمن به وجحده ذكر ان من اسلم من اليهود والنصارى وبعض من تحزب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة يصدقونه ويفرحون بما انزل اليك المسلمون يفرحون بما
انزل كله اليك لقطعهم بانه كلام رب العالمين او المتحزبون منهم يفرحون بما نزل بما يوافق

قوله على طريقة قولك صفة زيد اسمر اما تاويل اسمر بما تقتضيه اسمر وهو السمرة فكذا في تجري من تحتها الانهار اي صفتها جريان الانهار والجملة في معنى المفرد فلا حاجة الى ضمير عائد الى المبتداء او بتاويل صفة زيد بما يقال فيه اذا وصف ولا حاجة الى الضمير كما في الجملة الواقعة خبر ضمير الشان سان

والاولى ان استيناف بيان ان الجنة فالرما حال فكانه سائل فاجيب تجري تلك الجنة الخ كما ترى

قوله لا ينقطع ثمرها ضربا نقص ثمرها الدنيا فمن الربيع في جنة الدنيا فانه يكون في الاوان في الثمار في هذا ان يكون في غيرها من الفواكه المعروفة الاكمه الغير المنقطعة ايضا سان

قوله ومثل ذلك اي الانزال يشير الى ان الكاف بمعنى المثل مضاف الى اسم الاشارة وهو كناية عن نفس ما اضيف هو اليه كما في مثلك لا يبخل اي انت
لا تبخل وان لفظ ذلك اشارة الى انزال القرآن المدلول عليه بقوله قل انما امرت الآية ولفظ كذلك في الاصل صفة مصدر محذوف اي انزالا مشتملا
على اصول الديانات للوثة محل نصب على المصدر بعد حذف محذوفه هذا ما عليه الشيخان وليس فكلاهما ما يدل على ان الكاف فيه للتشبيه وانما لم يذهبا
اليه كما ذهب اليه اكثر المفسرين لانه يجب ان قوله حكما عربيا ثم المراد باصول الديانات العبادة الله تعالى وحده وهو المتفق عليه في جميع اهل الملل الجمع باعتبار انواعها سان

يوافق شرائعهم وما فيه من قصص الاولين والامثال والمواعظ وانما ينكرون ما يخالف
شرائعهم وما يوافق ما حرفوه منها فقال والذين آتيناهم الكتاب يفرحون الآية قوله او
عامتهم منصوب عطفا على المسلمين من اهل الكتاب والمراد بالكتاب على التقديرين التورية و
الانجيل فان قيل كيف يصح ان يراد باهل الكتاب في هذا الموضع عامة اهل الكتاب ويحكم عليهم بانهم
يفرحون بما انزل اليك مع ان ما انزل يتناول جميع ما انزل اليه عليه الصلوة والسلام ومعلوم
ان عامتهم لا يفرحون بجميع ما انزل اليه والجواب ان ما انزل يطلق ويتناول الكل والبعض وليس
عاما مستغرقا لجميع ما يصدق عليه انه منزل بدليل جواز ادخال لفظ لفظ الكل والبعض
عليه ولو كان كلمة ما للعموم لكان ادخال لفظ الكل عليه تكرارا وادخال لفظ البعض عليه
نقضا فتعين كونها مطلقا صالحا لان يراد به الكل والبعض فجاز حملها على البعض بحسب القرينة
فلذلك قال المص فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم فانه صريح في انه حملها على البعض قوله يحكم
في القضايا اشارة الى ان الحكم مصدر بمعنى الحاكم كالعدل بمعنى العادل في رجل عدل فان التكاليف
الشرعية لما كانت مستنبطة من القرآن العظيم كان سببا للحكم فاسند اليه الحكم اسنادا مجازيا
ثم جعل نفس الحكم على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة وانتصابه على الحال اي انزلناه حال
كونه حكما وذكر الحال بعده على الوصفية فان قرآنا هو ذو الحال حقيقة وعربيا حال وضمير انزلناه
يرجع الى ما في قوله يفرحون بما انزل اليك قوله التي يدعونك اليها روي ان المشركين كانوا يدعونه
عليه الصلوة والسلام الى اتباع ملة آبائهم المشركين وكان اليهود يدعونه الى الصلوة الى قبلتهم
بعد ما حول عنها فنزل قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم الآية جعل ما يدعون اليه من الدين الباطل
والطريق الزائغ هواء وهو ما يميل اليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند
نقول او دليل معقول لكونه هواء محضا قوله وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات
في الدين يعني ان الخطاب وان كان مع النبي عليه الصلوة والسلام الا ان المراد التعريض لغيره لان
صلابته عليه الصلوة والسلام في امر الدين بلغت الى حيث لا يحتاج معها الى البعث على التصلب
والثبات ووجه التعريض ان من سمع تحذير سيد الخلائق وتهديده على الثبت انقطع عن قلبه
توهم اتباع المغوين وقويت عزيمته على الثبات في الدين علما منه بان من هو اشرف المخلوقات
اذا حذر بهذا التحذير فغيره كان احق واولى ثم ان المشركين كانوا يعيبونه عليه الصلوة والسلام
بالزواج والتعلق بالاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
ولو كان رسولا من عند الله لما كان يتعلق بالنسوان بل كان ينبغي له ان يعرض عنهن ويشتغل
بالزهد والعبادة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا

قوله يحكم في القضايا والوقائع بما يكون حكما بان بعض ما اشتمل الانزال وهو الاحكام الفرعية الثابتة بعبارة المنزل او اشارته او اقتضائه كما عرف ذلك في الاصول وفي قوله بما بتقتضيه الحكمة اشارة الى ان اختلاف الشرائع في بعض الاحكام انما هو لحكم تقتضيه وفي هذه الآية مع غاية وجازتها تدل على فوائد اشتمال القرآن على الاصول الدينية والفروع الفقهية مع الاشارة الى سبب اختلاف الشرائع الذي يتحد به اقوى شبه منكري النسخ المفضي الى انكار القرآن سان

لهم ازواجا وذرية على ما يقتضيه كونهم من جنس البشر فلما جاز ذلك في حقهم فلم لا يجوز
مثله في حقه عليه الصلوة والسلام فقد روي انه كان لسليمان ثلثمائة امرأة مهرية وسبعمائة
سرية وكان لداود مائة امرأة مهرية وثلثمائة سرية ومن شبه من انكر نبوته عليه الصلوة والسلام
انهم كانوا يقولون لو كان رسولا من عند الله لكان عليه ان يأتي بما اقترحناه من المعجزات ولا يتوقف
فيه ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس برسول فاجاب الله تعالى عنه وما كان لرسول ان يأتي وما صح وما لم
يكن في وسعه ان يأتي باية مما اقترح عليه قومه ولا مما اقتضاه رأيه الا باذن الله فانه القادر على ذلك
الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته حكمته ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك ومن شبه منكري النبوة انهم
كانوا ينكرون النسخ ويقولون انه بداء لا يليق بشأن من احاط بكل شيء علما ولو كان صادقا في دعوى
النبوة لم ينسخ الاحكام التي نص الله تعالى على ثبوتها في الشرايع المتقدمة ولكنه نسخ الاحكام الثابتة في
التورية والانجيل حتى انها كتحريم القبلة ونسخ اكثر الاحكام الثابتة في التورية والانجيل فوجب ان لا يكون
صادقا في دعوى النبوة فاجاب الله تعالى عنه بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت ومدة حكم يكتب على العباد على
حسب ما تقتضيه ارادة صلاحهم فان الحكمة الالهية تقتضي اختلاف الاحكام على حسب اختلاف الاعصار
والامم فان كل عصر يقتضي ان يختص بحكم على حدة وكذا كل امة انما يصلح حالهم بما يختص بحكم على حدة فان
الطبيب الحاذق يعالج كل مريض بما يتوقف زوال مرضه على ذلك العلاج فيختلف علاجه على حسب اختلاف
المريض بل يختلف علاجه في حق شخص واحد بحسب اختلاف الازمان فيعالجه في وقت بعلاج وفي وقت
اخر بما يضاد ذلك العلاج قوله لكل وقت واحد حكم يكتب اشار بلفظ الامد على الوقت تفسير الى
ان الاجل وان كان في اللغة عبارة عن مدة الشيء الا انه قد يطلق على جميع المدة وقد يطلق على
اخر المدة وان المراد في الآية اخر المدة لان الامد بمعنى الغاية كالمدى فهو اخص من الوقت كانه قيل لكل
وقت وكل انتهاء كابتداء حكم وفسر الكتاب بالحكم المكتوب المفروض على المكلفين بالشرايع والاحكام
ولما ذكر ان الشرايع المكتوبة تختلف باختلاف الاجال والاوقات كان ذلك مظنة ان يقال فاين الحكم
المكتوب في الوقت السابق اجاب عن ذلك بطريق الاستيناف فقال يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما ينسخ
نسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وهذا والله تعالى اعلم انما يكون فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرايع
المختلفة باختلاف الامم والاعصار المبنية على المصالح المتبدلة على حسب تبدل الاوقات واما
ما كان من غير ذلك فانه يمحو ولا يبدل او قيل يمحو الله سيئات التائب ويثبت بدلها حسنات قال تعالى
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يمحو الله من ديوان
الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة فانهم مأمورون بكتب جميع ما يقول الانسان ويفعله فاذا كان يوم
الاثنين والخميس يعارض ما كتبه الحفظة بما في اللوح المحفوظ فيلقى من كتاب الحفظة ما لا اجر له من

قوله لكل اجل كتاب اي لكل عصر احكام يليق بصالحهم حسب اقتضاء حكمة كما في شربة الطبيب بحسب اختلاف المزاج والنفس ويسمى النسخ بداء لكنا بزعم اليهود خذلهم الله تعالى اه

من ثواب وعقاب ويثبت ما له جزاء من احدهما ويترك مكتوبا كما هو وقيل يمحو الله من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به جزاء ويثبت ما رآه وحده في صميم قلبه فان الطاعات المعزوم بها يثاب المؤمن بتيسيرها مع ان
الحفظة لم يكتبها لعدم اطلاعهم على ما في الضمائر فلا يثبتها الا الله وقال علي رضي الله عنه يمحو الله ما يشاء من
القرون ويثبت ما يشاء منها قال تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون وقال ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين
وقيل يمحو الله الفاسدات الضايعات ويثبت الكائنات المتجددات مثلا ان المرء اذا كان كافرا ثم اسلم
في اخر عمره محا عمله في حال كفره وابدل مكانه ما عمله من الحسنات واذا كان مسلما ثم كفر في اخر عمره
يحبط اعماله الصالحة فلم ينتفع بها ويثبت في ديوانه كفره وقيل ان الآية عامة في كل شيء كما تقتضيه ظاهر
اللفظ قالوا ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر
وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون الى
الله تعالى في ان يجعلهم سعداء لا اشقياء وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة
فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في اهل الشقاوة فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء
وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود ايضا وقيل ان الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت
الا الشقاوة والسعادة والموت والحيوة والرزق والاجل ويدل على صحة هذا القول ما روي انه صلى
الله عليه وسلم قال اذا مضت على النطفة خمس واربعون ليلة يدخل الملك على تلك النطفة فيقول
يا رب اشقي ام سعيد فيقضي الله تعالى ويكتب الملك فيقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي الله تعالى ويكتب الملك
فيقول عمله ورزقه واجله فيقضي الله تعالى ويكتب الملك ثم يطوي الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها
سمي اللوح المحفوظ ام الكتاب لكونه اصلا بالنسبة الى جميع الكتب اما كونه اصلا بالنسبة الى الكتب
الملائكة فمن حيث ان كتبهم تعارض به فيمحى منها ما ليس فيه ويثبت فيها ما وجد فيه اي يترك فيها
مكتوبا كما هو واما كونه اصلا بالنسبة الى الكتب المنزلة على الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام
فمن حيث ان كتبهم جميعا تستنسخ منه والباء في المص بقوله اذ ما كائن الا وهو مكتوب فيه وام
الشيء اصله والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الاصل للشيء اما له ومنه ام الرأس للدماغ وام القرى لمكة
وكل مدينة هي ام لما حولها من القرى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما كتابان كتاب
سوى ام الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وام الكتاب لا يغير منه شيء وعلى هذا فام الكتاب الذي
يمحو منه ويثبت هو الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق فان الذي هو اللوح المحفوظ هو الكتاب المشتمل
على نقش جميع الاحوال العلوية والسفلية ولا يتغير مما فيه شيء وقيل المراد بام الكتاب هو علم الله
فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وانها وان تغيرت الا ان علم الله تعالى باق

قال عليه الصلوة والسلام كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح واثبت فيه احوال جميع الخلق الى قيام الساعة فائدة الكتابة فيه ان يظهر للملائكة كونه تعالى عالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعند الله كتابان احدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب هو محل المحو والاثبات والكتاب الثاني هو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على نقش جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقي الذي لا يتغير منه

يعني ان الذي كان عند الله كتابان

بحاله منزه عن التغير فالمراد بام الكتاب هو ذاكره والله تعالى اعلم ثم انه تعالى لما اوعد الذين كفروا و
صدوا عن سبيل الله بقوله لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من دون الله من
واق بين لرسول عليه الصلوة والسلام ان ما ذكر في حقهم واقع بهم لا محالة وانه غير مشروط بحيوتك
فقال واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك الاية اي سواء اريناك ذلك او توفيناك قبل ظهوره
فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء امانته ورسالته فان البلاغ اسم اقيم مقام التبليغ
كالسراح والاداء بمعنى التسريح والتادية **قوله** اما مركب من كلمتين ان ما المزيدة للتاكيد ولما
اكدت اداة الشرط بكلمة ما وجب تاكيد فعل الشرط بنون التاكيد لما كان قوله تعالى فانما عليك
البلاغ جوابا للشرط المذكور قبله وكان ما ذكر قبله شرطان عطف احدهما على الاخر ولم يظهر
ترتب الجزاء المذكور على شيء منهما اذ لا وجه لان يقال ان اريناك في حيوتك بعض ما نعدهم فانما
عليك البلاغ ولا لان يقال ان توفيناك قبل ان نريك ذلك فانما عليك البلاغ اشار المصنف الى وجه
ترتب الجزاء المذكور على ما قبله بقوله وكيف ما دارت الاحوال اريناك بعض ما وعدناهم من
العذاب النازل بهم او توفيناك قبله فما عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم و
جزاؤهم فالزم التبليغ الذي امرت به ولا تهتم بغير ذلك فان قوله اريناك بعض ما اوعدناهم
الى تنفصيل للحال الدائرة **قوله** فلا تحتفل اي لا تبال ولا تحتفل بكذا اي لا تبالي به ثم انه تعالى
لما نهاه عن الاهتمام بغير التبليغ والتعجيل لتاخر النصر عقبه بتسليته وتطييب نفسه عليه الصلوة
والسلام تعالى اولم يروا انا ناتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين
منها فننتقص من دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وبهذه الحال طلايع تحقيق ما اوعدهم الله تعالى
عن تعذيبهم والطلايع طليعة الجيش وهي من يبعث ليطلع حال العدو وتنقص دار الكفر وزيادة
دار الاسلام شيئا فشيئا من طلايع حكم العذاب الموعود في حقهم وعلاماتها فانه تعالى اذا
قدر على جعل بعض ديار الكفر للمسلمين فهو قادر على ان يجعل الكل لهم افلا يعتبرون بهذا ثم انه تعالى
اكد هذا المعنى فقال والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له ولا مبطل وقد حكم للاسلام بالظهور والاقبال
وعلى الكفر بالتراجع والادبار وذلك كائن لا يمكن لاحد تغييره **قوله** لا معقب لحكمه حال من فاعل
يحكم كانه قيل نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة اي حاسرا والمعقب
الشيء ما ياتي بعده فيبطله ثم سلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان اخبران كفار الامم الماضية
كفروا برسلهم ومكروا بان هموا بقتلهم واهلاكهم وابطال دينهم دعوا قومهم اليه مثل نمرود مكر
ابرهيم عليه الصلوة والسلام وفرعون مكر بموسى عليه الصلوة والسلام واليهود مكروا بعيسى
عليه الصلوة والسلام ثم بين ان مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكر الله تعالى حيث قال فلله المكر
جميعا

جميعا ثم بين قوة مكره وكماله بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار فانه
من علم ما تكسب كل نفس واعد لهم جزاءها وكان قادرا على امضاء ما اعد من الجزاء في الدنيا
والاخرة لا جرم ياخذ المجرمين بالنواصي والاقدام وهم في غفلة مما يراد بهم ان بطشه لشديد
اذا اخذ الظالم لا يفلته والسين في قوله وسيعلم للتاكيد والدلالة على وجوب وقوع علمهم به
حال وقوعه واللام في لمن دلت على ان المراد من العاقبة المضافة الى الدار العاقبة المحمودة
لان اللام للاجر والعاقبة التي اعتبرها الله تعالى للمجازاة هي المحمودة فان كل واحدة من الدارين
وان كانت عاقبة للدنيا الا ان دار النعيم انما تكون عاقبة المطيعين في الدنيا بمحض
فضل الله تعالى ورحمته فان احدا لا يستوجب الجنة بعمله لان عمله لا يكون شكرا لما انعم الله
عليه في الدنيا فضلا عن ان يستحق به ثواب الاخرة فالتي اعتبرها الله تعالى للمجازاة هي الجنة
واما الجحيم فانها ليست مما اعتبرها الله مقصودة الذات وانما يدخلها المرء لسوء اختياره
واساءته لنفسه فانه تعالى ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه ويثابوا على حسب اعمالهم
قوله مع ما في الاضافة الى الدار اي مع ما في اضافة العقبى الى الدار من الدار على تعظيم
المضاف وكونه عاقبة محمودة صالحة لان تكون عاقبة للدنيا وما آل لاهلها فان الدنيا التي هي
محل اكتساب سعادة الاخرة لا ينبغي ان تكون النار عاقبة لها ثم انه تعالى لما اوعد الكفار بقوله
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار بين سبب استحقاقهم الوعيد بقوله ويقول الذين كفروا لست
مرسلا ولما حكى عنهم انهم انكروا كونه مرسلا من عند الله احتج عليهم بامرين الاول شهادة
الله تعالى على نبوته فان ما اظهر الله تعالى على يده من المعجزات شهادة منه تعالى على صدقه في دعوى
الرسالة وهذا اعظم مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن واظهار المعجزة
فعل مخصوص يوجب القطع بكونه رسولا من عند الله فكان اظهار المعجزة اعظم مراتب الشهادة
والثاني قوله ومن عنده علم الكتاب بفتح ميم من على انها موصولة بمحل الجر عطفا على لفظة الجلالة
اي كفى بالله وبمن عنده علم الكتاب شهيدا بيني وبينكم والمراد بالكتاب اما القران الذي عجز الجن
والانس عن اتيان مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا واما التورية فان من عنده علم القران
من حيث انه مؤلف عن النظم المعجز يشهد بالضرورة على صدقه عليه الصلوة والسلام في دعوى الرسالة
وكذا من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه رضي الله عنهم يشهد عليه ايضا فان كل
واحد من التورية والانجيل مشتمل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فمن اسلم من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي والنجاشي وغيرهم رضي الله عنهم كان شاهدا
على انه عليه الصلوة والسلام رسول حق من عند الله صادق في دعواه ويحتمل ان يكون المراد

قوله نطب لتنفس سواد الدعوة عليه الصلوة والسلام وتنفس عنه بما ذكر من تباشير النصرة والظفر والطلائع الحادثة على الاكابر والوا والعطف على محذوف مثل انكروا في الظفر والغلبة ولم يروا انا ننقل من نقص ارض الكفر وجعلها بلاد الاسلام ودركه من امارات النصرة وطلايع الظفر روح

قوله فانه اظهر من الادلة اي جعل اظهار الخوارق الدالة على الرسالة شهادة من الله تعالى فهو فعل والشهادة قول فاشار الى ان ذلك استعارة لانه يغني عنها الشهادة بل هو اقوى من الشهادة القول

قوله ومكر بالذي يجمع العبادة اي انما اورد الكلام على هذا الشيء عطف على نفسه ويكون عطف الصفة على الصفة فجعل اللام بمعنى واحد كون اصله الله بمعنى عبد كما سيظهر في سورة الانعام في قوله وهو الله في السموات وفي الارض حتى جاز تعلق الجار فالمعنى وهو المستحق للعبادة فيهما

بالكتاب اللوح فيكون العطف المذكور من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف اشار
اليه المص بقوله اى وكفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما فى اللوح الا هو وهو الله عز وجل قوله
ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر اى على من الجارة اى من لدنه علم من علم الكتاب ووجه التأييد
ان المراد بقوله ومن عنده على قراءة الكسر هو الذى فينبغى ان يكون المراد به على قراءة الفتح ايضا
الذى لان الاصل عند اختلاف القراءة توافق المعنى وعلم الكتاب على قراءة الفتح مرفوع بالظرف
لانه معتمد على الموصول او مرفوع على الابتداء وخبره الظرف قوله وهو متعين للثانية اى كون علم الكتاب
مرفوعا على الابتداء متعين على قراءة الكسر لان الظرف لا يعمل بدون الاعتماد الا عند الاخفش
قوله وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وبناء الفعل للمفعول ورفع الكتاب تمت بعون
الله سورة الرعد وتتلوه سورة ابرهيم عليه الصلوة والسلام والحمد لله على جزيل الآلاء والصلوة
والسلام على رسوله محمد سيد انبيائه وعلى آله وصحبه اجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد سيد
المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين قوله هو كتاب اما على تقدير ان يكون الر اسما للسورة و
يكون التقدير هذه الر ثم استأنف قوله هو كتاب اشارة الى فخامة شأنه وعظم قدره بانه كتاب
عظيم الشأن نزلناه بانزاله وبلغ فى الفصاحة والبلاغة الى حيث تخرج بسبب اعجازه من
الظلمات الى النور واذا كانت سورة من القرآن بهذه المثابة فى ظنك بمجموع القرآن واما على ان
يكون الر تعديدا للحروف تنبيها للعجز وتعريضا لدليل الاعجاز ولا يكون له محل من الاعراب قوله
مستعار من الاذن اى مجاز مرسل على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان لفظ الاذن حقيقة
فى الاطلاق ورفع الحجر ويلزمه التسهيل والتيسير فان الدخول فى حق الغير وملكه متعذر فاذا
صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان التسهيل من لوازم الاذن صح استعمال لفظ الاذن مجازا فالمراد
بقوله مستعار الاستعارة اللغوية لا ما هو ما اصطلح اهل البيان قوله لتخرج متعلق بانزلناه و
قوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بالاخراج اى لتخرجهم بتسهيله وتيسيره وان يتعلق بمحذوف
على انه حال من ضمير الفاعل اى مأذونا لك او من الناس اى مأذونا لهم شبه الكفر بالظلمات لانه غاية
الرجل فيه ولا يهتدى به الى الحق والصواب وشبه الايمان بالنور لانه غاية ما يتجلى به الحق المطلوب
وجمع الظلمات لتعدد طرق الكفر وانواعه قوله بدل من قوله الى النور ولا يضره الفصل بقوله باذن
ربهم لانه من معمولات العامل فى المبدل منه قوله او استيناف فيتعلق بمحذوف كانه قيل الى اى نور اخرجهم
فقيل

فقيل الى صراط قوله اما لانه مقصود اى اما لان الله هو المقصود من ذكر الصراط واما لانه هو
المظهر لذلك الصراط وبهذا القدر من الملابسة يكفى فى صحة الاضافة واضيف الصراط الى العزيز للتنبيه
على انه صراط عزيز لا يذل سالكه واضيف الى الحميد للتنبيه على انه صراط كثير الخير لا يخيب سالكه قوله
على قراءة نافع وابن عامر فانهما قرءا برفع لفظ الجلالة على انه مبتدأ خبره الموصول بعده او على انه خبر
مبتدأ محذوف اى هو الله ومثل هذا يسمى الرفع على المدح فعلى هذا يكون الموصول مع صلته فى محل الرفع
على انه صفة لفظ الجلالة والباقون بجره على انه عطف بيان للعزيز الحميد لان لفظ الجلالة وان كان فى
اصل الوضع اسما مشتقا الا انه صار فى العرف جاريا مجرى الاسم العلم لذات الله فخرج بذلك عن ان
يكون مفهومه صالحا لوقوع الشركة فجاز كونه تابعا لما قبله للايضاح والتعيين والذى يدل على كونه جاريا
مجرى الاسم العلم انه لو كان مشتقا لكان مفهومه شيئا ما حصل له المشتق منه وهذا المفهوم مفهوم كلى صالح من
حيث هو هو لوقوع الشركة فلا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المستثنى يكون امرا كليا
ح وهو خلاف الاجماع لان الامة قد اجمعوا على ان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد وذلك يوجب كون
لفظ الجلالة جاريا مجرى الاسم العلم للذات المخصوصة فعلى هذا كان الظاهر ان يذكر الاسم ثم عقيبه الصفات
كما فى قوله هو الله الخالق البارئ واما ان يعكس هذا الترتيب فيقال هو الخالق البارئ الله فذلك ترتيب
بعيد عما هو الشائع المتعارف فمن قطع لفظ الجلالة عما قبله وقرأه مرفوعا اما على الابتداء او
الخبرية لمحذوف فلا كلام فى قراءته واما قراءة بالجر عطفا على العزيز الحميد فيرد عليهم ان اتباع الاسم
للصفة خلاف الترتيب الشائع بين القوم فلهم ان يقولوا انه لما اراد تفخيم الصراط الذى يدعو الناس
اليه اضافه الى العزيز الحميد ثم لما وقعت الشبهة فى ان ذلك العزيز الحميد من هو بناء على ان الكفار ربما
يصفون الصنم بكونه عزيزا حميدا عطف عليه عطف بيان قوله الله الذى لا اله الا هو له ما فى السموات
وما فى الارض ازالة لتلك الشبهة وايضاحا للمتبوع قوله لكنه رفع على انه مبتدأ وللكافرين خبره
وجاز الابتداء بالنكرة لانه دعاء كسلام عليكم مع انه موصوف بقوله من عذاب شديد فانه متعلق بمحذوف
هو صفته ويلزم لا يجوز ان يتعلق بنفس ويل لاجل الفصل بينهما بالخبر وقد تقرر فى النحو انه لا يجوز الفصل
بين المصدر ومعموله قوله فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليه فان الاستحباب
الشئ طلب محبته عبر عن اختيار الشئ طلب باستحبابه للمبالغة فى اختياره من شائبة طلب كونه احب اليه
من غيره والظاهر ان استحباب الشئ ابلغ من اختياره فى الدلالة على كون ذلك الشئ محبوبا لان اختيار
الشئ انما يدل على مجرد ترجيح ذلك الشئ على عدمه بخلاف الاستحباب فانه يدل على كون محبة المختار مطلوبا
له ومحبوبا عنده وهو غاية المحبة فقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا يدل على كونهم فى غاية المحبة للحيوة
الدنياوية وهو غاية الضلال لانه انما ينشأ عن الغفلة عن حقيقة الحيوة الاخروية وعن معا

الحيوة العاجلة وادنى معايبها ان ما في هذه الحيوة من اللذات لا حاصل لها في الحقيقة الا دفع الآلام
بخلاف اللذات الاخروية فانها في انفسها لذات محضة ثم انه تعالى زاد على ما يدل على ضلالهم في انفسهم «
فقال ويصدون فان من كان موصوفا باستحباب الدنيا فهو ضال ومن منع الغير من الوصول الى سبيل
الله ودينه فهو مضل ثم زاد على وصفهم باضلال الغير بصده من الوصول الى الصراط المستقيم فقال
ويبغونها عوجا فان السعي في القاء الشكوك والشبهات في المذاهب الحق والجد في تقبيحه بكل ما يقدر عليه
من الحيل هو نهاية الضلال والاضلال قوله والبعد في الحقيقة جواب عما يقال القرب والبعد لا يوصف
بهما الا الاماكن او المتمكن فيها والضلال ليس منهما فكيف وصف بقوله بعيد اجاب عنه اولا
بان البعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق والمقصد فوصف به فعله «
اسنادا مجازيا على طريق جد جده وثانيا بان البعد صفة للامر الذي به الضلال عن الحق
تنزيلا له منزلة المكان الذي وقع فيه الضال انما اسند البعد الى سببه للملابسة بينهما قوله
الا بلغة قومه الخ خص قوم الرسول بمن هو منهم وبعث فيهم لظهور ان ليس المراد منه جميع من
بعث اليهم من امة دعوته لان رسولنا بعث الى الناس كافة بل الى الثقلين مع انه لم يرسل
الا ملتبسا بلسان العرب خاصة والذي يخطر بالبال في اتصال هذه الآية بما قبلها انها جواب
يرد على قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس وهو ان تعريف الناس للاستغراق لقوله
تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما انزل اليه عليه الصلوة والسلام انزل بلسان
العرب خاصة فكيف يتيسر ان يخرج به جميع الناس من ظلمة الكفر الى نور الايمان فاجاب
عنه بان ما ارسلنا من رسول الى الامم التي اختلفت السنتهم الا بلغة قومه الذين منهم اذ لا
حاجة الى ان ينزل الى كل قوم كتاب ملتبس بلغة ذلك القوم لان ذلك ينوب ويكفي عن التطويل اللازم
من ذلك فاذا انزل بلسان واحد من الاقوام كان اولى الالسنة قوم الرسول لان قومه اقرب الناس
اليه فكان حقهم عليه اقدم فكان الاولى ان يدعوهم الى الحق اولا وينذرهم على المخالفة والعقاب
حتى اذا فهموا عنه وتبينوا ما ارسل به اليهم يترجموا لغيرهم ما فهموه عنه فينتشر دعوته بذلك الى «
اطراف العالم قوله تعالى الا بلسان قومه في موضع النصب على الحال اي الا متكلما او ملتبسا «
بلسان قومه وقرأ العامة بلسان على وزن كتاب وقرئ في الشواذ بلِسْن قومه بكسر اللام و
سكون السين وهو لغة في اللسان وقيل اللسان يطلق على العضو المعروف وعلى اللغة ايضا
واما اللِسْن انما يطلق على اللغة خاصة وقرئ بلُسُن بضم اللام والسين وهو جمع لسان
ككتاب وكتب وقرئ بضم اللام وسكون السين وهي تخفيف القراءة بضمتين نحو رُسْل ورُسُل
قوله تعالى فيضل استئناف اخبار اي فهو يضل ولا يجوز نصبه عطفا على ما قبله لان المعطوف
كا

قوله وليس يخفى الخ لان النقل المتعدي اذا وجد لا حاجة الى التعدية اللازم لانه تكلف وتبع في هذا صاحب الكشف وفيه ان القراءة تقطع من الرواية لا من « الدراية فلا وجه للعدول ان نصه مندوحة عن تكلف التعدية كاررو

فكانهم بعدوا عن الحق بحيث بعد وصفهم ايضا

قوله ليبين لهم ... يتعلم ... ايضا ... حتى يبين لهم ... هذا التبيين ...

كالمعطوف عليه في المعنى فيكون المعنى ليبين فيضل والرسل انما ارسلت للبيان لا للاضلال
قال الزجاج ولو قرئ بنصبه على ان اللام لام العاقبة جاز والفاء فيه تفصيلية والمعنى ان
الله تعالى ارسل الرسل الى اقوامهم ليبين لهم طريق الهداية وطريق الضلالة فعند ذلك حصل «
الاختلاف فبعضهم اختاروا الهداية وبعضهم الضلالة او تقول انزلنا الكتاب للتبيين
فمنهم من نفعناه بذلك البيان ومنهم من جعلناه حجة عليه قوله تعالى باياتنا حال اي ارسلنا
ملتبسا باياتنا وان في ان اخرج يجوز ان يكون مفسرة لتقدم ما هو فعل في معنى القول وان يكون
مصدرية واختلف النحاة في انه هل يجوز ان يكون صلة ان المصدرية امرا او نهيا او غيرهما مما
فيه معنى الطلب او لا يجوز والمشهور عدم الجواز واجاز سيبويه كون صلة ان المصدرية ذلك على
ان يكون معنى قولك امرته ان قم امرته بان قم اي بالقيام وقال ابو علي في قوله ما قلت لهم الا ما امرتني
به ان اعبدوا الله يجوز ان يكون ان فيه مصدرية فتكون مع ما في حيزها بدلا من ما او من الهاء
في به او خبر مبتدأ محذوف اي هو ان اعبدوا الله وان تكون مفسرة واختار المص قول من اجاز
ما ذكر فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فصح ان يوصل بها ان الناصبة الا انه تسامح
في العبارة حيث جعل ان الداخلة على فعل الامر ناصبة والمراد فصح ان يوصل بها ان التي لو
دخلت على الفعل المضارع لكانت ناصبة ولو قال ان يوصل بها ان المصدرية لم يحتج الى هذا
التأويل ثم انه تعالى لما ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المنة انه انزل كتابا عظيم الشأن ليخرج به
الناس من الظلمات الى النور اتبع ذلك بشرح بعثة سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام الى
اقوامهم وكيفية معاملة اقوامهم معهم ليكون ذلك تصبيرا له عليه الصلوة والسلام على اذى قومه و
ارشادا له الى كيفية مكالمته ومعاملته مع قومه فذكر قصة موسى عليه الصلوة والسلام فقال
ولقد ارسلنا موسى باياتنا الاية امر الله تعالى موسى عليه الصلوة والسلام في هذا المقام بشيئين
احدهما ان يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال وثانيهما ان يذكرهم بايام الله والتذكير العظة اي
عظهم بايام الله واختلف في تفسير ايام الله تعالى فقيل المراد بها ما انعم الله تعالى عليهم في الايام الماضية
كانه قيل قل لهم يا قوم كم من خير قد اعطاه الله لكم ومن شر قد صرفه الله عنكم اما تذكرون ما انتم
عليه مما اصابكم من قبل فرعون من انواع العذاب ثم انه تعالى اهلك عدوكم بتدبير عجيب وخلصكم
من عذابه وانزل عليكم المن والسلوى وانعم عليكم جميع ما انتم عليه الآن من صنوف نعمائه «
فبادروا الى شكر هذه النعم وقيل المراد بايام الله وقايعه في الامم السالفة اي ذكرهم كيف اهلك
الله الامم السالفة بما كذبوا الرسل وقيل المراد بها جميع ما وقع من النعماء والبلاء والمعنى عظهم
بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد ان يذكر ما انعم الله عليكم وعلى من

قبلهم ممن آمنوا بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وعذابه
وانتقامه ممن كذب رسله فيما سلف من الايام مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم ليرغبوا في الوعد
فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب والعناد ويؤيد هذا القول الجمع بين الصبار
والشكور في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ومن حمل الايام على معنى الوقائع استدل
عليه بان التذكير بالايام اكثر ما يستعمل في التخويف والانذار قوله وقيل المراد لكل مؤمن عطفه من
حيث المعنى على قوله يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فعلى الاول الصبار والشكور يراد بهما كل من
الاظفار قوله اي اذكروا النعمة وقت انجائه اياكم يعني ان قوله اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام
ثم قال ويجوز ان ينتصب بعليكم اي بما تعلق به عليكم على تقدير ان لا يكون صلة للنعمة بل يكون
متعلقا بالاستقرار بمعنى اذكروا النعمة المستقرة عليكم وقت انجائكم فعلى هذا تكون النعمة بمعنى
العطية لا بمعنى الانعام ولو جعل عليكم صلة للنعمة بمعنى الانعام لا يجوز ان ينتصب الظرف
بعليكم لان المعمول فيه عبارة عما فيه فعل مذكور فلا يعمل فيه الا فعل او شبهه وعليكم على
كونه صلة للنعمة لا يكون فعلا ولا شبهه قوله احوال من آل فرعون او من ضمائر المخاطبين او
منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ويجوز ان يكون مستأنفا للبيان ان ما انجاهم منه ما هي
في سورة البقرة واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وكذا في الاعراف الا انه وقع فيه بدل يذبحون يقتلون وكل واحد منهما في سورته بغير
واو ولما وقع في هذه السورة ويذبحون بواو العطف اشار المص الى الفرق بان الجملة حيث
ذكرت بغير واو يكون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب على طريق التفسير والبيان وحيث
ذكرت بالواو يكون الكلام من قبيل عطف الخاص على العام على تقدير ان يراد بالعذاب جنس
العذاب ويعطف عليه التذبيح للاشارة الى انه بلغ في الفظاعة والشدة الى حيث صار
كانه جنس مغاير للعذاب او من عطف احد المتقابلين على الآخر على تقدير ان يخص العذاب
باستعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة قوله من حيث انه الخ لما جعل ~~الله~~ الاشارة
الى فعل آل فرعون بهم ورد ان يقال كيف يكون فعل آل فرعون بلاء من ربهم فاجاب عنه بان
فعلهم لما كان باقدار الله اياهم وامهاله لهم فيه صار ابتلاء من الله فانه تعالى يبتلي عباده
تارة بالمحنة وتارة بالمنحة قوله ايضا من كلام موسى عليه الصلوة والسلام فيكون معطوفا
على قوله اذ انجاكم فيكون مفعولا للنعمة بمعنى الانعام او للاستقرار الذي تعلق به عليكم او على
قوله نعمة الله فيكون مفعولا لقوله اذكروا والنعمة الزائدة بالشكر تعم النعم الروحانية والجسمانية
اما ازدياد النعم الروحانية فلان الشاكر يكون ابدا في ملاحظة اقسام نعم الله وانواع

وانواع فضله وكرمه له وتلك الملاحظة تستجلب محبة العبد لله تعالى ومقام المحبة اعلى مقامات
الصديقين ثم قد يترقى العبد من تلك الحال الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا عن الالتفات الى
النعم ومعرفتها فثبت ان الاشتغال بالشكر يجلب النعم الروحانية واما ازدياد النعم الجسمانية
بالشكر فلما كان الشكر اكثر كان وصول نعم الله اليه اكثر ثم ان موسى عليه الصلوة والسلام لما
بين ان الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة وان كفران النعم يوجب العذاب
الشديد وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفران لا
تعود الا الى صاحب الشكر وصاحب الكفران واما المعبود والمشكور فانه غني عن ان ينتفع
بالشكر ويستضر بالكفران فهو تعالى انما امر بهذه الطاعات لمنافع العباد كما قال تعالى فان الله لغني
حميد لان من كان ذاته كافية في وجوده وجميع كمالاته يكون غنيا لا يفتقر الى شكر شاكر وحميد يستحق
الحمد لذاته لكونه مستجمعا لجميع الكمالات بالفعل قوله من كلام موسى عليه الصلوة والسلام
لقومه يذكرهم احوال المتقدمين ويخوفهم بالبعض واو يجتهدوا في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله
وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر اقواما ثلثة وهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم نوح بدل من الذين من قبلكم او عطف بيان له ثم قال والذين من بعدهم لا
يعلمهم الا الله وذكر المص فيه احتمالين الاول ان يكون قوله والذين من بعدهم مبتدأ وقوله لا يعلمهم
الا الله خبره ويكون الجملة الاسمية معترضة بعد تمام الكلام على ما جوزه صاحب الكشاف او بين
الحال وصاحبها ان جعل قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات حالا من الذين من قبلكم على مذهب من
يجوز انتصاب الحال من المضاف اليه وفائدة الاعتراض التنبيه على كثرة الامم المتقدمين كانه
قيل ان من بعدهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله فكيف بالمجموع والاحتمال الثاني ان يكون
قوله والذين من بعدهم معطوفا على ما قبله وهو قوم نوح وعاد وثمود ويكون قوله لا يعلمهم الا
الله اعتراضا لبيان كثرة من قبلهم والمعنى الم يأتكم انباء الجم الغفير الذين لا يعلم عددهم الا الله
لكثرتهم وقول المص والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله بيان للمعنى على الاحتمالين لكن
يختلف مرجع ضمير انهم بحسب الاحتمالين فان المعنى على الاحتمال الاول ان الذين من بعدهم من
الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله فيكون المقصود الترقي في بيان كثرة من قبلهم كانه قيل الم يأتكم
نبأ هؤلاء ومن لا يحصى عددهم ممن بعدهم فهو بمنزلة ان يقال ودع التفصيل فانه لا مطمع في
الحصر وفيه لطف من حيث انه يوهم الجمع بين الاجمال والتفصيل ولهذا قدم هذا الاحتمال في الذكر
والمعنى على الثاني ان الذين من قبلكم لكثرتهم لا يعلمهم الا الله فيكون حاصل المعنى ما ذكر من قولنا
الم يأتكم انباء الجم الغفير الخ قوله ولذلك اي ولكون المعنى على الاحتمالين تكثير المتقدمين بحيث

لا يعلم عددهم الا الله كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني
انهم يدعون علم الانساب ويتصلونها الى آدم عليه الصلوة والسلام وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد
حيث بيّن ان فيمن قبلكم اقواما كذبوا رسلهم فاهلكوا ولم يبلغ اليكم خبرهم فلا يعلمهم الا الله ونظيره
هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا او تبرنا تتبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك قيل وعلى هذا القول لا يمكن القطع على مقدار السنين من لدن آدم عليه الصلوة
والسلام الى هذا الوقت لانه ان امكن ذلك لم يبعد ايضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى
حكى عن هؤلاء الاقوام المذكورة انه لما جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات اتوا بامور اولها قوله
فردوا ايديهم في افواههم وثانيها قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه وذكر المص فيه ثلث احتمالات الاول انهم ردوا ايدي انفسهم في افواه انفسهم والثاني ردوا
ايدي انفسهم في افواه الانبياء عليهم الصلوة والسلام والثالث انهم ردوا ايدي الانبياء في افواه
الانبياء على ان الايدي بمعنى الايادي وذكر في الاحتمال الاول ثلثة اوجه الاول ان يكون رد الايدي الى
الافواه عبارة عن تغيظهم من شدة نفرتهم من رؤية الرسل او من استماع كلامهم والثاني ان يكون
عبارة عن وضعها على الافواه اما لانهم لما سمعوا كلام الانبياء تعجبوا منه غاية التعجب فحملهم ذلك
على ان يضعوا ايديهم في افواههم او لانهم لما سمعوه غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية والاستهزاء
فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك او لانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على
افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا والثالث ان يكون عبارة
عن الاشارة بايديهم الى جوابهم الذي قالوه بالسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا
جوابنا الذي نقول بافواهنا فقول المص الى السنتهم توطئة لقوله وما نطقت به والمراد اشاروا بها
الى كلامهم ثم انه يحتمل ان يكون اشاروا بايديهم الى ان هذا هو الجواب ثم قرروه ويحتمل انهم كانوا
قرروا جوابهم ثم اشاروا بايديهم الى ان هذا هو الجواب لان قوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
معطوف على ما قبله بالواو وعطف قوله فردوا على جاءتهم بفاء التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين
لانه انما يدل على انه لما جاءتهم الرسل بالبينات ما امهلوا بل عقبوه بالتكذيب والانكار ولا دلالة
فيه على تقدم الاشارة على الجواب وتأخره واشار الى الاحتمال الثاني بقوله او ردوها في افواه
الانبياء عليهم الصلوة والسلام والى الثالث بقوله وقيل الخ قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا
بان يمثل الهيئة الحاصلة من دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان
وردهم لما سمعوا منهم وما رأوا ابلغ الرد والانكار بالهيئة الحاصلة من مباشرة احد بان يتكلم
بمرأى ويمنعه الآخر بان يضع يده على فم صاحبه يضطره على السكوت ليمنعه عن ان يتكلم و

ويصل كلامه في صاحبه لعدم قبول قوله فاذن لا ايد ولا فم هناك قوله الايدي بمعنى الايادي انما
قال بمعنى الايادي لان الايادي غلب في النعم والايدي في الجوارح قال الشاعر ساشكر عمرا ان تراخت
منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت قوله لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها الخ اشارة الى ان رد الايدي
الى الافواه من قبيل التمثيل قطعا على تقدير ان يكون المراد رد ايادي الانبياء الى افواههم لامتناع
رد احكام الانبياء وشرايعهم الى افواههم حقيقة فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية على
نحو ما ذكرنا آنفا قوله على زعمكم يعني ان المعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله تعالى ارسلكم به انما قال ذلك لانهم
لا يقرون بانهم رسلوا قوله موقع في الريبة على ان يكون مريب من اراب بمعنى فلان اذا اوقعه في
الريبة ورأيت منه ما يكرهه قوله او ذي ريبة على ان يكون من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة
قيل قولهم وانا لفي شك بعد ما قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به مشكل لان الشك ينافي الجزم بالكفر بقولهم انا
كفرنا سيما وقد اكدوا كفرهم بانّ واجيب بان الواو هنا بمعنى او اي احد الامرين لازم وهو الكفر
برسالتكم جزما وان لم ندع هذا الجزم واليقين فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في صحة
نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم ويرتفع الاشكال راسا بان يقال تحقق الكفر
والجزم به لا ينافي شكهم في نبوته عليه الصلوة والسلام وفي حقية ما دعاهم اليه لان الشاك لا
ايمان له فيكون كافرا قطعا كالمنكر فيكون قولهم وانا لفي شك بعد تحقيق كفرهم بقولهم انا كفرنا لبيان ان
طريق كفرهم هو الشك دون الانكار قوله ادخلت همزة الانكار على الظرف مع ان الظاهر ان يقال اشك
في الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون مدلول الكلام انكار تحقق الشك في الله واثباته في غير الله
ولا شك ان اثبات الشك في غير الله ليس بمقصود من الآية وانما المقصود نفي الشك في الله والعبارة
المؤدية لهذا المعنى هي ان يقال اشك في الله فلم قدم الظرف وادخلت همزة الانكار عليه فحاصل الجواب
ان تقديم الظرف ليس للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك لان الشك موجود لا
محالة فلا وجه لانكاره وانما المنكر ثبوت الشك في الله تعالى فكان الاهم من الشك والمشكوك فيه فلذلك قدم الظرف
واستلزم ذلك دخول الهمزة عليه قوله وشك يرتفع بالظرف لاعتماده على حرف الاستفهام ولا وجه لكونه
مرفوعا بالابتداء وكون الظرف المتقدم خبره لانه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي وهو
المبتدأ بخلاف الاول فان الفاعل لا يكون اجنبيا لانه فاعل والفاعل كالجزء من رافعه وكون فاطر السموات
عطف بيان اقرب من كونه بدلا لان الابدال بالمشتقات قليل قوله تعالى يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم
الى المغفرة فقدر في الاول مفعولا به وهو قوله الى الايمان فيكون المدعو اليه الايمان وقوله ليغفر لكم تعليلا
وعلى الثاني اقام المفعول له مقام المفعول به وجعل المغفرة مدعوا اليها لا بان يكون اللام بمعنى الى فانه من
ضيق الفطن بل لان معنى الاختصاص ومعنى الانتهاء كلاهما واقعان في حاق الموقع فكانه قيل يدعوكم
اي وسطا

قوله على زعمكم اراد دفع توهم ان في قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اعترافا برسالتهم فبالغ في اضمارهم بكفرهم بانا ارسلوا

فالمدعو اليه هو المغفرة باعتبار كونها غرضا من الدعوة سلمه

[illegible] اللام [illegible]

اي المغفرة لاجله لا لغرض آخر وحقيقته ان الاغراض غايات مقصودة تفيد معنى الانتهاء وزيادة هي
كون المنتهى اليه مطلوبا لذاته اذ ليس كل ما ينتهي اليه الشيء مطلوبا كذلك قوله ويؤخركم الى وقت سماه
الله وجعله آخر اعماركم قيل معناه يؤخر الله موتكم الى الاجل المسمى ان آمنتم والا عاجلكم بعذاب
الاستيصال وقال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت
فان قيل اليس انه تعالى قال فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال ههنا يؤخركم
الى اجل مسمى والجواب والله تعالى اعلم لعل المراد بقوله يؤخركم الى اجل مسمى الاجل المسمى على تقدير
الايمان والطاعة ويدل عليه ما رواه الواحدي في الوسيط بقوله في تفسير سورة الانعام قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل نفس اجلين من مولده الى موته ومن موته الى بعثه فاذا كان
الرجل صالحا واصلا رحمه زاد الله له في اجل الحيوة ونقص من اجل الممات الى البعث واذا كان
غير صالح ولا واصل رحمه نقصه الله تعالى من اجل الحيوة وزاد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما
يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب انتهى ما في الوسيط ولا يلزم منه ان يكون للانسان اجلين
كما ذهب اليه المعتزلة لانه تعالى عالم بما يكون منه من الامور التي يزداد به العمر وينقص فقضى اجل كل
شخص على حسب علمه بما يكون منه قال الامام ابو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى تعلقت المعتزلة
بظاهر قوله تعالى ويؤخركم الى اجل مسمى وقالوا ان لكل انسان اجلين اجل في حال اذا كان فعل كذا
واجل في حال آخر اذا كان فعل كذا ولكن ما قالوه فاسد لان جعل الاجلين انما يكون لجهل في العواقب
والله تعالى عالم بما كان ويكون فلا يحتمل ان يجعل له اجلين وانما جعل اجله بالذي علم انه يكون منه
الذي جعل قوله لا فضل لكم علينا يعني ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية ولوازمها
فيمتنع ان يكون الواحد منهم متميزا عن الباقي بان رسولا من عند الله مطلعا على الغيب مخالطا
لزمرة الملائكة ويكون الباقون غافلين عن كل هذه الاحوال وايضا كانوا يقولون ان كنت قد
فارقتنا في هذه الاحوال العالية وجب ايضا ان تفارقنا في الاحوال الخسيسة من الحاجة الى الاكل
والشرب والحدث والوقاع وهذه الشبهة هي المراد بقولهم ان انتم الا بشر مثلنا فالله تعالى حكى عن
الانبياء عليهم الصلوة والسلام جوابهم عن هذه الشبهة بانهم سلموا ان الامر كذلك لكنهم بينوا ان
التماثل في البشرية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة بناء على ان هذا المنصب عن الله تعالى
اختاره من يشاء من عباده فان اهل السنة والجماعة تمسكوا بهذه الاية فيما ذهبوا اليه من ان
النبوة عطية من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الانسان
عن سائر الناس بمزيد استعداد نفساني وقوة قدسية فانه تعالى بين في هذه الاية ان حصول
النبوة ليس الا بمحض المنة من الله والعطية وايضا انهم ذهبوا الى ان لا مؤثر في الوجود الا الله ولا

قوله وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنته عليهم لم يرد نفي فضيلتهم الخفية جواز ان لا يكون لهم ذلك وليس على غيرهم بل لا بد من ذلك وليس المراد بكونها عطائية انها يحصل بمحض [illegible] بل المراد [illegible] على غيرهم موجبا للاصطفاء الى قوله في تفسير قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته ان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها

ولا دخل لشيء مما سواه في الوجود وانه تعالى يرجح بعض الجائزات على بعض بمشيئته وقال جماعة من
حكماء الاسلام الانسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصا بخواص شريفة قدسية فانه يمتنع عقلا
حصول النبوة له واجابوا عن قول الاشاعرة بانهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والبدنية و
وامتيازهم بها عن سائر الناس تواضعا بل اقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من
عباده بالنبوة لعلمه باتصافهم بالفضائل التي لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال الله اعلم حيث
يجعل رسالته واجابوا عن قولهم فأتونا بسلطان مبين بقولهم ما كان لنا ان نأتيكم بسلطان
الا باذن الله ثم ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما اجابوا عن شبهات الكفرة بتلك الاجوبة
فالظاهر ان الكفرة اخذوا في السفاهة وتخويف الانبياء ووعيدهم فعند ذلك قالت الانبياء عليهم
الصلوة والسلام لا نخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم بل نتوكل على الله ونعتمد على فضله ونقطع
رجاءنا عما سوى الله تعالى الا انهم عمموا الامر بالتوكل حيث قالوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ،،
للاشعار بان موجب التوكل هو الايمان وقصدوا بلفظ المؤمنين انفسهم قصدا اوليا بدليل
قولهم وما لنا ان لا نتوكل على الله بعد ما علمنا ان الامور كلها بيده فان من كان يشرف العبودية و
وصول الى مقام الاخلاص والمكاشفة والمعارف الربانية ينبغي له ان يرجع في امر من الامور
الى غير الحق سواء كان فلكيا او ملكيا او روحا وجسما ثم انه تعالى لما حكى عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام
انهم اكتفوا في دفع شرور اعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه حكى عن الكفار انهم بالغوا
في السفاهة واقسموا على انهم ليخرجن الانبياء واتباعهم من ارضهم او ليعودن في ملتهم وانما قدروا
على تفوه هذه المقالة القبيحة بناء على ان اهل الباطل في كل زمان يكونون كثيرا بالنسبة الى اهل الحق وانهم
يتعاضدون ويتعاونون في تمشية اباطيلهم فلهذا السبب قدروا على هذه السفاهة ولما ورد وان
يقال قولهم او لتعودن يوهم ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يصح
ان يقول لتعودن في ملتنا اجاب عنه اولا بان العود ههنا بمعنى الصيرورة واستعمال عاد بمعنى صار كثير
في كلام العرب وثانيا بان الخطاب وان كان مع الرسل ظاهرا الا ان المقصود بهذا الخطاب كل رسول
مع اتباعه واصحابه فغلب اتباع الرسل على انفسهم في حكم العود فقيل او لتعودن اذ الظاهر ان الاتباع
كانوا قبل ذلك على دين اولئك الكفار ومع هذا ان من قال او لتعودن هم الكفار ولا يجب ان يكونوا
صادقين في كل ما قالوه فلعلهم توهموا كون الانبياء على ملتهم اولا بناء على انهم نشأوا في بلاد الكفرة
وما اظهروا المخالفة الكفار فلذلك ظن الكفرة انهم كانوا في اول الامر على دينهم فقالوا او لتعودن
في ملتنا ولما ذكر الكفار هذه السفاهة قال الله تعالى فاوحى اليهم ربهم بفاء التعقيب الدالة على ان
هذا الوحي لم يتأخر عن سفاهتهم قوله موقفي يعني ان المقام يحتمل ان يكون اسم مكان الوقوف

اي في ان لا نتوكل فحذف الجار [illegible] او صلة الاستقرار الذي تعلق به ولنا ان لا نتوكل

والمعنى ذلك الامر حق لمن خاف مكان الوقوف بين يدي يوم الحساب ونظيره واما من خاف مقام ربه اي موقفه الذي يقيم فيه المتكلفين ويحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله ويحتمل ان يكون مقحما والمعنى لمن خافني كما يقال سلام على مجلسكم العالي والمراد سلام عليكم وهو بعيد لان اقحام الاسم قليل نادر قوله سألوا من الله الفتح يعني ان الاستفتاح طلب الفتح فقد يراد به النصرة على العدو كما في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقد يراد به الحكم والقضاء كما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا وكلا المعنيين صحيح ههنا والمعنى على الاول ان الرسل استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا من ايمانهم قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وقال لوط انصرني على القوم المفسدين وعلى الثاني ان الامم طلبوا الحكومة والقضاء من الله بان قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا كما قال كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء كما قال آخرون ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل ان الرسل سألوا الله الحكم بينهم واهلاك اعدائهم فضمير استفتحوا لا يخلو اما ان يرجع الى الرسل الكرام او الى الكفار اللئام وقيل يرجع الى الفريقين لان كلا منهما طلب النصر على صاحبه والحكم باهلاك عدوه واختار المص كونه راجعا الى الرسل حيث قطع بكون واستفتحوا معطوفا على فاوحى كانه قيل قال الذين كفروا اما قالوا فاذن للرسل بالاستنصار فسألوا الله ذلك الفتح والنصرة فنصروا او ظفروا بمقصودهم وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم فالظاهر انه ح يكون معطوفا على قوله قال الذين كفروا رجعوا الى مخاطبة الرسل الى طلب الحكومة من الله وان كان ضمير استفتحوا للكفرة فيكون قوله وخاب معطوفا على مقدر وهو فنصروا او يكون المعنى ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم وما افلح بسبب استفتاحه على الرسل وكذا ان كان الضمير لمجموع الفريقين فيكون قوله وخاب معطوفا على استفتحوا من ورائه جهنم جملة في محل الجر على انها صفة لجبار ويجوز ان يكون الصفة قوله من ورائه وحده وجهنم فاعل مرفوع به لاعتماده على الموصوف لما حكم الله عليه بالخيبة والحرمان ووصفه بكونه جبارا عنيدا ووصف كيفية عذابه بامور الاول قوله من ورائه جهنم ولفظ الوراء يستعمل للخلف والقدام قال ابن عباس واكثر المفسرين انه ههنا بمعنى القدام والمعنى ان جهنم امام ذلك الجبار وهو يبرز اليها ويدخلها قوله فانه مرصد بها اختلف النسخ في هذه الكلمة ففي بعضها مرصد بها بفتح الميم وبالباء الموحدة اي فان الجبار موضع للترصد والترقب بسبب جهنم يترقبه ملائكة العذاب ليدخلوه جهنم يقال رصدته ارصده اذا قعدت له على طريقه تترقبه وفي بعضها مرصد لها بضم الميم وباللام في لها والمعنى على الحالين ان جهنم مرصدا ان يدخله من قولك ارصدت له العقوبة اذا اعددتها له

له وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقبة له وفي بعضها مترصد بها اي موضع الترصد بسببها فهو كما في النسخة الاولى من حيث المعنى حمل لفظ الوراء ههنا على معنى الامام مع انه من الاضداد يطلق على القدام و الخلف لانه في الدنيا وجهنم معدة له في الآخرة ومن اطلاقه على الامام قول الشاعر عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب اي يكون امامه فرج ويصح في تاء امسيت الفتح على خطاب صاحب المكروب بان يبشره بالفرج القريب وزوال الحزن ويصح فيه الضم ايضا على تسلية نفسه وحذف من الفعل المذكور بعد عسى كلمة ان وهو قليل ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا اي امامهم يقال ايضا الموت وراء كل احد وقال ابن الانباري وراء ههنا بمعنى بعد كما في قوله وقال وليس وراء الله للمرء مطلب اي ليس بعد الله فانه تع لما حكم على كل جبار بالخيبة في قوله وخاب كل جبار عنيد قال بعده وراءه جهنم اي من بعد هذه الخيبة يدخل كل جبار جهنم قوله وحقيقته ما توارى عنك اي سواء كان خلفك او قدامك اشارة الى وجه اطلاق لفظ الوراء على كل واحد من القدام والخلف فان كل واحد منهما لما كان متواريا عنك اي خفيا غير مشاهد لك صح اطلاق لفظ الوراء على كل واحد منهما قوله لا يقارب ان يسيغه يريد ان كاد من افعال المقاربة فقوله لا يكاد يسيغه يدل على نفي المقاربة مع الاساغة وانتفاء المقاربة من الاساغة يستلزم انتفاء الاساغة قطعا فان قيل كيف يحكم بان الاساغة منتفية البتة مع ان قوله يتجرعه يدل على انهم اساغوا الشيء بعد الشيء لان التجرع عبارة عن تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار وايضا قوله يصهر به ما في بطونهم يدل على حصول الاساغة لان الصهر لا يحصل بدون الاساغة فالجواب ان ما ذكرتم من الدليل انما يدل على وصول بعض الشراب الى جوف الكفار وذلك لا يستلزم حصول الاساغة لانها عبارة عن اجراء الشراب في الحلق بسهولة وقبول النفس واستطابتها للمشروب والكافر انما يتجرع ذلك الشراب في كراهة ولا يسيغه اي لا يستطيبه ولا يشربه بسهولة مرة واحدة ثم انه تع بعد ما ذكر انواع عذاب الجبابرة المعاندين بين بعده ان اعمالهم باسرها تصير ضايعة لا ينتفعون بشيء منها فقال مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة تشبيها لها بالمثل السائر في الغرابة وهو مبتدأ حذف خبره وقوله تعالى اعمالهم كرماد جملة مستأنفة لبيان صفتهم كانه قيل مثلهم وصفتهم الغريبة كيت وكيت ويجوز ان يكون مثل مبتدأ واعمالهم مبتدأ ثانيا وكرماد خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول فان قيل كيف يجوز ان يكون هذه الجملة خبر المبتدأ الاول ولا رابط فيها يربطها بالمبتدأ وليست نفس المبتدأ حتى تستغني عن رابط قلنا لا نم انها ليست نفس المبتدأ بل هي نفس المبتدأ فان نفس مثلهم هو نفس اعمالهم كرماد في ان كلا منهما لا يفيد شيئا ولا يبقى له اثر فهي كالجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن والمراد باعمالهم المشبهة اما المبرات التي لو عملوها مقرونا بالايمان لانتفعوا بها او ما زعموه مبرة من عبادة الاصنام والكفار لا ينتفعون بشيء منها اما بالثاني فظ

بكونه صديدا انا صفته او على التشبيه كما في النتن عنه وقيل لونه لون الماء و طعمه طعم الصديد سنان

يعني انها ليست نفس المبتدأ [illegible]

واما بالاول فلعدم ابتنائه على الاساس ومن الظاهر المعلوم انه اذا صح تشبيه كل واحد من القسمين
بالرماد الموصوف صح تشبيه كل القسمين به ايضا فلا فائدة بعقد باب في الترديد ووجه المشابهة بين هذه
الاعمال وبين الرماد الموصوف هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتفرق اجزاءه بحيث لا يبقى لذلك
الرماد اثر ولا اجزاء فكذلك كفرهم ابطل اعمالهم واحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال معهم جزء ولا اثر ثم
انه تعالى لما مثل اعمالهم بالرماد الموصوف وبين ان الكفر يضيع الاعمال التي كانت في انفسها خيرات ولا
يبقى لهم الا الحسرة والاسف على حبطهم عما افنوا فيه اعمارهم بين كمال قدرة الله تعالى واستدل بها على
قدرته على افناء قوم وايجاد آخرين بدلهم بعثا وتحريضا للمكلفين على الايمان بالله تعالى والرغبة في
طاعته كما اشار اليه بقوله ومن هذا شانه كان حقيقا بان يعبد الخ **قوله** يبرزون من قبورهم يوم
القيمة لامر الله تعالى لما كان البروز عبارة عن الظهور بعد الاستتار ومن المستحيل ان يستتر
شيء من الاشياء عنه تعالى حتى يظهر له بعد الاستتار وجب تاويل قوله تعالى وبرزوا لله وذكر في
التأويل وجهين الاول ان ليس المراد البروز لله بل المراد البروز للخلق بخروجهم من القبور لامر
الله وحسابه وحكمه والثاني ان المراد بالاستتار الملحوظ في ضمن البروز الاستتار في ظنهم فانهم
كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ما يفعلونه في الخلوات يخفى على
الله فيكون انكشافهم لله تعالى يوم القيمة بروزا بالنسبة الى ظنهم لما تبين الله تعالى ما يجب الكفار
يوم القيمة من انواع العذاب وحرمانهم عن ثواب ما عملوه من الخيرات وتهددهم ببيان قدرته
على اهلاكهم وانشاء خلق جديد بدلهم بين ما سيكون بين رؤساء الكفرة واتباعهم من تمسك
الاتباع للرؤساء قائلين انما اتبعناكم لتنتفع باتباعكم عن الشدايد وكيفية افتضاح الرؤساء
عندهم معترفين بالعجز التام والخزي العظيم وهذا نوع آخر من العذاب اشد من العذاب
الجسماني المذكور قبله **قوله** اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله فان قلت كيف طابق هذا
التقدير قوله من الاولى للبيان والثانية للتبعيض وما معنى كون الاولى واقعة موقع الحال
والثانية واقعة موقع المفعول وحق من البيانية ان يتقدم عليها ما تبينه ولا يتأخر عنها
فكيف جعلت الاولى بيانية فالجواب ان ما ذكره المص توجيه من حيث المعنى فان المعنى هل
تغنون عنا من شيء من عذاب الله على ان من عذاب الله صفة لشيء وبيان فلما تقدم عليه
انقلب اعرابه من الوصفية الى الحالية لان الصفة لا تتقدم على الموصوف واما معنى البيان فهو
باق بحاله لم يتغير فكذا الكون من شيء مفعولا مغنون باق بحاله فقوله من عذاب الله حال من شيء
تقدمت عليه لكون ذي الحال نكرة والحال وصاحبها صفة وموصوف في الحقيقة وذو الحال
مفعول والحال بيان له وهذا الاعراب لا يتغير على تقدير كون كل واحدة من كلمتي من تبعيضية
والفرق

قوله الذين استكبروا بمعنى ان
هذا شأن الرؤساء والاشهر لوازم
الرياسة وانما ذكر توطئة لتقديم
انا كنا لكم تبعا في الكفر بتقديم
لكم بتقديم الحصر اي تبعا لكم لا لاربابنا
ولهذا سماهم الله ضعفاء و
لا يلزم منه كون الرؤساء اقوياء
الرأي بل هم اضعف منهم رأيا
حيث ضلوا واضلوا هذا ولو حمل
الضعف على كونهم تحت ايديهم
وتابعين لهم كان احسن
سلمه

قوله تعالى انا كنا لكم الآية تقريع
وتوبيخ لهم لان كونهم اتباعا
لهم معلوم لهم فلا فائدة في الاخبار
به وليس مرادهم استدعاء النقل
عنهم لانهم لو قدروا ودفعه لانفعوا
عن انفسهم وهم لا يقدرون
فيفتضح الرؤساء عند ذلك
وهو الم روحاني اشد من
الجسماني فاجابوهم معتذرين
عما كان منهم اليهم بان الله
لو هداهم الى الايمان الخ
سلمه

والفرق بينهما ان المعنى على الاول هل انتم مغنون عنا بعض عذاب الله تعالى وعلى الثاني هل
انتم مغنون عنا بعض بعض عذاب الله ومن عذاب الله على التقديرين متعلق بمحذوف لانه في
الاصل صفة لشيء فلما تقدمت عليه انتصب على الحال وعلى تقدير كون الاولى مفعولا يكون متعلقة
بنفس مغنون ويكون من شيء واقعا موقع مصدر مغنون بمعنى غناء بعض الاغناء وقول الاتباع
والعوام للسادة الكبراء انا كنا لكم تبعا توبيخ وتقريع لهم على استتباعهم لان الكفار عرفوا ذلك
فلا فائدة لهم في هذا الاخبار وقولهم فهل انتم مغنون عنا ليس بطريق ان يطلب الاتباع منهم
دفع العذاب عنهم وكيف يطلبون منهم ذلك وقد رأوهم في العذاب ولو قدروا على دفع ذلك عنهم
لدفعوه اولا عن انفسهم وانما قالوه على سبيل التبكيت والالزام لانهم قد علموا انهم لا يقدرون
على الاغناء عنهم فاجاب الكبراء عن معاتبتهم بان قالوا لهم انما دعوناكم الى الضلال لان الله
اضلنا بسبب اختيارنا ما تشتهيه انفسنا ولو هدانا لدعوناكم الى الهدى فنسبوا ذنبهم الى الله
واحالوه على ما فعل بهم من عدم توفيقه للاهتداء وخلق الاهتداء فيهم فكلام الكبراء على هذا
التقدير يكون جوابا للتوبيخ الاتباع بقولهم انا كنا لكم تبعا وعلى قوله او لو هدانا الله طريق النجاة
الخ يكون جوابا عن قولهم فهل انتم مغنون عنا ومعنى الآية على الاول لو وفقنا الله للايمان
في دار الدنيا لهديناكم اي بينا لكم طريق الهدى وعلى الثاني لو هدانا الله اليوم الى طريق التخلص
من العذاب لهديناكم اليه ثم يقولون لا حيلة لنا مما قد وقعنا فيه لا يغني عنا العذاب
بالصبر ولا يروح لنا بالجزع فكلاهما سواء علينا ومآل معناه يقولون ذلك في النار فيقولون تعالوا
نصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلما لم ينفعهم الصبر الخ **قوله** مستويان علينا الجزع والصبر اشارة
الى ان قوله اجزعنا ام صبرنا في محل الرفع على الابتداء والجملة انما يمتنع الاخبار عنها اذا كانت
نسبتها ملحوظة تفصيلا واما اذا اريد بها اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على
الاتساع فهي كالاسم في الاضافة والاسناد اليه وان قوله سواء اسم بمعنى الاستواء نعت
به كما نعت بالمصادر والمحيص المنجا بالفتح وهو قد يكون مصدرا كالمغيب والمشيب وقد يكون
مكانا كالمبيت والمصيب يقال حاص عنه وحاص منه بمعنى واحد اي هرب عنه قصد التخلص
ثم انه تعالى لما ذكر المناظرة الواقعة بين رؤساء الكفرة واتباعهم اردفها بذكر المناظرة الواقعة
بين الشيطان واتباعه من الانس فقال وقال الشيطان لما قضي الامر اي فرغ منه وقضى
الله تعالى بين العباد واستقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فيأخذ اهل النار في
لوم ابليس وتقريعه فيقوم فيما بينهم خطيبا ويقول ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وقال الشيطان لما
قضي الامر وقيل المراد بقضاء الامر المحاسبة والاول اولى لان الفراغ مما يتعلق بالمحاسبة

والتخيير بانه نفي على المخاطب لا ينقص
بنجيزة انا او نفس الحكم فان الاخبار
في هذا المقام انما هو لقصد التقريع
والتوبيخ
سلمه

قوله مستويان علينا الجزع والصبر سواء بمعنى
مستو خبر لانه في الاصل مصدر واريد
الصدر والثاني بنيانه اسناد الخبر بمعنى الاستواء وان
جزعنا عن معنى الاستفهام لنفع الاستواء والتبادل
به وجهين بنية الاجمال بالمعنى الى
يجعلنب الاحد لامن الاعراب
سلمه

بالنسبة التي يكون
وخلاص

انما يكون باستقرار كل فريق مما اعدله من المقر وقيل المراد به انقطاع ما يتعلق بالمحاسبة
بالكلية بانتهاء الاحوال المتغيرة ولا يبقى في النار الا ما يخلد فيها فان مذهبنا ان عصاة المؤمنين
يخرجون من النار ويدخلون الجنة فلا بعد ان يكون المراد من قوله لما قضي الامر في ذلك الوقت لان
في ذلك الوقت ينقطع الاحوال المتغيرة المتعلقة بالحساب ولا يحصل بعده الا دوام ما كان على ما
كان **قوله** وعد الحق هنا ان ينجز على ان وعد الحق مصدر وعدكم اضيف الى الحق المقابل للباطل
ليدل على اختصاصه به بحيث يسمى به لان ينجز كما يقال رجل صدق وكرم للدلالة على ان شانه
ذلك وانه ملازم له **قوله** او وعد الجزاء على انه من اضافة المصدر الى مفعوله الذي هو الحق بمعنى
الثابت وهو البعث والجزاء والاصل وعدكم الحق ثم ذكر المصدر للتاكيد **قوله** ولكنه على طريقة
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع اي على طريق ادعاء ضد الشيء من انواع ذلك الشيء وهي تقرير بناء
استناء تسلط عليهم وتحققه كما في قول من قال ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب ادعى كون ان سيوفهم ذوات فلول من قبيل العيب ليتحقق به براءتهم من جميع العيوب
فكذا قوله ما تحية بينهم الا الضرب الوجيع فقد ادعى كون الضرب من انواع التحية للدلالة على
ان لا تحية بينهم اصلا فكذلك اللعين ادعى كون التسويل والتزيين من انواع القهر والتسلط
ليقرر ان لا تسلط له عليهم اصلا **قوله** اسرعتم اجابتي اشارة الى ان استجاب واجاب
وان كانا بمعنى واحد الا ان استجاب ابلغ كما في نحو قولهم استعصم ونهاية مقالة اللعين وحاصل
الزامه هي قوله ما كان في الا الدعاء والوسوسة وقد كنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء
انبياء الله فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا الى دعوتي ووسوستي فلما
رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم في هذا الباب فالسلطان ههنا بمعنى الحجة
والبرهان اي لم يكن مني الا مجرد الدعاء والوسوسة من غير اقامة حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه
وقد كان مع الرسل حجج وبراهين فتركتم اجابتهم الى ما دعوكم اليه بالحجج والبراهين واجبتموني
بلا حجة وبرهان ويحتمل ان يكون المراد من السلطان الملك والقهر والغلبة ويكون المعنى ما كان لي
عليكم من قهر وغلبة اقهركم واغلب الا الدعاء والوسوسة فاستجبتم لي طوعا وخالفتم حكم الله
ودعوة نبيه الصادق المصدوق باختياركم فاتركوني وحالي واشتغلوا بلوم انفسكم ولا بد في
توضيح هذا المقام من بيان ان مدخل الشيطان في اي شيء مما يصدر عن الانسان باختياره ليتميز
ما يلام عليه الانسان عما يلام عليه الشيطان فاعلم ان ما يستند الى الانسان من الترك
والاتيان يتوقف على امور مترتبة يترتب بعضها على بعض ترتبا ضروريا الاول الشعور بذات
الشيء الذي يتوجه الى ايقاعه او تركه ويترتب عليه تصور كونه خيرا ملايما له او شرا منافرا او كونه
غير

غير ملايم ولا منافر ويترتب على تصوره باحد الوجوه المذكورة الميل الجازم الداعي الى الفعل
او الترك وعدم حصول الميل الى احدهما فانه اذا حصل له الشعور بكونه ملايما له يترتب عليه الميل
الجازم الى الفعل وان حصل له الشعور بكونه منافرا له يترتب عليه الميل الجازم الى الترك وان لم يحصل
الشعور لا بهذا ولا بذاك لم يحصل لا الى الفعل ولا الى الترك بل يبقى الانسان كما كان ويترتب على حصول
ذلك الميل الجازم مع انضمام القدرة والاستطاعة اليه وقوع الفعل وهذه الامور المترتبة لا مدخل للشيطان
في شيء منها الا في ان يذكره شيئا كان الانسان غافلا عنه مثل ان الانسان كان غافلا عن شان
امراة وصورتها فيلقي الشيطان حديثها في خاطره والشيطان لا قدرة له الا في هذا المقام وهو عين ما
حكى الله تعالى عنه انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اي ما كان لي الا مجرد هذه الدعوة
واما بقية المراتب فلم تصدر مني وما كان لي فيها اثر البتة فظهر منه ان الشيطان الاصلي هو النفس
لانه لولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب والخيال لم يكن لوسوسته تاثير البتة **قوله** واحتجت
المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله فانه ليس ان الكفر والمعصية لو كان من الله تعالى لوجب
ان يقول فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وضعفه ظاهر والظاهر الاية
تدل على ان الشيطان لا قدرة له على تصريع الانسان وعلى تعويج اعضائه وعلى ازالة العقل عنه
كما يقول العوام **قوله** بمغيثكم من العذاب اي بمنقذكم منه فان الصارخ هو المستغيث والمصرخ
المغيث يقال صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته **قوله** او على لغة من
يزيد اي عطف على الاصل في التقاء الساكنين فهو توجيه ثان لقراءة حمزة بعد توجيهها بان ياء
الاعراب ساكنة وياء المتكلم اصلها السكون فلما التقيا كسرت ياء المتكلم لالتقاء الساكنين وتقرير الوجه
الثاني لقراءة الكسر ان ياء المتكلم شبه هاء الضمير وكان الخطاب فان كل واحد منها ضمير على حرف
واحد وايضا ياء المتكلم لا تخلو من ان تكون في موضع النصب او الجر كما في ضربني وغلامي فالياء في النصب
والجر كالهاء فيهما وكالكاف في اكرمتك والهاء توصل بالواو اذا كانت مضمومة نحو هذا لهو وضربهو وبالياء
اذا كانت مكسورة نحو بهي قبل وتحركت ما قبلها وتكسر بعد الكسرة والياء الساكنة نحو به وعليه فتزاد الياء
بعد ياء المتكلم ايضا فيقال مصرخي كما يقال بهي وفيهي ثم تحذف الياء اكتفاء بالكسرة او تفعل كسرت ياء المتكلم
بعد الكسرة كما كسرت الهاء بعد ياء في نحو به وكذلك قد تلحق الزيادة بعد كاف الخطاب فيقال اعطيتكاه
واعطيتكيه فكذا تزاد الياء بعد ياء المتكلم تشبيها لها بالكاف فيما ذكر ثم يحذف الياء كما ذكر وقيل زيادة
الياء بعد ياء المتكلم لغة بني يربوع يقولون في في فيزيدون ياء اجراء لها مجرى الهاء والكاف حيث زادوا
على الهاء الواو وعلى الكاف الالف والياء نحو ضربتهو واعطيتكاه واعطيتكيه فالاصل في قراءة حمزة
اثبات ياء بعد الياء المشددة فحذفت الاخيرة الزائدة تخفيفا واكتفاء بالكسرة فبقي مصرخي و

على زيادة اليا بعد ياء المتكلم بقول من قال لاهل كربلا يا فتى قالت له ما انت بالمرضى ان اهلك
بأهذه رغبة فى فان نانى قوله باتا اسم اشارة للمؤنث **قوله** نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن
لنا يريد ان ما على تقدير ان يكون موصولة يراد بها الله عز وجل وكلمة ما لا يستعمل فى ذوى العلم الا
باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شانه كقولهم سبحان ما سخركن لنا اى سبحان العظيم الشان الذى
سخرنا لكن لنا وارتباط قول اللعين انى كفرت بما اشركتمونى بالمقام على تقدير كون ما مصدرية
ظاهر لانه لما عاين ما عاينه من الشدائد فقد تبرأ منهم ومن اشراكهم واما على تقدير كونها موصولة
لكون المعنى انى كفرت بالذى اشركتمونى به من قبل كفركم فوجه ارتباطه به انه تعليل وتأكيد لقوله
فلا تلومونى فلما انه يقول لا تاثير لوسوستى فى كفركم بدليل انى كفرت بالله قبل ان وقعتم فى الكفر وما كان
كفرى بوسوسة اخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الكفر شئ اخر سوى الوسوسة وهو
ترككم العمل بالحجة والبرهان والاتباع لشهوات النفس وترجيح حظوظها الباطلة ويحتمل ان يكون
تعليلا لقوله ما انتم بمصرخى كانه يقول لا تقدرون على اعانتى لان كفرى قديم كفرت قبل كفركم
قوله وقرئ ادخل يعنى ان العامة قرؤا وادخل على لفظ الماضى المبنى للمفعول عطفا على
برزوا او على قوله فقال الضعفاء وقرئ على لفظ المضارع المسند الى المتكلم فقوله باذن ربهم على
قراءة العامة يتعلق بادخل او بقوله خالدين ولا وجه لتعلقه بادخل فى القراءة الاخرى لان
قوله وادخل انا باذن ربهم لا وجه له لان المتكلم هو الله تعالى ولا معنى لادخال الله باذن نفسه
فالوجه ح ان يتعلق بما بعده فان تحيتهم مصدر مضاف الى المفعول اى تحييهم الله والملائكة او
الى الفاعل اى يحيى بعضهم بعضا واياما كان يجوز ان يتعلق الجار وفيه بحث وهو ان معمول المصدر
لا يتقدم عليه فالاحسن ما روى عن ابن جنى انه قال قوله وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم
قطع للكلام واستيناف قال الله تعالى وانا ادخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار باذن ربهم
اى باذنى الا انه اعاد ذكر الرب على سبيل الالتفات من التكلم الى الغيبة ليضيفه اليهم فانه
احنى عليهم وادخل فى الاكرام والتقرب منه او بيانا انه يتعلق بخالدين لان الخلود غير الدخول
كذا قيل والظاهر ان تعلقه بخالدين لا يدفع المنافرة لان خلاصة الكلام ح يكون هكذا وانا
ادخلهم جنات مقدرا خلودهم باذن ربهم وانه كلام ركيك لا يندفع ركاكته الا بما روى عن ابن
جنى **قوله** كيف اعتمده اى نصب عامدا يعتمد عليه افهام المعنى يريد ان ضرب متعد الى واحد
لكونه بمعنى اعتمد مثلا ووضعه وكلمة على هذا منصوبة بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة
تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون
انتصابها على انها بدل او قوله كشجرة ح اما فى محل النصب على انه صفة كلمة او فى محل الرفع على

وروده بدلا من مثلا لا يخفى عليك انه لا معنى لتفسير ضرب الله الكلمة طيبة بجعلها مثلا اليه كشجرة ... تمكن بدل منقصد وبالنسبة منه غير ... سلمه

على انه خبر مبتدا محذوف ثم اشار الى ان ضرب يحتمل ان يتعدى الى مفعولين لكونه بمعنى صير وجعل
عند استعماله مع لفظ المثل خاصة وان قرئ كلمة بالرفع تكون مبتدا خبره كشجرة **قوله** ويجوز ان
يريد وفرعها عطف على قوله اصلها يعنى ان الفرع يجوز ان يحمل على اعلى الشجرة او على اغصانها بان
يكتفى باسم الجنس عن الجمع الجوهرى فرع كل شئ اعلاه **قوله** والاول على اصلها يكون اصلها مبتدا
وثابت خبره موافق لاصل المعنى وهو اثبات وصف الثبات لما هو له وهو الاصل دون الشجرة فان
المخبر عنه بالثبات فى الحقيقة انما هو الاصل سواء جعل الاصل مبتدا وثابت خبره او جعل ثابت
صفة لشجرة ورفع اصلها على انه فاعل ثابت وتوصيف الشجرة بثابت من قبيل توصيف الشئ
بحال سببه فيكون اجراء للوصف على غير ما هو له بخلاف ما لو جعل اصلها مبتدا وثابت خبره فانه
توصيف للاصل بحال نفسه واجراء للوصف على ما هو له فيكون الكلام ح جاريا على اصله **قوله**
ولعل الثانى ابلغ لان ثابت اصلها صفة لشجرة واصل الصفة ان يكون اسما مفردا لان الجملة
اذا وقعت صفة حكم على موضعها باعراب المفرد فاذا قيل كشجرة طيبة ثابت اصلها فقد جرت الصفة
على اصلها واذا قيل اصلها ثابت فقد وقعت الجملة موضع المفرد وهو خلاف الاصل واعلم ان
كون الشجرة طيبة يكون بكونها طيبة الصورة والمنظر وبكونها طيبة الرائحة وبكونها طيبة الثمر
والثمرة بان يكون ظلا كثيفا قويا وثمرها لذيذا مستطابا كثير الخواص والمنافع ولا وجه لتخصيص
بعض هذه الوجوه بالارادة مثل هذه الشجرة اذا كان اصلها راسخا فى الارض يكون واجدا آمنا
من هلاكها وانقطاع الانتفاع بها فيعظم فرحه وسروره بسبب الفوز بها ثم ان ارتفاع اعلاها وغصنها
نابذلك على كمال الشجرة من وجهين الاول ان ارتفاع الاغصان وقوتها يدل على ثبات الاصل
ورسوخ العروق والثانى انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات
الارض وقاذوراتها فتكون ثمراتها نقية طاهرة عن جميع الشوائب واذا انضمت الى هذه
الى هذه الصفات كون ثمراتها حاضرة دائمة فى جميع الاوقات تكون فى غاية الشرف والكمال
بحيث يعظم رغبة كل عاقل فى تحصيل مثلها فتشبيه الله تعالى الكلمة الطيبة بهذه الشجرة ترغيبا
للمكلفين فى تحصيلها ثم قال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان فى ضرب
الامثال زيادة افهام لان المعانى العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يماثلها
من المحسوسات ترك الحس والخيال المنازعة وسلم القوة العاقلة عن المنازعة والمدافعة
فيحصل الفهم التام ثم شبه الكلمة الخبيثة التى لا تعضدها حجة ولا يؤيدها عقل ولا نقل بالشجرة
الكثيرة المضار الخالية عن المنافع واشار بقوله خبيثة والى خلوها عن المنفعة بقوله اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار والكشوث نبت يتعلق باغصان الشجر من غير ان يضرب

وذا قلت مررت برجل ابوه قائم ثم اقول بمعنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل

قال الثعلبى فى تفسيره اخبرنا ابو القاسم بن حبيب فى سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن على الخياط يقول سمعت ابن عمار المعلى يقول رايت يزيد بن هارون فى المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال اتانى فى قبرى ملكان فظان غليظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتى البيضاء فقلت لمثلى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا
ابو السعود

الحين في اللغة هو الوقت والمراد ان ثمار هذه الشجرة تكون ابدا حاضرة دائمة في كل الوقت ولا تكون مثل الاشجار التي تكون ثمارها حاضرة في بعض الاوقات دون بعض وقال الربيع بن انس كل حين اي كل غدوة وعشية لان ثمرة النخل تؤكل ابدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء اما تمرا او رطبا او بسرا كذلك عمل المؤمن يصعد اول النهار واخره وبركة ايمانه لا ينقطع ابدا بل يصل اليه في كل الوقت والحكمة في تمثيل الايمان بالشجرة هي ان الشجرة لا تكون شجرة الا بثلثة اشياء عرق راسخ واصل قائم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم الا بثلثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان ابن عادل

بعروقه في الارض قال الشاعر هو الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر والكلمة التي تعرب عن الحق تثبت اصلا ودليلا حقيتها في قلب المؤمن ويتفرع ما يترتب عليها من الاعمال الصالحة الى السماء وينتفع المؤمن ببركاتها وثوابها في كل وقت وزمان والكلمة الخبيثة بخلاف ذلك وجميع ذلك لما مثل الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الموصوفة بين انه تعالى يثبت المؤمن بسببها في الحيوة وفي الاخرة فقال يثبت الله الذين امنوا الاية والباء في قوله بالقول الثابت للسببية وهو متعلق بقوله يثبت وكذا قوله في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والمقصود بيان ان الثبات على الكلمة الطيبة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى في الدنيا والاخرة روي ان جرجيس كان من الحواريين من اصحاب عيسى عليه الصلوة والسلام علمه الله الاسم الذي يحيي به الموتى وكان بارض الموصل جبار يعبد الصنم فدعاه جرجيس الى عبادة الله تعالى ونهاه عن عبادة الصنم فامر به فشد رجلاه ويداه ودعا بالمشاط من الحديد فشرح بها صدره وبدنه ثم صب عليه ماء الملح فجبره الله تعالى عليه ثم دعا بمسابر من حديد فسمر به عينيه واذنيه فجبره الله تعالى عليه ثم دعا بحوض من نحاس فاوقد تحته حتى ابيض ثم القى فيه واطبق رأسه فجعله الله تعالى له بردا وسلاما وزاده حسنا وجمالا ثم قطع اعضاءه اربا اربا فاحياه الله تعالى ودعاهم الى الله تعالى واحيى الموتى ولم يؤمن الملك فاهلكه الله تعالى مع قومه بان قلب المدينة عليها وجعل عاليها سافلها واما شمعون العابد فانه كان من زهاد النصارى وكان رجلا شجاعا يحارب عبدة الاصنام من اهل الروم ويدعوهم الى الدين الحق وكان يكسر بنفسه جنودا كثيرة واحتال عليه ملك الروم بانواع من الحيل ولم يقدر عليه الى ان خدع امرأته بوعد فسألته في وقت خلوة عن حاله كيف يغلب عليه فقال ان أُشدّ بشعري في غير حال الطهارة فاني لم اقدر على التخلص ما حاطوا به في منامه وشدوه كذلك والقوه من قصر الملك فهلكوا واما اصحاب الاخدود فقد روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعده يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب الملك فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجي فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع السهم في صدغه ومات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا

قال الزمخشري الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم وقال البيضاوي الذين ظلموا انفسهم بالتقليد فلا يهتدون قال السمرقندي في هذين القولين نظر لانهما يشيران الى انه لا دلالة لهما على ان من اقتصر على التقليد فهو ظالم اضله الله تعالى ولا يخفى ما فيه من الفساد وانت خبير بان كلام الزمخشري يمكن ان يحمل على انه رأيه رأي شيوخه من المعتزلة القائلة بعدم اعتبار ايمان المقلد واما كلام البيضاوي فلعل مراده ليس مطلق التقليد بل التقليد على البطلان لاهل البطلان بحيث لم يهتدوا الى الحق اصلا قره كمال

قوله بالاقتصار على التقليد والنظر فالاية ناعية عليهم وبالجملة ان ذلك ليس على بخبث فهم على خطر عظيم اللهم ثبت قلبي على دينك سنان

٢٩٠

يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت **قوله** فلا يتلعثمون اي لا يمكثون يقال تلعثم الرجل في الامر اذا تمكث عنه وتأنى **قوله** اي شكر نعمته قدر المضاف اذ الكفر المذكور يجب النعمة يراد به الكفران ومقابله الشكر واعلم ان بدل يتعدى الى مفعولين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بواسطة الباء وان المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار وقد يحذف حرف الجر فيتعدى الفعل اليهما بنفسه كما في هذا المقام والمجرور بالباء ههنا هو النعمة لانها هي المتروكة والذي يتعدى الفعل اليه بنفسه هو الكفران وهو المفعول الاول قوله تعالى واحلوا قومهم وقوله تعالى وجعلوا لله اندادا معطوفان على الصلة وهي قوله تعالى بدلوا نعمة الله ذمهم اولا بايثار كفران نعم الله تعالى على شكرها وثانيا بانهم اضلوا قومهم وحملوهم على الكفر الذي اداهم الى جهنم وثالثا بانهم جعلوا لله المستجمع لجميع صفات الكمال اشباها وشركاء والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول واللام في ليضلوا سواء قرئ بفتح الياء او ضمها لام العاقبة لان كل واحد من الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد وعاقبته **قوله** وفي التهديد بصيغة الامر لما كانت صيغة الامر موضوعة لطلب الفعل ولو كان على طريق الندب او الاباحة وكان التمتع بالشهوات غير مطلوب بوجه ما فضلا عن ان يكون وسيلة الى مطلوب آخر وهو كون المصير الى النار جعل المص صيغة الامر للتهديد كقول الطبيب للمريض الذي خالف امره وترك الاحتماء بعدما امر الطبيب به مرات كل ما شئت فان مصيرك الى الموت يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هو عليه ويقبل قول الطبيب فلذلك الله تعالى خذل الكفار وخلاهم وانفسهم فالمقصود ردعهم عن تلك الحالة ثم بين فائدة تخصيص صيغة الامر لتأدية معنى التهديد وهي امران الاول ايذان انه استعارة (اي تمتعوا) تمثيلية شبه حال المخاطب في انهماكه في التمتع بما ليس امر التمتع من قبل الآمر المطاع الذي ليس في وسع المخاطب مخالفته فاطلق في حقه العبارة الواقعة في حق المشبه به فقيل في تهديده تمتعوا المؤدي الى النار والثانية ايذان ان كل واحد من المهدد عليه والمهدد به واقع لا محالة بحيث يترتب الثاني على الاول **قوله** ويجوز ان يقدر بلام الامر عطفا بحسب المعنى على قوله قل ومقول قل محذوف او يجوز ان لا يكون مقوله محذوفا بان يجعل يقيموا وينفقوا المجزومين بلام الامر المقدر ويكون التقدير قل لهم ليقيموا ولينفقوا فيصح كونهما مقولي القول كما تقول قل لزيد يضرب عمرا بمعنى ليضرب عمرا فانه قد يحذف الجازم ويبقى عمله كما يحذف الجار ويبقى عمله ولما ورد ان يقال كيف يجوز حذف لام الامر مع ان اهل اللغة وضعوا الامر الغائب صيغة مخصوصة وعينوا اللام للدلالة على ان المأمور ليس بمخاطب فلا يجوز ان يقال اضرب زيد ويراد امر زيد بالضرب لان المعاني انما تستفاد من اللفظ الدال الموضوعة للدلالة عليها وعند حذف الدليل كيف ينتقل الذهن الى المدلول اجاب عنه بقوله وانما حسن ذلك لان انما حسن حذف لام الامر في هذه الاية مع انه لم يحسن حذفه في نحو قول الشاعر محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شيء

واذا عرف ان قول المصنف والى الثاني بالباء ان الكفر هو المفعول الثاني ليس بجيد لانه هو الذي يصل اليه الفعل بنفسه لا بحرف الجر وما كان كذا فهو المفعول الاول ابن عادل

قوله او منصوب بفعل مقدر اي يحتمل ان يكون جهنم منصوبا بفعل مضمر يفسره يصلونها مشتغلا عن جهنم بضميرها

تبا لا بريد لتغير الدلالة قل عليه اى على ان المراد امر الغائب يعني حسن حذف اللام ههنا
لقيام ما يقوم مقامه في الدلالة على ان المراد امر غير المخاطب وهو قوله قل فانه امر للمبلغ
الحاضر فهو يدل على ان المأمور بقوله يقيموا وينفقوا غير المخاطب فيكون قل قائما مقام اللام
في الايذان بان الامر لغير المخاطب فحسن حذف اللام فيه لذلك وليس في نحو قوله تنف نفسك
ما يقوم مقامها فلم يحسن حذف اللام فيه وفي قوله ويجوز اشارة الى ضعفه لان حذف الجازم
وابقاء عمله نادر كحذف الجار فالمختار هو الوجه الاول وهو ان يكون يقيموا وينفقوا
مجزومين على انهما جواب قوله قل ويدلان على مقوله المحذوف والمعنى قل لهم اقيموا الصلوة و
انفقوا فانك ان تقل لهم ذلك يقيموا وينفقوا لفرط مطاوعتهم اياك واضعف الوجوه ان يكونا
مجزومين على انهما جواب اقيموا وانفقوا المحذوفين والتقدير اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا
ووجه ضعفه امران الاول ان جواب الشرط لا بد ان يخالف نفس الشرط اما في الفعل او في
الفاعل او فيهما ولا يجوز كونه مثل الشرط في الفعل والفاعل كقولك قم تقم والتقدير على هذا
الوجه ان يقيموا يقيموا وان ينفقوا ينفقوا ولا وجه له والامر الثاني على تقدير كونهما جوابا
الامر المقدر يكون من قبيل أسلم يسلم في ان يجاب امر المخاطب بلفظ الغيبة وهو انما يجوز
اذا كان فاعل الشرط غير فاعل الجزاء واما اذا اتحدا كما في ما نحن فيه فلا يجوز ويرد على
هذا الوجه ان ما ذكر من عدم الجواز انما هو على تقدير ان لا يكون امر المواجهة محكيا بالقول
كما في قولك أسلم يسلم واما اذا كان محكيا به كما في ما نحن فيه فيجوز ان يجاب بلفظ الغيبة كما
تقول قل لعبدي أطعني يطعك قوله اى انفاق سر وعلانية على الاضافة البيانية
فان كل واحد من السر والعلانية لما كان نوعا من الانفاق جاز وقوعه صفة الانفاق
قوله اى ذوى سر وهو احد التاويلات الثلثة المذكورة في رجل عدل ويجوز فيه الثلاث
التاويلان الآخران ايضا وهما ان يجعلوا نفس السر والعلانية مبالغة وان يقام سرا
وعلانية مقام مسرين ومعلنين قوله يبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره اشارة الى
فائدة تقييد الانفاق بقوله من قبل ان يأتي يوم يعني ان المعنى من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون
فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم
اخلاؤكم به اى تنفقونه قوله او يفدى به نفسه عطف على قوله يتدارك به اى ليس فيه بيع
حتى يبتاع ما يعطيه فداء لنفسه فيخلصها من العذاب وليس فيه مخالة ومصافاة حتى يشفع
خليل فينجيه من العذاب الاليم قوله او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة لما كان
اهل الدنيا ينتفعون بالانفاق الواقع في عقد المعاوضات بان يعطوا شيئا من المال الباهظ

ليأخذوا ما يرغبون فيه عوضا عنه وفي عقد التبرعات الواقعة بين الاصدقاء على طريق
المهادات بان يعطوا شيئا على وجه الهدية ليجروا بذلك ما هو خير منه او انفع حث المؤمنين على الانفاق
لوجه الله باشعار ان المنفعة انما يترتب على هذا الانفاق لا على الانفاق الواقع في عقد
المعاوضة والمهادات فالمنفي بقوله تعالى لا بيع فيه ولا خلال هو غايتهما والمنفعة المترتبة
عليهما فعلى هذا المقصود من الاية الحث على الانفاق لوجه الله بتصوير يوم ينفع فيه هذا
الانفاق ولا ينفع فيه الانفاق الواقع في عقد المبايعة ومهاداة الاخلاء ونفي الانتفاع في ذلك
اليوم بالكناية عن الانتفاع بمبايعة ومحصول المعنى على الوجه الاول ان الانفاق امر مطلوب
في نفسه فليغتنموا به قبل ان يأتي يوم يفوت فيه هذا المطلوب ولا يدركه الطالب وعلى الثاني
ان الانفاق الذي يتصور منكم في الدنيا يكون على ثلثة اوجه وانتم تنتفعون بشيء منها في الاخرة الا
بما يكون على الوجه الثالث والخلال المخالة وهي المصاحبة والمصادقة يقال خاللته خلالا ومخالة
وقيل الخلال جمع خلة كبرمة وبرام فان قيل كيف نفيت المخالة في هذه الآية مع انه تعالى اثبتها في قوله
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فالجواب ان الآية الدالة على نفي المخالة محمولة
على نفي المخالة بسبب ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخالة محمولة على
المخالة بسبب عبودية الله ومحبة الله ثم انه تعالى لما ذكر احوال السعداء واحوال الاشقياء و
كانت معرفة احوالهما متوقفة على معرفة الصانع بذاته وصفاته ختم وصف احوالهما بذكر
الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة انواع من الدلائل خلق
السموات وخلق الارض واخراج الثمرات بسبب انزال الماء من السماء وتسخير الفلك لتجري
في البحر وتسخير الانهار والشمس وتسخير القمر وتسخير الليل وتسخير النهار واعطاء البعض من جميع ما
سألوه فقوله تعالى وانزل من السماء ماء فيه قولان الاول ان الماء ينزل من السحاب وسمي السحاب
سماء اشتقاقا من السمو والارتفاع والثاني انه ينزل من نفس السماء وهو بعيد لان الانسان ربما
يكون واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه و
اذا كان هذا امرا مشاهدا بالبصر كان النزاع فيه انكارا للمحسوس ولفظ الثمرات يطلق في الاغلب على
ما يحصل من الاشجار ويطلق ايضا على الزروع والنباتات قوله تعيشون به اشارة الى ان الانتفاع
في التعيش معتبر في مفهوم الرزق فان الرزق عند الاشاعرة اسم لما يسوقه الله الى الحيوان
لينتفع به سواء كان بالتغذي او بغيره مباحا كان او حراما مملوكا كان او غير مملوك وهذا التفسير
اشمل من تفسيره بما يسوقه الله الى الحيوان ليأكله لاختصاصه بالمأكول ومن تفسيره بما ينتفع
به الحيوان لذلك لخلوه عن معنى الاضافة الى الله تعالى مع انه معتبر في مفهوم الرزق وعند المعتزلة

الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا ويلزم على التفسير الاول ان لا يكون ما يأكله الدواب رزقا وعلى التفسير بما يلزم ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا **قوله** بدأ بان ان يداوم او يستمر ان لا يغفران ابدا انما يسند البهاء من الافعال بقال دأب فلان في عمله دؤبا اذا جد وتعب **قوله** ان المسؤل عنه في الاول ازالة الخوف عنه لا جعله بلدا لان هذا في قوله اجعل هذا البلد آمنا اشارة الى البلد والمشار اليه لا بد ان يكون موجودا في وقت الاشارة وهو وقت الدعاء فيكون البلدية موجودة وقت الدعاء فلا يكون داخلة تحت الطلب وانما المطلوب صفة الامن فقط كما اذا قلت اجعل هذا الخاتم حسنا فان المطلوب انما هو صفة الحسن ولا يكون جعل المادة خاتما داخلا تحت الطلب لانه طلب تحصيل الحاصل وفي قوله هذا بلدا آمنا يكون المطلوب البلدية مع صفة الامن فلا يكون هذا اشارة الى موضع معين والمعنى اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وطلب جعله من البلاد الآمنة لا يستلزم ان لا يكون في وقت الدعاء بلدا بل يجوز ان لا يكون بلدا ويكون المسؤل ان يجعله بلدا موصوفا بالامن ويجوز ان يكون بلدا والمسؤل مجرد صفة الامن كما يقال كن رجلا فقيرا ويكون المطلوب مجرد الاتصاف بالفقاهة ويكون ذكر رجلا تصريحا بالذات التي يجري عليها الاسم المشتق وهو فقيرا ثم ان كان الدعاء واحدا وعبر عنه بعبارتين مختلفتين فلا بد ان يحمل ما في سورة البقرة على ما في هذه السورة ويحمل المطلوب صفة الامن فقط وان تعدد الدعاء يكون اجعل هذا البلد دعاء في وقت تحقق البلدية وقوله اجعل هذا بلدا آمنا يجوز ان يكون في وقت عدم تحقق البلدية مع صفة الامن قال صاحب الكشف في تحقيق المقام اذا قلت اجعل هذا خاتما حسنا فقد اشرت الى المادة وسألت ان يسبك منها خاتم حسن واذا قلت اجعل الخاتم حسنا فقد عمدت نحو الحسن دون الخاتمية وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثاني الكائن بمنزلة الخبر ثم قال وفيه ان النص في سورة البقرة هذا البلد بلدا آمنا فلا يلوح فرق والجواب ان السؤال البلدية مع الامن فتقول في التقرير هذا البلد اشارة الى الحاضر في الذهن لا الى الكائن في الخارج بخلاف ما نحن فيه **قوله** وقرئ واجنبني بقطع الهمزة من اجنب يقال جنبه شرا واجنبه ثلاثيا ورباعيا وهي لغة نجد وجنبه شرا مشددا وهي لغة الحجاز **قوله** وهو بظاهره لا بنائه واحفاده اي اولاده واولاد اولاده جمع حافد وهو ولد الولد يعني ان قوله وبني اراد به من صلبه لان حفدته لو دخلوا في دعائه عليه الصلوة والسلام لما اشرك احد منهم مع ان كفار قريش كانوا من حفدته ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انه تعالى لا يرد دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال الامام في هذه الاية اشكال من وجوه احدها ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام دعا ربه ان يجعل مكة آمنا وما قبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة واغاروا على مكة

وثا

قوله بجعلا معدة للانتفاع كم يعني ان اصل التسخير تذليل الحيوان بجعله منقادا لمن اريد منه وهو في غير الحيوان مجاز عن جعله معدا لان ينتفع به على حسب مشيئة من يريد الانتفاع به فيصير بذلك كانه حيوان مسخر للانتفاع به

ما ذكر الله تعالى ان ... هو الذي ... المعبود بالحق ... بهذه الصفات ... عن خلقها ... انكار عبادة الاصنام

وثانيها ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا يعبدون الوثن البتة واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله واجنبني عن عبادة الاصنام وثالثها انه طلب من الله تعالى ان لا يجعل ابناءه من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من اولاده ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قالوا انهم ما كانوا ابناء ابرهيم وانما كانوا ابناء ابنائه والدعاء مخصوص بالابناء فنقول ان كان المراد بقوله وبني ابناءه من صلبه وهم ما كانوا الا اسمعيل واسحق عليهما الصلوة والسلام وهما كانا من اكابر الانبياء وقد علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم فقد عاد الاشكال في انه ما الفائدة في ذكر الدعاء ثم اجاب عن السؤال الاول من وجهين الاول انه نقل ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بناء الكعبة ذكر هذا الدعاء والمراد منه جعل تلك البلدة آمنة من الخراب والثاني هو ان المراد جعل اهلها آمنين كقوله تعالى واسئل القرية اي اهلها وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين فان مكة قد اختصت بمزيد الامن الا يرى ان الخائف وصاحب الجريمة كان اذا التجاء الى مكة أمن وكان الناس مع شدة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن ذلك أمن الوحوش فانهن لا ينفرن اذا كانت بمكة ويستوحشن على الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل بمكة فوجب حمل الدعاء عليه والجواب عن السؤال الثاني قال الزجاج معناه ثبتني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اي ثبتنا على الاسلام ثم قال لقائل ان يقول السؤال باق لانه لما كان من المعلوم انه تعالى يثبت الانبياء عليهم الصلوة والسلام على الاجتناب عن عبادة الاصنام فما الفائدة في هذا السؤال ثم قال والصحيح عندي في الجواب وجهان الاول انه عليه الصلوة والسلام وان كان يعلم انه تعالى يعصمه عن عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك هضما للنفس واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى في كل المطالب والثاني ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك جلي وهو ما عليه المشركون وشرك خفي وهو تعلق القلب بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو ان ينقطع العبد نظره عن الوسائط ولا يرى متوسطا سوى الحق تعالى من بين الممكنات الحادثة فيحتمل ان يكون مراده بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام عن هذا الشرك الخفي والله تعالى اعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث من وجوه الاول ما قال صاحب الكشاف من ان قوله وبني اراد به بنيه من صلبه والفائدة في هذا الدعاء عين الفائدة التي ذكرناها في قوله واجنبني والثاني ان بنيه ابناؤه واولاده واولاد اولاده الذين كانوا موجودين في حال الدعاء ولا شك ان دعوته مجابة فيهم والثالث ما قال المجاهد من انه لم يعبد احد من ولد ابرهيم عليه الصلوة والسلام صنما انما عبدوا الاوثان وكفار قريش ما عبدوا التماثيل انما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوي لانه عليه الصلوة والسلام لا يجوز ان يريد بهذا الدعاء الا عبادة غير الله تعالى والحجر كالصنم في ذلك والرابع ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من

قوله فذا امن ... فان من ... فنار ... من ... النسب ... او آمنا اهله ... اسنادا الى المكان مجازا ... ليس نائم ... الى الزمان

قوله وزعم ابن عيينة ان المعنى لم يسلم انه عليه الصلوة والسلام اراد ما بناه واحفاده ثم ما عبدوا اصناما ورد ذلك بان الله تعالى حكى عن قريش عبادتهم الاصنام في مواضع جمة في كتابه العزيز فلا يتكرر باسنده الا منكر واليه اشار بلفظ زعم وقيل ان قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين دليل على ان فيهم من هو كذلك وكذلك

قوله ومن كفر فامتعه قليلا وفيه ان ذكر لا يستدعي عبادتهم الاصنام كما لا يخفى سلمه

اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الاية فمن تبعني فانه مني وذلك يدل على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ومن اولاده والخامس انه عليه الصلوة والسلام وان دعا في حق ابناء الصلبية وحفدته الا انه تعالى اجابه في حق البعض دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الانبياء عليهم الصلوة والسلام ونظيره قوله تعالى في حق ابرهيم قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين الى هنا كلام الامام قوله فانه مني اي بعضي لا يبعد ان من في قوله مني تبعيضية وان صرح بلفظ البعض بل هي اتصالية كما في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ولذا فسر معنى البعضية بقوله لا ينفك عني في امر الدين الا فكان بذلك كانه بعض مني قوله وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره لان هذا الكلام من ابرهيم عليه الصلوة والسلام شفاعة منه في حق اهل العصيان مطلقا بان يغفر لهم ويرحمهم باي وجه كان ولا شك ان مطلق المعصية يتناول الشرك وما دونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل منه تعالى لما وقعت هذه الشفاعة منه عليه الصلوة والسلام كانه يقول فانك تقدر على ان تغفر وترحم للمشرك مع عظم جريمته فضلا عن سائر العصاة فاسالك ان تغفر وترحم من لا يكون مغفرتهم ورحمتهم مخالفا للحكمة وفي الوسيط قال السدي قول ابرهيم عليه الصلوة والسلام ومن عصاني فانك غفور رحيم معناه ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وقال ابن الانباري ويحتمل ان هذا كان قبل ان يعلمه الله تعالى انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابيه وقال الامام هذا القول من ابرهيم في حق اصحاب الكبائر ممن آمن منهم لان في اسقاط عقاب الكفر والشرك ولانه عليه الصلوة والسلام قال في مقدمة هذه الاية واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ولما تبرأ عن الكفر بهذا التضرع والدعاء دل ذلك على ان مراده بهذه الاية الشفاعة في حق من آمن به وايضا قد انعقد الاجماع على انه لا يجوز الشفاعة في اسقاط عقاب الكفرة فدل ذلك على ان ليس مراده الشفاعة في حق المشركين قوله الذي حرمت التعرض له ذكر لتوصيف البيت بالمحرم ثلثة اوجه في الوجه الاول كون المحرم من التحريم الذي هو ضد التحليل ووصف البيت بكونه محرما مبالغة في توصيفه بحرمة اهانته والتعرض له بسوء وفي الوجهين الاخرين كونه من التحريم بمعنى المنع يقال حرمه الشيء وحرمه اذا منعه اياه قال تعالى وحرمنا عليه المراضع فانه ليس من التحريم بمعنى لا تحل المراضع بل هو بمعنى المنع اي منعنا عنه لنرده الى امه فكذا قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع من الخلق حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك الغلبة عليه او الممنوع منه الطوفان قوله ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم جواب عما يقال اسكان الخليل اسمعيل بمكة كان قبل بنائهما الكعبة فكيف يصح منه عليه الصلوة والسلام ان يقول اسكنت بواد عند بيتك الاية واجاب عنه بان مراده عند بيتك الذي سيحدث في هذا الوادي فقوله غير ذي زرع توصيف للوادي باعتبار ما كان عليه وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف

عناية ما في الباب انه تعالى اوعد المشرك لعظم جريمته بان لا يغفر له وذكر لا يدل على امتناع مغفرته سلمه

من ذكر الامام في جواب السؤال الاول من انه نقل ان ابرهيم ذكر هذا الدعاء بعد ما بنى البيت فلا يتجه سلمه

له

له باعتبار ما سيحدث فيه واشعر في تقرير هذا الجواب بجواز ان يكون دعاؤه هذا بعد بنائهما البيت حال كبر اسمعيل وفي التيسير قيل ان هذا الدعاء كان بعد بناء البيت وقيل كان قبل بنائه لكن الله تعالى ابان له موضع البيت فصح اشارته اليه قوله ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة البلقع الارض القفر التي لا شيء بها والقفر مفازة لا نبات فيها ولا ماء والارتفاق الانتفاع والمرتفق يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى المفعول اي من كل ما ينتفع به ويحتمل ان يكون بمعنى محل الانتفاع والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد النفي مستفاد من تقرير مخصوص متعلق به هذا المذكور اي ليقيموا اي اسكنتهم هذا المكان البلقع اخراق لا لانه اسكنتهم بواد قفر واذ نفي حاجتهم الى الوادي واشار بقوله عند بيتك المحرم ان وجه الايثار انما هو شرف الجوار ثم صرح ثانيا بانه انما آثر ذلك الموضع ليعمروا حرمك المحرم باقامة الصلوة المفروضة وما يشتمل هي عليه من الاذكار والدعوات او باداء العبادات والقربات مطلقا وتخصيص الصلوة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الطبيعة النوعية عن ذكر الكل ودل على اسكانهم في الوادي المذكور لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل افئدة من الناس ويدل على ان قوله ليقيموا متعلق باسكنت المذكور تخلل ربنا ثانيا بين الفعل ومتعلقه وهذا ابين الآن قول المص وتكرير النداء وتوسيطه صريح في انه متعلق بالمذكور فلما يكون الكلام ح مشتملا على شيء من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر الا من سوق الكلام وسياقه فانه عليه الصلوة والسلام نفى اولا ان يكون اسكانهم في ذلك الوادي لاجل التوسع في اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذي زرع لما وصف بكونه عند بيت الله المحرم دل ذلك على انه انما آثر ذلك الموضع للاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتبتل اليه والتبرك بشرف جواره ثم انه لما ذكر قوله ربنا اشعر ذلك بانه لكمال الاهتمام بشان المطلوب المدعو له وجملة هذه الامور لما علل اسكانه في الوادي المذكور بقوله ليقيموا دل ذلك على ان ذلك المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرب الى الله تعالى بالاشتغال بالصلوة التي هي عماد الدين فقوله او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي القلب الكائن مني وافئدة كائنة من الناس والمص نكر لفظ الناس حيث قال افئدة ناس مع انه في الاية معرف باللام لان افئدة في الاية وقعت منكرة ولما اراد تصوير كون القلب مبتدئة من الناس اضاف الافئدة اليهم ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير افئدة في الاية فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من تنكير المضاف في مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع فمعنى افئدة ناس افئدة مما يطلق عليه لفظ ناس وهو معنى قوله افئدة من الناس وان كان

لفظ الناس المعرف باللام في هذا التعبير محمولا على العموم **قوله** وقرأ هشام افئدة قيل جعلت
الياء باشباع كسرة الهمزة ورد بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة الشعر فكيف يحمل كلام
افصح الكلام وما قيل ان هشاما قال انا قرأت بتسهيل الهمزة بين بين فظنها الراوي زيادة
ياء بعد الهمزة وليس بشيء لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا وقرئ آفدة على وزن
عابدة اما على تقديم الهمزة على الفاء وقلبها الفا وعلى ان يكون اسم فاعل من أفد الرجل
بالكسر يأفد أفدا اي عجل فهو آفد على فاعل اي متعجل وافد الرحيل اي دنا فآفدة على
هذا صفة لمحذوف اي فاجعل جماعة آفدة يرحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أَفِدة
على ان اصلها افئدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين
قيل فيه نظر لان الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها حرفا صحيحا انما يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة
الى ما قبلها وحذفها كما في مسئلة وخبء ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه
ساكن واجتماع ساكن وشبه ساكن كاجتماع ساكنين **قوله** ويجوز ان يكون من أفد يأفد
أفدا فهو أَفِدٌ على وزن فعل كفرح فالمعنى فاجعل جماعة أفدة يعجلون نحوهم قوله تهوي اليهم
مفعول ثان للجعل وقراءة العامة بكسر الواو من هوى يهوي بفتح الواو في الماضي وبالكسر في المضارع هويا اي سقط
من اعلى الى اسفل والمراد ههنا تسرع اليهم وقيل تحن اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تهوى
بفتح الواو من هوي يهوى بكسر الواو في الماضي وبفتحها في المضارع هوى اي احب وهو يتعدى بنفسه وعدي بالى
لتضمينه معنى تنزع وتميل وقيل كلمة الى زائدة والمعنى تهواهم وقرئ بضم التاء وفتح الواو
على بناء المفعول من هوى المتعدي لا من هوى اللازم اي يسرع بها اليهم قوله الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر الآية قاله ابرهيم عليه الصلوة والسلام في وقت آخر لا عقيب ما تقدم من الدعاء
لان الظاهر انه عليه الصلوة والسلام دعا بذلك اول ما قدم بهاجر وابنها وهي ترضعه ووضعهما
عند البيت واسحق ما ولد في ذلك الوقت فقد روي انه عليه الصلوة والسلام وضعهما عند البيت
وليس بمكة يومئذ احد ولا ماء وانطلق ابرهيم نحو الشام فتبعته هاجر فقالت يا ابرهيم تذهب و
تتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا شيء فلم يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال
نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم غاب ابرهيم عن النظر بها واستقبل البيت ودعا بهذه الدعوات
من قوله ربنا اني اسكنت الى قوله وما يخفى على الله من شيء وان اشار المص بقوله آنفا ولو
دعا بهذا الدعاء اول ما قدم الى الاحتمال الى ان يكون الدعاء ايضا في وقت آخر والله اعلم وكلمة
على في قوله على الكبر يحتمل ان تكون للاستعلاء المجازي اي وهب لي وانا متمكن على الكبر وان تكون
بمعنى مع كما في قوله اني على ما ترين من كبري اعلم من اين تؤكل الكتف وهو في موضع الحال من الياء

في

في قوله وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر كذا في الكشاف ومعنى البيت اني مع ترين من كبري وتغير
احوال الحواس مني اعرف الاشياء حق معرفتها لاني جربتها ومارستها فان قولنا اعلم من حيث
يؤكل الكتف مثل في التجربة لان المجرب يأخذ الكتف من اعلاه ليجذب اللحم منه وقيل يؤكل من
اسفلها ليسهل **قوله** اي لمجيبه جواب عما يقال ان ابرهيم دعا ربه وحمد على اجابته فكان المناسب
ان يقول ان ربي لمجيب الدعاء لا سميع الدعاء لانه تعالى يسمع الدعاء منه اجابه او لم يجبه **قوله**
وقد تقدم عذر استغفاره للكافر لا يعلم انهما كانا كافرين وهو ان المنع من الاستغفار للكافر
لا يعلم الا بالتوقيف ولعله لم يجد المنع منه فظن كونه جائزا ويحتمل ان يكون المراد من سؤال
المغفرة لهما سؤال ما يكون سببا للمغفرة لهما وهو الاسلام فانه سبب لصيرورة الانسان اهلا
للمغفرة وطلب الشيء طلب ما يتوقف حصوله عليه كما اذا قلت لمسلم محدث قم صل فان معناه قم توضأ
ثم صل وهو المراد بقول نوح عليه الصلوة والسلام لقومه المشركين استغفروا ربكم انه كان غفارا
فان قيل كيف طلب المغفرة لنفسه وطلبها يوجب سابقة الذنب ولا يصدر الذنب من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام سوى ترك الاولى ونحوه مما يعلم ان الله تعالى يغفر ذلك منهم فيكون طلبهم
المغفرة لانفسهم طلبا لما يعلم حصوله واجيب بان المقصود منه الالتجاء الى الله تعالى وقطع الطمع الا
من فضله وكرمه ورحمته **قوله** مستعار من القيام على الرجل بان شبه ثبات الحساب بقيام القائم
على الرجل فاستعمل القيام لذلك الثبات ثم اطلق يقوم واريد يثبت فهي استعارة تبعية كما في تشبيه
القيام على الثبات لثبات الحرب ويمكن ان يقال شبه الحساب في الثبات والاستقرار بالقائم
على الرجل فاثبت له القيام على سبيل التخييل فهي استعارة مكنية قرينتها التخييلية فالمجاز على
التقديرين في المفرد وعلى الثالث في الاسناد والمجاز على الثاني لانه مبني على فقد المضاف **قوله**
والمراد به تثبيته عليه الصلوة والسلام على ما هو عليه جواب عما يرد على قوله انه خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو انه تعالى منزه عن السهو والغفلة وانه عليه الصلوة والسلام اعلم
الناس بما يستحيل في حقه تعالى فكيف نهاه الله تعالى نهيا مؤكدا عن الحسبان المذكور **قوله**
والوعيد عطف على قوله تثبيته اجاب عنه اولا بان المراد من النهي المذكور تقوية نشاطه على
الثبات على ما هو عليه من الاعتقاد الصحيح في حقه تعالى وثانيا بانه كناية او مجاز في المرتبة الثانية
عن التهديد والوعيد بعقوبة الظالمين على ظلمهم كقوله والله عليم بما تعملون فانه كناية عن المجازاة
قوله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم على ان يكون الخطاب عاما لكل مكلف ولا يختص
به الرسول ولا من يتوهم غفلته فان الناس لا يخلو عن المظلوم والظالم فاذا سمع المظلوم ان
الله تعالى عالم بما يفعله الظالم وينتقم له هان عليه ظلمه والظالم اذا تصور ان الله تعالى عالم بما يفعله

ولابد ان يجازيه على ظلمه ربما ارتدع عن ظلمه خوفا من العقوبة فقوله تعالى ولا تحسبن على جميع التقادير
دليل على انه لابد من وجود يوم الحساب فان اطلاعه تعالى على ما يعمله الظالمون يستلزم ان ينتقم للمظلوم
من الظالم والا لزم اما ان يكون راضيا بذلك الظلم او عاجزا عن الانتقام وكل واحد منهما مستحيل
في حقه تعالى فلابد من البعث والحساب **قوله** وعن ابي عمرو بالنون على طريق الالتفات من الغيبة
الى التكلم وقرأ العامة يؤخرهم بياء الغيبة لتقدم اسم الله تعالى وقوله تعالى ليوم اي لاجل يوم فاللام للتعليل
وقيل بمعنى الى اي للغاية وتشخص صفة ليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره في مكانه من
حدة النظر وقيل بقاؤه مفتوحا بحيث لا يغمض ولا يرتد اليه طرفه الجوهري شخص بالفتح شخوصا اي
ارتفع وشخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينه وجعل لا يطرف **قوله** قال الزجاج كان الرجل شاخ فربما
حمل من الظلمات جحوجوه هواء الصمل صفة الرأس من الرجال والنعام من غير قصر العنق و
الظلمان جمع ظليم وهو النعامة والجحوج من الطائر والسفينة صدرها بهمز ولا يهمز يصف مطيته
بالقلق يقول كان رجل هذا المطي فوق ظليم اي نعامة لا قوة في قلبه ولا جرءة فان النعامة يضرب
به المثل في الجبن قيل في حق الحجاج وصنائه بالجبن اسد علي وفي الحروب نعامة فتخا تنفر من صفير
الصافر قوله تعالى مهطعين مقنعي رؤسهم حالان من المضاف اليه المحذوف اذ التقدير تشخص
فيه ابصارهم ويجوز في مقنعي ان يكون حالا من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة واضافته
مقنعي غير حقيقية فلذلك وقعت حالا وقوله تعالى لا يرتد اليهم في محل النصب على انه حال من الضمير
في مقنعي والطرف في الاصل مصدر اطلق ههنا على الفاعل وهو العين لقولهم ما فيهم عين تطرف
والطرف الجفن ايضا بناء يطبق طرفه اي جفنه على الآخر والطرف ايضا تحريك الجفن ويجوز
ان يكون كل واحد من قوله لا يرتد اليهم طرفهم وقوله وافئدتهم هواء استينافا وان يكون حالا وقوله
هواء وان كان خبرا عن الجمع لانه في معنى فارغة وخالية ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بانه لا يخفى عليه شيء
من احوالهم وافعالهم ولكن يؤخر عذابهم لاجل يوم القيمة الذي من صفته انه تشخص فيه الابصار كذا
وكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الناس يوم يأتيهم ذلك العذاب المعهود على ان يوم يأتيهم
مفعول ثان للانذار ويجوز ان يكون ظرفا للانذار لان الانذار لا يكون في ذلك اليوم **قوله** او اخراجاته
هذا على تقدير ان يكون المراد باليوم يوم موتهم معذبين بشدة السكرات وبما نالهم بمعاينة ملائكة
العذاب وابتغوا اسوء عاقبتهم والاول على تقدير ان يراد باليوم يوم القيمة **قوله** على ارادة القول
اي القول الجاري من قبلهم بلسان المقال والمعنى اولم تكونوا قائلين بلسان المقال ما لكم من
زوال ان كان المتبادر من ظاهر العبارة ان يكون المراد من القول الذي هو قول الملائكة في جواب
قول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب ويكون المعنى والتقدير فيقال لهم على سبيل التقريع

الظلمان بكسر الظاء وضمها
جمع ظليم وهو الذكر من
النعام اه
صحاح
امددي

التقريع والتوبيخ اولم تكونوا الآن عطف او دل عليه حالهم يدل على ان المراد منه القول الجاري من
قبلهم كانه قيل اولم تكونوا اقسمتم بلسان المقال صريحا او بدلالة الحال وشهادة الافعال هذا هو المفهوم
من تقرير الكشاف ويحتمل ان يكون مراد المص من قوله على ارادة القول ما ذكرنا انه المتبادر الى الذهن
ويكون قوله او دل عليه حالهم معطوفا على قوله اقسموا بطرا او غرورا او يكون مقصوده انه لما حكى عنهم
انهم اقسموا على انهم باقون في الدنيا لا يزالون عنها بالموت ورد ان يقال كيف يقسمون عليه والبداء
يجانبهم اجاب عنه بقوله ولعلهم اقسموا عليه بطرا او غرورا او دل عليه حالهم **قوله تعالى** وسكنتم في
في مساكن الذين عطف على قوله اقسمتم اي اولم تكونوا اسكنتم وهو تقريع ثان للذين ظلموا فانهم لما
سكنوا في مساكن من كفر وعصى قبلهم وتبين لهم ما حل بهم بسبب كفرهم وتكذيبهم الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ولم يعتبروا اقتدوا استوجبوا الذم والتقريع **قوله** واصل سكن ان يتعدى الى
تعديه سكن تارة بفي كما في هذه الآية وتارة بدونها وقرأ العامة تبين فعلا ماضيا وقرئ نبين
بضم النون الاولى والثانية على انه مضارع وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال اي ونحن نبين
وفاعل تبين مضمر لدلالة الكلام عليه اي وتبين لكم حالهم وخبرهم وهو هلاكهم بطريق الاستيصال
وكيف في موضع النصب بفعلنا ولا يجوز ان يكون جملة الاستفهام فاعلا لتبين لان الاستفهام لا يعمل
فيه ما قبله وايضا الجملة لا تكون فاعلا **قوله** اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر فيكون لكم متعلقا
بمحذوف وفي محل النصب على انه حال من الامثال والتقدير ضربنا امثال احوالهم ثابتة لكم و
المراد بالامثال معناه اللغوي وعلى الثاني يكون الامثال مستعارا للصفات ما فعلوا
وما فعل بهم تشبيها لها بالامثال المضروبة في الغرابة **قوله** المستفرغ فيه جهدهم هذه المبالغة
والاهتمام بالمكر مستفاد من اضافة المكر اليهم لان صناديد قريش لما اشتهروا بشدة الشكيمة
والتمادي في طغيان كان ما اضيف اليهم من المكر المتعلق بابطال الحق وتقرير الباطل
مكرا اشتهروا لا فيه غاية جهدهم ونهاية قدرتهم **قوله** ومكتوب عنده فعلهم يشير الى ان يكون
المكر مضافا الى فاعله كالمكر الاول والمعنى ان مكرهم الذي مكروه مكتوب عند الله لا يعزب عنه
ما يمكرهم به على ان يكون المصدر مضافا الى مفعوله ومكر الله تعذيبه اياهم وسمي مكرا للمشاكلة
قوله مسوى لازالة الجبال ومعدا لها على ان يكون كلمة ان شرطية حذف جوابها لدلالة
قوله وعند الله مكرهم عليه والتقدير وان كان مكرهم معدا لازالة امثال الجبال الرواسي
وهي المعجزات والآيات فالله تعالى مجازيهم بمكر هو اعظم من مكرهم **قوله** وقيل ان نافية واللام
مؤكدة لان النفي المستفاد منها فان اللام في هي لام الجحود التي ينتصب الفعل بعدها باضمار ان
لوقوعها بعد كون منفي وخبر كان محذوف عند البصريين متعلق به عندهم هذه اللام والتقدير

وما كان مكرهم مريدا لازالة ما هو كالجبال من الشرائع والآيات الدالة على حقيتها وهذا
ابلغ واكد من ان يقال ما كان مكرهم تزول منه الجبال لان انتفاء ارادة الفعل اكد من انتفاء
نفس الفعل وهو معنى قوله اللام مؤكدة لان النافية كما ان قوله تعالى ما كان الله مريدا لتعذيبهم
اكد من قولك ما كان الله يعذبهم وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة يكون اللام فارقة بين
النافية والمخففة ويكون المقصود تعظيم مكرهم لا ما فعل لازالة ما هو كالجبال الراسية
في الثبات والقوة يكون في غاية الشدة والقوة بخلاف ما اذا كانت نافية فان المعنى
تحقير مكرهم ببيان انه ما كان مكرهم بحيث يزول منه الشرائع التي هي كالجبال لانه تعالى وعد
نبيه صلى الله عليه الصلوة والسلام اظهار دينه على كل الاديان فكيف يزول امره الذي
هو دين الاسلام بمكرهم فان مكرهم اوهن واضعف من ان يزول منه الجبال الراسيات
التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته ويؤيد صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه
الآية فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي قد وعد لهم الظهور عليهم فلا يخلف وعده
بمكرهم وقوله تعالى فلا تحسبن على جميع التقادير الظاهر انه جواب شرط محذوف اي اذا تقرر
ان مكرهم مكتوب عند الله تعالى فهو يجازيهم عليه فلا تحسبن او اذا تقرر ان مكرهم اوهن من
ان يزول منه امر الله الذي هو اثبت واقوى من الجبال الراسيات فلا تحسبن قوله انا لننصر
رسلنا يعني ان المراد بالوعد قوله تعالى في غير هذا الموضع انا لننصر رسلنا وقوله تعالى كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ويحتمل ان يكون المراد ما بينهم من قوله في هذا الموضع وعند الله مكرهم فانه
على كلا التقديرين يدل على انه تعالى يجازيهم على مكرهم وينصر رسله عليهم قوله واصله مخلف
رسله وعده لان فعل الاخلاف يتعدى الى مفعولين اولهما الموعود له وهو ههنا الرسل
وحق المفعول الاول ان يتقدم على الثاني يقال اخلفه ما وعده والاخلاف ان يقول شيئا
ولا يفعله بعده وههنا قدم المفعول الثاني واضيف اليه اسم الفاعل تخفيفا نحو هذا كاسي
جبة زيدا قيل لما تعدى الفعل اليهما لم يبال بالتقديم والتأخير قوله ايذانا بانه لا يخلف الوعد
اصلا اعترض عليه لما كان رسله مفعولا كان اخلاف الوعد مقيدا به سواء قدم على الوعد
او اخر فلم يكن خلاف الوعد مطلقا ثم قيد برسله واجيب بان المفعول الثاني حقه
التأخير فلما قدم دل على انه اهم والعناية بشأنه اتم ما المقصد الاصلي من الكلام ليس الا نفي
اخلاف الوعد والذي سيق له الكلام ليس الا بيان انه تعالى ليس من شأنه خلف الوعد وانما
نفي خلف وعد الرسل هو شيء متفرع على ذلك لانه لما لم يكن من شأن الله تعالى اخلاف الوعد
كان عدم اخلافه وعد رسله هو حريته وصفوة بحيدة تابعا له وثابتا بالطريق الاولى وظرف

كما في قراءة وان كاد مكرهم بالدال مكان النون فانه ايضا يدل على استعظام مكرهم كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان المعنى من عظم ما قالوا في الله كادت السموات ان تنشق فعلى ذلك مكرهم

في تقديم المفعول الثاني على الاول للاهتمام بشأنه قوله تعالى في سورة الانعام وجعلوا لله شركاء
الجن فانه قدم الشركاء ليدل على ان المفعول المقصود الاصلي استعظام اتخاذ الشركاء ونفي شركة
الجن تابع لهذا المقصود متفرع عليه قوله قرن بعضهم مع بعض يعني ان قوله تعالى مقرنين فيه
ثلثة اوجه الاول ان بعض الكفار قرن ببعض على حسب تجانس ما اكتسبوه من العقائد الزائغة
والملكات الباطلة المتجانسة من حيث الجزاء ايضا يجتمع اصحابها فان الجنسية سبب
لاجتماع الامور المتجانسة والثاني قرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة قال تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والعاشي عن سواء السبيل لما كان يتبع الشيطان ويأتمر
بامره حشر معه مقرونا في سلسلة واحدة او مع ما اكتسبه من العقائد الزائغة والملكات الباطلة
التي هي بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه فكونها اسباب التأذي ينشأ منها خروجا عن الاعتدال اللائق
بها والثالث قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال اما حقيقة واما على ان يكون الايدي
والارجل عبارة عن الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء على طريق اطلاق اسماء اسباب
الاكتساب على الامور المكتسبة بتلك الاسباب ويكون مقارنة تلك الامور الى الرقاب عبارة عن
مؤاخذة انفسهم بها يقال قرنت الشيء بالشيء اذا وصلته به وجاء ههنا على التشديد لكثرة
اولئك القوم فان بناء التفعيل قد يكون لتكثير المفعول نحو فتحت الابواب والاصفاد جمع صفد وهو
القيد قال عطاء يريد سلاسل الحديد والاغلال وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته
الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح صفده يصفده صفدا اي شده و
اوثقه وكذلك التصفيد والصفاد ما يوثق به الاسير من قد وقيد وغل والاصفاد القيود
وبيت سلامة يدل على انه اطلق الصفاد على ما يشاركه كل واحد من الغل والقيد فان الغل يوضع
على الساعد والعنق والقيد يوضع على الرجل وظاهر البيت يدل على ان صفادا واحدا يقبض
ويجمع تلك الثلث فكأنه نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد ويشدان على العنق وزيد الخيل اسم
رجل من قبيلة طي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وسماه زيد الخير ومات منصرفه من عند النبي
صلى الله عليه وسلم محموما قوله تعالى وبرزوا معطوف على قوله تبدل الارض وهو ماض يراد به الاستقبال
كقوله تعالى ونادى اصحاب النار وقوله مقرنين حال من المجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول
ثان ان كانت علمية وفي الاصفاد اما ظرف لغو متعلق بمقرنين او ظرف مستقر متعلق بمحذوف
حال من ضمير المجرمين اي مصفدين وقوله تعالى سرابيلهم من قطران حال ثانية من المجرمين او
حال من الضمير في مقرنين وكذا قوله وتغشى وجوههم النار على معنى انها معطوفة على الحال
لا انها حال والواو للحال لانه مضارع مثبت الا ان الاخريين حالان مترادفتان او جملتان مستانفتان

لا محل لها من الاعراب منقطعان من حكم الرؤية لان قوله مقرنين بيان بحالهم في الموقف الى
ان يكبّ بهم في النار والحال الان الاخر بيان لبيان حالهم بعد دخول النار كان قوله مقرنين حرّك
من السامع ان يقول واذا كان هذا شانهم وهم في الموقف فكيف حالهم وهم في جهنم خالدون فاجيب
بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله وتغشى ولم يجعل جملة اسمية كما قبله لاتحضار
الحال الدالة على تجدد الغشيان حالا فحالا قوله وجاء قطران لغتين فيه يعني ان قراءة العامة قطران
بفتح القاف وكسر الطاء وجاء فيه لغتان غيرها احديهما قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن
سكران والاخرى قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن سرحان وهو ما يتحلب اي يسيح من
شجرة يسمى الابهل والعرعر ايضا فيطبخ ويطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والسربال
القميص وسربلته قميصا ألبسته السربال وجمعه سرابيل فلذلك قال المص قمصانهم وهو جمع قميص
ويحتمل ان يكون قوله سرابيلهم من قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس
من احاطة الملكات الردية والهيئات القبيحة بما يترتب على تلك الاحاطة اغتمام النفس بانواع
من الغموم والآلام بالهيئة الحاصلة من تسربل البدن سربالا من القطران بحيث يترتب على ذلك
التسربل ما ذكر من الانواع الاربعة للعذاب وهي لذع القطران بحرارته وحدته ووحشة لونه قوله
عن يعقوب قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء وآن على وزن فاعل فيكون قطر آن
كلمتين والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني اسم فاعل من انى يانى اناً اي تناهى في الحرارة قال
الله وبين حميم آن قوله اي وتتغشاها اي يجب على قراءة وتغشى بتشديد الشين ان يجعل الكلمة
على المضارع بحذف احدى التائين لتوافق المشهورة فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تشبر بمعنى بسر
لما ان غشاء بمعنى غشيه فقوله تتغشاها بمعنى تعلوها وتغطيها قوله كما تطلع على افئدتهم يعني انه
خص القلب والوجه بظهور آثار العذاب فيهما حيث ما في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على
الافئدة وما في الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة في خلق المكلفين انما هي معرفة ربهم و
خالقهم بمعانية ما يدل على كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر والحواس المجتمعة في الرأس والوجه
ليؤدي استعمال الآلة المعرفة التي موضعها القلب ليخضعوا لعظمته وكبريائه ويرغبوا في طاعته و
مرضاته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه ويفوزوا بذلك سعادة الدارين فمن اهمل هذه القوى
هي اسباب السعادات كلها فجدير ان يكون معظم ما يتعلق به من العذاب ظاهرا في محال تلك القوى
قوله ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب فان من اصاب وجهه اذى في الدنيا
يتقي عنه بيده والمجرمون لما كانت ايديهم مغلولة الى اعناقهم لا يقدرون على ان يتقوا النار
بايديهم فلا جرم يتقونها بوجوههم قوله اي يفعل بهم ذلك ليجزي على ان اللام متعلقة بمحذوف فلما

ولما ورد ان يقال تعذيب المجرمين كيف يصح تعليله بمجازاة كل نفس بما كسبت فان علته ليست
الا المجازاة انفسهم به فقط لا المجازاة عامة النفوس اشار الى دفعه بوجهين الاول ان المراد
بكل نفس النفوس المجرمة والثاني ان تعذيب المجرمين لاجرامهم لما استلزم اثابة المطيعين
لطاعتهم كان قوله يفعل بهم ذلك متضمنا لكل واحد من الاثابة والتعذيب فصح تعليله بمجازاة كل
نفس على العموم ثم اشار الى جواز كون اللام في ليجزي متعلقة بقوله وبرزوا فحينئذ لا حاجة الى تخصيص
كل نفس بالمجرمين بل يتعين ابقاؤه على عمومه قوله ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد ذكر الفائدة
الاولى بقوله ولينذروا به وذكر الثانية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والثالثة بقوله وليذكر
اولوا الالباب اعلم ان النفس الناطقة لها قوتان قوة نظرية تستكمل بها النفس بمعرفة الموجودات
باقسامها التي هي الواجب لذاته وصفاته وآثاره الممكنة من الجواهر الذاتية والعنصرية ومقولات
الاعراض القائمة بها حتى تصير النفس بتلك المعرفة عالما بآخره ارتسمت فيه صور جميع الموجودات
من اجناسها وانواعها واصنافها مضاهيا للعالم الكبير التي تحققت فيها اعيان الموجودات المذكورة
واجل هذه المعارف معرفة ذات الواجب بصفات جلاله وجماله وقوة عملية تتمكن النفس بها
على اعمال جوارحها وقواها الظاهرة والباطنة والاستعانة بها في تحصيل المقاصد الدنيوية والاخروية
التي هي الاعمال الصالحة وهي التي عبّر عنها المص بالتدرع بلباس التقوى والمراد بالتقوى ههنا
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك قوله وليعلموا انما هو اله واحد اشارة الى ما يجري
مجرى الرئيس لكمال حال القوة النظرية وقوله وليذكر اولوا الالباب اشارة الى ما يجري مجرى الرئيس
لكمال حال القوة العملية فان غاية هذا التذكر وفائدته هي الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال
على الاعمال الصالحة وهذه الآيات مشعرة بان التذكر بهذه المواعظ والنصائح يوجب الوقوف
على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه فيه ان من سمع هذه التخويفات والتحذيرات
عظم خوفه واشتغل بالنظر والتامل والنظر يوصل الى معرفة التوحيد والنبوة والاشتغال
بالاعمال الصالحة واعلم ان هذه الآية الكريمة دالة على ان العقل اشرف ما يتوصل به الى الحق لان
اعز المطالب واكرم المواهب هو هداية الله تعالى بانزال الكتب وبعثة الرسل وقد تبين بهذه الآية
ان من ينتفع به ويتذكر بهم اولوا الالباب فظهر به ان من لا لب له هو كالبهائم اللهم اجعلنا من
المهتدين بنور العقل والمتذكرين بنصائحك ومواعظك يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم اجمعين

سورة الحجر تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين

يكون الاتيان بالتحدي لارتباط بالمتعلقات وهي النفع مع العطف

قوله وتنكيره للتعظيم كما ان تعريف الكتاب للتعظيم ايضا اشارة الى بنقله بكمالا وانى الاول بقوله بيانا عربيا فاشار الى ان التنجيم لا يجب وصفه المذكور فيكون فيه اشارة الى وجه التغاير بين المتعاطفين ورمز الى انهما لما استقلا بالكمال في الغرابة قصد قصدهما فعطف احدهما على الاخر فالغرض من ذكر الذات في الموضعين الوصفان كذا افاده صاحب الكشف ثم انه عكس الترتيب في النمل فقال الرتلك ايات القرآن وكتاب مبين لمجرد التفنن لا لترجيح جانب على جانب كذا قال جار الله هناك وقال المصنف ثم الكتاب باعتبار الوجود وتاخيره في النمل باعتبار تعلق علمنا به فانا انما نعلم ثبوته في اللوح من القرآن اذ لا طريق له سواه واما وجود الالفاظ فبعد وجود الكتابة فيه سنان

قد مران فواتح السور يحتمل ان يكون اسماء وان تكون مذكورة على نمط التعديد للتحدي وتقوية دليل الاعجاز اما من جهة ان المتحدي به مركب من جنس ما يؤلفون منه كلامهم فلو كان من جنس كلامهم لما عجزوا عن الاتيان بمثله فعلى هذا يكون تقدير الكلام المتحدي به مؤلف من جنس هذه الحروف واما من جهة ان من يأتي بهذه الفواتح امي لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط اهل الكتب فتلفظه اسامي حروف المباني من مثله من جملة المعجزات الخارقة للعادة فعلى هذا لا يكون لها محل من الاعراب والذي يلوح من تقرير المصنف ان يكون الراسما لهذه السورة الكريمة فيكون كلاما مستقلا تقديره هذه الر مثل قولك هذا زيد اي مسمى بزيد ويكون تلك اشارة الى ما في ضمنها من الايات مرفوعة المحل على الابتداء وايات الكتاب خبره ووصف الكتاب بكونه كاملا مستفاد من التعريف الجنسي فان تعريف الخبر في مثل زيد الشجاع يفيد الحصر فيدل على ان زيدا الكامل في الشجاعة لا ينبغي ان يعد احد في جنبه شجاعا فكذا اذا كان الخبر مضافا الى المعرف بلام الجنس فاذا اخبرت عن ايات هذه السورة بانها ايات السورة فقد افدت ان ايات هذه السورة بلغت في الكمال الى حيث لا يستحق ان يوصف ما عداها بكونها اية السورة وتفضيل الشيء على غيره ادعاء لا يستلزم ان يكون ما عداه مفضولا بالنسبة اليه حقيقة واذا كان المراد بالقران ايضا السورة يكون عطفه على الكتاب من قبيل عطف الصفات بان يكون الكتاب عبارة عن السورة الموصوفة بالكمال والقران عبارة عن السورة الموصوفة بانها المعروف المبين والواو المتوسطة بين الصفات يفيد الجمع بينها والمبين من ابان المتعدي وتنكير قران يبين للتفخيم فيرجع المعنى الى انه قران جامع لنخامة الشان وغرابة البيان ولما كان في التعريف نوع الفخامة وفي التنكير نوع اخر وكان الغرض الجمع بينهما عرف الكتاب ونكر القران وان كان الافتتاح بقوله الر للايقاظ وتقدمة دليل الاعجاز فيحتمل ان يكون تلك اشارة الى ما بعده كما في قولك هذا اخوك فانه نقل عن الزمخشري ان هذا لا يكون اشارة الا لغير الاخ وان المشار اليه لا يجب ان يكون موجودا ذهنا وجملة تلك ايات الكتاب لا محالة ان قيل ان الر كلاما مستقلا وجيء به لمجرد التنبيه والايقاظ وفي محل الرفع على الخبرية ان قيل ان الر مبتدأ قوله حين عاينوا حال المسلمين اختلف في وقت ودادتهم ذلك والاصح ما قاله الزجاج فانه قال الكافر كلما راى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيامر باخراج كل من اهل القبلة من النار فيخرجون فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الراوي ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين ربما

فلو كان بـ كلام البشر

على الوصف

298

ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقيل وقت ودادتهم حين حلول الموت ونزول الملائكة بالعذاب فانهم اذا شاهدوا علامات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقيل يودون ذلك يوم القيمة اذا اسودت وجوههم وسمعوا النداء وامتازوا اليوم ايها المجرمون قوله وما كافة اعلم ان رب حرف جر يلحقها ما على وجهين احدهما ان يكون نكرة بمعنى شيء كما في قول الشاعر ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال فكلمة ما فيه اسم بمعنى شيء وتكره النفوس صفته بحذف العائد والتقدير رب الشيء تكرهه النفوس فكلمة ما فيه اسم بمعنى ولولا انها اسم لما جاز عود الضمير اليه والوجه الثاني ان يكون كافة تكف الحرف عن العمل ولما صارت مكفوفة عنه تهيأت وصلحت للدخول على ما لم تدخل عليه قبل كونها مكفوفة فان رب حال كونها عاملة انما تدخل على الاسم المفرد نكرة نحو رب رجل كريم لقيته ولا تدخل على الفعل فلما دخلت عليها ما ابيحت للدخول على الفعل كما في هذه الاية ثم انهم اتفقوا على ان كلمة رب اذا دخلت على الفعل لا تدخل الا على الماضي كما يقال ربما قصدني عبد الله لانها للتقليل ما ثبت وتحقق وقيل هي لتقليل المحقق فلا معنى لدخولها على المستقبل ولا ينتقض ذلك بدخولها على المستقبل في قوله ربما تكره النفوس لما مر من انها داخلة على الاسم النكرة والقاعدة انما هي فيما اذا دخلت على الفعل لكنها تنتقض بهذه الاية حيث دخلت فيها على المستقبل على تقدير كون ما كافة قال الامام قول النحويين انه لا يجوز دخول رب على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما الرجوع فيه الى النقل والاستعمال ولو انهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله تعالى اقوى و الكن في الاستدلال بالجواز فلم لم يتمسكوا بدخولها على المستقبل في هذه الاية على جوازه وصحته ثم قال اجاب النحويون عن النقض المذكور بوجهين الاول قالوا المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود والثاني ان كلمة ما في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا اسم موصوف بيود صفته والتقدير رب شيء يوده الذين كفروا قوله ومعنى التقليل فيه جواب عن سؤال يتبنى على مقدمة وهي انهم اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهي انهم اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهي في التقليل نظير كم في التكثير فاذا قال رجل ربما زارنا فلان دل ربما على تقليل الزيارة قال الزجاج ومن قال ان رب يعني بها الكثرة فكلامه مخالف لما يعرفه اهل اللغة والسؤال المتفرع عليها ان تمني الكافر الاسلام كثير دائم فلا يليق لفظة ربما التي تفيد التقليل وتقرير الجواب انه لا شك في كثرة ودادتهم الاسلام لكنها صورت بالقلة لكون التقليل ابلغ في التهديد والمعنى ان ودادتهم الاسلام وتمنيهم ذلك لو كانت قليلة بل مرة لوجب مسارعتهم الى الاسلام فكيف اذا كانت كثيرة مستمرة في كل ساعة وقوله بالحزن

وحاصل الجواب ان المراد ليس نفس التقليل حقيقة بل مجرد الاخبار بوقوع الودادة و فائدة صيغة التقليل ما ذكره من النكتة وليس المراد انها مستعارة للتكثير كما ظن وان اشعر بذلك كلام جار الله في سورة التكوير نعم قد يجاب عن اصل السؤال بانها مستعارة للتكثير لكن ان تقول التقليل انما هو بالنسبة الى الظاهر او الودادة على ما مر من رواية الاشعري سنان

مبتدأ او ان يسارعوا خبره والباء زائدة كما في قولك بحسبك درهم والتقدير فالحري اي الخليق
المسارعة اليه والفاء في فكيف جواب شرط محذوف تقديره اذا كان ودادتهم متمنية للمسارعة
الى الاسلام فكيف لا يسارعون اليه والحال انهم يودونه في كل ساعة فان قلت قوله يود لا بد
له من مفعول فما مفعوله قلت الجواب انه محذوف اي يودون اسلامهم فح يكون كلمة لو في قوله لو
كانوا مسلمين امتناعية ويكون جوابها محذوفا تقديره لو كانوا مسلمين لسروا بذلك وتخلصوا
مما هم فيه ويحتمل ان يكون لو مصدرية لوقوعها بعد فعل دال على معنى التمني فح يكون المصدر المأول
مفعولا ليود اي يودون كونهم مسلمين وقد ذكر في شرح الرضي ان كلمة لو في قوله تعالى يودوا لو
انهم بادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التمني وهذا على
على تقدير ان يكون ما كافة واما ان جعلناها نكرة موصوفة فح يكون مفعول يود ضميرا محذوفا
يعود الى النكرة الموصوفة ويكون لو المصدرية مع ما في حيزها بدلا من ما قوله وقيل تدهشهم
اي قيل في وجه تقليل ودادة الكافر الاسلام ان غلبة الدهشة عليهم تجعلهم مبهوتين متحيرين
بحيث تمنعهم غلبة الحيرة عليهم من تمني الاسلام الا في زمان افاقتهم عما هم فيه من السكرة و
الدهشة ومن المعلوم ان زمان افاقتهم في غاية القلة فلا جرم تقل ودادتهم الاسلام قوله
والغيبة في حكاية ودادتهم يعني ان قوله تعالى لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم بقول مقدر
والتقدير يود الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين فالظاهر ان يقال لو كنا مسلمين لتكون
الحكاية مطابقة للمحكي الا انه جيء بها على لفظ الغيبة ليطابق اللفظ الذي ذكروا به وهو
قوله الذين كفروا اعلم ان قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين الى قوله وما يستأخرون
جملة معترضة بين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وبين قوله يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون فانه تعالى لما بالغ في وصف آيات هذه السورة الكريمة بما ينبئ عن بلوغها الى
اقصى درجات الكمال وحكى عن المشركين انهم بالغوا في التكذيب حتى قالوا على سبيل خطاب
المواجهة يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ربما يود
الذين كفروا والمعنى هون على نفسك فانك بالغت في الارشاد والانذار وهم ايضا افرطوا
في التكذيب والانكار فانهم قوم جهلة عديم الدراية والاعتبار فانهم لو كانوا يودون الاسلام
مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة واذا كان كذلك فاقطع طمعك
في ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه من الاغترار بالحظوظ العاجلة وعدم الالتفات
الى ما يؤدي الى السعادة الاخروية واللذة الباقية بل مرهم بالاكل كما يأكل الانعام والتمتع بها
اياما قلائل فسوف يعلمون سوء صنيعهم قوله وفيه الزام الحجة اي في قوله ذرهم مع تخصيص الاكل
والتمتع

قوله ياكلوا اي ما اشتهوا
كالبهائم من غير صارف عنه
وتنقص النفس والبهائم فلا نظر
قوله ويتمتعوا اي يلتذ
الحظوظ النفسانية بعد تخصيص ردي

والتمتع بالمشتهيات والتلهي بالامل بالذكر فان تخلية الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين ما
يشتهون وصرفه عن انذارهم وردعهم لا لحكمة لا تكون الا عند تكرار الانذار والجهد الى ان يحصل
اليأس عن الايمان كانه قيل قد بالغت في الانذار والزمت الحجة فدعهم بعد ذلك الى ان عاينوا اجزاء
اصرارهم وعنادهم فقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ليس امر تخلية بل هو على طريق التهديد والتوعد و
الابلاغ في الوعيد والتاكيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير قوله ويلههم الامل اي يشغلهم
بما يأملون من امور الدنيا عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة يقال الهاه الشيء اي شغله وانساه
ثم انه تعالى لما هدد المكذبين المعاندين بقوله فسوف يعلمون بين ان تأخر العذاب ليس مبنيا على
الاهمال بل هو امهال ليبلغوا الاجل المقدر لتعذيبهم فقال وما اهلكنا من قرية اي من اهل قرية قبل
ان يبلغوا اجلهم فهذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل لان العذاب مدخر وان لكل امة له وقت
معين لنزوله لا يتقدم ولا يتأخر قوله والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية لان قوله الا وله
كتاب استثناء مفرغ من الصفة وتقدير الكلام وما اهلكنا من قرية على صفة الا على صفة ان
لها كتاب معلوم ولانه في قوة قوله اهلكنا قرية لها كتاب معلوم او ما اهلكنا قرية ليس لها كتاب
ولا شك ان الجملتين الايجابية والسلبية صفتان لقرية قوله والاصل ان لا تدخلها الواو يعني ان
القياس ان لا يتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لشدة اتصالهما لكن لما كانت الصفة
كالحال في المعنى وان كان بينهما فرق من بعض الوجوه جاز ان تدخل الواو عليها فكما ان الواو تدخل
على الجملة الواقعة حالا كذلك تدخل على الجملة الواقعة صفة فكما ان معنى الحالية لا يتغير اذا قلت جاءني
زيد عليه ثوب وجاءني زيد وعليه ثوب كذلك معنى الوصفية لا يتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها
كما ان الواو الداخلة على الحال انما تدخل لمجرد الربط كذلك الواو الداخلة على الصفة وذكر ان الاكثر
في الجملة الواقعة موقع الحال ان لا تدخلها الواو لفوات المغايرة لان حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر
مع المخبر عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو فكذا الحال وانما تدخل لمجرد الربط لا سيما اذا كانت
جملة اسمية فانها اشد افتقارا الى الربط فكذا حكم الصفة الا ان الصفة مرتبطة بالموصوف
فيكون الواو لتاكيد ذلك الارتباط واعترض على جعل الجملة صفة لقرية بان توسيط الواو بين
الصفة والموصوف غير معهود وكذا توسيط كلمة الا بينهما لم يعرف ان احدا من النحاة ذهب الى جوازه
والحال ليس وزانها وزان الصفة اذ احتمل الواو ولعل من جعلها صفة لقرية ولم يجعلها حالا نظر
الى تنكير ذي الحال وهو قرية وليس بشيء اذ يجوز ان يقال العموم يصحح كونها ذا الحال كما في المبتدأ نحو
ما احد خير منك وهذا المعترض هو شيخ صاحب المفتاح حيث قال فالوجه عندي هو ان ولها كتاب
معلوم حال لقرية لكونها في حكم الموصوفة اي قرية من القرى لا وصف واو حمله على الوصف سهو

خطأ ولا عجب في السهو قوله لكن لما شابهت صورتها صورة الحال قال المص في تفسير قوله تعالى و
يقولون سبعة وثامنهم كلبهم ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت انتهى فان
قيل لما كان الا ولا لكن يفصلوم صفة لقرية كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فما الفرق
بينهما حتى اكد لصوق الصفة بالموصوف في احديهما ولم يؤكد في الاخرى فالجواب ان الوصف المذكور
في هذه الاية الصق بالموصوف من الوصف المذكور في قوله تعالى الا لها منذرون لان الوصف فيما
نحن فيه لازم عقلي وثمة لازم عادي جرت عليه سنة الله تعالى فان وجود الحوادث في اي وقت كان وقت
كان على سبيل الاتفاق لا يقتضيه العقل والحكمة بل بهما يقتضيان ان يكون لكل حادث وقت مقدر وكتاب
معلوم لا يتقدم عليه ولا يتأخر بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الاهلاك فان لزومه لمجرد جري
عادة الله تعالى على ذلك قوله تعالى من امة فاعل تسبق ومن مزيدة للتاكيد وحمل على لفظ امة حيث
انث تسبق لاسناده الى امة وافرد الضمير المجرور واثنى في قوله اجلها على معنا امة في قوله وما يستأخرون
عنه للدلالة عليه ورعاية للفواصل قوله لمختص ان على سبيل البدل اما الامتناع او التخصيص فان
قولك لولا على الملك عمر ليس فيه سوى الامتناع وقوله تعالى لولا تأتينا ليس فيه سوى التخصيص والعرض بين
التخصيص والامتناعية هو ان التخصيصية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كما في قوله تعدون عقر النيب
افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا اي لولا تعدون الشجاع المقنع بالة الحرب والامتناعية
لا يليها الا الاسم لفظا او تقديرا عند البصريين وفي قوله تعالى ما تنزل الملائكة اربع قراءات ما ننزل على
لفظ المضارع المعلوم المسند الى ضمير الغائب وننزل بنونين اولهما مضمومة وثانيهما مفتوحة
وكسر الزاي ونصب الملائكة على المفعولية وتنزل بضم التاء وفتح النون والزاي ورفع الملائكة على انه
نائب مناب الفاعل وتنزل بفتح التاء والزاي على ان اصله تتنزل فحذفت احدى التائين ورفع
الملائكة على الفاعلية وقوله تعالى الا بالحق مستثنى مفرغ من اعم عام المصدر اي ما ننزل الملائكة تنزيلا
ما الا تنزيلا ملتبسا بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لمصدر محذوف قوله ولا حكمة في ان
نأتيكم بصور يحتج على ان يكون قولهم لو ما تأتينا بالملائكة بمعنى لولا تأتينا بهم ليصدقوك فيما تدعيه
من الرسالة حتى يزول الشكوك والشبهات في ذلك بشرا انهم عندنا قوله ولا في معاجلتكم بالعقوبة
على ان يكون معناه لو ما تأتينا بالملائكة الذين ينزلون علينا بذلك العذاب الذي تخوفنا به على تقدير
عدم ايماننا بك كما قالوا ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب قوله وقيل الحق الوحي
او العذاب عطف على قوله اي بالوجه الذي قدره فالمعنى على هذا ما ننزل الملائكة الا لاجل تبليغ
الوحي او لعذاب الاستيصال وتصديق المدعي والشهادة بصدقه في دعواه ليس شيئا منهما فلا

فلا ننزلهم لذلك ولا نريد عذاب الاستيصال لهذه الامة قوله اذن جواب لهم وجزاء فان
اذن انما يذكر حيث خاطبك احد بشيء وتريد ان تجيبه فتقول في جواب كلامه اذن يكون كذا كما
اذا قال لك انسان انا آتيك فتقول اذن اكرمك فهو جواب لما قاله واما الجزاء فهو ان مدخوله معلق بشرط
محقق او مقدر كانك قلت ههنا ان كان الامر كما ذكرت اكرمك فكذا هذه الاية قوله رد لانكارهم
واستهزائهم فان الكفرة حين قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقد انكروا ان ينزل عليه ذكر
من ربه واستهزؤا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين انه عليه الصلوة والسلام غير موصوف
به فكانهم قالوا يا ايها المفتري ان الله تعالى لم ينزل عليك الذكر وهذا الذي تزعم انه من عند الله ليس منه
بل هو من القاء الجن وانك لمجنون فرد الله تعالى عليهم بقوله انا نحن نزلنا الذكر واكده من وجوه
تصدير الجملة بان وتوسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم
والاجلال وبتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتقريره واسمية الجملة فان قيل قد حصل رد
انكارهم واستهزائهم بقوله انا نحن نزلنا الذكر فما وجه اتصال قوله وانا له لحافظون به اجيب
بان اتصاله من قبيل اتصال الدليل بالمدلول فان حفظ الله تعالى اياه يدل على كونه من عند الله
لانه لو كان من عند غيره تعالى لما كان مصونا من الزيادة والنقصان بل مجرد كونه من عند الله تعالى
لا يستلزم كونه محفوظا ما لم يحفظه الله تعالى ويتكفل بحفظه الا يرى انه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا
الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التحريف والتغيير اما في الكثير منه او في القليل وبقاء هذا الكتاب
مصونا عن جميع جهات التحريف مع ان دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله
وافساده من اعظم المعجزات وذكر لطريق حفظ الله تعالى اياه وجهين الاول جعله اياه معجزا مباينا
لكلام البشر فان الخلق عجزوا بذلك عن الزيادة فيه والنقصان لانهم لو زادوا فيه او نقصوا
لتغير نظم القران فظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القران فصار كونه معجزا كاحاطة السور بالمدينة
في كونه سببا للحفظ والصيانة والثاني ما اشار اليه بقوله او نفي تطرق الخلل فانه مصدر معطوف على
قوله بان جعلناه فانه في تأويل المصدر فانه تعالى لما دام واستمر على ضمان الحفظ له امتنع تطرق الخلل
اليه وكان ذلك طريقا لحفظه وكلمة ما في قوله كما نفى ان يطعن فيه مصدرية والباء في قوله بانه المنزل
له متعلقة بقوله ونفى واشار الى بيان المناسبة بين قوله وانا له لحافظون وبين قوله انا نحن
نزلنا الذكر ليصح عطف احدهما على الاخر وهي كون كل واحد من الحكمين متعلقا بالذكر قوله
وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وانا لمحمد لحافظون وصح ارجاع الضمير اليه لانه لما
ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فحسن ارجاع الضمير اليه لكونه امرا معلوما كما في قوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر فان ضمير انزلناه للقران مع انه لم يتقدم ذكره وحسن ذلك كما ذكر فكذا

وقيل المراد بالحفظ [illegible]

[illegible] كذا روى

[illegible] والله [illegible]

ههنا ثم ان القوم لما اساؤا في الادب وخاطبوه عليه الصلوة والسلام خطاب السفاهة حيث
قالوا انك لمجنون فالله سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان عادة الجهال مع جميع الانبياء عليهم الصلوة
والسلام كانت هكذا وكان يجبرون على اذى الجهال وسفاهتهم ويستمرون على الدعوة والانذار "
فاقتد بهم في ذلك وهو قوله ولقد ارسلنا من قبلك ان ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر
الرسل لدلالة الارسال عليه وسميت الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب شيعة لكون بعضهم يتابع
بعضا ويتابعه والشيع التابع واحدهم شيعة وشيعة الرجل اتباعه قيل شيع الاولين من باب
اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وجانب الغربي والاصل في الشيع الاولين و
البصريون يؤولون مثله على حذف المضاف اليه اي في شيع الامم الاولين وجانب المكان الغربي
وقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن نظير قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها منذرون
فيكون المستثنى صفة لرسول على ما اختاره المص لانه في قوة ان يقال الا تاهم رسول مستهزأ به ولم يأتهم
رسول غير مستهزأ به ويكون حالا من مفعول يأتيهم على ما اختاره السكاكي والكاف في قوله كذلك
منصوب المحل على انه مفعول صفة مصدر محذوف او حال منه اي سلكنا الاستهزاء في قلوبهم سلكا مثل
هذا السلك او حال كونه مثل هذا السلك ويحتمل ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر
كذلك وسلكه استيناف قوله وقيل للذكر فان المعتزلة لما أبوا من ارجاع ضمير نسلكه الى الاستهزاء "
المدلول عليه بقوله يستهزؤن بناء على ان الاستهزاء بالانبياء عليهم الصلوة والسلام كفر وضلال
والله لا يخلق الباطل قلبا للعبد على زعمهم قالوا ان الضمير للذكر واستدلوا عليه بان الضمير
في قوله لا يؤمنون به عائد الى القران بالاجماع فوجب ان يكون ضمير نسلكه ايضا عائدا اليه لانهما "
ضميران معا فبان فيجب عودهما الى شيء واحد وايضا قوله لا يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان
ذلك الضمير للاستهزاء لكان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم لا يؤمنون بذلك الاستهزاء وذلك
لا يوجب التناقض لان الكافر لا بد ان يكون مؤمنا بكفره واستهزائه والذي لا يؤمن ولا يصدق
بالكفر هو المسلم العالم ببطلان الكفر او هو بيان وتفسير لجملة كذلك نسلكه فينبغي ان يكون المبين مشتملا
على ما يشتمل عليه البيان واجاب المص عن وجوه احتجاجهم بان الاصل في الضمائر ان يرجع الى
اقرب المذكورات وقوله انا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزؤن قريب والاصل المذكور
يقتضي ان يرجع ضمير نسلكه الى الاستهزاء المدلول عليه باقرب المذكور ولا مانع من اعتبار هذا الاصل
في ضمير نسلكه فقلنا انه راجع الى الاستهزاء ولما تحقق المانع من اعتبار ذلك الاصل في الضمير الثاني
وهو لزوم التناقض قلنا ان الضمير الثاني يرجع الى الذكر المذكور اولا وتفريق الضمائر المتعاقبة
على الاشياء المختلفة ليس بقليل في القران فان تعاقب الضمائر لا يستلزم عودها الى شيء واحد بلا

مولد واصله الشياع بكسر الشين فيكون الشيعة مجازا لغويا ان كان الاخذ من اهل اللغة او حقيقة لغوية ان كان منهم قبل وللشيعة معنى اخر وهو الاعوان والانصار لكن الاشتقاق من الشياع " يناسب هذا المعنى دون الاول على ما يدل عليه كلام المص قلت لا يخفى ان الخطب العصار يشيع بعضا بعضا في ابتداء الكبار فلا اعتبار
سكاكي

في محل الرفع على انه صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزؤن
اه

عـ بيان المراد به التشبيه في نفس السلك كناية عن نفس السلك كانه قيل لا نجد الا انت لا تجد وقد حقق ذكره في موضعه
سكاكي

٣٠١

بل الامر فيه موقوف على الدليل ولما دل الدليل في هذه الاية على رجوع الضمير الاول الى الاقرب ورجوع الى
الثاني الى الابعد عملنا بمقتضى الدليل واجاب عن قولهم ان لا يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان
ذلك الضمير للاستهزاء للزم التناقض بقوله ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير الى ان التناقض
انما يلزم على تقدير كون ضمير نسلكه للاستهزاء وكون الجملة حالا عنه وذلك غير لازم لجواز ان يكون
حالا من المجرمين بل يجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب بان يكون جملة مستأنفة لبيان حالهم بدخول
الاستهزاء في قلوبهم ويكون المعنى لا يؤمنون بسببه واجاب عن قولهم كون الجملة بيانا للاولى "
يستدعي ان يكون ضمير نسلكه للذكر وبناء في كونه للاستهزاء بقوله ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول
بل يقويه فان تمكن الاستهزاء بالرسل في القلب عبارة عن الامتناع عن الايمان بهم بسبب ذلك
الاستهزاء فيصلح ان يكون لا يؤمنون به تفسير القول كذلك نسلك الاستهزاء في قلوبهم قوله
والمعنى نبأنا رجالا فيهم جواب عما يقال الاصل في فعل الارسال ان يتعدى بالى فينبغي ان يقال ولقد
ارسلنا من قبلك الى شيع الاولين فكيف عدي بكلمة في ويمكن في الجواب ان يقال عدي بفي "
لتضمين ارسلنا معنى نبأنا الا انه زاد قوله رجالا للاشارة الى ان مفعول ارسلنا "
محذوف تقديره ارسلنا رسلا فيهم وزاد قوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم اتماما لمعنى
ارسال الرسل لما تقرر من ان الرسول من له معجزة باهرة وكتاب سماوي والنبي صاحب
المعجزة وليس له كتاب سماوي فلو اقتصر على نبأنا رجالا فيهم لكان المذكور بعض معنى
ارسلنا وهو بصدد بيان تمام معناه فدل بقوله نبأناهم فيهم على معنى اعطيناهم المعجزات
وبقوله جعلناهم رسلا فيما بينهم على معنى صيرناهم صاحب كتاب وشريعة مستقلة والفائدة
في ارتكاب ما يجوج الى اعتبار التضمين الاعلام بمزيد تمكن الرسل واستقرارهم فيما بين
الامم قوله بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم قدم هذا المعنى لكونه اكثر ارتباطا بما ذكر قبله
وعلى المعنى الثاني يكون تهديدا لكفار مكة وتسلية لرسوله عم قوله على هؤلاء المقترحين
من كفار مكة فانه تعالى حكى عنهم تو غلهم في الكفر والفساد بقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وقد حكى الله تعالى في مواضع
اخر انهم كانوا يقترحون الايات ويعلقون اسلامهم بمجيئها نحو قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها فكان المسلمون يظنون انهم صادقون مسترشدون
في ذلك الاقتراح فكانوا يشتهون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل من الله تعالى ان يعطيه
الايات التي سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم في ذلك الاقتراح متعنتون غير
مسترشدين حتى لو فتحنا عليهم بابا من السماء لاصروا على العناد والمكابرة فلا تلتفتوا

الى قولهم لوما تأتينا بالملائكة ونظيرها قوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون قوله فظلوا من الافعال الناقصة واسمه مستتر فيه راجع الى الكفار المقترح لهم الابواب وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المص بقوله او تصعد الملائكة فالمعنى لو كشفنا لهؤلاء عن ابصارهم حتى عاينوا بابا في السماء مفتوحا فظل الملائكة ينزلون منه ويصعدون فان الصعود لا يكون بدون النزول فكان ذكره ذكره ليصرفوا ذلك الى انهم سحروا ولا صروا على كفرهم ولم يؤمنوا فعلى هذا يكون النظم من قبيل ما تعاقب فيه الضمائر مع اختلاف المرجع اليه والظلول فعل الشيء نهارا يقال ظل يفعل كذا اذا فعله بالنهار وبات يفعل كذا اذا فعله بالليل فقوله فظلوا فيه يعرجون بمعنى يصعدون في بياض النهار ليكونوا مستوضحين لما يرون قوله سكرت عن الابصار من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته وهو من باب نصر والسكر بالكسر الغرم والكسر بضم السين وسكون الكاف اسم للسكر من الشراب وفعله من باب علم يقال سكر يسكر سكرا مثل بطر يبطر بطرا وهذا لازم والاول متعد فيكون بناء التفعيل في الاول للتكثير اي تكثير المفعول وهو الابصار وفي الثاني للتعدية وقرأ ابن كثير سكرت بتخفيف الكاف وبناء المفعول وباقي السبعة قرؤا على بناء المفعول ايضا الا انهم شددوا الكاف والفعل على قراءة الجميع من السكر بمعنى السد بشهادة قراءة ابن كثير فانه لو لم يكن من السكر المتعدي لما بني الفعل للمفعول وذلك يدل على انه في باقي القراآت ايضا من المتعدي وان التضعيف للتكثير قوله او حيرت من السكر بالضم عطف على قوله سدت فعلى هذا يكون التضعيف للتعدية قوله وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له اما دلالة كلمة الحصر عليه فلانها تدل على انه سكر انتفى بناء تسكيره وحيرنا الا ان ذلك السكر والتحير لم يتعلق الا بابصارنا ولم يتعلق بعقولنا فنحن وان تتخيل في ابصارنا هذه الاشياء لكن نعلم بعقولنا ان الحال بخلافه ولا يخفى ان هذا بت بان ما يرونه لا حقيقة له واما دلالة كلمة الاضراب عليه فلانهم لما اضربوا عن الحصر في الابصار وقالوا جاوز السكر الى عقولنا وان سحر السحرة كما حير ابصارنا حير عقولنا ايضا فقد حكموا بانه كما لا اعتماد على شهادة حواسهم لا اعتماد ايضا على شهادة عقولهم لكون الكل حيرة وسكرة ثبت بان ما يرونه بابصارهم ويحكمون به بعقولهم امر مموه لا حقيقة له قال الامام فان قيل كيف يجوز من الجماعة العظيمة ان يصيروا شاكين في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح ولو جاز حصول

قال ابن عباس رضي الله عنهما لو فتح الله على المشركين بابا من السماء فظلوا يصعدون وينزلون في تلك المعارج و ينظرون الى ملكوت الله وقدرته وسلطانه الى عبادته الذين هم من خشيته مشفقون لشكوا في تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم كما جحدوا سائر الايات منه

هو الى البناء اشارة الى ان مفعول يعرجون محذوف اي يعرجون البناء وفيه بتعلق به تضمين الابناء اي يرتقون الصعود في الابناء كذلك الباب كما في المذكور في تلك الحرف من حرف اقتضائه فعل منه

ابن كثير المتعدي وهو الابصار منه

خلق الله النجوم السائرات يوم الاحد قال الله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الاية فجعل النجوم على ثلثة انواع نوع منها سمي ثابتات لا تسير ولا تأثر ونوع يطلع ويغرب ونوع منها تدور بالافلاك فسبعة انجم من هذه الانواع الثلثة هي اشرف النجوم واعظمها وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر لكل واحد منها فلك من الافلاك السبعة للقمر الفلك الاول ولعطارد الثاني وللزهرة الثالث وللشمس الرابع وللمريخ الخامس و للمشتري السادس ولزحل السابع والله تعالى قدر الافلاك السموات السبع بهذه النجوم السبعة لكل واحد منها العاشية وهذه الانجم السبعة متفاوتة في سيرها فالقمر يطلع في الفلك الاول ويبقى في كل برج يومين ونصف يوم فيتم كل الافلاك في شهر وعطارد يطلع في الفلك الثاني ويبقى في كل برج خمسة عشر يوما فيتم كل الافلاك في ستة اشهر والزهرة تطلع في الفلك الثالث ويبقى في كل برج خمسة وعشرين يوما ويتم كل الافلاك في عشرة اشهر و الشمس تطلع في الفلك الرابع ويبقى في كل برج شهرا فيتم كل الافلاك في سنة والمريخ يطلع في الفلك الخامس ويبقى في كل برج خمسين يوما فيتم كل الافلاك في ثمانية عشر شهرا والمشتري يطلع في الفلك السادس ويبقى في كل برج ثمانية عشر شهرا فيتم جميع الافلاك في ثلثة عشر سنة وزحل يطلع في الفلك السابع ويبقى في كل برج سنتين ونصف سنة فيتم جميع الافلاك في ثلثين سنة سبحانه

حصول الشك في ذلك كانت السفسطة لازمة ولا يبقى اعتماد على الحس والمشاهدة ثم قال والجواب عنه ان القاضي بانه ما وصفهم بالشك فيما يبصرونه وانما وصفهم بانهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على الكذب على سبيل العناد والمكابرة وقال بعده ثم سأل نفسه فقال كيف يجوز من الجمع العظيم ان يظهروا الشك في المشاهدات واجاب بانه يصح ذلك اذا جمعهم غرض معتبر من المواطاة على دفع حجة او غلبة خصم وايضا فهذه الحكاية انما وقعت عن قوم مخصوصين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة وهم رؤساء القوم وكانوا قليل العدد واقدام العدد القليل على ما يجري مجرى المكابرة جائز قوله مختلفة الهيآت والخواص اشارة الى وجه دلالة جعل السماء ذات البروج على وجود الفاعل المختار وكمال قدرته وعلمه فانه تعالى لما اجاب عن شبه منكري النبوة وبين توغلهم في المكابرة والعناد وقد تقرر ان القول بالنبوة متفرع على القول بالتوحيد اتبع ما يدل على حقية امر النبوة بذكر دلائل التوحيد فبدأ بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا الاية واصل البروج الحصن والقصر قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة اي ابنية عالية قيل للبروج لظهورها من بعيد فان اصل البروج الظهور ومنه قوله تعالى غير متبرجات بزينة اي غير ظاهرات بها روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ببروج السماء منازل الشمس والقمر فانه تعالى جعل لكل واحد منهما منزلا ينزل في كل ليلة في منزل على حدة وقيل هي النجوم الكبار وقيل يحتمل ان يكون المراد بها مطالع الشمس والقمر والنجوم ومغاربها وقيل ان البروج اثنا عشر واسماؤها الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت قوله المعتبرين المستدلين فانه ما يفتح في العين منظر الا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر اليه فزينها الله تعالى ليحملهم ذلك على النظر اليها والتفكر فيها فيعلموا ان ذلك تدبير العزيز العليم حيث دبر نظام العالم على احسن تقويم وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما قوله الا من استرق الا لكل شيطان اي الا ممن استرق قيل فيه نظر لان النحاة قد صرحوا بان المستثنى بالا الغير الصفة اذا وقع في كلام موجب تام يجب نصبه ويمتنع البدل لاقتضائه فساد المعنى لان المبدل منه في حكم الساقط فيكون تقديره جاءني القوم الا زيد ويلزم منه ان يجيء اليه جميع العالم غير زيد وهو معنى فاسد واجيب عنه بان قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان في معنى النفي كانه قيل لا يقربها الشيطان الا من استرق ولو قيل انه في محل النصب على انه مستثنى متصل لان من استرق من جنس الشيطان والمعنى انا حفظناها من قرب كل شيطان الا من استرق السمع فانا لم نحفظها منه فيه لم يتوجه النظر المذكور ولم يحتج في دفعه الى تكلف فان المستثنى من كلام تام موجب يجب نصبه على الاستثنائية بالاتفاق ومن جعله منقطعا العلة نظر الى ان قوله وحفظناها من دخول الشيطان الا من قربها اياها وان من استرق السمع ممنوع من دخول السماء فاستراقه السمع لا يخرج من السماء

عن كونها محفوظة من دخول الشيطان فلا يصح الاستثناء الا على سبيل الانقطاع قال الامام فان قيل
ما معنى قوله وحفظناها من كل شيطان والشيطان لا قدرة له على هدم السماء فاى حاجة الى حفظ السماء
منه واجاب بانه تعالى لما منعه من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشياطين فيكون حفظ
الله منهم كما يحفظ منازلنا ممن يتجسس ويخشى منه الفساد قوله واستراق السمع اختلاسه سرا
يقال استرقت السمع اى تغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون نقل الامام عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه قال فى قوله الا من استرق السمع يريد به الخطفة اليسيرة وذلك ان المارد من الشيطان
يعلو فيرمى بالشهاب فيحرقه ويقتله ومنهم من يخبله الشهاب اى يفسده فيصير ذلك الشيطان غولا
فيضل الناس فى البرارى وقال الامام ابو الليث كان الشيطان المارد منهم يصعد ويكون الآخر اسفل
منه فاذا سمع قال للذى اسفل منه قد كان من الامر كذا وكذا فيهرب الاسفل ويرمى الذى استمع بالشهاب
ويأتى الذى هو اسفل بالامر الذى سمع الى كهنتهم فذلك قوله الا من استرق السمع فاتبعه شهاب
مبين اى نجم ولحبه شعلة نار ساقطة اى مرتفعة لا يخطئ الشهاب اى يصيبه فاما ان يأتى على نفسه
واما ان يخبله حتى يعود الى الاستماع الى السماء والمقصود جعل استراق السمع استعارة لاستجلاب
الشيطان من سكان السموات امورا يسيرة من غير توسيط حاسة السمع اصلا بل اما ان يتلقى
الشيطان منهم تلقيا معنويا بناء على ما بينهما من المناسبة فى الجوهر واما بطريق الاستدلال
باوضاع الكواكب وحركاتها قوله فى الارض او فيها وفى الجبال قدم الاحتمال الاول لان انواع النبات
المنتفع بها انما يتولد فى الارض واما الفواكه الجبلية فليست بكثيرة النفع وقيل رجوع الضمير الى الجبال
الرواسى اولى لان المعادن انما يتولد فى الجبال والاشياء الموزونة فى العرف والعادة هى المعادن
لا النبات قال الكلبى وانبتنا فى الجبال من كل شئ موزون وهو الاجساد السبعة كالذهب والفضة
والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ والزجاج ونحو قوله وقرئ بالهمزة يعنى ان الاصل
فى لفظ المعايش ان يتلفظ بياء صريحة لكونها ياء اصلية بمنزلة الصاد من مناصر لكون الكلمة من
العيش بخلاف نحو الشمائل والخبائث فان صريح الياء فيهما خطاء والصواب الهمزة لان الهمزة
فيها زائدة لبناء فعائل كما فى نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحمالة وحمائل فمن قرأ معائش
بالهمزة فوجه قراءته تشبيه الكلمة بالشمائل قوله او على محل لكم وهو النصب لانه مفعول به كانه قيل
جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين لكن حذف الجار واوصل الفعل وانما قال على محل لكم لانه
لا يجوز العطف على لفظ الضمير لما تقرر فى النحو من انه لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة
الجار فى حال السعة والاختيار عند البصريين ويجوز ترك الاعادة حال الضرورة كما فى قوله فقربت تهجونا
وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب واجاز الكوفيون ترك الاعادة فى حال السعة بقوله

قال ابن عباس رضي ان الشياطين
يركب بعضهم بعضا الى السماء
الدنيا فيسترقون السمع من
الملائكة فيرمون بالكواكب فلا
تخطئ ابدا فمنهم من يقتل و
منهم من يحرق بجنبه ووجهه
ويده حيث يشاء الله و
منهم من يخبله فيصير غولا
فيضل الناس فى البوادى
الخ
فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر
الى من تحته حتى يلقيها على لسان
الساحر او الكاهن وربما ادرك
الشهاب قبل ان يلقيها وربما
القاها قبل ان يدركه فيكذب
معها مائة كذبة ابن عادل

قال القرطبى اختلفوا فى ان
الشهاب هل يقتل ام لا فقال
ابن عباس يجرح ويحرق
ويخبل ولا يقتل وقال الحسن
وطائفة يقتل قال والاول
اصح الخ

موزون مقدر بمقدار مستحسن فيكون
كناية وقوله او ما يوزن ويقدر
فيكون حقيقة وقوله يكون
الضمير للجبال وقوله اوله وزن
فيكون مجازا عن القدر
والاعتبار سنان

مما نسألونه والارحام بالجر فى قراءة حمزة اذا تقرر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على
الضمير المجرور والعطف على محل مجموع الجار والمجرور والذى لم يجوزه البصريون حال السعة هو الاول
دون الثانى قوله وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم اشارة الى ان كلمة من يراد بها ما يعم العقلاء وغيرهم
من الدواب المنتفع بها على سبيل تغليب العقلاء على غيرهم قوله ان وما من شئ يعنى ان كلمة ان نافية
ومن مزيدة فى المبتدا وعندنا خبره وخزائنه فاعل الظرف لاعتماده على المبتدا ويجوز ان يكون خزائنه
مبتدا ثانيا وعندنا خبره قدم عليه والجملة خبر للمبتدا الاول والخزائن جمع خزانة كحمالة وحمائل وهى
اسم للمكان الذى تخزن فيه الاشياء اى تحفظ فان كان محصل المعنى ما من شئ من الممكنات الغير
المتناهية الا وخزائنه عندنا تكون الخزائن استعارة تصريحية للمقدرة شبه اقتداره على ايجاد
الممكنات باسرها بالخزانة فاطلق عليه اسم الخزانة ووجه جمع ان مقدرة الله لا يتعدد بها فضلا
عن المقدرة المتعلقة بكل واحد من الاشياء المقدورة ايذانا بان كثرة ما عنده من المقدرة ليست
باعتبار كثرة ما وجد من تلك الاشياء المقدورة فقط بل بجميع تعلقها باضعاف ما وجد منه كما اشار اليه
بقوله ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه نظرا الى كثرة متعلقاتها وفائدة العدول
الى المجاز الايذان بان مقدورات الله كانها حاصلة موجودة بالفعل وبهذه الفائدة لا يحصل
بان يقال وان من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه وان كان محصل المعنى ما من شئ
من الاشياء المقدورة الا وهو مخزونة عندنا كان من قبيل التشبيه البليغ حيث شبه مقدوراته
بالاشياء المخزونة والجامع عدم الاحتياج فى اظهارها الى كلفة واجتهاد والبقاع ما ارتفع من
الارض واضافة البقاع الى القدرة بيانية ولما كان تنزيل الشئ عبارة عن تحريكه من اعلى الى اسفل
شبه القدرة بالارض المرتفعة واشار بالمعنى الى ان قوله وما ننزله ترشيح لاستعارة الخزانة للمقدرة
لكون التنزيل مما يلائم المستعار منه قوله لواقح حال مقدرة من الرياح ثم قيل اللواقح جمع ملقح لانه من
الحج يلقح فهو ملقح فجمعه ملاقح يقال الحت الريح السحاب كما يقال الحج الفحل الانثى اذا القى الماء فيها فحملته
فكذلك الرياح جارية مجرى الفحل للسحاب ويكون لواقح جمع ملقح من النوادر ونظيره كون الطوائح جمع مطيحة
او مطوحة يقال طاح يطوح ويطيح اى هلك وكذلك اذا تاه فى الارض واطاحه وطوحه اى توهه و
ذهب به ههنا وههنا فتطوح فى البلاد اى تحير ورمى بنفسه ههنا وههنا والمطاوح المفاوز
وطوحته الطوائح قذفته القواذف ولا يقال المطوحات والمطيحات فكذا يقال لواقح ولا يقال ملاقح وقال
وليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح وقيل اللواقح جمع لاقح بمعنى حامل يقال لقحت
الريح اذا حملت الماء قال الازهرى لواقح اى حوامل تحمل السحاب والماء قال الله وهو الذى يرسل
الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اى حملت فعلى هذا يكون الريح لاقحة

قوله شبه الريح اى شبه الريح بانه
حامل شيئا يبينها ان وارسلنا ما
تشبيه بارد قوله او ملقحة عطف
على حوامل ويكون اللاقح بمعنى
الملقح ان كان بحذف الزوائد
فلا يجوز فى الصفة والاحسن
يجوز الا اذا كان بمعنى النسب
كلابن وتامر ثم ان الالقاح
الذى هو القاء الفحل ماءه
فى الانثى استعير لصب المطر
فى السحاب او الشجر فاسناده
الى الرياح حقيقة بالنسبة
الى السحاب ومجاز بالنسبة
الى الشجرة اذا القى فيه ماء
السحاب وانما الريح ملقية
فى السحاب سنان

اي حاملة تحمل السحاب والماء حقيقة وشبه الحاملة التي تحمل الجنين فسميت باسمها فقيل لاقحة
والملقح فقدم هذا الاحتمال لما فيه من ابقاء اللواقح على ظاهره حيث جعلت الرياح لواقح في انفسها
لا ملقحات لغيرها ح ان صفة هذه الرياح العقيم وهي التي لا تحمل الماء وهو يرجح ان تكون اللواقح على ظاهرها
وهو كونها بمعنى الحوامل قوله فجعلناه لكم سقيا اي جعلنا لكم ماء المطر معد السقي انفسكم واراضيكم و
مواشيكم هذا على قول من فرق بين سقاه واسقاه فقال سقاه اذا اعطاه ما يشربه في الحال
فيسكن به عطشه واسقاه اذا جعل له شربا يتمكن من الانتفاع زمانا وقيل هما لغتان بمعنى
قوله وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم اي حمل قوله اسقيناكموه على معنى وجعلناه مخزونا محفوظا
معدا للانتفاع به زمانا وما انتم له بخازنين يدل على وجود المدبر الحكيم كما يدل عليه حمله على معنى انا
دبرنا لصلاح احوالكم وانتظام امر معاشكم هذا التدبير العجيب حيث تفردنا بخلق الماء ونزله من السماء
منزلا وجعله لكم سقيا ترجعون اليه كلما احتجتم الى الماء وما انتم بقادرين على شيء منها وقوله فان طبيعة
الماء يقتضي الغور علة لدلالته على ما ذكر وقوله كما يدل حركة الهواء الخ معترضة بين العلة والحكم المعلل
بها والمقصود بيان ان ذلك قوله وارسلنا الرياح لواقح الاية مثل قوله الاية المتقدمة على ان معنى من
المعنيين المذكورين حكت حوله وما انتم له بخازنين قوله فان الحيوة بما يعم الحيوان والنبات اي
نحيي منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء الحيوان والنبات ومنهم من يقول وصف النبات
بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان واياما كان تصلح الاية دليلا على وجود الاله الفاعل
المختار لما ثبت بالدلائل العقلية انه لا قدرة على خلق الحيوة بالمعنى الاعم المتحقق في الحيوان والنبات
وبالمعنى المختص بالحيوان الا الله القادر على كل شيء قوله وتكرير الضمير للدلالة على الحصر وذلك لان قوله
انا لنحن نحيي من قبيل قولك انا عرفت من حيث ان نحن مبتدا ونحيي خبره والجملة خبر قوله انا وقد
تقرر في علم المعاني ان تقديم المسند اليه يفيد الاختصاص بشرطين الاول ان يجوز تقدير كونه
في الاصل مؤخرا على انه فاعل معنى فقط وان كان في اللفظ تاكيدا للفاعل والثاني ان يقدر ذلك وان
لم يوجد الشرطان لا يفيد التقديم الا تقوي الحكم وقد وجد الشرطان ههنا اما الاول فظاهر واما الثاني
فلكون الاية مسوقة لتقرير دليل اثبات الصانع وذلك يقتضي اعتبار الحصر والتخصيص وما يتوقف
اعتباره عليه ويحتمل ان يكون نحن تاكيد الاسم ان ونحيي خبرها وذلك لا يمنع تحقق الشرطين ايضا كما
لا يخفى ولا يجوز ان يكون نحن فصلا لان ضمير الفصل لا يكون الا بين اسمين ونحن ههنا لم يقع بين اسمين
قال ابو البقاء نحن ههنا لا يكون فصلا لوجهين احدهما ان ما بعدها فعل والثاني ان اللام معها انتهى
كلامه والوجه الثاني غلط فان لام التاكيد لا يمنع دخولها على ضمير الفصل نص النحاة على ذلك ومنه
قوله ان هذا لهو القصص جوز فيه ان يكون هو ضمير فصل مع اقترانه باللام قوله الباقون
اذا

ولو اراد انا لنا لشربه ينال رفيقنا وذكر ان العرب تقول سقيت الرجل ماء ولبنا وغيرهما لشربه اذا كان لسقيه فاذا جعلت له شربه ارضه او ماشيته قالوا اسقيته وقال المورج ما نالته الايدي والدلاء فهو السقي وما لم تنله الايدي والدلاء فهو الاسقاء منه

وقد زعم شراح الكشاف ما في قوله وانا لنحن على انه للحصر وسقط هو بحثهم هنا ومن تبع ان نحن ضمير الفصل بين اسمين منه

٢٠٤

اذا مات الخلائق كلها بمعنى ان الوارث من يخلف الميت ويقوم مقامه في تملك تركته بعد موته وهو مستحيل
في حقه تعالى لانه تعالى مالك للموجودات باسرها اصالة لا خلافة فوجب حمله على المعنى الباقي بعد هلاك
الخلق تشبيها له تعالى بوارث الميت في بقائه بعد فنائه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام واجعله الوارث
منا وقوله اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا قيل ضمير اجعله
راجع الى السوابق باعتبار المذكور والمعنى اجعلها سالمة لازمة معنا الى الموت فيولغ فيه وقيل اجعلها
كالوارث الباقي بعدنا لان الوارث يبقى بعد المورث وقيل الضمير يرجع الى التمتع المدلول عليه بقوله متعنا اي اجعل
التمتع بها ذكر كائنا الوارث لما الخلاص القوى النفسانية عند الكبر والباقي بعد زوالها روي انه عليه
الصلوة والسلام ما كان يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لاصحابه رضي الله عنهم قوله تضعيف
صل يقال صل اللحم يصل بالكسر صلولا اي انتن مطبوخا كان او نيا قوله الحماء الطين الاسود وكذا
الحماة بالتسكين يقال حمئت البر حماء بالتحريك اي كثرت حماتها والحماء المسنون المتغير المنتن ومنه
الوجه صورته قال ذو الرمة تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب والمسنون
المصور على صورة ومثال وقد سننته اسنه سنا اذا صورته وسننت التراب صببته على وجه
الارض صبا سهلا حتى صار كالمسناة الكلاس الصحاح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه خلق آدم
من اديم الارض فالقي على الارض مسنونا حتى صار طينا لازبا وهو الطين الملتزق ثم ترك حتى
صار حماء مسنونا وهو المنتن ثم خلقه الله تعالى بيده وكان اربعين يوما مصورا حتى يبس وصار
صلصالا كالفخار اذا ضرب عليه صلصل ومن في قوله من صلصال لابتداء الغاية او للتبعيض وهذه
الاية ايضا مسوقة لاثبات الصانع وكمال قدرته فانه قد ثبت بالدلائل القاطعة انه يمتنع القول
بوجود حوادث لا اول لها بل يجب انتهاء الحوادث الى حادث هو اول الحوادث فلزم من ذلك ان ينتهي التناسل
الى انسان هو اول الناس فذلك الانسان لا يكون مخلوقا من الابوين فيكون مخلوقا لا محالة بقدرة
الله تعالى فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان اشارة الى ذلك الانسان الاول وقد اجمع المفسرون على ان
المراد منه آدم عليه الصلوة والسلام وقد دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ودلت آية اخرى على انه عليه الصلوة والسلام مخلوق من طين وهي قوله تعالى اني خالق بشرا من
طين وفي هذه الاية انه عليه الصلوة والسلام مخلوق من صلصال كائن من حماء مسنون وقال في موضع
آخر انا خلقناهم من طين لازب اي لازم وهو الملتزق والظاهر ان ليس المراد انه تعالى خلقه من
هذه المذكورات المتخالفة في حالة واحدة لتنافي بين هذه الاوصاف في شيء واحد
في زمان واحد فينبغي ان يكون المراد ان كل واحد من هذه المذكورات مبدأ الخلق آدم عليه الصلوة و
السلام على اختلاف الاحوال والاوقات بان يكون مبدأ التكوين في اول الحال ترابا وفي حال آخر صلصالا

قوله ليس صلصال صوت اذا نقر صوت هو مخصوص بالمعنى الاول للصلصال ويريد انه اذا كان مسنون بمعنى مصبوب يكون الكلام على اخفيه التنكيل مناسب بمعنى التصويت اذا نقر واما اذا كان بمعنى مصور يكون المعنى خلق الانسان من طين منتن مصورة انسان ثم غيره طورا بعد طور فيكون الكلام على حقيقته لا انتقالا منه

طينا لازبا وفي حال آخر صار حمأ مسنونا وهو الذي اسود وتغير لطول مكثه وفي حال آخر صار
صلصالا كالفخار فقبل ان يخلق فيه اللحم والعظم وركب فيه الجوارح والاعضاء كان على هذه الاحوال
المذكورة على ما اخبر الله تعالى عن تغير احوال اولاده حيث قال انا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة ذكران اولاده كان على هذه الاحوال قبل ان يخلق فيهم لحما وعظما فما ذكر في حق
آدم عليه الصلوة والسلام من انه خلق من تراب وطين لازب وحمأ مسنون وصلصال يحمل على
ما ذكر في اولاده قال المفسرون خلق الله تعالى آدم من طين فصوره وتركه في الشمس اربعين سنة
فصار صلصالا لا يدري احد ما يراد منه ولم يروا شيئا من الصور يشبهه الى ان نفخ فيه الروح و
حقيقة كلامهم انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان فجف فكانت الريح اذا مرت به سمع له
صلصلة ولذلك سماه الله تعالى صلصالا وهو الطين اليابس الذي يتصلصل اي يصوت وهو غير
مطبوخ واذا طبخ فهو فخار **قوله** والجان ابا الجن قال عامة المفسرين الجان ابو الجن كما ان ابليس
ابو الشياطين سمي جانا لتواريه عن الاعين يقال جن الشيء اذا ستره فالجان يستر نفسه
عن اعين بني آدم **قوله** من نار الحر الشديد الظاهر ان المراد بالحر الشديد حر النار وان المراد
من حر النار لهب النار الذي لا دخان له كانه قيل من نار اللهب الشديد الحر وقوله النافذ في المسام
اشارة الى صفاء ذلك اللهب وخلوه عن الدخان فلما كان من طبع لهب النار العلو والارتفاع
ومن طبع التراب التنزل والثقل كان خلق ما خلق من كل واحد منهما مناسبا لمادته قيل السموم
اسم من اسماء جهنم اخبر الله تعالى انه خلق الجان من نار جهنم وقيل السموم لهب النار وليس له دخان
وهو المارج من النار وقيل السموم حر النار كانه اراد لهبها وقيل السموم الريح الحارة التي
تقتل قال الكلبي هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وقال ابن مسعود من نار الريح
الحارة قال وهذا السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه
الآية ومعنى السموم في اللغة الريح الحارة وبها نار وفي الخبر انها من فيح جهنم كذا في الوسيط
وقول المص من نار الحر الشديد يدل على ان السموم عبارة عن الحر المفرط سواء كان من شمس
او ريح او نار وان ما فيه من النارية لشدته ولطافته تدخل المسام فيقتل وقيل السموم
ما كان ليلا والحرور ما كان نهارا وقيل نار السموم من اضافة الموصوف الى صفته وكلمتا من
في قوله من قبل من نار السموم متعلقتان بخلقنا لاختلاف معناهما لان الاولى لابتداء
الغاية والثانية للتبعيض **قوله** ولا يمتنع خلق الحيوان في الاجرام البسيطة جواب عما
يقال لا يتصور الحيوة بدون تركيب يتوقف عليه البنية واعتدال المزاج فكيف يخلق في الجسم
البسيط لا سيما في الجوهر الذي يكون في غاية الحرارة والجواب ان البنية ليست بشرط لا

وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون و يموتون واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ويموتون اذا مات ابليس وذكر وهب ان من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون قال ابن الخطيب الاصح ان الشياطين قسم من الجن فمن كان منهم مؤمنا فانه لا يسمى بالشيطان ومن كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم وسموا جنا لاستتارهم عن الاعين ابن عادل

وعن ابن عباس رضي الله عنه نار لا دخان لها قال ابو صالح و الصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فاذا احدث الله امرا خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب ابن عادل

لامكان حصول الحيوة فانه تعالى قادر على خلق الحيوة والعقل والعلم في الجوهر الفرد و
في الجسم الذي يكون في غاية الحرارة **قوله** ولما كان الروح ان النفس الناطقة تتعلق اولا بالبخار
اللطيف الذي هو الروح الحيواني لكونه اقبل لها بالنسبة الى سائر ما في البدن من الاعضاء
للمناسبة بينهما في اللطافة وهو جواب عما يقال النفخ اجراء الريح في تجويف شيء آخر ولا
ريح هنا ولا نفخ فما وجه قوله تعالى ونفخت فيه وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة التبعية شبه
تعلق الروح بمعنى النفس باجزاء البدن بواسطة سريان الروح الحيواني فيها جاريا في تجاويف
الشرايين بجريان الروح في تجويف آخر فاطلق على المشبه اسم النفخ واشتق منه نفخت و
يحتمل ان يكون المراد بالروح الروح الحيواني الساري في البدن بتوسط الشرايين فنفخه
اجراء هذا الروح في البدن وهو سبب للحيوة باجراء الريح في الشيء وهو النفخ بل هو اظهر الا
ان اضافة التشريف في قوله من روحي يستدعي ان يراد به النفس الناطقة التي هي المخترق
بمعرفة الله تعالى والمكلف بطاعته **قوله** فقعوا امر من الوقوع وفاء التعقيب فيه يدل
على انه تعالى كما نفخ الروح في آدم عليه الصلوة والسلام اوجب على الملائكة ان يسجدوا له والسجود التحية
والتعظيم وقيل المسجود له هو الله تعالى وكان آدم كالقبلة لذلك السجود امروا بان يتوجهوا اليه في
سجودهم لله تعالى تعظيما له يعلمهم اياه وسيلة الى عبادته وتعظيمه حين عاينوا اقتداره تعالى في خلق
البشر المسوى من الحمأ المسنون اخبر الله تعالى للملائكة انه سيفعل امر كذا وامرهم بالسجود
له اذا فعل فيكون امرا بالسجود لادم قبل خلقه ليفعلوا ذلك حين ما عاينوا انه تعالى عدل
صورته وسواه بالصورة الانسانية ونفخ فيه الروح سمي الانسان بشرا لكونه جسما ظاهر
البشرة لا شعر عليه ولا وبر ولا صوف وقيل لكونه جسما كثيفا يباشر اي يمس ظاهر جلده
والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشر والبشرة ظاهر جلد الانسان **قوله**
اكدنا كذين يعني ان قوله تعالى اجمعون لا يفيد الا ما يفيده كلهم وهو انهم سجدوا باسرهم ولا
يفيد الاجتماع في الوقت كما ذهب اليه البعض فتكون الفائدة حينئذ تكرير التاكيد للمبالغة في
الدلالة على سجود الكل فانه لو قيل فسجد الملائكة من غير تاكيد لاحتمل ان يكون الساجد بعض
الملائكة فلما قيل كلهم زال هذا الاحتمال وظهر انهم سجدوا باسرهم ثم كرر التاكيد للمبالغة فازاله
احتمال كون الساجد بعضهم وقيل ذكر واحد من اللفظين يفيد غير ما افاده الآخر فان الاول
يفيد ان الساجد كل الملائكة لا بعضهم والثاني يفيد ان الكل سجدوا في وقت واحد غير متفرقين
واعترض عليه المص بانه لو كان الامر كذلك لكان الثاني حالا لا تاكيدا وقد فرض ان كل واحد
منهما تاكيد حيث به ليفيد فائدة جديدة غير ما يفيده الآخر وفيه بحث لانه ان اراد بقوله الثاني

قوله لما كان الروح اراد به النفس الناطقة وقوله النفخ في القلب يالوا للقلب تجويف في جانبه الايسر ينجذب اليه الدم اللطيف فيجعل بخارا بحرارته المفرطة وتتعلق به النفس الناطقة اولا والاطباء يسمون ذلك البخار روحا وقوله حاملا لها اي لتلك القوة وقوله في تجاويف تتعلق بسريان اي الاعضاء فتتعلق به ايضا على ان التاسع او بمعنى الانتهاء و الشرايين العروق النابضة واحدها شريان

الثاني حالا لا تأكيدا لأن الثاني لا يكون تأكيدا ح فممنوع إذ لا شك أن أجمعون يؤكد بها ما دل عليه
لفظ الملائكة معرفا بلام الاستغراق وإن أراد به أنه مع أنه تأكيد يفيد فائدة الحال والتأكيد لا يفيد
فائدة الحال فهو أيضا ممنوع إذ لا منافاة بينهما بالنسبة إلى المعنى الأول بل إنه يجوز أن يفيد اجتماعهم جميعا
على إفادته معنى التأكيد ويمكن أن يجاب عنه باختيار أن المراد أنه لا يكون تأكيدا ح وذكر أن لام
الاستغراق إنما يدل على أن الساجد كل واحد من الملائكة ولا يدل على سجودهم في وقت واحد فعلى تقدير
أن يكون أجمعون بمعنى مجتمعين في وقت واحد لا يكون تأكيدا البتة لأن التأكيد ما يقرر أمر المتبوع
ولا دلالة للمتبوع على الاجتماع في الوقت حتى يقرر أجمعون ذلك فيكون تأسيسا لا تأكيدا فتعين
أن يكون حالا مع أنه مرفوع معرفة والحال لا يكون مرفوعا ولا معرفة قوله إن جعل منقطعا بأن
يكون إلا بمعنى لكن فح يكون أبى خبره اتفق المفسرون على أن إبليس كان مأمورا بالسجود لآدم
عليه الصلاة والسلام إلا أنهم اختلفوا في أنه من الملائكة والاستثناء متصل أو ليس منهم بل هو كان
جنيا نشأ صغيرا من بين الجن ونشأ عند الملائكة فلما أمر الملائكة بالسجود لآدم تناول ذلك الأمر
به لكونه ملحقا بهم إلا أنه لما لم يكن منهم حقيقة كان الاستثناء منقطعا وقوله لم أكن لأسجد
مشتمل على دليلين أحدهما أن كونه بشرا يستلزم كونه جسما كثيفا لأن الإنسان إنما سمي بشرا لظهور جلده
لما ثبت أن البشر ظاهر جلد الإنسان فكأنه يقول البشر جسماني كثيف وأنا روحاني لطيف والجسماني
الكثيف أدون حالا من الروحاني اللطيف والأدون لا يجوز أن يكون مسجودا للأعلى وثانيهما أنه مخلوق
من صلصال وإبليس مخلوق من النار وما يكون مخلوقا من الأشرف فهو أشرف والأشرف لا يجوز أن
يسجد للأدون والمصنف أشار إليهما بقوله استنقص آدم باعتبار النوع والأصل قال المصنف في سورة
الأعراف قد غلط اللعين في ذلك حيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل
كما أشار إليه بقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وباعتبار الصورة حيث سواه الله تعالى ونفخ
فيه من روحه وباعتبار الغاية فإنه أعلم منهم وأن له خواص ليست لغيره والحق أنه نص على
السجود وما قاله إبليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا قوله فإن من يطرد
يرجم بالحجر بيان لوجه انتقال الذهن من المرجوم الذي هو المرمي بالحجر إلى معنى المطرود من الرحمة والكرامة
وتوضيحه أن الرجيم كناية عن كونه مطرودا ملعونا لأن الطرد مستلزم للرجم فأطلق اللازم على الملزوم
قوله أو شيطان يرجم بالشهب ويحتمل أن يكون الرجيم بمعنى المرجوم بالشهب ويكون كناية عمن
اشتهر بهذا الوصف وهو الشيطان كعلم له كما جاء المصابيح ويريد زيد الشهرة بالمصابيح قوله
فهو وعيد لأن الإخبار بأنه رجيم بأي معنى كان وعيد أما إن كان بمعنى المطرود من الخير والكرامة فلأن
مطلق الخير ما يكون يوم القيامة ولا وعيد أعظم من الحرمان عن الخير فيه وأما إن كان بمعنى الشيطان

المرجوم

قوله إن جعل منقطعا فإن قلت كيف يجعل منقطعا وقد دخل في الملائكة ولهذا يطابق التغليب وإلا فلا يكون مأمورا بالسجدة فلا يستحق اللوم بتركها قلت في البقرة وآخر هو أن الجن كانوا مأمورين واستغنى عن ذكرهم بذكر الملائكة ولعل مبنى الانقطاع مع صحة اللوم على هذا الوجه
سنان

قوله استنقص آدم في سورة الأعراف قال شارح وقد غلط إبليس بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه ونفخت فيه من روحي
سنان

المرجوم بالشهب فلأن الشيطان لا يخلو إما أن يكون من شطن بمعنى بعد أو من شاط بمعنى هلك وكل
واحد منهما ينبئ عن الوعيد وأما كونه متضمنا للجواب عن شبهة فلأن المرجومية كناية عن الملعونية
أو الشيطانية اللتين هما غاية الخذلان والهوان فيكون إبطالا لادعاء الفضل والرجحان قوله
فإنه منتهى أمد اللعن جواب عما يقال من أن كلمة إلى لانتهاء الغاية فيلزم زوال اللعن وانتهاؤه عند يوم
القيامة الذي هو يوم الدين والجزاء وأجاب عنه أولا بأن المراد باستقرار اللعنة عليه إلى يوم الجزاء لأنه
أول من عصى الله أن يكون مخذولا غير موفق للاهتداء إلى طاعة الله ودينه ومن هذا شأنه يكون مطرودا
عن رحمة الله تعالى لأن أصل الرحمة ما يكون أيام التكليف والتي تكون زمان الجزاء فإنها وإن كانت بطريق
التفضل والإحسان أيضا إلا أنها جزاء نظرا إلى الوعد فلما كان المرحوم من وفق للاهتداء أيام التكليف
والملعون من كان مخذولا غير موفق له زمان التكليف ظهر أن اللعنة بهذا المعنى تنتهي بانتهاء زمان
التكليف ثم استشعر أن يكون فيما ذكر ينافي كون اللعنة عبارة عن الإبعاد عن الرحمة زمان التكليف و
قد نص في حق أهل موقف الحساب فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فأجاب عنه بأن اللعنة
تطلق على معنيين فالتي جعلها الله تعالى منتهية بيوم الجزاء هي اللعنة بمعنى الطرد عن الهداية إلى
الحق والتي ابتداؤها يوم الجزاء هي اللعنة بمعنى آخر تنتهي عندنا بهذه ثم نقل جوابين آخرين على سبيل التضعيف
والتمريض الأول أن اللعن وإن حد بيوم الجزاء إلا أن المراد به التأبيد وذكر يوم الدين لكونه أبعد
غاية يذكرها الناس في مقام التأبيد كقوله تعالى ما دامت السموات والأرض والثاني أن قوله وإن عليك
اللعنة إلى يوم الدين قال الكلبي معناه يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم الحساب لأنك أول من عصى
الله ثم إذا جاء يوم الجزاء يعذب بما يستصغر معه اللعن فيصير اللعن ح كالزائل بسبب أن شدة العذاب
تذهل عنه وتنسيه فكانت منزلة الخلائق إياه ودعائهم عليه باللعن كأنها مخصصة بزمان التكليف
ومنتهية عنده بمجيء يوم الجزاء فلذلك قال تعالى إلى يوم الدين قوله والفاء متعلقة بمحذوف تقديره إذا
جعلتني رجيما ملعونا إلى يوم القيامة فأنظرني طلب أن يبقيه الله تعالى إلى يوم البعث عند يأسه من
سعادة الآخرة طلب أصل الإنظار ليجد فسحة في الإغواء وطلب كون الإنظار المطلوب منتهيا إلى
يوم البعث لئلا يموت لعلمه بأن لا موت بعد يوم الحشر فأنظره الله تعالى إلى يوم الوقت الذي
ينتهي ويتعين عند الله تعالى حلول أجله فيه ولم يتبين له ذلك الوقت ولم يطلعه عليه لا يرى
المقول له حكاية عنه وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم
إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله الآخر بين أنه يخاف الله تعالى ولو كان يتيقن له الوقت المعلوم
لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت وقيل الوقت المعلوم هو الوقت الذي تعين في علم الله
انقراض الناس كلهم فيه وهو وقت النفخة الأولى على ما روي أنه إذا نفخ النفخة الأولى

مات الخلايق كلهم وما بعده ابليس معهم قوله لما عرفت من ان الحكمة في الحشر ان يجازى
الخلايق باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر او مما هو آنئذ من ان المقصود تخريد اللعن
بمعنى الابعاد عن رحمة التوفيق للطاعة والحد المناسب له هو انتهاء ايام التكليف ومجيء
يوم الجزاء قوله وثانيا بيوم البعث لكونه صالحا لان يكنى به عن مقصود اللعين وهو ان
ينتهي الانظار الى وقت انقطاع التكليف وحصول اليأس عن اغواء بني آدم وتضليلهم
ولا شك ان يوم البعث ينتقل منه الذهن الى الوقت المذكور فعبر به عن ذلك الوقت لهذا الا
عبارة وعبر عنه ثالثا بالمعلوم لانه لما ذكر في كلامه تعالى بيوم الدين وفي كلام اللعين بيوم يبعثون
صار معلوما معينا ولما ورد ان يقال كونه منظرا الى يوم القيمة يستلزم انه لا يموت ابدا لانه لا
موت بعد يوم البعث اشار الى جوابه بقوله فلعله يموت اول اليوم لا في اثنائه والذي يتعذر
انتفاؤه هو الموت في اثناء ذلك اليوم لا في اوله الذي هو الجزء المنتهى اليه وقد اشار اليه
المص بقوله اذ لا موت بعد وقت البعث غاية الامر ان يبعث عقيب موته ولا يلبث ميتا
قوله وهذه المخاطبة الخ جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على انه تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة
وكيف يقول به ذاع ان مكالمة الله تعالى بغير واسطة من اعظم المناصب واشرف المراتب
فلا يليق بمن هو رأس الكفرة ورئيسهم وتقرير الجواب ان مكالمة الله تعالى بغير واسطة انما تكون
منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام واما اذا كان على سبيل الاهانة والاذلال
فلا قوله والمعنى اقسم باغوائك ونظيره قوله تعالى حكاية عنه فبعزتك لاغوينهم الآية في هذا الخ
اقسم بعزة الله تعالى وهي من صفات الذات وفي قوله بما اغويتني اقسم باغواء الله تعالى وهو
من صفات الفعل والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واما القسم بصفات الافعال
فقد اختلفوا فيه وذكر في شرح الزاد قال العراقيون الحلف بصفات الذات كالقدرة و
العظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين وبصفات الفعل كالرحمة والسخط والغضب والرضا
ليس بيمين وصفة الذات ما لا يجوز ان يوصف بضده وصفة الفعل ما يجوز ان يوصف بضده
فانه تعالى يرضى بالايمان ولا يرضى بالكفر ثم قال الشارح والمذهب عندنا ان صفات الله تعالى لا
هو ولا غيره وكلها قديمة فلا يستقيم الفرق قوله لازينن لهم المعاصي في الدنيا اشارة
الى ان مفعول لازينن محذوف وهو المعاصي وعدى الفعل بفي بناء على ان يراد بالارض جهة
السفالة وهي الدنيا كما في قوله تعالى اخلد الى الارض اي ركن الى الدنيا قوله والمعتزلة فانهم
لما ابوا عن القول بانه تعالى يحدث الغواية والضلال في العبد بناء على ما زعموا من ان بعض
الاحوال قبيح في حقه تعالى اولوا قوله اغويتني بقولهم نسبتني الى الغي وسميتني بذلك او بكونه تعالى

قال ابن الهمام اخطأ في الاول ولم يصب في الثاني لان كون القسم بصفة الفعل غير متعارف ... وهو لاغوينهم والنصفة واحدة وهو صريح في ان القسم بصفة الذات ولان الخلاف المتنازع فيه انما هو في انه يمين يترتب عليها احكام من الكفارة وغيرها ذكر لا في الاختلاف ابليس المتعارف فانه لا خلاف في انه اسم ... عندهم ينبغي عليه وهو الحلف وبهذا ورد النهي عن الحلف بالآباء وعده الاصحاب مكروها فالكلام لا اساس له بهذا المقام اعلم ان البيضاوي لم يخطئ في الاول واصاب في الثاني فان كون القسم بصفة الذات لا يمنع كونه بصفة الفعل بناء على وقوع المجاز فيه وانه قد يستعمل ... ان قسم ابليس مما يترتب عليه الاحكام
مولانا

ثم ان قيل ...

تعالى سببا لغيه فانه تعالى لما امره بالسجود وافضى ذلك الى غيه بالاباء عن السجود كان له تعالى
مدخل في غيه فاسند الاغواء اليه تعالى على طريق اسناد الفعل الى السبب فانظر الى ابليس انه علم
انه تعالى هو الذي يخلق فعل الغواية والضلال فمن يختار ذلك ولم يعلم المعتزلة ذلك وايضا اولوا
الاغواء بالاضلال عن طريق الجنة اي كما اضللتني عن طريق الجنة اضلهم انا بالدعاء الى
المعصية وضعف هذا التأويل انه لما اقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن رحمة الله
تعالى واضل نفسه عن طريق الجنة فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى وايضا لما توجه عليهم
ان قوله تعالى انك من المنظرين مخالف لمذهبهم لانه لما سأل الله تعالى هذا العمر الطويل مع انه تعالى
اعلم منه بانه لا يستفيد من هذا العمر الطويل الا زيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادة
يزداد استحقاقه لانواع العذاب الشديد كان هذا الامهال سببا لمزيد غوايته وذلك يدل على
انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعقابه اعتذروا عنه بانه لا مدخل للامهال في ازدياد عذابه
وعذاب من يتبعه لانه تعالى امهله تلك المدة الطويلة لعلمه بانه لا يتفاوت حاله ولا حال من
يتبعه في الاستحقاق للعذاب الشديد بالامهال وعدم الامهال لانه قد تقرر في علمه الازلي بانه
وكل من يتبعه في الكفر والضلال يموت على الكفر ويخلد في العذاب الشديد فلا يكون بامهاله مريدا
لتعذيبهم ويدل على ضعفه الادلة النقلية والعقلية اما النقلية فمثل قوله تعالى فازلهما الشيطان
وقوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فانه يدل على ان للشيطان مدخلا وسببا في تلك الافعال
واما الدليل العقلي فلان بداهة العقل شاهدة بانه ليس حال من ابتلي بمجالسة شخص يرغبه
الى القبائح وينفره من الخيرات مثل حال شخص كان حاله على ضد حاله فظهر بهذا الدليل
ان القول بعدم تفاوت الحالين بوجود الشيطان والامهال وعدم ذلك بين وجود دعوته
وعدمها ضعيف وانا ليس للمعتزلة اعتذار يعتد به قوله ولاحملنهم اشارة الى ان
اسناد الاغواء من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل واستثنى المخلصين لانه علم ان
كيده لا يعمل فيهم وانهم لا يقبلون منه فلو لم يذكر الاستثناء لكان كاذبا في قوله فابليس
مع كونه ابليسا لما احترز عن الكذب ظهر ان الكذب في غاية الخساسة بحيث لا يرضى به سعيد
ولا شقي ثم ان ابليس لما استثنى المخلصين من الغاوين باغوائه قال تعالى هذا صراط علي
مستقيم وهذا اشارة الى الاخلاص المدلول عليه بلفظ المخلصين صراط مستقيم من سلكه
يمر علي اي على مرضاتي وفضلي واحساني ومن مر على مرضاتي فكانه مر علي وقيل علي بمعنى
الي والمعنى انه يؤدي الى مرضاتي وكرامتي والمص قدم احتمال كونه اشارة الى ما استثناه
ابليس وهو انه لا يغوي عباد الله المخلصين وهم الذين لا يختارون اتباع ابليس فيكون على

متعلقا بمحذوف وهو صفة ويكون استقامة كناية عن عدم الانحراف عن رعايته قوله
وقرئ على بالرفع والتنوين على انه صفة لقوله صراط قوله تصديق لابليس حيث قال الا
الا عبادك منهم المخلصين ويتبين انه لا يقدر على اغواء المخلصين الا انه لك غير الوضع بان
جعل ما استثناه ابليس مستثنى منه على غير الوضع الذي استثناه ابليس فان الاضافة في قوله الا
عبادك للتعريف الجنس وتخصيصه بالمخلصين انما استفيد من الوصف وفي قوله لك ان عبادي
لتعريف العهد والمعهود المخلصون المذكورون لتعظيم المخلصين باضافتهم الى نفسه ولان
المقصود انما يحصل بتغيير الوضع وجعل التعريف للعهد فعلى هذا يكون قوله الا من اتبعك بمعنى
لكن من اتبعك لعدم دخول متبعي ابليس في المخلصين قوله او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا
عليهم ليس بمخلص فان قول ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يوهم ان
له سلطانا على عباد الله لك الغير المخلصين لانهم هم الباقون بعد استثناء المخلصين فيعتبر
بذلك لان يكونوا متعلق اغوائه في قوله لاغوينهم وهو يوهم ان يكون له سلطانا على اغوائهم
تكذيبه الله لك حيث بين بهذه الآية انه ليس له سلطان عليهم ثم استدرك تعالى لكن من اتبعك
منهم باختياره فهو من الغاوين الا ان غوايته ليس لاجل ان ابليس يقهره على تلك المتابعة
ويجبره عليها بل هو مختار في ذلك كما قال في حكايته وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون فظهر بهذا التقرير كون استثناء الا من اتبعك منقطعا لان
اتباع ابليس لا يخرجون باتباعهم اياه عن كونهم موصوفين بان ليس للشيطان سلطان عليهم
ويمكن ان يجعل الاستثناء متصلا بان يحمل العباد في قوله ان عبادي على العموم من المطيعين
والعصاة ويكون السلطان بمعنى التمكن من الوسوسة والدعوة الى الضلال قوله وعلى الاول
اي على ان يكون الاية تصديقا لابليس وتوضيح المقام يتوقف على بسط الكلام فاعلم ان الاصو ليين
اتفقوا على ان الشرط في الاستثناء المتصل ان لا يكون المستثنى مستغرقا للمستثنى منه فبطل
ان يقال مثلا على خمسة الا خمسة لانه يفضي الى اللغو وشرط الحنابلة مع ذلك ان لا يزيد المستثنى
على نصف المستثنى منه حتى لو لا يصح ان يقال له على عشرة الا ستة ويصح الا خمسة وشرط
القاضي ابو بكر ان ينقص المستثنى على نصف المستثنى منه فلا يصح على عشرة الا خمسة ويصح الا
اربعة واحتج على مذهبه بان قال القياس يقتضي ان لا يصح الاستثناء اصلا لان الحكم على المستثنى
منه ثبت اولا ثم يبتدئ بحثه وذكر الاستثناء بعده بمنزلة الانكار بعد الاعتراف الا انه خولف
هذا القياس فيما اذا كان المستثنى اقل لمعنى لم يوجد فيما اذا كان مساويا او اكثر وهو ان الاقل
قد

نقل عن الاحنف بن قيس رح انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رض فاذا انا بحلقة عظيمة
وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه الصلوة والسلام الوفاة قال يا رب سيشمت
بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين
الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه
قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله لملك الموت عقيب
النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط
والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيم ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين
من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن
مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من
كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين
لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون
اضللت وهذا الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب
الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنز منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص
له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه الصلوة والسلام ويتمرغ في التراب من المشرق
الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه الصلوة والسلام
وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه
بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله لك ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم
الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا
اتممت علينا نعمتك

الخ

فلا يبقى لعدم الاعتداد به وذلك التفاوت النسبي اليه فيستدرك بالاستثناء فلم يلزم من صحة
استثناء الاقل الاكثر والمساوي فقوله تعالى الا من اتبعك الحجر مستثنى متصلا من جنس العباد
وارد للتصديق بقول ابليس في قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين لزم اندفاع ما ذهب اليه القاضي
من وجوب كون المستثنى اقل من الباقي ووجه اندفاعه كونه مفضيا الى ان يكون كل واحد من المخلصين
والغاوين اقل من الاخر وذلك لان استثناء المخلصين من جنس العباد يستلزم ان يكون المخلصون
اقل من الغاوين الذين هم الباقون بعد استثناء المخلصين من جنس العباد واستثناء الغاوين
من جنس العباد في قوله تعالى الا من اتبعك يستلزم ان يكون الغاوون اقل من المخلصين فيكون كل واحد
منهما اقل مما هو من نفسه فيكون كل واحد منهما اقل من نفسه بدرجتين وما هو الا تناقض باطل
قوله او حال من الضمير في موعدهم وهذا على رأي من يجوز الحال من المضاف اليه فان جعلت
الموعد مصدرا لا يجوز ان يعمل في الحال الا انه لا بد من حذف مضاف اي مكان موعدهم لان جهنم ليست
نفس المعنى المصدري وان جعلت الموعد اسم مكان لا يحتاج الى تقدير المضاف الا ان اسم المكان
لا يعمل فيكون العامل في الحال معنى الاضافة وهو الاختصاص قوله او طبقات ينزلونها بحسب اختلف
في ان المراد بابواب جهنم ما هو فقيل انها سبع طبقات بعضها اسفل من بعض وتسمى تلك الطبقات
بالدركات ويدل على كونها كذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقيل ان اهل
سبع فرق الكافرة باب معين وقد فصل المصنف اسامي طبقات النار فقال اولاها جهنم ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وقال الضحاك الطبقة الاولى فيها اهل التوحيد يعذبون
على قدر اعمالهم ثم يخرجون والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين و
الخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وهو قوله تعالى لكل باب منهم
جزء مقسوم اي لكل صنف من الابواب التي يدخلون فيها جزء مقسوم اي حظ معين معلوم
من الغاوين او لكل منزل او طبقة جزء اي جزء اي صنف كائن من اهل النار على ان قوله منهم
حال من جزء لانه في الاصل صفة له فلما قدمت عليه انتصب حالا او على الاول يكون منهم حالا من
الضمير المستتر في قوله لكل باب والعامل في هذه الحال ما هو العامل في هذا الجار والمجرور ولا يجوز ان
يكون منهم حالا من المستكن في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف وقوله تعالى لها سبعة
ابواب يجوز ان يكون جملة مستأنفة وهو الظاهر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا فلجهنم من قول العرب
جهنام اي بعيدة القعر ولظى من التلظي وهو التوقد والحطمة من الحطم وهو الكسر
لانها تحطم عظام الكفار اي تكسرها وسقر لانها تذيب عظامهم ولحومهم يقال سقرته الشمس وصقرته
اي اذابته والسعير لانها سعرت اي اتقدت والجحيم لانها نار عظيمة والهاوية لانها تهوي بهم اي تسقطهم

قوله وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل بضمتين والباقون بسكون الزاي ثم انه تعالى لما شرح احوال اهل
العقاب اتبعه ببيان احوال اهل الثواب فقال ان المتقين في جنات وقد مر ان التقوى له ثلث مراتب
الاولى تقوى عامة المؤمنين وهو التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك والثانية تقوى
الخواص وهو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك والثالثة تقوى اخص الخواص وهو التنزه عما
يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشره والمص حمل التقوى المذكور ههنا على المرتبة الثانية
منه حيث قال المتقين من اتباع ابليس في الكفر والفواحش لكون الحمل المذكور انسب بهذا
المقام لما مر ان الناس فريقان المخلصون والغاوون وان جهنم مقسوم بسبعة اقسام وان الدرك
الاول منها لعصاة المؤمنين يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها فاذن لا بد من تفسير المتقين
في هذا المقام بما يتميزون به عن الغاوين الذين قيل في حقهم وان جهنم لموعدهم اجمعين لكل جزء
منها صنف معين من الغاوين حتى يكون المتقون بذلك التفسير مقابلا للغاوين ويراد بهم المخلصين
الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وطهرهم من شوائب معصية غاية ما في الباب ان لا يعلم من هذه الآية
خروج عصاة المؤمنين من النار وكونهم من اهل الجنة بالآخرة ولا محذور فيه لكونه معلوما من نصوص
اخر وقال جمهور المعتزلة القائلين بوجوب عقاب اصحاب الكبائر وخلودهم في النار المتقون هم
الذين اتقوا جميع المعاصي لانه اسم مدح فلا يتناول الا من يكون كذلك وقال جمهور الصحابة والتابعين
وهو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما اجمعين ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والكفر
بالله تعالى ووجهه ان المتقي من اتصف بالتقوى في الجملة وليس من شرط الاتصاف به ان يكون
الشخص آتيا بجميع انواع التقوى كما لا يشترط توصيفه بانه ضارب كونه آتيا بجميع انواع الضرب
وكان القياس ان يصح توصيف الشخص بانه متق بمجرد كونه آتيا بنوع من انواع التقوى الا ان
الامة اجمعوا على ان التقوى عن الكفر شرط في صحة الحكم بانه في جنات فوجب ان يعتبر في التقوى
خصوص الاتقاء عن الكفر وقد تقرر ان تحقق شيء من انواع التقوى في الشخص يكفي في توصيفه
بانه متق فلا يشترط في توصيف الشخص بالتقوى ان يتحقق فيه شيء زائد على الاتقاء عن الكفر هذا
كلام الامام ولا يخفى ان ليس الكلام في كفاية تحقق الاتقاء عن الشرك في صحة التوصيف بانه متق بل
الكلام في رعاية المناسبة بالمقام وهي تقتضي اعتبار التوقي عن سائر الكبائر ايضا فيها فلذلك حمل
التقوى في هذا المقام على المرتبة الثانية منه قوله او لكل عدة منها فيكون لكل واحد اربع جنات
بمقتضى الآيتين واربعة انهار بمقتضى قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى هذا على
تقدير ان يكون العيون المذكورة بمعنى في جنات وعيون الانهار المذكورة في هذه الآية ويحتمل

ان يكون المراد من هذه العيون ينابيع مغايرة لتلك الانهار ثم انه يحتمل ان يكون لكل واحد من المتقين
له عيون تخصه ويتمتع به هو وكل من في صحابته من الحور والولدان ويحتمل ايضا ان تجري تلك
العيون من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون عن الحقد والحسد قوله على ارادة القول اي يقال
لاهل الجنة ادخلوها ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ويحتمل ان يكون بعض الملائكة فان قيل قد حكم
الله تعالى بان المتقين في جنات وعيون واذا كانوا فيها فكيف يمكن ان يقال لهم ادخلوها اجيب بان
المراد انهم لما ملكوا الجنات الكثيرة فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ادخلوها مع
السلامة من كل الآفات في الحال ومع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها بسلام حال
اي ملتبسين بالسلامة او مسلما عليكم وآمنين حال اخرى بدل من الاولى بدل الكل او الاشتمال
لان الامن مشتمل على السلامة او بالعكس قوله وقرئ بقطع الهمزة اي مضمومة على انه ماض
مبني للمفعول يعني ان العامة على وصل الهمزة على انه امر من دخل يدخل ويجوز كسر تنوين
عيون لالتقاء الساكنين ويجوز ضمه ايضا بالنقل ضمة الهمزة على التنوين وحذف الهمزة
في حال الوصل وعلى تقدير ان يقرأ بقطع الهمزة لا يجوز كسر الهمزة لانه لم يلق ساكن ويجوز ضمها
بالنقل ضمة الهمزة عليها واسقاط الهمزة اجراء لها مجرى همزة الوصل في الاسقاط قوله
ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم بان اتفقوا على ما يقتضيه الاسلام من الاخلاق
الحسنة والافعال المرضية بعد ما كانوا عليه من الكفر وخصائل الجاهلية من اتباع الشهوة
والغضب فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار بسبب اجتماعكم على الكفر
والاحوال المناسبة له كانه قيل ان المتقين في جنات بسبب انا طهرنا قلوبهم في الدنيا
عن الكفر وما يناسبه من الكدورات الطبيعية والملكات الردية قوله او في الجنة بان
ينسيهم الله تعالى ما كان بينهم من الجفاء والعقوق لان ذكر الجفاء والمخالفة ينغص النعم التي
في الجنة فيجتمعون فيها على التلذذ والتنعم بنعيمها مع صفاء القلوب يروى ان المؤمنين
يحاسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقى الله
قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد والسرر بضمتين والاسرة جمع سرير قيل انه
مجلس رفيع مهيأ للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور وروي ان كل سرير مثل ما
بين صنعاء الى الجابية قوله لانه بمعنى متصافين وتاويل الجامد بالمشتق البعيد منه
لا يخلو عن بعد قوله وفي توصيف ذاته الخ فان قلت قد وصف نفسه بالتعذيب ايضا حيث
قال وان عذابي قلنا لا نم ذلك لان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة قوله تخضع لهما بما
يبشرون به فانه تعالى لما ذكر ان ضيف ابرهيم بشروه بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين

قوله وحال من المتكن في الظرف وهو الخبر ... وهذا اذا كان جزء مبتدأ تقدم عليه الخبر كازروني

من قوم لوط من عذاب الاستيصال والاهلاك الآخرين على اسوء الاحوال كان ذلك تحقيقا
وتقريرا لما قبله من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم في حق الكفار والضيف
في الاصل مصدر ضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى ثم سمي به واطلق ذلك على جماعة
منهم سمي الملائكة ضيفا مع امتناعهم عن الاكل وطلب القرى من حيث ان ابرهيم عليه الصلوة
والسلام ظنهم اضيافا لدخولهم عليه على صورة الاضياف قوله اذ دخلوا فيه وجهان
احدهما انه مفعول به لفعل مقدر اي اذكر اذ دخلوا والثاني انه ظرف لمحذوف اي اذكر خبر ضيفه
اذ دخلوا او ظرف لضيف بناء على انه كان في الاصل مصدرا فاعتبر ذلك فيه ويدل على اعتبار
مصدريته بعد جعله اسما وصفه به عدم مطابقته لما قبله تثنية وجمعا وتانيثا في الاغلب
قوله او لانهم امتنعوا من الاكل فانه قد كانت عادتهم انه اذا امتنع من يطعمهم طعامهم
امنوا والا خافوا قوله وقرئ لا تاجل العامة على فتح تاء من وجل من وجل يوجل كشرب
يشرب وقرئ لا تاجل والاصل لا توجل كقراءة العامة الا انه قلبت الواو الفا لانفتاح ما
قبلها وان لم تكن هي متحركة كقولهم تابة وصامة في توبة وصومة وسمع اللهم تقبل تابتي و
صامتي وقرئ ايضا لا توجل مبنيا للمفعول من الايجال وقرئ لا تواجل ايضا قوله وقرا
حمزة نبشرك بفتح النون وسكون الباء من بشرت الرجل ابشره بشرا وبشورا من البشرى
وكذلك الابشار والتبشير ثلث لغات وقرا الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء من
التبشير بشروه بامرين احدهما ان المولود ذكر والثاني انه عليم واختلفوا في تفسير العليم
فقيل بشروه بنبوته بعده وقيل بشروه بانه عليم بالدين وما يتعلق به قوله تعجب او انكار
اذ لا مجالة لحمله على الاستفهام حقيقة اذ لا وجه للاستفهام عن تحقيق البشارة حال
الكبر بعد ان قالوا انا نبشرك بغلام عليم وكذا لا وجه للاستفهام عن المبشر به بعد ما بينوا
بانه غلام عليم فلذلك حمل الاستفهام في الموضعين على التعجب او الانكار لان المبشر به غير
متصور بحسب العادة وكذا الاستفهام في قوله فبم تبشرون فان معناه على الاول فبأي اعجوبة
تبشروني وعلى الثاني فبأي شيء تبشروني وعلى الوجهين تكون الباء صلة تبشروني
كما في قولك بشرته بقدوم زيد ويجوز ان لا تكون صلة تبشر بل تكون كالباء في قولك ضربته بالسوط
والمعنى باي طريقة تبشروني بالولد ايحصل ذلك في حال كوني باقيا على صفة الشيخوخة
او اصير وانقلب الى الشباب ثم يحصل الولد مني كل ذلك بعيد بحسب العادة وامر عجيب وكذا
قوله بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا
لبس فيه اي بالامر المتيقن الذي لا لبس في تحققه ويحتمل ان لا تكون صلة اي بشرناك بطريق
هي

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بنفر من اصحابه فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الاية وقال يقول لك ربك لم تقنط عبادي وقال ابن عباس معنى انا الغفور الرحيم لمن تاب منهم ابن عادل

الضيف في الاصل مصدر ضافه يضيفه اذا اتى انسانا لطلب القرى وهو اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث فان قيل كيف سماهم ضيفا مع امتناعهم من الاكل فالجواب لما ظن ابرهيم عم انهم دخلوا عليه لطلب الضيافة جاز تسميتهم بذلك وقيل ان من دخل على انسان والتجأ اليه سمي ضيفا وان لم يأكل وكان ابرهيم عم يكنى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب لكي لا يفوته احد وسمي الضيف ضيفا لاضافته اليك ونزوله عليك قال القرطبي ضافه مال اليه واضافه اماله ابن عادل

هي حق وهي ان يجعل الولد منكما حال بقائكما على صفة الشيخوخة التامة بقول الله وامره فانه
تعالى قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر والقنوط اليأس من
الخير وقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه
الصلوة والسلام لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة فظنت الملائكة به قنوطا
فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة ربه ضال جاهل والاستفهام في قوله ومن يقنط
بمعنى النفي ولذلك وقع بعده الايجاب بالا قوله ولعله علم الجواب بقول الملائكة انا بشرناك
بغلام عليم تبين غرضهم من المجيء فكيف سال عليه الصلوة والسلام ذلك فما خطبكم
قوله ويدل عليه اي على ان ارسال الملائكة الى المجرمين لاجل اهلاكهم الاستثناء بقوله
انا لمنجوهم اجمعين فانه لما قيل انا ارسلنا الى قوم اجرموا كلهم الا آل لوط منهم توجه ان يقال
فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فانه صريح في ان المقصود من ذلك الارسال اهلاك القوم
المجرمين قوله لاختلاف الحكمين فان آل لوط مستثنى من حكم الاجرام وامرأته مستثنى من
حكم التنجية والاستثناء من الاستثناء لا يصح الا فيما اتحد الحكم مثل ان يقال اهلكناهم الا آل
لوط الا امرأته وما نحن فيه ليس الا ان يجعل انا لمنجوهم معترضة بين الاستثناء الثاني
والاول نقل عن صاحب التقريب انه قال وقد يتوهم ان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك
فلا اختلاف اذ التقدير الا آل لوط فلم نهلكهم وهو بمعنى نجيهم وجوابه ان الاستثناء من الاستثناء
شرطه ايضا ان لا يتخلل لفظ بين الاستثنائين متعدد ويصلح مستثنى منه وههنا تخلل انا
لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امرأته لجاز ذلك وقال الطيبي قلت لا سيما ان قوله لمنجوهم على
تقدير ان يكون الاستثناء متصلا جملة منقطعة عما قبلها على تقدير سؤال السائل فيبعد من
البليغ ان يجعل ما في حيزه متعلقا بما قبله وقال صاحب الكشف قوله انما يكون فيما اتحد الحكم
اي تخصيصا وعددا فلا يرد ان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك كان قوله انا لمنجوهم وقوله
الا آل لوط في معنى واحد فالاستثناء من الاول في المعنى وانما شرط الاتحاد لان المتصل كما
لا يجوز تخلل جملة بين العصا ولحائها وكذلك في المنقطع قوله وانما علق وهو دليل تعليقه
ان قوله انها لمن الغابرين في موضع المفعول لقدرنا والمعنى قضينا انها تتخلف وتبقى مع من
تبقى حتى تهلك مع الهالكين فلما كسرت ان مع وقوعها في حيز المفعول علمنا ان الفعل قبلها معلق
عما بعده فان المكسورة من المعلقات اذا لم يكن فتحها وذلك اذا جاء في حيزها لام الابتداء
نحو علمت ان زيدا لقائم فان لام الابتداء لا تدخل الا مع المكسورة واما اذا تجردت ان
عن اللام فانها لا تعلق لامكان فتحها وجعلها معمولة للفعل واصل الكلام قدرنا انها من الغابرين

قوله جار مجرى خبر لكن كانه جملة خبر محذوف قال لانه التقدير للحكم المتقدم ان يكون التقدير لكن آل لوط ما ارسلنا اليهم والمذكور يدل عليه اللازم بينهما ولهذا لم يجعله نفس الخبر بل جار مجراه سعدية

ثم جيء بلام الابتداء فصار قدّرنا انها لمن الغابرين ثم جيء بان فاخر لام الابتداء الى الخبر فحصل قدرنا انها لمن الغابرين ومعنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار غيره يقال قدر هذا الشيء بهذا اي جعله على مقداره وقدّر الله الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية ويستعمل في معنى القضاء فيقال قدّر الله عليه اي قضى عليه بذلك قضاء كائنا على قدر ما يقتضيه الحكمة وقيل قدّرنا بمعنى كتبنا وقيل بمعنى دبّرنا فان قيل لم اسند الملائكة فعل التقدير الى انفسهم مع ان الله تعالى هو المقدّر فالجواب انهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما يقول خواص الملك دبّرنا كذا وامرنا بكذا والمدبّر والآمر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هنا قوله لتضمين معنى العلم فان تقدير الشيء يبتنى على العلم به ويستلزمه فعومل معاملة العلم في التعليق بسبب تلك العلاقة والمعتزلة يفسرون تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم بها ويحترزون عن القضاء والقدر لامتناعهم عن القول بتعلق قدرة الله تعالى بالمعاصي فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة قوله مخافة ان يطرقوه بشر وذلك لان الملائكة كانوا على صور شبان امرد حسان الوجه فخاف ان يهجم قومه عليهم فغضب بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة لذلك ويحتمل ان يكون المراد بقوله انكم قوم منكرون اني لا اعرفكم ولا اعرف انكم من اي الاقوام ولاي غرض دخلتم عليّ وذلك لان النكرة ضد المعرفة الا ان قولهم بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يؤيد ما ذكره قوله اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله اشارة الى ان قولهم بل جئناك اضراب عن المنفي المحذوف والتقدير ما ذكره قوله فاسر بوصل الهمزة يقال سرى يسري سُرًى ومَسْرًى واسرى يسري وهما لغتان بمعنى واحد اي سِرْ ليلا قوله وقيل في آخره كلمة في هنا مستدركة لان القطع آخر الليل لا في آخره الجوهري القطع ظلمة آخر الليل ومنه قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل وقال الاخفش بسواد من الليل ثم اورد قول الشاعر افتحي الباب وانظري في النجوم • كم علينا من قطع ليل بهيم • اي كم بقي علينا من آخر الليل المظلم كان القائل طال عليه الليل في طلب محبوبته بذلك او كان يحب طوله للوصال فقال الا ذكر والبهيم المظلم الذي لا يخالطه شيء من الضياء يقال فرس بهيم اي مصمت وهو الذي لا يخلط لونه شيء سوى لونه قوله تتقدمهم اي تسوقهم ليكون مسيره مسير الارباب الذي يتقدم اهله حالة فراره ويتوب به عما وراءه من المكروه ويشرع بهم اهتماما لامر خلاصهم ويسارعهم الى امتثال قوله تعالى فاسر باهلك وتطلع على حالهم لئلا يتخلف احد منهم لغرض له في ورائه فيصيبه العذاب وهذه فوائد الامر باتباع ادبار اهله واما فوائد النهي عن الالتفات بمعنى النظر الى ورائه فامر ان الاول ان الالتفات بذلك المعنى ربما يؤدي الى رؤية ما لا يطيقه من الهول ويكون ذلك سببا

وكان القائل استبعد نفاد الليل فقال ما بقي علينا من آخر الليل الا قليل ثم ... (marginal note, partly illegible)

سببا للاكرم الثاني انه ربما يؤدي الى رؤيته هلاك قومه وان يحصل تلك الرؤية الى ترحمهم والرقة عليهم في مقام البغض لله تعالى فيصاب بما اصابهم وان كان الالتفات المنهي عنه بمعنى الانحراف والغرض فمن فائدة النهي عنه ظاهر وهي الاحتراز عن اصابة العذاب قوله الى حيث امركم الله اشارة الى ان حيث على بابه من كونها ظرف مكان مبهم ولا بابها تعدى الفعل اليها من واسطة ثم صرح بهذا في قوله فعدّي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع بمعنى ان حيث من الظروف الغير اللازمة الظرفية لكونه مفعولا به في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وقد يتوسع في الظروف الغير اللازمة الظرفية فيجعل مفعولا به ويجوز ان يقدر مستغنيا عن لفظ في نحو قولك يوم الجمعة صمت وان يضاف اليه المصدر والصفة المشبهة كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقولهم مال يا سرق الليلة اهل الدار وقد اتفقوا على ان معناه متوسع فيه وغير متوسع فيه سواء لا يخرج عن كونه ظرفا للعامل وحيث على تقدير انتصابه على الظرفية لا يحتاج الى خلافه مبهم وقد تقرر ان ظرف المكان المبهم ينتصب بغير مجرور بفي بخلاف الموقت فان حكمه حكم ما ليس بظرف فيحتاج الى في وكذا الضمير في تؤمرون ظرف مكان مبهم لكونه راجعا الى حيث فلذلك عدّي الفعل اليه انتصابا على طريق تعديته الى المفعول به ولو كان موقتا لقيل تؤمرون فيه قوله ولذلك اي ولكون قضينا متضمنا معنى اوحينا عدّي بالى والا فلفعل القضاء لا يتعدى بالى فانك تقول قضى زيد ان لا تعبدوا الا اياه وقد عدّي ههنا الى لوط بكلمة الى باعتبار المضمن والى اسم الاشارة باعتبار نفسه فان قوله ذلك مفعول قضينا وهو اشارة الى ما وعد من اهلاك قوله والامر منصوب على انه عطف بيان له وجملة ان دابر هؤلاء مقطوع في محل النصب على انه بدل من ذلك وسدوم اسم قرية قوم لوط عليه الصلوة والسلام والاستبشار اظهار السرور لما جاء الملائكة دار لوط اشتهر وهو انه نزل بلوط ثلثة من المرد في غاية الحسن فذهب القوم الى دار لوط طلبا لهم فقال لهم لا تقصدوا اضيافي ان هؤلاء ضيفي الخ قوله هؤلاء بناتي يجوز فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون هؤلاء منصوب المحل على انه مفعول فعل مقدر اي تزوجوا هؤلاء وبناتي عطف بيان له او بدل منه والثاني ان يكون هؤلاء بناتي مبتدأ وخبرا ولا بد من شيء محذوف ليفيد الكلام اي فتزوجوهن والثالث ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي بدلا او عطف بيان والخبر محذوف اي هن اطهر لكم كما صرح به فيما هو نظير لهذه الآية قوله لعمرك مبتدأ محذوف الخبر وجوبا وقوله انهم مع ما في حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمي او يميني انهم لفي سكرتهم والعمر والعُمر بفتح العين وضمها بمعنى واحد هو البقاء فاذا الحقوا العين لا غير لان الفتح اخف وهم يكثرون القسم بلعمري ولعمرك فاختاروا الاخف والعمر بفتح العين متى اقترن به لام الابتداء التزموا فيه الرفع بالابتداء وحذفوا خبره لسد جواب

النسم مستره **قوله** والمخاطب في هذا القسم هو النبي صلى الله عليه وسلم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال بر بدو عيشك يا محمد وعنه انه قال ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد عليه الصلوة والسلام وما سمعت الله اقسم بحيوة احد الا بحيوته قال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وقيل ان هذا القسم مع جوابه كلام الملائكة للوط حكاه الله عنهم بتقدير ان قالت الملائكة للوط لعمرك انهم كذا **قوله** او شدة غلمتهم وهي بضم الغين وسكون اللام شهوة الضراب وقوله انه ازالت عقولهم صفة لكل واحدة من الغواية وشدة الغلمة وبيان لوجه الشبه بين ما هم عليه من الغواية او شدة الغلمة وبين السكرة وهو كون كل واحدة منهما سببا لزوال العقل فلاجل هذه المشابهة اطلق لفظ السكرة على كل واحدة منهما على سبيل البدل على وجه الاستعارة التصريحية **قوله** وقيل الضمير لقريش عطف من حيث المعنى على ما يفهم من الكلام السابق وهو ان المخاطب في قوله لعمرك سواء كان لوطا او نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وعليه يكون الضمير في قوله لفي سكرتهم يعمهون لقوم لوط وعطف على هذا المفهوم قول من قال ان الضمائر المذكورة في قوله انهم لفي سكرتهم يعمهون راجعة الى قريش على تقدير ان يكون خطاب لعمرك لنبينا صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون جملة القسم مع جوابه معترضة في خلال قصة قوم لوط يخاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لعمرك ان قومك الذين هم قريش لفي سكرتهم وغوايتهم التي هي كحال سكران يعمهون يترددون في الباطل غافلين عما اعد الله لاهل معصيته نظيرا لما انزل بقوم لوط وهذا الرجل يذكر قصة قوم خرجوا على السلطان فاخذوا وقتلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يسمعه قوم مثلهم فعلوا كذا ولم يعاقبوا بعد فقال قبل تمام القصة اسمع فان هؤلاء في غفلة لا يدرون ما يلقاهم ثم يعود الى تمام القصة **قوله** وقيل صيحة جبريل عليه الصلوة والسلام ضعفه لانه ليس في الآية ما يدل على ان تلك الصيحة صيحة جبريل فان ثبت بالدليل القوي لذلك قيل به والا فليس في الآية الا ما يدل على انه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وانه تعالى عذبهم بثلثة انواع من العذاب احدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها ما ذكره بقوله فجعلنا عاليها سافلها وثالثها قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل **قوله** مشرقين حال من مفعول اخذتهم وشروق الشمس طلوعها يقال شرق يشرق شروقا لكل ما طلع من جانب الشرق واشرقت الشمس اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وكان تمامه حين اشرقوا فلذلك قال اولا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين **قوله** ثابت تفسير لقوله مقيم والمعنى ان مدينة قوم لوط بطريق ثابت لا يندرس ولا يخفى على من يسلكه من مسافر من الحجاز الى الشام والمقصود ان الاعتبار بها ممكن **قوله** ان في ذلك لآية للمؤ

بجامع ازالة التمييز

للمؤمنين بالله ورسله فان كل من آمن بالله ورسله عرف ان ما ذكرنا كان بانتقام الله [illegible] من انبيائه من اولئك الجهال واما الذين لا يؤمنون بالله ورسله فانهم يحملون ذلك على حوادث العالم ووقايعه وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية ذكر الله تعالى اولا انه ذكر من هذه القصة آيات للمتوسمين ولم يبين انه من اي جهة يكون فيه آيات لهم وذلك يحتمل وجوها الاول ان في ذلك آية تدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلوة والسلام ذكر قصة ابرهيم ولوط عليهما الصلوة والسلام على ما كانت وهو لم يشهدها ولم يقرأ كتابا ولم يخالط العلماء والاحبار فكان ذلك آية على صدقه في دعوى الرسالة والثاني ان في اهلاك من اهلك منهم ونجاة من انجى منهم آية للمتوسمين ان من هلك منهم بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر العليم الحكيم وعلى حقية امر البعثة وحقية ما جاء به الانبياء والمرسلون عليهم الصلوة والسلام من الشرائع والاحكام وقيل انما جمع الآيات للمتوسمين اشارة الى ان ما تقدم من قصة ضيف ابرهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب عنها من قوم لوط كل واحد منها آية للمعتبرين ووحد الآية للمؤمنين هنا على ان لفظ ذلك اشارة الى وقعة القرية الهالكة بسبيل مقيم والله تعالى اعلم **قوله** فاهلكوا بالظلة روي انه تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله تعالى سحابة فالتجاؤا اليها يلتمسون فيها الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة **قوله** ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع جواب عن ان ثمود انما كذبوا رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين وتقرير الجواب ان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعا سائر الرسل اليه فاذا كذبوا اصاروا كانهم قد كذبوا الرسل جميعا او لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقيل الرسول من اهل الكتاب بعد اظهار المعجزة فكل من لم يصدق هذا النبي ورده فقد اتهم التكذيب والرد **قوله** ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه بطريق تغليب صالح على اتباعه المؤمنين **قوله** او معجزاته يحتمل انه تعالى اعطاه آيات ومعجزات سوى الناقة وان لم تذكر في القرآن ويحتمل ان يكون الناقة وحدها آيات من حيث انها خرجت من الصخرة وتحركت الصخرة لخروجها ودنت ولادتها فتقبلها من حين خروجها والسقب الذكر من ولد الناقة والانثى سقبة ومن حيث انها شربت الماء يوما وتركت يوما ومن حيث كثرت درها ولبنها حتى كان يكفيهم جميعهم ومن حيث انتفاعها لهم حتى يحلبونها ومن حيث عظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة فلذلك كانت تصدر من طريقها غير الطريق الذي وردت منه لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من احوالها التي كل واحد منها آية على حدة وان كانت الآيات عبارة عن الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر واضافة الآيات

روي انه عليه الصلوة والسلام قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتفرسون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وعلامته سلمه

قوله وقيل هو منسوخ باية السيف انما قال قيل لان المراد بالصفح على ما ذكره هو عدم التعجيل وهذا لا يبقى منافيا بالسيف لانه يمكن ان يكون النبي عليه الصلوة والسلام مامورا بالحلم وعدم التعجيل وبالقتال معهم ايضا بان يكون مامورا اولا بالحلم المقيد بقيده وهو ان يكون قبل ظهور القتال وبالقتال المقيد بقيده وهو ان يكون بعد ظهور كما ارادوه

عن جابر رضي الله عنه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها ابرهيم

[illegible]

البهم وان كانت الناقة آية لصالح لانها آية رسولهم قوله او من العذاب فانهم كانوا آمنين
عما وعدهم صالح من عذاب الله تعالى حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كما كانوا
آمنين من انهدام ما نحتوا اعتمادا على حذاقتهم في صنعة النحت قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا
فارهين على تأويل حاذقين قوله الا خلقنا ملتبسا بالحق اشارة الى ان قوله بالحق صفة مصدر
محذوف وان الاستثناء مفرغ من اعم عام المصدر واشار الى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها بما محصوله
انه تعالى بين اولا انه اهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر انه ما خلق الخلق عبثا مهملا عن
التقييد بقيد التكليف حتى يعمل كل نفس ما تشتهيه وانما خلقهم وهيأ لهم اسباب معاشهم وبين لهم
دلائل الرشد والهدى وما يؤدي الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم وصحة احسانه اليهم
ويشتغلوا بشكره وطاعته ويفوزوا بالجزاء الحسنى والدولة العظمى يوم لقائه فمن اعرض عن النظر في
الدلائل البينات واصر على الاستهزاء بالحجج والآيات ورغب في ارتكاب المعاصي والسيئات فقد
استحق لان يعاقب بانواع العقوبات فلذلك اهلك من آثر سبيل الضلالات والجهالات اخلاء لوجه
الارض عن تلك ولم يكتف باهلاكهم بل اعتد دار الجزاء لينتقم فيها من الاعداء ويثاب فيها الاولياء فان
الدنيا ليست بدار الجزاء بل هي دار التكليف والابتلاء فلا بد من يوم الدين والجزاء ليصل الى كل ذي
حق حقه كما قال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك في
الصفح عن سيئاتهم فقال فاصفح الصفح الجميل اي فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا
ملتبسا بحلم واغضاء ولا تكافئهم بما آذوك فلا تعجل فان الساعة آتية فانا الكافلون عنك ووصف
الصفح بالجميل للدلالة على معنى لا تتركن نصحهم ودعاءهم الى الحق مع ذلك والصفح لهذا المعنى لا ينافي النسخ
والذي يقابله هو الصفح بمعنى الاعراض عن قتالهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من
ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخا فانه عليه الصلوة والسلام كان مأمورا
بالصفح في موضعه وبالقتال في موضعه قوله او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم عطف على قوله الذي
خلقكم وخلقهم فالوجه الاول على ان يفسر الصفح بالمعاملة بالخلق الحسن في تبليغ الرسالة والصبر على
اذاهم بلسانهم وفعلهم فح يكون الآية متعلقة بقوله وان الساعة آتية والوجه الثاني مبني على ان يفسر
الصفح بالاعراض عن قتالهم فتكون الآية ح متعلقة بقوله فاصفح قوله وهو يصلح للقليل والكثير فان صيغة
فاعل موضوعة لمن يقوم به الفعل على وجه الحدوث سواء كان متعلق الفعل واحدا او كثيرا او صيغة فعال
انما يطلق اذا كان متعلق الفعل كثيرا ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه وامره بالصفح الجميل اتبعه بذكر
ما خصه من النعم الجليلة لان الانسان اذا تذكر نعم الله تعالى عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال ولقد

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والسبع يحتمل ان يكون المراد منه سبع آيات او سبعا من السور
سبعا غيرها من الفوائد وليس في اللفظ ما يدل على التعيين والمثاني صيغة جمع واحده اما مثناة
موضع الثناء او مثنية اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية فان الآية اما ان تثنى مكررة او
هي مثنية كانها تثني على الله سبحانه لحسنه على الاسناد المجازي او الاستعارة المكنية فقوله تعالى
سبعا من المثاني مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التي هي مواضع الثناء والتكرير او مواضع
الثناء والعطف والاشياء المثنية وهذا القدر مفهوم مجمل لا سبيل الى تعيين المراد منه الا
بدليل منفصل مذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه فاتحة الكتاب وروي عنه عليه الصلوة
والسلام انه قرأ فاتحة الكتاب وقال هي السبع المثاني ووجه التسمية انها سبع آيات وانها
تثنى في كل صلوة بمعنى انها تقرأ في كل ركعة ولانها تثني بما يقرأ بعدها ولانها نزلت قسمين نصفها
ثناء ونصفها دعاء كما ورد في الحديث انه عليه الصلوة والسلام قال يقول الله تعالى قسمت الصلوة
اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين الى آخره فان النصف الاول منها حق الربوبية و
هو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء ولان كلماتها مثناة مكررة مثل
الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط عليهم عليهم ولفظ غير في قراءة عمر رضي الله عنه فانه
قرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة فلذلك
سميت مثاني وقال الزجاج سميت الفاتحة مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله
تعالى وتوحيده وملكه ونحو ذلك وعلى تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى سبعا من المثاني هو
الفاتحة دلت الآية على ان هذه السورة الكريمة افضل سور القرآن من وجهين احدهما
افرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لا بد ان يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة
والثاني انه تعالى لما انزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها ويدل عليه ايضا قوله عليه
الصلوة والسلام لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وانه عليه الصلوة والسلام واظب على قراءتها
في جميع الصلوات طول عمره وما اقام سورة اخرى مقامها في شيء من الصلوات وقيل المراد من
السبع المثاني الطول اي جمع طولى تأنيث الاطول كالكبر والكبرى وهي البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة وقيل سابعها التوبة بدون الانفال وقيل
سابعها يونس بدل الانفال والتوبة وسميت هذه السور مثاني لانه تثنى فيها حدود القرآن
وفرائضه وامثاله وعبره وعامة احكامه في هذه السبع واعترض على هذا القول بان هذه
الآيات مكية واكثر هذه السور السبع مدنية فكيف يمكن حمل هذه الآية عليها واجيب عنه بان
الله تعالى انزل القرآن جملة الى السماء الدنيا وقضى في علمه ان ينزل على نبيه صلى الله عليه وسلم

نجوما فالم ينزل عليه صار بهذا الاعتبار كانه قد آتاه وانزل عليه فلذلك قال في حق ما سينزل
بعد ولقد آتيناك قوله او الحواميم عطف على قوله الطوال يعني على تقدير ان يحمل سبعا على سبع سور
يحتمل ان يراد بتلك السور السور الطوال السبع وان يراد الحواميم السبع بناء على انه قد ثني فيها
القصص وبعض الاحكام قوله وقيل سبع صحائف عطف على قوله وقيل سبع سور وهذا القول الثالث
في بيان قوله سبعا والصحائف جمع صحيفة بمعنى الكتاب فان القرآن العظيم سبعة اسباع كل
سبع صحيفة وكتاب ومثناة ومثنية فعلى هذا القول السبع المثاني هو القرآن كله ودليل هذا القول
قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني ووصف كل القرآن بالمثاني لانه كرر فيه
دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف وانه مثني عليه بالبلاغة والاعجاز ومثني على الله بما هو اهله
فعلى هذا يكون عطف قوله والقرآن العظيم على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات
الموصوف كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ويكون المعنى ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين الوصفين ونظير هذه الآية في القرآن قوله تعالى
ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء اي كتابا جامعا بين هذين الوصفين ثم انه تعالى لما امتن
على رسوله صلى الله عليه وسلم بان آتاه اشرف النعم وابقاها ثوابا ولذة نهاه عن الالتفات الى
ما آتاه بعض الكفرة من نعيم الدنيا وادامة النظر اليها فقال لا تمدن عينيك الى ازواجا مفعول متعنا
والزوج في اللغة الصنف قال عليه الصلوة والسلام لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري ما لاقٍ
بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت يعني النار وقال عليه الصلوة والسلام ليس منا من لم يتغن
بالقرآن اي من لم يستغن على ان يكون التغني من الغنى المقصور وهذا البيان قد جاء التغني
بهذا المعنى في الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلوة والسلام ان الخيل لرجل اجر ولآخر ستر ولثالث
وزر ثم قال واما الذي هو له ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في رقابها والمشهور
حمله على تحسين الصوت بجعله من الغناء الممدود فان التغني بهذا المعنى اشهر كيف وقيل لبعض
رواة هذا الحديث يا ابا محمد ارايت اذا لم يكن له حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع ويشهد
له الحديث الآخر زينوا القرآن باصواتكم وقيل المراد من التغني بالقرآن الافصاح بالفاظه و
قيل اعلانه والجهر به وقيل قراءته على خشية من الله ورقة من فؤاده وقيل معناه كشف الهموم
بقراءته وذلك ان الانسان اذا اصابه غم ربما تغنى بالشعر فطلب بذلك فرجه مما هو فيه والصديقون
همومهم هم المعاد وضيق صدورهم عما يشغلهم عن الله تعالى ولا يستفرجون من كربهم الا بذكر
كلام ربهم والى هذا الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي من لم
يتفرج من غمومه بقراءة القرآن والتدبر فيه فليس من اخلاقنا وسيرتنا قوله انه عليه الصلوة

فانك لا تدري ما هو لاق بعد الموت ان له عند الله قاتلا لا يموت يعني النار
صح

مطلب
معنى قوله عليه الصلوة والسلام من لم يتغن بالقرآن فليس منا

الصلوة والسلام واخ باذرعات سبع قوافل ان صادق واتم فيها فلا يكون المقصود من ايراد هذه
الرواية بيان سبب نزول الاية لان الآية مكية وهو عليه الصلوة والسلام انما سافر ديار الشام
بالمسلمين في آخر عمره بل المقصود مجرد بيان ان سبعا من المثاني خير من الدنيا وان التقرب بها
افضل وانفع من التقرب باقتناء الدنيا في سبيل الله وفي رواية الكشاف والكبير هكذا وافت
من بصرى واذرعات سبع قوافل ان بني قريظة والنضير فلان ان الفوح يحتمل ان يكون هذه
الواقعة متقدمة على نزول الاية ويكون سببا للنزول واذرعات بكسر الراء موضع بالشام تنسب اليه
الخمور وبصرى موضع بالشام ايضا تنسب اليه السيوف **قوله** انهم لم يؤمنوا علة لنهيه عليه الصلوة
والسلام عن التحزن على المشركين ان نزل بهم العذاب نهاه اولا عن الالتفات الى اموالهم ثم نهاه
عن الالتفات الى انفسهم كانه قيل كيف يتحزن صدري مما اصابهم من بأس الله وعذابه الحال
انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام ويتعيش بهم المؤمنون **قوله** وقيل انهم المتمتعون به اي قيل
انه عليه الصلوة والسلام لما راى قوافل الكفار وكثرة اموالهم خطر بقلبه عليه الصلوة والسلام ان اصحابه
ليس لهم قدر الحاجة وللاعداء الله هذه الاموال الكثيرة انزل الله عليه قوله ولقد آتيناك سبعا
من المثاني وهو خير مما يتمتعون به اياما قلائل ثم يزول عنهم عن قريب ثم قال ولا تحزن عليهم
اي ولا تحزن لاجل فقراء المسلمين حتى يكون رقة قلبك لاجلهم تؤديك الى الالتفات الى المتاع
القليل الزائل عن قريب لانهم المتمتعون به اي لان ما في ايدي الكفرة سيصير الى اصحابك عن قريب
فيتمتعون به زمانا قليلا والله اعلم **قوله** وتواضع لهم يعني ان جناح الانسان يده كما قال
الله لموسى عليه الصلوة والسلام واضمم اليك جناحك والخفض ضد الرفع قال الله في صفة القيمة
خافضة رافعة اي انها تخفض اهل المعاصي وترفع اهل الطاعة وخفض الجناح ههنا كناية عن
اللين والرفق والتواضع فهو لما نهاه عن الالتفات الى الاغنياء من الكفرة امره بالتواضع
لفقراء المسلمين ثم امره بان يقول للقوم اني انا النذير المبين اي الآتي بجميع البينات الشافية
والبينات الوافية **قوله** فهو وصف لمفعول النذير يعني ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه
صفة لمحذوف مفعول النذير تقديره عذابا مثل العذاب الذي انزلناه على المقتسمين وهم نفر من قريش
بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا مداخل مكة وطرقها يقولون لمن سلكها لا تغتروا
بالخارج منا والمدعي للنبوة فانه مجنون وكانوا ينفرون الناس عن رسول الله عليه وسلم ويقول
كل واحد منهم في شانه عليه الصلوة والسلام شيئا من المطاعن مثل كاهن وساحر وشاعر ومفتر
ومجنون فانزل الله بهم خزيا فماتوا شر ميتة وقيل هم الذين تقاسموا اي تحالفوا على ان يبيتوا
صالحا عليه الصلوة والسلام فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلوهم والقصة مذكورة في تفسير قوله تعالى

والوليد فانه عد عليه السجد نصيبه منها فانه واشغل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صدق او لكن يتبع المقتسمين انه

قالوا سموا بالالبتسه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وعلى هذا تكون الاقسام من القسم
لا من القسمة وعلى القولين المشبه محذوف وهو مفعول النذير حذف لدلالة المشبه به عليه كما تقول
رأيت انسانا كالقمر ليلة البدر في الحسن والتقدير ما مر وهو انا النذير المبين عذابا مثل العذاب الذي
انزلناه على المقتسمين ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان لا يكون كما انزلنا واقعا في حيز النذير بل يكون واقعا
في حيز آتيناك من حيث المعنى فان معنى آتيناك انزلنا اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة
مصدر محذوف مدلول عليه بآتيناك والتقدير انزلنا اليك سبعا من المثاني والقران العظيم انزالا
مثل انزالنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بجهلهم وعنادهم
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل او اقتسموا القول
فيه فقال بعضهم انه سحر وبعضهم كهانة او شعر او اساطير الاولين او افتراء فهو مشبه انزاله
على رسوله صلى الله عليه وسلم بانزاله عليهم تسلية له عليه الصلوة والسلام عن تكذيبهم وعداوتهم وتوسط
قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله كما انزلنا بين المشبه والمشبه به اعتراض بما هو مدد لمعنى التسلية
من النهي عن الالتفات الى اموالهم والتأسف على كفرهم ويحتمل ان يكون المراد بالقران كتبهم بان يكون القران
بمعنى المقروء الذي يقرؤونه ويكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين جعلوا ما يقرؤونه من
الكتاب مقروا ما معترفا بان امنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعض فما وافق هواهم اخذوه وما لم يوافق
تحرفوه وبدلوه كما قال تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا قوله واصلها عضوة من عضوته اي
فرقته لان المشركين فرقوا اقاويلهم في القران فجعلوه كذبا وسحرا او كهانة ونحو ذلك وقيل نقصانه
الهاء واصله عضهة لان العضه والعضين في لغة قريش السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللسحرة
عاضهة روي انه عليه الصلوة والسلام لعن العاضهة والمستعضهة فقوله تعالى جعلوا القران
عضين على هذا القول جعلوه اسحارا او قال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون مثل عزة
وعزون فقوله تعالى جعلوا القران عضين معناه مفترى وعلى القولين جمعت العضة جمع ما يعقل لما
لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف قوله وقيل هو عام في كل ما فعلوا وعلى
القولين ضمير لنسألنهم يرجع الى المقتسمين لانه الاقرب ويحتمل ان يرجع الى جميع المكلفين لتقدم
ذكرهم في قوله تعالى وقل اني انا النذير المبين اي لجميع الخلق فان قيل كيف الجمع بين قوله فوربك لنسألنهم اجمعين
وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اجيب عنه بوجوه الاول ان المعنى لا يسألون سؤال
استعلام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسألون سؤال تقريع فيقال لهم لم فعلتم كذا وهو ضعيف لانه لو كان
المراد من قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه نفي سؤال الاستعلام لما كان في تخصيص هذا النفي بقوله فيومئذ
فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله تعالى في كل الاوقات والثاني ان يصرف النفي الى بعض الاوقات
والاثبات

والاثبات الى وقت آخر لان يوم القيمة يوم طويل وفيه مواقف يسألون في بعضها ولا يسألون
في بعضها ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في آية اخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم
عند ربكم تختصمون ولقائل ان يقول قوله تعالى فيومئذ لا يسأل الآية صريح في انه لا يحصل السؤال
في ذلك اليوم فلو حصل السؤال في جزء من اجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض والوجه الثالث
ان قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه الآية يفيد عموم النفي والضمير في قوله فوربك لنسألنهم يرجع
الى المقتسمين فيكون خاصا والخاص مقدم على العام قوله واصله الابانة والتمييز اصل الصدع
الشق يقال صدعته فانصدع اي شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضا كقوله تعالى يومئذ
يصدعون فقوله فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما قال الزجاج معناه
اظهر ما امرت به اخذ من الصديع وهو ضوء الصبح قال الشاعر كأن بياض غرته صديع
قال المفسرون معناه اجهر بامرك وما مصدرية اي فاصدع بامرك وشأنك وهو تبليغ
الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يتفرع عليه من الاحكام قالوا وما زال النبي صلى الله عليه
وسلم مستخفيا الارض حتى نزلت هذه الآية قوله نمر ينبال اي رجل يصنع السهام والنبل
السهم والاخمص ما دخل من باطن القدم بحيث لا يصيب الارض قوله قوله تعالى فسبح جواب شرط
محذوف اي ان ضاق صدرك بما يقولون بمقتضى الجبلة والبشرية والمزاج الانساني فالتجئ الى
الله تعالى فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات وهي اربعة اشياء التسبيح والتحميد والصلوة
والملازمة عليها ما دام حيا قال المحققون في بيان هذه المذكورات سببا لزوال ضيق القلب
والحزن ان الانسان اذا اشتغل بهذه العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى
حصل له ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده فيستوي عنده وجدانها وفقدانها
فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية
قوله والمعنى فاعبده ما دمت حيا اي معنى التقييد بقوله حتى يأتيك اليقين مع ان كل احد
يعلم انه اذا مات سقطت عنه العبادات التكليفية بالاستمرار والمواظبة على العبادة
ابدا ما دام حيا لانه لو قيل اعبد ربك من غير توقيت لجاز اذا عبد الانسان مرة ان يكون
مطيعا ممتثلا الامر بناء على ان الامر لا يقتضي التكرار فلما قال حتى يأتيك اليقين فقد امر بالاقامة
ابدا ما دام حيا روي انه عليه الصلوة والسلام قال ما امرت ان اجمع المال واكون من
التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين تمت السورة والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه اجمعين سورة النحل مكية غير ثلث ايات في اخرها فانها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة بن

صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا في الناس وفي قوله [illegible] فاصدع بما تؤمر اجهر بالقران [illegible] قال ابو [illegible] الصدع [illegible] المعنى فافرق [illegible] بالبينة [illegible] الالهية
سماه

وفي رواية الكلبي [illegible] فاعصف [illegible] غلام له فجعل [illegible] ويضرب وجهه بالنبل [illegible] لا احدا يمنع [illegible] وهو [illegible] فقتلني رب محمد [illegible]

قوله [illegible] بما يقولون [illegible] بالنفع [illegible] الكلام [illegible] والوجه هو الاول
سماه

فجعل ينطح [illegible] راسه [illegible] عن ابن عباس [illegible] فاستسقى فمات [illegible] بطنه ومات
سماه

عبد المطلب رضي الله عنه وهي قوله وان عاقبتم الى اخر السورة

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** ويقولون ان صح عطف على قوله يستعجلون
اي كان اول حالهم استعجالا ما اوعدوا به استهزاء وتكذيبا له عليه الصلوة والسلام وكانوا يقولون بعد
ان صح الخ فاجاب الله تعالى عن استعجالهم بان ما امر الله تعالى به من عذاب الدنيا او عذاب الاخرة يكون
محقق الوقوع ومقررا في علم الله تعالى وقضائه بمنزلة الواقع بالفعل فلذلك قال في حقه اتى قد انا
اجراه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاء الغوث فلا تجزع ولا تستعجل
واجاب عن قولهم ان صح كونه واجب الوقوع وجاريا مجرى الواقع فما نعبده من الاصنام
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فنتخلص منه بسبب شفاعتهم بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون
اي عن اشراكهم به غيره فانى يكون لمدبر السموات والارض شريك في تصرف ملكه فضلا عن ان
يشاركه في ذلك احسن خلقه **قوله** لما روي قال الامام روي انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن
فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا وقوعها
فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل قوله اتى امر الله فوثب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل قوله تعالى فلا تستعجلوه انتهى كلامه يعني انه لما نزل اتى امر الله
ظنوا انه قد اتت حقيقة ففزعوا وخافوا فلما نزل قوله تعالى فلا تستعجلوه اطمأنوا وسكنوا فعلى
قراءة حمزة والكسائي يكون الخطاب في الموضعين للكفار وعلى قراءة الباقي يحتمل ان يكون الغيبة
مبنيا على الالتفات وان يكون الخطاب في قوله تعالى فلا تستعجلوه للمؤمنين او لهم ولغيرهم ويكون الغيبة
على ظاهرها **قوله** فانه اي فان كل واحد من الوحي والقران يحيى به القلوب بيان لوجه الشبه بين
بين الروح وبين كل واحد منهما شبههما اولا بالروح من حيث كونهما سببا لحيوة القلوب مثل
كون الروح سببا لحيوة الجسد وشبههما ثانيا بالروح ايضا لكونهما بالنسبة الى الدين بمنزلة الروح
للجسد فكما ان قوام الجسد وزينته بالروح فكذلك قوام الدين وزينته بالوحي والقران اذ بهما يكمل
المعارف الربانية والتكاليف الالهية فالروح الاصلي ليس الا القران من حيث ان ارتفاع الجسد
عن درجة البهيمية لا يحصل الا بهما عبر بالمشبه به عن المشبه فصار استعارة تصريحية تحقيقية
انه تعالى لما بين بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ان ما توعدهم به لكونه محقق الوقوع في حكم الواقع وانه
منزه عن الشركاء والانداد بين لهم الطريق الذي علم به الرسول صلى الله عليه وسلم تحقق ما توعدهم
به ونبوءه وازال استبعادهم اختصاصه عليه الصلوة والسلام بالعلم به فقال ينزل الملائكة بالروح
اي ملتبسين بالوحي والقران او بنزلهم ومعهم الروح على ان يكون الباء للمصاحبة كما في قولهم خرج زيد

بعشيرته فان هذه الجملة مستانفة لبيان ما ذكر من طريق علمه عليه الصلوة والسلام بذلك و
لازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلوة والسلام بالعلم المذكور كانهم قالوا سلمنا انه تعالى قضى على
بعض عبيده بالسراء وعلى اخرين بالضراء ولكن كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور التي لا يعلمها الا الله
وكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالى واحكامه وملكوته فاجاب الله عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح
من امره وتقرير هذا الجواب انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده ويامر ذلك العبد بان يبلغ الى سائر
الخلق ان اله العالم كلفهم بالتوحيد وبالعبادة ويبين لهم انهم ان فعلوا ذلك فازوا بخير الدنيا والاخرة
فهذا الطريق صار مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق وقراءة العامة ينزل بضم الياء وكسر
الزاي المشددة ونصب الملائكة اي ينزل الله الملائكة وقرا ابن كثير وابن عامر ينزل بضم الياء وسكون
النون وكسر الزاي المخففة ونصب الملائكة وقرئ تنزل بتاء واحدة فوقانية وتشديد الزاي على بناء
الفاعل والاصل تتنزل بتائين حذفت احديهما وقرئ تنزل بضم التاء الفوقانية وفتح النون والزاي
المشددة على انه مضارع مبني للمفعول من التنزيل ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل قيل المراد بلفظ
الملائكة جبريل وحده وقد يطلق لفظ الجمع على الواحد اذا كان رئيسا معظما ومنه نحو قوله تعالى انا ارسلنا
وانا انزلناه وانا نحن نزلنا الذكر والمراد بالروح ههنا الوحي والقران كما مر وقيل المراد به ههنا جبريل
والباء في قوله بالروح بمعنى مع كما في قولهم خرج زيد بعشيرته اي ومعه عشيرته والمعنى ينزل الملائكة مع
الروح وهو جبريل فانه ما ينزل وحده في اكثر الاحوال بل كان ينزل مع جبريل اقوام من الملائكة كما في يوم
بدر وفي كثير من الغزوات وفي سائر المصالح والمهمات **قوله** بامره اي من اجله يعني ان كلمة من في قوله
من امره للسببية والتعليل كما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والمعنى ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا
بامر الله تعالى كما قال تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وغير ذلك مما يدل
على ان الملائكة لا يقدمون على عمل من الاعمال الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالعباد في قوله تعالى على من
يشاء من عباده الانبياء الذين يختصهم الله تعالى برسالته والانذار هو الاعلام مع التخويف يقال انذر القوم
بالعدو بكسر الذال اذا اعلموا وكثيرا ما يستعمل الانذار في مجرد التخويف كما اشار اليه المص بقوله او خوفوا
عطفا على قوله اي اعلموا والمخاطب بقوله تعالى انذروا هو الانبياء عليهم الصلوة والسلام الا انه تعالى
انما خاطبهم به بواسطة الملائكة المرسلة فانهم الذين يتلقون الوحي من الله تعالى ابتداء من غير
واسطة سواء كان ذلك الوحي وحيا متلوا مكتوبا في المصاحف او كان من قبيل الالهام والقاء الكلام
الخفي ثم ان الملائكة يوصلون ذلك الوحي الى الانبياء فلذلك قال تعالى في اخر سورة البقرة والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدا بذكر الله تعالى الذي هو اول ما يجب الايمان بوجوده ووحدانيته
ثم ذكر الملائكة الذين يتلقون منه تعالى الوحي من غير واسطة ثم ذكر الكتب التي يتلقاها الملائكة منه تعالى

ثم ذكر الرسل في الدرجة الرابعة لانهم الوسائط في تلقي المكلفين احكام الله وحدوده التي اجلها
الايمان في قوله انه لا اله الا انا فاتقون فانه يدل على ان الروح المشار اليه بقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح
من امره ليس الا ما يدل عليه هذه الكلمة الجامعة وهو التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر
بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية فان النفوس البشرية لها نسبة الى عالم الغيب تستعد بها لتجلي
صور الموجودات والتحلي بالمعارف والادراكات من ذلك العالم ونسبة الى عالم الشهادة تستعد بها
لان تتصرف في اجسام هذا العالم وتسمى استعدادها الحاصل لها باعتبار النسبة الاولى قوة نظرية
واستعدادها باعتبار النسبة الثانية قوة عملية واشرف كمالات القوة النظرية معرفة انه لا اله
الا هو واشرف كمالات القوة العملية الاتيان بالاعمال الصالحة الواقية عن خزي يوم القيمة وقدم
قوله لا اله الا انا على قوله فاتقون للدلالة على ان ما يستند الى القوة النظرية اعلى كمالا مما يستند الى القوة
العملية والكمال الانساني باعتبار هاتين القوتين يسمى كمالا انسانيا وللانسان كمالات غير
ما ذكر وهي كمالاته الجسمانية البدنية وهي صحة جسده وكمال قواه الحيوانية وهي تسع
عشر قوة وذلك لان قواه الحيوانية لا تخلو اما ان تكون محركة او مدركة او لا تكون محركة
ولا مدركة والمحركة منها قوتان شهوية وغضبية والمدركة منها عشر قوى الحواس الظاهرة
والباطنة والتي لا تكون محركة ولا مدركة تسمى القوى النباتية وهي الغاذية والنامية والمولدة
والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة والمجموع تسعة عشر وفي بدن الانسان ثلث قوى
غير ما ذكر وهي الروح الحيواني والروح الطبيعي والروح النفساني اما الروح فهو البخار
اللطيف المتولد من غليان الدم المنبث في التجويف الايسر من اللحم الصنوبري واما
الروح الطبيعي فهو الذي انتقل من هذا البخار الى جانب الكبد ووصل اليه واصلح حاله
من التنقي والتطبيخ ونحو ذلك والروح النفساني هو ما دخل الشرايين من هذا البخار
وتصاعد حتى وصل الى الدماغ والبخار في هذه الدرجة يكون في غاية اللطافة وتتفرع
عليه الافعال الحيوانية فيكون لغاية لطافته ساريا الى جميع الاعضاء والعروق نافذا الى
اعماق البدن فان اتفق ان ظهرت السدة في شيء من الاعضاء سقط ذلك العضو عن
العمل لعدم نفوذ الروح النفساني اليه بسبب السدة والله تعالى اعلم **قوله** وان مفسرة ذكر
في كلمة ان في قوله اوجه وجاز ان تكون مفسرة لان الوحي فيه ضرب من القول وفي الصحاح الوحي
الكتاب والوحي ايضا الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته الى
غيرك ويقال وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه والثاني ان تكون
مصدرية وهي التي من شانها ان تنصب المضارع ووصلت ههنا بالامر كما في قولك كتبت اليه

مطلب في روح حيواني وروح طبيعي وروح نفساني

٣١٧

بان قم فان فعل النهي والامر لما دل على المصدر كالمضارع صح ان يدخل عليه ما يجعله في تاويل
المصدر والثالث ان تكون مخففة على الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف تقديره ينزل الملائكة
بان الشان اقول لكم انذروا اي اعلموا انه لا اله الا انا زيد في التفسير اقول لان الامر لا يقع خبرا
للمبتدأ فان خبر الشان مبتدأ وانذروا اخبره وهو انشاء فلا بد من تقدير القول ليصح حمل الانشاء
على المبتدأ فان قلنا انها مفسرة لا تكون لها محل من الاعراب وان كانت مخففة او ناصبة يكون في
محل الجر اما على انها بدل من الروح كما اختاره الزجاج وقال انه بدل من الروح والمعنى ينزل الملائكة
بان انذروا اي اعلموا الخلائق انه لا اله الا انا واما على اسقاط الخافض وابقاء عمله كما هو مذهب
بعض النحاة او في النصب بنزع الخافض كما ذهب اليه الآخرون والاصل بان انذروا **قوله** وان
النبوة عطائية لا تختص باحد دون اخر سوى من تعلق المشية بدل عليه قوله تعالى على من يشاء
من عباده ثم انه تعالى لما بين ان اصل السعادة ومنتهى كمال القوة العلمية معرفة الصانع شرع
في تقرير الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدته ووجه دلالة المصنوعات على وجود الصانع
انها لحدوثها تحتاج الى محدث ولامكانها تحتاج الى مرجح يرجح احد طرفي وجودها وعدمها على الآخر
فالذي وقع في القرآن هو الاستدلال بحدوثها وتغير احوالها فابتدأ سبحانه وتعالى في هذه السورة في الاحتجاج صحاح
على وجود الاله المختار بايجاد اجرام السموات والارض فان كل واحد منهما محدثة لما تبين ان كل
جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الحجم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد والانقص
مع جواز الكل لا بد له من مقدر ومخصص وكل ما كان مفتقرا الى الغير فهو محدث وكذا كل جسم له شكل
معين ووضع معين وصفات مختلفة مع تساوي نسبة جميع الاشكال والاوضاع والصفات بالنسبة
الى ذاته فلا بد له من مخصص يخصص بعض تلك الاشكال والاوضاع والصفات لذلك الجسم ثم انه تعالى ثنى
بذكر الاستدلال باحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال باحوال الحيوان ثم ربع بذكر الاستدلال
باحوال النبات ثم خمس بذكر الاستدلال باحوال العناصر الاربعة فان شانها لا يقدر عليه غيره تعالى
قوله عما يشركون منها الى اشارة ان قوله تعالى عما يشركون ليس تكريرا لما ذكر في اول السورة لانه
ذكر ثمة اولا لابطال قول من يزعم ان الاصنام تشفع لمن عبدها في دفع ما اراد الله به من العذاب
وفقدان المحل الذي هناك بقوله فيدفع ما ارادهم وذكر ههنا لكونه نتيجة متفرعة على ما ذكر قبله
من دليل الوحدانية كانه قيل خالق السموات والارض كيف يكون له شريك مع ان ما يتصور ان يكون
شريكا له اما شيء منهما او شيء يفتقر اليهما او شيء لا يقدر على خلقهما او شيء منهما لا يصلح
ان يكون شريكا له فثبت انه تعالى هو الواحد المتعالي عن الشركاء والانداد وهذا التفسير مبني على
ان تكون كلمة ما في قوله تعالى عما يشركون موصولة والمعنى تعالى عن الاشياء التي يشركونها من هو

خالق السموات والارض القادر على كل شيء **قوله** وفيه دليلان في قوله خلق السموات والارض
دوجه دلالته على ما ذكر ان من هو خالق اصول الاجرام كيف يكون من قبيل الاجرام المحدثة المحتاجة
الى موجد ومخصص يخصص لا ببعض المقادير والاشكال والاوضاع والاوصاف ولما كان اشرف
الاجسام بعد الافلاك هو الانسان وكان الانسان مركبا من بدن ونفس استدل على وجود الصانع
الحكيم باعتبار كل واحد من بدنه ونفسه بعد الاستدلال عليه بخلق الافلاك فقوله خلق الانسان من
نطفة اشارة الى الاستدلال عليه باعتبار بدنه وقوله فاذا هو خصيم مبين استدلال عليه بحال
نفسه فان خلق الجسد الحساس المتحرك بالارادة من الماء المهين لا يقدر عليه سوى الاله القادر
ايضا النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس الحيوانات الابرى ان ولد
الدجاجة كما خرج من قشر البيضة يميز بين الصديق والعدو فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الام
ويميز ما يوافقه من الغذاء وما لا يوافقه بخلاف ولد الانسان فانه حين انفصاله من بطن امه لا
يميز البتة بين الضار والنافع ثم انه حال كبره يتقوى عقله ويكمل فهمه بحيث يقدر على تعقل المعاني
الدقيقة والعلوم الغامضة ويتمكن من ان يخاصم ويناظر ويجادل من ينازعه في جميع المطالب
والمهمات وانتقال نفس الانسان من تلك المراتب الدنية الى هذه الكياسة المفرطة لا بد ان يكون
بتدبير اله مختار قادر على ما يشاء فهذا هو المراد من قوله فاذا هو خصيم مبين وقيل معناه فاذا
هو خصيم لربه منكر ما اخبر به خالقه من البعث والجزاء بين ظاهر الخصومة والمكافحة المخاصمة
مواجهة ومشافهة والصحيح ان الاية عامة لكونها مذكورة لتقرير الاستدلال على وجود الصانع
وكمال قدرته لا لتقرير وقاحة الناس وتماديه في الكفر والغواية **قوله** بعدما قد رم اى بلي وتفتت
بقال رم العظم يرم بالكسر رمة اذا بلي فهو رميم وانما قال من يحيي العظام وهي رميم والقياس
رميمة لان فعيلا وفعولا قد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدو وصديق ولما
كان اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان الحيوانات التي ينتفع بها الانسان ذكر
الانعام ذكرها بعد ذكر الانسان والانعام عبارة عن الازواج الثمانية وهي الضان والمعز والابل
والبقر والغنم اسم للجنس المتناول للضان والمعز والدفء السخونة واللام في قوله لكم فيها دفء
يجوز ان يتعلق بخلقها اى خلقها لاجلكم ولمنافعكم ويكون قوله فيها دفء جملة اسمية قدم فيها الخبر
على المبتدا ويجوز ان يكون لكم هو الخبر وفيها متعلق بما تعلق به الخبر او يكون فيها حالا من دفء لانه لو تاخر
لكان صفة فالا واحسن ثم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتداء وقال لكم فيها دفء ويجوز ايضا
ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتداء وقال فيها دفء وقيل احسن الوجهين ان يكون الوقف
عند قوله خلقها ويبتداء بقوله لكم فيها دفء ليناسب قوله لكم فيها جمال فانه معطوف عليه والتقدير
ولكم
لكم

لكم فيها دفء ولكم فيها جمال **قوله** وتقديم الظرف جواب عما يقال تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر
وليس الامر كذلك فانه قد يؤكل من غير الانعام كالدجاج والبط وصيد البر والبحر والحبوب والثمار ومحصول
الجواب ان المراد حصر الاكل المعتاد المعتمد عليه في المعاش والحصر بهذا المعنى صحيح **قوله** الى مراحها بضم الميم
وهو اسم للمكان الذي تاوي اليه الابل والغنم بالليل يقال اراح ابله اى ردها الى المراح وذلك لا يكون الا
بعد الزوال ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى **قوله** حافلة الضروع اى
ممتلئة يقال احتفل الوادي بالسيل اى امتلأ **قوله** لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق اشارة الى
جواب ما يقال كيف ناسب قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم فان المناسب للامتنان بخلق الانعام
لحمل الاثقال ان يوصف البلد بان يقال لم تكونوا حامليها اليه فان الحمل شيء والبلوغ شيء اخر والمناسب
بالمقام هو الاول دون الثاني وتقرير الجواب ان بينهما مناسبة من حيث المعنى وذلك لان تنكير بلد
للتفخيم والتهويل والمعنى الى بلد بعيد غاية البعد بحيث لا يبلغ الانسان اليه بالمشي على رجليه فضلا عن
ان يحمله مع حمل اثقاله على ظهره ولما كان المقام مقام توصيف البلد بالبعد وتحقيق بعده حسن توجيهه
بقوله لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ويلزم ان لا تكونوا حاملي اثقالكم اليه بالطريق الاولى كما
اشار اليه بقوله فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم **قوله** لم تكونوا واصلين والا بشق حال من الضمير المرفوع
في بالغيه اى لم تبلغوه الا ملتبسين بالمشقة والعامة على كسر الشين وقرئ بفتحها فقيل هما مصدران
بمعنى واحد وهو المشقة وقيل الشق بالكسر كما يكون بمعنى المشقة يكون ايضا بمعنى نصف الشيء ويجوز
حمل اللفظ على كل واحد من المعنيين ههنا اما حمله على المعنى الاول فظاهر وان حملناه على نصف الشيء
كان المعنى لم تكونوا بالغيه الا عند ذهاب نصف قوتكم ونقصانها **قوله** ولتركبوها وزينة يعني ان زينة
منصوب على انه مصدر فعل محذوف وقيل انها مفعول من اجلها معطوفة على محل قوله لتركبوها ولم ينصب
الاول لفقدان شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله والراكب المخاطبون بخلاف قوله
وزينة فان فاعل التزين الذي هو الخالق فاتحد الفاعل **قوله** واستدل به على حرمة لحومها حيث
قيل منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو جاز اكل لحم الخيل لكان بيان هذه المنفعة اولى من بيان
منفعة الركوب وحيث لم يذكر الله هذه المنفعة علم منه حرمة لحوم هذه المذكورات وان تمام المقصود
من خلقها هو الركوب والزينة فقط والاكل ليس من جملة منافعها **قوله** لما فصل الحيوانات فان الانعام
وما ذكر بعدها من الخيل والبغال والحمير وان كان الانسان يحتاج اليها غالبا الا ان احتياجه الى الانعام
ضروري لانه لا يمكن له ان يعيش بدونها لكونها مبادي ماكولاته وملبوساته بخلاف ما ذكر بعدها من الانواع
الثلث فان الاحتياج اليها ليس من ضروريات الانسان جنس من الحيوانات ما لا ينتفع به الانسان
غالبا فذكرها على سبيل الاجمال بقوله ويخلق ما لا تعلمون **قوله** وعلى الله قصد السبيل بيانه مستقيم

الطريق على تقدير المضاف وان يكون القصد مصدرا بمعنى الاستقامة والعدل وصف به السبيل على طريق رجل عدل او بمعنى قاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه يؤمه السالك لا يعدل عنه لما شرح الله تعالى دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اى حق عليه بيان ما يكون مستقيما من السبل وما يكون جائرا منها وليس كلمة على ههنا للوجوب اذ لا يجب على الله تعالى شيء ولكن بيان الرشد من الغى مما تقتضيه الحكمة الالهية كانه قيل انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها ازاحة للعذر وازالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة **قوله** او اقامة السبيل وتعديلها اى ويجوز ان يكون المعنى وحق على الله تعديل الطريق وجعلها مستقيمة فان قصد السبيل معناه لغة استقامة الطريق وكون هذه الاقامة على الله تعالى معناه حق عليه تعديل طريق المكلفين بان يهديهم الى ما يوصل الى مرضاته **قوله** او عليه قصد السبيل اى ويجوز على فضل الله ورضوانه مستقيم الطريق بمعنى ان من سلكه يصل الى ذلك لا محالة فعلى هذا يكون قوله تعالى ومنها جائر بمعنى ومن الطريق ما هو جائر مائل عن الله تعالى ورضوانه يؤدى من سلكه الى غضبه وعقابه **قوله** وتغيير الاسلوب يعنى الظاهر ان يقال وعليه جائرها او وعليه الجائر على معنى وعليه بيان العادل والمعوج منها وعدل عن هذا الاسلوب بناء على ان مقتضى الحكمة انما هو بيان الطريق المستقيم المؤدى الى السعادة الابدية او بيان ما يرد عليه ويوصل اليه **قوله** ولو شاء لهديكم اجمعين صريح في انه تعالى ما شاء هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فمعنى الاية ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هديهم لعلمه بان بعضهم لا يختار ذكر بل يختار ما يوافق هواه ثم انه تعالى لما قرر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات ذكر بعده الاستدلال عليه بعجائب احوال النبات لان اشرف ما في العالم السفلى بعد الحيوان هو النبات فقال هو الذى انزل من السماء ماء **قوله** لكم صلة انزل اى متعلق به فيكون شراب مبتدا ومنه خبره قدم عليه والجملة صفة لقوله ماء **قوله** وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه اى في المطر لان معناه منه لا من غيره مع انا قد نشرب ماء الينابيع والابار ولا بأس به لان مياه الارض من جملة ماء المطر فكس بنا ر **قوله** ومنه تكون شجر اى يسبب بنبت الشجرة فان من في قوله تعالى ومنه شجر للسببية ويدل عليه قوله ينبت لكم به الزرع والذى ينبت في الارض بسبب ماء السماء نوعان نجم وشجر فالنجم كل ما ينجم اى يظهر ويطلع من الارض مما ليس له ساق والشجر ما له ساق وقوله تعالى فيه تسيمون اى في الشجر تخلون وترسلون مواشيكم ترعى يقتضى ان يراد بالشجر الاشجار التى ترعاها الماشية ويمكن اساميها فيها فان الابل تقدر على رعى اوراق الاشجار الكبائر فلهذا قال المصنف يعنى الشجر الذى ترعاه الماشية مما له ساق ثم عطف عليه قوله وقيل كل ما نبت على الارض شجر سواء كان له ساق او لم يكن واستدل على صحة هذا القول بقول الشاعر
نعلفها اللحم اذا عز الشجر ... والخيل في اطعامها اللحم ضرر
يقول الخيل نعلفها اللحم الذى هو الفرع
بان

فان قيل ما الفرق بين قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان المراد بالنجم ما نجم من الارض مما ليس له ساق ومن النجم الشجر ما له ساق وايضا عطف الشجر على النجم يوجب مغايرة الشجر للنجم فالجواب ان عطف الجنس على النوع وبالعكس مشهور وايضا للفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرماح اذا اختلطت وقال تعالى حتى يحكموك فيما شجر بينهم بمعنى الاختلاط حاصلة في الكل

بان يسقيها اللبن المحلوب منه اذا اجدبت الارض وقل الكلاء فانه اطلق الشجر على الكلاء **قوله** ترعون اى ترعون مواشيكم من قولك رعيت الابل ارعاها رعيا اذا اخليتها ترعى وانت ترقبها يقال رعى البعير الكلاء بنفسه والرعى بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر في تفسير تسيمون بمعنى التاء من اسام ماشيته اذا ارسلها وخلاها وسامت هى تسوم سوما اذا رعت بنفسها حيث شاءت قال الزجاج اخذ ذلك من الوسمة وهى العلامة وتاويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات **قوله** ولعل تقديم ما يسام فيه الى ينبت ان النبت قسمان احدهما معد لرعى الانعام وقد ذكره بقوله فيه تسيمون وثانيهما مخلوق لان يكون غذاء للانسان وهو المراد بقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب وقدم في هذه الاية ما يكون مرعى للحيوان على ما يكون غذاء للانسان مع ان الظاهر ان يقدم غذاء الانسان على غذاء سائر الحيوان كما في قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم لان نحو الزرع والزيتون وان كان ما ياكله الانسان ولا يأكله الا ما يكون مرعى للحيوانات من النبات الا ان مرعى الحيوان بسبب اكل الحيوان اياه وكونه جزءا منه يصير غذاء حيوانيا فهو اشرف من الاغذية النباتية نحو الزرع والزيتون لان تغذى اعضاء الانسان من الاغذية الحيوانية اسهل من تغذيها من الاغذية النباتية لان المشابهة هناك اتم واكمل من المشابهة الكائنة بين اعضاء الانسان والاغذية النباتية فبهذا الاعتبار يكون مرعى الحيوان اشرف مما ياكله الانسان فلذلك قدم الاول على الثانى لان الغذاء الحيوانى انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعى في تسمينها بواسطة الرعى ثم الغذاء النباتى قسمان حبوب وفواكه فهو تعالى اشار الى الحبوب بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله والزيتون والنخيل والاعناب ولا شك ان الحبوب اشرف في الغذائية بالنسبة الى الفواكه واشرف الفواكه الزيتون والنخيل والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه الثلث بالذكر مع كثرة الفواكه واشرف هذه الثلث هو الزيتون لانه فاكهة من وجه وادام من وجه لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة حيث يصلح للاكل والطلى واشعال السرج واشرف الباقيين هو النخيل فلذلك قدم الزيتون على النخيل وقدم النخيل على الاعناب **قوله** اى نفعكم بها حال كونها مسخرات جواب عما يقال كيف يكون مسخرات حالا من الجميع مع انه يستلزم ان يكون المعنى سخر هذه الاشياء حال كونها مسخرات بامره وهو تحصيل الحاصل وتقييد الشيء بنفسه وتكرار بلا فائدة وتقرير الجواب ان سخرها لكم بمعنى نفعكم بها عبر عن النفع بالتسخير لكون النفع غاية للتسخير مترتبا عليه وتعبير عن الشيء بغايته المطلوبة منه مجاز مشهور فيندفع الاشكال المذكور **قوله** خلقها ودبرها اشارة الى ان الامر في هذا الاية امر تكوين لا امر تكليف بناء على ان الافلاك والكواكب جمادات على ما ذهب اليه اكثر المفسرين المسلمين فالامر المتعلق بها امر تخليق وتدبير والامر بمعنى

قوله ولعل فصل الاية بقوله لآيات لقوم يتفكرون بعد قوله ينبت لكم به الزرع الى آخره لان في ذلك الاية تأملوا ما ذكر ويعلموا ان ذلك قد يحصل بدون تفطنه بان المراد بالتفكر فكرة العاطفى في ينبت
سليمان

قوله ولعل توجيه الاستدلال بما حولها لان الانبات حصل الاستدلال من العقل وحصل الاستدلال بالآثار السفلية ادق منه بالآثار العلوية وقد يكفى فيه ان العقل الصرف الاحتياج اى تجرد اشد في الاستدلال بالعلويات فان القوة الفكرية كافية في الاستدلال بما يشاهد من احوال النبات وتغيراته واختلاف اشكاله والوانه واما احوال العلويات فلا بد فيها من مزيد عقل ومعرفة بالعلم الطبيعى والهيئة والهندسة
سليمان

الشان والفعل كثير ومنهم من يقول انها لبست جمادات فهم يحملونه الامر على الاذن والتكليف
قوله دفعا للدور والتسلسل فانه لو استند حوادث العالم السفلي الى الحركات الفلكية والكوكبية
فلا شك ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن اسنادها الى ذوات الافلاك والكواكب اخرى والا لزم الدور
او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن اسناد تلك الحركات والاوضاع الى ذوات الافلاك والكواكب
من حيث انها اجسام لان الاجسام متماثلة فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة لصفة ووضع
معين لكان كل جسم واجب الاتصاف بذلك الوضع والصفة ولا متنع اختلاف الصفات والاوضاع
فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون متحركا لكونه جسما فينبغي ان يكون تحركها لجزء وذلك الجزء اما ان يكون
قوة قائمة به او امرا مباينا عنه والاول باطل لان البحث المذكور يعود بان يقال ان ذلك الجسم
لم اختص بتلك القوة بعينها دون سائر الاجسام فتعين ان يكون تلك الحركة مستندة الى امر مباين
عنه وذلك المباين لا يخلو اما ان يكون موجبا بالذات او فاعلا بالاختيار والاول باطل لان نسبة
ذلك الموجب الى جميع الاجسام على السوية فلا يكون بعض الاجسام بقبول الآثار المعينة اولى من
بعض فتعين ان يكون فاعلا مختارا قادرا على ما يشاء وهو الله تعالى وان الحوادث السفلية على
تقدير اسنادها الى الحركات الفلكية ثبت ان الحركات الفلكية حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره و
تكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وباحداثه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى و
سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم الآية يعني ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل
تعاقب الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى و
تسخيره قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل في هذا المقام ختم الآية بقوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم
يعقلون يعني ان كل من كان عاقلا يعلم ان التسلسل والقول بما يؤدي اليه ويستلزمه باطل بل لا بد من
الانتهاء في آخر الامر الى الفاعل المختار القديم تعالى شانه من غير احتياج الى تفكر وتامل لكان الاستدلال
باحوال النبات على وجود الله تعالى يوجد الكائنات فان احوال النبات وان كانت دالة عليه الا ان
دلالتها على وجوده يحتاج الى التفكر والتامل فانه لما ذكر انه تعالى انزل من السماء ماء فانبت
به الزرع والزيتون ونحوهما يتوهم ان يقال لا نم انه هو الذي انبتها ولم لا يجوز ان يقال ان هذه الاشياء
انما حدثت بسبب اختلاف الفصول الاربعة وتاثيرات الشمس والقمر والكواكب فما لم يقم الدليل على
فساد هذا الاحتمال لا يكون الاستدلال باحوال النبات وافيا بافادة هذا المطلوب قاطعا للشكوك
والريوب بل يكون الاحتياج الى التفكر والتامل باقيا بعد فلهذا السبب ختم الاستدلال باحوال النبات
بقوله ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وختم الاستدلال باختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم
لما فصلناه بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون تنبيها على ان هذا الدليل واف لافادة هذا المطلوب

٣٢١
لمن له عقل سليم ولا يحتاج الى مزيد التفكر والتامل فان من يعقل ان اختلاف الفصول والاوضاع
الفلكية والكوكبية لا يستند الى الافلاك والاوضاع اخرى ضرورة بطلان التسلسل يقطع بان جميع الحوادث
مستندة اليه تعالى ابتداء وانتهاء وجمع لفظ الآية للدلالة على اختلاف انواع الدلالة قوله او مصدر ميمي
جمع عطف على قوله حال من الجميع فيكون مسخرات مفعولا مطلقا على ان يكون مسخر بمعنى التسخير لان المصدر
الميمي من المزيدات يكون على وزن اسم المفعول من ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف
الانواع والمعنى انه سخرها انواعا من التسخير على اسلوب قولك ضربته ضربات قوله ورفع ابن عامر فانه قد قرأ
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع في الاربعة وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات فقط والباقون
بنصب الجميع وكسرها مسخرات فان قيل التسخير انما يتعلق بمن له جهة وقدرة يصح منه الانقياد والمخالفة
حتى يقهر ويسخر فكيف يصح ان يتعلق التسخير بما هو من قبيل الاعراض كالليل والنهار وما هو من قبيل
الجمادات كبقية المذكورات فالجواب ان تسخير هذه الاشياء عبارة عن ان الله تعالى خلق هذه الاشياء
ودبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع والمخالفة منها فهي مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها
كيف شاء او هو عبارة عن انه تعالى جعل فيها منافع للخلق تصل اليهم تلك المنافع شئن او ابين ولم يجعل
لهن ما يمنع على الخلق استيفاء تلك المنافع منهن بسببه فهن مسخرات لما خلقن له بايجاده وتقديره
وعلى الوجهين فالمراد بالامر امر التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل انه تعالى لما كون هذه
الاشياء على وجه يلائم لمصالح العباد فتكونت على وفق ارادته صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطاع
فاطلق على هذا التكوين والتدبير لفظ التسخير على طريق التخييل فيصح المشتقات التي هي استعارة تبعية
كانت قرينة للاستعارة المكنية قوله يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمنافع ليس
الا بصنع صانع اشارة الى انه تعالى ختم الاستدلال باختلاف اصناف ما ذرأ لكم بقوله لقوم يذكرون
بناء على ان خلاصة هذا الدليل راجعة الى ما ذكر في الاستدلال باحوال النبات من ان الحبة
الواقعة في الارض يشق اسفلها فيخرج منه ساقها ثم تنمو وتخرج منها الاوراق والازهار والاكمام
والثمار المختلفة على ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار فيكون الاستدلال باختلاف الوان ما ذرأ مبنيا
على تذكر محصول ما ذكر في الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال في ذلك لآية لقوم يذكرون ثم انه تعالى لما
احتج على اثبات الصانع بالاجرام العلوية والسفلية من السموات والارض وخلقة نوع الانسان وانواع
الحيوانات والنباتات شرع الآن في الاستدلال عليه بعجائب احوال العناصر فبدأ اولا بالاستدلال
بعنصر الماء واعلم ان علماء الهيئة قالوا ثلثة ارباع كرة الارض غائصة في الماء الذي هو البحر المحيط
وهو كله في عنصر الماء وحصل في هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر والبحار التي سخرها الله تعالى للناس هي هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث

بتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب وبالغوص لاستخراج ما فيها من اللؤلؤ والمرجان وبالصياد
ما فيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك والماء الزعاق هو المالح الاجاج اي المر قوله وتمسكه به مالك حيث
قال كيف لا يحنث باكل السمك مع انه نص على كونه لحما في هذه الاية وليس فوق بيان الله بيان
روي ان ابا حنيفة رحمه الله لما قال لحم السمك ليس بلحم حتى لو حلف لا ياكل لحما فاكل لحم السمك لا يحنث
وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الاية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل حلف لا يجلس
على البساط فجلس على الارض هل يحنث ام لا قال سفيان لا يحنث فقال السائل أليس الله قال والله جعل
لكم الارض بساطا قال فاقرع سفيان ان ذلك كان بتلقين ابي حنيفة قوله تشقه بجريها ابو سط
صدرها قال اهل اللغة مخر السفينة شق الماء بصدرها وعن الفراء ان المخر صوت جري الفلك في
في قوله لتاكلوا منه لحما يجوز ان يتعلق بقوله لتاكلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من النكرة
بعده وكذا منه في قوله وتستخرجوا منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتحلى به قوله
وترى الفلك جملة معترضة بين التعليلين وهما قوله لتاكلوا منه مع ما عطف عليه وقوله و
لتبتغوا وانما قلنا انها معترضة لانه خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع قوله بركوبها للتجارة
اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون قوله ولتبتغوا معطوفا على علة محذوفة وان يكون تقدير
الكلام لتنتفعوا بكونها مواخر فيه ولتبتغوا الربح والنماء من فضل الله بركوبها للتجارة فاذا وجدتم
ما تبتغونه من فضل الله واحسانه فلعلكم تؤدون حق شكره واذا جعل معطوفا على قوله لتاكلوا
منه لحما وجعل وترى الفلك اعتراضا بين التعليلين كما هو الظاهر لكان المناسب تذكير الضمير بان يقال
بركوبه للتجارة قوله كراهة ان تميل بكم يعني ان الميد الميل والحركة والاضطراب يمينا وشمالا ماد يميد
ميدا قوله وان تتحرك بادنى سبب للتحريك كالسفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى
جانب وتضطرب فاذا وضعت اجرام ثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء واستوت لان
تلك الاجرام بسبب ثقلها تتوجه نحو المركز وتمنع السفينة عن ان تضطرب يمينا وشمالا فكذلك
الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الالواح كما قال وجعلنا الجبال اوتادا
على طريق التشبيه البليغ قوله ما لا يبقى احد على ظهرها كذا فيما رأيته من النسخ والظاهر ان يقال
بحذف احد بناء على انها مفردة منونة او غير منونة لكونها اخرا عن ضمير الارض قوله لان القى فيه معنى
جعل فان الالقاء حقيقة هو طرح الشيء من اعلى الى اسفل ولا يخفى ان اثبات الجبال الرواسي في وجه
الارض ليس بطريق الالقاء بل بطريق الجعل والجعل يدل عليه قوله في اية اخرى وجعل فيها رواسي
من فوقها ولما كان قوله في هذه الاية والقى في الارض رواسي بمعنى جعل فيها رواسي ثم عطف قوله وانهارا
وسبلا على قوله رواسي كان المعنى وجعل فيها انهارا وسبلا ومعنى القاء السبل وجعلها في الارض انه

فصل فظهر من هذه الرواية ان
تمسك ابي حنيفة في مسئلة السمك
هو العرف لان المتبادر من ان
الناس هو الحنث وجه
سفيان ان التسمية الزائفة
مجازية لان منشأ اللحم الدم ولا
دم فيه لسكونه في الماء مع اشتمالها
بالالية فانها تنعقد من الدم ولا
يحنث باكلها انتهى وانت خبير بجواز
ان يكون في المسئلة قسلان ليس
بينهما تنافي وما ذكره مدفوع بان
المذكور كل لحم ينشأ من الدم ولا
يلزم عكسه اصلا فافهم
سنان

فان قيل اليس ان الارض تتحرك
بداخلها البخارات المحتبسة في داخلها
عند الزلازل وتظهر تلك الحركات
للناس فهم يفرون على من يقول
انه لولا الجبال لتحركت الارض الا
انه لما ارساها بالجبال الثقال
لم تبق الارض على تحركها قلنا تلك
البخارات احتبست داخل قطعة
صغيرة من الارض فلما حصلت
الحركة في تلك القطعة الصغيرة
ظهرت تلك الحركة وظهور تلك
الحركة في تلك القطعة المعينة
من الارض تجري مجرى اختلاج
عضو معين من بدن الانسان
اما لو تحركت كلية الارض لم
تظهر الا ترى ان الساكن في
السفينة لا يحس بحركة كلية
السفينة وان كانت على اسرع
الوجوه واقواها كذا هنا
ابن عادل

انه اظهرها وبين البهتدي بها من يسافر فيها الى مقصده ووضع فيها علامات اي معالم وهو جمع معلم
وهو الاثر الذي يستدل به على طريق من جبل وسهل وريح ونحوهما يستدل به في النهار ولعل
بعض الديار تهب فيه الريح من جهة واحدة فيستدل بها على الطريق كما يستدل بالجبل ونحوه قال
الامام ورأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون الطرقات قوله ولعل الضمير لقريش
يعني تغير اسلوب الخطاب العام في قوله ان تميد بكم الى طريق الغيبة في قوله وبالنجم هم يهتدون وخص
اولئك الغائبون بالاهتداء دون غيرهم بدلالة تقديم هم على يهتدون وخص اهتداؤهم بالنجم دون
غيره حيث قدم بالنجم على عامله الذي هو يهتدون فلعل المراد بهؤلاء الغائبين قريش فانهم لما اشتهروا
من بين جملة الناس بكثرة الاسفار للتجارة ومن سافر في الديار الحارة يكون اكثر سفره واقعا في
ظلمة الليالي فيكون اهتداؤه مختصا بالنجوم فعدل عن طريق الخطاب بجميع الناس الى طريق الغيبة
اشارة الى قريش لكون هذا المعنى فيهم اتم واكمل ثم انه لما قرر الدلائل الدالة على وجود الاله القادر
ووجوه نعمه واحسانه اتبعه بذكر ما يدل على بطلان عبادة غير الله الذي هو المنفرد بخلق هذه الاثار
البديعة والمتولي لجميع هذه النعم الجليلة فقال افمن يخلق كمن لا يخلق قوله انكار بعد اقامة الدلائل
الانكار مستفاد من الهمزة والبعدية من الفاء ولما كان المقصود من هذا الكلام الانكار على من يجعل
غير الخالق مثل الخالق في تسميته باسم الاله وفي الاشتغال بعبادته كان الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن
يخلق ليتم الالزام والتجهيل في جعلهم العاجز كالقادر الا انه عكس هذا النظم للتنبيه على كمال
جهالة المشركين فانه لا مشابهة في الحقيقة بين من لا يخلق شيئا وهم يخلقون بالنسبة الى حالتهم في
سلوكهم سبيل الاشراك يلزمهم ان يجعل الخالق القادر مماثلا لهؤلاء المخلوقات العجزة وهو غاية الجهالة
والغواية فانكر عليهم في هذه الجهالة فقال افمن يخلق تعبير عن الاصنام التي هي جمادات بلفظ من ان
يطلق على اولي العلم اما لاجرائها مجرى اولي العلم او للمشاكلة او للمبالغة في انكار المماثلة بين الخالق
والاصنام فانه اذا انتفت المماثلة بين الخالق وبين من لا يخلق من اولي العلم كان امتناعها بين
الخالق وبين من لا يخلق ولا يعلم بالطريق الاولى قوله فانه لجلائه كالحاصل يعني ان قوله افلا
تذكرون استعارة تبعية شبه ادراك الصورة الجلية الغير الحاصلة بتذكر الصورة المخزونة
التي ذهل عنها فاطلق عليه اسم التذكر بناء على تلك المشابهة ثم اشتق منه تتذكرون وهو استعارة
مكنية شبهت الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا في النفس وجعلت نسبة
التذكر اليها تخييلا قوله بادنى تذكر الظاهر ان يقال بادنى توجه قوله فضلا عن ان تطيقوا القيام
بشكرها يعني ان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم العبد بتلك النعم على سبيل التفصيل فان ما لا يكون
معلوما امتنع الاشتغال بشكره واذا كان عقل الانسان قاصرا عن احصاء نعم الله والاحاطة

قوله وكان حق الكلام
افمن لا يخلق الخ لان المشركين
ما شبهوا الخالق بالاصنام بل
شبهوا الاصنام بالخالق الحق
العبارة ان يقال انكارا عليهم افمن
لا يخلق كمن يخلق لكنه اذا قوي
وجه الشبه بين الامرين يرجع
التشبيه الى التشابه فيقال
وجه الخلقة كالغمر والغمر كوجه
الخلقة والمشركون لما عاملوها
بما ينبغي ان يعامل به
الخالق لم يبق عندهم فرق
بينها وبينه كما يقول الظالمون
كاردوني

قوله ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...
سنان

بما تفصيلا اتسع منه ان يشتغل بشكرها على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لائقا بتلك النعم فلما كان احصاء
النعم والعلم بتفاصيلها من لوازم الطاقة على القيام بشكرها كان انتفاء الاحصاء مستلزما لانتفاء
الطاقة على الشكر فان قيل اذا لم يلزم القيام بالشكر بما لا يطيقه الانسان فكيف امرهم الله تعالى بذكره فالجواب
ان الشكر المأمور به هو الاشتغال بالعبادة على حسب الطاقة بان يلاحظ كمال عظمة الله تعالى وكبريائه
وكثرة ما انعم به عليه من وجوه فضله واحسانه ويجتهد في رعاية حدوده وتكاليفه على حسب طاقته
واستطاعته قوله وترتيب للشراء باعتبار العلم يعني انه تعالى زيف الشرك وعبادة الاصنام في الاية
الاولى باعتبار القدرة في الخلق والانعام وزيفه في هذه الاية باعتبار العلم كانه قال ان الاله
يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام جمادات لا شعور لها بشيء اصلا فكيف يحسن عبادتها
وقرا العامة تسرون وتعلنون بتاء الخطاب وقرا عاصم في رواية حفص يسرون و
يعلنون والذين يدعون كلهن بياء الغائبة وكذلك الكسائي ورويس عن عاصم يدعون
خاصة بياء الغائبة والباقون كلهم بتاء المخاطبة كذا في تفسير الشيخ وليس في تيسير القران الا
قوله قرا عاصم والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء قوله لما نفى المشاركة بين من يخلق
وبين من لا يخلق اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله تعالى في اول الاية افمن يخلق كمن لا
يخلق يفيد ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا فيكون قوله هنا لا يخلقون شيئا تكرارا محضا
فما وجه وقوعه في القران وتقرير الجواب ان ما ذكر اولا لا ابتنى على ما ذكر بعده بل كل منهما مقدمة
مستقلة لدليل بطلان القول بالاشراك وترتيب الدليل هكذا الالهة الذين يعبدهم
المشركون من دون الله لا يخلقون شيئا ولا شيء ممن لا يخلق بشريك مماثل للخالق فلا
شيء من الاصنام بشريك للخالق فلا تكرار قوله هم اموات لا تعتريهم الحيوة اشارة الى ان
قوله اموات خبر مبتدا محذوف والى دفع ما يقال من ان قوله اموات يفيد كونهم غير احياء
فما الفائدة في ذكر قوله غير احياء بعد ذكرهم اموات دفعه اولا بان قوله غير احياء صفة مخصصة
لقوله اموات فان من الاموات ما يعتريه الحيوة بعد زمان كالنطفة والبيضة ونحوهما ومنها
ما لا يعتريه الحيوة ابدا والاصنام من قبيل الثاني فكيف يكون شريكا للاله الحي الذي هو
حي لا يجوز ان يعتريه الموت ابدا والحال ان الميت الذي لا يعتريه الحيوة ابدا في غاية البعد عن
الحي الذي لا يعتريه الموت ابدا ويمتنع ذلك في حقه قطعا ودفعه ثانيا بان المراد بقوله اموات
ما يتناول الاموات حالا كالاصنام وعيسى وعزير واللات مآلا كالملائكة الذين يعبدهم طائفة
من المشركين والاموات بهذا المعنى يلزم ان لا يكون احياء بالذات الا انها وصفت بانها غير
احياء بالذات للتاكيد كما في قوله نفخة واحدة فانه لما كان المقصود نفي الالهية عن شركاء المشركين

اقتضى

اي الطريق الى ذلك ان يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلا ومجملا ابن عادل

اقتضى المقام الاهتمام بنفي لوازم الالوهية عنها وتوصيفها بما ينافي الالوهية فلذلك اكد كونها امواتا
حالا او مآلا بكونها غير احياء بالذات فانه تعالى وصفهم بثلث صفات كل واحدة منها تنافي الالوهية وهي
انهم غير خالقين وهم مخلوقون وانهم اموات غير احياء وانهم لا يعلمون وقت البعث والمقصود منها
نفي الالوهية عنهم لوجوب كون الاله خالقا غير مخلوق حيا لا يموت عالما بالغيب كعلمه بالشهادة فالذي
يكون موصوفا باضداد هذه الاوصاف لا يكون الها قطعا قوله ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم
اشارة الى ان ضمير يشعرون للمعبودات الباطلة وان ضمير يبعثون يحتمل ان يكون للمعبودات ايضا و
يكون المعنى ان الاصنام لا يشعرون متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى يبعث
الاصنام ولها ارواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها فيؤمر بالكل الى النار ويحتمل ان يكون
للعابدين ويكون المعنى ان الاصنام وسائر المعبودات من دون الله لا يشعرون وقت بعث عبدتهم
فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم قوله وفيه تنبيه اي في قوله وما يشعرون ايان يبعثون
تنبيه على انه لا بد من البعث وان البعث من لوازم التكليف على ان من شان المعبود ان يجازي
عابده الذي كلفه بعبادته والدنيا دار تكليف لا تتاتى المجازاة فيها فلا بد من دار الجزاء وبعث الخلق
للثواب والعقاب ثم انه لا بد للاله من العلم بما صدر من المكلف وبما يناله من الثواب والعقاب
وبالوقت المقدر للجزاء والذي لا يعلم شيئا من ذلك كيف يكون الها وقوله تعالى ايان منصوب بما بعده
لا بما قبله وهو يشعرون لانه استفهام والاستفهام متعلق بيشعرون قوله تكرير للمدعى بعد اقامة
الحجج يعني ان قوله تعالى الهكم اله واحد فذلكة لما سبق واعادة للمدعى بعد اقامة الحجج عليه مفصلا
كرره ليكون توطئة لما ذكر بعده من بيان ما لاجله اصر الكفار على القول بالشرك وانكار التوحيد
والفاء في قوله فالذين جواب شرط محذوف كانه قال اذا قد ثبت بالدلائل الواضحة ان الالوهية
مختصة بالله تعالى وانه واحد متفرد بالالوهية ثم قال واذا كان كذلك فمن حقه ان يختص بالعبادة و
يتنزه عن الشريك فمن اصر على الشرك بعد اقامة هذه الدلائل انما لم ينتفع بهذه الدلائل واستمر على
ضلالة التقليد لاجل انه لا يؤمن بالآخرة بل ينكرها فلذلك لا يرغب في الثواب ولا يرهب من الوقوع في
العقاب فبقي قلبه منكرا لكل كلام يخالف هواه ومستكبرا عن الرجوع الى القول الناصح وقبوله فلا جرم
بقي مصرا على الجهل والضلال قوله وانكار قلوبهم عطف على قوله عدم ايمانهم بالآخرة وكذا قوله
والاستكبار عطف عليه ايضا والمراد بالاول عدم الايمان بالآخرة فانه هو العمدة في باب الاصرار
على الضلال وبالآخرين انكار القلوب والاستكبار ويكونهما مترتبين على الاول وقوعهما خبر اللذين
المتضمن بمعنى الشرط قوله لا جرم حقا نقل الجوهري عن الفراء ان قولهم لا جرم كلمة كانت
في الاصل بمعنى لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا

يحتمل ان يكون على النصب على اسقاط الخافض هذا هو الظاهر وقيل انا ظرف لقوله الهكم اله واحد يعني ان الاله واحد يوم القيامة ولم يدع احد الالهية في ذلك اليوم بخلاف ايام الدنيا فانه قد وجد فيها من ادعى ذلك وعلى هذا فقد تم الكلام على قوله وما يشعرون الا ان هذا الظرف يحتاج الى ان [illegible] عن موضعها بمعنى [illegible] الاستفهام الى محض الظرفية وقت مضاف للجملة بعده [illegible] ابن عادل

[illegible] في تفسير كلمة لا جرم

فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب عن القسم بها الا انهم يقولون لا جرم لآتينك وقيل لا رد لكلامهم
وجرم بمعنى حق ووجب يعني ان لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله
لا كما ترد لا هذه اذا وقعت قبل القسم في قوله تعالى لا اقسم وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون ثم ابتدأ ما بعدها
بجملة فعلية وهي جرم ان لهم كذا اي حق ووجب ان يكون الامر كذا فيكون ما بعد جرم مرفوعا بالفاعلية
علية وقيل ان لا جرم لفظ مركب من لا النافية وجرم جعلا لفظا واحدا مبنيا بناء خمسة عشر فصار
بعد التركيب بمعنى حق فيرتفع ما بعدهما بالفاعلية ايضا فقوله تعالى لا جرم ان لهم النار معناه حق
وثبت كون النار مثوى لهم او استقرارها لهم وقيل ان لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس
وجرم اسمها مبني معها على الفتح وهي مع اسمها في محل الرفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا النافية وصار
معناها لا محالة ولا بد ان الله تعالى يجازيهم على حسب علمه بما اسروا واعلنوا قوله فضلا عن الذين
استكبروا عن توحيده يعني ان المستكبرين يعم كل من عرف الحق واستكبر عن قبوله وعرف النعمة واستكبر
عن شكرها ويدخل في هذا العام من سيق له الكلام دخولا اوليا وهم المشركون الذين يستكبرون
عن التوحيد وجاز ان يكون لفظ المستكبرين من وضع الظاهر موضع ضمير المشركين المستكبرين
عن التوحيد فقط ويكون النكتة في العدول عن الضمير الاشارة الى علة الحكم عليهم بانه تعالى لا يحبهم
ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد وبطلان مذاهب عبدة الاوثان حكى مطاعن منكري
النبوة وبين ان عاقبة طعنهم كانت ان يحملوا الاوزار فانه عليه الصلوة والسلام لما احتج
على صدقه في دعوى النبوة بانزال القرآن المعجز عليه طعنوا في القرآن وقالوا انه اساطير الاولين وليس
من قبيل المعجزات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يصفوا
القرآن بانه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا الاوزار ولكن لما كانت عاقبة ذلك التوصيف ان يحملوها
شابه الحمل المذكور بالغرض المطلوب من الفعل فحسن ادخال لام العلة عليه كما في قوله تعالى فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قوله ماذا في محل الرفع على الابتداء وقوله تعالى انزل ربكم خبره اي اي شيء
انزل ربكم غاية ما في الباب ان يكون التركيب من قبيل زيد ضربت والمسألة مختلف فيها بين النحاة
والصحيح جوازه والقائم مقام الفاعل لقول قيل هو الجملة من قوله ماذا انزل ربكم لانها هي المقول و
البصريون يأولون ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلا ولا قائمة مقام
الفاعل واختلفوا في قائل هذا القول وفاعل المحذوف بعد اتفاقهم على ان المقول لهم المشركون الطاعنون
في القرآن وكونه منزلا من الله تعالى فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول
المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود
الحاج عما انزل الله على رسوله كذا في التفسير الكبير وفيه تسامح والمراد انه قول الوافدين على المشركين كما

اشار اليه المص بقوله ليحملوا اوزار ضلالهم سابقه

قوله اي ما الذي نزل او المنزل اساطير الاولين ينبغي ان يعلم ان كلا منهما على الوجه المذكور في التفسير يكون ماذا لا اختصاص للاول ولا الثاني في كونه في محل نصب والثاني في محل رفع كما قاله جار الله سابقا

كما اشاره المص اولا انه على تقدير ان يكون هذا قول بعض المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم
مبنيا على التهكم لانهم منكرون للانزال والنبوة وقوله تعالى اساطير الاولين خبر مبتدأ محذوف اي ما تدعون
نزوله او المنزل اساطير الاولين وارتفاع اساطير دليل على ان ماذا مرفوع على الابتداء لانه لو كان
منصوبا على انه مفعول انزل على معنى اي شيء انزل ربكم لكان المناسب ان يكون اساطير ايضا منصوبا
على انه مفعول فعل محذوف ليطابق الجواب السؤال فان جواب المرفوع ينبغي ان يكون مرفوعا وجواب
المنصوب منصوبا ولم يقرأ احد اساطير الاولين بالنصب قوله وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب يعني ان كلمة من في قوله تعالى ومن اوزار الذين تبعيضية فكما ان الرؤساء كانوا
الضلالة حيث جمعوا بين الضلال عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التي يتعدى اثرها الى الغير
وهي ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة فلا جرم حملوا اوزار ضلالتهم كاملة فكذلك الاتباع
فان لهم ضلالة متسببة من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة بغيرها فالرؤساء يحملون اوزار الاتباع
ما هو حصة الضلال الحاصل فيهم باضلال الرؤساء اياهم ولا يحمل الرؤساء جميع اوزار الاتباع و
هذا الايحاء ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى
فاتبع كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلال فاتبع كان
عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا لان المراد ببعض اوزار من ضل هو وزر
ضلاله الذي تسبب فيه المضل وكذلك الآثام المذكورة في الحديث غاية ما في الباب ان يقدر المضاف فيقال التقدير
الآية ومثل بعض اوزار ضلال الاتباع فان الآثام واعلم انه ليس المراد انه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه
الاتباع الى الرؤساء وذلك لان هذا لا يليق بعدل الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة استحق بذلك عقابا عظيما
حتى يكون ذلك العقاب مساويا للكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع ثم نقل عن الواحدي انه قال لفظ من
في قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لخف عن الاتباع
بعض اوزارهم وذلك غير جائز لقوله عليه الصلوة والسلام من غير ان ينقص من اوزارهم شيء و
ولكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع انتهى كلامه ولا يخفى ان من التي تكون لبيان الجنس
لا تكون تقديره هكذا ابطلان بعارية تقديرها والاوزار التي هي اوزار الذين يضلونهم قوله حال
من المفعول ويجوز ان يكون حالا من الفاعل فالمعنى ح يضلونهم جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد
على ذلك الاضلال الا ان الفائدة المتفرعة على كونه حالا من المفعول تفوت ح فانه تعالى لما وصف الذين
لا يعلمون انهم ضلال بالضلال وكونهم حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم الاوزار وما فيه تم
الذين يضلونهم والاضلال لا يتحقق بدون الضلال علم منه ان جهلهم بذلك لا يخرجهم عن كونهم

عنهم واستكانتهم وانما كالشيء الملقى بين يدي الغالب القاهر وقوله تعالى ما كنا نعمل من سوء مفعول قول آخر منصوب على انه حال من فاعل القوا السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول نعمل زيدت فيه من ويجوز ان يكون الا انه قوله
تفسير السلم الذي القوه لانه بمعنى القول الدال على الاستسلام والانقياد والاقرار لله تعالى بالربوبية كما قال في الاية الاخرى فالقوا اليهم القول كانه قيل فالقوا ما يدل على الاستسلام وقالوا ما كنا نعمل من سوء وهذا الاستسلام وانكار الاشراك انما وقع من المشركين يوم القيمة بان قالوا فيه ما كنا نعمل في الدنيا من سوء على سبيل الكذب كان صحة ذلك على قول من يجوز صدور الكذب من اهل القيمة لفرط الخوف والدهشة ظاهر واما الذين قالوا ان الكذب لا يجوز عليهم فانهم قالوا معنى الاية على تقدير ان يكون المراد منها حكاية كلام المشركين يوم القيمة ما كنا نعمل من سوء في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وقوله تعالى بلى جواب لقولهم ما كنا نعمل من سوء وايجاب له ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم ما كنا نعمل من سوء ولا يبعد ان يكون قائل هذا القول هو الله تعالى او بعض الملائكة او الذين اوتوا العلم والمعنى انه تعالى عالم بما كنتم عليه في الدنيا فيجازيكم عليه ولا ينفعكم كذبكم هذا ثم صرح بذكر العقاب فقال تعالى فادخلوا ابواب جهنم قوله وقيل قوله فالقوا السلم الخ عطف على ما بينهم من التفسير السابق فانه بين منه ان قوله تعالى فالقوا حكاية لشرح حال الكفار عند القرب من الموت ومعاينته وعلى هذا القول يكون فالقوا استينافا ثم كلام الذين اوتوا العلم عند قولهم ظالمي انفسهم ويكون قوله قال الذين اوتوا العلم الى قوله انفسهم جملة معترضة بين قوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم وبين قوله فالقوا السلم قوله وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا اي لم يمكثوا في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال فقد اشتهر ان في نحو ما ذا صنعت وجهين احدهما ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء ويكون ذا بمعنى الذي فيكون الكلام جملة اسمية تقديره اي شيء الذي صنعت فحق ما ذكر في جوابه ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف ليكون الجواب مطابقا للسؤال وثانيهما ان يكون ما ذا بمنزلة اسم واحد بمعنى اي شيء منصوب المحل على انه مفعول صنعت لا غير مشتغل عنه بضميره فيكون الكلام جملة فعلية فحق جوابه النصب على ان يكون مفعول الفعل مقدر ليطابق السؤال وفي هذه الاية الكريمة قد اجاب المتقون بالانزال بالنصب حيث قالوا خيرا اي انزل خيرا بخلاف المنكرين للانزال فانهم اجابوا بالرفع حيث قالوا اساطير الاولين لكونه اللائق بحال كل واحد من الفريقين ان يجيب بما اجاب به فان اللائق بالمنكرين ان يتلعثموا او لا يجعلوا جوابهم مطابقا للسؤال فلذلك اجابوا بالرفع فان قولهم اساطير وان كان مطابقا للسؤال من حيث ان كل واحد منهما جملة اسمية الا انه غير مطابق له من حيث ان السؤال يدل على كون اصل الانزال مسلما معلوما للمخاطب وقد اجاب المخاطب

ضلال احاملين الاوزار في انفسهم واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القران بانه اساطير الاولين اي احاديثهم واباطيلهم ولم يجب عنهم ببيان حقيقته وكونه كلاما آتيا معجزا بل اقتصر على مجرد الوعيد بناء على ما تكرر بيان ذلك في مواضع متعددة من القران ثم انه عليه الصلوة والسلام لما تأسى من اقوال المشركين في حق القران انه اساطير الاولين وجعلهم هذا القول وسيلة الى تكذيبه عمن في دعوى الرسالة نزل قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم الاية والمراد بالمكر هنا التدبير الفاسد اي قد مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم كما مكر بك هؤلاء فلم يضر ذلك بالانبياء عليهم الصلوة والسلام بل ابطل الله تعالى مكرهم ورد في نحور كيدهم ويختص فيهم معنى ما قبل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا والقواعد جمع قاعدة وهي الخشبة يقال اسطوانة فلان منصوبة وهي في الاصل صفة للشيء او الجبال جرت مجرى الاسماء كالدابة والعجوز وفسر الزجاج القواعد بالاساطين التي تعمد البنيان اي تقيمه يقال عمدت الشيء فانعمد اي اقمته بعماد يعتمد عليه والعمد بضمتين جمع عماد قوله بان ضعضعت اي انهدمت القواعد الجوهري ضعضعه اي هدمه حتى الارض وهو استعارة تمثيلية شبهت حالهم في انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الانبياء فجعلها الله تعالى سبب هلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت تلك الاساطين فسقط عليهم السقف وهلكوا واليوم في قوله تعالى ان الخزي اليوم معمول للخزي يعني الذي تعلق به الجار وقد عمل فيه المصدر المعرف بالالف واللام او هو معمول للخبر وهو قوله على الكافرين اي كائن على الكافرين اليوم مفصولين العامل ومعموله بالمعطوف اشاعة الظرف قوله وقرا حمزة بالياء التحتانية اذ لا تانيث في الملائكة ومن بالتاء الفوقانية نظرا الى لفظ الملائكة قوله وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة الجر على انه صفة لما قبله والنصب بتقدير اعني والرفع بتقديرهم الذين وعلى التقادير يكون قوله تعالى تتوفاهم واردا على حكاية الحال الماضية لان الذين اوتوا العلم يقولون هذا القول حين يرون خزي الكفار وفضاحتهم يوم القيمة على طريق اظهار الشماتة وزيادة الاهانة لهم ومن الظاهر ان توفي الملائكة اياهم امر ماض بالنسبة الى يوم القيمة فيكون التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل مبنيا على حكاية الحال الماضية فقوله تعالى فالقوا السلم يجوز ان يكون معطوفا على تتوفاهم لكونه بمعنى الماضي وان يكون معطوفا على قوله قال الذين اوتوا العلم فيكون المسالمة المذكورة من جملة احوالهم الواقعة يوم القيمة ولا يكون من جملة مقالة اولي العلم بخلاف ما اذا كان معطوفا على تتوفاهم الآن قول المص واجتنوا حين عاينوا الموت يدل على انه جعله معطوفا على تتوفاهم فيكون المعنى ان الذين اوتوا العلم وصفوا الكفار بان الملائكة توفاهم مشركين وبانهم استسلموا وانقادوا لله تعالى بالوحدانية عند الموت وقالوا ما كنا نعمل من سوء والاخبات الخشوع يقال اخبت لله اي تواضع واصل الالقاء في الاجسام استعمل هنا في اظهارهم الانقياد اشعارا بغاية خضوعهم

ومعنى تشاقون فيهم اي تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم والمشاقة عبارة عن كون احد الخصمين في شق والخصم الاخر في الشق الاخر اه كازرك

اقول يدل في قراءة التحتانية بكسنه مقبولة من ردة من قال الملائكة بنات الله ... لا يخفى على ذوي اللب

قبل تعذيبهم بالنار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وباعه قوله تعالى يقول ... دخولهم في النار ... الى ما ذكرنا قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء اه كلا

ويمكن رفعه ... بان العامل ... اليوم ... ان الخزي

بانه غير مسلم عنده بل ما تدعي نزوله والمنزل اساطير فعلم بطلانه وبيانه موقوف على الفرق بين ان يكون
السؤال جملة اسمية وبين كونه فعلية وهو ان من سأل قائلا اي شيء انزل ربكم فقد تقرر عنده اصل الانزال
وانما سأل عن تعيين المنزل ولا دلالة فيه على كون المخاطب مقرا بالانزال او منكرا له بخلاف ما اذا سأل بان
يقال اي شيء الذي انزل ربكم فان السؤال بهذا الطريق يدل على كون المخاطب معترفا بالانزال لما تقرر ان الجملة
التي تقع صلة للموصول حقها ان يكون مضمونها معلوما للمخاطب فلما اجاب المخاطب بان ما تدعون نزوله
لو المنزل اساطير الاولين فقد خالف السائل فيما زعم من ان اصل النزول محقق مسلم عنده فكان جوابه
مخالفا للسؤال ومطابقا لما يقتضيه حاله ولو اجاب بالنصب لكان موافقا للسائل في الاعتراف ان
يكون اصل النزول مسلما عنده ولكان مناقضا لنفسه في تخصيص ما اعترف بكونه منزلا من ربه بانه
اساطير اذ من المعلوم ان المنزل من قبله لا يكون اساطير بخلاف المنزل فان اللائق بحاله ان يحمل السؤال
على الجملة الفعلية ويجب بالنصب لانه لما كان مقرا بالانزال كان اللائق بحاله ان لا يتلعثم ويوافق السائل
في الاعتراف باصل النزول ويجب بتعيين ان المنزل ما هو فلو اجاب بالرفع ومال المنزل خيرا لكان
موافقا للسؤال في الاعتراف باصل النزول الا انه يكون متلعثما في الجواب بتغيير اسلوب السائل فانه سأل
بالجملة الفعلية طالبا لتعيين المفعول وهو قد اجاب بتحقيق كون المنزل خيرا قوله وهو عدة اي
قوله للذين احسنوا الاية كلام منقطع عما قبله اي ليس من جملة كلام الذين اتقوا بل هو ابتداء كلام
من الله تعالى يتبين به ان من احسن اعتقادا وعملا فله حسنة في الدنيا وحسنة في الاخرة والذين
منهم من قرر المصنف انه جعل قوله في هذه الدنيا متعلقا بقوله احسنوا وجعل قوله حسنة على المكافاة
الواقعة في الدنيا بقرينة قوله بعد ذكره ولدار الاخرة خير ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة
اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها ولا وجه لجعله متعلقا بنفس حسنة لتقدمه عليها ويدخلونها صفة جنات
وتجري اما صفة اخرى او حال من مفعول يدخلونها وقوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون جملة اسمية والخبر
اما لهم واما فيها واعرابها كاعراب الجملة التي قبلها قوله وهو يؤيد الوجه الاول وهو كون قوله تعالى للذين
احسنوا الآية عدة للذين اتقوا على قولهم في حق القران انه خير وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة صفة
للمتقين وطيبين حال من المفعول ويقولون حال من الفاعل اي يقبضون ارواحهم مسلمين عليهم
او مبلغين سلام الله تعالى اليهم ويحتمل ان يكون الذين مبتدأ ويقولون خبره فلا بد من عائد
محذوف اي يقولون لهم وكلمة ما في قوله بما كنتم مصدرية او بمعنى الذي فالعائد محذوف ثم انه تعالى لما
وصف جزاء الذين اتقوا على قولهم في حق القران انه خير عاد الى بيان اولئك الكفار الذين طعنوا
في القران بان قالوا انه اساطير الاولين ما ينتظرون في الايمان بكونه منزلا اليك الا الوقت الذي
لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت قوله تعالى فاصابهم معطوف على قوله فعل الذين وما بينهما اعتراض

ان جعل ... على الجملة ... وجعلها ... الا في ... المقامات

الوجه ان يبنى على التورد ... يكونه علما ... الاول ... فقائد ... الثاني ... ابن عادل

اعتراض قوله انما قالوا ذلك استهزاء ذكر الامام الواحدي في الوسيط ان الزجاج قال انهم قالوا هذا
على الهزء ولو قالوه معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا ذلك مستهزئين انتهى وزاد المصنف انهم
قصدوا بذلك الطعن في النبوة والتكلم متمسكين في ذلك بالقول بالجبر فقالوا الكل من الله تعالى ولو شاء
الله منا الايمان والتوحيد لحصل لنا ذلك سواء بعث الرسول او لم يبعث فلا فائدة في البعثة قال
الامام في الجواب عن شبهة الكفار ان قولهم لما كان الكل من الله تعالى كان بعثة الانبياء عليهم الصلوة و
السلام عبثا اعتراض على الله تعالى فان قولهم اذا لم يكن في بعثة الرسل مزيد فائدة في حصول الايمان وازالة
الكفر والعصيان كانت بعثة الانبياء عليهم الصلوة والسلام غير جائزة من الله تعالى هذا القول منهم جار
مجرى طلب العلة في احكام الله تعالى وفي افعاله وذلك باطل بل لله ان يحكم في ملكه ما يشاء ويفعل ما يريد ولا
يجوز ان يقال له لم فعلت هذا او لم تفعل ذاك فهذا القول من الكفار من حيث دلالته على تعليق جميع الحوادث
بمشيئة الله تعالى صحيح والانكار انما يتوجه اليه من حيث انهم قصدوا به الاعتراض على الله تعالى وطلبوا العلة
في احكامه وافعاله ويدل عليه انه تعالى صرح في اخر هذه الاية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين تعالى ان سنة الله تعالى في عبيده ارسال الرسل اليهم و
امرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه
الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر والعصيان الا انه تعالى هدى البعض
واضل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع عباده ويحسن منه ذلك بحكم كونه الها منزها عن اعتراضات
المعترضين فثبت انه تعالى انما حكم على هؤلاء الكفار باستحقاق الخزي واللعن لا لانهم كذبوا في قولهم لو
شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء بل لانهم قالوا ذلك بناء على اعتقاد ان كون الامر كذلك يمنع جواز
بعثة الانبياء والرسل وتكليف العباد بالاوامر والنواهي فلا جرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد
الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح في امثال هذه الشبهات قوله وما شاء الله وقوعه انما يجب و
قوعه لا مطلقا بل باسباب تقدره لما كانت خلاصة شبهة الكفار ان تعلق مشيئة الله كافية في
تحقق الحوادث فلا حاجة الى بعثة الرسل اشار تعالى بقوله فهل على الرسل الا البلاغ الى ان المؤثر في
حصول الاهتداء ليس الا الله تعالى ولا تأثير فيه لتبليغ الرسل الا انه لا يخلو فيه من حيث توسطه بينه
تعالى بين المكلفين وتعلق مشيئة الله تعالى بوجود الحوادث وان كان يوجبها الا انها لا تتعلق بوجود
شيء منها الا عند تحقق اسبابها العادية التي من جملتها سعي المكلف ومباشرته لاسباب حصولها
باختياره ومن جملتها بعثة الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالنسبة الى اهتداء من اهتدى وضلالة
من ضل فان كون الدنيا دار التكليف والكسب والاختيار يستدعي ان يجعل الحوادث مرتبطة بالاسباب
العادية وذلك من كمال الحكمة والا فلا حاجة الى توسط الاسباب في نفاذ قدرته ومشيئته تعالى وكلمة
الا التي هي

في حصول الامور الاخروية فما انكر عليه الشرع قبيح شرعا وواقع بتقدير الله تعالى ومشيته عند كسب العبد
واختياره اياه واحتج اهل السنة في بيان ان الهدى والضلال من الله تعالى بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهذا يدل على انه تعالى كان ابدا في جميع الامم آمرا بالايمان وناهيا
عن الكفر ثم قال تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي من وجبت ولزمت الضلالة
عليه للزومه الضلالة واختياره اياها يعني فمنهم من هداه الله تعالى الى الايمان واتباع الحق لاختياره
ذلك ومنهم من اضله عن الحق واعماه عن الهدى واوقعه في الكفر والضلال وهذا يدل على ان امر الله تعالى
لا يوافق ارادته بل قد يامر بالشيء ولا يريده وينهى عن الشيء ويريده وهذا مذهب اهل الحق والمعتزلة
يقولون الامر والارادة متطابقان ونحن نقول ان الامر والارادة قد يتخلفان ولفظ هذه الاية صريح
في قولنا وهو ان الامر بالايمان عام في حق الكل واما ارادة الايمان فخاصة بالبعض دون البعض
قوله يامر بعبادة الله تعالى اشارة الى ان ان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا
الله والباء المقدرة متعلقة بمحذوف منصوب المحل على انه حال من رسولا واختلف في الطاغوت قال
بعضهم كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت الشيطان والمراد من اجتنابه
اجتناب ما يدعو هو اليه مما نهي عنه شرعا كما ان المراد من قوله لا تعبدوا الشيطان النهي عن طاعته
في ارتكاب ما نهي عنه شرعا ولما كان ذلك الارتكاب بامر الشيطان ووسوسته سمي ذلك عبادة للشيطان
ثم انه تعالى لما بين ان البعثة كالغذاء الصالح يكون سببا لهداية قوم وضلال اخرين امر قريشا
بان يسيروا في الارض ويعاينوا آثار هلاك من ضل بتكذيب الرسل فيعتبروا بذلك ويعلموا ان العذاب
نازل بهم كما نزل باولئك لاجل ضلالهم وتكذيبهم كما انه قبل وقوع الحوادث بمشية الله تعالى لا ينافي كون
بعضها قبيحا شرعا ومستوجبا لان يعاقب عليه فاحذروا واعتبروا باحوال من خالف الشرع
فهلكوا ثم بين ان من حقت عليه الضلالة فانه لا يهتدي فقال تعالى ان تحرص على هداهم الآية وقرأ
الكوفيون لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال فقوله من يضل مفعول يهدي وفاعله ضمير فيه راجع
الى الجلالة والعائد فيه محذوف اي الذي يضله الله تعالى وقيل يجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي
فان هدى كما يكون متعديا يكون ايضا لازما يقال هدى الرجل اي اهتدى والمعنى انه تعالى اذا اضل
احدا لم يهتد ذلك بهداية فقوله من يضل فاعل يهدي بمعنى يهتدي والباقون لا يهدى بضم الياء
وفتح الدال على بناء المفعول ومن قائم مقام فاعله وعائده محذوف ايضا فتكون الاية نظير
قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له وقوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلال الله تعالى
اياه وهو ابلغ في نفي الهداية عنه قوله انكروا البعث مقسمين عليه وجعلوا انكاره ذريعة
الى انكار النبوة لانه عليه الصلوة والسلام انما يدعو الى طاعة الله تعالى ورعاية حدوده

٣٢٦

حدوده وتكاليفه بسبب ترغيبه في ثواب الاخرة والترهيب من عقابه الكائنين بعد البعث
فاذا بطل القول بالبعث بطل نبوة من دعا الى الاقرار به لكونه داعيا الى الباطل ثم ادعوا
البديهة في انكارهم البعث فقالوا الانسان ليس الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت
اجزاؤه وبطل ذلك المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم وفني ولم يبق له
ذات ولا حقيقة بعد فنائه فالذي يعود يجب ان يكون شيئا مغايرا للاول فلا يكون عينه واشاروا
الى ادعائهم الضرورة في ذلك الانكار بالاقسام واليمين ولم يصرحوا بتفريع بطلان القول
بالنبوة على بطلان القول بالبعث لكون تفرعه عليه جليا مستغنيا عن التصريح به قوله مصدر
مؤكد لنفسه فان وعدا في مضمون الجملة التي دل عليها بلى وتلك الجملة لا تحتمل من المصادر الا
ذلك المصدر الذي هو الوعد فقوله وعدا اكد الوعد المدلول عليه بقوله بلى يبعثهم المدلول عليه بقوله
بلى واللام في قوله ليبين متعلق بالفعل المقدر بعد حرف الايجاب اي بلى يبعثهم ليبين لهم بالبعث
الذي اختلفوا فيه مع المؤمنين وذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب اليه المؤمنون قوله يبين الارشاد
بين اولا ان البعث مقتضى الحكمة فان الحكمة تقتضي التمييز بين المحق والمبطل وبين المظلوم
والظالم بمجازاة كل احد على حسب عمله وذلك التمييز لا يكون الا بالبعث والجزاء وقد مر ان البعث
من توابع التكليف ومقتضياته ثم بين امكان البعث وان اقسامهم على نفيه وانكاره انما
نشأ من قصور نظرهم على ما اعتادوه من استمرار الميت على الموت وعدم طريان الحيوة
وعدم التفاتهم الى ما يدل على امكانه وصحته فقال تعالى انما قولنا لشيء الاية كلمة ان مكفوفة بما فقولنا
مرفوع على الابتداء وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي
اذا اردنا حدوث شيء لم يكن وسماه شيئا وان كان معدوما باعتبار تقربه الى الوجود فليس الا ان نقول
له احدث فهو يحدث عقيب ذلك من غير توقف واللام في قوله لشيء وفي له لام التبليغ كما في قولك قلت
له قم وجعلها الزجاج للسببية فيهما اي انما قلنا لاجل شيء ان نقول لاجله وليس بواضح وقرأ
الجمهور فيكون برفع النون وقرأ ابن عامر والكسائي بنصبها قال الفراء ولقراءة الرفع وجهان
الاول ان يجعل قوله ان نقول له كن كلاما تاما عبر عنه بانه سيكون كما يقال ان زيدا يكفيه ان امر
فيفعل برفع قولك فيفعل والثاني ان يجعل كلاما مبتدأ اي فهو يكون ووجه قراءة النصب ان يكون
معطوفا على ان نقول والمعنى ان نقول فيكون ويبعد كونه منصوبا على انه جواب كن لان قوله كن
وان كان على لفظ الامر فليس القصد به ههنا الامر بل المقصود بيان ان تكوين الله تعالى لا يحتاج الى
سبق المادة والمدة فان قيل قوله كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال وان كان خطابا مع
الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال والجواب انه لا قول ثمه ولا خطاب بل المقصود بيان

واذا الحدوث الفجائية اي وقت ارادتنا
ومنشطه محذوفة الجواب لدلالته
الاسمية عليه اي اذا اردنا
الجملة قلنا الان نقول له
وجود شيء فلسنا الان نقول له كن فيكون
احدث فحدث عقيب ذلك بلا توقف
انتهى كمال

سهولة خلق الاشياء عليه وانه متى اراد الشيء كان مثل الامر التكوينية للمكونات بمجرد تعلق ارادته
من غير توقف وامتناع بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع المسارع في الامتثال فعبر
عن سرعة تكوينه على الوجه المذكور بالامر المستلزم للامتثال فانه تعالى لو اراد خلق الدنيا والآخرة
بما فيهما من السموات والارض والجنة والنار وما فيهما في قدر لمحة البصر لقدر على ذلك ولكن خاطب
الخلق بما يفهمون والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي
هو اهون من الابداء بالنسبة الى عقولنا ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم
على انكار البعث والقيمة وجعلوه ذريعة الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم دل ذلك على انهم
يعادون المسلمين ويؤذونهم ابدا بلجىء طائفة منهم الى المهاجرة عن الاهل والاوطان فيتقى
الله بالهؤلاء المهاجرين من الحسنة في الدنيا والآخرة وقال تعالى والذين هاجروا في الله من
بعد ما ظلموا الآية وقوله تعالى في الله يدل على ان الهجرة اذا لم تكن لله تعالى لم يكن لها قدر واعتبار
وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد قوله مباءة حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة
حيث آواهم اهلها ونصروهم اشارة الى ان قوله تعالى حسنة صفة لمحذوف مفعول ثان ،،
لنبوئنهم لانه يتضمن معنى لنعطينهم والمباءة منزل القوم وعلى قوله او تبوءة حسنة ،،
يكون حسنة صفة لمصدر محذوف قوله اي ارسلناهم بالبينات على ان قوله بالبينات
متعلق بمحذوف جوابا لسوال مقدر كانه قيل بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر قوله
داخلا في الاستثناء مع رجالا حالا من فاعل يتعلق فان تعلقه بما ارسلنا يتصور على وجهين
احدهما ان يتعلق به غير داخل مع رجالا في الاستثناء بان يكون المستثنى المفرغ رجالا فقط
ويكون بالبينات قيدا للمستثنى منه المقدر ويكون على نية التقديم على اداة الاستثناء ويكون
التقدير وما ارسلنا جماعة من الجماعات بالبينات والزبر الا رجالا نوحي اليهم كما في قول الشاعر
نبئتهم عذبوا بالنار جارهم ولا يعذب الا الله بالنار اي لا يعذب بالنار الا الله على ما
يقتضيه سياق الكلام ومثل هذا التركيب ضعيف لان الاصل ان يذكر المستثنى منه مع جميع
ما يتعلق به بتمامه ثم يستثنى منه وفي مثل هذه الصورة قد تأخر بعض قيود المستثنى منه
عن المستثنى وثانيهما ان يتعلق الجار والمجرور بقوله تعالى وما ارسلنا حال كونه داخلا مع
المستثنى في حكم الاستثناء بان يتعدد المستثنى المفرغ ويكون التقدير ما ارسلنا جماعة
من الجماعات بشيء من الاشياء الا رجالا بالبينات والضعف الذي يتوجه على تعلقه
بما ارسلنا على الوجه الاول لا يتوجه على تعلقه به بهذا الوجه فلهذا احترز عن تعلقه به على
الوجه الاول بقوله داخلا في الاستثناء مع رجالا وكذا تقدير قولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
ما

قوله مفوضين اليه الامر بهذه الكلمة افاد معنى الحصر لا بتقدم الجار والمجرور كما ظن لان ذلك لرعاية الفواصل وظهر ايضا وجه التعبير بصيغة الاستقبال فلا حاجة الى حمله على استحضار صورة توكلهم البديعة كما قيل بل لقصد الاستمرار

ماضربت احدا بشيء من الاشياء الا زيدا بالسوط ويضعف ان يكون تقديره ماضربت
احدا بالسوط الا زيدا لما فيه من ذكر الاستثناء قبل تمام المستثنى منه بجميع قيوده والوجه الثالث
ان يكون بالبينات صفة لرجالا فيتعلق بمحذوف اي الا رجالا ملتبسين بالبينات مصاحبين
لها والوجه الرابع ان يتعلق بيوحي على انه مفعول به غير صريح له اي نوحي اليهم بالبينات كما تقول اوحي
اليه بحق والوجه الخامس ان يتعلق به ايضا على انه حال من القائم مقام فاعله وهو اليهم اي
يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والزبر ومعنى تعلقه بيوحي ح مع انه انما يتعلق بمحذوف كون نحو
هو العامل في متعلقه وقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يكون اعتراضا على جميع
الوجوه المتقدمة والمعنى على الوجه الاول فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انا ارسلنا بهم
بالبينات وعلى الثاني فاسئلوهم ان كنتم لا تعلمون انا ما ارسلنا جماعة بشيء الا رجالا بالبينات
وعلى الثالث فاسئلوهم ان كنتم لا تعلمون انا ما ارسلنا الا رجالا ملتبسين بالبينات وعلى الرابع ان
كنتم لا تعلمون ان الذين ارسلناهم يوحى اليهم بالبينات وعلى الخامس يوحى اليهم ملتبسين بالبينات
والوجه السادس ان يتعلق بقوله لا تعلمون على معنى فاسئلوهم ان لم يكن عندكم علم البينات والزبر
فان من قدر على اقامة البينات على صحة ما قلنا او كان عنده كتاب ناطق بصحته فانه يستغني عن السؤال
قوله على ان الشرط للتبكيت والالزام يعني ان الاصل في الشرط الذي تعلق به الحكم بكلمة ان ان
يكون محتمل الوقوع وقد استعملت ههنا في امر معلوم مقطوع به لان الكلام مع قريش لقول المفسرين
ان هذه الآية رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا ولا شك ان قريشا لم يكونوا من علم
البينات والزبر في شيء فالمقصود من تعليق السؤال بمثل هذا الشرط التبكيت والالزام اي لا ارتياب
في انكم غير عالمين بالبينات والزبر واستمرار عدم علمكم بها يستلزم السؤال فكيف اذا كنتم غير عالمين بها
البتة ولستم ايضا ممن يسألون عنهم لانكم تعلمون انهم لا يجيبونكم الا بما ذكرنا من انا ما ارسلنا من
قبل ارسال هذا الرسول الا رجالا نوحي اليهم فلم يبق لكم طريق سوى التسليم والاذعان وعليه قول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقرأ حفص نوحي اليهم بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح
الحاء وحمزة والكسائي يميلانها على اصلهما قوله بتوسط انزاله اليك بيان لوجه قوله تعالى ما نزل اليهم
مع ان القرآن منزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودفع لما يقال من ان كونه عليه الصلوة والسلام مبينا
لما نزل يقتضي ان يكون القرآن كله مجملا بان يكون المراد منه خفيا لا يطلع عليه ما لم يأت البيان من
قبل المجمل لان المفتقر الى البيان يكون مجملا مع ان بعض القرآن محكم والمحكم يجب ان يكون مبينا ووجه
الدفع ان القرآن المشتمل على الاحكام المتعلقة بهم لما كان منزلا الى النبي عليه الصلوة والسلام بالذات ليبلغه
اليهم ويبين احكامه لهم لم يكن البيان بمعنى بيان المجمل بل بمعنى تبليغ ما كلفوا به اليهم ولو سلم انه

بمعنى بيان المجمل فالمراد بيان ما نزل بيان ما كان مجملا منه بقرينة ان المحكمات لا تحتاج الى البيان

قوله والتبيين اعم الجواب عن تمسك نفاة القياس بهذه الآية في اثبات مذهبهم بان قالوا قد دلت هذه

الآية على ان المبين لجميع التكاليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم فعلمنا منها ان القياس ليس

بحجة لانه لو كان حجة لما فوض الى الرسول صلى الله عليه وسلم بيان جميع ما نزل اليهم لجواز ان يتبين المكلف

بعض الاحكام بطريق القياس وتقرير الجواب ان شارع جميع التكاليف والاحكام هو الله تعالى والنبي

هو المظهر لبعض منها وهو عليه الصلوة والسلام يرشد الى ما يكون طريقا لاظهاره فصار بذلك مبينا

لجميع ما نزل اليهم فان التبيين اعم من ان يبين بما هو المقصود من الاحكام او يرشد الى ما يدل عليه

ويؤيد هذا الجواب عطف قوله تعالى ولعلهم يتفكرون على قوله لتبين فان الاحكام المنصوص عليها لا

تحتاج الى التفكر ثم انه تعالى لما رد قول قريش في استبعاد ان يكون البشر رسولا من الله تعالى ونص على

ارساله عليه الصلوة والسلام ليبين للناس ما نزل اليهم شرع في تهديد ما كربه عليه الصلوة والسلام

والسيئات منصوب على انه صفة مصدر محذوف وان يخسف مفعول امن وخسوف المكان ذهابه في الارض

يقال خسف الله تعالى به الارض خسفا اي غاب به فيها هددهم الله تعالى اولا بذكر وجوها بان يأتيهم ملائكة

العذاب من جانب السماء فيهلكهم بغتة وثانيا بان يأخذهم العقوبة في اسفارهم فانهم لا يعجزون الله تعالى

بسبب ذهابهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله تعالى حيث كانوا وثالثا بان يأخذهم بالعذاب لكن لا

يأخذهم به ابتداء بل يخيفهم اولا ثم يعذبهم بعده فالله تعالى اذا اهلك قرية مما حولها تخاف التي تليها زمانا طويلا

تكون تلك الاخافة نوعا من التعذيب ثم اذا اهلكها بعد ذلك يكون ذلك الاهلاك اشد عليهم وافظع

من اهلاكهم ابتداء او بان يأخذهم جميعا بالعذاب على تنقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم بان يظهر

فيهم القتل او الموت او الغارة فيأخذ منهم شيئا فشيئا حتى يأتي الاخذ على جميعهم والحاصل انه تعالى خوفهم

بخسف في الارض او بعذاب ينزل من السماء او بآفات تحدث دفعة واحدة حال ما لا يكونون

عالمين بعلاماتها ودلائلها او بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على جميعهم قوله تخوف

الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن ورواه الجوهري ظهر النبعة بدل عود النبعة

تخوف اي تنقص منها اي من الناقة والتامك السنام القرد ما تلبد من الصوف الجوهري سحاب قرد

يركب بعضه بعضا والنبع شجر يتخذ منه القسي والسفن بالتحريك الحديدة التي ينحت بها ويطلق

على المبرد ايضا يصف ناقة اثر الرحل في سنامها وتنقص كما ينقص المبرد من العود ويقول تنقص

الرحل منها سناما مشرفا مرتفعا مكتنز اللحم يركب بعضه فوق بعض قوله رضي الله تعالى عنه لا يفعل

مجزوم على انه جواب الامر وهو عليكم لانه بمعنى الزموا اي لا يبطل الديوان ويردون لا تضلوا اي لا

تضلوا في تفسير كتاب الله تعالى وديوان فعال من دون الكتب اذا جمعها لانه قطع من القراطيس

مجوعة

وارادي جانب السماء ما لا يكون بايدي المخلوقين سواء كان من الارض كما لقوم فرعون او من السماء كما لقوم لوط وغيرهم منه

قوله بغتة من حيث عدم الشعور جانب السماء سواء اي النجاة والتقلب بالبغتة كما لقوم لوط او كان في حال النوم كما لقوم شعيب في حال اليقظة كما لقوم صالح ان التصبيحة وهذا اولى من تخصيصه بالسماء منه ذكر بالقسم الاول

عود النبعة من اضافة المسمى الى الاسم منه

وفي الكشف في الاصل السحاب النتيف المتراكم فيه غيره والقطعة سنام مائل مرتفعا منه

مجوعة ليعلموا انه لا يعجز عن ايصال ما ذكره من انواع العذاب فقال اولم يروا الآية قرأ حمزة والكسائي

اولم تروا بالتاء على الخطاب جريا على اسلوب قوله تعالى فان ربكم والباقون بالياء جريا على قوله تعالى

افامن الذين مكروا وقرأ ابو عمرو تتفيؤ بالتاء والباقون بالياء وكلمة ما في قوله تعالى ما

خلق الله موصولة مبهمة ومن شيء بيان لها فان قيل كيف يبين الموصول وهو مبهم بشيء وهو

مبهم مثله بل هو ازيد ابهاما مما قبله فالجواب ان شيئا وصف بقوله يتفيؤ ظلاله اختص بالمخلوقات

التي لها ظلال متفيئة من الجبال والاشجار والابنية ونحوها من الاجرام الكثيفة فصلح بذلك لان يكون

بيانا لما خلق الله تعالى فلما كان البيان بالحقيقة مستندا الى ما وقع صفة لشيء قال المص بيانا يتفيؤ

ظلاله وقوله تعالى يتفيؤ يتفعل من الفيء يقال فاء الظل يفيء فيئا اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس

نسخه فان ظل الارض ينبسط على وجه الارض بغروب الشمس فاذا طلعت الشمس ينسخ من الظل ما كان

في جانب المشرق من الاجرام الكثيفة الى ان ينتصف النهار فاذا مالت الشمس الى جانب المغرب يرجع الظل

الذي نسخته الشمس في جانب المشرق الى ذلك الجانب ايضا فذلك الظل يسمى فيئا فالظل اعم من الفيء حيث

يطلق الظل على ما كان قبل الزوال وبعده والفيء لا يطلق الا على ما كان بعد الزوال قال الازهري تتبعت

الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي بسبب انصراف الشمس عنه

والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس قبل الفيء والظل مترادفان يطلق كل واحد منهما على ما

كان قبل الزوال وما كان بعده واستدل عليه بقول الشاعر فسلام الاله يغدو عليهم وفيوء الفردوس

ذات الظلال فان الشاعر اطلق لفظ الفيء في هذا البيت على ما لم ينسخه الشمس لان ما في الجنة من الظل

دائم لا يحصل بعد ان كان زائلا بسبب ضوء الشمس لقوله تعالى اكلها دائم وظلها واضيف لفظ الظلال الى

ضمير مفرد لان مرجع الضمير وان كان مفردا في اللفظ وهو قوله تعالى ما خلق الله لكنه كثير في المعنى ونظيره

قوله لتستووا على ظهوره فانه اضيف الظهور الى ضمير مفرد لرجوعه الى ما هو كثير في المعنى وهو قوله

ما تركبون ثم قيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك الذي هو المشرق وشماله وهو المغرب تشبيها

لجانب المشرق لاقوى جانبي الانسان وهو جانب يمينه من حيث ان اقوى الحركات الفلكية التي هي

الحركة اليومية اخذه من المشرق الى المغرب فلذلك جعل المشرق يمين الفلك والمغرب شماله

ووجه تفيؤ الظلال من يمين الفلك الى الشمال وبالعكس ظاهر وهو ان الشمس عند طلوعها الى وقت

انتهائها الى وسط الفلك تقع الاظلال في الجانب الغربي فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب

الغربي يرجع الاظلال الى الجانب الشرقي وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الاجرام التي لها اظلال

فان اظلالها تتفيؤ من جانب يمينها الى جانب شمالها وبالعكس وعلى القولين يكون اطلاق لفظ

اليمين والشمال على جانبي الاشياء المذكورة على سبيل الاستعارة التصريحية وعلى سبيل التخييل للاستعارة

المكنية لانهما انما يطلقان على سبيل الحقيقة على جانبي الانسان والظاهر ان قوله عن اليمين
متعلق بتتفيؤ اي تتجاوز الظلال عن اليمين الى الشمائل وبالعكس والتعريف اللامي في الايمان
والشمائل بدل من التعريف الحاصل بالاضافة والمضاف اليه اما المخلوقات التي لها ظلال اي كل
واحد منها والمص اشار الى الاول بقوله عن ايمانها وشمائلها والى الثاني بقوله او عن جانبي كل واحد
منها واشار بايراد لفظ عن ايمانها بدل اللفظ المفرد الواقع في النظم القرآني الى ان لفظ
اليمين وان كان مفردا فهو اسم جنس يتناول جميع ما يتسمى به فعبر به عن الجمع لخفة المفرد كما في
قوله تعالى ويولون الدبر اي الادبار قوله لاعتبار اللفظ والمعنى فان لفظ ما خلق الله مفرد و
معناه كثير فافرد لفظ اليمين اعتبار الافراد ما اضيف هو اليه من حيث اللفظ وجمع لفظ
الشمائل اعتبار الكثرة ما خلق الله فان قوله عن اليمين والشمائل بمعنى عن يمين ما خلق الله
وشماله او سجد جمع ساجد كراكع وركع قوله وهما حالان من الضمير في ظلاله والمعنى
يتفيؤ ظلال ما خلق الله حال كون انفسهم ساجدين لله تعالى متواضعين منقادين صاغرين منقادين
لحكمه والجمهور وان كانوا لا يجوزون انتصاب الحال من المضاف اليه الا ان منهم من جوز ذلك اذا
كان المضاف جزءا من المضاف اليه نحو حلقت رأس زيد قائما او كالجزء منه كما في قوله تعالى اتبعت
ملة ابرهيم حنيفا وظل الشيء بمنزلة الجزء منه اذ هو ناشئ عنه والعامل في مثل هذا الحال معنى
الاختصاص والالتصاق المستفاد من الاضافة والعامل الواحد اذا نصب حالين
يكون الثانية بدلا من الاولى فان كان السجود بمعنى التذلل والانقياد يكون وهم داخرون بدل
الكل من الكل وان كان بمعنى الوقوع على الارض يكون بدل اشتمال لاشتمال السجود على الدخور
قوله او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله فالمعنى ظلاله
ساجدة وهم في انفسهم متواضعون صاغرون قوله او واقعة على الارض يعني جعلت الظلال
ساجدة اما لكونها منقادة لارادة الله تعالى خاضعة لتقديره وتدبيره او لكونها واقعة على الارض
ملتصقة بها على هيئة الساجد ولما كانت هيئة الاظلال شبيهة بهيئة الساجدين اطلق عليها
لفظ السجود على سبيل الاستعارة وكان الحسن يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد له
بئس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله تعالى سواء كان
ذلك الشيء ساجدا ام لا قوله عطف جبرئيل على الملائكة عليهم السلام بناء على ان اسم الدابة
يتناول الاجسام اللطيفة السماوية والدواب الكثيفة الارضية من حيث ان كل واحد من
النوعين له دبيب يليق به فيكون عطف الملائكة على المبين به من قبيل عطف الخاص
على العام اظهارا لشرفه وان جعل اسم الدابة مختصا بالحيوان الجسماني الذي يتحرك ويدب

من دابة بيان لما في الارض تقديره ... بين اليمين و ... اليمين فصل و الافراد ... لا ... الجمع لا ... السجود ... من الدواب

... الملائكة ... من الارض ... الارض ... لا في الارض ... الملائكة

ويدب وجعل الملائكة ارواحا محضة مجردة عن الدبيب والحركة الجسمانية يكون من عطف
احد المتباينين على الآخر قال صاحب الكشاف فان قلت هلا جيء بمن دون ما قلت تغليبا
للعقلاء على غيرهم والمص اجاب عنه بان استعمال كلمة ما في القبيلين حقيقة فهو اولى من
سلوك طريق التغليب الذي هو من باب المجاز وقوله تعالى وهم لا يستكبرون يجوز ان يكون استئنافا
اخبر بذلك عنهم وان يكون حالا من فاعل يسجد وقوله تعالى يخافون ربهم من باب حذف المضاف
اي يخافون عذاب ربهم ومن فوقهم صفة للمضاف المقدر اي الكائن من فوقهم ووصف العذاب بذلك
لان الكثير ما يأتي العذاب المهلك انما يأتي من فوق ويجوز ان يكون من فوقهم حالا من ربهم اي يخافون ربهم عاليا
عليهم علو الرتبة في القدر قاهرا لهم كيف يشاء ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده
واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف فلولا انهم يجوزون
من انفسهم الاقدام على الذنب لما حصل لهم الخوف واجيب عنه بوجهين الاول انه تعالى حذرهم من
العقاب حيث قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فالخوف من العقاب بتركه الذنب
والثاني ان ذلك الخوف خوف الاجلال كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله عليه الصلوة
والسلام اني لاخشاكم لله فانه يدل على انه كلما كانت معرفة الله تعالى اتم كان الخوف منه اكثر واعظم وهذا
الخوف لا يكون الا خوف الاجلال والهيبة من كمال الكبرياء قوله ذكر العدد جواب عما يقال انما يحتاج
الى ذكر العدد حيث لا يتعين العدد بدلالة المعدود عليه وذلك انما يكون اذا كان المعدود
وراء الواحد والاثنين واما نحو رجل ورجلان فانهما يدلان على الوحدة والاثنينية فلا حاجة
الى ذكر شيء زائد يدل على الوحدة والاثنينية منهما فما وجه قوله تعالى الهين اثنين انما هو اله واحد
وذكر المص لذكر العدد فائدتين الاولى الدلالة على ان الكلام مسوق للنهي عن اتخاذ الاثنين
من الالهة فان لفظ الهين حامل لمعنى الجنسية اعني الالهية ومعنى العدد اعني الاثنينية وكذا
لفظ اله حامل لمعنى الجنسية والوحدة والغرض المسوق له الكلام في الاول النهي عن اتخاذ الاثنين
من الالهة لا عن اتخاذ جنس الالهة وفي الثاني اثبات الواحد لا اثبات جنسه فوصف الهين
باثنين واله بواحد ايضاحا لهذا الغرض وتقريرا له فان حق الكلام ان يجرد لما سيق له الكلام
من الغرض وذلك قد يكون بحذف ما يخل بالغرض عرضا آخر او زيادة ما يزيل ذلك التخيل والاول كما تقول
اللباس طويل واللابس قصير اذا رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة والثاني كما نحن فيه
فانه زيد فيه لفظ واحد واثنين ليقع التمام بمعنى الوحدة والاثنينية من لفظ الموصوف بهما
اعتبارا بشأنهما ودلالة على انهما هما الغرض المسوق له الكلام فكل واحد من لفظي اثنين وواحد
وصف صناعي جيء به لبيان الغرض وتقريره لا كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير

كانه قيل بالهم لا يستكبرون فاجيب بانهم ... من عادتهم

قوله ... ان الملائكة ... الخوف ... الآية ... انهم ... الآية ... الرجال ... لا يؤمرون به ... الكريم ... الكريم ... الاربعين ...

بجناحيه حيث جعل في الارض صفة لدابة ويطير بجناحيه صفة لطائر ليدل على ان القصد
الى الجنس دون الوحدة فالآيتان تشتركان في ان الوصف فيهما للبيان وتفترقان من حيث
انه في الهين اثنين واله واحد لبيان ان القصد الى العدد دون الجنس وفي دابة في الارض
وطائر بجناحيه لبيان ان القصد الى الجنس دون العدد ثم الخطيب الدمشقي اورد هذه الآية
في باب الوصف وذكر انه للبيان والتفسير واورده السكاكي في باب عطف البيان مصرحا بانه
من قبيل التابع الذي يراد به البيان والتفسير وذهب العلامة الى ان مذهب صاحب الكشاف
ما يدل على تاكيدهما على كيف وانه لا يكون الا بتكرير لفظ المتبوع او بالفاظ محفوظة وكلا الامرين منتفيان
فيها والفائدة الثانية لذكر العدد في هذه الآية ما اشار اليه بقوله او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية ووجه
الايماء ان توصيف الهين باثنين يشعر بان علة النهي هي الاثنينية وكونها منافية للالهية ووجه المنافاة
انا لو فرضنا تعدد الواجب لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعين وما به التشارك
غير ما به المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا من جزئين وكل مركب ممكن وقد فرض ان كل واحد
منهما واجب لذاته هذا خلف ولانا لو فرضنا الهين فلا يخلو اما ان يكون كل واحد منهما علة مستقلة
لكل واحد من الممكنات الموجودة او يكون لكل واحد منهما معلول مغاير لمعلول الآخر والاول يستلزم توارد
العلتين المستقلتين على معلول شخصي والثاني يستلزم التمانع والتنازع ولانه لو حاول احدهما تحريك
جسم مثلا والآخر تسكينه فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدين
في موضع واحد او لا يحصل مراد واحد منهما فيلزم عجزهما والعاجز لا يكون الها او يحصل مراد احدهما
دون الآخر فلا يكون الآخر الها فثبت ان الاثنينية تنافي الالهية وانتظام قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين
قبله انه معطوف على قوله او لم يروا الى ما خلق الله من شيء على اسلوب قوله علفتها تبنا وماء باردا وقوله
متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا اي او لم ينظروا الى ما خلق الله من الدلائل الدالة على كمال قدرته
او لم يسمعوا الى ما قال الله وما جاء في الكتب المنزلة من بيان التوحيد ونفي الشركاء قوله ونقل
بالمقصود وهو ان الاله الذي ثبت وحدته هو متكلم هذا الكلام ليسارع الى تامل كلامه ويتفطنا
فيه من وجوه الدين والرشاد وقوله فاياي منصوب بفعل مقدر بعده يفسره هذا الظاهر اياي
ارهبوا فارهبون والواو في قوله وله ما في السموات عاطفة على قوله انما هو اله واحد وهو بعيد يجب
ان يأول الجملة المعطوفة ايضا بالمفرد لانها لما عطفت على الخبر كانت من ابعاض الخبر او يجوز كونها معطوفة
على الجملة باسرها وهي قوله انما هو اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء واستئناف فانه قد يؤتى بالواو
في اول كلام من غير ان يقصد بها عطف وتشريك قوله واصبا حال من الدين والعامل فيه الاستقرار
الذي يتعلق به الجار الواقع خبرا والواصب الدائم ما لك ولهم عذاب واصب قيل ليس من احد يدان
له

قوله فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم وتقديم ... مبالغة في الترهيب ... والتاكيد ... النفس والتخويف فاياي ان كنتم راهبين شيئا فاياي فارهبوا لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض الخ

٣٣١

له ويطاع الا انقطع ذلك الدين والطاعة بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق تعالى فان طاعته
لازمة ابدا لان علة كونه تعالى مطاعا هي تفرده بالالوهية ثابتة لازمة له ابدا فيدوم معلولها الذي هو
الطاعة والانقياد قوله وقيل واصبا من الوصب وهو التعب فيكون بناء فاعل للنسب بمعنى ذا
وصب لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد قوله وان شيء اتصل بكم من نعمة على ان ما شرطية
وفعل الشرط بعدها محذوف وقوله تعالى فمن الله جواب الشرط قال الفراء التقدير وما يكن بكم وقدر في
هذا الوجه بانه لا يحذف فعل الشرط الا بعد ان خاصة في موضعين احدهما ان يكون في باب الاشتغال
نحو وان احد من المشركين استجارك والثاني ان تكون ان مقرونة بلا النافية وان تدل على الشرط ما
تقدمه من الكلام فطلقها فلست لها بكفء والا يعل مفرقك الحسام اي والا تطلقها اضرب رأسك
بالسيف فحذف لدلالة قوله فطلقها عليه فان لم توجد لا النافية او كانت الاداة غير ان لم يجز الا
في ضرورة الشعر ويجوز ان تكون كلمة ما موصولة وبكم صلتها فهي مبتدأ وقوله فمن الله خبرها وزيدت الفاء
في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط ومن نعمة بيان للموصول والتقدير والذي استقر بكم من نعمة فهو
من الله ولما كان مضمون الصلة في مثله سببا لحصول مضمون الخبر كما في قولك الذي يأتيني فله درهم وليس
استقرار النعمة بالمخاطبين سببا لحصولها من الله بل الامر بالعكس بين المصنف ان الوجه في كون مضمون الصلة
شرطا لمضمون الخبر كون مضمونها سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه وجه ارتباط هذه الآية بما
قبلها انه تعالى بين اولا انه يجب على العاقل ان لا يتقي غير الله تعالى ثم بين في هذه الآية انه يجب عليه ان لا يشكر
احدا الا الله اذ لا منعم غيره تعالى ثم بين انه اذا اتصل لاحد مضرة توجب زوال شيء من تلك النعم فانه
لا يجار الا برفع صوته بالاستغاثة والتضرع لعلمه بانه لا مفزع للخلق الا هو فكانه تعالى قال لهم فلم
انتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة ثم بين انهم عند كشف الضر وسلامة الاحوال يتفرقون
فريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه حال الضراء لا يفزع الا الى الله وفريق منهم تتغير حالهم فيشركون
بالله تعالى غيره وهذا غاية الجهل والضلالة لانه لما شهدت فطرته الاصلية عند نزول البلاء والغربة
لا مفزع للعبد الا الله تعالى فعند زوال البلاء يجب ان لا ينحرف عن ذلك الاعتقاد ومقتضاه وهذا التوجيه
مبني على ان يكون منكم صفة لفريق ومن للتبعيض وهذا انما يكون اذا كان الخطاب في قوله تعالى وما بكم
من نعمة عاما ويكون المراد بالفريق فريق الكفرة وان كان خاصا بالمشركين يكون من للبيان
ويكون للتبعيض ويكون المراد بالفريق من اعتبر واقتصد في دين الله تعالى واستمر على ما كان عليه
حال مس الضر قوله كانهم قصدوا باشراكهم كفران النعمة اشارة الى ان اللام في قوله تعالى ليكفروا لام
العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لما كان شركهم مؤديا الى الكفران
النعمة صار الكفران كانه غرض مطلوب من الشرك فادخل عليه لام العلة تشبيها للعاقبة بالشيء

اي لا الى غيره فان تقديم الى الله على عامله يفيد الاختصاص

النفي ابعلته وقيل انها لام كي متعلقة بيشركون والمعنى ان اشراكهم بسبب كفرهم به اي بالقران
وما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام من النبوة والشرايع على ان يكون المراد بقوله بما آتيناهم القرآن
والنبوة وما يتفرع عليها قوله وقرئ فيمتعوا بضم الياء التحتانية وسكون الميم وفتح التاء مضارع
متع مبنيا للمفعول فسوف يعلمون بالياء التحتانية ايضا وهذا المضارع في هذه القراءة يجوز ان يكون
حذف النون فيه للنصب عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه لام كي او لام الصيرورة واما للنصب ايضا
ولكن على جواب الامر ان كانت اللام لام الامر الوارد للتهديد كما في قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا لكون الفاء عاطفة بل فاء جواب الامر ويجوز ان يكون حذف النون فيه للجزم عطفا على ليكفروا
ان كانت اللام فيه للامر قوله او التي لا يعلمون فالمعنى ويجعلون للآلهة التي ليس اعتقادهم في حقها
علما لانهم يعتقدون انها آلهة مع انها تنفع وتضر وان طاعتهم اياها تنفعهم واعراضهم عنها تضرهم وليس
شيء من هذه الاعتقادات علما لكونها مخالفة للواقع فصح ان يقال انهم لا يعلمونها فان من رأى شبحا
واعتقد انه انسان وهو حجر وشجر صح ان يقال انه لا يعلم ذلك الشبح مع انه يعرف ذاته ولو كان لا يعلمونها
بمعنى لا تحصل صورها في اذهانهم لفسد المعنى لانه يستحيل ان يجعل الشخص نصيبا من رزقه لمن لا يعلمه قوله او
لجهلهم معطوف على قوله اي للآلهة والمعنى ويجعلون لعدم علمهم نصيبا والمجعول له هو الآلهة وحذف للعلم
به والجعل بمعنى التصيير ونصيبا هو المفعول الاول للجعل والجار قبله هو الثاني ومما رزقناهم يجوز ان يكون
نعتا لنصيبا وان يتعلق بالجعل فمن على الاول للتبعيض وعلى الثاني للابتداء وكان مشركوا العرب
يجعلون لاوثانهم جزءا من اموالهم لقوله في حقهم انهم قالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا اي يجعلون
نصيبا من الحرث والانعام لله يتقربون به اليه ونصيبا للاصنام يتقربون به اليها وقيل المراد بهذا
النصيب البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ثم انه لما حكى عن هؤلاء المشركين قولهم الفاسد
بطريق الغيبة التفت اليهم وخاطبهم مقسما على نفسه قائلا انكم تسألون سؤال تهديد وتوبيخ عما
تقولونه على الله من انه امركم بذلك قوله ويجوز في ما يشتهون الرفع اي يجوز ان يكون قوله ولهم
ما يشتهون جملة اسمية اخبر الله انّ لهم ما يشتهون بعد ما حكى عنهم انهم يجعلون لله البنات ويجوز
ان يكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات ولهم عطفا على لله اي ويجعلون لهم ما يشتهون وهذا الوجه
يقتضي ان يكون واو ويجعلون عبارة عن المشركين وكذا الضمير المجرور في لهم عبارة عنهم ايضا وقد
تقرر في النحو انه لا يجوز اتحاد ضميري الفاعل والمفعول الا في باب ظننت واخواتها من افعال القلوب وفي
عدمتُ وفقدتُ ولا فرق بين ان يتعدى الفعل الى الضمير بنفسه او بحرف الجر فلا يجوز زيد ضربه اي ضرب
نفسه ولا زيد مرّ به اي مرّ بنفسه ويجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وعدمه اي ظن نفسه قائما و
فقد نفسه وعدمها اذا تقرر هذا فجعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدي الى اتحاد ضميري الفاعل والمفعول

الذي

اي اشراككم الاصنام التي لا يكون منها شيء من ادرار النعمة والاكشف الضر باللّه الذي كل ما بكم من النعمة منه

قوله لا الآلهة التي لا علم لها فضمير لا يعلمون لمالك ان يعلمون منزلة لا يعلمون والمفعول محذوف اللازم او المفعول محذوف لقصد العموم اي لا يعلمون شيئا

قوله او التي لا يعلمونها عطف على التي لا علم لها فضمير لا يعلمون للمشركين ومفعول محذوف هو ضميرها

قوله يقولون الملائكة بنات الله قال الامام الظاهر انهم اطلقوا بنات الله على الملائكة اي اثبتها ابنا انا استعجم ما شبهها عن العيون كذلك ورد بان الجن كذلك والاطراد خبر بعدم وجوب وبانهم لا يتوالدون بخلاف الجن والفرق ظاهر وحاصل ما قالوا ان اطلاقهم البنات عليهم ليس بحقيقة

قوله ونفي بنفيه يكون مما ترد عليه العبارة كان المراد منه ان الضمير اي الجمع مرجوح في العربية لكون الضمير مختصا بعد التضعيف والتشجيع فلا غبار التفصيل

الذي عدي اليه الفعل بحرف الجر قال الامام جاز الفراء في ما وجهين الاول ان يكون في محل النصب
على معنى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون والثاني ان يكون رفعا على الابتداء لانه تم الكلام عند قوله سبحانه
ثم ابتدأ فقال ولهم ما يشتهون يعني البنين وهو كقوله ام له البنات ولكم البنون ثم قال الاختيار
الوجه الثاني لانه لو كان في محل النصب لينبغي ان يقال ولانفسهم ما يشتهون لانك تقول جعلت لنفسك
كذا وكذا ولا تقول جعلت لك وان الزجاج اجاز الوجه الاول فقط وقال ما في موضع رفع لا غير
والتقدير ولهم الشيء الذي يشتهون ولا يجوز النصب لان العرب تقول اجعل لنفسه ما يشتهي ولا
تقول اجعل له ما يشتهي وهو يعني لنفسه انتهى ما ذكره الامام بعبارته والحاصل ان الممتنع هو اتحاد
ضمير الفاعل مع ضمير المفعول بان يكونا عبارتين عن شيء واحد لا اتحاد ضمير الفاعل مع المفعول
الذي هو اسم ظاهر بان يكونا عبارتين عن شيء واحد فلا يمتنع ان يقال زيد ضرب نفسه زيد
ولامتناع اتحاد الضمير شرط آخر وهو ان يكون كل واحد من الضميرين متصلا اذ لو كان ضمير
المفعول منفصلا جاز اتحاده مع الضمير المرفوع ذاتا نحو زيد ما ضرب الا اياه وما ضرب زيد الا
اياه والمصنف فرق بين اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير الفاعل المفعول المذكور ابتداء وبين
اتحاده مع ضمير المفعول المذكور معطوفا على المفعول المذكور ابتداء وجعل الممتنع هو الاتحاد
على الوجه الاول دون الثاني اخبر بولادتها يعني ان التبشير ههنا بمعنى الاخبار مطلقا وان كان
في عرف اللغة مختصا بالاخبار بالخبر الذي يفيد السرور والاخبار بولادة الانثى لما لم يفد
السرور حمل على مطلق الاخبار قوله صار او دام النهار كله يعني ان ظلول الشيء على صفة
قد يعبر به عن كونه عليها في تمام النهار وقد يكون بمعنى صير ورته عليها مطلقا وعلى التقديرين
يكون ظل من الافعال الناقصة ووجهه اسمها ومسودا خبرها قوله واسوداد الوجه
كناية عن الاغتمام لكون اسوداده وغبرته من لوازم الغم كما ان اشراقه واستنارته
من لوازم الفرح فان الانسان اذا قوي فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستنير وجهه
واذا قوي غمه يختنق الروح في داخل قلبه فلا يبقى منه اثر قوي في ظاهر الوجه فلا جرم يصفر
وجهه ويظهر فيه اثر الارضية والكابة والتشور النحيل يقال تشور تشورا اي خجل
تخجلا فالمناسب التشور بدل التشور ولعله سهو من قلم الناسخ قوله محدثا بنفسه اشارة
الى ان الجملة الاستفهامية معمولة لشيء محذوف هو حال من فاعل يتوارى وهو مراد من قال
انها في موضع الحال لان النحاة قد نصوا على ان الحال لا تقع جملة طلبية فالمعنى يتوارى محدثا
نفسه او متفكرا ايمسكه على هون ويذكر ضمير يمسكه ويؤنث اعتبارا بلفظ ما في قوله ما بشر به
وقوله على هون يحتمل ان يكونا حالا من الفاعل الممسك اي يمسكه ذليلا مهانا بين

ويجوز ان يكون بدلا من الضمير بعض من كل السخي في ظله بدل بعض اي ظل وجه احدهم ووجهه اي ظل وجه احدهم كذا في ابن عادل

قال النحويون الرجل في الجاهلية ان كانت اذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى عن القوم الى ان يعلم ما ولدت فان كان ذكرا ابتهج وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياما يدبر فيها ما يصنع بها وهو قوله ايمسكه على هون ام يدسه في التراب اي يخفيه بالدفن كما كان يفعل ذلك كثير من العرب زوجته ابن عادل

الناس من تشويههم اياه او المنفور انه يمسكها في ليلة مهانة والدس اخفاء الشيء والمراد به ههنا الوأد وهو دفن المولودة حيا وكانت العرب يدفنون البنات احياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء فيهن نقل عن صحيح مسلم انه عليه الصلوة والسلام قال من ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار وقال عليه الصلوة والسلام من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيمة انا وهو كهاتين وضم اصابعه اخرجهما مسلم قوله المنادية بالموت وحسن الاحتياج الى الولد لانه كونه صفة سوء فان الافراد الانسانية لو لم يتطرق عليهم الموت والفناء لما احتاجوا الى التوالد فان الحكمة في التوالد ليست الا بقاء النوع وحفظه عن الانقراض الا يرى ان الملائكة لا تتوالد لكون ذواتهم مصونة عن تطرق الفناء اليها قوله او من دابة ظالمة عطف على قوله من دابة فقط فعلى الاول التنكير في دابة للجنس وعلى هذا للنوع لما دل ظاهر الاية على ان ظلم الناس يوجب اهلاك جميع الدواب ظالمة كانت او غير ظالمة ولا وجه لاهلاك غير الظالمة منها اشار المصنف الى ان الاية على ظاهرها وان هلاك الجميع بسبب شوم ظلم الناس وتؤيده ما روي عن ابن مسعود وقيل في طريق هلاك الجميع انه تعالى يمسك المطر بشوم ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع النسل فكان لا يبقى على ظهرها دابة قط وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء وذلك يستلزم ان لا يبقى في العالم احد من الناس وذلك لانه من المعلوم انه لا احد الا وفي آبائه من يستحق العذاب فاذا هلكوا فقد انقطع نسلهم فيلزم ان لا يبقى في العالم احد من الناس وذلك يستلزم ان لا يبقى احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم واذا لم يبق من ينتفع بها فقد انتهت الحكمة في بقائها فوجب اهلاكها ووجه انتظام الاية بما قبلها انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين انه يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك قوله ولا يلزم من عموم الناس الى الجواب عن احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام بهذه الاية قائلين انه تعالى اضاف الظلم الى ما يعتبر به عن جميع اولاد آدم عليه الصلوة والسلام من الانبياء وغيرهم فلولا ان كل واحد منهم آتيا بالذنب والمعصية لما صحت اضافة المعصية الى كافة الناس وتقرير الجواب انا لا نسلم دلالة اضافة الظلم الى الناس على كونهم كلهم ظالمين لجواز ان يضاف الحكم الصادر عن بعض القوم الى كلهم نحو بنو فلان قتلوا زيدا مع ان القاتل واحد منهم فلما جاز ذلك فيما لا دلالة ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم وأجيب عنه ايضا بانه قد ثبت بالدلائل القاطعة ان كل الناس ليسوا بظالمين منها قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

بالخيرات ولو كان المقتصد والسابق ظالمين لفسد ذلك التقسيم فعلمنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لا يجوز ان يقال كل الخلق ظالمون فوجب ان يختص الناس المذكورون في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بالعصاة الذين استحقوا ان يحمل التعريف فيه على العهد والمعهود المشركون الذين تقدم ذكرهم والذين اثبتوا لله البنات وعلى التقديرين يسقط استدلال الطاعنين في عصمتهم بهذه الاية قوله والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال معطوفان على البنات فانهم كما يكرهون البنات والشركاء في رياستهم يكرهون ايضا ان يستخف رسلهم وان يخصوا بارذال الاموال وان يختص شركاؤهم في رياستهم بكرائم الاموال ثم انهم يجعلون لله تعالى جميع هذه المكروهات عندهم فانهم يسمون الملائكة بنات الله ويثبتون له شركاء في الوهية ويستخفون رسله ويجعلون له ارذال اموالهم وللاصنام اكرمها قوله مع ذلك اي مع ذلك الجعل المشتمل على القول والفعل القبيحين الجمهور على ان الكذب منصوب على انه مفعول به وان لهم الحسنى بدل منه بدل الكل من الكل اي تصف وتبين السنتهم معنى كاذبا غير مطابق للواقع وهو ان لهم الحسنى عند الله في الاخرة فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيمة اجيب بان جميعهم لم ينكروا القيمة بل كان في العرب جمع يقرون بالبعث والقيمة حتى يروى انهم كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه واجيب ايضا بان حكمهم بذلك لا يستلزم اعتقادهم بالبعث والقيمة لجواز ان يكونوا منكرين لها ويكون حكمهم بذلك بناء على الفرض والتقدير بان يقولوا ان كان محمد صلى الله عليه صادقا في البعث والنشور فانه يحصل لنا الجنة والثواب بهذا الدين الذي نحن عليه ويؤيد هذا الجواب ما حكاه تعالى عنهم بقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فان كلمة ان انما تستعمل في الامور المحتملة التي لا قطع بتحققها والاصل ان عرب اناس الكفار يدعي الاشتراك مع المؤمنين في نعيم الاخرة كما كان لهم اشتراك معهم في نعيم الدنيا لقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ومنهم من ادعى ان نعيم الاخرة لانفسهم خاصة وان النار للمؤمنين لما يرون اكثر المؤمنين على الفقر والقلة ويرون انفسهم اصحاب السعة في انواع الاموال فيحتمل ان يكون قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى واردا في حق الذين ادعوا ان الجنة لانفسهم خاصة ثم اكذبهم الله تعالى في قولهم بان لهم الحسنى فقال لا جرم ان لهم النار اي حقا ان لهم النار وقيل لا رد لقولهم اي ليس الامر كما وصفوا وزعموا جرم فعلهم اي كسب ذلك القول ان لهم النار فعلى هذا ان مع ما في حيزه في محل النصب بوقوع الكسب عليه قوله من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وهو منقول بالهمزة

من فرط الى كذا ان تقدم اليه وجعل صاحب الكشاف فعل وافعل بمعنى حيث قال فالمفتوح
بمعنى متقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته والمعنى
على قراءة نافع انهم متجاوزون الحد في معاصي الله وافرط بمعنى تجاوز الحد لازم فلا يجي منه اسم المفعول
ويقال فرطت الامر بالتشديد اذا قصرت فيه ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من
الغم بسبب جهالات القوم فقال تالله لقد ارسلنا الاية وختم تسليته بما يدل على انك لم تبعث الا لتبلغ
وتبين للناس ما هو الحق من العقايد والاعمال لا لان تلتفت الى سفاهات قومك
وجهالاتهم وتغتم لاجلها فقال وما انزلنا عليك الكتاب الاية ثم انتقل الى تقرير دلائل التوحيد وتقريرها
بها فقال والله انزل من السماء ماء الاية تنبيها على ان دلائل الوحدانية مما دعوت اليه واضحة
وان من خالفك فيها انما يخالف عنادا فلا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون قوله دلالة يعبر بها
اشارة الى ان العبرة مصدر بمعنى العبور اطلق على ما يعبر به الى العلم بما لغفلة كونه سببا للعبور فكانه
عين العبور قوله فان الانعام اسم جمع علة لقوله للفظ والمعنى يعني ان انعاما اسم مفرد بمعنى الجمع مثل
اشمال واخلاق واكباش واعشار فانها اسماء مفردة حيث يوصف بها المفرد يقال ثوب
اشمال واخلاق اذا كانت الخلوقة والشمول فيه كله خلق الثوب وشمل اي بلي وثوب اكباش وهو
يغزل غزله مرتين وفي المثل عليك بالثوب الاكباش فانه من ثياب الاكياس ويقال ايضا
برمة اعشار وقيل ذكر الضمير في بطونه مع ان الظاهر ان يقال في بطونها لرجوعه الى الانعام لكون المراد
بعضا منها وهو الاناث لان الذكر لا البان لها فكان العبرة انما هي في بعضها وقيل ذكر باعتبار ما
ذكر من في قوله تعالى مما في بطونه يجوز ان تكون للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها وفي قوله تعالى
من بين فرث لابتداء الغاية لان الاسقاء يبتدئ من المكان الواقع بين الفرث والدم ولبنا
مفعول ثان لنسقيكم ويجوز ان تكون الاولى لابتداء الغاية فتكون مجرورا الثانية بدلا من مجرور الاولى
لئلا تتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهو من بدل الاشتمال لان المكان مشتمل على ما حل
فيه ومن فتح النون في قوله تعالى نسقيكم فذلك واضح اذ يقال سقيته ماء ولبنا وكان للسنة فهو بفتح النون
ومن ضم النون جعله من قولهم اسقاه اذا جعل له شربا كقوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا اي جعلناه شربا
لكم قال الفارسي سقيته حتى روي واسقيته نهرا كذا اذا جعلته له شربا وقيل سقى واسقى كلاهما بمعنى
قوله فانه يخلق من بعض اجزاء الدم بيان لوجه كون اللبن بين الدم وقوله وهو بعض الاشياء
المأكولة بيان لوجه كونه بين الفرث والفرث سرجين الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان
قال المصنف الفرث بعض الاشياء المأكولة ثم قال الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش
ويبقى ثفله وهو الفرث قال الامام القول الصحيح في كيفية تولد اللبن ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل

ومما استكه في اي معاني سعلاته ما ذكرنا قال الفراء وهو الصواب و شعر
قال المبرد هذا فاش في القران
قول الشمس هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وكذلك وانى مرسلة اليهم بهدية ثم قال فلما جاء سليمان الشيء
ولم يقل جاءت لان المعنى جاء الشيء الذي ذكرنا
معاني الاشتقاق

وصل ذلك العلف الى معدته والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه
فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ
فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما
الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم
فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد
والضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو ابيض
فيقلب الله عز وجل الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الابيض من صورة الدم الى صورة اللبن
فاذا تقرر هذا ظهر ان الدم واللبن لا يتولدان البتة في الكرش ويشهد له الحس ايضا فان هذه الحيوانات
تذبح ذبحا متواليا وما رأى احد في كرشها لا دما ولا لبنا ولو كان تولد الدم واللبن في الكرش لوجب
ان يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير اليه فقول من قال
ان المراد من قوله تعالى من بين فرث ودم وهو ان هذه الثلثة تتولد في موضع واحد فالفرث يكون
في اسفل الكرش والدم يكون في اعلاه واللبن يكون في الوسط قول يخالف للحس والتجربة وايضا لو
تولد الدم في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء الحيوان يقيء الدم وذلك باطل قطعا فلذلك
ذهب المحققون الى ان المراد من قوله تعالى نسقيكم مما بين فرث ودم لبنا انا نسقيكم لبنا متولدا من
الاجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا فصفاها الله
تعالى عن تلك الاجزاء الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن
الطفل وانما قلنا ان مادة اللبن كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا وفيما بين الدم ثانيا على ان
اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو
الاشياء المأكولة الحاصلة في الكرش قوله ومن تدبر صنع الله الخ وبيانه من وجوه الاول انه تعالى خلق
في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق
ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب الى ان يكمل انهضامه في معدته و
ينجذب ما صفى منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه الثفل هناك فحصول
الانطباق تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتاتى الا بتقدير الحكيم العليم
والثاني انه تعالى اودع في الكبد قوة تجذب الاجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول والمشروب و
لا تجذب الاجزاء الكثيفة وخلق في الامعاء قوة تجذب تلك الاجزاء الكثيفة التي هي الثفل ولا تجذب
اللطيفة البتة ولو كان الامر بالعكس لاختلت مصلحة البدن وفسد نظام هذا التركيب
والثالث انه تعالى اودع في الكبد قوة هاضمة طباخة تنطبخ بها تلك الاجزاء اللطيفة في الكبد و

فان قيل هذه المعاني حاصلة في الحيوان الذكر فلم يحصل فيه اللبن قلنا الحكمة الالهية قد تدبر كل شيء على الوجه اللائق به الموافق لمصلحته فمزاج الذكر من كل حيوان يجب ان يكون حارا يابسا ومزاج الانثى يجب ان يكون باردا رطبا والحكمة فيه ان الولد انما يتكون في داخل بدن الانثى فوجب ان يكون بدن الانثى مختصا بمزيد الرطوبات لوجهين الاول ان الولد انما يتولد من الرطوبات غالبة على بدن الام كان بدنها قابلا للتمدد فيتسع للولد فثبت بما ذكرنا انه تعالى خص بدن الانثى من كل حيوان بمزيد الرطوبات لهذه الحكمة
ابن عادل

ثم ان اللبن حصلت فيه اجزاء ثلثة على طبايع متضادة فما فيه من الدهن يكون حارا رطبا وما فيه من المائية يكون باردا رطبا وما كان من الجبنية يكون باردا يابسا وهذه الطبايع ما كانت حاصلة في العشب الذي تناولته الشاة فظهر بهذا ان هذه الاجسام لا تزال تنقلب من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة مع انه لا يناسب بعضه بعضا ولا يشاكله بعضه وعند ذلك ان هذه الاحوال انما تحدث بتدبير فاعل مختار حكيم رحيم يدبر احوال هذا العالم على وفق مصالح العباد فتبارك المحققون اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع المختار فكذلك يدل على امكان الحشر والنشر لان العشب الذي يأكله الحيوان انما يتولد من الماء والارض فخالق العالم

وتنقلب دما ثم انه تعالى اودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة الحاصلة فيها لا يمكن الا بتدبير العليم الحكيم والرابع انه في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو اعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب على مجموع بدن المغتذي فانصباب ذلك الدم في كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للحكمة والمصلحة لا يتأتى الا بتدبير الفاعل المختار الحكيم والخامس انه تعالى جعل الثقب في المسام التي احدثها في حلمة الثدي ضيقة جدا بحيث اذا انحل المص والحلب بتلك الحكمة لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة واما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى محتبسة في الداخل فكانت حلمة الثدي بسبب ضيق المنافذ كالمصفاة فيهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا للبدن الصبي سائغا للشاربين والسادس انه تعالى الهم ذلك الصبي وهداه الى المص فان الام لما القت حلمة الثدي في فم الصبي ياخذ الصبي في الحال في مصها فلولا ان الفاعل المختار الهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص لم يحصل تخليص ذلك اللبن في الثدي فائدة الى غير ذلك من غرائب الحكم ودقائق الفضل والرحمة فسبحان من شهد جميع ذرات العالم الاعلى والاسفل بكمال قدرته وبدايع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين **قوله** والسكر مصدر سكر يسكر سكرا وسكرا سمي به الخمر تسمية للشيء باسم سببه فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض الانعام اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية قبل كونها محرمة وقيل السكر هو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رحمه الله الى حد السكر واحتج عليه بان هذه الآية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة فيلا ابا على الجبائي صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما شاخ واحتضر منه النبي العالية فقيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له قد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فيسمح بالمروءة ان شرب اصحاب الدعارة وهي الخبث والفجور فقبح في المروءة التشبه بهم يقال رجل داعر اي خبيث فاجر وفيه دعارة والكلام على حذف المضاف اي تناولته اصحاب الدعارة **قوله** والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها بطريق التعريض حيث عطف قوله ورزقا حسنا على السكر وما يكون مقابلا للرزق الحسن لا جرم يكون قبيحا وسكرونا **قوله** والا ان

ان وان كانت نازلة بعد تحريمها تكون جامعة بين العتاب والمنة بان يكون ورود قوله تعالى تتخذون منه سكرا بطريق العتاب وقوله ورزقا حسنا بطريق المنة كانه تعالى وبخهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن **قوله** وقيل الطعم اي قيل السكر الطعام واحتج عليه بقوله جعلت اعراض الكرام سكرا اي جعلت ذمتهم وغيبتهم طعاما وتنقلا النقل بالضم ما يتنقل به على الشراب وقيل هذا بالخمر اشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تخمرا باعراض الكرام جعل شتمه بغيبتهم وتمزيق اعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر وقيل السكر ما يسد الجوع اشتق السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته **قوله** يستعملون عقولهم يعني ان قوله تعالى يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل منزلة اللازم **قوله** الهمها وقذف في قلوبها ان تتخذها وقرر في نفوسها هذه الاعمال التي يعجز عنها العقلاء من البشر وان كانوا في غاية الذكاء والكياسة **قوله** وقذف عطف تفسير لقوله الهمها فان الالهام عبارة عن القاء المعنى في القلب بطريق الفيض ومعنى الالهام الهاما ان يتخذها الله تعالى مرتبا على طبايع يصدر عنها ما يصدر من الامور العزيزة من غير ان يعلمها احد كسباحة الاوز في الماء وطيران الطير في الهواء بطبعهما من غير تعلم بل بمجرد ان يخلق الله تعالى فيها ذلك من غير ان يكون منها في ذلك تفكر وسابق تدبير فدل ذلك على ان غير الذي في قلوبها ذلك كما يلقي الشيطان وسوسته ويلهم الملك بني آدم اشياء من غير ان علم احد دعاهم الى ذلك والتي في قلوبهم الا انها ما وقعت في قلوبهم من غير ان سبق منهم فكر وتدبر علم ان هناك ملقيا قال القرطبي الالهام هو ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر قال الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم وما يخلقه الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها الا ترى حذاقة النحل في صنعتها وبنائها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض فانها لو كانت مربعة بقيت منها فرج ضائعة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التي بين البيوت ضائعة والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الا بالآلات وادوات مثل المسطرة والبركار وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بما عدا الشكل المسدس من الاشكال لبقي في داخلها او فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المشتملة على الحكمة اللطيفة واخراج العسل المصفى من لعابه دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم آلها قادرا عليما حكيما يفعل ما يشاء **قوله** ولعل ذكره ذكرا ولا ان البيت ههنا مستعار لمسكن النحل تشبيها له بما يبنيه الانسان ويسكن فيه من الابنية في اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ثم قال العلامة النكتة في ذلك ان يبلا الاستعارة التنبيه على ما في المساكن من الصنايع العجيبة التي لا يقدر عليها المهندسون الا بالآلات والانظار الدقيقة **قوله** من كل ثمرة تشتهيها اشارة

الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق العرفي كما في قوله تعالى
واوتيت من كل شيء فان بلقيس لم يؤت جميع ما يطلق عليه اسم الشيء بل المراد انها اوتيت من
كل شيء اوتيه الملوك ايا ومن للتبعيض اى لا بعض كل ثمرة تشتهيها ويجوز ان تكون لابتداء الغاية
فقوله تعالى ان اتخذي من الجبال ثم قوله تعالى كلي من كل الثمرات فيه طباق وهو الجمع بين معنيين
متقابلين في الجملة حيث اورد في الاوامر التبعيضية وفي الثاني كلمة كل وفيه ارشاد لها الى جمع
الثمار من ترتيب حيث سخرنا الارض اولا لان تسوى البيت ثم تاخذ للجرس للعسل **قوله** فاسلكي ما
اكلت في مسالك التي هي اجوافك وعروقك على ان قوله تعالى فاسلكي امر من سلكت الشيء في الشيء
فاسلكي ان ادخلته فيه فدخل ومتعدو لهذا قدر قوله ما اكلت ليكون مفعولا والسبل مجاز عن مسالك
احالة الغذاء وهي الاجواف والعروق فقوله من اجوافك بيان للمسالك **قوله** او فاسلكي الطرق
على ان قوله تعالى فاسلكي لازم من السلوك والسبل مجاز والمراد سبل عمل العسل وقوله او فاسلكي
راجعة على ان فاسلكي لازم والسبل حقيقة والمراد سبل الرجوع الى البيوت فهذه ثلثة اوجه
وزاد صاحب الكشاف احتمالا رابعا وهو ان يكون المراد بالسبل سبل الذهاب الى طلب الثمار
ويكون المعنى ثم اقصدى اكل الثمار فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك الوجه في عدم التفات
المص اليه كونه مستلزما لان يكون قوله تعالى ثم كلي بمعنى ثم اقصدى اكل الثمار والفاء في فاسلكي على
هذا الوجه للعطف والتعقيب وعلى الوجوه الاخر جواب شرط محذوف اى اذا اكلت فاسلكي
قوله وانت ذللا جمع الخبر مع ان المبتدا مفرد لان الخطاب في قوله تعالى فاسلكي سبل ربك
لجنس النحل بدليل قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقد اشار اليه المص بقوله وتانيث الضمير على
المعنى يعني ان الجنس في معنى الجماعة **قوله** كانه عدل به عن خطاب النحل يعني ان مطلع الاية خطاب
النحل على طريق الامر والتكليف اظهارا لكمال قدرته ووحدانيته وتخلص منه الى خطاب
الناس وامتنانهم بما انعم عليهم بخلق النحل والهامه الطرق المؤدية الى عمل العسل لاجل
انتفاعهم والظاهر ان توجيه الامر والتكليف الى البهائم كما في هذه وفي قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم على طريق التمثيل شبه خلق الله اياها على غرائزها وطبايعها توجيها استدلا بها من
الاحوال بامرها وتكليفها فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به وان كان لا يبعد ان تكون لهذه الحيوانات
عقول تصلح بها لان يتوجه اليها من الله امر ونهي ثم انه لما كانت النحل نوعين احدهما ما
يسكن في الجبال والغياض جمع غيضة ولا يكون تحت تصرف احد من الناس وثانيهما ما
يسكن في بيوت الناس وما يعرشونه اى يبنونه ويرفعونه من سقوف البيت ويكون في تصرفهم
فالاول هو المراد بقوله تعالى اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر والثاني هو المراد بقوله

الجرس الاكل النحل ومنه الاصل صوت النحل عند الاكل ثم سمي الاكل جرسا لانها تصوت عند الاكل

ارا اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي سبل ربك راجعة الى بيوتك

الصدور الى خطاب النحل تسلية وانما الصدور الى خطاب الناس فباعتبار ان المنتفع بخروج لكم ابا الناس شراب مختلف الوانه

بقوله تعالى ومما يعرشون اى يعرشه الناس والعرش سرير الملك وعرش البيت سقفه والعرش و
العريش ما يستظل به وعرش يعرش عرشا اى بنى بناء من خشب والمراد بما يعرشه الناس ههنا
اما ما يبنونه لانفسهم من البيوت ويؤيد النحل بان تتخذ بعضا منها بيوتا تعسل فيها واما ما يبنونه
للنحل من الاماكن وهي الخلايا جمع خلية وهي بيت النحل التي تعسل فيه خلايا النحل **قوله** واحتج به
ان بقوله تعالى يخرج من بطونها اعلم انهم اختلفوا في كيفية حصول العسل فالمشهور ان النحل تاكل من
الازهار والاوراق العطرة فما اكله ينقلب في جوفها وداخل بطنها عسلا ثم تقئ ادخار الشتاء
نوع العسل ومنهم من يقول يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي فيقع على اوراق الاشجار
والازهار فقد يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة فتنعقد كالترنجبين وقد يكون الاجزاء الطلية
صغيرة لطيفة فالنحل تلتقط تلك الذرات اللطيفة من الازهار واوراق بافواهها وتتغذى
بها فاذا شبعت التقطت شيئا اخر من تلك الذرات وذهبت بها الى بيوتها كانها تدخر غذاء غذائها الشتاء
فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير من تلك الاجزاء الطلية ينعقد عسلا ومال الامام الى هذا المذهب وقال انه
اقرب الى العقل والاستقراء ومال المص الى ما هو المختار عند المحققين من الحكماء حيث قال اولا فاسلكي
ما اكلت في اجوافك التي يحيل النور المر عسلا وهو تصريح بان ما اكلته النحل انما ينقلب عسلا في اجوافها ثم
ما تقذفه الى خلاياها وهما سلانم قال من ذهب الى المذهب الاخر فقد احتاج الى تغيير البطون بالافواه
ويدل على ضعف هذا المذهب ايضا قوله تعالى ثم كلي فانه يدل على ان المعتبر في النحل تاثيرا في تكون العسل من
جعل شيئا ما ابتداء وتفسير البطون بالافواه تكلف شعري ماذا يصنع بقوله تعالى ثم كلي **قوله** اما بنفسه
كما في الامراض البلغمية او مع غيره اشارة الى جواب ما يقال من ان تعريف الناس يفيد العموم فدلت
الاية على ان العسل شفاء من كل داء مع انه يضر الصفراويين والمحرورين وتقرير الجواب ان ما
يكون علاجا للصفراويين ايضا انما يتم ويكمل بالعسل فيكون شفاء من كل داء بهذا الاعتبار ثم اجاب ثانيا
دلالة الاية على ان العسل شفاء لكل مرض لانه تعالى لم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء وفي كلامه ابراز
تنكير شفاء الدال على ان فيه بعض الشفاء وان كان جاز ان يكون التنكير فيه لتعظيم ما فيه من الشفاء ومادرحها
فتادة انما يدل على كونه شفاء في الجملة لا على كونه شفاء لكل داء لجواز ان يكون استطلاق بطن الرجل
من فضلة بلغمية فاحتاج الى شرب العسل لانضاجها ودفعها وقوله عليه الصلوة والسلام وكذب بطن
اخيك معناه ان بطنه لم ياخذ من العسل ما ينضج مادته ويصلح مزاجه الا انه ذكره في جنب قوله صدق
الله حسن ان يقال كذب بطن اخيك ردا على المشاكلة **قوله** كانما انشطت من عقال اى تخلص بما ينشط
الحبل انشط نشطا اى عقدته وانشطته اى حللته وقد يقال كانما نشط من عقال وليس بصحيح **قوله**
دقيق الضمير للقران فيتم الامتنان على الناس بخلق النحل والهامه طريق تولد العسل منه عند قوله

[illegible] بان ذكر الضمير [illegible] الى الاكل بما [illegible]

[illegible]

يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه ثم ابتداء وقال فيه شفاء للناس ان في هذا القران شفاء للناس
او يعني ان الله تعالى من احوال النحل شفاء لهم من آفة الكفر والبدعة ولم يرض المص بهذا القول لان الاكثر
في الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورات قبله وما ذلك الا قوله تعالى شراب مختلف الوانه وارجاعه الى ما لم يذكر
قبله بعيد ولان قوله عليه الصلوة والسلام في حديث قتادة صدق الله وكذب بطن اخيك يدل على انه عليه
الصلوة والسلام جعل الضمير فيه للشراب المذكور قبله ولا وجه لجعله راجعا الى القران ثم انه تعالى لما استدل
على ان هذا العالم لا بد له من آله واجب الوجود لذاته ببعض احوال النبات ثم ببعض عجائب الحيوان
اتبعه بذكر اختلاف اعمار الناس ومراتبها واختصاص كل مرتبة بحكم يخالف حكم باقي المراتب والعقلاء
ضبطوا مراتب اعمار الانسان في اربع المرتبة الاولى سن النشوء والنماء ونهايته الى ثلثين سنة
والمرتبة الثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته الى ان يتم اربعون سنة من عمره والمرتبة
الثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفي وتمامه الى ستين سنة والمرتبة الرابعة سن
الشيخوخة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشرين سنة فاختلاف احوال
البدن الحيواني بالتزايد والوقوف والانحطاط الخفي والجلي مع استواء احوال التربية والتغير الكائنين من
قبل نفسه يدل على انه تدبير الفاعل المختار قبل الارتداد الى ارذل العمر واردته مختص بالكافر لان المسلم
لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة عند الله عز وجل ان يقال في حقه انه تعالى رده الى ارذل العمر لقوله تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانه صريح في ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لا يردون الى اسفل سافلين وعن عكرمة ان من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر قوله
لبصير الى حالة اللام في هذه العبارة لام كي المفيدة للتعليل والفعل بعدها منصوب باضمار ان المصدرية
ويحتمل ان لام العاقبة والتي في نظم القران لا يجوز ان يكون لام كي لان كي بعدها مذكورة صريحا بل هي
اما لام العاقبة واما اللام التي يكون لمجرد التعليل من غير ان يعتبر بعدها ان المصدرية وكي بعدها مصدرية
ناصبة بنفسها للفعل بعدها وهي مع منصوبها في تاويل مصدر مجرور باللام المتعلقة بقوله تعالى يرد ولا
اشعار لكي بالتعليل في هذا الموضع قال ابو البقاء شيئا منصوب بالمصدر على قول البصريين وبيعلم
على قول الكوفيين انتهى يعني انه من قبيل ما تنازع فيه عاملان الا انه قد تقدمه عاملان يعلم وعلم فعلى
راي البصريين وهو المختار يكون منصوبا بعلم وعلى راي الكوفيين يكون منصوبا بيعلم وقوله
تعالى لئلا يعلم بعد علم شيئا كناية عن النسيان لان الناسي يلزمه ان يعلم شيئا ثم ينساه فلا يعلمه
بعد ما علمه وهذه صفة الاطفال والتم بالكسر الشيخ الفاني قوله فمنكم غني ومنكم فقير وليس غنى المكثر
من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه واجتهاده ولا فقر المقتر من بلادته ونقصان عقله و
قلة سعيه فانك ترى اكيس الناس واكثرهم عقلا وفهما يفني عمره في طلب القليل من الدنيا
ولا

القائل عطاء عن ابن عباس
ونصحة في الثابتة الباقية

والباء
افبنعمة الله يجحدون
لتضمين الجحد ومعنى الكفر فيجحد
ويجحدوا باء والتاء للعطف على
مقدر وهي داخلة في المعنى على
الفعل اي ايشركون به فيجحدون
نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب
اي ليس المولى يرازق رزقهم على
ما ملكتهم بل انا الذي ارزقهم و
اياهم فلا يحسبوا انهم
يعطونهم شيئا وانما هو رزقي
اجريه على ايديهم ثم جمعا في ذلك
سواء لا مزية لهم على مماليكهم
ذلك يجحدون نعمة الله تعالى
على زعم المفضلين او على فعلهم
بذلك اي فما المفضلون برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فيساووا في ذلك جميعا
مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم
ايشكرون ام يكفرون
ذلك يجحدون نعمة الله تعالى كما يجعل
علم يرده عليهم والجملة الاسمية
للدلالة على استمرارهم على عدم الرد
حكم عن ابي ذر رضي الله عنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم

ولا يتيسر له ذلك وترى اجهل الناس واخسهم عقلا ورايا يتيسر عليهم ابواب الدنيا ولو كان الغنى
منوطا بالسعي وكمال العقل لما وجد في اكمل الناس عقلا واكثرهم سعيا في تحصيل الدنيا من هو اقل
نصيبا منها ولما رأينا الاعقل الافضل سعيا اقل نصيبا من الاخس الاجهل واوفر نصيبا علمنا
ان ذلك بسبب قسمة القسام الذي يفعل ما يشاء كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة
الدنيا وروي عن الشافعي رح انه قال ومما يدل على ان القضاء والقدر حق بؤس اللبيب وطيب عيش
الاحمق وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والصحة
والسقم ونحو ذلك اسند الله تعالى تفاوت ارزاق عباده الى نفسه ويلزم منه كونه تعالى هو الرزاق للجميع
على وجه فضل بعضهم على بعض في الرزق ثم فرع عليه ان المفضلين في الرزق ليسوا برادي
مما ملكت ايمانهم شيئا من الرزق الكائن من قبلهم بل الرازق للجميع هو الله تعالى وحده لكنه اجرى رزق
المماليك على ايدي الموالي فقوله تعالى فما الذين فضلوا لازم لما قبله وقوله تعالى فهم فيه سواء في امر الرزق
وفي كون رزق الجميع من الله تعالى سواء لازم للجملة المنفية متفرع عليها او متقرر مؤكد لا يجوز
ان يكون جوابا للنفي المذكور قبله ردا للمشركين قوله وقرأ ابو بكر وقرأ الباقون بياء الغيبة
مراعاة لقوله تعالى فما الذين فضلوا وقوله تعالى فهم فيه سواء ثم انه تعالى استدل على وجود الاله العليم
القادر المختار بنوع اخر من احوال الناس فقال مخاطبا للكل والله جعل لكم اي انه تعالى خلق النساء
ليتزوج بهن الذكور وجعل ازواجهم من جنسهم ليستأنسوا بهن ومن جعل خطاب الجمع في قوله جعل
لكم من انفسكم للتعظيم حمله على خلق حواء من نفس آدم فقد ارتكب خلاف الظاهر من غير ضرورة قوله
فان الحافد هو المسرع في الخدمة يعني ان الحفدة وان كانت اعم من البنات والعام لا دلالة له على الخاص
الا ان البنات لكونها اكمل افرادها يتبادر الذهن من لفظ الحفدة اليها عند الاطلاق قال الواحدي
اصل الحفدة من الحفد وهو الخفة في الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفدا وحفودا اذا اسرع ومنه
ما في دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد فالحفدة جمع الحافد والحافد كل من يحفد في خدمتك ويسرع
في العمل بطاعتك فمعنى الحفدة في اللغة الاعوان والخدم ثم يجب ان يكون المراد من الحفدة الاعوان
الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فالاعوان
الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية فلذلك قيل هم الربائب وقيل هم الاصهار و
قيل ولد الولد والاولى دخول الكل فيه لما تبين ان اللفظ يحتمل الكل من حيث كونه موضوعا
للقدر المشترك بين الكل ثم انه تعالى لما ذكر انعامه على عبيده بالمنكوح وما فيه من المنافع والمصالح
ذكر انعامه عليهم بطيبات النعم نباتية كانت او حيوانية فقال ورزقكم من الطيبات ثم قال
افبالباطل يؤمنون والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والفاء للدلالة على ان صدور ما اسند اليهم

من القبائح عنهم بعد تقرر ما ذكر قبلها اشد قباحة وضلالة والمراد بالباطل اعتقاد ان الاصنام
تنفعهم او اعتقاد ان من الطيبات ما حرم عليهم وكذا الكلام في قوله تعالى افبنعمة الله يجحدون والمراد
بنعمة الله ما انعم به على جميع عباده من الرزق وسوى فيه بين الموالي والمماليك وجحودها اضافة
بعضها الى الشركاء وانكار كونه من الله او ما انعم به عليهم من ايضاح الدلائل الدالة على تفرده
تعالى بالالوهية وتنزهه عن الشركاء والانداد وجحوده عدم الالتفات الى تلك الدلائل وتركه
التامل فيها بالانهماك في تقليد الآباء الضالين بين تعالى انه هو الرزاق لجميع عباده من
الموالي والمماليك ثم فرع عليه توبيخ المشركين على اتخاذهم الشركاء وانكر عليهم بقوله تعالى
افبنعمة الله يجحدون باضافة بعض ما رزقه الله لكم الى تلك الشركاء او جحود انه من عند الله او
اوضح لهم دلائل الحق ثم وبخ عليهم لعدم التفاتهم اليها واعتبارهم بها الى الحق ثم فصل لهم بعض
ما انعم به عليهم فذكر اولا انعامه بالمنكوح وما يتفرع عليه من المنافع ثم ذكر انعامه عليهم
بلذايذ النعم اوجلها لانها ثم اعاد التوبيخ على المشركين فيما هم عليه من الاعتقاد الباطل والكفر
الزائغ وقدم المعمول على عامله في الموضعين ولا يصار اليه الا لنكتة ومن ههنا اما الاهتمام و
وجهه ان الغرض الذي سيق له الكلام في الاول ليس انكار نفس الجحود بل الغرض انكار كون متعلق
الجحود نعمة الله تعالى فكان محل الاهتمام هو المعمول فقدم لذلك واما ايهام التخصيص مبالغة فان تقديم
المعمول يفيد الحصر والتخصيص فكانه قيل افلا يجحدون الا نعمة الله وافلا يؤمنون الا بالباطل
ولما لم يستقم ارادة حقيقة التخصيص كان ايراد ما يفيد التخصيص لايهامه لا ليدل على التخصيص
حقيقة ولما كان نسبة جحود نعمة الله اليهم كافيا في توبيخهم كان نسبة تخصيص الجحود بها اليهم
ابلغ في التوبيخ وكذا نسبة الايمان بالباطل كاف في التوبيخ فكان نسبة ذلك اليهم بطريق يفيد
التخصيص ابلغ فيه قوله وبنعمة الله هم يكفرون داخل في حيز الاستفهام الانكاري وبعضهم من تقرير
المصان قوله تعالى ويعبدون من دون الله معطوف على قوله يكفرون بيانا وتفسيرا لكفرهم بنعمة الله
لتقوله فان اتخاذ الشركاء يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله
قوله ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به على معنى لا يملك ان يرزق شيئا وان كان بمعنى المرزوق
المنتفع به كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ولا كثيرا الرزق ما ينتفع به والجمع الارزاق والرزق العطاء
وهو مصدر قولك رزقه تعالى ومن السموات والارض متعلق بقوله رزقا ان كان مصدرا والمعنى لا يملك
لهم ان يرزق من جانب السماء المطر ومن جانب الارض النبات والثمار التي تخرج منها او متعلق
بمحذوف هو صفة لرزقا ان كان اسما لما يرزق قوله ولا يستطيعون ان يتملكوه الجواب عما يقال ليس
ان قوله ولا يستطيعون فعل متعد يستدعي مفعولا تقديره ولا يستطيعونه ومعناه بعينه معنى قوله لا

٢٤٧

لا يملك لهم رزقا فلزم عطف الشيء على نفسه وتقرير الجواب انا لا نسلم ان لا يستطيعون يستدعي تقدير
ضمير يرجع الى الرزق بل اجري مجرى اللازم كقولك فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فالمعنى
انهم لا يملكون رزقا وليس لهم استطاعة اصلا سلمنا انه يستدعي ذلك لكن لا نسلم ان ذلك الضمير
يرجع الى الرزق بل هو راجع الى ملك الرزق والمعنى انهم لا يقدرون على ملك الرزق فضلا عن ان يملكوه
بالفعل قوله فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسون عليه يعني ان المقصود نهيهم عن الاشراك
بتفريعه على قوله ويعبدون من دون الله فانه تعالى لما وصف المشركين بانهم يعبدون ما لا يملك شيئا من
الرزق ولا استطاعة لهم اصلا فرع على ذلك نهيهم عن ان تجعلوا له مثلا يشركونه به تعالى في الالوهية
او يقيسون تعظيمه على تعظيم ذلك المثل بان يقولوا الملك مثل الله تعالى في استحقاق التعظيم فكما ان عبادة عبيد الملك
ادخل في تعظيمه من عبادة نفسه بالذات لكذلك عبادة عبيد الله تعالى من الملائكة والاصنام ادخل في
تعظيمه تعالى بالنسبة الى عبادته بالذات فالمثل على الاول ما يعبدونه من الشركاء وعلى الثاني ما يقيسونه
تعالى به مما يعظم شانه عندهم قوله فساد ما تعولون عليه اي تعتمدون عليه في ان تجعلوا له مثلا ومن القبيل
ببيان ما قوله وجعل قسيما اي توصيفا العبد بانه مملوك لا يقدر على شيء ثم جعله قسيما للعبد ومن رزقناه
الحر يدل على ان المملوكية منافي المالكية فان الفقهاء احتجوا بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيئا ووجه
دلالتها عليه انه ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف
علة لذلك الحكم وكونه عبدا مملوكا وصف مشعر بالذل والمقهورية وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور عقيبه
فهذا يقتضي ان تكون العلة لعدم القدرة على شيء هو كونه عبدا مملوكا فثبت ان العبد لا يملك شيئا فان
يكن الاية تدل على ما ذكر من وجه آخر وهو تعالى قال بعد ذكر العبد ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فوجب ان لا يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثاني والاول فانه لو ملك العبد لكان
الله تعالى قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فلا يكون احد القسمين
للاخر قوله وقيل هو تمثيل للكافر المخذول فالمعنى على الاول لا يستوي عندكم العبد المملوك العاجز عن التصرف
بالحر المالك الذي قد رزقه الله المال فهو يتصرف فيه وينفق كيف يشاء فكيف يستوي من يملك الانفاق و
الانعام على التوالي والدوام وهو المعبود الحق بمن لا يملك شيئا من ذلك وهو المعبود الباطل وعلى الثاني
لا يستوي عندكم العبد والحر المذكورين فكيف يستوي المؤمن الموفق للطاعات والخيرات والاعمال الحجة
يجهر بها المؤمن ويخفيها في بيته والكافر المخذول الذي حرمه التوفيق فهو لا يحصل منه عمل صالح ولا يوفق
لباب من ابواب الطاعة والانفاق قد يعبر به عن العمل الصالح حتى ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الى ان المعنى حتى تعملوا الطاعة فان العامل المطيع ينفق قواه و
جوارحه ابتغاء لوجه الله تعالى والانفاق سرا وجهرا اتيان بما يجهر به من الاعمال كالصلوات المفروضة

وقال الامام مالك ان العبد يملك الا انه [illegible] بانه على المفعولية الا ان الى العبد
والسلام اضاف المال الى العبد في قوله عليه الصلاة والسلام من
ابتاع عبدا قال الله باعه الا ان يشترط المبتاع
الا ان يقول المشتري [illegible] في التجارة وقال
ابو حنيفة لا يملك العبد شيئا لقوله عليه الصلاة والسلام العبد لا
يملك الا الطلاق ويحمل الاضافة في الحديث المذكور على الاختصاص
كما في جل الفرس

مع رده على انه لا يملك اصلا وذلك
المملوك لا يقدر بمقابلته بنفعه
ولو قدر لا يقدر على بقاء القدرة
يكون وجها فقد يملكوا بمقابلة و
على التصرف وقد رجلكم ومقابلة التصرف لا
من رزقناه فيكون الاول لا يكون الا ان رزقناه
والاول فلا مقابلة

والحج والجهاد والاعمال التي تنفع للناس وانبات ما يحتاج من الاعمال كالنوافل التي يفعلها المرء في بيته والاعمال القلبية ثم انه تعالى لما بين امتناع المساواة بين العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء وبين الحر الكريم الغني على الاطلاق عقبه بقوله تعالى الحمد لله للدلالة على انه تعالى هو الغني المطلق القادر على الانعام والافضال وان من يعبد الاصنام التي لا يملك ولا يقدر على شيء البتة في غاية الجهالة والضلالة قوله اينما يوجهه لا يأت بخير بجزم على انهما شرط وجزاؤه وقرئ اينما توجه بالتاء الواحدة الساكنة وبناء الفعل للمفعول وقرئ يوجه بالياء الواحدة الساكنة وكسر الجيم وفاعله ضمير الابكم فيكون يوجه لازما بمعنى يتوجه يقال وجه وتوجه بمعنى مثل قدم بمعنى تقدم وقد اشتهر ان المقدمة بمعنى المتقدمة قولهم اينما اوجه الق سعدا مثل يضرب لمن يتلقى الشر اينما يتوجه وكان اصله ان رجلا اسمه ضبط كان سيد قومه فاصابه منهم جفوة فارتحل عنهم الى اخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل صنيع قومه فقال اوجه الق سعدا وسعد كان رجلا شريرا والنجح والنجاح الظفر بالحوائج وفي الكلام حذف ما يقابل قوله احدهما ابكم كأنه قيل والآخر ناطق متصرف قادر على الصنائع والتدابير لكمال عقله وسلامة اعضائه وهو خفيف على مولاه لا ينجز التعب الموذية من قبله اصلا اينما توجهه يأت بخير ونجح ودل عليه قوله تعالى هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وقوله تعالى ومن يأمر مرفوع معطوف على الضمير المرفوع في يستوي وسوغه الفصل بالضمير المنفصل وقوله تعالى وهو على صراط مستقيم اما استئناف او حال قوله وانا قابل تلك الصفات الاربع وهي انه ابكم وانه عاجز لا يقدر على شيء وانه كل ثقيل على مولاه وان مولاه اينما يرسله لا يأت بخير وهي صفات الاصنام لانها لا تسمع ولا تنطق وانها عاجزة لا تقدر على شيء وانها كل على عابدها تحتاج الى ان يحملها ويضعها ويمسح عنها ما وقع عليها من الاذى ويحرسها واني اتى مهم يوجهها عابدها لا تأت بخير قابل الله تعالى تلك الصفات الاربع بهذين الوصفين وهما كونه آمرا بالعدل وكونه في نفسه على صراط مستقيم لانهما كما رأيت يقابلان تلك الصفات الاربع لان كونه آمرا يتضمن كونه ذا فهم منطيقا قادرا على كفاية الناس وارشادهم الى ما فيه صلاح حالهم في الدارين بحثهم على العدل الشامل الجامع للفضائل وكونه على صراط مستقيم وسيرة صالحة حسنة يتضمن كونه يحث الى ان يطلب يتوجه ببلغه ويظفر باقرب سعي فالرجل الموصوف بتلك الصفات الاربع اذا لم يكن مساويا في الفضل والشرف لمن اتصف بهذين الوصفين مع استوائهما في الخلقة والصورة و البشرية فلان يحكم بان الجماد لا يكون مساويا لرب العالمين في المعبودية كان اولى او فلان لا يكون الكافر مساويا للمؤمن كان اولى بين الله تعالى بضرب المثلين ان الذي لا ينطق بالحق ولا يأمر بالعدل ليس كالذي يأمر بالعدل مع كونه في نفسه متصفا بالعدل متباعدا عن الظلم والجور وبين في المثل الاول ان الذي لا يملك الانفاق ليس كالذي يملكه قوله يختص به علمه وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها

انه

انه مثل نفسه بالذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لا يكون كذلك الا اذا كان كاملا في العلم والقدرة فبين بقوله تعالى ولله غيب السموات والارض كونه كاملا في العلم وبين كمال قدرته بقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيمة سميت ساعة لانها تفجأ الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله تعالى او هو اقرب ليس المراد منه الشك بل المراد هو اقرب اضرابا عن تشبيه امر قيام الساعة في السرعة برجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها لا شك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء لا تتجزى ولمح البصر عبارة عن مرور الجفن على جملة تلك الاجزاء التي منها تركب الحدقة فيكون الزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركبا من آنات وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيمة في زمان واحد من تلك الازمان فلذلك اضرب عن التشبيه الاول الى الحكم بانه اقرب تنبيها على ذلك وقال الزجاج المراد الابهام على المخاطبين انه تعالى يأتي بالساعة في زمان لمح البصر او فيما هو اقل منه لان المراد من تشبيه قيامها بامر لمح البصر تشبيه زمان الاول بزمان الثاني وهذا هو الذي اراد المص بقوله واو للتخيير لانه تعالى لما ابهم الامر عليهم فقد خيرهم بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود من الاية تسهيل وقوعها وقيامها وعلى ما ذكره بقوله وقيل معناه يكون المقصود تقريب وقوعها وان كان بعيدا بالنسبة الينا قوله والهاء مزيدة يعني ان اصل امهاتكم اماتكم الا انه زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق اصله اراق وقوله تعالى لا تعلمون شيئا حال من مفعول اخرجكم اي اخرجكم غير عالمين وقوله شيئا منصوب اما على المصدرية اي شيئا من العلم وعلى انه مفعول به والعلم ههنا بمعنى العرفان فيتعدى الى واحد قوله مستصحبين جهل الجمادية اي الجهل الذي هو عدم العلم عما من شأنه ان يكون عالما لان الجنين حال خروجه من بطن امه في حكم الجماد لخلوه عن العلوم الاولية رأسا فضلا عن العلوم النظرية المكتسبة بترتيب العلوم الاولية فان النفس في مبدأ الفطرة كانت خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس ظاهرة وباطنة توسلت بها الى ان ترتسم فيها ماهيات المحسوسات وتنتبه لما بينها من المشاركات والمباينات وان كانت تنتزع منها صورا كلية تصورية تتمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب المجهولات التصورية وتتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك الصور التصورية مع بعض من ايقاع تلك النسبة وانتزاعها ادراك انها واقعة او ليست بواقعة كادراك ان الكل اعظم من الجزء ومثل هذه الادراكات علوم تصديقية تتمكن النفس بترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات التصديقية فظهر ان السبب الاول لحدوث العلوم في النفس هو انه تعالى اعطى هذه الحواس واليه اشار تعالى بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليحصل لكم اسباب الانتقال لنفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق المذكور فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم ويفهم منه

ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطن وليس كذلك فالجواب ان حرف الواو لا يقتضي
الترتيب وايضا اذا جعلنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا جعلنا
قوله وجعل معطوفا على اخرجكم فيكون داخلا فيما اخبر به عن المبتدأ ويجوز ان يكون مستأنفا كما قال
البغوي تم الكلام عند قوله لا تعلمون شيئا ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع الاية لان الله جعل هذه
الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات قوله والاسباب المواتية اي الموافقة للطيران
يقال آتيته على ذلك الامر مواتاة اذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته قال الامام هذا دليل على كمال
قدرته فانه لولا انه تعالى خلق الطير خلقة يمكنه بها الطيران فيه لما امكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا
يبسطه مرة ويكسره اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها
خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا قوله وقرأ الحجازيان وهما نافع وابن كثير
والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يوم ظعنكم بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان
كالشعر والشعر والنهر والنهر واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين احدهما
البيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر والالات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة
بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي ما تسكنون فيه والجعل بمعنى الخلق فيتعدى الى واحد وهو
سكنا ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا قدم عليه لكونه نكرة ويجوز ان يكون بمعنى
التصيير فيكون سكنا مفعولا اول واحد الجارين قبله مفعولا ثانيا والقسم الثاني من البيت القباب
والخيام والفساطيط واليها الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها وهذا
القسم من البيوت يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان والظعن في الاصل سير البادية لنجعة او
حضور ماء او طلب مرتع وقد يطلق الظاعن على كل خارج لسفر والسكن المسكن والاثاث القرار
جار الشتاء والا احد سكنا باديه كونه نفسه من حجر الغرابيص والبيت ما يأوي الانسان اليه
ليلا لبيتوتته فيه وجعل السكن بعضا من البيوت يدل على ان السكون المعتبر في السكن بمعنى الاقامة
التي هي ضد السفر ويؤيده ان المصنف فسر السكن بقوله موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم فكان
هذا قرينة على ان المراد بالسكن البيت المتخذ من الحجر والمدر والخشب قال المفسرون الاثاث
انواع متاع البيت من الفرش والاكسية من قولهم شعر اثيث اي كثير واث النبت يئث اثا اذا
كثر والتف ولا واحد للاثاث واحدها اثاثة وعطف المتاع على الاثاث لا يقتضي المغايرة بينهما لا
ان المصنف اراد الفرق بينهما بان حمل المتاع على ما يتجر به والاثاث على ما لا يقصد به التجارة بل
يقصد به الخدمة من الاكل والشرب والتغطي والاستفراش وقوله اثاثا الظاهر انه منصوب عطفا على بيوتا
اي وجعل لكم من اصوافها اثاثا فيكون قد عطف المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب قوله
والسرابيل

النجعة بالضم طلب الكلاء في موضعه وقد يطلق على طلب كل ما يستفاد منه من الطعام

الغرابيص حفر صغار يسكن فيها الانسان من البرد الواحد غربوص

قوله والسرابيل جمع كل ما يلبس سواء كان لبسه للتوقي عن الحر والبرد او عن الشدة في
الحرب ولا يختص بالازار بدليل انه تعالى جعل ما يتقي عن شدة الطعن والضرب والرمي من قبيل السرابيل
قوله وقرئ تسلمون بفتح التاء واللام مضارع سلم وهو مناسب لقوله تقيكم بأسكم فان المراد
الدروع الملبوسة في الحروب الا ان المصنف لم يرض بكونه مربوطا به واختار كونه مربوطا بقوله تعالى
كذلك يتم نعمته عليكم كانه مرتبط به على قراءة العامة قوله وهذا من اقامة السبب مقام المسبب
يعني ان ما هو جواب للشرط حقيقة محذوف وهو فانت معذور وما كان تبليغه عليه الصلاة والسلام
سببا لكونه معذورا اقيم هذا السبب مقام المسبب وجعل جواب الشرط وقوله تعالى يعرفون نعمة
الله استئناف لبيان حالهم وتوليهم عن الايمان وذمهم بانهم يعرفون جميع ما انعم الله عليهم من النعم
المذكورة في هذه السورة وغيرها ويعترفون بان جميعها من الله ثم ينكرونها بان يقولوا رزقنا الله
ايا ها بشفاعة آلهتنا فينكرونها والتولي عن الايمان بهذا الطريق لما لم يستلزم مجاهرة الكفر عنادا
لجواز ان لا يعلم المتولي المذكور بطلان اعتقاد ان ما انعم الله عليه انما هو بشفاعة الالهة قال
واكثرهم الكافرون ترقيا في ذمهم بمعنى انهم مع كونهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يكفرون جهرا عنادا
فلا بد ان يقال ضمير اكثرهم يرجع الى الذين تولوا عن الايمان حال كونهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
وهم كلهم كافرون فما معنى قوله واكثرهم الكافرون لانه لما حمل الكافر على الجاحد المعاند خرج من
تولى جاهلا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم عنه لكونه غير معاند ولانه كثيرا ما يراد الجميع بلفظ
الاكثر كما في قوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ثم انه تعالى لما ذكر الذين تولوا عن الايمان ووصفهم بما
وصفهم اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيمة فقال ويوم نبعث اي اذكر يوم نبعث قوله يُحْبَوْنَ اي
يبتلون الحبوة ... ومنه اذا ابتليته قوله ولا هم يستعتبون هو من الارضاء لا من الرضاء
اي لا يطلبون الارضاء على ان الاستعتاب طلب العتبى وهو اسم بمعنى الاعتاب الذي هو ازالة العتب
فقوله تعالى ولا هم يستعتبون معناه لا يطلب منهم الاعتاب اي ازالة عتاب ربهم وغضبه بان يتوبوا
وينزجروا عما هم عليه من الكفر والمعاصي لان الآخرة ليست بدار تكليف وعمل وانما يطلب ذلك
منهم في الدنيا وفي الصحاح يقال استعتبني فلان اي عاد الى مسرتي راجعا عن الاساءة فظهر بما ذكرنا
ان تفسير الاستعتاب بالاسترضاء وتفسير الاعتاب بالارضاء تفسير باللازم قوله
وكذا قوله تعالى واذا رأى الذين ظلموا يعني انه ايضا منصوب بمحذوف اي اذكر اذ رأوا ووقعوا فيها وقعوا
ويحيق بهم ما يحيق والفاء في قوله تعالى فلا يخفف استئناف جواب اذا لان جواب اذا متى كان مضارعا
لا يكون مصدرا بالفاء سواء كان موجبا كما في قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف او
منفيا نحو اذا جاء زيد لا يكرمك وانما يصدر بالفاء اذا كان جملة اسمية نحو اذا جاء في زيد فانا

اكرم وتقدير المبتدا في الآية بان يجعل تقديرها فهو لا يخفف خلاف الظاهر قوله الذين ظلموا اظهر
وضع موقع المضمر للاشعار بان العذاب لا يخفف عنهم بسبب ظلمهم قال الامام تحقيق هذه الآية ما يقوله
المتكلمون من العذاب يجب ان يكون خالصا عن شوائب النفع وهو المراد من قوله لا يخفف عنهم
العذاب ويجب ان يكون دائما وهو المراد من قوله ولا هم ينظرون **قوله** ونادوا انهم الذين دعوها شركاء
اي المشركون الاصنام لان الله تعالى يبعثها لفائدتين الاولى ان يشاهدها المشركون في غاية الذل
والحقارة والثانية ان تكذب تلك الاصنام المشركين في قولهم انها شركاء الله في استحقاق
العبادة وكل واحد منهما مما يوجب الغم والحسرة في قلوبهم ومن قال ان المراد بالشركاء الشياطين
الذين دعوا الكفار الى الكفر انما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن اولئك الشركاء انهم القوا الى
الذين اشركوا انكم لكاذبون والاصنام جمادات فلا يصح منهم هذا القول فوجب ان يكون المراد من
الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول ودليله هذا ضعيف لانه قادر على ان يخلق
الحياة والعقل في تلك الاصنام فيصح منها هذا القول **قوله** وهذا اعتراف جواب عما يقال ما الفائدة
في قول المشركين ربنا هؤلاء شركاؤنا مع ان فائدة الخبر ولازمها كلاهما معلومان لله تعالى وتقرير الجواب
الاول ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا
بانهم كانوا مخطئين في عبادتها وتقرير الثاني ان المشركين انما قالوا ذلك احالة لهذا الذنب على تلك
الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله تعالى او ينقص من عذابهم بان يحمل شطر منه على الاصنام
وهو قوله تعالى فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون في قولكم في حقنا انهم شركاء الله في المعبودية او في
استحقاق العبادة او في انهم حملوا المشركين على الكفر قوله الذين كفروا مبتدا وزدناهم خبره
لما ذكر الله تعالى وعيد الذين كفروا اتبعه بوعيد من ضم الى كفره صد الغير عن سبيل الله فان رؤساء
الكفرة وقادتهم ضلوا بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهم العذاب الدائم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب
باضلالهم غيرهم ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصي فقال ويوم نبعث
اي اذكر يا محمد يوم نبعث في كل جماعة نبيا يشهد عليهم بكذب وعصى وقوله وجئنا بك شهيدا
تخصيص بعد التعميم كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح **قوله** تبيانا بليغا
اشارة الى ان التبيان اسم في معنى البيان كالتلقاء في معنى اللقاء كما نقل عن الزجاج الا انه روى ثعلب
عن الكوفيين والمبرد عن البصريين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفعال الا حرفان تبيان وتلقاء
فعلى هذا يجب ان يكون المصادر التي تكون على تفعال كلها مفتوح التاء كالتسيار والتذكار والتكرار والتهذار والزلزال
والتلعاب وان يكون ما هو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء اسماء نحو التمساح والتمثال قوله بليغا
اشارة الى ان صيغة تفعال سواء كانت مفتوح التاء او مكسورها اذا كانت مصدرا او اسما بمعنى المصدر يكون

لانه تعالى لما بعث في كل امة رسولا يعنيهم الرسول رسالة الله تعالى فان عذر المتعصب لم يبق للمكلفين في ارتكاب الاضلال الله تعالى واس انه الا اضلا تعجب

يكون من ابنية المبالغة وتكرير الفعل كالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكر والذكر واللعب قال
المفسرون القرآن تبيان لكل شيء يحتاج اليه من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام وقال
نفاة القياس دلت هذه الآية على ان القرآن تبيان لكل شيء اي لكل شيء من العلوم الدينية لان غير
ذلك لا التفات اليه وعلوم الدين اما اصول واما فروع فاما علم الاصول فهو بتمامه موجود في القرآن و
اما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب وذلك يدل على انه لا
تكليف من الله تعالى الا ما ورد في القرآن واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وافيا
ببيان كل الاحكام واما الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبيانا لكل شيء لانه دل على ان الاجماع
حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد فضلا عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام
باحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرآن روي عن علي رضي الله عنه انه قال كل شيء علمه في القرآن الا ان
آراء الرجال تعجز عنه فبعضه مبين فيه بان نص عليه صريحا وبعضه مبين على وجه الاجمال بالاحالة
على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم او اجماع المسلمين او القياس على ما نص عليه
للاشتراك في علة الحكم ثم انه تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب اتبعه
بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وهي اجمع آية لوجوه ارشاد المكلفين وهدايتهم الى
ما فيه صلاح حالهم في الدارين امر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة اشياء وهي العدل والاحسان وايتاء ذي
القربى ونهى عن ثلاثة اشياء وهي الفحشاء والمنكر والبغي اما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط بين
طرفي الافراط والتفريط ورعاية العدل واجبة في جميع الاشياء لان الاشياء ما يتعلق بالاعتقاد ومنها ما يتعلق
باعمال الجوارح ومنها ما يتعلق بالاخلاق النفسانية واجل وجوه العدل اعتقاد الاعتقاد بوحدة
الاله فان نفي الاله تعطيل محض واثبات الاكثر من اله تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل هو
اثبات الاله الواحد واعتقاد انه لا اله الا الله وايضا الاعتقاد بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر
محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة انه تعالى يخلق فيه قدرة كافية
تدعوه الى الفعل والقدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى والعدل فيما يتعلق باعمال الجوارح كالتعبد
باداء الواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب فان قوما من اهل البطالة ومن نفاة التكاليف
يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا يجب عليه الاحتراز عن شيء من المعاصي
وليس لله تعالى عليه تكليف وقال قوم من الهند ومن المانوية انه يجب على الانسان ان يجتنب عن كل
الطيبات وان يبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى ان المانوية يخصون
انفسهم او ينزعون خصيتهم ويحترزون عن التزوج وعن اكل الطعام الطيب والهند يحرقون
انفسهم ويرمون انفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والعدل الوسط هو هذا

الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الزيادة على العدل في باب العمل بحسب الكمية قد يكون
احسانا في نفسه اذا كانت على الوجه الذي استحسنه الشرع وندب اليه كالتطوع بالنوافل بعد اداء
الواجبات وقد يكون اساءة اذا كانت على خلاف الوجه المشروع وكذا الزيادة بحسب الكيفية وهي الجودة
والمبالغة في اداء الطاعات بحسب الكيفية هو الاحسان بهذا المعنى يدخل فيه التعظيم لامر الله و
الشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله اقسام كثيرة اشرفها واجلها
صلة الرحم فقوله وايتاء ذي القربى من قبيل التخصيص بعد التعميم ايذانا بشرف الخاص وبالمبالغة
في الحث عليه قوله عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية اعلم انه اودع في النفس البشرية
قوى اربعة وهي الشهوانية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية
والثلث هي المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها بخلاف القوة الرابعة اعني القوة العقلية الملكية
فان الشيطان لا يغوي الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بينها وبين الغرور الشيطانية فلا وجه
لان يتوسل الشيطان بها الى اغواء بني ادم بخلاف القوى الثلث الاول فانها مبدأ الشرور والقبائح
وداعية اليها فان الفحشاء اثر القوة الشهوانية والمنكر اثر الغضب والبغي اثر القوة الوهمية فان
القوة الشهوانية انما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية والذي خرجت منها عن الحد المأذون فيه
شرعا هي المسماة بالفحشاء واما القوة الغضبية السبعية فهي ابدا تسعى في ايصال الشر والبلاء والاذى
الى سائر الناس ولا شك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط الحاصل في اثار
القوة الغضبية فقول المص والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية معناه ان المنكر من
اثار القوة الغضبية هو الحد الخارج عما يقبله الناس في اثارة القوة الغضبية وتهييجها واما القوة
الوهمية الشيطانية فهي ابدا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع واظهار الرياسة والتقدم و
ذلك هو المراد من البغي فانه لا معنى للبغي الا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكر ان هذه
الالفاظ الثلثة منطبقة على احوال هذه القوى الثلثة قوله وصارت سبب اسلام عثمان
بن مظعون روي عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون قال ما اسلمت اولا الا حياء
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته عليه الصلوة والسلام ذات يوم فبينا
يحدثني اذ رأيت بصره يشخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا انا
احدثك اذا جبرئيل عليه الصلوة والسلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل شهادة ان لا اله
الا الله والاحسان القيام بالفرائض وايتاء ذي القربى اي صلة الرحم وينهى عن الفحشاء الزنا
والمنكر ما لا تعرفه في شريعة ولا سنة والبغي الاستطالة قال عثمان فوقع الايمان في قلبي واتيت ابا
طالب فاخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن اخي ولئن كان صادقا او كاذبا فانه ما يأمركم الا بمكارم

بمكارم الاخلاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه اللين قال يا عماه انا امر الناس ان
يتبعوني وتدع نفسك وجهد عليه فأبى ان يسلم فنزل انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من
يشاء روي ان بني امية كانوا يسبون امير المؤمنين علي بن ابي طالب في الخطبة الى ان ولي عمر
بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال في الافاق بتركه وكان سبب محبته عليا انه
قال كنت بالمدينة اتعلم العلم وكنت الزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فبلغه عني شيء
من ذلك فاتيته يوما وهو يصلي فاطال الصلوة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ التفت الي
وقال متى علمت ان الله غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعد ان رضي الله عنهم قلت لم اسمع
بذلك قال فما الذي بلغني عنك في علي فقلت معذرة الى الله واليك وتركت ما كنت عليه وكان
ابي اذا خطب فنال من علي تلجلج في كلامه فقلت يا ابي انك تمضي في خطبتك فاذا اتيت الى ذكر علي
عرفت منك تقصيرا قال او فطنت ذلك قلت نعم قال يا بني ان الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم
لتفرقوا عنا الى اولاده فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب بسببها هذا
الامر العظيم فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضا ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية فحل هذا
الفعل منه عند الناس محلا عظيما واكثروا مدحه بذلك قوله يعظكم الظاهر انه مستأنف في قوة
التعليل للامر بما تقدم اي ان الوعظ سبب لما تقدم من الامر والنهي المذكورين ويبعد جعله حالا
من فاعل ينهى اذ لا وجه لتخصيص الحال بهذا الفاعل دون فاعل يأمر فان الوعظ يكون بكل واحد
من الاوامر والنواهي ولا خصوصية له بالنهي ثم انه تعالى لما جمع جميع المأمورات والمنهيات في هذه
الاية على سبيل الاجمال ذكر بعدها بعض تلك الاقسام على سبيل التفصيل فبدأ بالوفاء بعهد الله فقال
واوفوا بعهد الله وهو معطوف من حيث المعنى على قوله ان الله يأمر بالعدل الاية عطف الخاص على
العام اتبعها بالوفاء بالعهد والثبات عليه واستشهد المص بقوله ان الذين يبايعونك على ان عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد الله واحد ولم يرد ان هذه الاية واردة في تلك البيعة اعني بيعة
الرضوان لان هذه السورة مكية نزلت حين كان المسلمون مستضعفين فيما بين قريش وانما هذه
هي البيعة الاولى وكل من دخل في الاسلام فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة قوله
وقيل كل امر يجب الوفاء به اي العمل بمقتضاه فعهد الله يتناول الادلة العقلية والسمعية عند هذا القائل
وان لم تكونا من العهود التي يلتزمها الانسان باختيار نفسه لانهما اوكد في لزوم الوفاء بها لان على
وجوبه بالنسبة الى اليمين وسائر العهود ولذلك لا يصح في هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح
ذلك في غيرهما وربما ندب فيه ترك الوفاء فان اليمين انما يجب الوفاء به اذا لم يكن الصلاح في خلافه
لقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر

قوله فحل هذا الفعل منه
عند الناس محلا عظيما بل
عند الله يدل عليه قوله عليه
الصلوة والسلام اذا اراد الله
بعبد من عباده خيرا ومحبة
[illegible] جبرئيل انه
احب فلان بن فلان فاحبه
فينادي في اهل السماء فيحبونه
ثم في اهل الارض كذلك فمحبة
الناس ذلك الخليفة العظيم
الشان تدل على محبة الله تعالى
اياه والملائكة اجمعين
سح

اي قوله لا بعد
في جعله حالا من فاعل على انه
عظيم ذكر ان الفاعل في النهي
بناء على ان لطف سببه
النهي قد يعلم انه لا ينبغي ان يقيد
بان يقيده على انه لا ينبغي واحد
به الامر ايضا فان الفاعل عنهما
والتعليق جدير ان ينبغي
بالوعظ مكون المعنى اسرفى
داعي ما بالاستيان فاوليته
اظهر من الا يخفى
سح

عن يمينه ولم يرض المص بهذا القول وقال لا يلايمه قوله تعالى اذا عاهدتم لانه يدل على ان المراد بعهد الله ما
يلتزمه الانسان باختياره ومعنى الوفاء به الثبات عليه كانه قيل اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يؤكد تلك البيعة بالايمان التي يحلفون بها على الثبات عليها والتوكيد مصدر
وكد يوكد بالواو وفيه لغة اخرى اكد يؤكد بالهمزة ونظيره قولهم ورخت وارخت الكتاب قال الراغب
وكدت القول والعهد واكدته بمعنى احكمته وكل واحد منهما لغة اصلية وليست الهمزة بدلا من الواو
لانهما متساويان في الاستعمال فليس ادعاء كون احدهما اصلا والاخر منقولا منها اولى من عكسه
وذهب المص الى ان الكلمة واوية وان الهمزة مبدلة عن الواو على ما هو مذهب الزجاج وتوكيدها مصدر
مضاف الى المفعول وقوله تعالى وقد جعلتم حال من فاعل تنقضوا او من فاعل المصدر وان كان محذوفا
وقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لما تقدم من قوله عليه الصلوة والسلام
من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه **قوله** شاهدا بتلك البيعة
وبما يترتب عليها من الثبات عليها والعمل بمقتضاها ومن النهي عن نقضها والعمل بما ينافيها فان
من حلف بالله تعالى على امر فقد منع نفسه عن اتيان ما يخالفه احترازا عن هتك حرمة اسمه تعالى وما
يتفرع عليه من اليم عذابه فصار بذلك كانه جعل الله تعالى شاهدا عليه ورقيبا انه هل يحنث في يمينه لم
يحفظه وابرّ فيه والشاهد بهذا المعنى لا يثبت به الكفيل من حيث ان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب
عليه عبّر عن الشاهد بالكفيل فقوله تعالى كفيلا من قبيل التشبيه البليغ ثم انه تعالى مثل نقض العهد بنقض
الغزل بعد ابرامه واحكامه تاكيدا لوجوب الوفاء وتحريم النقض فقال ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها
من بعد قوة انكاثا والنكث بالكسر مصدر قولك نكثت الحبل اذا نقضت فتله والانكاث ههنا جمع نكث
بمعنى منكوث اي منقوض **قوله** والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه كانه قيل لا تشبهوا بمخفّض
معتق بمثل ذلك وهو امراة اسمها ريطة وذلك لان المقصود من الامثال صرف المكلف عن الفعل
اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين وان تحقق في الخارج من اتصف
به **قوله** دخلا مفعول ثان لتتخذون ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله والدخل الفساد والدغل وهو
الغش والخيانة وقيل هو ان تظهر الوفاء وتبطن الغدر والنقض وقيل الدخل الداخل في الشيء وليس
منه وقيل ما ادخل في الشيء على فساد وقال الجوهري دخلا بينكم اي مكرا وخديعة وهم دخلة وخلل في بني
فلان اذا انتسبوا معهم وليسوا منهم هذه كلمات القوم في بيان مفهوم لفظ الدخل والمص اختار منها كونه
بمعنى الفساد وجعل اتخاذ اليمين فسادا عبارة عن جعلها موضعا للنقض والافساد وكون جعل
ما عقد للافساد للمبالغة في النهي والتقبيح وقوله تعالى ان تكون امة اي بسبب ان تكون متعلق بقوله
تتخذون وقوله تكون يجوز ان تكون تامة وامة فاعلها وان تكون ناقصة وامة اسمها وقوله هي على التقدير

عن بعث انه انما حلف به بناء على اعتقاد انه تعالى شاهد عليه جميع احواله فيعلم حنثه في يمينه فبناء عليه لهذا الاعتقاد هو الذي حمله على البر في يمينه
منه

الا ان تشبه الناقض بالمراة الكائنة على نقض الاحوال فيه ابلغ في تحذير الناس عن النقض بيان ان ذلك ليس من فعل العقلاء وان صاحبه داخل في عداد حمقى النساء وهو خارج عن
منه

على التقديرين مبتداء واربى خبره والجملة في محل النصب على الحال على الوجه الاول وعلى انه خبر
كان على الثاني وجعل الامام قوله تعالى تتخذون ايمانكم استفهاما على سبيل الانكار والمعنى اتتخذون ايمانكم
دخلا بينكم بسبب ان تكون امة اربى في القوة والكثرة من امة اخرى ولم يلتفت المص اليه لان ارتكاب
تقدير الهمزة مع صحة المعنى وانتظامه من غير ارتكاب التقدير قول بلا دليل **قوله** تصريح بالنهي عنه بعد
التضمين فان قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذوا ايمانكم مفسدة ومرضحة
الدغل والمكر والخديعة يتضمن النهي عن اتخاذ الايمان دخلا من حيث ان مضمونه النهي عن مشابهة
تلك المراة حال اتخاذ الايمان دخلا وقد تقرر ان النهي عن المقيد يرجع الى قيده فيكون المنهي عنه
حقيقة هو القيد فيكون قوله تعالى ولا تتخذوا معطوفا على قوله ولا تكونوا مع قيده وقوله تعالى انما يبلوكم
الله به وليبين تعليلا للقول ولا تكونوا وقوله تعالى ولو شاء الله معترض بين المعطوف والمعطوف عليه
تاكيد المعنى الابتلاء وانه تعالى يحكم الالهية يخبر قليل العدد والعدد بالقوي ذي الشوكة والمال كما انه
يحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذكر في اخر الجملة المعترضة قوله ولتسئلن معطوفا على
يضل من يشاء ليناسب قوله وليبين معطوفا على قوله يبلوكم وقوله تعالى فتزل منصوب باضمار ان في جواب
النهي بعد صدودكم على ان مصدرية وان صددتم لازم من الصدود وهو الاعراض وقوله او صددتم
غيركم على انه متعد من الصد وهو المنع ومفعوله محذوف ثم انه تعالى اكد هذا النهي والتحذير فقال ولا
تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا اي تنقضوا عهودكم لتطلبوا بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن
اوفوا بها فان ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم ثم ذكر دليلا قطعيا على ان ما عند الله خير
فقال ما عندكم ينفد اي يذهب ويفنى **قوله** بما ترجح فعله اشارة الى الجواب عما يتبادر من ان كلمة
ما مصدرية واحسن بناء التفضيل فيكون المعنى لنجزينهم اجرهم بمقابلة احسن اعمالهم ويفهم
منه ان لا يجازي المرء بمقابلة اعماله الحسنة وهو خلاف ما يدل عليه قوله تعالى ومن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره وتقرير الجواب ان صيغة احسن ههنا ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى الحسن
الذي يرجح فعله على تركه من الواجبات والمندوبات فان المؤمن يثاب بكل واحد منهما بخلاف
المباحات التي لا يترجح احدهما على الاخر فان المؤمن لا يثاب بها ولا يعاقب ولو سلمنا انها للتفضيل
لكن لا نسلم ان الموصوف باحسن هو العمل بل الموصوف به هو الجزاء المقدر واضافته احسن بمعنى من
ثم انه تعالى لما بالغ في النهي عن نقض العهود والايمان وبيان ما يترتب عليه من عذاب الدنيا و
الاخرة عقبه بالترغيب في الصبر على مشاق الثبات على بيعة الاسلام والوفاء بعهد الله تعالى الذي
هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع فقرهم وقلة عددهم وكون الكفرة ارذل منهم عددا
وشوكة ومالا او على مشاق التكاليف الشرعية مطلقا التي من جملتها الوفاء بالعهود بيان انه تعالى

يجازيه على اعمال الحسنة واجبة كانت او مندوبة ايبان انه تعالى يجازيه بجزاء هو احسن من
اعماله ثم ان كانت المراد بالصبر الصبر على مشاق الاحتراز عن نقض ايمان البيعة يكون قوله تعالى من
عمل صالحا الآية ترغيبا في اتيان كل ما كان من شرايع الاسلام بان وعد على اتيانه سعادة الدنيا
والاخرة وان كان المراد به على مشاق التكاليف بمعنى توطين النفس على رعاية حقوق الربوبية و
تحمل مقتضى العبودية وقهر النفس الامارة بالسوء بمخالفة مقتضاها وحظوظها الطبيعية يكون
قوله من عمل صالحا الآية ترغيبا في الاعمال الظاهرة البدنية بعد الترغيب في الاخلاق النفسانية
والفضائل القلبية وتصريحا بان كون الاعمال الصالحة مؤدية الى الحيوة الطيبة وثواب الاخرة
مشروطا بالايمان فان قيل كيف يكون مشروطا به مع ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على
ان العمل الصالح يفيد الاجر مطلقا قلنا الآية ذكر فان رؤيته لا تستلزم كون العامل مثابا بعمله
لجواز ان يكون فائدة عمله تخفيف العقاب فانه لا يتوقف على الايمان والى هذا اشار المص بقوله وانما المتوقع
عليه تخفيف العقاب قوله بينه بالنوعين جواب لما يقال من ان كلمة من تفيد العموم فما الفائدة في ذكر
الذكر والانثى وتقرير الجواب ان لفظ من وان صح اطلاقه على النوعين الا انه لو لم يبين بهما لتوهم
اختصاص الحكم بالذكور بناء على ان الاناث لا يدخلن في اكثر الاحكام كالولاية والقضاء والجهاد
واقامة الجمعة وكثير من فروض الكفاية قوله وقيل في الاخرة لعل وجه ضعفه انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ولا شبهة في ان المراد به ما يكون في الاخرة فينبغي ان يحمل الطيبة
على ما يكون في الدنيا وايضا لو حمل الحيوة الطيبة على ما يكون في الاخرة لزم ان لا يعذب المؤمن
الذي عمل عملا واحدا من الاعمال الصالحة بعذاب الاخرة اصلا لان من عذب بقدر ذنوبه كيف
يصح ان يقال في حقه انه تعالى احياه حيوة طيبة في الاخرة فان قوله من عمل صالحا يصدق على من
أتى ولو بعمل واحد مما يكفي اجراء حكم الاسلام عليه وذلك لا يستلزم ان لا يعذب اصلا بل
امره منوط بمشية الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنوبه وان شاء عفا عنه وان كان مصرا على الذنوب
الجنة بخلاف ما لو حملت على ما يكون في الدنيا فان من عمل عملا واحدا مما يصح ان يجري عليه حكم الاسلام
بسبب يكون حيوته في الدنيا طيبة بسلم في نفسه وماله ويستقر في اموره وهذا ادنى مراتب طيب
حيوته في الدنيا ثم انه يجزى في الاخرة بعد ذلك فيل الحيوة الطيبة في الدنيا عبادة الله تعالى مع اكل
الحلال وقيل القناعة فانه لا يطيب في الدنيا الا عيش القانع واما الحريص فانه يكون ابدا في الكد
والعناء ولا شك ان عيش المؤمن في الدنيا اطيب من عيش الكافر لان المؤمن يعرف ان رزقه
انما حصل بتدبير الله تعالى ويعرف انه محسن كريم لا يفعل الا الصواب فيكون راضيا بكل ما قضاه
وقدره لعلمه بان مصلحته في ذلك والكافر لا يعرف هذه الاصول فكان ابدا في الحزن والعناء وايضا

وايضا المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلو لا تغيرها وانقلابها لم تنصرف
عنه الى غيره فلا جرم لا يعظم فرحه بوجدانها ولا غمه بفقدانها ويعرف ان همته الى تحصيل اللذات الباقية
والسعادات الاخروية واما الجاهل فلا يعرف سعادة اخرى تغاير هذه اللذات العاجلة فلا جرم
يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها ثم انه تعالى لما ذكر انه يجازي على الاعمال الصالحة ارشد الى طريق
تخلص به الاعمال عن وساوس الشيطان وهو الاستعاذة بالله من الشيطان والقائه الوساوس
في القلب وخص قراءة القران بالذكر من بين الاعمال الصالحة لانها داعية الى كل عمل صالح من
الاعمال القلبية والقالبية فكانت بذلك رأس الاعمال الصالحة ولما كانت الفاء في قوله تعالى فاستعذ
بالله للتعقيب دل ظاهر الاية على ان تكون الاستعاذة بعد قراءة القران كما ذهب اليه جماعة من
الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقالوا انه لو لم يأت بالاستعاذة بعد القراءة لربما يوسوس اليه
الشيطان انك قد اتيت من العمل الصالح ما يمحو الله تعالى به ذنوب كذا وكذا سنة فيعتمد على عمله فيضيع
ثواب قراءته واما اذا استعاذ بعد القراءة فتندفع الوساوس ويبقى الثواب الموعود مصونا عن
الخلل الا ان الاكثرين من علماء الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قد اتفقوا على ان الاستعاذة
متقدمة على القراءة وقالوا معنى الاية اذا اردت ان تقرأ القران فاستعذ بالله وليس معناه استعذ
بعد القراءة ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية وقولك اذا اكلت فقل بسم
الله واذا سافرت فتأهب وقد روى ائمة القراءة مسندا عن نافع عن جبير بن مطعم انه عليه الصلوة
والسلام كان يقول قبل القراءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن معقل بن يسار انه عليه الصلوة
والسلام قال من قال حين يصبح ثلث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقرأ ثلث
ايات من اخر سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وفي شرح الشاطبية
اجمع القراء وجمهور الفقهاء على ان الاستعاذة حال الشروع في القراءة ودل الحديث على ان التقديم
هو السنة فبقي سببية القراءة لها والفاء في فاستعذ لما دلت على السببية قدرت الارادة لتصحيح
معنى السببية قوله اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ هكذا رواه القراء في كتب القراءة
وينبغي ان لا يكون المراد بالقلم القلم الاعلى لانه متقدم في الرتبة على اللوح بالنص وانما يراد به القلم
الذي نسخ به من اللوح ونزل به جبريل عليه الصلوة والسلام دفعة الى السماء الدنيا قوله لئلا يتوهم منه
ان له سلطانا فان القارئ لما امر بان يسأل الله تعالى ان يعيذه من وسوسته توهم منه ان له سلطانا
وولاية على اغواء بني آدم كلهم فبين الله تعالى انه لا تسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بعصمة
الله اياهم عن اطاعته وقبول وسوسته فقوله تعالى انه ليس له سلطان الاية في معرض التعليل
للامر بالاستعاذة واشارة الى ان الاستعاذة المأمور بها ليست عبارة عن مجرد القول الفارغ

قال الفاضل البخاري رحمه الله
وفيه دليل على ان المعلق بشيئين
كل ركعتين لان الحكم المرتب على الشرط
يتكرر بتكرره اقول قال في التلويح تكرر
عامة العلماء الحنفية هو ان الامر
يحتمل العموم والتكرار بل هو الخصوص
والمرة سواء كان مطلقا مثل ادخل
الدار او معلقا بشرط او وصف
مثل ان دخلت السوق فاشتر
اللحم فانه لا يقتضي الا اشتراء
اللحم مرة واحدة وانما استفاد
العموم والتكرار من دليل خارج
تكرار السبب مثلا وهذا معنى قول
الامام السرخسي المذهب الصحيح
عندنا انه لا يوجب التكرار ولا
يحتمله سواء كان مطلقا او
معلقا او مخصوصا بصفة
انتهى ثم قال فيه مذهب العلماء بعض
هو عندنا لا يحتمل التكرار الا اذا
كان معلقا بشرط كقوله تعالى وان
كنتم جنبا فاطهروا او مقيدا
بوقت وصف كقوله تعالى اقم
الصلوة لدلوك
الشمس قيد الامر بالصلوة
بتحقق وصف دلوك
الشمس وجوابه ان التكرار
في امثال هذه الاوامر انما
يلزم من تجدد السبب المقتضي
لتجدد المسبب لا من مطلق
الامر المطلق او المعلق
بشرط او المقيد بوصف
ولا يلزم تكرار المشروط
بتكرر الشرط لان وجود
الشرط لا يقتضي وجود
المشروط بخلاف السبب
فانه يقتضي وجوده
المسبب بحقيقة انتهى
لمحرره محمود

ان الظان ان عليه
ان ليس له سلطان فيه
بيان ليس استعاذة بالله
ان علي من بعض النفس
الا انه وضع الظاهر
للاشارة الى ان الشيطان بالله
حرجع بين الايمان والتوكل
عليه سلمه

عن النجاء الى عصمة الله وتفويض الامر اليه معتقدا بانه لا حول عن معصية الله الا بعصمته ولا قوة
على طاعته الا بتوفيقه وهذا الالتجاء والاعتماد انما يكون بالايمان به اولا والتوكل عليه ثانيا فمن جمع
بين الامرين لا يكون للشيطان اليه سبيل البتة قوله بجوده ويطيعونه يقال توليته اذا اتبعته واطعته
ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت يتعدى بنفسه اذا كان
بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة عن اذا كان بمعنى الاعراض قوله بالله او بسبب الشيطان بعنوان
ضميره يحتمل ان يرجع الى ربهم ويكون الباء صلة مشركون قدم عليه لايهام الاختصاص او لرعاية
الفواصل ويحتمل ان يرجع الى الشيطان ويكون صلة مشركون محذوفا اى هم مشركون بالله من اجل
الشيطان وبسبب حمله اياهم على الشرك والعصيان قوله لفظا او حكما يعنى ان تبديل الآية
مكان الآية قد يكون بان ينسخ تلاوة آية اخرى تتلى بدلا وقد يكون بان ينسخ حكم آية من غير ان ينسخ
تلاوته لفظا ويشرع مكانه حكم آخر والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه والمراد به ههنا النسخ
واعلم انه تعالى شرع من ههنا في حكاية شبهات منكرى نبوة محمد عليه الصلوة والسلام روى عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية اخرى الين
منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقول من تلقاء
نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية والظاهر ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه
جئ به توبيخا للكفار على قولهم انما انت مفتر اى اذا كان هو اعلم بما ينزل من المصالح فما لهم ينسبون محمدا
صلى الله عليه وسلم الى الافتراء بناء على تبديله آية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك مقتضى الحكمة
البالغة والمصلحة اللائقة بكل وقت وزمان ويحتمل ان يكون جملة حالية من فاعل بدلنا اى بدلنا عالمين
بما في التبديل من الحكمة والمصلحة عدل عن التكلم الى الغيبة للارشاد الى علة العلم والمشركون نسبوه
عليه الصلوة والسلام الى الافتراء بانواع من المبالغات وهى تصدير الجملة باداة الحصر على طريق قصر
الموصوف على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار وحذف مفعول لا يعلمون
للعلم به اى لا يعلمون حكمة الاحكام وما في تبديلها من المصالح والحكم قوله وكقولهم حاتم الجود بمعنى حاتم
الجواد او صاحب جود وكذا روح القدس بمعنى روح مقدس او صاحب قدس اضيف الموصوف الى الصفة
للاشعار باختصاصه بها وان ليس له شأن سوى الاتصاف بها قوله وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله
متدرجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل يعنى ان بناء فعل هنا للفعل المكرر في مهلة اى لوجود اصله شيئا
فشيئا كقولك درجته الى كذا اذا بلغته اليه درجة درجة فتنزيل القرآن تنزيله نزوله الى الاوقات بانزاله متدرجا
على حسب المصالح وذلك يقتضى ان ينسخ حكم آية ويبدل مكانه حكم آخر وذلك لان المصالح تختلف باختلاف الاوقات
فلا جرم يكون انزاله متدرجا على حسب اختلاف المصالح مستلزما للنسخ والتبديل ومقتضيا لما ادعاه المشركون
قولهم

[هامش: وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض اه]

[هامش: المقدس المطهر من الآثام كشاف]

قولهم انت مفتر على اشتمال القرآن على النسخ والتبديل وكان قوله قل نزله روح القدس وارد
لبيان فساد سندهم كان ايثار اللفظ الدال على تدرج النزول للتنبيه على حقيقة النسخ والتبديل بالاشارة
الى ما يقتضيهما والمعنى ان جبريل عليه الصلوة والسلام نزل بالقرآن من كلام ربك ملتبسا بالامر الحق
الصحيح الثابت ليثبت الذين آمنوا بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا ويقينا وقرئ ليثبت
مخففا من اثبت قوله وفيه تعريض الخ اى في هذا اثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض
لحصول اضدادها في المشركين وذلك لان قوله تعالى قل نزله روح القدس الآية جواب عن قول المشركين
انما انت مفتر فانهم ارادوا بقولهم انما انت مفتر ان هذا ليس من كلام الله تعالى لان الله تعالى لا يسخر من
احد بان يأمره اليوم بشيء وينهاه غدا عنه بل هو من تلقاء نفسك واجيبوا بان هذا من الله وزيد
في التصوير بان قيل نزله روح القدس ثم زيد قوله بالحق دفعا لطعنهم بابلغ الوجوه اى تنزيله
ملتبس بالحق والحكمة والمصالح الخلق ثم نص على قبائح افعالهم بان قيل ليثبت الذين آمنوا الخ تعريضا
بان اضداد هذه الخصال حاصلة فيهم وانهم متزلزلون ضالون مستوجبون منذرون بالخزى والنكال
واللعن في الدنيا والآخرة وان اعداءهم على خلاف ذلك ليزيد في غيظهم وحنقهم ما احسن هذا
البيان ثم انه تعالى حكى شبهة اخرى من طاعنى نبوته عليه الصلوة والسلام فقال ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر يعنى انهم اتهموه عليه الصلوة والسلام بانه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها
من نفسه ويزعم انه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب بان قال لسان الذى يلحدون
اليه اعجمى الآية واللسان وان كان اسما للجارحة المتكلم الا ان العرب يطلقونه على اللغة والالحاد
في اللغة الميل يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد وقرأ حمزة
والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء اى يميلون من الميل وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء
والالحاد قد يكون بمعنى الامالة قال صاحب الكشاف يقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال
حفره عن الاستواء والاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة
فقيل الحد فلان في قوله والحد في فعله ودينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها فعلى هذا
يكون كل واحد من الحد ولحد متعديا وفسر الالحاد في هذه الآية بالقولين قال الفراء يميلون من
الميل وقال الزجاج يميلون من الامالة فيقدر له مفعول اى يميلون اليه القرآن او يميلون قولهم عن
الاستقامة اليه وكون اللغة اعجمية عبارة عن كونها مبهمة لا تفصح المراد منها والاعجم الذى لا يفصح
مراده ولا يبين كلامه وان كان عربيا واشار المص اليه بقوله لغة الرجل الذى ذكروه لسان اعجمى غير
بين قوله ما تلقفه اى اخذه وتناوله بسرعة يقال تلقف الشيء بالكسر تلقفا ولقفا وتلقفه
اذا تناوله بسرعة بين المص بطلان ما زعم المشركون من انه عليه الصلوة والسلام تعلم القرآن

[هامش: يكون اياس [illegible] شانه ايحاء [illegible] سنن الحكمة اوسعا نيل المنقولات العقلية سلمه]

من بشر ثم ادعى انه اوحى اليه بواسطة الملك بوجهين الاول ان القران المبين كيف يكون ماخوذا ممن لسانه اعجمي غير مبين ومن المعلوم ان المعاني البينة الواضحة لا توخذ ممن لا نعرف لغته ولسانه والثاني انا سلمنا انه اخذ تلك المعاني باستماع الكلام الاعجمي الذي لا يفهمه ولا انتم لكن لا نسلم انه اخذ منه لفظ القران ايضا لان لفظه لكونه في اعلى درجات الفصاحة والبلاغة يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار الى بطلان ذلك بوجوه اخر الاول ان تعلم ما في القران من العلوم الكثيرة والمعاني الدقيقة لا يتاتى ان يحصل في بعض اوقات مرور المتعلم على المعلم بل يحتاج الى ملازمته مدة متطاولة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق انه عليه الصلوة و السلام تعلم من فلان وفلان ولم يتفوه بذلك احد سواهم والثاني ان تعلم تلك العلوم الكثيرة المتعلقة باحوال جميع المكلفين في النشئتين لا يتصور الا من معلم بلغ في غاية الفضل والتحقيق والتدقيق الى حيث يكون مشارا اليه بالبنان ويخضع له اهل الدنيا باجمعهم فكيف يذهب الوهم الى تعلمه من غلام سوقي يدعى يعيش او جبر فلان باستماع كلمات اعجمية لعلهم لم يعرفوا معناها **قوله** لا يهديهم الى الحق لعنادهم ومكابرتهم لانهم كانوا يعاندون بايات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها ايات الله وانها حق ويحتمل ان يكون في علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون عليه فمن علم الله منه ذلك لا يهديه **قوله** اولئك اشارة الى الذين كفروا لانهم المذكورون بقوله الذين لا يؤمنون او الى قريش لان سياق الكلام فيهم لانهم هم الذين قالوا انما انت مفتر وقالوا انما يعلمه بشر والمشار اليه على الاول وان كان مشاركا لقريش وغيرهم الا انهم يدخلون فيه دخولا اوليا ولما ورد ان يقال انه لما اثبت افتراء الكذب للذين لا يؤمنون حيث قال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما فائدة قوله بعد ذكره اولئك هم الكاذبون الذي هو مسند بحال عن الفائدة وجه الكلام على وجه يندفع الاستدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان يكون الاشارة الى قريش ظاهر لانهم لما نسبوا الكذب والافتراء اليه عليه الصلوة والسلام بقولهم انما انت مفتر قلب الله تعالى ذلك الامر عليهم وجعل قوله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون مقدمة كلية يتفرع عليها المقصود كانه قيل انهم لا يؤمنون بايات الله وكل من لا يؤمن بها فانه الذي يفتري الكذب فقريش هم المفترون الكاذبون لا انت فلا استدراك ووجه اندفاعه على ان يكون الاشارة الى الذين لا يؤمنون بايات الله ان مضمون الجملة الاولى ان افتراء الكذب لا يصدر الا عن الذين لا يؤمنون بايات الله ولا يصدر عن آمن بها لان خوف العقاب يردعه عنه ومضمون الثانية حصر الجماعة الذين يعرفهم المخاطب انهم الكاذبون في الذين كفروا بايات الله على ان يكون تعريف الكاذبين للعهد الخارجي واشار المصنف اليه بقوله هم الكاذبون على الحقيقة وان كان التعريف الذي فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة الكاذبين

وحصر

قوله اولئك اشارة الى قريش فحينئذ يندفع توهم الاستدراك لان قوله واولئك هم الكاذبون مذكور في معرض النتيجة والمعنى قريش هم الذين لا يؤمنون بايات الله وكل من لا يؤمن بانهم الذين يفترون الكذب فقريش هم الكاذبون المفترون وقوله او الى الكاذبين على الحقيقة ناظر الى كون الاشارة الى قريش او عام لكلا الاحتمالين وقوله على الحقيقة اي لا على الزعم بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حاله على العكس

سعدي

٢٤٥

وخصوصا انه يكون مضمون الثانية حصر تلك الحقيقة فيهم مبالغة لما في قولك عمرو الشجاع الكامل في الشجاعة فبرز الكلام في صورة توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا تتجاوز الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال فكذا الحال في قوله واولئك هم الكاذبون والمشار بقوله او الكاملون في الكذب وعلى التقديرين تفيد الجملة الثانية غير ما تفيده الاولى فلا استدراك وكذا ان اريد بالثانية اولئك الذين عادتهم الكذب واستمروا عليه بناء على انه عبر عن المسند في الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفي الثانية عدل الى الجملة الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لاندفاع الاستدراك ان ما اثبت للذين كفروا في الجملة الاولى هو مطلق الكذب وما اثبت لهم في الثانية هو الكذب المخصوص الواقع في قولهم انما انت مفتر وانما يعلمه بشر وفي الآية دليل على ان الكذب من اكبر الكبائر والحش الفواحش لان كلمة انما للحصر فدلت على ان الكذب والفرية لا يقدم عليه الا من كان كافرا بايات الله تعالى وهذا تهديد عظيم روى الامام محيي السنة في تفسيره ان عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله **قوله** بدل من الذين لا يؤمنون فان قلت كيف يكون بدلا منه مع ان قوله تعالى انما يفتري الكذب رد لقول قريش انما انت مفتر وهم ما كفروا بعد الايمان اجيب عنه بان قوله تعالى من بعد ايمانه المراد منه تمكنه من الايمان كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فانه ليس معناه انهم اشتروا الضلالة بما لهم من الهدى اذ لا هدى لهم بل بتمكنهم من الهدى والاعراض عن الايمان بعد التمكن منه على سبيل العناد والتمرد ابلغ في ابطال تعاطيه كانه قيل انما يفتري الكذب من كفر بالله عنادا وتمردا بعد تمكنه من الايمان الصحيح المستند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت من افترى الكذب **قوله** او مبتدا خبره محذوف تقديره فعليهم غضب حذف لدلالة ما بعد من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة ما بعد من الثانية عليه تقديره من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب اي فتح صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحت الكلام المشكل اي بسطته واظهرت معانيه ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاسند الفعل الى المضاف اليه وانتصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه مفعول للشرح والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لانه لا يشكل بصدر غيره اذ البشر لا يقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد به المعرفة **قوله** استثناء متصل لان من اكره على كلمة الكفر داخل في جنس من كفر لان الكفر لغة يتم بالقول والعقد **قوله تعالى** وقلبه مطمئن جملة حالية اي الا من اكره في هذه الحالة ووجه

نقض الايمان بانه ينقضي انه لا يفتري الكذب الا من لا يؤمن فيقتضي ان من لا يفتري الكذب بعد ايمانه والوجه ينقضي ان من يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن سواء كان ممن كفر بعد الايمان او كان ممن لم يؤمن قط فمن لم يؤمن قط يدخل فيمن يفتري الكذب بهم الا كثرون المفترون فالمراد واجيب بان المراد من الايمان سابقا بعد تمكنهم من الايمان

سعدي

الاستدراك في قوله تعالى ولكن من شرح ان قوله تعالى الا من اكره يوهم ان المكره مطلقا ان سواء اجرى
كلمة الكفر على لسانه من غير اعتقاد او مع اعتقاد والعياذ بالله مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب
العظيم وقوله تعالى وقلبه مطمئن لا ينفي ذلك الوهم فاحتيج الى الاستدراك لدفع ذلك الوهم روي عن
مجاهد انه قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وخباب وصهيب
وبلال وعمار وسمية رضي الله عنهم اجمعين اما الرسول عليه صلى الله عليه وسلم فمنعه ابو طالب واما ابو بكر
فمنعه قومه واخذ الاخرون والبسوا ادرع الحديد ثم اجلسوا في الشمس فبلغ منهم الجهد بحر الحديد
والشمس واتاهم ابو جهل يشتمهم ويوبخهم وشتم سمية ثم طعن بالحربة في فرجها وقال الاخرون
ما نالوا منهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبونه ويقول احد احد حتى ملوه فتركوه وقال عمار كلنا تكلم بالذي ارادوا
غير بلال هانت عليه نفسه فتركوه وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري قال الامام
قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى حكم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم
من جرمه يعني ان الغضب لكونه من الكيفيات النفسانية المستحيلة في حقه تعالى يراد غايته وهي العذاب
فيكون فايدة قوله تعالى ولهم عذاب عظيم توصيف ذلك العذاب بالعظيم **قوله** الكافرون في علمه فالمعنى
انه تعالى لا يهديهم الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصم عن الزيغ والميل عن الحق من علم الله انه يختار الكفر
وان يموت عليه واذا كان كل واحد من ايثار الامور الدنياوية وعدم هدايته تعالى الى ما يوجب الثبات
على الحق سببا للكفر بعد تبين الحق وقبوله يكون سببا لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه
تعالى بين طريق عدم هدايتهم الى ما يوجب الثبات على الحق بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي
خلق في قلوبهم ومشاعرهم ما يمنع عن ادراك الحق وقبوله فصارت بذلك كانها قد طبع عليها حقيقة
فان القلوب والمشاعر لا تقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث حصر حقيقة الغفلة
فيهم بحيث لا يتجاوز الى غيرهم وذلك انما يكون كاملين في الغفلة بحيث لا تعد غفلة غيرهم غفلة
في جنب غفلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق بغضب الله تعالى وعذابه العظيم وايثار الحيوة
الدنيا على حيوة الاخرة والحرمان عن هداية الله تعالى وكونه مطبوعا على قلبه ومشاعره ثم
غفل عما يراد به من العذاب الشديد الدائم في الاخرة يكون غفلته اشد واكمل ويكون الطاعات
وتحصيل اسباب السعادات الابدية ابعد فلا جرم يكون في الاخرة اخسر ثم انه تعالى لما ذكر حال من
كفر بالله بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر فاظهر الكفر حذرا عن الهلاك ذكر بعده حال اظهر
الكفر مكرها اذا هاجر وجاهد وصبر وحال من اذى المسلمين واكرههم وحملهم على الارتداد على الكفر ثم تبين
في قوله تعالى من بعد ما فتنوا فقال ثم ان ربك للذين هاجروا الاية **قوله** بالولاية والنصر اشارة الى ان
قوله تعالى للذين هاجروا خبر ان كما تقول ان زيدا لك اي هو لك لا عليك بمعنى هو ناصر لك لا خاذلك

عن الصالح الذي استخطه النفس ... ويكون ... ادراجها ... بالله
فكذا ... ادركها ... فالنفس ... الروح ... الذي ... اسرع ...
والحظ ... الا ... السماوات ... وجهها ... النفس ... رحمة ... مغفرة ... حيث
تحول ... السموات ... الانفعال ... الابدية ... حضر ...
سدرته ... والسدر ... العلم
... سهم

روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن
لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد لم يكن لي يد ابطش ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها مجاهد كشعاع النور
فيه ينطق لساني وابصرت عيني ومشت رجلي فيضرب الله مثلا اعمى ومقعد دخلا حائطا فيه ثمار كان الاعمى
لا يبصر الثمار والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب انتهى كلامه

ذلك **قوله** تجادل عن ذاتها اشارة الى ان النفس الثانية عبارة عن ذات الشخص وعينه وحقيقته
والنفس الاولى عبارة عن جسد الشخص وجملته والاولى للنفس بنفس اخرى بجادل احديهما
الى الاخرى روي ان عمر رضي الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا قال يا امير المؤمنين والذي نفسي بيده
لو وافيت القيمة بعمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة
ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقع جاثيا على ركبته حتى ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليه يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل
عن نفسها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها والسعي في خلاصها **قوله** اي جعلها مثلا اشارة الى ان
ضرب عدي الى مفعولين اولهما القرية الموصوفة وثانيهما مثلا لتضمين ضرب معنى جعل فان ضرب المثل
اعماله وصنعه من ضرب اللبن والخاتم فلا يتعدى الا الى مفعول واحد فلما عدي ههنا الى مفعولين
احتيج اعتبار التضمين والمراد بالقرية اهلها بقرينة ما اسند اليها من كفران النعم والجوع والخوف
وقوله تعالى بما كانوا يصنعون لما هدد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد الواقع في الاخرة هددهم ايضا
بآفات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف اعلم ان المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة
سواء كان ذلك الشيء موجودا او لم يكن لان المثل انما يضرب لترغيب المخاطب في الاتصاف بتلك
الصفة او لتنفيره عنه ولا مدخل في ذلك الترغيب والترهيب لتحقق تلك الصفة في شخص بعينه كما تر
في قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها وقد يضرب بشيء موجود معين فالمقصود بضرب القرية الموصوفة
مثلا سواء كان ترهيب كل قوم انعم الله عليهم فكفروا فانزل الله تعالى بهم نقمته او ترهيب كفار مكة بخصوصهم
لا يلزم ان يكون القرية الموصوفة المثل بها قرية موجودة متصفة بما ذكر من الصفات بل يجوز
ان يكون موجودة في قرى الاولين قرية كانت حالها كذلك فضربها الله تعالى مثلا لاهل مكة او لكل قوم شانهم
كشان اهل مكة وان لا يكون موجودة في قرى الاولين مثلها بل يقدر قرية على هذه الصفة فيضرب
فيضرب بها المثل ثم ان اهل مكة قد ابتلاهم الله تعالى بما ذكر من المحن فانهم كانوا آمنين لا يغار عليهم والعرب
كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم لكونهم اهل حرم الله مع انهم كانوا يغير بعضهم على بعض
وكانوا مطمئنين في بلدهم من حيث ان هؤلاء ذلك البلد كان ملايما لامزجتهم فاطمانوا اليه واستقروا
فيه من غير اضطراب وانزعاج وكان ياتيهم رزقهم رغدا من كل مكان وهذه النعم الثلث جمعها من
قال ثلثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فقوله تعالى آمنة اشارة الى الامن وقوله تعالى مطمئنة
اشارة الى الصحة وقوله تعالى ياتيها رزقها اشارة الى الكفاية والمفهوم من كلام المص ان يكون
الاطمئنان اثر الامن ولازمه من حيث ان الخوف يوجب الانزعاج وينافي الاطمئنان ثم انه تعالى
زاد على هذه النعم المذكورة في حق اهل مكة رسولا من انفسهم ينذرهم عما يوجب العذاب الاليم

ويدعوهم الى النعيم المقيم فكفروا به وبالنوالى اذاه فسلط الله تعالى عليهم البلاء وابتلاهم بالجوع
سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام
المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر الذي يعالج بالدم وابتلاهم الله تعالى ايضا بالخوف ''
حيث كان عليه الصلوة والسلام يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم قوله استعار الذوق
لما كان في الاية اشكالان حيث انه تعالى اوقع الاذاقة على اللباس مع ان اللباس ليس مما يدرك
بالذوق ثم انه تعالى اضاف اللباس الى الجوع والخوف وليس لهما لباس فكيف صحت اضافة اللباس
اليهما اشار المص الى دفع الاشكال المذكور بان جعل الذوق مستعارا للادراك اى ادراك الضرر بان يشبه
ادراك الانسان اثر ما يضره باحساس طعم الشيء المر بالفم الذي هو الذوق فاطلق على المشبه
الذي هو امر عقلي اسم المشبه به وهو الذوق وجعل اللباس مستعارا لما غشيهم واشتمل عليهم
من الجوع والخوف بان يشبه ما يغشى الانسان ويلتبس به من اثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي
والجامع بينهما كونهما مشتملين على الانسان وغاشيين له ثم اطلق اسم اللباس على ما يغشى
الانسان من اثرهما وجعل اضافته اليهما قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي من اثرهما ''
فكل واحد من الاذاقة واللباس استعارة مغايرة للاستعارة الاخرى ثم اوقعت الاذاقة المستعارة
على اللباس المستعار بان جعل اللباس مفعولا للاذاقة بالنظر الى المستعار له فان الاذاقة بمعنى
الاصابة والاشعار وان لم يكن ملايمة للمعنى الذي استعير منه اللباس لكنها ملايمة للمعنى الذي استعير له
اللباس وهو اثر الخوف والجوع الذي الانسان كما يغشاه اللباس فاذا اوقعت الاذاقة بمعنى الاصابة
على اللباس بالمعنى المجازي بطريق التجريد لكونها ملائمة للمستعار له الذي هو اثر الجوع فان الاستعارة على
ثلثة اقسام مطلقة ومجردة ومرشحة فالمطلقة ما لم يقرن بصفة ولا تفريع كلام مما يلايم المستعار له
او المستعار منه والاستعارة المجردة ما قرن بما يلايم المستعار له كقوله غمر الرداء اى كثير العطاء
استعير الرداء للعطاء من حيث انه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه
ثم وصف الرداء بالغمر الذي يلايم العطاء دون المعنى المستعار منه وهو الرداء الحقيقي تجريدا
للاستعارة والاستعارة المرشحة ما قرن بما يلايم المستعار منه كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار
الرداء للسيف والاعتجار لف العمامة على الرأس من غير ادارة تحت الحنك ثم اوقع الاعتجار
على شطر الرداء بالنظر الى المستعار منه لكونه ملائما للرداء الحقيقي ومعنى البيت يجاذبني
سيفي عبد عمرو ويريد ان يأخذه مني فقلت له رويدا فلي الشطر الاعلى من السيف وهو طرفه
الذي في يميني وخذ انت الطرف الآخر منه فاعتجر اى لف برأسك قوله علقت بضحكته رقاب

بقوله عليه الصلوة والسلام اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ... ابن السعود

رقاب المال اى بقيت رقاب الرهن في يد المرتهن ولم يأت للممدوح فكه منه يقال غلق الرهن
استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفتكه في الوقت المشروط يقول اذا ضحك ضحكة ايقن السائل
انه بذلك التبسم يستغلق رقاب ماله ويعطى بلا اخلاف قوله بعد ان زجرهم عن الكفر الى اشارة
الى ان الفاء في قوله تعالى فكلوا للتفريع ما بعدها على ما ذكر قبلها من التمثيل وما حل بهم من العذاب
حال التباسهم بالظلم كانه قيل اذا تبين لكم مضمون التمثيل وتحقق عندكم ان ما حل بكم انما
حل بسبب التباسكم بالظلم فاتركوا الشرك والظلم حتى تأكلوا وتشكروا وانتفوا اصنع ''
الجاهلية ومذاهبها الفاسدة بعد ما علمتم وخامة عاقبتها قوله عدد عليهم محرماته ليعلم
ان ما عداها حل لهم اعلم انه تعالى حصر المحرمات في هذه الاربعة في هذه السورة وحصرها ايضا
في هذه الاربعة في سورة الانعام حيث قال قل لا اجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه الآية
السورتان مكيتان وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة البقرة وحصرها ايضا في هذه الاربعة
في سورة المائدة فانه تعالى قال في اول تلك السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم ''
فاباح الكل الا ما يتلى عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم هو قوله تعالى في تلك
السورة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فذكر تلك الاربعة المذكورة
في تلك السور الثلث ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم
وهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو احد الاقسام الداخلة
تحت قوله تعالى وما اهل لغير الله به فثبت ان هذه السور الاربع دالة على حصر المحرمات في هذه ''
الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان فان سورة البقرة مدنية وسورة المائدة
اخر ما نزل بالمدينة فمجموع ما نزل في مكة والمدينة دل على ان انحصار المحرمات في هذه الاربعة
شرع ثابت مقرر لا يصح القول بزيادة المحرمات عليها الا بدليل شرعي يثبت الحكم به وما
ذهب اليه الكفار من زيادة المحرمات على هذه المحرمات تارة ونقصانها عنها اخرى قول
مفترى فانهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فحرموها ذهابا الى زيادة المحرمات باهوائهم
وجهالاتهم متجاوزا عن اتباع ما شرعه الله تعالى على لسان انبيائه وزادوا ايضا في المحللات
حيث حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فبين الله تعالى ان المحرمات هي هذه
الاربعة واكد هذا البيان بالنهي عن التحريم والتحليل بمجرد اهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب قوله حلالا طيبا قال بعضهم الحلال والطيب واحد كانه قال كلوا ما احل لكم
فهو كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم اى ما حل لكم وقال بعضهم الطيب ما تستطيبه النفس وتتلذذ به

٣٤٧ قوله انكم تتقصدون بعبادة الآلهة عبادته الى تعظيمه حيث قالوا انهم شفعاؤنا عند الله ازلفيهم منه انه المستحق بالعبادة وما عداه ذرائع ـ سان

ان كنتم اياه تعبدون وتقديم المفعول لما لفظ الفاصلة اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليق فلا وجه لما قيل انه جيء زعمكم انكم تتقصدون بعبادة الآلهة عبادته لان مبناه على اعتبار التخصيص في الشرط المذكور ـ ابن عادل

لأن من الحلال ما لا تستلذه النفس بل تكرهه فإنه تعالى جعل غذاء البشر ما هو أطيب وألذ
وجعل للبهائم والأنعام ما هو أخبث وأخشن ولا شك أن ما هو أطيب وألذ أتم نعمة وأدعى إلى
الشكر **قوله** فمن اضطر غير باغ أي فمن اضطر إلى تناول ما ذكر من المحرمات غير باغ أي غير
طالب سوى دفع الهلاك عن نفسه ولا عاد أي متعد ومتجاوز عن الحد الذي يندفع به الضرورة
والأحسن أن يكون البغي بمعنى الظلم ويكون المعنى غير ظالم مضطرا آخر باستئثاره عليه فيما اضطر
إلى تناوله وقيل معناه غير باغ على الوالي ولا متعد على الناس بالخروج لقطع الطريق فعلى هذا لا
يباح تناول شيء من المحرمات في سفر المعصية **قوله** وانتصاب الكذب بلا تقولوا على أنه مفعول
به ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقا فإن القول قد يتعدى وقد لا يتعدى فإن تعدى فهو مفعول به وإلا
فهو مفعول مطلق فعلى هذا يكون ما موصولة واللام صلة لقوله لا تقولوا كما في قولك ولا تقولوا لما أحل
الله تعالى حرام كأنه قيل لا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم وذلك الكذب هو أن تقولوا في
حقها هذا حلال وهذا حرام وهذا القول كذب بمعنى أنه قول كاذب **قوله** أو متعلق بتصف عطف
على قوله بدل منه أي يجوز أن يكون قوله تعالى هذا حلال وهذا حرام متعلقا بتصف بأن يكون مسوقا
لبيان الوصف الذي تصفه الألسنة فالفاء في قول المص فتقول كالفاء التي في قوله تعالى فتوبوا إلى
بارئكم فاقتلوا أنفسكم فإن الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها
في الذكر لأن مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها في الزمان كقوله تعالى ادخلوا أبواب جهنم
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم
أجر العاملين فإن ذكر ذم الشيء ومدحه إنما يصح بعد جري ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل
المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال إن ابني من أهلي فإن موضع ذكر التفصيل بعد
الإجمال ومنه قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا فإن مجيء البأس تفصيل للإهلاك
المجمل وما نحن فيه من هذا القبيل فإن قول الألسنة هذا حلال وهذا حرام تفصيل للوصف الذي
أسند إليها فكلمة ما أيضا موصولة واللام صلة لقوله ولا تقولوا **قوله** أو مفعول لا تقولوا عطف
على قوله بدل منه أيضا وقوله لوصف ألسنتكم الكذب إشارة إلى أن اللام في قوله تعالى لما تصف للتعليل
والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل وصف ألسنتكم الكذب أي لأجل قول تنطق به ألسنتكم
من غير حجة فإن قيل حمل الآية على هذا الوجه يؤدي إلى التكرار لأن قوله تعالى لتفتروا على الله الكذب
عين ذلك لأجل وصف ألسنتكم الكذب فالجواب أن قوله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب ليس فيه
بيان أنه كذب على الله فأعاد بقوله لتفتروا على الله الكذب ليفيد هذا البيان الزائد ونظيره
في القرآن كثير فإنه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة **قوله** ووصف ألسنتهم الكذب جواب عما

فإن تقديره فاقصدوا التوبة فإن توبتهم عين قتل أنفسهم فاقتلوا أنفسكم والفاء للتأويل لئلا يلزم ترتب الشيء على نفسه وكذا المراد ههنا ابن محمد

عما يقال الكذب مصدر كالكذب والألف واللام لتعريف الحقيقة وألسنتهم لا تصف أي لا توضح و
لا تبين حقيقة الكذب وماهيته بل يتكلم كلاما موصوفا بالكذب فما وجه كون الكذب مفعول تصف
وتقرير الجواب نعم إن مقتضى الظاهر أن يقال لما تصف ألسنتكم الكلام الكذب ونظيره إلا أنه جعل الظاهر
المتلبس بألسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة في وصف كلامهم بالكذب فإن أصل الكلام لما تصف
ألسنتكم الكلام الكاذب ثم عدل عنه فقيل الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف
وأقيم الكذب مقامه فقيل لما تصف ألسنتكم الكذب كما يقال وجهها يصف الجمال بمعنى أن وجهها إنما
يظهر الشكل المخصوص الموصوف بالجمال وحقيقته إلا أن وجهها لما كان في غاية الحسن والجمال صار
كأنه عين حقيقة الجمال فإنه إذا وصف الشكل الجميل صح أن يقال إنه وصف نفس الجمال وكذلك العين
لما كانت تشبه الساحر وتصفه كمال المشابهة والتوصيف صح أن يقال إنها تصف نفس السحر **قوله**
وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما قال أبو البقاء ويقرأ بفتح الكاف وكسر الذال والباء على البدل من
ما سواء جعلتها مصدرية أو بمعنى الذي انتهى أي ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب أو للذي تصف ألسنتكم
الكذب والمراد من كونه بدلا من ما المصدرية كونه بدلا مما في حيزها أي من المصدر المسبوك منها و
هو وصف ألسنتكم **قوله** والكذب أي وقرئ الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء على أنه صفة
الألسنة جمع كذوب كصبور وصبر أو جمع كاذب كشارف وشرف أو جمع كذاب نحو كتاب وكتب
وهو مصدر بمعنى الكذب قال تعالى يسمعه كذابا أي كذبا وقرئ الكذب بضمتين ونصب الباء بتقدير
أعني فيصير الذم الألسنة أو بمعنى الكلم الكواذب أي على أنه مفعول به والعامل فيه إما تصف وإما
القول على ما مر أي لا تقولوا الكلم الكواذب أو لما تصف ألسنتكم الكلم الكواذب **قوله** تعليل لا يتضمن
الغرض يعني أن اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا للتعليل الصريح إذ ليس الافتراء على الله
غرضا لهم من التحريم والتحليل من غير حجة بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إليه تعالى ويقولون
إنه تعالى أمرنا بذلك فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله ثم إنه تعالى أوعد المفترين فقال إن الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال
متاع قليل أي ما يتمتعون به من نعيم الدنيا شيء قليل في ذاته وبجنب منفعة الانتفاع به بل متاع كل
الدنيا قليل ثم إنه تعالى لما بين ما يحل ويحرم لأهل الإسلام أتبعه ببيان ما خص اليهود بتحريمه فقال
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل أي من قبل تحريمنا على أهل ملتك ما عددنا من
المحرمات **قوله** وإنه لم يكن للمضرة أي لمضرة ما حرم لمن قبل فإن ما حرم على المسلمين لم يحرم عليهم
إلا صونا لهم عن مضرته بخلاف اليهود فإنه حرم عليهم ما حرم جزاء لبغيهم وعقوبة على ظلمهم قال
تعالى في سورة النساء فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال أيضا ذلك جزيناهم هم

بتغيهم ثم انه تعالى لما بالغ في تهديد المشركين على انواع قبائحهم من انكار البعث والنبوة وكون القرآن
العظيم من عند الله وتحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه ونحو ذلك بين ان امثال تلك القبائح لا تمنعهم من
قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة اذا تابوا على ما فعلوا وآمنوا واطاعوا ولم يقدر للجهالة متعلق
ليعم كل جهالة وكل من يعمل السوء فانما يعمله ملتبسا بالجهالة اما الكفر فلان احدا لا يرضى به مع العلم
بكونه كفرا فانه ما لم يعتقد ان ما هو عليه حق لا يختاره ولا يثبت عليه واما المعصية فما لم تصر الشهوة
غالبة على العقل والعلم لم يصدر فثبت ان كل من عمل السوء فانما يقدم عليه بسبب الجهالة فلذلك قيل
كل من عصى الله تعالى فهو جاهل ثم انه تعالى لما زيف في هذه السورة مذاهب المشركين من الشرك
والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله ذكر الله تعالى في اخر السورة من هو رئيس الموحدين ووصفه
باوصاف شريفة وطريقة حسنة مقبولة لذوي ارباب العقول ليكون ذكر حاله حاملا لهؤلاء المشركين
على الاقرار بالتوحيد والاقتداء به في الاتصاف بما له من الفضائل والكمالات فقال ان ابرهيم كان امة
قانتا لله الآية الامة الجماعة ويقال لكل جنس من الحيوان امة لكثرة افراده وفي الحديث لولا ان
الكلاب امة لامرت بقتلها جعل الله ابرهيم عليه الصلوة وحده امة تشبيها بالامة من حيث استجماعه
فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في جماعة فان ذلك ليس ببديع من قدرة الله تعالى كما قال الشاعر ليس من
الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد يعني ان الله تعالى قادر على ان يجمع في واحد ما في الناس من انواع الفضل
والكمال والدامغة اسم لشجة بلغت نفس الدماغ والآمة هي التي بلغت ام الدماغ وهي الجلدة التي تجمع
الدماغ شبه المذاهب الزائغة باشخاص لها رؤوس مشتملة على الدماغ وشبه ابطال حجج تلك المذاهب
بشجها شجة دامغة فاطلق اسم الدمغ على الابطال المذكور ثم اشتق من الدمغ بمعنى الابطال لفظ
الدامغة بمعنى المبطلة فجعل هذه الاستعارة التبعية تخييلا لما اضمر من تشبيه المذاهب الزائغة
بالاشخاص المذكورة وهذا التشبيه المضمر في نفسه هو الاستعارة بالكناية عند الخطيب الدمشقي
قوله ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين اي ولاجل كونه عليه الصلوة والسلام
رئيس الموحدين جعل الله تعالى ذكره عليه الصلوة والسلام بحيث يعقب التزييف ويخلفه على ان
قوله تزييف ثانيا مفعول عقب يقال عقبه يعقبه بمعنى خلفه وعاقبة كل شيء آخره الذي يخلفه ويكون
بعده وبالتضعيف يتعدى الى اثنين وان شئت قلت عقب ذكره تزييف بان يجعل عقب ثلاثيا
وذكر مرفوعا على انه فاعل عقب وتزييف منصوب على المفعولية قوله او لانه كان وحده مؤمنا فيما
للامة الكافرة فلما كان وحده تمام الامة المؤمنة جعل امة والرحلة بالضم الوجه الذي تريده
يقال انتم رحلتي الذين ارحل اليهم والنخبة المنتخب يقال جاء في نخب من اصحابه اي خيارهم فان
كان امة فعلة بمعنى المفعول يكون اما بمعنى المأموم اي المقصود الذي تؤمه الناس لينتفعوا به
لبا

ليأخذوا منه الخير الجوهري الاتم بالفتح القصد يقال امه وائتمه اذا قصده واما بمعنى المؤتم به المقتدى
الجوهري امة القوم في الصلوة امامة وائتم به اي اقتدى وصف الله تعالى ابرهيم عليه الصلوة والسلام
بتسع صفات الصفة الاولى انه كان امة اي كالامة من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة
في الجماعة والثانية كونه عليه الصلوة والسلام قانتا لله تعالى اي مطيعا له قائما بامره والراغب القنوت
لزوم الطاعة مع الخضوع وفسر بكل واحد منهما في قوله تعالى كل له قانتون قيل خاضعون وقيل طائعون
والثالثة كونه عليه الصلوة والسلام حنيفا اي مائلا عن الملل كلها الى ملة الاسلام والرابعة انه
لم يكن من المشركين وكيف يكون مشركا وقد كان اكبر همته في حال صغره وكبره مصروفا الى تقرير دلائل
ثبوت الصانع ووحدته حتى ناظر ملك زمانه واقام عليه الحجج والبراهين الدالة على وجود الاله القادر
على كل شيء مثل قوله ربي الذي يحيي ويميت وقوله ربي يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
ثم ابطل عبادة الاصنام والكواكب بقوله لا احب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى
ان القوه في النار ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الطمأنينة
ومن وقف على علم القرآن علم ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام كان مستغرقا في بحر التوحيد والخامسة
كونه شاكرا لانعمه روي انه عليه الصلوة والسلام كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا
فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا ان بهم جذاما
فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافاني مما ابتلاكم فلولا قوة عزمكم على الصبر على ما اصابكم
لما ابتلاكم بهذا البلاء والسادسة ما دل عليه قوله تعالى اجتباه اي اصطفاه للنبوة واختاره
للخلة والسابعة ما دل عليه قوله تعالى وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله تعالى والترغيب في
الدين الحق والترهيب والتنفير عن الدين الباطل والثامنة ما دل عليه قوله تعالى وآتيناه في الدنيا
حسنة قال قتادة ان الله تعالى حببه الى كل الخلق وكل اهل الاديان يتولونه اما المسلمون واليهود و
يحبونه ويفتخرون بالانتساب اليه منه
النصارى فظاهر واما كفار قريش وسائر العرب فانه لا فخر لهم الا به وذلك لانه تعالى اجاب دعاءه
في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين حتى قال كل من يصلي منا كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
والتاسعة قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين اجاب الله تعالى دعاءه في قوله رب هب لي حكما و
الحقني بالصالحين وكونه من الصالحين لا ينافي كونه في اعلى مقامات الصالحين ثم انه تعالى لما وصفه
بهذه المدائح التسع وصفه بخصلة عاشرة هي اشرف واجل من المدائح السابقة وهي ان يكون
سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم صلوات الله وسلامه اجمعين مأمورا باتباع ملته فكأنه
ثم للتنبيه على ان منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى من منزلته عليه الصلوة والسلام وكون
نبينا صلى الله عليه وسلم مأمورا باتباع ملته لا ينافي اختصاصه بفضائل اخر يفضل بها على جميع الانبياء

عليهم الصلوة والسلام واصل الملة الدين لقوله عليه الصلوة والسلام لا نتوارث اهل ملتين اى اهل
دينين قوله حنيفا في التوحيد اشارة الى ان قوله حنيفا حال من المضاف اليه وما قيل من امتناع الحال من
المضاف اليه ليس على اطلاقه وانما يمتنع اذا لم يكن بين المضاف والمضاف اليه ملابسة قوية مثل ان
يكون المضاف جزءا من المضاف اليه او بمنزلة الجزء منه والملة ههنا بمنزلة الجزء من ابرهيم فلذلك كان انتصاب
الحال منه بمنزلة انتصابها من الملة والعامل فيها معنى الاضافة وقوله تعالى انما جعل السبت الاية كالجواب
عما يقال انه عليه الصلوة والسلام لما امر بمتابعة ابرهيم فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة فان
الظاهر ان ابرهيم قد اختار في شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة ان قوم موسى عليه الصلوة والسلام
يعظمون يوم السبت ويدل ذلك على ان تعظيمه شريعة متوارثة من يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم
الصلوة والسلام روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال امرهم موسى عليه الصلوة والسلام بالجمعة
وقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من اعمالكم فابوا ان
يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت
وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى عليه الصلوة والسلام ايضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون
عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله تعالى اليه فالناس لنا فيه تبع اليهود
غدا والنصارى بعد غد فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه ليس معناه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت
ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك بل معناه انهم اختلفوا على نبيهم من حيث انه امرهم
باختيار الجمعة وخالفوه باختيارهم يوما آخر ومما يدل عقلا على ان الجمعة سيد الايام وافضلها
للاخبار ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم
الاحد واتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود نحن نوافق ربنا في ترك
الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا
اليوم عيدا لنا فهذا وجه الفريقين في اختيار اليومين ونحن نقول يوم الجمعة يوم التمام والكمال
وتمام النعمة وكمالها هو الموجب لكمال الفرح والسرور الموجب للاشتغال بالشكر والخضوع فكان يوم
الجمعة افضل بالنسبة الى سائر الايام من هذا الوجه وفضله عليها من هذا الوجه يصلح ان يكون وجها
عقليا لتخصيصه بجعله يوم العيد والعبادة الزائدة وقيل معنى اختلافهم في السبت انهم احلوا
الصيد فيه تارة وحرموه اخرى ولم يتفقوا على كلمة واحدة مع ان الله تعالى امرهم بتعظيمه والامتناع عن الصيد
فيه قال قتادة استحل الصيد فيه بعضهم زمن داود عليه الصلوة والسلام يعني اهل ايلة فجعل السبت
عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه بان لعنوا ومسخوا قردة دون الذين نهوا اباءهم عن ذلك ثم انه تعالى
لما

لما امره عليه الصلوة والسلام باتباع ابرهيم عليه الصلوة والسلام بين في اي شيء يتبعه فقال
ادع الى سبيل ربك بالحكمة الخ قوله بالمقالة المحكمة اشارة الى ان المراد بالحكمة البراهين القطعية
المفيدة للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وبالموعظة الحسنة الامارات الظنية والدلائل الا قناعية
وبالدلائل الجدلية الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها الزام الخصم وافحامه ثم ان الجدل على قسمين
احدهما هو الدليل المركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من مقدمات مسلمة عند الخصم
وهذا القسم هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثاني ما يكون مركبا من مقدمات فاسدة
الا ان المستدل يزورها ويروجها دفعا لشغب الخصم وسفاهته بسلوك الطرق الفاسدة عند
المناظرة وهذا القسم لا يليق بالعقلاء وانما اللائق بهم هو القسم الاول وذلك هو المراد بقوله تعالى و
جادلهم بالتي هي احسن فهو حصر للدلائل الصادرة عقلا في هذه الاقسام المذكورة في الاية
الكريمة والذين يدعون الى الطريق بطريق المناظرة ثلث طوائف الكاملون الطالبون
للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية ولا يقنعون بالظن الغالب والمكالمة مع هؤلاء لا بد ان تكون
بالدلائل القطعية وهي الحكمة والقسم الثاني الذين يغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب الحق
واليقين والمكالمة اللائقة بهم المجادلة التي تفيد الافحام والالزام فهاتان الطائفتان هما الطرفان
الاول منهما هم الكاملون في الاستكمال بحسب القوة النظرية والثاني الناقصون الذين لم يستعدوا
للاستكمال بحسب القوة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطائفتين حيث لم يبلغوا في
الكمال الى درجة الحكماء المحققين ولا في النقصان الى حد المشاغبين بل هم اقوام بقوا على الفطرة الاصلية
والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة
مع هؤلاء لا تمكن الا بالموعظة الحسنة والدلائل الاقناعية الظنية فكانه قيل ادع الاقوياء الكاملين
الى الدين الحق بالحكمة وهي البراهين القطعية اليقينية وعوام الخلق بالموعظة الحسنة وهي الدلائل
الاقناعية الظنية وتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن ودلت هذه الاية الكريمة
على ان الدعوة لا بد ان تكون بالدلائل القطعية التي هي الحكمة والا فبالدلائل الظنية وهي الموعظة واما
الجدل فليس من طرق الدعوة بل المقصود منه غرض آخر وهو الالزام والافحام واليه اشار المصنف بقوله
وجادل معانديهم بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة ثم انه تعالى قال ما معناه انك يا محمد عليه الصلوة
والسلام مكلف بالدعوة الى الله بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية فلا يتعلق بك فانه تعالى
اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة
صافية قليلة التعلق بالجسمانيات كثيرة الانجذاب الى عالم الروحانيات وبعضها مظلمة كدرة
قوية التعلق بالجسمانيات عديمة الالتفات الى الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من

لوازم جواهرها لا جرم يمتنع انقلابها وزوالها فلهذا قال لا اشتغلات بالدعوة ولا تطمع في تحويل
الدابة الملكة فانه سبحانه هو العالم بخصوصيات استعدادات النفوس فلكل نفس فطرة مخصوصة كما قال
من فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قوله لما امره بالدعوة الى سبيل بيان لارتباط هذه
الاية بما قبلها فان المحقين لما امروا بالدعوة الى الدين الحق وكانت الدعوة المذكورة تتضمن امر
المبطلين بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم والحكم عليه بانه كفر وضلال وكان ذلك مما يشوش
قلوبهم وربما يحملهم ذلك على اذى الداعي بنحو الشتم والضرب والقتل وكان يؤدي المحقين الى تأديب هؤلاء
السفهاء المشاغبين بالضرب والقتل ونحو ذلك فلا جرم امر الله المحقين في هذا المقام برعاية العدل
والانصاف وترك الزيادة فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي ان رغبتم في استيفاء
القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم وهو لا يرضى بالظلم وفي
الاية دلالة على ان الاولى ترك المقاصة فانك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح
فانه يفهم منه ان الاولى بك ان لا تأكل ثم انه عدل عن طريق التعريض الى التصريح حيث قال و
لئن صبرتم لهو خير للصابرين فانه تصريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا شديدا
ذكر بعده ما يفيد سهولته لمن اختار العفو فقال وما صبرك الا بالله ولما كان السبب الحامل على الغضب
والانتقام لا يخلو عن امرين احدهما فوات نفع كان في الماضي والآخر توقع ضرر يكون في المستقبل
نهى عن الالتفات الى السبب الاول بقوله ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بسبب اعراضهم عنك
واستحقاقهم للعذاب الدائم او على المؤمنين وعن الالتفات الى الثاني بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون
اي اثبت على دعوتك ودع ما اصابك منهم من الاذى قوله وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الضاد والباقون
بفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل المفتوح مخفف من ضيق المشدد كميت في ميت اي في امر ضيق امر الله
نه رسول صلى الله عليه وسلم بان يدعو الخلق الى سبيل رب العالمين باحد الطرق الثلثة كل طائفة بما
يليق بها من طرق الدعوة ثم قال ان ادت الدعوة المذكورة الى مباحثة المبطلين لا تزيدوا في الانتقام
على قدر اعتدائهم ورمز في هذه المرتبة الى ان ترك الانتقام هو الاولى ثم عدل عن الرمز الى التصريح حيث
قال ولئن صبرتم لهو خير ثم امر في المرتبة الثالثة بالصبر على سبيل البت والجزم حيث قال واصبر ثم ذكر
في المرتبة الرابعة ما يشبه التهديد على استيفاء الزيادة فقال ان الله مع الذين اتقوا عن المعاصي التي من جملتها
استيفاء الزيادة فكونوا اولياء والذين هم محسنون في اعمالهم التي من جملتها الصبر على اذى السفهاء
وترك اصل الانتقام منهم ومن تأمل هذه الاية الكريمة وترتيبها عرف ان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر يجب ان يكون على هذا الوجه وان القرآن العظيم بحر لا ساحل له قيل لبعض العلماء عند
قرب وفاته اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي ولكني اوصيكم بخواتيم سورة النحل تمت سورة

النحل والحمد لله تعالى جزيل الآلاء في اوائل شهر المبارك جمادى الاولى من شهور سنة اربع وثلثين
وثمانمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة بني اسرائيل مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله وقد يستعمل علما بمعنى ان اكثر استعماله على انه مضاف
بغير علم لان الاعلام لا تضاف الا ان يقع فيه الاشتراك اتفاقا وان استعماله علما شاذ نادر وحجة
منع الصرف للتنوين والالف والنون المزيدتان في آخره كعثمان والدليل على ان السبحان علم للتسبيح قول
الشاعر فقلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر فانه لولا انه علم لوجب صرفه لان الالف
والنون في غير الصفات انما يمنع مع العلمية والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجب منه قوله سبحان
من علقمة الفاخر معناه العجب منه اذ يفخر واصل السبح المر السريع في الماء او في الهواء يقال سبح سبحا
وسباحة واستعير لمر النجوم في الفلك كما في الفلك يسبحون ولجري الفرس والسابحات سبحا
ولسرعة الذهاب في العمل وان لك في النهار سبحا طويلا والتسبيح تنزيه الله واصله المر السريع
في عبادة الله وسبحان الله معناه التنزيه لله نصب بفعل المصدر كانه قال ابرئ الله من السوء براءة
براءة وهو في الاية على معنى الاسراء ان نزهوا الله وبرئوه من قول المشركين ومن العجز عما اراده
ومن جملته اسراء عبده في بعض من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى ما شاء الله قوله
واسرى وسرى بمعنى يقال سريت سرى ومسرى واسريت بمعنى اذا سرت ليلا والذي بالالف
لغة اهل الحجاز والفعل على اللفظين لازم وعدي في الاية بالباء في بعبده ولما ورد ان يقال
الاسراء لا يكون الا بالليل فما الفائدة في قوله ليلا اجاب عنه بقوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل
مدة الاسراء بمعنى ان اسم الجنس اذا استعمل منكرا يكون نكرة للافراد شخصا او نوعا فيكون المعنى
اسرى بعبده ليلا واحدا من الليالي او نوعا واحدا من انواعها دفعا لتوهم ان يكون الاسراء في
ليالي متعددة كما في قوله سيروا فيها ليالي واما للتعظيم والتهويل اي تعظيم زمان الاسراء كانه قيل
اسرى بعبده ليلا اي ليلا ليلا دنى فيه المحب الى المحبوب وفاز في مقام الشهود بالمطلوب واما التكثير
او التقليل فكان ليلا المنكر بمنزلة اللفظ المشترك الذي لا يتعين المراد منه الا بالقرينة المعينة
للمراد وتصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب البليغ قرينة دالة على ان الوارد بعدها امر خارق
للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها الا الله عز وجل فلما قيل بعدها ليلا تعين بتلك القرينة ان المراد
منه بعض الليل فان التبعيض قريب من التقليل فكانه قيل اسرى بعبده في بعض من الليل من
مكة الى بيت المقدس مسيرة اربعين ليلة فتعين بهذه القرينة ان المراد تقليل مدة الاسراء
والدلالة على ان الاسراء وقع في بعض الليل قوله ليطابق المبتدأ المنتهى علة لكون المراد من

يعني ان الاسراء انما يدل على السير الواقع في الليل مطلقا اي قطع النظر عن وقوعه في كله او في بعض قليل منه او كثير فلما قيل ليلا بالتنكير علم منه انه واقع في مدة قليلة منه

من المسجد الحرام الحرم المحيط به على طريق تسمية احد المتلابسين باسم الآخر فانهم اتفقوا على
ان المراد بقوله الى المسجد الاقصى بيت المقدس وكلمة الى فيه لانتهاء الغاية وسمي بالاقصى لبعد
المسافة بينه وبين المسجد الحرام فمدلول قوله تعالى الى المسجد الاقصى انه وصل حد ذلك المسجد
فاما انه دخل ذلك المسجد ام لا فليس في اللفظ دلالة عليه فلما كان المراد بالمنتهى الحد الملتبس بالمسجد
الاقصى كان المناسب ان يكون المراد بالمبدا ايضا الحد الملتبس بالمسجد الحرام وهو الحرم ليطابق
المبدا والمنتهى قوله واستنعتت طائفة اي طلبوا منه عليه الصلوة والسلام ان يبين لهم نعت
بيت المقدس والمسجد الاقصى فجلي اي ظهر له الحال فطفق ينظر اليه وينعته لهم روي عنه عليه
الصلوة والسلام انه قال لقد سألتني قريش عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله لي انظر اليه ما سألوني عن شيء الا انبأتهم به قوله ولذلك تعجب قريش
واستحالوه بناء على ان ارتفاع الجسم من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى ما فوق العرش في مقدار
ثلث الليل مما لا يقبله العقل قال الامام ومما يدل على جوازه عقلا انه ثبت في الهندسة ان قرص
الشمس يساوي كرة الارض مائة وستين مرة وكذا او كذا مرة ثم انا نشاهد ان طلوع القرص
يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل على ان بلوغ الحركة في السرعة الى الحد المذكور امر ممكن
في نفسه غاية ما في الباب انه يبقى التعجب الا ان مثل هذا التعجب لا يختص بهذا المقام بل هو حاصل
في جميع المعجزات فمجرد التعجب لا يستلزم الانكار والبطلان وايضا كما يستبعد في العقل صعود الجسم
الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فلذلك يستبعد نزول اللطيف الروحاني من فوق العرش
الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا كان القول
بنزول جبرئيل من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا
في نبوة جميع الانبياء والقول بثبوت المعراج متفرع على تسليم جواز اصل النبوة فثبت ان القائلين
بامتناع حصول حركة جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبرئيل في لحظة واحدة
من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكروه ايضا باطلا فان قالوا نحن لا نقول ان جبرئيل
جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول جبريل هو زوال الحجب الجسمانية عن روح
محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في
ذات جبرئيل قلنا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المفسرين فهم يقرون بان جبرئيل
جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور
قويا وهذا التقرير لما ذهب اليه الاكثرون من طوائف المسلمين وذهب الاقلون الى انه عليه الصلوة
والسلام ما اسري الا بروحه روي عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله

[Margin note:] ... ثمانية ... [illegible] ... مائة وستون ... ثمانية ... الساعة ... [illegible] منه

الا صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكي هذا القول عن عائشة وعن معاوية رضي الله عنهما والذي
ذهب اليه اهل التحقيق انه تعالى اسرى بروح محمد عليه الصلوة والسلام وجسده من مكة الى المسجد الاقصى
واختلف العلماء في ان الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة او كل واحد في ليلة فمنهم من زعم
ان الاسراء وقع في اليقظة والمعراج في المنام وذهب آخرون الى ان الاسراء وقع مرتين مرة
بروحه مناما ومرة بروحه وجسده يقظة وذهب آخرون الى تعدد الاسراء في اليقظة وقال
وقالوا انها اربع اسراءات لتعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم
يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر وهذا لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحدث
بعض الخبر لعلمه به او نسيانه البعض الآخر او يذكر ما هو الاهم عنده او يبسط تارة فيسوق الخاطب
كله وتارة يحدث المخاطب بما هو الانفع له قوله وصرف الكلام من الغيبة يعني ان الجمهور قرؤا لنريه
بنون العظمة على اسلوب قوله باركنا ففيهما التفات من الغيبة في قوله اسرى بعبده الى التكلم في
باركنا وفي لنريه ثم التفت من التكلم الى الغيبة في قوله انه هو السميع العليم ففي الكلام التفاتان وقرئ
ليريه بياء الغيبة وعلى هذه القراءة يكون في الآية اربع التفاتات لانه التفت اولا من الغيبة في
قوله الذي اسرى بعبده الى التكلم في قوله باركنا ثم التفت ثانيا من التكلم في باركنا الى الغيبة في ليريه
على هذه القراءة ثم التفت ثالثا من هذه الغيبة الى التكلم في آياتنا ثم التفت رابعا من هذا التكلم الى
الغيبة في قوله انه ثم التفت خامسا من هذه الغيبة الى التكلم في قوله وآتينا موسى الكتاب وهو معطوف
على الجملة السابقة الدالة على تنزيه الله تعالى على طريق عطف الجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمدا
صلى الله عليه وسلم بانه اسرى به وذكر في هذه الآية انه اكرم موسى عليه الصلوة والسلام قبله بالكتاب
الذي آتاه والضمير المنصوب في جعلناه يجوز ان يكون للكتاب وهو الظاهر وان يكون لموسى قوله على
ان لا تتخذوا اي على ان يكون الامر كذلك من ان المفسرة ولا الناهية على طريق قولك كتبت اليه ان افعل
كذا فان ان فيه مفسرة للمفعول المقدر للفظ كتبت اي كتبت اليه شيئا هو افعل كذا فكلمة ان حرف دال
على ان افعل كذا تفسير للمفعول به المقدر لكتبت الدال على معنى القول والمؤدي معناه فكذا ان التي
في الآية مفسرة بمعنى اي تفسيرا لما تضمنه الكتاب من التكاليف فانه نهى بني اسرائيل عن ان يتخذوا
من دون الله وكيلا اي ربا يكلون اليه امورهم في معنى تكليفهم بان يتعبدوا بامتثال جميع ما كلفهم
الله تعالى به من الاوامر والنواهي ولا يلتفتوا الى ما يدعو اليه نفوسهم وطباعهم ورؤساؤهم المتفاوتة
وقرأ ابو عمرو الا يتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبني اسرائيل والباقون بتاء الخطاب التفاتا
وكلمة ان في قراءة ابي عمرو مصدرية ناصبة للفعل بعدها على حذف الخافض اي وجعلناه هدى
لبني اسرائيل وهديناهم به اي لئلا يتخذوا من دونه وكيلا اي ربا يكلون اليه امورهم ولا وجه

[Margin note:] قال الا تتخذوا ابو عمرو بياء الغيبة فالتقدير جعلناه هدى لئلا يتخذوا والباقون لئلا تتخذوا وآتينا موسى الكتاب ويقرأ بتاء الخطاب ايضا وجاز ان احدهما ان يكون بمعنى اي مفسرة لما تضمنه الكتاب من ... وهي الامر والنهي وثانيهما ان يكون ان زائدة والتقدير مخافة ان تتخذوا وقد رجع في هذا من الغيبة الى الخطاب منه

[Margin note:] اي قلنا لهم لا تتخذوا ... [illegible] ... الى الله ... منه

لان يكون ان مفسرة على القراءة بياء الغيبة لان ما في حيز المفسرة مقول من حيث المعنى والذي يلقى اليه القول لا بد ان يكون مخاطبا كما لا وجه لكونها مصدرية على قراءة الخطاب لان بني اسرائيل غيب **قوله** نصب على الاختصاص وجه تخصيص الذرية بالنهي عن اتخاذها وكلاء من دون الله تعالى ان اختصاصهم بهذا الوصف وهو كونهم ذرية المحمولين مع نوح وترتب حكم النهي عن اتخاذهم وكلاء عليه يشعر بانهم لا يصلحون لان يكونوا اربابا يكل الانسان اموره اليهم لانهم عاجزون محصورون في ذات الواح ودسر فكيف يصح ان يتخذوا وكلاء من دون الله **قوله** او النداء فالمعنى لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة وهم مومنوا قومه وبنوا اسرائيل من نسل سام بن نوح ويبنى انتصابه على النداء على قراءة الا تتخذوا بتاء الخطاب لان النداء انما يكون للحاضر للملح عبر عنهم بقوله الا تتخذوا بياء الغيبة ويحتمل ان يكون انتصاب ذرية على انه مفعول اول لتتخذوا وقوله وكيلا ثانيهما قدم على الاول وهو وان كان مفرد اللفظ الا انه في معنى الجمع والمعنى لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكلاء كقوله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم الصلوة والسلام **قوله** او بدل من واو تتخذوا قال ابو البقاء هذا على القراءة بالياء لانهم غيب يعني قوله ذرية لكونه اسما ظاهرا بمنزلة الغائب فلا يصح ابداله من ضمير المخاطب قال ابن الحاجب في الكافية ولا يبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيدا فان الابدال انما يكون لتبيين الذات المرادة وتوضيحها فيجب ان يكون البدل اوضح تعريفا وابين دلالة عليها وضمير المتكلم والمخاطب لتعين مدلولهما حسا وعقلا ابين واوضح من الاسم الظاهر لان مدلوله انما يتبين بحسب العقل فقط فلو ابدل الظاهر من ضمير المتكلم والمخاطب لكان المقصود بالنسبة اقل تعينا ودلالة على الذات المرادة من غير المقصود وهذا لا يجوز فلهذا جاز ضربته زيدا ولم يجز ضرتك المسكين ولا عليك الكريم **قوله** وفيه ايماء اشارة الى ارتباط قوله انه كان عبدا شكورا بما قبله يعني انه استئناف لبيان علة ما ذكر قبله وحث الذرية على الاقتداء به **قوله** واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا اشارة الى ان القضاء انما الشيء على وجه البت والاحكام وضمن ههنا معنى الايحاء لاقتضائه كلمة الى لما ذكر الله تعالى انعامه على بني اسرائيل بانزال التورية وانه جعل التورية هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد فقال وقضينا الى بني اسرائيل اي اعلمناهم واخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ومفعول لتفسدن محذوف اي لتفسدن ما كلفتم به بارتكاب المعاصي ومخالفة احكام التورية ويجوز ان لا يقدر له مفعول اي لتوقعن الفساد وقوله افسادتين اشارة الى ان مرتين منصوب على المصدرية وكذا علوا فانه مصدر علا يعلو **قوله** وقتل شعيا فقد كا

فقد كان عادة الله تعالى انه اذا ملك الملك على بني اسرائيل بعث معه نبيا يسدده ويرشده ١٧ لا ينزل عليهم الكتب وانما يومرون باتباع الاحكام التي في التورية فملك الله تعالى فيهم ملكا صالحا يدعى صدقيه فبعث معه شعيا وهو الذي بشر ببعثة عيسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام فملك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل معه ستمائة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي ان ائت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصية ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعيا ملك بني اسرائيل فاخبره ما اوحي اليه فقال الملك اللهم رضيت بقضاء الله فاستقبل القبلة فصلى ودعا وبكى بكاء الانابة والتسليم وطلب طلب الرحمة في الدنيا والاخرة وكان عبدا صالحا فاوحى الله تعالى الى شعيا ان يخبر الملك بان ربه قد رحمه واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فاتاه شعيا فاخبره به فخر الملك ساجدا استغفر فاشفى الله قرحته واصبح عسكر العدو كلهم موتى الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه احدهم بخت نصر فصرخ رجل على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله تعالى قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فخرج الملك وفتشوا فلم يبق منهم احد فلم يوجد سنجاريب في الموتى فتفرق طالبوه فوجدوه مع اصحابه الخمسة في مغارة فجعلوا في الجوامع ثم اتوا بهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم الملك خر ساجدا من حين طلعت الشمس الى العصر ثم رفع راسه [5] فامر امير عسكره ان يقذفهم بالاغلال ويجعلهم حول بيت المقدس وايليا فطاف بهم سبعين يوما مقيدا [6] فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعيا الملك بذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل [2] فلبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بخت نصر ابن ابنه ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صدقيه فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعيا معهم لا يقبلون منه فجمعهم يوما وقام فيهم خطيبا بامر الله فقال لهم الله تعالى خطبة بليغة ووعظهم وامرهم ونهاهم وحذرهم عقاب الله تعالى ان اصروا على ما هم عليه فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا اليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله تعالى على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون عليهما الصلوة والسلام وذكر انه الخضر واسمه ارميا سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث

يقول ابشروا ببعثة راكب الحمار وصاحب البعير
نسخه

قوله عظمت فيهم الاحداث
مثل بحر بحث فيهم الاحداث على الادباء وظهر اثار الخبائث على الاتقياء حتى ابرز الفساد وشاع البغي والعنا ونعوذ بالله من ذلك
نسخه

الجوامع جمع جامعة وهي الغل لانها تجمع اليدين الى العنق كذا في الصحاح الجوهري

خبر نبي
[6] وكان برز لهم كلاديم فقال سنجاريب لكل واحد منهم الفلك خبر لملك بني اسرائيل مما تنقل بنا
بغوي

[2] فلما قدموا اجمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله تعالى بجنوده فقال له كاهنه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله تعالى الى نبيهم فلم تطعنا وهي امة لا يستطيعها مع ربهم وكان امر سنجاريب تخويفا لهم ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة
بغوي

قوله ومن دوني حال عطف على اسم ان وخبره او العامل ينبئه
ان ومن دوني حال لا احد
ان ومن دوني وعلى المتعديين كما على الاوليين
تقدير كون ذرية احد المفعولين
يكون المفعول الآخر وكيلا على
التقديم والتاخير ويكون وكيلا
بمعنى وكلاء
نسخه

الله تعالى من ذرية نوح عليه
قال المفسرون كان نوح اذا اكل
الصلوة والسلام او لبس ثوبا او شرب
طعاما او لبس ثوبا قال الحمد لله وكان لا يزيد
شرابا قال الحمد لله والشكر
الخير الاسمى عند الله على النعم
مقابلة النعمة بالثناء
وبالطاعة والمقصود الابنائكم
من ذرية نوح وقد كان عبدا
شكورا فانتم احق بالاقتداء
به قال الماوردي ويحتمل ان
قوله كان عبدا شكورا راجع
الى موسى عليه الصلوة والسلام
وجعله الله تعالى من ذرية
نوح
حاشية

ولتعلن علوا كبيرا الشئون
وتتكبرن عن طاعة الله تعالى وتتغلبن
الناس بالظلم والعدوان
وتفرطن في ذلك افراطا متجاوزا
للحدود

الله تعالى ارميا الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي
واستحلوا المحارم فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك
به وذكرهم نعمتي وعرفهم باحداثهم فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة
بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن
لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد
مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث اهل بابل فسلط عليهم بخت نصر
فقتل علماءهم واحرق التورية وخرب المسجد الاقصى والقى فيه الجيف وسبى سبعين الف فذهب بهم
الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم لما اراد الله تعالى هلاك بخت نصر انبعث فقال لمن في يديه من بني اسرائيل
ارأيتم هذا البيت الذي خربت والناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله و
هؤلاء اهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وقد كان ربهم رب
الخلق اجمعين يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه
بجبروته فعل ذلك ببني اسرائيل قال فاخبروني كيف لي ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها
ملكا فاني قد فرغت من في الارض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن او لاقتلنكم عن آخركم
فبكوا وتضرعوا الى الله فبعث الله تعالى عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بام دماغه فما كان
يقر ولا يسكن حتى يوجا له راسه على ام دماغه فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة عاضة في
ام دماغه ليرى الله تعالى العباد قدرته ونجى الله تعالى من في يديه من بني اسرائيل فردهم الى الشام
فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ثم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله
وكانت التورية قد احرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع الى الشام يبكي عليها ليله
ونهاره وقد خرج من الناس وهو كذلك اذ اقبل اليه رجل وقال يا عزير ما يبكيك فقال ابكي على كتاب الله وعهده
الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال افتحب ان نرد اليك قال نعم قال
ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان
الذي وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله تعالى فسقاه من ذلك الاناء
فمثلت التورية في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التورية فاحبوه حتى لم يحبوا احدا حبه شيئا قط ثم
قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث وكلما بعث الله فيهم الرسل كانوا فريقا
يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله تعالى فيهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلوة
والسلام وكانوا من آل داود فمات زكريا وقيل قتل زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى وهذا هو المرة
الثانية من افسادهم فسلط عليهم الفرس مرة اخرى ثم انهم اختلفوا في ان العباد الذين بعثهم

بعثهم الله تعالى على بني اسرائيل حين تعظموا واستحلوا المحارم وسفكوا الدماء الذي هو اول الفسادين
من هم فقيل هم بخت نصر وجنوده وقيل هم جالوت وجنوده سلطهم الله تعالى عليهم حتى اهلكهم و
قهرهم ثم لما ان رد الله تعالى عليهم الكرة بتقوية طالوت على محاربة جالوت فلما التقى العسكران تقدم
جالوت وطلب من يبارزه فقتله داود وقيل سنحاريب قال الامام لا يتعلق كثير غرض في معرفة الاقوام
باعيانهم بل المقصود من هذه الآيات بيان ان بني اسرائيل افسدوا في الارض بكثرة المعاصي فسلط
الله تعالى عليهم قوما قهروهم بالقتل والسبي وتخريب الديار ثم رد الله تعالى اليهم الدولة وامدهم باموال
وبنين ثم افسدوا مرة ثانية فرجع الله تعالى اليهم بالقهر وان عادوا الى الافساد عاد الله تعالى اليهم
بالقهر والتغليب والجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس اي فتش وطلب الشيء باستقصاء كما يجوس
الرجل الاخبار ويطلبها والخلال هو الانفراج بين الشيئين والديار بيت المقدس ثم انه تعالى
لما بين ان افسادهم الاولى ادى الى ان بعث الله تعالى عليهم قوما اولي باس شديد فقهروهم بالقتل
والاسر ونحوها بين على طريق الاستيناف ان ضرر اساءتكم وعصيانكم لا يتعدى عنكم الى غيركم
فان حقيقة الحال انكم ان احسنتم واطعتم الله تعالى فمنفعة ذلك الاحسان لا ترجع الا اليكم وان اسأتم
فضررها لا يتعدى عنكم الى غيركم روي عن علي رضي الله عنه انه قال ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه
قوله تحذف لدلالة ذكره اولا اي حذف جواب اذا وهو قوله بعثناهم لدلالة ما تقدم بما تقدم عليه
وهو قوله بعثنا عليكم عبادا لنا وكذا حذف متعلق الآخرة فان التقدير وعد المرة الآخرة للعلم
به قوله ان يجعلوها بادية آثار المساءة وهي الحزن من الاعراض النفسانية القلبية ولا يتعلق بالوجه
الا انها عديت الى الوجوه لكون اثرها بادية فيها فانه اذا حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة والاشراق
في الوجه وان حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه وذلك لان
الانسان اذا قوي فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستبشر وجهه واذا قوي غمه يختنق الروح
في داخل قلبه فلا يسري اثره الى الوجه فلا جرم يظهر فيه اثر الارضية والغبرة فمساءة الوجه كناية
عن الغم الشديد فلهذا عديت المساءة الى الوجه في هذه الآية قوله وقرئ ليسوءن على الاوجه الاربعة
بنون العظمة وبنون التاكيد الخفيفة والمثقلة وبياء الغيبة ونون التاكيد واللام مكسورة في الجميع
على انها لام الامر لا على انها لام كي لان نون التاكيد لا تدخل على المضارع الا اذا كان فيه معنى الطلب كالنهي
والاستفهام والعرض والجملة جواب اذا ولكن على حذف الفاء اي فليسوءن لما تقرر في النحو من ان
الجزاء اذا لم يكن ماضيا بغير قد لفظا او معنى ولم يكن المضارع مثبتا ولا منفيا بلا وجب دخول
الفاء في الجزاء سواء كان جملة اسمية كقوله تعالى افان مت فهم الخالدون او امرا كقوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني او نهيا كقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وغير ذلك

قوله لتسوءن على الاوجه الاربعة بفتح اللام على انها لام القسم وهو جواب قسم مقدر لفظا وجواب
الشرط معنى فلا حاجة الى تقدير جوابه ولا يجوز ان يكون قوله وليدخلوا المسجد معطوفا على ليسوءن بل
يتعلق بمحذوف معطوف عليه تقديره وبعثناهم ليدخلوا وانما اتى بالواو ليعلم انه معطوف على جواب
الشرط وبالجملة من جعل اللام الاولى لام كي جعل اللام التي في قوله ليدخلوا ايضا لام كي معطوفة بجعلها
عطف علة على اخرى ومن جعل الاولى لام امر او لام قسم جعل اللام في ليدخلوا لام التعليل متعلقة بمحذوف
وان جعلت الاولى لام امر يجوز ان تكون الثانية ايضا كذلك وقوله كما دخلوه صفة مصدر محذوف
قوله ما علوا على ان تكون ما موصولة منصوبة المحل على انها مفعول به اي ليهلكوا الذي علوه وغلبوا
عليه وظفروا به وقوله مدة علوهم على ان تكون ما مصدرية قائمة مقام الوقت كما في قولك آتيك خفوق
النجم اي زمان خفوقه فيكون عدم ذكر المفعول اما لقصد التعميم او لتنزيل الفعل منزلة اللازم نحو يعطي
ويمنع وقوله تتبيرا مصدر مؤكد كما في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما اي حقا لا شك فيه قوله
وذلك بان سلط الله تعالى عليهم بخت نصر او ابعث الباس الشديد عند افسادهم مرة ثانية
بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلوة والسلام وقع بان سلط الله تعالى عليهم الفرس مرة
اخرى حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم فذلك قوله تعالى ليسوءوا وجوهكم الاية قوله عسى ربكم
ان يرحمكم من جملة ما قضاه الله تعالى الى بني اسرائيل في التورية والمعنى لعل ربكم يا بني اسرائيل
ان يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم مرة ثانية ثم عاد الله تعالى عليهم برحمته حتى كثروا واشتروا
ثم انهم قد عادوا بتكذيب سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم فعاد الله عليهم بالتعذيب على
ايدي العرب فجرى على بني قريظة وبني قينقاع و بهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء ثم الباقون منهم
مقهورون بالجزية لان اليهود لا ملك لهم ولا سلطان ابدا قوله محبسا لا يقدرون على الخروج منها
ابدا جواب عما يقال ان قوله حصيرا فعيل بمعنى فاعل وقد اجري على جهنم وهي مؤنث سماعي فينبغي ان
يقال حصيرة بالتاء لما تقرر من ان فعيلا بمعنى فاعل يلزم تأنيثه وبمعنى مفعول يجب تذكيره وما جاء
شاذا من النوعين يجب تأويله وتقرير الجواب ان جهنم مؤول بالسجن والمحبس وقيل انه في معنى
الفراش والبساط ويجوز ان يقال تانيث جهنم مجازي فلذلك ذكر صفته ثم انه تعالى لما شرح معاملته
مع عباده المخلصين وهو اسراء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واتياء التورية لموسى عليه
الصلوة والسلام وبين ما فعله في حق العصاة بتسليط من يؤذيهم عليهم وتبين به
ان طاعة الله توجب كل خير ومعصيته توجب كل بلية وقهر لا جرم اثنى على القران فقال ان هذا
القران يهدي الاية قوله للتي صفة لمحذوف اي للطريقة التي هي اقوم الطرق وعدل الى الحذف
ان الكلام الذكر هو الاصل ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يهدي اليه من وجوه الخير
فالاهتمام

قوله تعالى وليدخلوا المسجد فيه قولان احدهما ان المسجد اسم بيت المقدس كله كما يعبر عن الحرم كله وعن مكة بالمسجد الحرام كما قال تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام والثاني انهم لا يدخلون المسجد للتخريب الا بعد دخولهم البلد واستيلائهم عليه فعبر عن الاستيلاء بدخول المسجد ع كذا

ان قوله ... بجنسه ... بالتنزل ... للانفصال ... يتعلق بالخبر ... بالقران ... اطر ... ان ... الله

٥٥٥

فان ابهام الموصوف وعدم تعيينه بنحو الملة او الطريقة او الحالة او الخصلة يؤدي الى ان يتنقل الذهن
اليها ولما ما شاكلها فكانه قيل يهدي لما لا يدخل تحت الوصف والحصر بخلاف ما لو ذكر واحد من الامور
المذكورة فان ذكره يتعين في صفة اقوم ههنا للزيادة المطلقة كما في قولنا الله اكبر لان ما يهدي اليه
القران من القران والشرايع لا يشاركه سائر الاديان والملة في اصل الاستقامة حتى يقال هو لا
في هذه الملة اكثر واكمل من حصوله في غيرها وصف الله تعالى القران بثلثة اوصاف اولها انه يهدي التي هي
اقوم وثانيها انه يبشر المؤمنين الذين اهتدوا لما يهدي اليه القران من الطريق بالاجر الكبير لان من سلك
اقوم الطرق لا بد ان يفوز بابعد المقاصد ولما كان الاجر الكبير مبشرا به وجب ان يكون تقدير قوله
ان لهم اجرا كبيرا بان لهم حذف حرف الجر من ان وان كثير شايع والصفة الثالثة قوله تعالى وان الذين
لا يؤمنون الخ فانه ان كان معطوفا على قوله ان لهم اجرا كان المعنى ويبشر المؤمنين بان لاعدائهم
عذابا اليما وان كان معطوفا على يبشر باضمار يخبر يكون المعنى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم و
يبشر المؤمنين بكذا ويخبر بان الذين لا يؤمنون كذا فان قيل هذه الاية في شرح احوال اليهود و
هم ما كانوا ينكرون الايمان بالاخرة فكيف يليق بهذا الموضع قوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما اجيب عنه بوجهين احدهما ان اكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب
الجسمانيين والثاني انهم يؤمنون بالاخرة على خلاف ما هي عليه كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
فمثل هذا القول ليس ايمانا بحقيقة الاخرة ثم انه تعالى لما بين شان القران وكونه مدار المنافع الدارين
بين ان الانسان قد يعدل عن التمسك بشرايعه والرجوع الى بيانه ويقدم على ما لا فائدة له
فيه فقال ويدع الانسان بالشر الاية وفي الموضعين متعلقة بالدعاء اي يدعو الله تعالى عند غضبه
بما يعلم انه شر له بحسب انه خير وهو شر له كدعائه بما هو خير في نفسه وعلمه والقياس ان
يثبت واو يدعو لانه في موضع الرفع الا انه لما وجب سقوطها لفظا لاجتماع الساكنين اسقطت في
الخط ايضا على خلاف القياس ونظيره سندع الزبانية وسوف يؤت الله المؤمنين قوله
ضجرا اي مضجورا يقال ضجر فلان ضجرا اذا اجيب على الشيء حتى يقتل قوله بدلان على القادر الحكيم
كانه اشارة الى وجه انتظام الاية بما قبلها فانه لما سبق ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وكان اقوم
الاحوال المتعلقة بالاعتقاد الاعتقاد بان هذا العالم لا بد له من صانع قادر حكيم ذكر ما يكون هاديا
ودليلا يؤدي الى هذا الاعتقاد قوله مضيئة لما كان الابصار عبارة عن ادراك الشيء بحاسة
البصر وذلك لا يتصور في النهار جعل الابصار مجازا عن الاضاءة على طريق اطلاق اسم المسبب
على السبب من حيث ان الاضاءة سبب لحصول الابصار ويجوز ان يكون بناء ابصر للتعدية بخبر
يقال بصر بالشيء اذا علمه فالمعنى بصرت بما لم يبصروا به فلا يكون ابصر الشيء بمعنى رايته بل

بمعنى بقرينة وعرفته فيكون اسناد الابصار الى النهار من قبيل اسناد الحكم الى سببه قوله او مبصرا اهله على ان يكون تركيب ابصر الرجل لاسناد الفعل الى فاعله والمراد اسناده الى من يلابس ذلك الفعل كما يقال اضعف الرجل اذا ضعفت ماشيته واجبن الرجل اذا كان اهله جبناء فقوله ابصرت النهار معناه ابصر اهلها وعلى هذا التقدير يكون المعنى وجعلنا نفس الليل والنهار آيتين وقيل ليس المراد بالآيتين نفس الليل والنهار بل ما فيهما من النيرين الشمس والقمر على حذف المضاف اما من الاول والتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين واما من الثاني اي وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين فعلى هذا لا يكون اضافة آية الليل وآية النهار بيانية بل يكون بمعنى اللام وقوله تعالى وكل شيء فصلناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية وكذلك وكل انسان الزمناه وذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيد الكلام وتحقيقه كانه قيل فصلناه حقا والبه اشار المص بقوله تبيينا غير ملتبس لما بين الله تعالى من اول السورة الى هنا ان سعادة الانسان دائرة على طاعة الرحمن وشقاوته منوطة بالعصيان وبين ايضا علو شان القرآن وانحطاط شان الانسان وانه من جملة ما في القرآن من البيان ان الليل والنهار آيتان اتبعه بقوله وكل شيء فصلناه تفصيلا ثم صرح بان من جملة ما بينه الله تعالى ان كل ما قدر على الانسان وحكم به عليه في سابق علمه لازم له لا بد من حصوله ولا يمتنع زواله عنه فقال وكل انسان الزمناه طائره اي عمله وسائر ما قدر له من السعادة والشقاوة والرزق والمصائب وكونه طويل العمر او قصيره سليم الاعضاء او معيبها ونحو ذلك قوله كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر اشارة الى ان الطائر مستعار لعمل الانسان وما قدر له تشبيها له بالطائر الحقيقي في وصوله الى الانسان من المقر الاصلي فكما ان الطائر الحقيقي يأتي الى كل ما يأتي اليه من عشه ووكره فكذلك الحوادث تنتهي الى الانسان بعد ثبوتها في علم الله تعالى وعالم الغيب ووكر الطائر عشه حيث ما كان من شجر او جبل وعش الطائر موضعه الذي يجمعه من دقاق العيدان وغيرها في افنان الشجر فاذا كان في جبل او جدار او نحوهما فهو وكر والاضافة في قوله عش الغيب ووكر القدر بيانية والقضاء هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها استعير العش والوكر لعالم الغيب والتقدير العلمي قوله لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون اي لما جعلوا الطائر سببا للخير والشر واسند وجها اليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سببا لهما وهو قدر الله وقسمته وعمل العبد وكسبه فان رحمة الله تعالى ونعمته يترتب على كل واحد من تقديره الازلي وعمل العبد فكانا سببي الخير والشر وسنوح الطائر عبارة عن مروره من مياسر الانسان وبروحه عبارة عن ضد ذلك يتيمنون بالاول ويتشاءمون بالثاني شبه المص المقدرات المكتسبة والتقدير الازلي بالطائر على زعم العرب وجعل هذا التشبيه طريقا الى اطلاق اسم الطائر عليهما بعد ما اشار الى تحقيق المشابهة بين الاعمال

الاعمال والطائر من وجه آخر وهو المجيء من المقر الاصلي قوله لزوم الطوق في عنقه اشارة الى ان ليس المراد به تقدير متعلق قوله في عنقه لان اللزوم والالزام لا يتعديان بكلمة في بل مقصوده الاشارة الى ان قوله في عنقه جيء به بعد تمام الكلام بقوله الزمناه طائره للدلالة على كمال الالزام بحيث لا يبدل الى ان ينفك عنه ما قدر له من الخير والشر اصلا فانه اذا قصدت المبالغة في الزام الشيء لاحد يقال جعلت هذا الشيء في عنقك اي قلدتك اياه والزمتك حفظه لان من عظمت رغبته في حفظ الشيء يربطه عنقه ويجعله في موضع القلادة قال اهل المعاني انما خص العنق من بين سائر الاعضاء لكونه محل الالزام لان ما علق عليه يكون الزم بالشخص لان الذي عليه اما خير يزينه او شر يشينه وما يزين يكون كالطوق والحلي وما يشين يكون كالغل وكل واحد منهما مما يلازم صاحبه وانا اقول الظاهر ان يقال الزمناه عنقه بالنصب على انه بدل من مفعول الزمناه الا انه جيء بكلمة في للدلالة على كمال الالزام حتى كان طائره كانه شيء حال في عنقه لا امر معلق عليه قوله ونصبه او نصب كتابا يحتمل ان يكون على انه مفعول به لنخرج بنون العظمة مضارع اخرج ويحتمل ان يكون على انه حال من المفعول المحذوف اذ التقدير ونخرج له كتابا اي نخرج الطائر وبعضهم قرأه بفتح وضم الراء اي يخرج الطائر كتابا وكذا قراءة يخرج بضم الياء وفتح الراء اي يخرج الطائر كتابا قال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وشمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى يخرج لك يوم القيمة فعلى هذا قوله تعالى ونخرج له معناه نخرج من قبره قوله من لقيته كذا وهو منقول بتضعيف العين من لقيت الشيء فيتعدى الى اثنين قال الله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا قوله لكشف الغطاء هذا على ان يكون المراد بالكتاب المخرج له يوم القيمة نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان او قليلا قويا كان او ضعيفا فانه يحصل بسببه في جوهر النفس الانسانية اثر مخصوص فان كان ذلك الاثر اثرا يجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة والخذلان وان كان يجذبه الى التبتل والانقطاع اليه تعالى كان موجبا للسعادة والايمان الا ان تلك الآثار تختفي ما دام الروح متعلقا بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وظهورها واذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن وتخلص عن كونه محتجبا بحجاب البدن فيزول الغطاء وانكشف الحجاب فيخرج من عمق البدن المظلم حال كونه كتابا منتقشا بآثار الاعمال الصادرة في الدنيا فيكون هذا الكتاب في هذا الوقت كانما منشورة بعد ان كانت مطوية منورة بعد ظلمة البدن وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع تلك الاشياء مكتوبة بالكتابة الذاتية في جوهر الروح فيقال له في تلك الحالة اقرأ كتابك ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان كان تلك الآثار من موجبات الشقاوة

حصلت الشقاوة لا محالة واعلم انه تعالى جعل كل ما يصدر من العبد باختياره من قول وفعل و
لمحة وفكرة ونحو ذلك مما تعلق به الارادة الازلية والعناية الآلهية كالطير الذي يطير اليه وذلك لانه تعالى
قدر لكل احد في الازل مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذي سبق في علمه الازلي لابد وان يصل اليه فذلك
الحكم الآتي كانه طائر يطير اليه من الازل الى ذلك الوقت وصل اليه ذلك الطائر وصولا لاخلاص عنه
البتة ولا انحراف فاذا علم الانسان ان كل ما حدث من ذلك بمنزلة طائر طيره الله تعالى على منهج سبق و
طريق مخصوص وانه لابد وان يصل اليه ذلك الطائر فعند ذلك عرف ان الكفاية الابدية لا تتم الا
بالعناية الازلية والارادة السابقة ثم ان كل طائر وصل اليه من عالم الغيب محفوظ في صحيفة عمله
وانتقش منه اثر في جوهر روحه يلقى اليه ذلك الكتاب منشورا ويجازى على حسب ما في كتابه ثم انه تعالى
بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب العمل السيء مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم قرر ذلك بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج
وزر يزر وزرا ووزرا وازر معناه اثم يأثم اثما فهو آثم عن ابن عباس رضي الله عنه ان الوليد بن المغيرة قال اتبعوني
وانا احمل اوزاركم فقال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم انه تعالى لما بين انه لا يعذب احدا بما يعلم
منه من اختياره المعاصي واتباعه الشهوات ما لم يجعل به اي لا يجعل علمه حجة على من علم منه انه اذا امره
عصاه بل يبعث اليه رسولا يبين له الشرائع فاذا خالف ما امر به من الطاعة وظهر عصيانه للناس
فحينئذ يعذبه لانه تعالى الزم عليهم الحجة ببعثة الرسل ولم يبق للناس على الله حجة بعد بعثهم قال تعالى ولو
انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل و
نخزى وقال ههنا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يلزمهم الحجة ثم بين طريق تعذيبه من قضى اليه
الشقاوة في الازل وعلم منه اختيار الضلالة فقال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية اي قرية قضى الله تعالى باهلاكها
لعلمه بان اهلها يختارون الضلالة على الهدى فان الحوادث كلها موقوفة بقضاء الله وقدره والقضاء
عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر
عبارة عن تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها لانفاذ القضاء السابق امرنا مترفيها اي عظماءها
الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش بطاعة الرسول الذي بعث اليهم حتى اذا عصوه عنادا ومكابرة فعند
ذلك يهلكون لا بمجرد علمنا بانهم لا يعدون الا على المعصية ولا يختارون الا متابعة الهوى والشهوة
فمعنى الآية اذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم امرنا المتنعمين المغترين الظانين
ان اموالهم واولادهم وانصارهم ترد عنهم بأسنا بالايمان والعمل بشرائع دينه على ما يبلغهم عنه
رسوله ففسقوا اي خرجوا عما امرهم الله تعالى فاستحقوا العذاب فحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم
لظهور معاصيهم فحينئذ دمرناها والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يعدون

الا

دل على ان لا وجوب قبل السمع
لا وجوب لشيء على احد من الاحكام
التكليفية قبل ان يشرع والا
لعذبنا بتركه قبله لانه لا يجب
على الا بالمعصية قبل شرع
حتى يرد عليه ان المذهب عندهم
وجوب الاثابة على الاخلاص
فيحتاج في ذلك الى التأويل
سلك

دل على ان الامر مجاز عن
الحمل عليه ...
ان يسر ذلك ... على ان امرنا
استعارة تبعية ...
من ... الامر
بالشيء والحمل عليه
له في الافضاء الى ...
وقوله بان صب عليهم النعم
بيان للحامل عليه ...
لدن جانب الله تعالى واما
كون الامر بالفسق استعارة
للصب ...
سعد

الا على المعصية لم نكتف في تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل امرنا مترفيها ففسقوا واذا
ظهر منهم ذلك الفسق فحق توقع العذاب الموعود به وهذا كالتقرير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا وقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها غافلون فلما حكم الله تعالى في هذه الآيات انه لا يهلك قرية حتى يخالفوا امر
الله لاجرم ذكر ههنا انه يامرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك استوجبوا العذاب والاهلاك
المعبر عنه بقوله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا اي اهلكناها اهلاك الاستئصال والدمار هلاك
هلاك الاستئصال فقول المص لا يناقض قضائنا السابق اشارة الى دفع ما يقال انه تعالى كيف
يريد اهلاك قوم ابتداء اي من غير ان يبق منهم ما يستحقون الاهلاك بسببه مع انه تعالى قال
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
ثم اشار الى دفعه بوجه آخر وهو ان المراد بارادة اهلاكها دنو وقت هلاكها كثيرا ما يعبر عن دنو وقت
الشيء بارادته في كونه كالسبب المؤدي اليه كما يقال اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه
شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان
يموت حقيقة والتاجر يريد ان يفتقر حقيقة بل الارادة مجاز عن دنو الوقت لكونه كالارادة في
التأدي الى الموت والفقر وكذا الحال ههنا قوله ويدل على ذلك ما قبله وما بعده يعني انه تعالى
قال امرنا مترفيها ولم يصرح بماذا يامرهم فاختلف العلماء في ان المامور به ما هو فذهب
الاكثرون الى ان المراد به الطاعة وذهب صاحب الكشاف الى ان المراد به الفسق وان المعنى
امرناهم بالفسق ففسقوا وجعل امرهم بالفسق مجازا عن ان صب عليهم انواع النعمة صبا
وجعلها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فصاروا بذلك كانهم مامورون بالفسق والا
فلا وجه لامرهم بالفسق حقيقة بان يقال لهم افسقوا وشدد النكير على من جعل المعنى امرناهم
بالطاعة ففسقوا وقال انه تقدير شيء لا دليل عليه مع الاعراض عن تقدير ما يدل عليه الدليل
فان قولك امرنا مترفيها ففسقوا فيها يدل على ان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا فانه اذا قيل
امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة فكذا فيما نحن فيه لا يفهم الا
ان المأمور به هو الفسق لا امر آخر فتقدير الطاعة تقدير شيء لا دليل مع العدول عما يقتضيه
الدليل ومنع المص كونه تقديرا بلا دليل وقال ان ما بعده وما قبله يدل على ان المقدر هو الطاعة
واما دلالة ما بعده عليه فلان الفسق هو الخروج عن الطاعة الخ واما دلالة ما قبله عليه
فلان الرسول انما يبعث ليطاع ويعمل بالشرائع التي يبلغه الرسول عن الله تعالى اليهم فيطيعوا
ربهم فيما امرهم به فيدل ذلك دلالة ظاهرة على ان المعنى امرنا مترفيها بان يطيعوا الرسول الذي

بعث البهم قوله او التسبب له لامعنى لخالفة او ههنا لان الحمل على الفسق لا محالة سو السببية قوله
وقيل معناه كثرنا قرأ الجمهور امرنا بالتخفيف والقصر وفيه وجهان احدهما انه من الامر الذي هو ضد
النهي وقد مر ما يتعلق بهذا الوجه وثانيهما ان امرنا بمعنى كثرنا قال الواحدي العرب تقول أَمِرَ القوم
اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم الله وايضا آمرهم بالمد بمعنى ان أمر الثلاثي يستعمل لازما بمعنى كثر
ويستعمل ايضا متعديا بمعنى آمرنا بالمد اي كثروا واستعمل في الآية متعديا فيكون فعل وافعل بمعنى وهو
قول المفضل يقال آمرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته واستدل على استعمال الثلاثي متعديا بقوله عليه
الصلوة والسلام خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي مكثرة كثر الله ولدها فلولا ان الثلاثي متعدي
لما بني منه اسم المفعول وقرئ أمِرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح روي عن ابي زيد امره الله وامره
بفتح الميم وكسرها وقد روي آمرنا بالمد والهمزة فيه للتعدية حكى الجوهري عن ابي عبيدة ان آمرته
بالمد وامرته لغتان بمعنى كثرته ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة او سكة مأبورة اي كثيرة
النتاج والنسل وامر هو اي كثر فخرج على تقدير قولهم علم فلان ذلك واعلمته انا ذلك قال يعقوب لم يقله
احد غيره قال الحسن أمِرَ ماله بالكسر اي كثر وامر القوم اي كثروا وآمر الله ماله بالمد وانما قيل مهرة
مأمورة للازدواج والاصل مؤمرة على وزن مفعلة كما قال عليه الصلوة والسلام للنساء ارجعن مأزورات
غير مأجورات وانما هو موزورات من الوزر فقيل مأزورات للازدواج بقوله مأجورات و
قرئ ايضا امّرنا بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان يكون التضعيف للتعدية عدي النقل تارة بالهمزة
واخرى بتضعيف العين والثاني ان يكون بمعنى جعلناهم أُمراء وفي الصحاح أمَّر فلان وأُمِّر ايضا
بالضم اي صار اميرا والمصدر الامرة بالكسر والامارة والمُهر ولد الفرس والجمع امهار ومهار
والانثى مهرة والجمع مُهَر ومهرات وفرس مُمهِر اي ذات مهر والسكة الطريقة المصطفة من النخل
وسكة مأبورة اي ملقحة يقال ابر فلان نخله اي لقحه واصلحه وتأبير النخل تلقيحه قوله وهو ايضا مجاز
من معنى الطلب يعني ان امرناهم بالفسق مجاز من الحمل عليه والتسبب له فكذا امرناهم بمعنى
كثرناهم ايضا مجاز من قبيل اطلاق ما يدل على السبب وارادة المسبب فانك اذا قلت امر الله المهرة
او امر الله المترفين واردت معنى كثرهم فقد استعملت الامر الذي هو ضد النهي في لازم معناه
فانه تعالى اذا قال للمهر كوني كثيرة النتاج او قال للمترفين كونوا كثيرة الاعوان والاموال وكثرة العدد
والعدد فيكون كثرتهم لازمة له متفرعة عليه لا محالة قوله بحلوله او بظهور معاصيهم الاول على ان يكون قوله
فحق عليها القول لتفريع الحكم على السبب المؤدي اليه والثاني على ان يكون التركيب من قبيل قولك
اطعمته فاشبعته وسقيته فارويته فان الاشباع ليس حكما متفرعا على الاطعام وكذا الارواء ليس
امرا مغايرا للسقي فان كلمة الفاء في مثلها للتفسير ما قبلها وتبيينه فيكون تحقق كلمة العذاب بالسا

السابقة عبارة عن ظهور فسقهم ومعاصيهم الثابتة في العلم الازلي والقضاء السابق وهذا
على ان يكون امرنا من الامر الذي هو ضد النهي وان كان بمعنى كثرنا يكون قوله فحق عليها القول بيانا
لانهماكهم في المعاصي لان تكثير المترفين وتسلطهم على الضعفاء وتفريع الفسق عليه يستلزم انهماك
الجميع في الفسق ثم انه تعالى لما بين طريق اهلاك قوم يستحقون الاهلاك وهو ترتيب الاهلاك على ظهور
معصيتهم الثابتة في العلم الازلي بين ان الاهلاك على الطريق المذكور كان عادته مع الذين فسقوا
وتمردوا من القرون الذين كانوا بعد نوح عليه الصلوة والسلام تخويفا لكفار مكة فقال وكم اهلكنا الاية
قوله كم منصوب باهلكنا ومن القرون تمييز لكم ومن في من بعد نوح لابتداء الغاية ولما اختلف
معنياهما جاز تعلقهما بفعل واحد والقرون مائة وعشرون سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اول قرن آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وقيل ثمانون سنة وقيل اربعون سنة قوله
بذنوب عباده متعلق بخبيرا قدم على عامله والخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجري
في الملك والملكوت شيء ولا يتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبره و
هو بمعنى العلم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرة وصاحبه خبيرا كذا في المقصد
الاقصى للامام الغزالي ولما كان متعلق الخبير بواطن الامور ومتعلق البصير ظواهرها قدم الخبير على البصير
لكون البواطن متقدمة بالشرف على الظواهر قوله مقصورا عليها همته انما قيده به لقوله تعالى
ثم جعلنا له جهنم ومن المعلوم ان من يريد الدنيا والاخرة معا لا يكون حكمه كذلك ومن في من كان
شرطية وعجلنا جوابها وما نشاء مفعوله ولمن نريد بدل بعض من كل من ضمير له باعادة العامل
تقديره لمن نريد تعجيله له وقوله ثم جعلنا له جهنم جملة تحبيرية ومفعولا الجعل جهنم لانعقاد
الجملة عنهما وقيل ثانيهما محذوف اي مصيرا او مأوى ويصليها حال اما من الضمير في له واما من جهنم و
مذموما حال من فاعل يصليها قوله وقيل الاية في المنافقين فيكون معنى من كان يريد العاجلة بعمل
الاخرة كالجهاد والصوم والصلوة وهو معطوف من حيث المعنى على قوله مقصورا عليها فانه يتناول
المنافق والكافر المجاهر والمراد بالعاجلة الدنيا لانها تكون قبل الاخرة قيل هذه الاية مرتبطة
بقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره اي ما قدر له وما طار اليه من عش الغيب بين اولا ان ما
قدر له من الاعمال يصدر عنه لا محالة ثم بين ان ذكر العمل يحفظ بلقائه مكتوبا يوم القيمة فهو مجازى
على حسب عمله وبين ههنا ان العامل في الدنيا قسمان من يريد بعمله الدنيا ويقصر همته عليها فجازاه
انا نعجل القدر الذي نشاء تعجيله في الدنيا لا القدر الذي يشاؤه العامل لمن نريد ان يعجل له شيئا منها
ان عاقبته جهنم يدخلها فيصلى بحرها مذموما او ملوما مدحورا اي منفيا مطرودا عن رحمة الله تعالى
اشار الله تعالى به الى ان عقوبة من قصر همته على الدنيا مضرة مقرونة بالذم والاهانة وان نكل المضرة

قوله مقصورا عليها همته قيد بذلك لان [illegible] فيه ولا دلالة للكلام عليهم [illegible] عن الجنة [illegible] الكفار واما من اراد [illegible] الاخرة [illegible] سنان

[illegible] بالنعم [illegible] في سعدي

خالية عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلنا له جهنم يصليها اشارة الى المضرة العظيمة وقوله مذموما
اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وقوله مدحورا اشارة الى البعد والطرد عن رحمة الله تعالى وذلك
يستلزم ان تكون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة بكونها دائمة غير متبدلة بالخلاص والراحة
قوله حقها من السعي اشارة الى ان قوله سعيها مفعول مطلق للنوع وهذا المعنى مستفاد من اضافة
السعي الى ضمير الاخرة وعبدة الاوثان وان كانوا يزعمون انهم انما يسعون فيما عملوه طلبا لمنافع الاخرة
ويقولون آله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته بل غاية قدرتنا
ان نشتغل بعبادة المقربين من عباد الله كالملك والكوكب ونحوهما ثم ان ذلك المقرب يشتغل
بعبادة الله تعالى فانهم لا يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق بل هو تقرب بما يخترعون بارائهم الفاسدة
واللام في لها لام العلة اي سعى لاجل الاخرة وهو يدل على ان الساعي انما يثاب على سعيه اذا كان
سعيه مقرونا بالنية والاخلاص وحاصل الآية ان القسم الثاني من العمال من تحقق فيه اربعة امور
احدها ان يريد الاخرة اي ثوابها ومنافعها ولا يقصر همته على الدنيا وثانيها ان يسعى سعيا يليق
بالاخرة وثالثها ان يكون سعيه مقرونا بالنية والاخلاص لا كمن هاجر الى المدينة لاجل ان يتزوج
بام قيس ولا كمن هاجر لاجل ان ينال منفعة الدنيا والاخرة ورابعها ان يكون هذه الامور المذكورة
مسبوقة بالايمان الصحيح فعند اجتماع هذه الشرائط يكون السعي مشكورا والعمل مبرورا وشكر
العبد عبارة عن ان يجعل جوارحه وجنانه ولسانه مشغولا بالافعال الدالة على تعظيم المنعم بان يعتقد
بجنانه ان المنعم محسن فيما انعم عليه ويثني عليه بلسانه ويأتي بافعال تدل على كون المنعم معظما
عنده كما قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والله تعالى يعامل
المطيعين بهذه الامور الثلثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه
القديم وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم مطيعين عند الله تعالى بجنته ولما اتصف بهذه
الامور الثلثة بالنسبة الى المؤمن المطيع وصف الله تعالى بانه شاكر وجعل المؤمن مشكورا على طاعته
من قبل الله تعالى ثم انه تعالى لما بين ان من يريد العاجلة يعجل له فيها القدر الذي شاء لا كما يشاؤه
ومن يريد الاخرة يثاب على سعيه وطاعته بين ان كل واحد من الفريقين يعطى ما قسم
له من الاموال والاولاد ونحوهما مما ينتفع به في الدنيا على وجه يكون آتيه مدد السابقة والحكم
عن العاجلة من اراد الاخرة وان يحرم من الاخرة من قصر همته على العاجلة فان العطايا
الدنياوية لا يمنع عن احد مومنا كان او كافرا لان الكل مخلوق في دار التكليف والعمل فوجب
ازاحة العذر وازالة العلة عن الكل بايصال متاع الدنيا الى الكل على القدر الذي تقتضيه
الحكمة ثم انه تعالى امره عليه الصلوة والسلام بان ينظر ويعتبر تفاوت اهل الدنيا في مساعيها ويعلم

ويعلم ان تفاوت درجات الاخرة ودركاتها وتفاوت اهلها فيها اكبر من تفاوت اسباب الدنيا و
تفاوت اهاليها فان نسبة التفاوت في درجات منافع الاخرة ودركات عقابها الى التفاوت في
امور الدنيا كنسبة فضل الاخرة الى فضل الدنيا ثم انه تعالى لما بين ان سعادة الاخرة منوطة
بارادة الاخرة وبان يسعى سعيا موافقا لطلب الاخرة وبان يكون مومنا شرع في تفصيل
هذه الامور المجملة فبدأ بشرح حقيقة الايمان وبيان ما هو العمدة فيه وهو التوحيد والتبري
عن الشرك فقال لا تجعل مع الله الها آخر ثم ذكر عقيبه سائر الاعمال التي يكون من عمل بها ساعيا
سعي الاخرة او لكل احد قيل هذا الاحتمال اولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه الى قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وهذا لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم
لان ابويه ما بلغا عنده الكبر فعلمنا ان المخاطب بهذا هو الانسان قوله او فتعجز يعني
ان قوله فتقعد يجوز ان يكون بمعنى فتصير فينتصب ما بعده على الخبرية وان يكون على اصل معناه ويكون
كناية عن ملزومه الذي هو العجز فان المتمكن من تحصيل الخيرات يسعى في تحصيلها والسعي انما يتأتى
بالقيام على الرجل بخلاف العاجز عن تحصيلها فانه لا يسعى بل يبقى جالسا قاعدا عن السعي
والطلب فلما كان القعود من لوازم العجز والضعف صح ان يكنى به عنه فيكون مذموما منصوبا
على الحالية قوله تعالى فتقعد منصوب باضمار ان بعد الفاء جوابا للنهي كقولك لا تنقطع عنا فنجفوك اي
ان لا يكن منك انقطاع فيحصل الجفوة فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء
التي هي حرف العطف وسماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء في ان الثاني مسبب عن الاول
الا ترى ان المعنى ان انقطعت جفوناك فكذلك تقدير الاية ان جعلت مع الله الها آخر صرت مذموما
بكل لسان مخذولا من قبله تعالى لانه يكلك الى من اتخذته شريكا له ولا ناصر عنده ولا عون اذ يعجز
من دفع ما توجه اليك من المكاره لانه تعالى لا ينصرك ومن المعلوم ان الشركاء لا يقدرون على النصر
والشفاعة قوله او امر امرا مقطوعا به بعنوان القضاء في اصل اللغة اتمام الشيء والفراغ
عنه وما تم وفرغ عنه يلزمه ان يتقرر ولا يقبل النسخ والتغيير فاذا استعمل القضاء في موضع
الامر والالزام كما في هذه الآية يفهم منه كون الايجاب والالزام امرا متقررا مقطوعا به لا يقبل
النسخ والتبديل واذا استعمل في مقام الايجاد والتكوين يدل على ان الايجاد على ذلك الوجه دون الآخر
امر متقرر موافق للحكمة كما في قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على تعلق
الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه ويطلق ايضا على وجود جميع الموجودات
في اللوح المحفوظ اجمالا والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الخارجية
واحد لما ذكر في الاية ما هو الركن الاعظم في الايمان وهو التوحيد اتبعه بذكر ما هو من

الشرايع المترتبة عليه وهو انواع النوع الاول تخصيص العبادة بالله والاحتراز عن عبادة غيره
قوله ويجوز ان تكون مفسرة ولا ناهية بمعنى ان لا تعبدوا والوقوع ما بعدها ما هو بمعنى القول واما ان
جعلت مصدرية ناصبة لما بعدها فحينئذ تكون لا نافية لانه صلة ان المصدرية لا تكون شيئا مما فيه معنى
الطلب على الاصح وان اجاز سيبويه كون صلة المصدرية ذلك فعلى هذا يجوز ان تكون لا ناهية في تقدير امرتكم
ان تعبدوا امرته بان قم اي بالقيام واختار المصنف في بعض المواضع قوله وبان تحسنوا على ان تكون الباء في
قوله وبالوالدين متعلقة بفعل مقدر وقوله احسانا واقع موقع فعله المحذوف والجملة معطوفة على
جملة قوله لا تعبدوا على تقدير ان تكون كلمة ان فيها مصدرية عطف الجملة المثبتة على المنفية وقوله
او احسنوا بالوالدين احسانا على ان يكون قوله احسانا واقعا موقع الامر المحذوف ويكون بالوالدين
متعلقا بذلك المحذوف على التقديرين ويكون هذه الجملة الامرية معطوفة على قوله لا تعبدوا على
ان تكون ان فيها مفسرة ولا ناهية عطف الجملة الامرية على النهي ووجه المناسبة بين تخصيص
العبادة به تعالى وبين بر الوالدين ان السبب الحقيقي لوجود الانسان هو الله تعالى وسببه الظاهري هو
الابوان فامر بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهري قوله او بدل على قراءة
حمزة والكسائي فانهما قرءا يبلغان بالف التثنية قبل نون التاكيد المشددة المكسورة على ان الالف
ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما فيكون احدهما بدلا لانه بدل البعض من الكل ويكون او كلاهما بدلا منه ايضا
لكونه معطوفا على البدل وهو بدل الكل من الكل لان كلاهما مرادف لالف التثنية ولا يجوز ان يكون الاول
بدلا والثاني تاكيدا معطوفا على البدل لان عطفه على البدل يدل على ان التاكيد التثنية غير مراد
والحاصل ان بين ابدال الاول بدل البعض وبين تاكيد المبدل منه بكلاهما تدافعا لان فائدة التاكيد
دفع توهم ارادة احدهما واما الاعتراض بانه لا تدافع بناء على ان المعنى اما يبلغان احدهما او
يبلغان كلاهما فيراد البدل اولا والتاكيد ثانيا فمدفوع بانه اذ ذاك يخرج الكلام عن كون كلا
معطوفا على احدهما الى عطف الجملة على الجملة وهو خلاف قول المصنف ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا
للالف لان التاكيد يجب ان يكون معمول العامل المؤكد على ابدال احدهما عن المؤكد بدل البعض كان
المقصود بالنسبة هو البعض فينافيه تاكيده بالكل وان قدر فعل اخر مسند الى ضمير التثنية و
كان كلاهما تاكيدا لذلك الضمير لزم الخروج عن المبحث لان المفروض كونه تاكيدا للفاعل الفعل
المذكور قوله وقيل هو اسم الفعل الذي هو اتضجر عطف على قوله وهو صوت اي قيل انه ليس من قبيل
الاصوات بل هو اسم للفعل المضارع وهو اتضجر وهو قليل فان الاكثر في باب اسماء الافعال ان
يكون اسما للامر نحو رويد فانه اسم لامهل وبله فانه اسم لدع وقد يكون اسما للفعل الماضي نحو
هيهات اسم لبعد ولم يذكر ابن الحاجب ما كان اسما للفعل المضارع حيث قال في الكافية اسما

امر ولا اصلا ان يكون كلاهما معطوفا على البدل الذي هو احدهما على قراءة يبلغان لم يجز ان يكون كلاهما معطوفا تاكيدا للالف صح

اسماء الافعال ما كان بمعنى الامر او الماضي نحو رويد زيدا اي امهله وهيهات ذلك اي بعد قوله
وهو مبني على الكسر لانه لو بني على السكون لاجتمع ساكنان لان الفاء الاولى ساكنة وفيه سبع قراءات
ثلاثة متواترة واربع في الشواذ فقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابن عامر وابن كثير بالفتح
دون تنوين كنتم والباقون بالكسر دون تنوين خلافا بينهم في تشديد الفاء وقرأ نافع في رواية
اف بالرفع والتنوين وقرئ بالضم من غير تنوين وبالنصب والتنوين واف بالسكون قوله
فما ظنك بالضرب الاولى اي بواسطة القياس الجلي الذي يكون من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى و
قيل النهي عنه يدل على المنع من سائر انواع الاذى دلالة لفظية من حيث ان اهل العرف اذا قالوا لا تقل
لفلان اف عنوا به لا تتعرض له بنوع من انواع الاذى كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير فانه يدل بحسب
العرف على انه لا يملك شيئا النقير النقرة التي في ظهر النواة والقطمير القشرة الرقيقة التي تكون على
النواة قوله ولذلك اي ولكون النهي عن التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الاذى اما بالاستدلال
بحرمة الادنى على حرمة الاعلى او لكونه دالا عليه دلالة لفظية بحسب العرف الشرس والشراسة
سوء الخلق يقال رجل شرس اي سيئ الخلق شديد الخلاف قوله تذلل لهما وتواضع فيهما يريد ان
خفض الجناح استعارة تمثيلية استعير للتذلل والتواضع لان الطائر اذا قصد الجو بسط
جناحيه واذا اهتم بالنزول خفض الجناح فشبه ما يتصور من الانسان في حال التواضع من الاحتياط
بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجو ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن التواضع و
اما الوجه في اضافة الجناح الى الذل وليس له جناح فكونها دليلا على الاستعارة بالكناية
تخييلا لكون الذل من جنس الطائر ويسمى اثبات الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة
تخييلية فانه شبه الذل بالطائر تشبيها مضمرا في النفس ولم يصرح من اركان التشبيه بشيء سوى
المشبه وهو الذل ودل على ذلك التشبيه المضمر في النفس بان اثبت للذل المشبه ما يختص بالمشبه به
وهو الجناح من غير ان يتحقق في الذل شيء يجري عليه اسم الجناح بل الوهم يخترع له صورة شبيهة
بالجناح فاثبت تلك الصورة المخترعة له ليكون اثباتها له قرينة للاستعارة بالكناية ونظيره
قول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه شبه الشمال بالانسان
واضاف اليه ما يلازم وقت اشتغاله بالعمل وهو اليد على سبيل الاستعارة التخييلية وكذلك شبه
القرة بالناقة واثبت لها ما به قوام انقيادها وهو الزمام على سبيل التخييلية هذا على ان يكون
ضمير زمامها للقرة ويحتمل ان يكون للغداة بل هو الظاهر فيكون الاستعارة بالكناية هي تشبيه الغداة
بالناقة والقرة والقر البرد يقال كم من غداة تهب فيها الشمال وهو ابرد الرياح وقرة قد
ملكت الشمال زمامها اي في قبضتها متصرفة على حكمها ازلتها قد كشفت واذهبت عادية البرد عن

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
امسى مرضيا لوالديه واصبح
اصبح وله بابان مفتوحان الى
الجنة وان واحدا فواحد وان امسى
مسخطا لوالديه اصبح وله بابان
مفتوحان الى النار وان واحد
فواحد قالوا يا رسول الله وان ظلماه
قال وان ظلماه ثلث مرات
رواه الديلمي

جو
مولى ولا تنهرهما اي لا تزجرهما
بغلظة وانهرهما اذا استقبله بكلام
يزجره قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد
الجواب الغليظة قال الفقيه ان
وانما نهى عن الايحاء الي وان
كان نهيها عنه بكلا وقت لانه
في حال الكبر يظهر منهما ما يضجر
ويؤذي ويكثر خدمتهما قال
مجاهد في هذه الاية ان بلغا عندك
من الكبر ما يبولان فلا تجرهما ولا
تقذرهما ولا تقل لهما اف
حين تميط عنهما الاذى والخرء كما كانا
يميطان عنك صغيرا تمت

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابواي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني وكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا آخر اليه عليه الصلاة والسلام سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة قال لم تكن سيئة الخلق حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة واحدة وعن ابن عمر رضي انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول انا لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام فلا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين كشاف

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال الصلاة لميقاتها قيل ثم ماذا قال بر الوالدين وقال عليه الصلاة والسلام من بر والديه طوبى له وزاد الله في عمره وعن ابي اسيد مالك بن ربيعة الانصاري قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما

الناس بايقاد نار القرى ونحر الجزور راسلهم وتحرير المعنى كم من برد كشفت عادية باطعام الناس فيه فعلى هذا يكون اضافة الجناح الى الذل لتفيد غاية المبالغة في التذلل لان خفض الجناح عبارة عن التذلل فيتذلل الذل الصادر منه غاية التذلل **قوله** او اراد جناحه عطف على قوله جعل للذل جناحا فيكون هذا وجها ثانيا لاضافة الجناح الى الذل مع ان الذل لا جناح له وتقريره ان اضافة الجناح الى الذل ليست بمعنى اللام حتى يستبعد ويقال لا معنى لاضافة الجناح اليه بل المراد من الجناح جناح المخاطب واضافته الى الذل من قبيل اضافة الموصوف الى صفته كانه قيل واخفض لوالديك جناحك الذليل كما يقال حاتم الجود ويقال حاتم الجواد **قوله** وقرئ الذل بالكسر قيل الذل بالكسر في الدابة ضد الصعوبة وبالضم للانسان ضد العز ولما كان ما يلحق الانسان اشد واكثر وقعا بالنسبة الى ما يلحق الدابة وهو كونها ذلولا منقادا لصاحبها فرقوا بينهما فاختاروا الضم التي هي اقوى الحركات لما يلحق الانسان والكسر الضعيف لما يلحق الدابة للاشارة الى ما بينهما من الفرق **قوله** من فرط رحمتك عليهما اشارة الى ان كلمة من للتعليل كما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا اي واخفض جناحك من اجل الرحمة وقوله رحمة مثل رحمتهما علي اشارة الى ان الكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولم يقدر رحمة مثل تربيتهما لي مع ان المذكور في القرآن هو التربية للاشارة الى ان التربية ناشئة من الرحمة كانما عين الرحمة **قوله** وان كانا كافرين اشارة الى رد ما قيل من ان الاية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فلا ينبغي للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقال رب ارحمهما ووجه الرد انهما وان كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان **قوله** وقال تعالى بعد ذلك يقول له لتقول رب ارحمهما قال عليه الصلاة والسلام الراحمون يرحمهم الرحمن وقال عليه الصلاة والسلام رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر قال الامام قوله تعالى وقل رب ارحمهما امر وظاهر الامر للوجوب وانه لا يفيد التكرار فيكفي في العمل بمقتضى هذه الاية ذكر هذا القول في العمر مرة واحدة وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه افي اليوم مرة او في الشهر او في السنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه فكانوا يرون ان التشهد يجزي من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى واذكروا الله في ايام معدودات ثم يكبرون في ادبار الصلوات **قوله** وفيه تشديد عظيم وكيف لا وقد وعد بغفران ما فرط منهم على سبيل البادرة في حق من كان اوابا وهو صيغة مبالغة تقتضي الكثرة والمداومة كما روي عن سعيد بن المسيب ان الاواب هو الرجل الذي كلما اذنب بادر بالتوبة **قوله تعالى** وآت ذا القربى نوع آخر من انواع السلوك الموافق

لطلب

لطلب الاخرة المدلول عليه بقوله تعالى ومن لا سعيا وهو معطوف على قوله وقضى الا تعبدوا الى هذا الموضع والمعنى انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب عليك ان تشتغل ببر سائر الاقارب الاقرب فالاقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابناء السبيل وذوو القربى ان كانوا محارم وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا حقهم ان ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة عند ابي حنيفة رحمه الله وقال الشافعي رحمه الله لا يجب الانفاق الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا [illegible] ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة في السراء والضراء ونحو ذلك **قوله** اشار به في الشرارة يعني ان الاخوان يستعمل بمعنى الامثال مجازا لما روي ان الشيخين رضي الله عنهما كانا يكلمانه عليه الصلاة والسلام كاخي السرار اي يكلمانه مثل الكلام الذي يسار به وكذا يستعمل مجازا بمعنى الاصدقاء والاتباع تشبيها لعلاقة المودة ومناسبة الطبيعة بعلاقة القرابة واياما كان لفظ الاخوان استعارة باثباته مذكور وقد بعد التوصية ببر الوالدين والخطاب في قوله وآت عام لكونه معطوفا على قوله الا تعبدوا **قوله تعالى** واما تعرضن عنهم الاية قيل انها نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب رضي الله عنهم اذ كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد عليه الصلاة والسلام ما يدفعه اليهم فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت يعني انه عليه الصلاة والسلام لما كان يعرض عنهم بوجهه الكريم ويسكت ولا يجيبهم حياء من التصريح برد سؤالهم قال تعالى واما تعرضن عنهم ولما لم يكن لترتيب قوله فقل لهم قولا ميسورا على تحقيق الاعراض المترتب منه عليه الصلاة والسلام في المستقبل وجه لانه في قوة قولك ان تجبهم بقول فيه يسر قال في توجيه الاية وان اعرضت عنهم فيما مضى فاجبهم من بعد بقول ميسور فيكون تعرضن على حكاية الحال الماضية ثم عطف على هذا التأويل قوله ويجوز ان يراد بالاعراض الى ان ويجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم النفع بدفع ما يحتاجون اليه لعدم استطاعة عليه بناء على ان الاعراض بالوجه من لوازم عدم الاستطاعة عليه بناء على ان الاعراض بالوجه من لوازم عدم النفع فحينئذ يكون ترتب الجزاء المذكور عليه ظاهرا **قوله** لانتظار رزق من الله يعني ان قوله ابتغاء رحمة مفعول له لقوله تعرضن وعلة للاعراض بان يكون الابتغاء بمعنى الانتظار فانه يصلح ان يكون علة حاملة على الاعراض ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل تعرضن او من ضمير عنهم **قوله** وقيل معناه لفقد رزق اي قوله تعالى ابتغاء متعلق بالشرط منصوب به الا انه لا يجوز اجراء الكلام على ظاهره لان الاعراض عن المحتاج ليس لابتغاء رحمة الله تعالى بل هو مجاز عن فقد الرزق لانه سبب لابتغائه فهو من

قوله وانفاقه على وجه الاسراف وان كان في وجوه الخير واورد ما ورد له صلى الله عليه وسلم لسعد رضي عليه طريق الاستدلال على ذلك ولا يعجبه لما نقل جار الله من قول القائل لا سرف في الخير وعن الماوردي ان الاسراف تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير تجاوز في موقع الحق وهو جهل بمواقعها وكلاهما مذمومان والثاني ادخل في الذم وللنص جمع بينهما فقيل اراد ان الاية تشمل الاسراف بطريق الدلالة لعدم افتراقهما في الاحكام وقد تأيد ذكر بتعقيبه سبحانه على الاخوان والثاني للتجاوز في الكمية سسان

قبيل اطلاق المسبب على السبب ثم قال ويجوز ان يكون ابتغاء متعلقا بالجواب منصوبا به على معنى
فقل لهم قولا سهلا ابتغاء وهذا الجواز مبنى على قول من يجوز اعمال ما بعد الفاء الجزائية فيما قبله
وقد ثبت ذلك فى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الاية فان اليتيم وما بعده منصوبات بما بعد فاء الجزاء
قوله والميسور من يسر الامر يعنى انه اسم مفعول من يسر كما ان المسعود والمنحوس كذلك يقال
سعد الرجل فهو مسعود ونحس فهو منحوس ثم نقل احتمالا ان يكون الميسور مصدرا بمعنى اليسر ويكون
المعنى قل لهم قولا ذا يسر فيه معنى اليسر ويدل على طلب اليسر لهم مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم وفى
الصحاح المجلود مصدر بمعنى الجلادة كالمحلوف والمعقول يقال عقل يعقل عقلا ومعقولا ويقال حلف
بالله اقسم يحلف حلفا ومحلوفا وهو احد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجلود والمعقول و
المعسور قوله تمثيل لمنع الشحيح اى الامتناع البخيل عن انفاق ماله على المحاويج مثل حاله بحال من
يده مغلولة الى عنقه فلا يقدر على شىء من التصرف وحال المسرف بحال من يبسط يديه كل البسط
فلا يبقى شىء فى كفه ثم استعمل الفاظ الممثل به فى الممثل والمعنى لا تجعل يدك فى الانقباض عن الانفاق
كالمغلولة الممنوعة عن الانبساط ولا تتوسع فى الانفاق توسعا بحيث لا يبقى فى يدك شىء [illegible]
الكلام الحكماء ذكروا فى كتب الاخلاق ان لكل خلق طرفين افراط وتفريط وهما مذمومان والخلق
الفاضل ما هو المعتدل المتوسط بين الطرفين فالبخل افراط فى الامساك والتبذير افراط فى
الانفاق وهما مذمومان والمعتدل هو الكرم قوله نادما او منقطعا بك فى الجوهرى حسر على الشىء
بالكسر يحسر حسرا وحسرة فهو حسير اذا تلهف وتحزن على الفائت وحسر البعير يحسر حسورا
اعيى واستحسر وتحسر مثله وحسرته انا حسرا يتعدى ولا يتعدى وقطع بفلان فهو مقطوع به وانقطع به
فهو منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت او من راحلة عطبت او اتاه امر لا يقدر معه
على ان يتحرك قوله حسره السفر اذا بلغ منه يقال بلغ منه المرض اذا اثر فيه تاثيرا بليغا قوله فقال
من ساعة الى ساعة فعد الينا قيل كلمة من متعلقة بمحذوف اى اخر سؤالك من ساعة ليس لنا درع
الى ساعة يظهر لنا فيها درع ودرع المراة قميصها وهذا القول مبنى على رواية الكشاف وهى هكذا
من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا وعلى تلك الرواية يحتمل ان يكون من متعلقة بيظهر قوله ثم سلاه
بقوله ان ربك يبسط الرزق الظاهر انه ليس مقصوده ان الاية نازلة لتسليته عليه الصلوة والسلام
بخصوصه عما عقيب من الاعسار والاضاقة بل المراد انها نازلة لتسلية المعسرين مطلقا ومن جملتهم
هو عليه الصلوة والسلام النبى فى ضمن هذه التسلية العامة وذلك لان الخطاب فى قوله تعالى وآت ذا
القربى عام للكل بقرينة كونه معطوفا على قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وان قيل انه خطاب له
عليه الصلوة والسلام بخصوصه امره الله تعالى ان يؤتى اقاربه الحقوق التى وجبت لهم فى مال الفىء
والغنيمة

والغنيمة واوجب عليه ايضا ان يؤتى حق المساكين وابناء السبيل من هذين المالين كما اشار اليه
النص بقوله وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان الخطاب فى هذه الايات يعم الكل
وامر الله تعالى الموسرين منهم بالانفاق سلى المعسرين بان الله يبسط الرزق ويقدر ان يقبض بحسب مشيئته
وهى تابعة للحكمة والمصلحة عند المعتزلة وبالعكس عندنا وليس اعسار المعسر لكونه مهانا عند الله تعالى ولا
لبخل منه تعالى عليه بل هو لكون مصلحة فيه وفى ضمن هذه العامة يحصل تسليته عليه الصلوة والسلام فقوله
بمشيئته التابعة للحكمة والمصلحة وارد على ما هو الاصلح فى حق العبد واجبة عليه بل المراد ان مشيئته
تعالى موافقة للحكمة ولا تخلو عنها وانه تعالى منزه عن ان يفعل ما لا حكمة فيه ولا مصلحة قوله ويجوز ان يريد الخ
اشارة الى وجهين اخرين لانتظام هذه الاية بما قبلها على كل واحد من الوجهين يكون هذه الاية تعليلا
للاية الناطقة بالنهى عن القبض المفرط والبسط المفرط والامر بالاقتصاد وتقرير الاول ان القبض
المفرط والبسط المفرط كل واحد منهما مختص بالله تعالى فاقتصدوا انتم واتركوا ما هو مختص به تعالى وتقرير الثانى
انكم اذا تحققتم وتاملتم فيما بسط الله تعالى وقبض واحسنتم النظر وجدتموه مقتصدا يقبض تارة ويبسط
اخرى فاقتصدوا انتم واستنوا بسنته قوله وان يكون تمهيدا من حيث انه يدل على انه تعالى متكفل
لارزاق العباد على حسب ما تقتضيه الحكم والمصالح فيحسن ان يبنى عليه النهى عن قتل الاولاد
خشية الاملاق فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجزهن عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب
اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان يكون فقر البنات ينفر الاكفاء عن الرغبة
فيهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير الاكفاء وفى ذلك عار شديد قوله الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء
والهمزة بعدها مصدر خطئ يخطأ بمعنى اثم بابه من باب علم يعلم علما وهو قراءة الجمهور وقرأ ابن
ذكوان عن ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء من غير مد وفيه وجهان الاول ان يكون اسم مصدر
من اخطأ يخطئ اخطاء اذا اتى ما ليس بصواب فهو مقابل للخطأ الذى يقابل العمد والثانى ان يكون
لغة فى الخطء بمعنى الاثم كمثل ومثل وحذر وحذر فالمعنى على هذه القراءة ان قتلهم ليس بصواب وقرأ
ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والمد وفيه ايضا وجهان الاول ان يكون لغة بمعنى الاثم مثل دبغ
ودباغ ولبس ولباس والثانى ان يكون مصدر خاطأ يخاطئ خطاء مثل قاتل يقاتل قتالا وخاطأ
وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ ومجيئه يدل على وجود خاطأ لان تفاعل مطاوع فاعل كباعدته فتباعد
وناولت الشىء فتناول وتخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه فى منبع الماء راسب القناص الصياد
ومنبع الماء بالفتح الموضع الذى يجيس فيه الماء اى تخطاه الصياد بان فر منه وخاطأه فعلى هذا
معنى الاية ان الذين يقتلون اولادهم كان قتلهم الاولاد خطاء اى عدولا عن الحق والصواب وقرئ
خطاء بالفتح والمد وهو اسم مصدر اخطأ كالعطاء اسم للاعطاء وقرئ خطا بفتح الخاء والطاء

باعتبار سبب افعال الله تعالى مصلحة وحكمة
بالاغراض وحصا لايخلو عن ثانية
ومصلحة حتى يرجع الى السبب
عما نبذ الظالمون علوا
صح

ليس نا
اشارة الى
مشيئته
متعلقة
بالحكمة مع

المنونة اصله خطأ كقراءة ابن ذكوان الا انه اسهل الهمزة بابدالها الفا ثم حذفها للساكنين كنفي
وقرئ خطأ بكسر الخاء كذنبا قوله الا باحدى ثلث اشارة الى ان قوله بالحق متعلق بلا تقتلوا كانه
قيل لا تقتلوا النفس التي عصمها الله وحقن دمها بالاسلام او بالعهد بسبب من الاسباب الا بان تحق
القتل بارتكاب شيء مما يوجب قتلها الا ان قوله الا بالحق مجمل ليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وان الشيء
الذي يستحق المرء بسببه لان يقتل اي شيء هو فبينه عليه الصلوة والسلام بقوله لا يحل دم امرئ مسلم
الا باحدى ثلث معان كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق وقوله تعالى انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا دل على ان قطع الطريق من
جملة الاسباب التي يحل بها دم المرء وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله تعالى
اقتلوهم حيث وجدتموهم دل على ان الكفر مع الحرب من جملة الاسباب المبيحة لقتل النفس ومن
جملة الاسباب المبيحة للقتل عند الشافعي ترك الصلوة عمدا مجانة معتقدا لفرضيتها وعمل اللوطي
ودعوى الساحر قتلت فلانا بسحري والقتل بالسحر فانه يوجب القصاص عنده خلافا لابي حنيفة
رحمه الله تعالى في الجميع وبالجملة الاصل في الدماء الحرمة والحل انما يثبت باسباب عارضة بنص الشارع
كونها محللة لها وقوله تعالى الا بالحق بين على سبيل الاجمال ان قتل النفس قد يباح بسبب ما وقد
فصل بعض تلك الاسباب بنص القرآن وبعضها بالاحاديث المشهورة قوله تسلطا بالمؤاخذة
بمقتضى القتل على من عليه لا يجعل ثبوت التسلط لولي القتيل متفرعا على مجرد كون القتيل مقتولا
ظلما مع قطع النظر عن كون ذلك القتل عمدا عدوانا موجبا للقصاص او خطأ موجبا للدية
جعل الجزاء المتفرع على ذلك الشرط ان يثبت للوارث التسلط بالمؤاخذة بمقتضى القتل سواء كان
ذلك المقتضى ثابتا على القاتل ان قتل عمدا وهو يقتص منه او ان يعطي دية القتيل فان اولياء المقتول
يخيرون بين امرين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية من ماله او كان ثابتا على العاقلة
ان كان القتل خطأ ثم اشار الى جواز ان يكون المراد بالشرط وهو ان يقتل مظلوما ان يقتل
عمدا عدوانا فحينئذ يكون المراد بالتسلط المتفرع عليه التسلط على القاتل بان يقتص منه قوله
فلا يسرف القاتل اي اذا تقرر انه تعالى جعل لولي المقتول ظلما تسلطا على القاتل في الاقتصاص
منه فلا يسرف القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فيقتل فيكون قد اسرف في القتل حيث
كان سببا لهلاك نفسه بهلاك غيره وفي الارتداع عنه سلامة نفسه وسلامة نفس
الغير فعلى هذا يكون الضمير في قوله انه كان منصورا للمقتول اي لا يسرف القاتل المبتدئ لان
من قتل مظلوما كان منصورا في الدنيا بايجاب القود على قاتله بنقص لوليه فان لم يكن له ولي
فالسلطان وليه وفي الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله قوله او الولي بالمثلة وقتل

قوله تعالى الا بالحق متعلق بلا تقتلوا
والباء للسببية ولا محل لها او للملابسة
فيكون حالا من فاعله او من مفعوله
اي لا تقتلوها في حال من الاحوال
الا ملتبسين او ملتبسة بالحق
او صفة لمصدر محذوف اي الا قتلا
ملتبسا بالحق فيفيد النهي عن قتل
نفس اذا انتفى التلبس بالحق
واباحة قتل نفس عند وجود التلبس
واما وجوب ذلك القتل فثابت
بدليل آخر فان قلت لم لم يجز ان
يتعلق بتحريم قلت لانه يلزم منه تعلق
النهي بقتل كل نفس على انه لا يكون
له معنى محصل فتامل
سعدي

وقتل غير القاتل عطف على قوله القاتل يعني يحتمل ان يكون المنوي في قوله فلا يسرف ضمير الولي
والاسراف يكون على وجهين احدهما ان لا يكتفي بقتل القاتل بل يمثله ثم يقتله ويقطع اعضاءه
وثانيهما ان لا يكتفي بقتل القاتل بل يقتل معه جماعة غيره وكلا ذلك كان يفعله اهل الجاهلية كانوا
يقتلون غير القاتل اذا كان المقتول شريفا لا يكون القاتل بواء له وكذلك كانوا يمثلون بالمقتول فنهي
عن كل منهما قوله والضمير اما للمقتول واما للولي على تقدير ان يكون الحكم للمعلل فلا يسرف القاتل
قوله واما للذي يقتله الولي اسرافا على تقدير ان يكون المعلل فلا يسرف الولي بالمثلة وقتل
غير القاتل فان الذي قتله الولي اسرافا منصور بايجاب القصاص على المسرف ان كان اسرافه
بقتل غير القاتل وبايجاب التعزير والوزر عليه ان كان اسرافه بالمثلة ثم انه تعالى لما نهى عن اتلاف
النفوس اتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال فقال ولا تقربوا مال اليتيم الآية وخص مال اليتيم بالذكر
لانه لضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله ونظيرها قوله تعالى ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
اي مخافة ان يكبروا فيأخذوا اموالهم منكم ومبادرة في الاكل قوله غاية لجواز التصرف لا للنهي
عنه اذ لا يجوز للولي ان يتصرف في مال الصبي بعد بلوغ اشده اي بلوغه الى حيث يمكنه بسبب
عقله ورشده القيام بمصالح ماله فعند ذلك لا يبقى ولاية غيره عليه وذلك هو البلوغ واذا بلغ غير
كامل العقل لم يزل الولاية عنه قيل اشد الرجل غير اشد اليتيم وان كان لفظهما واحدا لان قوله تعالى
حتى بلغ اشده آتيناه حكما انما هو الاكتهال وذلك ثلثون سنة واشد الغلام ان يشتد خلقه و
ذلك بلوغه ثماني عشرة سنة قوله بما عاهدكم الله على ان العهد بمعنى الوصية والتكليف قال الزجاج
كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد قوله او ما عاهدتموه وغيره على ان يكون العهد بمعنى العقد و
الالتزام كالنذر والشروع في النوافل والمعاملات الواقعة بين العباد فمقتضى هذه الآية
ان كل عقد وعهد يجري بين انسانين كعقد البيع والشركة والصلح وغيرها فانه يجب عليها الوفاء
بمقتضى ذلك العقد قوله يطلب من المعاهد ان لا يضيعه يعني ان قولك سألته الشيء معناه
طلبته منه وليس المراد من كون العهد مسؤولا كون ذاته مطلوبا بل المعنى ان عدم تضييع العهد
والوفاء بالعهد كان مسؤولا مطلوبا او ان وفاء المعاهد كان مسؤولا مطلوبا منه فحذف المضاف والمضاف
اليه وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادا على دلالة المقام على المراد قوله او مسؤولا
عنه فان صاحب العهد اذا سئل لم نكثت العهد وما وفيت به يكون العهد مسؤولا عنه فحذف
الجار واوصل مسؤولا الى الضمير قوله او يسأل العهد لم نكث بان يكون ضمير مسؤولا راجعا الى العهد
ونسب اليه السؤال على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه العهد بمن نكث عهده وسئل عن نكث
عهده واستعمل عبارة المشبه به في المشبه او يشبه العهد بمن نكث عهده تشبيها مضمرا في النفس

ويجوز نسبة السؤال اليه تخييلا للاستعارة بالكناية والاستشهاد بسؤال الموؤدة وباي ذنب قتلت
في مجرد السؤال لان سؤالها بعد الاحياء بعدم التبعة وهو سؤال على التحقيق وسؤال الفؤاد على التخييل
ولا يتمشى الكلام على الوجه الاول وانما هو في الوجه الثاني والثالث قوله ولا تتبع فان قوله ولا تقف
مأخوذ من قولهم قفوت اثر فلان اقفوه وقفوا وقفوا اذا اتبعت اثره وسميت قافية الشعر قافية
لانها تقفو البيت وسمي القفا قفا لانه مؤخر بدن الانسان كانه شيء يتبعه ويقفوه والقافة جمع
قائف وهو من يتبع آثار اقدام الناس ويستدلون بها على احوال الانسان ويحكمون بالنسب بشبه الرجل
بابيه وابنه فمعنى الاية لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل وحاصله يرجع الى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوما
كحكم المشركين في باب الالهيات والنبوات بما يعتقدونه بسبب تقليد اسلافهم او اتباع اهوائهم
رجما بالغيب قوله واحتج به من منع اتباع الظن اي العمل بالقياس بان مآل القياس لا يفيد الا الظن
والظن يقابل العلم فالحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لا يجوز بمقتضى هذه الاية
واجيب عنه بان الظن قد يسمى علما كما في قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم
بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهن
بناء على اقرارهن وامارات تدل عليه وذلك لا يفيد الا الظن وقد رأيت انه تعالى سمى هذا الظن علما
وقيل انه مخصوص بالعقائد فالمنهي عنه هو اتباع الادلة الظنية في الاعتقادات فلا ينافي جواز
اتباعها في العمليات كيف وقد ثبت ان الصحابة رضي الله عنهم قد تكلموا في الحوادث بارائهم وقرروا
في امورهم ورفع ابو بكر وعمر رضي الله عنهما الخلافة باجماع الصحابة بغير نص من الرسول صلى الله
عليه وسلم وجعلها عمر شورى ولم يرد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكر انهم فعلوا ما فعلوا
وقالوا ما قالوا مخالفين لمقتضى هذه الاية تاركين اياه فدل ذلك على ان قوله تعالى ولا تقف ما ليس
لك به علم ليس بداخل فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفروع بالاصول المنصوص عليها فان الامة
قد اجمعوا على ان العمل بالظن جائز في صور كثيرة منها العمل بالفتوى فانه عمل بالظن ومنها العمل
بالشهادة فانه عمل بالظن ومنها توجه المصلي الى جهة تحريه وما ادى اليه اجتهاده وهو عمل بالظن
ومنها تعيين قيم المتلفات واروش الجنايات فانه لا سبيل اليه الا بالظن ومنها الصلاة على الميت
ودفنه في مقابر المسلمين وتوريث المسلم منه بناء على اسلامه وهو مظنون ومنها اكل الذبيحة
بناء على اعتقاد انها ذبيحة مسلم وهو مظنون وسند الاجماع في كل هذه الصور قوله صلى الله عليه
وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح في ان الظن معتبر في باب العمل فلذلك
تخص هذه الاية بالعقائد وقيل انها مخصوصة بالرمي وشهادة الزور ومعناها لا ترم ولا تقل ما
ليس لك به علم نقل عن محمد بن الحنفية ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لا تشهد الا بما

رأته عيناك وسمعته اذناك ووعاه قلبك ومن هذا القبيل قذف المحصن والمحصنة ورميهما
بالاكاذيب فان بعض الناس يذكرون مثالب الناس ويعيبونهم ويهجونهم ويبالغون فيه
فالمقصود النهي عنه وعن امثاله ويؤيد كون الاية مخصوصة بالرمي قوله عليه الصلاة والسلام
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال والردغة بفتح الدال وسكونها والفتح
اجود الماء والطين والوحل الشديد وفي الحديث الخبال عصارة اهل النار وهذا هو الاصل
الفساد وقوله حتى يأتي بالمخرج وبرىء حتى يخرج مما قال اي حتى يخرج من عهدته بما قاله وقول
الكميت البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا الحواصن جمع حاصنة بمعنى محصنة وهي المرأة
العفيفة قفينا قذفنا قوله في ثلاثتها ومن كان وعنه مسؤلا ولا يبعد ان يخلق الله الحيوة والعقل
والنطق في هذه الاعضاء ثم انه يتوجه السؤال اليها ويسألها ان صاحبها هل استعملها في
الطاعة او في المعصية ويحتمل ان يكون التقدير ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤل
بناء على ان السؤال لا يصح الا ممن يكون عاقلا ناطقا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم
هو الانسان فيقال له لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت
على ما لا يحل لك العزم عليه قوله اي ذا مرح اشارة الى ان المرح بفتح الراء مصدر واقع موقع
الحال بتقدير المضاف والمرح شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا فهو مرح المصدر بفتح الراء
والنعت بكسرها والمراد من الاية النهي عن ان يمشي الانسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة
اي لا تمش في الارض مختالا فخورا وقراءة مرحا بكسر الراء وان كان ابلغ في الدلالة على المعنى
المراد وهو نهي المخاطب عن المشي بالتكبر والتعظم الا ان المصدر آكد لان اكثر تغير الانسان
اذا اشار على حاله كما في رجل عدل واما اذا اول المصدر بقوله ذا مرح كما فعله المصنف فلا يكون
فرق بين القراءتين ولما كانت مشية المرح مشتملة على شدة الوطأة والتكبر على الارض
بضرب عليها وعلى التطاول والتعظم ما يمنع تعليل النهي عنه كيلا تتكبر على الارض ولن
تقدر على ان تجعل فيها خرقا ومشيا وكيلا تتعظم وتتطاول ولن تبلغ الجبال طولا فانت احقر
واضعف من كل واحد من الجمادين فكيف يليق بك التكبر قوله يعني المنهي عنه فان الكوفيين وابن
عامر قرؤوا سيئه بضم الهمزة والهاء وتذكير الكلمة من غير تنوين باضافة سيء الى الضمير الراجع
الى قوله كل ذلك فيشير ابن قوله ذلك الى جميع ما تقدم وفيه السيء والحسن فحكم على سيء ما تقدم وهو
المنهي عنه بانه كان عند ربك مكروها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب سيئة بفتح الهمزة
وتاء التأنيث منصوبة منونة فيكون ذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة ويحتمل ان يكون اشارة
الى مصدر قوله لا تقف ولا تمش وهما قفو ما ليس لك به علم والمشي في الارض مرحا على طريق

قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك قوله والمراد به المبغوض جواب عن استدلال المعتزلة
بهذه الآية على ان هذه الامور المنهية ليست مرادة ومخلوقة لله تعالى وتقريره ان هذه الآية دلت
على ان هذه الاعمال مكروهة عند الله والمكروه لا يكون مرادا فهذه الاعمال لا تكون مرادة لله تعالى فبطل
قول من يقول كل ما دخل في الوجود فهو مراد لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لا تكون
مخلوقة لله تعالى لان كونها مخلوقة لله تعالى يستلزم كونها مرادة له قوله ذلك اشارة الى الاحكام
المتقدمة وهي الخصال الخمس والعشرون بعضها اوامر وبعض نواه وسماها حكمة لان الحكمة
عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فالامر بالتوحيد من القسم الاول وباقي التكاليف
من القسم الثاني فانها خيرات تتعلم لاجل العمل بها قوله ورتب عليه اي على قوله ولا تجعل مع الله
الها آخر ما هو عائدة الشرك في الدنيا حيث قال فتقعد مذموما مخذولا والذم والخذلان يحصلان
في الدنيا والعاقبة في جهنم ملوما مدحورا يحصل يوم القيمة وهذا الكلام لا يتضح الا ببيان الفرق
بين المخذول والمذموم وبين الملوم والمدحور فنقول كونه مذموما معناه ان يذكر ان الفعل
الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذا ذكر ذلك ليقال لم فعلت مثل هذا الفعل
وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك فهذا هو اللوم فثبت
ان اول الامر هو ان يصير مذموما وآخره ان يصير ملوما واما الفرق بين المخذول وبين المدحور
فهو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اي ضعفت واما المدحور الذي
هو المطرود فهو عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال تعالى ويخلد فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن
ترك الاعانة وتفويضه الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن الاهانة والاستخفاف به فثبت ان اول
الامر ان يصير مخذولا وآخره ان يصير مدحورا ثم انه تعالى لما امر بالتوحيد ونهى عن اثبات شريك
لله تعالى واوعد عليه اتبعه بذكر فساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى لا سيما ان يكون ذلك الولد من اخس
الاولاد فقال تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين اي تزعمون انه تعالى اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه
الاخس بان اختاركم بالبنين واختص الملائكة اناثا وتقولون ان الملائكة بنات الله والهمزة
فيه للانكار والتوبيخ والتفضيح باختيار مذهب ظاهر الفساد قوله تعالى واتخذ يجوز ان يكون
معطوفا على اصفاكم فيكون داخلا في حيز الانكار ويجوز ان تكون الواو فيه للحال وقد مقدرة
عند قوم واتخذ يجوز ان تكون متعدية الى اثنين قال ابو البقاء اناثا مفعول اول لاتخذ وثانيهما
محذوف اي اولادا واختاره المص ايضا حيث قال واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه فيكون
من الملائكة متعلقا باتخذ او بمحذوف على انه حال من النكرة بعده وفيما ذهب اليه ابو البقاء نظر
لانه يستلزم ان يبتدأ بالنكرة من غير مسوغ لان ما يقع مفعولا اولا في هذا الباب يجب

يجب ان يصح وقوعه مبتدأ وما لا يصح ان يكون مبتدأ لا يصح كونه مفعولا اولا بل الظاهر ان
يقال المفعول الثاني هو من الملائكة قدم على الاول كما في قولك في الدار رجلا ويقال ان اتخذ هنا
متعدية الى واحد كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا قوله كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير
اشارة الى ان مفعول صرفنا محذوف وهو قوله هذا المعنى والمراد به ابطال اضافتهم البنات الى الله
تعالى والمراد من تصريفه صرف تقريره من وجه الى وجه آخر والمقصود تكرير تقريره وتبيينه بوجوه
مختلفة في مواضع من التنزيل قوله ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى
بان يطلق القرآن على المعنى بطريق اطلاق اسم الدال على المدلول ويقدر لصرفنا مفعول وهو
القول ووجه ظرفية هذا المعنى لتصريف القول كونه محلا لتغيير القول وصرفه من اسلوب الى اسلوب
آخر قوله من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وهو التفكر والتأمل فان الذكر قد يجيء بهذا المعنى
كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والتذكر الاعتبار والاتعاظ قال الواحدي
التذكر هنا اشبه من الذكر لان المراد منه التذكر والتدبر وليس المراد منه الذكر الذي
يحصل بعد النسيان ثم ان المقصود من التذكر والاتعاظ ان تطمئن قلوبهم الى هذا المعنى الذي
كرر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله وما يزيدهم الا نفورا فان النفور مقابل للطمأنينة كانه قيل كالطمانينة سل
كررنا القول في هذا المعنى او كررنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا ويطمئنوا اليه فما يزيدهم
الا نفورا وفيه تعكيس لما بني من حيث انه جعل هذا التكرار الذي يريد بهم اتعاظا وطمأنينة
قلب ومع هذا فقد زادهم نفورا وعنادا قوله الكاف في قوله تعالى كما تقولون في محل النصب على انه صفة
مصدر محذوف اي كونا مثل قولكم وقوله تعالى وتعالى عطف على تنزه المصدر تقديره تنزه وتعالى
وعن متعلقة به قوله حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته هذا
التعليل مبني على ان قوله تعالى يسبح استعارة تبعية شبه دلالة ما ذكر على تنزيه الله تعالى عما لا يجوز
عليه من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بالتسبيح فاستعمل يسبح مكان يدل كما في قولهم نطق
الحال لما ابطل الله تعالى قول الذين قالوا الملائكة بنات الله ونزه ذاته عما نسبوا اليه عقبه بقوله
يسبح له السموات السبع دلالة على ان الاكوان باسرها دالة شاهدة بتلك النزاهة ولكن ايها
المشركون لا تفقهون دلالتها عليها لاخلالكم بالنظر الصحيح قوله ويجوز ان يحمل التسبيح الى عطف
على ما سبق من حيث المعنى فان التسبيح الحقيقي وهو ان يقول المسبح بلسانه سبحان الله مثلا لم
يتصور من الجمادات لتوقفه على الفهم والنطق حمل التسبيح اولا على الدلالة على وحدانية الله
تعالى وتنزيهه عما لا يليق بالالوهية تشبيها للدلالة الحالية بالتسبيح الحقيقي والتسبيح بهذا المعنى المجازي
حاصل في جميع الموجودات والحق المطلق كما يسبح الله تعالى بهذا التسبيح المجازي يسبح ايضا بالقول

ثم قال ويجوز ان يحمل التسبيح على العموم المجازي بان يراد منه مطلق الدلالة سواء كانت دلالة
الحال او دلالة اللسان لاستاده الى ما يتصور منه اللفظ وهو الملائكة والثقلين والى ما لا يتصور
منه ذلك وهو السموات والارض ولا يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا الا عند من يجوز كون الكلمة
واحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو
بكر يسبح بالياء المنقوطة من تحت لان اسناد الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي ولوجود
الفصل بين الفعل وفاعله المؤنث والباقون بتاء التأنيث قوله حين لم يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وشرككم جواب عما يقال كيف يصح ان يجعل خطاب لا تفقهون للمشركين
ولا يخاطب بالحلم والمغفرة الا المؤمنون تقرير الجواب ان قوله انه كان حليما ايضا
في موضع التعجب كانه قيل ما احلمه واعظم غفرانه حيث يعلم من هؤلاء المعاندين ما هم عليه ثم لا يعاجلهم
بالعقوبة قوله مستورا اذا ستر على ان مستورا بناء النسب كقولهم مكان مهول وجارية مغنوجة
ان ذا هول وذات غنج ورجل مرطوب ان ذو رطوبة وعده من ما اتى بمعنى ذو ايضا لان نوء البه
وشيل مفعوم بفتح العين ذو سلاء لانه مملوء فان السيل بفتح بكسر العين والوادي مفعوم بفتح العين اي
الجوهري المفعم الممتلي ساعد فعم وافعمت الاناء ملأته والمفعم المسك البيت ملأه بريحه والحجاب ليس بمستور
بل المستور ما وراءه فلذلك جعل المستور للنسب ويحتمل ان يكون توصيف الحجاب بكونه مستورا عبارة
عن كونه غير مرئي على طريق اطلاق الملزوم وارادة لازمه لان ما يكون مستورا يلزم ان لا يرى قوله
وبحجاب آخر بان يكونوا محجوبين بالحجاب الاول عن فهم ما يقرؤه عليهم وبالحجاب الثاني حجبوا عن فهم
كونهم محجوبين عن فهم ما تلي عليهم وهو قوله لا يفقهون ولا يفقهون انهم لا يفقهون قوله نفى عنهم ان
يفقهوا ما انزل عليهم بيان لوجه ارتباط هذه الاية بما قبلها وذلك انه تعالى ابطل مقالة المشركين و
نزه نفسه عما نسبوا اليه تعالى ثم قال تسبح له السموات السبع الاية على معنى ان جميع الكائنات تدل على
تنزيهه عن جميع لوازم الامكان والحدوث ولكن لا تفقهون الدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق
ثم قرر ذلك بقوله واذا قرأت القران الاية وقوله تعالى ان يفقهوه اما مفعول له بتقدير المضاف او
مفعول به على تقدير ومنعناهم ان يفقهوه لدلالة الجملة على قوله ومنعناهم قوله واصله يجد وحده
فحذف الفعل الذي هو الحال واقيم المصدر مقامه ولو قيل المصدر بمعنى الفاعل كانه قيل واحدا لكان
وجها قوله هربا من نفرة او تولية الاول على ان يكون انتصاب نفورا على انه مفعول له اي نفروا
مجلس الذكر هربا عن استماعه والثاني على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لان التولي والنفور
بمعنى وان كان جمع نافر يكون حالا من فاعل ولوا فالكفار كانوا عند استماع القران على نحوين فاذا
سمعوا من القران ما ليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهوتين متحيرين لا يفقهون منه شيئا واذا سمعوا اياته

ايات فيها ذكر الله تعالى وذم المشركين تركوا ذلك المجلس وولوا ادبارهم مدبرين ثم ان القوم لما وصفوه
عليه الصلوة والسلام بكونه مسحورا فاسد العقل ذكروا ما يدل على فساد عقله عليه الصلوة والسلام
بحسب زعمهم وهو قولهم انه عليه الصلوة والسلام يدعي ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورفاتا يعود
حيا طريا كما كان فحكى الله تعالى عنهم ذلك بجهلهم وابطالا لمقالتهم فقال وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون الهمزة الثانية لانكار نفس البعث واستبعاده والاولى لانكاره وقت كونهم عظاما
ورفاتا قال الواحدي الرفت كسر الشيء بيدك يقال رفته وارفته على وزن ضربه واضربه بكسر العين
في المضارع اذا كسرته كما يكسر المدر والعظم البالي والرفات الاجزاء المتفتتة من كل شيء يقال رفت
رفتا فهو مرفوت مثل حطم حطما فهو محطوم وزنا ومعنى والحطام اسم بمعنى المحطوم كالجذاذ والرضاض
والفتات قوله وخلقا مصدر على غير لفظ الفعل اي ائنا لمبعوثون بعثا جديدا او حال بمعنى مخلوقا
فالقوم لما استبعدوا ان يردوا الى حال الحيوة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا بناء على ما زعموا
من امتناع العظام المرفوتة عن قبول الحيوة لغلبة اليبس عليها اجابهم الله تعالى بما معناه تحولوا
بعد الموت الى ما تصفونه تزعمون انها اشد منافاة للحيوة وابعد عن قبولها كصفة الحجرية والحديدية
ونحوهما مما هو ابعد عن قبول الحيوة بالنسبة الى حال كونكم عظاما مرفوتة فانه تعالى يعيد الحيوة
اليها ويجعلها حيا عاقلا كما كان والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحيوة والعقل اذ لو
لم يكن قابلة لهما لما قبلت ابتداء في اول الامر وان العالم عالم بجميع الجزئيات فلا يشتبه عليه
اجزاء بدن زيد المطيع باجزاء بدن عمرو العاصي وقادر على كل الممكنات واذا ثبت ان عود
الحيوة الى تلك الاجزاء ممكن في نفسه وثبت ان الاله العالم عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات
كان عود الحيوة الى تلك الاجزاء ممكنا قطعا سواء صارت عظاما ورفاتا او صارت شيئا ابعد
من العظام المرفوتة في قبول الحيوة نحو ان تصير حجارة او حديدا فقوله كونوا حجارة ليس
المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما اعجزتم الله تعالى عن الاعادة وذلك كقول القائل
للرجل اتطمع في وتلفظ علي وانا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب منك
حقي فكذلك المعنى ههنا كونوا على اي صفة كانت فاعادة الحيوة اليكم ممكنة قوله فسينغضون
بالانغض رأسه ينغضه انغاضا اذا حركه انكارا واستبعادا واما نغض ثلاثيا ينغض
بفتح العين وضمها نغضا فمعناه تحرك وهو لا يتعدى قوله وان يكون اسم عسى اي اعلم ان عسى
يرفع الاسم وينصب الخبر نحو كان تقول عسى الغوير ابؤسا وعسيت صائما الا ان خبرها في
الاغلب يكون ان مع الفعل نحو عسى زيد ان يخرج فان زيد فيه مرفوع على انه اسم عسى وان
يخرج منصوب المحل على انه خبرها والتقدير عسى زيد الخروج اي ذا الخروج واحتيج الى تقدير

لئلا يلزم كون الحدث خبرا عن الجثة ويستعمل على وجه آخر وهو ان يتم بمرفوعها الذي هو ما كان
منصوب المحل في الاستعمال الاول ويستغني عن الخبر لاشتمال الاسم على المنسوب والمنسوب اليه
نحو عسى ان يخرج زيد وفي الآية التي نحن فيها يحتمل ان تكون عسى تامة بمرفوعها واسم يكون ضمير
البعث المستتر فيها وقريبا خبرا او يحتمل ان تكون ناقصة ويكون اسمها مستترا فيها راجعا الى البعث
ويكون كلمة ان مع ما في حيزها خبر عسى كما في قولك عسى زيد ان يخرج والظاهر ان يكون لفظ
يكون تامة ويكون التقدير عسى البعث ان يقع او عسى ان يقع البعث في زمان قريب وان يكون
قوله يوم يدعوكم بدلا من قريبا والمعنى عسى ان يقع البعث يوم يدعوكم وهو يوم النفخة الاخيرة
ويحتمل ان يكون منصوبا باذكر وجعل قوله يوم يدعوكم فتستجيبون مجازا على طريق التمثيل كما في قوله
كن فيكون لان حقيقة الدعاء والاجابة غير معقول في حق الاموات فالظاهر انه لا دعاء
هنا ولا اجابة ولا خطاب ولا تخاطب شبه بعث المكلفين من لدن آدم عليه الصلوة و
السلام الى يوم النفخة الاولى ومطاوعة الجميع لارادة الباعث وانبعاثهم انبعاث شخص واحد
ممتثل لامر الآمر المطاع بالدعوة والاجابة فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه به
والاستجابة في الاصل موافقة الداعي فيما دعي اليه وهي الاجابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب
الموافقة فهو اوكد من الاجابة وقد ورد في الاخبار ان اسرافيل عليه السلام يقوم على صخرة
بيت المقدس يدعو اهل القبور في قرن ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والعروق
المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون وظاهره يدل على ان الدعاء دعاء بالقبول والاجابة
اجابة القول والعمل فلا ينبغي لنا الا ان نقول آمنت بالله وبما جاء من عند الله على مراد
الله وآمنت برسول الله وبما جاء من عنده على مراده وقوله بحمده حال من فاعل تستجيبون
اي تجيبونه ملتبسين بثنائه وحمده معترفين بانه على كل شيء قدير حين عاينتم عظيم قدرته
فتقولوا اليوم ما تقولونه فتذكرون ما اقول لكم **قوله** وتستقصروا امد لبثكم في القبور
ينبغي ان يراد من اللبث في القبور لبثهم فيها بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال
عنهم العذاب في هذا الوقت كما روي ذلك عن ابن عباس رض فانهم لما بعثوا وعاينوا اهوال
القيمة استقصروا مدة لبثهم في القبور فيما بين النفختين استقصار من اماته الله مائة
عام ثم بعثه وقال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وانما قلنا هذا لان الكلام مع منكري
البعث يقولون متى هو فلا جرم يكون هو في العذاب الشديد من حين مات فكيف يمكنه ان
يستقصر جميع تلك المدة كالذي مر على قرية فان من كان يبتلي بالعذاب الشديد في القبر لا يستقصر مدة
فيه يوم يبعثه الله تعالى فيبعث الآن بقاء يوم البعث والانبعاث يوم تمتد تناول الزمان الذي

قال ابن عباس رض يرفع بين النفختين
الاولى والثانية فانه يزال عنهم
العذاب فيه هذا الوقت ويرقدون
فاذا نفخت الثانية حسبوا من بعثنا
من مرقدنا وقال الظالم لبثنا
قليلا لانهم فيما بين النفختين
ابن كمال

٣٦٧

الذي قاسا فيه شدائد عذاب النار واهواله فان من عاينها وابتلي بما يقرب منها ان يستقصر مدة لبثه
في القبر ويستحقر ما ابتلي به فيه بالنسبة الى ما ابتلي به بعد البعث فان من كان في بلاء وشدة اذا نزل
به ما هو اشد منه واعظم استقصر ما كان فيه قبل ذلك فكذا المشرك اذا عاين عذاب القبر واهواله
استقصر ما كان به من العذاب في القبر ونسي ذلك ثم انه تعالى لما بين صحة المعاد بقوله قل الذي فطركم
اول مرة امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقول للمؤمنين اذا اردتم الحجج الدالة على صحة الحشر والمعاد
على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل والحجج بالطريق الاحسن وهو ان لا يكون ذكرها مخلوطا بالشتم و
السب اذ لو اختلط بذكرها شيء من السب لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب ويتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود وكذا
اما اذا اقتصر على ذكر الحجة بالطريق الاحسن الخالي عن الشتم الاذى فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر
في القلب تاثيرا شديدا **قوله** تفسير للتي هي احسن فيكون المراد بقوله قل لعبادي المؤمنين ويكون
قوله ربكم اعلم خطابا مع الكفار على انه مقول لقوله يقولوا وقوله التي هي احسن توطئة وتمهيد له
قوله ان الشيطان اعتراض وقوله وما ارسلناك عليهم وكيلا كالتذييل يرجع مجادلته مع المشركين
وامر المؤمنين بما من لدن قوله ائذا كنا عظاما الى هنا ويكون المعنى ايها المشركون ان يشأ ربكم
يرحمكم بان يوفقكم للايمان والمعرفة وان يشأ يميتكم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك المشيئة غائبة عنكم
فاجتهدوا والنسم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الجهل والباطل لئلا تصيروا محرومين من السعادة
الابدية وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بين المفسر والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم
بكم قال بعده وربك اعلم بمن في السموات والارض بمعنى ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل
علمه متعلق بجميع الموجودات وجميع ذرات الكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح
والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التورية وداود الزبور
وعيسى الانجيل وخص كلا منهم بما يقتضيه علمه ومشيته فيه فلم يبعد ايضا ان يؤتي خاتم النبيين
صلوات الله وسلامه عليه وعليهم القرآن ويفضله على جميع افراد نوع الانسان وان يخص الصحابة
العراة الجوع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه تعالى لا ينظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية و
انما ينظر الى طهارة الباطن واستعداده للتحلي بالفضائل النفسانية والمعارف الذوقية الربانية
والحاصل انه تعالى رد اولا على المشركين في استبعادهم البعث بقولهم ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون وامر النبي عليه الصلوة والسلام ان يجيبهم ويجادلهم بالطريق الذي امره به
ثم امر المؤمنين بان يجادلوا معهم بالطريقة التي هي احسن ولا يخاشنوهم لئلا يفوت المقصود
ثم نادى آخره كيف تخاشنهم انت والمؤمنون وما ارسلناك عليهم وكيلا تقسرهم على الايمان

عدول الكلام الى التي هي احسن ... بالاذان
... الفضائل ... للنظامية
... الا ان لمقطع لنظامه
كلامه عبارة عن الكلامية
... التعبير بلفظ الكلامية

ثم انه تعالى رد على المشركين ايضا في استبعادهم امر النبوة بعد الرد عليهم في استبعادهم البعث بقوله
قولهم كيف يكون يتيم ابي طالب نبيا وكون العراة الجوع اصحابه بقوله وربك اعلم بمن في السموات
والارض على معنى انهم ان كانوا لا يعلمون وجه استحقاقك للنبوة واستحقاق اصحابك للتقدم في اتباعك
والاهتداء بهديك فاعلم ان ربك اعلم باحوال من في السموات والارض وبما يستاهل كل واحد منهم من الفضل
والتقدم ولتفاوت مراتب الانبياء فبعضهم افضل من بعض وليس ذلك التفاضل مبنيا على كثرة
الاموال والاتباع والاتصال بالملك وتشييد القصور والبقاع حتى داود عليه الصلوة والسلام مع
كونه ملكا عظيما لم يذكر الله ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب للتنبيه على ان المراد بما ذكره
من تفضيل بعض النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم والدين والفضائل النفسانية والتبري عن
العلائق الجسمانية لا بالمال والجاه فظهر بما ذكر من التقرير ان ليس المراد بالبعض في قوله ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض المعهود بل المراد به البعض المطلق والكلام مسوق لتقرير ما اجمله
في قوله وربك اعلم بمن في السموات والارض فان علمه بمن فيهما عبارة عن انه تعالى انما يفضل منهم
من يفضل على حسب علمه بحاله ورتبته في حقه وقوله تعالى وآتينا داود زبورا انما ذكر في هذا المقام
للتنبيه على ان المراد بتفضيل بعض الانبياء على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم الدينية
لا بالملك وسعة المال حتى انه تعالى لم يتعرض من فضائل داود عليه السلام ما شرفه به من ايتائه الزبور
قوله قيل هو ان قوله تعالى ولقد فضلنا الاية اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قيل
ان المراد بالبعض البعض المعهود وان قوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله ووجه الدلالة
عليه انه تعالى عطف وآتينا داود زبورا على قوله فضلنا ولما لم يكن وجه تفضيل ذلك البعض المعهود
مبينا وذكر هذا المعطوف في مقام تبيينه كان الزبور مشتملا على وجه تفضيله وهو انه عليه الصلوة
والسلام خاتم الانبياء وان امته خير الامم فان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون والمراد بهم نبينا صلى الله عليه وسلم وامته
كان عطفه عليه تنبيها على وجه تفضيله عليه الصلوة والسلام قوله وتنكيره ههنا يعني ان الزبور علم
لكتاب داود ولكنه عرف تارة ونكر اخرى والتعريف العلمي يغني عن التعريف اللامي واجاب عنه
اولا بانه ليس من الاعلام المرتجلة بل هو من الاعلام المنقولة فانه منقول عن اسم صفة كحاتم وعباس
او عن اسم معنى كفضل لانه في الاصل فعول بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر كقبول وبعد ما نقل الى
العلمية جاز تعريفه تلميحا واشارة الى اصله وجاز تنكيره اعتبار العلمية كعباس والعباس وفضل
والفضل وثانيا بانه ليس من الاعلام بل هو اسم جنس بمعنى المزبور وهو المكتوب فاذا اريد به المعهود
المعين يحتاج الى تعريفه باللام كما في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وان اريد به فرد من

ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض فلا تجعل اهل السموات
والارض مختلفين كما فضل
بعض النبيين على بعض
قال قتادة في هذه الاية اتخذ
الله تعالى ابراهيم خليلا وكلم موسى
تكليما وقال لعيسى كن فكان
وآتى سليمان ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده وآتى داود
زبورا كما قال وآتينا داود
زبورا والزبور كتاب علمه
الله تعالى داود يشتمل على مائة
وخمسين سورة كلها دعاء
وتمجيد وتحميد وثناء على الله
ليس فيه حلال وحرام ولا فرائض
ولا حدود ومعناه انكم لم تنكروا
تفضيل النبيين فكيف تنكرون
تفضيل محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم واعطاءه القرآن وهذا
خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء
عليهم الصلوة والسلام من
اهل الكتاب وغيرهم
معالم التنزيل

من جنس المزبور عظيم الشان كامل في كونه كتابا يستعمل نكرة كما في قوله تعالى وآتينا داود زبورا وكذا
ان اريد به قطعة من قطع الزبور المعهود بان يكون زبور اسما مشتركا بين الكل والبعض
كما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه كما يطلق على بعض القرآن قرآن فلما قصد به فرد مما يصدق
عليه زبور يعني قطعة من الزبور نكر كما في قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قوله انها آلهة
اشارة الى ان كل واحد من مفعولي زعمتم محذوف لدلالة المقام عليه اي زعمتموهم آلهة او زعمتم
انها آلهة قوله كالملائكة والمسيح وعزير لم يذكر الاصنام لانه تعالى قال في وصفهم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يليق بالاصنام البتة فينبغي ان يكون الاية
نازلة في قوم عبدوا الملائكة من المشركين زاعمين انه ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله
تعالى فنحن نعبد البعض المقربين من عباد الله تعالى وهم الملائكة فاتخذوا الملك الذي عبدوه تمثالا
وصورة واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الاية
احتجاجا على بطلان قولهم ووجه الاحتجاج ان الاله المعبود هو القادر على ازالة الضرر وايصال
النفع والاشياء التي تعبدونها لا يقدرون على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع وغاية شان الملائكة
انهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فوجب القطع بان شيئا منها ليس بآلهة
وروي عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس
والقمر والنجوم وفي الوسيط قال المفسرون ان المشركين اصابهم قحط شديد سبع سنين حتى
اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فانزل الله تعالى هذه الاية
والمعنى قل للمشركين ادعوا الذين ادعيتم وزعمتم انها آلهة من دون الله قوله اولئك الآلهة
يبتغون اشارة الى ان اولئك مبتدا وخبره الذين يزعمهم المشركون انهم آلهة من دون
الله وقوله الذين يدعون صفة للمبتدا وفاعل يدعون ضمير المشركين وعائد الصلة محذوف
والمعنى اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون لكشف ضرهم او يدعونهم آلهة مفعولاه و
مفعولاها محذوفان ويبتغون خبر المبتدا والوسيلة القربة وايهم موصولة بمعنى الذي حذف
صدر صلتها وهي بدل من الضمير في يدعون والتقدير ما ذكره بقوله يبتغي من هو اقرب الى الله الوسيلة
اي التقرب اليه تعالى فكيف بغير الاقرب قوله بالموت والاستيصال فان الهلاك قد يستعمل في الموت
كقوله تعالى ان امرؤ هلك اي مات عن قتادة انه قال هذا قضاء من الله تعالى كما تسمعه ليس منه بد اما
ان يهلكها بموت كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت او يهلكها بعذاب مستاصل اذا تركوا ما امروا و
كذبوا رسله وحمل الاهلاك على الاماتة من غير تسليط احد على الميت والتعذيب الشديد على
الاهلاك بعذاب الاستيصال وقال الزجاج ما من اهل قرية الا وسيهلك اما بموت واما بعذاب

بينا اصلهم وقال ابن عباس اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وهذه كلمات متقاربة
سكت المص عنها لانه جعل التعذيب قسيما للاهلاك فلا بد ان تكون ادنى حالا من الاهلاك
فلا وجه لحمله على عذاب الاستيصال بالجلاء وقتل الرؤسا واصابة انواع البلاء فانه ادنى حالا
من الاهلاك والله تعالى اعلم لما قال تعالى في الاية المتقدمة ان عذاب ربك كان محذورا تبين ان كل
قرية مع اهلها لا بد ان يرجع حالها الى احد الامرين اما الاهلاك واما التعذيب وقيل المراد
من قوله وان من قرية قرى الكفار ولا بد ان تكون عاقبتها احد الامرين اما الاستيصال بالكلية و
هو المراد من الاهلاك واما العذاب الشديد من قتل كبرائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي
واغتنام الاموال واخذ الجزية فيصير القرى كلها في حكم اهل الاسلام على ما قال بعض اهل التاويل
في قوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قالوا هو ان يهلك اهل الكفر فيجعل ملك
اهل الكفر لاهل الاسلام فذلك نقصها من اطرافها لا بد ان ينقص اهل الكفر قرية فقرية وبلدة
فبلدة حتى يصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زويت
لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فذلك والله تعالى اعلم تاويل
قوله تعالى الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا ان يهلك اهل الكفر ويحتمل
ان يكون المراد من الاية انه يفني جميع من كان على وجه الارض مستوية لا بناء فيها ولا اشجار
حيث قال كل من عليها فان وقال ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ونحو ذلك وجميع ذلك يدل على انه لا يبقى
عليها احد ولا بناء فيصير كلها صفصفا لا عوج فيها ولا امت فذلك هلاكها وتعذيبها والله تعالى اعلم
كذا في شرح التاويلات قوله واستوجبوا الاستيصال وذلك لانه تعالى قد انزل الايات اثباتا لرسالة
كل رسول من الايات والحجج بالاحتجاج الاية بعدها الى ان انزل الاية اخرى فاذا سألوا اشياء من الايات
بعد ذلك يكون السؤال سؤال تعنت وعناد لا سؤال استرشاد واستهداء وقد جرت سنة الله
على ان كل من سأل تعنتا وتمردا اشياء من الايات واظهر الله تعالى ما سأل ولم يعتبر بها وكفر بعد
رؤيتها ولم يؤمن بها يحل بهم عذاب الاستيصال الا ترى ان قوم عيسى عليه الصلوة والسلام
سألوه ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية فسأله فاخبر تعالى انه منزلها
عليهم ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزالها عليهم فانه يعذبه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين وذلك
لان سؤالهم كان مبنيا على التمرد والعناد وروي ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يجعل الله لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال التي في حوالي مكة حتى يزرعوا تلك الاراضي فطلب
عليه الصلوة والسلام ذلك من الله تعالى فقال تعالى ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط انهم ان كفروا

ان كفروا اهلكتهم فقال عليه الصلوة والسلام لا اريد ذلك فنزلت هذه الاية وكانت كفار قريش
يقترحون منه عليه الصلوة والسلام اظهار معجزات قاهرة غير ذلك فقالوا له لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا وقالوا له عليه الصلوة والسلام انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له
الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فأتنا بشيء من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما منعنا ان نرسل
بالايات الا ان كذب بها الاولون اي ما منعنا ان نرسلها الا علمنا بان الاخرين يكذبون بها كما كذب بها
الاولون فيستوجبون بذلك التكذيب عذاب الاستيصال على ما جرت عليه السنة الالهية وقد سبق من
وعده ان لا يهلك هذه الامة بعذاب الاستيصال رحمة منه وفضلا وتكريما لنبيهم الذي ارسله رحمة
للعالمين بل اخر جزاءهم الى يوم القيمة قوله مبصرة ذات ابصار اشارة الى ان مبصرة حال من الناقة
والاسناد مجازي لان الابصار حال من اعتبر بها واستدل والناقة سبب لابصار الحق وتصديق
الرسول فقوله مبصرة بناء النسبة اي بينة ذات ابصار على معنى ان فيها ابصارا لمن تأمل ابصر بسببها
الحق او بينة ذات بصائر وهو جمع بصيرة بمعنى الحجة الواضحة فان الحجة تسمى بصيرة على الاسناد المجازي
لكونها سببا للابصار والناقة وان كانت شيئا واحدا لكنها مشتملة على ايات كثيرة من ظهورها من
الصخرة الصماء وظهور سقيها عقيب خروجها منها وعظم جثتها وكثرة درها وغير ذلك قوله او جاعلتهم
ذوي بصائر على ان تكون همزة ابصر للصيرورة فيكون مبصرة بمعنى بينة مصيرة اياهم ذوات بصيرة
وحجة قوله وقرئ بفتح الميم والصاد بمعنى محل ابصار كقوله عليه الصلوة والسلام الولد مبخلة مجبنة
على اجراء هذه الاشياء مجرى الامكنة على طريق ارض مسبعة قوله ان الايات المقترحة فان
اصل الايات يظهرها الله تعالى لان يستدل بها على صدق مدعي النبوة واما الايات التي اقترحها القوم
فظهورها يكون كافيا في الدلالة على صدق المدعي فليس ارسالها لاجل ان يهتدي بها القوم لكونهم
متعنتين غير طالبين للرشد وانما يرسلها الله تعالى لاجل ان يخافوا من نزول العذاب المستاصل ويتوقعوا
لمدته الجنس وطلبته من حيث معاينتهم كما اقدره الله تعالى حال تعنتهم ومخالفتهم امره قوله
او بغير المقترحة فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الايات ان يستدل بها على صدق المدعي فكيف قيل
المقصود من اظهارها ليس الا التخويف فالجواب ان ظهور الاية الخارقة للعادة انما يؤدي الى
التصديق والايمان من حيث دلالتها على ان من لم يتفكر فيها ولم يستدل بها على الصدق يستحق
العذاب الشديد فهذا الخوف هو الذي يحمله على التفكر والتأمل في تلك المعجزة والباء في قوله بالايات
اما مزيدة في المفعول او التقدير وما نرسل الرسل ملتبسين بالايات والمعجزات الا تخويفا وقوله تعالى واذ
قلنا لك كان جواب عما خطر بباله صلى الله عليه وسلم من عدم ارسال ما اقترحه القوم من الايات وهو
ان يزداد عنادهم الى حيث يمنعه من تبليغ رسالته واظهار دينه كانه قيل لا تشوش ذلك واذكر

ما اوحى اليك من ان الناس في قبضة قدرتي انصرك واعصمك منهم فكن على ما انت عليه قوله
او عام الحديبية عطف على قوله ليلة المعراج اي المراد رؤياه التي رآها في عمرة الحديبية فانه صلى
الله عليه وسلم رأى انه يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة
لبعض القوم حتى قال عمر لابي بكر رضي الله عنهما قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل
البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبر انا نفعل ذلك في هذه السنة سنفعل ذلك في سنة اخرى فلما
جاء العام المقبل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكون الواقعة مدنية لا
ينافي كون رؤيته في المنام حاصلة في مكة كان ما رآه ليلة المعراج كان فتنة للناس من حيث انه
عليه الصلوة والسلام لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبه وكفر به كثير ممن كان قد آمن به وازداد المخلصون
ايمانا قوله ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر ربما قيل من ان تلك الوقعة مدنية والسورة مكية فجوابه ما
ذكرناه من ان كونها مدنية لا ينافي ان يقع رؤيته ما يتعلق بها في مكة قوله اي من قدر ان يحمي وبر السمندر
وهو دويبة تكون في بلاد الترك لا يؤثر فيها النار ويتخذ من وبرها مناديل اذا اتسخت المناديل الغيت
في النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل قوله ولعنها في القران جواب عما يقال ليس في القران لعن هذه
الشجرة فكيف وصفت بانها ملعونة في القران اجاب اولا بان اسناد اللعن الى الشجرة اسناد مجازي
من قبيل اسناد وصف طاعمها من الكفرة والظلمة اليها وثانيا بان اللعن في اللغة التبعيد فلما كانت
هذه الشجرة مبعدة عن جميع وجوه الخير حيث كان موضع استقرارها اصل الجحيم سميت ملعونة وثالثا
بان تسميتها ملعونة مبنية على عرف العرب فانهم يقولون لكل طعام مكروه ضار انه ملعون فقد وصفها
الله تعالى في القران بكونها ضارة مكروهة وهو المراد بكونها ملعونة في القران قوله وقد اولت بالشيطان
عطف على قوله وهي شجرة الزقوم اي وقيل المراد بالشجرة الملعونة في القران الشيطان الخ روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان الشجرة الملعونة في القران المراد بها بنو امية بن الحكم بن ابي العاص قال رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام ان ولد مروان بن الحكم يتداولون منبره عليه الصلوة والسلام فقص
رؤياه على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقد خلا في بيته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحكم يخبر برؤيا رسول الله فاشتد ذلك عليه واتهم عمر في افشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم
فنفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدي هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد
هذا التفسير الا ان يقال هذه الاية مدنية ولم يقل به احد ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضي
الله عنها لعن الله اباك وانت في صلبه فانت بعض من لعنه الله تعالى قيل في وجه ارتباط ذكر الرؤيا
وذكر الشجرة التي جعلها الله تعالى فتنة للناس بهذا المقام ان القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاتيان بالمعجزات القاهرة واجيبوا بانه لا مصلحة في اظهارها لانها لو ظهرت ولم يؤمنوا
انزل

ما اربد انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم

مطلب قصة مروان بن الحكم

انزل الله تعالى عليهم عذاب الاستيصال وقد روي ذلك عن هذه الامة صار عدم ظهورها شبهة لهم في
انه عليه الصلوة والسلام ليس بصادق في دعوى الرسالة والا لما امتنع عن اظهارها وكانت شبهتهم
هذه مظنة ان تورث نوع اضطراب في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية تسلية له كانه
قيل هذه الشبهة لا توهن امرك ولا تنهض سببا لضعفه حاكما الا ترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا
لوقوع الشبهة العظيمة وكذا ذكر الشجرة الموصوفة ثم ان قوة تلك الشبهات ما اوجبت ضعفا في
امرك ولا فتورا في اجتماع المحقين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات
المقترحة لا توجب فتورا في حالك ولا ضعفا في امرك ثم انه تعالى وصفهم بقسوة القلب والتمادي في الغي
والطغيان حيث قال ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا اشارة الى وجه آخر لعدم اظهار ما اقترحوه
من الايات والمعجزات فان من لم يتأثر من التخويف بمخاوف الدنيا والآخرة كيف ينتفع باظهار ما
اقترحوه من الايات تعنتا وعنادا وقيل قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الاية متصل
بقوله ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا فانه تعالى بين به انه عدو لهم من قديم الزمان و
بين ههنا سبب عداوته وانه من اي وقت كان عدوا لهم قوله وفيه اي وفي قوله طينا سواء
كان انتصابه بنزع الخافض او على انه حال من عائد الموصول او من نفس الموصول ايماء الى
ان الانكار المدلول عليه بقوله ااسجد مبني على كون اصله اشرف من اصل آدم كانه قال كيف
اسجد له وسجود الاشرف للادنى غير معقول قوله والمعنى اخبرني اطلق لفظ الاستفهام واريد
الامر بجامع الطلب واطلق الرؤية التي هي سبب للاخبار واريد الاخبار المسبب عنها فقيل
لفظ ارأيت تجوز من وجهين قوله مع التقرير اي مع انه تعالى قرر قولهم هذا ولم ينكر عليهم في ذلك
القول قوله او تفرسا من خلقه فانه عرف انه مركب من قوة بهيمية شهوانية وقوة سبعية
غضبية وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية وعرف ان القوى الثلثة اعني الشهوانية
والغضبية والوهمية هي المستولية في اول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر
الامر ومتى كان الامر كذلك علم اللعين بالفراسة ان اغواءه يؤثر فيهم قوله امض لما قصدته
يعني ان قوله تعالى اذهب ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وانما معناه امهلتك واخرتك
الى يوم القيمة امض لشانك الذي اخترته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه قوله باضماره
فعله اي تجازون جزاء او حال موطئة كقولك جاء زيد رجلا صالحا والحال الموطئة اسم جامد
موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة وذلك الاسم كانه وطأ طريق ما هو حال حقيقة
بمجيئه قبلها موصوفا بها كقوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا قوله واستفزز ولو قال
واستخفف بتلك الادغام لكان اوفق للمفسر بالاستفزاز الخروج اي الكفرح اي استخفه والفزز

اي افزعه وازعجه وطيرت فؤاده ورجل فز اي خفيف ومن في من استطعت موصولة
في محل النصب على انه مفعول استفزز اي استفزز الذي استطعت استفزازه منهم قال
ابن عباس صوت ابليس دعاؤه الى معصية الله [illegible] وقيل المراد بصوته الغناء
واللهو واللعب ومعنى الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك قوله
من الجلبة وهي الصياح وقيل فعل وافعل بمعنى ههنا يقال اجلب على العدو واجلابا اذا جمع عليه
الخيول والمعنى حينئذ اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك والباء في قوله بخيلك زائدة على هذا
القول قوله والخيل الخيالة اي اصحاب الخيول يعني ان الخيل يطلق على الفرسان كما في قوله عليه
الصلوة والسلام يا خيل الله اركبي اي يا اصحاب خيل الله وقد يقع على نفس الافراس كما في
قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها والمراد به ههنا الاول والمراد بخيل ابليس ورجله
كل راكب في معصية الله وراجل ويدخل فيهما كل من شاركه في الدعاء الى المعصية من راكب
وماش قوله ويجوز ان يكون تمثيلا اي ان يكون قوله واستفزز من استطعت واجلب
عليهم بخيلك ورجلك تمثيلا لحال الشيطان في تسلطه واغوائه من غير ان يكون هناك استفزاز
وصوت وخيل ورجل بحال مغوار وقع بهذه الامور المذكورة ما يستعمل في حال الشيطان
ما استعمل في حال المغوار اي كثير الغارات اثبت لابليس اولا صوتا يستفز به العصاة و
بعد دعاؤه اياهم الى المعصية والغا واعوانا من الخيالة والرجالة يصيح بهم على
العصاة ويحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل والاظهر
ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه حال ابليس بحال مغوار الذي يجتهد
في امره بالصوت والاعوان الخيالة والرجالة فان قيل كيف امر الله تعالى ابليس بهذه الاشياء
وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء فالجواب انه ليس امر تكليف بل هو امر تهديد كقوله اعملوا
ما شئتم وبعض تعجيز ابليس وتعريفه ان ذلك لا يضر الا شيئا ولا ينقص من ملكه شيئا وان
سلطان ابليس انما يجري على الجهال الذين قد اخرجهم الله تعالى عن جملة من شرفهم بعبوديته
قوله اعتراض اي هو كلام واقع في اثناء ما خوطب به ابليس لبيان حال مواعيده وليس من
جملة ما خوطب به ابليس والا لقيل وما تعدهم انت قوله والغرور تزيين الخطاء فان
قيل مواعيد الشيطان ليس نفس التزيين فكيف قيل وما يعدهم الا غرورا فالجواب ان
تقدير الكلام ما يعدهم الا وعدا ذا غرور او جعل مواعيده نفس الغرور مبالغة كما في
رجل عدل او يحتمل ان يكون قوله الا غرورا مفعولا من اجله اي ما يعدهم شيئا من الاماني
الكاذبة الا لاجل الغرور ثم انه تعالى لما مكن ابليس من ان يأتي اقصى ما يقدر عليه في

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد و
قتادة ان له خيلا ورجالا من
الجن والانس فما كان من
راكب يقاتل في معصية الله
تعالى فهو من خيل ابليس وما
كان من راجل يقاتل في
معصية الله تعالى فهو من رجل
ابليس انتهى

في باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد في قلب الانسان قال وكفى بربك وكيلا
والمعنى ان الشيطان وان مكنه الله تعالى على ذلك الا ان سلطانه وولايته مقصورة على من اتبع
هواه واستغرقه الحظوظ العاجلة الخسيسة واختار اتباع الشيطان على ابتغاء رضا الرحمن
وتولاه كما قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه واما من لازم طريق العبودية واستعبده
محافظة حق الربوبية واتخذ ربه مفزعا يفزع اليه ومعتمدا يعتمد عليه في جميع اموره فانه
تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويعصمه من اضلاله واغوائه ثم اتبع ذلك على طريق الاستيناف قوله
ربكم الذي يزجي تعليلا للكفاية وبيانا للقدرة على عصمة من توكل عليه في اموره وورد في الخبر ان
الله تعالى لما لعن ابليس وطرده قال يا رب اسألك ان تسلطني على آدم قال يا ابليس لا يولد له ولد الا ولد لك
عشرة قال يا رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم فاستغاث آدم بالله وقال انك جعلت بيني وبين
ابليس عداوة وقويته على ما قويته عليه فقال تعالى اذا عملت حسنة فلك بها عشر وان عملت سيئة
فواحدة قال يا رب زدني قال لا اغلق باب التوبة على احد من ذريتك حتى يغرغر قال يا رب زدني
قال اغفر ولا ابالي قال آدم حسبي يا رب والخطاب في قوله ربكم وفي قوله انه كان بكم رحيما عام
في جميع المكلفين والمراد من الرحمة منافع الدنيا والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال والمعنى
ربكم الذي يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله قوله وقيل اتسعتم على ان يكون اعرضتم من
العرض مقابل الطول من قولهم اعرض الشيء وعرض اذا جعله عريضا او صار ذا عرض كما في
قولك ما عرض في المكارم اي صار عريضا فيها واتسع قوله ان يقلبه الله تعالى وانتم عليه اي يقلب
الله جانب البر مصحوبا بكم على ان يكون جانب البر مفعولا به لنخسف كما الارض في قوله تعالى فخسفنا
به وبداره الارض ويكون بكم حالا من المفعول بتقدير مصحوبا بكم وقوله او يقلبه بسببكم على ان يكون
الباء سببية متعلقة بنخسف قوله لا تجدوا لكم وكيلا اي لا ملجأ قوله ريحا تحصب وفي الصحاح الحاصب
الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي الحصى يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اي رميته بالحصباء
والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف اي شديدة ورعد قاصف شديد
الصوت قوله مطالبا تبيعا بانتصار او صرف يعني ان التبيع من يلازم الغير لمطالبة حق اي لا تجدوا
لكم من يتبعنا بانكار ما نزل بكم وانتقامه منا بسببه ولا من يتبعنا بصرفه عنكم ومنعه ايانا
من انزاله بكم قوله بحسن الصورة فان صورة الانسان احسن من صور جميع الحيوانات قال
تعالى وصوركم فاحسن صوركم وانه تعالى لما ذكر خلقة الانسان قال فتبارك الله احسن الخالقين
وقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والمزاج الاعدل ويدل عليه انه تعالى جعل ارزاقهم

والتشبيه في قوله [illegible] الاعراب [illegible]
[illegible] الاخر [illegible]
[illegible] ولعل [illegible]
منه

اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ما خبث منها وما فضل منهم واعتدال القامة وامتدادها بالنسبة
الى سائر الحيوانات فان في الاشجار ما يماثله من جهة القامة والتميز بالعقل فان الانسان يشارك
سائر الحيوانات والنباتات فيما له من القوى فان النفس النباتية لها ثلث قوة الاغتذاء والنمو
وتوليد المثل والنفس الحيوانية لها قوتان زائدتان على هذه الثلث وهي القوة الحساسة سواء
كانت ظاهرة او باطنة والقوة المحركة بالاختيار فهذه القوى الخمس اعني قوى الاغتذاء والنمو
والتوليد والحس والحركة الاختيارية حاصلة للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة
متميزة بقوة اخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كما هي وهي التي يتجلى بها نور
معرفة الله تعالى وضوء كبريائه فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل الى القوة النباتية والحيوانية
والافهام بالنطق والاشارة والخط فان ما سوى الانسان من الحيوانات عاجزة عن تفهيم
ما حصل في باطنها من اللذة او الالم تعريفا تاما وافيا بخلاف الانسان فانه يمكنه تعريف غيره كل
ما عرفه ووقف عليه واحاط به فكونه قادرا على هذا التعريف هو المراد بكونه ناطقا سواء كان
ذلك التعريف باستعمال آلة اللسان او بغيره كما في الانسان الاخرس فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة
وبطريق الكتابة ومن كرامات الانسان ان اتاه الخط وذلك لان ما استنبطه كل انسان من العلوم
قليلا نادرا اودع الانسان ما علمه في الكتاب وجاء انسان آخر واستفاد بذلك الكتاب وضم
اليه من عند نفسه اشياء اخر ثم جاء ثالث وفعل كذلك ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متاخر
مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم والفضائل وانتهت المباحث العقلية والمطالب
الشرعية الى اقصى الغايات واكمل النهايات ومعلوم ان هذه النعمة والسعادة لا تتاتى الا
بواسطة الخط والكتبة ولهذه الفضيلة الثابتة في الخط والكتبة قال تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والتسلط على ما في الارض بالنسبة الينا كالام الحاضنة نكفتنا
احياء وامواتا وننتفع بالماء العذب بالشرب وسقي الاشجار والبساتين وبالبحر ايضا كما قال
تعالى وسخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه و
بالهواء لانه مادة حيوتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على هذه المعمورة وبالنار اذ بها
طبخ الاغذية والاشربة والاستضاءة بضوئها في الليالي المظلمة وهي الدافعة لضرر البرد هذا
وجه انتفاعنا بالبسائط الارضية واما المركبات بالمعادن والحيوان والنبات فالانسان
هو المستولي عليها والمنتفع بها وبالجملة جميع منافع هذا العالم مصروفة الى الانسان والانسان
فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع وسائر الحيوانات بالنسبة اليه كالعبيد وكل ذلك يدل
على انه تعالى خصه من عنده بمزيد التكريم والتفضيل والتكريم جعل الشخص مكرما باعطائه ما

لا يكون لكثير بالنسبة ولا يعتبر في مفهومه الاضافة الى الغير بخلاف التفضيل قوله بالغلبة والاستيلاء
فاللازم ان لا يكون الانسان مفضلا على طائفة قليلة من المخلوقات بالغلبة والاستيلاء ولا شك
ان الامر كذلك فانه لا استيلاء للانسان على الجن والملك ونحوهما وان اريد بتفضيلهم على الكثير التفضيل
بالشرف والكرامة يكون المراد بالقليل الذي لا يكون الانسان مفضلا عليهم بالشرف الملائكة
فيلزم القول بان الانسان ليس افضل من الملائكة بل الملك يكون افضل من الانسان وهذا
القول مذهب ابن عباس واختيار الزجاج على ما رواه الواحدي في الوسيط قوله والمستثنى
جنس الملائكة او الخواص منهم يعني ان المخرج بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا وهو القليل الذي
لا يكون الانسان مفضلا عليه اختلف في تعيينه فقيل انه جنس الملائكة وقيل انه خواصهم كجبرئيل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل قال الامام محيي السنة وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف قال
قوم فضلوا يعني بني آدم على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال الله
هل انبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون اي كلهم وعن جابر رضي الله عنه رفعه قال
لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها
ويشربون وينكحون ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك في الآخرة فقال وعزتي وجلالي
لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فيكون وقال ابو هريرة رضي الله عنه المؤمن اكرم
على الله تعالى من الملائكة الذين عنده كذا اورده الواحدي في الوسيط وقال قوم الملك افضل من
البشر على الاطلاق تمسكا بهذه الآية قال الامام الرازي وهو في الحقيقة تمسك بدليل الخطاب
لان تقرير الدليل انه يفيد تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان الحال في القليل بالضد وذلك تمسك
بدليل الخطاب وذهبت الائمة الحنفية رضي الله عنهم الى ان خواص بني آدم وهم المرسلون افضل
من جملة الملائكة وعوام بني آدم من الاتقياء والزهاد افضل من عوام الملائكة وخواص
الملائكة افضل من عوام بني آدم وقال الكلبي فضل بنو آدم على الخلائق كلهم الا على طائفة
من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم قال الامام محيي السنة والاولى
ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة
قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروي عن ابي هريرة انه قال
المؤمن اكرم على الله من الملائكة وقال الامام ابو منصور الماتريدي الكلام في تفضيل البشر على
الملائكة والملائكة على البشر فانا لا نتكلم فيه لانا لا نعلم ذلك بعلم ولسنا الى معرفته حاجة فالامر فيه
الى الله تعالى قوله ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس او جنس بني آدم يعني سلمنا ان قوله تعالى و
فضلناهم على كثير يدل على ان جنس بني آدم ليس مفضلين على جنس الملائكة او على الخواص

وهو قول النص المستثنى جنس الملائكة

وفضلناهم في رواية قال النجم النسفي يعني على كثير مما خلقنا تفضيلا من خلق الملائكة لانهم الخلق الكثير فالانسان الكامل يفضل على الملائكة من حيث انه خلق في احسن تقويم وهو حسن استعداده من قبول فيض نور الالوهية بلا واسطة

منهم بناء على ان الكثير لم يعتبر به عن الكل وان المراد بالتفضيل التفضيل بالشرف والكرامة
لكن اللازم منه ان لا يكون جميع افراد بني آدم مفضلا على ما ذكر وذلك لا ينافي ان يكون بعض
الافراد مفضلا عليه وذلك لان الاضافة في بني آدم ليست للعهد الخارجي ولا الذهني لان الكلام
ليس في تكريم بعض الافراد وتفضيله ولا لتعريف نفس الحقيقة بقرينة ذكر بني آدم في مقابلة
كثير من الخلق وذكر الحقيقة في مقابلة الفرد غير معقول فتعين ان تكون اضافة بني آدم
للاستغراق فظهر بذلك وجه قوله لا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده ثم
انه تعالى لما ذكر ان الشيطان ليس له سلطان على المخلصين من عباد الله تعالى وانه كاف في عصمة من
يتوكل عليه واتبعه بذكر ما يدل على كمال قدرته من ازجاء الفلك لهم في البحر لابتغاء منافع الدنيا وان
تكريمه لبني آدم ليس من جهة تسخير الفلك لهم فقط بل انه تعالى كرمهم من وجوه شتى من جملتها انه حملهم
في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات حرضهم على الاجتهاد في اكتساب
الخيرات المؤدية الى سعادة الآخرة فقال يوم ندعوا الآية قراءة الجمهور بنون العظمة وقرئ
يدعو بياء الغيبة واسناد الفعل الى ضمير الجلالة او الملك وكل اناس على القراءتين منصوب على
مفعوليته وقرئ يدعى بناء للمفعول وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل وقرئ يُدعَون بضم
الياء وفتح العين بعده واو ونقل عن الفراء انه قال اهل العربية لا يعرفون وجها لهذه القراءة
ولعل القارئ قرأ يُدعَا بفتحة ممزوجة بالضمة فظن الراوي انه قرأ يُدعَو والمص ذكر لها
وجهين الاول ان الاصل يُدعَا على بناء المفعول الا ان القارئ قلب الالف واوا حال الوقف
على لغة قوم يقولون هذه أفعو والعصو وحبلو في الافعى والعصا والحبلى ثم اجرى الوصل
مجرى الوقف وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل والوجه الثاني ان الفعل مفرد واصله يُدعا
ابدلت الواو من الالف لتدل على ان الفاعل جمع وليست ضمير جمع بل الفعل باق على افراده
كما في قولهم اكلوني البراغيث واعراب الفعل بالحركة التقديرية ومعنى كون الواو علامة الجمع
انها حرف جيء بها لتدل على ان الفاعل جمع كما تؤتى بالتاء لتدل على ان الفاعل مؤنث فعلى
هذا كل مرفوع على انه قائم مقام الفاعل قوله او ضمير اي ويحتمل ان تكون الواو ضمير الجمع والاصل
يدعون فحذفت نون الرفع لقلة المبالاة بها فان علامته قد تكون مقدرة كما في نحو يغزو ويرمي
ويدعى فان رفعها بالحركة التقديرية فعلى هذا الوجه يكون كل مرفوعا على انه بدل من الواو التي
هي ضمير الجمع وجعل الواو ضميرا اولى من جعلها علامة الجمع لانه يستلزم ارتكاب حذف لام الفعل
من غير سبب وذلك غير معهود في قواعد العربية والباء في قوله تعالى بامامهم متعلقة بقوله
ندعوا اي ندعوهم باسم امامهم الذي يأتمون به ويقتدون فيقال يا امة فلان او يا اهل الكتاب
مثلا

واما الحاجة اليه اذا كان الواو ضميرا يعني فلا حاجة الى الاعتذار في تقريرها بعلامة الجمع والرفع في مفرد الحديث لان الكلمة كون الواو علامة للجمع على تقرير اعتذاره لتقرير النون والرد عليه في تقريره وضعف علامة ... كما صرح نظر في الكشاف وجوز المص على ما اذا كانت علامة للجمع بخلاف ما اذا كانت الواو للجمع ... انه يجب اثبات النون ما نعا زعما منه ترك النون لكون الواو ضميرا وجعله يجوز جار الله ... ثم حذف ثم انه لم [illegible] الشركة فكانه ايضا والمراد بالحذف هكذا قدرنا ايضا كذا قيل ان المراد بالحذف لا بد له من موجب كذا لان الحذف للمفرد وان لم يقدر [illegible] المفرد المثنى الرفع قد تقدر كما في يدعى فقط و [illegible] لانها علامة الرفع [illegible] معها النون ولم يكن فاجاب [illegible] كان الواو ضمير الجمع فالمناسب ان يكون قوله والنون محذوفة كانه قيل اذا

مثلا ويجوز ان يكون بامامهم في موضع الحال والباء متعلقة بمحذوف اي ندعوهم ملتبسين بكتابهم
والامام من يؤتم به ويقتدى والمراد به نبيهم وقيل كتابهم السماوي الذي انزل عليهم فان كل امة
يقتدون بكتابهم كما يقتدون بنبيهم وقيل رئيسهم الذي كان يدعوهم في الدنيا الى هدى او الى ضلالة
فيقال يا اصحاب عالم كذا او فاضل كذا او يا اتباع نمرود او يا اتباع فرعون من رؤساء كل قوم في امر
الدين محقين كانوا او مبطلين وقيل كتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب
كتاب الشر فيقام الامتياز بحسب الاعمال مقام الامتياز بالانساب وقيل القوى الحاملة لهم
على عقائدهم وافعالهم كالقوة النظرية والعملية والقوة الغضبية والشهوية سواء كانت شهوة
النقود او شهوة الضياع او شهوة الجاه والرياسة والقوة العقلية الداعية الى العفة والشجاعة
والكرم والصبر والقناعة ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة والحميدة وربما يدعو اليها من القوى المتشابهة
فان كل ذلك بمنزلة الامام للناس والملك المطاع والرئيس المتبوع لهم فيوم القيامة يدعى كل
اناس باسم ما هو الحاكم فيه وبمنزلة المتبوع له وقيل امامهم امهاتهم والمعنى ان كل اناس يدعى يوم
القيامة باسماء امهاتهم دون اسماء آبائهم والحكمة في ذلك ثلثة امور منها اجلال عيسى عليه
الصلوة والسلام اذ لم يكن له اب يدعى باسمه فلا جرم يدعى باسم امه فدعي سائر الناس ايضا
باسماء امهاتهم اتباعا لهم به واجلالا له وتعظيما ومنها اظهار شرف الحسن والحسين ومنها
عدم افتضاح اولاد الزنا قوله وينقصون من اجورهم ادنى شيء يعني ان المراد من الفتيل
المنفية نقص ما يستحقونه من الثواب الموعود بازاء عملهم وان الفتيل مستعار للشيء التافه
الحقير وهو في الاصل اسم للقشرة الرقيقة التي تكون على ظهر النواة كالقطمير وسمي فتيلا
لانه اذا اراد الانسان استخراجها انفتلت وقيل الفتيل هو الوسخ الذي يفتله الانسان بين سبابته
وابهامه وهو فعيل بمعنى مفعول قوله وجمع اسم الاشارة والضمير جواب عما يقال اسم الاشارة
وضمير يقرؤون كتابهم عبارة عما يعبر عنه بضمير قوله كتابه بيمينه فلم افرد الاول وجمع الثاني
وتقرير الجواب انه حمل اولا على لفظ من اذ في ما افرد الضمير الراجع اليه وحمل ثانيا على معناه فجمع
ما هو عبارة عنه قوله وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين مع ان من اوتي كتابه بشماله
يقرأ كتابه ايضا يدل على ان اصحاب الشمال تشتمل السنتهم فيعجزون عن القراءة الكاملة المبينة
بسبب ما غشيهم من الخجلة والحيرة حين معاينتهم ما في كتابهم من القبائح بخلاف اصحاب اليمين
فان حالهم على عكس ذلك فلا جرم انهم يقرؤون كتابهم على احسن الوجوه وابينها ثم انهم لا يكتفون
بقراءتهم بانفسهم بل يقولون لاهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه فظهر الفرق قوله ولذلك لم يذكرهم
اي لكن قوله تعالى فاولئك يقرؤون كتابهم يدل على حال مقابليهم وانهم لا يقدرون على قراءة كتابهم

فيقال يا اتباع نوح يا اتباع ابرهيم يا اتباع موسى يا اتباع عيسى يا اتباع محمد عليهم الصلوة والسلام فيتميزون بين محقيهم ومبطليهم ويقال ويقال يا اتباع الهوى يا اتباع النار يا اتباع الشمس يا اتباع الاصنام ونحو ذلك بناء على

على طريق الابتهاج والنجح استغنى عن ذكر حال اضدادهم قوله اعمى القلب اي ليس المراد بالاعمى
في قوله ومن كان في هذه اعمى عمى البصر لما روي انه لما نزلت هذه الاية جاء ابن ام مكتوم وكان ضرير
البصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فانزل
الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور بل المراد منه عمى القلب ولا يمكن حمل
العمى في قوله فهو في الآخرة اعمى على الجهل بالله تعالى وكتبه وما جاء من عنده لان اهل الآخرة يعرفون
الله تعالى بالضرورة فكان المراد منه العمى عن طريق الجنة والنجاة عن النار وقيل المراد بالعمى الثاني
عمى البصر لقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك
آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وهذا
العمى من جملة عقوبتهم قوله لزوال الاستعداد يعني انه وان كان في الدنيا ضالا عن الصراط المستقيم
الا ان ضلاله في الآخرة اشد واقوى بالنسبة الى ضلاله الكائن في الدنيا لانه يمكنه الاهتداء في الدنيا
بالتوبة عما هو فيه وبالخروج عن جهله وعماه بالتفكر في الادلة وتحصيل ما كلف به من الايمان
بالغيب والاعمال الصالحة بخلاف ضلاله في الآخرة فانه لا يمكنه الخروج عنه لما ذكره من زوال
استعداده للاهتداء الى الحق الذي كلف به ولزوال الآلة والمهلة قوله وقيل الثاني للتفضيل
يعني قيل ان لفظ اعمى في قوله تعالى في الآخرة اعمى ليس افعل الذي للصفة بل هو صيغة التفضيل
بمعنى اشد عمى ولذلك عطف عليه قوله واضل سبيلا من عمى بقلبه يقال رجل عمي القلب اي جاهل
وامرأة عمية القلب على فعلة واختلف في تقرير المعنى ح فقيل هذه اشارة الى النعم المذكورة
في الآيات المتقدمة من قوله تعالى هو الذي يزجي لكم الفلك الى قوله تفضيلا فالمعنى من كان في هذه النعم
التي رآها وعاينها اعمى ولم يعلم كونها نعمة الله وصلت اليه بقدرة الله تعالى ورحمته فهو في الآخرة
التي لم يرها ولم يعاينها اشد عمى واضل سبيلا وقيل هذه اشارة الى الدنيا والمعنى من كان في الدنيا اعمى
عن معرفة كون العالم المشاهد من السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب اثر
قدرة الله تعالى والاستدلال به عليها فهو في الآخرة اي في امرها اشد عمى واضل سبيلا وابعد عن
تحصيل العلم به وعلى القولين يكون العمى عن الامرين حاصلا في الدنيا والعمى المفضل هو عمى
القلب عن معرفة احوال الآخرة والمفضل عليه هو عمى القلب عن معرفة كون هذا العالم
وما فيه من النعم من آثار قدرة الفاعل المختار الخلاق لما يشاء والفعال لما يريد وقيل هذه
اشارة الى الدنيا ايضا والمعنى من كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا
لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته وفي الدنيا يهتدي الى التخلص عما يهلكه من
المهلكات بازالة عماه وجهله بالتفكر في الدلائل المنصوبة وفي الآخرة لا يهتدي الى ذلك البتة

البتة واضل سبيلا لان ضلاله في الآخرة لا سبيل له الى الخروج عنه بخلاف ضلاله في الدنيا قوله
ولذلك لم يمله اي ولكون الثاني للتفضيل قرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر عن عاصم من كان في هذه اعمى
بالامالة والكسر فهو في الآخرة اعمى بالفتح والتفخيم وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر في رواية
بالامالة فيهما لكون الكلمة من ذوات الياء والباقون وهم ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص
عن عاصم بالفتح والتفخيم فيهما لانه الاصل وابو عمرو فرق بينهما فامال الاول لانه ليس افعل
تفضيل فالفه متطرفة لفظا وتقديرا والاطراف محل التغيير غالبا فامال اعتبارا لكون الكلمة
من ذوات الياء وايضا آخر الكلمة موضع الوقف والالف تخفى في الوقف فاذا اميلت
نحي بها نحو الياء فتظهر بخلاف ما اذا كانت في وسط الكلمة كالف اعمالكم فانه ليس محل الوقوف
فاثبت الالف فيه على اصل حالها واما الثاني فانه للتفضيل فالفه في حكم المتوسط لان تمام
افعل التفضيل بمن الداخلة على المفضول فهي في حكم الملفوظ لكونها شديدة الاتصال بما قبلها
فلما لم تكن الالف واقعة في الطرف كانت مصونة عن التغيير فثبتت على حالها ورد هذا الوجه
بانهم اما لوا قوله ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلان يميلوا اعمى مقدرا معه من اولى واحرى
قوله لا نحشر ولا نعشر ولا نجبي في صلاتنا اي اشترطوا ان لا يؤخذ عشر اموالهم وقيل ارادوا
بالعشر الصدقة الواجبة ويجوز ان يسمى اخذ ما يجب على المسلمين من ربع العشر عاشرا
لاضافة ما يؤخذ منهم الى العشر ونصف العشر وقد يؤخذ العشر بتمامه وهو زكوة
ما سقته السماء واشترطوا ايضا ان لا يحشروا اي ان لا يبعثوا الى المغازي وقتال الكفار
والتجبية ان يقوم انسان قيام الراكع وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه في ذكر القيمة
حين ينفخ في الصور فيقومون فيجبون تجبية رجل واحد قياما لرب العالمين قال ابو عبيدة
التجبية تكون في حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الآخر ان ينكب على وجهه
باركا وهو السجود وقولهم لا نجبي يريدون به ولا نصلي تسمية للصلوة باسم جزئها والحاصل انهم
اشترطوا ان لا يكون عليهم زكوة وجهاد وصلوة وان كل ربا يستحقونه على غيرهم فهو لهم وكل
ربا يستحقه غيرهم عليهم فهو موضوع وان يأذن لهم في عبادة الاصنام سنة بشرط ان لا
يعبدوها بعد تمام السنة وبشرط ان لا يكسروها بايديهم عند رأس الحول وان يغدروا على
منع من قصد واديهم المسمى بوج فيعضد شجرها ويقلع حشيشها كما هو حرم حرم مكة شرفها
الله قوله ولو اتبعت مرادهم اشارة الى ان اذن حرف جواب وجزاء وانما اداة الشرط
سقاها دلالة على تضمنها معنى الجزاء وقوله لاتخذوك جواب قسم محذوف تقديره اذن والله
لاتخذوك وليس مراد المص ان كلمة لو مقدرة في النظم وان لاتخذوك جواب لها اذ لا حاجة

الى تقديرها وانما المراد تفسير المعنى لا توجيه الاعراب واصل الفتنة الاختبار يقال فتن
الصائغ الذهب اذا ادخله النار واذابه ليتميز جيده من رديه ثم استعمل في كل من ازال
الشيء عن حده وجهته فقالوا افتنه اي خدعه وصرفه عما هو عليه فقوله وان كادوا ليفتنونك
عن الذي اوحينا اليك اي يزيلونك ويصرفونك عن الذي اوحينا اليك وهو القران اي عن
حكمه وذلك لان في اعطائهم ما ارادوا مخالفة لحكم القران وقوله لتفتري علينا غيره اي
بان تقول الله تعالى امرني بذلك **قوله** عذاب الدنيا وعذاب الاخرة اضعف العذاب وجعل
الحيوة والممات عبارتين عن الدنيا والاخرة لان العذاب يوصف بالضعف كما في قوله تعالى
حكاية فاتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا وقوله من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا فالكل ضعف اي عذاب مضاعف وحاصل المعنى انك لو مكنت خواطر الشيطان من
قلبك وعقدت على الركون اليه همتك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والاخرة ولصار
عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الاخرة والسبب في التضعيف لهذا
العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام اكثر فكانت ذنوبهم
اعظم فلذلك كانت العقوبة المستحقة عليهم اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقوله في حق الاماء فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب لان الزوج منقص للنعمة **قوله** وان كادوا اي وان الشان قرب
اهل مكة ليزعجونك من ارض مكة على ان ان مخففة واللام فارقة والاستفزاز هو الازعاج
بسرعة جعل اسم كادوا ضمير اهل مكة وحمل الارض على ارض مكة على ما قاله مجاهد وقتادة لان الاية
مكية وما قبلها اخبار عن احوال مكة ولقد هم المشركون ان يخرجوه من مكة فكفهم الله عنه
وامره عليه الصلوة والسلام بالهجرة فخرج بنفسه فان قيل قال الله تعالى وكاين من قرية هي اشد
قوة من قريتك التي اخرجتك يعني مكة والمراد اهلها وهو صريح في انهم اخرجوه منها وذكر ههنا وان
كادوا ليستفزونك من الارض فكيف الجمع بينهما على قول من قال المراد بالارض هنا ارض مكة
اجيب بان قوله اخرجتك من قبيل اسناد الحكم الى السبب فانهم هموا باخراجه عليه الصلوة والسلام
الا انه ما خرج باخراجهم وانما خرج بامر الله تعالى فزال التناقض **قوله** وقرئ لا يلبثوا
بحذف النون قرأ الجمهور لا يلبثون برفع الفعل واثبات النون بعد اذن ولم يعمل اذن لكونها متوسطة
بين المعطوف والمعطوف عليه فان لا يلبثون معطوف على قوله ليستفزونك وهو مرفوع لخلوه عن
الجازم والناصب واقع موقع خبر كادوا فيكون واقعا موقع الاسم واذا لا يلبثون عطفا عليه يكون
مرفوعا واقعا موقع الاسم فلا يعمل اذن فيه وايضا اذا كان خبر كاد يكون معتمدا على اسمه واذا

واذا اعتمد ما بعد اذن على ما قبلها لا يعمل فيه لاختلاط ما بعدها على ما قبلها فيصير اذن لغوا واذا
قرئ لا يلبثوا بغير النون لا يكون معطوفا على خبر كاد لئلا يلزم الغاء اذن بل يكون جملة قوله اذن لا
يلبثوا معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لانه جواب وجزاء لشرط مقدر اي وان
كان كذا اذن لا يلبثوا **قوله** عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا عفت
اي اندرست وخلافهم اي بعدهم والشواطب النساء اللواتي يشققن الجريد ليعمل منه الحصير والشطبة
السعفة الخضراء الرطبة والجمع الشطب وشطبت المرأة الجريد تشطبه اذا شققته ليعمل منه
الحصير يصف دروس ديار الاحباب بعدهم وانها غير مسكونة شبه ما بقي بعد ترحل الاهل في
الديار بالشطب التي تنتشر حال نسج الحصير فقال فكانما بسط الشواطب بين تلك الديار ما ينسج
منه الحصير لينسجه لا انهن بسطن نفس الحصير للجلوس عليه فانه لا يناسب الاسناد الى الشواطب
ثم انه تعالى لما قال له عليه الصلوة والسلام يوم ندعوا كل اناس بامامهم الاية امره بالمواظبة على الطاعات
التي اشرفها بعد الايمان الصلوة فقال اقم الصلوة الاية ويجوز ان يرتبط بقوله وان كادوا ليستفزونك
من الارض الاية فكانه قيل له لا تبال بسعيهم في اخراجك من البلاد ولا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة
الله تعالى والمداومة على اداء الصلوة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك
غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اختلف
اهل اللغة والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين احدهما ان دلوكها غروبها روي عن علي
رضي الله عنه انه قال دلوك الشمس غروبها وروي هذا القول عن جماعة من الصحابة والقول
ان دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار اكثر الصحابة والتابعين ويدل على
صحة هذا القول وجوه الاول ما روي عن جابر انه قال طعم عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال عليه الصلوة والسلام هذا حين دلكت الشمس فصلى الظهر
والثاني ما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس
فصلى بي الظهر والثالث قول اهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس
اذا زالت نصف النهار دالكة وقيل لها اذا افلت دالكة لانها في الحالتين زائلة هكذا قال الازهري
وقال القفال اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب قال الازهري الاولى حمل
الدلوك على الزوال في نصف النهار والمعنى اقم الصلوة اي ادها من وقت زوال الشمس الى
غسق الليل وعلى هذا التقدير يدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن الفجر

فاذا حمل الدلوك على الزوال دخلت الصلوة الخمس في هذه الاية وان حمل على الغروب
لم يدخل فيه الا ثلث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحمل كلام الله تعالى على ما يكون اكثر فائدة
اولى فوجب ان يكون المراد من الدلوك الزوال قوله وكذا كل تركيب من الدال واللام فان جميع
ذلك يتضمن معنى الانتقال كدلج اي مشى بحمل غير منبسط الخطو لثقله عليه ودلج يدلج دلوجا من
باب دخل يدخل دخولا وهو بالجيم المعجمة والاول بالحاء المهملة ومعناه اخذ الدلو ومشى بها من
رأس البئر الى الحوض حتى يفرغها فيه وذلك الموضع مدلج ومدلجة والدلج بفتح اللام اسم للسير
من اول الليل ودلع الرجل لسانه فاندلع اي اخرجه فخرج ودلع لسانه اي خرج يتعدى ولا
يتعدى ودلف الشيخ اذا مشى وقارب الخطو والدله التحير وذهاب العقل من الهوى يقال دلهه الحب
عليها اي حيره وادهشه ودله هو بنفسه يدله اي تحير والمص فسر دلوك الشمس بزوالها ثم
نقل انه يفسر بغروبها ثم اشار الى وجه كل من التفسيرين فقال واصل التركيب للانتقال يعني ان
الدلوك في اصل اللغة ينبئ عن التغير والانتقال من حال الى حال وهو حاصل في كل واحد من الغروب
والزوال فكان كل واحد منهما نوعا من انواع الدلوك فصح اطلاقه على كل واحد من افراده وجزئياته
ثم ذكر ما يرجح ان يكون المراد به الزوال وهو كون الدلوك مشتقا من الدلك فالدلوك بهذا المعنى
صفة الناظر الى الشمس واضيف الى الشمس لكونها حاملة للناظر اليها على ان يدلك عينه ليدفع
ما تأثر من شعاع الشمس وذلك التأثر انما يحصل غالبا عند النظر الى الشمس وقت دنوها من
الزوال فظهر ان مراد من يقول الدلوك من الدلك بيان ان الدلوك بمعنى الزوال قوله وصلوة
الصبح على معنى واقم الصلوة الصبح لان قوله وقرآن الفجر معطوف على الصلوة فيكون واقم قرآن
الفجر اي صلوتها تسمية لها باسم بعض اركانها قوله يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار يعني ان
ملائكة الليل والنهار يجتمعون في صلوة الصبح خلف الامام ينزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة
قبل ان يعرج ملائكة الليل لقيام شيء من ظلمة الليل بعد فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملائكة
ويمكث ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك
ويقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك وهم يصلون لك فيقول الله تعالى لملائكته اشهدوا اني
قد غفرت لهم قوله او شواهد القدرة عطف على قوله ملائكة الليل والمعنى ان قرآن الفجر يشهده
دلائل القدرة الباهرة فان الانسان اذا شرع في اداء صلوة الصبح في اول وقتها الذي هو وقت
بقاء الظلمة التي في العالم واطال ما فيها من القراءة بالتدبر والترتيل ينقلب حال العالم من
الظلمة الى الضياء وهو في اثناء الصلوة بعد والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب
للحيوة والوجود فالمصلي يشاهد في اثناء صلوته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضياء
فكانما

فكانما تحولت من العدم الى الوجود ويشهد عقله السليم بان هذا التقليب والتحويل لا يقدر
عليه الا الحق سبحانه ويستنير باطنه بنور هذه المعرفة وقوة اليقين قوله او يشهده كثير من المصلين او
يشهده كثير من المصلين في العادة وقوله او من حقه ان يشهده الجم الغفير فعلى هذا يكون المقصود
الترغيب في ان تؤدى هذه الصلوة بالجماعة ووجه الفرق بينها وبين سائر الصلوات ان
تأثير هذه الصلوة في تصفية القلب وتنويره اكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر
جمع من المسلمين لاداء هذه الصلوة استنار قلب كل واحد منهم بسبب ذلك الاجتماع كأنه
ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب الاخر فيصير
ارواحهم كالمرايا المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها انوار الشمس فانه ينعكس النور من كل
تلك المرايا الى الاخر فكذا في هذه الصلوة ولهذا السبب كان من له ذوق سليم اذا ادى هذه الصلوة
بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونورا قوله بيان لمبدا الوقت ومنتهاه وذلك لان اللام في قوله
لدلوك الشمس للتاقيت وقوله الى غسق الليل متعلق باقم وكلمة الى للانتهاء وغاية الاقامة
غسق الليل تراكم ظلمته واشتدادها والظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق
الابيض والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية منتهيا عنده فيكون
قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيانا لمبدا الوقت ومنتهاه وقوله ومن الليل متعلق بتهجد
اي تهجد بالقرآن بعض الليل كما يشعر به قوله وبعض الليل فاترك الهجود والاظهر ان يكون
متعلقا بمقدر عطف عليه فتهجد لان الفاء لا تدخل بين المعطوف عليه والتقدير وقم من
الليل اي في بعض الليل فتهجد بالقرآن والمراد منه الصلوة المشتملة على القرآن عبر عنه باسم
بعض اركانها والمعروف في كلام العرب ان الهجود عبارة عن النوم بالليل يقال هجد فلان اذا
نام بالليل ثم لما رأينا في عرف الشرع انه يقال لمن انتبه بالليل من نومه وقام الى الصلوة
انه متهجد فوجب ان يقال سمي ذلك متهجدا من حيث انه القى الهجود عن نفسه كما قيل للعابد
المتحنث لالقائه الحنث عن نفسه وهو الاثم يقال فلان متحرج ومتأثم ومتحوب اذا القى
الحرج والاثم والحوب عن نفسه ونافلة مصدر على وزن العافية والعاقبة منصوب بفعله
المقدر اي تنفل نافلة لك على الصلوات المفروضة او بتهجد لانه في معنى تنفل او على انه حال من ضمير
به اي حال كونه صلوة نافلة لك والنافلة في اللغة الزيادة على الاصل ومعناها في هذه الاية ايضا
الزيادة وفي تفسير كونها زيادة قولان مبنيان على ان صلوة الليل هل كانت واجبة عليه عليه
الصلوة والسلام ام لا فمنهم من قال انها كانت واجبة عليه بقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا
قليلا ثم نسخت فصارت نافلة اي تطوعا وزيادة على الفرائض وقال اخرون ان صلوة الليل

كانت واجبة عليه ومعنى كونها نافلة له على التخصيص انها فريضة زائدة له عليه الصلوة والسلام على
الصلوات الخمس واختار المص هذا القول لان فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب ان يكون التهجد
واجبا عليه ومن قال ان صلوة الليل ليست بواجبة عليه بل هي تطوع في حقه كما هي تطوع في حق امته
قال في وجه قوله نافلة لك بلام الاختصاص انه قد غفر للنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فكان طاعة يأتي بها سوى المكتوبة فانه لا يكون تأثيرها في كفارة الذنوب البتة بل يكون تاثيرها في زيادة
الدرجات وكثرة الثواب فلما كانت نوافله نوافل لزيادة المثوبات سميت نافلة بمعنى زيادة المثوبات
بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهم محتاجون الى النوافل لتكفير الذنوب والسيئات
لا لمحض زيادة المثوبات فللاشارة الى هذا المعنى جعل تطوعاته صلى الله عليه وسلم زوائد ونوافل في مقابلة
بخلاف تطوعات الامة قوله ولاشارة عطف على قوله لما روى فهو وجه ثان لكون المراد بالمقام المحمود
مقام الشفاعة وتقريره ان كون المقام من حيث هو مقام محمودا يشعر بكون القائم في ذلك المقام محمودا
من حيث كونه مثنيا على الحامد لان الحمد يكون على الانعام وذلك الانعام لا يجوز ان يراد به تبليغ الدين و
الهداية الى الشرع القويم والصراط المستقيم لان ذلك الانعام كان حاصلا الآن وقوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا تطميع ولا معنى لتطميع الانسان في الشيء الذي حصل عنده الآن فوجب ان يكون
ذلك الانعام الذي لاجله يصير محمودا انعاما يصل منه عليه الصلوة والسلام الى الناس بعد ذلك
وما ذلك الا شفاعته عند الله تعالى فظهر بهذا ان قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يشعر بكون
المراد منه مقام الشفاعة واتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله تعالى تدخل فيما هو قطعي الوقوع
لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا عليه والله تعالى اكرم من ان يطمع
واحدا في شيء ثم لا يعطيه قوله اي في القبر قدم هذا الوجه واختاره لكونه مناسبا لذكر البعث عقيب
قوله عسى ان يبعثك والعامة على ضم الميم قوله مدخل ومخرج لوقوعهما بعد فعل رباعي وجعلهما المص
مصدرين بمعنى الادخال والاخراج وان جاز ان يكونا اسمي مكان وقرئ بفتح الميم فيهما على ان يكون كل واحد منهما
مصدرا بمعنى الفعل الثلاثي منصوبا بفعل مقدر موافق لهما تقديره فادخل مدخلا واخرج مخرجا
والاضافة فيهما للتبيين مدحا للمضاف كأنه سأل الله تعالى ادخالا حسنا مرضيا واخراجا حسنا
لا يرى فيه ما يكره وان كان المعنى ادخلني مكة ظاهرا عليها بكون المأمور به ان يسأل الله تعالى ان يفتح له
مكة ويدخله فيها ادخالا مرضيا وان كان المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة تكون الاية مرتبطة
بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض والمعنى ان كفار مكة لما ارادوا اخراجه عليه الصلوة و
السلام من مكة امره تعالى بالهجرة الى المدينة وقال له قل رب ادخلني مدخل صدق وهو ادخاله الى
المدينة واخرجني مخرج صدق وهو اخراجه من مكة او ادخاله النار واخراجه منه قوله رب

وايضا التنكير في قوله مقاما محمودا
يدل على انه يحصل للنبي عم في ذلك
المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم
ان حمد الانسان على سعيه في التخلص
عن العذاب اعظم من حمده في السعي
في زيادة الثواب لانه لا حاجة به
اليها لان حاجة الانسان في دفع الالام
العظيمة عن النفس فوق حاجته
الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا
حاجة به الى تحصيلها واذا ثبت
هذا وجب ان يكون المراد من
قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا هو الشفاعة في
اسقاط العقاب على ما هو مذهب
اهل السنة ولما ثبت ان لفظ
الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا
قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة
في تقرير هذا المعنى وجب حمل
اللفظ عليه ومما يؤكد ذلك الدعاء
المشهور عنه في اجابة المؤذن
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
واتفق الناس على ان المراد منه
الشفاعة ابن عادل

ومن للبيان فان قيل من البيانية لا تكاد تتقدم على المحتاج الى البيان لان يتقدم هي عليه و
ههنا قد تقدمت هي عليه فكيف يكون بيانية فالجواب ان المبين لا يجب تقدمه لفظا بل يكفي تقدمه
رتبة وهو حاصل ههنا فان قوله من القران بيان لمفعول ننزل وهو قوله ما هو شفاء ورحمة
كما ان من الاوثان في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس وبيان له وذو الحال
متقدم من حيث الرتبة على الحال وان كانت تبعيضية يكون من القران مفعولا به وما هو شفاء
بدلا منه شبه المؤمنون بالمرضى من حيث احتياجهم في تقويم نفوسهم وعقائدهم واصلاح نفوسهم و
اخلاقهم الى ما يعينهم ويصلح شانهم في البابين وشبه القران بالدواء الشافي من حيث كونه فالقا
ومزيلا للشكوك في العقائد والاخلاق الذميمة ومصلح شان المؤمن في باب العقائد والاعمال والاخلاق
فعبر عن المشبه باسم به فقيل وننزل من القران ما هو شفاء ثم يتبين المراد بهذا اللفظ المستعار بقوله
من القران وان شئت قلت ذكر طرفي التشبيه مانع من حمل الكلام على الاستعارة بل هو من باب
التشبيه البليغ وجعل كون القران بمنزلة الشفاء بالنسبة الى المؤمنين تخييلا للاستعارة المكنية
التي هي تشبيه المؤمنين بالمرضى ثم ان الله تعالى لما وصف القران بانه شفاء ورحمة للمؤمنين وانه
لا يزيد الظالمين الا خسارا وخسارا بين ان شان نوع الانسان اذا فاز بالنعمة والدولة
اغتر بها ونسي ذكر الله وان حرم عنها اشتد عليه الحزن والاسى ولم يتفرغ لذكر الله تعالى فهذا
المسكين ابدا يكون محروما عن ذكر الله تعالى والاشتغال به ثم اتبع ذلك بقوله قل كل يعمل على شاكلته
اي على حسب طريقته ومذهبه المشاكلة لما هو عليه من الهدى والضلال فالكافر يعمل ما يشبه
طريقته من الاعراض عن الشكر عند الانعام ومن اليأس من روح الله عند الشدة والمؤمن
يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ويدل على هذا قوله تعالى فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اي المؤمن الذي لا يعرض عن الشكر عند النعمة ولا ييأس من روح الله عند
النقمة ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون المراد بشاكلته ما يشاكل جوهر روحه والمعنى كل احد يفعل
على وفق ما يشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسا مشرقة طاهرة علوية صدرت
عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة خبيثة سفلية ظلمانية صدرت عنها افعال
خبيثة قال الامام اختلف العقلاء في ان النفوس الناطقة البشرية هل هي مختلفة بالماهية ام لا
منهم من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلاف احوالها وافعالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها و
منهم من قال انها متساوية في الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف امزجة بدنها ثم قال والمختار
عندي هو القسم الاول والقران مشعر بذلك لانه تعالى بين في الاية المتقدمة ان القران بالنسبة
الى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى البعض الاخر يفيد الخسار والخزي ثم اتبعه

سلطانا نصيرا حجة تنصرني على
من خالفني او ملكا وعزا قويا
ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا
له عليه فاجيب دعوته بقوله
والله يعصمك من الناس الا
ان حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الارض ووعده لينزعن
ملك فارس والروم فيجعله
له وعنه عليه الصلوة والسلام
انه استعمل عتاب بن اسيد
على اهل مكة فقال انطلق فقد
استعملتك على اهل الله فكان
شديدا على المريب لينا على
المؤمن وقال لا والله لا اعلم
متخلفا يتخلف عن الصلوة
في جماعة الا ضربت عنقه فانه
لا يتخلف عن الصلوة الا منافق
فقال اهل مكة يا رسول الله لقد
استعملت على اهل الله عتاب بن
اسيد اعرابيا جافيا فقال
صلى الله عليه وسلم اني رأيت
فيما يرى النائم كان عتاب
بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ
بحلقة الباب فقلقلها قلقالا
شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز
الله به الاسلام لنصرته المسلمين
على من يريد ظلمهم فذلك
السلطان النصير
كشاف

بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر منها من القران
اثار السعادة والكمال وبتلك النفوس الكدرة ان يظهر منها من القران اثار الخزي والضلال كما ان
الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه هذا الكلام انما يتم المقصود منه
اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بماهيتها فبعضها مشرقة صافية يظهر منها من القران نور
على نور وبعضها كدرة ظلمانية فيظهر منها من القران ضلال ونكال انتهى كلامه والمص اشار الى
القول الاول بقوله او جوهر روحه والى الثاني بقوله واحواله التابعة لمزاج بدنه من غير تعرض
لترجيح احد القولين على الاخر ويحتمل ان يكون قوله هذا ترجيحا للقول الاول ويكون عطف
قوله واحواله التابعة للاشارة الى ان اختلاف جوهر الروح بالماهية انما يقتضي اختلاف الافعال
بواسطة اختلاف تدبيره في مادة بدنه **قوله** وقد فسرت المشاكلة بالطبيعة فالمعنى على هذا
كل من خلق على طبيعة من الطبائع فانه يعمل ويختار من الاعمال ما يوافق تلك الطبيعة وعلى
الثاني كل من تعود بعادة فانه يعمل على وفق عادته فمن اعتاد استعمال عقله واتباع الادلة
القاطعة وتدبر القران والاستشفاء به فانه يعمل في دينه بما يقتضيه الادلة والحجج ومن اعتاد
ان يرخي عنان نفسه الامارة وان يتبع نفسه هواها فانه يعمل على وفق عادته الباطلة وعلى
الثالث كل من اختار دينا ومذهبا فانه يعمل على حسب دينه ومذهبه **قوله** من الابداعيات
اي من الامور المخترعة لا على مثال والسؤال عن الروح وان كان يقع على وجوه كثيرة اي شيء
ماهية الروح وحقيقته اهو متحيز او حال في المتحيز او موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز وثانيها
ان بقاء الروح هل هو قديم او حادث وثالثها انه هل يبقى بعد موت الاجسام او يفنى ونحو ذلك
من احوالها الا ان الظاهر انهم سألوه عليه الصلوة والسلام عن حقيقة الروح وانه عليه الصلوة
والسلام اجابهم بان بين لهم ذات الروح ببعض عوارضه واحواله وهو قوله تعالى قل الروح
من امر ربي يعني انه موجود بامر الله تعالى وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه
لاهل الظاهر البتين فانه لا يتجاوز ادراكهم عن عالم المحسوسات وما يدركونه من المعاني المعقولة ليس
الا صورا منتزعة من جزئيات عالم المحسوسات على حسب الاستعدادات المختلفة بل هو من عالم
الامر اي عالم الابداع الذي هو عالم الذوات المجردة عن الهيولى والجواهر المقدسة عن الشكل
واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكه ايها المحجوبون بالكون لقصور ادراككم عنه فالجواب المذكور
اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به ولذلك اقتصر على
على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلوة والسلام في جواب وما رب العالمين بذكر
بعض صفاته وان ارادوا بسؤالهم عن الروح انه هل هو قديم او حادث يكون الجواب بانه من

احدا ان يقال م

وزعم قوم ان الروح الدم [illegible] وزعم قوم ان الروح نفس [illegible] ان الروح جسم لطيف [illegible] وقيل الروح عرض [illegible] فانه قال الروح جسم لطيف [illegible] وقيل هو جميع البدن [illegible] الموت من كل مكان قال الواحدي والاختيار من هذه الاقوال انه جسم لطيف يوجد في الجثة بدليل قوله تعالى في صفة الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين والارزاق والفرح من صفات الاجسام والمراد بها ارواحهم لان اجسادهم بليت في التراب ثم قال بعد ذلك هذا الذي ذكرناه ضرب من التكلف لان الله اعلم على ما ذكرنا

من امر ربي معناه انه حادث بتكوينه وموجود بامره اي بقوله كن ولفظ الامر قد جاء بمعنى
الفعل كما في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد اي وما فعله بسديد وقوله فلما جاء امرنا اي فعلنا
فقوله تعالى قل الروح من امر ربي اي من فعل ربي وانه حادث حصل بفعل الله تعالى وتكوينه وايجاده
قوله وقيل مما استأثره الله تعالى بعلمه الظاهر ان يقال مما استأثر الله بعلمه بدون الضمير بمعنى انفرد
وتفرد بعلمه واستعماله متعديا غير معهود في اللغة ومعنى الجواب ح قل معرفة الروح من شان
الله تعالى لا من شان غيره على ان يقدر المضاف بعد قوله قل ويكون الامر بمعنى الشان وهذا التوجيه
يطابقه قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولم يرض المص بهذا الوجه لان معرفة الروح ليس
اعظم شانا من معرفة الله تعالى واذا كانت معرفته تعالى ممكنة بل حاصلة فاي مانع يمنع من باب
معرفة الروح مع ان مسئلة يعرفها اواسط العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف يليق بالرسول
الذي هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء ان يقول انا لا اعرف هذه المسئلة وانما علمها من امر ربي شانه
فلذلك اختار ان يكون السؤال من حقيقة الروح او عن قدمه وحدوثه وانه عليه الصلوة والسلام
اجاب عن ذلك السؤال بان بين لهم ما سألوه **قوله** وقيل الروح جبرئيل بدليل انه تعالى سمى جبرئيل
بالروح في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفي قوله فارسلنا اليها روحنا فسألوا الرسول
صلى الله عليه وسلم كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فقال الله تعالى قل الروح من امر
ربي اي انه من عالم الامر او موجود بامره وتكوينه او يتنزل ويبلغ بامر ربه كما قال جبرئيل وما
نتنزل الا بامر ربك **قوله** وقيل خلق اي قيل ان الروح المسؤل عنه في هذه الاية ملك من ملائكة
السموات وهو اعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا روي
عن علي رضي الله عنه انه قال هو ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان
سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة
الى يوم القيمة قالوا ولم يخلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبتلع السموات
السبع والارضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة و
صورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيمة عن يمين العرش وهو اقرب الخلق
الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين ويقرب الى الله عز وجل يوم القيمة وهو يشفع لاهل التوحيد
ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره **قوله** وقيل
المراد بالروح المسؤل عنه في هذه الاية القران لانه تعالى سمى القران في كثير من الايات روحا
منها قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره ولان
القران يحصل به حيوة الارواح والعقول اذ به يحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله

واحوال الاخرة والارواح انما تجي بهذه المعارج مع ان اللائق بهذا الموضع القران لانه
تعقبه قوله ونُنزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وجاء بعده ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك الى قوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا
ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان ما قبل هذه الاية وما بعدها في وصف القران
ناسب ان يكون المراد بالروح المذكور في هذه الاية ايضا القران ولما استعظم القوم امر القران
وسألوا انه هل هو من جنس الشعر او الكهانة اجابهم الله بانه ليس من جنس
كلام البشر وانما هو كلام ظهر بامر الله ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من امر ربي اي القران
انما ظهر بامر ربي ووحيه **قوله** ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس جواب عما يقال سلمنا ان
علم الانسان مقتصر على ما يستفيده بواسطة حواسه لكن يلزم منه ان يكون معلومه شيئا
قليلا نزرا بالنسبة الى معلومات الله ومعلومات النفوس المجردة عن الحجب الطبيعية و
الغواشي الجسمانية واشار بقوله المعرفة لذاته الى ان الانسان يجوز له ان يعلم شيئا من الابدا عبارة
على سبيل التشبيه والمقايسة بما شاهده في عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الاخرة
بهذا الطريق **قوله** ومحوناه عن المصاحف والصدور اشارة الى جواب من زعم ان هذه
الاية تدل على ان القران مخلوق لان القديم لا يقبل الازالة والاذهاب لما تقرر من ان ما ثبت
قدمه يمتنع عدمه وتقرير الجواب ان المراد بهذا الاذهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة
النقش الدال عليه عن المصاحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول بها عليه محدثا
روى محيي السنة في تفسيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال اقرءوا القران قبل ان يرفع
فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال
يُسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا
ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال لا تقوم الساعة حتى يرجع
القران من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الله ما لك يا رب أُتلى ولا يعمل
بي أُتلى ولا يعمل بي **قوله** من يتوكل علينا اي من يجير وكيلا متوكلا علينا باسترداده فالمتوكل
والموكل بمعنى **قوله** ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به بمعنى على تقدير ان يكون الاستثناء
منقطعا يكون استدراكا عن قوله ولئن شئنا لنذهبن على تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى
منه قوله وكيلا بناء على ان الرحمة من جنس الوكيل بشدة رحمته قال ابو البقاء الا رحمة مفعول
له اي حفظناه عليك للرحمة ويجوز ان يكون مصدرا اي لكن رحمناك رحمة **قوله** ولولا
هي اي لولا اللام الموطئة فان القسم مقدر معها لجاز ان يكون قوله لا ياتون جواب الشرط غير

غير مجزوم بناء على ان حرف الشرط اذا لم يعمل فيما هو اقرب منه فلأن لا يعمل في الابعد اولى كما في البيت
فانه رفع يقول مع انه جواب الشرط لما ذكرنا **قوله** ولعله لم يذكر الملائكة الخ يعني ان هذه الاية دلت
على وقوع التحدي مع الجن والانس فلما ظهر عجز كل واحد من الفريقين عن الاتيان بمثله ظهر ان
القران ليس من نظم هذين الفريقين ولم يلزم منه كونه وحيا آتيا لجواز كونه من نظم الملائكة
وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة ووقع التحدي مع جميع الفرق الثلث فلم لم يذكر الملائكة اجاب عنه
اولا بان المقصود من تحقيق اعجاز القران دفع شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر او الجن ولم يذهب
احد منهم الى احتمال كونه تاليف الملائكة ونظمهم فلا حاجة الى تحقيق كونه معجزا بالنسبة الى الملائكة
فلذلك لم يذكر الملائكة في مقام التحدي وثانيا بانه لا وجه لذكر الملائكة في هذا المقام من حيث كونهم
وسائط في اتيانه ونزوله الى البشر **قوله** ويجوز ان تكون الاية تقريرا لما قبلها لكونه معجزا بعد الانسان
بتنزيله ثم بابقائه كما بينهم ذلك من التقرير السابق **قوله** كررنا بوجوه مختلفة من كل معنى اشارة الى ان
قوله من كل مثل مفعول صرفنا وكلمة من فيه زائدة في المفعول وقد جوز الكوفيون والاخفش زيادتها
في الاثبات والمعنى ولقد صرفنا تقرير كل معنى من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمواعظ
وتقرير الدلائل الدالة على حقية ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل وبطلان ما هو الباطل منهما من وجه
الى وجه آخر وكررنا تقريره بوجوه مختلفة ليذكروا ويذعنوا الحق فابى اكثر اهل مكة الا جحود الحق
واصرارا على الكفر والعناد **قوله** وانما جاز ذلك يعني ان قوله الا كفورا مستثنى مفرغ في الكلام الموجب
وقد تقرر ان عدم ذكر المستثنى منه انما يجوز في غير الموجب لا يجوز في الموجب لفساد المعنى فكان
القياس ان لا يجوز ان يقال ابى اكثر الا كفورا الا انه جاز من حيث ان قوله ابى اكثر الناس في قوة
لم يفعلوا او لم يرضوا الا كفورا وفسر الكفور بالجحود لانه لما اثبت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ببيان
كون القران معجزا وانه عليه الصلوة والسلام اظهره على وفق دعواه وصح بهم الدليل على كونه نبيا صادقا
لان كل من ادعى النبوة واظهر المعجزة على وفق دعواه فهو نبي صادق فينتج انه عليه الصلوة والسلام
نبي صادق وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها لانه يستلزم ان لا
ينتهي الامر فيه الى حد ينقطع عنده عناد المعاندين لانه كلما اتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا اخر
لا الى نهاية ككفار مكة بعد ان ظهر كون القران معجزا التمسوا منه عليه الصلوة والسلام ستة انواع
من المعجزات فالتماسهم هذا ليس الا تعنتا وجحودا **قوله** وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بفتح التاء
وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فجرت الماء فانفجر بمعنى بجسته فانبجس ويؤيد هذه القراءة
كون الينبوع واحدا وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة مضارع فجر للتكثير
واتفقوا على ان الثانية بالتشديد للتصريح بمصدرها **قوله** لا ينضب ماؤها بضم الضاد اي لا يغور

قوله ولانهم كانوا وسائط في
اتيانه اي فلا يليق قول لا ياتون
بمثله وقيل لانهم اقرب فلا يصح
انهم لا ياتون بمثله ولا يخفى ما
فيه
سكان

لانه متاول بالنفي كانه قيل
لم يقبل اكثرهم الا كفورا وفيه
من المبالغة ما ليس في ابوا
الايمان لان فيه دلالة على انهم
لم يرضوا بخصلة سوى الكفور
من الايمان والتوقف في الامر
ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم
الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء
الخ

في الارض ولا ينسفل وينبع الماء ينبوعا اي خرج واليعبوب الفرس الكثير الجري والنهر الشديد الجرية وعب
الماء اذا زخر وكثر وارتفع يقال زخر الوادي اذا امتلأ وارتفع ماؤه وبحر زاخر والعباب بالضم معظم
الماء وكثرته وارتفاعه اقترح القوم له عليه الصلوة والسلام ازل عنا جبال مكة وفجر لنا الينبوع ليسهل
علينا امر الزراعة والحراثة ثم قالوا هب انك لا تفجر هذه الانهار لاجلنا فتجرها من اجلك ثم قالوا فان
لم تكن تستطيع اظهار الخير فاظهر الشر بان تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اي قطعا جمع كسفة
وهي القطعة مثل قربة وقرب وانتصابه على الحال من السماء قوله وحفص فيما عدا الطور الظاهر انه معطوف
على ابن كثير كان يقول وابن عامر وقوله نافع وابو بكر معطوفات عليه فيكون المعنى وسكنه حفص فيما عدا
الطور وهو مخالف لما ذكره الرازي في تفسيره وهو قوله قرا ابن عامر كسفا بفتح السين ههنا وفي
سائر القران بسكونه وقرا نافع وابو بكر عن عاصم ههنا وفي الروم بفتح السين وفي باقي القران
بسكونها وقرا حفص في سائر القران بالفتح الا في الطور وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
في الروم بفتح السين وفي سائر القران بسكون السين هذا عبارة الامام في الكبير وفي تفسير الامام ابي
الليث وحاشية الطيبي وتيسير القراءة هكذا قرا نافع وعاصم وابن عامر كسفا بفتح السين
والباقون باسكانها والله اعلم فمن فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع وكسرة وكسر ومن
سكنها جعله ايضا جمعا على وزن فعل بفتح العين لكنه سكن عينه تخفيفا كما خفف سدر اصله
سدر بفتح الدال جمع سدرة او جعله فعلا بمعنى المفعول كالطحن بمعنى المطحون والكاف
في قوله كما زعمت صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مثل مزعومك على ان ما مصدرية والمصدر بمعنى
المفعول والمراد بمزعومه عليه الصلوة والسلام ما حكى عنه تعالى من قوله ان نشا نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السماء وقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب
مركوم ان لا يصدقون انه كسف ساقطة للعذاب فعلم منه ان ما حكى عنهم في هذه السورة من قولهم
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا انما يقولونه عنادا وتمردا لا لتحصيل اليقين **قوله**
كفيلا او مقابلا او جماعة فسر القبيل بثلثة اوجه الاول الكفيل يقال قبلت به اقبل قبالة والثاني
المقابل كالعشير بمعنى المعاشر والثالث الجماعة يكون من الثلثة فصاعدا من قوم شتى كالروم
والزنج والعرب والقبيل بهذا المعنى يجمع على قبل ومنه قوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اي قبيلا
قبيلا واذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا واذا كان بمعنى مقابلا
كان التقدير تأتي بالله مقابلا وبالملائكة مقابلين وعلى الوجهين يكون قبيلا حال الاسم الله وحال الملائكة
محذوفة لدلالة المذكورة عليها كما حذف خبر قيار في قوله فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب
اي فاني لغريب وقيار كذلك وان كان قبيلا بمعنى جماعة يجوز ان يكون حالا من الله والملائكة معا ان

اذ زعمت انك رسول بكرم عنده تعالى فليحصل لك الجنان التي فيها النخيل والاعناب متجرة فيها الانهار

وقال قتادة عيانا اي تراهم مقابلة وقال الفراء هو من قول العرب لقيت فلانا قبلا وقبلا اي معاينة

وان يكون حال الانس الملائكة فقط اي فوجا بعد فوج وكل جند من الجن والانس قبيل **قوله**
في معارج اقدر المضاف لان هذا الفعل اذا عدي بكلمة في انما يعدى الى الهواء كالارتقاء يقال رقى في
السلم وفي الدرجة والرقي الصعود يقال رقي يرقى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع رقيا على وزن ضربا ورقيا
على وزن فعول اصله رقوي فادغم بعد قلب الواو ياء ولن نؤمن لاجل رقيك وحده عن عبد الله انه
ابن ابي امية قال لن نؤمن لك حتى تضع سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور
معه اربعة من الملائكة يشهدون لك ان الامر كما تقول فقال له عليه الصلوة والسلام قل سبحان
ربي **قوله** حتى تنزل علينا اي حتى تحكمون على ما اخترنا يقال تحكم عليه اي اقترح عليه في افعاله
الخبر **قوله** باظهار المعجزة على وفق دعواه متعلق بقوله تعالى شهيدا فانه تعالى لما اظهر المعجزة على وفق
دعواه عليه الصلوة كان ذلك شهادة منه تعالى على كونه صادقا في دعوى الرسالة ومن شهد الله
له على صدقه فهو صادق فكل من قال بعد ذلك يجب ان يكون الرسول ملكا لا انسانا يكون كلامه تحكما
محضا لا يلتفت اليه **قوله** لا يبصرون ما يقر اعينهم الخ اشارة الى جواب ما يقال كيف يحشرون عميا
وبكما وصما وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال دعوا هنالك
ثبورا وقال يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين
فثبت بهذه الايات انهم يرون ويسمعون وينطقون فكيف قال ههنا عميا وبكما وصما اجاب
عنه المص اولا بان المعنى انهم يحشرون عميا بحيث لا يرون شيئا يسرهم صما لا يسمعون شيئا
يتلذذون بسماعه بكما لا ينطقون بحجة ثم اشار الى الجواب بقوله ويجوز ان يحشروا الخ يعني انهم يكونون
رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولا ان يسمعوا
الزام حجة الله عليهم الا انهم اذا اخذوا يذهبون من الموقف الى النار يجعلهم الله تعالى عميا وبكما
وصما **قوله** مؤنة الغوص من الاقة يقال ابى الزرع على ما لم يسم فاعله اي اصابته آفة فهو
مؤوف **قوله** توقدا اشارة الى ان السعير مصدر بمعنى التسعر وهو التوقد والتلهب كالنذير والنكير
بمعنى الانذار والانكار ويجوز ان يكون السعير بمعنى النار المسعورة يقال سعرت النار بمعنى
بتحتها والهبتها وقد يشدد العين للتكثير والمبالغة فان قيل قال الله تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله
تعالى كلما خبت يدل على ان العذاب يخفف عنهم في ذلك الوقت اجيب بان قوله كلما خبت يقتضي
سكون لهب النار في بعض الاوقات وذلك لا يستلزم تخفيف العذاب وقيل كلما خبت معناه كلما
ارادت ان تخبو زدناهم سعيرا وتلهبا **قوله** ذلك جزاؤهم مبتدا وخبر والباء في قوله بانهم كفروا
باء السببية اي ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدم جزاؤهم بسبب انهم كفروا باياتنا الدالة
على صدق مدعي النبوة مكابرة وعنادا وعطف على كفرهم بالآيات المذكورة قولهم ائذا كنا عظاما

قوله يسحبون عليها اي يجرون عليها فقد فسر الشيء بما فيهما وجهان وهو موافقة قول جار الله في تفسيره ويحشرهم على وجوههم كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم فاشار بالاية الى احد الوجهين وبالحديث الى الوجه الاخر لكن يكون في كلامه غاية الفار لا يقال لعله جعل الوجهين واحدا لان الثاني فكانه مستدل على كون المعنى ويحشرهم يوم القيمة على وجوههم بالاية والحديث بان يكون معنى يوم يسحبون في النار يوم يمشون على وجوههم بناء على ان ذكرهم تكونه تحالفا للغة يحال تفسيره بما يجرون عليها

ويجوز ان يحمل الكلام على اخذ ملائكة العذاب اياهم بعد تمام المحاسبة في الموقف باخذهم اخذا اشد بحيث يجرون بكمال لا يبقى لهم طاقة على التكلم والسماع والرؤية فيكون الكلام مجازا عن كمال جبرهم واضطرابهم

الحي يعني انهم كما انكروا النبوة انكروا البعث والحشر واستبعدوا ان يعود الانسان بعينه بعد ان
يصير عظاما ورفاتا واجاب الله عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعني ان من خلق السموات
والارض كيف يستبعد منه ان يقدر على اعادتهم باعيانهم واراد بخلق مثلهم خلق انفسهم ثانيا فان
مثل الشيء لما كان مساويا له في حالته جاز ان يعبر عن الشيء بنفسه الا ترى انه يقال مثلك لا يفعل
هذا ويراد انك لا تفعله وقيل المراد انه قادر على ان يخلق عبيدا آخرين يوحدونه ويقرون بكمال
حكمته وقدرته ويترك ذكر الشبهات الفاسدة وما اختاره المص انسب بالمقام ثم الجواب
عند قوله قادر على ان يخلق مثلهم ثم عطف قوله وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهي قوله اولم يروا
الخ فانه في قوة قد رأوا ان ليس هو داخلا في حيز الانكار بل هو معطوف على جملة برأسها وقوله لا ريب
فيه صفة لاجلا غير مرتاب فيه فان اريد به اجل القيمة فوجه الافراد واضح وان اريد به اجل الموت
فوجه الافراد انه اسم جنس والا فلكل انسان له اجل يخصه فان اريد به اجل الموت يكون هذه الجملة
المعطوفة جوابا لما استعجلوا من العذاب كما ان ما قبلها جواب عن استبعاد البعث وان اريد به
اجل القيمة يكون المقصود من هذه الجملة بيان ان لوقوعه ودخوله في الوجود وقتا معلوما
عند الله بعد بيان انه في نفسه امر ممكن الوجود بناء على ان اعادة امثالهم اهون في عقولهم من
خلق السموات والارض ابتداء **قوله** وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده وليس بمرفوع على الابتداء
لان كلمة لو للشرط والتعليق والمعلق عليه لا بد ان يكون من الاحوال المتغيرة القائمة بالذوات
ولا يجوز ان يتعلق الحكم بنفس الذوات فكان من حقها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على الذوات
والفعل هو الذي يدل على المعاني والاحوال فلا بد ان يليها الفعل ظاهرا او مضمرا ولما وقع الاسم بعدها
في الاية وجب ان يقال ان ذلك الاسم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والاصل لو تملكون فحذف
الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو اذ لا يمكن بقاؤه متصلا بعد حذف رافعه
ونظيره في وجوب تقدير الفعل قوله تعالى وان احد من المشركين اي وان استجارك احد وقول
الشاعر لو ذات سوار لطمتني اي لو لطمتني ذات سوار لان لو طالبة للفعل فلما لم يوجد لفظا
جعل مقدرا والمعنى لو لطمتني من كان كفؤا لي لان علي وكنى لطمتني من هو دوني وقيل اراد
لو لطمتني حرة فكنى بكون اللاطمة ذات سوار عن حريتها لان العرب قلما يلبسون الاماء السوار
فالمعنى لو كانت اللاطمة حرة لكان اخف علي وذكر للعدول عن الظاهر طريق الحذف والتفسير
فائدتين الاولى المبالغة في ترتب الجزاء على الشرط لان تكرر الشرط يقتضي تكرر تعليق الجزاء
عليه والثانية الدلالة على الاختصاص وذكر ان انتم وان كان فاعلا للفعل مقدرا الا انه لما كان
عبارة عن ضمير يكون المتأخر ومتحدا معه بالذات كان من حيث المعنى فاعلا قدم عليه وقد تقرر

قوله هو الموت او القيمة قيل قوله وجعل لهم اجلا عطف على اولم يروا لان المعنى قد علموا اي بدليل العقل انه تعالى قادر على البعث والاعادة وجعل لهم اي لاعادتهم اجلا وهو يوم القيمة بمعنى قد علموا امكانها واخبرنا الصادق وضرب لها اجلا فيجب التصديق او وجعل لهم اجلا هو الموت والاستئصال 2 عن هذه الحجة وليس معناه انهم لم يخلقوا اعبثا ولم يتركوا سدى فلا بد لهم من جزاء اعمالهم في حيوة اخرى فلا معنى للانكار وبهذا التقرير ظهر وجه ربط قوله وجعل لهم اجلا بما قبله لفظا ومعنى ووصف اجلا بلا ريب فيه ظاهر على الثاني وعلى الاول معنى ليس بمحل الانكار بل لدليل العقل
سكن

وقد تقرر في علم المعاني ان تقديم الفاعل المعنوي يفيد الاختصاص فقوله لو انتم تملكون يدل
على انهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل فانه من المعلوم ان خزائن الله غير متناهية
لا يتصور نفادها بكثرة الانفاق فمن ملكها واستبد بها من غير منازع ومزاحم ثم امسكها ولم يفض بها
حاجة احد من المحتاجين يكون في غاية الشح ونهاية البخل **قوله** لبخلتم اشارة الى ان امسكتم لا يقدر
له مفعول ويجعل لازما لتضمنه معنى بخلتم ويجوز ان يجعل متعديا ويقدر له مفعول اي لامسكتم المال والخزائن
التي تملكونها الا انه لما حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق مفعول له لقوله
امسكتم وقيل انه مصدر في موضع الحال اي لامسكتم خاشين الانفاق وفيه نظر لان المصدر المعرف
لا يقع موقع الحال الا سماعا نحو جهدك وطاقتك وارسلها العراك ولا يقاس عليه والانفاق انفع
ان اخرج المال وجعله المص مصدر انفق بمعنى انفد وفي الصحاح نفق الزاد ينفق نفقا اي نفد وانفق
الرجل اي افتقر وذهب ماله فيعلى هذا خشية الانفاق معناه خشية الفاقة والافتقار **قوله**
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب الانسان خطابا عاما
ويصفهم بالبخل المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان في الانسان من هو جواد كريم وتقرير الجواب
وصف الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث انه خلق محتاجا الى ما ينتظم به احواله والمحتاج 2
لا بد وان يحب ما به يدفع حاجته وان يمسكه ولا يؤثر به غيره وان اتفق ان يؤثر به غيره انما يفعل
ذلك لطلب عوض يفوق ما انفق به مثل ان يحمد ويذكر بالجميل او يخرج عن عهدة الواجب او
يتقرب به الى الله فلما لم ينفق الا لعوض فائق يحصل اليه كان في الحقيقة بخيلا فان الجود
هو العطاء تفضلا من غير داع يدعو اليه سوى الكرم ودفع حاجة المحتاج ثم ان ثمة وجها آخر
وهو انه وصف الكل بالبخل على اقامة الاكثر مقام الكل لان البخلاء اغلب فيهم وقيل الخطاب
في قوله قل لو انتم تملكون الاية ليس للكل بل هو خطاب للذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا فانهم لما طلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدهم لتكثر اموالهم فاجابهم
الله بانكم لو تملكون خزائن رحمة الله لبقيتم على بخلكم وشحكم ولما اقدمتم على ايصال النفع الى
احد فلا فائدة في اسعافكم بما طلبتموه **قوله** تعالى قتورا اي بخيلا اصله من قتر على عياله
يقتر ويقتر قترا وقتورا اي ضيق عليهم في الانفاق وخص وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات
قوله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل اذ لو اريد بها الاحكام المطلقة سواء كانت
عامة او خاصة لما كان الجواب مطابقا للسؤال لان الايات المذكورة في الجواب عشرة والسؤال
من نسخ كانه عليه الصلوة والسلام قال اعلموا اشياء الى اليهود ان الايات التي اوتي موسى
عليه الصلوة والسلام ولم ينسخها شريعة ونكون نحن وانتم فيها سواء هذه المذكورات

لكن له آية اخرى تختص بكم وهي هذه الآية العاشرة فيلزم ارتباط هذه الآية بما قبلها انها جوا
عن قولهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بهذه المعجزات الباهرة وتقريره انك ما لنا قد اتينا موسى معجزات
مساوية لهذه الاشياء التي طلبتموها بل اقوى منها واعظم فلو حصل في علمنا ان جعلها في زمانك مصلحة
لفعلناها كما فعلنا في زمان موسى لكن لما علمنا انه لا مصلحة في فعلها في زمانك لم نفعلها قوله
بينات يجوز ان يكون منصوبا على انه صفة للعدد وان يكون مجرورا على انه صفة للمعدود قوله
فقلنا له سلهم من فرعون على ان يكون قوله فاسأل خطابا لموسى عليه الصلاة والسلام او لو كان
الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم لاحتيج الى تقدير القول فالسؤال هو فرعون والمسؤول عنه
انقاذ بني اسرائيل من ايدي القبط فانهم كانوا بمنزلة الاسراء في يد فرعون وقومه والمعنى ولقد
اتينا موسى تسع آيات بينات فارسلناه الى فرعون وملائه وقلنا له اذ جاءهم سل بني اسرائيل
من فرعون اي قل له ارسل معي بني اسرائيل من فرعون اي قل له وخلهم وشأنهم فالسؤال بمعنى
الطلب من قولهم سألته الشيء لا من قولهم سألته عن الشيء واذ جاءهم متعلق بذلك المقدر قوله
او سلهم من حال دينهم على ان يكون الخطاب ايضا لموسى بتقدير القول الا ان المسؤول حينئذ بنو اسرائيل
والمسؤول عنه شأن دينهم والمعنى فقلنا لموسى سل بني اسرائيل اذ جاءهم عن حال دينهم وقل لهم
هل انتم ثابتون على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام داخلون في دين فرعون واذ متعلقة بذلك
المقدر ايضا قوله ويؤيده ان يؤيد كون الخطاب لموسى بتقدير القول وجه التاييد ان تلك القراءة
صريح في ان السائل هو موسى لان ضمير سأل عائد اليه والمعنى فطلب موسى بني اسرائيل من فرعون
او سألهم عن حال دينهم واذ جاءهم في هذه القراءة متعلقة بسأل قوله او فاسأل يا محمد صلى
الله عليه وسلم عطف على قوله فقلنا له سلهم من فرعون اي ويجوز ان يكون السائل سيد المرسلين
والمسؤولون مؤمني اهل التورية من بني اسرائيل والمسؤول عنه ما جرى بين موسى وفرعون بعد ان
اظهر موسى اياه ما آتاه الله من المعجزات التسع اي سلهم ان فرعون هل قبل آيات موسى وآمن
بها ام انكرها واصر على الكفر لتسلي نفسك ولا تضطرب من تعنت المشركين او سلهم عن الآيات التسع
الغير المنسوخة التي آتاها الله موسى فانه امر محقق عندهم ثابت في كتابهم وليس المقصود حقيقة السؤال
بل بيان كون اغنى المسؤولين من اهل علم ولهذا يؤمر عليه الصلاة والسلام بالسؤال عنهم قوله
وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا ظرفا له ويكون قوله فاسأل بني اسرائيل معترضة بين الظرف وعامله
وفائدة الاعتراض ازدياد التعيين فان نظاهر الآية يوجب علما بتسع التغلب اوضح من باب التهييج
والالهاب وزيادة التثبيت والطمانينة على اسلوب قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسأل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والمعنى ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات اذ جاء بني اسرائيل
او

قوله او فاسأل يا محمد عطف على قوله فقلنا له فيكون هذه الآية اعتراضا بين قوله ولقد اتينا قوله فقال له فرعون والمعنى ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات اذ جاء بني اسرائيل والسؤال للتعجيب والاخبار في الكشاف ...

ولا مختلطين اياكم واياهم فان قلت الظاهر ان يقال اياهم وانتم بضمير الغائب قلت لعل ذكر التعبير بضمير الخطاب في بكم وبيان انه من باب تغليب المخاطبين على الغائبين واما النصب فيهما فلكون الضمير في بكم في حكم النصب ايضا لان الباء للتعدية لكن الانسب تقديم هذا على قوله مختلطين فتأمل

او فرعون وملاءه فاسأل ذلك عن مسلمي اهل الكتاب يخبروك به كما اخبرت قوله او باضمار يخبروك
الذي هو جواب قوله فاسأل بني اسرائيل فلا يكون اذ جاءهم ظرفا لمجرد اذ لا يتصور وقوع اخبارهم
عن حال الآيات التسع لنبينا صلى الله عليه وسلم في زمان مجيء موسى الى بني اسرائيل بل يكون مفعولا به
واخبارهم اياه عليه الصلاة والسلام ذلك الزمان عبارة عن اخبارهم اياه ما وقع في ذلك الزمان من
القصة بتمامها والمعنى سل بني اسرائيل عن حال الآيات التسع فانهم يخبروك القصة بتمامها من لدن مجيء
موسى من مدين الى مصر عند آبائهم وهم اسراء بيد فرعون وملائه ثم ذهابه الى فرعون وطلبه
منه ارسال بني اسرائيل معه وادعائه النبوة واظهار تلك الآيات الباهرة بل اسرها وعجز فرعون
وعناده الا انه يجب ان يكون قوله اذ جاءهم بمعنى اذ جاء اباءهم بتقدير المضاف لان الخطاب لسيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل هم الموجودون في زمانه وموسى عليه الصلاة والسلام
ما جاءهم بل جاء اباءهم وان كان اذ جاءهم منصوبا باضمار اذكر على انه مفعول به جاز ان لا يجعل
فاسأل اعتراضا بان يجعل اذكر بدلا من اسأل لما سبق من ان المقصود من السؤال بيان كون
المسؤولين من اهل علمه والفاء في قوله فقال له فرعون على هذه الاوجه فاء فصيحة والمعنى اذ جاءهم
فذهب الى فرعون فادعى النبوة واظهر المعجزة وكذبت فقال قوله وقرأ الكسائي بالضم
والقراءة بفتح التاء اجود لان احتجاج موسى على فرعون بعلم فرعون اوكد من الاحتجاج بعلم
نفسه قوله فان ظن فرعون كذب بحت فانه وصف موسى بكونه مسحورا او مؤوف العقل
ولا شك انه كذب محض لا دليل عليه ولا امارة ووصف موسى فرعون بكونه مثبورا اي مصروفا
عن الخير او هالكا تصدقه الامارات المتظاهرة وهي ان موسى اثبت نبوته بالمعجزات الباهرة
التي لا يرتاب العاقل في انها من عند الله وانه اما اظهرها على يده تصديقا له في دعواه وكل من
انكرها لا يحمله على الانكار الا الحسد والعناد والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك يكون عاقبته
الهلاك والثبور قوله وفريء وان لا اخالك مضارع قولك خلت الشيء خيلا وخيلة ومخيلة اي
ظننته وفي المثل من يسمع يخل وتقول في مستقبله اخال بكسر الهمزة وهو الافصح وبنو اسد تقول اخال بفتح الهمزة
وهو القياس ثم انه لما بين اعجاز القرآن وكفايته في الدلالة على صدق مدعي النبوة عاد
الى تعظيم القرآن وبيان شأنه فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما اردنا بانزاله الا تقرير
الحق وتثبيته فلما اردنا هذا المعنى بانزاله وقع وحصل نزوله بسبب الحق فعلى هذا يكون بالحق
متعلقا بانزلنا والباء سببية وعلى ما ذكره المصنف يكون الباء متعلقة بمحذوف والجار والمجرور في محل
النصب على انه حال من مفعول انزلناه وفاعل نزل والحق الاول عبارة عن الحكمة الداعية لانزاله
والحق الثاني هو الثابت الذي لا يزول كما ان الباطل هو الزائل الذاهب وكل ما اشتمل عليه

على ان فرعون وقومه عرفوا ان الآيات من عند الله وانا الكفرة اعتادوا ... عن بحث ... على ان ... من عند الله وانه انكر النبي ... وعن على انه قرأ لقد علمت بضم التاء وقال والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فاحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم على ان فرعون وقومه عرفوا الآيات قال الزجاج الاجود في القراءة الفتح لان علم فرعون بانها آيات نازلة من عند الله اوكد في الاحتجاج فاحتجاج موسى على فرعون بعلم فرعون اوكد من الاحتجاج بعلم نفسه واجاب من نصر قراءة علي رضي الله عنه عن دليل ابن عباس رضي الله عنهما فقال قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم يدل على انهم استيقنوا شيئا ما انهم استيقنوا كون هذه الآيات نازلة من عند الله بل استيقنوا في الآيات ما يدل عليه واجابوا بان فرعون قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فقال موسى لقد علمت والمعنى انك لست بمجنون ولا بخبث عن علي رضي الله عنه ضم التاء لانه يروى عن رجل من مراد عن علي وذلك الرجل مجهول

ابن عادل

[illegible]

هذا الكتاب الكريم من دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وكون الملائكة عبادا مكرمين و
تقرير نبوة الانبياء واثبات الحشر والنشر ونحو ذلك امور ثابتة لا تقبل الزوال **قوله** الا محفوظا
بالرصد تفسير لقوله بالحق وبيان لكونه منصوبا على انه حال من المفعول وكلا واحد من لفظي الحق
على هذا عبارة عن الثابت المقابل للباطل والذي لا يكون انزاله ونزوله الا حال كونه ثابتا
غير باطل لا يكون كذلك الا بان يكون في تلك الحالين محفوظا بالرصد وهو جمع راصد كالحرس جمع
حارس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القران وعظم شانه قال قل آمنوا به او لا تؤمنوا واتبع دينك بما اظهر من
المعجزات فقد اهتدى ومن عاند واقترح معجزات اخر فلا عليك من كفرهم شيء لانك ما ارسلت
الا مبشرا ونذيرا ليس اليك وراء ذلك شيء من الاكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب على
الاشتغال اي على انه مفعول فعل محذوف يفسره فرقناه اي وفرقنا قرانا فرقناه فان قيل النصب
على الاشتغال انما يجوز حيث يجوز في الاسم المذكور الرفع بالابتداء وقرانا نكرة لا يصح الابتداء بها فكيف
يجوز النصب على الاشتغال فالجواب ان التنكير فيه للتعظيم فكان في حكم المخصص بالوصف فكانه
قيل وقرانا اي قرآن بمعنى قرانا عظيما فرقناه **قوله** على مكث متعلق بمحذوف على انه حال من
فاعل لتقراه ثم انه تعالى خاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والانكار
فقال قل امنوا به او لا تؤمنوا اي فقد انزل الله وبلغ الرسول واختاروا ما تريدون وهو في معنى الامر
بالاعراض عنهم كانه قال لا تركهم ولا تبال بهم والفرق بين كون قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم
من قبله تعليلا لقوله امنوا به او لا تؤمنوا وبين كونه تعليلا لقل هو ان المقصود بقوله ان الذين
اوتوا العلم على الاول هو تحقير اهل مكة وتجهيلهم وما حصل من تسلية عليه الصلوة والسلام
بايمان العلماء انما يحصل في ضمن هذا المقصود والمقصود على الثاني انما هو التسلية وما حصل
من تجهيل القوم وعدم المبالاة بهم انما يحصل تبعا وضمنا **قوله** ويخرون للاذقان جواب عما يقال
المقصود من قوله تعالى ويخرون اي يسقطون حكاية الهيئة الحاصلة لهم عند استماع القران
التي هي هيئة السجود وهي انما يحصل بالسقوط على الجبهة والانف فالظاهر ان يقال ويسجدون او
يخرون على وجوههم او على جباههم وانوفهم فما وجه ذكر الاذقان هنا واجاب عنه بان الذقن
اول ما يلقى الارض من وجه الساجد وفيه بحث لان الظاهر ان اول ما يلقى الارض من وجه الساجد
هو الجبهة والانف دون الذقن الا ان يقال المراد بكون الذقن اول ما يلقى الارض كونه اقرب
الى الارض واقدم من سائر ما يلقى الارض من اجزاء وجه القائم الذي يقصد السجود فالاولية
بمعنى الاقدمية فعبر عن خرور الساجد بخرور اقرب اجزاء وجهه الى الارض واقدمها **قوله**
واللام فيه لاختصاص الخرور به فيه بحث لان اختصاص الخرور بالذقن عبارة عن كون

قوله من تخليط متعلق بمحفوظا
في الموضعين على التنازع ثم
النزول لازم الانزال فههنا
ما يشبه التكرير لكنه هنا
هو ظاهر المعنى وقوله ولعله اراد
الخ معنى اخرها حاصله ان الزمان
للانزال واخره للنزول فليس فيه
شبه التكرير او اراد ولعل هذا
القائل اوالله تعالى على هذا القول
نفى اعتزاء البطلان الخ بمعنى
انه تعالى لما اخبر بانه محفوظ من
التخليط في زمان انزاله من السماء
الدنيا ومعلوم انه محفوظ ايضا
في زمان انزاله من اللوح اليه فقد
افاد الاية انه محفوظ اولا واخرا
هذا غاية ما يمكن من التوجيه
سنان

عن كون سقوط الساجد متصورا على الذقن لا يتعدى الى سائر الاعضاء على منوال قول
صاحب الكشاف في قوله تعالى له الملك وله الحمد قدم الظرفان ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله
تعالى ومن المعلوم انه لا اختصاص لخرور الساجد بالذقن هو مجمع اللحيين الا ان يقال ليس المقصود
من الاية بيان انهم يسجدون حقيقة اذا تلي عليهم القران بل المقصود بيان انهم ينقادون له كما ينبغي
ويخضعون له كمال الانقياد والخضوع فاخرج الكلام على سبيل الاستعارة التمثيلية بان شبهت الهيئة
الحاصلة من كمال الانقياد والخضوع بهيئة من يخص الخرور بالذقن من حيث ان هيئة
الخرور على الوجه اقصى هيئات الخضوع ثم ان الذقن مع كونه ابعد شيء من الارض من اجزاء وجه
من خر على وجهه اذا اختص الخرور به كان وصول سائر اجزاء الوجه الى الارض اتم واولى
فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها تصويرا لغاية خضوعهم ونظيره في كون
الكلام محمولا على التمثيل دون الحقيقة قوله تعالى انقلبتم على اعقابكم وقوله فنبذوه وراء ظهورهم **قوله**
وهو اوجب اي كون المراد من الاية انه لا رجحان لاحد الاسمين على الاخر بل هما سيان في حسن
الاطلاق والافضاء الى المقصود اوجب لما ذكر بعده وذلك لان اعتراض اليهود كان تعييرا للمسلمين
على ترجيح احد الاسمين على الاخر واعتراض المشركين كان تعييرا على الجمع بين اللفظين فقوله
اياما تدعوا مطابق للرد على اليهود لان المعنى اي اسم من الاسمين سميتموه به فهو حسن لا رجحان
لاحدهما على الاخر في الحسن ولا يظهر كونه ردا على من يقول كيف تعبدون الهين وتمنعون عنه
قوله يحذف اولهما في الموضعين لان المفعول الاول هو المسمى وهو محذوف فيهما وانما المذكور منهما
هو المفعول الثاني وهو الاسم والتقدير سموا معبودكم الله او سموه الرحمن اي هذين الاسمين تدعوه
وتسموه فهو حسن فقوله اياما منصوب بتدعوا على انه مفعول ثان له والظاهر ان قوله واو التخيير مبني
على كون الاية مسوقة للرد على اليهود الذين رجحوا تسميته تعالى باسم الرحمن وطعنوا المسلمين
بتقليلهم ذكر هذا الاسم فان الجواب بالتخيير انما يناسب الرد على من زعم رجحان التسمية باحد
الاسمين ولو كانت الاية مسوقة للرد على المشركين الذين حظروا الجمع بين الاسمين لكان
المناسب ان يحمل كلمة او على الاباحة فانها وان كانت لاحد الشيئين او الاشياء الا انها اذا وقعت
حيث يحصل بالجمع بين الفعلين او الافعال فضيلة وشرف في الغالب يحمل على الاباحة نحو تعلم
الفقه او النحو وجالس الحسن او ابن سيرين وان وقعت حيث لا يحصل به ذلك تحمل على التخيير نحو
اضرب زيدا او عمرا ولا شك انها اذا وقعت في جواب من منع الجمع بين الاسمين يكون حملها على الاباحة
انسب لكون المقام الترغيب في الجمع بينهما ففيه ايذان بان المص مال الى كونه ردا على اليهود كما
اشار اليه بقوله وهو اوجب ذكره في شرح الرضي ان او اذا كان في الامر فله معنيان التخيير والاباحة

قوله ... سبيلا وسطا تحتمل تقدير الصفة
... من لفظين ...
... بين لفظين ... تعبير ...
تفسير سبيلا ... يكلام جار الله
... سنان

... الشيخ ... بلفظ الخطاب ...
... على ...
... من ... اجزاء ...
... لا ...
... عن ... الكلام ...
... سنان

فان حصل للمامور بالجمع بين الامرين فضيلة وشرف في الغالب فهي للاباحة نحو تعلم الفقه او النحو
والا فهي للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا والفرق بينهما ان الاباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار
على احدهما وفي التخيير يتحتم احدهما ولا يجوز الجمع قوله بقراءة صلوتك بتقدير المضاف او على اطلاق
اسم الكل وارادة الجزء فان الصلوة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والمخافتة من عوارض
الصوت يقال خفت صوته يخفت خفتا وخفوتا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت اي ضعيف خفي
روي انه عليه الصلوة والسلام كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله
ومن جاء به فانزل الله تعالى هذه الاية قوله وفيه تنبيه وجه التنبيه انه تعالى امره عليه الصلوة والسلام
بان يخص حمده والثناء بالاله المنزه عن جميع سمات النقصان المتفرد بالملك المنعم على الاطلاق ثم امره
بان يصفه بصفة الكبرياء المطلق في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه ويعتقد انه واجب الوجود
لذاته غني عن كل ما سواه ويعتقد ان كل ما كان صفة له فهو من صفات العظمة والجلال والعز و
الكمال وان كل واحد من تلك الصفات ازلية قديمة سرمدية منزهة عن التغير والزوال وان كل
واحد منها متعلقة بما لا نهاية له من المتعلقات ويعتقد ان كل ما يجري في ملكه وسلطانه واقع بقضائه
وقدره ومشيئته وقالت المعتزلة انا نكبر الله تعالى ونعظمه عن ان يكون فاعلا لهذه القبائح والفواحش
بل نعتقد ان حكمته تقتضي التنزه والتقدس عنها وعن ارادتها قال واحد من رؤساء المعتزلة يقال
له القاضي عبد الجبار الهمداني حين راى الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني سبحان من تنزه عن
الفحشاء فقال الاستاذ ابو اسحق سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ويعتقد انه ملك مطاع
وله الامر والنهي والرفع والخفض ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من احكامه ثم انه تعالى اكد التكبير المامور به
فقال تكبيرا اي اقصى ما يقدر عليه الانسان الضعيف ان يجتهد ويبالغ في تعظيمه وتقديسه حسبما يسعه
قدرته ثم يعترف بان عقله وفهمه لا يفي بمعرفة جلال الله تعالى ولسانه لا يفي بشكره وثنائه وجوارحه
واعضاءه لا يفي بخدمته فيكبر الله عز وجل عن ان يكبر اليق بعزه ومجده قوله اذا افصح الغلام
فهم ما يقول في اول ما يتكلم وخلص كلامه عن اللكنة والمراد بهذه الاية قوله تعالى وقل الحمد لله الى
آخر السورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها قيل
افتتحت التورية بفاتحة سورة الانعام واختتمت بخاتمة هذه السورة والحمد لله رب العالمين

وقيل المراد بالصلوة الدعاء وهذا قول عائشة وابي هريرة ومجاهد قالت هي في الدعاء وروي هذا مرفوعا ان النبي عم قال في هذه الاية انما ذلك في الدعاء سعيد كر

اعلم ان الجهر بالدعاء منهي عنه والمبالغة في الاسرار غير مطلوبة والمستحب ما ذكر التوسط وهو ان يسمع نفسه كما روي عن ابن مسعود رضي انه قال لم يخافت من يسمع نفسه واعلم ان العدل هو رعاية الوسط كما مدح الله تعالى هذه الامة بقوله سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية ومدح المؤمنين بقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فكذا ههنا نهى عن الطرفين وهما الجهر والمخافتة وامر بالتوسط بينهما فقال وابتغ بين ذلك سبيلا ابن عادل

سورة الكهف مائة وعشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله رتب استحقاق الحمد اشارة الى ان ليس تقدير
الكلام قولوا الحمد لله الذي الخ بل هو جملة اسمية لا محل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الحمد او
جميع افراده مختصة به تعالى وانه المستحق له لانه الذي وصلت الى كل احد نعمه وان الذي وصلت

ولا تجعلها على اعظم نعمائه يعني انه كذلك في نفس بعض كلامه لما في مسكنه ورتب الحمد عليه دون غيره من النعم يشير عليه في الجملة ويذكره
لان ذلك يقتضي ان يكون اعظم من غيره من النعم والا يلزم ان يكون كلما رتب الله تعالى الحمد عليه في كتابه في غير هذا الموضع في الانعام وسبا و
الفاطر اعظم نعمائه ايضا ولا يخفى ما فيه من التناقض وبهذا تبين ما في قول من قال في بيانه ينبغي ان تخصيص هذه النعمة من بين سائر النعم دال على انها
اشرف والا لزم ترجيح احد المتساويين او ترجيح المرجوح انتهى وما ذكره من لزوم احد المحذورين مدفوع بان تخصيص نعم الله تعالى دقيقها وجليلها بتحقق الحمد عليها وتبيينها موكول الى الفاعل المختار بما اقتضاء الحال ثم نعمة الانزال تتضمن نعمة الاسلام نعمته عليه جار الله ونعمة ارسال محمد صلى الله عليه وسلم كما نطق به الاية فاضمحل ما قيل ان المعنى من اعظم نعمائه او اريد بالافعال الزيادة من رحمة فان ارسال محمد صلى الله عليه وسلم ايضا كذلك وكذا خلق الاشياء في القبر انتهى سنان

٣٨٤

وصلت النعمة على يده طريق لوصولها الى الحامد وذكر الغير وان استحق الحمد ايضا في مقابلة سعيه
واجتهاده في قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكين والاقدار على ذلك السعي ليس الا منه تعالى وهو فيه
فما توجه الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى وانه تعالى مستعمل لذلك الغير في ايصال نعمته
الى العباد الا ان الحمد لا يجب ان يكون بمقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة الفضائل الغير المتعدية كما
اشار اليه بقوله في اخر السورة السابقة ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه
كامل الذات ويدل عليه ايضا انه تعالى ما ذكر الحمد لنفسه الا ذكر على اثره اما ما يدل على قدرته وسلطانه
كقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقوله الحمد لله فاطر السموات والارض او ما يدل على انعامه وافضاله
كقوله الحمد لله رب العالمين وقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قوله وهو في المعاني قال
ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض
او دين او معاش يقال في دينه عوج كذا في الصحاح قوله او قيما بمصالح العباد يقال فلان قيم
المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد وتعهدات شئونه كذا قيم الاطفال فالقرآن لما كان سبب الهداية للخلق
قائما لاصلاح الارواح البشرية كان كالقيم المشفق القائم بمصالح الاطفال قوله او على الكتب
عطف على قوله بمصالح العباد فان بعض اهل السلف بل فسر القيم بالشاهد وقال القرآن قيم على الكتب
المتقدمة وشاهد عليها في الزيادة والنقصان وفي التغيير والتحريف يبين ما زادوا فيها وما نقصوا
وما حرفوا وغيروا والحاصل ان قيما اذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيما ويكون ذكره بعد قوله
ولم يجعل له عوجا للتاكيد فان كل ما لا يكون له عوج يكون مستقيما وكل ما يكون مستقيما يكون غير
ذي عوج الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته على التاكيد كقوله تعالى محصنات غير مسافحات
فانهن اذا كن محصنات لم يكن مسافحات فهما يؤديان معنى واحدا الا انه كرر بناء على عادة العرب
وكذا قوله لينذر باسا شديدا فان البائس هو الشديد والشديد هو البائس وكرر للتاكيد هذا
اذا لم يقدر لقوله قيما متعلق واما اذا قدر له متعلق فاما ان يقدر له على كالذي في قوله تعالى افمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت اي رقيب حفيظ شهيد فيكون تتميما لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى ح
انه كامل في نفسه مكمل لغيره فيكون بالغا في الاستقامة حدها او يقدر له الباء على نحو قولهم فلان
قيم بهذا الامر اي قائم بمصالحه فيكون تكميلا بمعنى انه مستقيم في نفسه قيم بامور غيره قوله
تقديره جعله قيما فزيادة بل ايضا اي ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما وقوله قيما سواء كان منصوبا
بمضمر او على انه حال من الضمير في له لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جملة الصلة بخلاف ما
اذا كان قيما حالا من الكتاب فانه ح لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل الكتاب لئلا
يلزم الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي فان الحال من تمام المعطوف عليه وبعض منه والمعطوف

اي العوج بكسر العين يستعمل في المعاني والعوج بالفتح يستعمل في الاعيان اي الاجسام

او قيما عطف على بمصالح العباد بمنزلة ان يقال على مستقيما او قائما بمصالح العباد او على الكتب لئلا يتعلق فيما اظهار ذلك الذي الذكور في قوله بمصالح العباد او على الكتب في النظم وقوله او على الكتب عطف على بمصالح العباد وانما لم يعد لفظ قيما ههنا لعدم الخفاء في تعلق هذا الجار فيما على ما ذكره بيان لان يكون قيما على الكتب تاكيدا لانا كبدا او لم يجعله تاكيد الكلام وعليه ما ذكره من عدم بقاء الحاجة اليه بعد نفي العوج مطلقا سنان

اجنبي فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي **قوله** ولذلك لان يكون قيما
حالا من الكتاب يستلزم الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي على تقدير ان يكون قوله ولم يجعل
معطوفا على انزل قال بعض اهل التاويل الكلام على التقديم والتاخير اي انزل على عبده الكتاب
قيما ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه ان يجعل قيما منصوبا بمضمر لان الظاهر ان قوله ولم يجعل
معطوف على انزل فلو جعل قيما حالا من الكتاب لزم العطف قبل تمام الصلة وحمل الكلام على
التقديم والتاخير من غير نكتة بعيد وكذا جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كانه قيل انزله
منتفيا عنه العوج مستقيما بعيد خلاف الظاهر واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا مبدلة
الفا سكتة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيما ليس متصلا بعوجا وانما هو من صفة الكتاب
وغيره لم يعبأ بهذا الوهم ولم يسكت اتكالا على فهم المعنى وفعل حفص في مواضع من القرآن مثل
ما فعل ههنا من سكتة لطيفة نافية لوهم فاسد منها انه يقف على مرقدنا ويبتدئ هذا ما وعد
الرحمن لئلا يتوهم ان هذا صفة لمرقدنا ويتبين بالوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعده كلام
غيرهم قيل هم الملائكة وقيل المؤمنون ومنها انه يقف على من في قوله حتى اذا بلغت التراقي وقيل من
راق ويبتدئ راق لئلا يتوهم انها كلمة واحدة على فعال اسم مبني للمبالغة من مرق يمرق فهو
مراق ومنها انه يقف على اللام في قوله بل ران ويبتدئ ران لما تقدم **قوله** صادرا من عنده
اشارة الى ان من لدنه متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لباسا او حال من الضمير في شديد
او ان لدن بمعنى عند **قوله** وقرا ابو بكر لدنه باسكان الدال واشمامها شيئا من الضم وبكسر النون
والهاء موصولة بياء ووجهه انه سكن الدال تخفيفا كتسكين عين عضد وسبع والنون ساكنة
فالتقى ساكنان فكسر النون لالتقاء الساكنين وكان حقه ان يكسر الاول على القاعدة المعروفة
الا انه يلزم منه العود الى ما فر منه ثم لما كسرت الهاء ايضا اتبعا وصلا بياء واشم الدال شيئا من
الضم اشارة الى اصلها وقرا الباقون لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء وابن كثير يصلها
بواو ويقرأ لدنهو نحو منهو وعنهو وغيره لا يصلها بشيء **قوله** اسقطا ما لكفرهم فان الخاص
قد يعطف على العام للتنبيه على مزية الخاص وتنزيل تلك المزية منزلة التباين فكما لا يعلم حكم
احد المتباينين ببيان حكم المباين الاخر بل لا بد من ذكر الاخر بعده والتنصيص على حكمه فكذا
يعطف الخاص على العام ويبين حكمه قصدا واصالة بناء على تنزيله منزلة المباين بالنسبة
الى العام المذكور قبله بطريق تنزيل التغاير في الوصف منزلة التباين في الذات وقوله ما لهم به
من علم لا يستدعي تحقق المعلوم في نفسه لان انتفاء العلم بالشيء قد يكون للجهل بالطريق
الموصل اليه وقد يكون لانه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به وما نحن فيه من قبيل الثاني

نعم صفة ثانية لباسا لا حال منه والا لكان الواجب تقديمه عليه ا محمد

٣٨٥

وهذا معنى قوله يقولون عن جهل مفرط لا يحكم به عقولهم ولا يؤدي اليه فكرهم البتة لكونه في
غاية الفساد والبطلان بل هو مجرد تقليد لسان يجري على السنتهم ليس في قلوبهم من معناه شيء
وصف الكلمة بالخروج الذي هو من صفات الاجسام بناء على ان الاصوات والحروف والكلمات
المركبة منها انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فوصفت الاعراض المذكورة بوصف
ما يكون سببا لحدوثها والا فالاعراض لا يصح عليها الخروج والانتقال **قوله** وكلمة نصب على التمييز
لانه يرفع الابهام المستتر عن ذات مقدرة وهي النسبة الملحوظة في قولك كبرت المقالة او الكلمة
فانها مبهمة لان من سمع تلك الجملة يجوز ان يكون المراد المقالة كبرت كذبا او جهلا او افتراء
فلما قيل كلمة تعين المراد وارتفع الابهام فعلى هذه القراءة فاعل كبرت مضمر فيه بخلاف ما اذا قرئت
برفع الكلمة على الفاعلية فانه لا يضمر فيه شيء على طريق قولك عظم فلان وعلى تقدير الاضمار
يكون ذلك الضمير راجعا على معنى التفوه المفهوم من قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اي كبر مقالتهم
ذلك كلمة ومعنى الكلام التعجب من كبرها كلمة وقوله تخرج من افواههم صفة للكلمة يؤذن
استعظاما لان بعض ما يخطر بالبال لا يجسر الانسان على اظهاره باللفظ **قوله** وقيل صفة لمحذوف
يعني قيل ان كبرت بمعنى بئس وفاعله مضمر مفسر بالنكرة المنصوبة بعده على التمييز كما في قولك بئس
رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء
واشمام الضم وهي لغة تميم **قوله** فاتلها البخع الاهلاك يقال بخع الرجل نفسه بخعا وبخوعا اي اهلكها
غما ووجدا والمقصود من الاية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وحث له على ترك التاسف و
التحزن والمعنى لا يعظم حزنك واسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا ومبشرا واما تحصيل الايمان
في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والفاء في قوله فلعلك قيل جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه
ومعناه التاخير وقال الجمهور جواب الشرط محذوف لدلالة قوله فلعلك قبله كلمة لعل ههنا للاشفاق
على بابها وقيل للاستفهام الانكاري اي لا تبخع بقرينة قوله تعالى في اية اخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
والظاهر انها للاشفاق الذي يقصد به التسلي والحث على ترك التحزن والتاسف ثم قيل الاسف هو
النهاية في الغضب لقوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم قال اهل التاويل المعنى فلما اغضبونا وقيل الاسف
النهاية في الحزن لقوله تعالى يا اسفى على يوسف اي يا حزنا فانه عليه الصلاة والسلام كادت نفسه الكريمة
تهلك حزنا عليهم واشفاقا من ان تتلف انفسهم في النار بتركهم الايمان وفيه دلالة على انه عليه الصلاة
والسلام لم يكن يقاتل الكفرة للغيظ والانتقام وانما يقاتلهم ليسلموا ويتخلصوا من الهلاك الابدي فان من
كاد ان يبخع نفسه اشفاقا عليهم من الهلاك كيف يقاتلهم للاهلاك وقوله تعالى على اثارهم متعلق بقوله باخع
اي باخع نفسك من بعد هلاكهم يقال مات فلان على اثر فلان اي مات بعده في زمان قريب من موته حال بقاء اثاره
قريب من زمان حو

المبيت الاول وعلاماته وعدم اندراسها بالكلية فانه ح يصح ان يقال مات الثاني على اثره اي حال
بناء اثره قوله وقرئ ان بالفتح قراء الجمهور ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة على انها شرطية فعلى هذه
القراءة يكون باخع للاستقبال فيعمل لان ان الشرطية للاستقبال كانه قيل لعلك تبخع نفسك الآن
او غدا ان لم يصدر منهم ايمان وقرئ شاذا بفتح الهمزة على حذف الجار اي لان لم يؤمنوا فعلى
هذه القراءة المناسب ان يكون باخع للمضي لان لم يؤمنوا ماض[ص] ولا ضرورة تدعو الى صرفها
عن معناها فلا يعمل الا اذا جعل حكاية حال ماضية كانه قيل لعلك بخعت نفسك لاجل ان لم يؤمنوا لان لم جعل للمضي
فجيء باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها وان لم يجعل على حكاية الحال
الماضية لا يعمل فيجب اضافته الى ما بعده قوله وفيه تسكين اي تسكين لوجده واغتمامه على عدم
ايمانهم ووجه التسكين ان الآية لما دلت على ان اهل الارض لم يعط لهم ما عليها من الزينة لينتفعوا
به مجانا وانما اعطي لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم ما علم الله تعالى ان ذلك يكون منهم فيجازي كل
واحد ممن آثر الحيوة الدنيا وزينتها ومن آثر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده ونيته
وظهر له عليه الصلوة والسلام ان شانه وما يليق به ليس الا البشارة للمطيع والانذار للعاصي وانه تعالى
هو المطلع على اعمالهم ونياتهم ومن يستحق لان يخلق فيه الاهتداء او الضلالة فيسكن بذلك وجده
وغضبه والزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشيء وعن الشيء بمعنى واحد اي لم يرده ولم يرغب
فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوي من الارض وقيل هو وجه الارض مطلقا والجرز الذي
لا نبات به ولا ماء قوله بل احسبت اشارة الى ان ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة وبل هي التي
للانتقال لا الابطال لما سبق والهمزة للانكار ذكر الله تعالى اولا من الآيات الكلية تزيين الارض
بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها ثم ذكر انه يزيل ذلك كله ويجعله كان لم يكن ثم اضرب عنه
فقال ام حسبت كانه قيل تتعجب من قصة اصحاب الكهف ولا تتفكر في سائر الآيات فان تزيين
الارض بانواع المعادن والحيوان والنباتات وازالتها بالكلية بعدما اخذت الارض زخرفها
وازينت اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عادته ان يتعجب من شيء قل
ايناسه به وان كان الذي بحضرته اعجب منه قال الامام القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف و
سألوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا
عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات
والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا جرزا
خاليا عن الكل كيف يستبعد من قدرته حفظ طائفة مدة ثلث مائة سنة واكثر في النوم وروي ان
قريشا بعثوا الى المدينة رهطا وقالوا لهم سلوا احبار اليهود عن محمد صلى الله عليه وسلم وصفته

ص ولم لا يغلب المضارع الى الماضي اذا اجتمعت مع ان الشرطية و اذا اجتمعت مع ان الناصبة ... قلبها الى الماضي والفرق ان ان الناصبة قد تدخل على فعل ماض لفظا ومعنى كقوله تعالى لولا ان من الله علينا لخسف بنا واما ان الشرطية فلبست كذلك ولقوتها غلبت عليها كما روى

ص لانه يفهم ان مدار الامر على حسن العمل فلا ضير لغيره عند وجوده فلا يضره نوع المشرك بل له الدرجة العليا والسعادة العظمى كما روى

ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبانه

وصفته واخبروهم عن قوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء
فخرج الرهط حتى قدموا الى المدينة فسألوا احبار اليهود عن احوال محمد صلى الله عليه وسلم فقال
احبار اليهود سلوه عن ثلث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فان حديثهم عجب
وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه وسلوه عن الروح ما هو فان خبركم
عن اثنين ولم يخبر عن الثالث فهو متقول فلما قدم الرهط مكة قالوا قد جئناكم بفصل ما بيننا و
بين محمد واخبروا اما قالت اليهود فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال عليه الصلوة و
السلام اخبركم بما سألتم غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون
خمس عشرة ليلة حتى ارجف اهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة وشق
عليه ذلك ثم جاء جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة
الله اياه على حزنه عليهم وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف فاد عجبا في قوله كانوا
من اياتنا عجبا خبر كان ومن اياتنا حال منه لانه في الاصل صفة فلما قدم صار حالا **قوله** قال
امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد استشهد به على
ان الرقيم الكلب وهذا ابدل على ان قصة اصحاب الكهف كانت من علم العرب وان لم يكونوا عالميها
على وجهها الوصيد فناء البيت وهو منصوب مجاورا والهمد جمع هامد بمعنى الراقد والنائم يعني ان
اصحاب الكهف كانوا رقودا في الغار وكلبهم مجاور لوصيدهم كما قال الله وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد **قوله** او لوح رصاصي فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب قال كتاب مرقوم اي
مكتوب **قوله** اذ اوى الفتية منصوب بعجبا او باذكر المقدر لا بقوله ام حسبت لانه كان بين
النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة فلا يجوز ان يقع حسبانه عليه الصلوة والسلام في ذلك الوقت
الذي اووا فيه الى الكهف اي صاروا اليه وجعلوه مأوى لهم وكانوا فتية اي شبابا متقاربين
في الاسنان من اولاد عظماء الروم استوا بتهم وكان ذلك الايمان عبرة وتفكرا منهم في عظمة
الله وملكه وقدرته لم يأتهم بذلك وحي ولم يقرؤا كتابا ولم يدركوا زمان نبوة وكانوا في
فترة قبل ان يبعث الله عيسى عليه الصلوة والسلام ثم بعثه الله وهم في الكهف راقدون و
لبث في امته ثلثا وثلثين سنة ثم رفعه الله ومضى بعد زمان طويل ثم بعثهم الله وايقظهم
واطلع اهل ذلك العصر على حالهم ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة آتية **قوله**
او اجعل امرنا كله رشدا على ان تكون كلمة من في قوله من امرنا تجريدية كما في قولك رأيت من زيد
اسدا اجرد من الامر رشدا وهو الامر بعينه مبالغة في رشاده ولهذا قال اجعل امرنا كله رشدا
والتجريد من المحسنات البديعية المعنوية وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر اخر مماثل لذلك

وقيل كانوا ابناء اشراف قومهم وان دين عيسى عم واتباع موسى ذكرهم في التورية و
لهذا سألوا اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما
ابدا عن قصتهم
ابن عادل

ذكر محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا
الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا
فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه الصلوة
والسلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا
الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع ارابه وعلقها في سور المدينة وابوابها
فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل
واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال
لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته
وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع
ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم
الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فازمعت الفتية على الفرار
بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا
بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين
والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين
ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم
الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق و
فروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهد
من الهول ففزعوا الى الله سبحانه وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم
كذلك اذ ضرب الله على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله
فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد من اعوانه ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس
لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن
كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل منهم   ابو السعود

الامر ذي الصفة في تلك الصفة لاجل المبالغة كما ان تلك الصفة في ذلك الامر ذي الصفة حتى
كانه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف اخر بتلك الصفة فان
جعلت كلمة من في الآية تجريدية يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم في الرشد والهداية حدا يصح مع
ذلك الحدان يستخلص منه امر آخر مثله في الرشد وفي الوجه الاول يكون من متعلقة بتهيئ ويكون
المعنى انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس طلبا لسلامة الدين سالوا ربهم ان يهيئ لهم
الرشد والاستقامة في الدين من مفارقتهم الكفار **قوله** بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم
الاصوات يعني ان ضرب الحجاب المانع من ان تصل الاصوات الموقظة الى اذانهم واسماعهم كناية
عن الانامة الثقيلة وانما صلح كناية عنها لان الصوات والتنبيه طريق من طرق ازالة
النوم فسد طريقه يدل على استحكام النوم وثقله وخصت الاذان دون العيون مع ان النوم
يتعلق بها دون الآذان لان ضرب الحجاب على العين لا يصلح كناية عن المبالغة في النوم
لان سد الابصار انما يدل على ابتداء النوم لا على استحكامه وكماله وانما يدل على كماله ان لا يكون
ما هو طريق لازالته مؤثرا في زواله **قوله** بنى على امراته اي بنى عليها القبة ونحوها فان المعرس
كان يبنى على اهله خباء فقولهم بنى فلان على اهله كناية عن دخوله عليها **قوله** ظرفان لضربنا
الاول ظرف مكان والثاني ظرف زمان والمعنى انمناهم فيه سنين ذوات عدد وقد بين الله
ذلك بقوله ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا **قوله** التعلق علمنا تعلقا حاليا لما كان
قوله لنعلم متعلقا بقوله بعثناهم دل الكلام على ان يكون علمه تعالى حادثا مترتبا على ايقاظهم
دفع ذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى ازلي سرمدي لا يجوز عليه التغير والزوال وانما التغير
في المعلومات وانه تعالى عالم في الازل على ما ستكون عليه في اوقات حدوثها وبقائها وكلما تجدد
لها حال من الاحوال يتعلق علمه تعالى بتلك الحال في تجددها فالتجدد والتغير انما هو في تعلقات
العلم لا في نفسه وقال هشام انه تعالى لا يعلم الحوادث قبل وقوعها ولا يعلمها الا عند حدوثها
احتج عليه بهذه الاية **قوله** المختلفين منهم او من غيرهم اشارة الى ان اهل التاويل
اختلفوا في الحزبين قال مجاهد الحزبان من الفئة لان اصحاب الكهف لما انتبهوا اختلفوا في
انهم لم ناموا وقد دل عليه قوله تعالى وقال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم فاصحاب الكهف كانوا حزبين استقل احدهما مدة لبثهم او استطالها
اخرون وهم الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين اختلفوا
في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بين قومهم فبعثهم الله تعالى ليتبين ذلك ويظهر وليس
لنا حاجة الى تعيين ما ابهم الله تعالى بيانه **قوله** ولم يلبثوا حال منه اي من قوله امدا لانه لو تاخر

قوله ليتعلق علمنا الخ يعني بهذا
دفع ان يتوهم حدوث علمه تعالى
فلزم الجهل السابق تعالى عن ذلك
فالمراد ان يحدث تعلق علمنا
الذي هو الصفة الثابتة تعلقا
حاليا اي نعلم ان الامر واقع
في الحال بعد ان علمنا في الماضي
انه سيقع في الاستقبال اي في
الزمان يعني انه تعالى علم في
الازل انه يقع ذلك الشيء انما
لا يزال واذ وقع ذلك الشيء
تعلق علمه بانه واقع في الحال
كازروني

فيظهر لهم عجزهم الخبر
ويتبين ضعف ذلك الى المتعلم
وينفر فيه حالهم وما صنع الله
بهم من حفظ ابدانهم وادبانهم
فيزدادوا يقينا بكمال قدرته و
يستبصروا به امر البعث ويكون
ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية
بينة لكفارهم الخ

٢٨٧

لو تاخر عنه لكان نعتا له فلما قدم صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا لزمان لبثهم في الكهف وان كانت
اللام لام العلة يكون المعنى لنعلم اي الحزبين احصى للسبب الذي لبثوا فيه لاجله **قوله** وقيل احصى
اسم تفضيل لم يرض به المص لان افعل من كذا لا يبنى من باب افعل يفعل وقولهم ما اولاه للخير وما اعطاه
للمال من الشواذ والشاذ النادر لا يقاس عليه والمذلق يروى بالدال والذال وهو رجل من بني
عبد الشمس ابوه واجداده يعرفون بالافلاس قال الشاعر في حقه فانك اذ ترجو تميما ونفعها
كراجي الندى والعرف عند المذلق **قوله** وامدا انتصب بفعل دل عليه ذلك احصى الذي هو للتفضيل
على ذلك الفعل المضمر من جنسه واحتيج الى الاضمار لان افعل التفضيل لا يعمل في المظهر واول البيت
ولم ار مثل الحي حيا مصبحا ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا اكر واحمى للحقيقة منهم واضرب منا
بالسيوف القوانسا المصبح المغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل ما يجب الدفاع عنه من اهل
بيته والقوانس جمع قونس وهو اعلى البيضة من الحديد ويطلق على ما بين اذني الفرس ايضا
يمدح كلا من الفريقين اعداءه واصحابه يقول لم ار مغارا عليهم مثل الذين جئناهم ولا مغيرين
مثلنا يوم لقيناهم وصف المغار عليهم بكمال الشجاعة لتكون ادل على شجاعة من غلب عليهم
فالقوانس في البيت منصوب بفعل مقدر من جنس افعل التفضيل اي يضرب القوانس لا بنفس افعل التفضيل
لانه لا يعمل في المظهر وكذا فيما نحن بصدده فان قيل انه انما لا يعمل في مظهر يكون فاعلا او منصوبا به فلم لا يجوز
ان يكون امدا منصوبا على التمييز ويعمل فيه احصى كما في اكثر مالا وحسن وجها اجيب بان التمييز في امثاله
ذلك انما هو فاعل في المعنى لان المال هو الذي كثر والوجه هو الذي حسن وليس الامد هو الذي احصى
قوله وقويناها بالصبر يعني ان قوله تعالى ربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها
وحملها على الصبر على الشدائد التي تحلوا بربط الدابة وشدها بالرباط وهو الحبل فان ربط الدابة شدها
بالرباط والمربط هو الحبل ومن المجاز ربط الله على قلبه بمعنى صبره ورجل رابط الجاش كذا نقل عن
الاساس واصل الكلام ربط قلبه لانه يتعدى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت كلمة على
للاستعلاء للمبالغة والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقرا عليها كما في قوله يخرج
في عراقيبها نصلي **قوله** اشتطوا بهم فيه التفاوت من التكلم الى الغيبة اذ لو جاء على نسق قوله نحن نقص
لقيل اشتطنا وقوله زدناهم وربطنا التفات من هذه الغيبة الى التكلم ايضا وقوله اذ قاموا
منصوب بربطنا والمعنى قوينا قلوبهم اذ قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس حين عاتبهم على ترك
عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اقروا بربوبية الله تعالى بين يدي ذلك الجبار
بتقوية الله تعالى اياهم على مخالفته وعصيانه وقيل انهم كانوا عظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم
فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا وهو ان ربنا رب السموات والارض

قوله ضبط امد الزمان لبثهم
يشير بتقديم هذا التفسير الى
مختاره ان امدا مفعول به
وما مصدرية والمصدر بمعنى
الحين والجار والمجرور حال
من المفعول لا مفعول له لعدم
ظهور معنى التعليل فيه
سنان

قوله وامدا تمييز فان ما
لبثوا فيه مبهم يحتمل ان يكون
مكانا وان يكون زمانا فميز
بامدا سواء اريد به اصل معناه
الذي هو الغاية او اريد جميع
المدة مجازا اما على الثاني فظ
واما على الاول فلان تعلق
الضبط بزمان اللبث
يحتمل ان يكون من جهة ابتدائه
او من جهة انتهائه فازيل
الابهام ببيان انه من جهة
انتهائه سنان

قوله بالتثبيت اي على الايمان
والعقيدة الحقة
وزيادة الهدى
اي قويناها بما اتاهم فيثبتوا
على ايمانهم ولو حملت على
الزيادة في الكيفية و
فسرت بالتوفيق الى الشكر
التنزيه في ذاته وصفاته
عما يوهم نوع نقص فيهما
كان له وجه سنان

قوله وفيه دليل الخ يعني
اصول الدين مردود والحجة
التقليد في الاصول ويمكن ان
يقال المراد من الديانات مطلق
الامور الدينية اصولا وفروعا
واما كون شخص مقلدا لاخر
في المذهب فليس من التقليد
بلا دليل بل قول المجتهد دليل
عليه كازروني

فقالوا الحق كذلك نحن فى انفسنا فقالوا جميعا ربنا رب السموات والارض **قوله** والله فقد قلنا
قولا اذا شططا يعنى ان قوله لقد قلنا جواب قسم مضمر وشططا مصدر شططت الدار شططا اى بعدت
وشط الرجل اى بعد عن الحق والشطط مجاوزة القدر فى كل شىء وانتصابه على انه صفة مصدر محذوف
اى قولا ذا شطط او جعل القول نفسه شططا مبالغة ولا بد من التقدير فى الكلام شرط لان اذن جواب
وجزاء اى لقد قلنا قولا اذا شططا ان دعونا من دونه الها وقوله لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار
دخول عليهم تقدير على عبادتهم او على اتخاذهم بحذف المضاف للعلم به ولم يكتفوا بالانكار على اتخاذهم
الشركاء وعبادتهم اياها من غير ان يقيموا برهانا قطعيا يدل على صحته بل قالوا فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا يعنون ان الحكم بان لله تعالى شريكا وولدا مع فقدان ما يدل عليه ظلم وافتراء عليه تعالى
بحيث لا احد اظلم منه **قوله** وما يعبدون ذكر فيه ثلثة اوجه الاول ان يكون ما بمعنى الذى والعائد
محذوف اى واعتزلتم الذى يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبوديهم وقوله الا الله مستثنى متصل
من الذى يعبدونه والثانى ان يكون ما مصدرية الا الله مستثنى متصلا ايضا بتقدير المضاف اى
واذ اعتزلتموهم اى تركتموهم وعبادتهم الا عبادة الله والثالث ان يكون نافية وان يكون الجملة
من كلام الله تعالى وقعت معترضة بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والا الله مستثنى مفرغ اخبر الله تعالى
عن الفتية انهم لا يعبدون غيره **قوله** مرفقا قراءة الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء وقرأ نافع وابن عامر
بفتح الميم وكسر الفاء فقيل هما لغتان بمعنى واحد وهو ما يرتفق به وينتفع به من الامر وليس شىء
منهما بمصدر وقيل هو بكسر الميم مرفق اليد وبفتحها الامر المنتفع به وقد يستعمل كل واحد منهما فى موضع
الاخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما الجارحة فبكسر الميم فقط وقوله من امركم متعلق
بالفعل قبله ومن لابتداء الغاية او للتبعيض وقيل هى بمعنى بدل كما فى قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الاخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف **قوله** لنصوع نيتهم اى لخلوص نيتهم
عن شوب الشرك والناصع الخالص من كل شىء **قوله** لو رأيتهم يعنى ان قوله وترى ليس المراد به
الاخبار بان المخاطب يرى بهذه الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك الكهف الى جهة الشمال
نحو بنات نعش فيكون الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتغير الوانهم
فالمعنى انك لو رأيته رأيته على هذه الصورة ثم اخبر انهم كانوا فى متسع من الكهف ينالهم فيه برد
الريح ونسيم الهواء فقال وهم فى فجوة منه اى من الكهف والفجوة متسع فى مكان الراغب فى فجوة اى فى
ساحة واسعة **قوله** لان الكهف كان جنوبيا كانت ساحة الغار وداخله فى جانب الجنوب وذلك
انما يكون بابه فى جانب الشمال **قوله** اولان الله تعالى زورها عنهم يعنى ان للمفسرين فى تفسير الاية قولين
الاول ان باب ذلك الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لا يقع فيه شعاع الشمس عند

عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك من حيث ان الشمس اذا طلعت تطلع عن يمين الكهف
واذا غربت تغرب عن شماله فضوء الشمس ما كان يصل الى داخل الكهف وكان الهواء الطيب والنسيم
الموافق يصل اليهم فلا جرم بقيت اجسامهم مصونة عن العفونة والفساد والقول الثانى ان الله
تعالى منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة و
كرامة عظيمة خص الله تعالى بها اصحاب الكهف قال الزجاج واحتج على صحته بقوله ذلك من ايات الله قال
ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لكان ذلك امرا معتادا مألوفا ولم يكن من ايات الله واما
اذا حملنا الاية على الوجه الثانى كان ذلك كرامة عجيبة من ايات الله **قوله** واصله تتزاور وذلك لانه
اختار قراءة من قرأ تزاور بفتح الزاى المشددة والف بعدها فكان اصله تتزاور فاسكنت
التاء الثانية فادغمت فى الزاى وقرأ الكوفيون تزاور بحذف احدى التائين للتخفيف وابن
عامر ويعقوب تزور بسكون الزاى وتشديد الراء من الازورار وهو العدول عن الشىء والزور
بالتحريك الميل فقال ازور عنه ازورارا وازوار عنه ازويرارا وتزاور عنه تزاورا كله بمعنى عدل
عنه وانحرف **قوله** وحقيقته الجهة ذات اسم اليمين يعنى ان خلاصة المعنى ان الشمس حين طلوعها
تميل عن كهفهم جهة اليمين الا ان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرر ان كلمة ذو و
ذات موضوعة لان يوصف بها النكرة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهنى فيكون كالنكرة معنى ولو قال
جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر **قوله** والمراد به اما الثناء عليهم بانهم تفكروا فى دلائل وحدانية
الله تعالى وعظمته فى ملكه وقدرته فامنوا بالله تعالى ووحدوه واعتزلوا اهل الشرك والضلال وآثروا
المواضع الخالية فى الجبال على طيب العيش فى الاوطان والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال من
غير ان يأتيهم بذلك وحى الهى ومن غير ان يقرؤا كتابا سماويا وان يجالسوا اهل التوحيد والمعرفة
لكونهم فى زمان فترة من الرسل قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلوة والسلام فيكون قوله تعالى من
يهد الله فهو المهتد كالتذييل للكلام السابق من قوله اذ اوى الفتية الى الكهف الى هنا وحكما
به عاما فى كل من سلك طريق المهتدين ومن آثر الغواية وقلد اسلافه الضالين ليدخل اصحاب
الكهف فى الاولين دخولا اوليا ويدخل دقيانوس الضال فى الاخرين كذلك والتذييل ان يعقب الكلام
بما يشتمل على معناه تأكيدا له ولا محل له من الاعراب **قوله** او التنبيه على ان يكون قوله من يهد الله فهو
المهتد مرتبطا بقوله ذلك من ايات الله وفى التنبيه قبل ذلك من ايات الله بما اخبر ان من فقههم آية
صدقك فى دعوى النبوة فمن هداه الله تعالى بها صدقك ومن اضله الله تعالى كذبك **قوله** وتحسبهم قرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائى بكسر السين ومعناه كما ذكر فى قوله ونقربا الشمال اى ولو رأيتهم
لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان ورقود جمع راقد كقاعد

قوله او لكثرة تقلبهم قاله
الزجاج فكانه اخذه مما
قوله ونقلبهم فان صيغة
الاستقبال للاستمرار اى نقلب
بعد تقلب فان قلت اى قائل
ما قيل فى مقدار مدة التقلب
انه فى كل عام مرتان فلا وجه
للتعليل بكثرة التقلب قلت
رد الامام على المقدرين بانه
لا سبيل للعقل اليه والقران
لا يدل عليه وما جاء فيه خبر
صحيح فكيف يعرف ذلك
سامح

اختلفوا فى مقدار مدة التقلب فعن ابى
هريرة رضى الله عنه ان لهم فى كل عام
تقليبين وعن مجاهد يمكثون
على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون
على شمائلهم فيمكثون رقودا
سبع سنين وقيل لهم تقلبة
واحدة فى يوم عاشوراء
واقول هذه التقديرات
لا سبيل للعقل اليها ونظم
القران لا يدل عليه وما جاء
خبر صحيح فكيف يعرف والله اعلم بتفسير

اختلف في لون كلبهم فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل زبان وقيل نقود وقيل قطمور وقيل ثور الخ

وقعود **قوله** او كلب راع مروا به اي مروا براعي غنم فقال لهم اين تذهبون فقالوا نفر بديننا من هذا الجبار فقال الراعي اغنى عن ربي منكم فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبه **قوله** وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة الكهف لا يكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة **قوله** وقرئ لو اطلعت بضم الواو قرأها الجمهور بكسر الواو على ما هو الاصل في التقاء الساكنين وقرئ بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه غزا مع معاوية رضي الله عنه غزوة المضيق نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله تعالى ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فقال لهم اذهبوا فادخلوا الكهف فبعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا في الوسيط **قوله** ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم فانه يجوز ان يكون التساؤل على طريق التنازع والاختلاف فقدرة لبثهم حكمة مستدعية لبعثهم لانه ينكشف لهم بذلك امور غريبة تدل على كمال قدرة الله تعالى فيزدادون هدى واستبصارا وفي شرح التأويلات اخبر الله تعالى انه انما بعثهم للتساؤل لانه لما علم منهم ما يكون عند بعثهم من التساؤل يكون بعثهم لذلك ولذلك يجيء ما يخلق ويشاء انما يخلق لما يعلم انه يكون منهم فيظهر ما علم على ما علم وهو كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ذرأهم لما علم انه يكون منهم وهو انهم يعملون اعمال اهل جهنم فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة خلقه لذلك والحاصل ان كل ما يخلقه الله تعالى انما يخلقه لما يعلم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يخرج الفعل لذلك مخرج العجز او الجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان وبما يكون وتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيئا لغير ما علم انه يكون وهكذا في الشاهد فان من عمل عملا لغير ما علم انه يكون فهو عابث او جاهل بعاقبة عمله وكم في قوله كم لبثتم استفهامية منصوبة بالفعل الذي بعده على الظرفية كأنه قيل كم يوما مكثت لان الفعل الذي بعده غير مشتغل عنه بضميره ونحو ذلك يكون كم معربة على حسب اقتضاء العامل والتمييز محذوف تقديره كم يوما لبثتم حذف لدلالة الجواب عليه واو في قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكر من ان جوابهم هذا مبني على غالب الظن قيل انهم دخلوا الكهف اول النهار فقطروا حين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وهم في هذا الجواب وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به **قوله** ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وان ما بعده بدل منه وعلى الا

وعلى الاحتمال الثاني يكون اصحاب الكهف ثلث فرق قال واحد منهم كم لبثتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ثم تكون عليهم الاخرون بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روي ان ابن عباس رضي استدل بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لانه تعالى قال في اول الاية قال قائل منهم وهذا واحد وقال في جواب هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا صيغة الجمع واقله ثلثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخرين سواهم خاطب هذا الجمع الجمع الاول بان قالوا ربكم اعلم فكان المجيبون ستة والمجموع سبعة **قوله** ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم بيان لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الاية بما قبله الذي هو تذاكر حدوث مدة اللبث مع انه لا مناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الاية من باب اسلوب الحكيم كقوله انت تشتكي عندي مزاولة الغزو وقد رأت الضيفان ينحون منزلي فكلت كأني ما سمعت كلامها هم الضيف جدي في قراهم وتعجيلي وكقول القبعثرى للحجاج وقد قال له الحجاج لاحملنك على الادهم يعني القيد مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اي على الفرس الادهم وهو الذي غلب سواده والاشهب الذي غلب بياضه فان المتكلم قد يتلقى المخاطب بغير ما يترقبه تنبيها على ان الاولى للمخاطب ان يعرض كلامه عن الوجه الذي ساق كلامه لاجله الى وجه آخر **قوله** وقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اي باسكان الراء وفتح الواو والباقون بكسر الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرئ بالتخفيف اي باسكان الراء وكسر الواو وبادغام القاف في الكاف وبعدم ادغامها **قوله** وحملهم له اي حمل اصحاب الكهف للورق يدل على ان امساك الزاد امر مهم مشروع لا ينافي التوكل **قوله** من العود بمعنى الصيرورة كما يقال للآخرة معاد فانه من العود بمعنى التحول لا من العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول **قوله** ان دخلتم ملتهم قدره لكون اذن جوابا وجزاء فان قيل انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروه لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا لن تفلحوا اذن ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون انهم خافوا من انهم لو ردوا الى الكفر وتوافقوا مظهرين لذلك الكفر مدة لربما يميل قلبهم الى ذلك الكفر ويصيرون كافرين في الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك **قوله** اطلعنا عليهم اي على احوالهم غيرهم يقال عثرت على كذا اي علمته واختلفوا في السبب الذي يعرف الناس لاجله واقعة اصحاب الكهف على وجهين الاول انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم قد طالت طولا خارجا عن العادة والثاني ان ذلك الرجل الذي بعثوه الى المدينة لما ذهب الى السوق ليشتري الطعام اخرج الدراهم التي عليها اسم دقيانوس فقال صاحب الطعام هذه النقود غير موجودة في هذا اليوم فانها كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس عليه وحملوه الى الملك

قال ابن الكمال ولا تأبيد فيه بل التأبيد بخلافه اذ الظاهر ان يكون الكلاب من الفئة قال ابن عطية وحدثني ابي قال سمعت ابا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعمائة ان من احب اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل فضل وصحبهم فذكره الله تعالى في محكم تنزيله قال القرطبي اذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبة ومخالطة الصلحاء والاولياء حتى اخبر الله تعالى بذلك في محكم تنزيله فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين للاولياء والصالحين بل في ذلك تسلية وانس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي صلى الله عليه وسلم وآله ... قوله فلما نظروا الى طول اظفارهم الى آخره اعترض عليه بانه لو كانوا ابصروا الصفة من تغير حالهم لما انكروا احوالهم ولم يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم وبان الذي بعث الى المدينة لم ينكر الا احوال الارض والبناء لا حالة في نفسه والجواب ان قولهم لبثنا يوما او بعض يوم يحتمل ان يكون قبل شعورهم بتغير حالهم كما وقع التصريح بذلك في بعض التفاسير وان الله ايضا بقوله فلما نظروا الى طول اظفارهم الخ ولانه بعدم انكارهم احوالهم ولعلهم انكروا كما انكر الذي بعث الى المدينة حال الارض والبناء كما قال المعترض فان قلت كيف تصدى الى شراء الطعام ولم يدهش من تغير الاحوال قلت لغاية غلبة الجوع والاحتياج الى تناوله يستر الرعب بهذا والجوع ما نقله القرطبي عن ابن عطية من ان الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي

البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بها امس شيئا من التمر وخرجنا فرارا
من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزا ابدل الله بعثه بعد موته **قوله** ليعلموا ان وعد الله
بالبعث على ان الوعد مصدر على حاله اي ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا
عند انفسهم بل كونه وعد الله وخبر انه حق فان القوم لما علموا انه تعالى انامهم مدة طويلة وابقاهم
من غير طعام ولا شراب في تلك المدة على علم منهم ان الانفس لا تبقى من غير طعام ولا شراب في مدة اسبوع
فضلا الى مثل تلك المدة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر واذى وابقاهم فيها لقادر على البعث
والاحياء بعد الموت ولا يعجز عن شيء يريد كونه **قوله** حين اماتهم الله تعالى ثانيا فان الملك وقومه لما
رأوا اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم الله تعالى فعند هذا اختلف الناس
فقال قوم انهم نيام كالكرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا **قوله** او قالت طائفة ابنوا عليهم بنيانا
عطف على قوله فقال بعضهم والحاصل ان ضمير امرهم ان كان لاهل المدينة كضمير يتنازعون
يحتاج الى تقدير المضاف اي امر دينهم ويكون الفاء في قوله تعالى فقالوا فصيحة كانه قيل اعثرنا
عليهم اذ يتنازعون امرهم فارتفع الخلاف وتبين ان الاجساد تبعث ايضا فامنوا ثم انهم اهتموا
شأن اصحاب الكهف وتشاوروا في تشهير حالهم وابقاء اثارهم فقالوا ابنوا عليهم على باب
كهفهم وان كان ضمير امرهم اي شأنهم لاصحاب الكهف يحتمل ان يكون المراد من شأنهم المتنازع
فيه انهم ناموا او ماتوا او ماتوا فلا يحتاج الى تقدير المضاف ويكون الفاء فصيحة كانه
قيل ثم فرغوا من التنازع في شأنهم واهتموا باجلال قدرهم وتشهير حالهم الخ ويحتمل ان يكون
المراد منه امر تشهيرهم فيكون الفاء للتعقيب او للسببية عن قوله اذ يتنازعون لان قوله فقالوا
نتيجة لما دبروه في شأنهم واتفقوا على ذلك بعد الاختلاف فيه وقوله بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به
جمع بنيانة وان يكون مصدرا **قوله** وقيل لما انتهوا الى الكهف اي وردوا ان الملك واهل المدينة لم
يدخلوا عليهم وعمي عليهم مكانهم حين دخل الفتى وهو يمليخا وانما علم اهل المدينة حقيقة البعث
وحقيته استدلالا باخبار يمليخا عنهم وثبت عندهم صدقه بما شاهدوا من حاله وما معه **قوله**
قيل يعني قول اليهود وهذا القول يستدعي ان يكون اطلاع اهل المدينة بحال اصحاب الكهف قبل بعثة
موسى عليه الصلاة والسلام لان علم اليهود باحوالهم يستلزم ان يكون احوالهم مذكورة في التورية
وذكر في شرح التاويلات انه اختلف في وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد صلوات الله
عليهما وسلامه وقال بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو قول الحسن وابي بكر و
غيرهما وهذا اشبه لانهم انما سألوا عنه اهل التورية وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لا
يؤمنون بعيسى وبالانجيل **قوله** تعالى قال الذين غلبوا على امرهم اي على امر اصحاب الكهف قيل المراد به

[هامش: **مطلب** في تاريخ وقت اصحاب الكهف]

به الملك المسلم وقيل اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لان من له الغلبة في هذا النزاع لا بد
ان يكون احد هؤلاء ذكر في القصص ان الملك جعل على باب الكهف مسجدا وجعل عنده عيدا عظيما وامر
ان يؤتى كل سنة وعن الزجاج انه قال هذا يدل على انه لما ظهر امرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور
لان المساجد للمؤمنين به ثم اخبر انه سيقع تنازع في عددهم وقد وقع ذلك لما وفد نصارى نجران الى
النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلثة رابعهم كلبهم و
قالت النسطورية منهم كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم و
لفظ يقولون في المواضع الثلثة جميعا للاستقبال اما الاول فلكونه مصدرا بسين الاستقبال واما
الاخيران فلكونهما معطوفين على يقولون الاول فيكونان داخلين في حكم السين لان الواو لما كانت
لمطلق الجمع كان سيقولون ويقولون في حكم انه لا يتحصل منهم الاقوال الثلثة فلو قيل سيقولون
بعد سيقولون لكان تكرارا لا بد على الاستقبال وان جعل الاخيران معطوفين على قوله سيقولون
يحملان ايضا على الاستقبال لاشتراك لفظ المضارع بين الحال والاستقبال واختصاصه في هذا الموضع
للاستقبال بقرينة المقام كاختصاص الاول به بواسطة السين **قوله** يرمون رجما بالخبر الخفي الذي
لا مطلع لهم عليه وانيابه اشارة الى ان رجما منصوب بمقدر من لفظه اي يرجمون رجما وان الرجم
معناه الرمي واتيان الكلام والتكلم به من غير تدبر وعلم بحقيقة كلامه **قوله** وربما ادخل فيه الواو
على الجملة الواقعة صفة للنكرة فان الجملة اذا وقعت صفة للنكرة جاز ان يدخلها الواو لتاكيد لصوق
الصفة بالموصوف فان للصفة نوع اتصال بالموصوف فاذا اريد تاكيد ذلك الاتصال وهو اللصوق
وسط بينهما بهذه الواو ليؤذن ان هذه الصفة غير منفكة عن الموصوف لازمة له غير مفارقة
عنه كما يتوسط بين الجملة الواقعة حالا وبين ذي الحال تاكيدا لما بينهما من اللصوق والاتصال
تشبيها لهذه الجملة بالجملة الواقعة حالا ووجه المشابهة بين الجملة الواقعة صفة للنكرة و
الواقعة حالا عن المعرفة ان الحال في الحقيقة صفة لا فرق بينهما الا في الاعتبار الا يرى ان ما
وقع صفة للنكرة اذا تقدم عليها اي على النكرة انتصب حالا ولو لم يكونا متحدين معنى لما كان كذلك ثم قولك
جاءني رجل ومعه آخر وقولك مررت بزيد ومعه اخر لما كانا سواء في الصورة الا في اعتبار المعرفة
والنكرة والمعنى ايضا لما ذكرنا فلما توسطت الواو بين الجملة والمعرفة التي قبلها لمجرد الربط وتاكيد
الاتصال توسطت بين الجملة والنكرة ايضا لذلك وما قيل من ان دخول الواو بين الصفة والموصوف
غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما وكون دخولها لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
ينتقض بشكل مبني على ان يكون الواو في مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة وليست
كذلك بل هي لمجرد تحصيل الجمعية واللصوق فان واو العطف تقتضي المغايرة وتتضمن معنى الجمعية

[هامش: وهو المشار بقوله اكتفاء بعطفه على ما هو قبله]

[هامش: مصدر ميمي بمعنى الاطلاع ويحتمل ان يكون اسم فاعل من باب الافعال]

فاذا اريد بها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم الكل على الجزء كهمزة الاستفهام
في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فان الهمزة فيه مسلوب الدلالة على معنى
الاستفهام متمحضة لمجرد الاستواء وكما تمحض النداء في قولك انا نفعل كذا ايتها العصابة لمجرد الاختصاص
مسلوبا عنه معنى طلب الاقبال وقيل انها واو الثمانية فان السبعة عند العرب لما كانت متميزة عن
ساير اسماء العدد من حيث دلالتها على الكثرة والمبالغة في العدد في مثل ان تستغفر لهم سبعين
مرة على معنى ان تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا سبعة جاؤوا بالواو لتدل على ان السبعة
تمت وان موضوعها انتهى فلما كانت السبعة اصلا في المبالغة في العدد عندهم كانوا اذا وصلوا الى الثمانية
ذكروا لفظا يدل على الاستيناف فقالوا وثامنهم وكانت قريش اذا عدوا يقولون واحد اثنان
ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عدد الثمانية خاصة وكان
العقد عندهم سبعة كما انه اليوم عندنا عشرة فاذا جاوزوا السبعة جاؤوا بالواو الدالة على الاستيناف
ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله في حق ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا
فان قوله والناهون عن المنكر هو الثامن من قوله التائبون وكذا قوله وابكارا الثامن مما تقدم ومنه قوله
تعالى حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب جهنم سبعة ولم يذكر المص
هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت في اللغة وقد انكرها حذاق النحاة **قوله** واسماؤهم يمليخا و
مكشلينا ومشلينا وهؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب
يساره وكان الملك يستشير هؤلاء الستة وكانوا يتصرفون في مهماته والسابع الراعي الذي وافقهم
حين هربوا من ملكهم دقيانوس قيل اسمه كفشططيونس وروي عن ابن عباس ان اسماءهم
مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وساريونس وذونوانس وكفشيططيونس
قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا وقع الحريق في موضع فكتبت هذه الاسماء على قطعة ورق
وطرحت في الحريق طفي باذن الله تعالى **قوله** فلا تجادل في شان الفتية فان المراء في اللغة الجدال
مارى يماري مماراة ومراء اي جادل والمراد بكون الجدال ظاهرا ان لا تبحث فيه بان يكذب من خاض
في تعيين العدد ويجهله ويرد عليه بل تقتصر على الوحي الذي في القران وهو انه لا يعلم عددهم الا
القليل ويقول لهم هذا التعيين لا دليل عليه فيجب التوقف وترك القطع ونظيره قوله تعالى
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ونقل عن الفراء انه اتاه عليه الصلاة والسلام قوم
من نصارى نجران بعوث ونسطور يسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد اصحاب الكهف فنهي
عنه بقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا **قوله** ولم يستثن اذ لم يقل ان شاء الله تعالى قوله كان

مطلب اسماء اصحاب الكهف

ان شاء الله بعد كلمة الاستثناء لانه عبر عنها بقوله الا ان يشاء الله قيل احتبس الوحي بعده
خمسة عشر يوما وفي رواية اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية **قوله** الا ان يشاء الله الا قوله
او الا وقت ان يشاء الله ان تقول جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهي وذكر لتعلقه به وجهين
الاول ان يجعل الا ان يشاء الله استثناء مفرغا من اعم الاحوال بان يقدر بعد الا الباء الملابسة على معنى
لا تقولن ذلك القول الا ملتبسا بذكر مشيئة الله ذلك الفعل بحذف المضاف بعد الباء المقدرة بعد الا
وبحذف مفعول المشيئة وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله اني فاعل ذلك اي لا تقولن
اني فاعله غدا في حال من الاحوال الا حال كونك ملتبسا بذكر مشيئة الله تعالى ذلك الفعل اي الا ان تقول اني
فاعل ان شاء الله او ما في معناه كقولك اني فاعله بمشيئة الله تعالى والثاني ان يجعل مستثنى مفرغا
من اعم الاوقات اي لا تقولن ذلك من تلقاء نفسك في وقت ما الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بان
تلقاه نفسك وان لم يشأ الله ان تقوله من تلقاء نفسك ابدا فيحمل الاستثناء على تاكيد النهي والمبالغة فيه
لئلا يحتمل تعلقه به **قوله** ولا يجوز تعليقه بفاعل لان قوله تعالى الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله
اني فاعل لا يخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشيئة بالفعل او اعتراضها قبله ولا وجه لشيء
منهما اما الاول فلان المشيئة المقترنة بالفعل سواء كانت مشيئة الفعل او مشيئة الترك لا يصح
استثناؤها من قوله اني فاعل ذلك بكل حال لان اقتران مشيئة الفعل بالفعل يوجب الفعل ولا ينافيه
حتى يصح استثناؤه من قوله اني فاعل ذلك بكل حال ومشيئة ترك الفعل لا يمكن اقترانها بالفعل
حتى يصح استثناؤها منه واما الثاني فلانه لو كان المراد اني فاعل ذلك غدا بكل حال الا في
حال ان يعترض مشيئة الله تعالى بترك الفعل قبل ان اباشر الفعل لصار هذا القول منهيا
عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان يقول اني فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تعالى تركه
الفعل لان تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشيئة الترك فكيف ينهى عن تقييد الفعل
بانتفائها وتعليقه عليه فلما امتنع تعليقه بقوله اني فاعل تعين تعليقه بالنهي على احد الوجهين
نهى الله تعالى عن ان يعد الانسان عدة ولا يستثني فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه
وهو لا يستقل في افعاله فلذلك امر بان يلحق الاستثناء بالجملة لمعرة الخلف في الوعد اذا
لم يفعل ما وعد فقول الواعد ان شاء الله يدفع عنه حنث خلف الوعد على تقدير عدم وفائه
بوعده لان ارادة الله تعالى غالبة على ارادة العبد وما لم تتعلق به ارادة الله تعالى لا يقدر العبد على
ايقاعه فلا يحنث بتركه الا انهم اختلفوا في ان الاستثناء هل يجب ان يكون متصلا بما قبله في اللفظ
لدفع الحنث او لا يجب فذهب ابن عباس ومن تبعه الى انه لا يجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسي
ان يقول ان شاء ثم تذكر بعد سنة ما قاله كفى ما لم يحنث في دفع الحنث واحتج عليه بقوله واذكر

المسألة الرابعة احتج القائلون
بان المعدوم شيء بقوله تعالى ولا
تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا قالوا الشيء الذي سيفعل
غدا سماه الله تعالى في الحال بانه
شيء ومعلوم ان الشيء الذي
سيفعله الفاعل غدا معدوم
في الحال فوجب تسمية المعدوم
بانه شيء والجواب هو ان
هذا الاستدلال لا يفيد الا
ان المعدوم مسمى بكونه شيئا
في الحال لانه كذلك في امر الله
فلا تستعجلوه والمراد سيأتي
امر الله كبير

ابن عباس رضي الله عنه بعد سنة
[illegible]
واذكر ربك في قوله اذا نسيت
تقديم ذكر وان ذكرت [illegible]
ومقول ربك [illegible]
مخصص بوقت [illegible]
بكل الاوقات وذهب الى انه يجب هذا
الذكر في اي وقت حصل هذا
التذكر وكلامه ما لا يجب
هذا الذكر فانما وجب لدفع
الحنث وذلك بعينه المطلوب

قال رضي الله عنه هذا في تدارك الشرك
والتخلص عن الاثم واما الاستثناء
المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ابو السعود

ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام متصل بما قبله والتقدير انه اذا نسي ان يقول ان شاء الله
فليذكره اذا تذكر وقوله تعالى واذكر غير مخصص بوقت معين بل يتناول كل الاوقات فوجب ان يكون
دافعا للحنث في اي وقت ذكره واعلم ان اسناد الى ابن عباس ظاهر في ان الاستثناء لا يجب ان
يكون متصلا واما الفقهاء فقالوا انا لو جوزنا ذلك لزم ان لا يستقر شيء من العهود والايمان حكي
انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في استثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له
ابو حنيفة هذا يرجع عليك فانك تاخذ البيعة بالايمان كما يقول المبايع ابايعك على السمع والطاعة
ثم يوكدها بالايمان بان يقول والله لا اخرج من هذه البيعة فلو جاز انفصال الاستثناء لجاز ان
ان يخرج من عندك ويستثني ان يقول الآن ان شاء كذا او يوما كذا او لا امر كذا او ان يفعل كذا
فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه قال الامام حاصل كلامهم يرجع الى تخصيص النص بالقياس
وفيه ما فيه وايضا فلو قال ان شاء الله في نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو معتبر ودافع
للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذي ذكروه حاصل فثبت ان الذي عولوا عليه ليس بقوي عليه
والاولى ان يحتج على وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل اخر **قوله** ولذلك جوز الى لما ذكر من الاية
ولما روي انه عليه الصلوة والسلام قال ان شاء الله لما نزل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ولما
روي عن ابن عباس استدل المص بهما على جواز تاخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر
دليل عامة الفقهاء على عدم جوازه على سبيل المعارضة لدليل المجوز ثم اجاب عن دليل المجوز بقوله
وليس في الآية والخبر وتقريره ان معنى الاية على تقدير كونها متصلة بما قبلها ان يكون معناها واذكر مشيئة
ربك واستثن اذا نسيته ثم ان شاء الله اذا سبق منك وعد وفرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته
وهو انما يدل على جواز تاخير الاستثناء عن القول السابق اذ لو كان الاستثناء المتدارك به من
القول السابق ولا نم ذلك لم لا يجوز ان يكون استثناء من مقدر يدل عليه السابق مثلا اذا قال اكرمك
فيما يستقبل ونسي الاستثناء ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله جاز ان لا يتعلق هذا الاستثناء
بالوعد السابق بل يتعلق بما دل عليه ذلك الوعد وكذلك الحال فيما روي من الخبر فان قوله عليه الصلوة والسلام
ان شاء الله ليس متعلقا بقوله سابقا غدا اخبركم بل بمقدر يدل هو عليه ولم يندفع به حنث حلف الا
الذي هو من قبيل نزاع الادلة والافضل **قوله** ويجوز ان يكون المعنى عطف على قوله مشيئة ربك جواب
اخر من قبل عامة الفقهاء بمنع ان يكون معنى الاية واذكر مشيئة ربك واستثن اذا ذكرته وباحتمال
عدم اتصالها بما قبلها وضعا ما ذكره من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذا نسيت اما ان يكون متعلقا بما
قبله او لا فكونه لا يكون كلاما مستانفا فان تعلق بما قبله فله احتمالان الاول ان يكون المعنى اذا نسيت
ان تقول ان شاء الله الاحسن وعدت فقلها اذا تذكرت والثاني ان يكون المعنى اذا نسيت ذكرا استغفر الله

وب

ونب اليه ويكون المقصود من الامر بالاستغفار المبالغة في الحث على سبيل التغليظ والتشديد
على تركه بايهام ان تركه من الذنوب التي يجب فيها التوبة والاستغفار وان لم يتعلق بما قبله بل كان كلاما
مستانفا فتنبيه قوله فعلى الاول يتقدر مفعول نسيت لا على الثاني بل يجري مجرى اللازم وفسر قوله اذا نسيت
في القول الاول بقوله اذا تركت بعض ما امرك به لان النسيان قد يستعمل في الترك مجازا بطريق اطلاق
اسم المسبب وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو ما كان مستندا الى
السبب الاختياري والمعذور منه نحو ما روي في الحديث رفع عن امتي الخطاء والنسيان هو ما لم يستند
الى سبب كذلك وهناك قول ثالث وهو ان يحمل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت على اداء الصلوة المنسية
عند ذكرها فيكون مفعول نسيت مقدرا وهو اداء الصلوة والظاهر هو الاحتمال الاول وهو ان يكون قوله
واذكر ربك اذا نسيت متعلقا بما قبله لانه على تقدير ان يكون كلاما مستانفا يلزم جواز عدم ارتباط
بعض الايات ببعضها وهو بعيد **قوله** واظهر دلالة عطف تفسير لقوله لاقرب رشدا فسر اقرب باظهر
ووجهه ظاهر وفسر رشدا بقوله دلالة والرشد مصدر رشد يرشد من باب علم ومعناه ضد الغواية
لا الدلالة التي هي ارشاد الغير فتفسيره بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون
الرشد تسمية المعجزة بالرشد للمبالغة في كونها سببا له او على تاويل انها ذو رشد وجعل لفظ هذا
في قوله لاقرب من هذا رشدا اشارة الى نبإ اصحاب الكهف فكان المعنى ايها المشركون انكم قد
استعظمتم الاخبار عن حالهم وبيان نبائهم وقصصهم وقد بينتها لكم على ما اوحي الي واني لاطمع
من ربي ان يعطيني من الايات الدالة على نبوتي ما هو اعظم في الدلالة عليها ويؤيد هذا التاويل
قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا افتتح القصة بتقليل شانها
ثم ضمها باطماع ما هو اعظم منها واقرب ارشادا للمسترشدين **قوله** او لاقرب رشدا وادنى خيرا من
المنسي فعلى هذا يكون قوله تعالى وقل عسى مرتبطا بقوله واذكر ربك لا بمجموع القصة بان يكون
معطوفا على ما هو العامل في قوله اذ اوى الفتية الى الكهف على معنى اذكر اذ اوى الفتية الخ وقل عسى
ان يهديني ربي ويكون المعنى على الوجه الثاني واذكر ربك اذا نسيت شيئا واطمع منه ان يهديك لشيء
اخر هو اقرب رشدا ومنفعة من المنسي فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسي **قوله** وهو بيان لما
اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا فانه تعالى اجمل قصتهم بقوله اذ اوى الفتية
الى قوله نحن نقص عليك نبائهم ثم شرع في تفصيلها بقوله نحن نقص عليك وساق الكلام في تفصيلها
الى ان عثر في اخر مدة لبثهم في كهفهم احياء نائمين **قوله** وقيل انه حكاية عطف على قوله وهو بيان
قوله على وضع الجمع موضع الواحد فانه لا وجه لقراءة الاضافة سوى ان يكون سنين تمييزا وحق
مائة ان يضاف الى تمييزه مفردا ويقال ثلثمائة سنة كما يقال ثلثمائة رجل وثلثمائة سنة

قال ابن الحاجب وتمييز مائة والف وتثنيتهما وجمعه مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل في الاستعمال
افراد تمييز مائة ولكن وضع الجمع مكانه مبالغة في الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد في قوله
تعالى بالاخسرين اعمالا فان الاصل فيه بالاخسرين عملا لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد
اخص لكن اوثر الجمع مبالغة وتنصيصا على الانواع وان كل نوع كانه جنس مستقل يكفي لزيادة خسرانهم
هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع المفرد ويختص ههنا امران الاول ان في لفظ سنين من علامة
الجمع ليست متمحضة لكونها علامة الجمع بل هي جبر لما حذف من لفظ سنة فكانت كاناس تمام بناء
الواحد قيل سنة سنهة مثل جبهة لانهم من سنهت النخلة وتسنهت اذا اتت عليها السنون وقيل
المحذوف منه الواو وتشهد اطلاقات العرب على كل واحد من القولين فانهم يقولون تسنيت
عنده وتسنهت عنده واستاجرته مساناة ومسانهة وتقول في التصغير سنية وسنيهة والثاني
ان الاصل ان القياس المرفوض في العدد اضافته الى الجمع لكون المعدود جماعة الا انه قد يعدل
عنه الى المفرد لغرض فلما اضيف الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض قوله وسنين لم يمض ابدال السنين
من ثلث وجعل صاحب الكشاف عطف بيان له وهو الخطاء لان جعله بدلا يستلزم ان لا يكون له
تعيين مدة لبثهم مقصودا وليس كذلك بل المقصود ذلك الا انه لما قيل ثلثمائة لم يعرف انها ايام او
شهور او سنون فلما قال سنين تبين انها سنون وقوله تسعا مفعول به لقوله ازدادوا على وزن
افتعلوا ابدلت تاء افتعل دالا لوقوعها بعد الزاي وقلبت الياء الفا فصار ازدادوا وكان
زاد متعديا الى اثنين نحو زادهم الله مرضا وزدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدي الى واحد
والاصل ازدادوا تسع سنين فحذف المميز لدلالة ما تقدم عليه اذ لا يقال عندي ثلثمائة درهم و
تسعة الا وانت تريد تسعة دراهم ولو اردت تسعة ثيابا لم يجز لانه الغاز فلما نزل قوله
ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قالت نصارى نجران اما الثلث مائة فقد عرفناها
واما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اي انه تعالى اعلم بمقدار مدة لبثهم
من اهل الكتاب المختلفين فيها لانه المتفرد بعلم ما غاب في السموات والارض عن العباد ولادراكهم
فكون عالما بمدة لبثهم لا محالة قوله ومحله الرفع على الفاعلية فان المعنى ما ابصر الله تعالى بكل
موجود واسمعه بكل مسموع زيدت الباء في الفاعل اصلاحا للفظ قال نجم الدين الاستراباذي
في شرح الكافية واما الاخفش فزيد مثلا عند سيبويه لفظا فعل صورته امر ومعناه الماضي من
افعل اي صار ذا فعل كالحم اي صار ذا لحم والباء بعده زائدة في الفاعل وضعف قوله بان الامر
بمعنى الماضي مما لم يعهد بل جاء الماضي بمعنى الامر نحو اتقى امرؤ ربه وبان افعل صار ذا كذا قليل وبان
زيادة الباء في الفاعل قليل والمطرد زيادتها في المفعول قوله والنصب اي ومحله النصب على

على المفعولية فان قولك احسن بزيد امر لكل احد بان يجعل زيدا حسنا اي بان يصفه بالحسن
فكانه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل ما يمكن ان يكون في الشخص وهذا معنى مناسب
للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة صار ذا كذا وان لم يكن شيء منهما قياسا
مطردا فهذا الاصل لهذا التركيب ثم انمحى منه معنى الامر والخطاب وصار لمحض انشاء التعجب فالهمزة
في افعل على هذا للجعل والتعدية والباء مزيدة في المفعول ولو كانت الهمزة للصيرورة لكانت الباء
للتعدية قوله وقراء ابن عامر بتاء الخطاب والجزم عطفا على قوله ولا تقولن لشيء وقوله واذكر
ربك اذا نسيت وقوله تعالى وقل عسى اي ولا تشرك انت ايها الانسان والباقون بالياء التحتانية
ورفع الفعل على انه نفي محض مسند الى ضمير الباري اي لا يشرك الله تعالى في حكمه وقضائه احدا
من خلقه فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما انزل الله وحكم به وليس لاحد ان يحكم من ذات نفسه فيكون
شريكا لله تعالى في حكمه قوله امره ان يداوم درسه وان يلازم اصحابه فان كفار قريش لما سالوا
عليه الصلوة والسلام عن قصة اصحاب الكهف وقالوا ان اخبرتنا بما سالناك صدقناك
واتبعناك واخبرهم بما قالوا له عليه الصلوة والسلام ان اردت ان نجالسك فاطرد عنك هؤلاء
الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك فبعث الله تعالى مالوحي اليك بليغ انا اعتدنا للظالمين
نارا يهددهم النار فقام عليه الصلوة والسلام يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون
الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا معكم الممات قال
الامام من هذه الاية الى قصة موسى والخضر كلام واحد نزل في قصة واحدة وهي ان اكابر قريش
اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان نؤمن بك فاطرد من عندك هؤلاء الذين
امنوا بك فنهاه الله عن ذلك ومنعه منه وبين في جملة هذه الايات ان الذين افتخروا والتمسوا وطلبوا
فاسد ثم قال قوله تعالى واتل كما يتناول القراءة يتناول الاتباع ايضا فيكون المعنى الزم قراءة الكتاب
الذي اوحاه اليك ربك والزم العمل به قوله لا احد يقدر ان يبدلها غيره يعني انه قوله لا مبدل لكلماته
لا ينافي تطرق النسخ اليه مع ان النسخ ليس بتبديل في الحقيقة من حيث انه بيان لانتهاء الحكم
الاول فان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالغاية له فكيف يكون
تبديلا قوله وفيه تغدوة علم في الاكثر والاعلام لا تدخلها الالف واللام الجوهري الغداة اصلها غدوة
فحذفوا الواو وبلا عوض قال لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
به على اصله والغدوة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس يقال اتيتهم غدوة غير مصروفة لانها
معرفة مثل سحر قوله وتعديته بعن جوابا عما يقال من ان قوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم من عداه
اذا جاوزه وهو يتعدى بنفسه كما اشار اليه بقوله ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم فالظاهر ان

واما قوله تعالى ولن تجد من دونه ملتحدا اتفقوا على ان الملتحد هو الملجأ قال اهل اللغة هو من لحد والحد اذا مال ومنه قوله تعالى لسان الذي يلحدون اليه والملحد المائل عن الدين والمعنى ولن تجد من دونه ملتحدا كذا في البيان والارشاد

ان يقال ولا تعد عيناك عنهم فلم جيء الكلمة عن واجاب عنه بان عدى لما ضمن معنى نبا عدى تعديته يقال نبا الشيء عني بمعنى تجافى وتباعد ونبا بصره عن الشيء اذا اقتحمه ولم يعلق به ويقال اقتحمته عيني اي ازدرته واعتبر التضمين ليحصل مجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى الاقتحام والازدراء فانه لو قيل ولا تعدهم عيناك لفهم معنى المجاوزة ولا يفهم معنى الاقتحام ولو قيل ولا تنب عيناك عنهم لفهم معنى الاقتحام ولا يفهم معنى المجاوزة فجمع بين مادة العدو وكلمة عن ليحصل مجموع المعنيين وذلك ابلغ من افادة المعنى الواحد قوله والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله يعني ان اصحابنا احتجوا بهذه الآية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال لان قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى من خلقنا غفلة الكفر في قلبهم باختيارهم الكفر وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى اغفلنا خلق الغفلة وايجادها في القلب بل هو من قبيل قول عمرو بن معدي كرب لبني سليم قاتلناكم فما اجبناكم وسألناكم فما ابخلناكم وهاجيناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين فان الهمزة فيه للوجدان لا للايجاد فكذا في الآية ويحتمل ان يكون الهمزة في هذه الافعال لنسبة الفاعل الى اصل الفعل فكذا في الآية واحتجوا على ان بناء الاغفال في الآية ليس للايجاد والتكوين بقوله تعالى واتبع هواه فانه لو كان المعنى اوجدنا الغفلة في قلبه حقيقة لكان المناسب ان يقال فاتبع هواه ليدل على ان الاغفال سبب الاتباع فلما اسند الاتباع اليهم وعطف بالواو ولم يترتب عليه بالفاء دل ذلك على استقلالهم في الغفلة والاتباع وانهم بانفسهم يتبعون اهواءهم وشهواتهم لا بسبب الله تعالى وقد تقرر ان القدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى فلذلك قال الكل من عند الله وان العبد له قدرة كاسبة يصح اسناد افعاله الاختيارية اليه لسببها والعامة قرؤوا من اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ونصب قلبه على انه مفعول به وقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام ورفع قلبه على الفاعلية على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا دلت الآية على ان شر الاحوال للانسان ان يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوءا من اللهو الداعي الى الاشتغال بالخلق قوله اي تقدما على الحق يعني ان اصل الكلمة ينبئ عن العجلة والسبق يقال فرط منه قول اي سبق وفرس فرط اي سريعة تتقدم الخيل وفي الصحاح فرط عليه اي عجل وعدا ومنه قوله تعالى اننا نخاف ان يفرط علينا وفرط اليه مني قول اي سبق وفرطت القوم افرطهم فرطا اي سبقتهم الى الماء فانا فارط والجمع فراط والفراط القطا متقدمات الى الوادي والماء وافرط في الامر اي جاوز فيه الحد والاسم منه الفرط بالتسكين والفرط بالتحريك الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الارسان والدلاء ويمدر الحياض ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت اللهم اجعله لنا فرطا اي اجرا يتقدمنا وامر فرط اي مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى وكان امره فرطا انتهى كلام الجوهري فالفرط على قوله فعل بمعنى

وتحقيقه ان قوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم اي لا تصرف عيناك النظر اليهم الى ابناء الدنيا ولا تنقل عينك عنهم الى غيرهم كذا

ولان على هذا التقدير يكون ذلك من افعال الطاعة وعلى الثاني يعطف بالفاء لا بالواو ويقال كسرته فانكسر ودفعته فاندفع ولا يقال وانكسر واندفع ولو اغفل قلبه في الحقيقة لم يجز ان يضاف ذلك الى اتباع هواه والجواب من وجهين الاول ان الاشتراك خلاف الاصل فوجب ان يكون حقيقة في احدهما مجازا في الآخر وجعله حقيقة في التكوين مجازا في الوجدان اولى من العكس لوجوه احدها مجيء بناء الفعل بمعنى التكوين اكثر من مجيئه بمعنى الوجدان والكثرة دليل الرجحان وثانيها ان المبادر من هذا البناء الى التكوين اكثر من مبادرته الى الوجدان ومبادرة الفهم دليل الرجحان وثالثها انا ان جعلناه حقيقة في التكوين لكون جعله مجازا على الوجدان لان العلم بالشيء تابع لحصوله المعلوم فجعل اللفظ حقيقة في المتبوع مجازا في التبع موافق للمعقول واما لو جعلناه حقيقة في الوجدان لزم جعله حقيقة في التبع مجازا في الاصل وهو على العكس من المعقول كذا

بمعنى المفعول والمعنى لا تطع من كان امره الذي يلابسه مجاوزا فيه الحد والحق بحيث كانا منبوذين وراء ظهره قوله ومنه الفرط يجوز ان يكون الفاء فيه مفتوحة والراء ساكنة وان يكونا مفتوحتين قوله الحق ما يكون من جهة الله تعالى يعني ان الحق مبتدأ ومن ربكم خبره والجملة مقول القول ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان لا يلتفت الى اولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء من عندك او خليت لنا مجلسك نؤمن بك ونجالس معك امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق ما يكون من عند الله لا ما يقتضيه الهوى فان خالفتم اهواءكم وقبلتم الحق الذي جاءكم من عند الله اصبتم وعاد نفعه عليكم وان لم تقبلوه عاد ضرره عليكم ولا مدخل في اصابة الحق والاهتداء به لكونه اهل مجلسكم فقراء او اغنياء حاملين او مشهورين بالعز والجاه ثم انه تعالى رتب عليه وعيد من كابر عقله وعاند ربه وترك الحق الصريح ووعد من ادعن للحق وامن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلى ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الآيات قوله ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف نحو هذا الحق او الذي اتيتكم به الحق كائنا من ربكم والجار هو العامل في الظرف والمبتدأ المقدر عبارة عما ذكر من اول السورة الى ها هنا او عما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واياما كان يكون قوله وقل الحق من ربكم كالتذكرة لما ذكر من مفتتح السورة او لجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رتب ما بعده عليه بالفاء والمعنى ما جئتكم به من حديث الكتاب القيم المعرى عن كل الاعوجاج الظاهر الاعجاز الكاشف عن المتشابهات المحتوي على مكارم الاخلاق المزيح للعلل والاعذار المزيل للريب والشبهات حق كائن من الرب العزيز الحكيم قوله وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله جواب عن قول المعتزلة ان قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح في ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض الى العبد واختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن وتقرير الجواب ان صريح الآية وصريح العقل ايضا وان دل على ان الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية يمتنع حصولها بدون مشيئة العبد وقصده اليه واختياره له الا ان تلك المشيئة والقصد ليست بمشيئة اخرى سابقة عليها والا لزم ان يكون كل قصد ومشيئة مسبوقا بقصد آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد والاختيار الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى من غير قصد سابق عليه ولما توقف فعل العبد على ذلك القصد الذي لا مدخل له فيه فكيف يصح ان يقال ان العبد مستقل في فعله بل يجب القول بان الكل من عند الله قوله شبه به ما يحيط بهم من النار فتكون الاضافة في سرادقها بمعنى من كما في خاتم فضة فان الاغنياء الذين يتفاخرون به في الدنيا باتخاذ السرادقات في اسفارهم ومضافاتهم فنبأهم الله تعالى بان يجعل لهم من النار ما يشبهها وما يشبه كل ما يتفاخرون به في الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغيرها كما قال سرابيلهم من قطران وقال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في حق شرابهم يغاثوا

فان صيغة الامر في هذه الآية ليست بمعنى الطلب والالتمس بل هي للتهديد والوعيد لمن يختار لنفسه عاقبة الكفر والوعد لمن اختار عاقبة الايمان

والآية تدل على ان صدور الفعل عن الفاعل بدون القصد والداعي محال وعلى ان صيغة الامر لا بمعنى الطلب في كتاب الله تعالى قال علي رضي الله عنه هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست بتخيير ودلت ايضا على انه تعالى لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يتضرر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود عليهم وضرر الكفر يعود عليهم لقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها

ثم يجعل ان يكون تهكما الاستغاثة لانهم كلما ارادوا الشرب فال فيعطون فيهذا الاهل فال فيعطى تار حامية تشوى الوجوه ويحتمل ان يكون عين آنية ويستغيثوا من حرجهم فيطلبوا الماء ويستغيثوا على انفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء فان تعالى حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء كذا

بما كالمهل والله اعلم والحجرة كالمكان المحجور عن النيران ممنوع عنه من الحجر وهو المنع اشبه الله
للنار شيئا شبيها بالحيط بهم من جميع الجهات بحيث لا تخلص لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى
ما وراها من غير النار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذي
وصفه الله تعالى في قوله انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل
دخولهم النار فيبقى بهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط **قوله**
وقيل حائط من نار روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال سرادق النار اربع جدر كثف
كل جدار مسيرة اربعين سنة والمعنى انهم وراء هذه الجدر فهي محيطة بهم **قوله** كالجسد المذاب
يعني قيل ان المهل كل شيء اذيب من الاجساد السبعة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس و
الرصاص وغيرها وقيل هو دردي الزيت **قوله** وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يعني قوله تعالى يغاثوا
كالمهل وارد على طريق التهكم بهم والتحقير بهم حيث ذكرت الاغاثة عما هم فيه من شدة العطش والبرد
ما يضاد الاغاثة وهو ان يؤتوا بماء كالمهل اذا قرب اليه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه
واذا شرب منه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره فالمعنى ان يستغيثوا اي يطلبوا الغوث
والمدد مما هم فيه من شدة العطش يؤتوا بماء كالمهل يكان ما يغاث به المستغيث من العطش
فسمى ايتاء ذلك الماء اغاثة على سبيل التهكم والتحقير كما في قوله غضبت تميم ان يقتل عامر يوم
النسار فاعتبوا بالصيلم والنسار بكسر النون ماء لبني عامر والصيلم الداهية والامر العظيم واعتبوا
اي ارضوا وازيل غضبهم جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذي يجري بين الاحبة تهكما بهم و
النفي الانضاج بالنار من غير مرقة تكون مع ذلك الشي المشوي **قوله** واصل الارتفاق نصب
المرفق وهو موصل الزراع والعضد فسر المرتفق في الاية بالمتكأ وهو موضع الاتكاء على اي طريق
كان ثم قال اصل الارتفاق ان معناه الاصلي اللغوي الاتكاء على مرفق يده بان ينصبه ويجعله
دعامة لخده وذلك انما يكون للاستراحة ولا استراحة لاهل النار فلا اتكاء **قوله** وهو
لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا يعني اثبات المرتفق لاهل النار مع انه لا ارتفاق لهم مبني على
المشاكلة لقوله تعالى في حق اولئك اهل الجنة وحسنت مرتفقا فان الاية الثالثة المقابلة لتلك
الاية لما كانت مفصولة بذكر الارتفاق جعلت هذه الاية ايضا مفصولة بذكره لاجل المشاكلة
بين الايتين المتقابلتين وان تاخر المتبوع عن التابع في الذكر الا انه يتقدم عليه من حيث
الشرف والرتبة فجعل متبوعا لما تاخر عنه في الذكر لذلك ولولا المشاكلة لكان اثبات مرتفقا
للكفار مبنيا على التهكم كاثبات الاغاثة لهم في قوله يغاثوا كالمهل ثم انه تعالى لما ذكر الوعيد الظالمين
اردفه بوعد الصالحين فقال ان الذين امنوا الاية وقوله انا لا نضيع يجوز ان يكون خبر ان

ان الذين امنوا بحذف العائد اي منهم وبتنزيل العموم منزلة العائد كما في قولك نعم الرجل زيد على قول
من يجعل المخصوص مرتفعا بالابتداء وقبله خبره وهو المختار فان قولك نعم الرجل جملة فعلية والجملة
الواقعة خبر الابتدا ان تكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدا واستغنى عنه في باب نعم لتنزيل
استغراق الرجل وعمومه للمبتدا ولغيره منزلة العائد واما قول من يجعل المخصوص خبر مبتدا
محذوف ويجعل الكلام مبنيا على تقدير سوال وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا قيل من هو فقيل زيد اي
هو زيد فيكون الكلام جملتين ليس في شيء منهما خبر جملة حتى يحتاج الى العائد او بان قوله
من احسن عملا اسم ظاهر قام مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين امنوا وعملوا الصالحات ومتحدا معهم
في المعنى وفي مثله يستغنى عن العائد كما في الجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشان فانها لما كانت عبارة
عن الضمير المذكور استغنى فيها عن العائد **قوله** او اولئك عطف على قوله هي الثانية بما في
حيزها **قوله** او خبر ثان عطف على قوله استيناف **قوله** وهو جمع اسورة واسورة جمع سوار وهو
زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك يستعملون في ايديهم ويتوجون على رؤسهم
وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله اساوير وقوله في جمع سوار احتراز
عن قول من ان اساور جمع اسوار بكسر الهمزة او ضمها في الصحاح وقد يكون اساور جمع اسوار
واسوار قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ابو عمرو بن العلاء واحدها اسوار قال
الشاعر والله لولا صبية صغار كانما وجوههم اقمار اخاف ان تصيبهم اقتار او لاطم ليس له
اسوار لما رآني ملك جبار ببابه ما طلع النهار والمعنى انه تعالى يحليهم ذكرا او يحليهم الملائكة قيل على
كل واحد منهم ثلثة اسورة سوار من ذهب لاجل هذه الاية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا
اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولباسهم فيها حرير فان قيل ما السبب في انه تعالى
قال في الحلي يحلون على فعل ما لم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون باسناد
اللبس اليهم قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الالهي و
ان يكون الحلي اشارة الى ما تفضل به عليهم ابتداء تفضلا زائدا على مقدار الوعد ثم انه تعالى لما
بين عاقبة حال الفريقين الذين اغتروا بزينة الدنيا وزخارفها وافتخروا على فقراء المسلمين وآثروها
على ما عند الله تعالى من الثواب الجزيل وبين ايضا عاقبة من آمن بالله تعالى وبالبعث والجزاء وعمل
بمقتضى ايمانه مثل حال الفريقين بحال رجلين موصوفين تصويرا للامر المعقول بصورة
المحسوس لزيادة الايضاح والبيان فقال واضرب لهم مثلا الاية فبين به ان كثرة الاموال
والاتباع لا يصلح لان يفتخر بها الاضلال لان يصير الفقير غنيا والغني فقيرا بل الفخر انما هو بالطاعة
التي هي حرفة المؤمنين وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين ان كان بيانا وتفسيرا للمثل لا يكون له محل

من الاعراب وان كان صفة لرجلين يكون في محل النصب قوله مؤزرا بها كرومها اي ملتفا في
الاساس ومن المجاز الزرع يؤازر بعضه بعضا اذا تلاصق والتف وتآزر البنيان التف وتلاصق
قوله ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه لاشتمالها على الكروم المحفوفة بالنخل وكون كل واحد
متهيأ في احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا لما ذكر ومتواصل العمارة ويكون
دارة متواصلة لاثباته في كل وقت بمنفعة جديدة وثمرة مرغوبة قوله وافراد الضمير في آتت
والظاهر ان يقال آتتا بني على رجوعه الى كلتا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب
لفظه والمعنى اعطت كل واحدة من الجنتين اكلها اي ثمرها تاما ولم تظلم اي تنقص منه شيئا والظلم
النقصان يقال ظلمني حقي اي نقصني ولما وصفهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقصان وصفهما
بما هو اصل الخير ومادته وهو امر الشرب فقال وفجرنا خلالهما نهرا والعامة على تشديد الجيم للمبالغة
في وفاء شربها لعمارته وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان يمتد ويصل الى جوانب كلتا الجنتين و
يدوم في كل وقت كان كالانهار وقرئ بالتخفيف على الاصل لانه نهر واحد والعامة على فتح هاء نهر وقرئ
بسكونها وقرأ عاصم وكان له ثمر بفتح الثاء والميم فيه وفي قوله واحيط بثمره وهو
جمع ثمرة كشجر وشجرة وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم فيهما والباقون بضم والميم فيهما
ومن ضمهما يقول انه جمع جمع يقال ثمرة وثمار وثمر كالحمار والحمر والكتاب والكتب ويجوز ان
يكون ثمر بضمتين جمع الثمر بفتحتين كخشب وخشب بالسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة
انه بالضم انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر وكان ابن عباس يقرأ
بالضم ويقول هو انواع المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الثمر هو الذهب والفضة خاصة
وقيل هو المال والولد قوله فقال لصاحبه يعني قال صاحب البستان للمؤمن وقوله وهو يحاوره
يجوز ان يكون حالا من الفاعل والمفعول يعني للهيئة اذ لا يلزم من القول المحاورة اذ المحاورة
مراجعة الكلام من حار اي رجع قال الله تعالى انه ظن ان لن يحور وقال امرؤ القيس وما المرء
الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع والنفر العشيرة الذين يذبون عن الرجل
وينفرون معه والمعنى ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم اراد ان يظهر للمؤمن كثرة ماله
وصنوف ما يملكه مما يوجب البهجة والسرور فاخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه بهجتها
وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ قوله لان المراد ما هو جنته اي ما يقال انه جنة فلان
على ان التعريف فيه للعهد الذهني والمعهود هو الفرد الملحوظ بالاضافة اليه مع قطع النظر عن كونها
قطعتين بينهما مزارع وقطعة واحدة ومن غير ان يراد بها ما شاهده وقت الدخول او يراد
دخول كل واحدة منهما على حدة ومن غير اعتبار كونهما بمنزلة جنة واحدة نظرا الى اتصالهما الخ

تخلو عن نكتة يعتد بها قوله تعالى وهو ظالم حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام فيه
مزيدة لتقوية العامل لكونه فرعا وقوله قال ما اظن الخ مستأنف جيء به بيانا لسبب ظلمه فانه
لما رآه واعجبه حسنه وزهرته توهم انها لا تفنى ابدا وما اكتفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما اظن
الساعة قائمة فجمع بين كفرين فان قيل بانه شرع في البعث والقيامة فكيف قال ما اظن تبيد هذه
ابدا مع ان الحس يدل على ان ما في الدنيا كلها في معرض الزوال والفناء اجيب بان مراده انها لا تبيد
مدة حيوته قوله وانما اقسم بذلك يعني ان الكافر بنى جزمه بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى
اعطاه المال والجاه في الدنيا لكونه اهلا مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت
والمقدمة الاولى كاذبة لان فتح باب الدنيا يكون كثيرا ما للاستدراج والتخلية قوله لانه اصل
مادتك نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية النباتية المتولدة من التراب
فكان التراب مادة بعيدة للانسان والاغذية الحيوانية لا بد ان تنتهي الى الغذاء النباتي المنتهي
الى التراب قوله او مادة اصلك فان آدم عليه الصلوة والسلام مخلوق من التراب وخلقه
سبب في خلق كل احد قوله ولذلك اي ولكون منشأ كفره بالبعث شكه في كمال قدرته تعالى عطف
انكاره على كفره بالله تعالى باثبات قدرته تعالى لا باثبات وجوده ثم ان المؤمن وبخ الكافر على
كفره بان قال له ولولا اذ دخلت لما تقرر من ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضي يكون للتوبيخ
وكلمة ما ان كانت شرطية يكون في محل النصب على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوبا
واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان كل ما اراده الله تعالى واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى
لم يرد ايمان الكافر وطاعة العاصي فكانت حجة لنا على المعتزلة ومعنى الاية هلا قلت عند
دخولك جنتك ورؤيتك ما انعم الله تعالى به عليك ما شاء الله ابقاها وافناها كائن اعلانا
لشكره وشكرت على انعامه عليك بدل الاشتغال والافتخار بالنعمة عن المنعم وملاحظة التمتع
بها دائما بلا انتهاء على طول الاعمار وتماديا في الغفلة والاغترار في المهلة روي عنه عليه
الصلوة والسلام من اعطي خيرا من اهل او مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم
ير فيه مكروها كذا في الكواشي قوله يحتمل ان يكون انا فصلا هذا الاحتمال على تقدير ان تكون
الرؤية علمية لانها ان كانت بصرية تعين ان يكون انا تاكيدا للياء المتكلم لان ضمير الفصل شرطه
ان يقع بين المبتدأ والخبر او بين ما اصله المبتدأ والخبر قوله وهي الصواعق وقيل الحسبان
سهام صغار ترمى من القسي الفارسية سميت حسبانا لكونها سهاما معدودة محسوبة يجمع في مجرى
بمرة واحدة وقيل الحسبان العذاب الا ان ابا بكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا ربما الآية
الارض حسبانا اي جرادا ولعل اصل الحسبان السهام التي ترمى واطلاقه على الصواعق بحكم بل

ونظيره قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ابن عادل

هو اي لفظ هو ضمير الشان وقوله وهو في قوله وهو الجلالة الواقعة الضمير راجع الى لفظ ويحتمل ان يرا به لفظ هو على سبيل الاعادة وقوله خبرا ثانيا بنا ذيل انوار سنان

ووقع تخصيص النفي بالاثبات الا ان الانفراد على حفظ سعيد الا بمشيئة الله ابن عادل

وقرأ ابو ابن كثير ان ترني وقرأ ابو عمرو والوقف ونافع وابو عمرو بياء في الوصل والباقون بحذفها في الحالين

قوله واهلك ابو اله ان اموال المهود ته وهي جنتاه لاجمع امواله لانهما معظم امواله على انه لم يعلم انه له مالا غيرهما يعتد بها كما دل عليه القصة اذا كانا اخوين من بني اسرائيل سنان

الاستعارة التمثيلية تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان بمعنى ان يجعل بمعنى اسم المفعول اي شيئا مما يقدر ان يدخل في الحساب ويعذب من انواع العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المص ان يكون المراد بالحساب الحكم الازلي والتقدير الالهي المتعلق بتخريب الجنة وبارساله وقوع المعلوم المقدر عند تعلق الارادة بوقوعه او يكون الحساب على اصل معناه ويراد بارسال الارسال عذاب على حساب الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون قوله او عذاب معطوفا على له التقدير وقوله حسابا لاعمال منصوبا بنزع الخافض اي بحسابها و الصعيد وجه الارض والزلق والغور في الاصل مصدران وصف بهما بالغة والمعنى عسى ان يصبح ماؤها وهو النهر الذي تخللها غائرا ذاهبا في الارض بحيث لا يبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وتتردد في رده الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ارجوان ارزق ما هو خير وافضل من جنتك وان تهلك جنتك قوله ظهرا لبطن منصوب على انه مفعول مطلق اي يقلب كفيه تقليبا خاصا بالنادمين المتلهفين فان قوله يقلب كنايه عن الندم لان النادم يفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا بمعنى يندم عدي بعلى قوله او حال عطف على قوله متعلق بيقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب اي متحسرا على النفق قوله او حال من ضميره على اعتبار حذف المبتدأ لكون الجملة اسمية اي يقلب وهو يقول لما تقرر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها قوله كانه تذكر موعظة اخيه من قوله انت كافر بالله لكني مؤمن الى قوله ان ترن انا اقل منك مالا فلنرجو من صنع الله تعالى ان يقلب ما في وما بك من الفقر والغنى ويرزقني لايماني جنة ويسلبك لكفرانه ما انعم عليك ويخرب بستانك قوله وقرا حمزة والكسائي بالياء اي بياء التذكير لم يكن لتقدم الفعل ووجود الفصل واقامته مقام علامة التانيث وجمع فاعل ينصرونه حملا على معنى فئة ولو حمل على لفظها لافرد كما في قوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله قوله النصرة له وحده يعني ان الولاية بالفتح بمعنى تولي الامر والنصرة والمعنى في ذلك الموضع وتلك الحالة التي يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدائه لا يتولى الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزازه ويخذل من يشاء اذلاله وقرا حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك اي في مثل تلك الحالة الشديدة السلطان والغلبة له تعالى لا يغلب او لا يعبد غيره بل يلتجي اليه كل مضطر مغلوب فيه فلذلك بادر الكافر بالتمني لما اشرك بربه احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته في التوحيد مبنيا على النظر الاول وامتثالا لامر الله تعالى وتصديقا لكتابه ونبيه لكان ايمانا مقبولا عند الله لكن كان ندمه وتوبته عند مشاهدة البأس ومبنيا على اعتقاد انه لو كان موحدا

على عمروشيا اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها من سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر

موحدا غير مشرك ومتعظا بموعظة اخيه لبقيت عليه جنته فلم يقبل ولم يصر به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا لا خالصا لوجه الله تعالى فالاية بهذا المعنى تكون نظير قوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وهنالك في محل النصب على انه ظرف معمول لما يتعلق به خبر الولاية وهو قوله لله و وجه كون هنالك اشارة الى الاخرة انه تعالى ذكر قبل ذكر قصة الاخوين ما اعد للكافرين وللمؤمنين يوم القيمة ورتب عليه ذكر هذه القصة ثم عاد الى بيان حال ذلك اليوم فقال هنالك الولاية لله العقب والعقب بضم القاف وسكونها والعقبى كلها بمعنى العاقبة والمراد ان عاقبة طاعة الله تعالى خير مطلقا لا بالنسبة الى عاقبة طاعة غيره وكذا ثوابه تعالى فانه خير مطلقا لا بالنسبة الى عاقبة طاعة غيره وكذا ثوابه تعالى فانه خير مطلقا لا بالنسبة الى ثواب غيره قوله واذكر لهم اي للمشركين الذين استكبروا على فقراء المسلمين وافتخروا باموالهم واعوانهم يريد انه يجوز ان يجعل اضرب بمعنى اذكر فيتعدى الى واحد فعلى هذا يكون كماء انزلناه خبر مبتدأ محذوف اي هو كماء وان يكون بمعنى صير فيكون كماء مفعولا ثانيا قوله ادخل في النبات اي نفذ فيكون الباء فيه للتعدية لا للسببية الا ان الماء لرقته هو الذي ينفذ في النبات ولا ينفذ النبات في الماء فكان حق العبارة ح فاختلط بنبات الارض ونجع فيه يقال نجع فيه الدواء اذا نفعه ونجع الطعام اذا هنا وروق النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وتلألؤا قوله مهشوما من الهشم وهو كسر الشئ اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر قوله من الصلوات الخمس الخ عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم ان الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس وهي الحسنات يذهبن السيئات وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج وعن الضحاك انها الفرائض وفي رواية عن ابن عباس انها الكلام الطيب وفي رواية عنه انها جميع الاعمال الحسنة فان جميعها باقيات لبقاء اجرها ونفعها وصالحات لانتفاء الفساد عنها وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجلسائه خذوا جنتكم قالوا احضر عدو قال خذوا جنتكم عن النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانهن المقدمات و هن المنجيات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقولوها فانهن الباقيات الصالحات قوله لا يخبا احد احد اشارة الى ان اصطفافهم عبارة عن ظهورهم متميزين بحيث ترى جماعتهم كما يرى كل واحد قوله صفا حال اي مرفوع عرضوا وهو في الاصل مصدر يقال صف بعضهم

قوله ونذر بالنصب على الصدر الموكد لانه بمعنى لحجة الموكدة غير ما ذكر لا تخلع عطفا على ما ساقنا

يطلق على الجماعة المصطفين واختلف في صفا هنا هل هو مفرد وقع موقع الجمع والمراد
صفوفا بدليل ما ورد في الحديث الصحيح وهو انه يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد
واحد صفوفا وفي حديث آخر اهل الجنة مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا ونظيره
في وقوع المفرد موقع الجمع قوله ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وقيل كل الخلائق يكونون صفا
واحدا وهو ابلغ في القدرة واما الحديثان فيحملان على اختلاف الاحوال يوم القيمة لانه يوم
طويل مقداره خمسين الف سنة فتارة يكونون فيه صفا واحدا وتارة صفوفا وقيل صفا بمعنى
قياما لقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف اي قياما قوله على وجه يكون حالا اي وعرضوا و
قيل لهم لقد جئتمونا او عاملا في يوم نسير اي نقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا كما وليس المراد
تشبيه حال البعث من القبور بحال النشأة الاولى من كل وجه لانهم خلقوا صغارا لا عقل لهم ولا قدرة بل
المراد تقريع المشركين المنكرين للبعث المفتخرين على فقراء المؤمنين بالاموال والاعوان بان يقال لهم
لقد جئتمونا حفاة عراة بغير اموال ولا اعوان او لقد بعثتم وشاهدتم ان البعث والقيمة حق وقع
كما وقع خلقكم اول مرة قوله بل للخروج من قصة الى قصة اخرى يعني ان الاضراب ههنا
ليس لابطال القصة الاولى بل للانتقال الى ما هو اهم منها فانه لما بين خساسة الدنيا
بتمثيل حالها بحال النبات الذي يكون بعد خضرته [illegible] ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن
اتبعه ببيان احوال القيمة ثم اضرب عن بيانها وانتقل عنه الى تقريع الكفار الذين ينكرون
البعث والحساب وان مخففة ان لن نجعل مخففة من الثقيلة اي بل زعمتم ان الشان لن نجعل
لكم موعدا للبعث تبعثون فيه وتحاسبون قوله هنة صغيرة الهنة يكنى بها عن الخصلة السوء
يقال في فلان هنات اي خصلات شر ولا يقال ذلك في الخير قوله ينادون هلكتهم التي هلكوا بها الويل
والويلة الهلكة لما راوا اعمالهم محصاة عليهم في كتبهم وعلموا انهم مجازون بها ادركتهم هلكتهم ف
نادوا بالويل والهلاك فان كل من وقع في الهلكة يدعو بها على نفسه كما في قوله يا حسرة على العباد
فانه نداء للحسرة عليهم كانه قيل يا حسرة تعالي فان هذه الحال من الاحوال التي حقك ان تحضري
فيها الا انهم لما نادوا الويلة المضافة الى انفسهم حيث قالوا يا ويلتنا كانت المنادى هلكتهم التي هلكوا
بها لا جنس الهلاك قوله قرر ذلك اي قرر قبح الكبر والافتخار ببيان انه من سنن ابليس فانه لما امتنع
عن السجود لآدم استكبارا بان اصله نار واصل آدم تراب والنار علوي نوراني لطيف فيكون اشرف
من التراب الذي هو سفلي ظلماني كثيف واداه ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا في النار بعد ان كان
رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم واشدهم اجتهادا في العبادة حتى لم يبق في سبع سموات ولا في
سبع ارضين موضع شبر الا وقد سجد اللعين لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأ من العجب بنفسه حين

حين لم ير احدا مثله فابى ان يسجد لآدم استكبارا فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحاني العلوي كان من طبعهم الانقياد للاوامر
والطاعة والعبودية فلذلك لما امروا بالسجود لآدم لم يتلعثموا في ذلك وسجدوا طوعا ورغبة
امتثالا لامر الله تعالى وانقيادا للحكمة كما قال الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
بخلاف ابليس فانه لما خلقه للضلالة والغواية والاضلال والاغواء خلق من النار التي
طبعها الاستعلاء والاستكبار وان نظمه الله تعالى في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملك
وانه قد تشبه بافعالهم تقليدا لا تحقيقا حتى عد من جملتهم وذكر في زمرتهم بل زاد عليهم في الا
جتهاد بالاعتياد لا بالاعتقاد فاتخذوه ربا وسلما لما راوا منه اشتدادا او استزادة في الا
جتهاد بالارادة دون الارادة فلما امتحن بسجود آدم في جملة الملائكة ظهر ما تقتضيه الجبلة
وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فتلاشت عنه تلك المخادعات
وتلاشت منه تلك العبادات وعاد المشؤوم الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فسجدت
الملائكة وابليس واستكبر من غيه وظهر انه كان من الجن وانه طبع كافرا والعياذ بالله تعالى
وهذا الكلام مبني على ما روي عن الحسن انه قال ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين
بل كان من الجن الذين تولد راس الجان وهو ابو الجان واصله واول من عصى ربه كما ان ادم
عليه الصلوة والسلام اول الانس وابوهم وروي انه تعالى لما خلق الارض خلق الجان من مارج
من نار يعني من لهب لا دخان له فكثر نسله وهم الجن بنو الجان فاسكنهم الارض فعبدوا
دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم البغي والحسد فاقتتلوا وفسدوا فبعث الله تعالى اليهم
جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم عن وجه الارض
الى شعب الجبال وجزائر البحور وروي ان الملائكة سبوا ابليس وهو صغير من بين الجن ونشأ
عند الملائكة وكان مقهورا مغلوبا بالالوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا فيهم بالتغليب
تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله
فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قد كان ملكا من جملة
الملائكة فغير الله تعالى صورته وطبعه وسيرته الى صورة الجن وطبعهم وسيرتهم بعد ابائه واستكباره
وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بني آدم فصاروا قردة وخنازير الا انه سال
النظرة الى قيام الساعة فبقي وصار له نسل والحال ان سائر الممسوخات لا تبقى بعد ثلثة
ايام ولا يحصل لها نسل فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من الجن بان مسخ صورته

الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من الكافرين وقيل معناه كان في علم الله تعالى
انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه وابائه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه انه كان
في علم الله تعالى انه سيكفر لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه
كان مؤمنا ثم صار كافرا برده امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا كفرة وقت
عبادتها ثم صاروا مؤمنين بالتبري عنها الا انه لما كان الاعتبار في الايمان والكفر بالخواتيم وموافاة
الموت قيل ان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان كان صلى وصام
قبله اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى الشيخ الاشعري
رحمه الله تعالى قوله اعقب ما وجد منه تتخذونه اولياء حكى الله تعالى اولا عداوة ابليس وذريته
لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال
والاتباع في تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكانه تعالى قال لهم انكم في هذا الفعل اقتديتم
بابليس في تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس عدو لكم فكيف تقتدون به في طريقته المذمومة
وكل من كان غرضه في اظهار العلم والمناظرة التفاخر والتكبر والترفع فهو مقتد بابليس
فيدخل في هذا الانكار والتعجب روي عن الشعبي انه قال كنت جالسا يوما اذ اقبل رجل فقال
اخبرني هل لابليس زوجة قال فقلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه
وذريته اولياء فعلمت انه لا يكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم يتوالدون
كما تتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين
ثم انه تعالى لما قرر ان القول الذي قالوه في الافتخار على الفقراء والاستكبار عليهم اقتداء بابليس
عاد بعده الى التهويل باحوال يوم القيمة فقال ويوم يقول اي اذكر لهم يوم يقول عطفا على قوله
واذ قلنا للملائكة ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي الى
ادعوا من زعمتم انهم شركائي في الالوهية للعبادة قوله فنادوهم للاغاثة بان قالوا لهم انا
كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قوله مهلكا يشتركون فيه على ان يكون الموبق
اسم مكان يعني ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين في موضع الهلاك وهو النار ويجعل آلهتهم
في موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه الصلوة والسلام في الجنة ويجعل الملائكة الذين ادعوا انهم
شركاء الله تعالى في موضع اراد الله تعالى من دار الكرامة فيكون جهنم موبقا بين هؤلاء الكفار
وبين الملائكة وعيسى هذا على ان يكون المراد بالشركاء في زعمهم هؤلاء المكرمين والظاهر ان المراد
بها الاصنام او ابليس واعوانه ومعنى جعل الموبق بينهم ادخالهم جميعا موضع الهلاك وجعله

وجعله مشتركا بينهم وهو مراد المص قوله او عداوة هي في شدتها هلاك على ان يكون الموبق
مصدرا عبر به عن العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة في استلزامها
للهلاك واما على المجاز باعتبار ما يؤل اليه كانه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتؤديهم الى الهلاك
والتلف كقوله ولا يغضبكم تلفا اي ولا يكن بغضكم تلفا بحيث تجر الى التلف والهلاك والتلف
من كلفت بهذا الامر اي اولعت به اشد الحرص النهاية الكلف الولوع بالشيء مع شغل قلب
ومشقة ومنه قول عمر ان عثمان كلف باقاربه اي شديد الحب لهم قوله وقيل البين الوصل فلا يكون
ظرفا بل يكون مفعولا اول لجعلنا ويكون موبقا مفعولا ثانيا وان جعل ظرفا يكون موبقا
مفعولا اول للجعل ويكون الظرف المتقدم مفعولا ثانيا له ويجوز ان يجعل جعلنا بمعنى خلقنا
فيتعدى الى واحد ويتعلق الظرف ح بالجعل او بمحذوف على انه حال من موبقا قوله مخالطوها
فسر المواقعة بالمخالطة لان مخالطة الشيء للغير اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة
قوله من كل جنس يحتاجون اليه لما كان لفظ المثل في اصل اللغة بمعنى الشبه وفي عرف
الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه بمورده ويطلق مجازا على كل حالة غريبة وصفة
وقصة عجيبة شبيها بالمثل السائر في الغرابة والذي تكرر تقريره في القران بوجوه
مختلفة ليس المثل باحد هذه المعاني بل الذي تكرر فيه هو تقرير دلائل الوحدانية والنبوة و
تحقيق احوال البعث والقيمة وبيان الاحكام والوعد والوعيد والقصص والامثال
وهذه الامور ليست من قبيل المثل المفسر باحد التفاسير المذكورة الا انها لما كانت امورا
مهمة يحتاج الانسان الى بيانها اشد الاحتياج صح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها لها
بالقول السائر فلذلك قال المص في تفسير الاية من كل جنس يحتاجون اليه والظاهر ان مفعول
صرفنا محذوف وهو قوله تعالى من كل مثل صفة لذلك المحذوف والمعنى ولقد صرفنا في هذا القران
للناس مثلا من كل جنس يحتاجون اليه ويجوز ان يكون من كل مثل هو المفعول على ان يكون
كلمة من زائدة على راي الاخفش والكوفيين وشيء في قوله تعالى اكثر شيء جدلا موضوع
موضع الاشياء والاصل اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدال ان فصلتها واحدا واحدا والمعنى ان
الانسان اكثر جدلا من كل شيء يجادل والتفصيل مستفاد من اضافة افعل التفضيل
الى النكرة فانه اذا اضيف لبيان كون صاحب افعل زائدا على ما اضيف اليه في المعنى المدلول
عليه بالمصدر الذي اشتق منه افعل التفضيل يجب ان يكون المفضل داخلا فيمن اضيف
اليهم فردا منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة فاذا اضيف الى النكرة المفردة
نحو زيد افضل رجل واكثر شيء يجب ان يكون النكرة بمعنى الجنس المتناول للمفضل وامثاله

وقال بعض اهل العلم اذا كانت خطيئة الانسان في كبر فلا ترجه واذا كانت في شهوة فارجه فان معصية ابليس كانت بالكبر ومعصية آدم بالشهوة
تمت

قوله واضافة الشركاء اليه اي على هذا الوجه وهو الظاهر فاضافته ابتداء او على زعمهم جرى للتوبيخ فيطلب الانساب للتهكم بالمبتدأ واما اذا جعل كلاما عاما للوجهين فاعرابه كذلك على هذا الوجه واما على الوجه الاول فقوله للتوبيخ جرى على زعمهم ... لاختيره لعدم الحاجة الى افادته على زعمهم لان ذلك مصرح به في الاية ح فتامل

قوله او الى ادعى عبدة من دونه اي من دون الله تعالى فيهم الاصنام والمسيح وعزير والملائكة ... لعل القول بانه الى ابليس وذريته اولى لانه لا يلزم ح اشتراك مثل المسيح وغيره من عبدهم ... جعلنا بينهم ...

قوله من كل جنس يحتاجون اليه تفسير للمثل بالجنس لكن لا بحونه كما هو الظاهر لفظ كل فقيد بقوله يحتاجون اليه ثم ان كلمة من مزيدة كما هو راي الكوفيين والاخفش فالاية تفيد ان كل ... يحتاجون اليه بتعريف وان كانت تبعيضية فتفيد ان بعض كل جنس يحتاجون اليه ... فيحمل البعض على نوع ... الاحتياج الى الجنس ... الى نوع ما

مطلب اضافة افعل التفضيل

قوله تعالى وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي خصومة في الباطل وقيل نزلت في ابي ابن خلف وكان جداله في البعث حتى اتى بعظم قد رم فقال ايقدر الله على اعادة هذا قال ابن السائب قال الزجاج كلما يعقل من الجن والملائكة يجادل والانسان اكثر هذه الاشياء جدلا وقال علي رضي الله عنه طرقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وفاطمة فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف وهو يقول ويضرب بيده على فخذه وكان الانسان اكثر شيء جدلا

ليكون المفضل بعضا منهم ومشاركا معهم في اصل الفعل وزائدا عليهم فيها فاذا قيل زيد افضل رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال كان معناه زيد افضل من كل رجل قيس فضله بفضله وهما افضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما وعلى هذا الجمع وذكر في شرح الرضي في بحث الاضافة ومذهب سيبويه ان اضافة افعل التفضيل حقيقية مطلقا وذكر انه في حال الاضافة على ضربين احدهما ان يكون بعض المضاف اليه كانت فيه دخول اي فيما اضيف اليه المعنى فيه ان صاحبه يفضل في المعنى الذي وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد ممن بقي بعده من اجزاء المضاف اليه فان زيدا في قولك زيد اظرف الناس متفضل في الظرافة على كل واحد ممن بقي بعد زيد من افراد الناس فالمعنى زيد بعضهم الزائد في الظرافة على كل واحد ممن بقي منهم بعده ولا يلزم منه تفضيل الشيء على نفسه لانه لم يفضل على جميع اجزاء المضاف اليه بل على من بقي من المضاف اليه بعد خروج هذا المفضل منه فالاضافة في هذا المعنى بتقدير اللام مثله فيكون محضة بدليل قوله تعالى تبارك الله احسن الخالقين وثانيهما ان يكون صاحب افعل متفضلا على جميع افراد نوع مطلق ثم تضيفه الى شيء للتخصيص سواء كان ذلك الشيء مشتملا على امثال المفضل نحو زيد افضل اخوته ولم يكن نحو زيد افضل افراد نوع الانسان ولا اختصاص بيوسف فالاضافة اليه لاجل التخصيص كما في غلام زيد ومصارع مصر لا للتفضيل على اجزاء المضاف اليه فهذه الاضافة محضة اتفاقا بمعنى اللام ثم نقول افعل بالمعنى الاول اما ان تضيفه الى المعرفة او النكرة فان اضفته الى المعرفة لم يجز ان يكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيد اذ لا يمكن كونه بعض المضاف اليه بلا ذلك الا ذلك الواحد من اسماء الاجناس التي يقع لفظ مفردها على القليل والكثير نحو البر اطيب التمر جاز والرجل ليس جنسا بهذا المعنى فتقول زيد افضل الرجلين اي احدهما المفضل على الآخر وافضل الرجال اي احدهم المفضل على كل واحد من الباقين واما اذا اضفته الى النكرة فيجوز اضافته الى الواحد والمثنى والمجموع نحو زيد افضل رجل والزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال فيطابق صاحب افعل والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا والمجاز اي رجل هو واي رجلين هما واي رجال هم مع ان المجرور في جميعها ليس في الظاهر معينة بكون المضاف بعضا منها لان المراد بكل واحد من هذه المجرورات الجنس المستغرق الجنس من المسؤول من امثاله فيكون في الحقيقة منقسمة الى المسؤول وامثاله فمعنى اي رجل اي قسم من اقسام الرجال اذا قسموا رجلا رجلا واي رجلين اي اي قسم من اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلين رجلين وكذا نحو زيد افضل رجال اي افضل اقسام هذا الجنس اذا كان كل قسم منه رجالا وهكذا غيره الى هنا كلام الرضي

قوله خصومة بالباطل فان القرآن الكريم الذي كرر الله فيه تقرير جميع ما يحتاج اليه الانسان في كل واحدة من النشأتين بوجوه مختلفة واساليب عجيبة يتحير الناظرون فيها بالتأمل والاستبصار من اجل فضل الله ورحمته لعباده ومع هذا فانهم لا يتدبرون دلائله وما فيه من الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وربما يقطعون الطريق على انفسهم فتارة يجادلون مع الانبياء ولا يقبلونهم بالنبوة والرسالة حتى يقاتلونهم وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ما انزل على بشر من شيء وتارة يجادلون في متشابهاتها وتارة في ناسخها ومنسوخها وتارة في تفسيرها وتأويلها وتارة في اسباب نزولها وتارة في قراءتها وتارة في قدمها وحدوثها ونحو ذلك ولو تفكر في غوائل المجادلة الى المجاملة والمجاهدة ومن المنازعة الى التسليم والطاعة لامتلأت قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا بذلك الى عز الدارين وكان الانسان ظلوما جهولا قوله من الايمان اورد كلمة من لتوضيح المعنى ولا ضرورة الى تقديرها لان منع قد يتعدى الى المفعول الثاني بنفسه تقول اعطيته مالا ومنعته شرا فان قولك ان يؤمنوا منصوب المحل على انه مفعول ثان لمنع وقوله الا ان تأتيهم مرفوع المحل على الفاعلية واذ ظرف لمنع قوله وهو الاستيصال اي سنة الله في المصرين على الكفر والعناد بعد قيام الحجة وظهور الآيات ان يعذبوا بعذاب الاستيصال وذلك لم يتحقق بعد في حقهم حتى يجعل مانعا من ايمانهم فوجب تقدير المضاف وهم لا يجعلون ايمانهم موقوفا على نزول عذاب الاستيصال او عذاب الآخرة لان العاقل لا يرضى بحصول هذين الامرين الا انه قيل في حقهم انهم يزعمون ان الايمان متوقف على نزول احد الامرين وعدم حصول الموقوف عليه مانع من حصول الموقوف تشبيها لحالهم بحال من يعتقد توقف الايمان على احدهما ويترقب نزوله ليؤمن عنده وحصول المعنى لم يمنع الناس من الايمان الا التعنت والعناد لانه قد ظهر لهم من الحجج والآيات ما لو لم يعاندوا ولا يكابروا لزمهم الايمان بها والتصديق لكن الذي منعهم من الايمان ما ذكر من عنادهم وقيل معنى الآية مانع كفار مكة من الايمان بعد قيام البرهان الا ان قدرت في حقهم ما هو سنتي فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب فتكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر واحد قوله وهو لغة فيه الجوهري رأيته قبلا وقبلا بالضم اي مقابلة وعيانا ورأيته قبلا بكسر القاف اي عيانا والقبيل الكفيل والعاقلة والجماعة من الثلثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قال الاخفش اي قبيلا قبيلا وقال الحسن عيانا قوله استهزاء من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والا فالقرآن وانذارهم او العقاب المنذر به ليس شيء منها استهزاء وانما المستهزئين الجوهري الهزؤ والهزء السخرية تقول منه هزئت به واستهزأت

به وتهزأت وهزأت به ايضا هزءا ومهزأة ورجل هزأة بالتسكين اى يهزأ به وهزأة بالتحريك
يهزأ بالناس **قوله** على تقدير قوله بلى لا ادعوهم متعلق بقوله وجوابه وقوله فان حرصه على اسلامهم
بيان لما يدل على المقدر يعنى ان الجملة الشرطية جواب لقوله عليه الصلوة والسلام المدلول عليه
بما هو عليه من حرصه على اسلامهم فانه عليه الصلوة والسلام لما قيل له انا جعلنا على قلوبهم اكنة
وفى اذانهم وقرا فهم منه انه قيل له انهم مؤفوا القلوب والاذان فاعرض عنهم واترك دعائهم
فنزل لكمال حرصه على اسلامهم منزلة من سأل وقال لماذا لا ادعوهم وقد بعثت للدعوة
فاجيب عن هذا السؤال المقدر بانك ان تدعهم الى الهدى لا يتأخرون بدعوتك اذن اى فى تلك
الحال دهن كونهم مطبوعا على قلوبهم واذانهم ولما اشتمل الجواب على الشرط الذى هو سبب كان
ما بعد اذن جزاء مسببا عنه فصح ان تكون اذن جواب وجزاء **قوله** ولا بد من تقدير مضاف
فى احدهما فى تلك وفى القرى اى اهل تلك القرى او تلك اصحاب القرى **قوله** لاهلاكهم اشارة الى ان
المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدرا اهلك ومن قرأ بفتحتين جعله مصدرا
بمعنى الثلاثى على القياس **قوله** مقدر باذكر عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة اى واذكر يا محمد
لهؤلاء المشركين المتكبرين على فقراء المسلمين قصة موسى وتواضعه للذى ذهب اليه يتعلم
منه وفيه تقريعهم على تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه ايضا تعريض اهل الكتاب
المشركين ان خفاء حال اصحاب الكهف وذى القرنين على محمد صلى الله عليه وسلم وتأخر الوحى
عنه لا يدل على انه ليس بنبى فان موسى كان نبيا اصطفاه الله بكلامه وبانزال التورية عليه
ثم ذهب يتعلم من العالم ما علمه غيره وانى يبعد فى ان يكون العالم الكامل فى اكثر العلوم يجهل بعض
الاشياء فيحتاج فى تعلمها الى من دونه فلذلك ارتحل موسى الى الخضر عليهما الصلوة والسلام و
قال له هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا فظهر ان هذه القصة مع كونها قصة مستقلة فى
نفسها نافعة فى تقرير المقصود من القصص المتقدمتين **قوله** وقوله حتى ابلغ مجرور بالعطف
على المجرور بالاضافة فى قوله لدلالة حاله وقوله عليه اى على الخبر متعلق بالدلالة وتوضيح المقام
ان لا ابرح يجوز ان يكون من الافعال الناقصة المستدعية خبرا منصوبا من قولهم لا ابرح افعل
ذلك اى لا ازال افعله من زال وان يكون من الافعال التامة الغير المحتاجة الى الخبر من قولهم برح
مكانه اى زال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر من زال يزول زوالا
وازاله غيره فذكر المص اولا انه من الافعال الناقصة لكن حذف خبره لان الحال والكلام يدلان
عليه معا اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة
تستدعى ماهى غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح ولا ازال اسير واسافر حتى ابلغ ثم ذكر وجها

موارد قيل لعبده لانهم كانوا
يسمون العبد فتى والامة
فتاة قال عليه الصلوة والسلام
لا يقولن احدكم عبدى وامتى
وليقل فتاى وفتاتى
منه

فان اليهود قالوا الكفار
مكة ان اخبركم محمد عن هذه
القصة فهو نبى والا فلا فقيل
للمشركين ان النبوة لا يستلزم
ان يكون عالما بجميع العلوم
منه

والذى لا يحمد من النبى ان
يتبع غير النبى فى العلوم التى
باعتبارها صار نبيا واما فى
غير تلك الامور فلا
منه

وجها اخر لكونه من الافعال الناقصة وهو ان فى الكلام حذف مضاف تقديره لا ابرح مسيرى
اى لا يزال سفرى حتى ابلغ ثم حذف المسير واقيمت ياء المتكلم مقامه فانقلبت مرفوعة مستترة
بعد ان كانت مجرورة المحل بارزة وكذا انقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وبقى حتى ابلغ
خبرا على حاله الا ان قوله على ان حتى ابلغ هو الخبر محل بحث وهو ان هذه الجملة خالية عن ضمير يربطها
ويعود الى قوله مسيرى فكيف يكون هذه الجملة خبرا عن مسيرى فى الاصل والضمير الذى فيها
يعود الى ضمير المتكلم الذى اضيف اليه المسير وذلك لا يكتفى به رابطا الا ان يقال العائد محذوف
تقديره حتى ابلغ به اى بمسيرى او يقال جعلها خبرا على طريق التوسع والمسامحة افادة لما هو
غاية للخبر والتقدير لا ابرح مسيرى حاصلا او مستمرا حتى ابلغ وفرقه من الوجه الاول
الاول مع اشتراك الوجهين فى حذف الخبر فى الوجه الثانى متفرع على حذف المضاف
من الاسم لا فى الوجه الاول فهما متغايران فى التخريج المخرج وان اتحدا فى الاحتياج الى
حذف ثم ذكر وجها اخر وهو ان يكون لا ابرح تامة بمعنى لا ازول على حذف الصلة اى
لا ازول عما انا عليه من المسير ولا افارقه ولا اتركه حتى ابلغ وعلى هذا الوجه وان لم يحذف
الخبر لكن حذف المفعول به الغير الصريح فالحذف لا بد منه على كل واحد من التقادير **قوله**
وعدل فى الخضر فيه روى ان موسى عليه الصلوة والسلام سأل ربه اى عبادك احب
اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى ولا يتبع الهوى قال
فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او
ترده عن ردى فقال موسى عليه الصلوة والسلام ان كان فى عبادك فى عبادك من هو
اعلم منى فادللنى عليه فقال له اعلم منك الخضر قال اين موضع اطلبه قال على الساحل عند
الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان حتى بلغا مجمع بينهما فرقد موسى عند الصخرة فاضطرب الحوت
فطفر الى البحر وسارت وفى كيفية طفرها روايات فقيل ان الفتى غسل السمكة لانها كانت مملحة
فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان من عين تسمى ماء الحيوة لا يصيب
ذلك الماء شيئا الا يحيى فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب فى الماء وقيل انفجر هناك
عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهى فى المكتل فاضطربت وعاشت
ووثبت فى البحر والحاصل انه قد بين لموسى ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين وما عين له
موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على مسكنه المعين **قوله** والمعنى حتى يقع
اما بلوغ المجمع على ان يكون كلمة او لاحد الشيئين ويكون قوله او امضى معطوفا على ابلغ او الا ان

ان الذى يقضى علم الناس الى
علمه ان يتتبع اراء الناس الى علم
نفسه يبتغى معنى يقضيه فان
ابتغى الشئ وبغاه ان
طلبه منه

اعلم ان الذين كان اعلم من موسى حال
هذا السائل ربما اعلمه من فضله بيت قال
موسى عليه الصلوة والسلام لا ازال
امشى حتى يجتمع البحران فيصير بحرا واحدا
او امضى دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم
الله تعالى

اسير حتى يكون احد الامرين اما بلوغ المجمع او مضي الحقب وحقبا منصوب على الظرفية قوله او حتى ابلغ
الا ان على ان يكون كلمة او بمعنى الا ان اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين الا ان امضي زمانا اتيقن
معه فوات مجمع البحرين وهذا اخبار من موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد في طلب ذلك
العالم لعلمه فدل ذلك على ان المتعلم لو سار من المشرق الى المغرب لطلب مسئلة واحدة لحق له
ذلك قوله فما عجب بان استحسنت تلك الخطبة لبلاغتها واشتمالها على المعارف والعلوم الكثيرة من
ثم لم اعجبني هذا الشيء لحسنه قوله وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وهو من اولاد سام
بن نوح لقي ابرهيم وطاف الدنيا والخضر على مقدمته وسد على ياجوج وماجوج وبنى الاسكندرية
واما ذو القرنين الاصغر فهو اليوناني الذي قتل دارا وسلب ملكه وتزوج ابنته واجتمع له
ملك الروم وفارس وطاف الدنيا وبلغ الظلمات وطلب عين الحيوة فلم يجدها ورجع الى العراق
ومات بشهرزور وكان عمره ستا وثلثين وقال الامام اختلف الناس في ان ذا القرنين من
هو وذكروا اقوالا الاول انه هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني قالوا والدليل عليه ان القرآن
دل على ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل قوله حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة وايضا بلغ ملكه اقصى المشرق بدليل قوله حتى اذا بلغ مطلع
الشمس وايضا بلغ ملكه اقصى الشمال بدليل ان ياجوج وماجوج قوم من الترك يسكنون
في اقصى الشمال وبدليل ان السد المذكور في القرآن يقال في كتب التواريخ انه مبني في اقصى
الشمال فهذا المسمى بذي القرنين قد دل القرآن على ان ملكه بلغ اقصى المغرب والمشرق و
الشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لا شك انه على خلاف
العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يبقى مستترا والملك
الذي اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك لانه لما مات ابوه
فيلقوس جمع ملوك الروم بعد ان كانوا طوائف ثم جمع ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى
انتهى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني
اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحهم ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت
له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب
حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة
ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها فلما ثبت
بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ
ان الذي هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد بذي القرنين هو الاسكندر

الاسكندر بن فيلقوس اليوناني ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان تلميذ ارسطاطا
ليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس
حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه واجيب عنه بما روي من ان الخضر كان على مقدمة ذي القرنين
فدعاه الخضر الى الاسلام فاسلم وكان على ملة الخليل وقد استوزره فقبل منه بسببه
وبهذا يندفع الاشكال المذكور ان صح والله اعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان
الخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر
البحر فطلبه ابوه فلم يقدر عليه قوله او مجمع البحرين يعني ان ضمير بينهما للبحرين وان حق الاجتماع
ان يضاف الى البحرين لا الى البين وانما اضيف الى البين توسعا قال الامام اجمع المفسرين
على ان المعنى انطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين بارجاع ضمير بينهما الى البحرين ويحتمل ان يرجع الى
موسى والخضر عليهما الصلوة والسلام ويكون المعنى ولما بلغا الموضع الذي يجمع موسى وصاحبه
الذي كان يقصده لان ذلك الموضع وقع فيه نسيان الحوت هو الذي كان الخضر يسكن فيه او
يسكن بقربه والظاهر ان لفظ البحرين على هذا الاحتمال باق على اصل معناه لا كما قيل من البحرين
موسى وخضر قوله نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله مع ان الناسي فعل يوشع وحده والكلام
على حذف المضاف اي نسي احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والملح لم يرض به
بل جعل النسيان مسندا اليهما على معنى نسيا امر الحوت نسي موسى تعرف حاله ونسي يوشع ان
يذكر لموسى ما شاهد من الحوت وهو اضطرابه ووثبه في البحر ذاهبا فيه وقدر المضاف لان من
المعلوم ان ليس المراد من نسيان ذاته بل نسيان حاله قيل انهما خرجا من الشام وذهبا نحو
ارمينية فانتهيا الى الصخرة التي قيل لموسى انك تجد عندها العبد الصالح الذي تطلبه فلما انتهيا
اليها وضع موسى رأسه فنام فاضطرب الحوت ووثب في البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره
موسى وانخلاس ذلك الموضع ونسي يوشع ان يذكر ذلك لموسى وتوضيح الفرق بين قوله نسي
موسى ان يطلبه وبين قوله فلما نسيا تفقد امره انه يتوقف على بيان مقدمة وهي انه
لم يبين لموسى ان موضع الخضر مجمع البحرين ثم ان ذلك المجمع لما كان مكانا متسعا عريضا لا
يتبين ان موضع ملاقاة الخضر من ذلك المكان المتسع اي موضع هو جعل فقدان الحوت علامة
دالة على الظفر بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان المتسع الذي عبر عنه بمجمع البحرين
فلما بلغا ذلك المجمع الذي يتعين به مسكن الخضر بنوع تعين كان على موسى ان يطلب ما به يتعين
خصوص مسكنه ويتعرف حاله هل هو باق في المكتل او مفقود ذاهب وكان على يوشع ان يذكر
ما رآه من حاله فنسي كل واحد منهما ما هو اللائق بحالهما وانخلاس ذلك الموضع من غير ان

قوله وكان ابنا افريدون على مقدمة ذي القرنين اي ابن اخيه على مقدمة جيش ذي القرنين يعني يمضي ذو القرنين ولم يبعث الى زمان الخضر عليه الصلوة والسلام بل بني اسرائيل مقدمة جيشه افريدون وقوله بني عطف على قوله وكان ابن بني افريدون الى ايام موسى عليه الصلوة والسلام سنان

قوله في مكتل هو على وزن منبر زنبيل يسع خمسة عشر صاعا وحيث فقدته اي الحوت وحده لا مع مكتله سنان

قوله مجمع بينهما ظرف مكان اسم مكان اي المجمع سواء كان اضافة بيانية اي تكون الاضافة لادنى ملابسة او مصدرا فالاضافة حقيقية ثم المراد اما الجمع بينهما فالمعنى لما بلغا موضعا فيه الجمع فالمعنى لا يخفى ببلاد يقرب الجمع بينهما من المكان سنان

يطلب موسى الحوت ويتعرف حاله ومن غير ان يذكر يوشع ما رآه من حيوة الحوت ودخوله
البحر وهذا ما اختاره المص وذكره بقوله نسي ان يطلبه الخ ولم يرض بقول من قال ان ما نسب
كل واحد منهما امر واحد هو تفقد ما يكون امارة على الظفر بالمطلوب من احوال الحوت لان
هذا هو الذي نسب موسى واما يوشع فقد شاهد من الحوت هذه الامارة وانما ان يذكرها لموسى
مسلكا على ان السرب مصدر كالطلب اريد به الموضع والمذهب الذي يسرب فيه اي يسلك
ويذهب من قولهم سرب اي ذهب على وجهه في الارض والسرب ايضا بيت في الارض لا
منفذ له واذا كان له منفذ يقال له نفق الجوهري النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان
فقيل ومنه السرب في الاية روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال معنى الاية جعل سبيله في البحر
كالسرب على معنى انه لما دخل في البحر كما يدخل في السرب كان الماء ارتفع بعضه فصار
كالطاق والكوة فذهب الحوت فيه فصار الماء على الحوت مثل الطاق فصار الحوت في البحر كانه
في السرب **قوله** ما يتغدى به الغداء ما يعد للاكل غدوة والعشاء ما يعد للاكل عشية **قوله**
لم ينصب حتى جاوز الموعد فيكون كلمة هذا اشارة الى سيرهما بعد المجاوزة وكان هذا السير
انصب لهما مما سبق لان رجاء المطلوب يقرب البعيد والخيبة تبعد القريب ولهذا ورد في
الحديث ان موسى لم ينصب الا حتى جاوز الموضع الذي حده الله تعالى **قوله** ارأيت ما دهاني اذ
اوينا يعني ان قوله ارأيت بمعنى اخبرني حذف مفعوله الذي هو المستخبر عنه وهو الظرف في قوله
اذ اوينا وهو ايضا سبب لقوله فاني نسيت الحوت وحذف لدلالة مقام الحيرة عليه في نهر
الزيت علم لنهر هناك يسمى نهر الزيت لكثرة اشجار الزيت على شاطئه **قوله** تعالى وما انسانيه
قراءة حفص بضم الهاء فيه وفي قوله تعالى في سورة الفتح عليه الله في الوصل والباقون بكسرها فيهما
وان اذكره في محل النصب على انه بدل من الهاء في انسانيه بدل اشتمال اي انساني ذكره **قوله** سبيلا
عجبا على ان يكون فاعل اتخذ ضمير الحوت وسبيلا اول مفعولي اتخذ وفي البحر يجوز ان يتعلق بقوله
اتخذ وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاول او الثاني وعجبا صفة لمحذوف هو ثاني
المفعولين **قوله** او اتخاذا عجبا على ان عجبا صفة محذوف هو مفعول مطلق لاتخذ وفي البحر
هو المفعول الثاني له **قوله** او موسى في جوابه عطف على المستتر في قال القائم المنفصل مقام التاكيد
اي قال فتى موسى في اخر كلامه عجبا اي عجبت عجبا فحكى الله تعالى ذلك منه او قال موسى ذلك في
جواب فتاه فحكى الله تعالى ذلك منه وهذا الاحتمال الاخير ليس مما يعول عليه لان موسى عليه الصلوة
والسلام لما قال ليوشع آتنا غداءنا اجابه بقوله ارأيت اذ اوينا الى الصخرة من كلمة تعجبا فلما
بلغ قوله واتخذ سبيله في البحر تعجب موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجبه ولا ارتياب في تضمنه من بلاغة

٤٠٧

من بلاغة التنزيل بل ينبغي ان يكون عجبا مقول فتى موسى **قوله** يقصان قصصا على ان قصصا
مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه او مصدر لقوله فارتدا على آثارهما لان معناه اقتصا على
آثارهما **قوله** او مقتصين على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل فنصب على الحال **قوله** مما يختص بنا فان
قوله من لدنا يدل على ان ذلك العلم حصل عند الخضر من عند الله من غير واسطة والصوفية سموا
العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية **قوله** علما مفعول ثان لعلمناه ولو كان
مفعولا مطلقا لقيل تعليما وقوله من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من علما
قوله وهو في موضع الحال من الكاف في اتبعك اي اتبعك باذلا على **قوله** او مصدر باضمار
فعله اي على ان تعلمني وترشدني رشدا او مما علمت وارشدت رشدا **قوله** فاستجهل نفسه فان
قوله على ان تعلمني اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم وقوله مما علمت كلمة من فيه
للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علم كانه يقول لا اطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم
بل اطلب منك ان تفيدني بعض ما علمت روي انه لما قال موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت
رشدا قال له الخضر كفى بالتورية علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرني
بهذا الخ قال له انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا كثيرة منكرة بحسب
الظاهر لا يجوز للانبياء ان يصبروا عن المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا وخبرا تمييز لقوله لم تحط وهو منقول من الفاعل اذ الاصل بما لم يحط به
خبرك اي علمك ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل لان قوله ما لم تحط به بمعنى لم
تخبر به خبر الجوهري من اين خبرت هذا الامر اي من اين علمت والاسم الخبر بالضم وهو العلم
بالشيء وقولهم لاخبرن خبرك اي لاعلمن علمك **قوله** وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة
بمشية الله تعالى فان الصبر في مقام التوقف واجب مأمور به فلو كان جميع ما امر الله به واوجبه
على العبد قد اراده الله تعالى لما كان لتعليق صبره بمشية الله وجه فان كلمة ان تفيد الشك
فقوله ستجدني ان شاء الله صابرا معناه ستجدني صابرا ان شاء الله كوني صابرا وهذا يقتضي
وقوع الشك في ان الله تعالى يريد كونه صابرا ام لا وكونه شكا فيه يدل على انه تعالى قد لا يريد من
العبد ما اوجبه عليه وانه تعالى قد يأمر بالشيء مع انه لا يريده لا كما زعمت المعتزلة من ان الامر
يستلزم الارادة ولما كان تحقق مشية الله تعالى غيبا لا يعلم حصولها الا اذا علم حصول متعلقها كان
تعليق ما التزمه من الصبر بحصولها موجبا لكونه غير عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون
تعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر لا لكونه غير عازم على الصبر كتعليق من
قال انت طالق ان شاء الله فانه لا يقع الطلاق به ولا يكون الزوج عازما على الطلاق بهذا القول

ومقصود المص من هذا الكلام دفع ما يقال من ان ما حكاه الله تعالى من الخضر وموسى عليهما الصلوة والسلام يستلزم صدور الكذب عن احدهما فان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معى صبرا وقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحدهما وصدور الكذب من احدهما ينافى عصمة الانبياء وتقرير الجواب انه لم يصدر الكذب عن واحد منهما اما عن الخضر فلتحقق عدم الصبر من موسى باستخباره عما رأى من الخضر ونكره نظرا الى ظاهره واما عن موسى فلانه قد استثنى فى جوابه فقال ستجدنى ان شاء صابرا فان التعليق بالمشية يدفع الحنث وينافى الكذب **قوله** وقيل انه من معاريض الكلام بان لا يكون النسيان بمعنى الترك بل يراد به ما يقابل الذكر الا انه لا يراد به نسيان وصية بل النسيان فى الجملة اذ الانسان لا يخلون عن نسيان ما روى عن ابن عباس رض انه سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى والتعريض خلاف التصريح وذلك يكون بان تصرح بذكر شىء وتميل كلامك الى عرض وناحية لم تذكر كقولك ما اقبح البخل تعرض به المخاطب انه بخيل فعلى الاول قد كان موسى نسى وصية الخضر حقيقة ورام عن المواخذة معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثانى لم ينس ولم ينقض الامر بل نهاه عن اخذه بالنسيان موهما ان ما صدر عنه انما صدر عن نسيان وانما اضيق الى جعل الكلام من قبيل المعاريض وحمل النسيان على الترك لان المواخذة بالنسيان حقيقة مما لا يصدر عن النبى فلا يحتاج الى النهى عنها وجعل صورة النهى فى الوجه الاول طريقا الى الاعتذار بالنسيان الناشى عن قلة التحفظ **قوله** ولذلك اى ولكون القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا فان النكر اعظم من الامر فى القبح لان ما يشتد ويعظم من الامور لا يلزم ان يكون منكرا امر الشىء انما يكون نكرا اذا انكرته العقول ونفرت الطباع والنكر **قوله** قرئ من نصر الخبيبين قدنى اكتفى بتحريك الدال من قدنى عن نون الوقاية والخبيبان عبد الله بن الزبير وابنه خبيب وقيل هو واخوه مصعب ومن روى الخبيبين على الجمع اراد نلتهم وقرا من بنى من نافع وابى بكر لدنى بضم الدال وتشديد النون عن الزجاج قال اجود القراءات تشديد النون لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الاصلية فتقول من لدنى كما تقول منى وعنى ومن قال لدنى لم يجز له ان يقول منى وعنى بتركه نون الوقاية لان لدن اسم غير متمكن فلا اخير فى تحريك اخره بخلاف من وعن فانهما حرفان والدليل على ان الاسماء يجوز فيها حذف قولهم قدنى فى قدنى فان قد اسم غير متمكن قال الجوهرى بعد ما ذكر ان كلمة قد حرف لا تدخل الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حسبك فهو اسم تقول قدى وقدنى ايضا بالنون على غير القياس لان هذه النون انما تزاد فى الافعال

وقاية

اعلم ان ذلك العالم لما فعل ذلك كانت الحال حال اضطرار الى الطعام فلذلك نسى موسى قوله ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى ... لو شئت لاتخذت عليه اجرا اى طلب على اصلاحك الجدار جعلا اى لنصرفه فى تحصيل المطعوم فانك قد علمت انا جياع ... بطوننا ...

٤٠٤

وقاية لا عن صورة الجر مثل ضربنى وشتمنى **قوله** استطعما اهلها اى سألاهم الطعام فان اخبر كسب الجائع الافتداء على المسئلة والاستطعام وهو امر مباح فى كل الشرائع وربما يجب ذلك عند خوف التلف والضرر الشديد وعن ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لئام قال الامام رأيت فى كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشترى بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء حتى تصير القراءة هكذا فاتوا ان يضيفوهما اى اتوا لان يضيفوهما اى كان اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يندفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب فى كلام الله وذلك يوجب القدح فى الالهية فعلمنا به ان تغيير النقطة الواحدة يوجب بطلان الربوبية والعبودية **قوله** فاستعيرت الارادة فانها لكونها من صفات الاحياء لا يوصف الجدار بها حقيقة فشبه مشارفة الجدار للانقضاض بالارادة لجامع الميلان فاستعيرت لها فهى استعارة تبعية **قوله** يلوى شملى اى يجمع ما تشتت من امرى وجمل اسم محبوبة يقول ان دهرا يجمع بينى وبين محبوبتى دهر همه الاحسان لا الاساءة شبه مساعدة الزمان لاجتماعه مع محبوبته بالهم فاستعير لها وقرئ ان ينقض على بناء المفعول من النقض بمعنى الهدم يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه وان ينقاص من قاصه يقيصه اى كسره وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا **قوله** لتنقضا اى لينقضا وتنحيا عن الخطاطة الضرورة يقال نعشه الله اى رفعه وانتعش العاثر اذا نهض من عثرته فى عنه مشية اتخاذ الاجر على عمله تحريضا له على اخذه كانه قال لم شئت ذلك تحذرنا من حالنا وحالهم **قوله** او تعريضا بانه ارتكاب الاشتغال باصلاح الجدار فضولا اى فعل زائدا لا يهمنا لانك لا تفعله لاخذ الاجر وليس لنا فى نفس اقامة الجدار فائدة فهى من فضول العمل **قوله** واتخذ افتعل من تخذ على وزن علم والطائفة افتعل من اخذه اصل الاتخاذ ابدلت الهمزة تاء ثم ادغمت التاء فى التاء وذلك لان مادة تخذ لم يذكره الجوهرى بل قال الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا تخذ يتخذ وقرئ لتخذت عليه اجرا وقولهم اخذت كذا ابدلوا الدال تاء فيدغموها فى التاء هذا كلامه الا ان الجوهرى لم يجعله من الاخذ بناء على انه لما جاء فى بعض القراآت لتخذت علم ان هذه اللغة واقعة فى كلام العرب وكانت التاء الاولى فى اتخذ دائرة بين الاصالة والانقلاب عن الهمزة ولا شك ان الاولى الحمل على الاصالة فلهذا قطعوا بانه ليس من الاخذ **قوله** الاشارة الى الفراق الموعود فان

المشار اليه لا يجب ان يكون موجودا حاضرا وقت الاشارة بل يكفي ان يكون موجودا ذهنا وبدا
عليه قوله هذه تلك الدار الآخرة وهي معدومة وقت نزول القرآن ولما وعد موسى عليه الصلوة
والسلام انه اذا احدث منه مسئلة ان يبادر فهو لا يتجه عليه في الصاحبة فلما منه الاعتراض على
ترك الاجر وحل مبادا الفراق الموعود تصور الخضر عليه الصلوة والسلام ذلك الموعود فاشار
اليه وجعله مبتدأ وخبرا عنه على طريق قولك هذا اخوك فان لفظ هذا فيه لا يشار به الى غير
الاخ فكذا في الآية وخص الاعتراض الثالث بكونه سبب الفراق دون الاولين لان لموسى
في السؤالين الاولين عذرا وهو كون ظاهرهما كان منكر الخلاف الاعتراض الثالث فانه عبر متضمن
على امر منكر وانما بناه على طمعه الذي منكر في نفسه فان الطمع اراد الخصال فلما نطق موسى ما
بنى على الطمع قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك وجعله سببا للفراق واصله هذا فراق
بيني وبينك فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به قوله سانبئك بالخبر الباطن لحكم
اي بالحكمة التي خفي عليك فيما تولي فيه من الامور سميت تاويلا لكونها مرجعا ومصيرا لتلك الامور
من قولهم آل الامر الى كذا اي صار اليه وتلك الحكمة خفيت على موسى لان احكام الانبياء عليهم
الصلوة والسلام مبنية على الظواهر كما قال عليه الصلوة والسلام نحن نحكم بالظواهر والذي
يتولى سرائر الامور هو الله تعالى والظلم في اموال الناس ان يستبد بها وان لا يكون لغيرهم ولاية
التصرف فيها والخضر لما تصرف في اموال الناس ونفوسهم من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف
منكر في حكم الشرع الا انه تعالى لما آتى الخضر قوة عقلية قدر بها على ان يطلع على بواطن الامور و
يقف على الاسرار الكامنة التي هي اسباب معتبرة في نفس الامر لما ذكر من التصرفات فعل ما فعل
لتلك الاسرار الخفية والحكم الكامنة فظهر بهذا تفاوت ما بين موسى والخضر عليهما الصلوة
والسلام في باب العلم فان مرتبة الخضر كانت فوق مرتبة موسى فيه فان قيل ظهر بما ذكر انه
تعالى خص الخضر بما علمه من العلوم اللدنية فان مرتبة فوق مرتبة موسى باختصاصه بتلك
العلوم والاطلاع على بواطن الاشياء وحقائقها الا ان هذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وموسى
انما ذهب اليه ليتعلم منه العلم فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه وهذه المسائل
الثلث علوم لا يمكن تعلمها فما الفائدة في ذكرها واظهارها فالجواب ان العلم بالاسرار الكامنة
وان كان لا يمكن تعلمه بنفسه من البشر الا انه يمكن ان يتعلم ان طريق حصوله تصفية الباطن
وتجريد النفس وتطهير القلب عن العلائق البدنية ثم ان موسى عليه الصلوة والسلام
لما استكمل بمعرفة الشرائع الظاهرة بعثه الله تعالى الى هذا العالم ليعلم ان كمال الانسان بان
ينتقل من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم البواطن والحقائق المبنية

المبنية على التنزه عما يشغل سره عن الحق والتوجه بشراشره الى جناب عالم الغيب قوله
قدامهم او خلفهم يعني ان لفظ وراء من الاضداد ويطلق كل على كل واحد من جهتي الامام والخلف
قال تعالى من ورائهم جهنم اي امامهم وقال ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وذلك ان وراء وان كان
ظرف مكان الا انه ماخوذ من التواري وهو التستر والاختفاء يقال واريت الشيء اي
اخفيته وتوارى هو اي تستر وكل ما غاب عنك فقد توارى عنك وانت متوار عنه فيصح
ان يقال لكل ما غاب عنك انه وراء لك وما كان امام الشيء او قدامه اذا كان غائبا عنه لا يبعد
ان يطلق عليه لفظ وراء وكون الوراء في الآية بمعنى القدام اصح لوروده في القرآن بذلك
المعنى ولقراءة ابن عباس وكان امامهم ملك وان كان الملك الغاصب في جهة خلفهم لا بد ان يكون
مرجع السفينة عليه حتى يكون لخرقها فائدة وقوله تعالى غصبا يحتمل ان يكون مصدرا في موضع
الحال وان يكون مفعولا مطلقا لبيان نوع الاخذ يخرج التعقيب قوله وانما قدم للعناية
يعني قدم المسبب الذي هو ارادة التعييب على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق المسبب
ان يترتب على السبب ويتاخر عنه لوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه العناية ان موسى
بنى انكاره على خرق السفينة على كون خرقها مؤديا الى اغراق اهلها فمن خرقها فانما يريد
اغراق اهلها فكان الاهم بالنسبة الى المجيب ان يدفع معنى انكاره فدفعه اولا بان خرقها
لارادة تعييبها لا لاجل الاغراق وثانيهما ان السبب ليس مجرد خوف غصب السفن الصحيحة
بل كون السفينة للمساكين جزء من سبب التعييب بل هو اقوى الجزئين وادعاهما الى
التعييب فلذلك قدم ورتب عليه ارادة التعييب وذكر الجزء الآخر عقيبه على سبيل التقييد
لانه حال من فاعل اردت باضمار قد قوله او يغرن بانها بناهما عطف على قوله فيلحقهما شرا يعني
ان ابناء الطغيان واغشاء اباهما يحتمل ان يكون المراد به ان يورثهما ويلحقهما شرا
بسبب عقوقه وان يجمع بين كفره وايمانهما في بيت واحد يقال قرنت الشيء بالشيء اي
وصلته به ويقال غشيه غشيانا اي جاءه واغشاه اياه غيره كذا في الصحاح قوله او يعديهما
بعلته عطف على ما قبله ايضا وهو من العدوى بمعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه الى غيره يقال
اعدى فلان فلانا من خلقه او من علته به او جرب اي ويحتمل ان يكون المراد باغشائه الطغيان
اباهما ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه او يرتدا باضلاله والممالاة المساعدة يقال
مالأته على الامر ممالاة اي ساعدته عليه وتابعته قوله اي فكره كراهة من خاف على
ان يكون قوله فخاف استعارة تبعية متفرعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب
وهو خوف سوء العاقبة على المسبب الذي هو الكراهة واسندت الكراهة المبنية على الخوف

فان قيل اليتيمان هل احد منهم عرف حصول الكنز تحت الجدار اما عرف احدهم ذلك فان كان الاول امتنع ان يتركوا سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم بعد البلوغ استخراج ذلك الكنز ومعرفته والانتفاع به فالجواب لعل اليتيمين كانا جاهلين به الا ان وصيهما كان عالما به ثم ان ذلك الوصي غاب واشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط

اليه تشبيها لكراهته بكراهة الخائف **قوله** ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله
عز وجل عطف على قوله ولما خشينا ذلك والمعنى ان الله تعالى اعلم بحال الغلام واطلعه على سره
وقال له اقتل الغلام لانا نكره كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا
وكفرا ولما قال الخضر اما الغلام فكان ابواه مؤمنين درج قول الله تعالى فخشينا اثناء كلامه ولم يتميز
فخشينا ايماء الى اضمحلال الارادة في ارادة الله تعالى واعلاما بان علمه مقتبس من المشكوة الالهية
ولا شوب فيه لرائه وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا علما كما قال جبرئيل عليه السلام لاهب لك غلاما و
الواهب هو الله تعالى ابانا **قوله** وبين الاب الذي حفظا فيه ان وعمي جانبهما لاجل كرامة العبد
الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال **قوله** وفي ذلك بيان
ما فعله الخضر في المسائل الثلثة تحمل ادنى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة الاولى فلان الخضر علم
انه لو لم يعيب تلك السفينة بالتخريب لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها بالكلية وان
خرقها ينتقص بعض ماليتها وهو اهون بالنسبة الى الضرر الاول فوجب تحمله دفعا لما هو اعظم
منه فكذا المسئلة الثانية فان بقاء ذلك الغلام كان مفسدة للوالدين في دينهما ودنياهما
وهو اعظم بالنسبة الى الضرر في قتله ولو لا ذلك لما اقدم على قتله وكذا المسئلة الثالثة لان المشقة
الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل اسهل من الضرر الحاصلة بسبب
ترك اقامته لان ذلك الجدار لو سقط لضاع مال اولئك الايتام وفيه ضرر شديد وقيل
قال الخضر لموسى حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قد انكرت انك في اليم فلم تغرق ولم تخش
الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى ولما كان اقتلت نفسا زكية بغير نفس قال انكرت قتل القبطي
بالوكزة فلم يبال بشكره فلم نعاتب بهذا ولما قال له لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال اسقيت
لابنتي شعيب فلم تطلب لذلك اجرا فلم نامرك بذلك فكان له وجود تنبيه في النفس قال وهب
ثم انطلق الخضر وموسى حتى قعدا على الصخرة فاتى طائر فنفس بمنقاره الى البحر ثم اخرجه ومسحه
على جناحه فقال الخضر انه يقول ما علم الخلق في علم الله تعالى الا بقدر ما حملت بمنقاري وقال موسى
للخضر حين اراد ان يفارقه اوصني فقال يا ابن عمران اياك واللجاجة ولا تمش في غير
الحاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئ بخطيئته وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم لغد
ويروى ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه
لتعمل به **قوله** يعني اسكندر الرومي فيه نظر لان الاسكندر الرومي هو ذو القرنين الثاني والذي
ذكر في القرآن هو الاول وبينهما ازيد من الفي سنة وذو القرنين الاول كان مؤمنا عبدا صالحا
وقيل كان نبيا وقد اسلم على يدي ابراهيم عليه الصلوة والسلام وكان وزيره الخضر وهو اول ملك

قوله والذم على كنزهما الخ جواب سؤال هو ان الله تعالى وصف اباهما بالصلاح وكنز الذهب والفضة ايضا لان الظاهر من بعض التفاسير ان الكنز مع ان كنزهما مذموم بقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الخ وحصول الجواب ان المذموم كنز لم يؤد زكوته لا مطلق الكنز بل قيده وهو ان لا يؤدى زكوته وبهذا التقرير سقط ما قيل على انه ليس في الاية ما يدل على انه كان للاب الصالح حتى يحتاج الى الاعتذار بان المذموم ما لم يؤد زكوته وقد يجاب عنه بانه لا دلالة في الكلام على ان الكنز للاب حتى عرض بيان حال الكنز في الحكم والحكمة بهذه الاية بمناسبة ذكر الكنز لا قصد الاعتذار سلمه

6

لما اراد موسى عليه السلام ان [illegible] فبكى موسى وجعل يبكي
الخضر عليهما [illegible] قال له الخضر لو صبرت لرأيت [illegible] والتزود في
ان تنفر منا قال الخضر كل اعجب مما رأيت قال الخضر الا من الخوف في امنك
علم الله [illegible] للخضر اوصني ولا تأس [illegible] في قدرتك والاعجاب بنفسك
على فراقه فقال موسى ولا تخض فيما لا يعنيك [illegible] قال له الخضر زدني [illegible] الله قال له
في معادك ولا تغضب [illegible] رحمك الله قال الخضر عليهما الصلوة والسلام زدني رحمك الله
ولا تأس من الامن في خوفك [illegible] من غير عجب ولا تضحك من غير عجب فاتق الله
علانيتك قال له موسى زدني [illegible] في غير حاجة ولا تمش في غير حاجة [illegible] الوصية يا موسى
فيا بني من عمرك قال له موسى زدني قال له موسى قد ابلغت في الوصية فاتق الله
الخضر اياك واللجاجة ولا تعب الناس قال له موسى [illegible] ولا تتخذ للدنيا ولا تبغض
يا ابن عمران واذكر رحمته وكلا من عذوبه [illegible] قد ابلغت في الوصية
عليك نعمته وتفكر في الله [illegible] قال الخضر قد ابلغت وافتح عليك
قال له اياك والغضب الا في الله واتخذ خلفك في الكنز قال له الخضر وحسبك [illegible] عليها الصلوة
للدنيا فانها تحجبك عن الايمان وتدخلك في السرور وكفى موسى الخضر [illegible]
ما علمك الله تعالى وطاعته وارادك السرور [illegible] لما ودع موسى الخضر
من فعله قال له موسى اوصني قال له يوسف بن اسباط [illegible] عليك اطاعته
والسلام قال له موسى ادع الله لي قال له [illegible] الدعاء عليك اطاعته

قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم
قال سعيد بن المسيب اني لاصلي فاذكر ولدي فازيد في صلوتي

وعن سعيد بن المسيب انه كان اذا رأى ابنه قال اي بني لازيدن في صلاتي من اجلك رجاء ان احفظ فيك وتلا هذه الاية

[illegible]

ملوك التبابعة وكانت مدة ملكه الفي سنة لانه كان في دين الخليل الى ان ادركه سيل العرم و
ما بعده وكانت امه رومية وكان يقال له فيلسوف لعقله وذو القرنين الثاني فيلسوفا
حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس فيلسوف كذا نقل من تاريخ ابن كثير وفي
تفسير الكواشي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن ذي القرنين فقال لم يكن نبيا ولا ملكا
ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه واسمه عبد الله او الاسكندر من
القرون الاول من ولد يونان بن يافث بن نوح او كان بعد ثمود قالوا وعاش الفا وستمائة
سنة قوله قرنان من الناس الجوهري القرن من الناس اهل زمان واحد ويطلق القرن
ايضا على ثمانين سنة وقيل على ثلثين سنة وعلى ما يملك في السن تقول هو قرني اي على سني
وعلى جانب الرأس ايضا ومنه سمي ذو القرنين قد ذكر في اول هذه السورة ان اليهود امروا
المشركين ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي
القرنين وعن الروح فالمراد من قوله ويسألونك عن ذي القرنين هو ذلك السؤال وعن عقبة
بن عامر قال ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف او الكتب فقالوا استأذن لنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال عليه الصلوة و
السلام ما لي ولهم يسألونني عما لا اعلم انما انا عبد لا علم لي الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوءا
اتوضأ به فتوضأ ثم قام الى مسجد في بيته وركع ركعتين فما انصرف حتى بدا السرور في وجهه
ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي قال فادخلتهم فلما رآهم النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم ان شئتم اخبرتكم بما اردتم ان تسألوني عنه وان شئتم غير ذلك فافعلوا فهذا ان
ثبت يدل على انه نزل نبأ ذي القرنين وخبره قبل ان يسألوا عنه واما اهل التأويل فانهم قالوا
جميعا انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل ذلك بعد السؤال قوله وصلة اي ما يتوصل به كالوصلة
يعني ما يتقرب به قالوا السبب في اصل اللغة عبارة عن الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى
المقصود فهو يتناول العلم والقدرة والآلة قال المعنى واعطيناه من كل شيء من مقاصده واغراضه
الامور التي يتوصل بها الى تحصيل ذلك الشيء فانه لما اعطاه من مقاصده واغراضه كل شيء يحتاج
اليه في فتح الممالك وضبطها وتدبير امرها ما يتوصل به الى تحصيل ذلك المراد قال فقصد ارادة سببا
الله لما يوصله اليه فيتبعه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فاتبع سببا بوصل الهمزة وتشديد
التاء وكذلك ثم اتبع في الموضعين وقرأ الكوفيون وابن عامر فاتبع ثم اتبع في الثلثة بقطع الهمزة
وتخفيف التاء وقيل هما بمعنى واحد فيتعدى بان الى مفعول واحد وقيل اتبع بالقطع متعد الى اثنين
حذف احدهما تقديره فاتبع سببا سببا آخر او فاتبع امره سببا فمعنى الآية انه لما اعطاه من

وحكي النقاش انه سمي بذلك لانه كان من كبره راسه رأس ثور وله قرنان كهيئة الثور وسائر جسده جسد فرس ولانه اعطي علم الظاهر والباطن ولانه دخل النور والظلمة ولانه كان كريم الطرفين من اهل بيت ذوي شرف من قبل ابيه وامه ...

... على الملوك ... البلاد ... والظلمة ... ابن عباس ... ابراهيم ...

كل شيء سببا فإذا أراد شيئا اتبع سببا يوصله إليه **قوله** أو حمئة عطف على قوله حارة أي يجوز
أن تكون حامية بالألف بدون الهمزة بمعنى حارة من قولهم حمي النهار بالكسر وحمي التنور حميا إذا
اشتد حره ويجوز أن تكون بمعنى حمئة بهمزة من غير ألف أي ذات حمأة وهي الطين الأسود
على أن تكون ياء حامية منقلبة عن الهمزة فيكون قراءة حمئة وحامية بمعنى واحد **قوله** ولعله
بلغ جواب سؤال مقدر وهو أن يقال قد تقرر أن الشمس في السماء الرابعة ولها فلك خاص يدور بها
في السماء فكيف يكون غروبها في عين حمئة وتقرير الجواب أنه تعالى لم يخبر بأن غروبها في الحقيقة في
عين حمئة وإنما أخبر بأن ذا القرنين يجدها ويظن أنها تغرب فيها حيث قال وجدها تغرب في عين
حمئة فإنه لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في هذه
العين المظلمة وإن لم يكن كذلك في الحقيقة كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم
ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي
أيضا حمئة لكثرة ما فيها من الماء ومن الحمأة السوداء فقوله تغرب في عين حمئة إشارة إلى
أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط البحر به وهو موضع شديد السخونة قال أهل الأخبار
في صفة ذلك الموضع أشياء عجيبة قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات
أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب واسمها [illegible] وفي رواية لسمعوا صوتها [illegible]
كصوت المنشار في الخشب وروي أن الله تعالى خلق مدينتين إحداهما بالمشرق واسمها
بالسريانية برقيا وبالعربية جابلقا والأخرى بالمغرب واسمها بالسريانية برجيسا وبالعربية
جابلسا وهي التي تغرب فيها الشمس جابلسا وعلى كل مدينة منها اثنا عشر ألف باب بين كل بابين
مسيرة فرسخ يبيت كل يوم على كل باب من هذه الأبواب عشرة آلاف رجل لا يعودون في النوبة
أبدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لولا كثرة ما بين المدينتين وصخبهم
لسمع أهلها سقطة الشمس حين تسقط وحين تطلع ومن وراء ما بين المدينتين أربع أمم ناسك
ومنسك وتاريس وتاويل ومن دونها يأجوج ومأجوج وقد انطلق بي جبريل ليلة أسري بي فدعوت
يأجوج ومأجوج إلى الله تعالى فأبوا أن يجيبوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس
ثم انطلق بي إلى المدينتين فدعوتهم إلى الله تعالى فأجابوني فهم إخواننا في الدين من أحسن منهم
فهو مع محسنكم ومن أساء منهم فهو مع مسيئكم ثم انطلق بي إلى الأمم الأربع فدعوتهم إلى الله تعالى
فأبوا وكذبوا وكفروا فهم مع يأجوج ومأجوج في النار وقد قيل من وراء هؤلاء الأمم الأربع
أمم آخرون وكل هؤلاء الذين ذكرناهم من أولاد يافث بن نوح **قوله** تخبره الله تعالى بقوله قلنا
يا ذا القرنين وهو يدل على أنه تعالى تكلم معه من غير واسطة وذلك يدل على أنه كان نبيا وحمل هذا

ثم إن الذين قالوا إنه كان نبيا
قالوا من جملة الأشياء النبوة
والرسالة فهذه الآية تدل على
أنه تعالى أعطاه الطريق الذي
يحصل له تحصيل النبوة والذين
أنكروا كونه نبيا قالوا المراد
وآتيناه من كل شيء يحتاج
إليه في إصلاح ملكه سببا إلا
أن للقائل أن يقول تخصيص العموم
خلاف الظاهر فلا يصار إليه
إلا بالدليل كبير

[illegible]

وقال الضحاك هم جيل من الترك وهم من
نادرة من ولد آدم لأنهم من ولد آدم
من غير حواء وذلك أن آدم احتلم فاختلطت
نطفته بالتراب فخلق الله من
ذلك الماء الذي خرج منه يأجوج
ومأجوج فهم متصلون بنا من
جهة الأب دون الأم
وكذا في معالم

بهذا اللفظ على أن المراد أنه تعالى خاطبه على لسان بعض الأنبياء عدول عن الظاهر والقول بأن الوحي بمعنى
الإلهام لا يخلو عن بعد نقل الإمام الواحدي عن ابن الأنباري أنه قال إن كان ذو القرنين نبيا فإن
الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم أو بوحي ومن قال لم يكن نبيا قال معنى قلنا ألهمنا لأن الإلهام
ينوب عن الوحي كقوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أي ألهمناها **قوله** فله جزاء الحسنى اختار قراءة
من عدا حفص وحمزة والكسائي وهي رفع جزاء من غير تنوين بإضافته إلى الحسنى على أن جزاء
مبتدأ والجار قبله خبره والحسنى صفة لمحذوف أي فله جزاء الفعلة الحسنى وهي الإيمان والعمل الصالح
قوله وتقديره ذا يسر بمعنى يسرا صفة مصدر محذوف أي قولا ذا يسر وتقييده بقوله من
أمرنا للدلالة على أنه لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج ونحوهما
ثم إن ذا القرنين لما وصل إلى أقرب الأماكن المسكونة من مغرب الشمس انصرف عنه وقصد أقرب
الأماكن المسكونة من مطلع الشمس فأتبع طريقا يوصله إليه والعامة على كسر اللام وهو اسم مكان
بحسب الاشتقاق العربي ومن فتح اللام لا يريد المكان لأنه خلاف ما تواطأ عليه أهل اللغة بل يريد
المصدر فيحمل الكلام حينئذ على إضمار المضاف إلا أن عبارة أبي البقاء تشعر أنه لا فرق بين فتح
اللام وكسرها في جواز حمل الكلمة على المعنيين حيث قال مطلع الشمس يجوز أن يكون مكانا وأن يكون
مصدرا والمضاف محذوف أي مكان طلوع الشمس **قوله** لغرابة لغتهم أي لكونهم لا يعرفون غير
لغة أنفسهم فما كانوا يفقهون اللسان يتكلم به ذو القرنين وقوله تعالى من دونهما بمعنى أمام السدين
قوله أي قال مترجمهم لما وصفهم الله تعالى بأنهم لا يفقهون قولا ولا يفقهونه غيرهم احتاج ذو
القرنين في فهم كلامهم وتفهيم كلامه إياهم إلى من يترجم بينه وبينهم ووجود ذلك المترجم من جملة
الأسباب التي آتاها الله تعالى إياه **قوله** حتى إذا ساوى فيه إضمار أي فأتوه بها فنضدها أي وضع
تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما وصارت الزبر المنضودة
مساوية لهما كالحشو فيما بينهما ثم وضع المنافخ عليها فنفخ فيها حتى لما صارت كالنار صب النحاس
المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا **قوله** بين جانبي الجبلين
سمي كل ناحية من ناحيتي الجبلين صدفا لكونه مصادفا ومقابلا للآخر من قولك صادفت الرجل
أي لاقيته وقابلته واعلم أن هذا معجز ظاهر لأن هذه الزبر الكثيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم
يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة
العظيمة عن أبدان أولئك النافخين عليها قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وحفر له الأساس
حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وجعل حشو الأساس الصخور وطينه
النحاس يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض فلما ملأ حشو الأساس علا

اختلفوا في أنهم من أي الأقوام فقال
الضحاك هم جيل من الترك وقال
السدي الترك سرية من يأجوج
ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين
السد فبقيت خارجه فجميع الترك
منهم وعن قتادة أنهم اثنان
وعشرون قبيلة سد ذو القرنين
على إحدى وعشرين قبيلة منهم
وبقيت واحدة فسموا الترك
لأنهم تركوا خارجين قال أهل
التاريخ أولاد نوح عليه الصلاة
والسلام ثلاثة سام وحام ويافث
فسام أبو العرب والعجم والروم
وحام أبو الحبشة والزنج
والنوبة ويافث أبو الترك
والخزر والصقالبة ويأجوج
ومأجوج
أبو السود

واختلفوا في صفتهم
فمن الناس من وصفهم
بتناهي القصر ومنهم
من وصفهم بتناهي الطول
حتى يكون طول بعضهم
مائة وعشرين ذراعا
ومنهم من عرضه كذلك
ومنهم من له مخالب في الأظفار
وأنياب كأضراس السباع ومنهم
من يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى
وقال ابن عباس
[illegible]

هذا الوجه وبلغ وجه الارض جعل بناء السد من زبر الحديد بينها الحطب والفحم بنضد الزبر صفا
ووضع عليها الحطب والفحم صفا ثم نضد الزبر صفا اخر ونضد فوقها الحطب والفحم وهكذا الى ان
بلغ ارتفاع السد مائتي ذراع وصار السد في ارتفاعه متساويا بالجبلين ثم قال للعملة انفخوا
على الزبر المبنية بالكير ففعلوا فصارت كالنار فان الحديد اذا احمي يصير كالنار فاكلت النار ما في
خلال الحديد من الفحم والحطب وصب عليه القطر وهو النحاس المذاب الصالح لان يقطر كالماء فدخل
النحاس مكان الحطب وتخلل خلال الحديد ولصق كل واحد منهما بالاخر وامتزجا حتى صار
المجموع جبلا صلدا املس قوله وتمسك به البصريون الخ فانهم يقولون المختار اعمال الثاني المتنازعين
مع تجويز اعمال الاول ايضا والكوفيون يختارون اعمال الاول مع تجويز اعمال الثاني ثم انهم اتفقوا
على انه اعمل الاول واقتضى الثاني المفعول اضمر ذلك المفعول لعدم استلزامه الاضمار قبل الذكر
مع انه يندفع به التباس المفعول بغيره وان جاز الحذف ايضا كسائر المفاعيل فوجه استدلال
البصريين على مذهبهم بهذه الاية انه لو اعمل الاول لقيل آتوني افرغه بالضمير الراجع الى قطرا
على ان المختار ان لا يحذف ضمير مفعول في الثاني لانه يؤدي الى اللبس وحذف المفعول وان جاز
لكن لا يليق بفصاحة القرآن حمله على خلاف المختار قوله تعالى قال هذا رحمة من ربي الخ
يعلم منه ان الله تعالى من كمال حكمته وقدرته جعل لوجود كل شيء سببا من اسباب السموات
والارض ولبلوغ كل احد الى مقام من مقامات الدنيا والاخرة والى قربة من قربات الحضرة
الالهية سببا مناسبا له فاذا اراد بلوغ احد الى مقام او قربة يؤتيه سبب ذلك ويوفقه
لاتباع ذلك السبب كما آتى لذي القرنين من كل شيء سببا ووفقه لاتباع الاسباب فاتبع
سببا حتى بلغ به مشرق الارض ومغربها وجوانبها كلها وسخر الخلق وحصل مقاصد الملك و
السياسة باتباع اسبابها كذلك آتى لكل رسول ونبي وولي ومؤمن ومسلم وفاسق ومنافق
وكافر اسباب بلوغه الى الرسالة والنبوة والولاية والايمان والاسلام والفسق والنفاق
والكفر ووفقه لاتباع الاسباب حتى يبلغ مقامه من القربة والجنة والنار فكل الخلق قد بلغوا
باتباع الاسباب التي آتاهم الله تعالى الى مقاماتهم ودرجاتهم ودركاتهم قوله تعالى ونفخ في الصور
لما كان اندكاك السد وخروج ياجوج وماجوج من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعده
النفخ في الصور لقيام الساعة قيل الصور قرن من نور يجعل فيه الارواح يقال ان فيه من
الثقب على عدد ارواح الخلائق عن مجاهد انه كالبوق ذكره البخاري فاذا نفخ فيه صاحب
الصور النفخة الثانية ذهب كل روح الى جسده فاذا هم من الاجداث اي من القبور ينسلون
اي يخرجون سراعا وقد روي ان الله تعالى خلق الصور حين فرغ من خلق السموات والارض
وان

ونزل السمر فيقدر عليه فيخرج ياجوج وماجوج من اشراط الساعة وقال ابن الكمال هذه النفخة نفخة الانشاء لا نفخة الافناء ودل عليه ذكر
الفاء التعقيبية في قوله فجمعناهم وانت خبير بان قيام الساعة كما يطلق على فناء العالم يطلق على عوده فلعل مراد البيضاوي الثاني لكن
ما اراده السمرقندي يصح بارادة
المعنى الاول وما يقتضيه التعقيب
بالفناء وما اختاره ابن الكمال
والعلم عند الله اكبر المتعال
قرماكي

٤٠٨

وان عظم دارة فيه كغلظ السموات والارض وفي حديث ابي هريرة والذي نفسي بيده ان عظم
دارة فيه كعرض السموات والارض وروي ان له رأسين رأس بالمشرق ورأس بالمغرب والله
تعالى اعلم واختلف في عدد النفخات فقيل ثلثة نفخة الفزع لقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض الا من شاء وكل اتوه داخرين ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون وهذا اختيار ابن العربي وقيل هما نفختان ونفخة الفزع وهي نفخة الصعق لان
الامرين لا زمان فانهم فزعوا فزعا ماتوا وقيل اتفقت الروايات على ان بين النفختين اربعين
سنة وذلك بعد ان يجمع الله ما تفرق من الاجساد في بطون السباع وحيوانات الماء وبطن وجه
الارض وما اصاب النيران بالحرق والمياه بالغرق وما ابلته الشمس وذرته الرياح فاذا جمعها
الله تعالى واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح جمع الارواح في الصور وامر اسرافيل عليه السلام
فارسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل ذي روح الى جسده باذن الله تعالى وقد انكر بعض اهل الزيغ ان
يكون الصور قرنا قال ابو الهيثم من انكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب
لها تاويلات قوله عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر يعني ان النظر الى ايات الالوهية والمصنوعات الدالة
على القدرة الباهرة لما كان سببا لذكر الله تعالى عند مشاهدتها كما يقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
اطلق المسبب واريد السبب وانما احتيج الى حمل الاية على المجاز المرسل لان المقصود وصف
الكافرين بالعمى والصمم اما العمى فبقوله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري والذكر لا يتصور فيه
اعينهم في غطاء عنه بل انما يناسب الصمم قوله كانهم اصمت مسامعهم اي بطلت وازيلت
قواهم السامعة من قولهم اصمت الصدا اذا رميته فقتلته وانت تراه وفي بعض النسخ اصمتت اي
جعلت مصمتة لا جوف لها قوله اتخاذهم الملائكة والمسيح يعني ان قوله ان يتخذوا في محل النصب على انه
اول مفعولي حسب وثانيهما محذوف وان المراد بقوله عبادي الملائكة وعيسى وقال ابن عباس
رضي يعني الشياطين تولوهم واطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعني الاصنام سماها عبادا كما
في قوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم قوله وقرئ افحسب بسكون السين ورفع
الباء على انه مبتدأ وان مع ما في حيزها خبره فحسب مبتدأ مضاف الى الذين كفروا وان يتخذوا خبره
ويجوز ان يكون حسب بمعنى المحسب والكافي وان يتخذوا فاعله بناء على ان اسم الفاعل اذا اعتمد
على الهمزة ساوى الفعل في العمل وهذا الفاعل يكون سادا مسد الخبر كما في قوله اقائم زيد قوله وجمع لانه
من اسماء الفاعلين اي لانه تمييز للاخسرين بمعنى الخاسرين كقولك الله اكبر بمعنى الكبير يعني ان
اسم الجنس وان كان يشاول الاحاد في قوله الا انه لا يدل على اختلاف فاعله والاعلى تنوع مدلوله فجمع

العمل ليدل على احد الامرين قوله الامر ذلك على ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف والمعنى الامر ذلك الذي
ذكرت من حبوط اعمالهم وخساسة اقدارهم ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ مشارا به الى ما ذكر من
اعمالهم الباطلة وجزاؤهم مبتدأ ثانيا وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الاول والعائد محذوف اي
جزاؤهم به كذا ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ مشارا به الى الجزاء الحاضر ذهنا ويكون جزاؤهم بدلا
منه وجهنم خبره لما بين الله تعالى سوء صنيعهم بقوله اولئك الذين كفروا بآيات ربهم وفرع عليه قوله
فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا اشتمل الذهن الى معنى الجزاء فاشير اليه بقوله ذلك
وجعل جزاؤهم بدلا منه واخبر عنه بقوله جهنم ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ ايضا وجزاؤهم خبره
وجهنم بدلا او عطف بيان للخبر ثم انه تعالى لما بين وعيد الكفار وان جهنم نزلهم اتبعه بوعد
المؤمنين وبيان ان جنة الفردوس نزل لهم واضافة جنات الى الفردوس اضافة تبيين عن
قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة والفردوس
من فوقها فاذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة
قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكريم اذا اعطى النزل اولا فلا بد وان يتبعه
بالخلعة والكرامات الزائدة وليس بعد الجنة بكليتها الا رؤية الله تعالى وكذا في الآية الاولى لما جعل الله
تعالى جملة جهنم نزلا للكافرين لم يبق عذاب آخر بعد جملة جهنم الا كونهم محجوبين عن رؤية الله
تعالى كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قوله وهو اسم ما تمد به الشيء اي تزاد يقال امددت الجيش
بمدد والاستمداد طلب المدد والحبر بالكسر اسم خاص لما يوضع في المحبرة ويكتب به والمداد يطلق على
كل ما يمد به غيره كالحبر للدواة والزيت للسراج قال ابن الانباري سمي الحبر مدادا لامداده الكاتب
واصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد لكونه مددا
لما فني منه بالاشتعال والمعنى لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب كلمات علم الله وحكمته لنفد البحر قبل
ان تنفد تلك الكلمات فان كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيف ما فرض في الاتساع والعظمة متناه
والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي قيل في سبب نزول هذه الآية انهم سألوا عن الروح وعن
كذا وكذا ونزل في جواب الروح في آخر الآية وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود انه يقول
انا قد اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا مع قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية اي وان كانت الحكمة وهي القرآن خيرا كثيرا وقد آتاكم الله تعالى ولكنه
قطرة من بحر كلمات الله تعالى فانه كما لا غاية لذات الله تعالى وللصفات كالعلم في علمه وحكمته فكذا لا غاية لا

لا غاية للكلمات الدالة عليها قوله وقرئ بالياء يعني ان حمزة والكسائي قرآ ينفد بالياء من تحت
لكون تأنيث الكلمات غير حقيقي والباقون بالتاء من فوق لتأنيث اللفظ والعامة على مددا بفتح
الميم وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التمييز على انها جمع مدة وهي اسم ما استمددت به من المداد
على القلم وجواب لو جئنا محذوف للعلم به تقديره لنفد قوله بما حسن لقائه قيد الحسن مستفاد
من قوله يرجو لان الرجاء ظن المنافع الواصلة اليه ان الخوف ظن المضار الواصلة اليه قوله
فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه عليه الصلوة والسلام قال في جواب جندب لك اجران
اجر السر واجر العلانية فالرواية الاولى محمولة ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية
محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به كما هو دأب الكاملين والحمد لله رب العالمين روي عنه عليه
الصلوة والسلام انه قال من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام من كل فتنة
تكون فان خرج الدجال عصم منه وصلى الله تعالى على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم
تسليما

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله امال ابو عمرو الهاء امالة الالف ضد تفخيمها واشباعها وهي
ان تنحو بالالف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسر لتجانس الصوت فان سبب ذلك ان تقع بقرب كسرة سواء
كانت الكسرة متقدمة على الالف كما في عماد او متأخرة كما في عالم وكذا يمال الالف اذا كانت بقربها
ياء كما في شيبان وكذا اذا كانت الالف منقلبة عن حرف مكسورة كما في خاف او عن ياء كما في باب
وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة ياء في موضع كما في دعى فان الفها تصير ياء في دعي وكما في حبلى
لقولك حبليان والاختلاف في الاسماء الثلاثة وهي كاف وعين وصاد فانها لا تمال باتفاق وذلك
وذلك لان اسماء حروف التهجي على نوعين ثنائي وثلاثي وقد جرت عادة العرب على ان ينطقوا
بالثنائيات مقطوعة عما بعدها وممالة فيقولوا با تا ها وكذلك امثالها وعلى ان ينطقوا بالثلاثيات
وسطها الالف باشباع فتحها فيقولوا دال ذال كاف صاد وكذلك امثالها واسم الزاي فقد اختلفوا
في التلفظ به فمنهم من اظهر الياء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو مثله ومنهم من لم يظهر الياء و
جعله ثنائيا فهو مثله والاصل في جميع المواضع اشباع الفتحة والامالة فرع عليه ولهذا يجوز
اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع في المفتوحات والعامة على تفخيم اواخر اسماء
هذه الحروف حتى ان بعضا من القراء يقف على كل واحد منها وقفة يسيرة وينفصل بعضها
عن بعض بادنى سكتة مبالغة في تمييز بعضها عن بعض ثم انهم اختلفوا في امالة يا وها وتفخيمها
مع كونهما ثنائيتين فاختار ابو عمرو امالة ها وتفخيم يا بناء على ان اشباع الفتحة اصل والامالة
وان كانت فرعا الا انه فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احد الاسمين وامال الآخر ليكون العبارة

جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الاخر وخص ها بالامالة فرقا بينه وبين ها الذي للتنبيه فانه لا يمال قط وقول المفسر لان الفات اشياها لا اشتقاق لها حتى يحكم بان الفاتها يا ات في الاصل ولان هذا التعليل يستدعي امالة كلمة يا ايضا فلا بد من الفرق بين كلمتي ها ويا حتى يخص الاولى بالامالة دون الثانية لذلك الا ان يقال مراده ان هذه الالفات لما لم يكن لها اصل حملوها على المنقلبة عن الواو تارة فلم يميلوها وعلى المنقلبة عن الياء اخرى فاما لوها فجوزوا الامرين دفعا للتحكم وخصوا الاعتبار المؤدي الى الامالة بكلمة ها فرقا بينها وبين ها التنبيه قوله وابن عامر وحمزة اليا يعني انهما اما لا اليا وفتحا الها جمعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وخصا اليا بالفرع لان الكسرة من جنس اليا فامالة حركة اليا الى ما يجانسها وهو الكسرة اولى من امالة حركة الها اليها ومن اما لهما جميعا نظر الى الوجه الذي اعتبره ابو عمرو في ها وابن عامر وحمزة في يا ومن اشبع فتحتهما فقد تمسك بالاصل قوله ونافع بين بين يعني انه امال الالف بجعلها بين مخرج الالف ومخرج اليا على السواء لا بان يجعلها اماله نحو اليا اكثر ثم ان نافعا وابن كثير وعاصما يظهرون دال الصاد قبل ذال ذكر لانه الاصل وادغمها فيها الباقون دفعا للثقل الحاصل باجتماع المتقاربين قوله فانه مشتمل عليه ان فان ما قبله هو كهيعص سواء اول بالسورة او القران مشتمل على ذكر رحمة الله عبده زكريا فيصح ان يحكم على كهيعص بانه الذكر يعني انه ذكر وبين لا او ذو الذكر والبيان وهو كانه جواب عن قول ابي البقاء من ان قول الفراء ان قوله ذكر رحمة ربك خبر الحروف المقطعة بعيد لان الخبر هو المبتدا في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها وذكر مصدر مضاف قبل الى مفعوله وهو الرحمة والرحمة في نفسها مصدر ايضا مضاف الى فاعله وعبده مفعول به لرحمة وفاعل الذكر غير مذكور لفظا والتقدير ان ذكر الله رحمة عبده زكريا وقيل بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بنفس الذكر والتقدير ان ذكرت الرحمة عبده فجعلت الرحمة ذاكرة له مجازا وزكريا بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعني هذا على قراءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قراءات اخر وهي ان يقرا على صيغة الماضي مخفف الكاف ومشددها وان يقرا على صيغة الامر من باب التفعيل ولفظ رحمة على هذه القراءات الثلث منصوب على انه مفعول به للفعل المتقدم الا ان رحمة على قراءة التشديد مفعول ثان فقدمت على الاول وهو عبده والفاعل اما ضمير القران او ضمير البارى تعالى والتقدير ذكر القران المتلو او ذكر الله عبده رحمة ربك اي جعل العبد يذكر رحمته ويجوز على المجاز المتقدم ان يكون رحمة ربك هو المفعول الاول والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد وعلى قراءة التخفيف يكون رحمة منصوبا على انه مفعول به وعبده مرفوعا

علي انه

فان من بقي من الشيوخ المذكورة فتحوا الها والبا رفتحه شبعه سلمه

هو لرشيد او الرحمة فانها مصدر بني على التا رلا ان التا للوحدة حتى يكون مانعا عن العمل نسخ والنا شيء تاء الوحدة تكون العمل عاملا لان المصدر ان كان فيه تا الوحدة يجب الجامد شرخ الوحدة وتخلفه فيضعف شابهته الفعل فلا يعمل كذا في بعض كتب النحو

وقرارته رالتشديد يحتمل الا ان يجعل كهيعص كلاما تاما ويجعل في ذكر ضمير البارى سلمه

علي انه بدل او بيان او على انه خبر مبتدا محذوف وعلى قراءة ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاول محذوفا ورحمة منصوبا على انه المفعول الثاني وعبده منصوبا على انه مفعول رحمة اي ذكرا امتك ان رحم ربك عبده زكريا والمراد بالرحمة اجابة الله دعاءه حين سال الولد في ابان الكبر وفقده وابان الشيء بالكسر والتشديد وقته يقال كل الفواكه في ابانها اي في وقتها قوله اولان ضعف الهرم اخفى صوته عطف على قوله لان الاخفاء والجهر يعني انه اتى باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان ذلك الصوت كان خفيا في الواقع لنهاية ضعفه بسبب الكبر فعلى هذا يكون قوله نادى ربه باقيا على ظاهره فان النداء هو طلب الاقبال بالجهر ورفع الصوت قال الجوهري ناداه مناداة ونداء اي صاح به وكان من زكريا كان صيحة ونداء نظرا الى قصده فعبر عنه بالنداء الذكر ووصف بكونه خفيا نظرا الى كونه خفيا في الواقع واما ان قيل ان زكريا قصد اخفاء دعائه من قومه لئلا يلام على طلب الولد في زمان الكبر او من مواليه الذين خافهم فالوجه في تسمية ذلك الدعاء نداء مع انه لا جهر فيه ان الجهر لا يشترط في تسمية ندائه بل هو شرط في نداء المخلوق الذي يحتاج في الاطلاع على ضمير من يطلب اقباله الى ان يسمع منه صوتا دالا على ما في ضميره والبارى تعالى لا يخفى عليه الاخفاء والجهر عند الله سيان قوله تفسير للنداء يعني لم يعطف على ما قبله لكمال اتصاله به من حيث كونه تفسيرا او بيانا له قوله ولانه اصلب ما فيه الفرق بين الوجهين مع اشتراكهما في ان كل واحد منهما كناية عن وهن جميع البدن من حيث كون العظم عماد البدن واصل بنائه والوجه الثاني يستلزمه من حيث كونه اصلب ما في البدن مع قطع النظر عن كونه عمادا له واصل بنائه ولما كان كل واحد من كون العظم عمود البدن وكونه اشد ما فيه واصلبه ينتقل منه الى ضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم بالذكر وقيل الفرق بينهما ان الاول كناية مترتبة على تشبيه البدن بالبيت وتشبيه العظم بالعمود كما يشعر به قوله لانه دعامة البدن واصل بنائه والثاني ليس كذلك وروي ان العظم عمود للبدن على الحقيقة واصل لبنائه وقد ذكره علماء التشريح لاسيما عظام الصلب فليس الوجه الاول مبنيا على التشبيه وتوحيده لان المراد به الجنس وذلك لان المراد المبالغة في وهن جسده بطريق الكناية بيان ان هذا الجنس الذي هو عمود الجسد قد اصابه الوهن او الذي هو اشد ما يتركب منه الجسد قد اصابه الوهن فلما اصاب الوهن لما يتقوم به الاعضاء او لما هو اصلب الاجزاء كان اصابته لسائر الاجزاء والاعضاء اولى ولا دخل لجمع العظام في افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض المسوق له الكلام خ التعدد لا الجنس نحو لا مدخل لاعتبار التعدد في هذا المقام شبه الشيب شيبا منتشرا في الشعر وفشوه بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره وفشوه قد ولي الدخان واقتصر من طرفي التشبيه على ذكر

كي يقال في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات سلمه

فان قيل من شرط النداء الجهر فكيف جمع بين كونه نداء خفيا فالجواب من وجهين الاول انه اتى باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان الصوت كان ضعيفا لنهاية ضعفه بسبب الكبر فكان نظرا الى قصده نداء خفيا نظرا الى الواقع والثاني دعا في الصلوة لان الله تعالى اجابه في الصلوة لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى وكون الاجابة في الصلوة يدل على كون الدعاء في الصلوة فوجب ان يكون النداء فيها خفيا كبير

المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه في قوله انشبت المنية اظفارها ودل على هذا التشبيه
باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه المنية بالسبع باثبات الاظفار لها فتشبيه الشيب
بالشواظ استعارة بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخييلية وشبه انتشار الشيب في شعر
الرأس باشتعال النار في سرعة الانبساط والانتشار ثم اخرج التشبيه الاول مخرج الاستعارة
بالكناية حيث اقتصر من طرفي التشبيه على ذكر المشبه ودل عليه باثبات لازم المشبه به له
واخرج التشبيه الثاني مخرج الاستعارة التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو
الاشتعال على المشبه الذي هو انتشار الشيب ثم اشتق من الاشتعال بهذا المعنى المجازي
لفظ اشتعل فكان استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه الاستعارة قرينة للاستعارة بالكناية
فان قيل اللفظ المستعار في الاستعارة التخييلية يجب ان لا يتحقق معناه لا حسا ولا عقلا بل يكون
معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار في المثال المذكور فان الوهم اخترع للمنية صورة
شبيهة بصورة الاظفار المحققة ثم عبر عن تلك الصورة الشبيهة باسم المشبه به وهو الاظفار
فمعناه صورة وهمية محضة لا تحقق لها حسا ولا عقلا والمعنى الذي عني بلفظ اشتعل ليس صورة
وهمية بل هو امر ثابت للشيب فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار والفشو وان كان امرا محققا
ثابتا للشيب حسا الا ان الاشتعال الحقيقي الذي هو من لوازم المشبه به وهو الشواظ انما يثبت
له باختراع الوهم وبهذا القدر كان في كونها استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية
وكونها صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا **قوله** واسند الاشتعال الى الرأس يعني ان الاشتعال
بمعنى الانتشار والفشو حقه ان يسند الى الشيب لانه من الصفات القائمة به لكنه اسند الى
مكان الشعر الذي هو محل الشيب للمبالغة في الدلالة على شمول الاشتعال الرأس فان قولك
اشتعل الرأس شيبا بمنزلة قولك اشتعل البيت نارا فانه يفيد شمول الاشتعال البيت وقولك اشتعل
شيب رأسي بمنزلة قولك اشتعل نار بيتي فانه لا يفيد شمول الاشتعال البيت واعلم ان اصل الكلام
ومقاربي الاوساط في هذا المقام ان يقال اني شيخ عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو شاب
رأسي لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل
شيب رأسي فانه ابلغ من شاب رأسي اذ ليس فيه تعريض لانتشار الشيب ثم عدل عنه الى
ما هو ابلغ منه وهو اشتعل رأسي شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب رأسي من جهات احدها
اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ فرق بين اشتعل شيب رأسي واشتعل
رأسي شيبا وبين اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بين وثانيها ما في التمييز من التفصيل
بعد الاجمال وثالثها تنكير شيبا لافادة الكمال ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل الرأس شيبا

وجه التوسل به من وجهين
احدهما ما روي ان محتاجا قال انا الذي
احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا
بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته
وذلك لانه اقتضى اولا لكرمه ثانيا
لكان الرد محبطا للانعام الاول
والمنعم لا يسعى في احباط انعامه
والثاني في دعي الله عادته
شاقة على النفس فاذا تعود
الانسان اجابة الدعاء فلو صار
مردودا بعد ذلك لكان في غاية
المشقة ولان الجفاء ممن يتوقع منه
الانعام يكون اشق فكان زكريا
عليه الصلوة والسلام قال
انك ما رددتني في اول الامر مع
اني ما تعودت لطفك وكنت
قوي البدن وقوي القلب فلو
رددتني الان بعد ما عودتني
القبول مع نهاية ضعفي لكان
ذلك بالغا الى النهاية في الم القلب

شيبا لما فيه من مزيد التقرير لان التعويل فيه على شهادة العقل دون اللفظ فلما اشتمل الكلام على
هذه اللطائف ترقى الى اعلى درجات البلاغة **قوله** ايضاحا للمقصود فان شيبا تمييز منقول عن
الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الرأس فلما قصد سلوك طريق التفصيل بعد الاجمال ابهم ما هو
المشتعل حقيقة ثم بين بقوله شيبا تعيين ان المشتعل هو الشيب **قوله** بل كلما دعوتك اشارة الى
ان قوله بدعائك من اضافة المصدر الى مفعوله اي بدعائي اياك وقوله شقيا اي خائبا فان
العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها **قوله** يعني بني عمه بناء على
ان تعريف الموالي للعهد الخارجي وان الوصف وان كان يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب
الا ان المراد به في الاية ابن العم قال الشاعر مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان
مدفونا وقوله واني خفت وان خرج على لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا كذلك
تقول اني خفت وخشيت ان يكون كذا تريد انا خائف بعد لا انه قد زال الخوف وكذا قوله و
كانت امرأتي عاقرا **قوله** وعن ابن كثير قرأ الجمهور ورائي بالمد اي بهمزة مكسورة وبعدها ياء
ساكنة وعن ابن كثير روايتان احديهما بالمد كالجمهور والاخرى بالقصر اي بدون الهمزة و
فتح الياء في كل واحد من قراءتي المد والقصر **قوله** وهو متعلق بمحذوف يريد بالتعليق تعلق
الظرفية لا تعلق المفعولية لان خفت اخذ مفعوله وهو الموالي وهو ليس ظرفا لخفت لفساد المعنى
وهو كون خوفه من الموالي الكائنين في الحال واقعا بعد موته لان معنى ورائي بعد موتي والتقدير
على ان يكون ظرفا لمحذوف خفت فعل الموالي بعد موتي وعلى ان يكون ظرفا لمعنى الولاية اي لما
تضمنه الموالي من معنى الفعل خفت الذين يلون الامر بعد موتي **قوله** وقرئ خفت الموالي بفتح
الخاء والفاء المشددة من الخفة بمعنى القلة او بمعنى الاسراع في السير والذهاب ولفظ ورائي
على الاول بمعنى بعدي وعلى الثاني بمعنى قدامي ويقال درج القوم اذا انقرضوا والدرج في الاصل
بمعنى الطي استعير للموت والموالي في هذه القراءة مرفوع على انه فاعل خفت وفي قراءة العامة
منصوب على انه مفعول به وقوله لك من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال من وليا لانه في الاصل صفة للنكرة فقدم عليها **قوله** وليا من صلبي قال بعض
المفسرين طلب زكريا من يلي امر الدين ويقوم مقامه في رعاية امره ولدا كان او غيره وقال
الاكثرون انه طلب الولد من صلبه استشهادا بقوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه قال رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة واحتج ذلك البعض بعموم لفظ الولي وبانه لما بشر بالولد استعظمه
وقال انى يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لاجل ان يهب الله له ولدا لما استعظم ذلك حين بشر
به والظاهر ان هذا الدليل لا يعارض دليل الاكثرين لانه ليس استعظاما بل اعتراف بكمال القدرة

ونتعلق لعله
وحيث سار الشيخ انه حاصلا البعد
به لكان الفعل ... بل يتعلق
بمحذوف كما ذكر لعله

واستجيب له او يحتمل ان يكون سؤال الابن جهة حصول الولد كأنه قال هل تهب لي من امرأتي ونحن
على حال الناس الهرم والضعف او بان تحولنا شابين او تهب لي من امرأة غيرها المحصول دعائه
هب لي ولدا وارثا مني ومن آل يعقوب ما فيه صلاح ونفع في الدين وذلك يشاول النبوة والعلم والسيرة
الحسنة والمنصب والمنافع في الدين والمال الصالح ومن جزم الثعلبي قصد السببية على معنى ان
تهب يرثه ومن رفعهما لم يقصد بها وجعلها صفة لوليا فعلى هذا يكون يرث من جملة المطلوب
فلهذا لم يرض به صاحب المفتاح وجعله استئنافا لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مستجابوا
الدعوة فلو دعا زكريا ربه ان يهبه وليا يرثه لاجاب الله تعالى دعاءه ووهبه ذلك ولم يهب وليا
كذلك لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما الصلوة والسلام ولو جعل يرث مستأنفا لا يكون من جملة المطلوب
بل يكون بيانا للغرض وغرض الانبياء يجوز ان لا يحصل وجعله صاحب الكشاف والقاضي صفة لان
الثابت عنده هلاك زكريا قبل يحيى ذكره في سورة بني اسرائيل في تفسير قوله تعالى لتفسدن في
الارض مرتين حيث قال اولاهما قتل زكريا والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم
وقد روي ان يحيى اعتزل عن ابويه وسائر بني آدم وتجرد للعبادة في البراري وخلال الجبال اربع
سنين فلما قتل اليهود اباه زكريا امره الله تعالى ان اذهب الى بني اسرائيل ومستقرهم وادعهم الى
التمسك بالشريعة فجاء اليهم وقال لهم سبع سنين يأمرهم وينهاهم فقتله اليهود ايضا فسلط
الله تعالى عليهم بخت نصر فاهلكهم وقيل لا غضاضة في ان يستجاب للنبي بعض ما سأل دون بعض
كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت الله تعالى ثلثا فاعطاني اثنين ومنعني واحدة
قوله وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلوة والسلام قال الامام اكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا
هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم الصلوة والسلام لان زوجة زكريا هي ايشاع اخت
مريم بنت عمران بن ماثان وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب واما
زكريا فهو من ولد هرون اخي موسى وهما ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
بن اسحق وكان بين عمران بن ماثان وعمران بن يصهر الف وثمانمائة سنة صرح المصنف في اول
سورة آل عمران وكانت النبوة في سبط يعقوب بن اسحق وقال بعض المفسرين ليس المراد من
يعقوب ههنا ولد اسحق بن ابرهيم بل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان ابي مريم وكان
آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا لما ثبت ان ام يحيى هي ايشاع بنت عمران بن ماثان فيكون قرابة
آل يعقوب ليحيى من قبل انه يكون من اخواله وعلى تقدير ان يكون يعقوب اخا زكريا يكون آل يعقوب ايضا
زكريا ويكون آل يعقوب اعماما ليحيى قال الكلبي كان بنو ماثان رؤساء بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا
رأس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث بنو ماثان ملكهم قوله وأويرث

سألت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسألته ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها مسلم

وهو تصغير وارث والاصل وويرث بواوين وجب قلب اوليهما همزة لاجتماعهما متحركتين في اول
الكلمة كما في أويصل اصله وويصل تصغير واصل والواو الثانية بدل عن الف فاعل قوله وهذا
يسمى التجريد اي هذا الصنيع وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله فيها ابتداء لكمالها فيه
نحو رأيت بفلان اسدا ولقيني منه اسد فان قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني وارث من آل
يعقوب فلا بد ان تقدر الباء التجريدية او من التجريدية ليتضح معنى التجريد اي وليا يرثني منه او به
وارث من آل يعقوب انتزع من الولي وهو الوارث نفسه وارثا آخر ابتداء لكمال الوراثة فيه
وقد يكون التجريد بكلمة في كقوله تعالى في صفة الجنة لهم فيها دار الخلد وهي بنفسها دار الخلد فكأنه جرد
منها دارا اخرى ابتداء لكمال صفة الخلد فيها واعلم ان زكريا قدم على سؤال الولد امورا ثلثة احدها
استيلاء الضعف عليه ومع على امرأته وذلك مما يزيد الدعاء تأكيدا لما فيه من الاتكال على حول الله وقوته
والتبري عن الاسباب الظاهرة وثانيها انه تعالى عوده بالاجابة ولم يرد دعاءه قط والكريم
اذا عود احدا بالاحسان لا يقطعه بالآخرة لا سيما في زمان كونه احوج اليه وثالثها كون المطلوب
منتفعا به في امر الدين وهو قوله واني خفت الموالي ثم فرع سؤال الولد على هذه الامور الثلثة
قوله يا زكريا فيه اختصار اي فاستجاب دعاءه وقلنا يا زكريا فعلى هذا كان النداء من الله
تعالى كما ذهب اليه اكثر المفسرين لانه ذكر قبل هذه الآية ان زكريا نادى ربه نداء خفيا وسأله
الولد وذكر بعدها انه عليه الصلوة والسلام قال رب انى يكون لي غلام ولما كان ما قبل هذه الآية
وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب ان يكون نداء زكريا من الله تعالى والا لفسد النظم وقيل هو
نداء الملك لقوله تعالى في سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك
بيحيى والجواب ان حصول النداء من الملائكة لا ينافي حصوله من الله تعالى قوله وهو شاهد ان مدح
يحيى بانه لم يكن له سمي قبل شاهد بان التسمية بالاسامي النادرة الغريبة تنويه اي رفع للذكر
المسمى يقال ناه الشيء ينوه اي ارتفع ونوهته تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره قوله
كقوله تعالى هل تعلم له سميا اي مثلا وشبيها في صفات الجلال والجمال فان اول الآية فاعبده واصطبر
لعبادته هل تعلم له سميا ومعلوم ان مجرد تفرده بالاسم لا يوجب عبادته فان قيل لو كان السمي
في الآية بمعنى المثل للزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين كانوا قبله كآدم ونوح وابرهيم وموسى
عليهم الصلوة والسلام وذلك باطل اجيب بان المراد لم يجعل له شبيها فيما خص به من الاوصاف
وهو ان كل الناس انما سمتهم آباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم في الوجود واما يحيى عليه الصلوة والسلام
فان الله تعالى هو الذي سماه قبل دخوله في الوجود فكان ذلك من خواصه ولم يكن له شبيه في هذه
وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا لا يقرب النساء حصر النفس اي منعها الامن

اي نظيرا يحيى شبيها في الاسم من نوع المشابهة والتوافق في الاسم والمماثلة فان كل واحد من المتقاربين يطلق عليه ما يطلق على الآخر فصح ان يكنى بالسمي عن الشبيه منه

الشهوات ولا يقرب اللعب واللهو قوله لا نحيي به رحمه الله وزال عقره الذي هو بمنزلة الموت وقيل
يحيى لأن الله تعالى أحيى قلبه بالإيمان والطاعة فإنه تعالى سمى المطيع حيا والعاصي ميتا لقوله تعالى أومن
كان ميتا فأحييناه وقيل إن يحيى أول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك وذكر أن أم يحيى كانت حاملا
به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحاملة أنت فقالت لماذا تقولين
كذا فقالت إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك وقيل أحيى الله تعالى إياه بالطاعة حتى لم يعص
ولم يهم بمعصية لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد
إلا وقد عصى أو هم بمعصية إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهم بها ولم يعملها قوله وقد بلغت من الكبر عتيا
حال من ياء المتكلم في قوله أنى يكون لي غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتي وقد مقدرة فيها
والمعنى أنى يكون لي غلام حين بلوغي عتيا مع أن العقر صفة قديمة لامرأتي لم يولد لي منها
غلام حال شبابي وحال كهولتي لكون امرأتي عاقرا من ابتداء نشأتها فكيف في هذه الحالة حالة شيخوختي
وقدم عقرها وتمكن هذه الصفة فيها وضعف بدني وسقوط قوتي قوله جساوة أي يبسا
والجمادا أي نحولا جسوا أي بلغ غاية السن ونحل الشيء نحولا أي يبس ونحل الشيخ نحلا يبس
جلده على عظمه قوله ثم قلبت الثانية ياء وأدغمت فصار عتيا بضم العين وكسر التاء وهي
قراءة غير حمزة والكسائي وحفص فإنهم قرؤوا عتيا وصليا وجثيا بكسر أولها للإتباع وقرأ حمزة
والكسائي بكيا بكسر الباء والباقون بضم أول ذلك كله قوله وإنما استعجب الولد إلخ جواب عما يقال
الظاهر أن الاستفهام في قوله تعالى حكاية أنى يكون لي ولد ليس استبعادا وإنكارا بل هو استفهام تعجب
وما وجه تعجبه مع أنه هو الذي طلب الولد في حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم علمه بكونه
تعالى قادرا على إعطاء الولد لهما فما وجه تعجبه حال ما بشر به مع علمه بقدرة الله تعالى عليه وتقرير الجواب
أن علمه بإمكان حصول الولد من مثلهما وبكونه تعالى قادرا على كل الممكنات لا ينافي أن يتعجب ويستعظم
كمال قدرة الله تعالى على تكوين الأشياء من غير توسط الأسباب والوسائط أكثر تكوين بالآلات
شرحوالت جه آلت بود در تكوين آلت قوله ولذلك أي ولكون قول زكريا أنى يكون لي غلام اعترافا
بكمال قدرة الله تعالى وبأن تأثيرها لا يتوقف على الأسباب والوسائط صدقه الله تعالى في ذلك الاعتراف
أو صدقه الملك المبلغ للبشارة بأن قال كذلك على أن محل الكاف رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي التقرير
الأمر كذلك وقوله قال ربك ابتداء كلام استؤنف جوابا لما عسى يقال فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه
زكريا فأجيب قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقد تقرر أن الكاف الذي بمعنى
مثل في كذلك يكون مقحما للتأكيد كما زاد لفظ المثل في قولهم مثلك لا يبخل بمعنى أنت لا تبخل فالمعنى في الآية
قال ذلك الكلام فهو هو علي هين فيكون الكاف بمعنى مثل زائدا في الآية قوله وتوبيد النوار دهو

ويجوز أن تكون الكاف خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة مقول قال الأول قراءة من قرأ وهو علي هين بالواو
فإن تخلل الواو بين الجملة ولفظ ذلك يمنع من كون ذلك إشارة إلى مبهم وكون الجملة تفسيرا له لأن
المفسر لا يعطف على المفسر فتعين أن يكون ذلك إشارة إلى ما سبق ذكره وهو قول زكريا رب
أنى يكون لي غلام إلخ أو ما وعده الله تعالى إياه بقوله يا زكريا إنا نبشرك بغلام إلخ فجملة وهو
علي هين معطوفة على مقول قال الأول وهو الذي فسره المصنف بقوله الأمر كما قلت إلخ
ومقول قال الثاني محذوف اعتمادا على دلالة مقول الأول عليه وإن جعل الكاف منصوبة
بقال الثانية تكون قال الثانية مع ما في حيزها مقول قال الأول وإجمال القول الثاني لما ذكر في
قراءة الواو وتكرار قوله وكما وعدت لا فائدة يعتد بها فيه غير أن الأول بفتح التاء والموعود
له هو أن يحصل له الغلام المبشر به في المستقبل فيكون هينا بمعنى يهون حصوله علي والثاني
بضم التاء والذي وعده الله تعالى بالنسبة إليه تعالى هين أزلا وأبدا وإن كان بالنسبة إلى
زكريا يهون عليه تعالى قوله بل كنت معدوما صرفا ومن قدر على الخلق والإيجاد من العدم الصرف
كان قادرا على تبديل صفات الشيخ الضعيف والشيخة العاقرة بأن يعيد إليهما القوة التي بها
يتولد الماءان اللذان يخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم ليس بشيء عند أهل السنة وبعض
المعتزلة خلافا لبعضهم ومن قال المعدوم ليس بشيء حمل الآية على ظاهرها ومن قال المعدوم شيء
أولها بأنه ليس شيئا يعتد به قوله علامة أعلم بها وقوع ما بشرتني به فإن البشارة بالولد وقعت
مطلقة فلا يعرف وقته بمجرد البشارة فطلب آية يعلم بها وقت وقوع ذلك الغلام في رحم أمه ليزداد
في الشكر ودعاء السلامة واتفقوا على أن تلك الآية هي تعذر الكلام عليه فإن مجرد السكوت مع
القدرة على الكلام لا يكون معجزا ثم اختلفوا على قولين أحدهما أنه اعتقل لسانه أصلا والثاني
أنه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع أنه كان متمكنا من ذكر الله تعالى ومن قراءة التوراة
واختار المصنف هذا القول حيث قال والتجرد للذكر والشكر قوله سويا حال من فاعل تكلم أي لا تكلم
الناس في هذه المدة حال كونك صحيحا سويا والمحراب يطلق على المسجد وعلى الغرفة وقوله أن سبحوا
يجوز أن تكون تفسيرا لأوحى وأن تكون بمعنى المصدر المنصوب على أنه مفعول أوحى وبكرة وعشيا
ظرفان للتسبيح قوله وقيل كتب لهم على الأرض لم يرض به لقوله تعالى في سورة آل عمران آيتك ألا تكلم
الناس ثلاثة أيام إلا رمزا والرمز لا يطلق على الكتابة روي عن أبي العالية أن البكرة صلاة
الفجر والعشي صلاة العصر فيحتمل أن يكون قومه يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين بأن يخرج إليهم
فيأذن لهم بلسانه في دخول محرابه فلما اعتقل لسانه خرج إليهم على عادته فأذن لهم بالإشارة
بدل الكلام وفيه دلالة على أن الصلاة كانت في الأمم الماضية في ختم الليل والنهار قوله

روي ان عيسى عليه الصلوة والسلام قال ليحيى عليه الصلوة والسلام انت افضل مني لان الله تعالى سلم عليك وانا سلمت على نفسي وهذا ليس بقوي فان سلام عيسى على نفسه يجري مجرى سلام الله تعالى على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما امر الله تعالى به كذا

على تقدير القول اي فوهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته في حال طفوليته يا يحيى وصف الله تعالى يحيى في هذه بصفات كثيرة الصفة الاولى كونه مخاطبا من الله تعالى بقوله خذ الكتاب فدل ذلك على انه تعالى بلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان يخاطب بذلك الصفة الثانية قوله وآتيناه الحكم صبيا فانه صيره الصبي في حال صغره عاقلا قوي القلب بحيث يقدر على قراءة التورية بالفهم والاستبصار ويجري كلمات الحكمة على لسانه لما يجري على السنة الحكماء ليس اغرب من انشقاق القمر وانفلاق البحر والصفة الثالثة قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكوة وهو معطوف على الحكم اي وآتيناه تحننا والحنان الرحمة واللين وحنين الناقة صوتها اذا اشتاقت الى ولدها والصفة الرابعة قوله تعالى وزكوة اي وآتيناه زكوة اي عملا صالحا زاكيا او كونه متصدقا به على ابويه والصفة الخامسة قوله تعالى وكان تقيا اي عما نهى الله عنه ويتجنبه واولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله ولا هم بمعصية والصفة السادسة قوله تعالى وبرا بوالديه ولا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا والصفة السابعة قوله تعالى ولم يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب والصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ من العاصي كما ان العليم ابلغ من العالم والصفة التاسعة قوله تعالى وسلام عليه اي امان من الله تعالى له وسلامة وهو عطف على آتيناه قيل اوحش ما يكون الخلق في ثلثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث فيرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى فخصه بالسلامة والسلام عليه في هذه المواطن الثلثة ثم انه تعالى لما ذكر ولادة يحيى عليه الصلوة والسلام من شيخ فان وعجوز عاقر ذكر ولادة عيسى عليه الصلوة والسلام من غير اب وقدم القصة الاولى على الثانية على طريق الترقي مما هو اقرب الى العقل والعادة الى ما هو ابعد عنهما فقال واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت وذكر للكلمة اذ اربعة اوجه الاول كونها بدل الاشتمال من المحذوف المضاف الى مريم والثاني كونها بدل الكل منه بناء على ان يراد بالظرف ما وقع فيه والثالث ان يكون ظرفا للمضاف المقدر اي اذكر قصة مريم او خبرها او نبأها اذ انتبذت والرابع ان يكون بمعنى ان المصدرية فيكون بدل الاشتمال اي واذكر مريم انتباذها وتقدير المثال اكرمتك لان لم تكرمني اي لعدم اكرامك ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان الامر ليس في ذلك الوقت والنبذ اصله الطرح والالقاء والانتباذ افتعال منه وانتبذت اي اعتزلت وتباعدت وانفردت على سرعة الى مكان يلي ناحية الشرق من بيت المقدس او من دارها ثم انها لم تقتصر على ذلك بل اتخذت من دون اهلها حجابا اي حائلا يحول بينها وبينهم ثم لا بد في احتجابها من ان يكون لغرض صحيح وليس بمذكور في القرآن واختلف المفسرون فيه على وجوه احدها انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها

روي ان الصبيان دعوه الى اللعب وهو ابن ثلث سنين فقال للعب خلقت

لان الاحيان مشتملة على ما فيها ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لهذا الوقوع فيه القصة العجيبة كشاف

مكانها المعتاد للعبادة تنتظر الطهر لتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل احتجبت عن اهلها لتتخلى للعبادة ولا تشتغل عنها وقيل كانت في منزل زكريا بمحراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى المفازة لتستقي والله تعالى اعلم والمشرقة موضع قعود في الشمس وضم الراء وفتحها لغتان فيه وفيه لغتان اخريان مشراق ومشرقة بفتح الشين وسكون الراء قوله لتستأنس بكلامه فانه لو ظهر في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه ولعل تمثله في تلك الصورة البهية ليهيج شهوتها انطلق الروح على جبريل تشبيها له بالروح في انه سبب لحيوة الدين كما ان الروح سبب لحيوة البدن وهذا استعارة في مجرد الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو قرينة الاستعارة قوله وتختلف اي تصير وتذهب بما حملته فاحتملت اي جلوته عن مكانه فاجتلى قوله ويجوز ان يكون للمبالغة في عوذها بالرحمن وهو عطف على ما قبله من حيث المعنى فان محصول ما قبله ان قوله ان كنت تقيا لتنفيذ الحكم المرتب عليه بما قدر جزاء ثم قال ويجوز ان لا يكون المقصود منه تنفيذ الحكم بل يكون في عوذها بالرحمن كانها قالت اني عائذة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تكن كقوله عليه الصلوة والسلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان الشرط فيه للمبالغة في نفي العصيان على معنى انه لو لم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبريل عليه الصلوة والسلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليزول عنها ذلك الخوف اي ليس في ما تخافين شيء اصلا وانما شاني الرسالة من قبل ربك في هبة الغلام لك واسند الهبة الى نفسه لكونه سببا فيه من حيث انه تعالى وهب الغلام لمريم بواسطة نفخ الملك في درعها ويجوز ان يكون ضمير اهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكيا لكلام ربها بتقدير القول كانه قال انما انا رسول ربك لابلغ اليك ما قاله الله تعالى في حقك وهو قوله اهب لك غلاما قوله ولم يباشرني رجل بالحلال جواب عما يقال فيها ولم يمسسني بشر كاف في مقصودها وهو ان يقال الولد انما يكون بمس البشر وليس في ذلك فلم قالت بعده ولم اك بغيا وتقرير الجواب انها حملت المس على المس المشروع وهو ما يكون مسبوقا بالنكاح فلذلك احتاجت الى ان تقول ولم اك بغيا كانها قالت الولد لا يكون الا بنكاح او سفاح ولم يتحقق شيء منهما عندي ونحو المس والمباشرة والقربان مما يكنى به عن الغشيان وان كان بحسب اللغة يعم المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات على الوطي المشروع ولا يكنى عن الزنا الا بما فيه تعبير وتقبيح كخبث بها او فجر قوله ولذلك لم تلحقه التاء اي ولكونه فعولا بمعنى الفاجرة التي

او سماه الله تعالى روحا لانه روح من المجاز ونفخ روحه

لا فيه روح العباد مع القرآن ولا لاحيائه الروح عند الله تعالى مع الطاعة

تبغي الرجال لم يلحقه التاء لان الفعول بمعنى الفاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال صبور للمذكر
والمؤنث ويفرق بينهما بالتاء اذا كان بمعنى المفعول فيقال ناقة حلوبة مثلا وان جعل البغي
فعيلا بمعنى فاعل ينبغي ان يكون بناء التانيث نحو امراة بصيرة وقديرة الا انه لم يلحقه التاء لانه
للمبالغة او للنسب كذا قال ابو البقاء وتبعه المص ولعل وجه التعليل بهما ان التاء انما يلحق
اسماء الفاعلين حملا على الفعل وانما يحمل عليه اذا كان جاريا عليه وهو لفعال لفظا ومعنى
والذي يكون للمبالغة او النسب لا يوافق الفعل معنى لان الفعل يكون للحال او الاستقبال و
الفعيل الذي يكون للمبالغة او النسب يكون للدوام والثبوت لا للحال ولا للاستقبال فلما لم
يجر على الفعل لفظا ومعنى لم يلحقه التاء فرقا بين ما يجري عليه لفظا ومعنى وكذا لا يلحق
التاء ما كان للنسب مما هو على فاعل نحو تامر ولابن وحايض اذا اريد بها ذات تمر وذات
لبن وذات حيض فكذا بغي اذا كان بمعنى ذات بغي وتعليل الاستواء بكون الصفة للمبالغة
مطلقا لا وجه له لانهم صرحوا بان ابنية المبالغة من الثلاثي ثلثة اقسام الاول ما يفرق
بين المذكر والمؤنث مطلقا اي سواء كان جاريا على الموصوف او لا يكون كصبار وصديق
وابر وجعلوا نحو ابر مما يلحقه التاء مطلقا والثاني ما يستويان فيه مع الموصوف وبغيره
بدونه كمطعام ومسكين وفعول الذي لا يكون بمعنى مفعول كنافة ركوبة والثالث ما يستويان
فيه مطلقا كضحكة وعلامة **قوله** اي ونفعل ذلك لنجعله يعني ان قوله ولنجعله علة لمعلل محذوف
وجملة التعليل مع المعلل معطوفة على قوله هو علي هين **قوله** او لنبين به قدرتنا ولنجعله
على ان يكون معطوفا على علة مضمرة عطف مفرد على مفرد وحمل الكلام على اضمار المعلل اولى
لان اضماره ينبئ عن اضمار العلة بخلاف اضمار العلة فانه لا ينبئ عن اضمار المعلل اذ لم يذكر
قبل العلة المضمرة ما يصح تعليله بها اذ لا يصح ان يقال هو علي هين لنبين به قدرتنا بل لا بد
ان يجعل التقدير هو علي هين نفعل ذلك ونهبه لنبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير في قوله هو
علي هين راجع الى خلق ذلك الغلام بغير ذكر وكذا ضمير لنجعله آية فان ذلك الخلق آية على كمال
قدرة الله تعالى لانه قد تقرر انه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى ولما
خلق عيسى من انثى بلا ذكر وقد خلق سائر الخلق من ذكر وانثى ظهر انه تعالى قادر على انواع الخلق
يخلق كيف يشاء وانه على كل شيء قدير الا ان عطف قوله تعالى ورحمة منا على قوله آية يستدعي
ان يكون ضمير لنجعله للغلام لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فانه النبي لمن تبعه على دينه
وآمن به **قوله** اي تعلق به قضاء الله تعالى اي حكمه بالازل وقضى بكونه الا نبياء وما حكم
تعالى بوقوعه يجب لانه لو لم يقع لانقلب علم الله تعالى جهلا وهو محال **قوله** او قدر وسطر في اللوح على

فقدر معلل متقدما على الاصل
وصاحب الكشف قدره
مؤخرا الا ان حذف المعلل واراد
التعليل دل على ان الاهتمام
بشان العلة اتم فلا بد من
تقدير المعلل مؤخرا الا ان الاهم
اقدم منه

ه فحلافه عما زعم واجب
تعلق جميع الممكنات بمشيئته
تعالى جميع القضاء والقدر شرب
سلسلة البعوث عليه الصلوة والسلام
من عرفات الله تعالى والقدر
بات على الصفات
منه

على ان يكون القضاء بمعنى التقدير ومنه القضاء والقدر قال المص في شرح المصابيح القضاء
هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء
في اوقاتها **قوله** او كان امرا حتميا بان تقضي ويفعل على ان يكون القضاء بمعنى الصنع والفراغ يقال
قضيت حاجتي وما له تعالى فقضيهن سبع سموات ولما كان نفس خلقه وايجاده رحمة للعباد وكان
خلقه على هذا الوجه علامة دالة على كمال قدرته تعالى كان امرا حتميا بان تقضي ويفعل فصار بذلك
كانه امر مقضي ومفعول فلذلك قبل تحققه قبل ان يولد انه كان امرا مقضيا **قوله** بان نفخ في درعها
قيل ان جبرئيل عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبسته وقيل نفخ جبرئيل من بعيد
فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب حتى وصلت
النفخة الى الرحم وقيل نفخ في ذيلها من اسفل اخذ بكمها فنفخ في جيب درعها فدخلت النفخة صدرها
فحملت فجاءتها اختها امراة زكريا وهي حامل بيحيى تزورها فلما التزمتها عرفت حبلى وذكرت
مريم حالها فقالت امراة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة يحيى
عليه الصلوة والسلام مصدقا بكلمة من الله وقيل ان النفخة كانت في فيها فوصلت الى بطنها فحملت
في الحال وعلى التقادير ظهر ان في الكلام حذفا وهو وكان امرا مقضيا فنفخ فيه فحملته اي حملت
عيسى في بطنها **قوله** وهو في بطنها يريد ان الباء في به للملابسة وان الجار والمجرور في محل النصب
على انه حال من فاعل انتبذت اي انتبذت ملتبسة به مستصحبة له كما ان نبا في قول المتنبي حال من فاعل
تدوس اي تدوس الجماجم ونحن عليها والدوس الوطئ بالارجل واول البيت كانت حجولنا قد
كانت قديما « شتى فخوفهم الجليا » فمرت غير نافرة عليهم تدوس بنا الجماجم والترايبا »
القحوف جمع قحف وهو العظم الذي فوق الدماغ والحلب اللبن والضمير في قحوفهم للاعداء والجماجم
للاعداء والجماجم جمع جمجمة وهي عظم الراس المشتمل على الدماغ والترائب عظام الصدر والمراد
شتى اللبن كرام خيولهم يقول كان خيلنا شتى اللبن في اقحاف رؤس الاعداء فالفت بذلك
خيولنا تمر عليهم اي تطأ بارجلها جماجمهم وترائبهم ونحن عليها ولم تنفر عنهم فان قلت لم لم
يجعل الباء في قوله فانتبذت به للتعدية فالجواب ان المفعول الذي يتعدى الفعل اليه بالباء يجب ان
يكون بحيث ان يكون لا يستلزم صدور الفعل من الفاعل تعلقه به كما في قولك ذهبت بزيد وصدور
الانتباذ من الحامل يستلزم انتباذ ما في بطنه من الجنين فلا فائدة في ايراد حرف التعدية والقصي
البعيد يقال مكان قاص وقصي بمعنى مثل عاص وعصي واختلف في علة الانتباذ على وجوه
احدها ما رواه الثعلبي عن وهب انه قال ان مريم لما حملت بعيسى كان ابن عم لها يسمى يوسف النجار
وكان منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد

ولا يعلم من اهل زمانها احدا اشد اجتهادا وعبادة منها واولى عمرون بامر مريم يوسف
فتحير في امرها فكلما اراد تهمتها ذكر صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا
اراد ان يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم ان قال انه قد وقع في نفسي شيء من امرك
وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان الكلام فيه اشفى لصدري فقالت قل قولا
جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجرة من غير غيث وهل يكون
ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا
البذر انما حصل من الزرع الذي انبته الله تعالى من غير بذر الم تعلم ان الله تعالى انبت الشجر
بغير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة الم تعلم
ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلب
يوسف فكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وتضيق فلما دنى
نفاسها اوحى الله تعالى اليها ان اخرجي من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى
ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد وادركها النفاس الجأها المخاض الى اصل نخلة و
ذلك في زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها وثانيها انها استحيت من زكريا فذهبت الى
مكان بعيد لئلا يعلم بها زكريا وثالثها انها كانت مشهورة في بني اسرائيل بالزهد لنذر امها
وتشاح الانبياء في تربيتها وتكفل زكريا بها ولان الرزق كان ياتيها من عند الله فلما كانت في
غاية الشهرة استحيت من هذه الواقعة فذهبت الى مكان بعيد ورابعها انها خافت على ولدها
لو ولدته فيما بين اظهرهم واعلم ان هذه الوجوه كلها محتملة وليس في القرآن ما يدل على شيء منها
فالاولى السكوت عنه قوله كالمتعالم اسم مفعول من تعالمه الجميع اي علموه قوله من تحتها عيسى
عليه الصلوة والسلام قدم هذا الاحتمال لان من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك
ان تحتها احدا والذي علم كونه تحتها هو عيسى فوجب ان يكون هو المراد به ولان ذلك الموضع موضع
اللوث والنظر الى العورة فلا يليق بالملك ان يكون في ذلك الموضع بمنزلة القابلة فالمعنى انه نطق
لاحين وضعته تطييبا لقلبها وازاحة للوحشة عنها حتى تشاهد في اول الامر ما بشرها به
جبريل من علو شان ذلك الولد ومن قال المنادي هو جبريل قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات
كما ارسل اليها في اول الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة والنداء ههنا الخطاب لا الصيحة ورفع الصوت
كما في قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا ولما كان هذا الكلام مبنيا على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف
عليه احتمال ان يكون المعنى من تحت مكانها بان يكون المنادي في مكان اسفل من مكانها وفيه وجهان
الاول ان يكونا معا في مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين كتلك النخلة فكل من كان اقرب منها كان

كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادي والثاني
ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا
الوجه روي عن عكرمة انها كانت حين ولدت على رابية وجبريل كان اسفل منها والرابية الاكمة
المرتفعة من الارض قوله ان لا تحزني على ان يكون ان مفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول وكلمة لا على
هذا ناهية وحذف نون تحزنين للجزم وقوله او بان لا تحزني على ان يكون ان مصدرية ولا نافية و
حذف النون للنصب قوله هكذا روي مرفوعا روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن السري
فقال هو الجدول وهو النهر الصغير وسمي سريا لان الماء يسري فيه ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى
فكلي واشربي فان تفريعه بالفاء على ذكر السري وتساقط الرطب الجني انما يحسن بان يراد
بالسري الجدول حتى يجمع في تسليتها بين الماء والرطب فيؤمر بان يقال فكلي واشربي قال
صاحب الكشاف فان قلت مالها حزنت لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما شراب وطعام ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس
انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما برؤه بعزل وان لها امورا الهية خارجة
من العادات خارقة لما اعتادوا واعتادوه حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها
قوله وقيل سيدا من السرو يقال سرا يسرو وسروا من باب نصر وسري يسري سرى من باب
علم وسرو يسرو سراوة من باب حسن والجميع بمعنى صار سريا اي سيدا وجمع السري سراة
وجمع السراة سراوات والمراد بالسري ههنا عيسى عليه الصلوة والسلام ويؤيد هذا القول ان النهر
لا يكون تحت الانسان بل يكون الى جنبه ومن قال السري هو النهر استشهد بما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال ضرب عيسى او جبريل بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس
وقيل انه كان هناك ماء جار والاول اقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يشعر بالحدوث
في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكر ذلك تعظيما لشانها وذلك لا يثبت الا على الاول قوله واميلي
اليك اشارة الى ان الهز بمعنى التحريك لا يتعدى بالى فضمن معنى الامالة بل يتعدى بنفسه فالباء
زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتقدير حركي جذع النخلة مميلة
ذلك اليك قوله او افعلي الهز والامالة به على ان ينزل الفعل المتعدي منزلة اللازم للمبالغة على
طريق قولهم فلان يعطي ويمنع ثم يعدى كما يعدى الفعل اللازم فتكون الباء للظرفية فلا تكون
زائدة بل تكون للتعدية كما في قول الشاعر فان تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها الى الضيف يجرح في
عراقيبها نصلي فانه جعل الجرح لازما ثم عداه بفي اراد بذي ضروعها اللبن الذي يكون في الضرع
والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ ويجرح جواب الشرط ونصلي فاعله

والمراد بالنصل السن والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن بسبب المحل وخلو الارض من الكلا اذبحها للضيفان قوله او بهز الثمرة بهزه اى بسبب هز الجذع على ان تكون مفعول الهز محذوفا وتكون الباء للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم فان قيل يتبع الهز والتحريك على الجذع اصالة و على الثمر تبعا فتقدير الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعا والتبع اصلا فلا وجه لارتكابه مع قيام المعنى الصحيح الحاصل بان يجعل الباء صلة لتاكيد التعلق قلنا هز الثمر وان كان تابعا بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان المقصود هو الثمر قوله وحذفها حمزة اى قرا تساقط بفتح التاء و تخفيف السين وفتح القاف والتى اختارها المص تساقط بفتح التاء وتشديد السين بادغام تاء التفاعل فيها وقرا يعقوب يساقط بفتح الياء التحتانية وادغام تاء التفاعل وقرا حفص تساقط على انه مضارع ساقط بمعنى اسقط ذكره الجوهري وقرئ تتساقط باظهار التائين على الاصل وقرئ تسقط ويسقط بضم حرف المضارعة وهى التاء في الاولى والياء في الثانية وسكون السين وكسر القاف من اسقط وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة التى هى التاء في الاولى والياء في الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بتاويله بالنخلة على قراءة التاء فالمجموع تسع قراءات قوله لما فيه من المعجزات اى لم يرد على ايراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة فتناول الكرامة ويحتمل ان يراد انها معجزات لعيسى على ما قيل انه عليه الصلوة والسلام اعطى النبوة في حال طفوليته والا فالوجه ان يكون ذكرا ارهاصا لنبوة عيسى وكرامة لامه لان المعجزة هى الفعل الخارق للعادة الصادرة عمن يدعى النبوة على وجه التحدى ولا دعوى ولا تحدى من احد منهما والارهاص ما يظهر على الانبياء قبل نبوتهم كاظلال الغمام لنبينا صلى الله عليه وسلم في طريق الشام وارتجاس ايوان كسرى ليلة ولد قوله اوس وعصرة على ان يراد بالسرى السيد والاول على ان يراد به الجدول قوله او من القر بضم القاف وهو البرد ويطلق على القرار ايضا والسخنة الحرارة قوله فاما ترين دخلت فيه ان الشرطية على ما الزائدة للتاكيد فادغمت النون فيها وكتبت متصلة بها وترين اصله ترايين حذفت الهمزة كلمعين وقلبت الياء الفا ثم حذفت الالف لاجتماع الساكنين فلما دخلت نون التاكيد سقطت نون الاعراب فاجتمع ساكنان فكسرت ياء الضمير فصار فاما ترين قوله وقرئ ترئن بقلب ياء الضمير همزة على لغة من يقول لبات بالحج اصله لبيت بالحج تلبية اى قلت لبيك اللهم لبيك نية الحج لجريان التاخى بين الهمزة وحروف اللين في الابدال حيث قلبت لين تارة كما في راس ولوم وبير وقلبت حرف اللين همزة اخرى كما في احوه ووافت فلما استحكمت التاخى

بينهما

الايوان الصفة العظيمة والارتجاس الارتعاد

بينهما في الابدال ابدلت ياء ترين همزة من غير ان يكون هناك ما يوجب الابدال قوله صما او صياما لا اشكال ان المعنى فاما ترين من البشر احدا فاسألك الكلام عنه فقولي كذا ولا تكلميهم في امر شيئا فالامساك عن الكلام مراد من الصوم لا محالة وذلك اما بان يكون الصوم عبارة عن الامساك عن الكلام فقط او يكون عبارة عن الامساك عن المفطرات الثلث والكلام جميعا وكل واحد من المعنيين محتمل في الاية فان الصوم في اللغة هو الامساك عن الطعام والكلام قال السدى كان في بنى اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى فعلى هذا يكون النذر بالصوم نذرا بالامتناع عن الكلام قصدا وعلى الاول ضمنا و قوله بعد ان اخبرتكم بنذرى اشارة الى جواب ما يقال لما التزمت الصمت كيف يصح منها ان تقول انى نذرت للرحمن صوما وهذا الكلام منها ينافى ما نذرت به من الصوم وحاصل الجواب انها كانت مامورة بهذا الكلام عند رؤيتها اياهم سائلونها عن سببه لاذنها بالقول لها فقولى وبه تكون ناذرة ويجب السكوت عليها بعد هذا الكلام فهى ليست مامورة بان تنذر في الحال بل مامورة بان تصبر الى ان يأتيها قومها فيسئلوها فتقول لهم حينئذ انى نذرت للرحمن صوما وقيل في الجواب انها ما تكلمت معهم لانها كانت مامورة بان ياتى بهذا النذر عند رؤيتهم فاذا اتت بهذا النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لكانت تاركة للوفاء بنذرها وما تركت بل سكتت واشارت بانها نذرت الصوم فالمراد بالقول في قوله فقولى انشاء النذر بالقول لا جواب القوم واعلامهم بنذرها قوله وانما اكلم الملائكة واناجى ربى مفهوم قوله لن اكلم اليوم انسيا حيث نفت عن التكلم المتعلق بالانس قوله وامرها بذلك يعنى امر الله تعالى بان تنذر الصوم ولا تباشر الكلام مع من يتهمها لوجهين الاول كراهة مجادلة السفهاء فدل ذلك على ان السكوت عن السفيه واجب من اذل الناس سفيه لم يجد مسافها والثانى الاكتفاء بكلام عيسى لكونه كلامه اقوى في ازالة التهمة من كلامها قوله معها ولدها اشارة الى ان به في محل النصب على انه حال من فاعل اتت بها مصاحبة به نحو جاء بثيابه اى ملتبسا بها وقوله حاملة اياه يحتمل ان يكون حالا ثانية من فاعل اتت وان يكون حالا من الهاء في به قوله بعد ما طهرت من النفاس بناء على ما روى عن ابن عباس ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها وانتهى بهما الى غار فادخلهما فيه ومكثوا اربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم اتت به تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على اهلها بكوا وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا ما كان ابوك الخ قوله بديعا من قولهم فلان يفرى الفرى اذا كان يأتى بالعجب في عمله وظاهر اللفظ يحتمل ان يراد انك قد جئت شيئا عجيبا خارجا عن العادة من غير قصد التعيير والذم الا ان المص حمله على الذم

الصديقين وانما بالرابع بل انه على الشيخ نسبت الابنة لانها كانت ... ذات عاجة الابنة

حيث انبه بقوله بيكر القوم لهم صبغتها اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء فان ظاهر هذا القول
التوبيخ قوله وكانت من اعقاب من كان معه ان كانت مريم ممن يعقب هرون النبي عليه
الصلوة والسلام في طبقة الاخوة بان يكون مريم من نسل اخت هرون او اخيه وقيل ليست
من نسل اخت هرون او اخيه بل كانت من نسل غيره وانما قيل لها اخت هرون هو بمعنى يا واحدة
من قبيلة هرون بان يراد بهرون القبيلة التي هو ابوهم كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم و
همدان اسم قبيلة قوله او لما راو قبل من صلاحها عطف على قوله تهكما بمعنى انهم شبهوها بالرجل
الصالح المسمى بهرون وسموها باسمه اما على سبيل الاستعارة التهكمية المبنية على تشبيه احد
الضدين بالآخر بجامع الضدية تنزيلا للتضاد منزلة التناسب لواسطة التهكم او على سبيل
الاستعارة التحقيقية على معنى كنت عندنا مثله في الصلاح قوله او شبهوها به عطف على قوله
شبهوها به الاول تشبيه لعنوان هو رجل صالح والثاني تشبيه لعنوان طالح والمعنى انت في الحال مثله
وبذاء الشخص بان يقال له يا شبيه الفاسق سبب له روي انه كان في بني اسرائيل رجل
صالح يسمى هرون ينسب اليه كل من عرف بالصلاح وذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون
الفا كلهم يسمون هرون تبركا به باسمه قوله وصبيا حال وليس بخبر كان لان كان الزائدة لا تنصب
الخبر والمعنى كيف نكلم من استقر في المهد حال كونه صبيا وقيل كان تامة بمعنى وجد وصبيا حال من
الضمير فيه وقيل انها دائمة اي ناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي
من غير تعرض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها بمعنى لم يزل ولفظ كان يفيد تقييد مضمون الجملة
بالزمان الماضي مطلقا الا ان المراد منه في الاية الزمان القريب بقرينة المقام والمعنى كيف
نكلم من كان بالامس وقريبا من هذا الوقت في المهد وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبي
به عليه الصلوة والسلام لم يبرح بعد عنه ولو قيل من هو في المهد لم يكن فيه تلك المبالغة من
حيث ان السابع كالشاهد على ذلك قوله او بمعنى صار اي كيف نكلم من صار في المهد صبيا
وصبيا على هذا خبرها قيل المهد حجر امه لما روي انها اخذته في خرقة فاتت به قومها فلما راوها قالوا
لها ما قالوا والمهد يطلق على المقر مطلقا كما في قوله تعالى وجعل لكم الارض مهدا وقيل هو مهد الصبي
اي كيف نكلم صبيا سبيله ان ينام في المهد ومن اهله وان لم يكن في تلك الحالة موضوعا فيه
فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم اجيب بان جبرئيل او عيسى نادى من تحتها الا
تحزني وامرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالتنبيه لها على ان المجيب هو عيسى او
لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او بالوحي اليها على سبيل الكرامة لها قوله والرد على من يزعم
ربوبيته بمعنى ان الحاجة في ذلك الوقت وان كانت الى دفع تهمة الزنا عن امه الا ان الله

سوء ساير الناس
علم

روي انه صلى الله عليه وسلم
قال تكلم في المهد اربعة
ما كان انسان ابن فرعون و
شاهد يوسف وصاحب جريج
وعيسى والمراة التي اخرجوا
في الاخدود تمت

ان الله انطقه اولا بما يدل على نفي العبودية لله عز وجل لئلا يتخذه النصارى
الها كما انه تعالى جعل ازالة التهمة عن ذاته المقدسة اولى من ازالة التهمة عن مريم فلذلك انطقه
اولا بما يتكلم بقوله اني عبد الله قوله تنبأ عاملا له بحيث ينتفع اصحاب الآفات بسبب دعائه
فانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق
فان ضلوا فمن قبل انفسهم لا من قبله قوله وامرني بالصلوة تفسير لقوله واوصاني بالصلوة و
الزكوة لا يدل على انه تعالى اوصاه بادائهما في الحال بل بلوغه حد التكليف وحصول شرائط الوجوب
والاداء ولا يبعد ان يجعله الله تعالى كما انفصل عن امه فوق التركيب كامل العقل بحيث يمكنه اداء
الصلوة والصلوة مع صغر جثته وبتبائه وبتوبته الكتاب وسائر ما خص به من الفضائل بل
هو الاوفق لقوله ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حيوته تدل
ايضا على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة
اخرى قوله ولم يجعلني جبارا شقيا من فرط تكبره لما كان المقصود من عطف هذه الجملة على
ما قبلها تاكيد مضمون ما قبلها كان المعنى وجعلني بارا خاضعا متواضعا لامي ولم يجعلني عاتيا
متكبرا مضيعا للحقوق والدي التي تاكد حقها البار بها مقام الوالدين الا انه عليه الصلوة والسلام
عبر عن هذا المعنى بما يستلزمه وهو كونه جبارا شقيا في علم الله لكون الكناية ابلغ من التصريح
قوله والتعريف للعهد والمعهود هو السلام المذكور في قصة يحيى وهو قوله تعالى وسلام يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا فالمعنى والسلام الموجه اليه في المواطن الثلثة متوجه الي ايضا
لكن كون السلام المعين الذي توجه الى يحيى يستحيل ان يتوجه الى شخص اخر وغاية الامر
ان يتوجه اليه مثله وهو غير معهود بل ليس ذلك المتوجه الى يحيى ايضا معهودا لابني عيسى وبين
قومه اذ لم يجر بينهم ذكره ومن حق المشار اليه بلام العهد ان يكون معهودا بين المتكلم و
المخاطب فكان حمل اللام على العهد خفيا والاظهر ان يحمل على الجنس والتعريض باللعنة على
من اتهم مريم بالزنا ووجه كونه للتعريض ان اللام للجنس فلما قال وجنس السلام على اصالة
وعلى اتباعي تبعا فقد عرض بان ضد ذلك على من عاداه روي عن عيسى انه قال ليحيى انت
خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن فقال ان تسليمه على نفسه تسليم الله
عليه لانه انما فعله باذن الله قال الامام واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى تكلم
في زمان الطفولية واحتجوا عليه بان هذا من الوقائع العجيبة التي تتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت
لنقلت بالتواتر ولو كان كذلك لعرفه النصارى لا سيما وهم اشد بحثا عن احواله واشد الناس
غلوا فيه حتى زعموا كونه الها فلما لم يعرفه النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عن احواله

ولان التكلم بازالة هذه
التهمة عن الله تعالى يفيد ازالة
التهمة عن الام لان الله سبحانه لا يخص
الفاجرة بمثل هذه الدرجات
العالية والرتبة المعظمة و
التكلم بازالة التهمة عن الام
لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى
فكان الاشتغال بذلك اولى كذا

وتحقيقه ان اللام للاستغراق
فاذا قال والسلام علي فكانه
قال وكل السلام علي وعلى اتباعي
فلم يبق للاعداء الا اللعن
كذا

علمنا انه لم يوجد ولان اليهود اظهروا عداوته لما اظهر ادعاء النبوة فلو انه عليه الصلوة و
السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه اشد ولكان قصدهم قتله
اعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا انه ما تكلم واما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على
انه تكلم بانه لولا الكلام الذي دلهم على براءة امه من الزنا لما تركوا اقامة حد الزنا عليها ففي تركهم
لذلك دلالة على انه تكلم في المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان الحاضرون عند كلامه
قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثاني بقولهم لعل اليهود ما حضروا وما ذكروه وما سمعوا الكلام
وانما سمع كلامه اقاربه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله انتهى كلامه قوله وهو تكذيب لهم فيما
يصفونه من انه ابن الله او هو الله او ثالث ثلثة ووجه التكذيب انه تعالى اشار اليه عليه الصلوة
والسلام بقوله ذلك اي ذلك الموصوف بهذه الصفات المذكورة بقوله اني عبد الله آتاني الكتاب
الى اخره عنه بانه عيسى بن مريم ونص على انه ولد هذه المراة وقد ذكر قبل انه لما انتبذت
مكانا شرقيا ارسلنا اليها روحنا فوهب لها غلاما زكيا بان نفخ في جيبها فحملته ووضعته
عند جذع النخلة وهذه المذكورات توصيف له عليه الصلوة باضداد ما يصفه النصارى به فهو
تكذيب لهم بما يكون برهانا على كذبهم فهو ابلغ من ان يقال لهم كذبتم فيما وصفتموه به قوله ثم عكس
الحكم فانهم حكموا بانه عليه الصلوة والسلام هو الله او ابنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من
ولد صرح بنفي الولد عنه واحاله اي لا يصح له ذلك ولا ينبغي بل يستحيل واكده بقوله سبحانه ثم بين
استحالته ذلك بقوله اذا قضى امرا فان قضى ههنا بمعنى خلق كما في قوله فقضيهن سبع سموات والمراد
انه اذا اراد خلق شيء فلما اراده تكون من غير توقف على سبب وآلة ووجه الدلالة ان من كان
شانه ذلك كان منزها عن اتخاذ الولد لاحتياجه الى الانثى قو والاضافة للبيان اي هي
من اضافة الموصوف الى صفته اي القول كقوله وعد الصدق والمحكوم عليه بانه القول
الحق هو القول بان عيسى ابن مريم او تمام قصة مريم الى هنا قوله ومعناه كلمة الله اي معنى
قوله قول الحق سواء كان صفة عيسى او بدلا منه او خبرا بعد خبر كلمة الله على ان الحق اسم الله تعالى
فلا فرق بين قولنا عيسى كلمة الله وبين عيسى قول الحق وسمي عيسى قولا كما سمي كلمة لانه انما
يكون بكلمة كن ونشأ عنها فسمي المسبب باسم سببه قوله على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة
التي لا تحتمل غيره اي اقول قول الحق كقولك هذا عبد الله الحق وقولك رجع القهقرى المصدر في كليهما
مؤكد لا يحتمل غيره الا ان المحتمل في الاول جملة وفي الثاني مفردا يعني مجرد الفعل مع قطع النظر
عن نسبته الى الفاعل وذلك لا فعلته البتة من قبيل الاول اي قطعت بالفعل وجزمت به
قطعة واحدة اي ليس فيه تردد بحيث اجزم ثم يبدو لي ثم اجزم به مرة اخرى فيكون قطعتان
او

او اكثر بل هو قطعة واحدة لا يثنى فيها النظر ويحتمل ان يكون منصوبا على المدح ان جعل القول
بمعنى الكلمة والحق من اسماء الله تعالى قال صاحب الكشاف ثم انه تعالى بين استحالة اتخاذ الولد
على الله تعالى بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها عن شبه الحيوان
الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك
بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل انتهى قوله من موصولة صلتها اذا اراد الخ قوله
اذا اراد شيئا تفسير لقوله تعالى اذا قضى وقضى بمعنى خلق ومعنى قضى امرا اراد قضاء امر اي
خلقه وايجاده كقوله تعالى اذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته فالمعنى اذا اراد ايجاد شيء فلما
اراد تكون لا محالة ولا يتوقف تكونه على اسباب وادوات وقوله تعالى كن عبارة عن نفاذ قدرة
الله تعالى ومشيئته في الممكنات فان تعلق الارادة الازلية بالمراد من حيث كونه موجبا لوقوعه
يجري مجرى الامر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الارادة به يجري مجرى امتثال المامور
المنقاد لاوامر مولاه فعبر الله تعالى عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة التمثيلية
ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا احدث شيئا قال له كن وهذا ضعيف لانه
تعالى اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه فان كان الاول كان ذلك خطابا مع المعدوم و
هو عبث وان كان الثاني فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاي تاثير لقوله كن فيه
ومنهم من زعم ان المراد بقوله كن هو التخليق والتكوين وذلك لان القدرة على الشيء غير و
تكوين الشيء غير فانه تعالى قادر في الازل وغير مكون في الازل ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا
العالم وغير مكون لها فالقادرية غير المكونية والتكوين ليس هو نفس المكون لانا نقول المكون
انما حدث لان الله تعالى كونه واوجده فلو كان التكوين نفس المكون لكان قولنا المكون انما
وجد بتكوين الله تعالى بمنزلة قولنا المكون انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير
المكون فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين قوله سبق تفسيره وهو ان المقصود من
هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق وهو الاستكمال بحسب كل واحد من القوة النظرية والعملية و
ان يجعل الاستكمال بحسب القوة النظرية اصلا يتفرع عليه الآخر فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد
الحق الذي عمدته الاعتقاد بوجود الاله المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال ووحدته فقال
ان الله ربي وربكم وفرع عليه الاستكمال بحسب القوة العملية الكائن بملازمة الطاعة التي هي الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهي فقال فاعبدوه ثم ان قائل وان الله ربي وربكم لا يصح ان يكون هو الله
فتعين احد القولين الاول ان قائله هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد ان الله ربي
وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من مريم والثاني ان قائله هو عيسى وان الواو في وان

الله هو ربي لعطف ما بعدها على قوله اني عبد الله اتاني الكتاب وفيه ضعف لانه يقتضي و
قوع قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله كن فيكون وهو كلام الله تعالى اعتراضا بين كلامي
عيسى والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرأ وان الله بفتح الهمزة بناها على حذف
حرف الجر متعلقا بما بعده والتقدير ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا اي ولان المساجد لله فلا تدعوا واللام متعلقة بلا تدعوا والتقدير فلا تدعوا
مع الله احدا في المساجد لان المساجد لله تعالى فعلى هذا يجعل ما بعد الفاء السببية فيما قبلها
بخلاف الجزائية وقيل في وجه هذه القراءة انه معطوف على الصلوة في قول عيسى واوصاني
بالصلوة بتقدير الباء المتعلقة باوصاني والتقدير واوصاني بالصلوة وبان الله ربي و
يؤيده ما في مصحف ابي وبان الله ربي باظهار الباء الجارة وهذا القول ضعيف لكثرة
الفواصل بين المتعاطفين ولا يؤيده ظهور الباء في مصحف ابي لانها باء السببية والمعنى
وبسبب ان الله ربي وربكم فاعبدوه فهي كاللام ومن قرأ وان بكسر الهمزة جعله كلاما
مستانفا ويؤيدها قراءة ابي ان الله بكسر الهمزة بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على
وصف الربوبية في قوله تعالى هو ربي وربكم فاعبدوه يدل على انه انما يلزمنا عبادة الله لكونه
ربا لنا ومنعما علينا بانواع النعم لما تقرر من ان ترتيب الحكم على الوصف المناسب يشعر بالعلية
لا سيما اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة
صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق من حيث انه يؤدي الى الجنة قوله اليهود والنصارى
قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار والنصارى
يختلفون فيما بينهم في شانه قال قتادة اجتمع بنو اسرائيل بعد ما رفع عيسى عليه الصلوة و
السلام الى السماء فاخرجوا منهم اربعة نفر فاخرج كل قوم عالمهم فاختلفوا في شانه فقال
احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيى من احيى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم
اليعقوبية فقالت الثلثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه فقال هو ابن الله اظهره
ما شاء ثم رفعه الى السماء وهم النسطورية فقال له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين منهم
للاخر قل فيه فقال هو ثالث ثلثة الله اله وامه اله وهو نفسه اله ثالث وهم الاسرائيلية
ملوك النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله وكلمته وهو المسلم الموحد قال اما تعلمون
ان عيسى عليه الصلوة والسلام كان يطعم وينام وان الله تعالى لا يجوز ذلك عليه فخصمهم وكان
لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهروا على المسلمين منهم قوله من شهود يوم عظيم
هو ان يعني ان مشهد اما من الشهود بمعنى الحضور او من الشهادة واياما كان فاما ان يكون
مصدرا

مصدرا ميميا او اسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة فالمراد اما الشهادة عليهم او شهادتهم
في حق عيسى عليه الصلوة والسلام فهذه ستة اوجه واضافة مشهد الى يوم في الجميع بمعنى في كضرب
اليوم قوله اومن وقت الشهود او من مكانه فيه اي من زمان شهودهم هول الحساب في يوم
القيمة او من مكان شهودهم اياه في ذلك اليوم قوله وقيل هو ما شهدوا به فقيل المراد بالمشهد
الماخوذ من الشهادة ما شهدوا به في حق عيسى وامه لا ما شهد به عليهم الملائكة والانبياء و
جوارحهم وعلى هذا ان كان المشهد مصدرا ميميا يكون المعنى ويل لهم من عقوبة شهادتهم
في حقهما في ذلك اليوم ولا وجه لان يكون اسم زمان او مكان لان الاشكال بعيد وعلى تقدير جعله
مصدرا ميميا وان كان يصح المعنى الا ان المص لم يرض به لان تخصيص المشهود به بما شهدوا
به في حق عيسى وامه لا يناسب التعبير عنهم بقوله الذين كفروا فانه يشعر ان استحقاقهم للويل
لعلة عطلهم الكفر قوله تعجب فان التعجب له صيغتان احدهما ما افعله والثاني افعل به فقوله تعالى
اسمع بهم وابصر معناه الفظا ما اسمعهم وما ابصرهم والتعجب على الله تعالى محال لانه استعظام
الشيء فان المتكلم بكلمة التعجب يقتضي ان يكون المتكلم متعجبا بحسب الاحتمال العقلي مع
الجهل بسبب عظيم فلا يتعجب الا من يجوز عليه الجهل فذكر لتوجيه هذه الصيغة في هذا المقام ثلثة
اوجه الاول ان يرجع التعجب الى العباد والمعنى ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب
منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا والثاني انه ليس المراد التعجب بل المراد التهديد بما يسمعون
ويبصرون يومئذ مما يسوءهم فعلى الوجه الاول متعلق الاسماع والابصار منسي ليعم كل
ما يصح ان يسمع ويبصر وعلى هذا الوجه هو منوي وهو ما يسوءهم ويصدع قلوبهم والثالث
ان هذه الصيغة وان اشتهر استعمالها في معنى التعجب الا انها في الاصل لفظ امر واستعملت ههنا
في اصل معناها والمامور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم مواعيد
ذلك اليوم والباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم قوله والجار والمجرور على الاول
اي على ان يكون هذه الصيغة للتعجب على احد الوجهين في موضع الرفع على الفاعلية وذلك
لان اكرم بزيد مثلا اصله اكرم زيد اي صار زيد ذا كرم كاغد البعير بمعنى ذا غدة الا انه اخرج
لفظ الماضي الذي معناه الخبر على لفظ الامر كما اخرج على لفظ الخبر ما معناه الامر او الدعاء
كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والمراد الامر وقولنا رحمه الله والمراد الدعاء والباء
زائدة زيادة لازمة اصلاحا للفظ لانه لو لم تزد الباء لكان ما هو على لفظ الامر الحاضر
مسندا الى الاسم الظاهر وقد تقرر ان فاعله لا يكون الا ضميرا مستترا وللتنبيه على نقله الى معنى
انشاء التعجب فالباء زائدة في المرفوع كما في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا فيكون الجار والمجرور

قوله تعالى اسمع بهم وابصر فيه قولان احدهما ان لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر فالمعنى ما اسمعهم وابصرهم يوم القيمة سمعوا وابصروا حين لم ينفعهم ذلك لانهم شاهدوا من امر الله ما لا يحتاجون معه الى النظر والفكر فعلموا الهدى واطاعوا هذا قول الاكثر والثاني انه اسمع بحديثهم اليوم وابصر كيف يصنع بهم يوم ياتوننا قاله ابو العالية ويحتمل وجها ثالثا اسمع ايها النبي اخبرنا من حالهم فستبصرهم يوم القيمة ما نصنع بهم قاله الماوردي
تمت

في موضع الرفع على الفاعلية قوله ويتجلّ على اغفالهم بانه ضلال بيّن فإن لكن استدراك عن قوله
اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا فالمعنى لكنهم اليوم صم عمي لا يسمعون ولا يبصرون وعبّر عن اغفالهم
بهذا بالضلال المبين قوله يوم يتحسّر الناس الظاهر ان يوم الحسرة مفعول انذرهم لا ظرف لانه ليس
المعنى انذرهم في هذا اليوم اذ الانذار لا يكون الا في دار التكليف وانما المعنى انذرهم من هذا اليوم
وما يقع فيه مما لا تطيق لسماعه الآذان ولا يسع لتصوّره الاذهان ويوم الحسرة قيل هو يوم
الموت وقيل هو يوم القيمة وقيل هو حين يذبح الموت وقيل هو حين يخرج آخر فريق من المسلمين من
النار ثم نشترط انّا او كل هذه الايام يصدق عليه انه حين قضي الامر اي انتم وامضى وفرغ منه
فان يوم الموت قد صار الامر بحيث لا ابتداء له ويوم القيمة يستقر كل احد في مقره الذي هو موضع
الخلود وحين يذبح الموت ينقطع ما يؤمله الكافرين انتهاء عذابهم بطريان الموت عليهم كما ينتهي
عذاب الدنيا بذلك وحين يخرجهم يتم الامر وينقطع الامل وكذلك حين اخرج المؤمنين والظاهر ان
الموت يعرض لا يتحقق حين ما حيوانا فالمراد بذبحه بمنظر العرتيين اعلامهما انه لا موت بعد ذلك
البتة وطريق الاعلام غير معلوم لنا قوله متضمنة للتعليل اي تعليل الامر بالانذار فان الحال
وصف لذي الحال ومعلوم ان تعقيب الامر بالوصف يشعر بعليته قوله يملك ولا يملك الملك بالضم هو
التصرف في المملكة بالامر والنهي ومنه اشتق الملك على وزن كتف وهو المتصرف بالامر والنهي والملك
بالكسر اختصاص رقبة العين بالانسان بحيث يستفيد منافعها ويتمكن من التصرف
فيها والوراثة الاستقلال بالتملك والتصرف خلافة عن الغير وحاصل الوجه الاول ان الارث
مجاز عن الاختصاص الملكي والملكي بين مقتصرا على الله بحيث لم يبق لاحد على الارض ومن
عليها ملك ولا ملك كما كان يدعي في دار التكليف ان لفلان ملكا ولفلان ملكا وحاصل
الوجه الثاني انه مجاز عن توفي الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك فوضع الوارث للارث
وعلى الوجهين الظاهر ان الارض محمول على العموم لا العهد قوله ملازما للصدق كثير التصديق
يعني ان الصديق من ابنية المبالغة للصادق وكون الشخص مبالغا في الصدق يكون
بحسب الكم وبحسب الكيف ومن لازم الصدق في اقواله وافعاله واخلاقه ولم يصدر عنه الا
ما يطابق الحق والواقع وكذا ايضا تصديقه بجميع ما ورد من عند الله تعالى قولا وعملا
بحيث لم يقع منه توقف ومهلة في قبول شيء مما ظهر له من الحقوق كان مبالغا في الصدق
كما وكيفا فلذلك قال تعالى في حقه انه كان صديقا وقال ايضا وابرهيم الذي وفّى وقال واذ ابتلى ابرهيم
ربه بكلمات فاتمهن والصدق اصل كل فضيلة وملاك كل كمال وخير ولما كان الصديق اعم من
النبي لان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب ان يكون كل صديق نبيا انتقل من ذكر كونه

الصديق لا يسمى به الا اذا اجتمع فيه من كمال صفات الخير بالانفراد يكمل صفات من تلك الخصال بجملته صار بذلك اذا اجتمع فيه جميع ذلك سمي صديقا منه

كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل الترقي قوله اذكر بالاب النصارى فيما زعموا في حق
عيسى عليه الصلوة والسلام بيّن ضلال عبدة الاصنام بالشروع في قصة ابرهيم عليه
الصلوة والسلام فانه كان ابا العرب وكانوا مقرّين بعلو شانه وحقية دينه على ما قال
تعالى بل ملة ابيكم ابرهيم فكأنه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لآبائكم كما تقولون
انا وجدنا آباءنا على امة فمعلوم ان اشرف آبائكم واجلّهم قدرا هو ابرهيم فقلّدوه
في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا في ما اقام من الدليل الدال
على بطلان الشرك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان قوله ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين
العوض والمعوض عنه ويقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء قوله دعاءه الى الحق ونبّه
عليه وتمم دعاءه ثم نشط امور نشاطه وقوله ابلغ احتجاج منصوب على انه مفعول مطلق
للنوع وقوله وارشقه عطف عليه والرشاقة اللطافة يقال رجل رشيق الغزال بطيئه
والركون الميل اليسير والعبادة تقول لم تعبد المراد بها معناه المتعارف وهو غاية التذلل و
الخضوع لمن هو في غاية الفضل والافضال وفي قوله يا ابت لا تعبد الشيطان ليس المراد بها
العبادة بالمعنى المذكور بل المراد بها الطاعة لانهم ما كانوا يعبدون الشيطان بذلك المعنى فوجب
حملها على الطاعة فقوله لا تعبد الشيطان بمعنى لا تطعه فيما وسوس اليك وسوّل لك واشار
المص اليه بقوله ومعلوم ان المطاع للعاصي عاص حيث عبّر عن عباد الشيطان بمطاوعته
فيما امر به واشار الى ان فعولا عصيا بناء المبالغة بقوله ان الشيطان مستعص اي بالغ في
العصيان كانه يطلب من نفسه ان يعصي ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون في عبادتها
كما يقال استعجل لمن بالغ في العجلة بانها تماثيل الكواكب المدبّرة لهذا العالم او انها تماثيل اشخاص معظّمة
عند الله يصلحون لان يكونوا شفعاء عنده تعالى ونحو ذلك من الاعتذارات الفاسدة فما ذكره
ابرهيم عليه الصلوة والسلام في حق التماثيل من انها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن عابدها شيئا
من الاغناء لا يبطل اعتذارهم بحسب الظاهر الا انه عليه الصلوة والسلام احتج عليهم بذلك بناء على انهم
يزعمون ان عبادتها تنفعهم وان طريقهم مقبول مستحسن فبيّن عليه الصلوة والسلام انه لا
منفعة في طاعتها ولا مضرة في الاعراض عنها فان غرض في عبادتها فان قيل لابيه لا تعبد
الشيطان وان الشيطان كان للرحمن عصيا وانما يثبط اباه عما كان عليه على تقدير ان يسلّم ابوه
احدها ثبوت الصانع وثانيها ثبوت الشيطان وثالثها كون الشيطان للرحمن عصيا ورابعها
ثبوت ان عصيانه للرحمن يمنع من ان يطيعه احد في شيء من الاشياء وخامسها ثبوت ان ما
هو عليه من الاعتقاد والعمل مستفاد من طاعة الشيطان ولعل آزر ابا ابرهيم لا يسلم شيئا

فان من كثر منه تصديق الصادق كان كثير الصدق فيكون كثرة التصديق من كثرة الصدق لان المصدق بالشيء لا يوصف بانه صديق الا اذا كان صادقا في ذكر التصديق فلذلك لم يعطف المص قوله كثير التصديق على قوله ملازما للصدق بل جعله تفسيرا للصديق ايضا منه

لا من التاء حتى يلزم اجتماع العوض والمعوض عنه ولا ان التاء عوض حتى يلزم اجتماع عوضين عن معوض واحد وهو ياء الاضافة ههنا وكل واحدة من التاء والالف عوض عنها

ورتبه في الاحتجاج فوقه في نسق كلامه بما اتيت للدلالة على شفقته والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده الى الصواب منه

من هذه المقدمات فكيف يكون الدليل المبني على صحتها حجة عليه وقد حكي عنه انه كان يثبت آلها
سوى نمرود واذا لم يسلم وجود الاله الرحمن فكيف يمكنه تسليم ان الشيطان عاص له ثم بتقدير
تسليم جميع ذلك فكيف يسلم ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعله يقلب ذلك على من
احتج عليه اجاب الامام عنه بقوله الحجة المعول عليها في ابطال مذهب ابيه هو ما ذكره اولا بقوله
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا واما هذا الكلام فانما ذكره لمجرد التخويف والتحذير الذي
يحمله على النظر في الحجة السابقة والتنبه عما كان عليه وبهذا سقط السؤال **قوله** قرينا في اللعن او
العذاب لم يجعل الولي بمعنى الصديق المقابل للعدو لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين ولقوله تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وجعله بمعنى القريب
المشارك في استحقاق اللعن او العذاب في النار بحيث يلي كل واحد منهما صاحبه فيه **قوله**
او ثابتا على موالاته اي على الدخول في جملة اشياعه واوليائه وعدم الخروج عنهم
في زمرة اولياء الله فالثبات على موالاة الشيطان عبارة عن ثبات حكم الموالاة الراسخة
في الدنيا وثباتها بهذا المعنى لا ينافي قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو **قوله** فانه
اكبر من العذاب اي كونه قرينا له او ثابتا على موالاته اكبر من العذاب نفسه جواب عما يقال
رتب الله تعالى كونه وليا للشيطان على مس العذاب بالفاء السببية وهو يستدعي ان يكون
ولاية الشيطان اسوء حالا واعظم عقوبة من مس العذاب نفسه حيث جعل هو موصلا اليها و
جعلت هي نتيجة له والظاهر ان الامر بالعكس فان الموالاة مؤدية اليه وهو نتيجة لها فهو اكبر منها و
تقرير الجواب ان موالاة الشيطان بازاء ما كان مقابلا للرضوان وقد قال تعالى في حق الرضوان
انه اكبر من الثواب نفسه فيكون ما يقابله اسوء حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب الولاية
الشيطان على العذاب نفسه بالفاء السببية وجعلها اعظم محذورا واسوء حالا منه **قوله** وذكر
الخوف والمس وتنكير العذاب جواب عما يقال المقام يقتضي ان يقال اعلم واتيقن لان عذاب
المشرك مقطوع به وان المس والتنكير يدلان على تقليل عذاب المشرك مع ان عذابه عذاب
غليظ واجاب عنه بان ذلك مبني على المجاملة بالجميل وترك التغليظ او على عدم علمه بان
اباه سيموت على الكفر فانه يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواز يمنع القطع في امره
قوله ولعل اقتصاره الخ جواب عما يقال للشيطان وصفان كل واحد منهما يصلح علة للنهي
عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى احدهما بترك سجوده لآدم واستنكافه امره تعالى اياه
بذلك وثانيهما عداوته للانسان قال تعالى فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو فلم اقتصر ابرهيم عليه الصلوة والسلام
من

من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب بثلثة اوجه الاول انه عليه الصلوة والسلام لم يلتفت
الى معاداته لآدم وذريته بل اقتصر من جنايته على ذكر ما يختص منهما برب العزة لعلو درجته
في كونه ربانيا الا ترى انه ما عارفا بالله وبما يليق بشانه فلم ير في جنب ما ارتكبه الشيطان في حق الله جنايته
اجرم بها الثاني ان عصيانه للرحمن ملاك جناياته كلها واصلها الذي يتفرع عليه غيره فان ملاك
الشيء ما يتفرع عليه الشيء ويتقوم به والثالث ان عصيانه مبني على معاداته لآدم من حيث
انه نشأ من حسده لآدم ومعاداته اياه **قوله** وقدم الخبر على المبتدأ جعل قوله اراغب خبرا مقدما
وانت مبتدأ مؤخرا وان جاز ان يكون اراغب مبتدأ لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل
سد مسد الخبر لما هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الفاعل عن
رافعه والثاني انه لا يلزم منه الفصل بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لان قوله
عن آلهتي متعلق براغب فاذا جعل انت فاعلا فقد حصل الفصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف
جعله خبرا واما لو جعل مبتدأ فانه حينئذ يكون اجنبيا غير معمول لراغب ولعل المص اراد بالخبر المحكوم
به وبالمبتدأ المحكوم عليه فان راغب ان جعل مبتدأ لا يكون مسندا اليه بل يكون المسند فاعله
ويكون هو محكوما به مفيدا فائدة الخبر والمعنى انت معرض عن آلهتي وعبادتها **قوله** زمانا
طويلا على ان مليا منصوب على انه ظرف زمان والملاوة مجوز في ميمها الحركات الثلث يقال
اقمت عنده ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة ومضى ملي من النهار اي ساعة طويلة
قوله او مليا بالذهاب عني سليما مطيقا به من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق به قادر عليه
فيكون منصوبا على انه حال من فاعل اهجرني اي اهجر داري او بلدي حين ما تقدر عليه
والا اضربك واثخنك حتى لا تقدر عليه **قوله** واضافته الى الصدق على طريق اضافة
الموصوف الى الصفة فان المراد باللسان ما يوجد من الاثنية بطريق ذكر السبب او ذكر
المحل وارادة الحال وتلك الاثنية لكونها صادقة لا كذب فيها توصف بالصدق مبالغة كانه
قيل وجعلنا لهم ثناء صادقا بذكرهم الامم كلها الى قيام الساعة بما لهم من الخصائل المرضية
ويصلون على ابراهيم وعلى آل ابرهيم في الصلوات الى قيام الساعة وعلو تلك الاثنية
عبارة عن استمرارها وعدم انقطاعها الى قيام الساعة فالكلام نشر على ترتيب اللف
قوله ولذلك او ولكون الانباء مترتبا على الارسال في الوجود سواء كان الارسال
نفس النبي او ارسال من سواه تقدم فان الرسول هو الذي انزل عليه الوحي والكتاب والنبي
نبي يخبر عن الله ولو لم يكن له كتاب سواء نزل عليه او على من قبله فكل رسول نبي من غير
عكس مع اختلافهما في ان كل واحد منهما صاحب وحي اي موحى اليه **قوله** من اليمين

لانه يجوز الابتداء بالنكرة لاعتماده على الهمزة

التأخير

موسى نوع ان الايمن صفة للجانب والمراد بالجانب الايمن يمين موسى عليه الصلوة
والسلام لان الطور جبل بين مصر ومدين وليس للجبل يمين ولا يسار فوجب ان يكون
اليمين راجعا الى يمين الذي يأتيه والمعنى وناديناه من الجانب الذي كان على يمين موسى
وهو متوجه الى الطور واضيف الجانب الايمن الى الطور للملابسة قوله شبهه بمن قربه
الملك لما كان الاصل في القرب المكاني ولا تصور القرب المكاني بالنسبة الى الله تعالى جعل
التقريب مجازا عن التشريف والتكريم شبه تشريف الله تعالى اياه بان كلمه بما لم يكلم به غيره
وناجاه بحيث لم يطلع على ذلك غيره بتقريب الملك بعض خواصه لمناجاته فاطلق اسم
التقريب عليه استعارة اصلية وسرت الاستعارة الى المشتق تبعا قوله من النجوة والنجاء
النجوة والنجاة المكان المرتفع الذي تظن انه نجاؤك لا يعلوه السيل قوله صرير القلم اي صريره
وصوته يقال صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت وصر البكرة صريرا عند الاستقاء
وكذلك صرير الباب وصرير ناب البعير وفي الكشاف حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التورية
في الواح التورية كتبت قبل خلق آدم باربعين سنة على ما في الحديث الصحيح الوارد
في شان محاجة آدم وموسى عليهما الصلوة والسلام وكتبها في اللوح المحفوظ
اقدم واقدم فلعل الكتبة التي سمع موسى صرير قلمها كتبة ثالثة ولا يبعد قوله فانه كان
اسن على تقدير المضاف في قوله معاضدة لان هرون لما كان اسن من موسى لا يكون
نفس هرون موهوبا لموسى لان الموهوب يجب ان يكون اقل سنا من الموهوب له كما في قوله
تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب قوله وعد الصبر على الذبح فوفى ويروى عن ابن عباس انه
وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة ويروى ان عيسى عليه الصلوة والسلام
قال له رجل انتظرني حتى آتيك فقال عيسى نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد ثم جاء لحاجته الى ذلك
المكان وعيسى هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل
الميعاد فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد الميعاد الى
اي وقت ينتظر قال ان واعده نهارا فكل النهار وان واعده ليلا فكل الليل قوله اشتغالا
بالاهم تعليل للابتداء باهله في الامر بالعبادة البدنية والمالية فان المقصود من ذكر الاحكام
المقيدة ليس بيان نفس صدور الفعل من فاعله بل المقصود بيان كونه متقيدا بالقيد المذكور
فالمقصود بقوله تعالى وكان يامر اهله بيان انه عليه الصلوة والسلام يبتدئ باهله لانهم اقرب الناس
اليه في الامر بالعبادة لكون تكميلهم اهم بالنسبة اليه لكثرة حقوقهم عليه بالنسبة الى حقوق سائر
امته فيكملهم اولا ويجعلهم قدوة لمن سواهم ولم يرض بما قيل من ان المراد باهله جميع امته الذين

الوزر الاثم والثقل والوزير الموازر كالاكيل بمعنى المؤاكل لانه يحمل عن الملك وزره اي ثقله نحو اعباء الملك واثقاله منه

وسئل ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا وعد في وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى

هم قبيلة جرهم فانه عليه الصلوة والسلام كان رسولا اليهم لانه خلاف الظاهر قوله وهو
سبط شيث اي من نسله وولد اولاده فان ادريس هو اخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن
قينان بن انوش بن شيث بن آدم وينتهي اليه نسب نوح عليهم الصلوة والسلام
فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ الذي هو ادريس وكان خياطا واول من خاط الثياب
يلبسها وكلما ادخل ابرة في ثوب قال بسم الله واذا اخرجها قال الحمد لله وكان من قبله يلبسون
الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار قوله يعني شرف النبوة يعني قيل المراد بالمكان العلي
رفعة المكانة والمنزلة عند الله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع حسا وذلك المكان اما
الجنة واما السماء ومن قال بالاول قال انه اذيق الموت ساعة ثم احيي ثم ادخل الجنة و
لم يخرج منها فهو حي هناك لا يموت بعد واختلف الذين قالوا انه في السماء انه حي في السماء
ام ميت فقيل هو ميت وقيل حي وقيل اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض الخضر
والياس واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهم الصلوة والسلام وقصة ادريس
اخر القصص ثم انه تعالى اثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الانبياء بالثناء الشامل لهم بعد
ما اثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الثناء قوله بيان للموصول يعني ان كلمة من في قوله
من النبيين بيانية لان المنعم عليهم يجوز ان يكون نبيا وغير نبي والانبياء كلهم منعم عليهم
والخاص يبين العام وحملها على التبعيض باطل لان المنعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم الا ان
المنعم عليهم بعض من ذرية آدم فجاز ان تكون من الثانية للتبعيض كما جاز ان تكون
~~الثانية آدم فجاز ان تكون من الثانية للتبعيض~~ للبيان بدلا من البيان الاول اخبر
الله تعالى عن الانبياء المذكورين في هذه السورة اولا ووصفهم بان الذين انعم الله عليهم وبينهم
بقوله من النبيين فوجب ان يحمل تعريف الموصول على الجنس كما في قوله تعالى ذلك الكتاب
او ان يقدر مضاف بان يقال اولئك بعض الذين انعم الله عليهم من النبيين وجمعهم في هذه
العامة ثم جمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بانهم من ذرية من حمله الله تعالى في
السفينة مع نوح وقال وممن حملنا مع نوح والذي اختص بكونه من ذرية آدم من غير ان
يكون ممن حمل مع نوح هو ادريس فانه كان سابقا على نوح كما مر من انه جد ابي نوح واسمعيل
واسحق ويعقوب من ذرية ابرهيم كما قال ومن ذرية ابرهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد اسرائيل
وهو يعقوب النبي وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام كما قال تعالى واسرائيل
عطفا على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكلهم من ذرية آدم ولكن جعل من قرب من آدم من
ذريته وجعل من بعد منه من ذرية من قرب منه تشريفا لكل واحد باب يتقرب منه قرب الله

وفي جامع الاصول ولد ادريس وآدم حي قبل ان يموت بمائة سنة منه

احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فلهم منزلة
في الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم بين انهم ممن جملة من هدينا هم الى الحق واجتبيناهم
تنبيها بذلك على انهم اختصوا بهذه المنازل بهداية الله تعالى لهم وانه تعالى اختارهم للرسالة وقوله تعالى
وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والمعنى على الاول انعم الله عليهم من النبيين
وممن هدينا واجتبينا وعلى الثاني انعم الله عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم و
بعض من حملنا مع نوح وبعض هدينا قوله والبكي جمع باك على خلاف القياس والقياس
في جمع اسم الفاعل من الناقص ان يجمع على فعلة نحو قاض وقضاة ورام ورماة ولم يجمع بكاة
في جمع باك بل المستعمل في جمعه بكي واصله بكوي مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ومن قال
في بكيا انه مصدر [illegible] لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه وسجدا حال مقدرة
لانهم حال الخرور ليسوا ساجدين والمراد بآيات الله تعالى ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة
عليهم مما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والمعنى ان الانبياء المذكورين
مع ما انعم الله عليهم بانواع النعم كان شانهم اذا تتلى عليهم آيات الله وكتبه المنزلة عليهم
يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وخوفا وطمعا ثم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء
بصفات المدح ترغيبا لنا في التأسي بطريقتهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف
من بعدهم خلف اي جاء بعد هؤلاء الانبياء خلف من اولادهم يقال خلفه اذا عقبه ثم قيل
في عقب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا في ضمان الخير وعد وفي
ضمان الشر وعيد قال الشاعر خلفت خلفا ولم تدع خلفا ليت بهم كان لا بك التلفا
قوله كشرب الخمر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا
الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب قوله وركب المنظور
اي الفرس والبغل لا للحج بل لاجل ما ينظر اليه قوله كقوله فمن يلق خيرا قابل الغي
بالخير فدل به على انه اراد بالغي الشر وما قبل البيت اني حلم اصبحت تنكت واجما
قد يعتري الاحلام من كان نائما يقال نكت في الارض اذا جعل يخط وينقر باصبعه وهو كناية
عن المهتم لان المهتم يفعل ذلك والواجم الحزين يقول اني احلامي اضغاث احلام تصبح حزينا تنكت
في الارض ومن كان نائما يعتريه الاحلام ثم قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن
يغو لا يعدم على الغي لائما اي ومن يفعل الشر لا يعدم من يلومه عليه ومن يغو بالكسر
من غوي بالفتح من غوى يغوي غيا وغواية فهو غاو قوله استثناء الا من تاب وآمن
يدل على ان الآية في الكفرة لانه لا يقال آمن الا لمن كان كافرا الا ان يحمل على التغليظ كما ورد

وقال ابو مسلم المراد الايات التي فيها ذكر العذاب المنزل بالكفار وهو بعيد لان سائر الايات التي فيها ذكر الجنة والنار الى غير ذلك اولى ان يسجد ويبكي فيجب حمله على كل آية تتلى مما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب لان كل ذلك اذا تذكره المتذكر صح ان يسجد عنده ويبكي واختلفوا في السجود فقال بعضهم انه الصلوة وقال بعضهم المراد سجود التلاوة على حسب ما تعبدوا به وقيل المراد الخضوع والخشوع والاظهر يقتضي سجودا مخصوصا عند التلاوة ويحتمل ان يكون المراد سجود القرآن ويحتمل انهم عند الخوف كانوا تعبدوا بالسجود فيفعلون ذلك لاجل ذكر السجود في الآية كبير

كما روي عن قتادة ان المراد بالخلف المذكور في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اليهود
وعن مجاهد انهم النصارى وقيل هم مشركوا العرب وهم اولاد اسمعيل عليه الصلوة
والسلام وقيل الآية نزلت في حق المسلمين الذين يؤخرون الصلوات عن اوقاتها وعلى
قول من حمل الآية على الكفار يكون قوله تعالى الا من تاب وآمن استثناء منقطعا والمعنى الا
من رجع عن كفره وآمن على شرطه وعمل صالحا بعد ايمانه وعلى قول من حملها على المسلمين
يكون متصلا ويكون المعنى الا من تاب عن ذنوبه وداوم على ايمانه فاولئك يدخلون الجنة
فان قيل الاستثناء دل على ان التوبة والايمان والعمل الصالح لا بد منها جميعا لدخول الجنة
والنجاة من النار وهو محل بحث لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلوة او كانت
المرأة حائضا فانه لا يجب عليهما الصلوة والزكوة ايضا غير واجبة وكذا الصوم فهما
لو ماتا في ذلك الوقت كانا من اهل النجاة مع انه لم يصدر منهما عمل فما وجه ترتيب النجاة
على العمل الصالح اجيب بان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تناط بالاعم الاغلب
قوله ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم لفظ شيئا في هذا التركيب منصوب على انه
مفعول به على اقامة المفعول به المنصوب بنزع الخافض مقام الفاعل فان نقص قد
يستعمل لازما وقد يستعمل متعديا الى واحد يقال نقص الشيء نقصا ونقصانا ونقصته
انا وقد يتعدى الى ثان بواسطة حرف الجر فيقال نقصت من زيد حقه وقد ينصب
بنزع الخافض فيقال نقصت زيدا حقه وقد تقرر في النحو انه اذا وجد المفعول به تعين
للقيام مقام الفاعل واذا لم يوجد فالجميع سواء ويجوز قيام المنصوب بنزع الخافض
مع وجود المفعول بدون حرف ذكر في شرح الرضي منع الجزولي نيابة المنصوب
بسقوط الجار مع وجود المفعول به المنصوب بدون حذف الجار كما في امرتك الخير والوجه
الجواز لالتحاقه بالمفعول به الصريح انتهى قوله ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدرية اي شيئا
من الظلم وفي قوله تعالى شيئا منكرا في سياق النفي اشارة الى ان اعمالهم الخير التي فعلوها
في حال الكفر يثيبهم الله تعالى على ذلك مثل الصدقة وصلة الرحم قال محيي السنة في شرح
السنة اذا اسلم الكافر يثيبه الله تعالى على اعماله الخير التي عملها في حال الكفر كما يتجاوز عنه و
يعفو عما فعل في حال الكفر من السيئات قوله وعدن علم لما جعل جنات عدن بدلا من المعرفة
ولا يحسن ابدال النكرة من المعرفة الا موصوفة كما في قوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وايضا
لما وصف جنات بقوله التي وعد الرحمن عباده والا توصف النكرات بالمعارف احتيج الى
تعريف جنات عدن ولا سبيل الى تعريفها الا بتعريف عدن فلفظ عدن ليس فيه شيء من

التعريف سوى العلمية وسوى وقوعه مضافا اليه في العلم فان ما كان مضافا اليه
في العلم لابدان يكون معرفة مثل عبد الله وعبد شمس وعلى علمية عدن اولا يوقوعه
مضافا اليه في العلم لابدان يكون معرفة ~~خلو~~ وثانيا يكون علما للعدن بمعنى الاقامة اي لحقيقة معنى
الاقامة وجنسها فان اعلام الاجناس موضوعة للحقايق الذهنية كاسامة فانه علم للحقيقة الذهنية
الاسدية وكلفظ برة فانه اسم المبرة المعرف بلام الجنس وكذا لفظ عدن فانه علم لمعنى العدن
المعرف تعريف الجنس **قوله** اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم على ان الباء في قوله بالغيب للملابسة
وهو حال من المفعول المحذوف لوعد اي وعدها وهي غائبة عنهم او من المفعول الثاني وهو
عباده **قوله** او وعدهم بايمانهم على ان الباء للسببية بتقدير المضاف وعدها عباده
بسبب تصديقهم بالغيب وايمانهم به **قوله** وعده الذي هو الجنة جعل الوعد بمعنى الموعود
لئلا يحتاج الى جعل الاتي بمعنى الاتي وهو اسم مفعول من اتيته فانه لو جعل الوعد بمعنى المصدر
لا يحتاج اليه لان الوعد بمعنى ياتي ولا يوتى بخلاف الجنة فانها ماتية باتيها اهلها وقيل الوعد بمعنى
المصدر والاتي اسم مفعول على بابه من اتى اليه احسانا اذا فعله والمعنى ان الرحمن كان وعده
لعباده بالجنة مفعولا لا يتخلف الايتاء لخلق في وعده اذا وعد به فهو يكون وان وعدهم بامر غائب
عنهم فذلك الامر كانه حاضر حاصل لهم **قوله** فضول وهو الكلام الذي سبيله ان يلغى ويطرح لخلوه
عن الفائدة نزه الله تعالى داره التي لا تكليف فيها عن مثل هذا الكلام فكيف اذا كان الدار دار
تكليف وجعل الاستثناء اولا منقطعا لان السلام سواء كان بمعنى التسليم او بمعنى القول الذي
لا ينطوي اليهم العيب بسببه ليس من جنس اللغو ثم حمله على الاتصال اما بان يفرض ان
السلام من جنس اللغو ثم يستثنى منه كما فرض كون الفلول من جنس العيب ثم استثنى منه
او لان السلام بمعنى الدعاء بالسلامة لغو ظاهر في حق اهل الجنة لكونها دار السلامة من الآفات
وان لم يكن لغوا في الحقيقة لافادته الاكرام والتعظيم فان اصل السلام الدعاء بالسلامة
قال المبرد السلام دعاء الانسان صاحبه بان يسلم من الافات في دينه ونفسه وتخلص من
المكروه ثم نقل استعماله في الاكرام حتى لا يفهم منه غيره ولهذا لو ترك ند حيك صاحبك على الاهانة
قوله على عادة التنعم جواب عن سوال يقدر وهو ان المقصود من هذه الايات وصف
الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة فما
الوجه في مدح الجنة به واجاب عنه بوجهين الاول ما روي عن الحسن من انه تعالى اراد ان
يرغب كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور من الذهب والفضة ولبس الحرير وهي
من عادة العجم والارائك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت عادة اشراف اليمن ولا

وذكر صاحب الكشاف وجها
اخر لعلمية عدن فقال وهو علم
لارض الجنة لكونها اقامة فلما
كان لفظ عدن علما لارض
جنات عدن معرفة وسقط
كل واحد من الاشكالين
منه

قال الراغب اللغو من الكلام ما لا
يعتد به وهو الذي يورد لا عن
روية وفكر فيجري مجرى اللغا
وهو صوت العصافير ونحوها
من الطيور منه

ولا شي كان احب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك والثاني انه كناية عن اعتدال
احوال اهل الجنة من حيث المطاعم والمشارب فان اعدل احوال المطاعم وبعدها من الضرر هو
التغدي والتعشي وهي عادة محمودة متوسطة بين الزهادة عن الطعام والتفريط فيه بالاكل
في اليوم والليلة مرة وبين الرغابة والافراط وهي الاكل في وجبة بعد اخرى ثم نقل
جوابا ثالثا وهو ان ذكر البكرة والعشي لبيان دوام رزق اهل الجنة لا لبيان ان الرزق
انما يحصل لهم في هذين الوقتين المعلومين كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا
ويراد دوام الحضور عنده في كل وقت فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشي بالنسبة الى اهل الجنة
ولا اصباح ولا امساء ولا ليل ولا نهار بالنسبة اليهم قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
وقال عليه الصلوة والسلام لا اصباح عند ربك ولا امساء بل هم في نور ابدا اجيب بان المراد انهم
ياكلون في مقدار يوم وليلة من الدنيا مرتين مرة في اوله ومرة في اخره لا ان في الجنة غدوة
وعشيا اذ لا ليل فيها قيل يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها وروي ان بين
غدائهم وعشائهم ست ساعات **قوله** نبقيها عليهم من ثمرة تقويهم شبه اعمال المتقي بالمورث
وشبه ثمرة تلك الاعمال ببركة المورث كما ان المورث اذا قضى نحبه يبقى للوارث ماله كذلك
اعمال المتقين تنقضي ونبقي ثمرتها لهم وهي الجنة فعبر عن ابقاء تلك الثمرات لهم بالايراث و
اشتق منه نورث فصار استعارة تبعية ونكتة العدول الى المجاز التنبيه على ان تمليك
تلك الثمرات لهم اقوى وجوه التمليك كانه قيل نملك الجنة اياهم اقوى تمليك والاية تدل على ان
المتقي يدخل الجنة وليس فيها دلالة على ان غير المتقي لا يدخلها وايضا فصاحب الكبيرة يصدق
عليه انه متق لكونه متقيا عن الكفر فيدخلها **قوله** حكاية قول جبرئيل عليه الصلوة والسلام
ولا شك ان قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله تعالى فلا وجه
لعطف هذه الجملة المحكية عليه بل هي معطوفة على ما تقدم من اول السورة الى هنا عطف
القصة على القصة واللازم في مثله تناسب القصتين المتعاطفتين في الغرض الذي
سيق الكلام لاجله وذلك التناسب موجود هنا فان المقصود من ذكر اقاصيص الانبياء
عليهم الصلوة والسلام تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته وهي المقصودة من
هذه الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من اقاصيص الانبياء وذكر بيان ما احدث الخلق
بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم وقال
في حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبرئيل وقول النبي صلى الله عليه
وسلم انك وان اشتقت الي ولكني اليك اشوق الا اني عبد مامور ولا انزل الا بامر الله تعالى عز وجل وتصرف

لان من لم يكن يعرف الا الاعمال البدنية يكون
قال الاسعد الاولى الاعمال لان بسبها ثمرة
على النبات منه

فيما يجب بمشيئته وارادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه وليس احتباسه عنك لاجل
ان ربك ودعك وقلاك كما يقول المشركون وما كان ربك نسيا تاركا لك ولا شك ان في ذكره
زيادة التسلية له عليه الصلوة والسلام **قوله** ثم نزل لبيان ذلك ان ثم نزل جبرئيل لبيان ما
يجيب به لمن سأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها ونزل ح قوله وما نتنزل الا بامر
ربك وقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى **قوله** وقيل
اول الاية وهو قوله وما نتنزل الى قوله وما كان ربك نسيا حكاية قول المتقين بعضهم
لبعض فيكون قوله وما نتنزل الا بامر ربك خطاب بعض المتقين لبعض كانهم لابتهاجهم بما فازوا
من الكرامة يقبل بعضهم على بعض يتبشرون ويقولون وما نتنزل الجنة الا بامر الله وليس خطابا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو كذلك على تقدير ان يكون حكاية قول جبرئيل واما قوله وما كان ربك
نسيا فانه على التقدير ليس خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه على الاول قول جبرئيل وعلى الثاني
قول الله تعالى يخاطب به رسول الله لتقرير القول اهل الجنة وليس من كلام بعض المتقين لبعض حين
يدخلون الجنة لان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما متصل به وبيان لامتناع النسيان
عليه وقوله فاعبده متفرع عليه ولا شك انه من كلام الله لنبيه في الدنيا ويمتنع ان يكون من
كلام بعض اهل الجنة لبعض لان الجنة ليست بدار تكليف فتفريعه على ما قبله يستدعي ان
يكون الكل من كلام الله تعالى **قوله** نسيا تاركا لك فسر النسيان بالترك لان حقيقة النسيان
مستحيلة في حقه تعالى باتفاق اهل الملل جميعا فلو قيل وما كان ربك تاركا لك لفهم انه يصح منه النسيان
الا انه لا يتركك وهو باطل ففسر النسيان بالترك مجازا لانه لازم النسيان **قوله** وانما عدي باللام
يعني ان الظاهر ان يعدى بعلى لاصطبار ربك الا انه لما تضمن معنى الثبات عدي تعديته جعلت
العبادة بمنزلة القرن فقيل اصطبر لعبادته كما يقال للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما
يورد عليك من الشدائد فالمعنى ان العبادة تورد عليك الشدائد والمشاق فاثبت لها ولا تهن
ولا يضق صدرك من احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين واهل الكتاب وما
يلقون اليك من الاغاليط والاراجيف وقرن الرجل كفوه في الشجاعة **قوله** استحقاقا اي مثلا
يستحق ان يسمى الها اي مالوها ومعبودا من اله الاهة بمعنى عبد عبادة وفعال بمعنى مفعول كثير
في كلام العرب نحو كتاب بمعنى مكتوب ولباس بمعنى ملبوس ولفظ السمي وان اشتهر استعماله
بمعنى الشريك في الاسم الا ان تفرده تعالى بالاسم لما لم يكن موجبا للعبادة وللمصابرة عليها
فسر السمي اولا بالمثل والنظير فيما يقتضي العبادة والذي يقتضيها هو كونه منعما باصول النعم و
فروعها وهي خلق الاجسام والحيوة والعقل وغيرها وليس له تعالى شريك في القدرة عليها واذا كان

ضرف الله تعالى اجوبة ما سئل
عليه الصلوة والسلام من
قصة اصحاب الكهف وذكر ذي
القرنين والروح وذكرها
في ثلث سور اودع سؤال
الروح في بني اسرائيل فقال
ويسألونك عن الروح قل
الروح من امر ربي وسؤال
قصة اصحاب الكهف وذي
القرنين فيما يليها من السورة
واودع ذكر استبطاء الاجوبة
في هذه السورة وللاختصاص
اسرار لا يعلمها الا الله تعالى

منه

واذا كان تعالى متفردا بما يقتضي العبادة من اسباغ النعم الظاهرة والباطنة على التوالي
والدوام وجب تخصيصه بالعبادة التي هي غاية التعظيم والاكرام وفسر ثانيا بالسمي لان كلا
واحد من المتماثلين يطلق عليه ما يطلق على الاخر فكان سميا له بهذا الاعتبار ثم جوز ان يكون
السمي المنفي عنه تعالى بمعنى الشريك له في اسم الجلالة الذي عوض فيه الالف واللام عن همزة اله فانه
مخصوص به تعالى لا يشاركه فيه احد غيره **قوله** فان المقول مقول فيما بينهم وفيمن هو من جنسهم
فصح اسناده الى جميعهم وهو جواب عما يقال كيف يصح ان يقال المراد بالانسان الجنس باسره
واسناد هذا القول الى الجميع مع ان كلهم غير قائلين بذلك **قوله** او بعضهم المعهود عطف على قوله
الجنس باسره وانتظام الاية بما قبلها انه تعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة والاصطبار
على مشاقها والحكيم لا يكلف عبده بما يشق عليه الا لحكمة تترتب على العبادة في الدنيا فدل
ذلك على ان فائدتها تظهر في دار مغايرة لدار الدنيا يحشر الخلائق اليها بالبعث والنشور و
لما كان المشركون انكروا ذلك انزل الله تعالى هذه الاية وحكى فيها منكري البعث على وجه الانكار
عليهم فقال ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا ثم اقام الدليل على صحة البعث
فقال او لا يذكر الانسان الخ بتشديد الذال والكاف الا على قراءة نافع وابن عامر وعاصم فانهم
خففوهما وقرئ او لا يتذكر على الاصل والقراءة بالتخفيف اقرب الى اداء المقصود فان المقصود
حمل الانسان على التفكر والنظر في انه اذا خلق من قبل لا من شيء فيجوز ان يعاد ثانيا روي عن
بعض العلماء انه قال لو اجتمع الخلائق باسرهم على ايراد الحجة الدالة على صحة البعث بهذا
الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ونظيره قوله تعالى قل يحييها
الذي انشأها اول مرة وقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه **قوله**
في تقديم الظرف وايلائه حرف الانكار الخ جواب عما يقال المنكر عندهم هو الاخراج حيا اي
الحيوة ثانيا فكان الواجب ان تلي همزة الانكار قوله اخرج حيا لانه هو المنكر وتقرير الجواب انا لا نسلم
ان المنكر هو نفس الاخراج حيا بل المنكر هو كون الوقت الذي بعد الموت وقت الحيوة فان
انكار مجيء وقت يكون فيه الاخراج حيا ابلغ من انكار الحيوة بعد الموت من حيث ان انكاره
يستلزم انكارها وسلوك طريق البرهان فن من البلاغة فلذلك وليت همزة الانكار ذلك
الوقت **قوله** وهي ههنا مخلصة يعني ان لام الابتداء كما تفيد تاكيد مضمون الجملة التي دخلت
هي عليها تخلص الفعل المضارع للحال ايضا كما تخلصه كلمتا السين وسوف للاستقبال فلما
اجتمعت اللام وسوف ههنا تجردت اللام للدلالة على التاكيد وانسلبت عنها الدلالة على الحال
فساغ اقترانها بحرف الاستقبال قال ابن الحاجب في الامالي هذه اللام لام التاكيد وليست لام

لان المراد من التذكر بالتشديد وهو
التذكر المترتب على التفكر
المعلوم بالنقل
هو العلم المسبوق بالتفكر
الطارئة على العلم وسمي علم
الانسان بكونه مخلوقا من
غير شيء تذكرا بناء على ان
ذلك العلم وان لم يكن حاصلا
له من قبل الا انه نزل منزلة
المعلوم المذهول عنه لظهوره
وعدم توقفه على النظر منه

الابتداء والا لوجب ان يذكر معها المبتدأ فان قيل فقدر المبتدأ محذوفا وابق اللام داخلة على
الخبر قلنا ان اللام مع المبتدأ كقد مع الفعل وان مع الاسم فكما لا يحذف الفعل والاسم وتبقى قد وان فكذلك
هذا انتهى وهذا مخالف لما ذكره صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهو
قوله فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ
محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك لانها لا تخلو من ان تكون لام قسم او لام ابتداء فلام القسم
لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة
من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك انتهى
كما خلصت الهمزة واللام فانهما مع كونهما حرفي تعريف جعلتا عوضا عن همزة اله فخلص اجتماعهما
مع حرف النداء الذي يفيد التعريف نحو قولك يا الله اخلصتا للتعويض وبطل عنهما معنى التعريف فان
اجتماع حرف النداء مع الالف واللام من خواص هذا الاسم الشريف فكما ان لام الابتداء تفيد
تاكيد مضمون الجملة فكذا ما تعلق بكلمة ما في قوله اذا ما مت تفيد التاكيد ايضا فكانهم قالوا احقا انا سنخرج
احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الانكار والاستبعاد على ان قولهم احقا عبارة
عن التاكيد المستفاد من لام الابتداء وقولهم حين يتمكن فينا الموت عبارة عن التاكيد المستفاد
من كلمة ما قوله مع ان الاصل ان تتقدمهما يعني ان تقدم الهمزة على حرف العطف بان يقال ايقول
الانسان كذا او يتذكر يدل على ان الكلام لانكار عدم التذكر فقط مع ان القول ايضا منكر وهو
ايضا يستلزم بطلان صدارة الهمزة والاصل ان تتقدم الهمزة على كل واحد من حرف العطف
والمعطوف عليه بان يقال االانسان ولا يتذكر ليفيد الكلام انكار كل واحد من القول وعدم
التذكر وتوسط الهمزة حفظا من الصدارة الا انها وسطت بينهما للدلالة على ان المنكر بالذات
هو عدم التذكر والقول المذكور انما نشأ منه ولو تذكر الانسان النشأة الاولى لما قال ذلك ثم انه
لما قرر ما يدل على صحة الحشر شرع في تهديد منكريه فقال فوربك وفائدة القسم امران الاول
تاكيد الخبر باليمين والثاني تفخيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم فان الايمان الواقعة في
كلام الله انما هي لتفخيم شان المقسم به فلما اقسم الله باسمه المضاف الى نبيه افاد الكلام ان
اضافة الرب اليه عليه الصلوة والسلام له مدخل في استحقاق التفخيم والواو في قوله والشياطين
يجوز ان تكون للعطف ومدخولها على ضمير المفعول في لنحشرنهم وان تكون بمعنى مع قوله هذا الحشر
مع الشياطين وان كان مخصوصا بالكفرة وهو جواب عما يقال كون قوله والشياطين مفعولا معه
ظاهر على تقدير ان يكون تعريف الانسان للعهد والمعهود هم الكفرة واما اذا كان المراد به الجنس
باسره فكيف يستقيم ان يقال في حقهم لنحشرنهم مع الشياطين فاجاب بانه اذا حشر جميع

وذلك لان حروف الصلة كلها انما تزاد لتاكيد مضمون الكلام وبما انضمت الى اللام التاكيد اجتمعت اداتا التاكيد سلمه

جميع الناس حشروا احدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين
كما حشروا مع الكفرة قوله وان كان المراد بالانسان الكفرة الخ بيان لوجه التوفيق بين هذه
الاية وبين قوله تعالى وترى كل امة جاثية بان الثانية في حق اهل الموقف كافة وهذه الاية
ان كانت في حق الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم فلا يكون
جثيا حالا مقدرة لانهم يجثون حال السوق والاحضار كما هم كذلك في الموقف وعند موافاتهم
شاطئ جهنم بخلاف ما اذا فسر الانسان بالعموم فان جثوهم انما هو في الموقف وعند موافاتهم
شاطئ جهنم ولا يستمر جثوهم بل انهم بعد الجثو في الموقف يمشون بارجلهم الى شاطئ جهنم
ثم عند الاحضار يجثون فعلى هذا يكون جثيا حالا مقدرة اي لنحضرنهم مقدرا جثوهم لان جثو
المؤمنين يكون بعد الاحضار وجثيا جمع جاث جمع على فعول نحو شاهد وشهود يقال جثى على ركبتيه
يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما اي سواء كان ناقصا واويا او يائيا وكلاهما لغتان فعلى
الاول يكون اصله جثوو بواوين اولاهما زائدة علامة للجمع والثانية لام الكلمة ثم اعلت
كاعلال عصي ودلي وعلى الثاني يكون اصله جثويا وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر
الجيم اتباعا لما بعدها والباقون بضمها على الاصل والشيعة فعلة كفرقة من شاعه شياعا اي تبعه
وشيعة الرجل اتباعه وانصاره وكل قوم امرهم واحد يتبع بعضهم بعضا فهم شيع ومنه
الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة والمعنى انه تعالى يحضرهم اولا حول جهنم ثم
يميز بعضهم من البعض وينزع اي يخرج ويأخذ من كل شيعة اي من طائفة شاعت
اي وافقت وتبعت غاويا من الغواة من كان اشد عتيا وتمردا والتخصيص باشداد العذاب
لا التخصيص باصل العذاب فان عذاب الضال المضل اشد وافظع بالنسبة الى عذاب من
يضل تبعا لغيره وهذا على تقدير ان يكون الاية في حق الكفرة وان اريد بالانسان
الجنس باسره يكون ذكر الاشد للتنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان قوله وايهم
اختلف في انه معرب او ليس بمعرب فقال سيبويه انه موصول بمعنى الذي فكان حقه ان يبنى كسائر
الموصولات لكنه اعرب من بين الموصولات حملا له على كل وبعض لاشتراكها معهما في لزوم
الاضافة فان اضيفت الى جملة تامة بقيت على اعرابها وان سقط صدر الجملة التي هي صلتها
فقد ازداد نقصها لان الموصولات ناقصة من حيث احتياجها الى الصلة فشابهت بذلك
مبني الاصل فبنيت لذلك واذا سقطت شيء من اجزاء صلتها فقد ازداد نقصها فعادت الى
ما هو الاصل فيها وهو البناء حتى لو لم يسقط شيء من اجزاء صلتها فقيل ايهم هو اشد لاعربت
فعلى هذا ايهم موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل على انها مفعول لننزعن والمعنى لننزعن من كل شيعة

ضمتين ثانيتهما ... يستثقل اجتماعهما مع كسرتين التحقيقين فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء الاولى وكسر الجيم اتباعا لما بعدها ابو السعود

[illegible]

الذين هم اشد على الرحمن عتيا والعتي والعتو التمرد في الشر والعصيان **قوله** والجملة
محكية او معلق عنها لننزعن الخ يعني على تقدير ان يكون اتهم مرفوعا على الابتدا واشد خبره
يكون الجملة في محل النصب على انها مفعول قول مقدر لان القول يحكي بعده كل شيء او على انها مفعول
لننزعن وهو فعل معلق عن العمل وهو احتياجها الى ذلك الصدر المحذوف والتعليق لما كان من
خصائص افعال القلوب احتيج في اعتبار التعليق في لننزعن الى ملاحظة ما في ضمنه من معنى
التمييز اللازم للعلم لان النزع ليس من افعال القلوب وجملة ايهم اشد على كل من التقديرين
واقعة في حيز العامل وهو اما القول المقدر او قوله لننزعن ويحتمل ان يكون مستانفة ويتم
جملة لننزعن عند قوله من كل شيعة بان يكون من كل شيعة مفعولا به لننزعن على زيادة
من على مذهب الاخفش والكسائي فانهما يجيزان زيادة من في الاثبات او على كونها للتبعيض
كما في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اي بعض رحمتنا فلما قيل لننزعن كل شيعة كان سائلا قال
من هم فاستونف وقيل ايهم وقيل ايهم اشد عتيا فهم هم قال ابو البقا قرا الجمهور ايهم
بالضم وفيه قولان احدهما انها ضمة بنا وهو مذهب سيبويه وايهم بمعنى الذي والقول الثاني
انها ضمة اعراب وفيه خمسة اقوال احدها انه مبتدا واشد خبره والجملة محكية بالقول المقدر
والتقدير لننزعن من كل شيعة الفريق الذي يقال فيهم ايهم اشد وهو على هذا استفهام وهو
قول الخليل والثاني كذلك في كونه مبتدا وخبرا واستفهاما الا ان موضع الجملة النصب بقوله
لننزعن وهو فعل معلق عن العمل ومعناه التمييز وهو قريب من معنى العلم الذي يجوز تعليقه
كقولك علمت ايهم في الدار وهو قول يونس والثالث ان الجملة مستانفة واي استفهام ومن
زائدة اي لننزعن كل شيعة وهو قول الاخفش والكسائي وهما يجيزان زيادة من في الموجب
والرابع ان ايهم مرفوع بشيعة لان بمعنى يشيع والتقدير لننزعن من كل فريق يشيع ايهم اشد
عتيا وهي على هذا بمعنى الذي وهو قول المبرد ثم ذكر قولا خامسا وقال في اخره وهذا القول يحكى عن
الفرا وهو ابعد من الصواب **قوله** وعلى للبيان يعني ان كلمة على في قوله على الرحمن والباء
في قوله اولى بها لا يجوز ان يتعلقا بقوله عتيا وصليا لانهما مصدران ومعمول المصدر لا يتقدم
عليه بل هما للبيان كان سائلا قال على من عتي فقيل على الرحمن وقال باي شي صليهم فقيل
بالنار اي عتوا على الرحمن وصليهم بالنار اي فيتعلقان بمحذوف ومعنى كونهما للبيان انه صلة
المصدرين محذوفة وهذان الجاران بدلان عليها وعامل هذين الجارين محذوف بقرينة
المذكور او هما يتعلقان باشد واولى لانهما نعتان صليين لها في قولهم هو اشد على خصمه وهو
اولى بكذا كانه قيل لننزعن من كان اشد على الرحمن عتوه على ان عتيا منصوب على التمييز محول

عن الفاعلية وكذا قيل لنحن اعلم بالذين هم اولى بالنار صليا فقوله لنحن اعلم بالذين
هم اولى بالصلي تفسير على تقدير ان يكون الباء في بها للبيان لانه لما قيل نحن اعلم بالذين هم اولى
صليا بمعنى اولى بالصلي كانه قيل باي شي صليهم فتبين انه بالنار وقوله وصليهم اولى بالنار
على تقدير ان يتعلق الباء بقوله اولى ولو قيل اولى بالنار صليا لكان اظهر الا انه قدم صليهم
للاشارة الى ان التمييز محول عن الفاعلية **قوله** وهم المنتزعون اي المراد بقوله تعالى الذين
هم اولى بها صليا هؤلاء المنتزعون على طريق وضع الظاهر موضع المضمر كانه قيل نحن اعلم
بهؤلاء المنتزعين وبكونهم اولى بالصلي بالنار ثم ان كان ضمير لنحشرنهم للكفرة خاصة يكون
يكون المنتزعون رؤساء الذين يكونون اولى بالنار صليا وان كان الضمير للجنس باسره
يكون المنتزعون والذين هم اولى بالنار اعني الجنس لا اعني الكفرة والله اعلم **قوله** ويجوز ان يراد
بهم وبا بعدهم عتيا الى الاستثناء لجواز ما يقال كيف قلتم ان المراد بهم المنتزعون مع ان الظاهر
ان يراد بهم من هو اولى من بين المنتزعين ويكون المعنى لنحن اعلم من جملة المنتزعين بمن
هو اولى بها صليا فنطرحهم جميعا في النار لكن على الترتيب الاولى فالاولى يعذبون على حسب
استحقاقهم وتقرير الجواب ان ما ذكرته احد الوجهين كما اشرت اليه سابقا بان قلت فالمراد به تمييز
طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ونطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا طبقتها التي تليق بهم
وجوازه لا ينافي هذا الاحتمال **قوله** التفات الى الانسان حيث عبر عن جنس
الانسان باسره او عن المعهود منه بطريق الخطاب بعد ما عبر عنه بطريق الغيبة في قوله ويقول
الانسان وقوله او لا يذكر الانسان فان الاسم الظاهر ينزل منزلة الغائب قال لنحشرنهم حتى الجنس باسره
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم قال في حقهم وان منكم الا واردها الاحد منكم الا واردها فحرف احد والواو
فيه عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها واصل الورود الحضور والقرب من الشيء وان لم يدخله كقوله
فارسلوا واردهم ومعلوم ان ذلك الوارد ما دخل الماء وقوله تعالى ولما ورد ماء مدين واراد به
القرب لظهور ان موسى عليه الصلوة والسلام لم يدخله ويقال وردت القافلة البلدة وان لم تدخلها
ثم انه يطلق على كل واحد من الحضور والدخل كما يطلق القرء على الحيض والطهر واختلف المفسرون
في معنى الورود ههنا فقال ابن عباس والاكثرون المراد ههنا الدخول وقالوا يدخلها البر والفاجر ثم
ينجي الله المتقين فيخرجهم منها روي ان ابن عباس رضي الله عنهما لما فسر الورود ههنا بالدخول خاصمه
نافع بن الازرق فقال ان الشي ولا يدخل فقال ابن عباس يا ابن الازرق اما انا وانت فسندخلها فانظر
هل ينجينا الله منها ام لا فبكى عبد الله بن رواحة وقال لما انزلت نبي منها بان الوارد النار
ولم ينبئني اني صادر عنها فذلك الذي ابكاني وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه اهوى باصبعيه الى

اذنيه فقال صُمّتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر
الا دخلها فيكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم عليه الصلوة والسلام حتى ان للنار او قال
لجهنم ضجيجا من بردها ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا وروي عنه عليه الصلوة
والسلام قال تقول النار للمؤمن يوم القيمة جُز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وقال بعض المفسرين
الورود ههنا الدنو من جهنم وان يحضروا حولها وينتهوا اليها بالقرب منها ليعرفوا فضل النعمة
في خلاصهم لما شاهدوا حال اهل العذاب وقالوا لا يجوز ان يدخل النار مؤمن ابدا لقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها والمبعد عنها لا يوصف بانه وارد
ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها وقال عكرمة الآية في الكفار يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن
عبد الله بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول
النار ثم يمرون على الصراط باعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من
يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجود الخيل ومنهم من يمر كعدو الرجل ومنهم من يمر كاجود الابل حتى ان
اخرهم مرورا رجل نوره على ابهامي قدميه ثم يتكفأ الصراط اي يميل على الصراط والصراط دحض اي زلق
مزلة كحد السيف عليه حسك كحسك القتاد اي عليه شوك كشوك ام غيلان على حافتيه ملائكة
معهم كلاليب من نار يختطفون بالناس فبين مارٍّ ناجٍ وبين مخدوشٍ ناجٍ وبين مخدوش
ومكدوس في النار والملائكة يقولون رب سلم سلم فقول الحسن الا واصلا وحاضرونها اختيار منه
لقول من قال الورود الحضور والقرب قوله كان ورودهم واجبا يعني ان قوله حتما وان كان
مصدرا في الاصل حيث يقال حتم الامر حتما اذا اوجبه الا انه الموجب كما يقال هذا خلق الله
وضرب الامير اي مخلوقه ومضروبه فالحتم بمعنى الامر المحتوم ولذلك وصف بقوله مقضيا وتعلق
به قوله على ربك ولو كان مصدرا لما قدم على معموله قوله وقيل اقسم عليه اي قيل القسم فيه مضمر
اي والله ما منكم من احد الا واردها ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من مات له ثلث من الولد
لم تمسه النار الا تحلة القسم فاراد بالقسم قوله وان منكم الا واردها ولم يرض المصنف بهذا القول
لما تقرر في النحو انه لا يستغنى بالجواب عن القسم لدلالة المعنى عليه الا اذا كان الجواب باللام او بان
والجواب ههنا على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم في مثله قوله فيساقون الى الجنة قال
الامام الواحدي فان اريد بالورود دخول الجنس باسرهم فمعنى تنجيتهم ظاهر وان اريد دخول
الكفرة وحدهم فمعنى قوله ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار
النار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون يعني لا يكون التنجية في معناه هي الخلاص من النار
فان المتقين لما لم يدخلوا النار مع الكفرة كيف يقال انهم نجوا منها حقيقة بل يكون التنجية في معنى

لان حرارة النار ليست بطبعها بل بجعل الله تعالى وارادته فيجوز ان يجعل الله تعالى الاجزاء النارية الملاصقة لابدان الكفار محرقة لها وتجعل الاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين بردا وسلاما كما في حق ابرهيم عليه الصلوة والسلام وفي حق الملائكة الموكلين بالعذاب المجتمعين مع العصاة في النار وقد اشتهر ان الكوز الواحد من الماء كان يشربه القبطي فيصير دما ويشربه الاسرائيلي فيكون ماء عذبا

٤٢٩

بمعنى السوق الى الجنة وكونها بمعنى السوق الى الجنة على تقدير ان يكون الورود بمعنى الحضور ادل قوله
وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها وذلك لان هذا التعبير يدل على ان حال الظالمين فيما
سبق الجثو وان المتقين مشاركون لهم في الجثو ثم يفارقونهم بان يساقوا الى الجنة وذلك انما يكون بكون
قوله وان منكم الا واردها بمعنى الاجاثة حولها فيل هذا الاستدلال انما يتم لو قيل ونذر الظالمين
حولها جثيا فقوله فيها مناف لذلك الا ان يقدر المضاف ويكون فيها بمعنى في حولها لكنه تقدير شيء
لا دليل عليه وكان المصنف اشار الى جوابه بقوله تشهيرا بهم كما كانوا فان تنجية المؤمنين عما كانوا
عليه من المشاركة مع الكفرة في هيئة الجثو بان يساقوا الى الجنة وترك الظالمين على ما كانوا
من هيئة الجثو انما يكون بان يكون الكل على تلك الهيئة قبل سوق المؤمنين الى الجنة ومن
المعلوم ان تلك غير معقولة في داخل جهنم فتعين ان يكون في حولها الا ان تلك الحوالي لما انها
بهم اي انهدمت وسقطت بهم حين حضورهم فيها ولم تبق على حالها الا فارتك ونذر الظالمين
فيها جثيا ولم يقل في حواليها الجرهم فقد واحولها وحواليها وحواليه ولا يقال حواليه بكسر اللام
قوله مترتلات الالفاظ من ترتيل القرءان الترسيل والتبيين يقال رجل رتل اي متلج الاسنان وهو تفليجها قوله
ادمهم اي او مخاطبا منهم على سبيل المواجهة وقولهم اي الجلهم اي في حقهم من غير ان يواجهوا بهم قوله
والمعنى انهم يعني ان منكري البعث من مشركي قريش لما سمعوا الحجج الواضحات الدالة على صحة البعث
وعلى تهديد المنكرين ببيان صورة الحشر والحساب ومجازاة كل واحد من فريقي المؤمنين والفجار و
لم يتيسر لهم التكلم فيها عارضوا تلك الحجج بما زعموا انه ينفعهم ويدل على طلان ما دل عليه حجة الله تعالى
لحكى الله تعالى عنهم تلك المعارضة بقوله قال الذين كفروا الآية اي قالوا لو كنتم انتم على الحق وكنا على
الباطل لكان حالكم في الدنيا احسن واطيب من حالنا لان الحكيم لا يليق به ان يوقع اولياءه المخلصين
في الذل والعذاب واعداءه المعرضين عن طاعته في العز والراحة فلما كانت الكفار في النعمة و
الراحة وكانت المؤمنون في ذلك الوقت في القلة والمضايقة استدلوا به على ان الحق ليس مع
المؤمنين والندي مجلس القوم ومتحدثهم ما داموا فيه فاذا تفرقوا عنه لم يسم ناديا ونظيره الكاس
فان الزجاجة ما دامت فيها خمر تسمى كاسا واذا لم يكن فيها خمر تسمى زجاجة وقدحا قوله فرد الله
تعالى عليهم ذلك ايضا اي كما رد عليهم نفس انكارهم للحشر رد استدلالهم بالتهديد باهلاكهم بطريق النقض
التفصيلي حيث منع منهم المقدمة القائلة ان حصول نعمة الدنيا لاحد يدل على كونه مكرما عند الله تعالى
وتقرير الرد انه من كان اعظم نعمة منكم في الدنيا فاهلكهم الله تعالى فلو دل وسعة الدنيا على حسن حال
صاحبها عند الله لوجب ان لا يهلك احدا من المتنعمين وحيث اهلكهم دل ذلك على فساد قولهم المتنعمون
في الدنيا اولياء الله وخواصه فلا يعذبهم قوله وكم مفعول اهلكنا واجب التقديم على فعله لان له صدر

بل هو دليل على دخول الكل فيها لان سوق المؤمنين الى الجنة وترك الظالمين فيها على ما كانوا عليه انما يكون بكون الكل فيها اولا

يقال رتت الشيء فتهدم وانهار اي انهدم والتهدم الدفوع في الشيء بتلف ما لا مصل

فالمعارضة في قوله ونحو هذا فالمعارضة بمعنى المناقضة يعني بمعارضتهم في نفسه قوله والاستدلال الخ

الكلام لانها استفهامية او خبرية وهي محولة على الاستفهامية واهلكنا متسلط عليكم اي كثيرا من القرون اهلكنا ومن قرن تمييز لكم يبين لا وجعل جملة هم احسن في محل النصب على انه صفة لكم وفيه نظر لان النحويين نصوا على ان كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا توصف بها ولو جعلت في محل الجر على انها صفة لقرن لكان اولى ولا محذور في رجوع ضمير الجمع الى قرن لان لفظه وان كان مفردا الا ان معناه جمع **قوله** هو ما جد منه يقال جد الشيء يجد بالكسر جدة اي صار جديدا وهو نقيض الخلق والخرثي اثاث البيت واسقاطه والرث الشيء البالي يقال رث الحبل وغيره يرث رثاثة وارث اي اخلق **قوله** والرئي المنظر وقراءة الجمهور رئيا بهمزة ساكنة بعدها ياء صريحة وهو من رؤية العين فعل بمعنى المفعول اي مرئي كطحن بمعنى مطحون ونحو الرعي فالرئي ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة وقرأ قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريا بياء مشددة بعد الراء فقيل هي مهموزة الاصل ثم ابدلت الهمزة ياء وادغمت وقيل من الري الذي هو الامتلاء من النعمة والنضارة وهو ضد العطش والذبول والمعنى احسن منظرا لان الري والامتلاء احسن من ضديهما والمراد اللازم من النعمة فان المتنعم يظهر فيه رواء النعمة والفقير يظهر عليه ذبول وقرأ ابو بكر عن عاصم وريئا بياء ساكنة بعدها همزة وهو مقلوب من رئيا في قراءة العامة ووزنه فليع وقرئ وريا بياء واحدة مخففة على ان اصله وريئا كقراءة ابي بكر عن عاصم بقلب المكان ثم نقلت حركة الهمزة الى الياء قبلها وحذفت الهمزة على ما هو القاعدة في تخفيف الهمزة بالنقل فصار وريا ويحتمل ان يكون اصله وريا بياء مشددة كقراءة قالون ثم خففت الكلمة بحذف احدى اليائين وقرئ وزيا بزاي معجمة وياء مشددة والزي المحاسن المجموعة من اللباس والهيئة من زويت الشيء جمعته وقبضته وفي الحديث زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وزوى ان الرجل ما بين عينيه والمتزين يجمع الاشياء التي تزينه وتظهر زيه **قوله** وانما الفخار يعني ان الذين بدلوا فضل المرء وحسن حاله عند الله تعالى ليس زيادة حظه من الدنياوية استدراج في حق من لا يزداد بها شكرا وطاعة وانما الذي يعلم به الفضل والاكرام هو ما يكون في الاخرة من الانعام قال بعضهم في سورة نون ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم اي سنستنزلهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وقال ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهذه الاية تؤيد كون الامهال للاستدراج وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر يؤيد كونه لقطع معاذير العصاة فانه تعالى انما يعمرهم ليقطع معاذيرهم فالآيتان اللتان ذكرهما المصنف تشعر على ترتيب المتلقي فقوله فليمدد معناه الخبر اخرج على لفظ الامر ايذانا بان ذلك مما ينبغي ان يفعل الا انتفاء ما يجب من الحكيم فيجعل بتنزيل

النعمة بالفتح ... او ...

فالزي بالكسر بمعنى الهيئة المحسنة من الحسن ماخوذ من الزي بالفتح وهو مصدر زويت بمعنى جمعت يوجد معنى الجمع

الفخار المفاخرة الذي يتباهى به غيره كالمكاثرة والتوازن صح

٤٣٠

ذاته منزلة المأمور الممتثل اعلاما بان المأمور به مفعول لا محالة **قوله** غاية المد والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها الى ان يعاينوا نصرة المؤمنين عليهم او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فقوله تعالى من كان في الضلالة امر بالجواب عن قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وتقرير الجواب انكم تفتخرون على الفقراء بما لكم من الحظوظ الدنياوية وتزعمون انها كرامة لكم من الله تعالى وما تدرون ان ذلك استدراج واهمال لتزدادوا اثما فيأخذكم عذاب الاستيصال في الدنيا او عذاب النار في العقبى فيكون المراد بعموم قوله من في الضلالة الخصوص وهم الذين حكم الله تعالى عليهم بالشقاوة الى اخر عمرهم فلا ينفكون عما هم عليه الى ان يعاينوا غلبة الدنيا بنصر الله تعالى اوليائه والمؤمنين عليهم كقتلى بدر وهو قوله تعالى اما العذاب او يشاهدوا الساعة ومقدماتها من مات على الكفر وهو قوله تعالى واما الساعة فهم وان ظنوا في الحال انهم خير مقاما واحسن نديا سيعلمون من بعد انهم شر مكانا واضعف جندا فانه لا مكان شر من النار وموضع المناقشة في الحساب وقد كانوا يظنون وهم في الدنيا ان اجتماعهم مع اهل ناديهم ينفعهم ويدفع عنهم ما يكرهون فاذا راوا ان لا ناصر لهم في الاخرة عرفوا عند ذلك انهم كانوا في الدنيا مبطلين في ظنهم **قوله** وقيل غاية قوله الذين كفروا الخ استبعده لطول الفصل بين قوله قالوا اي الفريقين وبين الغاية ورد ايضا بانه فصل بجملتي اعتراض ومن النحاة من لا يجوز ذلك والمراد بالقائل صاحب الكشاف فانه جعل قوله تعالى حتى اذا راوا متصلا بقوله واذا تتلى عليهم اياتنا وجعل الآيتين بينهما معترضتين وهما قوله كم اهلكنا وقل من كان في الضلالة وقيل في بيان وجه الاعتراض ان مضمون الآيتين الانكار على الكفرة في قولهم حين تتلى عليهم ايات الله ليهتدوا بها للايمان وقصر نظرهم على الحظوظ الدنياوية وترجيحها على السعادة الاخراوية فاكد هذا الانكار بالآيتين المعترضتين وحاصل تقرير المعنى انهم قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون الا يرجون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا واما يوم القيمة فيعلمون عند معاينته ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا الاخير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وكلمة حتى قد يكون حرف جر بمعنى الى نحو ضربت القوم حتى زيد وبت حتى الصباح اي بت الليلة حتى الصباح وقد يكون حرف عطف نحو قدم الحاج حتى المشاة وقد يكون حرف ابتداء بمعنى ان ما بعدها كلام مستأنف لا يتعلق من حيث الاعراب بما قبلها لا بمعنى ان ما بعدها مبتدأ مذكور لفظا او تقديرا كما في قولك سرت حتى ادخلها بالرفع بمعنى انا ادخلها لان ذلك لا يطرد الا ترى الى قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول بالرفع وقوله حتى اذا جاء امرنا جاء بعدها في الاول جملة فعلية وفي الثاني جملة شرطية

وقوله تعالى واما الساعة بدل على ان المراد بالعذاب عذاب الدنيا ويحتمل ان يكون يوم بدر بالاسر والقتل ويحتمل ان يكون المراد به عذاب القبر ويحتمل ان يكون تغير احوالهم من الغنى الى الفقر ومن العز الى الذل ومن الصحة الى المرض ومن الامن الى الخوف ابن عادل

ابن عادل ... فاذا راوا ان لا ناصر لهم في الاخرة عرفوا انهم كانوا في الدنيا مبطلين فيما ظنوا ان اجتماعهم ينفع ... واضعف جندا فقد كانوا يظنون ... النار فالمناقشة في الحساب ... شر مكانا فانه لا مكان اشر من ... بعد ان الامر بالعكس وذكروا انهم ... بالنعم والندي فسيعلمون ... ان منزلتهم افضل من حيث فضلهم تبين لهم انهم وان ظنوا في الحال ...

... الساعة

قوله اما العذاب واما الساعة تقدم الكلام في اما من كونها حرف عطف او لا ولا خلاف ان احد معانيها التفصيل كما في الاية الكريمة والعذاب والساعة بدلان من قوله ما يوعدون المنصوبة بـ راوا وفسيعلمون جواب الشرط ومن هو شر مكانا يجوز ان تكون من موصولة بمعنى الذي وتكون مفعولا ليعلمون ويجوز ان تكون الجملة معلقة لفعل الرؤية فالجملة في محل نصب على التعليق ابن عادل

فان حتى الابتدائية تحكي بعدها الجمل كلها وان التي في الاية هي التي تحكي بعدها الجمل الا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون عطف على الشرطية المحكية وهي قوله تعالى من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن **قوله** بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير وعوضه منه بدل ما متع به الكافر في الدنيا على انه جعل زيادة الهدى على ثواب الاهتداء بالايمان اي بالمؤمن المهتدي بالايمان والمعنى ويزيد الله الذين اهتدوا اعتقادا وعملا هدى اي ثوابا على ذلك الاهتداء وهو خير مما متع به الكافر في الدنيا ومن نفس اهتداء المؤمن من حيث ان الاهتداء عرض يفنى وثوابه يدوم ويبقى وقيل لفظ الهداية باق على ظاهره والمعنى انه تعالى يزيد المؤمنين المهتدين هدى كما يزيد من كان في الضلالة ضلالتهم بناء على ان الامهال في الضلالة يوجب زيادتها وان بعض وجوه الهداية يؤدي الى الاهتداء بوجوه اخر منها ان نفس الايمان هدى والعمل بمقتضى الايمان هدى زائد مترتب على نفس الايمان والاخلاص في ذلك العمل هدى ثالث مترتب عليه وهكذا **قوله** وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر لم يرض به لانه قوله تعالى فليمدد في موضع الخبر ان كانت من موصولة او في موضع الجواب ان كانت من شرطية فلو كان قوله ويزيد الله الذين اهتدوا معطوفا على جملة الخبر او على جملة الجزاء لوجب اشتماله على الضمير الراجع الى المبتدا او اداة الشرط وهي اسم ههنا لان جملة الخبر وجملة الجزاء لا بد من اشتمال كل واحدة منهما على الضمير الرابط فكذا لا بد من اشتمال الجملة المعطوفة على جملة الخبر او جملة الجزاء عليه لان المعطوف على جملة الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء فلا بد ان يشتمل كل واحدة منهما على الضمير الرابط مع انه ليس فيما اخرج من عطفه على فليمدد لان المعطوف على جزاء الشرط ينبغي ان يصلح جزاء له وقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا لا يصلح جزاء له فانك لو قلت من كان في الضلالة يزيد الله الذين اهتدوا هدى لما استقام المعنى ويمكن ان يجاب عنه بان الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد هو الشرط فان الشرط كالقيد للجزاء فكانه قيل يمد الرحمن ويمهل بطول العمر والتمتع به لمن كان في الضلالة ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والعطف لا يقتضي الاشتراك في جميع القيود والرابط لا يجب ان يكون ضميرا بل يكفي ان يتحقق ما يقوم مقامه وههنا قد تحقق ذلك لان قوله الذين اهتدوا في معنى اعداء من كان في الضلالة فكانه قيل من كان في الضلالة فيزيد الله ضلالته ويزيد هداية اعدائهم من المؤمنين فوضع الظاهر موضع المضمر ولما احتيج في عطفه على فليمدد الى هذه التكلفات لم يرض به المصنف **قوله** الطاعات التي تبقى عائدتها اختار ما قاله المحققون من ان المراد بها الايمان والاعمال الصالحة سماها باقيات لان ثوابها يدوم ولا يبطل ومنهم من خصها ببعض العبادات ولعلهم ذكروا ما هو اعظم العبادات ثوابا على طريق التمثيل روي عن ابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وغيرهم ان المراد بها الصلوات الخمس وروي عن ابي الدرداء انه قال جلس رسول الله صلى الله

مما متع به الكافر في الدنيا

اي بالمؤمن المهتدي بالايمان

واذا كانت الاداة الشرط اسما لا ظرفا تعين ان يكون في جملتي الجزاء ضمير او ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة ابن عادل رح

والمعنى انه يزيد ويزيد هداية الذين اهتدوا نسب قوله والمعنى انه يقابله بقوله

431

الله عليه وسلم ذات يوم واخذ عودا يابسا وازال الورق عنه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله يحط الخطايا كما يحط ورق هذه الشجرة الريح وخذهن يا ابا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهي من كنوز العرش فكان ابو الدرداء يقول لاعلمن ذلك ولاكثرن منه حتى اذا راني الجاهل حسب اني مجنون وقد مر في سورة الكهف روايات اخر عائدة اي منفعة يقال هذا الشيء اعود عليك من كذا اي انفع والمراد بالعائدة ههنا المنفعة العاجلة بقرينة قوله تعالى وما لها النعيم المقيم الحي ولا يقال للشيء انه خير الا والمراد انه خير من غيره بعد اشتراكهما في اصل المنفعة فما متع وافتخر به المشركون على المؤمنين بقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وان كان له منفعة في الجملة الا ان الباقيات الصالحات خير منه ولما كان الحكم على الباقيات بانها خير مردا اي مرجعا وعاقبة يفهم منه ان ما متع به الكفرة من الحظوظ الدنيوية له منفعة وعاقبة حميدة الا ان الباقيات خير منه من حيث العاقبة ومن المعلوم ان لا خيرية لعاقبة اصلا حتى تفضل الباقيات عليها من جهة الخيرية اجاب عنه اولا بان الخيرية ههنا لتجرد الزيادة لا للزيادة على ما اضيف اليه حتى يلزم ما ذكر من كون ما يفتخر به الكفرة انفع وعاقبة حسنة و ثانيا بانه على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء يعني ليس المراد تفضيل نفع الباقيات على ما متع به الكفرة من حيث المنفعة بل في الكلام حذف واضمار والمعنى ان كل واحد من ثواب المؤمنين وعقاب الكفرة وان كان بالغا الى ما هو غاية الكمال في بابه لكن بلوغ الثواب غايته ازيد واكثر من بلوغ العقاب غايته وكيف لا وفي الجنة من الضعف والافضال ما لا يقدر قدره والنار من عدله تعالى لا يزيد عقاب العاصي على مقدار معصيته والمقصود من بيان حال ثواب المؤمنين ليس تهديد اضدادهم بل هو في نفسه مقصود بالبيان فلا يرد ان يقال هذا الجواب غير مناسب لمقام التهديد مع انه في خير المنع ايضا كان لخباب على مال فتقاضاه عن خباب بن الارت قال كنت قينا في الجاهلية فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده مال فاتيته اتقاضاه فقال لي الخ لما كانت الرؤية يعني لما كانت الرؤية مجازا عن الاخبار لجامع السببية والاستفهام مجازا عن الامر لجامع الطلب فكان ارايت مجازا عن قولك اخبر ولما كانت الفاء للتعقيب كان قوله افرايت بمعنى اخبر بعد ذلك اي عقيب حديث من قال انذا مامت لسوف اخرج حيا فانه تعالى حكى اولا قول منكري الحشر على وجه الانكار عليهم ثم اقام الدليل على صحته بقوله اولا يذكر الانسان ثم هدد المنكرين وساق الكلام الى ههنا فحكى ههنا كلام من قال على سبيل الاستهزاء والطعن في القول بالبعث لاوتين مالا وولدا اطلع بهمزة واحدة مفتوحة لانها همزة

اخبر يعني كما تقدم ارايت بمعنى اخبرني والمقصود من الاستفهام في الجملة المذكورة والاستفهام في قوله اطلع الغيب والتعجب حالة حاله جواب قسم محذوف كما في محل نصب بالقول ابن عادل

الاستفهام وهمزة الافتعال المحذوفة للوصل ومثله افترى على الله كذبا قوله وتأتي علما لرجلين الجوهري آلي يؤلي ايلاء حلف وتألى وائتلى مثله فان قوله لاوتين جواب قسم محذوف والجملة القسمية في محل النصب على انها مفعول القول قوله الا ما خذ بهذين الطريقين وهو ان يبلغ المرء من شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار او يتقرب اليه ويأخذ منه عهده بان يؤتيه في الآخرة مالا وولدا قوله فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد فمعنى اتخاذ العهد عند الرحمن ان يعمل العمل الصالح فجعله عهدا اي ما عهد الرحمن ووعد لعامله المثوبة والكرام وادعه عنده سمي العمل الذي عهد الله عامله بالثواب عهدا لكونه سببا لنيل عهد الله قوله سنظهر له يعني ان سين التسويف وان دخلت على فعل الكتبة التي لا تتأخر عما يصدر عن المكلف من القول والعمل كما اريد بالحفظ من قوله الا لديه رقيب عتيد الا ان المراد بتسويف الكتبة تسويف تبينها وظهورها على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري بها بدا فان قوله لم تلدني جواب اذا واذا ظرف لما يستقبل من الزمان وليس المراد عدم الولادة فقد وقعت قبل الانتساب بل المراد ان يتبين ويظهر في المستقبل انه لم تلده في الماضي لئيمة لم تجدي بدا اي فرارا ومخلصا مثال لا بد من كذا اي لا فراق منه يقول اذا انتسبنا وعين كل واحد منا من اتصل نسبه اليه علمت يا فلانة اني لست بابن لئيمة وظهر لك ما تضطرين به الى الاقرار بذلك واقتصر الشاعر على ذكر الام لان الام اذا كانت من الكرام فالاب اولى ويجوز ان يريد به التعريض بكون ام المخاطبة لئيمة قوله او ننتقم منه على ان يراد بالكتبة المسوقة التي هي عبارة عن اثبات العمل في الصحيفة ما يؤدي ذلك الاثبات اليه من المجازاة والانتقام على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب قوله ونطول له من العذاب على ان يكون المد بمعنى تطويل مدة العذاب والخلود فيه كما يقال مد الله في عمره ومده في غيه اي امهله وطول له فيكون من المد لا من المدد واشار اليه بقوله ما يستاهله الى ان قوله من العذاب صفة موصوف محذوف اي نطول له شيئا من العذاب اي نوعا من العذاب الذي يستحقه هذا الكافر الذي قال لاوتين قوله او نزيد عذابه على ان يكون قوله نمد من المدد وتضعيف العذاب كما قال الله زدناهم عذابا فوق العذاب فان مده وامده يستعملان بمعنى واحد اي زاده والحق به ما يقويه ويكثره بالحاق الجنس اذا الحق به المدد قوله ونرثه يجوز ان يكون الضمير فيه في محل النصب بنزع الخافض فيكون ما يقول مفعولا به والتقدير ونرث منه ما يقول اي مسمى ما يقول ومدلوله لا انفس قوله ويجوز ان يكون ضمير نرثه مفعولا صريحا وما يقول بدلا منه بدل الاشتمال والمعنى نرث ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه ويأتينا فردا اذا سلبت ما بيده وبين ما كان له في الدنيا من

علاقة الابوة والمالكية وان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا فردا رافضا له غير قائل به ثم انه تعالى لما بالغ في تحقيق الحشر والنشر والرد على من انكرهما شرع بعده في الرد على عبادة الاصنام فقال واتخذوا من دون الله آلهة الآية قوله سيجحد الآلهة الى قوله وسيكفرون بعبادتهم يعني ان ضمير يكفرون يجوز ان يرجع الى الآلهة لانه اقرب مذكور قبله انه تعالى يحيي الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرؤا منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ويجوز ان يرجع الى المشركين وقوله بعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان عاد الضمير المجرور فيه الى المشركين العابدين والى المفعول ان عاد الى الآلهة وضمير يكونون يتعين ان يكون للآلهة على تقدير ان يفسر الضد بضد العز وكذا على تقدير ان يفسر بالعون لان ما يكون ذلا على المتخذين المشركين وما يكون عونا في عذابهم هم الآلهة والمعاون قد يسمى ضدا لانه يضاد العدو وينافيه باعانته لك عليه فلان من اضدادكم اي اعوانكم الذين هم اضداد اعدائكم واما ان فسر الضد بالكفر وترك العبادة فضمير يكونون ح يكون للمشركين ويكون عليهم بمعنى اعدائهم خبر كان وضدا خبرا بعد خبر والمعنى ويكون المشركون اعداء الآلهة كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها عكس الحال او جعل الواو للكفرة فجملة قوله يؤيد الاول اذا فسر الضد الخ قوله وتوحيده جواب عما يقال كيف افرد قوله ضدا مع انه خبر عن جمع وتقرير الجواب انهم وان كانوا اضدادا في نفس الامر الا انهم كشيء واحد من حيث اشتراك الجميع في المعنى الذي به مضادتهم فلذلك جعلوا ضدا واحدا كما انه عليه الصلاة والسلام جعل المؤمنين مع كثرتهم يدا واحدة لاتفاق كلمتهم وفرط تضامنهم وتوافقهم فجعلهم كشيء واحد لذلك اول الحديث المؤمنون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم قوله تتكافؤ دماؤهم اي تتساوى في القصاص والديات والكفو النظير والمساوي وقوله وهم يد على من سواهم اي انهم مجتمعون على اعدائهم لا يسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا على جميع الاديان كأنه جعل ايديهم يدا واحدة وفعلهم فعلا واحدا ونظيره اجعل النساء يدا اي فرق بينهم فاذا افردت اليد في مقام الجمع دل على الاتفاق واللجاج واذا جمعت اريد الشتات والافتراق قوله وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على انها كلا التي للردع والتنوين الذي فيه للترنم وهذه التنوين تلحق اخر الابيات والانصاف المصرعة وتلحق الفعل والاسم المعرف باللام نحو قال اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولن ان اصبت لقد اصابن الاصل والعتابا باشباع فتحة الباء للوزن ثم قلب الف الاشباع نونا وهذا التنوين في الحقيقة لترك الترنم لانه انما يؤتى به اشعارا بترك الترنم وذلك لان الالف والواو والياء في القوافي تصلح للترنم لما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قصد الاشعار بترك الترنم لخلو التنوين من المد فيجوز ان يكون تنوين كلا من هذا القبيل ومثل هذا التنوين

يا ايها الناس عليكم ان اعداءكم ومنه اللهم كن لنا ولا تكن علينا وعلى هذا التفسير ضمير عليهم للآلهة وفي سيكفرون ويكونون للكفرة اي يكونون على معبوديهم كافرين بهم

وعلى التقديرين يكون قوله ويكونون عليهم ضدا مؤيدا لاحتمال ان يكون ضمير سيكفرون للآلهة لان رجوعه الى المشركين يستلزم تفكيك الضمائر

سمي التنوين النائب مناب حرف الاطلاق وان يكون تنوين التنكير على ان يكون كلا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كانه تعالى لما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا قال ردا عليهم كلا هذا الرأي كلا ويكون بهذه الجملة مستانفة ويكون قوله سيكفرون استئنافا آخر قوله وكلا اي يرغبون كلا بضم الكاف والتنوين على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المعنى لان المراد من سيكفرون انكار الالهة وكان يطلب المشركون اليها من الشفاعة والنصرة والابعاد من النار الدال عليه قوله تعالى ليكونوا لهم عزا فلذا قدر الناصب يجحدون لكونه مناسبا له ثم انه تعالى لما ذكر حال المشركين مع الاصنام في الاخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين في الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون لهم فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الاية قيل في تفسير ارسلناهم سلطناهم عليهم كقوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه وقيل ارسلناهم اي قيضناهم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وهما في المعنى واحد لانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد انفصلوا بهم فقيضوا وقرنوا بعضهم ببعض قال الامام احتج الاصحاب بهذه الاية على انه تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا لقول القائل ارسلت فلانا على فلان موضوع لافادة انه سلطه عليه لارادة ان يستولي عليه قال عليه الصلاة والسلام سلط الله وارسل كلبك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يفيد ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ويتاكد هذا بقوله تعالى تؤزهم ازا فان معناه لتؤزهم ازا ويتاكد ايضا بقوله واستفزز من استطعت منهم ثم قال لا يجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية وعدم منعهم من اغوائهم لانه تعالى كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بينهم وبين الصالحين من عباده ثم انه تعالى خص الكافر بانه ارسل الشياطين عليه فلا بد لتخصيص الكافر بالذكر من فائدة زائدة ههنا فلا بد ان يكون من الله تعالى معنى في الكفار ليس ذلك المعنى في المؤمنين وفي المؤمنين معنى ليس ذلك في الكفار وهو والله تعالى اعلم انه تعالى اذا علم من المؤمنين الرغبة في الاجابة وفقهم على ذلك وهداهم واذا علم من الكفار خلاف ذلك وضده خذلهم واضلهم فذلك فائدة تخصيص الله تعالى اياهم بما ذكروا الله تعالى اعلم والازو الهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج قوله فانما نعد لهم اي لم يبق بينك وبين ما تطلبه من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة والعد كناية عن سرعة تقضي آجالهم وقلة ايامهم وانفاسهم كما في قوله دراهم معدودة اي قليلة تعد عدا لان الكثير ربما يعسر عده لكثرته قوله ولعله لان مساق الكلام في هذه السورة لتعداد نعم الجسام فذلك ذكره باسم الرحمن على انه انما انعم انعاما تفضلا

علیهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه كشاف

اذا صدرت عن الشيء الى غيره قلت عشوت عنه من تكملة

تفضلا ورحمة على العباد وذكره به عند شرح احوال الشاكرين لاحسانهم وتحريضا على ما هم عليه من الشكر وعند شرح احوال الكافرين باتباعهم تنكيسهم لما ينبغي ان من حق من تفرد بانعام اصول النعم وفروعها ان يخص بغاية التعظيم والاكرام ولا يشكر غيره وهم قد كفروا وضيعوا حقوقه وعبدوا غيره قوله يوم نحشر منصوب باضمار اذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدا او بما بعده من قوله لا يملكون الشفاعة قال ابن رضي الله عنهما الذين اتقوا الله تعالى بطاعته واجتناب معاصيه وقوله تعالى الى الرحمن اي الى جنته ودار كرامته ويدل عليه ما ذكر بعده وهو قوله ونسوق المجرمين الى جهنم لانه بمقابلته قوله كما يفد الوفاد على الملوك اي ركبانا على هيئة حسنة ومحاسن مجموعة عن علي رضي الله عنه انه قرأ هذه الاية وقال اما والله ما على ارجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب وفي رواية او رحتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربون ابواب الجنة قوله عطاشا الورد جمع وارد وهو الذي يسير الى الماء ولما كان العطش لازما للورود صح ارادة عطاشا من لفظ وردا على انه مجاز مرسل بطريق اطلاق لفظ الملزوم وارادة اللازم قوله الضمير فيه للعباد اي لاهل المحشر كلهم واختلف في ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم والمصنف قدم الاحتمال الاول وقرره على وجهين الاول مبني على ان يراد بالعهد الايمان وما يتفرع عليه من الاعمال التي وعد الله تعالى لصاحبها اسماءة الاخرة وكرامتها والمعنى لا يملك احد من اهل المحشر ان يشفع احدا بشفاعة الا ان يكون الشافع ممن قدم اعمالا صالحة لوجه الله تعالى مستاهلا بالعهد لكون عاملها موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخروية التي من جملتها ان يستاهل صاحبها بسببها لان يشفع العصاة فقوله على ما عند الله متعلق بقوله يستعد به ويستاهل والوجه الثاني مبني على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدى بالباء وهي محذوفة في الاية كما في قوله تعالى امرتك الخير قوله ومحله اي محل قوله من اتخذ الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين اي على انه بدل من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة على تقدير المضاف ايضا فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرر ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب والبدل كقولك ما جاءني احد الا زيدا او الا زيد قوله وقيل الضمير للمجرمين عطف على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة غيرهم لهم لا شفاعتهم لغيرهم لان المجرم لا يستاهل ان يشفع لمجرم مثله وقوله بالاسلام عطف بيان لقوله بوضح لان شرطه لان المجرم يستعد ان يشفع له بمجرد ايمانه وان كان من اصحاب الكبائر لانه لما قيل المجرمون لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا ادخل

الوفد جمع وافد كركب وراكب

ان جمع ايها سارت وان جمع حارث ابن عادل

فيكون من على هذا يكون عبارة من الشفيع عن له وعلى الاول عن من تنفع

قوله تعالى الا من اتخذ هذا الاستثناء يترتب على عود الواو على ما ذا فان قيل بانها تعود على الخلق او على الفريقين المذكورين او على المتقين فقط فالاستثناء في محل نصب وفي محل المستثنى المشهور ان اما الرفع على البدل واما النصب على اصل الاستثناء وان قيل انه يعود على المجرمين فقط كان استثناء منقطعا وفيه ح اللغتان المشهورتان لغة الحجاز التزام النصب ولغة تميم جوازه مع جواز البدل كالمتصل وجعل الزمخشري هذا الاستثناء من الشفاعة على حذف مضاف تقديره لا يملكون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ فيكون نصبا على وجهي البدل والاصل الاستثناء نحو ما رأيت احدا الا زيدا ابن عادل

فيه كل من اتخذ عنده عهدا فيدخل فيه صاحب الكبيرة لانه باقراره واعتقاده بالتوحيد
والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق ان يشفع له كما يستحق اصحاب
الصغاير لذلك فان كل واحد منهما مجرم موكول امره الى مشية الله تعالى ان شاء عذبه وان
شاء عفا عنه تفضلا او بشفاعة الشافعين فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق التعذيب
فعلى هذا التاويل تكون الاية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له
وصاحب الصغيرة مغفور له ومن كان مغفور الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة
متعلق على مذهبهم وعامة اهل العلم على ان المجرم يستحق للشفاعة بمجرد الايمان والاقرار بالشهادتين
ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال كل صباح ومساء
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة الدنيا
باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك
فلا تكلني الى نفسي فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق
الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد طبع عليه
بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون
الجنة هذه الرواية للامام الواحدي في الوسيط والطبع الختم وهو التاثير في الطين ونحوه
يقال الكتاب وعلى الكتاب اذا ختمه والطابع بالفتح الخاتم يعني انه يختم عليه ويرفع كما يفعله
الانسان بما يعز عليه وقال الامام الرازي ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة الشهادة
وظهر وجه دلالة الاية على ثبوت الشفاعة لاهل الكباير قوله الضمير يحتمل الوجهين
يعني ان ضمير قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون للمجرمين كما يحتملهما ضمير لا يملكون لما
رد الله تعالى على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا كما قالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون في
هذه الاية قوله مرة بعد اخرى اشارة الى ان بناء التفعل للتكثير نحو تبضع الرجل اي
خرج بضعه قليلا قليلا والبضيع العرق ووجه التكثير فيه انه مطاوع فعّل وهو يكون
للتكثير نحو غلقت الابواب وموتت البهايم فيكثر ما يطاوعه ضرورة فلذلك كان يتفطرن لان الانفعال
ابلغ من ينفطرن لان الانفطار مطاوع فطر الثلاثي ولا دلالة فيه على الكثرة والمبالغة ولان
بناء التفعل لما كان للتكلف دل قوله يتفطرن على ان السموات سعين وتكلفن في حصول التشقق
فيهن من شؤم مقالة هولاء الكفرة وليس في بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولا شك ان ما
حصل بالجد والاهتمام يكون ابلغ فان قيل كيف يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى في انفطار السموات
و

عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات الحديث كشاف

وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفها بهم وخرور الجبال وانطباقها عليهم اجيب بان الله
يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال هذا الا اني حليم عند صدور هذه الكلمة منهم غضبا
مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة ويجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض و
الجبال تكاد ان تفعل كذلك لو كانت تعقل من فظاعة هذا القول وهدمه لاركان الدين وقواعده
قوله تعالى يتفطرن في محل النصب على انه خبر تكاد وقوله هدا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل
لتقاربهما معنى لان الخرور السقوط والهد الانهدام من قولك هد الحائط يهد بالكسر اي انهدم
فيكون لازما وقول المص تهد هدا تفسير لقوله تعالى تخر وبيان لوجه انتصاب هدا الا انه
احتاج الى تقدير العامل اذ لا حاجة الى تقديره ثم اشار الى وجهين آخرين لانتصابه
الاول ان يكون مصدرا من هد المتعدي واقعا موقع الحال اي مهدودة من هددته يقال هددت الحايط
بيده هدا اي هدمه وضعضعه والثاني ان يكون مفعولا لاجله اي لانها تهد اي تكسر والتدليس
فتل الجبال لا اذا بني للفاعل الا انه فعل اذا بني للمفعول فصح ان يكون مفعولا له واليه اشار بقوله اي
لانها تهد اي تكسر قوله يحتمل النصب على العلة لتكاد ولهذا على حذف اللام اي يحتمل النصب
بنزع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له صريحا لانتفاء شرط النصب وهو اتحاد فاعل
الفعل المعلل وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضمارها ان المضمر مقدر فيصير
كالملفوظ فلذلك يظهر اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكلية اي صورة وحكما وهو من
دعى بمعنى سمى وهو يتعدى الى مفعولين يقال دعوته زيدا بمعنى سميته زيدا ودعى قد يستعمل
بمعنى نادى وصاح وهو يتعدى الى واحد يقال دعوت زيدا اي ناديته وهذا المعنى غير مراد
في هذا المقام وهو ظاهر فلا بد ان يكون دعوا بمعنى سموا الا انه حذف المفعول الاول ليعم كل
من سماه المشركون ولدا للرحمن من عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا ولا ينطلب اي لا
يحصل له لو طلب فرضا على طريق فرض المحال يعني ان انبغى الشيء مطاوع لقولك بغيت الشيء
اي طلبته يقال بغيت الشيء فانبغى كما يقال طلبت الشيء فانطلب قوله ان كل من في السموات
كلمة من فيه نكرة موصوفة وصفتها الجار بعدها ويجوز ان يكون موصولة واضافة كل اليها لا ينافي
كونها موصولة لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المعهود المشخص يجوز ايضا
ان يراد به العموم والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كما في قوله وكل الذي خلقني
الجمل والفاء في قوله تعالى فانما يسرناه فصيحة تفصح عن مقدر يعطف عليه ما بعدها عليه والتقدير
بلّغ هذا المنزل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه على لغة العرب او فانما انزلناه بلغتك على
ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر بايات المتقين وتنذر اي تخوف به لدا اراد به قوما لدا

وهو جمع الدّ وهو الخصم المجادل بالباطل الآخذ في كل لديد اي جانب من الخصومة ولديد
الوادي جانباه ويجوز ان يكون الضمائر في قوله يسّرناه لتبشر به وتنذر به لهذه السورة
الكريمة المشتملة على ذكر التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بتأويل المنزل
وان يكون للقرآن كله وضمير قبلهم لهؤلاء القوم اللدّ وهم اهل مكة هل تحس منهم اي هل
تعاين وتشاهد من هؤلاء المهلكين من احد ومنهم حال من احد اذ هو في الاصل صفة له
فلما تقدم عليه انقلب حالا ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرئ تُحَسّ بضم التاء
وفتح الحاء مبنيا للمفعول والركز الصوت الخفي من غير ان ينطق بفم ومنه ركب من حروف
مثل صوت ما يركض في الارض تم ههنا ما يتعلق بسورة مريم بعون الله الملك المعين والحمد
لله رب العالمين سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله لاستعلائه فيناسبه التفخيم والهاء من
المنخفضة فيناسبه الامالة والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك اطبقت او لم تطبق
والانخفاض بخلافه والمستعلية سبعة احرف اربعة منها مطبقة الصاد والضاد والطاء
والظاء وثلثة منها غير مطبقة الغين والخاء والقاف ونسبة الاستعلاء الى الحرف مجاز
فان الاستعلاء بالحقيقة انما يكون للسان لا للحروف والاطباق ان تطبق على مخرج الحرف
من اللسان ما حاذاه من الحنك والانفتاح بخلافه قوله على لغة عك وهي قبيلة باليمن //
الجوهري عك بن عدنان اخو معد وهو اليوم في اليمن ولم يرض المص بهذا القول حيث
حكاه بقوله وقيل ثم قال فان صح فلعل الاحتياج في توجيهه الى التكلف البعيد فان ابدال حرف
النداء بلفظ طا والاقتصار على ها التنبيه من هذا بعيد غير معهود في لسان العرب وان سلم انه
معهود في لغة عك فلا يخفى ان خطابه عليه السلام بلغة غير قريش بعيد ومعنى البيت
ان السفاهة يا هؤلاء في خلائقكم وهو جمع خليقة بمعنى الطبيعة لا قدس الله اي لا طهر
اللطا بيكم ما انكم بلا عيب فوضعوا الظاهر موضع الضمير للتعليل قوله وقرئ طه على وزن
بَهْ باسقاط الالف بعد الطاء وبالهاء الساكنة على انه امر له عليه الصلوة والسلام
بان يطأ الارض بقدميه معا ولا يقوم فيما يتعب فيه كل التعب لما روي انه عليه الصلوة و
السلام لما انزل عليه الوحي اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في تهجده لطول
قيامه في الصلوة وكان يحيي الليل كله فكان يقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى اذا
طال القيام ثم قيل انه مأخوذ من يطأ وكان اصله طأ ها كما اخذ ع من يدع فقلبت همزته
هاء كما ابدلت في اياك وهرقت في ارقت فالهاء في طه ليست هاء السكت على هذا بل

بل هي مبدلة من لام الفعل وقيل قلبت الهمزة في يطأ الفا كما قلبت في لا هناك المرتع فمثله
لا هنأك ولما كان قلب الهمزة المتحركة الفا نادرا اورد له مثالا فاذا بني منه الامر يكون طا
كما يكون الامر من يرى رَ ثم الحق به هاء السكت فصار طه كما يقال رَهْ قوله او اكتفى عطف
على قوله على انه امر اي على انه ليس بامر بل هما من اسماء حروف التهجي في القراءة المشهورة و
اصله طاها فاكتفى من الاسم الاول بشطره بجزئه الاول ومن الاسم الثاني وهو ها بجزئه
الاول ايضا فصار طه ثم سكن الهاء لاجل الوقف فصار طه وعلى هذا اي وعلى الوجه الثاني
وهو ان يكون طه بسكون الهاء مأخوذا من يطأ بعد قلب همزته الفا يحتمل ان يكون اصل طه
بالغين طاها فلما جاز قلب الهمزة المتحركة الفا في يطأ فقلب الساكنة اولى فقلبت فصار
طا الا ان نقوش الكتابة لما كانت دلائل الالفاظ وجب ان تكون هيئة الخط مشتملة
على ما يدل على كل واحدة من الحروف الملفوظة وجب ان يكون الرسم ح ان يكون طاها
بالغين مرسومين سواء قيل ان اصله طاها او يا هذا او على تقدير كون طه من اسماء الحروف
كتبا على صورة الحرفين اللذين هما مسمياهما لا على صورة اسميهما لمعنى يختص باسامي الحروف
وهو ما ذكره صاحب الكشاف في اول سورة البقرة وهو قوله لمعنى يختص باسامي الحروف
وهو ان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل
للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك
الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح انتهى كلامه ومن المعلوم ان التلفظ بالاسماء
ورسم انفس المسميات امر مخصوص بحروف التهجي لا يجري في الكلمات المغيرة قوله اشقى
من رائض المهر اي اتعب ممن يجعل المهر وهو ولد الفرس صالحا للركوب بان يزول عنه
الصعوبة وينقاد لصاحبه وفي ذلك العمل مشقة وتعب للرائض ولذلك يضرب به المثل
قوله ولعل عدل اليه جواب بما قال الشارد ان شاع في معنى التعب الا انه في الاصل يقال
للسعادة فذكره ههنا يوهم خلاف المراد فالنكتة في اختياره قوله ولا يجوز ان يكون
بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين اي جنسي التذكرة والشقاوة فانهما مختلفان غاية
الاختلاف بحيث لا اشتراك اصلا بينهما فان احديهما ليست هي الاخرى ولا بعضها ولا مشتملا
عليه ولا يتصور جعل التذكرة بدل كل ولا بعض ولا اشتمال من الشقاوة ضرورة ان ما
يقوم مقام الشيء يجب ان يكون بينهما مجانسة ومناسبة بوجه ما ولو كانت بدلا منها
لكانت بدل الغلط وهو لا يصدر عن قصد وروية فلا يجوز في كلام بليغ فضلا عن ان
يوجد في كلامه تعالى قوله فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين فان انزلنا متعد الى

وخص من يخشى لانه المنتفع بالقران
لقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وغيره
وقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد
وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
الرحمن بالغيب والفرق بين الخوف
والخشية ان الخوف فيما ظهر
اسبابه والخشية فيما لم يظهر
اسبابه تمت

مفعول له وهو لتشقى فلا يتعدى اليه آخر من جنسه الا بالبدلية او العطف وفيه بحث وهو ان ما ذكر
انما يدل على عدم جواز كونه مفعولا له لتشقى انزلنا مع قطع النظر عن كونه معللا بالعلة الاولى
ولا يلزم منه ان لا يكون مفعولا له لانزلنا مطلقا لجواز ان يكون الانزال المعلل بالشقاوة معللا
بالتذكرة بطريق الحصر بالنفي والاستثناء بان لا يكون اداة النفي لنفي علية التعب للانزال
بل انما هي لنفي ان علية الانزال المعلل بتعب المخاطب ليست الا الموعظة وتذكير الاحكام
على طريق قولك ما ضربت غلامي للتاديب الا لعذرته الى رفق فلا حاجة الى ان يجعل لتشقى متعلقا
بمحذوف كما قيل وليس فيه ايضا تعدية الفعل الواحد الى علتين ذكر لانتصاب ذكر تنزيلا اربعة
اوجه الاول ان يكون منصوبا باضمار فعله اي نزل تنزيلا والثاني ان يكون مفعولا به لقوله يخشى اي
انزله للتذكرة لمن يخشى تنزيل الله والثالث انتصابه على المدح والاختصاص والرابع
انتصابه على انه بدل من تذكرة على ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال فيكون تنزيلا مصدرا بمعنى
المفعول اي ما انزلناه الا تذكرا منزلا فيكون منزلا بدل الكل من تذكرا لكونهما متحدين ذاتا
او معنى على تقدير كونه منصوبا على الاستثناء المنقطع فانه ان جعل مفعولا له على احد الوجهين وجعل
تنزيلا بدلا منه يكون المعنى ما انزلنا القران الا تنزيلا وهو تعليل الشيء بنفسه ان جعل الانزال
والتنزيل بمعنى واحد وبنوعه ان جعل عبارة عن الانزال على التدريج فانه نوع من مطلق الانزال
بعرض تعظيم المنزل اي باظهار ما يدل على تعظيمه الجوهري عرضت الشيء اي عرضا اي اظهرته
فظهر وهو من النوادر قال وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال الفراء اي ابرزناها حتى نظر
اليها الكفار فخم القران المنزل بذكر ما يدل على عظمة منزله ترغيبا في تدبره والعمل به لوله فان
قيل لم عطف الجمع على المفرد في قوله ممن خلق الارض والسموات مع ان الاولى رعاية التطابق
بين المعطوف والمعطوف عليه اجيب بان الالف واللام اذا دخلا في اسم غير علم فردا كان او
جمعا يصرف التعريف الى الجنس اذا لم يمكن حمله على المعهود وان امكن فلا وجه لحمل تعريف السموات
على الاحاد المعهودة فتعين صرفه الى الجنس فليس في الكلام عطف الجمع على المفرد بل فيه عطف الجنس
على الجنس وفيه رعاية التطابق **قوله** ثم اشار الى وجه احداث الكائنات بين وجه ارتباط قوله
الرحمن على العرش استوى بقوله خلق الارض والسموات العلى وجعل قوله الرحمن على العرش
استوى فالبيان طريق خلق ما ذكر وقوله بان قصد العرش متعلق بقوله احداث الكائنات و
تدبير امرها على طريق التنازع وهو يشعر بانه حمل العرش على العرش الذي يحمله الملائكة ويحفون
حوله وحمل الاستواء على العرش على القصد اليه الا انه عدي بعلى لتضمينه معنى الاستيلاء والظهور
كما قيل في قوله ثم استوى الى السماء معناه ثم قصد ولما اشار الى وجه تخصيص العرش بالذكر مع ان

الا تذكرة نصب على انه مفعول له
لانزلنا لكن لا من حيث انه
معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا
عليك القران لتتعب بتبليغه
الا تذكرة الاية كقولك ما ضربتك
للتاديب الا اشفاقا لما انه
يجب في امثاله ان يكون بين
العلتين ملابسة بالسببية
والمسببية حتى لا يحتاج الى
المذكور وفي قولك ما ضربتك
بالسوء للتاديب الا زجرا للغير اذ
فان التاديب في الاول سبب
عن الاشفاق والتاديب في
الثاني سبب لزجر الغير وقد
عرفت ما بين الشقاوة والتذكرة
من التنافي ولا يجدان يراد
التعب في الجملة المحاج للتذكرة
لظهور ان لا ملابسة بينهما
بما ذكر من السببية والمسببية
وانما يتصور ذلك ان لو قيل لكان
الا تذكرة الا تكثير الثواب فان
الاجر بقدر التعب ولا من حيث
انه بدل من محل لتشقى كما في قوله
ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة
بين البدلين وقد عرفت
حالهما بل من حيث انه معطوف
عليه بحسب المعنى بعد تنبيه
بطريق الاستدراك المستفاد
من الاستثناء المنقطع كانه
قيل ما انزلنا عليك القران
لتتعب في تبليغه ولكن
تذكرة اه

مع ان الاستيلاء حاصل بالنسبة الى جميع الكائنات بقوله بان قصد العرش واجرى منه
الاحكام وانزل منه الاسباب الخ والقصد المسند اليه تعالى ليس المراد به حقيقة القصد لانه اسم
للارادة باعتبار الحدوث وارادته تعالى منزهة بل هو استعارة تبعية حيث شبه خلق السماء بعد خلق
ما ذكر قبله بمباشرة الخلق فعلا بعد مباشرة فعل آخر ثم اما ان يكون مسبوقا بالقصد الحادث فعبر عن
تعلق الارادة الازلية بخلق بالاستواء بمعنى القصد فاشتق منه لفظ استوى وفي الصحاح
المساواة بين الشيئين المعادلة بينهما سويت الشيء فاستوى اي عدلته فاعتدل واستوى
على ظهر دابته اي استعلى واستقر عليه واستوى الى السماء اي قصد واستوى اي استولى وظهر قال
الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق انتهى وقد تمسكت المشبهة
بهذه الاية في ان معبودهم جالس مستقر على العرش وهو باطل بالعقل والنقل واختلف اهل الحق
في تاويل هذه الاية فقال بعضهم انا نقطع بان الله تعالى منزه عن المكان والجهة وانه تعالى لم يرد من
الاستواء الجلوس والاستقرار بل المراد به شيء آخر الا انا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد حذرا من الخطأ
وقال البعض الاخر لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستواء على معنى
الاستقرار ولم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشيء الواحد منزها عن المكان و
حاصلا فيه معا ولا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع النقيضين معا وهو باطل
ولا الى ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل للنقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع
وعلمه وقدرته وبعثته للرسل لم يثبت النقل فالقدح في العقل لاجل تصحيح النقل يقتضي القدح في
العقل والنقل معا فلم يبق الا ان نقطع بصحة العقل ونشتغل بتاويل النقل ثم انهم اختلفوا في تاويله
فقال بعض العلماء المراد من الاستواء الاستيلاء والاقتدار كما في قول الشاعر قد استوى بشر
على العراق والمراد من العرش الذي تحمله الملائكة وقال صاحب الكشاف العرش سرير الملك والاستواء
عليه كناية عن الملك لانه من توابع الملك ورادفه فانه يقال استوى فلان على العرش على قصد
الاخبار عنه بانه ملك وان لم يقعد على العرش البتة والتعبير عن الشيء بطريق الكناية ابلغ واوقع
من الافصاح بذكره لان فيه الكناية كدعوى الشيء بالبينة **قوله** ليستدل به ذلك على كمال قدرته فان ما
في السموات من الملك والنجم وغيرهما وما في الارض من المعدن والنبات والحيوان والانسان وما بينهما
من العناصر وما تحت الثرى مما لا يعلمه الا الله تعالى اذا كان لله تعالى خلقا وملكا وتحت قدرته ولم يخرج
شيء منه عن تعلق قدرته وارادته فيه دل ذلك على كمال قدرته وغزارة ارادته فان قيل هو السطح
الاخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون لله تعالى ما تحت الثرى اجاب الامام عنه بان الثرى في
اللغة التراب الندي فيحتمل ان يكون تحته شيء وهو اما الثور او الحوت او الصخرة او البحار او الهواء

على اختلاف الروايات فقوله وما تحت الثرى معناه وما تحت الارض لان ظاهر الارض تراب جاف وما هو اسفل منه هو التراب المبتل وهو الثرى اى يعلم ما تحت الارض ما يبطن فيها كما يعلم ما ظهر منها و ما بينها وبين السماء وعن السدى ما تحت الثرى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون اراد الثرى الذى تحت الصخرة التى عليها الثور الذى تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم احد فوق السدرة الا هو وهى السدرة شجرة فى السماء السابعة يمينا الجنة اصلها فى الجنة وعروقها تحت الكرسى واغصانها تحت العرش اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل امة من الامم تغشاها الملائكة كانهم فراش من ذهب عليها الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى و مقام جبريل عليه السلام فى وسطها **قوله** اى وان تجهر بذكر الله تعالى ودعائه فاعلم انه غنى عن جهرك جواب عما يقال الا ان قوله تعالى فانه يعلم السر واخفى جزاء الشرط ومن شرط الجزاء ان يكون مسببا عن الشرط وعلمه تعالى بجميع ما ليس مسببا عن شىء من الممكنات فكيف يكون مسببا عن جهر المخاطب بالقول وتقرير الجواب ان الجزاء بالشرط لا يكون الا جملة والمشروط المسبب عن الشرط قد يكون نفس مضمون تلك الجملة التى هو متفرع ومترتب على نسبة تلك الجملة اولا وقوعها كما فى قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم فان الجزاء المسبب عن الانفاق هو مضمون قوله تعالى فلهم اجرهم عند ربهم وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون المشروط اعلام المخاطب بمضمون تلك الجملة لا نفس مضمونها كما فى قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فان الشرط فيه هو استقرار النعمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله بل هو سبب للاخبار بانها من الله تعالى وما نحن فيه من هذا القبيل فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزاء بل هو سبب للاعلام به فعلى هذا الظاهر يقول فاعلم انه يعلم السر واخفى الا انه عدل عنه الى ما اختاره للاشارة الى ان ما هو جزاء حقيقة محذوف فى الاية واقيم مقامه ما يدل عليه فان علم السر والاخفى يستلزم للغنى عن الجهر وتحقق الملزوم دليل على تحقق اللازم فلذلك اطلق الملزوم واريد اللازم **قوله** وهو ضمير النفس اى المراد بالاخفى ما يخطر والنفس ولم يظهره لاحد لا سرا ولا جهرا او بالسر ما اسره الى غيره وبالجهر ما يخطر به ضمائرهم **قوله** فى تمهيد نبوته بقصة موسى عليه الصلوة والسلام اى انبه الله تعالى ما ذكره تمهيد النبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى الاية بقصة موسى يقال قفوت فلانا اى تبعته وقفيته بفلان اى اتبعته اياه يريد ان قوله تعالى وهل اتيك حديث موسى الى اخر الاية جملة معطوفة على قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى على طريق عطف القصة على القصة ليكون بمنزلة وصلا على الاقتداء بموسى عليه الصلوة والسلام فى تحمل اعباء النبوة فان هذه السورة من اوائل ما نزل فاستتبع منها الارشاد بطريق التبليغ وتقوية

قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى قصة لقمان فتكن فى صخرة والصخرة على على قرن الثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى جوفه يبست ابن عادل

وتقوية قلبه وتسلية عما ناله من عناد المعاندين والمعنى انا انزلنا عليك القران لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك كما انزلنا على موسى التورية لذلك وقوله تعالى وهل اتاك الخ يحتمل ان يكون اول ما اخبر الله تعالى به من امر موسى فيكون الاستفهام فى هل اتاك للانكار اى لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وهذا قول الكلبى ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام للتقرير فكانه قال اليس قد اتاك **قوله** فى ليلة شاتية اى ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا اى اقمت به الشتاء وشتية اى ذات ثلج وفى الكشاف وقدح فصلد زنده اى صوّت و لم يخرج نارا **قوله** يقال صلد الزند يصلد بالكسر صلودا اذا صوت ولم يخرج نارا فكان موسى عليه الصلوة والسلام رجلا غيورا لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلذلك اخطأ الطريق بشعلة من النار اى بشىء مقتبس من معظم النار وقيل القبس الجمرة الغير المشتعلة يقال قبست منه نارا فى رأس عود او فتيلة او غيرهما قال اكثر المفسرين ان الذى رآه موسى لم يكن نارا بل كان نورا لرب تعالى ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلوة والسلام حسبه نارا [illegible] رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما قال الامام والصحيح انه رأى نارا ليكون صادقا فى خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء عليهم الصلوة والسلام **قوله** ولما كان حصولهما اى حصول الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع فقال لعلى ولم يقطع بان يقول انى آتيكم لئلا يعد ما لم يستيقن الوفاء به انظر كيف احترز موسى عليه الصلوة والسلام عن شائبة الكذب قبل نبوته حيث لم يقل آتيكم بل قال لعلى آتيكم او اجد على النار هدى لان النار قلما تخلو من اهل او ناس عندها **قوله** كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه بمعنى الصقت مرورى بمكان يقرب من زيد فانه لما جعل اللصوق بمكان يقرب من زيد جاز ان يجعل استعلاء مكان يقرب من النار بمثابة استعلاء نفس النار قيل انه لما نودى موسى قال من المتكلم قال وهب لما نودى موسى اجاب سريعا ما يدرى من دعاه فقال انى اسمع كلامك ولا ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغى الا لربه فايقن به ان المنادى هو الله تعالى وايضا لما سمعه من جميع الجهات لا بتفاوت سماعه من بعض الجهات على سماعه من الجهات الاخر فعلم بذلك انه ليس بكلام المخلوقين وعلم ذلك ايضا بسماعه ذلك الكلام بجميع اجزائه وابعاضه بحيث صار كل جارحة بمنزلة الاذن بالنسبة الى ذلك الكلام وايضا لما رأى النار فى الشجرة الخضراء بحيث لا تغير خضرة الشجرة ورأى خضرتها بحيث لا تطفئ تلك النار وكل واحد من هذه الامور لا يقدر عليها احد الا الله تعالى فعلم بذلك

واخذ على غير الطريق مخافة [illegible] ابن عادل

يعنى ان موسى عليه السلام قدح فلم تخرج النار فلم ينور القدحة فشاهد نارا [illegible] ذلك اذا ابصر نارا [illegible] بعيد عن يسار الطريق [illegible]

قالوا النار اربعة اصناف صنف ياكل ولا يشرب وهى نار الدنيا وصنف يشرب ولا ياكل وهى نار الشجر الاخضر وصنف ياكل ويشرب وهى نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهى نار موسى وقالوا ايضا هى اربعة انواع نوع له نور واحراق وهى نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهى نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهى نار موسى ونوع له احراق بلا نور وهى نار الجحيم ابو السعود

قال ابن عباس رأى شجرة خضراء [illegible] اطافت بها نار بيضاء [illegible] فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما [illegible] ناخذ من [illegible] فقالت [illegible] ثم [illegible] الى [illegible] فاذا خضرتها [illegible] السماء والارض [illegible] الابصار [illegible] موسى

[illegible] اطافت بها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون

استدلت المعتزلة بقوله اخلع نعليك على ان كلام الله ليس بقديم اذ لو كان قديما لكان الله تعالى قائلا قبل وجود موسى اخلع نعليك يا موسى ومعلوم
ان ذلك سفه فان الرجل في الدار الخالية اذا قال يا زيد افعل ويا عمرو لا تفعل مع ان زيدا وعمرا لا يكونان حاضرين يعد ذلك جنونا وسفها وكيف يليق
ذلك بالاله سبحانه فاجاب اصحابنا عنه من وجهين الاول ان كلامه تعالى وان كان قديما الا انه في الازل لم يكن امرا ولا نهيا والثاني انه كان امرا بمعنى انه
وجد في الازل شيء لما استمر الى ما بعد الازل صار الشخص به مأمورا من غير وقوع التغير في ذلك الشيء كما ان القدرة تقتضي صحة الفعل ثم انها كانت موجودة
في الازل من غير هذه الصحة ثم لما استمرت الى ما لا يزال حصلت الصحة كذا ههنا وهذا الكلام فيه غموض وبحث دقيق

علما استدلاليا ان ما سمعه كلام الله تعالى وقال يجوز ان يخلق الله تعالى علما ضروريا بذلك
ومنع المعتزلة ذلك وقالوا لو حصل العلم الضروري بكون هذا النداء كلام الله تعالى لحصل العلم
الضروري بوجود الصانع لاستحالة ان تكون الصفة معلومة بالضرورة وتكون الذات معلومة
بالاستدلال ولو كان وجود الصانع تعالى معلوما بالضرورة لخرج موسى عن كونه مكلفا لان حصول
العلم الضروري ينافي التكليف وقد علم قطعا انه لم يخرج عن التكليف فعلمنا ان الله تعالى عرفه
ذلك بان نصب له من الدلائل ما يدل عليه **قوله** وهو اشارة الى انه عليه الصلوة والسلام تلقى من
ربه كلامه اي كلامه القديم الذي ليس من جنس الحروف والاصوات وذلك الكلام لا يتلقى منه
تعالى تلقيا جسمانيا اجنبيا لان الحاسة الجسمانية لا تتعلق بالكلام القائم بذات الله تعالى وانما
يتلقى تلقيا روحانيا وهو ان يلهم الله تعالى به من خصه بكلامه بشرا كان او ملكا والمعتزلة لما
انكروا وجود ذلك الكلام قالوا انه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها لان
صريح القرآن دل على انه تعالى ناداه بكلامه ولا كلام له سوى ما يتعلق بالحاسة الجسمانية وذلك
الكلام حادث يمتنع ان يقوم بذاته تعالى فلا جرم يكون نداؤه تعالى عبارة عن خلقه اياه في جسم
وانه تعالى قادر عليه يفعله متى شاء واهل السنة لما اثبتوا الكلام النفسي الازلي قالوا انه تعالى
اسمعه ذلك الكلام اسماعا روحانيا معنويا ثم انه عليه الصلوة والسلام لما عرف انه
كلام الله تعالى بانه اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء دل ذلك على ان ذلك الكلام تنزل لديه
قوله وقيل فرغ قلبك يعني ما لاهل الاشارة ان النعل في النوم تعبر بالزوجة فيكون قوله تعالى
فاخلع نعليك اشارة الى ان لا يلتفت بخاطره الى اهله وماله وان لا يبقى مشغول القلب بهما
قوله والمقدس يحتمل المعنيين وهما طهارة القلب عن العلائق وطهارة القالب عما ينافي
التواضع والادب يعني ان قوله تعالى انك بالوادي المقدس يصلح ان يكون تعليلا لقوله تعالى فاخلع
نعليك على كل واحد من الاحتمالات المذكورة في وجه الامر بذلك **قوله** بتأويل المكان فان طوى يكون
منصرفا على تقدير ان يؤول بالمكان اذ ليس فيه سبب سوى العلمية وان اول بالبقعة كان غير منصرف
للتأنيث والعلمية فلا يدخله التنوين فابن عامر والكوفيون قرؤوا طوى بضم الطاء والتنوين و
الباقون بضمها من غير تنوين وقرئ بكسر الطاء منونا وبكسر غير منون فان كان اسما فهو نظير عنب
وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى وعن الحسن البصري انه بمعنى الثنا بالكسر والقصر والثنا
المكرر مرتين فيكون المعنى على هذه القراءة انه طهر مرتين فيكون مصدرا منصوبا بلفظ المقدس
لانه بمعناه كانه قيل المقدس مرتين من التقديس او منصوبا بلفظ نودي قال الجوهري قال بعضهم طوى
بالضم مثل طوى بالكسر اي انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء وهو الشيء المثنى وقال في قوله تعالى بالوادي

قال الاشعري ان الله تعالى اسمعه الكلام القديم الذي ليس بحرف ولا بصوت واما المعتزلة فانهم انكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه سبحانه خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة وغيرها لان النداء كلام الله تعالى والله قادر عليه ومتى شاء فعل واما اهل السنة من اهل ما وراء النهر اثبتوا الكلام القديم الا انهم زعموا ان الذي سمعه موسى عليه الصلوة والسلام صوت خلقه الله تعالى في الشجرة واحتجوا بالاية على ان المسموع هو الصوت المحدث وقالوا انه تعالى رتب النداء على انه اتى النار والمرتب على المحدث محدث

قال عكرمة ومجاهد امر بخلع النعلين ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة فيناله بركتها لانها قدست مرتين معالم

اي قدس مرتين انوار بخلاف النظم الشريف اذ ان يكون الثنى بمعنى التكرير والتكثير في قوله تعالى فارجع البصر كرتين

بالوادي المقدس طوى قدس مرتين **قوله** واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين بان يكون الكلام
من باب التنازع بين اخترتك وبين استمع كانه قيل اخترتك لما يوحى فاستمع لما يوحى والظاهر تعلقه
باستمع واللام مزيدة في المفعول كما في ردف لكم وقول بعضهم انا اخترتك عطف على قوله اني انا ربك اي نودي
وقيل اني انا ربك وانا اخترتك وقرأ حمزة وانا اخترناك بفتح الهمزة وبضمير المتكلم المعظم
نفسه عطفا على قوله اني انا ربك فان قوله انا بهمزة مفتوحة على تقدير الباء اي نودي باني لان
النداء يوصل بها تقول ناديته بكذا فتحت همزة ما عطف عليه ايضا وجوز ابو البقاء ان يكون
الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع قال الواحدي ويجوز وانا اخترتك بالكسر ولم يقرأ
به وقال شهاب الدين وقرأ السلمي والاعمش وابن هرمز وانا اخترناك بكسر الهمزة **قوله**
دال على انه اي ان ما يوحى مقصور على تقرير التوحيد والامر بالعبادة وجه الدلالة ان البدل هو المقصود
بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للمبدل منه **قوله** وهي تذكر المعبود وشغل القلب من اضافة المصدر
الى المفعول اي اقمها لتذكرني وتكون ذاكرا لي فان ذكر الله تعالى عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان
والجنان فكانه قيل اقم الصلوة لتكون بلا انقطاع ذاكرا لي ويكون من قبيل اضافة المصدر الى الفاعل
على تقدير ان يكون المعنى لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها كل امة وكذا على
تقدير ان يكون المعنى المحكي لان اذكرك بالمدح والثناء كما قيل في تفسير قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر
الله العبد اكبر من ذكر العبد اياه والفرق بينهما ان المذكور على الاول هو الصلوة وعلى الثاني
هو العبد **قوله** او لاوقات ذكري على ان يكون اللام في قوله تعالى لذكري لام التاريخ بمعنى في كما في قوله
تعالى يا ليتني قدمت لحياتي اي قدمت الخيرات او الطاعات في اوقات حياتي في الدنيا ولام التاريخ
لا تدخل الا على الوقت ظاهرا او مقدرا فلذلك قال لاوقات ذكري اي صلوتي **قوله** او لذكر صلوتي
اما على تقدير المضاف او على ان يكون ذكري مجازا عن ذكر الصلوة على طريق اطلاق اسم المسبب
وارادة السبب فان ذكر الصلوة سبب لذكر الله تعالى فيكون المعنى اقم الصلوة اذا ذكرتها بعد
نسيانها اي ان نسيت صلوة فاقضها اذا ذكرتها وقد نقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الواحدي اقم الصلوة لذكري معناه اقم متى ذكرت ان عليك صلوة كنت في وقتها او لم
تكن وهذا قول عامة المفسرين وروي ذلك مرفوعا وذكر باسناده عن انس بن مالك ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من نسي صلوة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ اقم الصلوة لذكري رواه
مسلم قال الخطابي هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما انه لا يكفرها غير قضائها والاخر انه لا يلزمه في
نسيانها غرامة ولا كفارة كما يلزم الكفارة في ترك صوم رمضان من غير عذر وكما يلزم المحرم
المحرم اذا ترك شيئا من نسكه فدية من دم او طعام وليس عليه الا ان يصلي ما ترك فقط قال

ابو حنيفة رحمه الله تعالى من فاتته صلوات يجب الترتيب في قضائها ما لم تزد على صلوة يوم وليلة واحتج عليه بقوله تعالى اقم الصلوة لذكري ان لتذكرها واللام بمعنى عند كما في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس اي عند دلوكها فمعنى الآية اقم الصلوة المتذكرة عند تذكرها وذلك يقتضي رعاية الترتيب كذا نقله الامام وقوله تعالى ان الساعة آتية كالتعليل للامر بالعبادة واقام الصلوة واعلام بان القيمة التي هي موعد جزاء الاعمال كائنة لا محالة ومجزية بعملها ان خيرا فخير وان شرا فشر **قوله** اريد اخفاء وقتها وكاد وان كان موضوعا للمقاربة الا انه من الله تعالى للتحقيق والوجوب فالمعنى انا اخفي وقتها عن الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت كما ان عسى في قوله تعالى عسى ان يكون قريبا للقطع بقربه اي هو قريب وقيل المراد اخفاء نفس وقوعها والمعنى اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به وقيل المعنى اكاد اخفي الساعة عن الخلق واخفي احوال الجنة ونعيمها واهوال النار وعذاب جحيمها لئلا يكون عبادتهم مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل يكون خالصة لوجهي على ما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين **قوله** او اكاد اظهرها على ان يكون همزة اخفيها للازالة والسلب اي ازيل خفاءها نحو اعجمت الكتاب اي ازلت عجمته واشكيته اي ازلت شكواه والمعنى انها لتحقق وقوعها قربها اكاد اظهرها وقرب اظهارها كما قال تعالى اقتربت الساعة وان اقتضت الحكمة تاخيرها برهة من الزمان وقرئ اخفيها بفتح الهمزة من خفاه يخفيه اذا اظهره **قوله** عن تصديق الساعة على ان ضمير عنها للساعة والمراد التصديق باتيانها فيكون ضمير من لا يؤمن بها ايضا للساعة وعلى تقدير ان يكون ضمير عنها للصلوة يكون ضمير بها للساعة والمعنى لا يصدنك عن الصلوة من لا يؤمن بالساعة والاول اولى لان الاصل في الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورين وهو الساعة ومن جعل ضمير عنها للصلوة نظر الى انها هي المقصودة بالذكر وقوله تعالى ان الساعة آتية انما ذكر على وجه التعليل للامر بها **قوله** فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه في دينه علة لكون نظم الآية منبها على انه ينبغي ان يكون ثابتا قويا في دينه يعني ان ضعف الرجل في دينه لما كان سببا لصد الكافر اياه عن دينه كان نهي الكافر عن الصد المسبب عن الضعف منها ودليلا على نهي الرجل عن الضعف الذي هو سبب لصد الكافر فكانه قيل لا تكن رخوا ضعيفا في امر دينك فيصدك عنه الكافر فالآية من قبيل قولهم لا ارينك ههنا فان المتكلم نهى نفسه عن ان يرى المخاطب والمراد عن ان يحضر عنده ويكون بمرآه فذكر المسبب الذي هو ان لا يرى المخاطب واراد السبب وهو ان لا يحضر المخاطب عنده وملك الى ان النكتة في العدول الى المجاز التنبيه على انه لا ينفك عن الحضور بنفسه فان سلامة

سلامة فطرته تحمله الى ترجيح الحق واختياره وان موضع الاحتياط ليس الا تاثيره من المقتضي الخارجي **قوله** استفهام يتضمن استيقاظا الخ يعني ان حقيقة الاستفهام ممتنع في حقه تعالى فوجب ان يكون الاستفهام الواقع في كلامه تعالى لحكمة وهي ايقاظ السامع وتنبيهه على عظم ما يخترعه في الخشبة اليابسة فانه عليه الصلوة والسلام لما شاهد ما تكرر مجيئه واجاب بانها قطعة خشب يابسة لا يصلح الا لما يصلح له امثالها وتقرر شانها وحقارتها فاذا اظهر الله تعالى منها تلك الآيات العظيمة كانقلابها حية عظيمة ونحوها ظهر كمال قدرة الله تعالى بتقرير المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتقرر في قلبه بمشاهدة هذه المعجزة القاهرة انه تعالى ينصره ولا يخذله بين يدي الاعداء وما في قوله تعالى وما تلك بيمينك مبتدأ استفهامية وتلك خبرها وبيمينك متعلق بمحذوف منصوب على انه حال عاملها معنى الاشارة في تلك كقوله تعالى وهذا بعلي شيخا والتقدير ما هي قارة او ماخوذة بيمينك وجوز ان يكون تلك موصولة بمعنى التي وبيمينك صلتها اي ما التي ثبتت بيمينك وهذا على مذهب البصريين فانهم لم يجعلوا شيئا من اسماء الاشارة موصولة الا كلمة ذا واما الكوفيون فيجوزون ذلك في جميعها ولم يقل بيدك لا احتمال ان يكون في يساره شيء مثل الخاتم ونحوه فلو اجاب الى السؤال بحرف في الجواب **قوله** على لغة هذيل فانهم ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه لمكان الالف فقلبوها الى الياء لكونها اخت الكسرة وادغموها في ياء المتكلم فقالوا عصي وبابشري والتوكؤ على العصا الاتكاء عليه سواء كان حال المشي او حال الوقوف على راس الماشية ويقال هش الورق اذا خبطه اي ضربه بالعصا ليسقط والهشاش الارتياح والخفة للمعروف وشيء هش وهشيش اي رخو لين وهش الخبز يهش بكسر الهاء اي صار هشا وقرئ اهش بكسر الهاء فقيل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف اي اهش الورق او الشجر اي اضرب بها اوراق الشجر او اغصانها ليسقط ورقها على غنمي لتاكله وقرئ واهش بضم الهاء والسين المهملة وهو السوق والزجر **قوله** اخبط عليها يقال اخبط عليه بالسوط اذا رفعه موهما ضربه والمراد ما يفعله الرعاة لاغنامهم **قوله** فعلق بها ادواته الاداوات جمع اداة وهي الآلة كالقوس والكنانة والحلاب ونحوها وفي اكثر النسخ اداوته وهي المطهرة ويجمع على اداوى على وزن مطايا **قوله** وعرض الزندين اي وضعهما على شعبتي العصا عرضا من قولهم عرضت العود على الاناء والزند العود الذي يقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى وفيها ثقب وهي الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار العفار الزند وهو الاعلى والمرخ الزندة وهي الاسفل كذا في الصحاح والعرض والالقاء مازنة واحدة للاستظلال وروي عن وهب انه قال كانت عصا موسى ذات شعبتين ومحجن فاذا

بيان حسن العدد معطفه هي في نفسه

طالت الشجرة هنا بالجنس وإذا جاوز كبره لواها بالشعبتين وإذا سار وضعها على عاتقه "
فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والثياب وإذا كان في البرية ركزها والقى كساه عليها فكان
ظلا وقيل من المحراب انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين
بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وتفصنت وأثمرت وكان
يحمل عليها زاده وسقاءه فتماشيه ويركزها فينبع الماء من تحتها فإذا رفعها نضب وكانت
تقيه الهوام عنده وكان يحمل عليها زاده المنام **قوله** وكانه عليه الصلوة والسلام فهم الخ
جواب عما يقال لما قال هي عصاي فقد تم الجواب لانه سئل عما تلك عن حقيقة ما في يده
وماهية الموجودة فلما قال هي عصاي فقد بين حقيقته فلم زاد في الجواب ذكر منافع مفصلا
مفصلا ومجملا وتقرير الجواب انه عليه الصلوة والسلام فهم ان هذا السؤال ليس للاستعلام
لانه تعالى منزه عن ذلك بل المقصود منه ان يتذكر ويستحضر حقيقتها وما يعلم من منافعها حوله
علم ان ذلك ايات باهرة فجواب اذا في قوله حتى اذا رآها وقوله فذكر حقيقتها عطف على قوله فهم ان
المقصود **قوله** فيل لما القاها الخ جواب عما يقال كيف ذكر الذي انقلب اليه العصا بالفاظ مختلفة
وهي الحية وان كان اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير الا ان الجان والثعبان متباينان
فان الثعبان ذكر ما يكون من الحيات والجان الحية الصغيرة الخفيفة السريعة الحركة والسعي
بسرعة وخفة حركة قيل لما القاها فاذا هي اعظم الثعبان نظر اليه الناظرون تمشي بسرعة
لا بعروق كعروق الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن
عنقا تهتز وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل وهي الناقة الحاملة فتلقمها وتبطش "
بنابه في اصل الشجرة العظيمة فيقلعها وتسمع لاسنانها صريف عظيم فلما عاين موسى عليه الصلوة
والسلام ذلك اخذه من الفزع ما يأخذ البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب فعارضه ملك فقال اما
تستحيي ربك يكلمك وتهرب فرجع ولعل الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الزمان الذي اوان الوحي
وتحمل الرسالة ان يشاهد انقلابها اولا ويروا عنه ما يطرأ الطبيعة البشرية من الخوف والجزع
الحاصل بمعاينة مثل ذلك حتى لا يطرأ عليه الخوف عند مشاهدة ذلك عند فرعون **قوله** ويجوز
بها اللطيفة بعيد ان يبنى السيرة في الاصل لنوع من السير ثم اتسع فيها فعبر بها عن المذهب و
الهيئة مطلقا وذكر اولا ان سيرتها منصوب على انه مفعول به بحذف حرف الجر اي سنعيدها الى سيرتها الاولى
وثانيا انه مفعول به صريح على انه مفعول ثان لنعيد لان عاد لما كان متعديا الى واحد عدي بالهمزة
الى ثان وثالثها انه ظرف اي سنعيدها في الهيئة التي كانت عليها وورابعها انه منصوب بفعل مقدر
فعلى هذا الوجه يكون انقلاب الحية عصا مفهوما من مجرد قوله سنعيدها لان المعنى سنعيد العصا
بعد

والجلادة الجراءة وسرعة الحركة

بعد ما ذهبت وبطلت صورة العصائية بانقلابها الى صورة الحية وقوله سيرتها الاولى
لمعنى زائد على انقلاب الحية عصا وهو ان تعود المنافع الثابتة بانقلاب العصا حية بخلاف
الوجوه الاخر فان انقلاب الحية عصا يفهم من مجموع قوله سنعيدها سيرتها الاولى على تلك الوجوه
قوله قيل لما مال ربه ذلك ان لما قال ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه الى ان
ادخل يده في فم الحية واخذ بلحيها فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي يضعها
فيه اذا توكأ واعلم ان ادخال يده في فم الحية من غير ان تضره معجزة وانقلابها خشبة معجزة "
اخرى وانقلاب العصا حية معجزة اخرى فتنها تولى معجزات مع المآرب التي تقدمت **قوله**
لانه يحجبها ان يميلها كما مال بعد وان جنحوا للسلم فاجنح لها **قوله** كانها مشبه ان ذات شعاع وعلم
ان معنى ضم اليد الى الجناح ما مال في اية اخرى وادخل يدك في جيبك فهو ورد انه عليه الصلوة و
السلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر و
اخرجها كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوء ثم اذا
ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول بلا نور وبرص واتفق المفسرون على ان السوء كناية
عن البرص فانه ابغض شيء الى العرب وبهم نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا
بان يكنى عنه ولا يصرح باسمه وقوله من غير سوء يجوز ان يتعلق بقوله تخرج وان يتعلق
ببيضاء لكونها صفة مشبهة فيها معنى الفعل كانه قيل تبيض من غير سوء ويجوز ان يتعلق "
بمحذوف على انه حال من الضمير في بيضاء **قوله** اي دللنا بها او فعلنا ذلك يشير على ترتيب قوله
او يمادل عليه الاية او القصة اي خذ هذه الاية الثانية بعد اية قلب العصا حية او دللنا بها او
فعلنا ما فعلنا بك من ندائك وإسماع كلامي اياك واختيارك للنبوة واظهار المعجزات الباهرة
لك لنريك بعض اياتنا او لنريك الاية الكبرى حال كونها من اياتنا ان من بعض اياتنا على ان يكون
الكبرى مفعولا ثانيا لنريك ومن اياتنا حال منها وعلى الاول يكون المفعول الثاني قوله من اياتنا
ويكون الكبرى صفة لاياتنا قيل اليد اعظم في الاعجاز من العصا لانه تعالى ذكر قوله لنريك من "
اياتنا الكبرى عقيب ذكر اليد وهو ضعيف لانه ليس في اليد الا تغير اللون واما العصا ففيها
تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحيوة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع "
الشجر والحجر ثم عودها بعد ذلك عصى كما كانت فهي اعظم قطعا فلا بد ان يكون المعنى خذه بهذه
الاية ايضا بعد قلب العصا لنريك بهما بعض اياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من
اياتنا الكبرى فعلنا ذلك فلا دلالة في الاية على كون اليد كبرى بالنسبة الى العصا ثم انه تعالى لما
اظهر له هذه الايات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك بانه طغى اي جاوز

قال المفسرون كان على يده مدرعة من صوف قد خللها بخلال من عيدان فلما امره باخذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله ان يكشف يده فكشف وقيل انه لما قال له اربت لو اذن الله بما تحاذره اكنت تنفعك المدرعة شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي يضعها اذا توكأ ابن عادل

السؤال الثاني كيف اخذه مع الذنب او بدونه والجواب انه مع الذنب ولكنه بعيد لان بعد الدلائل يبعد ذلك واذا علم موسى انه يجعلها سيعيدها سيرتها الاولى فكيف يستمر خوفه وقد علم صدق هذا القول كبير

من اجنح بمعنى امال

حتى البعوضة بدعوى الربوبية ثم جاوز اللعين في تلك المجاوزة حيث لم يقنع بدعوى المشاركة
فيها حتى قال انا ربكم الاعلى روي عن وهب انه قال قال الله تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام
اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني
البستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي
وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي
وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه
رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره من نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته
بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال
اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري الاية قوله ويتسع قلبه اشارة الى
ان المراد بالصدر القلب كما في قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه لان
كانه يراد به العضو الذي فيه القلب كما في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور وان المراد بشرح القلب توسعه حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ولا يخاف
من شوكتهم وكثرتهم ويجترئ على مخاطبة فرعون ومحاجته فانه اذا وسع قلبه وعلم ان احدا
لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده وايضا
سأل الله تعالى ان يوسع قلبه ليتحمل ما ينزل عليه من الوحي كانه قال اشرح لي صدري فافهم عنك ما
انزلت علي من الوحي قوله وفائدة لي جواب عما يقال ما فائدة لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي
امري مع ان الكلام مستقيم بدونه وتقرير الجواب انه ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثمة
مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر المشروح والميسر وهما الصدر والامر فكان الرفع بعد
الابهام بذكر المشروح اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري
ويسر امري على التصريح بالمراد ابتداء لان الرفع بعد الابهام تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال
والتفصيل قوله ولعل تبيض يده كان لذلك اي لكونها سببا لخلاص موسى من ان يقتله فرعون او
لكونها آلة لاخذ لحية فرعون ونتفها قوله كتلبيتها في موازر واصله مأزر قلبت همزته واوا لانضمام
ما قبلها فصار موازر وقلبت في الازير ايضا وان لم ينضم ما قبلها حملا للنظير فانهما اخوان في المعنى
فيكون كل واحد منهما نظيرا للاخر من حيث المعنى وحملا على المضارع وهو يوازر قوله
ومفعولا اجعل بدا اصيق فيه التنبيه الى لفظ اجعل وقوله وزيرا او هرون خبره وجه العناية
بالمفعول الثاني مقصوده الاهم طلب الوزير قوله وفي صلته اي يجوز ان يكون قوله لي صلة نفس
الجعل متعلقا به ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا لانه في الاصل صفة لوزيرا فلما تقدم

٤٤١

نوم عليه انتصب حالا قوله او لي وزيرا عطف على قوله وزيرا او هرون اي ويجوز ان يكون مفعولا اجعل
قوله وزيرا فيكون لي مفعولا ثانيا مقدما على المفعول الاول وهو وزيرا ومن اهلي يجوز ان يكون صفة
لوزيرا او ان يتعلق باجعل قوله هرون عطف بيان لوزيرا فيه نظر لان عطف البيان يشترط
فيه التوافق بينه وبين متبوعه تعريفا وتنكيرا وقوله وزيرا نكرة فكيف يكون هرون عطف بيان
له والظاهر ان يجعل هرون بدلا من وزيرا قوله او وزيرا من اهلي اي ويجوز ان يكون مفعولاه وزيرا
من اهلي فيكون وزيرا مفعولا اول ومن اهلي مفعولا ثانيا وفيه ان شرط المفعولين في باب النواسخ
صحة انعقاد الجملة الاسمية منهما وانت لو ابتدأت بوزيرا واخبرت عنه بقولك من اهلي لم يجز
اذ لا مسوغ للابتداء به قوله وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر فانه قرأ اشدد بفتح الهمزة واشركه
بضمها على معنى الخبر عن نفسه اي انا افعل ذلك وجزم كل واحد من الفعلين على انهما جواب الامر
وان قرئ اشدد على لفظ الامر يكون المعنى قوّ به ظهري واجعله شريكا لي في امر الرسالة قوله
انعما عليك يعني انه من قولهم من عليه منا بمعنى انعم عليه لا من قولهم من عليه منة بمعنى امتن
عليه لان المنة تهدم الصنيعة والمقام مقام التلطف ببيان انه تعالى راعى مصلحته من غير ان يسأل
موسى فكيف لا يعطيه مراده بعد السؤال والمعنى منا عليك الآن بما سألته وقد سلف لنا
من اخرى عليك وقوله في وقت آخر اشارة الى ان مرة ظرف منا عليك في وقت آخر
ذكر مرة ذهابا والمرة واحدة المر الذي هو مصدر قولك مر يمر مرا ومرورا اي ذهب فان
قيل لم قال مرة اخرى مع انه تعالى ذكر منا كثيرة اجيب بانه ليس المراد مرة واحدة من المنن لان
ذلك قد يقال في القليل والكثير والمنن المذكورة ههنا ثمانية الاولى قوله اذ اوحينا الى امك
ما يوحى والثانية قوله والقيت عليك محبة مني والثالثة قوله ولتصنع على عيني والرابعة
قوله اذ تمشي اختك والخامسة قوله وقتلت نفسا فنجيناك من الغم والسادسة وفتناك فتونا والسابعة
قوله فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى والثامنة قوله واصطنعتك لنفسي
قوله بالهام او في منام الخ يعني ان المراد من هذا الوحي الواصل الى الانبياء لان ام موسى ما كانت
من الانبياء فان المرأة لا تصلح للامارة والقضاء فكيف تصلح للنبوة ويدل عليه قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فلذلك اختلف في المراد في هذا الوحي على وجوه احدها ان ام
موسى رأت رؤيا دلها على وضع موسى في التابوت وقذفه في البحر وان الله تعالى يرده اليها وثانيها
ان المراد بالوحي الالهام بان اوقع الله تعالى في قلبها عزيمة جازمة على ان تلقيه في التابوت ثم تقذف
التابوت في اليم وهو نيل مصر بقول جميع المفسرين فان اليم يقع على البحر والنهر العظيم وثالثها
ان المراد بالوحي اليها انه تعالى اوحى ذلك الى بعض الانبياء المبعوثين في ذلك الزمان كشعيب

وكان هرون اكبر من موسى عليهما السلام باربع سنين واجمل وافصح لسانا منه فلذلك قال اشدد به ازري منه

قوله نسبحك كثيرا ان نصلي لك ونذكرك كثيرا بالسنة حامدين لك على ما اوليتنا من نعمك وكثيرا به على انه نعت لمصدر محذوف تقديره تسبيحا كثيرا او نذكرك ذكرا كثيرا او قيل هو ظرف محذوف تقديره نسبحك وقتا كثيرا ونذكرك وقتا كثيرا منه

حب ان الثقت وحب المحبة العظيمة من حيث تعجب المتوجب بعم الشديدة من حمله فلذلك عداه الى ما كره فتونا بمعنى او من حيث انا خلصناك تخليصا من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه منه

اعترض عليه بانه الامر لو كان كذلك لا الخفا من انواع الخوف ما الخفا والجواب ذلك الخوف كان من اللوازم البشرية كما ان موسى عليه الصلوة والسلام كان يخاف فرعون مع ان الله تعالى كان يامره بالذهاب اليه مرارا او للان للخفي او لعل الانبياء المتقدمين كما يزعم به واحكام سيقرب عليهم الصلوة والسلام اخبروا ابنهم وانتهى ذكره ذلك الخبر الى تلك المراة
من عصر كريم

ومرتع تم ان ذلك الى عن ذلك الوحي الى الانبياء فاستخبر لعيب الحد وروا ابنها الملك كما بعث الى بلقيس
الاعلى وجه النبوة بل على طريق البنت جبريل الى مريم فتعلم كيف يا امها الهمنا وحسا فتصب بها بحرا
سويا ويبلغ ذلك الملك اليها بالوحي قوله على الحكم لبعض البلية فتح الخا من اهل الفارس بم كرر اذا
تراه موضعه الذي عين للاهم وقوله لعظم شانه تعليل لقوله لا يعلم الا بالوحي وقوله او فرط الاهتمام
به تعليل لقوله ما ينبغي ان يوحى فعلى طريق اللف والنشر المرتب وان في قوله ان اقذفيه يحتمل ان
يكون مصدرية وبمعنى المراد بيونيه في المتابعة جعله فيه كما في قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب
قوله غلام ملاه الله تعالى بالحسن ابلغنا تماما لا يشيا اي لا يشق على البصر قوله غلام اي هو غلام وزناه
الله صفة غلام اي هو غلام حصل الله تعالى فيه الحسن ووضعه فيه وبافعا اي شابا واليافع من
اليفاع وهو ما ارتفع من الارض وايفع الغلام اي ارتفع فهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر
والبياء العلا معنى المراد ابهجنا الحسن وقوله لا يشق على البصر اي يفرح به من ينظر اليه ولا يمل
من النظر اليه ومن تكرار النظر لكونه في غاية الحسن قوله لما كان القاء البحر اياه الى الساحل
جواب عما يقال كيف خاطب البحر بامر ليمتثل امر مع ان الامر لا يكون الا لمميز العاقل والبحر ليس
كذلك وتقرير الجواب ان قوله فليلقه اليم وان كان امرا صورة الا ان معناه الخبر اي افعل ما امرت
به ليلقه اليم بالساحل فاحذ به لكن واخرج الكلام على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية
حيث شبه اليم في التسليم بالمامور ذي تمييز ايراد امر يطاع بالقاء من حيث كون القاء البحر اياه
الى الساحل امرا واجب الحصول لحصول المامور به من المامور المطيع وجعل امر اليم بقوله فليلقه
اليم قرينة للتشبيه المضمر وفائدة اخراج الكلام على هذه الصورة التاكيد والمبالغة في
حصول الالقاء قوله والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى لانه لو جعل ضمير ان اقذفيه وياخذه
وعدو لموسى وضمير فاقذفيه فليلقه اليم للتابوت لزم تفكيك الضمائر وتنافر النظم فان
قيل المقذوف في البحر وكذا الملقى الى الساحل هو التابوت قلنا نعم ان المقذوف بالذات والملقى
بالذات هو التابوت الا ان موسى مقذوف وملقى بالتبع لكونه في جوف التابوت فينبغي ان يجعل
ضمير فاقذفيه فليلقه اليم ايضا لموسى حتى لا تفترق الضمائر ولما كان فليلقه اليم
امرا من حيث اللفظ انجزم جوابه في قوله ياخذه قوله ولان الاول وهو كون فرعون
عدوا لله تعالى حال اخذه موسى لكفره بالله تعالى وعتوه امر واقع حج وكونه عدوا لموسى
غير واقع لان موسى في ذلك الوقت لم يكن بحيث يعاديه احد بل هو بحيث يؤل امره الى العداوة
معه فلو قيل ياخذه عدو له ولم يفهم ان عداوته لموسى من قبيل عداوته لله تعالى قوله
ثم قيرته اي طلته بالقير وهو الزفت قوله وكان يشرع اي يخرج منه الى بستان فرعون ... اليم نهر

بنال شرعت اليه ابه في الماء شرعا وشروعا ابه تناولته قوله اصبح الناس الا كلهم صباحة ان
جمالا بفعل صبح بالضم صباحة فهو صبيح اي جميل حسن قوله اي محبة كائنة مني على ان متي ظرف مستقر
متعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة اي محبة حاصلة مني وواقعة بتخليقي وعلى الثاني يكون ظرفا لغوا
متعلقا بالقيت وعلى التقديرين كلمة من ابتدائية والفرق بين الاحتمالين ان الملقى على الاحتمال
الاول محبة الناس اياه لكن لما كانت تلك المحبة حاصلة وواقعة بتخليق الله تعالى من حيث انه يركزها
في القلوب وصفت بقوله كائنة مني فلذلك احبه عدو الله فرعون وكل من ابصره وعلى الاحتمال
الثاني يكون الملقى بالذات هو محبة الله تعالى واما محبة الخلق اياه فانها ناشئة ومتفرعة من محبة الله
اياه واليه بقوله ان احبكم من احبه الله تعالى احبه القلوب ويروى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل ان الله تعالى يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السماء ثم يوضع له القبول في اهل الارض قوله وظاهر اللفظ جواب عما يقال انه ما قيل يخالف ما فهم
من ظاهر لفظ القران فان ظاهر القران يدل على ان اليم القاه بساحله وان موسى التقط من الساحل
لا من البركة وان ما قيل يدل على ان ام موسى القته في اليم فدفعه اليم الى النهر المنشعب منه الشارع الى
بستان فرعون فاداه النهر الى بركة في البستان فاخذ من البركة لا من الساحل ولما رايت الوجه التوفيق
بينهما بان حمل لفظ القران على ان معناه القاه اليم بساحل فيه فوهة نهر فرعون تجري منه الى البركة
قوله لان الماء يسحله تعليل لما دل عليه المعنى كانه قال سمي الشاطئ ساحلا لان الماء يسحله اي يقشره
وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره فان السحل في اللغة القشر يقال قشرت العود وغيره
اقشره قشرا اي نزعت عنه قشره والمطرة القاشرة هي التي تقشر وجه الارض ولتربى
ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك فسر قوله ولتصنع بقوله لتربى ويحسن اليك من قولهم صنع
اليه معروفا اذا احسن اليه وفسر قوله على عيني بقوله وانا راعيك اشارة الى انه حال من الضمير
المستتر في لتصنع لا صلة له وقوله لتصنع منصوب باضمار ان بعد لام كي وهذه العلة معطوفة
على علة مقدرة قبلها والفعل هو قوله والقيت اي القيت عليك المحبة ليتعطف عليكم ولتصنع
ويجوز ان تكون هذه اللام متعلقة بفعل محذوف وجملة المعلل بعلته معطوفة على الجملة
السابقة اي القيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني فعلت ذلك وجعل العين مجازا عن المراعاة
والحراسة بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الناظر الى الشيء يحرسه عما لا يريد
في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها على انها ليست لام كي
بل هي لام امر الغائب والاصل فيها ان تكون مكسورة ويجوز سكونها بعد الواو والفاء للخفة و
ذلك في القران كثير نحو وليوفوا نذورهم وليطوفوا فقراءة العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون

على البناء للمفعول ونصب الفعل باضمار ان بعد لام كي وقرئ تقر عينها بالنصب وفتح القاف
ظرف لالقيت او لتصنع على الاول القيت عليك محبتي وقت مشي اختك وعلى الثاني لتربى
وتحسن في هذا الوقت وكونه ظرفا لتصنع اولى لان تقييد التربية بزمان مشي اخته صحيح لان التربية
انما وقعت زمان مشي اخته وترده امه اليها بخلاف القاء المحبة عليه فانه وقع قبل ذلك من اول ما
التقطه فرعون فلا وجه لكونه ظرفا لالقيت الا باعتبار الاتساع في زمان المشي قوله او بدل من اذ
اوحينا فانه ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك اذ تمشي اختك قوله على ان المراد بها
وقت متسع جواب سؤال يقال كيف يكون اذ تمشي بدلا من اذ اوحينا مع ان احد الزمانين غير متحد مع
الاخر صرح بهما مختلفان وليس احدهما بعضا من الاخر ولا مشتملا عليه ايضا واذا
اريد بكلمة اذ وقت متسع يقع فيه كل واحد من الفعلين يتحد الزمانان ولا يختلفان الا باعتبار
اختلاف الفعل الواقع فيهما فيصح ابدال احدهما من الاخر ومعنى يكفله يضمه اليه ويحضنه ويربيه
ويذكر الضمير في يكفله للفرعون وان كان عبارة عن المؤنث ولما التقط الفرعون واحبوه و
عزموا على تربيته عندهم طلبوا المراضع ترضعه وتربيه فلم يقبل ثدي امرأة منهن لانه تعالى قد حرم
عليه المراضع بقوله وحرمنا عليه المراضع فجعل ذلك طريقا لرده الى امه فاضطروا الى الاستقصاء في تتبع النساء
وبذلك فشى الخبر بمصر ان الفرعون اخذوا غلاما في النيل وانه لا يقبل ثدي كل امرأة يؤتى بها فلما
علمت ذلك اخت موسى جاءت اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وقتلت نفسا فانه عليه الصلوة والسلام لما قتل القبطي خطأ اي وكزه اي ضربه بجمع يده على ذقنه حين
استغاثه الاسرائيلي عليه فحصل له الغم من وجهين احدهما من عقاب الدنيا وهو اقتصاص
فرعون منه على ما حكاه الله تعالى عنه بقوله فاصبح في المدينة خائفا يترقب والاخر من عقاب الله تعالى
حيث قتله لا بامر الله تعالى فنجاه الله تعالى من الغمين اما من فرعون فبان دفعه الله تعالى بالمهاجرة الى
مدين واما من عقاب الاخرة فبان غفر الله تعالى له ذلك باستغفاره حين رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له وابتليناك ابتلاء بناء على ان فتونا مصدر كالقعود والجلوس جيء به تاكيدا للفعل
كانه قيل وفتناك فتنا والفتنة الامتحان والاختبار يقال فتنت الذهب اذا ادخلته النار
لتنظر ما جودته كذا في الصحاح قال صاحب الكواشي فتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا بايقاعك
في المحن وتخليصك منها وقال صاحب الكشاف الفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله تعالى به عباده فتنة
قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة سأل سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله تعالى وفتناك فتونا
فقال خلصناك من محنة بعد محنة اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير ثم القته امه في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذ

قال الفراء وانما اقتصر على ذكر المشي ولم يذكر انها سعت حتى دخلت على ال فرعون فدلتهم على الظئر لان العرب تجتزئ بحذف كثير من الكلام وبقليله اذا كان المعنى معروفا ومثله قوله تعالى انا انبئكم بتأويله فارسلون ولم يقل فارسل حتى دخل على يوسف
منه

السؤال الثاني هل يصح اطلاق اسم الفتان عليه سبحانه من قوله وفتناك فتونا الجواب لا لانه صفة ذم في العرف واسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي
منه

اخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجمرة بدل الدرة فخلص ثم قتل قبطيا فخرج الى مدين
هاربا خائفا حافيا بلا زاد ولا دليل وآجر نفسه عشر سنين مهر المطلوبة ابنة شعيب وضل
الطريق وتفرق غنمه في ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول عند ذكر كل واحدة من هذه المحن
فهذه فتنة يا ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما تفتن الذهب بالنار
فيخلص من كل خبث فيه ولا بد في قوله وفتناك فتونا من ملاحظة التخليص عن المحن
اما بان يجعل فتناك بمعنى خلصناك من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه او بان يكون
فتناك بمعنى اختبرناك ولم يذكر صلته والتقدير اختبرناك اختبارا بايقاعك في المحن وتخليصك
منها وذلك انه تعالى قال ولقد مننا عليك مرة اخرى ثم عد المنن وذكر منها قوله وفتناك فتونا
والفتنة بمعنى المحنة ليس من قبيل الانعام الا ان يقال انها لكونها موجبة للثواب من قبيل النعم
والمعنى جعل قوله وفتناك فتونا اجمالا لما ناله في سفره وهجرته من مصر الى مدين ثم جوز ان
يكون اجمالا لما سبق ذكره من وضع امه اياه في التابوت وقذفه في اليم الى غير ذلك وقدم
الاحتمال الاول لان عد ما ناله الطفل فتنة في حقه لا يخلو عن بعد قوله قضاء لاوفى الاجلين
اللذين خير شعيب عليهما الصلوة والسلام في قضاء ايهما شاء بهما في تزويج بنته اياه قال
فيما حكاه عنه اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا
فمن عندك فقضى موسى اوفيهما وهذا صريح في ان موسى لما قضى الاجل الذي سار
باهله الى مصر ولم يمكث في اهل مدين بعد قضائه ويدل عليه قوله في تزوجه صفورا ابنة
شعيب وروي عن وهب انه قال لبث موسى عند شعيب ثمانية وعشرين سنة منها عشر سنين
مهر امرأته والباقي ليستكمل الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء بناء على انه جاء مدين وهو ابن ثنتي
عشرة سنة فمكث فيه ثمانية وعشرين سنة ليبلغ سن اربعين سنة وتقدير الاية وفتناك
فتونا فخرجت هاربا الى اهل مدين فلبثت سنين فيهم ثم جئت من عندهم مستقرا وكائنا على مقدار معين
فقوله على قدر متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل جئت قوله على قدر قدرته او على مقدار من السن
اشار بذلك الى ان قوله على قدر لا بد فيه من تقدير مضاف اليه لان المقدر لا يكون الا المقدر من الامور اي على قدر من
الذي قدرته لان الكلام او على مقدار من السن فالقدر على الاول عبارة عن تعلق الارادة الازلية المقتضية
لنظام الموجودات على ترتيب خاص في اوقات حدوثها المقتضية وتلك الارادة الازلية هي المسماة
بالقضاء وعلى الثاني القدر بمعنى المقدار قال عليه الصلوة والسلام ما بعث الله نبيا الا على راس
اربعين سنة قوله واصطنعتك لنفسي اي اخترتك للنبوة ونصرتك على ارادتي ومحبتي وتشتغل بما
امرتك به من اقامة حجتي وتبليغ رسالتي وان تكون في حركاتك وسكناتك لوجهي لا لنفسك

ولا تغير كره والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع اليه معروفا واصطناع
فلان اتخاذه صنيعا يجعلها بان اليه بتقريب منزلته وتخصيصه بالتكريم والاجلال عن القفال
فالاصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع
فلان كما يقال هذا جريح فلان قوله مثله فيما خوله من اعطاءه جواب عما يقال كيف قال الشيخ ... انه
تعالى منزه عن الكل فلا يجوز حمل الكلام على ظاهره فلذلك حمله على الاستعارة التمثيلية بتشبيه حال
موسى فيما خوله الله تعالى من التقريب والتكليم والتكريم بحال من قربه الملك واستخلصه لنفسه ووجه الشبه
منتزع من عدة امور فكانت الاستعارة تمثيلية قوله ولا تفترا بمعنى ان ولا تنيا مثل وعد
بعد وعدا بمعنى فتر يفتر فتورا والحكمة في هذا التكليف ان من ذكر جلال الله تعالى وعظمته عظمه فلا يكاد
احد اعجزه ويتقوون به وهذا لكل الذكر فلا يضعف عن مقصوده قوله وقيل في تبليغ ذكري على ان
يكون المراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها قدرا
فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي انه تعالى لما نادى موسى عليه الصلوة والسلام بالوادي
المقدس وارسله الى فرعون واعطى سؤله انطلق من ذلك الموضع الى فرعون وقد شيعته الملائكة
يصافحونه وخلف اهله في الموضع الذي تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من اهل مدين
فعرفهم فحملهم الى شعيب فكانوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعد ما جاوز بني اسرائيل البحر وغرق فرعون
وقومه فبعث بهم شعيب عليه الصلوة والسلام الى موسى بمصر فانطلق موسى من الطور الى جانب
مصر لا علم له بالطريق وليس معه زاد ولا حمولة ولا صحبة ولا شيء الا العصا يظل صائما ويبيت
طاويا يصيب من ثمار الارض ومن الصيد شيئا قليلا حتى ورد ارض مصر الى تمام الامر قوله قيل اوحي
الى هرون جواب عما يقال كيف اجتمع مع هرون حتى يخاطبا بقوله تعالى اذهبا الى فرعون وروي انه تعالى اوحى الى
هرون بانه قد استنبأ موسى وارسله الى فرعون وقومه وانه جعلك وزيره وشريكا في رسالته فاذا
كان يوم السبت لغرة ذي الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس الى شط النيل فانها الساعة التي تلتقيان
انت واخوك فيها فاقبل موسى في ذلك الوقت وخرج هرون من عسكر بني اسرائيل حتى التقيا على شط
النيل قوله وقيل عداه هو نشبة لعمر الحاضر من وعد بعد يعني المراد بالقول اللين ان موسى اتاه ووعده
على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى عليه لذة المطعم والمشرب والنكح
الى حين موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم
قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورايا انت
وتريد ان تكون مربوبا وانت تعبد فقلبه عن رايه وحكي عن عمرو بن دينار انه قال بلغني ان فرعون
عمر اربعمائة سنة وتسع سنين فقال له موسى ان اطعتني عمرت مثل ما عمرت فاذا مت دخلت الجنة
قوله على

اعلم ان هذا التكليف لا يعلم سره الا الله سبحانه لانه علم انه لا يؤمن فطلب ايمانه ضد الذكر العلم الذي يمتنع زواله ممتنعا فيكون سبحانه
عالما بامتناع ذلك الايمان واذا كان فكيف امر موسى عالما بذلك فكيف امر موسى عليه الصلوة والسلام بذلك الرفق فيكون بالرفق في
الامر بتلطف دعوته الى الله تعالى مع علمه باستحالة ذلك منه ثم ذهب ان المعتزلة تنازعوا في هذا الامتناع من ...
قوله على رجائكما وطمعكما يعني لعل للترجي الآن بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون عليهما السلام
اي اذهبا وقولا له متر جيين وطامعين فلا اقدم لاعلى اليأس منه ويحتمل ان يكون ذلك الترجي بالنسبة
الى الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور قوله فان الراجي مجتهد علته لكون الذهاب والقول اللين متلبسين
بكونهما في حال الرجاء دون اليأس يعني انهما كلفا بالتبليغ على هذا الوجه لانه ابلغ لهما في دعائه الى الحق
فان الرسل انما يبعثون لان يدعوا من يرجون ويطمعون ان يقبل منهم والتذكر للمتحقق او المتيقن
بالحق الجوهري حقيقت الامر واحققته ايضا اذا تحققته وصرت منه على يقين وحققت قوله وظنه
تحقيقا اي صدقت والمعنى قولا له ذلك راجيين ان يتذكر الاصرار على انكار الحق وتكذيبه اما بان يتذكر
ان يتعظ ويقبل الحق قلبا وقالبا او بان يتوهم انه حق فيخشى بذلك من ان يصر على الانكار ويبقى مترددا
ومتوقفا بين الامرين وذلك خير بالنسبة الى الانكار والاصرار عليه قوله نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة فيبطل المطلوب من الارسال اليه فالكيف يخاف موسى وقد
اتاه الله تعالى سؤله وشرح صدره وشرح الصدر ينافي حصول الخوف قلنا لا نم ذلك لانه قد تم ان
السؤال ان يوسع الله تعالى قلبه ليحمل اعباء دعوة فرعون الى عبادة الله تعالى والصبر على مشاق ولتلقي
ما يوحى اليه على وجه لا يتطرق اليه السهو والتحريف وحصول الشرح بهذا المعنى لا ينافي حصول الخوف
من استيلاء فرعون في عقوبتهما قبل تمام الدعوة واظهار المعجزة وان يفوت الفائدة المطلوبة من الارسال
اليه من الزام الحجة وقطع المعذرة ونحو ذلك قوله واطلاقه اي عدم تعيين قوله او ان يطغى
بذكر متعلقه بان يقال او ان يطغى عليك كما قيل ان يفرط علينا من حسن الادب والتحاشي عن التفوه
بالعظم فلذلك لم يقل لا ان يطغى عليك بان يقول فيك ما لا ينبغي وذكر امتعلق يفرط وهو علينا لان مضرته
عائدة اليهما فان المعنى او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك قوله لا تخافا ليس
المراد منه النهي عن الخوف لانه من حيث كونه امرا طبيعيا لا مدخل للاختيار فيه لا يدخل تحت التكليف
نفيا واثباتا بل المراد به التسلي بوعد الحفظ والنصرة فانه ليس المراد من المعية المعية المكانية
بل المراد منها ما يلزمها من الحفظ والنصرة كانه قيل انني حافظكما وناصركما قوله اسمع وارى ما يجري
بينكما وبينه يعني ان قوله تعالى اسمع وارى فعلان متعديان لم يذكر مفعولهما وليسا منزلين منزلة اللازم
بل قصد تعلقهما بالمفعول الغير المذكور فوجب تقديره على حسب ما يعين القرينة ان عاما فعام وان
خاصا فخاص والقرينة ههنا تقتضي تقدير العام اي اسمع وارى جميع ما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل الخ وذلك لان قوله تعالى اسمع وارى ذكر تاكيد لقوله انني معكما اخبر اولا بانه حافظهما وناصرهما
ثم اخبر بانه يسمع ويرى للدلالة على انه يفعل بهما ما يوجب حفظهما ونصرهما على اتم الوجوه واكملها
والحفظ والنصرة انما يتمان ويكملان اذا كان الحافظ والناصر عالما بجميع ما يناسب ارادة حفظه وهذا

يقتضي ان يقدر المفعول عاما بان يقال ايصدر منكما وانضم جيبا لحج من منكما وبينه ليتم الحفظ بكلا وبزوال خوضهما بالكلية في ذي المنزل قصدا التعميم مع الاختصار **قوله** ويجوز ان لا يقدر شيء بان ينزل الفعلان منزلة اللازم ولا يقصد تعلقهما بالمفعول فضلا عن عمومه وخصوصه وان يكون المقصود شان الحفظ والنصرة للاولياء اثبات سببه من السمع والبصر مع قطع النظر عن تعلقهما بالمسموع و البصر لانهما انما ذكرا تتميما لقوله انني معكما لكونهما مما يتم به الحفظ والنصرة ولا مدخل في ذلك لاعتبار تعلقهما بالمفعول والتتميم ان يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة مثل مفعول او حال او نحوهما مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام لنكتة وان اتي بها في كلام يوهم خلاف المقصود لدفع ذلك الايهام يسمى ايغالا تكميلا كقوله فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي اي سيل والديمة المطر الذي يدوم يوما وليلة فان قوله غير مفسدها منصوب على انه حال من فاعل سقى جيء بها لندفع ما يوهم قوله فسقى ديارك امطار الربيع والديمة من كونها مخربة للديار فان المطر قد يؤدي الى خرابها وعلى هذا الوجه يكون قوله اسمع واري حالان من المستكن في قوله معكما فلذلك قال على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا **قوله** من دعوى الرسالة بيان للكلام السابق والمراد بما تضمنه الكلام السابق هو المجيء بالاية فان دعوى الرسالة لا تثبت الا بتبيينها التي هي اظهار المعجزة فكانت دعوى الرسالة متضمنة لدعوى تبيينها **قوله** لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها يعني ان المراد بقوله باية جنس ما يكون برهانا لدعوى الرسالة مع الرسالة مع قطع النظر عن وحدته وتعدده فلذلك وحد **قوله** والسلام الملائكة جعل السلام بمعنى التحية من الملائكة وخزنة الجنة للمهتدين فيكون المقصود من الكلام ترغيب المخاطبين في الاهتداء بهدى الرسول واتباع ما جاء به من التكاليف والاحكام وبشارة المهتدين بكونهم من اهل الجنة ثم جوز ان يكون السلام بمعنى السلامة كالرضاع والرضاعة قال بعض المفسرين قوله والسلام على من اتبع الهدى قول الملائكة لهما كانه قال فقولا انا رسولا ربك وقولا له السلام على من اتبع الهدى فهما الحرون بكلام الله ثم عند قوله قد جئناك باية من ربك وقوله بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبلها لمن آمن وصدق بالسلامة لهم من عقوبات الدنيا والاخرة فتكون الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ويكون على معنى اللام وهو السلام لمن اتبع الهدى كما ان اللام يكون بمعنى على كما ان اللام يكون في قوله ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اي عليهم اللعنة وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ويكون قوله انا قد اوحي الينا اثباتا للتعليل كانه قيل السلامة من العذاب للمهتدي لانه اوحي الينا ان العذاب على المكذبين للرسل **قوله** ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل يعني ان تعريف العذاب في قوله ان العذاب للعهد والمعهود هو العذاب المختص بالمشركين وهو عذاب خلود في النار وعلى هذا بوجه ما في الكشاف فلا يرد ان عذابهم التنزيلي ان القبر والنار لابليس انه

كما لمبالغة نحو قوله ويطعمون الطعام على حبه في وجه وهو ان يكون الضمير في حبه للطعام اي يطعمونه مع حبه والاحتياج اليه وان جعل الضمير لله اي يطعمونه على حب الله فهو تكميل لاصل المراد
تخص

ان ينسب كيفية الى الغير **قوله** انه لعل تغيير النظم يعني ان هذه الجملة ذكرت في مقابلة قوله والسلام على من اتبع الهدى فكان الظاهر ان يذكر على اسلوب تلك الجملة بان يقال والعذاب على من كذب وتولى بل بان يقال وعدم السلامة عليه لانه هو المقابل للسلامة لكنه صرح بالوعيد وصدرت الجملة بان وجعل مضمون الجملة مما اوحي اليهما لكون التخلية من الرذائل اهم في اول الامر بالنسبة الى التحلية بالفضائل كما ان من يعالج البدن مصروفة في اول الامر الى تنقية البدن عن فضول الاخلاط ثم الى تقويته بالاغذية الصالحة فكذا الحال فيمن يعالج النفوس فان اللائق بشانه الاهتمام بالتخلية اولا اعطى كل شيء من الانواع على ان كل شيء مفعول اول لاعطى وخلقه بمعنى مخلوقه ثانيهما وضمير خلقه لكل شيء والمعنى اعطى كل من انواع المخلوقات مخلوقة الذي هو صورته وشكله المطابق للكمال المودع فيه فالمراد بمخلوق كل شيء المخلوق الذي يختص بكل شيء ويناسبه ويليق به ويتم به الغرض الذي خلق لاجله يدل على ذلك اضافة الخلق الى الشيء **قوله** او اعطى خليقته على ان خلقه اول المفعولين وكل شيء ثانيهما قدم على الاول لان الغرض منوط بذكر اعطاء كل شيء فلذلك صار المفعول الثاني اهم فقدم على الاول والخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله ايضا فالخلق ايضا بمعنى المخلوق الا ان ضمير خلقه يرجع الى الذي وهو الرب ويجب ان يخص كل شيء بما يحتاج اليه المخلوقات ويرتفعون به فان الارتفاق هو الانتفاع **قوله** وقيل اعطى كل حيوان نظيره حملا ان كل شيء مفعول اول الا انه خص بالحيوان وخلقه بمعنى مخلوقه هو الثاني وضميره لكل شيء ويراد بمخلوق كل حيوان زوجه ومعنى الاختصاص المستفاد من الاضافة كونه نظيره في الخلقة **قوله** وقرئ خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة يحتمل ان يكون في محل النصب على انها صفة كل او في محل الجر على انه صفة شيء وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثاني محذوفا اما على وجه الاختصار اعتمادا على دلالة المقام عليه والمعنى كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه واقتصر الامام الواحدي في الوسيط على هذا الوجه ولم يتعرض للاول كما اقتصر المصنف على الاول ولم يتعرض للثاني **قوله** ولذلك بهت الذي كفر لاتفاق العقلاء على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق هذه السموات والارضين والشمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فلذلك الخم فرعون ولم يشتغل بان يتعرض للدليل الذي اقامه موسى عليه الصلوة والسلام على وجود الصانع القادر على كل شيء يدل على كون هذه القضية مسلمة معلومة بالضرورة قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فان كلمة الذي تقتضي وصف المعرفة بجملة الانتساب اليها فلا بد وان يكون مضمون هذه الصلة معلومة مسلمة عند فرعون الا انه كان يظهر الانكار تكبرا ورزورا فيحتمل ان يكون جاهلا بالرب بناء على كونه دهريا نافيا للصانع المدبر اصلا ويكون معنى ادعائه الربوبية لنفسه

انه يجب عليهم طاعته والانقياد له والاعراض عن طاعة غيره ثم ان موسى لما ذكر دليلا ظاهرا
على وجود الاله الحق العليم القادر على كل شيء وافحم فرعون من الدخل عليه خاف فرعون ان يزيد
موسى من امثال تلك الحجة فيظهر للناس صدقه وفساد طريق فرعون واراد ان يصرفه عن
طريق الاحتجاج على التوحيد ويشغله بالحكايات فقال فما بال القرون الاولى يريد به ان كان بني
آدم اذا كانوا فريقين مهتدين ومكذبين وان الفريق الاول اصحاب السلام والثاني اصحاب
العذاب فما بال الامم الماضية من السعادة والشقاوة وقيل انه قال معترضا على موسى فما بال القرون
الاولى كقوم نوح وعاد وثمود فان اكثرهم لم يقروا بالله وبما تدعو اليه وانما عبدوا الاوثان فلو كان
ما ذكرته من الدليل حقا لوجب على اهل القرون الماضية ان لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد
وهو اعتراض فاسد مبني على التقليد المحض غير مستند الى حجة ودليل فلذلك لم يلتفت موسى اليه
قوله فقال علمها عند ربي لم يتعلق غرضه باحوالهم ثم عاد الى تقوية كلامه الاول وابراز سائر الدلائل
فقال الذي جعل لكم الارض الاية قوله علمها عند ربي علمها عند ربي جملة اسمية وقوله في كتاب متعلق بمحذوف
على انه خبر ثان اي علمها مستقر عند ربي مثبت في اللوح المحفوظ اثبته فيه ليكون ما كتب فيه ظاهرا
للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو و
الغفلة فان قيل علم الله تعالى صفة قائمة بذاته فكيف يكون مثبتا في كتاب والصفة القائمة بالشيء
لا تكون مثبتة في غيره والجواب ان المراد باثباته اثبات متعلقاته التي هي الاحكام المعلومة به
واشار المص الى جواب بقوله ويجوز ان يكون تمثيلا اي ويجوز ان يكون المعنى ان علمها مثبت في
الكتاب حقيقة بل يكون قوله انه مثبت في الكتاب استعارة تمثيلية شبه تمكن حال القرون الماضية
في علمه تعالى ببقاء المكتوب في الكتاب فكانه قيل ان بالاتي استقرار علمه عند الله بحيث لا يزول شيء منه
عن علمه تعالى كالشيء الذي استحفظ العالم وقيده بالكتبة فيكون المقصود بقوله في كتاب تاكيد قوله
علمها عند ربي قوله ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى فان الظاهر انه استيناف لا محل له من الاعراب
جيء به تعليلا لما سبق من استقرار علم حال القرون الاولى عنده تعالى استقرار الشيء المكتوب في
الكتاب ووجه التعليل انه عليه الصلوة والسلام لم يذكر شيئا لا يضل ولا ينسى ليعم الاشياء كلها فكانه قال
كان تعالى بحيث لا يخطئ شيئا من الاشياء بحيث لا يهتدي اليه بل كانت باسرها حاضرة عنده بذواتها
لا يغيب عنه شيء منها وما علم من ذكرها لا ينساه ابدا ثبت بذلك ان علم احوال القرون الاولى مستقر
عنده كانه في كتاب فيكون انتظام الكلام هكذا ان فرعون طلب بقوله فما بال القرون الاولى تفصيل
ما سبق من قوله السلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى فاجابه موسى علمها
عند ربي وانه مع ذلك مثبت في اللوح ايضا لحكمة لا يعلمها الا هو ويقول علمها عند ربي كانه في كتاب
ثم

ويجوز ان يكون في كتاب متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر في عند ... منه

المسئلة السابعة اعلم ان موسى عليه الصلوة والسلام استدل على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وهو قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى الدلائل هي التي ذكرها الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال ابرهيم عليه الصلوة
والسلام فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وان موسى عليه الصلوة والسلام في اكثر الامور يقول على
... ابرهيم عليه الصلوة والسلام وبيانه تقرير ذلك في سورة الشعراء ان شاء الله تعالى واعلم ان الخلق عبارة عن تركيب القوالب والابدان و
الهداية عبارة عن ابداع القوى المدركة والحركة في تلك الاجسام وهي على هذا التقدير يكون الخلق مقدما على الهداية ولذلك قال تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فالتسوية راجعة الى القالب ونفخ الروح اشارة الى ابداع القوى فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى
ان قال ثم انشأناه خلقا آخر فظهر ان الخلق مقدم على الهداية والشروع في بيان عجائب حكمة الله تعالى بحر لا ساحل له ولنذكر منه امثلة قريبة
الى الافهام احدها ان الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد واشد الاشياء ثقلا الارض ثم الماء واشدها
خفة النار ثم الهواء فلذلك وجب ان يكون النار اعلى العنصريات والارض اسفلها ثم انه تعالى قلب هذا الترتيب في خلقة الانسان
فجعل اعلى الانسان العظم والشعر وهما ايبس ما في البدن وهما بمنزلة الارض ثم جعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل
تحته النفس الذي هو بمنزلة الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية التي هي في القلب بمنزلة النار فجعل مكان الارض من البدن الاعلى
وجعل مكان النار من البدن الاسفل ليعرف ان ذلك بتقدير القادر الحكيم لا باقتضاء العلة الطبيعية وثانيها انك اذا نظرت الى عجائب
كيفية تركيب البيوت المسدسة وقسمتها وعجائب احوال البق والبعوض في اهتدائها الى مصالح انفسها عرفت ان ذلك لا يمكن الا
بالهام مدبر عالم بجميع المخلوقات وثالثها انه تعالى هدى الناس الى الخلائق بابه ... من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح
وهداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون المعادن من الجبال واللآلي من البحار ويركبون الادوية والترياقات النافعة ويجمعون بين
الاشياء المختلفة ويستخرجون لذائذ الاغذية والاطعمة فثبت انه سبحانه هو الذي خلق الاشياء ثم اعطاهم العقول التي بها يتوسلون
الى كيفية الانتفاع بها وهذا غير مختص بالانسان بل عام في الحيوانات فاعطى الانسان انانته والحمار حمارته والبعير ناقته ثم هداه لها
ليدوم التناسل ويهدي الاولاد لثدي الامهات بل هذا غير مختص بالحيوانات بل هو حاصل في اعضائها فانه تعالى خلق اليد على تركيب خاص
واودع فيها قوة الاخذ وخلق الرجل على تركيب خاص واودع فيها قوة المشي وكذا العين والاذن وجميع الاعضاء ثم ربط البعض بالبعض
على وجه يحصل من ارتباطها مجموع واحد هو الانسان وانما دلت هذه الاشياء على وجود الصانع سبحانه لان اتصاف كل جسم من هذه
الاجسام بتلك الصفة اعني التركيب والقوى الادية اما ان يكون واجبا او جائزا والاول باطل لانا نشاهد تلك الاجسام بعد الموت منفكة
عن ذلك التركيب والقوى فدل على ان ذلك جائز والجائز لا بد له من مرجح وليس ذلك المرجح هو الانسان ولا الابوان لان فعل ذلك يستدعي قدرة
عليه وعلما بما فيه من المصالح والمفاسد والابوان غافلان عن الانسان لانه بعد كمال عقله يعجز عن تغيير شعرة واحدة وبعد البحث
التدبر عن كتب التشريح لا يعرف من منافع الاعضاء ومصالحها الا القدر القليل فلا بد وان يكون المتولي لتدبيرها وترتيبها موجودا
آخر ذلك الموجود لا يجوز ان يكون جسما لان الاجسام متساوية في الجسمية واختصاص ذلك الجسم بتلك المؤثرية لا بد وان يكون
جائزا فيفتقر الى سبب آخر والدور والتسلسل محال فلا بد من الانتهاء في سلسلة الحاجة الى موجد مؤثر مدبر ليس بجسم ولا جسماني
ثم تأثير ذلك المؤثر اما ان يكون بالذات او بالاختيار والاول محال لان الموجب لا يميز مثلا عن مثل وهذه الاجسام متساوية في الجسمية
فلم اختص بعضها بالصورة الفلكية وبعضها بالصورة العنصرية وبعضها بالنباتية وبعضها بالحيوانية فثبت ان المؤثر والمدبر الذي ليس
بجسم ولا جسماني لا بد وان يكون واجب الوجود في ذاته وصفاته والا افتقر الى مدبر آخر فيلزم التسلسل وهو محال واذا كان واجب
الوجود في قادريته وعالميته والواجب لذاته يختص ببعض الممكنات دون البعض فوجب ان يكون عالما بكل ما يصح ان يكون معلوما وقادرا

ثم علل احاطته عدمه بقوله لا يضل ربي ولا ينسى الخ الخطي ربي شيئا من الاشيا بمعنى انه عالم بكل المعلومات
وما علم منه لم ينسه ابدا بل يبقى ذلك العلم ابد الآباد فان علمه ليس بالاشيا ليس بحصول صورها
وامثالها عنده بل هو عبارة عن حضورها عنده بذواتها بحيث لا يغيب عنه شيء اصلا وبهذا على
على تقدير كون قوله لا يضل ربي ولا ينسى مستأنفا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان يكون في محل
الجر على انه صفة لكتاب والعائد محذوف والتقدير في كتاب لا يضله ربي بحيث لا يهتدي اليه
اي لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينساه اي لا ينسى ما فيه يقال ضللت الشيء اذا ضيعته من باب ضرب
وضللت الشيء اضله من باب علم وكلاهما لغتان مشهورتان واللغة الاولى اشهر **قوله** ويجوز ان
يكون سؤاله دخلا عطف على قوله فلم ينزل الى صرف الكلام عنه اي عن السؤال عن ربهما من هو
الى ان يسأل عن تفصيل حال الامم الماضية فانه لما سأل عن الاول بقوله فمن ربكما وكان سبيل الجواب
عنه الاستدلال على وجوده بما يدل عليه من الاثار التي لا يقدر عليه الا من كان واجب الوجود
لذاته مستجمعا لجميع صفات الجلال والاكرام منزها عن سمات الحدوث والامكان واجاب عليه
الصلوة والسلام بالاستدلال عليه بهت الكافر وانقحم عن الدخل على ما اقامه من الدليل وصرف
الكلام الى وجه اخر بنا على كونه بغيا عن قادر على الدخل وقيل قوله فما بال القرون الاولى ليس بنا
على كونه عاجزا عن الدخل بل اورده على طريق الدخل على قوله عليه الصلوة والسلام ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى وتقرير الدليل ظاهر من تقرير المص **قوله** كالمهد تمهدونها التعريف فيه للعهد
الذهني فلذلك وصف بالجملة كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني ووصفه بها تنبيها على ان المهد وان
كان بمعنى الممهود وهو الفرش المبسوط الا انه مخصوص بما بسط للعباد ليقعدوا او ينامو عليه
فلذلك كان قوله جعل لكم الارض مهدا من باب التشبيه البليغ والمهد والمهاد واحد من حيث ان
المراد بكل واحد منهما ما يمهد ويفرش ولا فرق بينهما الا ان المهد في الاصل مصدر بمعنى الفرش
والبسط سمي به الممهود والمهاد اسم في الاصل ويجوز ان يكون جمع مهد مثل كعب وكعاب وفرخ و
فراخ **قوله** وحصل لكم فيها سبلا ان السلك ادخال الشيء في الشيء والمعنى ادخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها
لتبلغوا الى مقاصدكم **قوله** عدل به عن لفظ الغيبة يعني ان قوله فاخرجنا به من كلام موسى لكونه
معطوفا على ما قبله بالفاء وما قبله كلام موسى فيجب ان يكون ما عطف عليه ايضا من كلامه فلما
كان من كلامه كان ينبغي ان يكون جاريا على اسلوب ما قبله بان يقال فاخرج به الا انه عدل به عن لفظ
الغيبة الى صيغة التكلم بنا على ان موسى سمع هذه الكلمات من الله تعالى بعينها فادرجها في كلامه فحكاها
كما هي على طريق الاقتباس ونكتة العدول عن مقتضى الظاهر الى طريق حكاية كلام الله تعالى بعينه
كون هذا العدول دالا على كمال القدرة والحكمة بالنسبة الى ان يقال فاخرج به واجب وايضا لما كان

الذي جعل قوله الذي جعل لكم الارض مهدا الى محل الرفع على انه صفة لقوله ربي جعل لكم الارض ودلالة على انه خبر مبتدأ محذوف بتكون من تتمة كلام موسى ايضا من كلامه ...

على كلا ما صح ان يكون مقدورا افتظهر بهذه الدلالة التي تمسك بها موسى عليه الصلوة والسلام وثبت على تقريرها اسناد العالم الى مدبر ليس
بجسم ولا جسماني وهو واجب الوجود في ذاته وفي صفاته عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وذلك هو الله سبحانه وتعالى

من تفسير الكبير

بهذا العدول مشتملا على وضع ضمير الجمع موضع المفرد كما هو عادة الملوك في التعبير عن انفسهم وعلى
وصف النبات الخارج به بالاختلاف والتشتت دل الكلام على انه مكوّن مطاع تنقاد المخلوقات على
اختلافها لارادته ولما عدل موسى الى طريق الحكاية لكلام الله تعالى حكى الله تعالى كلامه لنبينا صلى الله عليه
وسلم وعليه على الوجه ورد من موسى **قوله** وعلى هذا انظائره اي وعلى كون العدول من لفظ الغيبة
الى صيغة التكلم للتنبيه والايذان المذكورين قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى
فانبتنا به حدائق بلفظ التكلم بعد التعبير بلفظ الغيبة وان لم يكن العدول الى التكلم فيهما على وجه الحكاية
لكلام الغير والوجه في كون التعبير الى التكلم في مثل هذا المقام دالا على كمال القدرة الفائقة والحكمة ان
من اشتهر بالقدرة الفائقة والحذاقة الظاهرة اذا قال نحن نفعل كذا ابهم بشأنه القدرة الباهرة
لا يقدر عليه غير المتكلم وفي الاية كذلك ههنا فان الماء واحد والارض واحدة والمخرج مختلف الوانه فلا
يكون ذلك الا بايجاد قادر مختار لا يمتنع شيء من ارادته ومشيته **قوله** فانه من حيث انه مصدر حوى
ما يقال من جمع شتيت فيكون يصح ان يكون صفة للنبات وتقرير الجواب ان النبت والنبات وان كان
يطلق احدهما النبات الا ان كل واحد منهما مصدر في الاصل الخ **قوله** لذوي العقول اشارة الى ان النهى
جمع نهية كغرف جمع غرفة في الصحاح النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح
قوله وازواجا انكم فانكم تنتفعون بها لانكم اما تنتفعون من النطفة بتوسط الطعم فيهما تتولدان من
الاغذية والغذاء اما حيوان او نبات والحيوان ينتهي الى النبات والنبات انما يحدث من امتزاج الماء
والتراب فيصح انه تعالى خلقنا منها وذلك الانبات فكيف يخلو شيء من النطفة **قوله** بصرناه اياه وعرفناه
صحتها يعني يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى الابصار وان يكون من الرؤية بمعنى المعرفة
وعلى التقديرين اذا نقل الى باب الافعال يتعدى الى مفعولين لكن يلزم على الوجه الثاني حذف
المضاف حيث قال عرفناه صحتها او صحة وجه الدلالة فيها ولا ضرورة الى ارتكاب الحذف
اذ لو قيل عرفناه لاستقام المعنى ولا يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى العلم والا لزم حذف
المفعول الثالث من باب علمت وهو غير جائز ومن الايات ما يدل على الوحدانية وما يدل
على النبوة فالتي تدل على التوحيد ما ذكر في هذه السورة من قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى وقوله الذي جعل لكم الارض مهدا الخ وقوله في سورة الشعراء قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما والتي تدل على صدق مدعي النبوة هي الايات التسع المختصة
بموسى وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر والقمل والجراد والضفادع والدم ونتق الجبل واضافة
اراءة الايات الى نفسه مع ان المظهر لها هو موسى بناء على انه تعالى هو الذي اجراها على يديه كما اضاف
نفخ الروح الى نفسه حيث قال فنفخنا فيه من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل **قوله** كلها تاكيد

ومن شنيده ويكون لازما نبات وعن دابة دعا انه ... وزرع الدابة دعا ومن راعية وجاء في الاية متعديا ... منه

وهو الحجة الذي وضح موسى عليه الصلوة والسلام ... بتوبة ... خلقه ... وقد الحجة ... انتهى علم ملا ... ووقف عندهم

تاكيد لشمول الانواع فان الجمع المضاف يفيد الشمول والاستغراق وكلها تاكيد لذلك الشمول وللآيات انواع
منها ايجاد المعدوم كايجاد الضوء من اليد ومنها اعدام الموجود كاعدام حبال السحرة ومنها تغيير
الموجود كقلب العصا حية واعادتها عصى كما ورد ان يقال ان قوله كلها يفيد العموم والله تعالى ما
اراه جميع الايات لان من الايات ما اظهرها على الانبياء الذين كانوا قبل موسى والذين كانوا بعده
اجاب عنه اولا بان التعريف الحاصل باضافة الايات للعهد والمعهود الايات التسع المختصة بموسى
فيكون كلها لشمول تلك الايات وثانيا بانه عليه الصلوة والسلام اراه الايات المختصة به واخبره
بايات غيره من الانبياء اجمالا او تفصيلا وما اخبر به فكانه اراه لانه نبي صادق لا فرق بين ان
يخبر عنه وبين ما يراه عيانا وفيه بعد لان الاخبار بالشيء لا يستعمل اراءة الا مجازا بعيدا الا ان
يجعل الاراءة بمعنى التعريف **قوله** فكذب موسى وابى الايمان والطاعة يعني حذف مفعول كل واحد
من كذب وابى اختصارا لكونه معلوما بدلالة المقام عليه **قوله** فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان
لتفسير الموعد بالمصدر يعني ان الموعد اما زمان او مكان او مصدر والاولان باطلان فتعين الثالث
اما بطلانهما فلان قوله لا نخلفه صفة لموعدا فلو كان اسم زمان او مكان لزم ان يتعلق الاخلاف
بالزمان او المكان والاخلاف انما يتعلق بالموعد لا بالزمان والمكان يقال اخلف وعده
لا يقال اخلف زمانه ومكانه والجعل ههنا بمعنى التصيير وموعدا مفعوله الاول والظرف هو الثاني والجملة
التي هي لا نخلفه نحن ولا انت صفة لموعدا ونحن تاكيد مصحح للعطف على الضمير المرفوع المستتر في نخلفه
ومكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر كانه قيل اجعل بيننا وبينك موعدا ثم قيل عدنا مكانا فيكون
مكانا مفعولا به لذلك المقدر **قوله** لا به اي لا يجوز انتصاب مكانا بنفس المصدر لانه قد وصف
قبل العمل بقوله لا نخلفه والمصدر اذا وصف قبل العمل لا يعمل عند الجمهور لان معمول المصدر من
تتمته ولا يوصف الشيء الا بعد تمامه **قوله** وعلى هذا اي على تقدير ان ينتصب مكانا
سوى بكونه بدلا من موعدا بان يقدر مكان مضاف الى موعدا يكون سؤال فرعون بقوله
اجعل بيننا وبينك موعدا مكان الوعد فلا يكون جواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة مطابقا
لسؤال فرعون لان الموعد المذكور في الجواب بمعنى زمان الوعد والا لما صح ان يخبر عنه بقوله
يوم الزينة فقوله عليه الصلوة والسلام زمان وعدكم يوم الزينة كيف يطابق قول فرعون
اجعل بيننا وبينك مكان وعد فذكر المص في وجه المطابقة احتمالين الاول ان الجواب وان
لم يطابق السؤال لفظا الا انه يطابقه من حيث المعنى لانه عليه الصلوة والسلام لما اجابه
بتعيين زمان الوعد بانه يوم الزينة فقد اجابه بتعيين مكانه ايضا لانه لا بد لهم من ان
يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فالجواب بتعيين زمان

الوعد بيان للمكان ايضا كما اذا قلت للصاحب اين ازاكر فقال يوم عرفة فقد اجابك
بتعيين مكان الرؤية من حيث المعنى فكانه قال تراني في عرفات والاحتمال الثاني ان يقدر
مضاف في الجواب كما يقدر في السؤال فكان فرعون لما قال اجعل بيننا مكانا موعدا اجاب
بقوله مكان موعدكم مكان يوم الزينة وتقدير المكان في الخبر ايضا ليصح الاخبار عن مكان الموعد
بانه يوم الزينة **قوله** كما هو على الاول اي كما ان انطباق الجواب على التقدير الاول بالاضمار والمراد
بالوجه الاول ان يراد بقوله اجعل موعدا المصدر ولا يقدر مكان مضاف بل ينتصب مكانا سوى
بفعل دل عليه موعدا اي نعدكم مكانا سوى فيكون سؤال فرعون على هذا الوجه ايضا مكان
الوعد فجواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة لا ينطبق على سؤاله الا باعتبار الاضمار ثم ان نظر الى
قول فرعون عدنا مكانا فالطباق بان يقدر مكان موعدكم مكان يوم الزينة وان نظر الى قوله
فاجعل بيننا وبينك موعدا فالطباق بان يقدر وعدكم وعد يوم الزينة وهذا اولى قلنا مل
وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر اذ لو كان الموعد زمانا او مكانا لكان المعنى زمان وعدكم
او مكانه واقع بيوم الزينة فيلزم حصول الزمان او المكان في الزمان وهو محال فتعين انه مصدر
ومن لا يقدر ان جعل للمضاف قبل موعدكم اذ ليس المراد ان نفس وعدكم واقع بيوم الزينة لانه
واقع قبل يوم الزينة قبل ذلك بل المراد ان انجاز موعدكم واقع بيوم الزينة فيكون الجواب بالزمان
والمطابقة من حيث المعنى لان المسؤول عنه تعيين المكان من حيث ان قوله مكانا سوى
منصوب بالفعل المدلول عليه بالمصدر **قوله** وهو في المتيقن الخ وفي الصحاح العدى بكسر
العين الاعداء وهو جمع لا نظير له قال ابن السكيت ولم يات فعل في النعوت الا حرف واحد
يقال هؤلاء قوم عدى اي غرباء وقوم عدى اي اعداء قال ويقال قوم عدى وعدى اي اعداء مثل
سوى وسوى بكسر السين وضمها **قوله** عطف على اليوم او الزينة على الاول يكون في محل الرفع
ويكون التقدير موعدكم يوم كذا وموعدكم ان يحشر الناس اي حشرهم وعلى الثاني يكون في محل
الجر اي موعدكم يوم الزينة ويوم ان يحشر الناس اي حشرهم ضحى منصوب على انه ظرف يحشر قوله
فتولى فرعون اي اعرض عن قبول الحق وقيل تدبر ما كان فيه من الشؤون الا هذا الامر وهو
جمع كيده اي مكره وحيلته الذي هو جمع السحرة ويجوز ان يكون المعنى رجع عن المكان الذي
فيه المواعدة **قوله** ان تدعوا اليه بان تسموا اياته ومعجزاته سحرا فان من سماها سحرا فقد جعل
الداعي ساحرا فيكون هذا افتراء على الداعي بانه يفعل السحر وانه ساحر على الله وعلى قول
الظالمون علوا كبيرا **قوله** فيهلككم ويستاصلكم يقال سحته الله وسحته اسحاتا
اذا اهلكه واستاصله واصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق
الشعر

قوله ما يكاد [illegible] ... المصدر وهو الكيد ... لان الجميع ... الذي هو ما يكاد به ... الاعراض ... يتعلق بالجوارح ... والمصدر عرض تمت

الشعر اي استقصاه ولم يترك منه شيئا ويستعمل في الاهلاك والاذهاب قوله حيث سموا الكلام
وهو قوله ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وا سرار السحرة
نجواهم اخفاؤهم ما تناجوا به بينهم من فرعون قيل نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل هو
قولهم ان كان موسى ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء كما قال فله امر وقيل هو قولهم ان
هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم والنجوى المناجاة والمكالمة سرا
وقيل الضمير لفرعون وقومه من السحرة وغيرهم وهو عطف على قوله اي تنازعت السحرة
وتلفيق الحديث ضم كلماته بعضها مع بعض اختراعا من عند انفسهم من غير قصد لها
حكاية ما في الواقع واظهاره وبناء التفعل فيه للتكلف يقال لفقت الثوب لفقا اذا ضممت
شقة الى اخرى فخطتهما واحاديث ملفقة اي اكاذيب مزخرفة على لغة بلحارث
بفتح الباء وسكون اللام اصله بني الحارث حذف النون للتخفيف واوصل الباء
بالحارث واعلم ان القراء اختلفوا في قراءة قوله ان هذان لساحران فقرا ابن كثير
وحده ان هذان بتخفيف ان وهذان بالالف وتشديد النون من هذان وحفص كذلك
الا انه خفف نون هذان وقرا ابو عمرو ان بالتشديد هذين بالياء وتخفيف النون
والباقون كذلك الا انهم قرءوا هذان بالالف فاما القراءة الاولى وهي قراءة ابن كثير وحفص
فاوضح القراءات معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة
فاهملت على ما هو الاصح لانها لا تعمل الا بشبهة الفعل من وجوه ولما خففت زال الشبه
اللفظي فلا تعمل فلا اشكال في رفع هذان ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خيف
التباسها بالنافية فجيء باللام فارقة في الخبر فهذان مبتدا ولساحران خبره ووافقت
خط المصحف فان الرسم هذن بدون الالف قال ابو عبيد رايتها في الامام مصحف عثمان
هذن ليس فيها الف وهكذا رايت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط الالف واذا
كتبوا النصب والجر كتبوه بالياء ولا يسقطونها وتشديد نون هذان من ابن كثير للفرق بين
الاسماء المتمكنة وغير المتمكنة في التثنية واما الكوفيون فيرعون ان ان ههنا نافية بمعنى
ما واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم هنا قراءة بعضهم ما هذان
الا ساحران واما قراءة ابي عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى اما الاعراب فهذين اسم
ان المشددة وعلامة نصبه الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام تاكيدا واما من حيث المعنى
فانهم اثبتوا لهما السحر بطريق تاكيد اللام واحد من طرفي الجملة لكن فيها اشكال من حيث الخط
وذلك ان رسمه هذن بدون الف ولا ياء فاثباته بالياء زيادة على خط المصحف واما قراءة

قوله وضمير فرعون على كون الخطاب لقومه قال ابو حيان ويجوز ان يكون ذكر بلفظ الغيبة على العادة التي يخاطب بها الملوك سعدي

قال النجاشي لا يصح ان يجعل ان بمعنى نعم لوجهين احدهما انها اذا كانت بمعنى نعم ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر واللام لا تدخل على خبر مبتدأ جاء على اصله والثاني ان ابا علي الفارسي قال ما قبل لا يقتضي ان يكون جوابه نعم لانه ان جعلته جوابا لقول موسى عليه الصلوة والسلام ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى قالوا نعم هذان لساحران كان محالا وان جعلته لقوله فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالا ايضا

الباقين ان هذان في القراءة الصحيحة الموجهة بالاوجه الثلاثة الاول انه هذان اسم ان ولساحران خبرها وعلى لغة كنانة والطائفة من بني الحارث بن كعب يجعلون الاسم المثنى كالمقصور فيثبتون الالف في جميع الاحوال ولا يجدون اعرابها بالحركات فيقولون جاءني رجلان ورايت رجلان ومررت برجلان فيقولون الالف ساكنة ما قبلها العلم قال شاعرهم ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها وقيل انهم يقلبون ذلك بالياء الى الالف التي هي خبرهم كما يقولون كسرت يداه فيتركب على ان يعني بربه وعليه والوجه الثاني انه قوله ان هذان ليس اسمها بل اسمها ضمير الشان المحذوف وقوله هذان لساحران جملة اسمية في محل الرفع على انها خبر ان اي ان الشان هذان لساحران وفيه ضعف من حيث انه يؤدي الى دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ من غير ان يؤكد مضمون الجملة الاسمية المكسورة ومثله لا يجيء الا في ضرورة الشعر كقوله ام الحليس لعجوز شهربة ترضى من اللحم بعظم الرقبة والوجه الثالث ان ان ههنا ليست هي التي تنصب الاسم بل هي بمعنى نعم وهذان مبتدأ ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله بكر العواذل في المشيب يلمنني والومهنه ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه اي فقلت نعم والاشكت وروي ان اعرابيا اتى ابن الزبير يستجديه فلم يعطه فقال الاعرابي لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ابن الزبير ان وراكبها اي نعم ولعن راكبها وهذا مروي عن المبرد قوله وفيهما انه والوجه الثالث ان لام الابتداء لا تدخل خبر المبتدأ وانما تدخل على المبتدأ لكونها موضوعة لتاكيد موضوعية المبتدأ بالخبر وتلك الموضوعية لما كانت من احوال المبتدأ وجب ان تختص بما يدل عليها بالمبتدأ لان العلة الموجبة للحكم في محل لا بد ان تكون مختصة بذلك المحل فوجب ان تختص لام الابتداء بالمبتدأ ولا تدخل على الخبر ولا يرد ان يقال بهذا الدليل يستلزم ان لا تدخل اللام على الخبر فيما اذا دخلت ان على المبتدأ لان ذلك لاجل الضرورة وهي امتناع اجتماع حرفي التاكيد على المبتدأ ولا ضرورة فيما اذا لم يدخل ان على المبتدأ قوله وقيل اصله اي قيل في جوابه اورد على الوجهين الاخيرين ان اللام ليست داخلة على خبر المبتدأ بل هي داخلة على المبتدأ المقدر وتقدير الكلام على الوجه الثاني ان الشان لهذان لهما ساحران وعلى الوجه الثالث نعم لهو ان ساحران وتقدير قوله ام الحليس لهي عجوز ورد المصنف هذا الجواب بان المؤكد بلام الابتداء لا يليق بالحذف ولان الحذف ينافي الغرض المطلوب من التاكيد عند بهم الذي هو افضل المذاهب يعني ان المثلى تانيث الامثل وهو الافضل الاشبه بالحق وان المراد بالطريقة المذهب يسلكونه ويتديّنون ويتوجهون به بالطريقة المثلى والسنة الفضلى بناء على زعمهم فان كل حزب بما لديهم فرحون ونقل الزجاج جعل للاية من باب حذف المضاف اي ويذهبا باهل طريقتكم المثلى ويحتمل انهم ارادوا بها الافضل هو حال القوم الطريقة

الرجال

الرجال الاشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال لهم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه ومنه قوله تعالى كنا طرائق قددا اي كنا فرقا مختلفة اهواؤنا اي مذاهبنا القدة ايضا الطريقة والفرقة من الناس اذا كان هوى كل واحد على حدة والمقصود على التقديرين ان يتنفروا قومهم عن موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام اي انهما يريدان ان يذهبا باشراف قومكم والاكابر منهم بنو اسرائيل واخذوا هذا من قول موسى ان ارسل معنا بني اسرائيل وسمي بنو اسرائيل بذلك لانهم كانوا اكثر القوم يومئذ علما وعددا واموالا وعلى التقديرين البان في بطريقتكم التعدية واعلم انه تعالى لما ذكر ما استروه من النجوى حكى عنهم ما اظهروه وهو كله يدل على التنفير عن موسى ومتابعة دينه فاحدها قولهم ان هذان لساحران وهذا طعن منهم في معجزات موسى مبالغة في التنفير عنه لان كل طبع سليم يتنفر عن السحر ويستكره رؤية الساحر من حيث ان الانسان يعلم ان السحر تمويه وتلبيس لا بقاء له ومن كان السحر مبني امره يأبى كل احد عن اتباعه و ثانيها قولهم يريدان ان يخرجكم من ارضكم وهو يفيد نفرة عظيمة لان مفارقة المولد والمنشأ شديد على القلوب وهذا هو الذي حكاه الله تعالى عن فرعون بقوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فكان السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها على قومهم وثالثها قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تاثير شديد في تنفير القلوب فان العدو اذا جاء واستولى على جميع ما تعتز به القوم من المذهب واشرافهم ومما يرغبون فيه فذلك يكون في نهاية المشقة على القلب قوله فاجمعوا اي فاعزموا عليه فان كلا منهما من العزم والاجماع يتعديان بعلى يقال عزمت على كذا عزما بالضم والفتح وعزيمة وعزما اذا اردت فعله وقطعت عليه الا انه حذف صلة اجمعوا في نظم التنزيل كما حذف صلة العزم في قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح فلذلك حذف الصلة في قوله فاعزموه واما ان قرئ فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع على معنى لا تدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به فلا حاجة الى اعتبار حذف الصلة لان الجمع يتعدى بنفسه مصطفين اي ذوي صف واجتماع فان الصف في الاصل مصدر وقع موضع الحال من فاعل ائتوا وقيل صفا مفعول به على ان المراد بالصف المصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال قوله وهو اعتراض يعني ان قوله قد افلح اليوم من استعلى كلام الله تعالى جيء به بين كلامهم وقيل لهم فهو اعتراض باعتبار كونه اجنبيا وقع بين كلامهم وفيه بحث لان الظاهر انه من كلامهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على الاجماع والاتفاق على كيدهم بالجد والاهتمام فلا اعتراض في قوله تعالى قالوا يا موسى استيناف جيء به لبيان ان ما ذا

الى نواصيهم بالاصابع على كيدهم وايمانهم لكان الوعد وفي بهم صنعوا ان فائتوا المكان وقالوا اما
ان تلقي بما معك قبلنا واما ان نلقي ما معنا قبلك وهذا التخيير منهم تقديم عليه الصلوة والسلام ايهم
في الذكر حسن ادب منهم فلا جرم رزقهم الله الايمان بحسن ادبهم ثم اتى فقال لهم بل الادب بخلاف
التوافق الظاهر في امرهم لئلا يلتبس الفرق بين السحر وبين المعجزة الالهية كانه قال لهم القوا ما
عاقبة سحركم والحق يبطله وينصر رسوله ويقرب الخوف على الباطل فيه خفيف ان يستغنوا
ان يستفرغوا من بعد الشيء بالكسر نفاذا الى فنى والاسبقاق بالحاجة قضاؤها قوله ونظير
النظم محرر بالعطف على قوله فذكر الاول فان بلغ شبهتهم من الكلام البليغ بما فيه خشية عليه
الصلوة والسلام من حيث ان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى على المص قوله بل الكل
بازيد على قوله فيه بتخيل التشبيه الباطل بالخصلة الشبيهة بدعائم الحارثة وعضد يعطى
اذا شبه حيلهم التسخير الدباغ واسيمى الدامغة قوله اي فالقوا فاذا حبالهم عاطفة عطف
بما عامل الظرف على جملة محذوفة دل عليها سوق الكلام فهي ذا فصيحة وقوله فالقوا مطوي
على قوله قال بل القوا والتحقيق انها ايضا اي اذا المفاجاة كاذا الظرفية بمعنى الوقت لكنها خصت
باسم آخر لاختصاصها بكون عاملها فعل مفاجاة فاضافته اذا الى المفاجاة للملابسة بينها وبين
معنى المفاجاة بتاول فاجا موسى وقت اذا الحبال بحيث فاجاته السبع اي رايته بغتة والجملة التي
تضاف اليها اذا المفاجاة لا يصلح الا ان تكون اسمية فانه لا يقع بعدها الا المبتدا والخبر فقوله حبالهم وعصيهم
مبتدا ويخيل خبره وانما شبههم تخيل المقلقين بانها الى يخيل اليه سعيها فان قراءة الجمهور
يخيل بضم الياء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وقوله حبالهم وعصيهم يخيل الى اصل اليه
كلمة اذا اضافية بحكم المفرد وهو يخيل حبالهم وعصيهم وكذا قوله انها تسعى فلا يكون مفعول يخيل
صار في معنى سعيها فاذا تقدير فاجا فيكون كلمة اذا عاملا بها اخبار التقدير فالقوا ففاجا موسى
وقت تخيل حبالهم وعصيهم سعيها الا ان المص قال في تقرير المعنى فالقوا ففاجا موسى وقت
تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم فاضاف تخيل الى مفعوله ولم يذكر فاعله واضاف السعي
الى لفظ حبالهم وعصيهم بدل اضافته الى ضمير سعيها وهذا تصوير لاعراب نظم الآية والمعنى على
تخيل مفاجاة موسى بالحبال والعصي تخيلها تسعى ايضا وعلى فعل المفاجاة في تصوير المص نظرا الى
تعلقه بالمفعول به انما عامة النعلي في بعض الاشياء في اضافة اسم الفاعل الى الظرف في قوله
مالك يوم الدين اي انه تعالى مالك الامور كلها في يوم الدين قوله وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان
وروح تخيل بضم التاء الفوقانية على معنى تخيل الحبال والعصي انها تسعى والاشتمال المنكس
في تخيل وقرئ تخيل بنون العظمة على ان الله تعالى هو المخيل لاجل الامتحان والابتلاء وتخيل بفتح

وهو عامل الانطباق استثناء ونحو الدلالة الظاهرة بغتة فانه يسع اذا التي عليه فيقدر فاجا فعل اذا الوقت اي فاجا موسى وقت تخيل حبالهم وعصيهم سعيها باضافة تخيل الى الفاعل اعني المنصوب ثم ان المص حذف فاعل تخيل واضافه الى المنصوب وهو الطرف واضع المضمر فصار فاجا موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم منه

450
بفتح التاء اصله تتخيل فحذف احدى التائين كما في قوله تعالى تنزل الملائكة اسند الفعل الى ضمير الحبال
والعصي وانث لتانيث جماعة الحبال والعصي وقوله انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير كما في قراءة
تخيل بضم التاء وفتح الياء قوله موسى الا ستغنى فانه لا يقبل له لا تخف بما ركيب الا حابة والحال
تقتضي استشعار الخوف فاجيب بانك انت الاعلى وجه دلالة الاستئناف على التاكيد انه يدل
على الاهتمام بشان البيان منه وتوسطه الا ان تعريف الخبر على ان اللام لتعريف الجنس وقرره له
على الخبر فانما دلت ان حقيقة العلو والغلبة مختصة بك لا تتعداك الى غيرك وتحقيق الا كان لنفي
مفادها لم يوضع الا اسم بل لكن في التعبير عنها بلفظ اسم جنسه ابلغ وجه دلالة الاتمام
على التعظيم انه يدل على ان النفي بلغ في الكمال في عظم الشان الى الغاية التي تعجز العبارة عن بيان
ماهيتها المخصوصة وانما ينالها ان يعبر عنها بشيء ينبئ عن عرضها العامة قوله تلقف قراءة العامة
بفتح اللام وتشديد القاف وجزم على انه جواب الامر وقرا حفص بسكون اللام وتخفيف القاف
وقرئ تلقف بالرفع اما على الحال او على الاستئناف وانث الفعل في تلقف حملا على معنى ما لانها
العصى وتخمل ان يكون تلقف صيغة المفرد المذكر المخاطب ويكون المستتر فيه ضمير موسى واسند
اليه التلقف باعتبار كونه سببا له بالقاء العصى قوله على ان ما كافة تكف ما تنتج الحروف المشبهة
من العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها اذا دامت عاملة لا تدخل على الفعل ويحتمل ان يكون مصدرية
والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وذكر الفراء كيد سحر بلفظه اوجه الاول تقدير المضاف اي كيد ذي
سحر والثاني تسمية الساحر سحرا على المبالغة فانه لكثرة ملابسة السحر وتوغله فيه صار كانه
هو نفس السحر والثالث انه من اضافة المبهم الى المميزة نحو مائة درهم والف دينار والاضافة
الجنس الى نوعه للبيان نحو علم فقه وعلم نحو فان الكيد وهو الحيلة يكون سحرا وغيره فاضيف الى
السحر للبيان فكانه قيل كيد هو سحر قوله وتنكير الاول مع ان المقصود فيه ايضا الى الجنس وهو يقتضي
تعريفه الا انه لو عرف لصار المضاف ايضا معرفة والمقصود تنكيره لان المراد به نوع من الكيد وهو
السحر فنكر ليتوسل بتنكيره الى تنكير المضاف وتنكيره لا ينافي ان يراد به الجنس كما نكر في قول
قول من دنياه ان المراد بها المعلوم المعين لتنكير الشيء اذ لو عرف الدنيا لصار الشيء معرفة
والمراد تنكيره اذ المعنى في سعي ما دنيوي واوله الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت
باذنه الارض وما نعت اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الشم والجاعل الغيث
غياث السنة والجامع الناس ليوم الموقف بعد المات وهو يحيي الموتى يوم تجيء النفوس
ما اعتدت من نزل اذا الامور غبت في سعي دنيا طال ما قدمت قوله ما نعت اي ما تعبت الارض
بالجبال التي على الارض يلاطاعة حيث اوحى لها القرار بتائها عن الكبر تخفيفا عنه اي تعب وتعسب

وعتبه انا تعتبه فتتعنى وبعدان تكون من تعتب يعنى قابل غيره طالبا ذلته وما اعدت اى ما
جعلته عدة وقوله من نزار بيان ما اعدت وغب الامور اى بلغت غبها وآخرها والمعنى اذا الامر
بلغت اواخرها وقوله فى سن دنا ظرف غب او ظرف طال ان كان ما فى طال ما مصدرية اى
طال مدة فى سن دنا يقول يوم النعمة تربى النفوس ما جعلته عدة من نزار يوم النعمة حين تبلغ
الامور اواخرها وتعتب اى اتهلت فى جمعها وتهيئة اسبابها قوله حيث كان ذا ابن الانبل فان
الذهاب والاتيان يعبر بهما عن الكون والاقبال يقال اينما ذهبت واينما كنت كذا اى اينما كنت
واقبلت قوله فالقاهم ذلك اى تحقق ان ما اظهره موسى ليس بسحر بل هو معجزة الهية والاع
الرجوع عما كان عليه من الاساءة الى الاسترضاء والاطاعة والروى آخر الحروف من
فواصل الآية قيل لما القى موسى عصاه فاذا هى اعظم من حبالهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملأت
الوادى ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة وكانت ضربت لفرعون قبة يجلس فيها وينظر
اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم هبطت فاكلت كل ما عملوا من الكيد والناس ينظرون
اليها لا يحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح فرعون
لموسى عليه الصلوة والسلام فاخذها فاذا هى عصا كما كانت ونظرت السحرة فاذا هى لم تدع من
حبالهم وعصيهم شيئا الا اكلت فعرفوا بذلك انه ليس بسحر وقالوا لو كان سحرا لبقيت الاشياء
واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل عاقل يعلم بالضرورة
انه لا يقدر على ايجاد الحيوان من الجماد وتعظيم جسمها دفعة واحدة ثم تصغيرها وتصييرها كما كانت
دفعة واحدة الا الاله القادر على كل شىء واستدلوا بظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا
من عنده تعالى فلا جرم تابوا وآمنوا واتوا بما هو النهاية فى الخضوع وهو السجود قال الزمخشرى
ما اعجب امرهم القوا حبالهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم
الفرق بين الالقائين ثم ان فرعون لما رأى ذلك الاقرار والسجود منهم وخاف ان يصير ذلك
سببا لاقتداء سائر الناس بهم فى الايمان بالله وبرسوله القاهم فى الحال شبهتين الشبهة
الاولى قوله لهم آمنتم له قبل ان آذن لكم يعنى انكم اعتمدتم فى الايمان به والاتباع له على اول خاطر
خطر ببالكم من غير بحث ومناظرة واستعانة بخاطر الغير فى امره فلم يكن ايمانكم عن بصيرة
والشبهة الثانية انه لكبيركم فى علم السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز عن معارضته
ترويجا لامره وتعظيما لشانه ثم هددهم صرفا لهم عن الايمان وتنفيرا للغير بهم عن الاقتداء
بهم فقال لاقطعن الآية وبناء التقطيع والتصليب لتكثير المفعول كقوله وغلقت الابواب قوله
كان التقطيع ابتداء من مخالفة الفعل والمفعول فان القطع لما ابتدأ من الذى هو موضع الخلاف
صار

روى انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى
رأوا الجنة والنار وراوا الثواب
ايضا وعن عكرمة رحه انهم لما
خروا سجدا اراهم الله تعالى فى
سجودهم منازلهم التى يصيرون
اليها ان ارائهم عما صاروا
مجانين وذلك لا يليق بمن
قولهم انا الى ربنا لمنقلبون
خطايانا جوابه انه لا يجاز
لا ابرهيم عليه الصلوة مع نطقه
بكونه مغفورا ان يقول والذى
اطمع ان يغفر لى خطيئتى فلم
لا يجوز مثله فى حق السحرة
كذا

صار كانه قد ابتدئ من نفس الخلاف لا يبين وموضعه من الملابسة قوله بالتحنيس اى
بتحنيس عين الفعل على انه ثلاثة لا بتقبله للتكثير قوله شبه تمكن المصلوب بالجذوع جواب عما
يقال ان فعل الصلب يتعدى الى المفعول الثانى بعلى فلم عدى بهما بكلمة فى وتقرير الجواب ان الكلام
ههنا من قبيل الاستعارة التبعية شبه متعلق كلمة على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمتعلق كلمة
فى وهو التمكن بطريق الظرفية ثم استعير التمكن المشبه به للتمكن المشبه استعارة اصلية
فاستعمل فى التمكن المشبه كلمة فى الموضوعة للدلالة على تمكن الظرفية الذى هو المشبه به فجرت
الاستعارة اولا واصالة فى تمكن الظرفية وتبعية فى كلمة فى الدال عليه قوله لقوله آمنتم له يعنى انه
يدل على ان المراد من قوله اينا اشد نفسه وموسى عليه الصلوة والسلام لان معنى آمنتم له آمنتم
لاجله ولسببه لانكم خفتم على انفسكم ان يعذبكم ان لم تؤمنوا له قوله وقيل رب موسى اى قيل
يريد نفسه ورب موسى فالمعنى ولتعلمن ايها السحرة اينا اشد على ايمانكم برب موسى اورب
موسى على تركم الايمان به اشد عذابا لكم وادوم فان قيل كيف يعقل من فرعون ان يهدد
السحرة ويبالغ فى وعيدهم الى هذا الحد ويستهزئ بموسى ويقول اينا اشد عذابا مع قرب
عهده بمشاهدة انقلاب العصى حية وما لاح من الآثار الهائلة حتى انها قصدت ابتلاء قبة فرعون
واضطر هو الى ان استغاث بموسى من شر ذلك الثعبان مع قرب عهده بذلك يبعد منه ان
يتجاسر لما ذكر من التهور اجيب بانه يجوز ان يكون فى اشد الخوف فى قلبه ومع ذلك كان يظهر
الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا لامره قوله لن نختارك اى طاعتك والايمان بك
وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والا فعل بهم ما اوعدهم به فاجابوه
بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة فى اصول الدين فلا يؤثرون رضا المخلوق
المستوجب سخط الخالق وعقابه الدائم ومضار الدنيا لا يصبر العاقل عن الثبات على ما
يؤدى الى سعادة الآخرة قوله وقرئ تنقضى على البناء للمفعول ورفع الحيوة ووجهها ان
ان الحيوة فى القراءة المشهورة لما انتصب على الظرف اتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول
به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم الجمعة لما علم السحرة انهم متى اصروا على الايمان اوقع بهم فرعون
ما اوعدهم به قالوا اقض ما انت قاض لا على وجه الامر لكن اظهروا ان ذلك الوعيد لا
يزيلهم عن الايمان البتة ثم بينوا ما لاجله سهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقضى هذه الحيوة
الدنيا اى قضاؤك وحكمك انما يكون فى هذه الدنيا وهى فانية تزول عن قريب ومطلوبنا
سعادة الآخرة وهى باقية والعقل يقتضى تحمل الضرر الفانى للتوصل الى السعادة الباقية
قوله وما اكرهتنا عليه من السحر فى معارضة المعجزة يعنى انهم كانوا سحرة يعلمون السحر

ومن استقرا احوال العالم علم
ان العاجز قد يقبل امثال هذه
الاشياء وقد يقدر على صحة ذلك ان
كل عاقل يعقل بالضرورة ان عذاب
الله تعالى اشد من عذاب البشر
انه انكر ذلك ايضا فقد كان عالما
بكذبه فى قوله انه لكبيركم الذى علمكم
السحر لانه علم ان موسى عليه الصلوة
والسلام ما خالطهم وما لقيهم
كذا

المسئلة الثالثة تمسك المجسمة
بقوله من يات ربه مجرما فقالوا
الجسم انما يات ربه مجرما لو كان
الرب فى المكان وجوابه انه جعل
اتيانهم موضع الوعد اتيانا الى
الله تعالى مجازا كقول ابراهيم عليه
الصلوة والسلام انى ذاهب الى
ربى كذا

لانه لو كان ساحرا لابطل سحره
اذا نام الساحر
فان الساحر اذا نام بطل سحره

باختيارهم الا انهم كانوا مكرهين في الحضور واظهار السحر على طريق معارضة المعجزة بقوله
وابعث في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم فانه يدل على انهم حضروا وفعلوا ما فعلوا
بالجبر والاكراه وايضا انهم لما راوا ان العصا يحفظه وهو نائم ابوا ان يعارضوه وقالوا ما هذا
سحر فحملهم فرعون كرها على ان يعارضوه **قوله** حيوة مهنأة اي حيوة تقتضي فيها بما
قد عمل الصالحات يدل على ان الجزاء الموعود لمن كان آتيا بكل الصالحات وذلك غير معتبر بالاتفاق
فلا يمكن فينبغي ان يحمل ذلك على اداء الواجبات **قوله** والآيات الثلث وهي قوله انه من
يأت ربه مجرما الى قوله تزكى يحتمل ان يكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال
المجرمين واحوال المؤمنين في عرصة القيمة والهاء في انه ضمير الشان والجملة الشرطية خبرها
ومجرما حال من فاعل يأت وقوله لا يموت يجوز ان يكون حالا من الهاء في له وان يكون حالا من جهنم
لاشتماله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى لما بالغ في دعوة فرعون واراه الآيات المتتابعة
التي اظهرها الله تعالى على يده فلم يزدادوا الا عتوا وعنادا اوحى الله تعالى اليه ان اخرج بني اسرائيل
ليلا فان السرى سير الليل والاسراء مثله **قوله** فاجعل لهم يعني ان طريقا منصوب على انه
مفعول به لقوله فاضرب لنا على انه بمعنى اجعل او اتخذ والمعنى اجعل لاجل عبورهم طريقا
في البحر **قوله** وصف به الواحد مبالغة جعل الطريق لفرط يبسه كانه اشياء يابسة يبسا ليس
فيها ماء ولا طين ولا ندوة كما يقال نطفة امشاج ومعا اجياع وثوب اخلاق او لان المراد بقوله طريقا الجنس
وهو حكم الجمع لتعدده معنى لاصفة على ما روي ان البحر انفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط
طريق **قوله** كان قنودا حليه حين صمت حوالب غرزا ومعا جياعا على وحشة خذلت
خلوج وكان لا اطلا طفلا فقضا عا نكرت تبتغيه فصادفته على دمه ومصرع السباع ينوشه
جمع قتود على حلاق القياس والقتد خشب الرحل والحوالب عروق الضرع وهما حالبان اي
عرقان مكتنفان بالسرة وصمت بفتح الصاد اي ضربت بفاضمة بالعصا اذا ضربها وحوالب
مفعول صمت بتقدير المضاف اي ضربت ذات حوالب غرزا صفة حوالب ومعا جياع صفة عطف
على حوالب ويحتمل ان يكون صمت بضم الصاد بمعنى سوقت وحوالب منصوب بنزع الخافض اي على
ذات حوالب والغرز بتقديم المهملة على المعجمة جمع غارز وهي من النوق القليلة اللبن والغرز
بتقديم المعجمة هي التي كثرت لبنها وعلى وحشة خبر كان وخذلت اي تأخرت قال الاصمعي اذا
تخلف عن القطيع قيل خذلت والخلوج من النوق التي اختلج عنها ولدها فقل لذلك لبنها والطلا الولد
من ذوات الظلف والسباع منصوب بفعل يفسره قوله صادفته شبه حالة قتود رحله حين
وضعت على ناقته الموصوفة بالضمور بحالة وضعها على وحشة فقدت ولدها على طريق تشبيه

تشبيه الهيئة بالهيئة **قوله** حال من المأمور اي من فاعل اضرب او اضرب بخبرها لا تخاف او صفة
ثانية لطريقا والعائد محذوف اي لا تخاف فيه والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا
يدركك فرعون وجنوده ومن قرأ ولا تخاف من قرأ جعل قوله ولا تخشى باثبات الالف
معطوفا عليه اي لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشى الغرق واما من قرأ لا تخف مجزوما فانه
لم يقرأ قوله ولا تخشى الا باثبات الالف فذكر المص في توجيه اثبات الالف ثلثة اوجه الاول انه
كلام مستانف منقطع عما قبله اخبر الله تعالى به انه لا يحصل له خوف والواو ابتدائية والثاني
انه مجزوم بالعطف على المجزوم قبله وعلامة جزمه سقوط لام الفعل المعتلة وهذه الالف ليست
لام الكلمة وانما هي الف اشباع اتي بها موافقة للفواصل ورؤس الآي فهي كالالف في قوله الرسولا
والسبيلا والظنونا والثالث انه حال من فاعل لا تخف على حذف المبتدأ اي وانت لا تخشى
الغرق وانما احتيج الى تأويل الجملة الحالية بالاسمية لان المضارع المنفي بلا كالمثبت في
عدم مباشرة الواو له **قوله** والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه على ان اتبع متعد الى اثنين
حذف ما هو الثاني في الذكر والباء في قوله بجنوده للملابسة والمصاحبة وهي مع المجرور
في محل النصب على انه حال من المفعول المحذوف وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم بتشديد التاء
فيتعدى للواحد ويتعدى بالباء الى آخر وقيل الباء زائدة في المفعول الثاني والتقدير
فاتبعهم فرعون جنوده كما في قوله لا تأخذ بلحيتي وقوله اسرى بعبده **قوله** وذا دهم خلفهم
اي ساق جنوده خلف موسى وقومه فان الذود السوق يقال ذدت الابل اي سقتها
وفيه اي وفي ابهام فاعل غشيهم مبالغة وتعظيم لما اصابهم وسترهم من اليم مع وجازة
اللفظ واختصاره ومن في قوله من اليم للتبعيض ولابتدائيه تعظيم ما غشيهم وقيل بالمعنى
علاهم وسترهم من ماء البحر قدر ما غرقهم فيكون الابهام للتحقير **قوله** والفاعل هو الله تعالى
او فرعون وعلى هذين التقديرين يكون ما غشاهم مفعولا ثانيا وهو تهكم به التهكم ان
يؤتى بعبارة والمقصود عكس معناها فقوله وما هدى قومه يدل على كونه مهتديا عالما بطريق
الهداية الا ان هدايته لم يتعلق بقومه وفرعون مع كونه رئيس الضالين كيف يتوهم كونه
مهتديا عالما بالطريق فيكون ما يدل على ذلك تهكما في حقه روي عن ابن عباس رض انه قال
لما امر الله عز وجل موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنوا اسرائيل استعاروا من قوم فرعون
الحلي والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة الف وثلثة الاف ونيف
ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وقد كان يوسف عليه الصلوة والسلام عهد اليهم عند
موته ان يخرجوا عظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظام

حيوة يتنعم بالعالم

وفي الاية تنبيه على حصول
النفع لاصحاب الكبائر لانه
جعل الدرجات العلى لمن اتى
ربه بالايمان والاعمال الصالحة
وسائر الدرجات التي هي غير
عالية لا بد وان يكون لغيرهم
وما هم الا العصاة من اهل الايمان
واما قوله وذلك جزاء من
تزكى فقال ابن عباس نحو يريد
من قال لا اله الا الله وما قوله ذلك
بهذه الاية على ان الدرجات العلى
هي جزاء من تزكى وحينئذ
ذكر الخطاب ان الدرجات التي
لا تكون عالية لا تكون جزاء من
تزكى وهي لغيرهم ممن يكون المعصية
منه دعا الله تعالى بفضله ورحمته
عنهم

واما قوله تعالى واضل فرعون قومه
وما هدى فاصح الناضح وقال لو كان
الضلال من خلق الله لما جاز ان
يقال واضل فرعون قومه بل وجب
ان يقال الله اضلهم ولان الله ذمه
بذلك فكيف يجوز ان يكون خالقا
للكفر لان من ذم غيره لشيء
لا بد وان لا يكون فاعلا لذلك
الفعل والا لاستحق الذم

ما حذرناه وقال موسى العجوز احكمي فقالت اكون معك في الجنة على اخرجوا اتبعهم فرعون وعلى
مقدمته الف الف وخمسمائة الف سوى المجنبتين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هاهنا امرت
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيها قالوا كيف
ندخلها وهي رطبة فدعا ربه فهبت الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق في بعضنا فجعل بينهم كوى حتى
يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر فاقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه ان موسى
قد سحر البحر فصار البحر كما ترى وكان على فرس حصان واقبل جبرئيل عليه السلام بين يدي فرعون
على فرس حجر وهي الانثى من الخيل وابصر الحصان الفرس الحجر فاقتحم بفرعون على اثرها وصاحت
الملائكة في الناس الحقوا فرعون حتى اذا دخل آخرهم وكاد اولهم ان يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا
فسمع بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا ما هذا يا موسى قال اغرق الله تعالى فرعون وقومه
فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله تعالى حتى يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فدعا فلفظهم
البحر الى الساحل واصابوا من سلاحهم وروي ان موسى لما ضرب بعصاه البحر حصل اثنا عشر
طريقا يابسا وبقي الماء قائما بين كل طريقين كالطود العظيم وهو الجبل فاخذ كل سبط من بني
اسرائيل طريقا من هذه الطرق لما انه فصار كل فرق كالطود العظيم ومنهم من قال انما
حصل طريق واحد لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس والايمن منصوب
على انه نعت للجانب وجانب مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي اتيان جانبه الذي هو يمين
السالك من مصر الى الشام ولا يجوز ان يكون المفعول الثاني محذوفا ويكون جانب ظرفا لمكان
للوعد والتقدير وواعدناكم التورية في هذا المكان لانه ظرف مكان مختص لا يصل اليه الفعل
بنفسه فلذلك جعل مفعولا ثانيا على تقدير المضاف قال المفسرون ليس للجبل يمين ولا يسار بل
المراد ان طور سيناء عن يمين من انطلق من مصر الى الشام وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر
ضب خرب او على انه نعت للطور وصف بذلك لما فيه من اليمن **قوله** للملابسة اي لملابسة
المواعدة بهم من حيث انه تعالى وعد موسى وحده او وعده مع النقباء السبعين ان ياتوا جانب
الطور الايمن فيكلم موسى فيعطيه التورية لاجل بني اسرائيل وبيان دينهم وشرح شريعتهم لما انعم
الله تعالى على قوم موسى بانواع النعم ذكرهم تلك النعم وحثهم على شكرها وقدم منها ازالة المضرة لكون
المنافع لا ينتفع بها مع قيام المضرة فقال قد انجيناكم من عدوكم ثم ثنى بذكر المنفعة الدينية وهي قوله
وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ثلث بذكر المنفعة الدنياوية وهي قوله ونزلنا عليكم المن و
السلوى ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند
الله تعالى لذائذه يعني ان المراد بالطيبات ما يستطيبه الطبع من اللذائذ الاطعمة كالمن و

والسلوى او يستطيبه الشرع كالمحللات التي من جملتها المن والسلوى فانهما قد انزلهما الله تعالى
اليهم ولم يمسسه يد الآدميين **قوله** فيلزمكم عذابي هذا المعنى على ان يقرأ يحل بكسر الحاء فان
قراءة العامة في الكلمتين كسر الحاء في الكلمة الاولى وكسر اللام الاولى في الثانية على انهما من
حل الدين اذا وجب اداؤه ومن قرأهما بالضم جعلهما من حل بمعنى نزل **قوله** وما اعجلك عن قومك
يا موسى متصل بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن واضمر هاهنا فتعجل موسى فقلنا له وما اعجلك
دلت الاية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون الذين
اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرائيل يذهبون معه الى الطور لياخذوا التورية فسار بهم
موسى ثم تعجل من بينهم شوقا الى مناجاة ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل
فالمراد بقومه النقباء السبعون وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن ممنوعا عن التقدم عليهم
وما وجد نصا يدل على المنع عن ذلك ولا على الاجتماع معهم في المجيء ثم تقدمهم شوقا الى كلام
ربه بناء على اجتهاده ان ذلك اقرب الى رضا الله تعالى فاخطأ في ذلك الاجتهاد من حيث ان
العجلة نقيصة في نفسها وقد انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فاستوجب العتاب
لذلك يقال اغفلت الشيء اذا تركته على ذكر منك ولما ورد ان يقال قوله تعالى وما اعجلك عن قومك سؤال
عن سبب العجلة فكان المطابق من الجواب ان يقال عجلت اليك رب لطلب زيادة رضاك او شوقا
الى كلامك او مسارعة الى تنجز موعدك الذي هو اتيان الجانب الايمن من الطور ونحو ذلك و
الجواب بقوله هم اولاء على اثري لا يطابقه ظاهرا اشار الى الجواب عنه بان السؤال عن سبب
العجلة يتضمن انكارها يعني انه لما تضمن الانكار بسط العذر عما انكر عليه فابتدا به لكون الاعتذار
عنها اهم بالنسبة الى بيان السبب **قوله** ابتليناهم بعبادة العجل يعني ان المراد بالفتنة
المحنة التي هي شدائد وبلايا والمعنى ابتلينا قومك الذين خلفتهم مع هرون في محنة وفتنة بعبادة
العجل وخلقنا فيهم الكفر والضلال لسوء اختيارهم وميلهم الى جانب التقليد والهوى وعدم
اتباعهم الدلائل القاطعة التي اقامها صاحب المعجزات القاهرة واسند الاضلال الى السامري
لانه كان سبب ضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى والا لم
يملك احد اضلال احد واسند الفتنة الى نفسه لانه خالق الاعيان والاعراض باسرها
والسامري انما باشر ما يؤدي الى تكون العجل من الذهب والحلي والله تعالى هو الذي جعله جسدا
ملتبسا بلحم ودم ونفخ فيه الروح وجعل له خوارا فلذلك وجه اضافة الافتتان اليه قرأ العامة
واضلهم السامري على انه فعل ماض مسند الى السامري وقرئ واضلهم مرفوعا بالابتداء
وهو افعل تفضيل بمعنى اشدهم ضلالا والسامري خبره **قوله** اذ ليس في الاية ما يدل على تعليل

لعدم القطع بصحة ما ذكر من الامرين اللذين اولهما انهم قاموا على الدين الذين تركهم موسى حين انطلاقه الى الجبل الى عشرين ليلة ثم ارتدوا بعبادة العجل وثانيهما كون خطاب فقد فتنا قومك متوجها اليه عند قدومه الى الطور قبل وقوع الحجر به ثم قال ان صح هذان الامران وكان خطاب قد فتنا قومك بلفظ الماضي واقعا قبل وقوع الافتتان بعشرين ليلة كان وجه التوفيق بينهما انه اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادة كقوله ونادى اصحاب الجنة قوله وكان منافقا آمن بموسى ظاهرا وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر راسخا في نفسه والظاهر ان كلمة ام في قوله ام اردتم متصلة معادلة لهمزة الاستفهام والمعنى افطال عليكم زمان مفارقتي فنسيتم ما امرتكم به ووعدا باتي من الثبات على ديني الى ان ارجع اليكم من الطور بسبب طول الزمان ام تعمدتم فعل ما يكون سببا لغضب ربكم الى العقاب فاخلفتم لذلك وعدكم اياي فكانه قيل انسيتم ذلك الوعد ام تعمدتم المعصية المؤدية الى غضب ربكم وقوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد المسبب بالعرض صح هذا الكلام والمص جعل الوعد في قوله فاخلفتم موعدي مصدرا مضافا الى المفعول ولم يرض ‹› باحتمال كونه مضافا الى الفاعل على معنى فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين ذي القعدة بتمامه وعشر ذي الحجة ملتبسا بكتاب منزل من ربكم فيه شرح دينكم وبيان الفرائض والاحكام بناء على ان هذا الاحتمال لا يناسب ترتب قوله فاخلفتم موعدي ما ذكره من الترديد الطالب لسبب وقوعهم في الفتنة فلو جعل المصدر مضافا الى فاعله لما كان الترديد لطلب سبب وقوعهم في الفتنة وايضا ذلك الاحتمال لا يناسب قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فان تعمدهم المعصية لا يصلح سببا لكونه مخلف وعده اياهم بالعود بعد الاربعين وايضا ذلك ‹› الاحتمال لا يناسب جوابهم بقولهم ما اخلفنا موعدك بملكنا فانه اعتذار عن خلفهم فيما ‹› وعدوا اياه عليه الصلوة والسلام لا عن وجدانهم الخلف في وعده لهم بالعود بعد الاربعين احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم الظاهر ان المص اختار قراءة من قرأ حملنا بفتح الحاء والميم الخفيفة حيث تعرض لكون انفسهم حاملين ومتبرئين ولم يتعرض لما بعثهم على الاستعارة والحمل فان نافعا وابن كثير وحفصا قرؤا حملنا بضم الحاء وكسر الميم مشددة والباقون بفتحهما مع تخفيف الميم ونسبة الفعل الى انفسهم وعلى القراءة نسبوا الفعل الى غيرهم فقيل ذلك الغير موسى عليه الصلوة والسلام حيث امرهم باستعارة الحلي والخروج بها فكانه الزمهم بذلك والاوزار الاصار والاثقال وسموا الحلي الذي استعاروها من القبط اوزارا لانها آثام اي اسباب آثام من

باجرمه بالفصل ... قرينة ... الموصل والعليج القدر الضخم والرجلين ... كفار العجم ... غيرهم

الالاني نوراً ... وحمزة وابو عمرو ... والكسائي ... وابو بكر ... بالفتح والتخفيف

من حيث انها تجلب للفخر والخيلاء والترفع على الفقراء ولانها ما دام اصحابها احياء وتصرفوا فيها حل لهم الانتفاع بها فلما هلك اصحابها صار حكمها حكم الغنيمة ولم يحل لهم الانتفاع بالغنايم بعد ما غنموا بسببها ولان بني اسرائيل كانوا مستأمنين بالنسبة الى القبط وليس للمستأمن ان ياخذ مال الحربي الا باذنه حتى لو اخذ ماله بطريق الربوا حل عند ابي حنيفة رحمه الله وان جرى ذلك بينه وبين مسلم اسلم هناك كما يجوز للمسلم المستأمن اخذه من الحربي برضاه **قوله** من زينة يجوز ان يتعلق بحملنا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لاوزارا وقوله فكذلك نعت لمصدر محذوف اي فالقى السامري ما كان معه من الحلي او من التراب الذي اخذه من حافر فرس جبريل عليه الصلوة والسلام حين عبر البحر وذلك انه رأى ما تحت حافره يخضر فعلم ان له شأنا فاخذ منه شيئا فحفظه في عمامته فالقاه في الحلي المقذوف في النار القاء مثل القاء بني اسرائيل ما معهم من الحلي قال الامام قولهم في حق ذلك المجسد هذا الهكم فيه اشكال لان القوم ان كانوا في الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المموه في تلك الساعة هو الصانع الخالق للسموات والارض فهم مجانين وليسوا مكلفين ولان مثل هذه السفاهة على مثل ذلك الجمع العظيم محال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى واجاب بان القوم لعلهم كانوا من الحلولية الذين يجوزون حلول الاله او حلول صفة من صفاته في ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا في غاية البعد لان ظهور الخوارق لا يناسب الالهية لكن لعل القوم كانوا في نهاية البلادة وكيف لا وانهم قالوا لنبيهم بعد ما رأوا الآيات العظام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قالوا ذلك والحال ان اقدامهم ما جفت من ماء البحر **قوله** فنسي موسى اي فتركه هذا من كلام السامري وان كان ضمير فنسي للسامري يكون هذا من كلام الله تعالى ويكون النسيان مجازا عن لازمه الذي هو الترك كانه تعالى اخبر عن السامري انه ترك ما كان عليه من اظهار الايمان او انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وعلى ان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين ما يستدل به على ذلك بقوله تعالى افلا يرون الا يرجع اليهم قولا استدل به على انه لا يصلح ان يكون الها من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر كيف يكون الها والحال ان الاله ينبغي ان يكون سامعا لدعاء عابده نافعا له دافعا عنه المضار شيئا وصافيا كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقراءة العامة ان لا يرجع برفع يرجع على ان كلمة ان هي المخففة من الثقيلة وبدل على ذلك وقوع اصلها وهو الثقيلة في قوله الم يروا انه لا يكلمهم روي عن الزجاج انه قال الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا تكون ولا وجه لكون الرؤية ههنا بصرية لان عدم رده عليهم جوابا ليس مما يبصر وان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين لانها تجعل الجملة في تاويل المفرد فيلزم الاقتصار على احد المفعولين وهو غير

قوله والحال ان اقدامهم ما جفت من ماء البحر يروى ان يهوديا قال لعلي رضي الله عنه ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال له علي انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ... كناية عن قرب العهد ... مداده

شرح

اعلم ان هرون عليه الصلوة والسلام سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم عن الباطل اولا بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله تعالى ثانيا بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم ثالثا الى النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع رابعا بقوله واطيعوا امري وهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد قبل كل شيء من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فثبت ان هذا الترتيب احسن الوجوه وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيها على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن ومن رحمته ان خلصهم من آفات فرعون ثم انهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال بالتقليد فقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لا نقبل حجتك ولكن نقبل قول موسى وهذه عادة المقلد

قوله غير جائز في هذه الافعال قوله يؤيد الوجه الاول وهو ان يكون هرون عليه الصلوة والسلام قال لهم ذلك بعد ما شاهد منهم افتتانهم بعبادة العجل قبل مجيء موسى بعد ما قال السامري ما قال ووجه التاييد ان جوابهم بان قالوا لن نبرح مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى انما يلايم الوجه الاول دون الثاني قوله ان تتبعني في الغضب يعني ان المراد باتباع هرون اياه اما الاتباع في اخلاق اخيه وسيرته او اللحوق به وترك المقام بين اظهر المرتدين والمحامي المخاصمة والمخالفة يقال حميت عليه بالكسر اذا غضب ودهماء الناس جماعتهم واعلم ان المص حمل الامر في قول موسى لاخيه افعصيت امري على امره اياه بالصلابة في الدين واظهار البغض والخصومة مع المخالفين وحمل القول في قول هرون له ولم ترقب قولي على قول موسى له اخلفني في قومي واصلح لئلا يرد ما يقال قول موسى له افعصيت امري يدل على انه امره بشيء وان اخاه لم يمتثل امره فكيف يحسن ان يقول اخوه في جوابه انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولي فهل يصدر مثل هذا عن العاقل وعلى تفسير المص يكون حاصل الجواب خالفت امرك اياي بالصلابة في الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم ترقب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا محذور في هذا الجواب غاية ما في الباب ان هرون قيد امر موسى اياه بالصلابة في الدين بان لا يكون تلك الصلابة مؤدية الى تفرقة دهماء بني اسرائيل واختلال انتظام قوله اي ما طلبك له اي اي شيء طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباحه وان قرئ بما لم تبصروا بالتاء الفوقية من فوق يكون الخطاب لموسى وقومه اوله وحده على طريق اي لم تفطنت بهم التعظيم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وان قرئ بياء الغيبة يكون الفعل مسندا الى ضمير بني اسرائيل يقال بصر بالشيء اي علمه وابصره اي نظر اليه وقيل بصر بالشيء وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد في الماضي ومضارعه وقرئ بكسر الصاد في الماضي وفتحها في المضارع وهي لغة وقرئ كل واحد من الماضي والمضارع على بناء المفعول اي اعلمت بما لم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبرئيل وباثره التراب الذي اخذه السامري من موضع حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا في انه متى رآه فقال الاكثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل انه لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس ولعله لم يسمه جبرئيل او روح القدس او نحوهما من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبرئيل وانما عرفه بانه رسول روحاني فلا جرم يكون للتراب الذي اصابه حافر فرسه خاصة احياء ما الصق به فلذلك قال في جواب موسى فقبضت من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميعاد الذهاب الى الطور والعامة على فتح القاف من قبضة وهي المرة من القبض وهي مصدر سمي به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر

ابن عادل

وكسر مو يا ابن ام اصله يا ابن امي فقلب ياء الاضافة الفا طلبا للتخفيف ثم حذفت الالف اكتفاء بالفتحة وذلك مطرد في المنادى لحصول التنكر بالتركيب والمنادى محل التخفيف منه

وثانيها ان موسى عليه الصلوة والسلام اقبل وهو غضبان على قومه فاخذ براس اخيه وجره اليه كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب فان الغضبان المتفكر قد يقبض على لحيته ويعض على اصابعه ويقبض على لحيته فاجرى ذلك على اخيه هرون مجرى نفسه لانه كان اخاه وشريكه فعل به ما يفعل الرجل بنفسه في حال التفكر والغضب واما قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فلا يمتنع ان يكون هرون عليه الصلوة والسلام خاف ان يتوهم بنو اسرائيل سوء ظنهم انه منكر عليه فشرح القصة فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل كانوا على نهاية سوء الظن بموسى عليه السلام حتى ان هرون غاب عنهم فقالوا لموسى انت قتلته واعلم انه ليس في القرآن دلالة على انه فعل ذلك فان النهي عن الشيء لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه كقوله فلا تطع الكافرين والمنافقين وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والذي فيه انه اخذ براس اخيه يجره اليه وهذا القدر لا يدل على الاستخفاف بل قد يفعل ذلك لسائر الاغراض على ما بيناه

بالمصدر وقرئ قبضة بضم القاف وهي اسم للمقبوض وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاول بجمع الكف ونحوهما القضم والخضم فان القضم الاكل باطراف الاسنان والخضم الاكل بجميع الفم قوله وقيل انما عرفه عطف على ما قبله من حيث المعنى فانه دال على انه انما عرفه بالامر العرضي الذي بعده وغيره وهو انه رسول روحاني جاءه ليذهب به الى حيث امره الله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان السامري اختص برؤية جبرئيل ومعرفته من بين الناس بناء على انه رآه في صغره وسبب ذلك ان فرعون كان قد امر بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها بحيث لا يشعر به فرعون فيأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري ممن اخذه جبرئيل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه وهو يعرفه فلذلك عرفه حين رآه راكب فرسه لما قضى على يديه من الفتنة قوله يغذوه حتى يستقل اي يربيه حتى يستغني عن تربية الغير والغذاء ما يتغذى به من الطعام والشراب والموطئ موضع القدم من وطئ الشيء برجلي قوله ان تقول لا مساس اي لا يمس بعضنا بعضا فكان بعد ذلك يعيش في البرية مع السباع والوحوش لا يمس ولا يمس وان اتفق ان يماس احدا رجلا كان او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه فصار في الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية فان من لزمه القتل في الحل فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له عندنا الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج فيقتل هناك فاذا اراد احد ان يمسه يصيح فائلا لا مساس اي لا امس ولا امس خوفا من الحمى ثم قيل المراد من المماسة المنفية المس الحقيقي وقيل ما يعم جميع انواع المعاملة من المكالمة والمواكلة ونحوهما وقرأ العامة لا مساس بكسر الميم وفتح السين الاخيرة وهو مصدر فاعل كالقتال مصدر قاتل وقرئ بفتح وكسر السين وهو علم للمس وهي المرة الواحدة من المس كفجار علم للفجرة فان فعال على اربعة اقسام اسم فعل كنزال وصفة للمؤنث كفساق بمعنى فاسقة وعلم للاعيان المؤنثة كقطام وعلم للمصادر كفجار وعباب واباب فانها اعلام للفجرة والعبث والاباء ثم قال موسى عليه الصلوة والسلام للسامري وان لك مع هذا النوع من عذاب الدنيا عذابا وعده الله لك في الاخرة لن تخلفه بضم التاء وفتح اللام وهي قراءة الجمهور اسند الفعل الى المفعول الاول وترك الثاني على حاله اي لن يخلفك الله ما ذكر ونجزه لك على شركك وفسادك وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وذكر المص له وجهين الاول ان يكون من الاخلاف على اصل معناه ويكون المفعول الاول محذوفا كما ان الواعد يجوز ان يخلف الموعود له وعده فكذا يجوز ان يخلف الموعود له الواعد

وعده بان لا يجئ اليه ويتخلص عنه بالهرب والفرار والثاني ان تكون بهمزة اخلف للوجدان
بمعنى لن نجده فيه خلفا وقرئ لن نخلفه بضم نون العظمة وكسر اللام على اسناد الفعل الى الله تعالى
وحذف المفعول الاول اي لن نخلفك نحن موسى انما يقول ذلك على حكاية قول الله تعالى عنه كما في قول
جبريل لاهب لك **قوله** ظلت على عبادته اي امضيت نهارك انت واصحابك مقيمين على عبادته
يقال ظللت اعمل كذا اذا عملته بالنهار دون الليل قراءة العامة بلام واحدة من اللامين للتخفيف و
ابقاء الظاء مفتوحة على حالها وقوله لنحرقنه جواب قسم محذوف اي والله لنحرقنه والعامة على ضم
النون وكسر الراء مشددة من حرّقه يحرّقه بالتشديد بمعنى احرقه بالنار وشدد للكثرة و
المبالغة او برد بالمبرد على ان يكون من حرق الشيء يحرُقه ويحرِقه بضم الراء وكسرها اذا برده
بالمبرد ويؤيد الاحتمال الاول قراءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من الاحراق
ويعضد الثاني قراءة لنحرقنه بفتح النون وضم الراء خفيفة اي لنبردنه ثم ان موسى عليه
الصلوة والسلام لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال
انما الهكم الله **قوله** فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار ما هو فاعل في المعنى مفعولا
لان شان التعدية ان يصير الفاعل مفعولا كما اذا قلت في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا يصير
الفاعل مفعولا وعلى في القراءة المشهورة كان تمييزا عن نسبة وسع الى الضمير المستتر وهو
في المعنى فاعل فصار مفعولا بنقل الفعل الى باب التفعيل **قوله** مثل ذلك الاقتصاص اشارة الى
ان محل الكاف نصب على انه نعت للمصدر المحذوف   تبصرة لك بيان لفائدة ذكر الاقاصيص
في القران الكريم فان اشتماله على ما فيه من الاقاصيص كما هي عليه من جملة من جملة وجوه
كونه معجزا الى غير ذلك من الفوائد وقوله من انباء صفة لمحذوف هو مفعول نقص والتقدير
نقص عليك نبأ من انباء ما قد سبق فقصّ مثل اقتصاص قصة موسى مع فرعون اولا ثم مع
السامري ثانيا **قوله** كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص اشارة الى ان القران سمي ذكرا على
طريق تسمية الذات بالمصدر للمبالغة في اتصافها به فان القران العظيم كما انه معجز بنظمه الفائق
معجز باشتماله على ذكر اقاصيص الاولين على الوجه المطابق لما ذكر في الكتب الالهية المتقدمة مع
انه صلى الله عليه وسلم ما سمعها من احد ولا قراها في كتاب وعلى ذكر جميع ما يحتاج اليه الناس
من امور دينهم ودنياهم وايضا سمي ذكرا لكونه حقيقا بالتذكر والاتعاظ والتفكر والاعتبار
قال تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقال يا ايها الذي نزل عليه الذكر ثم نقل ان يكون المراد
بالذكر الذكر الجميل والصيت العظيم وفي الصحاح الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس
دون القبيح يقال ذهب صيته في الناس قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك **قوله** مما اوزارا في

يعني استعير لفظ الوزر للعقوبة تشبيها بالوزر في ثقلها على المعاقب يقال فدحه الدين اي اثقله وانقض الحمل ظهره اي اثقله ايضا **قوله** والجمع فيه اي جمع ضمير خالدين وتوحيد ضمير اعرض مع انهما عبارتان عما عبر عنه بكلمة من بحمل الاول على معنى من والثاني على اللفظ **قوله** اي بئس لهم يعني ساء ههنا هي التي بمعنى بئس لا التي بمعنى احزن ومن شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرفا باللام او مضافا الى المعرف به او مضمرا مميزا بنكرة منصوبة وان يذكر بعد ذلك المخصوص وههنا لم يذكر فاعل ساء فلا بد ان يكون مستترا فيه مميزا بقوله حملا فيكون المستتر فيه عبارة عن مميزه ولم يذكر المخصوص ايضا فوجب ان يكون محذوفا تقديره ساء الحمل حملا وزرهم **قوله** اشكل امر اللام اذ لا يقال احزن لهم بل يقال احزنهم ويقال ساءه يسوءه سوءا بالفتح نقيض سره واشكل ايضا نصب حملا في قولك احزن لهم الوزر حملا اذ لا وجه لكونه حملا تمييزا للوزر وغير التمييز لا وجه له ايضا فلا يمكن ان يقال اللام للبيان كما اذا كان ساء بمعنى بئس وحملا تمييز عن النسبة والمعنى احزنهم حمل الوزر وثقله **قوله** يوم ينفخ بدل من يوم القيمة او بيان له او منصوب بيتخافتون او باضمار اذكر وقرأ الجمهور ينفخ بضم الياء وفتح الفاء على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده وقرئ ننفخ بنون العظمة كقوله نحشر على بناء الفاعل على طريق اسناد الفعل الى الآمر به وهو الباري تعالى وان كان المباشر للنفخ هو اسرافيل والنكتة في العدول الى المجاز اما تعظيم الآمر بانه لا يجري في ملكه الا ما يشاء ولا يحدث حادث الا بامره وتكوينه او تعظيم النافخ بانه ملك مقرب مكرم عند الله تعالى بلغ في قربه منه تعالى ومكانته لديه الى حيث يصح ان يسند ما يصدر عنه من العمل الى ذاته تعالى وقرأ الجمهور في الصور بسكون الواو وقيل انه قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويؤيده قراءة من قرأ الصور بفتح الواو والاول اولى لقوله فاذا نقر في الناقور والله تعالى يعرف الناس احوال الآخرة بامثال ما شوهد في الدنيا فان عادة الناس النفخ في البوق عند ارادة الاجتماع في الاسفار وفي العساكر والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فانه يدل على ان النفخ في الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا **قوله** اسود الكبد كانه لشدة عداوته احترق كبده والسبال جمع سبلة وهو الشارب والصهبة حمرة يعلوها سواد وهي من الالوان المختصة بالشعر يقال للرجل اصهب وللمرأة صهباء ويقال زرقت عينه بالكسر وازرقت ازرقاقا وازراقت ازريقاقا لكون الزرقة من العيوب بني ...

نبه اذ البيان انما يحسن فيما يختص معنى بهما كالخطاب في هيت والمدح والذم في باب نعم وبئس والحمل بالكسر بمعنى المحمول فلا يصح تمييزا منه

اي ساء المحمول محمولا منه

باب الافعلال فان كان الزرق بمعنى زرق العيون يكون مجازا عن قباحة الصورة لان زرقة عيونهم مستلزمة لكون صورتهم منكرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فكانه قيل يحشر على اقبح صورة وان كان بمعنى العمي يكون كناية لان الزرقة من لوازم العمى **قوله** اى في الدنيا او في القبر يؤيد الاول قوله كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويؤيد الثاني قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فان اللبث المغيا الى يوم البعث هو لبثهم في القبور لا لبثهم في الدنيا **قوله** يستقصرون مدة لبثهم فيها الا انهم نسوا قدر لبثهم في الدنيا فانهم عالمون بمقدار عمرهم، عالمون بمقدار عمرهم فيها لكنهم قالوا ذلك استقلالا لمدة لبثهم فيها اما لزوالها او الزائل وان طالت مدته قصير بالانتهاء الى الزوال و اما لانهم لما قابلوا اعمارهم في الدنيا باعمار الاخرة وجدوها في نهاية القلة فقال بعضهم ما لبثنا في الدنيا الا عشرة ايام وقال اعقلهم ما لبثنا الا يوما واحدا اى قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى لبثنا في الاخرة كعشرة ايام بل كان كاليوم الواحد بل كالعدم واخص، العشرة والواحد بالذكر لان التقليل في امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد و اما لانهم لما عاينوا الشدائد وتذكروا ايام النعمة والسرور وتاسفوا عليها وصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار قال الشاعر يمتع بايام السرور فانها قصار وايام الهموم طوال **قوله** استرذلا له استقلالا او هو تفاعل من تنازعه استقلالا عده قليلا رحمه الله يك قول من بالغ في التقليل لابتنائه على الحكم المذكورة ثم انه تعالى لما امر يوم القيمة وصف ~~م~~ وبين عظم ما ينال المجرمين من الحيرة التي تخافتوا بها بين هذا الجنس من المقال حكى سوال من لا يؤمن بالحشر فقال ويسئلونك عن الجبال الاية روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف يكون الجبال يوم القيمة فنزلت والنسف القلع ومنه نسف البعير النبت اذا اقتلعه بفيه من اصله والنسف ايضا التذرية ومنه قوله تعالى ثم لننسفنه في اليم نسفا قال الخليل، يقلعها وقال ابو عبيد ينسفها يطيرها كما قال تعالى وبست الجبال بسا الاية **قوله** فالاولان وهما كونها قاعا صفصفا فان الاستواء المدلول عليه بقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا استواء حقيقي تام لا يحصل بالمراجعة الى الحس وانما يحصل براى المهندس مع عرضه على المقاييس الهندسية ولما كان العوج المنفي بقوله لا ترى فيها عوجا العوج الخفي الذي لا يدرك بالاحساس التحقى بالمعاني فلذلك عبر عنه بالعوج بالكسر والا كان الظاهر ان يقال عوجا بالفتح لان الارض من قبيل الاعيان وما فيها من الاعوجاج من الكيفيات المحسوسة فقوله لا ترى فيها عوجا بالكسر ابلغ في وصف الارض بالاستواء بالنسبة الى ان يقال عوجا بالفتح وبهذا التوجيه يحد شفوفك لا ترى فان الظاهر انه

فان قولوا ازيقولون منصوب بلفظ يتخافتون ... استقلالا لمدة ... اسند قول من هو اشد ... استقلالا الى اعلمهم رايا او عقلا ... والى رحمة ... ولان من يكون ... اعلم بحقيقة الامور ... القداب ...

ولا لاحد من الناس الا لمن اذن له الرحمن ... اى الشفاعة لا تنفع المشفوع له الا من اذن له ... ان يكون استثناء منقطعا اذ لا تقدير شاع يجوز ان يكون منصوبا وهي لغة الحجاز او مرفوعا وهي لغة تميم ... قوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا ... فصل المعنى لا تنفع الشفاعة احدا من الناس الا من اذن

انه من رؤية العين وهي لا تتعلق بالعوج بالكسر وجعلها من رؤية القلب لا يناسب عموم الخطاب لان كل احد لا يعلم الهندسة حتى يتاتى منه علم ذلك **قوله** وهو النتو اى الارتفاع يقال في تغيير الكعب هو العظم الناتي **قوله** اضاف اليوم ذكر لانتصاب قوله يومئذ يتبعون الداعي وجهين الاول ان يكون ظرفا ليتبعون والتقدير يوم اذ نسفت الجبال يتبعون والثاني ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة في قوله تعالى ونسألهم يوم القيمة جعل البدل الاول يوم ينفخ والثاني يومئذ يكون العامل فيه نسألهم لانه هو العامل في المبدل منه والتقدير نسألهم حملا يوم اذ نسفت الجبال ولم يجعل بدلا من يوم ينفخ لان البدل لا يكون له بدل لانه يفضي الى ان يكون البدل مقصودا وغير مقصود معا الا ان هذا الوجه لا يخلو عن بعد للفصل الكثير ولاستلزامه ان يكون قوله يتبعون غير مرتبط بما قبله وقيل انه اوجه لمجيء قوله لا تنفع الشفاعة بدلا على الرفع اى نسألهم حملا يوم اذ يتبعون الداعي فان قلت اضافة يوم الى اذ اضافة زمان الى زمان فيلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال اجيب بان المراد بالزمان المضاف المسمى وبالزمان المضاف اليه الاسم كما في شهر رمضان ويوم الخميس وذات يوم وذات ليلة وذات اليمين وذات الشمال والظاهر انه من اضافة العام الى الخاص للبيان كما في شجرة الاراك **قوله** يدعو الناس قائما فيقبلون باتيانها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء، فيقبلون من كل اوب اى ناحية الى صوبه وصوته لا يعدلون القصد الطريق الصائب المستوي **قوله** لا يعوج له اى لدعائه اى يستوون اليه من غير انحراف **قوله** او من اعم المفاعيل اى لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن في ان يشفع له فمن على هذا عبارة عن المشفوع له وعلى الاول عن الشافع اى ورضي لمكانه على تقدير ان يكون الاستثناء من الشفاعة فاللام في قوله اذن له لصلة اذن واللام في رضي له للتعليل وقوله او رضي لاجله على تقدير ان يكون الاستثناء من اعم المفاعيل وان يكون اللام في رضي له متعلقا برضي وعلى الثاني يكون متعلقا بقوله قولا والمعنى الا من اذن الرحمن في ان يشفع له ورضي قول الشافع لاجله وفي شانه **قوله** ما تقدمهم من الاحوال اى ما تقدم من احوال الذين يتبعون الداعي ولو فسر قوله ما بين ايديهم بما يستقبلونه من الاحوال وقوله وما خلفهم بما مضى منها لكان قريبا الى العرف الشائع **قوله** ولا يحيطون علمهم بمعلوماته اشارة الى ان التمييز محول من الفاعل وان قوله به فيه مضاف مقدر ليكون قوله ولا يحيطون به علما مقابلا لقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لانه اذا لم يقدر المضاف وقيل المعنى ولا يحيطون بذاته اى لا يحيط علم الخلق به فانه ليس بمحاط علما بل يعلمون الا بما يبلغه عقولهم وما علمهم من ذلك لم يصح التقابل وقيل في اظهار التقابل من غير تقدير المضاف في به ان الضمير فيه يرجع الى ما في ما بين ايديهم

وما خلفهم يتقيد احدهما لا على التعيين او مجموعهما فيؤل المعنى الى ان الخلق لا يحيطون بمعلوم
الله علما الايمان والله تعالى والعناء جمع عانٍ وهو الاسير وسمي الاسير عانيا لخضوعه و
ذلته لمن في يده والخيبة اليأس من كل خير قوله وظاهرها تقتضي العموم وذلك لانه تعالى لما اجاب
عن سؤال من قال كيف تكون الجبال يوم القيمة اتبعه شرح احوال ذلك اليوم في صوح عامة
الخلايق فقال اولا يومئذ يتبعون الداعي وقال ثانيا وخشعت الاصوات للرحمن وقال ثالثا
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن وقال رابعا يعلم ما بين ايديهم وقال خامسا
وعنت الوجوه فالظاهر ان المراد ذوات المكلفين وانفسهم ذكر الوجوه لان قوله والمراد
اصحاب الوجوه لان قوله عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كما في قوله تعالى وجوه
يومئذ ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان اثر الخضوع والذلة يظهر فيها وتبين
بها فالظاهر ان جملة قوله وقد خاب من حمل ظلما حال من الوجوه بحذف العائد اي من حمل ظلما
منهم وان خص الوجوه بوجوه المجرمين وجعل تلك الجملة حالا منهم يكون قوله من حمل ظلما
قائما مقام العائد لكونه عبارة عنهم اي ومثل ذلك الانزال المشتمل على بيان الغيب مما كان
ويكون انزلناه يعني الكتاب قرآنا عربيا بلسان العرب ولغتهم وصرفنا فيه من الوعيد من
كل ما لحق بالقرون وما سيقع بالامم المكذبة للانبياء والكتب في القيمة لعلهم يتقون اي
لكي يحذروا ما يوجب سخط الله تعالى وقوله فلا يخاف في موضع الجزم على انه في موضع جواب
الشرط والتقدير فهو لا يخاف قوله مكررين فيه ايات الوعيد يدل على انه جعل قوله وصرفنا
فيه من الوعيد حالا قيدا للانزال وهذا لان كون انزال القرآن كله على وتيرة ما ذكر من الآيات
المتضمنة للوعيد انما هو باعتبار تكرير ايات الوعيد فيه لا مطلقا ولان قوله لعلهم يتقون متعلق
بالانزال المقيد بالتصريف لا به مطلقا ولا بالتصريف كذلك فلا بد من التقييد قوله ولهذه النكتة وهي
كون المراد بالاتقاء والاستمرار على التقوى الحاصل قبل تكرير ايات الوعيد وهو جواب عما يقال
لم اضيف الذكر الى القرآن ولم يضف التقوى اليه وتحصيل الجواب انه لما كان المقصود ان يقال
انزلناه كذلك ليستمر المتقون على تقواهم وان لم يوجد المتقي فلا اقل من ان يحدث لهم القرآن
عظة واعتبارا حين يسمعونها وجب ان يضاف التقوى اليهم والاحداث الى القرآن المنزل
حال تكرير ايات الوعيد فيه قوله الحق في ملكوته اي الثابت في ملكيته بنحو الملكية لذاته و
تذكير ضمير الملكوت لكونه مصدرا بمعنى ابان مع الفعل قوله نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي
يروى انه عليه الصلوة والسلام كان يبادر جبريل بالقراءة عند تبليغ القرآن خيفة الانفلات
والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال ولا تعجل بالقراءة قوله ومساقته اي ها هنا بعبته يقال

قال عنى يعنو اذا ذل وخضع واعناه غيره اي اذله وبمعنى العاني اسيره

قوله تعالى وهو مؤمن جملة حالية فلا يخاف قرأ ابن كثير بجزمه على النهي والمعنى امن فالنهي عن الخوف امر بالامن والباقون برفعه على النفي والاستئناف اي فهو لا يخاف والهضم النقص تقول العرب هضمت لك زيدا من حقي اي نقصت منه ومنه هضيم الكشحين اي ضامرهما ومن ذلك ايضا ظلما بهضمه اي دفعه منزلة كان بعضهم يظلم بعضا فينقص حقه ورجل هضيم ومهتضم اي مظلوم ومنتقص وانتقضه وهضمه كله بمعنى قال المتوكل الشيء ان الازلة والظلم ليسا سواء بل الهضم والمظلوم وقيل الظلم والهضم متقاربان وفرق القاضي الماوردي بينهما فقال الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه والظلم بما هو ابن يعاقب بما عمل غيره او يمنع على الثواب على الطاعة والهضم ان ينقص من ثوابه وقال ابو مسلم الظلم ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه

اس شكارز

يقال فلان في ساقة العسكر اي في اخره وهو جمع سائق وهو بساقته اي بتابعه ويتساوقن
الابل اي تتابعت والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا قوله على سبيل الاستطراد جعل
النهي المذكور استطرادا لكونه اجنبيا بالنسبة الى ما سيق له الكلام فان الكلام مسوق لبيان
ان اصلاح بني آدم يتوقف على تذكيره مرة بعد اخرى بتكرير ايات الوعيد وتجديد ما يدعوه
الى اجابة الرب المجيد كما قال وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد الخ ولا
شك ان النهي المذكور اجنبي بالنسبة الى هذا المقصود ذكر في اثنائه لمناسبته ذكر شأن القرآن
لا ذكره ولم يجعله اعتراضا لانه ليس له فائدة ترجع الى تاكيد مضمون الكلام السابق واللاحق
قوله وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا الحكم بوصف بما فيه من تقييد المطلق وهو القرآن في
قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن ولانه يأبى عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه قوله تقدم الملك
اليه الراغب قدمت اليه بكذا امرته قبل وقت الحاجة الى الفعل اي قبل ان يدهمه الامر
او النازلة واوعزت اليه في كذا اي تقدمت وكذلك وعزت اليه توعيرا افتعال واوعزت
وغرا قوله وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه يعني انها معطوفة على الجملة التي
قبلها على طريق عطف القصة على القصة والجملة الثانية وان كانت انشائية والاولى
خبرية لكن الانشائية مشتملة على ذيل وقصة في حكم الخبرية فعطفت على الخبرية كما تعطف
على مثلها ووجه المناسبة بين القصتين انه تعالى بين بالجملة الاولى ان الانسان انما يتخلى
عن المعاصي والمنكرات بتكرير آيات الوعيد وتجديد التهديدات حيث قال وصرفنا فيه
من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ثم اردفه بقصة آدم عليه الصلوة والسلام
كأنه قال ان طاعة بني آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوسه امر قديم فانا قد عهدنا
الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا في تنبيههم حيث قلنا ان هذا عدو
لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد فظهر ان امر البشر في ترك التحفظ امر عرق
لهم قديم قوله ولم يعن به اي لم يهتم به ولم يعتد به الاعتداد الصادق يقال عني بحاجتك
بضم اوله اعتنى بها عناية قال عليه الصلوة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
اي ما لا يهمه اشار به الى ان النسيان وان كان المراد ما يقابل الذكر وانه لا يدخل تحت القصد
والاختيار فلا وجه لان يعاتب عليه الا انه عليه الصلوة والسلام عوتب على ترك التحفظ
والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان والغفلة قوله تصميم رأي معنى العزم في اللغة
توطين النفس على الفعل فالمعنى لم نجد له رأيا معزوما عليه جريا على ما وسوس اليه ابليس
اللعين الذي حسده وانف ان يسجد له وقيل لم نجد له حفظا لما امر به وقيل صبرا عما نهي عنه

عن ابن عباس رضي الله عنهما غش
وخاصة ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يفعله ولا يعجل ما فيه من علي فقال في نفسه لو لا انه قد التحفظ بالاشياء من السابق وتركت بما نهيت عنه فقيل له يا محمد ان كنت فعلت ما نهيت عنه فانما فعلته حرصا منك على العبادة وحفظا لاداء الوحي وان اباك آدم قد اقدم على التحفظ بالاشياء تساهلا وترك امره فكان امرك احسن من امره

وفيه سؤالات الاول ما سبب تلك العداوة والجواب من وجوه احدها ان ابليس كان حسودا فلما رأى آثار نعمة الله تعالى في حق آدم عليه الصلوة والسلام حسده وصار عدوا له وثانيها ان آدم كان شابا عالما بقوله وعلم آدم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضله بفضل اصله وذلك جهل والشيخ الجاهل ابدا يكون عدوا للشاب العالم وثالثها ان ابليس مخلوق من النار وآدم مخلوق من التراب والماء فبين اصلهما عداوة فبقيت تلك العداوة

قوله ويذوق شر بها وأريها الشري بفتح الشين وسكون الراء المهملة الحنظل والأري
بفتح الهمزة وسكون الراء العسل أي لعله كان ما وقع منه من نسيان العهد وعدم الثبات على
الأمر قبل أن يذوق مر الأمور وحلوها لأجل نقصان عقله وقصور حلمه فإنه أرجح الناس
عقلا وأوفرهم حلما لما روي من الحديث وقال الحسن كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده ثم قال
تعالى ولم نجد له عزما ومعنى هذا أنه عليه الصلوة والسلام مع ذكائه ترغيبه ووسوسته فلكن نسي
غيره قوله وعلى هذا لا يقدر له مفعول لأن قوله إلا إبليس أبى لا يصلح جوابا لقول من قال لم لم يسجد
بخلاف أبى بمعنى أنه فعل الإباء وأظهره وأنه من أهل الإباء والعصيان وذكر لأن الغرض
بيان علة العصيان وهي فعل الإباء عن طاعة المولى ولا فائدة في إفادة هذا الغرض لبيان
تعلقه بمفعوله فلذلك نزلت منزلة اللازم ثم أنه تعالى أشار بقوله فقلنا يا آدم إن هذا عدو
لك ولزوجك إلى علة أخرى لعصيانه وهي حسده الذي هو سبب عداوته لهما فإن اللعين
كان نحو دا فلما رأى آثار نعم الله تعالى في حق آدم حسده فصار عدوا له فلكن يقدم على أن
يسجد له مع عداوته أباه وفيه إشارة إلى أن كل من حسد أحدا يكون عدوا له ويريد هلاكه ويسعى
في إفساد حاله ثم لما كان المخرج من الجنة حقيقة هو الله تعالى كان قوله فلا يخرجنكما من قبيل
إسناد الفعل إلى السبب فإن اللعين بوسوسته يكون سببا لخروجهما من الجنة ثم أن ظاهر
الآية وإن كان نهيا للشيطان عن أن يكون سببا لإخراجهما من الجنة إلا أن المراد نهيهما
عن أن يوجد فيهما ما يكون سببا لطمع الشيطان في أن يغويهما ويسعى فيما يؤدي إلى خروجهما
من الجنة كأنه قيل كونا شديد الشكيمة قوي العزيمة في رعاية ما كلفتما به والاحتراض
بما نهيتما عنه بحيث يكون الشيطان خائبا عن أن يطمع في زلتكما ويقدم على إغوائكما
وقوله تعالى فتشقى منصوب بإضمار أن في جواب النهي أي لا تباشرا أسباب الخروج فيحصل
الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة مثل الحرث والزرع والطحن والعجن والخبز
ونحو ذلك مما لا يخلو الناس في أمر تعيشه قوله إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأن لا تجوع
في محل النصب على أنه اسم أن والتقدير أن لك عدم الجوع والعري وهو تجرد الجلد عما يستره
يقال عري يعري عريا قوله ولا تضحى أي وأن لا يصيبك حر الشمس إذ ليس فيها شمس
يقال ضحي الرجل للشمس إذا برز وتعرض لها الجوهري ضحيت للشمس بالكسر ضحاء بالمد إذا برزت
لها وضحيت بالفتح مثله والمستقبل أضحى في اللغتين جميعا والكن الستر الحائلة من الشمس
والجمع أكنان قال تعالى وجعل من الجبال أكنانا فهو تعالى لما ذكر ما له في الجنة من الأقطاب
التي يدور عليها كفاف الإنسان يذكر نقائضها كان ذكرها على هذا الوجه كأنه تفسير للشقاء

للشقاء المذكور في قوله فتشقى قوله والعاطف وإن ناب عن أن جواب عما يقال أن المكسورة
لا تدخل على أن المفتوحة كراهة اجتماع حرفين بمعنى واحد وهو التحقيق وكراهة اجتماع
عاملين يعملان عملا واحدا فلا يقال إن أن زيدا منطلق والواو نائبة عن إن المكسورة وقائمة
مقامها كأنه قيل كأن زيدا في الدار وعمرا فلم دخلت عليها في قوله تعالى وأنك لا تظمأ فيها وتقرير الجواب
أن الواو ليست حرفا موضوعا للتحقيق حتى يجتمع حرفان بمعنى واحد والمفتوحة مع ما في حيزها لما كانت
في تأويل المفرد جاز اجتماعها مع الواو النائبة عن العامل قوله أو عن المأمور به وهو التباعد
عن الشجرة فإنه مأمور به في ضمن قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة والظاهر أن يقال فغوى وضل عن
الانتهاء عما نهي عنه بقوله ولا تقربا إلا أن النهي عن الشيء لما تضمن الأمر بضده عند الشافعية
فكان معنى قوله ولا تقربا هذه الشجرة ابعدا عنها قال أو عن المأمور به قرأ الجمهور فغوى بفتح الواو
بعدها ألف بمعنى ضل وقرئ بكسر الواو وفتح الياء بمعنى بشم قوله وفي النعي عليه بالعصيان
أي وفي تشهيره به يقال نعى فلان على فلان ذنوبه وشهرة بها والعصيان ترك الأمر وارتكاب
المنهي عنه وهو إن كان عمدا يسمى ذنبا وإن كان خطأ يسمى زلة والآية تدل على أنه عليه
الصلوة والسلام صدر عنه المعصية والمص سماها زلة بناء على أنه عليه الصلوة والسلام
إنما ترك الانتهاء عن أكل الشجرة اجتهادا لا بأن يتعمد المعصية ووجه الاجتهاد أنه حمل النهي
على التنزيه دون التحريم أو حمل قوله تعالى هذه الشجرة على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظ
أن هذه الواقعة إنما كانت قبل نبوته ثم اجتباه ربه أي اختاره واصطفاه وتاب عليه بالعفو
عنه وهداه إلى التوبة حين قال ربنا ظلمنا أنفسنا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
لو جمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود عليه الصلوة والسلام لكان بكاؤه أكثر ولو جمع ذلك إلى
بكاء نوح عليه الصلوة والسلام لكان بكاء نوح أكثر وإنما سمي نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع
ذلك كله إلى بكاء آدم على خطيئته كان بكاء آدم عليه الصلوة أكثر قال وهب لما كثر بكاؤه أمره
الله تعالى بأن يقول لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين
فقالها آدم ثم قال قل سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين
فقالها آدم ثم قال قل سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم
قال ابن عباس هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قوله ولما كانا أصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم
جواب عما يقال خطاب اهبطا للمثنى وهما آدم وحواء أو آدم وإبليس وما بعده من الخطاب للجمع فلكن
جاز أن يخاطب شخصان بما يخاطب به الجماعة وتقرير الجواب أنهما وإن كانا شخصين معينين في
أنفسهما إلا أنهما لما كانا أصل ما يتفرع منهما من الذرية جعلا بمنزلة الجماعة فخوطبا بما يخاطب

والنهي قد يوجب إيجابا وقد يؤمر به ندبا وتارك كل واحد منهما يسمى عاصيا فظهر أن المعصية لا يجب أن تكون كبيرة سـ

وعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين أنه عظم آدم عليه الصلوة والسلام بأن جعله مسجودا للملائكة وبين أنه عرفه شدة عداوة إبليس له ولزوجته فإنه لعداوته يسعى في أن يوقعهما في المعصية التي إذا وقعت زالت تلك النعم بأسرها ثم إنه مع ذلك اتفق منه من الإقدام على الزلة ما اتفق والعجب ما روي عن أبي أمامة لو أن أحلام بني آدم إلى قيام الساعة وضعت في كفة ميزان ووضع حلم آدم في الأخرى لرجح حلمه بأحلامهم لكن المكاذ منه مع قضاء الله تعالى عجيبة وواقعة آدم عجيبة وذلك لأن الله تعالى رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ورغبه إبليس أيضا في دوام الراحة بقوله هل أدلك

به الجماعة فقال بعضكم لبعض عدو فان ذرية آدم وحوى يتعادون لامر المعاش وكذا ذرية
آدم وابليس يتعادون لاختلال حال كل واحد من نوعي البشر والشياطين بواسطة الآخر
فان نوع البشر خرج من النعيم المقيم بسبب وسوسة ابليس وان ابليس طرد من بين الملائكة
ومقام العليين بسبب ابائه عن السجود لآدم وهذا معنى اختلال كل من النوعين بواسطة
الآخر قوله ويؤيد الاول وهو ان يكون الخطاب لآدم وحوى لا له ولابليس ووجه التائيد ان
خطاب فاما يأتينكم لا يدخل فيه ابليس وذريته لانهم آيسون من رحمة الله وملعونون الى يوم الدين
قوله مصدر وصف به مبالغة او بتقدير ذات ضنك يقال ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكا من
باب نصر وخلاصة المعنى ان من اتبع كتاب الله ومواعظ رسوله عليه الصلوة والسلام هداه
الله من ان يضل في امر دينه مادام حيا ووقاه يوم القيمة سوء الحساب ومن اعرض عنه
ضاق عيشه في الدنيا لانه لا يعتقد الخلف في الانفاق في الدنيا ولا المثوبة في العقبى فلا جرم
يضيق الانفاق ويلازم الشح فيكون محروما عن الخلف في الدنيا والمثوبة في الآخرة بخلاف من
اتبع الدين فانه يتسع قلبه في ذلك لرجاء الخلف والاجر ويطيب نفسه بالقناعة التي هي كنز
لا يفنى فيكون في سعة الدنيا والآخرة فيكون المراد بضيق معيشة المعرض ضيق قلبه في
شان اعراض الدنيا وان كثر ما في يده منها مع انه قد يضيق على الكافر ويوسع على المؤمن
ما يحصل ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وما يحصل ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقيل المراد بالمعيشة الضنك عذاب الآخرة في جهنم فان طعام اهلها الضريع والزقوم وشرابهم
الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقيل المراد بها عذاب القبر روي عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب
له قبره سبعين ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر ثم قال اتدرون فيما انزلت هذه الآية
فان له معيشة ضنكا اتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في
قبره والذي نفسي بيده ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينهشون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه
الى يوم القيمة قراءة العامة نحشره بالنون ورفع الفعل على الاستيناف وقرئ بسكون الراء
على ان يكون الفعل مجزوما معطوفا على محل جزاء الشرط وهو جملة قوله فان له معيشة ضنكا
وقرئ نحشره بسكون الهاء وصلا على اجراء الوصل مجرى الوقف او لتوالي الضمات تخفيفا
اعمى منصوب على الحال والظاهر ان المراد بالعمى عمى البصر كما في قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى وقيل المعنى نحشره اعمى عن الحجة بمعنى انه لا حجة له يهتدي

وقرئ ضنكى بالف التانيث لانه نعت ثابت ... صفة ... موصوفه سلمه

الرابع ان المعيشة الضنك كسب الحرام روي ان الضحاك قال عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الضنك في اللغة الضيق ... عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشيء منها وله معيشة ضنك ... فلا ... عكرمة والكاسب ... القناعة لا يشبع سلمه

يهتدي بها اولا يلايمه قوله وقد كنت بصيرا اي في الدنيا اذ ليس له في الدنيا ايضا حجة واضحة
يهتدي بها الى ما كان عليه من الضلالة قال الفراء انه يبعث بصيرا ثم يعمى اذا حشر الى جهنم و
قيل يكون ذلك بعد ما حوسب وقرأ الكتاب قوله اي مثل ذلك فعلت على ان الكاف في محل
النصب على انه مفعول به اي مثل ذلك الاعماء الذي فعلنا بك فعلت انت بنفسك قوله من ضنك
العيش ان كان المراد بالمفضل الحشر على العمى الذي لا يزول ابدا يكون المفضل عليه ضنك العيش
فانه يزول وينقضي وان كان المراد بالمفضل عذاب النار يكون المفضل عليه ضنك العيش والحشر
على العمى جميعا فان عذاب النار اشد من كل واحد منهما اما من ضنك العيش فظاهر واما
من العمى فلقوله ولعله اذا دخل النار زال عماه ويحتمل ان يكون المعنى وتركنا اياه في العمى او في
عذاب النار اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم انه تعالى لما بين ان من اعرض عن ذكره كيف يحشر
يوم القيمة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الاحوال الواقعة في الدنيا بمن كذب الرسل فقال
افلم يهد لهم اي افلم يبين لهم وان كان قوله يهد مسندا الى ضمير الله تعالى او ضمير الرسول عليه
الصلوة والسلام يكون كم اهلكنا سادا مسد مفعوله لان الاستفهامية معلقة له فلا يعمل
فيها والتعليق وان كان من خصايص افعال القلوب وفعل الهداية ليس منها الا انه جار
مجرى باب علمت لان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى المطلوب ففيها معنى الاعلام والتبيين
ومعنى الاستفهام فيه التقرير اي يبين الله تعالى لكفار مكة كثرة اهلاك القرون للاعتبار او
يبين الرسول كثرة اهلاكنا ولو اعملت فعل الهداية واظهرت مفاعيله الثلث لقلت افلم
نعلمهم كثيرا من القرون مهلكا قوله او ما دل عليه كم اهلكنا قال ابو البقاء ويحتمل ان يكون الفاعل
ما دل عليه اهلكنا اي اهلاكنا والجملة مفسرة له انتهى فيكون مفعوله محذوفا والمعنى افلم يبين
لهم اهلاكنا القرون المكذبين طريق الاعتبار والاتعاظ ولا يكون كم في كم اهلكنا فاعلا ولا
مفعولا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو منصوب باهلكنا وهو مفعول مقدم اي وكثيرا من القرون
اهلكنا قوله او الجملة بمضمونها اي ويحتمل ان يكون فاعل يهد الكلام بعده وهو كم اهلكنا الخ بناء
على ان المراد اللفظ الدال على معناه كما اريد بآمنوا في قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا اللفظ الدال على
معناه لا مجرد اللفظ بل باعتبار دلالته على معناه وهو كثرة ما اهلكنا من القرون جعله
هاديا لهم كما جعل مثل ذلك واعظا وزاجرا يمشون في موضع الحال من الضمير في لهم والضمير فيه
لكفار مكة والمعنى انهم يمشون في مساكن الهالكين من القرون المكذبين في متاجرهم الى
الشام ذاهبين وراجعين ويشاهدون كون منازلهم خرابا بالمعاينة فينبغي ان يعتبروا بهم ويجتنبوا
عما اداهم الى عذاب الاستيصال لئلا يحل بهم ما حل بهؤلاء وقرئ يمشون بالتشديد للكثرة

وهم قوم لوط وعاد وثمود سلمه

ما شوا في مساكنهم قوله تعالى انتقى ذكراى في اهلاكهم بسبب كفرهم للانبياء قوله لكان مثل
ما نزل بعاد وبيان اسم كان في قوله لكان لزاما ضمير راجع الى الاهلاك المدلول عليه بقوله
اهلكنا على حذف المضاف اى لكان مثل اهلاكنا اياهم لازما لهؤلاء الكفرة اما على ان لزاما
مصدر لازم وصف به او اسم آلة على انه فعال بمعنى مفعل سمى به اللازم تشبيها له بآلة اللزوم في
فرط اللزوم فان اللازم لا ينفك عن الملزوم كما ان الالة لا تنفك عما جعلت آلة له ونظيره كون
فعال بمعنى مفعل واطلاقه على الفاعل قولهم فلان لزاز خصم اى ملح شديد الخصومة يقال لزه
يلزه لزا ولزازا اى شده والصقه ورجل ملز اى شديد الخصومة لزوم لما طالب والازنة
اى لاصقه قوله عطف على كلمة فيكون الكلام على التقديم والتاخير واليه اشار بقوله ولولا
العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لكان العذاب لزاما ثم بين نكتة الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بتوسيط جواب لولا بينهما بقوله والفصل للدلالة الخ ثم انه لا شك في ان
الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان امة محمد صلى الله عليه وسلم وان كذبوا
فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستيصال واختلفوا فيما لاجله لم يفعل ذلك
بامة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لانه علم ان فيهم من يؤمن وقال الاخرون علم ان
في نسلهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك وقال اخرون المصلحة فيه خفية لا يعلمها
الا الله تعالى وقال اهل السنة لربك بحكم المالكية ان يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بعذابه
دعذاب من غير علة تقتضي ذلك قوله ويجوز عطفه اى عطف قوله واجل مسمى على الضمير
المستتر في كان العائد على الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق فيكون الفصل بالخبر
للاهتمام ببيان لزوم الاخذ العاجل لانتفاء العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة
لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لعذابهم الآجل لازمين لهم كعاد وثمود واضرابهما وما يؤخر
الاجل المسمى دون الاخذ العاجل الا ان هذا الاحتمال انما يكون على تقدير كون قوله لزاما
مصدرا وصف به لان المصدر لا يثنى ولا يجمع بل يفرد على كل حال بخلاف ما اذا كان اسم آلة
بمعنى ملزم فانه ح كان ينبغي ان يطابق في التثنية فيقال لزامين وجوز ابو البقاء ان يكون
لزاما جمع لازم كقيام جمع قائم ثم انه تعالى لما اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بانه لا يهلك احدا
قبل استيفاء اجله امره بالصبر على ما يقولون مما يغيظه ويؤذيه مثل تكذيبهم اياه ونسبتهم اياه عيب في
النبوة فقال فاصبر على ما يقولون اى على ما تسمع منهم مما يؤذيك الى ان يحكم الله فيهم وهذه الآية
منسوخة باية القتال ثم امره بالتسبيح عقيب امره بالصبر لان التسبيح سواء كان بمعنى التنزيه
والاجلال او بمعنى الصلوة بطريق اطلاق اسم الجزء على الكل من قبيل ذكر الله تعالى وذكره

اذ لو كان خصلة لكانت قديمة لتنزيه تلك الكلمة انه كانت حادثة قدم التسلسل وان كانت لزم افتقرت الى علة اخرى ولزم التسلسل فلهذا قال اهل التحقيق كلما صنعه لا علة لصنعه

نسختها اية القتال سالم

اى فاصبر على ما يقولون بالصبر عليه ... الصلوة والسلام ... اذا ... الله ... فسبح ... قال الكلبي ... وسائل ... وهذه الآية منسوخة باية القتال ... عادل وغيره

ذكره بقيد الصلوة والراحة وينسى جميع ما اصاب من الغموم والاحزان الا بذكر الله تطمئن
القلوب قوله معترفا بانه مولى النعم كلها الاعتراف به مستفاد من لفظ الحمد لان الحمد الاصطلاحي
انما يكون في مقابلة النعمة وتاكيد النعم بقوله كلها مستفاد من اطلاق الحمد حيث لم يقيد بكونه
في مقابلة الشيء من النعم قوله ومن ساعاته اى فسبح بعض ساعاته والآناء جمع انى كمعى
وقيل جمع انى كنحى وقيل جمع انى كرحى يقال انى واناء اى حان قوله وانما قدم زمان
الليل اى الزمان الذى هو الليل يعنى قدم قوله ومن اناء الليل على عامله واخره عنه قوله
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اهتماما بشان الليل من حيث ان ما كان بالليل من العبادة
افضل مما كان بالنهار لان الشواغل الداعية الى تفريق الخواطر تقل بالليل فيكون ما وقع
فيه من العبادة مقرونا بحضور القلب وموافقة القلب اللسان فيكون ادخل في استحقاق
الاجر والفضل وايضا النفس فيه تميل الى الاستراحة الخ فان العبادة الناشئة اى الحادثة
في الليل اشد وطاء اى كلفة او ثبات قدم واقوم قيلا اى اشد قراءة لانتفاء الشواغل
قوله ويجيء بلفظ الجمع جواب عما يقال النهار له طرفان فكيف قيل واطراف النهار و
الظاهر ايراد لفظ التثنية كما قال واقم الصلوة طرفي النهار وتقرير الجواب انه ذكر
لفظ الجمع في موضع ذكر لفظ التثنية لعدم التباس المراد فانه لا يلتبس لاحد ان النهار له
طرفان لا غير وذكر لفظ التثنية في آية اخرى للتنصيص على المراد وزيادة البيان
كما عبر الشاعر عن الاثنين بلفظ التثنية واخرى بلفظ الجمع في قوله ظهراهما مثل
ظهور الترسين لذلك قبله ومهمهين قذفين مرتين وبعده جبتهما بالنعت لا بالنعتين
المهمه المفازة البعيدة والقذف الارض المستوية والمرت بسكون الراء المفازة التي
لا نبات بها ولا ماء وجبتهما اى قطعتهما ولم يقطعها ماشيا في الاثرة واحدة بنعت واحد لا
بنعتين ليتميز كل واحد من المهمهين عن الاخر يصف الشاعر نفسه بالفطانة و
الخبرة في سلوك المفاوز وبالجراءة على اقدام المهاول وقيل انما قال ظهور الترسين كراهة
الجمع بين التثنيتين احدهما في المضاف وثانيهما في المضاف اليه كقوله تعالى فقد صغت
قلوبكما قوله او امر بصلوة الظهر عطف على قوله تكرير لصلوتي الصبح والمغرب فان قوله
واطراف النهار منصوب بالعطف على محل قوله ومن اناء الليل كانه قيل وسبح اطراف النهار
التي هي بعد الزوال وعبر بلفظ اطراف باعتبار انه ذو حظ من طرفي النهار ولا يدفع هذا
الاعتبار من الذهاب الى قول من قال اقل الجمع اثنان قوله فانه نهاية النصف الاول اى فانها
نصلي عند الزوال الذى هو نهاية النصف الاول الخ قوله او لان النهار جنس يتناول كل

الواو بمعنى رب وجوابه جبتهما ... سله

فرد من افراد النهار فلما كانت صلوة الظهر تتكرر في كل نهار جمع وقته لتعدد الانهار
الغر اصلى هو الابها لا التعدد في نفسه قوله او بالتطوع في اجزاء النهار عطف على قوله
بصلوة الظهر في قوله او امر بصلوة الظهر فقوله واطراف النهار فيه ثلثة اوجه قوله
اى نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون
لك مثله وفيه دليل على ان النظر الغير الممدود معفو عنه لانه لا يمكن الاحتراز عنه ولما
كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه
نظره ويملاء منه عينيه قيل له عليه الصلوة والسلام ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما عليه
جبلة البشر ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد
الفسقة في اللباس والمركب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة ،،
فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها روى عن ابي رافع مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نزل برسول الله ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لك بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فاتيته
فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فقال والله لو باعني واسلفني لقضيته واني لامين في السماء وامين
في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية تعزية له عن الدنيا قال ابو الدرداء
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حمق
الناس لخربت وعن عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام لا تتخذوا الدنيا دارا
فتتخذكم لها عبيدا وازواجا منصوب على انه مفعول متعنا او على انه حال من الهاء في
به وروعي لفظ ما مرة فافرد الراجع اليه ومعناها اخرى فجمع ما كان عبارة عنه ومنهم
مفعول متعنا على ان من فيه للتبعيض اى بعضهم وناسا منهم وذكر انتصاب زهرة
ستة اوجه الاول ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة
والثاني ان يكون مفعولا ثانيا لمتعنا على تضمين معنى اعطينا وازواجا مفعولا اول
وزهرة هو الاول والثالث ان ينتصب على انه بدل من محل به والرابع والخامس ان يكون
بدلا من ازواجا على حذف المضاف اى ذوي زهرة او من غير حذفه بان تجعل اصناف
الكفرة نفس الزهرة على المبالغة والسادس ان يكون منصوبا على الذم وهو النصب
على الاختصاص بتقدير اعنى والمذموم الموصول او ضميره ذمه لكونه زينة الدنيا الا
وعلى تقدير ان يكون زهرة بفتح الاجمع زاهر كفاجر وفجرة وبار وبررة يكون صفة

وقال ابو مسلم ولا تمدن عينيك المراد به النهي عن الاسف اى لا تاسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا ابن عادل

النظارة القوم الذين ينظرون الى شيء والتاء فيه للدلالة على معنى الجمع كما في جمالة وبغالة

والمعنى لا تمدن عينيك الى الذي متعنا به حال كونه اصنافا من المناظر البهية والمطاعم الشهية والملابس الفاخرة والمناكح الرائقة والروائح الطيبة وسائر ما يتمتع به بعض الكفرة

وقال عليه الصلوة والسلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ابن عادل

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية يذهب الى فاطمة وعلي رضي الله عنهما كل صباح ويقول الصلوة وكان يفعل ذلك اشهرا ثم بين سبحانه انما يامرهم بذلك لنفعهم وانه متعال عن المنافع بقوله لا نسالك رزقا نحن نرزقك وفيه وجوه احدها قال ابو مسلم المعنى انه تعالى انما يريد منه ومنهم العبادة ولا يريد منه ان يرزقه كما يريد السادة من العبيد الخراج وهو كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وثانيها لا نسالك رزقا نحن نرزقك واياك فتفرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله

ازواجا اى اصنافا فزاهرة الدنيا اى مشرقة الوجوه متلألئة الالوان والهيئات يقال زهرت
النار زهورا اى اضاءت وازهرتها انا والازهر النير ورجل ازهر اى نير ابيض مشرق الوجه
والمراة زهراء وصف المتمتعين بانهم زاهرو هذه الحيوة الدنيا لصفاء الوانهم وتلألؤ
وجوههم بخلاف ما عليه الصلحاء من تغير الالوان والتلبس بالقوت وبالمرقعات من ،،
الثياب قوله او لنعذبهم يؤيده قوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحيوة الدنيا قوله على خصاصتهم في النهاية الخصاصة الجوع والضعف واصلها الفقر
والحاجة الى الشيء قوله انكار الماجاء به من الايات او للاعتداد به تعنتا يعني ان قول الكفار
هلا ياتينا محمد صلى الله عليه وسلم باية يحتمل ان يكون طلبا لاية تدل على صدقه اية اية كانت
انكارا لما جاء به مما يدل عليه وان يكون طلبا لاية مقترحة مثل العصا والناقة مع عدم اعتدادهم
لما جاء به تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون قوله فاصبر على ما يقولون توطئة لحكاية هذه المقالة
من الكفرة ويكون المراد بما يقولون مقالتهم هذه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تاتهم
بتانيث الفعل لتانيث فاعله والباقون بالياء من تحت لكون التانيث غير حقيقي وقراءة
العامة بينة بالاضافة بينة الى ما مرفوعة وهي واضحة وقرئ بتنوين بينة مرفوعة فعلى
هذه القراءة يكون ما بدلا من بينة بدل الكل من الكل او خبر مبتدا محذوف اى هي ما في الصحف الاولى
كالتورية والانجيل من البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بارساله نبيا عربيا موصوفا
بما فيه من النعوت الكريمة قوله ولو انا اهلكناهم الاية بيان انه لا عذر لهم في ترك الايمان
وسلوك طريق الضلالة بوجه ما ثم انه تعالى ختم السورة بضرب من الوعيد ونوع من الزجر
فقال قل كل متربص الخ قراءة العامة بالسوي على وزن فعيل بمعنى الدين المستوي المستقيم و
قرئ السواء بفتح السين والمد بمعنى الوسط الجيد وقرئ السوءى فعلى الحسنى لان الصراط
لكونه بمعنى السبيل يجوز تانيثه وقرئ الصراط السوء بفتح السين وسكون الواو بمعنى الشر
وقرئ السوي بضم السين وفتح الواو وتشديد الياء تصغير سوء والمعنى على القراءات الثلث
الاخر فستعلمون من اصحاب الطريق المعوج والدين الباطل قوله فتمتعوا منصوب ،،
باضمار ان في جواب التحضيض قوله ومحلها الرفع على الابتداء وما بعدها الخبر والجملة في محل
النصب سادة مسد المفعولين ومن لما كانت استفهامية بمعنى اينا لم يعمل فيها فستعلمون
قوله على ان العلم بمعنى المعرفة اذ لو كان علما بها لاحتيج الى تقدير مفعول ثان لعدم جواز
الاقتصار على احد مفعوليه وعلى تقدير ان تكون من الثانية موصولة تكون في حيز
مفعول فستعلمون على معنى وستعلمون اهتدائه او في حيز خبر من الاستفهامية على معنى اينا صاحب
الذي هو

الصراط السوى والذين اهتدى او فى حيز المجرور باضافة اصحاب اليه على معنى اينا اصحاب
الصراط السوى واصحاب الذين اهتدى على ان المراد بالذى اهتدى النبى صلى الله عليه وسلم
والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الانبياء عليهم السلام مائة اثنى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله بالاضافة الى ما مضى جواب عما يقال كيف
وصف وقت الحساب بالاقتراب مع انه قد عد من نزول هذا القول اكثر من ثمانمائة سنة
يقال قرب الشئ واقترب اذا دنا والحساب بمعنى المحاسبة وهو اظهار ما للعبد وما عليه
ليجازى على ذلك فيل المراد به وقت حسابهم وهو يوم القيمة كما قال اقتربت الساعة سمى
يوم القيمة بيوم الحساب تسمية للزمان باعظم ما وقع فيه واشده وقعا فى القلوب
فان الحساب هو الكاشف عن حال المرء ففى تسميته به تخويف عظيم للمكلفين قوله
واللام صلة لاقترب الفرق بين كونها صلة وكونها تاكيدا للاضافة ان اللام الجارة
اذا كانت صلة لاقترب كان المقترب له اى المدنو منه مذكورا فكان المعنى دنا من الناس
حسابهم واذا كان تاكيدا للاضافة لم يكن المقترب له اى المدنو منه مذكورا للعلم به فيصير
المعنى كانه قيل اقترب حساب الناس الحساب الذى للناس فلما كانت اللام لتاكيد الاختصاص
المستفاد من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنو
وقت حسابهم وهو يحصل من هذا التركيب ثم قدم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة
المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة وعرف الحساب تعريف الجنس
فصار اقترب للناس الحساب على ان للناس ظرف مستقر قدم على الحساب لكون العناية
مصروفة الى ذكر المقترب له وبيان ان الحساب لهم لا لغيرهم وفى التقديم والتصريح باللام و
تعريف الحساب بالغات ليست فى قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف
من الحساب واضيف الى ضمير الناس تاكيدا لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام
الاختصاص فان قيل اذا كان اقترب للناس الحساب مقدما فى الاعتبار على ان يقال اقترب
للناس حسابهم لم يكن اللام تاكيدا للاضافة بل يكون الامر بالعكس فالجواب انه اذا كان احدهما
تاكيدا للاخر كان كل واحد منهما مؤكدا بالاخر فصح جعل اللام تاكيدا للاضافة ومعنى التاكيد
ان كل واحد من اللام الجارة والاضافة مغنية عن الآخر فاذا جمع بينهما كان احدهما تاكيدا
للاخر قوله معرضون عن التفكر فيه فان العقول السليمة حاكمة بانه لا بد من الحساب والجزاء
والا لزم التسوية بين المطيع والعاصى والمتقين والفجار وهى بعيدة عن مقتضى الحكمة
والعدالة قوله محدث تنزيله يعنى ان المراد بالذكر كلام الله تعالى الذى يذكرهم ما لهم وما

٤٦٧

عليهم وهو صفة ازلية قديمة الا انه تعالى انزله بالتفاريق واحدث تنزيله فى كل
وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة فذات المنزل ازلى قديم والمحدث انما هو تنزيله
فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على ان القران محدث قائلين ان
القران ذكر لقوله تعالى فى صفة القران ان هو الا ذكر للعالمين والذكر محدث لهذه الاية
فالقران محدث واجيب عنه ايضا بان الموصوف بالاتيان وبانه ذكر هو المركب
من الحروف والاصوات وحدوثه مما لا نزاع فيه وانما النزاع فى قدم كلام الله تعالى بمعنى
اخر فقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر الخ بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يجدد
لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم
الموعظة ليتعظوا فما يزيدهم ذلك الا استسخارا وقراءة العامة محدث بالجر على انه
صفة لذكر محمول على لفظه وقرئ مرفوعا حملا على محله لان من مزيدة فيه كما فى ما جاءنى
من احد قوله استمعوه جامعين على تقدير ان يكونا حالين مترادفين من واو
استمعوه وان كان لاهية حالا من واو يلعبون يكون من قبيل الاحوال المتداخلة
لكون الحال الاولى عاملة فى الثانية قوله لاهية قلوبهم اى متشاغلة عن التأمل
فيه من لهيت عن الشئ الهى لهيا ولهيانا بالضم من باب علم اذا غفلت عنه و
قدم ذكر اللعب على اللهو كما فى قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم
باللعب الذى معناه السخرية والاستهزاء معلل باللهو الذى معناه الذهول والغفلة
فانهم انما قدموا على اللعب لذهولهم عن الحق قوله بالغوا فى اخفائها جواب عما
يقال من ان النجوى اسم من التناجى فلا يكون الا خفية فما معنى قوله تعالى واسروا
اجاب عنه اولا بان معناه بالغوا فى اخفائها وثانيا بان المعنى جعلوها بحيث
لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون قوله بدل من واو واسروا اى
فيكون واو واسروا ضميرا عائدا الى ما عاد اليه سائر الضماير المذكورة
ويكون المقصود من ابدال قوله الذين ظلموا من الواو الاعلام بانهم المبالغون فى
الظلم وذلك لانه جعل الذين مفسرا لهم بهذا الابدال وان كان الذين ظلموا فاعلا كون
واو واسروا حرفا جئ به للدلالة على ان الفاعل جمع كما تؤتى بالتاء للدلالة
على ان الفاعل مؤنث على لغة اكلونى البراغيث قوله وانما اسروا به تشاورا
لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق
الى هدم امره لا جرم اسروا به لان عادة المتشاورين ان يجتهدوا فى كتمان سرهم

عن اعدائهم **قوله** جهرا كان او سرا اشارة الى جواب ما يقال هلا قيل يعلم السر حتى يطابق
قوله واسروا النجوى وتقريره ان القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم بالقول العلم
بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله
يعلم السر اكد من قوله يعلم سرهم مع انه مطابق لقوله واسروا النجوى لان النجوى
هو القول الواقع بطريق المسارة والمطلق مطابق لكل واحد مما تحته **قوله** ولاما يضمرون
اشارة الى انه يتعلق قوله العليم بهو ما اضمروه في نفوسهم من غير ان يتكلموا به لا سرا
ولا جهرا كقوله يعلم السر واخفى قال الامام قدم السميع على العليم لانه لا بد من سماع الكلام
اولا ثم حصول العلم بمعناه ولا يخفى ان هذا التوجيه لا يصح فيما اسند الى الله تعالى من
السماع فانه تعالى عالم بعلم قديم يسمع الآن سماعه ليس طريقا للعلم بل هو عبارة عن
علمه بالمسموعات **قوله** اضراب لهم يعني ان الاضرابات المذكورة في هذه الآية واقعة في
كلام الذين ظلموا حكاها الله تعالى عنهم كما وقعت في كلامهم حكاها الله تعالى عنهم للدلالة على
كونهم متحيرين خابطين خبط عشواء لا يميزون بين مضرب عنه ومضرب عنه لا
يدرون ما يقولون ولا يجدون متمسكا ينفعهم في هدم امره واظهار فساد ما ادعاه من
الرسالة ولما كان هذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات لو كانت واقعة في
كلام الكفرة وانه تعالى حكاها عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا مقدما على بل بان يقال
قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضرابهم وتقديم بل على قالوا لا يفيد ذلك
قال المص والاظهر ان يكون بل الاولى اضرابا منه تعالى عن حكاية قولهم في حق القرآن
انه اضغاث احلام او يكون عن محكى الى محكى اى عن النجوى ورفع شانه عليه الصلوة والسلام
وفي شان ما جاء به من الخوارق الى الشقا ولفي امر القرآن وان يكون بل الثانية
والثالثة من كلام الكفرة اضربوا بها عن قولهم في امر القرآن انه اضغاث احلام
الى انه كلام مفترى ثم الى انه كلام شعرى ثم جوز ان يكون كلمة بل من كلام الله تعالى لا
محكية من الكفرة لان الكلام المحكى ما يقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثاني افسد
من الاول والثالث من الثاني والرابع من الثالث ووجه اما ذكر بل بهذا المعنى ان
الاضراب قد يكون لابطال الكلام الاول وقد يكون للانتقال منه الى خبر اخر اهم من
الاول والاضراب الواقع في كلام الله تعالى لا يحمل على الاول لانه يستلزم ان يكون الاول
باطلا في نفسه او غلطا والله تعالى منزه عن ذلك فلا بد ان يكون الاضراب الواقع فيه
للانتقال الى الاهم والاهم في مقام ارادة بيان بطلان مقالة القوم ما هو افسد

افسد بالنسبة الى الاول فيكون ما بعد بل في مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ما قبلها
وليس فيه ما يناسب قول الشعراء لان الشعر تخيلات ملفقة وتخرصات مزخرفة يدعو
الى الهوى والشيطان والقرآن يدعو الى الهدى وطاعة الرحمن وما علمناه الشعر وما ينبغي
له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقولهم
انه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلا في نفسه لان القوة البشرية وان استفرغت
طوقها لا يطيق على اتيان مثله فهو ابعد من قولهم انه اضغاث احلام لان الحلم قد يكون
من قبيل الغيب المطابق للواقع والمفترى لا يكون كذلك وكذا قولهم انه اضغاث احلام
مع كونه فاسدا في نفسه من حيث ان الكتاب الذي احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم
خبير كيف يتصور كونه من تخاليط الاحلام فهو اشد فسادا بالنسبة الى قولهم انه سحر لان
تشبيه النظم المعجز الفائق بالسحر اقرب من جعله من تخاليط الاحلام لقوله عليه
الصلوة والسلام ان من البيان لسحرا والاضغاث الحزم من النبات وغيره فاستعيرت
للتخاليط والاباطيل شبهت تخاليط الاحلام واباطيلها بحزم من اخلاط النبات في
كونها مخلوطة من اشياء غير متناسبة ثم استعملت في الاباطيل بقرينة اضافتها الى
الاحلام والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرؤيا وضم اللام ايضا لغة فيه فالاحلام
بمعنى المنامات سواء كانت باطلة او حقة واضيفت الاضغاث بمعنى الاباطيل اليها
على طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد يخص الرؤيا بالمنام الحق و
الحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه الصلوة والسلام الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان
وصحة التشبيه الى جواب عما يقال الحال الكاف في قوله كما ارسل الاولون اما جر على انه
صفة آية او نصب على انه صفة مصدر محذوف فالتقدير على الاول بآية مثل ارسال الاولين
وعلى الثاني اتيانا مثل ارسال الاولين وما مصدرية على الوجهين ولا وجه لتشبيه الآية
ولا لتشبيه اتيانها بارسال الاولين وتقرير الجواب ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ويستلزمه
فذكر الارسال الذي هو ملزوم لاتيان الآية واريد لازمه مجازا فكأنه قيل بآية مثل آية الاولين
او اتيانا مثل اتيان الاولين واشار المص بقوله كما ارسل به الاولون الى جواب آخر وهو
ان كلمة ما في قوله كما موصولة وعائدها محذوف والمعنى بآية مثل الآية التي ارسل بها الاولون
وتشبيه الآية بالآية واضح لا خفاء فيه ثم ان مشركي مكة لما اقترحوا آية شبيهة بآية
الاولين في انها لا يتطرق اليها احتمال انها اضغاث احلام او كلام مفترى او قول شاعر اجابهم
الله تعالى بان الامم التي اهلكناها باصرارهم على التكذيب بعد ما اتتهم الآيات التي اقترحوها

لم يؤمنوا بآياتنا فأهلكوا أبدك بلوا أنا لو آتيناهم ما اقترحوه لما آمنوا أيضا لكونهم أعتى منهم
فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لأن الحكمة الإلهية قد اقتضت أن من كذب بعد الإجابة
إلى ما اقترحه لا بد أن ينزل به عذاب الاستئصال وقد سبق وعده في حق هذه الأمة
أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيمة فلذلك لم يجابوا إلى ما اقترحوه لا إبقاء عليهم أي للترحم بهم
يقال أبقى على فلان إذا رحمه **قوله** والإحالة إليهم أي إحالة المشركين إلى اليهود والنصارى
في استعلام أن البشرية لا تنافي الرسالة إما للإلزام والإسكات لا لإثبات الحكم المتعلق
بالاعتقاديات بقول الكفرة فإن اليهود والنصارى وإن أنكروا نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا أنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا ثم إنهم لما كانوا يوافقون المشركين في
معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون لا يكذبونهم فيما قالوا في حق الرسل وأما لإزالة
نزوع بين المؤمنين والكفار في العلم حصل لهم بخبرهم إذا بلغ حد التواتر **قوله** وقرأ حفص نوحي
بنون العظمة مبنيا للفاعل أي نوحي نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول وهذه
الجملة في محل النصب على أنها صفة لرجالا **قوله** نفي لما اعتقدوا أنها أنث العائد إلى ما لكونها
عبارة عن الخاصة فإن عدم الاحتياج إلى الطعام والخلود بمعنى عدم طريان الموت من
خواص الملائكة نفاها عن الرسل تحقيقا لكونهم أبشارا جمع بشر أمثالهم وإبطالا لزعم أن البشرية تنافي
الرسالة فإن نفي الخاصة اللازمة للملكية يستلزم نفي الملزوم وتحقيق كونهم أبشارا أمثالهم
قوله وقيل جواب عطف على قوله نفي لما اعتقدوا وتوضيح هذا القول أن الكفرة كانوا يطعنون
في الرسالة بأشياء منها قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم فألزمهم الله
تعالى بأن الرسل الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر وأن رسالتهم صحت
بما أظهره الله تعالى على أيديهم من الخوارق والمعجزات فلما صحت رسالتهم بذلك فقد صحت
رسالة سيد المرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين بما أظهره الله تعالى
على يديه من الآيات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرا ومنها قولهم إن الذي يدعي الرسالة
يأكل الطعام ويشرب وينكح ويمشي في الأسواق كغيره من الناس كما أخبر الله تعالى عنهم ذلك
بقوله مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ونحوه فألزمهم وأخبرهم أن
الرسل الذين كانوا من قبل يأكلون ويشربون ويمشون ويقضون حوائجهم حيث قال
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين أي في الدنيا وقال في آية أخرى
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فعلى ذلك كان هذا الرسول
المبعوث إليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل يعني يأكل ويشرب وينكح وأنه بشر

وإليهم في القراءة الأولى منصوب المحل والمفعول محذوف أي نوحي إليهم القرآن أو الذكر ومرفوع المحل في القراءة الثانية لقيامه مقام الفاعل ابن عادل

وهو رسول كسائر الرسل ولم يرض المص بهذا التأويل لأن جعل الكلام أجنبيا عما يليق
له الكلام مع إمكان ربطه بالمقام لا يخلو عن بعد **قوله** وتوحيد الجسد جواب عما يرد من أن
جعل في الآية الظاهر أنه بمعنى صير فيتعدى إلى مفعولين ثانيهما جسدا ومفعوله الأول جمع
فكيف يصح أن يخبر عن الجمع بالمفرد وأيضا الظاهر أن قوله لا يأكلون الطعام في محل النصب
على أنه صفة لجسدا فكيف يصح أن يرجع إليه ضمير الجمع وإن جعل تقدير الكلام وما جعلناهم
ذوي جسد غير طاعمين أو جعلنا كل واحد منهم جسدا كقوله ثم نخرجكم طفلا أي نخرج
كل واحد منكم طفلا سقط الإيراد وفي الصحاح الجسد البدن تقول منه تجسد كما تقول
تجسم والجسد أيضا الزعفران أو نحوه من الصبغ وهو الدم أيضا والجسد أيضا مصدر
قولك جسد به الدم إذا لصق به فهو جاسد وجسد والجسد الأحمر ويقال المجسد ما أشبع
صبغه من الثياب ويقال للزعفران الجساد **قوله** أي في الوعد يعني أن صدق يتعدى
إلى مفعولين إلى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف ويقال صدقته الحديث أي في الحديث أي
كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أي من قومه وضمير صدقناهم للرسل وقد وعدهم الله
بإنجائهم وإنجاء من صدقهم وآمن بهم وإهلاك من كذبهم ويدل عليه قوله تعالى فأنجيناهم
ومن نشاء وأهلكنا المسرفين أي بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لأنه إخبار
عما مضى **قوله** ولذلك حجبت العرب لعل تخصيص العرب بالذكر لأنه عليه الصلاة والسلام
بعث منهم وإلا فهو مبعوث إلى الكافة وأمته التي هم كافة العرب والعجم محجبة من عذاب
الاستئصال والصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح يقال له ذكر في الناس
أي صيت وشرف وفي القرآن صيت لقريش لأنه بلغتهم ولغتهم منزل على نبي منهم
يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لأنهم حملته والمرجوع إليهم في كل معانيه و
قد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى كلا إنها
تذكرة وقوله تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز أن يراد بالذكر ما يكون سببا
للذكر الجميل من مكارم الأخلاق التي من تخلق بها شرف صيته في الناس فقوله فيه ذكركم
معناه في علمه والعمل بما فيه جميع ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ودنياكم كحسن الجوار
وصلة الرحم وتعظيم أمر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وصدق الحديث وأداء
الأمانة والوفاء بالعهد وغير ذلك فذكر الذكر وأريد به مكارم الأخلاق الموجبة للثناء
الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وإرادة السبب اعلم أن قوله تعالى ثم صدقناهم
الوعد عطف على قوله وما أرسلنا قبلك أي قد أرسلنا قبلك رسلا يوحى إليهم أبشارا

أي عاقبة ما مضى من الأمم المكذبين أي نزل بهم ما اقترحوا من الآيات فلما رأوا الآية ثم لم يؤمنوا فأهلكوا وأنجى الله الأنبياء ومن معهم ونجاتهم ومن شاء إنجاءهم هو الواقع حكمة فكذلك في الدنيا فلو جعلنا على عذاب الآخرة بأنا نؤوله فلذلك حجبت العرب عن عذاب الاستئصال منه

المراد بقوله تعالى قصمنا أهلكنا قال ابن عباس رضي الله عنه المراد منه القتل بالسيوف والمراد بالقرية حضور وسحول قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين

مثلكم ثم صدقناهم الوعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي كسائر الانبياء بشر مثلهم ولابد
ان يصدقه الله في وعده فاحذروا يا قريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه
ثم قال لقد انزلنا فقد اجاب عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ما آمنت ثم اجاب عن
قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا وادرج فيه التهديد ايضا بقوله ثم صدقنا
هم ثم بين انه قد اتاكم ما يكفيكم ويغنيكم عن اقتراح الآيات ويوجب ايمانكم به وهو كتاب
الذي فيه ذكركم افلا تعقلون فتؤمنون به وترتدعون عن اقتراح غيره من الآيات و
عن القدح فيه بما لا يليق به ويقتضي بداهة العقل بطلانه فلما ادركوا الخ لما لم يجب
ان يكون ما اصاب المهلكين من البأس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة جعل قوله
لما احسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم البأس بادراك المحسوس فاطلق
عليه اسم الاحساس واشتق منه قوله احسوا قوله يركضون دوابهم او مشبهين
بهم يعني ان الركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا
دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان
يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم قوله الى ما اترفتم
فيه اي الى نعمكم التي خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم عن حق اداء
شكرها والخليل المترف الموسع عليه عيش النقيل فيه بهتة والمعنى ارجعوا الى نعمكم و
الى مساكنكم التي تسكنونها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم فتخلصون انفسكم بذلك او ارجعوا
اليها واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه
امركم ونهيكم بما تأمرون وما تذرون كعادة المخدومين او يعلل الناس يسألكم
مما في ايديكم ويستشيرونكم في المهمات والنوازل او ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم
تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة
قوله يا لثارات الانبياء اللام فيه للاستغاثة والثأر الانتقام من القاتل بقتله
مكان المقتول يقال ثأرت القتيل بالقتيل اي قتلت قاتله وبابه قطع والمقصود من نداء الثارات
الاخبار عن وجوب طلبها دعوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا وبينوا وجه استحقاقهم
به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل فما زالت تلك الكلمة وهي
يا ويلنا دعويهم اي دعاؤهم فتلك مرفوع على انه اسم ما زالت ان جعلت الدعوى
منصوبة المحل على الخبرية او منصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الكلمتين
جيد لانهما معرفتان وحصيدا من باب التشبيه البليغ اي مثل الزرع المحصود والنبر

قوله لما لم يجب ان يكون ما اصاب المهلكين من البأس المحسوس تحقيقا بما يجدي هذه الاستعارة يعني الاولى ان يحمل الكلام على الحقيقة فان من المعلوم ان جميع ما اصاب المهلكين من منزلة المدركة بالحواس الظاهرة فحمل الكلام على المجاز مع امكان حمله على الحقيقة انسب بالمرام عند ذوي الرشاد لكن الذي الجاء الفاضل المحشي الى هذا ظنه قول البيضاوي فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس من باب التشبيه ونصب لفظة ادراك على نزع الخافض وليس الامر كذلك بل نصبه على المصدر قطعا فان الحق واضح

قوله

خامدين جمع خامد كشهود والخمود والظاهر بعد صحح معنى في عبارة المص لا على الحصيد على انهما مثله سلمه

لعل الاولى انها للتعجب والثانية للاستغاثة لا انها للاعراب والتعدد كما في النداء على المقول سلمه

والفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث قوله وهو مع خامدين بمنزلة
المفعول الثاني وليس كل واحد منهما مفعولا على حدة لان جعل لا يتعدى الى ثلث مفاعيل فانه
قد تعدى الى مفعوله الاول وهو ضمير الجمع فلا يتعدى بعده مفعولين آخرين فلذلك جعل حصيدا
خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا حامضا فانه في معنى جعلته جامعا
للطعمين وكذلك ما نحن فيه في حكم قولك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود قوله او صفة
له عطف على قوله بمنزلة المفعول الثاني اي ويجوز ان يكون خامدين صفة لحصيدا فانه مفرد
في معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستكن في حصيدا قوله خامدين استعارة تبعية
شبه الموت بخمود النار وانطفائها فاطلق عليه الخمود ثم اشتق منه خامدين قوله فينبغي ان
يتسلقوا اليها اي ان يعلوها ويتعلقوا باسبابها فان تسلق مطاوع سلقته سلقا اذا القيته
على ظهره وربما يقال تسلقته تسلقا بزيادة الباء واشار المص به الى وجه تعلق هذه
الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم انبيائهم اراد
ان يبين ان ذلك عدل منه ومجازاة على ما فعلوه وهو انهم ضيعوا ما خلقه الله تعالى لفوائد
دينية ودنياوية اما الدينية فهي ان يتفكر المكلفون فيها ويستدلوا بها على عظمة الالوهية
وكبريائه وكمال حكمته وقدرته واما الدنياوية فهي ما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى
ثم اغتروا بزخارفها ولم يتسلقوا بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية فجدير بان
يهلكوا ويجعل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى لما ذكر انه لم يخلق هذا السقف المرفوع و
المهاد المبسوط وما بينهما من بدائع الموجودات وغرائب المصنوعات لان يتلهى به ويلعب
بين انه انما لم يتخذ ما يتلهى به ويلعب من حيث ان الحكمة صارفة عنه لا من جهة عدم
القدرة على اتخاذه فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا اي ما يتلهى به على انه مصدر بمعنى يقال لهوت بالشيء
بالفتح الهو لهوا اذا لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكنا لم نتخذه لعدم ارادتنا
اتخاذه ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد اخرج الكلام عن الالتئام بما قبله قال الامام
الواحدي اللهو طلب الترويح عن النفس ثم المرأة تسمى لهوا وكذا الولد لانه يستروح بكل
واحد منهما ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه والمعنى لو اردنا ان نتخذ امرأة ذات
لهو او ولدا ذا لهو لاتخذناه من لدنا اي مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقال المفسرون اي من الحور العين
وهذا رد لقول اليهود في عزير وقول النصارى في المسيح وامه من كونهما ولدا او صاحبة
ومعنى من لدنا من عندنا اي بحيث لا يجري لاحد فيه تصرف لان ولد الرجل وزوجته

يكون عنده لا عند غيره انتهى قوله ويدل على جواب الخ يعني ان كلمة ان في الاية شرطية و
جواب الشرط محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم
نفعله لانه لا يليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى لتعليق الاتخاذ بالارادة
والثانية لتعليق الاتخاذ المرتب على الارادة بكونه ممن يفعل ذلك ويقتضيه حكمته قوله
والجملة كالنتيجة للشرطية كانه قيل لو اردناه لفعلناه ولكن لم نرده فما كنا فاعليه ثم انه تعالى
اضرب عن حديث تعليق اتخاذ ما يتلهى به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له
يفعل ذلك وجعله كالمسكوت عنه الى بيان ما هو اهم بالنسبة الى ما قبله وهو ان شانه تعالى
ان يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهب ويهلكه قوله وانما استعار لذلك ان استعار
القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمغ للمحق والمحو بان شبه الحق بالجرم الصلب
الثقيل وشبه الباطل بالجرم الرخو الاجوف فقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فدمغه على طريق
تشبيه المعقول بالمحسوس فان كل واحد من الحق والباطل من قبيل المعقول والجرم الصلب
والرخو من قبيل المحسوس عبر عن الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة ليتمكن تلك الهيئة
المعقولة في ذهن السامع فضل تمكن قال صاحب المفتاح اصل استعمال القذف والدمغ في
الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل ونحوه فالمستعار
منه حسي والمستعار له عقلي وقراءة فيدمغه بالنصب ضعيف لما تقرر في النحو ان ما بعد الفاء
انما ينتصب باضمار ان في جواب الاشياء الستة الامر والنهي والنفي والاستفهام والتمني و
العرض وقوله فيدمغه لم يقع بعد احد هذه الاشياء ولعل من نصبه نظر الى ان المضارع
فيه شمة النفي بالنسبة الى بعض الازمان ولهذا قيل في الآية اضعف مما في البيت لان المضارع
فيه للاستمرار وقيل في توجيه النصب ان المضارع كالتمني والترجي في كونهما مترقبين وانما
شرطوا في نصبه بعد الفاء السببية كون ما قبلها احد الاشياء المذكورة لان الفاء السببية
تقتضي ان يكون ما قبلها سببا لما بعدها والسببية لا تتحقق الا عند تحقق احد هذه الامور ولهذا
لم يجز النصب في الموجب الا في ضرورة الشعر كما في البيت المذكور وذلك لان الاشياء الستة غير
حاصلة المصادر فيكون كالشرط الذي ليس بمحقق الوقوع ويكون ما بعد الفاء كالجزاء لها
المسبب عنها ولما كان المضارع المنصوب بان مفردا وما قبل الفاء المذكورة جملا ولا يجوز عطف
المفرد على الجملة جعلوا ما بعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المتقدم تقديرا
فتقدير زرني فاكرمك ليكن منك زيارة فاكرام مني وكذا المنصوب بعد الواو فانه ايضا معطوف
على المصدر المتقدم من الفعل قبله فتقدير قولك زرني وازورك ليكن منك زيارة وزيارة مني

مني واذا تقرر هذا ظهر ان مراد المص بقوله ووجهه مع بعده اي وجه انتصاب فيدمغه
مع كون النصب بعيدا لعدم وقوع الفاء بعد احد الاشياء المذكورة ان يجعل الجملة التي
قبل الفاء في تاويل المفرد كالتي بعدها فانها في تاويل المفرد بان المضمرة فاذا اول ما قبل الفاء ايضا
بالمفرد يتطابق المعطوفان في الافراد فتاويل الكلام بل يريد قذف الحق على الباطل فدمغه
على العطف المتقدم من الجملة قبله وجعله ابو البقاء معطوفا على الحق اي بل نقذف بالحق
فالدمغ وكذا تاويل البيت واريد المحوق بالحجاز فالاستراحة قوله وذكره لترشيح
المجاز فان قوله فيدمغه استعير من الشجة التي بلغت الدماغ للمحو والبطلان
فرشحت الاستعارة بما يلايم المستعار منه فان ذهاب الروح انما يلايم المعنى الاصلي
للدمغ فان الدماغ مجمع الحواس فاذا بلغت الشجة اليه يموت الحيوان قوله وهو في موضع
الحال اي قوله مما تصفون حال من الويل والعامل الاستقرار الذي يتعلق به الخبر اي
استقر لكم الويل واقعا مما تصفون اي مما تصفون الله به مما لا يليق به من الصاحبة
والولد وتصفون كلامه بانه سحر واضغاث احلام ونحو ذلك من الاباطيل ثم انه
تعالى لما حكى كلام الطاعنين في النبوات وتعنتهم باقتراح الايات واجاب عن شبههم
بانواع التهديدات بين انه منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات و
المخلوقات والملائكة المقربون مع كراماتهم وعلو قدرهم عند الله تعالى اذا كانوا
خاضعين له خائفين منه فالبشر مع نهاية ضعفه اولى ان يطيعوه فقال وله من
في السموات والارض قوله يعني الملائكة المنزلين منه لكراماتهم عليه الخ يعني ان المراد
من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وان كان من الظروف
المكانية الا انه شبه قرب المكانة والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبر عن المشبه
بلفظ المشبه به قوله وافراده للتعظيم يعني ان قوله ومن عنده معطوف على من في
السموات والمراد بهم الملائكة باجماع المفسرين فيكون عطفهم على من في السموات من قبيل
عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه لان من في السموات يتناول من عنده لا محالة
وقوله لا يستكبرون حال من قوله من في السموات او عطف عليه ان جعل مرفوعا على
انه فاعل الظرف على راي الاخفش وان جعل مرفوعا على الابتداء وله خبره يجعل لا
يستكبرون حالا عنه الا على راي من يجوز مجيء الحال من المبتدا فيكون حالا اما من
الضمير المستكن في عنده الواقع صلة او من الضمير المستكن في له الواقع خبرا او يحتمل ان
يكون من عنده مبتدا ولا يستكبرون خبره ويكون هذه الجملة معطوفة على الجملة

التي قبلها **قوله** ولانه اعم منه من وجه فان قوله ومن عنده وفي منزلة منه كما بينا وا
ملائكة السموات والارض بناء والملائكة الذين لا يستكبرون في المكان فان ملائكة
السموات عنصريون مخلوقون مما خلق منه السموات ومن الملائكة نوع متعال عن التبوء
في السماء والارض لتجردهم عن المواد العنصرية فلا يكون من عنده اخص مطلقا
بالنسبة الى من في السموات والارض بل يكون اخص منه من وجه ويجوز ان يكون
مبانيا بان يراد به النوع المتعالي عن التبوء **قوله** واما جي بالاستحسار الى الجواب
عما يقال المناسب لمقام توصيف الملائكة بالاجتهاد في العبادة ومواظبتهم عليها
ان يقال لا يحسرون بمعنى انهم لا يطرء عليهم شيء من الاعيان والفتور ولا يحسرون
لا يفيد هذا المعنى لانه يدل على انه لا يطرء عليهم غاية الحسور واقصاه وهذا المعنى
لا يلائم المقام يقال حسر البعير يحسر حسورا اذا اعيى واحسرته واستحسر البعير
منهما وقد يكون استفعل بمعنى فعل نحو قر واستقر فلا سؤال ولا جواب في التسبيح
بالنسبة الى الملائكة كالتنفس بالنسبة الينا فكما ان قيامنا وقعودنا وتكلمنا وغير ذلك
من افعالنا لا يشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من
افعالهم ولا يلحقهم فترة بفراغ عنه **قوله** بل اتخذوا اشارة الى ان ام هذه منقطعة
مقدرة ببل والهمزة حكى الله تعالى عنهم اولا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وثانيا قولهم بل
قالوا اضغاث احلام الى قوله كما ارسل الاولون ثم اجاب عن كل واحد منهما بضرب من
التهديد والوعيد وساق الكلام الى ههنا ثم اضرب عن الحكاية المذكورة وجوابها الى
انكار فعلهم الذي هو اشنع من قولهم فقال ام اتخذوا آلهة وقوله من الارض يجوز ان
يتعلق بمحذوف وهو صفة لآلهة اي عملوا او صنعوا آلهة كائنة من الارض ومنسوبة اليها
كما يقال فلان من مكة بمعنى انه منسوب اليها ومعنى نسبتها الى الارض كونها مستقرة عليها
ومعبودة وهي عليها ويجوز ان يتعلق باتخذوا بمعنى ابتدؤوا اتخاذها من الارض بان
صنعوها ونحتوها من بعض الحجارة او من بعض جواهرها كالذهب والصفر والمقصود
منه على التقديرين تحقير المتخذ دون تخصيصه لان المشركين يكون عدم اتخاذهم الالهة
السماوية اي المستقرة عليها او المعمولة من اجزاء السماء ولا وجه له وقوله هم ينشرون
جملة منصوبة المحل على انها صفة ثانية اي آلهة لا يقدر على احياء الموتى الا هم وحدهم وقرأ
العامة ينشرون بضم الياء وكسر الشين وقرئ بفتح الياء وضم الشين ونشر يكون
لازما ومتعديا يقال انشر الله الميت اي احياه فنشر نشورا ونشره نشرا بمعنى انشره

روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب رايت قول الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا افلا يكون الرسالة مانعة عن هذا التسبيح وايضا قال اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فكيف يشتغلون باللعن حال اشتغالهم بالتسبيح اجاب بان التسبيح لهم كالتنفس لنا فالاشتغال بالتنفس لا يمنع الكلام فكذلك اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم عن ساير الاعمال فان قيل هذا القياس غير صحيح لان الاشتغال بالتنفس انما لم يمنع من الكلام لان آلة التنفس غير آلة الكلام واما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال فالجواب اي استبعاد في ان يخلق الله تعالى لهم السنة كثيرة فبعضها يسبح الله تعالى وبعضها يلعنون اعداء الله او يقال معنى قوله لا يفترون انهم لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة كما يقال ان فلانا مواظب على الجماعة لا يفتر عنها لا يراد انه ابدا مشتغل بها بل يراد انه مواظب على العزم على ادائها في اوقاتها

انشروا انشارا والانكار عليهم باتخاذهم الآلهة التي تنفرد باحياء الموتى يدل على انهم يعتقدون
ان آلهتهم يحيي الموتى بل نشتغل في ذلك فهم لا يعتقدون ذلك كيف وانهم ينكرون البعث
راسا فضلا عن ان يكون الاصنام قادرة عليه مستقلة فيه الا ان ادعاءهم الالهية لها
لما استلزم اعتقادهم بذلك صح ان ينكر عليهم بذلك اللازم على طريق التجهيل والتهكم ثم
انه تعالى لما انكر عليهم اتخاذهم الآلهة استدل على بطلانه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
اي لو فرض ذلك وقدر كما قدر المستحيلات لفسد ما خلقناه بالحق كما قال وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين الى قال اهل النحو الا ههنا بمعنى غير صفة لنكرة قبلها الا انه لما
تعذر الاعراب فيها جعل ما استحقته من الرفع على ما بعدها والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر
امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا ولا يجوز ان يكون الا للاستثناء لانا لو
حملناها على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله تعالى وهذا يوجب بطريق
المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله تعالى ان لا يحصل الفساد وذلك باطل لانه لو كان فيهما
آلهة سواء كان الله تعالى معهم او لم يكن معهم فالفساد لازم ولما بطل حملها على الاستثناء
ثبت ما ذكرنا وهو ان المعنى لو كان في السماء والارض آلهة غير الله تعالى لخربتا ويحكم من
فيهما بوجود التمانع من الالهة فان كل امر صدر عن اثنين فصاعدا لا يبقى على نظام واحد
وانتفاء الفساد اللازم للتعدد دليل على انتفاء الملزوم وهو التعدد لكن في هذه الملازمة
وفي انتفاء التالي نوع خفاء لانه ان اريد بالفساد الفساد بالفعل اي خروجهما بالفعل
عن هذا النمط المشاهد فهذا لا يلزم من مجرد التعدد بل انما يلزم من تحقق التخالف والتمانع
ومجرد التعدد لا يقتضي التمانع لجواز التوافق وان اريد امكان الفساد فالملازمة مسلمة
ضرورة ان اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم امكان تمانعهما المستلزم لامكان
فساد المعلول لكن لا نسلم بطلان التالي اذ لا دليل على امتناع الفساد بل النصوص شاهدة
على وقوعه كقوله تعالى اذا السماء انشقت واذا النجوم انكدرت ويوم تبدل الارض
غير الارض فظهر ان حجية الآية اقناعية والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات
فان العادة جارية بتحقق التغالب والتمانع عند تعدد الحاكم والمولى على ما اشير
اليه بقوله ولعلا بعضهم على بعض واشار المص الى ان المراد بالفساد الفساد بالفعل
وجعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على انه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين
على مقدور واحد وبين استحالته في الكلام **قوله** لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها
لما بعدها فان ما قبلها جمع منكر والجمع اذا كان نكرة لا يستثنى منه عند جماعة من المحققين

توضيحه انك اذا قلت لو جاءني القوم الا زيد لتلقيتهم لكان معناه ان القبل في الاية يكون زيد مع القوم وتوقف على الارض المعنى انه لو تحقق في السموات والارض الآلهة وانتفى الوجود الله تعالى معها واما لو ثبت الله تعالى مع الآلهة فلا يلزم على الوصف ذلك

جواب ان توافقهما يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور واحد وانه محال كما عرف والبه اشار المص بقوله وان توافقت في المراد تطاردت اي تواردت عليه القدر المستقلة

همزة تمكن ان نفوذ قدرته يستلزم امكان عجز الاخر تنزيها ... ان حصل امتناع لا على تعدد القدرين على مقدور واحد وان ... واحد دون غيره لم يحصل الا بعجز الاخر فيخرج عن كونه الها

قال صاحب الكشف ومما يدل على بطلان القول بالبدل هو ان قولك ما جاءني القوم الا زيد ونحوه مما يكون ما بعد الا بدلا مما قبلها عائد الى
الاثبات فتنفى ما جاءني القوم الا زيد جاءني زيد فكذا لو قال في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لو كان بدلا لكان معناه لو كان فيهما الله لفسدتا
فثبت ان قوله الا الله بمنزلة الوصف لالهة اى لحمد قوله او ضمنا لانكار ما يكون لهم سند اى النقل في انكار ما يكون لهم دليلا من العقل

اذ لا عموم له بحيث تدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء ثم استدل على تعذر الاستثناء
بانه يدل على خلاف المراد بيانه ان الاستثناء قيد للحكم المتعلق بالمستثنى منه فيكون
الشرط كون الالهة فيهما بحيث لا يكون معه تعالى فيكون الفساد لازما لكون الالهة
فيهما دونه تعالى والمراد بيان لزوم الفساد لكون الالهة فيهما مطلقا سواء كانت
مع الله تعالى او بدونه او لكونها معه تعالى قوله حملا الا على لفظ غير ضعيف بالا يعني ان الاصل
في الا الاستثناء وفي غير الصفة وقد يحمل كل واحد منهما على الآخر قوله لانه متفرع
على الاستثناء اى لان البدل فيما بعد الا مشروط بصحة الاستثناء وقد ثبت تعذر
الاستثناء ولانه قد تقرر ان الواقع بعد الا لغير الصفة اذا وقع في كلام موجب يجب
نصبه وان البدل انما يجوز في كلام غير موجب وكلمة لو اذا دخلت في الكلام الموجب
لا تجعله منفيا كما لا تجعل كلمة ان منفيا من حيث ان كل واحد منهما لمجرد الملازمة
~~الموجب على كل واحد منهما واحد وعن الثاني ان فيه اشعارا بان معنى غير الداخل~~
فلما لم يكن الكلام غير موجب بدخول لو عليه لم يجز البدل فيما بعد الا الواقع فيه وفي الشرح
فيه ان ما بعد الا لو جعل بدلا في الكلام لكان الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات
وهو ممتنع في طرف النفي فانه يصح ان يقال ما في الدار الا زيد ولا يصح ان يقال
كان في الدار الا زيد لانه يستلزم ان يكون في الدار جميع الاشياء الا زيد وهو ممتنع
فلو حمل ما بعد الا في هذه الاية على البدل لرجع المعنى الى قولنا لو كان فيهما الله لفسدتا
لان المبدل منه في حكم المطروح فيقع الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات ثم انه
تعالى لما اقام الدليل الدال على وحدانيته فرع عليه كونه منزها عما يصفه المشركون
فقال فسبحان الله واندرج فيه تقريعهم في زعمهم كون الجماد الذي لا يعقل ولا يحس
شريكا في الالهية لرب العرش العظيم ولمن هو القاهر فوق عباده لا يسأل عما
يفعل لعظمته وقوة سلطانه وكون افعاله مبنية على القدرة الكاملة والحكمة البالغة
فلا مساغ للسائل ان يقول له لم فعلت هذا على طريق طلب حكمة فعله وذلك لانه تعالى
حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة وانما يسأل عن حكمة فعله من يحتمل فعله السفه واما
من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يمكن ان يسأل لم فعلت وقيل معناه لا يسأل عما يفعل
على وجه الاحتجاج عليه وان جاز ان يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله رب
لم حشرتني اعمى واستدل اهل السنة على انه تعالى لا يسأل عما يفعل بانه تعالى فاعل
لكل شيء ولا علة لفعله لانه لو فعل فعلا لغرض لا يخلو اما ان يكون وجود ذلك الغرض
وعدمه

قوله لا يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانا ان توافقت الحجج ... هذين الكلامين نوع تنافر لان الكلام الاول يدل على تعين التخالف والثاني وهو قوله فانا ان توافقت صريح في اجتماع التخالف والتوافق وحاصل الترديد انا ان توافقت على مراد معين لزم اجتماع القدر المعدودة المستقلة على شخص واحد وهو محال لما اشتهر في الكتب الكلامية من امتناع اجتماع قوا على مستقلة على معلول واحد للزوم احتياجه واستغنائه عن كل واحد وان تخالفت الالهة بان يريد واحد وجوده والآخر عدمه لزم تمانع القدر عنه بان يكون كل منها مانعا عن الاخر فلزم المحال وتتمة تفصيلها في اوائل الحواشي التي على شرح المواقف ثم ان في الاية امرين احدهما ما فائدة لفظ الجمع فلم لم يقل لو كان فيهما اله الا الله لفسد مع انه اعم لانه يفيد ان ليس اله غير الله مطابقا بخلاف الجمع فانه يفيد نفي جمع الالهة ولم يفد نفي اله واحد غير الله الثاني ما فائدة لفظ الا الله مع انه من المعلوم ان الالهة لا بد ان يكون غير الله والجواب عن الاول ان الغرض من الاية الرد على الكفرة انهم اتخذوا آلهة متعددة ثم انه لا فرق بين نفي الالهة المتعددة وبين نفي اله غير الله اذ الموجب على كل منهما واحد وعن الثاني ان فيه اشعارا بان معنى غير الله مناف للالوهية حتى لا يمكن ان يكون شيء متصف بانه غير الله صالحا للالوهية كما روي

وعدمه بالنسبة اليه على السواء او لا يكون فان كان على السواء استحال ان يكون غرضا وان
لم يكن على السواء لزم كونه تعالى ناقصا في ذاته وكاملا بغيره وذلك الغرض وعدمه وان كان
بالنسبة اليه تعالى على السواء الا ان وجوده اولى من عدمه بالنسبة الى العباد فالجواب ان
تحصيل ما هو الاولى في حق العباد وان كان مساويا بالعدم تحصيله بالنسبة اليه لا يكون غرضا
له وان كان تحصيله اولى لكان مستكملا بالغير وهو محال قوله من الكتب السماوية حال
من قوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي والعامل فيه معنى التنبيه او الاشارة المدلول
عليهما بقوله هذا اراد به التنبيه على ان هذا اشارة الى الموجود بين اظهرهم من الكتب
الثلثة القرآن والتورية والانجيل والقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه الصلوة والسلام الى
يوم القيمة والتورية والانجيل ذكر للامم المتقدمة استدل بهذه الكتب على صحة التوحيد و
نبوته وجعل صحتها متوقفة عليها لان بعثة الرسل وانزال الكتب لا يتوقف على صحة التوحيد
وانما يتوقف على وجود الاله قوله وقرئ بالتنوين والاعمال العامة على اضافة ذكر الى
من الموصولة اضافة المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما
ومن مفتوحة الميم نون المصدر ونصب به المفعول كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما وذكر بالتنوين فيهما ومن بكسر الميم وهو قول المصعوب وبعض الجارة على ان من اسم بمعنى
عندي كانه قيل هذا ذكر من عندي ومن قبلي اى جئت به كما جاء به الانبياء من قبلي قوله
وبعدها اى وقرئ هذا ذكر معي وذكر قبلي بالتنوين فيهما بدون من قوله بل اكثرهم لا يعلمون
اضراب عن قوله قل هاتوا برهانكم لكونه ادخل في تضليلهم فان من انتفى عنه العلم رأسا وكان
بحيث لا يميز بين الحق والباطل مطلقا لا يقبل الالزام بان يقال له لا يصح القول بما لا دليل
عليه فائت ببرهان يدل صحة مذهبك والا فلا تحم حول ذلك قوله وتوسط التأكيد يعني قوله
هو الحق جملة معترضة وتوسطت بين السبب الذي هو الجهل والمسبب الذي هو الاعراض
تأكيد السببية الاول للثاني والحكم مستفاد من الفاء في قوله فهم معرضون كانه حكم
اولا بان اعراضهم بسبب الجهل ثم قال الحكم بان اعراضهم بسبب الجهل بالحق
لا الباطل والعامة على نصب الحق على انه مفعول به للفعل الذي قبله ويجوز ان يكون انتصابه
على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله كما تقول هذا عبد الله الحق وعلى قراءة الرفع يكون
قوله لا يعلمون مطلقا غير مقيد بالمتعلق على طريق قولك فلان يعطي ويمنع فاذا وقف على قوله
لا يعلمون كان جائزا من حيث اللفظ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث
المعنى لان السبب والمسبب كالشيء الواحد وقرأ حمزة والكسائي وحفص نوحي بالنون

وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله ارسلنا وقرا الآخرون بالياء وفتح الحاء على
البناء للمفعول وهذه الآية مقررة لما سبقها من آيات التوحيد لكونها من قبيل
التعميم بعد التخصيص قوله الملائكة بنات الله واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات
الجن فولدت له الملائكة قوله على مدحض اي على موضع زلة من زعم انهم بنات الله
فانهم لما رأوهم مكرمين مقربين لهم صفات فاضلة ليست لغيرهم زلقت ارجلهم
في هذا الموضع وزعموا انهم اولاد الله وغفلوا عن كونهم عبادا منقادين لله تعالى
وانه تعالى منزه عن اتخاذ الصاحبة والولد كما انه منزه عن ان يكون له شريك في ملكه
والوهية قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين وجه التعريض انه تعالى
لما قال لا يسبقونه بالقول فهم منه بقرينة السياق والمقام ان هناك من صدر عنه
السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله ما لم يعلمه من ان له شريكا وولدا ونحو ذلك
ونسب السبق المنفي اليه تعالى واليهم تنبيها على ان السبق المثبت المعرض به وان
كان سبقا لقولهم قوله الا انه بمنزلة سبق انفسهم عليه تعالى في الجرأة والقباحة و
الذي يدل على هذا التحقيق ان يقال لا يسبقونه بقولهم الا انه انيب اللام عن الاضافة
اختصارا في المعنى بذكر التعرض للمضاف اليه وقرئ لا يسبقونه بضم الباء على
انه مضارع سبقه اي غلبه في السبق ومضارع فعل المغالبة مضموم العين مطلقا
يقال سابقه فسبقه فالسبق المنفي على هذه القراءة هو السبق على طريق
المغالبة على معنى ان تكلفوا ان يغلبوه في السبق بالقول لا يساعدهم فيه نفوسهم
وتأبى عنه عقولهم لما ركز في قلوبهم الخشية المسببة من معرفة جلال الله تعالى و
عظمته ثم انه تعالى بعد ما بين ان قولهم تابع لقوله وانه لا يسبق قولهم قوله بين ان
عملهم ايضا تابع لامره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ومن كان في نهاية الخضوع وكمال
العبودية بهذا الحد كيف يكونون الهة او اولادا وكذا الخشية والاشفاق المذكورين
بعد من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما الها ولا ولدا قوله وهو كالعلة لما قبله
يعني انه استئناف لبيان ما دعاهم الى ما ذكر من كمال الخضوع من حيث يكون قولهم
تابعا لقوله وعملهم تابعا لامره والمعنى انهم لما علموا كونه تعالى عالما بجميع المعلومات
مجازيا كل نفس حسب عمله علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك
داعيا لهم الى ما ذكر من كمال الخضوع ومراقبة الاقوال والاعمال وهو ايضا كالتمهيد
لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى لان علمهم بذلك يقتضي كمال التأدب وقوله تعالى
يعلم

المسألة الثانية للقائلين بقول المراد من الرؤية في قوله تعالى اولم ير الذين كفروا اما الرؤية واما العلم والاول مشكل اما اولا
فلان القوم ما رأوهما كذلك البتة واما ثانيا فلقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض واما العلم فمشكل ايضا لان الاجسام قابلة
للفتق والرتق في انفسها فالحكم عليها بالرتق اولا والفتق ثانيا لا سبيل اليه الا بالسمع والمناظرة مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف يجوز

يعلم ما بين ايديهم اي ما قدموه من اعمالهم وما خلفهم وما هم عاملون اياه بعد وقيل المراد
على العكس قوله وهم من خشيته اي من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله
مشفقون وجلون خائفون لعلمهم بتقصيرهم في عبادة الله تعالى والمؤمنون يخافون
الله تعالى من كثرة ذنوبهم روي عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى جبريل ليلة المعراج
ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى والخشية والاشفاق متقاربان في المعنى والفرق
بينهما ان المنظور في الخشية جانب المخشي وهو عظمته ومهابته وفي الاشفاق جانب
المخشي عليه وهو الاعتناء بشانه وعدم الامن من ان يصيبه مكروه ثم ان الاشفاق
يتعدى بكل واحد من كلمتي من وعلى يقال اشفق عليه فهو مشفق واشفق منه احترز
فان عدي بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر من معنى الاعتناء وان عدي بعلى يكون معنى
الاعتناء اظهر من معنى الخوف قوله اولم يعلموا يعني ان الرؤية قلبية وان مع ما في حيزها
سادة مسد المفعولين وليس بصرية لانهم ما رأوها كذلك البتة قال تعالى ما اشهدتهم
خلق السموات والارض اورد الله تعالى ههنا ستة انواع من الدلائل الدالة على كمال
قدرته وباهر حكمته تأكيدا للدليل وحدانيته وتقريرا للبرهان تنزهه عن الشركاء و
الانداد فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب في هذا العالم كيف يصح ان يكون
له شريك في الوهيته وملكه والرتق مصدر بمعنى الضم والالتحام فتوله السموات والارض
رتق من قبيل رجل عدل ولذلك قال ذات رتق او ذوي رتق لم يقل كانتا رتقين
لان المصدر لا يثنى ولا يجمع كقوله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام واختلف
المفسرون في وجه فتقهما بعد الالتحام روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان المعنى كانتا شيئا
واحدا ملتزقا احدهما بالآخر ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض
اشار المصنف اليه بقوله كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وهو ما قيل انه تعالى خلق الارض
في موضع بيت المقدس على هيئة الفهر عليها دخان لازق بها فاصعد الدخان وخلق منه
السموات وامسك الفهر في موضعه وخلق منه الارض وبسطها قال كعب خلق الله السموات
والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا بوسطهما ففتقهما بها وقيل المعنى كانت السموات
مرتتقة طبقة واحدة ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت
مرتتقة طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها واحوالها فجعلها سبع ارضين وقيل المعنى
كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقها بالتنويع والتمييز كما جاء في الحديث المشهور اول
ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء

ثم نظر اليها نظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعدت العرش فكتب لا اله الا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن العرش وترك الماء يرتعد على حالته الى يوم القيمة و
ذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء ثم حصل من تلاطم الماء ادخنة متراكمة بعضها على بعض
وزبد فخلق منها السموات والارض طباقا وكانتا رتقا فخلق الريح ففتق بين اطباق
السموات واطباق الارض ثم بعد ذلك مد الزبد على وجه الماء ودحاه فصار ارضا فوق ذلك
وقيل المعنى ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر وكذا الارض كانت رتقا لا
ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ففتق السماء وهى اشد الاشياء واصلبها
بالين الاشياء وهو الماء وكذا فتق الارض بالين الاشياء وهو النبات مع شدتها
وصلابتها فالاية على هذا القول نظير قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع
ورجح هذا القول بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شىء حى وذلك لا يليق الا اذا كان
للماء تعلق بما تقدم ولا يكون كذلك الا اذا كان المراد بالرتق والفتق ما ذكرنا فان قيل
هذا الوجه مرجوح لان المطر لا ينزل من السموات بل من سماء واحدة وهى سماء الدنيا
اجيب بانه اطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب اخلاق
وبرمة اعشار ويجوز ان يراد بلفظ الجمع السموات باسرها وجعلها مفتوقة بالمطر مبنى على
ان لها مدخلا فى الامطار ففتق السموات والارض بعدما كانتا رتقا على اى معنى كان هو
الدليل الاول من الدلائل الستة المذكورة فى هذه الاية قوله فان الفتق عارض لانه
من جملة الممكنات والممكنات باسرها حادثة مفتقرة الى مخصص يخصص احد طرفيه بالوقوع
قوله وانما قال كانتا بمعنى تثنية الضمير الراجع الى الجمع باعتبار ان المرجع اليه جماعتان قوله
وقرئ رتقا بفتح التاء فان كان مصدرا على وزن طلبا فوجه الاخبار به عن المثنى ظاهر
واختار المص انه فعل بمعنى المفعول والنقض بمعنى المنقوض وهو بالتحريك ما ساقط
من الورق والثمر وهو فعل بمعنى مفعول فكان ينبغى ان يطابق المخبر عنه فى التثنية الا انه
افرد بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد اللفظ والتقدير كانتا رتقا وقوله تعالى و
جعلنا يحتمل ان يكون بمعنى خلقنا فيتعدى الى مفعول واحد وهو كل شىء وحى صفة شىء
ومن ابتدائية متعلقة بالفعل المذكور قبله فان اريد بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ الخلق
الحيوان ظاهرا كما فى قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وان اريد بالماء طبيعة الماء الذى
هو احد العناصر يكون جعلها مبدأ مجازا كما فى قوله تعالى خلق الانسان من عجل بان شبه جبلة
الله تعالى كل حيوان بمفرط الاحتياج الى الماء بحاله وقلة الصبر عنه بخلقة الله اياه من الماء
ثم

اعلم ان دلالة هذه الوجوه على اثبات الصانع ووحدانيته ظاهرة لان احدا لا يقدر على خلق ذلك الا الله تعالى ابن عادل

نزلت فى عرف العرب ان يقال لمن يكثر منه الشىء خلقت منه كما تقول انت من لعب وخلقت من لعب وخلق فلان من علم فكان تريد المبالغة بوصفه بذلك منه

ثم قيل جعلنا وانشأنا منه بمعنى جعلنا شديد الاحتياج اليه بحيث لا يعيش بدونه
فيكون خلقنا منه استعارة تصريحية تبعية ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيتعدى الى اثنين
ثانيهما من الماء فعلى هذا الكلمة من اتصالية والمعنى صيرنا كل حى متصلا بالماء ملابسا به كما فى
قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى مشتبك بعضهم ملابس لا ينفك عنه
وانما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب ان يكون مفعوله
الاول متصفا بالثانى ولا يتاتى ذلك الا بكونها اتصالية يقال هذا بسبب منه اى ملابس و
مخالط لا ينفك عنه لان كون الشىء بسبب الغير يستلزم الملابسة والاتصال القوى بينهما
فلذلك فسر المص قوله تعالى من الماء بقوله بسبب من الماء الا ان من فى كلامه بيانية لا اتصالية
وكذا يحتمل الامرين على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه صفة كل وان نصب على انه مفعول
ثان يتعين كونه بمعنى صيرنا وكون الشىء مخصوصا بالحيوان سواء اريد به الجسم الحساس
المتحرك بالارادة او ما يعم النبات لانه يصير نماء ذا رطوبة وخضرة ونور وثمر بسبب
الماء ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيى الارض بعد موتها وهذا هو الدليل الثانى من الدلائل
المذكورة فى هذه الاية اخبر الله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتق منها ارزاقهم
ثم ذكر انه جعل بالماء حياتهم ثم ذكر انه جعل لهم الارض بحيث تقر باهلها وتسكن بهم بان
اثبت عليها الجبال الراسيات ثم ذكر انه جعل لهم فيها سبلا فجاجا ليهتدوا بها الى مصالحهم
التى جعل لهم فى البلاد النائية وذكر لهم ايضا نعمته فى رفع السماء بلا عمد وحفظها عن
ان تسقط عليهم وذكر ايضا نعمته فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر
وما فيها من المنافع الراجعة اليهم ليتذكروا ان من قدر على هذه الامور العظيمة
وانعم عليهم بهذه النعم البديعة منزه عن الشريك والولد وانه اله واحد وسلطانه
عزيز ضمر كراهة ان تميد اى تميل يعنى ان قوله ان تميد مفعول له اما بتقدير
المضاف او بحذف لام العلة ولا النافية فحذف ما حذف لعدم الالتباس قال
ابن عباس رضى الله عنهما ان الارض بسطت على وجه الماء فكانت تميد باهلها
كما تميد السفينة على الماء فارساها الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة
مسالك واسعة يعنى ان اصل التركيب وجعلنا فيها سبلا فجاجا على ان سبلا
هو المفعول وفجاجا صفته فلما قدم عليه انتصب حالا اليه على انه حين
خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال تدل على هيئة ذى الحال حين تعلق
العامل به قوله او ليهتدوا ان يجوز ان يكون فجاجا هو المفعول وسبلا بدل منه

قوله الظرف لغوا متعلقه مخصوص مذكور وهو جعلنا ونعلم منه انه على التقدير الثانى ظرف مستقر وجعلنا كل شىء حى كائنا بسبب الماء حتى يكون مفعولا ثانيا لصيرنا كما ذكره

قوله وقرئ حيا على انه صفة كل هذا على تقدير كون جعل بمعنى خلق وقوله او مفعول ثان على تقدير كونه بمعنى صير

بيان فجاجا سبلا على ان السبل حال من الفجاج كذا

المغرق
النجح الله

ونفسر اللجاج وبيانا لكونها نافذة مسلوكة فان الفج قد يكون غير نافذ مع ما في البدل
من التاكيد والسابلة ابناء السبيل المختلفة في الطرقات قوله بيان لبعض تلك
الايات فان خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والنجوم وسائرها
وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب ايات باهرة على وجود الصانع
المدبر الحكيم قوله والمراد بالفلك الجنس جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد من
الشمس والقمر يسبح في فلك مع ان لكل واحد منهما فلكا على حدة فان قولنا كلهم في
دار مثلا وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم في دار على حدة الا انه خلاف
المتبادر والمتبادر ان يكون الجميعين في دار واحدة ويتبادر هذا المعنى الى الفهم
امارة لكون اللفظ حقيقة فيه وتقرير الجواب ان كون كل واحد منهما في فلك على
حدة لما كان ثابتا بالرصد كان ذلك قرينة صارفة عن حمل لفظ فلك عن الواحد
بالشخص فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل عليه لفظ حلة بقرينة امتناع ان يكتسي
الجماعة حلة واحدة بالشخص وقوله تعالى يسبحون استعارة تبعية شبه الاسراع
كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد
منهما وهو وان كان واحدا بالشخص الا انه اعيد اليه ضمير الجمع لتعدده باعتبا المطالع
واحتج ابو علي بن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى يسبحون وبقوله
اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال الجمع بالواو
والنون لا يكون الا للاحياء العاقلين والجواب عنه ما اشار اليه المص من انه
لما اسند اليه ما هو من افعال العقلاء وهو السباحة والسجود نزلت منزلة العقلاء
فعبر عنهن بضمير العقلاء ولما جعل يسبحون خبر كل وجعل جملة كل في فلك يسبحون
حالا من الشمس والقمر ورد ان يقال كيف جاز ان يختص المعطوف بكونه ذا حال مع
ان الحال قيد لتعلق بدون الحال والحال كما تعلق بالشمس والقمر تعلق بالليل والنهار
ايضا فينبغي ان يكون مضمون الجملة الحالية قيدا لتعلقه بالجميع فاجاب عنه بقوله
عنه بقوله وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس لظهور ان السباحة في الفلك انما تكون
للشمس والقمر دون الليل والنهار كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة اي مظهرة
زينتها واختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلثة فانه اما ان
يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الراكد واما ان يكون
الفلك متحركا والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفا لجهة حركته او موافقا لها

افعل ان يكون استعارة تبعية بان شبه الكل الاول في بالحقيقة ... فان يكون المراد بينهما ... الساعة في الماء فلا ... العلامة من ان الشبه بلزم ان يكون افق يكون وجه الشبه فتامل واحتج ابن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله يسجدون قال والجمع بالواو والنون لا يكون الا للعقلاء وبقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والجواب انا بضمير العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة
ابن عادل

٤٧٢

لا واما تحركه مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء او مخالفة واما ان يكون الفلك متحركا و
الكواكب ساكنة قالت الفلاسفة الراي الاول باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا
الراي الثاني فانه ايضا باطل لعين ما ذكر فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان تكون الكواكب
مغروزة في الفلك واقفة فيه والفلك يتحرك فتتحرك الكواكب تبعا لحركة الفلك قال الامام اعلم
ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الافلاك وهو باطل بل الحق ان الاحتمالات الثلثة
كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لفظ القران ان تكون الافلاك واقفة و
الكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء قوله فالوا نتربص به ريب المنون الريب
ما يريبك من المكاره والمنون الموت والمعنى ننتظر به ان يصيبه مكاره وحوادث تؤديه الى
الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر والشماتة الفرح ببلية العدو ولما
كانوا يشمتون بموته عليه الصلوة والسلام ابطل الله تعالى شماتتهم بهذه الاية اي قضى الله تعالى ان
لا يخلد بشرا في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ابقى هؤلاء
فالهمزة في المعنى دخلت على الخلود لانه هو المنكر بعد تقرر ما قبله والفاء لترتب مضمون الشرطية
على ما ذكر قبلها ولولا الهمزة لكان المعنى بعد تقرر ذلك ان مت فهم الخالدون فجيء بالهمزة لانكار هذا
المعنى واكد الله تعالى هذا الانكار بقوله كل نفس ذائقة الموت واشار المص الى ان المراد بالنفس
النفس الناطقة التي هي الروح الانساني وان موتها عبارة عن مفارقتها جسدها وقدر
المرارة المستعارة لما يصيب النفس من الم المفارقة شبهها له بالكيفية المطعومة وجعل الذوق
ترشيحا للاستعارة فلا يرد ما ذكره الامام من ان عموم كل نفس لا بد ان يراد منه الخصوص فان
لله تعالى نفسا كما قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه وكذلك الجمادات
لها نفوس وهي لا تموت فانه انما يتجه ان لو كان النفس بمعنى الذات وليس كذلك روي عن
عائشة رضي الله عنها قالت استاذن ابو بكر رضي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات
وسجي عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه
وقال وا نبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب فقال
في خطبته من كان يعبد محمدا فقد مات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت ثم
قرا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الخ ثم
انه تعالى قرر القضاء بتسوية الموت بين الخلق طرا وبين وجه الحكمة فيه بان المقصود
من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء بالمكاره التي تسمى شرا وهي المضار الدنيوية من الخوف

لما استدل بالاشياء المذكورة وهي من اصول النعم الدنيوية اتبعه بما يدل على ان جميع ما اعطاهم من ذلك لا يبقى ولا يدوم لهم لانه سبحانه خلقها للابتلاء والامتحان وليتوصل بها الى دار الخلود فقال وما جعلنا

الصدغ ما بين العين والاذن ويسمى ايضا الشعر المتدلي عليه صدغا فتامل منه

والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبالشهوات العاجلة التي تشتهي جبرا
كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ليظهر ما في علمه من الشكر الشاكرين على المنح وصبر الصابرين على المحن وتميزوا
عن اضدادهم ويجازي كل احد على حسب ما وجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ما
قصر فيه بترك ما وجب عليه منهما وهذه المجازاة لا يستوفي في دار التكليف فلا بد من
اخرى لا يصار اليها الا بالموت والنشور فلا بد لكل نفس ان تموت وثم تبعث فقال ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم انه تعالى رجع الى تهجينهم وتقبيح حالهم التي هي
استهزاؤهم بمن بعث صارفا عن الغواية والعذاب الاليم داعيا الى الهدى والنعيم
المقيم مع انهم هم المستحقون لان يهزء بهم فقال واذا راك الذين كفروا ان في قوله
ان يتخذونك نافية وهي مع ما في خيرها جواب اذا الشرطية وهزوا مصدر واقع موقع
اسم المفعول اي مهزوًّا به والهزء السخرية والجملة الاستفهامية بعده محكية بقول مضمر
معطوف على جواب الشرط اي ويقولون اهذا الذي يذكر قوله لدلالة الحال فانه يقال
فلان يذكر الناس ويراد انه يغتابهم ويذكرهم بالعيب ويقال فلان يذكر الله ويراد انه
يصف الله تعالى بالعظمة والجلال ويثني عليه بما هو اهله ويطلقون فعل الذكر اعتمادا على
دلالة الحال والمقام قوله تعالى بذكر الرحمن هم كافرون في موضع النصب على انه حال
من فاعل القول المقدر او من فاعل يتخذونك اي يقولون ذلك وهم على هذه الحالة
او يتخذونك هزوًا وهم على حال هي اصل في ايجاب الهزء والسخرية والمصنف اختار
الثاني حيث قال وهم احق بان يهزء بهم وهم الاولى مبتدا وكافرون خبره وبذكر
متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون منكرون بذكر الرحمن وهم الثانية تاكيد لفظي
للاولى ليفيد الاختصاص ولوقوع الفصل بين المبتداء والخبر بمعمول الخبر و
اضافة الذكر الى الرحمن اما من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله اي وهم بان يذكروا
الرحمن بما يجب ان يذكر به من الوحدانية والتنزه عن اتخاذ الشريك والصاحبة
والولد ونحو ذلك واما قبيل اضافته الى الفاعل اي بان يذكر الرحمن عباده بارشادهم
الى الصراط المستقيم ببعث الرسل وانزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد بالذكر القران
المنزل الذي هو ذكر للعالمين وموعظة لهم قوله ولذلك اي وللاحتياج الى التاويل
في جعل العجل مبدأ الخلق الانسان قيل انه على القلب والمعنى خلق العجل من الانسان
كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعرض النار عليهم وهو بعيد
لانه

قال السدي نزلت في ابي جهل مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف تمت

قال السدي ومقاتل نزلت في ابي جهل مر به رسول الله صلى الله وكان ابو سفيان مع ابي جهل فقال ابو جهل لابي سفيان هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفيان وما تنكر ان يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع رسول الله صلى الله عليه قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان فانما قلت ما قلته رحمة فنزلت هذه الاية
ابن عادل

لانه لما امكن حمل الكلام على الصحيح وهو على ترتيبه لا وجه لان يقال انه مقلوب روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت الاية في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية قوله والنهي عما جبلت عليه نفوسهم جواب عما
يقال كيف نهى عن الاستعجال الذي جبل عليه الانسان والامور الجبلية لا تنفك عن الانسان
فالنهي عنها من قبيل تكليف ما لا يطاق وهو لا يقع بالنص وتقرير الجواب ان الامور الجبلية انما
تكون من لوازم الانسان اذا خلي الانسان ونفسه وهو لا ينافي ان يكون تركها مقدورا له
بان يقهر نفسه الامارة ويخالف هواها ويتبع الادلة العقلية والسمعية الا يرى انه تعالى ركب
فيه الشهوة وامره ان يقابلها بما اعطاه من القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك
العجلة ونحوهما من الامور الجبلية فانه تعالى جبل في وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا
حليما بالرياضة وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الاية اخبر انه خلقه هلوعا جزوعا
منوعا شحيحا ثم قال الا المصلين فان استثناء المصلين منهم دل على ان الانسان يتحول
بالرياضة عن الحالة التي خلقه الله تعالى عليها الى حالة اخرى قوله لوقت وعد العذاب اي
وقت العذاب الموعود على ان الوقت المقدر مبتدأ ومتى خبره قدم عليه انهم كانوا استعجلوا
العذاب الموعود لمن اصر على الكفر والتكذيب ويقولون متى هذا الوعد فاراد الله تعالى نهيهم
عن الاستعجال وبيان انه نازل بهم في الوقت المقدر له فجعل ذم الانسان على افراط
العجلة وبيان انه مطبوع عليها ذريعة الى نهيه وزجره عن الاستعجال فقولهم متى هذا
الوعد هو الاستعجال المذموم الذي اريد نهيهم عنه قوله يحيط بهم النار من كل جانب اشارة
الى ان قوله عن وجوههم ولا عن ظهورهم عبارة عن جميع الجوانب كانه قيل عن قدامهم
وخلفهم قوله لما استعجلوا جواب لو المقدر وحسن حذفه لان ما تقدم يدل عليه والمعنى
لكنهم انما استعجلوا لجهلهم بهول ذلك الحين وما فيه من العذاب المهين قوله ويجوز ان يترك
مفعول يعلم اي مفعول لفظ يعلم الذي هو اللفظ الدال على معنى في نفسه مقترن باحد الازمنة
الثلثة لانه لو اريد به مسمى لفظ يعلم لما وقع مضافا اليه لان الاضافة من خواص الاسم
وقد نص المحققون على ان كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله علم هو نفس
ذلك اللفظ من حيث دلالته على اللفظ الذي يصدق عليه حد الاسم او الفعل او الحرف
الا ترى انك تقول ضرب فعل ومن حرف فتجعل كل واحد من ضرب ومن محكوما عليه مع
استحالة كون الفعل والحرف محكوما عنه فلتأمل يعني يجوز ان ينزل يعلم منزلة اللازم مبالغة
في تجهيل المستعجلين على معنى لو كانوا من اولي العلم لما استعجلوا لكنهم لفرط جهلهم و

قوله ومن يشتهي ان يحلف فعلى ثم يحنث وزعم بعضهم ان مفعول الكوفيين فيجعلون في يحلف فعلا على الظرف والعامل رفعه الشيء فعل رافع لنداء والتقدير يجيء هذا العذاب اول او نحو ذلك الاول اشهر
ابن عادل

وعظم الجهل مستفاد من تنزيل العلم منزلة اللازم فانه يدل على انهم لا يعلمون شيئا فعلى هذا
الوجه يكون حين منصوبا بفعل مضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم
كانوا مبطلين في استعجالهم وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم فيكون هذه الجملة كلاما مستأنفا
فانه لما نفى عنهم العلم رأسا بان يقال لو يعلم الذين كفروا توجه ان يقال متى يعلمون ويزول
عنهم هذا الجهل العظيم فاجيب بقوله حين لا يكفون الخ فكان العامل في حين ما يدل
عليه قول السائل متى يعلمون قوله بل تأتيهم العدة على ان يكون ضمير المؤنث في تأتيهم
للوعد لكونه في معنى العدة او للنار او للحين لانه في معنى الساعة وانتصاب بغتة اما
على المصدرية لان البغتة نوع من الاتيان او على الحالية من فاعل تأتيهم اي باغتة
يقال بغتة اي فاجأة ولقيه بغتة اي فجأة والمباغتة المفاجاة وقرئ بل يأتيهم
اضراب انتقال حكى الله عنهم انهم يستعجلون العذاب الموعود ويقولون متى هذا الوعد
وبين ان سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه وما فيه من العذاب
الشديد ثم اضرب وانتقل من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال بل تأتيهم
بغتة ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء وكان عليه الصلوة والسلام يتأذى
ويتحرج من استهزائهم نزل قوله ولقد استهزئ الآية تسلية له عليه الصلوة و
السلام وقوله ولو يعلم الذين كفروا الآية لا يخلو ايضا عن التسلية ورفع الحزن عن
قلبه المنير فان بيان ما يصاحب هذا الاستهزاء من العذاب الشديد يفيد تسلية
المهزوء به وازالة حزنه لا محالة قوله ما كانوا به يستهزءون اي جزاء ما كانوا فكأنه
قيل سيصيبهم جزاء استهزائهم كما اصاب جزاء استهزاء من قبلهم بانبيائهم فلا تبال
باستهزائهم وكن متسليا فارغ البال ثم انه لما بين استحقاقهم بما اصاب الاولين
بين ان عدم اصابة ذلك اياهم عاجلا انما هو بحفظه وكلائته امهلهم مدة بمقتضى رحمته
العامة ومشيئته وحكمته الباهرة امره عليه الصلوة والسلام ان يسألهم عن الكالئ
ليقروا او ينبهوا على انهم في قبضة قدرة الله تعالى مسخرون لحكمه ومشيئته لينزجروا عن الانكار
والتكذيب ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم
عن ذكر ربهم معرضون اي دعهم عن هذا السؤال لانهم لا يصلحون له لاعراضهم عن
ذكر الله فلا يخطرونه ببالهم حتى يخافوا بأسه ثم اذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا ان
الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عنه ثم اضرب عن التسجيل عليهم بانهم لا يصلحون
للسؤال الى ما هو اتم وهو الانكار عليهم فيما زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم مما

لما بين شدة هذا العقاب بين ان وقت مجيئه غير معلوم لهم بل تأتيهم بغتة وهم غير محتسبين ولا مستعدين فتبهتهم اي تدهشهم حائرين واقفين لا يستطيعون حيلة في ردها او لا هم ينظرون اي لا يمهلون لتوبة او معذرة وانما لم يعلم المكلفين وقت الموت والقيمة لما فيه من المصلحة لانه مع كتمان ذلك اشد حذرا واقرب الى التلافي
ابن عادل

مما يستحقونه من العذاب متجاوزة منعنا وحفظنا على ان قوله من دوننا
صفة مصدر محذوف والذي اضيف اليه دون ايضا محذوف وتقدير الكلام تمنعهم منعا
كائنا من دون منعنا اي من غير منعنا ويحتمل ان يكون من دوننا بمعنى من عندنا فيكون
صفة المحذوف متعلق بقوله تمنعهم والتقدير تمنعهم من عذاب يكون من عندنا كانه قيل
دعهم عن هذا السؤال لا لغفلتهم واعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم آلهة
تستقل في حفظهم وانظر الى من اعرضوا عن ربهم اليه فان هذا اعجب لان ما لا يقدر
على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله عز وجل كيف ينصر غيره ثم اضرب عما توهموه من ان
ما هم فيه من الكلاءة من جهة ان لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأس اليهم فقال بل متعنا
هؤلاء وآباءهم الآية كانه قيل دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ما هم فيه
من الحفظ انما هو منا لا من غيرنا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بانواع السراء
من اهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم الى العذاب العظيم والعقاب الاليم ويحتمل ان
يكون اضرابا عن الاستثناء السابق كانه قيل دع ما يبين بطلان ما اعتقدوه من ان
وهو قوله تعالى لا يستطيعون نصر انفسهم
يكون لهم آلهة تمنعهم واعلم انهم انما وقعوا في ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب انه
تعالى متعهم بما يشتهون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغتروا واعرضوا عن التأمل
في قول الرسول المبلغ عن الله تعالى فاتبعوا ما سولت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة
لغشاوة قلوبهم وخباثة طباعهم والا فقد اتضح الحق من الباطل وتبين الرشد
من الغي فانبغى الآن ان ننتقم منهم على سبيل التدرج بان نعالجهم بمكاره الدنيا
ثم نضطرهم الى عذاب النار في العقبى واشار الى هذا المعنى بقوله عز من قائل
افلا يرون اي اغفلوا وعموا فلا يرون كيف شرعنا في ذلك بانا ننقص دار الكفر
من جوانبها ونفتح البلاد والقرى من حوالي مكة وندخلها في ملك محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وننقص ما بها من المشركين واحدا بعد واحد بتسليط المسلمين
عليها واظهارهم على اهلها بحيث لا يقدرون على دفعهم من انفسهم وديارهم افهم
الغالبون ام المغلوبون فالفاء في افلا يرون لعطف الجملة على المقدر والتي في قوله
افهم لعطفها على الملفوظ والعبارة الظاهرة في تأدية هذا المعنى ان يقال افلا يرون
ان عساكر الموحدين المطيعين يأتون ارض المشركين وينقصونها من اطرافها
الا انه تعالى اسند فعل المسلمين الى ذاته تنبيها على ان المجازي والمخرب هو الله تعالى
حقيقة وان ظهر ذلك بتسليط المسلمين وتمكينهم على التخريب والاهلاك فالذي

فالذين ورد عليه نظم التنزيل تصوير للامر على ما هو عليه في نفس الامر ثم انه تعالى لما
بالغ في تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين وانذارهم بانواع العذاب فرّ ذلك
واكده بقوله قل انما انذركم بما اوحي الي من القران الكريم قوله وقراء ابن عامر ولا تسمع
بضم تاء الخطاب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انهما المفعولان وقراءة الحسن
كقراءة ابن عامر الا انه بضم تاء الغيبة على ان فيه ضميره عليه الصلوة والسلام و
قراء باقي السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع الصم ونصب الدعاء قوله للدلالة
على تصامّهم وجه الدلالة ان تعريف الصم لما كان للعهد والمعهود هؤلاء المنذرون
وهم ليسوا بصم حقيقة فلما سموا صما علم انهم شبهوا بالصم لتصامهم وعدم
انتفاعهم بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم سيتغير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا
اليسير مما انذروا به فعند ذلك يسمعون ويعتذرون ويعترفون على انفسهم
بالظلم بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول حين لا ينتفعون به فقال ولئن مستهم
نفحة اي ادنى شيء مما انذروا به كنفس ريح من الشيء يدوم من جسمه والاصل
النفح من الريح اللينة منها يقال نفحت الريح اي هبت هبوبا لينا ونفحه بنائل اي
بشيء يسير من العطاء قوله توزن بها صحايف الاعمال يعني ان الله تعالى يضع
الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال وقد روي انه ميزان له كفتان ولسان
وهو بيد جبريل عليه الصلوة والسلام فان قيل كيف يوزن الاعمال وانما هي
اعراض لا توصف بالخفة والثقل المختصين بالجواهر اجيب بان في كيفية وزنها
وجهين الاول انه يوزن صحايف الاعمال والثاني انه تعالى يعطيها صور الجواهر
فيضع في كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سودا
مظلمة والمعتزلة عن آخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا يجب ان
يحمل ما ورد في القران من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث
لا يقع فيه تفاوت اصلا فوضع الموازين عندهم عبارة عن اعداد المحاسبات السوية
والاجزية على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فعل
ذلك بوضع الموازين التي توزن بها الموزونات بجامع التهيؤ للعدل وتسوية الحقوق وعامة
اهل السنة على انه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها صحف الاعمال وجمع الموازين
مع ان الميزان الموضوع واحد نظرا الى تعدد ما يوزن فيه او لتعظيم شانه فمن احاطت
بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته
فقد

فان الموضع موضع ان يقال ولا يسمعون الدعاء صح

يروى ان داود عليه الصلوة والسلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبد ملأتها بتمرة ابن عادل

المسئلة الرابعة احتج الجبائي زعم الجبائي ان من ثاب [illegible] بطاعة بانه يجزي من جنس ما [illegible] بالحبط والاكثر الثواب فهذه الآية تبطل بالاكثر ومبنى الاكثر كما كان واعلم ان هذه الآية تبطل قول الجبائي لان الله تعالى تمدح بان اليسير مما لا يسقط ولو كان الاكثر يحبط بالاقل لسقطت الطاعة من غير فائدة ابن عادل

فقد خفت موازينه اي ذهبت حسناته بسيئاته كذا روي عن ابن عباس وهو اوفق لما
ذهب اليه المعتزلة قوله لجزاء يوم القيمة يعني ان اللام فيه اما للتعليل على حذف المضاف
او هي لام التوقيت بمعنى في كما في قولك جئت لخمس خلون اي مضين وذهب صاحب الكشاف
الى انه لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجيء بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص
وضع الميزان بيوم القيمة قوله شيئا من حقه او من الظلم الاول على ان يكون شيئا مفعولا
ثانيا لتظلم لانه بمعنى لا تنقص ونقص يتعدى الى مفعولين يقال نقصه حقه وما لك لم ينقصوكم
شيئا والثاني على ان يكون مفعولا مطلقا وقراءة العامة اتينا بها بقصر الهمزة من الاتيان بمعنى
احضرنا وقرئ آتينا بمد الهمزة فيحتمل ان يكون وزنه افعلنا من آتى يؤتي ايتاء او فاعلنا و
يؤيده تعديه بها لان ما هو بوزن افعلنا يتعدى الى مفعوليه بنفسه قال تعالى وآتينا ثمود الناقة
قوله واتينا وحسبنا عطف على قوله اتينا ثم انه تعالى شرع في قصص الانبياء عليهم الصلوة
والسلام تقوية لقلبه عليه الصلوة والسلام على اداء الرسالة وتسلية بانه ليس اول من بعث
لدعوة المستكبرين وربط قصة موسى عليه الصلوة والسلام بما قبله بانه تعالى لما امر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يقول انما انذركم بالوحي اتبعه بانه عادته تعالى في الانبياء قبله
فقال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الالهي لكونه
فارقا بين الحق والباطل وما بعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد
بالجمع شيء واحد هو التورية والمعنى ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف
وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعداء كما في قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان
يعني يوم بدر حين فرق بين الحق والباطل قوله حال من الفاعل بمعنى يخشون ربهم او
عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فيأتمرون باوامره وينتهون عن نواهيه او
وهم غائبون عن الآخرة لم يروا ما فيها من الاهوال او وهم غائبون عن الناس اي لا
كالذين يجتنبون المعاصي بحضرة الناس ويرتكبونها في الخلوات او من المفعول بمعنى يخشون
عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهدوه بعد ان يخشون ربهم وهو غائب عن الحس لا تدركه الابصار
وانما يؤمنون به ايمانا غيبيا استدلاليا قوله مبالغة وتعريض من حيث انه يفيد حصر الخوف
من الساعة في المتقين والمنحصر فيهم ليس اصل الخوف منها بل هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره
فيهم يتضمن الحكم بانتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم قوله استفهام توبيخ يعني
الا ينبغي لكم ان تنكروا بان القران مع اشتماله على جميع ما اشتمل عليه التورية من الاوصاف مشتمل
على امر زائد على ما فيها وهو كونه معجزا لاشتماله على العلوم الجمة والبلاغة البديعة

فان قول الحبة اعظم من الخردلة [illegible] تنكيت فان حاصره [illegible] الخردلة كالدين [illegible] بعض الحبة من ذلك الدين [illegible] تحديد الحبة [illegible] والغرض لبيان النفي [illegible] من الاعمال صغيرا كان او كبيرا [illegible] عند الله [illegible] سعد عادل

وعلى الادلة العقلية وبيان الشرايع الحكمية فمثل هذا الكتاب لا يتجاسر على انكاره
من له ادنى تمييز قوله ومن قرئ رَشَدا بفتح الراء والشين والعامة على ضم الراء وسكون
الشين وهما لغتان كالعُدم والعَدَم يقال رشد يرشد رُشدا ورشِد بالكسر يرشد
رشدا كلاهما بمعنى والاضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى ولقد اتينا بجلالتنا
وعظم شاننا ابرهيم رشدا يليق بمثله وبجاله من انتصب للرسالة وخلة الرحمن
ولو قيل الرشد او نزل الكلام خلوا من التفخيم وضمير الجماعة لما افاد الكلام هذا
التفخيم فان الرشد وان كان خلاف الغي الآن بين الرشد الموشى من ابراهيم والرشد
الذي اوتي ابرهيم عليه الصلوة والسلام بَوْنٌ بعيد قوله علمنا انه اهل لما آتيناه اي
من الرشد المفسر بالاهتداء لوجوه الصلاح في امور الدين والدنيا فيكون تعليلا لما
قبله وعلى الثاني يكون تاكيدا له لان ايتاء الاهتداء المذكور والعلم بكونه جامعا
لمحاسن الاوصاف والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل في المعنى الثاني
فانك اذا قلت في حق احد من الفضلاء انا عالم بفلان فهو كهذا في الدلالة على كونه
جامعا لوجوه الفضائل واقوى مما اذا فصلت صفات كماله قوله فان التمثال يعني انه
اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشيء بالشيء
اذا شبهته به واسم ذلك الممثل التمثال فيه عليه الصلوة والسلام لهم هذا الكلام
الدال على تحقير اصنامهم لينظر فيما يرد ونه من شبهة فيبطلها عليهم قوله ويجوز ان
يؤول اي ويجوز ان ينزل عاكفون منزلة اللازم ويجعل اللام للتعدية باحد الوجهين
قوله جواب عما لزم الاستفهام جواب عما يقال انه عليه الصلوة والسلام سألهم عن
حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم اجابوه ببيان ما حملهم على عبادتها فلا انطباق
بين السؤال والجواب وتقرير الجواب انه ليس جوابا لنفس الاستفهام بل عما لزمه من السؤال
عن المقتضي لعبادتها وذلك السؤال اللازم هو اي شيء حملكم على عبادتها مع ان شانها
الحقارة ما رايتموه والقوم لما لم يجدوا في جوابه الا طريقة التقليد فاجابوه بان آباءهم
سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتدوا به لا جرم اجابهم ابرهيم عليه الصلوة والسلام بقوله لقد
كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به قوله
ويجوز للسموات فانه ليس من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات بل هو لفظ مشترك
بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم لما سمع
ابرهيم مقالة القوم وعلم ان استهزاءهم ذلك مبني على انهم حسبوا انه عليه الصلوة والسلام
انما

فاذا علم بها بكونه اهلا للاهتداء
علمه بحقيقة الاهتداء وفيه
وان ابا عند اباه منها

قوله وفيه اشارة الى ان فعله
تعالى باختيار وحكمة وانه عالم
بالجزئيات وجه الاشارة الى
ان فعله تعالى بالاختيار هو ان
قوله تعالى وكنا به عالمين يدل
على سبق علمه ايتاء ابرهيم
رشده اي اعطاءه اياه
فدل على ان رشد ابرهيم كان
بعد ما لم يكن فيكون حادثا
والحادث لا يستند الى الموجب
بالذات على ما هو المقرر في علم
الكلام بل يستند الى الفاعل
المختار فالاختيار يدل او حدوث
الرشد وحدوث الرشد يدل
قوله تعالى وكنا به عالمين يدل
قوله عالمين على ان فعله بالاختيار
لا بطريق الايجاب كما زعمه الحكماء
يكون حجة عليهم واما وجه
الاشارة الى انه عالم بالجزئيات
فلان الضمير في قوله وكنا به
عالمين راجع الى اهلية ابرهيم
لما آتاه الله تعالى لجمعه لمحاسن
الاوصاف وذلك معنى جزئي
فهو حجة على الغافلين بان
الله تعالى ليس بعالم بالجزئيات
وانما هو عالم بالكليات
ابن محمد

انما انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب قال بل ربكم رب السموات
والارض الى كمانه قال بل ما قلته انما قلته على طريق الجد واظهار الحق وانا على ذلكم برهان على ذلكم فانه ليس
المراد من الشهادة في قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه لا شهادة من
المدعي بل استعيرت الشهادة لتحقيق الدعوى بالحجة والبرهان اي لست من اللاعبين في
الدعاوي بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذي يقطع به الدعاوي
قوله من المحققين لها اي من المتيقنين لها يقال تحققت الشيء اذا صرت منه على يقين و
الشاهد من تحقق وحققه فقوله من الشاهدين من باب التشبيه البليغ اظهر عليه الصلوة و
السلام كونه جادا فيما خاطبهم به في حق اصنامهم اولا بقوله بل ربكم رب السموات والارض ثم اكد
بذلك على ان من خلقها على هذا الوجه البديع لمنافع العباد هو الذي يحق ان يعبد لان من يقدر
على ذلك يقدر على ان يعذب وينفع في الدار الآخرة بالعقاب والثواب واظهره ثانيا بالطريقة
الفعلية المدلول عليها بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم فان قيل لماذا قال لاكيدن اصنامكم والكيد
هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به والاصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه وايضا هي
ليست مما يحتال في ايقاع الكسر عليها لان الاحتيال انما يكون في حق من له شعور اجيب
بان ذلك من قبيل التوسع في الكلام فان القوم كانوا يزعمون ان الاصنام لهن شعور ويجوز
عليهن التضرر فقال ذلك بناء على زعمهم وقيل المراد لاكيدنكم في اصنامكم لانه بذلك الفعل قد
انزل بهم الغم وقرأ العامة تالله بالتاء المثناة من فوق وقرئ بالباء الموحدة والاصل في
حروف القسم الباء لان تلك الحروف انما تدخل على المقسم به لان تلصق فعل القسم الى المقسم به
والاصل في تادية معنى الالصاق هو الباء وابدلت الواو من الباء للمناسبة بينهما من حيث
كونهما شفويتين ومن حيث ان الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الالصاق والتاء
بدل من الواو كما في وراث اصله تراث وفي التاء معنى زائد ليس في اختيها وهو التعجب في ذلك
لان المقسم عليه بالتاء يجب ان يكون امرا نادر الوقوع وان الشيء العجيب لا يكثر وقوعه والا لم يكن
عجبا ومن ثمه قل استعمال التاء الا مع اسم الله تعالى فكانه عليه الصلوة والسلام تعجب من تسهيل
الكيد على يده وتاتيه منه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته لا سيما في زمن نمرود مع عتوه
وقوة سلطانه وبعد منصوب بلاكيدن وبعد ان تولوا مدبرين حال مؤكدة لان التولي والادبار بمعنى واحد
وقرأ العامة تولوا بضم التاء والواو واللام مضارع وقرئ تَوَلَّوا وقرئ تولوا بفتحها مضارع تولى
اصله تتولوا فحذف احدى التائين ويؤيده قراءة الجميع فتولوا عنه مدبرين والمعنى بعد ذهابكم عنه
وذهابكم الى عيدكم قال السدي كان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا اذا اجتمعوا فيه رجعوا

ما ذكر من النص من ان
والاقرب تفسير كتابه عن صعوبة
نقط الكيد كونه من لوازم الصعوبة
الامر والمراد الاجتهاد في كسرها
منه

منه دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر
لابنه ابرهيم عليه الصلوة والسلام لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا فخرج معهم ابرهيم
فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس
نادى في اخرهم وقال تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اي الى عيدكم فسمعوها منه
واحتج هذا القائل عليه بقوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقال الكلبي كان
ابرهيم عليه الصلوة والسلام من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم
يتركوا الا مريضا فلما هم ابرهيم بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه اراني
اشتكي غدا وهو قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح في الغد معصوبا رأسه فخرج
القوم لعيدهم ولم يتخلف احد غيره فقال اما والله لاكيدن اصنامكم فسمع رجل منهم هذا
القول فحفظه عليه ثم اخبر به غيره وانتشر ذلك في جماعة فلذلك قال تعالى قالوا سمعنا فتى
يذكرهم الاية ثم ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام دخل بيت الاصنام وكانت في بهو عظيم
وهو البيت المتقدم امام البيوت فوجد سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب
وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق
الا الكبير ثم علق الفاس في عنقه ولم يكسره فقوله الا كبيرا استثناء من مفعول فجعلهم و
لهم صفة لكبير وضمير اليه راجع الى ابرهيم والمعنى انه فعل ذلك ثم قال في نفسه لعلهم يرجعون الي
في هذه الحادثة فاكبتهم بان اقول لهم بل فعله كبيرهم هذا او يجوز ان يرجع الى الكبير فالمعنى لعلهم
يرجعون الى الكبير قائلين ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عنقك وانما قال ذلك
بناء على كثرة جهالتهم فلعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم ويحتمل انه عليه الصلوة و
السلام قال ذلك مع علمه بانهم لا يرجعون اليه البتة استهزاء بهم ومن في قوله من فعل هذا
يحتمل ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين استئنافا لا محل له من
الاعراب ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي وعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين في محل الرفع
الرفع على انه خبر للموصول قوله تعالى يذكرهم ثاني مفعولي سمع لان سمع انما يتعدى الى واحد
اذا تعلق بالكيفية المسموعة كقولك سمعت قراءته واما اذا تعلق بالاعيان التي لا يتعلق بها
السماع فيتعدى الى اثنين فيكون فتى مفعولا اولا ويذكرهم في محل النصب على انه مفعول ثان فانه
لا يجوز لك ان تقول سمعت زيدا وتسكت حتى يذكر شيئا مما يسمع وجعله صفة ابلغ في نسبة الذكر
اليه لاستواء الوجهين في الاشتمال على نسبة الفعل الى الفاعل واختصاص الوجه الثاني بنسبة
الوصفية فيكون قوله يقال له ابرهيم صفة ثانية لفتى الا ان الفعل الاول لا بد منه لسمع لما ترى من

فنظر نظرة فكر فكرة في النجوم اي فيما نجم منها اليه وقيل نظر في النجوم رأيا بنظرة الى السماء متفكرا في نفسه كيف يحتال وقيل النجوم النبات اي في الارض وقيل اراهم انه ينظر اعتقادهم في النجوم لئلا يخرجوه وقيل كانت علوم النجوم مستقرة الى ان دخل فيها عيسى عليه الصلوة والسلام لفتله فقال سما ابن علمهم مكانه قالوا با النجوم قال اللهم توهمهم في علمها سقيم اي ساسقم كقوله انك ميت وكانوا لا يخرجون المرضى الى العيد تدبر

قرا العامة جذاذا بضم الجيم وقرئ بكسرها وفتحها وقرئ جذذا بضمتين بدون الالف بين الذالين وقرئ جذذا بضم الجيم وفتح الذال منه

فاتاهم قد جعلوا اطعاما فوضعوه بين يدي الهتهم وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الالهة في طعامنا اكلنا فلما نظر اليهم ابرهيم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين بقوته

من الكلام تقول سمعت زيدا او تسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع **قوله** هو ابرهيم على ان يكون ارتفاع
ابرهيم على انه خبر مبتداء محذوف ثم جوز ان يكون مفعول ما لم يسم فاعله بمعنى يقال له ويطلق
عليه هذا الاسم ولو اريد به هذا المسمى لما جاز قيامه مقام الفاعل لان مفعول القول لا يكون
الا جملة بخلاف ما اذا اريد بابرهيم لفظ ابرهيم فانه يجوز ان يقوم مقام الفاعل لان اللفظ
في حكم الجملة في جواز كونه مفعول القول لكون القول بمعنى التسمية كانه قيل يسمى ابرهيم واختلف
النحاة في جواز تسلط القول على المفرد الذي لا يؤدي معنى جملة وهو مقتطع من جملة ولا هو
مصدر لفعل ولا هو صفة لمصدره نحو قلت زيدا اي قلت هذا اللفظ فاجازه جماعة منهم
الزمخشري ومنعه آخرون واما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولك قلت خطبة او قصيدة
او شعرا او اقتطع من جملة كقوله اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة مما يجيء به التجار او كان
مصدرا نحو قلت قولا او صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه تسلط عليه القول اجماعا
قوله بمرئ يعني ان قوله على اعين الناس في محل النصب على انه حال من الهاء في به اي
ائتوا به وجيئوا ظاهرا مكشوفا بمرئ منهم ومنظر واورد حرف الاستعلاء بناء على
طريق التشبيه اي شبه تمثيل صورته في اعينهم باستعلاء الراكب على مركبه وتوضيح
المقام ان المعنى فائتوا به مستقرا على اعين الناس مستعليا عليها وذكر بان شبه
انطباع صورة المرئي في القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب ثم ذكر كلمة على
واريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها اعين الناس فالمراد بالاتيان
اتيان امثاله لما سمع بعض القوم قول ابرهيم عليه الصلوة والسلام وتالله لاكيدن
اصنامكم وسمعوا سبه لالهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا فتى
يذكرهم اي يعيبهم ويسبهم يقال له ابرهيم فهو الذي نظن انه الذي فعل هذا فبلغ ذلك نمرود
الجبار واشراف قومه فقالوا فيما بينهم فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه
انه الذي فعله فيكرهوا ان ياخذوه بغير بينة وقيل انه ليس من الشهادة بل هو من
الشهود وهو الحضور والمعنى لعلهم يحضرون عقوبتنا اياه **قوله** حين احضروه اشارة
الى ان في الكلام حذفا والتقدير فاتوا به فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه فعله
متجبين له اانت فعلت هذا وفي قوله انت وجهان الاول انه فاعل فعل مقدر يفسره اللفظ
بعده والتقدير افعلت هذا بالهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لا محل
للفعل الملفوظ به لانه مفسرة والثاني انه مبتداء والجملة التي بعده في محل الرفع على
الخبرية وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو ان اداة الاستفهام اذا دخلت

على الفعل يكون الشك في انه هل وقع ام لا ولا يشك في فاعله واذا دخلت على الاسم لا يكون الشك في وقوع الفعل بل يكون وقوعه متطوعا به ويكون المشكوك فيه هو الاسم الذي دخلت عليه اداة الاستفهام ويشك في انه هل هو الفاعل ام غيره فاذا قلت اقام زيد كان الشك في قيامه واذا قلت ازيد قام وجعلته مبتدا كان الشك في ان الفعل هل صدر منه او من غيره والوجه الاول هو المختار عند النحاة لان الفعل يتقدم ما يطلبه وهو اداة الاستفهام **قوله** اسند الفعل اليه جواب عما يقال كيف اسند الفعل الى كبيرهم وانه كذب لا يليق بالنبي المعصوم فاجاب عنه اولا بان اسناد الفعل اليه من قبيل اسناده الى السبب الحامل فانه عليه الصلوة والسلام لما راى الاصنام مصطفة مزينة معظمها المشركون وراى على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمزيد التواضع والخضوع اشتد بغضه وغيظه له فحمله ذلك البغض على ما فعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لا لانه هو المباشر للفعل الا انه ابقى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة،، الاصنام وكسرها ليورد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر جهلهم في عبادة الاصنام وثانيا بانه عليه الصلوة والسلام لم يقصد بلا اسناد الفعل الى الكبير ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه واثباته لا على اسلوب تعريض مع الاستهزاء بالكبير لان اثبات الفعل الدائر بين الشخصين لمن هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز واثباته للقادر منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت بل كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط وهو امي لا يحسن الخط لا يقدر الا على الخربشة الفاسدة وهي افساد الكتابة ونحوها فان قصدك بهذا الجواب تقرير الكتبة لك مع الاستهزاء بالامي لا نفيه عنك واثباته للامي وثالثا بانه لم يسند الفعل اليه اعتقادا بل اسنده حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كانه قال لهم كيف تنكرون ان يفعله كبيرهم فان حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا الفعل وعلى ما هو اعظم منه ويؤيد هذا الجواب ما حكي انه قال لهم بل فعله كبيرهم هذا، على انه غضب ان يعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها جثة واشرف جوهرا فانه لا وجه لهذا القول الا انه بان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم مذهبهم ورابعا بان اسناد الفعل الى الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد به انهم ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسئلوهم اعتراض بين الشرط والجزاء وهذا الجواب يتضمن تجهيل القوم واثبات

ابن اسحق ان غضب كبيرهم حيث عبدتم معه هذه [illegible] على انه لو كان معبودا لما رضي بعبادة هذه [illegible]

٤٧٨

واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المص بحمل جوابه عليه الصلوة والسلام على هذا المعنى لكونه تعسفا ومخالفا لظاهر النظم وخاصا بان الكذب انما يلزم على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى كبيرهم ولانه ذكر لم لا يجوز ان يكون مسندا الى ضمير فتى او ابرهيم ولما ظهر بهذه،، الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم ليس بكذب ورد ان يقال فكيف اثبت نبينا لابرهيم عليهما الصلوة والسلام ثلث كذبات وهي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي فاجاب المص عنه بانه عليه الصلوة والسلام سماها كذبات تشبيها لها بالكذب لكونها على صورة الكذب ولما الزمهم ابرهيم الزاما للحجة عليهم فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال تسألون هذا الرجل والنكم حضور فاتركوا مسئلته،، واسئلوا النكم التي بحضرتكم قراءة الجمهور نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف وقوله على رؤسهم حال اي كائنين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل المذكور قبله والنكس والتنكيس لغتان بمعنى وهو قلب الشيء ورد اخره على اوله وقرئ نكسوا بالتشديد وليس التشديد فيه للتعدية ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى المخفف وقرئ نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى هذا يكون المفعول محذوفا تقديره نكسوا انفسهم على رؤسهم قال المفسرون اجرى الله الحق،، على السنتهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم شبه انقلابهم الى الكفر والمجادلة بالباطل بعد اذعان الحق بصيرورة اسفل الشيء منقلبا الى اعلاه فعبر عنه بالنكس ثم اشتق منه نكسوا فهو استعارة تبعية وقيل المعنى انهم قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا مما بهتهم به ابرهيم فما اجابوه الا بما هو حجة عليهم حيث قالوا في جواب قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف نامرنا بسؤالهم فاقروا بهذه الحيرة التي لحقتهم وجملة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اي نكسوا قائلين والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قيل في كيفية القصة انه لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابرهيم عليه الصلوة والسلام حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فبلغ كان طول البنيان ستون ذراعا ثم جمعوا له،، الحطب الكثير حتى ان المرأة لو مرضت قالت ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه في ذلك البنيان احتسابا في دينها قيل جمعوا له اصلاب الحطب من اصناف الخشب على ظهور الدواب اربعين يوما ثم اوقدوها فلما،،

[illegible] بنصب اخو وران بانه [illegible] ابنا الاذر واذره رزا اغاثه والاذر القوة والشدة

حبس نمرود في السجن سنين [illegible] دعا اهل السجن الى الاسلام واسلم كثير منهم

ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون [illegible]

اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير في اقصى الجو لاحترق من شدة وهجها وروي
انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتي القرب منها فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل
صنعه لهم رجل من الاكراد وكان اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها
الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابرهيم عليه الصلوة والسلام فوضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا
فصاحت السماء والارض ومن فيها من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا ما في
ارضك احد يعبدك غير ابرهيم وانه يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال انه ان استغاث
باحد منكم فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه
فانه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن
الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء واتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت
النار فقال ابرهيم لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد في السماء
وانا الواحد في الارض ليس في الارض من يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وحين القي في
قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه في المنجنيق ورموه
به الى النار فاتاه جبرئيل فقال يا ابرهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي
من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم اي ذات برد وسلامة
فزال ما فيها من الحرارة والاحراق وبقي ما فيها من الاضاءة والاشراق فقيل فبردت نار
الدنيا كلها يومئذ ولم ينتفع بها احد من اهلها ويؤيده ان النار اسم للماهية فلا بد ان يحصل
هذا البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل افراد الماهية وقيل بل اختص البرد بتلك النار
لان المقصود خلاص ابرهيم عليه الصلوة والسلام لا اضرار النار بتعطيل منافعهم المتعلقة بالنار
ولو لم يقل على ابرهيم لبقيت ذات برد ابدا ولو لم يقل وسلاما بعد قوله بردا لمات ابرهيم
من بردها وقيل جعل كل شيء يطفئ عنه النار الا الوزغة فانها كانت تنفخ النار وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الوزغة وقال كانت تنفخ النار على ابرهيم قيل
ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام لما القي في النار كان فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال
ما كنت اطيب عيشا زمانا من الايام التي كنت فيها في النار وقيل لما رموه في النار اخذت الملائكة
بضبعي ابرهيم واقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق
النار منه الا وثاقه وقال ابن اسحق فبعث الله ملك الظل في صورة ابرهيم فجاء فقعد الى
جنب ابرهيم يونسه واتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه واجلسه
على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي

ثم

ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابرهيم فرآه جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه
وما حوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج
فقام يمشي حتى خرج منها سليما صحيحا قال له نمرود من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قال
ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فيها فقال له نمرود اني مقرب الى الهك بما رأيت من قدرته و
عزته فيما صنع بك واني ذابح له اربعة الاف بقرة فقال ابرهيم عليه الصلوة والسلام لا يقبل الله
منك ما كنت على دينك هذا قال نمرود لا استطيع ترك ملكي ولكن اذبحها ثم ذبحها وكف عن ابرهيم
وروي انهم لما رأوه سالما لم يحترق منه غير وثاقه قال هاران ابو لوط عليه الصلوة والسلام
ان النار لا تحرقه لانه سحر النار لكن اجعلوه على تبن واوقدوا تحته فان الدخان يقتله
فجعلوه فوق تبن واوقدوا تحته فطارت شرارة في لحية ابي لوط فاحرقته وروي ان ابرهيم
القي في النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل في تفسير قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا و
سلاما المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار باردة لا انه ثم قول من غير ان يكون هناك قول وخطاب
كقوله ان يقول له كن فيكون اي نكونه وذهب اكثر المفسرين الى ان ذلك القول قد وجد والقائل
اما جبرئيل فانه بامر الله تعالى او القائل هو الله تعالى والمصنف مال الى القول الاول حيث قال وفيه مبالغات
جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة اي وفي ورود التنزيل على هذا النظم مبالغات في
اظهار عظمة الله تعالى وكمال قدرته ونفاذ مشيته وارادته حيث عبر عن تأثير قدرته في تبريد
النار بما يدل على جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة مع انه ليس هناك امر ولا تكلم
بل ليس هناك الا تسخيرها للقدرة والارادة الا ان اثر القدرة هو كون النار باردة كونها
نفس كيفية والعبارة الدالة على هذا المعنى ان يقال ابردي الا انه اقيم كوني ذات برد مقام
ابردي ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة في الدلالة على زوال الكيفية اللازمة
والاحراق من النار بحيث يكون ذاتها كانها برد وسلام كما في قوله ترتع ما رتعت حتى اذا
ادكرت فانما هي اقبال وادبار اي ذات اقبال وادبار قوله وقيل كانت النار بحالها الا انه تعالى
خلق في جسم ابرهيم كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة
وكما ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديد المحماة وبدن السمندر بحيث لا يضره
المكث في النار ولم يرض المصنف به لان ظاهر قوله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما يقتضي ان
نفس النار صارت باردة حتى سلم ابرهيم من تأثيرها لا ان النار بقيت بحالها قوله اي من
العراق الى الشام قيل كانت واقعة ابرهيم مع نمرود بكوثى في حدود بابل من ارض العراق
فنجاه الله تعالى الى الارض المباركة ثم قيل انها مكة وقيل ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد

الاقصى الذي باركنا حوله وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى ابن فقال ببلد يملاء
فيه الجراب بدرهم وقد كان لوط النبي صلى الله عليه وسلم آمن بابرهيم بن تارخ كما قال فآمن
له لوط وكان ابن اخيه هاران بن تارخ ويقال باليحا وهو لوط بن هاران بن تارخ بن ناحور وآزر
لقب تارخ ابى ابرهيم وهاران فكان هاران اخا ابرهيم اخوين وآمنت به ايضا سارة بنت عمه
ابرهيم وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابرهيم فخرج من كوثى مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة
ملتمسا للفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم ارتحل منها
مهاجرا ونزل بفلسطين وهي برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من
مصر وعاد الى ارض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبيا الى اهلها روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر
ابرهيم اراد عليه الصلوة والسلام بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام والمقصود ترغيب الناس
في المقام بها **قوله** عطية قال الجوهري النفل والنافلة عطية ومنه التطوع من حيث انه
لا يجب ومنه نافلة الصلوة والنافلة ايضا ولد الولد والنوفل الرجل الكثير العطاء فالنافلة
المذكورة في الآية يجوز ان يحمل على العطية الواقعة تفضلا من غير ان يكون جزاء مستحقا
متفرعا على ما يدعو اليه فيكون حالا من المفعول وما عطف عليه جميعا اي وهبناهما حال كون
كل واحد منهما عطية متبرعا بها وقيل انه منصوب على انه مصدر وهبناه من غير لفظه لانه بمعنى
وهبناه هبة مبتداة ويجوز ان يحمل على ولد الولد لان يعقوب ولد اسحق عليهما الصلوة والسلام
وعلى الزيادة على ما سأل فانه عليه الصلوة والسلام سأل الله ولدا حيث قال رب هب لي
من الصالحين وهو سؤال الولد فاجاب الله دعاءه ووهب له اسحق ولدا يستأنس
به من وحشة الغربة واعطاه يعقوب من اسحق من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشيء
المتطوع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد فعلى هذا الوجهين يكون حالا من المعطوف عليه
فقط كما في قولك كل في فلك يسبحون من انه حال من الشمس والقمر فقط لعدم اللبس **قول**
ليقتدوا بهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم بيان لفائدة ما ذكر ثانيا في وجوه مدحهم
فانه مدحهم اولا بصلاحهم في انفسهم وكونهم عاملين بطاعة الله ثم باصلاحهم غيرهم
بامر ربهم وارساله اياهم لتكميل عباده ثم بان علمهم واوحى اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلوة
وتؤتى الزكوة ليتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم والظاهر ان يقول بدل قوله ليقتدوا بهم عليه ليكون
صلاحهم واصلاحهم مبنيا على العلم الا ان ترتب العلم على الايحاء لما كان ظاهرا لم يتعرض
له بل جعل فائدة الايحاء اليهم حثا لهم على فعلها فان معظم ما يوحى الى الانبياء هو التكاليف

ورد وارا وابه كيرا ان نوعا عظيما من الكيد منه

هو اخو تارخ بن ناحور

وقد كان لوط ابن عمه كانت سارة اخت لوط منه

عذي وهو ونجيناه يتعلق الى قوله بتضمين نجينا معنى اخرجنا منه

كانه قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي زيادة على الفرائض منه

هو التكاليف المتعلقة بالامة فلذلك جعل فعل الخيرات مصدرا من المبني للمفعول فانه لو جعل
من المبني للفاعل وكان مسندا الى ضمير الموحى اليهم وكان التقدير فعلهم الخيرات
واقامتهم الصلوة وايتاؤهم الزكوة للزم ان تكون هذه المذكورات من الاحكام المختصة بالموحى
اليهم وليس كذلك بل هي من التكاليف العامة التي يشترك فيها الانبياء والامم فالاصل
ان يقال واوحينا اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلوة وتؤتى الزكوة ثم فعلا الخيرات لانه
في معنى الاول لان ان مع الفعل في معنى المصدر ثم فعل الخيرات صائغ ذلك الحرف المصدري مع ما
بعده مصدرا منونا ناصبا لما بعده ثم اضيف ذلك المصدر الى مفعوله ثم خص من بين الخيرات
اقامة الصلوة وايتاء الزكوة تنبيها على مزيد فضلهما وشرفهما بالنسبة الى سائر الخيرات
قوله وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين احديهما الف الافعال والاخرى
الف المبدلة من واو اقوام يعني ان مصدر افعل يجيء على افعال فان كان صحيح العين يجيء
تاما كالاكرام وان كان معتل العين حذف منه احدى الالفين وعوض منه تاء التأنيث
فلما قيل في نظم التنزيل واقام الصلوة بدون التاء اعتذر عن حذفها بقيام المضاف اليه
مقامها وقد ورد اثباتها ايضا مع الاضافة قال يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ثم انه لما
بين اصناف ما انعم به عليهم وفاء بعهد الربوبية بين اشتغالهم بالطاعة والعبادة
وفاء بعهد العبودية فقال وكانوا لنا عابدين **قوله** ولوطا اتيناه منصوب على شريطة
التفسير اي واتينا لوطا اتيناه حكما والجملة معطوفة على قوله ووهبنا له الى جمع ابرهيم
ولوطا في قوله ونجيناه ولوطا ثم بين ما انعم به على واحد منهما فقال ووهبنا له اسحق
ثم قال واتينا لوطا وذكر الله تعالى مما اتاه من النعم اربعة امور احدها الحكم وثانيها العلم
وثالثها انجاؤه ممن يعمل الخبائث ورابعها ادخاله في اهل رحمته او جنته وان فسر الحكم
بالحكمة يراد بها ههنا اتيان ما يجب فعله ويقتضيه الادلة القاطعة والعقل المنير لامتياز
بين القوم من انه العلم الذي يتصل به العمل بما يناسبه فان عطف قوله وعلما عليها يأبى
حملها على ذلك المعنى ووجه تفسير الحكم بالنبوة كونها سببا لتنفيذ الحكم على الامة وسدوم اعظم
القرى بالمؤتفكة وهي قرية قوم لوط التي قلبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها قوله تعالى ونوحا
منصوب بالعطف على لوطا فيكون مشتركا معه في عامله الذي هو اتينا المفسر باتيناه
الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحا اتيناه حكما وعلما وداود وسليمان اتيناهما
وعلى هذا يكون اذ بدلا من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال ويجوز ان يكون نوحا
منصوبا باضمار اذكر اي اذكر نوحا وداود وسليمان اي اذكر خبرهم وقصصهم وعلى

هذا لكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدر اي جرمهم الواقع نحو وقت كذا او كذا قوله سبحانه
ونصرناه مطاوع انتصر يعني ان نصرنا هنا بمعنى منعنا الذي يطاوعه انتصر بمعنى امتنع قال
الله تعالى هل ينصرونكم او ينتصرون اي هل يمنعونكم او يمتنعون والحال ان نصر ههنا بمعنى منع
لا بمعنى اعان ويدل عليه تعديته بمن فان نصر بمعنى اعان يتعدى بعلى يقال نصره الله تعالى على عدوه
فلما قيل ههنا ونصرناه من القوم اي من مكروه القوم علم ان المعنى ومنعناه وحميناه
منهم ومنه قوله تعالى فمن ينصرنا من بأس الله تعالى اي من يعصمنا من عذابه والانتصار
كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام ايضا قوله رعته ليلا النفش ان ينتشر الغنم
ليلا ترعى بلا راع من باب دخل وضرب جميعا وانفشها صاحبها اذا تركها ترعى كذلك قال
الشاعر فيها الليلة من انفاش قال المفسرون دخل رجلان على داود وعنده ابنه
سليمان عليهما الصلوة والسلام احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب
الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئا فقال لك رقاب الغنم فقال
سليمان او غير ذلك ينطلق اصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من البانها ومنافعها ويقوم
اصحاب الغنم على الحرث حتى اذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء
حرثهم فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك واكثر المفسرين على ان الحرث كان كرما قد
تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا كذا في الوسيط وجمع الضمير في حكمهم لكونه عبارة
عن الحاكمين والمتحاكمين اليهما جميعا فان قيل كيف يجوز ان يجعل الضمير لمجموع الحاكمين و
هو يستلزم اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف يضاف
الى احدهما فقط لان اضافته الى الفاعل على سبيل القيام به واضافته الى المفعول على
سبيل الوقوع عليه فهما معنيان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملا فيهما معا وايضا انه
يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان اضافته الى الفاعل حقيقة والى المفعول مجاز
فالجواب ان هذه الاضافة لمجرد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف اليه فاعلا
او مفعولا على طريق عموم المجاز كانه قيل كنا شاهدين للحكم المتعلق بهم ويجوز ان يحمل
الحكم بمعنى القضية لا بالمعنى المصدري حتى يلزم ما ذكر كانه قيل كنا شاهدين للقضية الواقعة
بينهم من اصابة احد الحاكمين وخطاء الآخر واستيفاء كل واحد من المتحاكمين حقه على
النهج المستقيم قوله وعلمهما فالاجتهاد اثبات بعض العلماء قال بجواز الاجتهاد للانبياء
ليدركوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار والانبياء عليهم الصلوة
والسلام ائمة اولي الابصار وافضلهم فكيف لا يجوز لهم الاعتبار مع ان الاستنباط

فصل المراد من هذا النداء دعاؤه
على قومه بالعذاب ويدل على ذلك
قوله اني مغلوب فانتصر وقوله
رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وبوكذا قوله تعالى فنجيناه
له فنجيناه فدل ذلك على ان دعاءه
ونداءه كان بان ينجيه مما لحقه
من جهتهم من الاذى بسبب
تكذيبهم وردهم عليه واتفق
المحققون على ان ذكر النداء
كان بامر الله تعالى لانه لو لم يكن

ارفع

ارفع درجات العلماء فوجب ان يكون للانبياء نصيب منه والا لكان كل واحد من
المجتهدين افضل منهم في هذا الباب ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلوة والسلام العلماء ورثة
الانبياء فانه يستلزم ان يكون درجة الاجتهاد ثابتة للانبياء ليرث العلماء عنهم ذلك ومنهم
من لا يجوز لهم الحكم بالاجتهاد ويقول انهم مستغنون عنه بالوحي فان الاجتهاد انما يصار اليه
عند فقد النص والنص ليس بمفقود في حق الانبياء فلا يجوز لهم الاجتهاد عند اكثر المعتزلة
بخلاف اهل السنة فانهم يجوزون لهم الحكم بالاجتهاد فجاز ان يجتهد او يكون اجتهاد سليمان
اشبه بالصواب فرجع ابوه داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه لان الحكم الواقع
بالاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر ويجوز ان يكون الثاني وحيا ورد ينقض به الحكم
بالاجتهاد وقيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان واختار المصنف
انهما حكما بالاجتهاد لا بالوحي لانهما لو حكما بالوحي لما اختص سليمان بقوله تعالى ففهمناها سليمان
بخلاف ما اذا كانا بالاجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابا او اصوب فانه يجوز ان يقال في حقه
ففهمناها سليمان ولما كان الاجتهاد في نفسه مفتقرا الى العلم ولا يصح بدونه قيل وكلا آتينا
حكما وعلما فان قيل لو كانا بالاجتهاد لما نقض حكم سليمان حكم داود لان الاجتهاد لا ينقض
الاجتهاد فتعين انهما كانا بالوحي والجواب انه يحتمل انهما اجتهدا وكان اجتهاد سليمان
اشبه بالصواب فرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه وقد روي في الاخبار
الكثيرة ان داود عليه الصلوة والسلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان
عليه الصلوة والسلام ان غير ذلك اولى وروي ان داود ناشده وقال له بحق النبوة و
الابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث الخ
والاول اي حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى في العبد
الجاني فانه اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى ولي الجناية بذلك او يعطي ارش جنايته
فان موجب جناية العبد عنده صيرورة العبد جزاء جنايته تلك الجناية او كثرت
وللمولى ان يختار الفداء بالارش فكذا الحال في حادثة الحرث فان الغنم فيه بمنزلة العبد الجاني
فكانت نفس الغنم جزاء لجنايتها وقال سليمان لا يزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين
ملكه بان يدفع الغنم الى اهل الحرث لينتفعوا بها بازاء ما فات عنهم من الانتفاع بالحرث الى
ان يعود ما طرأ على الحرث من النقص والضرر ويعمر كما كان ونظيره قول الشافعي فيمن
غصب عبدا فابق من يده فانه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول انه يقضي قيمة العبد
ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد

فاذا ظهر العبد ترادّ البناء ملك كل واحد منهما فيما فات عنه وحيل بينهما **قوله** الا ان يكونه
منها حافظا اى الا ان يكون مع البهيمة سائقها او قائدها فانه يضمن ما اتلفته وهو سائقها او
قائدها او الذى اتلفته بعد انتهاء سوقها او قودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلوة والسلام جرح
العجماء جُبارٌ اى هدر والشافعى يوجب ضمان ما اتلفته ليلا لما روى فى الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ناقة لرجل ضاربة دخلت حائط رجل فافسدت ما فيه فتكلم النبى صلى
الله عليه وسلم فيها فقضى ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشى بالليل على اهلها
وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل فروى ايضا انه عليه الصلوة والسلام
قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شىء ولعل ابا
حنيفة رحمه الله تعالى يجعله منسوخا بما جاء جرح العجماء جبار **قوله** دليل على ان خطاء المجتهد مما
لا يقدح فيه ان لا يجعله آثما من حيث انه تعالى وان اثنى على سليمان بان اصابه حيث قال
ففهمناها سليمان لكنه تعالى اثنى على المخطى ايضا بعلمه المؤدى الى الاجتهاد ولو تأثم بخطائه
لما اثنى عليه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما فان العلم المؤدى الى الاثم والعقاب لا يكون سببا
للاستنان به والمدح بسببه اختار المصنف قول من ذهب الى ان المجتهد يخطى ويصيب وان داود
وسليمان عليهما الصلوة والسلام قالا بالاجتهاد الا ان داود اخطا واصاب سليمان
وانه يجوز الخطاء على الانبياء الا انهم لا يقرون عليه واما العلماء فلهم الاجتهاد فى الحوادث
اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة فاذا اخطأوا فلا اثم عليه روى انه عليه الصلوة والسلام
قال اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد واخطأ فله اجر يعنى انه
يوجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة لا انه يوجر على الخطاء والا ان الاثم فى الخطأ
موضوع اذا لم يأل جهده فى اصابة الحق والحاصل ان فى كل حادثة حكما معينا عند الله تعالى عليه
دليل قطعى او ظنى فمن وجده اصاب ومن فقده اخطأ ولم يأثم فان قيل لو تعين الحكم فالمخالف
له لم يحكم بما انزل الله تعالى فيفسق ويكفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الاية فالجواب انه لما
امر بالحكم بما ظنه وان اخطأ فقد حكم بما انزل الله وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لا ينافى
ان يكون البعض منهم مخطئا لان خطاء المجتهد لا يوجب ان لا يكون له علم وحكم فان كل مجتهد
لا بد ان يكون عالما قادرا على استنباط الاحكام من النصوص اذ لو لم يكن عالما بالغا الى مرتبة
الاجتهاد لم يجز له ان يجتهد ويحكم باجتهاده **قوله** وقيل على ان كل مجتهد مصيب فيما عليه من
الاجتهاد فى الحادثة كما ذهب اليه ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى قال صاحب الكشاف وفى
قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل ان الاصوب مع سليمان وفى قوله وكلا آتينا حكما وعلما
دليل

فانه يدل على انه اذا اختلف
اجتهاد المجتهدين فى حادثة
كان الحق مع واحد لا بعينه
ولو كان كل واحد منهما
مصيبا كما ذهب اليه بعض
الائمة الحنفية لم يكن
لهذا التقسيم معنى
منه

دليل على انهما جميعا على الصواب ووجه الاستدلال انه لو كان المصيب واحدا منهما وكان
مخالفه مخطئا لما صح ان يقال وكلا آتينا حكما وعلما وفيه انه انما يكون دليلا على كونهما من اهل
الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبا وانما يدل عليه لو قيل وكلا آتينا حكما وعلما
بما حكم الله به فى تلك الحادثة وليس نظم التنزيل هكذا فيجوز ان يكون المراد به آتيناه علما
بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام وهو لا يستلزم كونه مصيبا للدليل الذى اقامه الله تعالى ليدل
على ما حكم به فى تلك الحادثة وايضا القول بان كل مجتهد مصيب مخالف لما يفهم من قوله تعالى
ففهمناها سليمان فانه يدل بطريق المفهوم على ان داود لم يفهم الحكم الذى هو الحكم عند الله تعالى
وانه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبا فى حكمه واجتهاده المؤدى اليه ثم اشار بقوله ولولا
النقل الى الجواب بما يقال لا نم ان القول المذكور مخالف لمفهوم قوله ففهمناها سليمان وانما يخالفه
ان لو كان داود وسليمان قد اختلفا فى الحكم وليس كذلك لما روى عن ابى بكر الاصم انه قال
انهما لم يختلفا فى الحكم البتة بناء على انه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان واتفقا على ذلك
الحكم ولما ورد ان يقال لو اتفقا فى الحكم بتفهيم الله تعالى اياهما ذلك لكان الظاهر ان يقال ففهمناها
اياهما ولا يخص سليمان بالذكر اراد دفعه بقوله على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه
فى صغره يعنى ان الاصل على تقدير التوافق ان يقال ففهمناها اياهما الا ان سليمان لما اختص
بصغر السن والفهم منه اغرب خص بالذكر اظهارا لما تفضل عليه فى صغره وتقرير ما اشار
اليه بقوله ولولا النقل لاحتمل توافقهما ان احتمال التوافق بناء على ان تخصيص سليمان بالذكر
للظهار ما تفضل عليه فى صغره ينفيه ما نقل انهما قد اختلفا فى القول والحكومة فان الصحابة رضى
الله عنهم قد اتفقوا على ان داود قال لصاحب الحرث اذهب فان الغنم لك فلما خرج الخصمان
من عنده مرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه بما قضى به فقال عليه الصلوة والسلام
لو كنت انا القاضى لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر
داود بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضى بينهما على الرواية الثانية انه دعا سليمان فقال
له بحق النبوة والابوة الا اخبرتنى بالذى هو ارفق بالفريقين فقال ان يسلم الغنم الى صاحب
الحرث حتى ينتفع بمنافعها وان يعمل صاحبه فى اصلاح الحرث حتى يصير كما كان ثم يرد الغنم
الى صاحبها والحرث الى صاحبه ولا يخفى ان اجماع الصحابة فى بيان كيفية القصة على الوجه
المذكور ينفى احتمال توافقهما فى الحكم لما يبق الا تعالى آتاه داود وسليمان عليهما الصلوة و
السلام ذكر ما خص به داود فقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن العامل فى مع يسبحن وهو
نظير قوله يا جبال اوّبى معه ويسبحن حال من الجبال او قيل الواو فيه بمعنى مع كذا اعربه
والطير معطوفا على الجبال او

اخبرنا عبد الواحد بن احمد
المليحى انا احمد بن عبد الله
النعيمى انا محمد بن يوسف
انا محمد بن اسمعيل الجعفى
سمع ابا هريرة يقول انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت امرأتان معهما ابناهما
جاء الذئب فذهب بابن
احديهما فقالت صاحبتها
انما ذهب بابنك وقالت
الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما
الى داود عليه الصلوة والسلام
فقضى به للكبرى فخرجتا على
سليمان عليه الصلوة والسلام
فاخبرتاه فقال ائتونى بالسكين
اشقه بينهما فقالت الصغرى
لا تفعل يرحمك الله هو ابنها
فقضى به للصغرى مسلم

[illegible]

ابو البقا، وان جعل يسبحن استينافا جوابا لمن قال كيف سخرهن تكون قوله مع داود
حالا من الجبال اي سخرنا الجبال كائنة مع داود والمراد بكونها معه اما تسبيحها مع تسبيحه واما
سيرها مع سيره على ان تكون يسبحن من المشدد بمعنى يسحن الثلاثي من السبح الذي هو السباحة
نقل الى باب التفعيل للتكثير ولو لم يقصد الكثرة لقيل اسبحن ويسبحن وان كان من التسبيح
بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح خلقه فانهن يسبحن الله تعالى ويذكرنه بدلالة
الحال قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا ان التسبيح بهذا
المعنى لا يختص بالجبال وان تسبيح الجبال لا يختص بكونها مع داود ولعل وجه التخصيص
انه عليه الصلوة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال وما فيها من الاحجار والاشجار فيزداد
يقينا وتعظيما ونشاطا في التسبيح والتقديس واشباه ما اليه ويدل عليه ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر مع ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل
على نفي الحكم عما عداه ويحتمل ان يكون المراد بتسبيح الجبال معه ان يتمثل له صوت التسبيح
من جهتها على طريق انعكاس الصدا من الاجرام الصقيلة العالية كما روي عن وهب
انه قال كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح ويجوز ان تسبح الجبال بان يخلق الله تعالى فيها الكلام فان
المتكلم والمسبح عند اهل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلا لهما لا من يوجدهما
بخلاف المعتزلة فان المتكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جمادات لا يصح منها الفعل
ولا يصح اسناد التكلم اليها بان يخلق الله تعالى فيها الكلام لان المتكلم ح هو الله تعالى لا الجبال
على زعمهم قوله وقيل يسبحن معه عطف على قوله يقدسن قوله وقرئ بالرفع اي برفع
الطير على انه مبتدا حذف خبره اي والطير مسخرات ايضا او على انه معطوف على الضمير
المرفوع المتصل في يسبحن وهو ضعيف لانه لم يؤكد ولم يفصل بينهما واجاز الكوفيون مثله
من غير استقباح ويجوزه البصريون ايضا لكن على قبح قوله وهو في الاصل اللباس
اي مطلق ما يلبس درعا كان او غيره حتى استعمل في البيت فيما هو شبيه باللباس الحقيقي
وقوله البس بكسر الهمزة وفتح الباء من لبست الثوب لبسا بضم اللام من باب علم لا من قولك
لبست عليه الامر لبسا بفتح اللام من باب ضرب بمعنى خلطت وتمام البيت اما نعيمها
واما بؤسها اي البس لكل حالة ما يلائمها ويصلح لها وليس المراد لبس ما هو ثوب حقيقة
بل المراد اعد لكل زمان ما يليق به وكانت الدرع قبل داود عليه الصلوة والسلام صفائح
اي قطع حديد عراضا فاول من سردها وحلقها داود فجمعت بين الخفة والتحصين
والمعجزة فيه انه عليه الصلوة والسلام فعل ذلك من غير استعانة باداة والة من

واختار المصنف انه متعلق بسخرنا
واسناد يسبحن الى ضمير الجبال
بائية بهذا الاختصار لان المعنى
سخرنا بها لان كلمته مع تفيد
مصاحبة مجرورها للمعمول متعلقا
فالظاهر ان يقال يسبحان بكنا د
النعلي الى ضمير داود والجبال الا
ان يجعل يسبحن على تغليب الجبال
على داود وهذه الركاكة لا
يلزم على تقدير ان تكون مع داود
متعلقا بمحذوف على انه حال من
الجبال ثلث مد سلمه

من نحو الكبر والنار والمطرقة كما قال تعالى والنا له الحديد قوله بدل منه بمعنى ان لام
كي في قوله ليحصنكم متعلق بعلمناه كما تعلقت به اللام التي في لكم فلما ورد ان يقال كيف
يجوز ان يتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد اجاب عنه بانه بدل منه كما
في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال لان ليحصنكم في تاويل
لاحصانكم وبين الاحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال وقرا نافع وابن كثير وحمزة
والكسائي وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت وباسناد الفعل الى داود او الى اللبوس و
قرا حفص وابن عامر بالتاء من فوق على اسناده الى الصنعة او اللبوس على
تاويله بالدرع وقرا ابو بكر وورش بنون العظمة جريا على طريقة علمناه والباس
ههنا الحرب وان وقع على السوء كله والمعنى ليمنعكم ويحرسكم من مكاره باسكم كالقتل و
الجرح بنحو السيف والسهم والرمح الجوهري الباس العذاب والبائس الشدة في الحرب
تقول منه بؤس الرجل يبؤس باسا اذا كان شديد البائس والخطاب المدلول
عليه بقوله لكم ليحصنكم من باسكم فهل انتم لهذه الامة من اهل مكة ومن بعدهم الى
يوم القيمة اخبر الله تعالى ان اول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارث الناس
عنه فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق الى اخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على
هذه النعمة فلذلك اوجبهم الشكر بقوله فهل انتم شاكرون اي اشكروا الله على ما يسر عليكم
هذه الصنعة وحرسكم بها من مضار البائس والحرب قال محيي السنة يقول لداود واهل
بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمتي بطاعة الرسول انتهى كلامه يريد ان الخطاب
المذكور يجوز ان يكون لداود ولاهل بيته بتقدير القول اي فقلنا لهم بعد ما انعمنا عليهم بهذه
النعم هل انتم شاكرون ما اعطي لكم من النعم التي ذكر من تسخير الجبال والطير والانة الحديد
وعلم صنعة اللبوس قوله امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع فان تقريع
الاستفهام عن مباشرة الفعل بعد بيان ما يوجب مباشرته ابلغ في ايجابه من الايجاب بصورة
الامر لتضمنه التقريع على تركه بعد تحقق ما يوجبه ومثله كثير ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون
قيل ان داود عليه الصلوة والسلام خرج يوما متنكرا اي على غير زيه وعادته في خروجه طالبا
من يسأل عن سيرته في مملكته فاستقبله جبرئيل على صورة ادمي ولم يعرفه داود فقال كيف
ترى سيرة داود في مملكته فقال جبرئيل نعم الرجل هو لولا ان فيه خصلة واحدة قال وما هي قال
بلغني انه ياكل من بيت المال وليس شيء افضل من ان ياكل الرجل من كد يده فرجع داود وسال
الله تعالى ان يجعل رزقه من كد يده فالان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل

من ذلك فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وبنا علمناه بالوحي صنعة لبوس ثم انه تعالى لما ذكر
النعم التي خص بها داود ذكر بعده النعم التي خص سليمان بها فانه تعالى ورث سليمان من داود عليهما
الصلوة والسلام ملكه ونبوته وزاده عليه امرين سخر الريح والشياطين فقال ولسليمان
الريح والعامة على نصب الريح بعامل مقدر اي وسخرنا الريح لسليمان وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر الجار قبله وعاصفة حال من مفعول سخرنا المقدر على قراءة من نصب ومن فاعل الاستقرار
الذي تعلق به الخبر على قراءة من رفع والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللين قوله
ولعل اللام فيه دون الاول جواب عما يقال ما الفائدة في تخصيص داود بلفظ مع وسليمان
باللام حيث قال في داود وسخرنا مع داود الجبال وقال في حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح
وروعي هذا الاسلوب ايضا في قوله تعالى يا جبال اوبي معه وقال وسخرنا له الريح تجري بامره رخاء
وتقرير الجواب ان ما كان خارقا في حق كل واحد منهما وان كان معجزا اشترك به صاحبه الا ان
سليمان لما كان مستخدما لما هو معجز له استخدام المالك لمملوكه بخلاف معجز داود فانه انما تشرف
به من حيث موافقته له في التسبيح وليس نسبة معجزة داود اليه كنسبة المملوك الى مالكه نسب قوله
معجز سليمان اليه بلام التمليك ولم ينسب معجز داود اليه بتلك اللام تبعد بكرسيه الباء فيه
للتعدية يعني انها تعمل عمل الريح العاصفة مع كونها لينة في نفسها فانه كان منزله عليه الصلوة و
السلام كان بالشام وكانت الريح تحمله من نواحي الارض اليها في مدة يسيرة بعد ما سار
بها بكرة وكانت تذهب به غدوة من الشام الى ناحية من نواحي الارض بينها وبين
الشام مسيرة شهر الى وقت الزوال ثم ترجع به منها بعد الزوال الى الشام عند الغروب
كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر والرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت
من زوال الشمس الى الليل وقد يكون مصدرا تقول راح رواحا وهو نقيض قولك غدا يغدو
غدوا قال الحسن لما اشتغل الخيل بني الله سليمان حتى فاتته صلوة العصر غضب لله فعقر الخيل
فطفق مسحا بالسوق والاعناق فابدله الله تعالى مكانها خيرا منها واسرع وهو الريح تجري
بامره حيث شاء وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيبيت بارض الشام
قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ من ذهب في ابريسم وكان
يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلثة الاف كرسي من ذهب
وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول
الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا
البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى المغرب وكان عليه الصلوة

فصل في قصة ذكر المفسرون ان ايوب عليه الصلوة والسلام كان اغنى اهل زمانه وكان كثير الاحسان فقال ابليس
يا رب سلطني على ماله وولده وكان له ثلثة عشر ولدا فان فعلت رايته كيف يطيعني ويعصيك فقيل له قد سلطتك على
ماله وولده فرجع ابليس فجمع شياطينه ومردته فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوا حتى قذفوها في البحر وجاء
ابليس في صورة قيمه فقال يا ايوب الا اراك تصلي وقد اقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابك ورعاتها حتى قذفتها في البحر
فلم يرد عليه شيئا حتى فرغ من صلوته ثم قال الحمد لله الذي رزقني ثم قبله مني فانصرف خائبا وارسل بعض الشياطين
الى جنانه وزرعه فاحرقوها فقال مثل ذلك فارسل بعض الشياطين فنزلوا منازل ايوب وفيها خدمه وولده فاهلكهم
وجاء فاخبره فحمد الله وقال لابليس وهو بلطفه فيهم في ماله لو كان فيكم خيرا لتبعك معهم فانصرف خائبا فقيل له كيف
رايت عبدي ايوب قال يا رب سلطني على جسده فسوف ترى فقيل له قد سلطتك على جسده فجاء فنفخ في ابهام قدمه فاشتعل
منه مثل النار ولم يكن في زمانه اكثر بكاء منه خوفا من الله فلما نزل به البلاء لم يبك مخافة الجزع وبقي لسانه للذكر
للمعرفة والشكر وكان يرى معاه وعروقه وعظامه وكان مرضه انه خرج في جميع جسده ثاليل كاليات الغنم ووقعت
به حكة لا يملكها فحكها باظفاره حتى سقطت ثم بالمسوح ثم بالحجارة فانتشر جسمه وتقطع واخرجه اهل القرية فجعلوا
عريشا على كناسة ورفضه الخلق سوى زوجته واسمها رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف
بما يصلحه وروى ابو بكر القرشي عن الليث بن سعد قال كان ملك يظلم الناس فكلمه في ذلك جماعة من الانبياء وسكت
ايوب لاجل خيل كانت له في سلطانه فاوحى الله اليه تركت كلامه من اجل خيلك لاطيلن بلاءك، واختلفوا في مدة لبثه
في البلاء على اربعة اقوال احدها ثماني عشرة سنة رواه انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم والثاني سبع سنين
ابن عباس وكعب ويحيى بن ابي كثير والثالث سبع سنين وسبعة اشهر قاله الحسن والرابع ثلث سنين قاله وهب
سبب سؤال الرحمة والعافية اثنا عشر قولا احدها انه اشتهى ادما فلم تصبه امراته حتى باعت قرنا من شعرها
على ذكر قال مسني الضر رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما والثاني ان الله تعالى انساه الدعاء مع كثرة ذكر الله فلما انتهى
اجل البلاء يسر الله له الدعاء فاستجاب له رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما والثالث ان نفرا من بني اسرائيل
به فقال بعضهم لبعض ما اصابه هذا البلاء الا بذنب عظيم فعند ذلك قال مسني الضر قاله ابو يوسف البكالي وقال عبد الله
عبيد الله بن عمير كان له اخوان فاتياه يوما فوجدا ريحا فقالا لو كان الله علم منه خيرا ما بلغ به كل هذا فما سمع
اشد عليه من ذلك فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت ليلة شبعان وانا اعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان
ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصا وانا اعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان فخر ساجدا ثم قال اللهم
لا ارفع راسي حتى تكشف ما بي فكشف الله ما به والرابع ان ابليس جاء الى زوجته بسخلة فقال ليذبح ايوب هذه لي وقد برا
فجاءت فاخبرته فقال ان شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله ثم طردها عنه فذهبت فلما راى
وطعام له ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال مسني الضر قاله الحسن والخامس ان الله اوحى اليه وهو في عنفوان
الى مبتليك قال يا رب فاين يكون قلبي قال عندي فصب عليه من البلاء ما سمعتم حتى اذا بلغ البلاء منتهاه اوحى اليه
معافيك قال يا رب واين يكون قلبي قال عندك قال مسني الضر قاله ابراهيم بن شيبان والسادس ان الوحي انقطع عنه اربعين
يوما فخاف هجران ربه فقال مسني الضر وهذا قول جعفر بن محمد الصادق والسابع ان دودة سقطت فلم يقدر على النهوض
فقال مسني الضر اخبارا عن حاله لا شكوى لبلائه رواه انس رضي الله عنه مرفوعا والثامن ان دودة مما وقع فيه قصدت قلبه
فخشي ان ينقطع عن الذكر فقال مسني الضر والتاسع انه انما قال ذلك لشماتة الاعداء وقد سال بعد العافية فقيل ما اشد
بك فقال شماتة الاعداء والعاشر ان ابليس قال لزوجته اسجدي لي حتى ارد عليك المال والاولاد وعافي زوجك فا
فعلت بكم هذا فاخبرت ايوب فقال مسني الضر والحادي عشر ان امراته كانت تدور في القرية تعمل للناس وتجيء بالذي
فلم تشغلها احد ذات يوم فباعت قرنا من راسها برغيف فاتته به فقال اين قرنك فاخبرته بذلك فحينئذ قال مسني الضر قال
وهب وغيره والثاني عشر انما قال ذلك حين وقعت دودة من فخذه فرفعها وردها الى موضعها وقال كلي لقد جعلني الله
من طعامك فعضته عضة شديدة زاد المها على جميع ما قاسى من عض الديدان حكاه الثعلبي وغيره

تمامه

٤٨٤

الصلوة والسلام امراء فلما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض ملكا الا اتاه
ودعاه الى الحق **قوله** ومن عطف بغي من في من يغوصون سواء كانت موصولة او نكرة
موصوفة يجوز ان يكون في محل النصب بالعطف على الريح اي وسخرنا له من يغوصون ويد خلون
تحت البحر وان يكون في محل الرفع على الابتداء والخبر الجار والمجرور قبله وجمع الضمير العائد
اليه حملا على معناه وحسن ذلك تقدم الجمع في قوله الشياطين وقوله دون ذلك صفة لعملا
والمراد بحفظ الشياطين حفظهم من ان يعصوا او يتمردوا عليه كما قال ومن يزغ منهم عن
امرنا نذقه من عذاب السعير وقيل المراد حفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وروي ان سليمان كان
اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اجعله مشغولا بعمل
اخر لئلا يفسد ما عمله وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل اخر
خربوا ما عملوه وافسدوه قال الامام الرازي في تفسيره ان الجبائي سال نفسه وقال كيف
يتهيا لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لطيفة لا يقدرون على العمل الثقيل وانما يمكنهم
الوسوسة واجاب بانه سبحانه كثف اجسامهم خاصة وقواهم وزاد في عظمهم ليكون
ذلك معجزة لسليمان فلما مات سليمان ردهم الله الى الخلقة الاولى لان ابقاء الحكمة الداعية الى
تغيير خلقتهم ثم قال الامام واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجن
من الاجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز ويكون الجن منهم فان قلت
لو كان الامر كذلك لكان مثلا للبارئ تعالى ولوجب ان يتميز البارئ عنهم بمميزه عنهم فيلزم
تركب الواجب قلت هذا ضعيف لان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزوم
فكيف في اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لا يجوز حصول القدرة على هذه الاشياء
الشاقة في الجسم اللطيف وكلامه مبني على ان البنية شرط فيه وليس في يده الا الاستقراء
الضعيف سلمنا انه لا بد من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت بانه لا بد من ردها الى الخلقة
الاولى بعد موت سليمان فان زعمت ان ابقاءهم على الخلقة الثانية يفضي الى التلبيس
اي تلبيس المتنبي على الخلق بان يدعي النبوة ويجعل ذلك معجزة لنفسه قلت يفضي الى
التلبيس وللخلق ان يقولوا لم لا يجوز ان يكونوا مخلوقين كذلك او يكون قوة اجسامهم
معجزة لنبي اخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن المتنبي من الاستدلال به على نبوته
قوله وايوب اذ نادى ربه كقوله تعالى ونوحا وما بعد هذا الوجهين المذكورين اي وكذلك
اتينا ايوب حكما وعلما او واذكر ايوب اي اذكر خبره اذ نادى وقد كان الله تعالى قد اصطفى
ايوب واستنباه وبسط له من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل

اعلم ان اجسام هذا العالم اما كثيفة او لطيفة اما الكثيف فاكثف الاجسام الحجارة والحديد وقد جعل الله تعالى
معجزة لداود عليه الصلوة والسلام فانطق له الحجر والان الحديد وكل واحد منهما كما يدل على التوحيد
والنبوة يدل على صحة الحشر لانه لما قدر على احياء الحجارة فانه يقدر على احياء العظام الرميمة واذا
قدر على ان يجعل الاصبع اداة قوة النار مع كون الاصبع في غاية اللطافة فان لا يبعد ان يجعل التراب اليابس
جسما حيوانيا وانطق الاشياء في هذا العالم الهواء والنار وقد جعلهما الله معجزة لسليمان
عليه الصلوة والسلام اما الهواء فقوله وسخرنا له الريح واما النار فلان الشياطين مخلوقون من
النار وقد سخرهم الله ثم كان يامرهم بالغوص في الماء و هم ما كان يغرقهم وذلك يدل على
قدرته واظهار الضدين الضد
كبير

والحمير والبساتين ولم يكن في اهل عصره احدا افضل منه في كثرة الاموال والاولاد
من الرجال والنساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف
ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلثة نفر قد امنوا به وعرفوا فضله وكان احدهم من
اليمن اسمه اليفن ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد وللآخر صافر وكانوا
كهولا فابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الابل مع رعاتها بان ثار من تحت الارض اعصار
من نار لا يدنو منه احد الا احترق فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها فجاء
ابليس عليه اللعنة في زي بعض الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من
الصلوة قال يا ايوب هل تدري ما صنع ربك الذي اخترته احرق ابلك ورعاتها فقال
ايوب انها ماله اعارنيه فهو اولى به اذا شاء نزعه قال ابليس وصار الناس مبهوتين
متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان ايوب شيئا وكان الا في غرور ومنهم من يقول
لو كان اله ايوب يقدر على شيء يمنع من وليته ومنهم من يقول هو الذي فعل ما فعل
ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال ايوب عليه الصلوة والسلام الحمد لله حين
اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود في التراب
وعريانا احشر الى الله عز وجل ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك
الارواح وصرت شهيدا واجرني منك ولكنه علم منك شرا فاخرك ثم ابتلاه الله تعالى
باهلاك ماله من الغنم ورعاتها بان سقط عليها من صاح صيحة فماتت جميعا ومات
رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بصورة قهرمان الرعاة الى ايوب فقال له مثل قوله الاول ورد
عليه ايوب مثل رده الاول فرجع ابليس صاغرا ذليلا ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك سائر
امواله من الخيل والحمير والبقر والبساتين وحراسها ومن يقوم عليها حتى اهلك اهله
واولاده جميعا قيل كان له سبعة بنين وثلث بنات وقيل سبعة بنات وكلما هلك
صنف منها جاء ابليس الى ايوب فاخبره بذلك واجتهد في ترقيق قلبه وحمله على الجزع
والشكوى وترك الصبر فصبر ولم يجزع واسترجع وفوض الامر الى مالك الملك وقيل
لما سمع بهلاك اهله واولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على
راسه وقال ليت امي لم تلدني فتدارك الامر مع ساعته فندم على ما فعل واستغفر و
تاب ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه فيخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات
الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره كلها ثم حكها
بالمسوح الخشنة حتى اذا لم يجد فيها شيئا حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتى تقطع
لحمه

لحمه ونغير وانتن فاخرجه اهل القرية منها وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا
هناك ورفضه الناس كلهم خوفا من العدوى الا امراته فانها التي كانت تصلح اموره و
تختلف اليه بما يصلحه وتجارح اليه فيلان ابليس لما راى ان ايوب عليه الصلوة والسلام
كلما اشتد عليه انواع المكاره والبلايا لم يزد به الا صبرا وحمدا لله تعالى انطلق
حتى اتى امراته فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله تعالى قالت هو ذا يحك
قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمع منها هذه الكلمة طمع ان تكون هي كلمة
جزع فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعيم والمال وذكرها جمال زوجها ايوب و
شبابه فصرخت علم ان قد جزعت واتاها بسخلة فقال ليذبح هذه ايوب لي فيبرا فجاءت الى
ايوب تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك الا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين
الصديق اين اللون الحسن اين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان
اذبح هذه السخلة لابليس واسترح قال لا ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك فاجبتيه ويلك ارايت
ما ابتلينا به من البلاء ولا تذكرين ما كنا فيه من الرخاء قال فكم متعنا الله تعالى بنعمائه قالت
ثمانين سنة قال فكم مدة ابتلينا بهذا البلاء قالت سبع سنين وسبعة اشهر قال ويلك يا
انصفت ربك الا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله ان
شفاني الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله تعالى وحرام علي ان اذوق بعد
هذا شيئا من طعامك وشرابك الذي تاتيني به فطردها فذهبت فلما نظر ايوب في شانه و
ليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امراته خر ساجدا وقال رب اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فقال عز وجل يا ايوب ارفع راسك فقد استجبت لك وردت لك مالك وولدك ومثلهم معهم ليكون لمن خلفك آية و
يكون عبرة لاهل البلاء وقدوة للصابرين واركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
فيه شفاء لك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله
فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة ولا جراحة الا سقطت منه
وبرئ ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء
الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار احسن ما كان عليه ثم كسي حلة فلما
قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد اضعفه الله تعالى حتى ذكر
ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده الى نفسه
فاوحى الله تعالى اليه يا ايوب الم اغنك عما تفعله قال بلى ولكنه من فضلك ومن نعمك فيخرج من ذكر

ابن عباس كانت مدة البلاء سبع سنين وسبعة اشهر و سبعة ايام وسبع ساعات و ... ثلث سنين و ... اشهر ...

الموضع حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه قد طردني افلا ادركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة التي كانت ورأت الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وكان ذلك بعيني ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان يلقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك لذلك المبتلى فبكت فقالت بعلي فقال اتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد بعله الذي كان في خدمته ثمانين سنة فتبسم ايوب وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال لها انك امرتني ان اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين وفي هذه القصة روايات كثيرة والله اعلم بما هو اصح منها قالت العلماء قول ايوب عليه الصلوة والسلام اني مسني الضر لم يكن جزعا من ايوب لانه تعالى وصفه بالصبر حيث قال انا وجدناه صابرا بل هو دعاء منه الاترى الى قوله تعالى فاستجبنا له اذ اجابة في السؤال واليه اشار المص بقوله والكنى بذكر عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وقيل لبعض العلماء الراضي بالله تعالى هل يسأل ربه قال يعترض ان يسأل حاجته بالكناية قيل له مثل اي شيء قال مثل قول ايوب قال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين على ان الجزع انما هو في الشكوى الى الخلق واما من اشتكى الى الله تعالى فليس بجازع الاترى الى قول يعقوب عليه الصلوة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال ابن مسعود وقتادة والحسن في قوله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم ان الله تعالى احيى اولاده الذين هلكوا في بلائه واوتي مثلهم في الدنيا وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله تعالى اليه امرأته وزاد في شبابها حتى ولدت ستة وعشرين ذكرا واهبط الله تعالى اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله تعالى يقرؤك السلام بصبرك على البلاء فاخرج الى اندرك فبعث الله تعالى سحابة حمراء فهبطت عليه بجراد الذهب والملك قائم معه وكانت الجرادة تذهب من الاندر فيتبعها حتى يردها الى اندره فقال الملك يا ايوب اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه بركة من بركات ربي ولست اشبع منها قوله رحمة على ايوب وتذكرة لغيره فلا يكون رحمة وذكرى متنازعين في للعابدين بل يكون متعلق الرحمة محذوفا وهو ايوب للعلم به لان الكلام فيه وعلى الثاني يتوجه كل واحد منهما الى للعابدين على سبيل التنازع ولا يخفى ان عدم تخصيص الرحمة بايوب بل جعله متوجها الى عامة العابدين لدخول ايوب فيهم دخولا اوليا اوفق للواقع وانسب للمقام من تخصيص الرحمة بايوب والذكرى بغيره والذكرى على الاول بمعنى التذكرة وعلى الثاني بمعنى الذكر ولعل الوجه في اظهار اللام في الوجه الثاني

نا ان قيل قول ايوب عليه الصلوة والسلام مسني الضر شكاية وقد مر انا وجدناه صابرا فاين الصبر مع الشكاية قلنا الشكوى الى الله لا تنافي الصبر وانما المذموم الشكوى الى الخلق الم تسمع قول يعقوب عليه الصلوة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله قال سفيان بن عيينة وكذلك من شكا الى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن جزعا الم تر الى قوله عليه الصلوة والسلام في مرض اخذه اجدني مغموما واجدني مكروبا وقوله عليه الصلوة والسلام لعائشة رضي بل انا وا راساه

تمامه

فقال هذه حتى تبع الخارج قال الملك ... حتى يردها اما تشبع من الداخل ... فقال ... كانت الجراد ... فقال ومن يشبع من فضل الله ... اشبعت يا ايوب ... سحابة بيضاء على ... فهو ... ولو عاد الى داره ...

بينما غاب ... من عنانه حتى مر بها قال ابن عباس رضي فو الذي نفس عبد الله بيده ما نازعته من عنانه حتى مر بها لكن لما ورد وعاد الى داره فنشأت سحابة بيضاء على قدر قواعد داره فمطرت ثلث ايام بلياليها جرادا من ذهب فقال له جبرئيل اشبعت يا ايوب فقال ومن يشبع من فضل الله وتبعها الجراد تذهب فيتبعها حتى يردها فقال له الملك اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال هذه بركة من ربي

وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام

ومن عنونا صفة الرحمة لتعظيمها

مع تحقق شرايط نصب المفعول له فكل واحد من الوجهين اشارة الى ترجيحه فان تصريح لام
الاختصاص مع صحة تعدية الفعل الى العلة بدونها يشعر بان تلك العلة لا مزيد اختصاص
باستدعاء الفعل **قوله** او تكفل منه اي او لانه كان ذا كفالة متصلة به تعالى من حيث كون المكفول
به مما يبتغى به وجه الله تعالى كما قيل انه رجل كفل مائة من الانبياء اي ضمهم الى نفسه حتى نجاهم من
القتل وقيل انه رجل تكفل ان يصلي بالليل لا يفتر وان يصوم بالنهار ولا يفطر ويقضي بين الناس
ولا يغضب ووفى به فشكر الله تعالى له وجعله نبيا وقيل انه زكريا سمي به لكفالته مريم وبالجملة ان
كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذي الكفل رجل كان ذا تكفل منه تعالى وان كان بمعنى النصيب او الضعف
فالمراد به من كان ذا نصيب من فضل الله وثوابه او من كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه و
ضعف ثوابهم لما ذكر الله تعالى صبر ايوب وانقطاعه اليه اتبعه بذكر هؤلاء لانهم كانوا ايضا من
الصابرين على طاعة الله وعن معاصيه فان اسمعيل صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد
لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت على ما فيه من المشاق فلا جرم اكرمه الله تعالى واخرج
من صلبه خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وكذا الآخرين **قوله** وصاحب الحوت
يعني ان ذا بمعنى صاحب والنون الحوت والمراد بذي النون يونس عليه الصلوة والسلام وسمي بذلك
لانه ابتلعه الحوت قيل خمسة من الانبياء ذو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى
والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد عليهم الصلوة والسلام **قوله** لما برم اي مل لطول دعوتهم
على قول من يقول انه عليه الصلوة والسلام وقع في بطن الحوت بعد اشتغاله باداء الرسالة وقيل
انه وقع في بطن الحوت قبل اشتغاله باداء الرسالة بناء على ما روي عن ابن عباس انه قال كان يونس
وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصفا
فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا امينا فاني القي في
قلوب اولئك ان يرسلوا بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء
فقال يونس بن متى فانه قوي امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي
قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال يونس فههنا انبياء غيري فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك و
لقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هيؤا سفينة فركب معهم فلما لججت السفينة تكفأت بهم
فكادوا ان يغرقوا فقال الملاحون هنا رجل عاص او عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا الا و
فيها رجل عاص ومن رسمنا انا اذا ابتلينا بهذا البلاء ان نقترع فمن وقعت عليه القرعة القيناه
في البحر لان يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة فاقترعوا ثلث مرات فوقعت القرعة
فيها كلها على يونس عليه الصلوة والسلام فقال انا الرجل العاصي والعبد الآبق فالقى نفسه

في البحر فجاء حوت وابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت ان لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك
سجنا له ولم اجعله لك طعاما ثم لما نجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف
ليس عليه شعر ولا جلد انبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فلما
يبست الشجرة حزن عليه يونس عليه الصلوة والسلام فقيل له اتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة
الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم ثم اوحى الله تعالى اليه وامره ان يذهب
اليهم فتوجه نحوهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فاتاهم يونس وقال لملكهم ان الله ارسلني
اليك فارسل معي بني اسرائيل قالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا وقد اتيناكم
في دياركم وسبيناكم فلو كان الامر كما تقول لمنعنا الله تعالى منكم فطاف فيهم ثلثة ايام يدعوهم الى
ذلك فابوا عليه فاوحى الله اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءهم العذاب فابلغهم فابوا فخرج من عندهم
فلما تفقدوا اندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم وامر يونس
للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه في المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول
العذاب شيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشية فلما ايسوا اغلقوا
باب مدينتهم فلم يدخلها دوابهم ولا غنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان عن الامهات ثم
قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح راوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم و
وضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان وثغت الاغنام والبقور فرفع الله تعالى العذاب
عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل فعلى هذه الرواية كانت رسالة
يونس بعد ما نبذه الحوت ودليل هذا القول قوله تعالى في سورة والصافات فنبذناه بالعراء
وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واكثر العلماء
على ان قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبا انما وقعت بعد ان ارسله الله تعالى اليهم وبعد ان
رفع العذاب عنهم بسبب توبتهم واخلاصهم في الدعاء وذكر المفسرون في سبب خروجه وغضبه
امرين الاول انه غضب عليهم لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا واقاموا على كفرهم وظن ان ذلك
يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله تعالى وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصبر
وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت والثاني انه لما اخبر قومه ان الله تعالى
ينزل العذاب بهم لاجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضي الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لاي سبب
لم يعذبهم فخشي ان ينسب الى الكذب ويعير به فقال لا ارجع الى قومي كذابا فذهب مغاضبا للرجوع اليهم
كارها له والغضب الكراهة وان كان من قبيل خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة على
كمال غضبه والمبالغة فيه لان اكثر استعمال بناء المفاعلة في المغالبة ولا اشكال ان ما صدر بطريق

فتوى من الحوت انه حبس عتاب لا عذاب فلا تؤلمها لحما ولا تخدش له جلدا او يجوز تاديب من لا يستحق العذاب كالصبيان قلت فلبث يوما وقيل ثلثة ايام وقيل اربعين وقيل نظر التسبيح اربع ساعات
تمت

وقد روي وهب بن منبه قال ان يونس كان ... فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها ... فقذفها من يده ... وخرج هاربا فلذلك اخرجه الله تعالى من اولي العزم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت اي لا تلق امرك كما القاه
تمت

وقال الآخرون انه رسالته كانت من قبل بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
تمت

وقد ذكروا هنا في سورة يونس وفي بعض الاخبار ان قومه كان من عادتهم انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد خشي ان يقتلوه فغضب وقال كيف ارجع الى قومي وقد اخلفتهم الوعد لم يعلم صرف العذاب عنهم
تمت

بطريق المغالبة يكون اتم وابلغ ويحتمل ان يكون البناء على بابها من المشاركة من حيث انه غضب
قومه حين لم يؤمنوا بدعوته واصروا على الكفر مدة وغضبوا اياه حين خرج من بينهم لخوفهم
لحوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم **قوله** لن نضيق عليه فان قدر قد يكون بمعنى ضيق
يقال قدر على عياله قدرا قال الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق ومن قدر عليه
رزقه اي ومن ضيق وقد يكون بمعنى قضى يقال قدر الله الشيء وقدره اي قضاه فالمعنى فظن
ان لن نقضي عليه شدة وعقوبة روي ان ابن عباس رضي الله عنهما دخل على معاوية رضي الله عنه
يوما فقال له معاوية لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها ولم اجد لنفسي خلاصا الا
بك فقال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر الله تعالى عليه فقال ابن عباس
هذا من القدر بمعنى التقدير لا من القدرة **قوله** او لن نعمل فيه قدرتنا على ان يكون نقدر من القدرة
ومباشرة الفعل به على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب فان بين القدرة والفعل
علاقة السببية فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الآخر ويحتمل ان يكون قوله فظن ان لن نقدر
استعارة تبعية وارادة على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه حاله في خروجه من قومه
من غير انتظار لامر الله تعالى بحال من ظن انه تعالى لا يقدر عليه والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان
قومه اذا نابذهم وخرج عنهم وان في قوله ان لن نقدر مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
المحذوف ولن نقدر هو الخبر والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال وقرئ
نقدر بضم النون وتشديد الدال يقال قدر الله الشيء تقديرا وقدر يقدر قدرا بمعنى واحد وقرئ
يقدر بفتح الياء التحتانية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء المفعول
وبضم الياء وكسر الدال مشددة اي لن يقدر الله **قوله** بانه لا اله الا انت اشارة الى ان كلمة ان
مخففة واسمها ضمير شان محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها ويجوز ان يكون مفسرة لورودها
بعد ما هو بمعنى القول تنزيه عليه الصلوة والسلام ربه عن كل النقائص التي من جملتها العجز
مثلا ان يفعل ما فعله ظلما او عن شهوة الانتقام وان يعجز عن تخليص المكروب وعن مؤاخذة الجاني
ولعل قوله ان يعجزه شيء ابتنى على انه اختار من محتملات معنى نقدر الاحتمال الاخير وهو ان يكون
المراد بالظن الخطرة الوهمية وان يكون هذا التسبيح استغفارا منه عن توهم العجز به تعالى قوله
تعالى وكذلك اي وكما انجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت اذ دعانا ننجي المؤمنين من كربهم
اذا استغاثوا بنا فالكاف في صفة مصدر محذوف **قوله** وقال الامام نجي لا بد الا على ان هذه
الكلمة رسمت بنون واحدة ولا دلالة فيه على ان القراءة بتشديد الجيم وجعله وجها لاخفاء
جماعة القراء النون الثانية من ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجى واخفاء

او يفعل ... من نقض ... ان لن نقدر عليه في من زعمه قومه ... انتظار لامر الله في فعله ... الا ان ماله اخلده الا ... تجانب من ... ساعة من ...
اه

الحرف الحرف حالة بين اظهارها وادغامها ولا يكون الا بسكونها وقد يطلق الاخفاء على
اختلاس حركة الحرف وهو عدم اتمام الحركة كما اخفى في قوله تعالى مالك لا تامنا على يوسف حركة النون
الاولى والمراد من الاخفاء ههنا تلفظ النون الثانية على حالة شبيهة بادغامها في الجيم ثم
ذكر ان ابن عامر وابا بكر قرءا نجي بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء قال الزجاج هذه
القراءة لحن لا وجه لها وقال بعضهم راوي هذه الرواية غلط في الرواية فانها ننجي بنونين كما هي
قراءة العامة لكن النون الثانية من ننجي تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الاخفاء
بالادغام فظن انه ادغام فذكر المصنف ان اصلها ننجي بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد
الجيم فاستثقل توالي المثلين فحذفت الثانية كما في قوله تعالى ما ننزل الملائكة على قراءة من قرا
بضم النون ورفع اللام وكما حذفت التاء الثانية في قوله تذكرون وتظاهرون ونحوهما ولكن
ابو البقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين الاول ان النون الثانية اصل لانها فاء الكلمة فحذفها
يبعد جدا والثاني ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف تظاهرون
الا ترى انك لو قلت تتحامى المظالم فظن انه ادغام لم يسع حذف التاء الثانية والمصنف اجاب
عن كل واحد مما ذكره في وجه الاستضعاف وعن عدم حذف احد المثلين عند اختلاف الحركة
في نحو تتحامى المظالم وتقرير الجواب ظاهر قوله وقيل هو فعل في توجيه قراءة نجي انه فعل ماض
مبني للمفعول وانما سكنت لامه تخفيفا كما سكنت في ما بقي من الربا في القراءة الشاذة واسند
هذا الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول به الصريح كما في قراءة من قرا ليجزى قوما بما كانوا
يكسبون وقد ذهب الى جوازه الكوفيون والاخفش قال ابو البقاء وهو ضعيف من وجهين
احدهما تسكين آخر الفعل الماضي والآخر اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح
فان الفعل المبني للمفعول ينبغي ان يسند الى المفعول به كما يسند الفعل المبني للفاعل الى الفاعل
وانما يسند الى غيره اذا لم يذكر المفعول به قوله تعالى لا تذرني فردا وان كان على صورة النهي الا ان مثل
هذه العبارة اذا كان من العبد للسيد يكون تضرعا وتعوذا ودعاء ولما بلغ عمر زكريا عليه الصلوة
والسلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعا وتسعين ولم يرزق لهما ولد احب ان يرزقه الله
تعالى من يونسه ويقويه على امر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته فدعا ربه بان لا يتركه
وحيدا بلا ولد وهو كقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ثم رد الامر الى مولاه مستسلما منقادا
لمشيته فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به والمراد باصلاح زوجه اما
جعلها صالحة للولادة بازالة عقرها قال الكلبي كانت عقيما فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة
واما تحسين خلقها وكانت حردة اي غضبانة سيئة الخلق نفي قوله واصلحنا له على الوجه الاول
اصلحنا

وان اقيم المصدر مقام الفاعل نصب المومنين على انه مفعول به صريح اي ننجي النجا المومنين — منه

مع ان الفعل المبني للمفعول اذا كان ماضيا سكن اللام لا يسكن اخره — منه

وقد روي الامام ذلك عن ابن عباس — منه

اتحرد واتحرد بفتح الراء وسكونها الغضب — منه

اصلحناها للولادة لاجل دعائه زكريا وعلى الثاني اصلحناها للصحبة زكريا وحسن المعاشرة معه
ويجوز ان يراد باصلاحها جعلها بحيث يرغب فيها زوجها ذات هيئة حسنة ومنظر بهي لان
النساء اذا بلغن سن زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتي لا يرغب فيهن احد قوله يعني المذكورين
بلفظ الجمع ليتناول زكريا وامراته ويحيى عليهم الصلوة والسلام على استجابة دعاء زكريا واصلاح
زوجته وما يترتب عليهما من هبة المولود الصالح بقوله انهم كانوا يسارعون الآية و
ذكر في التعليل ثلث شرائط احدها المسارعة في الخيرات لان الوسيلة متقدمة على الطلب
وثانيها ان يكون الداعي بين الخوف والرجاء يخاف تقصيره ولا يعتمد على عمله لان العمل
بالخواتيم ويرجو مع ذلك رحمة الله الواسعة وثالثها ان يكون مخلصا لا مرائيا كما قال ابرهيم
النخعي الخشوع ان يريد الله من العبد الاخلاص اذا ارخى العبد ستره واغلق بابه
فالخشوع انما يكون بالقلب لا بالجوارح بان يلبس العبد خشنا او غليظا بابسا لا ادام معه او
يلبس خشنا ويطاطئ راسه ولا يرائي وينصتع وان كان المراد بقوله انهم المذكورين
سابقا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام يكون المقصود تعليل استجابة جميعهم مثل انجاء موسى
وهرون الغرقان وتبريد النار واطفائها لابرهيم وانجائه ولوطا من العراق الى الشام
ومثل انه وهب له اسحق ويعقوب اجابة لدعائه ثم انجاء لوط فانزل بقومه وانجاء
نوح ومن كان معه في السفينة من ركب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الانبياء
المذكورين والمراد بمسارعتهم في الخيرات مبادرتهم الى طاعة الله تعالى مراعيا الحدود
الشرع وهي محمودة والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب وقراءة
العامة رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء وهما اما مصدران على وزن طلب واقعان
موقع الحالين من فاعل يدعون بتقدير المضاف اي يدعون ذوي رغب واما جمعان
لراغب وراهب مثل خادم وخدم اي راجين وخائفين مخبتين قوله مخبتين اي
متواضعين قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم في القلب قوله والتي احصنت
فرجها يجوز ان ينتصب بالعطف على ما قبلها وان ينتصب باضمار اذكر وان يرتفع بالابتداء
والخبر محذوف اي وفيما يتلى عليكم التي احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام
كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ولما كان نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه
كما في قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته كان المتوهم من قوله تعالى
فنفخنا فيها من روحنا فاحييناها وليس المراد احياء مريم فلذلك جعل تقدير الكلام
فنفخنا الروح في عيسى فيها والمعنى فاحيينا عيسى في جوفها فيكون قوله فيها حالا من المفعول

اشار اليه المصنف بقوله والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بهذه الخصال — منه

لدين

المنقول وهو عيسى فانه منقول من جهة ان المعنى احيينا عيسى كائنا في جوف مريم فالمراد
بالروح روح الانسان الذي هو بامر الله تعالى وحده والمراد بنفخه فيه عيسى ادخاله في بدنه
تشبيها لايراد الروح في البدن بنفخ النافخ في الشيء فيكون نفخنا استعارة تبعية قوله
وقيل يجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا الذي هو جبريل عليه الصلوة و
السلام فلا يكون المراد بالنفخ ايراد الروح في البدن بل يكون المراد به معناه الحقيقي وينزل
نفخنا منزلة اللازم ويكون اسناد النفخ الى البارى تعالى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر
فان جبريل هو الذي نفخ في درع مريم بامر الله تعالى فوصل اثر النفخ الى جوف مريم فحملت بعيسى
ثم انه تعالى لما فرغ من قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلوة والسلام
على تبليغ الرسالة وتسلية له بانه ليس اول من بعث لدعوة المعاندين خاطب الناس كافة
فقال ان هذه امتكم امة واحدة والامة الملة واصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد ثم
اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من ام بمعنى قصد فالقوم
هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة قال تعالى انا وجدنا اباءنا على امة
اى على دين وملة وقرا الجمهور امتكم مرفوعا على انه خبر ان وامة واحدة منصوب على انه حال
من الامة الاولى اى اشير اليها امة واحدة غير مختلفة فيها والمعنى لا دين سوى ديني ولا رب غيري
فانا المستحق للعبادة فلا تعبدوا غيري قوله صرفه الى الغيبة يعني ان اصل الكلام وقطعتم و
تفرقتم الا انه صرف الكلام الى طريق الغيبة على الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين
ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء حيث جعلوا امر دينهم فيما
بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيصير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه
وصيرورتهم فرقا واحزابا ستى انتهى. [note: this line uncertain]

ان يتم الكلام قبله ولا بد لتمامه من تقدير مبتدا محذوف قوله وقيل حرام عزم اى عزوم
عزمت على كذا عزما اذا اردت فعله وقطعت عليه بمعنى قيل الحرام ههنا بمعنى الوجب فانه قد
يستعمل بمعنى الواجب كما فى قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا فان ترك الشرك
واجب ويدل عليه ايضا قول الخنساء وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على
صخر اى وان واجبا وايضا كثيرا ما يطلق احد الضدين على الاخر مجازا قوله اى استمر الامتناع
الى قيام على ان يكون حتى غاية لقوله حرام والمعنى وممتنع على قوم قدرنا اهلاكهم رجوعهم الى
التوبة الى ان تقوم القيمة فيرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة الاية او يمتنع على
الذين اهلكناهم حقيقة رجوعهم الى الحيوة الى ان تقوم القيمة فيبعثون ويحاسبون قوله
او الهلاك على ان يكون حتى غاية لمحذوف كانه قيل حرام على الهالكين رجوعهم الى الحيوة
يستمر بهم الهلاك الى قيام الساعة قوله او عدم الرجوع على ان يكون حتى غاية لقوله لا يرجعون
وذلك بان يكون حرام خبر محذوف ويكون المعنى وذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على من
قدرنا اهلاكهم لانهم لا يرجعون على الكفر الى قيام الساعة فكيف لا يمتنع عليهم ذلك العمل
والمراد بفتح ياجوج وماجوج فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية
فى قوله وحرام على قرية اى على اهلها قوله وحتى هى التى يبتدأ بمعنى ان حتى ثلثة اقسام حرف
جر وحرف عطف وحرف يبتدأ بعدها الكلام والتى فى الاية من القسم الاخير قال اكثر
المفسرين الضمير فى قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون لياجوج وماجوج فانه مقدرون ان ياجوج وماجوج
لا بد وان يسيروا فى الارض ويقبلوا على الناس من كل موضع مرتفع وقيل هو ضمير الناس جميعا
فانهم يخرجون من قبورهم ومن كل موضع فيحشرون الى موقف الحساب والاول هو الوجه لان النظم
يتفكك على الثانى والحدب النشز وهو المكان المرتفع قوله تسد مسد الفاء الجزائية فان
الجملة الاسمية اذا وقعت جوابا للشرط يجب دخول الفاء عليها للدلالة على انها جواب وجزاء
الا اذا صدرت باذا المفاجاة فانها تسد مسد الفاء معها لتفاوتهما على وصل الجزاء بالشرط
فيتاكد ما بينهما من الاتصال قوله والضمير للقصة يعنى ان لفظ هى ضمير القصة وشاخصة
خبر مقدم وابصار مبتدا مؤخر والجملة خبر ضمير القصة لانه لا تفسر الا بجملة تجرية ويحتمل
ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار كما فسر ضمير اسروا بقوله الذين ظلموا فى قوله تعالى واسروا
النجوى الذين ظلموا ابدل من واو اسروا تفسيرا او عطف اقتراب الوعد الحق على فتح
فتح سد ياجوج ويدل على ان قيام الساعة لا يتاخر عن خروج ياجوج وماجوج كما
روى عن حذيفة انه قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى

تقوم الساعة والفلو المهر اى ولد الفرس فان قيل الشرط هو مجموع فتح سد ياجوج
وماجوج واقتراب الوعد الحق وهذا المجموع انما يحصل فى اخر ايام الدنيا والجزاء وهو شخوص
ابصار الذين كفروا وارتفاعها من شدة الاهوال بحيث لا يكاد تطرف انما يحصل يوم القيمة
والشرط والجزاء لا بد ان يكونا متقارنين والجواب ان التفاوت القليل يجرى مجرى العدم
قوله بحمل الاوثان اى بعموم ادعى ان ما يعم العقلاء وغيرهم واستدل عليه بانه عليه الصلوة
والسلام لم يرد على ابن الزبعرى فى تعميم ما تعبدون للعقلاء بل سلم منه ذلك واجابه بوجه
آخر الا ان جوابه محل تامل لانه لا ينفى كون اليهود واضرابهم عبدوا هؤلاء العقلاء المكرمين
والتمايل على انهم عبدوا الشياطين باطاعتهم الشياطين فيما امرهم به من عبادة
هؤلاء المكرمين فكيف يصلح ان يكون جوابا عن قول ابن الزبعرى ويمكن ان يقال من عُبِد من
غير ان يستحق العبادة لذاته ومن غير ان يأمر بها ويجب ويرضى بان يُعبَد لا يكون معبودا فى
الحقيقة وانما يكون معبودا صورة ومجازا ويكون المعبود فى الحقيقة من امر بذلك لان
العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وليس ذلك الا من امر بها فلذلك نفى عليه الصلوة
والسلام دخول هؤلاء المكرمين تحت قوله وما تعبدون فقال بل هم عبدوا الشياطين
قوله وعلى هذا اى على تقدير ان يحمل ما تعبدون من دون الله على ما يعم الاوثان وغيرهم يكون
الخطاب فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله متناولا للمشركين وغيرهم كاليهود
والنصارى وبنو مليح وهم بطن من خزاعة قالوا اصاهر الله تعالى سروات الجن فولدت
له الملائكة بخلاف ما اذا حمل ما تعبدون على الاصنام خاصة فان الخطاب ح يخص
المشركين قوله اليس اليهود عبدوا عزيرا الاوجه لسؤال ابن الزبعرى لان كلمة ما
لا يتناول من يعقل فقوله تعالى وما تعبدون لا يتناول الملائكة ونحوهم بل يختص على الاصنام
لكنه عليه الصلوة والسلام جاراه والزمه بوجه آخر تنبيها على ان الدفع شبهته طرق
متعددة قوله بيانا للتجوز او للتخصيص تاخر عن الخطاب الاول على تقدير ان يكون المقصود
من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم بيان تناول الحكم لغير اهل الحسنى من العقلاء والثانى
على تقدير ان يكون المقصود تخصيص ما تعبدون بغير اهل الحسنى مع كونه فى نفسه يعم
اهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى من
قبيل بيان التغير ومثل هذا البيان لا يجوز تاخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق
لانه تكليف بما لا يطاق واما جواز تاخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين
الحنفية والشافعية جوزه الشافعية استدلالا بهذه الاية ووجه الاستدلال انه تاخر

وكلمة ما موضوعة لما لا يعقل
ويكون الخطاب عاما يستلزم
كونها بمعنى من مجازا بناء على ان
التغليب الذى انما يليق بالعقلا
او يحمل على ما يعم العقلاء وغيرهم
ان حصد الاصنام حاضرين فى
النار منه

العدم او جمعا بين الاجزاء ذكر الامام انهم اختلفوا في كيفية الاعادة فمنهم من قال
ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة
ومنهم من قال انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الآية دالة
على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب
الاجزاء المتفرقة بل عن الايجاد بعد العدم وجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج
القائلون بالمذهب الاول بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات
حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وهذا يدل
على ان اجزاء الارض باقية لكنها جعلت غير الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما
قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيمة بانه يوم يطوى فيه السماء كطي السجل وصفه ايضا
بانه تعالى يفني فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلهما قوله وما كافة تكف الكاف
عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها زائدة قد تكون كافة عن العمل
نحو انما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان الباء فيه
لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورا بها فلما لم يكن الباء مكفوفة كان مجرورها
مفعولا به والمفعول به لا بد له من عامل فعلا كان او معناه فلا بد ان يكون للباء ما تتعلق
هي به بخلاف الكاف المكفوفة ههنا فانها لا تستدعي ما تتعلق هي به لان مجرورها لم
يكن مفعولا به حتى يستدعي ما ينصبه من الفعل او ما في معناه والفرق بين كون ما
كافة وبين كونها مصدرية انها على تقدير كونها مصدرية لا يتم الكلام عند قوله اول
خلق نعيده بل يكون قوله كما بدأنا صفة مصدر محذوف اي نعيد اول خلق اعادة مثل
البدء واما على تقدير كونها كافة فقوله اول خلق نعيده يكون كلاما تاما ويكون قوله كما بدأنا
جملة منقطعة عن ذلك على معنى نحقق الاعادة مثل تحقق البدء او ليس المعنى على اعادة
مثل البدء ومحل الكاف في مثله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قوله واول مفعول لبدأنا
ظاهر نظم التنزيل وان كان يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس
المراد اول الخلق من سبق وجوده وجود الآخر بل في نشأة الدنيا لان الكلام ليس في اعادتهم و
ابدائهم خاصة بل الكلام في ابداء مجموع المكونات واعادتها فان هذا المجموع اذا هلكوا ثم تعلقت الاعادة
بهم يوصفون بالاولية بالنسبة الى ما تعلق بهم من الايجاد ثانيا فهذا المجموع الموصوف بالاولية كيف
يصح ان يكون مفعولا لبدأنا مع ان ايقاع البدء عليهم متفرع على اعادتهم لانهم قبل تعلق الاعادة بهم
لا يوصفون بالاولية اصلا فالظاهر ان يكون الكاف في محل النصب على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة

على شريطة التفسير والتقدير نعيد اول الخلق اي الخلائق الاولين نعيد ويتم الكلام هنا ان جعلت
مصدرية تكون التقدير نعيد اول الخلق اعادة مثل بدئنا اياه نعيده وكلمة ما ان كانت موصولة تكون
الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فانه مفعول نعيده ح اول
خلق لا الكاف قوله تأكيد لنعيده يعني انه مصدر وقع مضمون جملة لا تحتمل الا غير الوعد فهو من
الذي يسمى تأكيدا لنفسه وناصبه مضمر اي وعدنا ذلك وعدا او هو منصوب بقوله نعيده لكونه في
معنى الوعد قوله وقيل الزبور جنس الكتب المنزلة فقوله ولقد كتبنا في الزبور معناه ولقد بينا
في التورية والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام من بعد الذكر اي من بعد ما
كتبنا وبينا في اللوح المحفوظ الذي هو ام الكتب المنزلة وكتب فيه كل ما يكون ليعتبر الملائكة ويعلموا
ان الله تعالى احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا قوله او الذين كانوا يستضعفون عطف
على قوله او الارض المقدسة واراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام وجهاتها الشرقية والغربية
قال الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هي الارض المقدسة يرثها الصالحون والدليل قوله
تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ثم بالخبر
يرثها امة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلوة والسلام قوله لان ما بعث به سبب لاسعادهم
لو تدبروا فيه واتبعوا احكامه لفازوا بسعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فانما وقع
في المحنة من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب ما يقال كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء
بالسيف واستباحة الاموال وورد في الخبر انه عليه الصلوة والسلام قال لجبريل ان الله يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة قال نعم اصابني من هذه الرحمة
اني كنت اخشى عاقبة الامر فامنت بك لثناء اثنى الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلوة والسلام رحمة للعالمين بين معظم
اسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيا لهم الى التوحيد والطاعة فانه بعث والناس في
جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم
ووقوع الاختلاف في كتبهم بحيث لم يكن لطالب الحق سبيل الى الاهتداء قوله فالاول لقصر
الحكم على الشيء يعني ان كلمة انما سواء كانت مفتوحة الهمزة او مكسورها قد تكون لقصر الحكم على
الشيء نحو انما يقوم زيد وقد تكون لقصر الشيء على الحكم نحو انما زيد قائم فقوله تعالى انما يوحى الي من
قصر الحكم على الشيء حيث يدل على ان حكم ما يوحى اليه عليه الصلوة والسلام منحصر في مضمون
قوله تعالى انما الهكم اله واحد فانه في محل الرفع على انه قائم مقام الفاعل السابق اذ التقدير
انما يوحى الي وحدانية الله تعالى فان قوله انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد لا يقوم

العدم او جمعا بين الاجزاء ذكر الامام انهم اختلفوا في كيفية الاعادة فمنهم من قال
ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة
ومنهم من قال انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الآية دالة
على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب
الاجزاء المتفرقة بل عن الايجاد بعد العدم وجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج
القائلون بالمذهب الاول بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات
حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وهذا يدل
على ان اجزاء الارض باقية لكنها جعلت غير الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما
قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيمة بانه يوم نطوي فيه السماء كطي السجل وصفه ايضا
بانه تعاد فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلها **قوله** وما كافة تكف الكاف
عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها زائدة قد تكون كافة عن العمل
نحو انما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان الباء فيه
لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورا بها فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها
مفعولا به والمفعول به لا بد له من عامل فعلا كان او معناه فلا بد ان يكون للباء ما تتعلق
هي به بخلاف الكاف المكفوفة ههنا فانها لا تستدعي ما تتعلق هي به لان مجرورها لم
يكن مفعولا به حتى يستدعي ما ينصبه من الفعل او ما في معناه والفرق بين كون ما
كافة وبين كونها مصدرية انها على تقدير كونها مصدرية لا يتم الكلام عند قوله اول
خلق نعيده بل يكون قوله كما بدأنا صفة مصدر محذوف اي نعيد اول خلق اعادة مثل
البدء واما على تقدير كونها كافة فقوله اول خلق نعيده يكون كلاما تاما ويكون قوله كما بدأنا
جملة منقطعة عن ذلك على معنى تحقق الاعادة مثل تحقق البدء وليس المعنى على اعادة
مثل البدء ومحل الكاف في مثله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف **قوله** واول مفعول لبدأنا
ظاهر نظم التنزيل وان كان يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس
المراد اول الخلق من سبق وجوده وجود الآخرين في نشأة الدنيا لان الكلام ليس في اعادتهم و
ابدائهم خاصة بل الكلام في ابداء مجموع المكونات واعادتها فان هذا المجموع اذا هلكوا ثم تعلقت الاعادة
بهم يوصفون بالاولية بالنسبة الى ما تعلق بهم من الايجاد ثانيا فهذا المجموع الموصوف بالاولية كيف
يصح ان يكون مفعولا بدأنا مع ان ايقاع البدء عليهم يتفرع على اعادتهم لانهم قبل تعلق الاعادة بهم
لا يوصفون بالاولية اصلا فالظاهر ان يكون الكاف في محل النصب على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة

على شريطة التفسير والتقدير نعيد اول الخلق اي الخلائق الاولين نعيده وتم الكلام هنا ان جعلت
مصدرية يكون التقدير نعيد اول الخلق اعادة مثل بدئنا اياه نعيده وكلمة ما ان كانت موصولة يكون
الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فانه مفعول نعيده ح اول
خلق لا الكاف **قوله** تأكيد لنعيده يعني انه مصدر وقع مضمون جملة لا تحتمل الا غير الوعد فهو من
الذي يسمى تأكيد النفس وناصبه مضمر اي وعدنا ذلك وعدا او هو منصوب بقوله نعيده لكونه في
معنى الوعد **قوله** وقيل الزبور جنس الكتب المنزلة فقوله ولقد كتبنا في الزبور معناه ولقد بينا
في التورية والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام من بعد الذكر اي من بعد ما
كتبنا وبينا في اللوح المحفوظ الذي هو ام الكتب المنزلة وكتب فيه كل ما سيكون ليعتبر الملائكة ويعلموا
ان الله تعالى احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا **قوله** او الذين كانوا يستضعفون نشر مرتب
على قوله او الارض المقدسة واراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام وجهاتها الشرقية والغربية
قال الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هي الارض المقدسة يرثها الصالحون ودليله قوله
تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ثم بالآخر
يرثها امة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلوة والسلام **قوله** لان ما بعث به سبب لاسعادهم
لو تدبروا فيه واتبعوا احكامه لفازوا بسعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فانما وقع
في المحنة من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب ما يقال كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء
بالسيف واستباحة الاموال وورد في الخبر انه عليه الصلوة والسلام قال لجبريل ان الله تعالى يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة قال نعم اصابني من هذه الرحمة
اني كنت اخشى عاقبة الامر فامنت بك لثناء اثنى الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلوة والسلام رحمة للعالمين بين معظم
اسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيا لهم الى التوحيد والطاعة فانه بعث والناس في
جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم
ووقوع الاختلاف في كتبهم بحيث لم يكن لطالب الحق سبيل الى الاهتداء به **قوله** فالاولى لقصر
الحكم على الشيء يعني ان كلمة انما سواء كانت مفتوحة الهمزة او مكسورها قد تكون لقصر الحكم على
الشيء نحو انما يقوم زيد وقد تكون لقصر الشيء على الحكم نحو انما زيد قائم فقوله تعالى انما يوحى الي من
قصر الحكم على الشيء حيث يدل على ان حكم ما يوحى اليه عليه الصلوة والسلام منحصر في مضمون
قوله تعالى انما الهكم اله واحد فانه في محل الرفع على انه قائم مقام الفعل السابق اذ التقدير
انما يوحى الي وحدانية الله تعالى فان قوله انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد اي نقوم

زيد لا غير فكانه قيل لم يوح الي شيء الا التوحيد ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الحصر مع انه
قد اوحي اليه اشياء غير التوحيد اشار المص الى دفعه بقوله وذكر لان المقصود الاصلي الخ
ان ما ذكر انما يرد على تقدير ان يكون الحكم المقصور ما اوحي اليه مطلقا ولذلك بل المراد به
ما اوحي مقصودا بالقصد الاولي وقوله انما الهكم اله واحد من قبيل قصر الشيء على الحكم
بمنزلة انما زيد قائم اي لا يفعل زيد سوى القيام فان قلت هذا الحصر يستلزم ان لا يكون الله
تعالى موصوفا بغير الوحدانية مع ان له تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى فالجواب ان
القصر ليس حقيقيا اذ المقصود نفي ما يصفه المشركون قوله وقد عرفت ان التوحيد الخ
اشارة الى ما ذكره في تفسير قوله تعالى في هذه السورة هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ان التوحيد
لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ووجه الفاء في
قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان مثل هذا الكلام انما يذكر اذا تقدم ما يوجب المسارعة والاقدام
على شيء من الامور فيؤتى به للتحريض عليه والتوبيخ على تركه وههنا لما بولغ في امر التوحيد
بما سبق من الحصرين عقبه به للمبالغة في ايجاب المسارعة الى التوحيد فلذلك اخرج الامر على
صورة الاستفهام وكون التوحيد مما يصح اثباته بالسمع وان اشتهر بين المتكلمين الا انه
لا يخلو عن اشكال وهو ان حجية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة موقوف على كون المرسل
واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدا اذ التعدد يستلزم الامكان كما تبين في
موضعه فظهر ان حجية السمع موقوفة على الوحدانية فلو توقف الوحدانية ايضا على السمع
لزم الدور فالاحكام التي يستدل عليها بالنص هي التي لا يتوقف النص على ثبوتها فالتوحيد ليس
من تلك الاحكام فلا يستدل بالنص على ثبوته والمقصود منه ازاحة العذر وبيان انه لا يمكنهم
ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فانه عليه الصلوة والسلام اذا اعلمهم ما هو الواجب
عليهم من التوحيد وغيره وصيرهم مستوين في الابلاغ والبيان كيف يبقى لاحد منهم عذر
في اختيار ما هو عليه من الشرك والطغيان وقوله مستوين في الاعلام به على ان يكون قوله
على سواء في محل النصب على انه حال من مفعول آذنتكم وقوله او مستوين انا وانتم على انه حال
من الفاعل والمفعول معا وعلى التقديرين يكون آذنتكم منقولا من اذن بمعنى علم على قوله اذ
حرفي لكم وان كان منقولا منه ايضا وان المراد بالايذان ايذان الحرب الا ان ايذان الحرب
مستفاد من استعماله في مقام الانذار والتهديد كانه قيل قد بذلت وسعي الى الآن في اعلام الحق
وارشادكم اليه فاذا لم تقبلوا ولم تلتفتوا اليه فتهيئوا الجزاء عنادكم قوله او ايذانا على سواء
على انه صفة مصدر محذوف قوله وقيل اعلمتكم اني على سواء على انه خبر ان المحذوفة مع اسمها

ونافع في قوله انما يجوز ان يكون كافة وان يكون موصولة كما في قوله انما صنعوا كيد ساحر ويكون الخبر هو الجملة من قوله انما الهكم اله واحد تقديره ان الذي يوحى الي هو هذا الحكم ولا يكون في قوله انما يوحى الي قصر بل يكون النص مقصورا على قوله انما الهكم اله واحد

مع اسمها والجملة الاستفهامية وهي قوله اقريب ما توعدون في محل النصب بادري لانه علق
عنها الدري باداة الاستفهام واصل الكلام اقريب ما توعدون ام بعيد الا انه أخر المستفهم عنه
رعاية لرؤس الآي وقوله ما توعدون يجوز ان يكون مبتداء ما قبله الخبر وما عطف عليه ويجوز
ان يكون فاعل قريب لاعتماده على الف الاستفهام والمقصود من قوله انه يعلم الجهر من القول
الآية تعليل الامرين تأكيده المدلول عليه بقوله فهل انتم مسلمون والنهي عن الطعن في
الاسلام جهرا وعن اضمار الاحن والاحقاد للمسلمين وبيان ان تأخير العذاب عنهم
ليس لخفاء ما اسروا وما اعلنوا بل الحكمة اقتضت ذلك ثم قال لعل وجه الحكمة في تأخيره
الاستدراج وزيادة الاستحقاق للعقوبة والعذاب ولما كان الاستدراج سببا للفتنة
والعذاب اطلق عليه لفظ الفتنة مجازا مرسلا وقوله او امتحان اي معاملة شبيهة
بالامتحان على طريق الاستعارة التمثيلية قراءة العامة رب احكم بكسر الباء وحذف يا
الاضافة اكتفاء بالكسرة وقرئ بضم الباء على انه منادى مفرد معرفة امر الله تعالى رسوله
بان يدعو باستعجال العذاب لقومه ويقول رب افصل بيننا وبين اهل مكة بالعدل فان
العدل في حقهم ان يعجل العذاب ولا يمهلهم فلا جرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر رب احكم
وقرئ ربي بسكون الياء واحكم على بناء افعل التفضيل وهما مبتداء وخبر وقرئ
احكم بفتح الهمزة والميم على انه فعل ماض من الاحكام مرفوع المحل على انه خبر ربي
ايضا تم ما يتعلق بسورة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهذا اوان الشروع
فيما يتعلق بسورة الحج مستعينا بالله تعالى حامدا له ومصليا على رسوله

سورة الحج رزقنا الاتقاء ثمانية وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال المعنى يا اهل مكة احذروا عقاب ربكم بطاعته
فان التقوى المأمور به انما يتحقق بالاتقاء عن جميع المحرمات وبالاتقاء عن ترك شيء
من الواجبات وبالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الاتقاء عن كل ما يؤثم من فعل او
ترك وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى في عرف الشرع الا ان الملائم لتخصيص الخطاب باهل
مكة ان يراد بالتقوى المرتبة الاولى منه وهي التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك كما هو
المراد بقوله تعالى والزمهم كلمة التقوى لانه تعالى امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة
ووصفها بما هو اصعبه والمعنى ان التقوى يندفع به مثل هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر
عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى والزلزلة تضعيف زل اي تقال زلت قدمه اذا

والظاء احكم على انه اسم فاعل
واما قوله تعالى وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ففيه وجهان احدهما من الشرك والكفر وما يعارضون به دعوته من الاباطيل والتكذيب كأنه سبحانه قال قل داعيا رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون قرأ ابن عامر يصفون بالياء المنطوق من تحت ان تكن لاصحابك المؤمنين وربنا الرحمن المستعان على ما تصف الكفار من الاباطيل اي منه العون على دفع اباطيلهم وثانيهما كانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله تعالى ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم

زالت عن الجنة بسرعة ويقال زللت يا فلان تزل زليلا اذا زل في طين او منطق ويصير متعديا
بالتضعيف يقال زلزل الله الارض زلزلة وزلزالا فتزلزلت وهي قد يستعمل لازما بمعنى تزلزل
فقوله ان زلزلة الساعة معناه ان تزلزل الساعة وهذا قسر الكواشي بقوله اي حركتها
الشديدة بازعاج فيكون المصدر مضافا الى فاعله وفسرها المص بالتحريك وجعله اولا من
اضافة المصدر الى فاعله المجازي على طريق اسناد الفعل الى زمانه وثانيا من اضافة
المصدر الى ظرفه بتقدير في وثالث من غير تقدير في والفرق بين الوجهين الاخيرين ان
المضاف اليه على كل واحد من الاحتمالين وان كان ظرفا للمضاف حقيقة الا انه قد توسع
فيه واجري مجرى المفعول به واضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به من غير تقدير
كلمة في كما في قوله بل مكر الليل والنهار وقولهم يا سارق الليلة اهل الدار في احد الاحتمالين
بخلاف الاحتمال الاخر فان الظرف لم يتوسع فيه وكانت الاضافة اليه بتقدير في كما في ضرب اليوم
واضافة المصدر معنوية سواء اضيف الى ظرفه او الى فاعله او مفعوله لانه ليس بصفة والاضافة
انما تكون لفظية بان يكون المضاف صفة مضافة الى معمولها اي الى مرفوعها او منصوبها **قوله**
وقيل هي زلزلة الخ عطف من حيث المعنى فان ما ذكر سابقا يدل على ان الساعة اما فاعل مجازي
لهذه الزلزلة او زمان لها وعلى التقدير يكون هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر **قوله**
فيبغوا على انفسهم اي يترحموا عليها يقال ابقيت على فلان اي ارعيت على فلان ورحمته وفي
الصحاح تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه وترحمته **قوله** اذا دهشت التي الخ الرضيع تدبرها
حمل لفظ المرضعة على التي تلابس الارضاع بالفعل استدلالا بلحوق التاء ايام فان الاصل
في الصفات المختصة بالمؤنث ان لا تلحقها التاء نث اذا قصد بها من شانها ان تلابس الفعل
واما اذا قصد بها الدلالة على الملابسة بالفعل فيجب ان يلحقها التاء فيقال حائضة وطالقة
ومرضعة وطامثة فلما قيل في الاية مرضعة بالتاء علم ان المراد التي باشرت الارضاع
بالفعل والقمت ثديها الصبي **قوله** وما موصولة فلا بد من تقدير العائد اي عن الذي ارضعته
وهو الطفل وان كانت مصدرية فلا حاجة الى التقدير اي عن ارضاعها **قوله** جنينها مبني على
ان الحمل بالفتح ما كان في البطن او على راس الشجر وبالكسر ما كان على الظهر واستدل من
قال ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لانه لا مرضعة ولا حامل يوم القيمة ومن قال انها تكون
يوم القيمة ومن قال انها تكون يوم القيمة يقول هذا على جهة التمثيل اي لو كان ثمة في الدنيا
لذهلت المرضعة عما ارضعت لغير فطام وتضع الحامل حملها لغير تمام من شدة ما يرى بها
قوله فارهقهم هول يقال رهقه بكسر الهاء اي غشيه وارهقه طغيانا اي اغشاه اياه

واختلف في وقت الزلزلة فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها
كشاف

فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي من شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الصبي ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة
كشاف

فارهقهم من خوف والمعنى وتكلها عشيتهم عذاب الله مخلد

اياه والهول مصدر هاله الشي اي افزعه ولا شك انه اذا بسط بساط عزته وسلطان
جبروته وسرادق كبريائه بحيث بحيث الجاء النبيين الى ان قالوا نفسي نفسي بحيث يهوله وافزاعه
بحيث يغشى اهل الموقف باسرهم مما شاهدوه من امارات ما يكون في ذلك الموقف وقراءة
العامة وترى الناس بفتح التاء من ترى ونصب السين على صيغة خطاب الواحد يعني
نعلم والناس اول مفعوليه وسكارى ثانيهما وقرئ بضم التاء وكسر الراء على بناء الفاعل
وهو ضمير الزلزلة او الساعة فلا بد من تقدير المفعول الاول ليتم به المعنى اي وترى الزلزلة
او الساعة اهل الموقف الناس سكارى اي الناس الذين مكنهم الله من الرؤية و
قولهم لان الرائي والمرئي لو كان كلهم سكارى حيارى لما يرى من كان في مثل حاله سكران
ويحتمل ان يكون الناس مفعولا اول ويكون المقدر هو المفعول الثاني اي ترى الزلزلة
الناس اياك سكارى على ان لا يكون في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الهول الذي يكون
في غيره ويؤيد هذه القراءة قراءة من قرأ وتُرَى الناسُ بضم التاء وفتح الراء على ما لم يسم
فاعله ونصب الناس مضارع مبني من المتعدي الى ثلثة فالاول قام مقام الفاعل وهو ضمير
الخطاب والناس وسكارى هما المفعولان الباقيان وهذا قول المص وقرئ ترى من اريتك
قائما والاصل وترى الزلزلة والساعة اياك الناس سكارى ويجوز ان يكون مضارع اريت
المتعدي الى اثنين والمعنى وترى ايها الرسول الناس قوما سكارى فبني للمفعول واسند الى
مفعوله الاول وترك الثاني منصوبا على حاله وهو معنى قول المص او رايتك قائما وقوله بنصب
الثاني ورفعه نشر على ترتيب اللف ولما ورد ان يقال لما اسند الفعل الى الناس كان ينبغي
ان يقال ويرى بالياء التحتانية اجاب عنه بقوله وتانيثه على تاويل الجماعة **قوله** وافراده
بعد جمعه افراد الفعل وجمعه عبارة عن اسناده الى ضمير الواحد والجمع يعني افراد فعل
الرؤية في ترى الناس وجمعه في يوم ترونها مبني على ان المرئي في يوم ترونها الزلزلة
او الساعة وفي قوله وترى الناس هو الناس ويصح ان يكون جميع الناس رائيا للزلزلة
لكونها امرا مغايرا للناس بخلاف الحالة القائمة بهم فان كل احد لا يرى الا ما قام به
ولا يرى الجميع ما قام بالجميع والا لزم ان يرى كل احد ما قام بنفسه وفيه بحث ظاهر
وهو ان اسناد الفعل الى الجميع انما يقتضي قيامه بالجميع ولا يقتضي وقوع ما قام به على الجميع
وما ذكره مبني على ان يكون الخطاب في قوله تعالى وترى الناس لكل من يصلح مخاطبا على
سبيل ولو كان الخطاب لواحد بعينه وهو النبي صلى الله عليه وسلم لا قيل اغايراه كل احد على
غيره **قوله** وقرئ سكرى كعطشى وجه الشبه كون كل واحد منهما جمعا على فعلى مع كون واحده

على وزن فعلان ولو قال كجرحى وقتلى ومرضى لصح التشبيه من حيث ان كلا واحد منها
جمع على وزن فعلى الا ان المشابهة بين سكرى وعطشى اتم لما ذكرنا يقال رجل عطشان
وقوم عطشى كما يقال جوعان وجوعى وكسلان وكسلى واللفظ انما يجمع على فعلى اذا كان
ماخوذا من قبيل العلل والادواء ونقل عن الفراء انه قال والعرب تجعل فعلى جمعا لكل ذي زمانة
وضرر وهلاك ولا يبالون كان واحده فاعلا او فعيلا او فعلان قوله ومن تعجبه واضرابه
حال من فاعل نزلت لما امر الله تعالى مشركي اهل مكة بالاتقاء عن عقابه بملازمة طاعته
خص من بينهم من هو متوغل في المخالفة والعصيان ووصفه بالمخاصمة في دين الله تعالى
ووحدانيته وفيما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بمجرد زعمه الفاسد و
ظنه الباطل من غير سند يستند اليه قال ابن عباس رض المريد المتمرد على الله تعالى يقال مرد
الشيء اذا جاوز حد مثله واصله العري يقال غلام امرد وغصن امرد اذا عري عن الشعر
والورق قوله تعالى كتب عليه ان على الشيطان صفة للشيطان والمعنى ويتبع كل شيطان
مريد كتب عليه ان من يقبل منه فهو ضال والكتبة والكتاب الحكم او القضاء والقدر و
يكون بمعنى الرقم والاثبات فالمعنى قضي عليه او رقم او اثبت في ام الكتاب وهو اللوح
اي قد قضى الله تعالى على كل شيطان من الجن والانس انه من يتبعه ويتولاه فانه يضله
عن الصراط المستقيم والدين القويم فاما الشيطان الجني فبالوساوس والتسويلات
والقاء الشبهات واما الشيطان الانسي فبايقاعه في مذاهب اهل الهوى والبدع كالفلاسفة
والزنادقة المنكرين للبعث والحساب بان يقيم عليهم البراهين المعقولة المشوبة
بشوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فاتباعه تقبل منه تلك الشبهات الزائغة و
الدلائل الباطلة فيعتقدون بعقائده ويصيرون من جملته ويدخلون في زمرته كما قال
تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم قال صاحب الكشاف والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال
من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله جعل الكتبة بمعنى الرقم والاملاء فلما تعذر
حمله على الحقيقة حمله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الاضلال على ظهور المكتوب
على ما كتب هو عليه والباء في المص بقوله والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل
عليه اي فصار كان الاضلال شيء اثبت عليه ورقم قوله على تقدير فشانه انه يضله
يعني فتح الهمزة في قوله تعالى فانه يضله مبني على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير فشانه وحاله
انه يضله قال صاحب الكشاف وقرئ انه فانه بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح فلان الاول
فاعل كتب والثاني عطف عليه ولم يرض المص بقوله حيث قال لا على العطف فانه

يعني انه في موضع الرفع على انه نائب مناب فاعل كتب لما وقع في موضع الفعل ويفتح الهمزة منه

قيل معنى كتب عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه لظهور ذلك في حاله وقيل كتب عليه في ام الكتاب

فانه يكون بعد تمام الكلام يعني ان كلمة انه الاولى لو كانت مرفوع المحل على انها قائمة مقام فاعل
كتب وكانت الثانية ايضا في محل الرفع على كونها معطوفة على الاولى مؤكدة لها للزم عطف جملة
تامة على كلام غير تام لان قوله من تولاه مبتدا لم يستوف خبره بعد لان كلمة من فيه ان قدرناها
موصولة فلا خبر لها وان جعلناها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام في عطف الجمل
فاعراب الآية ان كتب مبني للمفعول على قراءة العامة وان في الموضعين مفتوح الهمزة اما الاولى
فلكونها مع ما في حيزها في محل الرفع لنيابتها مناب الفاعل واما الثانية فلكونها مع ما في حيزها في محل
الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وكلمة من في قوله من تولاه يجوز ان يكون شرطية والفاء جوابها
وان يكون موصولة والفاء زائدة في الخبر لتضمن المبتدا معنى الشرط قوله على حكاية المكتوب فان
كلمة ان الواقعة في الكلام المحكي مكسورة لكونها واقعة في ابتداء الكلام ولا ينبغي للحكاية ان تحفظ
صورة الكلام المحكي ولا تغير عما هو عليه من هيئته قوله او اضمار القول فيكون عليه في موضع
الرفع على انه قائم مقام الفاعل لكتب وقوله انه من تولاه قائم مقام الفاعل للقول المضمر ثم انه تعالى
لما حكى عنهم انهم يجادلون في الله بغير علم وكان من جملة ما جادلوا فيه حقية البعث والحشر اورد
ما يدل على صحته بقوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الآية قيل تحريك الوسط في كل
ما كان العين فيه من حروف الحلق قياس مطرد كالشعر والنهر وقيل ليس بقياس بل
هما لغتان كالجلب والجلب والطرد والطرد فيتوقف على السماع ثم انه تعالى ذكر في مراتب الخلقة
الاولى ومباديها سبعة امور الاول التراب فانه مبدا لجميع الافراد الانسانية اما
بواسطة كونه مبدا لاصلهم آدم عليه الصلوة والسلام او بواسطة كونه مبدا للمني
ودم الطمث فان خلقة الانسان منهما وهما يتولدان من الاغذية والاغذية اما حيوانية
او نباتية وغذاء الحيوانات ينتهي الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض
والماء فصح قوله انا خلقناكم من تراب على كل واحد من الاعتبارين قوله اي فانظروا الى بدء
خلقكم الى اشارة الى ان قوله تعالى فانا خلقناكم ليس جزاء في الحقيقة لكنه اقيم مقام الجزاء على
طريق اقامة السبب مقام المسبب من حيث كون الاخبار به سببا مؤديا الى النظر
في مضمونه الذي هو مزيل لريبهم والمرتبة الثانية النطفة وهي ماء الفحل فان قلب التراب
اليابس ماء رطبا لطيفا يتبنى على قدرة باهرة لا يبعد عنها اعادة الموتى والمرتبة الثالثة
العلقة وهي قطعة الدم الجامدة ولا اشكال بين الماء وبين الدم الجامدة مباينة شديدة
والمرتبة الرابعة المضغة وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ وقسم المضغة الى المخلقة وغير
المخلقة اي الى المستواة الملساء من العيب يقال صخرة مخلقة اي ملساء لا عيب فيها و

ومن قال بالعطف لعله يجعل ضمير عليه لمن يجادل وكذا ضمير انه ويجعل من تولاه خبر ان على ان من موصولة او موصوفة و المعنى كتب على المجادل الذي يميل اولياء الشيطان وجرمه ان يجعل الخبر او الجواب محذوفا بقرينة المعطوف اي فقد خسر وخذل فان ضرب الشيطان الى سرود منه

وعلى هذا لا يجوز ايضا ان يكون زجرا عن اتباعه منه

ان كتب عليه وحاله من تولاه

وغير المخلقة اي غير مصور وهو الذي يبقى لحما من غير تخطيط وشكل واحتجوا بما روى علقمة عن ابن عبد الله بن مسعود رضي اذا وقعت النطفة
في الرحم بعث الله ملكا اخذها بكفه وقال يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال الملك يا رب
فما صفتها اذكر ام انثى ما رزقها

ما اجلها اشقي ام سعيد فاعلا وبايها ارض تموت فيقال سبحانه اذهب الى ام الكتاب فانك تجد منه فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجد في ام الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى ياتي على اخر صفتها كذا في ابن العادل

وخلقت السواكر اي سويته وملسته وقيل المخلقة هي التي تم وكمل لها خلقه بنفخ الروح فيه وهو الذي يولد لتمام مدة الحمل حيا وغير المخلقة ما سقط غير حي ولم يكمل خلقه بنفخ الروح وقيل المخلقة ما قدر خلقه وصور وغير المخلقة ما لم يصور بل تسقط المرأة نطفة سقطا او علقة او مضغة لم تبين خلقته وقدم الوجه الوجه لانه اوفق لبناء التفعيل الدال على تكثير الخلق فان الانسان ذو اعضاء متباينة وقوى متفاوتة فاذا كمل فيه جميع ما يتم به خلقة النوع تكثر فيه الخلق واللام في قوله لنبين متعلق بمحذوف اي نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج من علمنا وقدرتنا ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف واشير الى هذا التعميم بحذف المفعول وقوله ونقر مرفوع على الاستيناف وليس علة لما قبله حتى ينصب عطفا على العلة المتقدمة روي عن الزجاج انه ما قوله ونقر في الارحام لا يجوز فيها الا الرفع ولا يجوز ان يكون المعنى فعلنا ذلك لنقر في الارحام لان الله لم يخلق الانام ليقر في الارحام وانما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم ونقل المص قراءة النصب فيه وفي قوله ثم نخرجكم طفلا واشار الى دفع ما ذكره الزجاج بقوله ونقرر بعضه في الارحام حتى يولدوا او ينشأوا او يبلغوا حد التكليف حتى ليس الاقرار في الرحم وحده علة للخلق المذكور حتى يرد ما ذكر بل العلة هي مجموع الاقرار في الرحم الى تمام مدة الولادة والتولد طفلا والنشأة والبلوغ الى حد التكليف والعلة في الحقيقة هي الاخير اعني البلوغ حد التكليف حتى يكلفوا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وطاعته فينالوا سعادة الابد لكن لما كان الاقرار في الرحم مما هو من مقدمات البلوغ اليه ادخل في التعليل وقدر لام العلة ايذانا بذلك لتبلغوا وخص قوله لتبلغوا باعادة اللام للتنبيه على ان المقصود الاولي من بين اجزاء الغرض الثاني هو الجزء الاخير الذي هو البلوغ المذكور لانه اوان التكليف فقوله تعالى ثم لتبلغوا على هذه القراءة معطوف على قوله نخرجكم وقد اشار اليه المص بقوله حتى يولدوا او ينشأوا وعلى قراءة الرفع معطوف على قوله لنبين لكم فان قلت ما معنى ثم في الموضعين فالجواب انه يحتمل ان يكون للتراخي في الرتبة وهو الاظهر الانسب بالمقام ويحتمل ان يكون للتراخي الزماني فان بلوغ الاشد متراخ عن الاخراج طفلا وهو عن الاقرار في الارحام ولو باعتبار ابتداء الاقرار قوله وقريا بالياء وقرئ قوله ليبين ويقر بالياء التحتانية فيهما باسناد كل واحد من الفعلين اليه تعالى كما في قراءة النون وقرئ ويقر بفتح الياء من تحت وكسر القاف ونصب الراء اي ويقر الله وهو من قر الماء اذا صبه وقرأ يعقوب في رواية نقر بفتح النون وضم القاف ورفع الراء من قر الماء يقر اذا صبه كمالكم في القوة والعقل يعني ان الاشد كمال القوة في الحواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين

بين الثلثين والاربعين وقيل من ثمانية عشر الى ثلثين سنة وقيل الى ستة وثلثين سنة والمرتبة الخامسة ما ذكره بقوله ثم نخرجكم طفلا والسادسة ما ذكره بقوله ثم لتبلغوا اشدكم والسابعة ما ذكره بقوله ومنكم من يتوفى اي من يتوفى على قوته وكماله او قبل بلوغه اليها قوله تعالى لكيلا يعلم متعلق بيرد فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيئا مع انه يعلم بعض الاشياء كالطفل اجيب بان المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيئا فان مثل ذلك قد يذكر في مقام نفي العقل للمبالغة قوله تحركت بالنبات الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لنكبة وكيت لا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع فقيل الاصل اهتز وربا نباتها بحذف المضاف واسند كل واحد من الفعلين الى نفس الارض ومن قرأ ربأت فمعناه الزيادة من اي جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسره بقوله ارتفعت وزادت من جهة العلو وقوله تعالى وان الساعة يحتمل ان يكون معطوفا على المجرور بالباء وان يكون خبر مبتدأ محذوف حذف لدلالة المقام عليه والتقدير والامر ان الساعة آتية ولا ريب فيها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا قوله تكرير للتاكيد يعني ان هذه الآية نزلت ايضا في النضر بن الحارث وفائدة التكرير المبالغة في الذم ولتبني عليه انه لا مستند له يجادل به من دليل عقلي ولا وحي سماوي كما لا مستند له من العلم الفطري كانه قيل انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو كقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وقيل الآية الاولى واردة في الاتباع المقلدين وهذه الآية واردة في المتبوعين المقلدين فان كل واحد من الفريقين يصدق عليه انه يجادل بغير علم وان كان احدهما تابعا والآخر متبوعا ويؤيد هذا القول قوله تعالى ليضل عن سبيل الله فان المضل هو المقلد المتبوع لا التابع والثني اللي والعطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الانسان ويلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء وهو عبارة عن الكبر والخيلاء والعطف بفتح العين التعطف والبر قوله على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه متعلق بقراءة من قرأ ليضل بفتح الياء فانه لما ورد على هذه القراءة ان يقال ان الجدال لما كان مهتديا حتى يخرج بالجدال من الهدى الى الضلال اجاب عنه بانه لما كان متمكنا من الاهتداء بان يتفكر فيما نصب من الدلائل والآيات فترك واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وورد ايضا ان يقال ما كان غرضه من الجدال ان يضل من الهدى او يضل غيره عنه فكيف قيل ليضل فاجاب عنه بان الضلال لما كان عاقبة مرتبة على جداله شبه بالغرض المطلوب منه فادخل عليه لام العلة لذلك قوله وهو ما اصابه يوم بدر روي عن ابن عباس رضي انه قال ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث وانه قتل يوم بدر ومن قال انها لم تنزل في واحد بعينه

المراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر وبالكتاب المنير الوحي كذا في العصمة

حمل خزي الدنيا على ذم المؤمنين ولعنهم وقهرهم اياهم فان الخزي وهو الهوان والفضيحة لا يلزم ان يكون بالقتل وقوله عذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى صفته والاصل العذاب الحريق اى المحرق كالسميع بمعنى المسمع وجعله المص من اضافة المسبب الى السبب وجعل الحريق عبارة عن النار قوله والمبالغة لكثرة العبيد جواب عما يقال الظان بما ليس بظالم للعبيد يفيد نفى اصل الظلم ونفى كونه مبالغا مفرطا فى الظلم لا يفيد نفى اصل ظلمه وتقرير الجواب ان المراد نفى اصل الظلم وذكر لفظ المبالغة بنى على كثرة العبيد ثم انه تعالى لما وصف حال المظهرين للشراء المجادلين فيه عقبه بذكر حال المتزلزلين المذبذبين فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف حال من فاعل يعبد والحرف الطرف والناحية والوسط والطرف من صفات الاجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال من يعبد الله حال كونه على قلق فى دينه من غير ثبات وطمأنينة فيه بحال من يكون على طرف من العسكر ونحوه فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر قوله تعالى وان اصابته فتنة المراد بها ههنا ما يشكره الطبع ويشق على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن والآلام صح ان يجعل مقابلا للخير لانه ايضا فتنة و امتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولم يقل وان اصابه شر مع انه هو المقابل للخير لان ما ينفر عنه الطبع ليس شرا فى نفسه بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضاء بالقضاء قوله خسرانا ابى خطيرا اكبر بما قوله ووضع الظاهر بالجر عطفا على قوله الفاعلية فان الظاهر ان يكون قوله انقلب مسندا الى ضمير مستتر راجع الى قوله ومن الناس مثل قوله اطمأن به فلما جعل خاسر الدنيا مرفوعا على انه فاعل انقلب فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر فى انقلب تنصيصا على خسران المنقلب قوله مستعار من ضلال من ابعد فى التيه اى شبه ضلال من عبد من دون الله ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده عن سواء السبيل وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادا وعملا بضلال من ابعد فى التيه ضالا فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد فان القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان اثبات البعد له استعارة تخييلية قرينة للاستعارة بالكناية والظاهر انه شبه العدول عن الحق المشبه بالمسافة الحسية والصراط المسلوك فيها حسا بالضلال عن الصراط المستقيم الحسى وشبه التوغل فى ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسى فعبر عن التوغل فى العدول عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية ثم انه لا بد مع اعتبار هذه الاستعارة من تقدير مضاف فى البعيد اى البعيد مسافته واضيفت المسافة الى الضلال لادنى الملابسة فان الضلال واقع فى تلك المسافة قوله لمن ضره اقرب بكونه معبودا اشارة الى رفع ما يقال كيف نفى النفع والضر عن الاصنام فى

ومحصله انه فى قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى والامر انه ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محله الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله فى سورة الانفال الخ

فى قوله تعالى يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه واثباته فى قوله لمن ضره اقرب من نفعه و تقرير الدفع انه معنى الآية الاولى ان الكافر لغاية جهله وحماقته يعبد جمادا لا يضر ولا ينفع بنفسه و الضر المثبت للاوثان فى الآية الثانية ليس ضررها بانفسها ليلزم التناقض بل المراد من ضررها كون عبادتها سببا للضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس اضاف الاضلال من حيث كونهن اسبابا للضلال فكذا ههنا نفى الضرر عنهن اولا بمعنى كونهن فاعلة له واضاف الضرر اليهن فى هذه الآية بمعنى كون عبادتهن سببا للضرر وكذا النفع المضاف اليهن ليس نفعا فى انفسها بل هو النفع فى زعم العابدين وتوهمهم قوله والزعم قول مع اعتقاد جواب عما يقال كيف يكون يدعو معلقا بلام الابتداء وهو ليس من افعال القلوب وكذا الزعم والتعليق من خصائص افعال القلوب وفيه اشارة الى جواب آخر عن سؤال التناقض تقريره ان نفى الضرر والنفع عن الاصنام حكم من الله تعالى حكم على الكافر المنقلب على وجهه انه يدعو ويعبد من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه بنفسه ثم حكى عنه انه يزعم اى يقول ويعتقد يوم القيمة حين يرى استضراره بسبب عبادة الاصنام لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وباختلاف الحاكم يندفع التناقض فجملة لمن ضره فى حيز مفعول يدعو الا انه علق عنه الفعل بلام الابتداء اجراء له مجرى يقول بمعنى ان المقام مقام حكاية قول الكافر الا انه وضع يدعو موضع يقول ايذانا على قوله فيه صراخ ودعاء فلما كان يدعو الثانى بمعنى يقول متضمنا معنى الدعاء والصراخ كان النافى للضرر والنفع عن الاصنام هو الله تعالى والمثبت لهما اياها الكافر فاندفع التناقض بهذا الوجه ايضا قوله او ستأنفه عطف على قوله واللام معلقة ليدعو كانه قيل جملة قوله لمن ضره فى محل النصب على انها فى حيز مفعول يدعو او مستأنفة لا محل لها من الاعراب فيكون يدعو الثانى تكريرا للاول تأكيدا له فلا معمول له لا لفظا ولا تقديرا كانه قيل يدعو من دون الله الذى لا يضره ولا ينفعه فعلى هذا يكون قوله ذلك هو الضلال البعيد جملة معترضة بين المؤكد والمؤكد عنه لان فيها تشديدا و تأكيدا للكلام ويكون قوله لمن ضره كلاما مستأنفا واللام فيه للابتداء ومن موصولة وضره مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة ولبئس جواب قسم مقدر والقسم المقدر مع جوابه خبر للمبتدأ الذى هو الموصول ثم انه تعالى لما ذكر المشركين المجادلين بالباطل والذين يعبدون الله على حرف وبين مآل امرهم ذكر المؤمنين المتمسكين على الايمان والاعمال الصالحة وبين ثوابهم فى الآخرة ثم قال ان الله يفعل ما يريد باهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان والفضيحة قوله كلام فيه اختصار فان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا اى لن ينصر رسوله على اعدائه باعلاء كلمته واظهار دينه وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه مبتدأ عن كلاما يذكر فيه ان الله ينصر

ربحه ذلك بالجملة ... انه لما قال لان نفع الاوثان لما كان فى زعم المشركين وهما فقط كان سلبا بالكلية قال لمن ضره اقرب من نفعه فى اقوالهم يوم القيامة الحاصل ... لبئس المولى

... من ... الا ... بالارض ... للاوثان ... عن ... الاخرة ... الخ

رسوله في الدنيا والاخرة ومنكرا بشكر ذلك حسدا وعداوة ويطمع انه لا يفعل ذلك ويغيظه رؤيته خلاف ما يشتهيه من تزائد عزته وارتفاع قدره عليه الصلوة والسلام حتى يكون بهذا الكلام رذاله وافناطا وترغيباله وتهزا **قوله** وقيل المراد بالنصر الرزق على ان يكون ضمير ينصره راجعا الى من في قوله تعالى من كان يظن بناء على ان من حق الضمير ان يرجع الى المذكور اذا امكن ذلك ومن ذهب الى انه يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجر ذكره في هذه الاية فان قد ذكر فيها ما يدل عليه عليه الصلوة والسلام وهو الايمان المذكور في قوله ان الله يدخل الذين امنوا فان الايمان لا يتم الا بالله ورسوله فعلى تقدير ان يكون النصر بمعنى الرزق يكون المعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيته فلا بد للعبد من الرضا بقسمه فمن لم يرض بما رزق الله تعالى وليس به صبر واستسلام لما قسم الله تعالى فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة والسبب الحبل والسماء قيل المراد به سقف البيت بناء على ان كل ما علاك فهو سماء وقيل المراد به سماء الدنيا والمعنى فليمدد الذي يغيظه نصر الله تعالى رسوله او يجزعه قلة رزقه فليمدد بحبل الى السماء المظلة ثم ليقطع به المسافة الى ان يصل عنان السماء جانبها الذي يعرض لكن من اقطارها ومن في قوله تعالى من كان يظن يجوز ان يكون شرطية وهو الظاهر وان يكون موصولة وفليمدد اما جزاء الشرط او خبر للموصول والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وهل يذهبن في محل النصب على اسقاط الخافض اي انه هل يذهبن **قوله** فلينصور في نفسه لما دل ظاهر نظم الاية على ان الامر بالنظر بعد الاختناق وهو غير معقول لان الانسان بعد الاختناق لا يصلح للنظر والتامل صرف الكلام عن ظاهره وجعل النظر المامور به عبارة عن ان يتصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله تعالى وهو سابق على الاختناق فكانه قيل فليتامل انه ان فعل ذلك هل يذهب كيده ما يغيظه واما الفاء في فلينظر فكانه محمول على التراخي الرتبي ثم انه تعالى لما قال وان الله يهدي من يريد اتبعه بيان من يهديه ومن لا يهديه فقال ان الذين امنوا الاية وان الثانية مع اسمها وخبرها في محل الرفع على انه خبر ان الاولى كما في قولك ان زيدا ان الخير عنده كثير والصابئون من صبا الرجل عن دينه اذا خرج عنه الى دين آخر وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها قال قتادة هم قوم كانوا يعبدون الملائكة وقال مجاهد هم قبيلة بين اليهود والمجوس لا دين لهم والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة **قوله** بالحكومة بينهم او الجزاء يعني ان المراد بالفصل اما الفصل بالحكم بان هذا محق وذاك

وذاك مبطل او الفصل بالجزاء بان لا يجمع الجميع في موطن واحد بل يجازي كل احد بما يليق به ويدخل الدار المعدة له **قوله** يتسخر لقدرته ولا يتأتى عن تدبيره لما دخل كفرة الانس ومردة الجن والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات في عموم قوله تعالى من في السموات الخ وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا لله تعالى حمل السجود على معنى مجازي يتصور في كل موجود ممكن وهو كونه منقادا لتسخير القدرة ومشيته تعالى غير متأب عن شيء مما يحدث فيه من افعاله وتدابيره شبه هذا الانقياد والمطاوعة بالسجود الحقيقي الصادر عن المكلف واطلاق اسم السجود على المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ثم اشتق من السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة اليه تبعا والرؤية في الاية بمعنى العلم والمعنى الم تعلم ان الله تعالى ينقاد له المكونات باسرها **قوله** او يدل بذلته على عظمة مدبره عطف على قوله يتسخر يعني ان السجود في الاية مجاز اما عن التسخير والانقياد او الدلالة على عظمة الملك المدبر فان السجود الحقيقي انما يكون على طريق الخضوع والتعظيم فيدل لا محالة على العظمة والكبرياء فكذا جميع هذه المذكورات يدل على عظمة خالقها فتشبه لا محالة بالسجود الحقيقي فاطلق عليها اسم السجود وقرئ والدواب بتخفيف الباء اي بحذف الباء الاولى كراهة التضعيف والجمع بين الساكنين **قوله** عطف عليها ان جوز الخ جواب عما يقال السجود بمعنى التسخير للقدرة والارادة وبمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام في حق الناس جميعا فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة وتخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند الى الكثير السجود الحقيقي وذلك يستلزم ان يكون لفظ يسجد مستعملا في المعنيين باطلاق واحد وتقرير الجواب ان من جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احد مفهوميه الى امر وباعتبار مفهومه الاخر الى امر آخر فلا اشكال عليه لان المسند الى كثير من الناس هو السجود الحقيقي والى الاحاد الباقية وسائر المذكورات السجود بالمعنى المجازي والسجود بهذا المعنى وان صح اسناده الى كثير من الناس ايضا الا ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند اليهم سجود مخصوص مغاير للسجود المسند الى الافراد الباقية ومن لم يجوز ذلك لا يجعل قوله من الناس معطوفا على ما قبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر او فاعل فعل مضمر وتقدير الاية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة **قوله** وان يعطف به اي ويجوز ان يكون قوله وكثير حق عليه العذاب موصوفا وصفة عطف به على ما قبله ويكون العامل في جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام وما ذكر من تخصيص الكثير بالذكر يكون للتوافق فالجواب عنه ان ذكر ليس لتخصيص الحكم بهم ونفيه عما عداهم حتى يكون لغوا بل اطلاق

بل المراد بذكره تفصيل الناس الى من هو ساجد بذاته وبظاهره والى من هو ساجد بذاته
متمرد بظاهره وبيان ان الكل ساجد له تعالى بالمعنى العام **قوله** وقرئ حق بالضم فان حق
يستعمل لازما ومتعديا يقال حققت الشيء بمعنى اثبته وحق الشيء اى ثبت ثم انه تعالى لما بين
ان الناس قسمان منهم من يسجد ومنهم من حق عليه العذاب ولا شك ان تباين طريقي الفريقين
يستلزم جريان الاختصام بينهما ذكر الله تعالى كيفية اختصامهما فقال هذان خصمان **قوله**
ولذلك اى ولكون الخصم صفة لموصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى كالفوج والفريق وكان قوله
خصمان في معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكثرة صح اسناد اختصموا الى ضمير
الجمع كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فقوله هذان اعتبار اللفظ خصمان
وجمع اختصموا اعتبار المعنى ولو عكس جاز كما جاز اعتبار المعنى فقط بان قيل هؤلاء خصمان
اختصموا واعتبار اللفظ فقط بان قيل هذان خصمان اختصما **قوله** نيران تحيط بهم احاطة
الثياب يعني ان قوله تعالى ثياب مستعار للنيران التي يقطعها الله تعالى اى يقدرها ويهيئها لهم على مقادير
جثثهم تشبيها لها بالثياب الملبوس في احاطة البدن **قوله** تعالى يصهر به اى يذاب يقال صهرت
الشيء فانصهر اى اذبته فذاب فهو صهير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لو سقطت قطرة
من الحميم الذي يصب على رؤس اهل النار على جبال الدنيا لاذابها وعن الحسن ان النار تقذفهم
بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فاذا انتهوا
الى اسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض
فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها اى ما رفعوها يقال اقل الشيء يقله واستقله يستقله اذا رفعه
وحمله **قوله** النار البالغة في الاحراق اشارة الى ان الحريق بمعنى المحرق كالسميع بمعنى المسمع
والعدول الى صيغة الفعيل للدلالة على المبالغة **قوله** غير الاسلوب فانه تمام فصل الخصومة
مقابل لقوله تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار فالاسلوب المناسب له ان يقال
والذين امنوا وعملوا الصالحات اعدت لهم جنات **قوله** صفة مفعول محذوف اى يحلون
فيها حليا كائنا من اساور او ملبوسا كائنا من اساور وفيه بحث لان حليت وحليت مشددا
ومخففا بمعنى واحد لا يتعدى شيء منهما الا الى مفعول واحد حليت المرأة حليها حليا وحليتها
تحلية اذا جعلت لها حليا فكيف يقدر ليحلون مفعول منصوبا الا ان يجعل يحلون بمعنى يلبسون
فالظاهر ان يجعل من ابتدائية متعلقة بيحلون **قوله** الا ان يراد المرصعة به اى لا يجوز ان يكون
لؤلؤ المجرور معطوفا على ذهب على ان يكون المعنى ان الاساور قد تكون متخذة من الذهب
وحده ومن اللؤلؤ وحده لان اتخاذ السوار من اللؤلؤ غير معهود وانما يجوز عطفه على

على ذهب على ان يكون المعنى من اساور منهما بان يرصع اللؤلؤ في الذهب وظاهر ان السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده بنظم بعضه الى بعض غاية ما في الباب ان لا يكون ذلك معهودا في زمان المفسرين وقرا نافع وعاصم بنصب لؤلؤا والباقون بجره وقد ذكره المص وجه كل واحد منهما واختلفوا في رسم هذه اللفظة في الامام فنقل الاصمعي انها في الامام لولو بغير الف بعد الواو وروى حفص عن عاصم لؤلؤ بهمزتين وروى ابو بكر عنه بقلب الهمزة // الثانية واوا وقرئ لوليا بالواو اولا والياء اخرا والاصل لؤلؤا بهمزتين ابدل كل واحدة منهما واوا فصار اخر الاسم المتمكن واوا قبلها ضمة وهو غير معهود في كلام العرب الا في كلمة هو ففعل فيها ما فعل بادل جمع دلو بان قلبت الواو ياء والضمة كسرة وفعل بهذا ايضا من قراءة ليليا بيائين ثم اتبع الواو الاولى للثانية في القلب وقرئ ولول بالجر عطفا على المجرور قبله والاصل لؤلؤ ابدلت الهمزتان واوين ثم اعل اعلال ادل بان قلبت ضمة اللام كسرة والواو ياء ثم اعل اعلال قاض **قوله** غير اسلوب الكلام يعني // الظاهر ان يقال ولؤلؤ وحرير بالجر اللفظين او نصبهما على طريق عطف المفرد على المفرد الا انه عدل عنه الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات **قوله** او للمحافظة على هيئة الفواصل فانه لو قيل وحريرا بالنصب لم يكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق و والحميد حالة الوقف بخلاف ما لو قيل وحرير بالجر فانه لا تفوت فيه محافظة هيئة الفواصل فهذا التعليل انما يدفع ان يقرا وحريرا بالنصب دون الجر **قوله** وهو الجنة اي المحمود نفس الجنة والمحمود عاقبة الحق كانه قيل وهدوا الى صراط الجنة التي هي المحمود نفسها // او الى صراط الحق المحمود عاقبة او الى صراط الله المستحق لذاته الحمد ثم انه تعالى لما فصل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء فقال ان الذين كفروا قيل نزلت الاية في ابي سفيان واصحابه حين صدوه عليه الصلوة والسلام عام الحديبية عن البيت فكره عليه الصلوة والسلام قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود في العام القابل **قوله** ولذلك حسن عطفه وكون قوله ويصدون لا يقصد به الدلالة على زمان معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا ومن شانهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى ان الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله حسن عطفه على الماضي **قوله** وقيل هو حال من فاعل كفروا لم يرض به لان الجملة الحالية اذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا امتنع دخول الواو عليه فالحكم ولا يمكن ان يقدر المبتدا اي وهم يصدون لان تقدير المبتدا في مثل ذلك قليل لا يقاس عليه وما ورد على قلة كقول بعض العرب قمت واصك

قوله ويجوز ان يكون من الفعل وهو الاظهر لعطف الفعل فالاسم ويجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن فيه ومن التنصيص اولى به

ابن عادل

وجهه وقوله من مال فلما خشيت اظافيرهم ان اسلختهم بحوث وارحتهم مالكاما أول
بحمل الكلام على حذف المبتدا اى واصكرو انا ارحتهم فلا يحمل عليه القران العظيم وعلى قوله
خبران محذوف لدلالة اخر الآية عليه وظاهر كلام المص يدل على ان موضع تقديره بعد
قوله عن سبيل الله وتقدير الخبر قبل تمام الاسم بمتعلقاته لا يخلو عن بعد وقدره صاحب
الكشاف بعد قوله والمسجد الحرام وفيه انه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي
وهو خبران لان قوله الذي صفة للمسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا ان الذين كفروا و
يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذي جعلناه للناس فالظاهر
ان موضع التقدير بعد قوله والباد وللزمخشري ان يجيب عما يتوجه عليه من الاعتراض
بان يقول لا نم ان قوله الذي جعلناه صفة للمسجد الحرام حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب
بتقدير اعني او مرفوع بتقدير هو قوله واول الحنفية بمكة قالوا المراد من المسجد الحرام الحرم كله
كما في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقد اسرى به من بيت ام هانئ
واستدلوا على ان اراضي مكة لا تملك بهذه الآية وقالوا انها لو ملكت لما استوى العاكف فيها
والباد فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واستدلوا عليه ايضا بقوله عليه الصلوة
والسلام مكة مناخ لمن سبق اليها وقال الشافعي يجوز بيع دور مكة واجارتها وقال قوله
سواء العاكف فيه والباد والمراد به استواؤهما في تعظيم حرمته وقضاء النسك واليه
اشار المص بقوله وهو مع ضعفه فان وجه الضعف انه لا يلزم ان يكون المراد بقوله سواء
المساواة في الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز ان يراد به الاستواء في تعظيمه والعبادة
فيه بمعنى انه ليس للمقيمين منع البادين من العبادة فيه وبالعكس ويؤيده قوله عليه الصلوة
والسلام يا بني عبد المطلب من ولي منكم من امور الناس شيئا فلا يمنعن احدا طاف بهذا
البيت او صلى اية ساعة من ليل او نهار واحتج الشافعي على من يرخص في كراء دور مكة و
بيعها بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فقال اضاف الديار الى مالكها او الى غير مالكها وبقوله
عليه الصلوة والسلام يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن وقال قد اشترى عمر بن الخطاب رض
دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها او غير مالكها وقرا الجمهور سواء بالرفع وقرا حفص
عن عاصم بالنصب ووجه الرفع كونه خبرا مقدما والعاكف والباد مبتدا مؤخرا وانما وحد الخبر
وان كان المبتدا شيئين لان سواء في الاصل مصدر وصف به والجملة الاسمية في محل النصب
على انه مفعول ثان لجعلناه بمعنى صيرناه وقوله للناس متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول
جعلناه اي جعلناه حال كونه معبدا للناس سواء العاكف فيه قوله والا اى وان لم يكن

وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة اخص بمنزله منهم وكان عمر رض ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم وعلى هذا فالمراد بالمسجد الحرام الحرم كله لان اطلاق لفظ المسجد الحرام وارادة البلد الحرام جائز كقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وايضا فقوله العاكف فيه المراد منه المقيم والاقامة لا تكون في المسجد بل في المنازل ابن عادل

قال القاضي ووجه الدلالة يعني ان اضافة ... وضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم ... الديار اليهم ... اضعف من نسج العنكبوت

ويدل ايضا عليه قوله العاكف فيه فان المراد منه المقيم والاقامة لا تكون في المسجد الحرام بل في منازل مكة سله

يكن للناس حالا من الهاء بل جعل مفعولا ثانيا لجعلناه يكون جملة سواء العاكف حالا
من عائد الموصول والوجه في انتصاب سواء كونه مفعولا ثانيا او حالا من ها جعلناه و
للناس هو المفعول الثاني وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر
وصف به فهو في حكم اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف قوله
بما نزل منزلة مفعوله والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب
اليم قوله وقرئ بالفتح اي بفتح الياء اي من اتى فيه بالحاد ظالما على ان الباء للتعدية
قوله واذكر اذ عيناه وجعلناه لمباءة المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع واصل
التبوئة جعل المكان مباءة ومقرا ومعناه هاهنا جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة
اي مرجعا يرجع اليه للعبادة والعمارة وعن الزجاج معنى بوأنا له بينا له مكان
البيت ليبنيه ويكون مباءة له ولعقبه يرجعون اليه ويحجونه لانه كان قد رفع زمان
الطوفان فبينه الله تعالى بان ارسل اليه ريحا خجوجا فكشفت الاساس القديم الا انه لما كان
المقصود من التبيين والتعيين ان يتخذه مقرا ومباءة اتبعه المص قوله وجعلناه
لمباءة وبوأنا لما كان متعديا لا من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر ان يقال
واذ بوأنا ابراهيم بدون اللام واشار المص بقوله وجعلناه لمباءة الى ان مكان
البيت مفعول به لبوأنا وان ايراد اللام مبني على تضمين بوأنا معنى جعلنا ولم يرض المص
بقول من قال اللام زائدة في المفعول به ومكان البيت ظرف لما تقرر من ان اللام انما تزاد
اذا تقدم المعمول او كان العامل فرعا وشيء منهما غير متحقق هاهنا ولان مكان البيت
ظرف معين يجب ان يتعدى الفعل اليه بكلمة في روي ان الكعبة المكرمة بنيت خمس
مرات احدها بناء الملائكة اياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء
في ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه الصلوة والسلام روي انه تعالى لما امر
ابراهيم ببناء البيت لم يدر اين يبني فارسل الله تعالى اليه السكينة وهي الريح خجوج فطوقت
موضع البيت كالحجفة فكشفت ما حول البيت واظهر الاساس القديم فبناها عليه الصلوة
والسلام على اسه القديم والمرة الثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان عليه يومئذ رجلا شابا فلما ارادوا ان يرفعوا
الحجر الاسود اختصموا فيه فاراد كل قبيلة ان يتولى رفعه ثم توافقوا على ان يحكم بينهم
اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقضى
بينهم ان يجعلوه في مربط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى هو عليه الصلوة

الخجوج السريعة المر وقطعت والحجفة نعلت من الطعن هي الترس من الجلود المطارقة سلمه

والسلام فرفعوه فوضعه في مكانه وكانوا يدعونه الامين قيل كان بناء الكعبة قبل المبعث
بخمس عشر سنة والمرة الرابعة بناء عبد الله بن الزبير والمرة الخامسة بناء الحجاج وهو
البناء الموجود اليوم قوله من انه بمعنى معنى تعبدنا جواب عما يقال كيف يكون النهي عن
الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة وليس فيها معنى القول وتقرير الجواب ان فيها
معنى القول من حيث انها لا تقصد الا من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم فقلنا له
لا تشرك بي شيئا والتعبد فيه معنى القول لان تعبد الشخص عبارة عن تعبيره كالعبد
في التكليف بالامر والنهي فكانه قيل كلفنا ابرهيم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
او مصدرية ولا يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة لان صلة المخففة لا تكون للامر والنهي
ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا وكذا صلة المصدرية على الاشهر واجاز سيبويه ان تكون
صلة المصدرية ذلك نحو امرته ان قم اي بان قم على معنى بالقيام فالمصدرية التي تنصب المضارع توصل
بالفعل الماضي والمضارع والامر والنهي عنده فكلمة ان في الاية الكريمة يجوز ان تكون مصدرية
موصولة بالنهي مجرورة المحل بلام علة مقدرة متعلقة بمحذوف والمعنى فعلنا ذلك لئلا تشرك
كما كان قولك امرته قم بمعنى امرته بان تقوم الا ان الظاهر على هذا الوجه ان يقال ان لا يشرك بياء
الغيبة وقد قرئ به ووجه قراءة العامة بالتاء ان يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة
الى الخطاب فظهر بما ذكرنا انه يجوز ان تكون كلمة ان في الاية مصدرية ناصبة مع كون لا تشرك
مجزوما بلا الناهية وكان المعنى بوأنا له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لي شريكا في العبادة
ولا يشرك في طلب وجهي ومرضاتي لا غرضا اخر في بناء البيت قوله ولعله عبر عن الصلوة
باركانها وهي القيام والركوع والسجود اختار ان المراد بالقائمين المصلون لان المصلي لا بد
وان يكون في صلوته جامعا بين القيام والركوع والسجود وروي عن ابن عباس انه قال المراد
بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وهو افاقي غير مقيم بمكة
قوله وقرئ وآذن بالمد وتخفيف الذال بمعنى اعلم ويبعده قوله في الناس اذ كان ينبغي ح
ان يقال آذن الناس بدون في لانه يتعدى بنفسه وذهب اكثر المفسرين الى ان المامور بالنداء
هو ابرهيم عليه الصلوة والسلام وقالوا انه لما فرغ من بناء البيت قال له اذن في الناس
بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابرهيم الصفا وفي
رواية ابا قبيس وفي اخرى على المقام فارتفع المقام حتى صار كطول الجبال فادخل اصبعيه في
اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا
وكتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من

من النار فاجاب كل من يحج من اصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك فسمعه اهل ما
بين السماء والارض فما بقي شيء سمع صوته الا اقبل يلبي ويقول لبيك اللهم لبيك قيل فاول
اجابة اهل اليمن اكثر الناس حجا وقال مجاهد من اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين او اكثر
يحج مرتين او اكثر بذلك المقدار قوله رجالا نصب على الحال وعلى كل ضامر عطف عليها
كانه قيل رجالا وركبانا والضمور الهزال يقال ضمر يضمر ضمورا روي عن ابن عباس رض
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته
سبعين حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم
قال الراوي قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف قال مجاهد حج ابرهيم واسمعيل
عليهما الصلوة والسلام ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما والكاف في
يأتوك ضمير ابرهيم فان من اتى الكعبة حاجا فكانه قد اتى ابرهيم لانه مجيب نداءه وتنوين
يأتين ضمير كل ضامر لانه في معنى الجمع على ضوامر من جماعة الابل قوله او اتباع
عطف على قوله صفة للرجال لما قال اولا واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا استانف
فقال يأتين من كل فج عميق وقوله ليشهدوا يجوز ان يتعلق بقوله واذن وان يتعلق
بقوله يأتوك رجالا واختلفوا في المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهي ان يتجروا
في ايام الحج وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة وبعضهم حملها على
الامرين جميعا وهو الاولى قوله وقيل كنى بالذكر عن النحر لكون الذكر من لوازم نحر المسلمين
وهو معطوف على ما قبله من حيث المعنى فانه اختار ان قوله ويذكروا اسم الله لم يذكر
لينتقل منه الى الملزوم وانما ذكر ليدل على ايجاب الذكر عند اعداد الهدايا والضحايا حمل
الذكر على التسمية على الذبائح مع ان عشر ذي الحجة يكثر فيها ذكر الله بالتلبية والتكبير
لانه ذكر بعده على ما رزقهم من بهيمة الانعام وذكر على الانعام هو التسمية على نحرها قال
الحسن وقتادة ومجاهد الايام المعلومات ايام العشر من ذي الحجة وقيل لها معلومات
للحرص على علمها بحسابها لكون وقت الحج في اخرها والايام المعدودات ايام التشريق و
هو اختيار الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله وعن ابن عباس رض عنهما في رواية عنه
ان الايام المعلومات ايام الحج وهي يوم عرفة والنحر وايام التشريق وقيل هي ايام النحر
وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله بقرينة ما ذكر بعده وهو قوله على ما رزقهم
من بهيمة الانعام والذكر على الانعام يدل على التسمية على الذبائح والجواب عن هذا المس
مال بالاول ان اليوم العاشر من ايام النحر وهو افضلها وكلمة في لمطلق الظرفية فلا تقتضي

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله يباهي باهل
عرفات الملائكة يقول يا ملائكتي
انظروا الى عبادي شعثا غبرا
اقبلوا يضربون الي من كل فج
عميق فاشهدكم اني قد اجبت
دعاءهم وشفعت رغبتهم و
وهبت مسيئهم لمحسنهم واعطيت
محسنهم جميع ما سالوني غير
التبعات التي بينهم فاذا افاض
القوم الى جمع ووقفوا وعادوا
في الرغبة والطلب الى الله يقول
يا ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا
في الرغبة والطلب فاشهدكم اني
قد اجبت دعاءهم وشفعت
رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم
واعطيت محسنهم جميع ما سالني
وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم
تمامه

الاستغراق والبهيمة اسم لكل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر
والضأن والمعز لان الهدي والذبيحة لايكونان من غيرها   وازاحة لما عليه اهل الجاهلية
فانهم ماكانوا ياكلون من ذبايحهم ترفعا على الفقراء فاعلم الله تعالى ان ذلك جائز ان شاء
الكل وان شاء لم ياكل وقيل انه امر ندب لما فيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقراء و
استعمال التواضع والبائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار
وهو مأخوذ من فقار الظهر فالبائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي ليس له غنى
وعن ابن عباس البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون
كذلك بان يكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني اتفق العلماء على ان الهدي ان كان
تطوعا كان للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روي انه عليه الصلوة والسلام
ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلثا وستين بدنة بنفسه ونحر علي رضي الله عنه
ما بقي ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك
وطبخت فاكلا من لحمها وحسيا من مرقها وكان هدي تطوع واختلفوا في الهدي الواجب بل يجوز
للمهدي ان ياكل منه شيأ مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة
جبرا للنقصان والتي وجبت بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد فذهب قوم الى انه لا يجوز
للمهدي ان ياكل منه شيأ منها ومنهم الشافعي وذهب الائمة الحنفية رحمهم الله تعالى الى انه ياكل
من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لا دم الجناية ولا ياكل من واجب سواهما بان يقول
مثلا ان رزقني الله تعالى لقاء الكعبة او اتمام ما وجب علي بهذا الاحرام فعلي ان افعل كذا
ثم ليقضوا تفثهم بريد ان التفث الوسخ يقال للرجل ما اتفثك وما ادرنك اي ما اوسخك وان
قضاء ازالته واذهابه فان الحاج اشعث اغبر وكل ما يستقذر من الشعث وطول الظفر
ونحوهما فيزيل جميع ذلك عند الاحلال والخروج من الاحرام فيحلق راسه ويقص شاربه و
يقلم اظفاره وينتف ابطه ويحلق عانته ويدهن راسه والمراد بنذورهم ما نذروه من اعمال
البر في ايام الحج فان الرجل اذا حج او اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا ايجابه
لم يكن الحج يقتضيه وقيل المراد بها ما اوجبه الدخول في احرام الحج من انواع المناسك التي تجب
بالدخول في الحج سميت نذورا تشبيها للايجاب بطريق الفعل بالايجاب بقول وان كان على الرجل
نذور مطلقة فالافضل ان يتصدق بها على اهل مكة   طواف الركن اعلم ان طواف الحج
ثلثة الاول طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلثا من الحجر
الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا ثم يصلي ركعتين ثم يطوف بين الصفا والمروة

٥٠٢

سبعا وهذا الطواف سنة لا شيء على تاركه والثاني طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي
والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لا يحصل التحلل عن الاحرام ما لم يأت به
عن عائشة رضي الله عنها قالت حاضت صفية رضي الله عنها ليلة النفر فقالت ما اراني الا حابستكم
فاخبر عليه الصلوة والسلام بذلك فقال عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفروا
فثبت بهذا انها ان لم تطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز لها ان تنفر والطواف الثالث
طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف
بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع ثم ان
الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع اي الامر ذلك اي ذلك
الذي ذكر من قوله تعالى واذ بوأنا لابرهيم الى قوله وليطوفوا بالبيت العتيق فان هذه الآية
مشتملة على الاحكام المامور بها والمنهي عنها   احكامه واحكام الله تعالى خطابه المتعلق
بافعال المكلفين بالايجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لا يحل هتكه من نحو البيت الحرام و
الاحرام والنسك ضروب الشرع عما وراءه والحرمة بهذا المعنى يعم جميع ما لا يحل هتكه وقد
يخص بالحرام وجميع التكاليف المتعلقة بالحج وقد يخص بالحرمات الخمس التي من جملتها
المحرم حتى يحل والحرمة بهذا المعنى وان كان اخص من الحرمة بالمعنى الاول الا انها اعم من
الحرمة بالمعنى الثاني لتناولها ما ليس من قبيل التكاليف المذكورة وقوله عند ربه يدل
على الثواب المؤخر لانه لا يقال عند ربه فيما حصل من الخيرات وتعظيم الحرمات عبارة عن
الاعتقاد بوجوب مراعاتها والاجتهاد في حفظها ومراعاتها والاحتراز عن هتكها
اي المتلو عليكم تحريمه اشارة الى ان ما موصولة وان ما اسند اليه يتلى محذوف وان الاستثناء
متصل لكون المستثنى عبارة عما حرم من الانعام بعارض ولا شك في دخوله في المستثنى منه
قبل الاستثناء ما ذكره في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير
الله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب
وان تستقسموا بالازلام وما في اولها احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وانتم حرم ووجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى لما حث على تعظيم حرماته التي من جملتها قوله
غير محلي الصيد وانتم حرم جاز ان يذهب الوهم الى ان الاحرام اذا حرم الصيد المباح
قبله يحرم الانعام ايضا فبين الله تعالى ان الاحرام لا يحرم الانعام فهي محللة للمحرم كما تحل
لغيره ثم استثنى منها ما حرم لعارض وفرع الامر بالاجتناب عن الاوثان وقول الزور
على قوله ومن يعظم حرمات الله مع كون الاجتناب عنهما داخلا في تعظيم حرماته للتنبيه على

على ان التوحيد وصدق من اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور في سلك واحد لان
الشرك من باب الزور بل هو رأس الزور فان المشرك يزعم ان الوثن يحق له العبادة
وكان اهل الجاهلية يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه فكانه قيل فاجتنبوا
عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئا منه فاظنك
بشيء من قبيل عبادة الاوثان واشار المص الى وجه ارتباط قوله واحلت لكم بهيمة الانعام
الى قوله قول الزور بقوله كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه قوله واحلت لكم الانعام ردا
لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب اتبعه ايضا قوله فاجتنبوا الرجس من
الاوثان ردا لتعظيمهم الاوثان واتبعه قوله واجتنبوا قول الزور ردا لافترائهم على الله
بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور عطف على قوله تعميم بعد تخصيص فانه يدل على ان المراد
بالقول الزور ما يعم كل قول منحرف مصروف عن الواقع سواء كان من قبيل الشهادة اولا روي
عنه عليه الصلوة والسلام انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه الكريم وقال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلث مرات وتلا هذه الآية طوح به اي جعله
تائها يرمي به ههنا الجوهري طوحه اي توهه وذهب به ههنا وههنا وتطوح في البلاد
اي رمى بنفسه ههنا وههنا ويجوز ان يكون من التشبيهات عطف على ما قبله من
حيث المعنى فان ما ذكره اولا يدل على انه من قبيل التشبيه المفرق حيث اشار الى ان كلا
واحد من طرفي المشبه والمشبه به امور متعددة شبه كل واحد مما في طرف المشبه
بكل واحد مما في طرف المشبه به فالايمان والشرك والاهواء والشيطان والذي في
طرف المشبه به السماء والساقط والطير المختطفة والريح شبه الايمان في علوه بالسماء وشبه
المشرك المتمكن من الايمان والقادر عليه بفطرته الاصلية بالذي صعد السماء ثم سقط منها و
شبه الاهواء التي توزع افكاره بالطير المختطفة وشبه الشيطان الذي يوقعه في اودية الضلال
بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ثم جوز ان يكون من التشبيهات المركبة
ومعنى كون التشبيه مركبا ان يقصد الى عدة اشياء مختلفة فتنتزع منها هيئة وتجعل مشبها او
مشبها به ولهذا صرح صاحب المفتاح في تشبيه المركب بالمركب بان كلا من المشبه والمشبه به
هيئة منتزعة فما في الاية ان كان من قبيل التشبيه المركب جعل المشبه المشرك بالله والمشبه به
من خر من السماء فعند ذلك اختطفه الطير او عصفت به الريح في مكان سحيق وكلا طرفي
التشبيه مركب اما المشبه به فظ واما المشبه فلان المشرك من ترك الايمان بالله وحده
واشرك به فان قلت ينبغي ان تكون السماء والطير والريح استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه

به قلت قد دخلت اداة التشبيه في مجموع قوله خر من السماء والاستعارة انما تكون اذا كان
الكلام خاليا عن التشبيه قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله اعراب ذلك ههنا كاعراب ذلك المتقدم
اي الامر والشأن ما ذكر من ان تعظيم حرمات الله خير وان الاجتناب عما ذكر من الاشراك وقول
الزور امر حتم لا محيص عنه والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة من الاشعار وهو الاعلام و
الشعور العلم واختلف في شعائر الله فقال بعضهم يدخل فيه كل عبادة يتقرب بها الى الله تعالى
كصيام ودعاء وذبيحة وطواف ورمي لان كل ذلك من اعلام دينه تعالى ويؤيد هذا القول قوله
تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله بمن التبعيضية وقيل المراد به العبادات المتعلقة
بالحج ومواضع نسكه فان كل ذلك اعلام الحج وقيل المراد به الهدي خاصة وسمي البدن شعيرة
من حيث انها تشعر بان يطعن في سنامها من الجانب الايمن او الايسر حتى يسيل الدم فيعلم انها
هدي فلا يتعرض لانها من جملة معالم الحج بل من اظهرها واشهرها علامة وهذا القول اوفق
لظاهر قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فان ظاهره يدل على ان
للمهدي ان ينتفع بهديه الى وقت النحر بان يركبه اذا احتاج اليه ويشرب لبنها ويأخذ وبرها و
ان امكن ان يكون المعنى لكم فيها اي التمسك بها منافع الى اجل ينقطع التكليف عنده والبرة
الحلقة التي تكون في انف البعير والنجيبة الناقة الكريمة روي انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يبيع تلك النجيبة ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وكان ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما يسوق البدن مجللة بالقباطي اي ثياب قبطية وهي ثياب بيض رقاق
من كتان تتخذ بمصر فيتصدق بلحومها وبجلالها والقبط اهل مصر فحذفت هذه المضافات
والعائد الى من هذه العبارة تقتضي ان يكون التقدير فان تعظيمها منه من افعال ذوي التقوى
بزيادة كلمة منه ولم اجد تلك الكلمة فيما عندي من النسخ ولعلها سقطت من الناسخين اذ
لا بد منها بناء على ان الجملة الجزائية لا بد من اشتمالها على ما يربطها باسم الشرط وقيل عموم
ذوي تقوى القلوب يغني غناء الضمير فالمراد بقوله والعائد الى من غاية ما في الباب انه تعرض
لحذفه بهذه العبارة مع دخوله في جملة المضافات المحذوفة للتنبيه على انه احتيج الى تقديره
لفائدتين احدهما فائدة الربط والاخرى فائدة تعيين اصحاب الافعال فان المقام يقتضي
تقدير كل واحد من المضافات المقدرة مع قطع النظر عن فائدة الربط اما الحاجة الى تقدير التعظيم
المضاف الى ضمير الشعائر فلان المقصود من ايراد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر
والتحريض عليه واما الحاجة الى تقدير المضافين الاخرين فلان المعنى ان تعظيمها بعض
افعال ذوي التقوى فان التقوى في عرف الشرع عبارة عن التوقي عن كل ما يأثم من ارتكاب

المعلم الاخر الذي يستدل به على الطريق صح

البدن جمع بدنة وهي ناقة او بقرة تنحر بمكة صح

المحرمات وترك الواجبات ومن لم يتق عن شيء منها لا يكون متقيا عرفا ضرورة ان الكل
ينتفي بانتفاء الجزء اي جزء كان وليس المعنى ان تعظيمها صادر ناش من تقوى القلوب حتى يرد
ما يقال ما ذكر من تقدير المضافات انما يحتاج اليه على تقدير ان يجعل كلمة من على التبعيض
فانها ان جعلت للابتداء لم يحتج الى تقدير الفاظ المذكورة اذ المعنى فان تعظيمها ناش من تقوى
القلوب اي من تقوى قلوبهم على ان اللام بدل من المضاف اليه على ما ذهب الكوفيون فلما
كان الالف واللام بدلا من ضمير حصل الربط وتم المعنى   لكم فيها اي في الشعائر التي
هي الهدايا المشعرة لتعرف انها هدي منافع دنياوية الى ان تنحر عند الشافعي رحمه الله
فانه جوز للمهدي ان ينتفع بلبن الهدي وصوفه ووبره وركوب ظهره الى ان ينحره و
ذهب اكثر المفسرين الى ان المهدي انما يجوز له ذلك قبل ان يسميها هديا ويقلدها فاذا
سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله تعالى الى اجل مسمى فان المهدي لو ملك
منافع الهدي لجاز له ان يؤجرها للركوب وليس له ذلك اتفاقا وفيه ان مولى ام الولد يملك
الانتفاع بها وليس له ان يبيعها فلم لا يجوز ان يكون الهدي كذلك لا يملك المهدي بيعها واجارتها
ويملك ان ينتفع به   ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اشارة الى ان المحل اسم زمان
بتقدير المضاف بمعنى وقت نحرها اي وقت حلول نحرها ووجوبه لان المحل مشتق من حل
الدين اذا وجب ومحلها معطوف على قوله منافع والى ان قوله تعالى الى البيت حال من ضمير
فيها والعامل في الحال الاستقرار الذي تعلق به كلمة في والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه
المنفعة العظمى وهي وقت نحرها حال كونها منتهية الى البيت العتيق اي الى الحرام الذي هو
في حكم البيت فان المراد به الحرم كله كما في قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
اي الحرم كله فان البيت وما حوله من مكة تنزهت عن اراقة دماء الهدي وجعل في نحرها
ولا شك ان الفائدة التي هي اعظم المنافع الدينية في الشعائر هي نحرها خالصا لله تعالى
وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فان وقت الفعل اذا كان فائدة
جليلة فما ظنك بنفس الفعل   وهو على الاولين اي قوله تعالى لكم فيها منافع الآية
على ان يكون المراد بشعائر الله جميع ما يتقرب به الى الله من معالم الدين وعلى ان يراد
فرائض الحج ومواضع نسكه المعلمة بعلامات يستدل بها على الاعمال الواقعة فيها
تتعبد او قربانا مصدرا بمعنى التعبد والتقرب اي جعلنا لكل امة ضربا من التعبد
والتقرب والمراد به اراقة الدماء لوجه الله تعالى والمعنى شرعنا لكل امة مؤمنة ان ينسكوا له
تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان وقرئ بكسر السين اي

ع اي ركوبها غير متعب ومشعر لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها ويحك او ويلك وتاويله عندنا انه كان به ضرورة فرخص له في ركوبها منه

وهما لغتان في المصدر والفتح اكثر فيه ويجوز ان يكون بالكسر موضع النسك او وقته وفي بعض
النسخ او قربانا بكلمة او فيكون المتعبد اسم مكان يحتمل ان يكون المنسك اسم المكان النسك وقوله
او قربانا على ان يكون المنسك مصدرا   وفيه تنبيه اي في تبيين البهيمة باضافتها الى
الانعام تنبيه على ان البهائم التي ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين
فان الاخبات صفتهم علة لتفسير المخبتين باجل التفسير بمعنى ان الخبت هو
المطمئن من الارض وحقيقة المخبت من صار في خبت من الارض تقول اخبت الرجل
اذا صار في الخبت ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية
عنهما   وقرئ المقيمين الصلوة باثبات النون ونصب الصلوة على الاصل فان
الاصل في جميع اسماء الفاعلين ثبوت النون ونصب مفعولها وسقوط النون حال اضافتها
الى مفعولها لا لاشتباه الخفة الا ان قراءة العامة جر لفظ الصلوة واسقاط نون المقيمين
باضافته اليها وقرئ بحذف النون ونصب الصلوة بجعل النون مقدرة وكون حذفها
لمجرد التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلة مع الموصول لا لموجب من اضافة
ونحوها كما حذفها الشاعر في قوله الحافظو عورة العشيرة لا ياتيهم من ورائهم نطف
اي تلطخ عيب   والعامة على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب كما في قوله تعالى و
القمر قدرناه لتقدم جملة فعلية على جملة الاشتغال وعلى تسكين الدال ايضا وقرئ
بضمها ايضا واختار المص ان الضم هو الاصل وان التسكين تخفيف من المضموم ويحتمل
ان يكون السكون ايضا على ان يكون البدن جمع بادن كباذل وبذل والبدنة اسم
يقع على الابل والبقر عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى لاشتمالها على البدانة وضخم
البدنة في اللغة اسم للابل خاصة وانما صارت في الشريعة متناولة للابل والبقر لانه عليه
الصلوة والسلام الحق البقر بالابل في الاجزاء عن سبعة فلما اخذت البقر حكم الابل اطلق اسم
البدنة عليها في الشريعة لا لكون اللفظ حقيقة لغوية في كل واحد من الجنسين والمص جعل قوله
عليه الصلوة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة دليلا على ان اسم البدنة مختص
بالابل ويدل عليه الآية ايضا وهي قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فان هذا الوصف مختص بالابل
لان البقر يضجع ويذبح كالغنم والتي تنحر قائما هي الابل   ومن رفعه اي وقرئ والبدن مرفوعا
على الابتداء فتكون الجملة التي بعده في محل الرفع على الخبرية وقوله تعالى من شعائر الله في محل النصب
على انه مفعول ثان للجعل بمعنى التصيير واضيف الشعائر الى اسم الله تعالى تعظيما لها وقوله تعالى لكم
فيها خير حال من مفعول جعلناها   اللهم منك واليك اي عطاء منك ونتقرب بها اليك فقوله تعالى

فاذكروا اسم الله عليها قيل فيه حذف اي اذكروا اسم الله على ذبحها ونحرها وقوله صواف حال
من ضمير عليها   قائمات يعني ان قوله صواف كناية عن كونها قائمات لان قيام الابل يستلزم
ان تصف ايديها وارجلها   وقرئ صوافن والصوافن انما يستعمل في الخيل كقوله تعالى الصافنات
الجياد فيكون استعماله في الابل استعارة   وصوافنا بالتنوين اصله صوافن فلما وقف
عليه قلت صوافنا وقد يحذف تلك الالف ويعوض عنها التنوين كما في قوله اقلي اللوم عاذل
والعتابن اصله والعتابا وهذا التنوين يسميه النحويون تنوين الترنم   وصواف
بالكسر والتنوين اصله صوافي فاسكن الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا ثم حذفت لكنها
بالكسرة مع ثقل الجمع ثم عوض التنوين عنها كما في جوار رفعا وجرا   سقطت على الارض
يقال وجب الحائط يجب وجبة اذا سقط والمعنى اذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام
ثم ان هذه التوسعة تختص بهدي المتطوع والنذر دون الجناية والكفارة والقانع الذي
يقنع بما يتيسر ويجلس في بيته ولا يسأل من القناعة من باب حسب علم والمعتر الذي يعتريك
ويسألك وقيل كلاهما الذي لا يسأل فالقانع الذي يرضى بما عنده من الشيء اليسير ولا يسأل
والمعتر الذي يتعرض لك ويأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسألك   او السائل عطف على
قوله الراضي بما عنده روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان القانع الذي يسأل ومصدره قنوع
من باب فتح قال الشاعر العبد حر ان قنع والحر عبد ان قنع فاقنع ولا تقنع فما شيء يشين
سوى الطمع   وقرئ القنع بغير الف قال صاحب الكشاف القنع هو الراضي لا غير يعني
ان القنع هو الراضي بما عنده من القناعة لا من القنوع بخلاف القانع فانه مشترك بين
المعنيين والكاف في قوله كذلك صفة مصدر محذوف اي سخرناها لكم مع عظمها وقوتها تسخيرا
مثل ما وصفنا من حالها وقت النحر صواف او صوافن من الله تعالى على عباده بذلك التسخير
وطلب منهم الشكر عليه حيث قال لعلكم تشكرون لما بين الله تعالى ان البدن المشعرة او المقلدة
من جملة شعائر الدين وامر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالاكل منها واطعامها بين
ان المعتبر في نحرها ليس مجرد اراقة دمائها واطعام لحومها بل المعتبر ما يصحب ذلك من التقوى
الذي يدعو الى تعظيم امر الله تعالى والتقرب اليه والاخلاص له فقال لن ينال الله لحومها
الاية وهذا وجه انتظام الاية بما قبلها وقيل في وجه انتظامها كان اهل الجاهلية الخ والمعنى لن
يرفع اليه تعالى لحم ولا دم بل يرفع اليه منكم العمل الخالص لوجهه مقرونا بالايمان   وقيل يعني التكبير
الخ اي وقيل المراد بالتكبير ههنا الشكر على ما انعم عليهم من الهداية لدينه ومعالم حجه ونسكه
والمعنى لتشكروا الله بان تكبروا او تهللوا عند الاحلال او الذبح فاختصر الكلام بان ضمن التكبير
معنى

معنى الشكر وعدي تعديته بعلى وختم الله تعالى افعال الحج بقوله وبشر المحسنين وهم الذين يعبدون
الله تعالى كانهم يرونه يبتغون فضله ورضوانه لا لاجل اعلام ما يأتونه ويذرونه الا بهذا الابتغاء
وامارة ذلك ان لا يشتغلوا ولا يبتذم بشيء مما فعلوا او تركوا والمقصود منه الحث والتحريض على
استحبابه معنى الاحسان في جميع افعال الحج ونحوه   قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا متصل
بقوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام اوعد الكفرة الذين
يصدون عن الجهاد والهجرة وعن المسجد الحرام وفرع عليه بيان اعمال الحج ومناسكه وما
فيه من منافع الدنيا والاخرة استطرادا في ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدونهم عن
طاعة الله تعالى وبشر المؤمنين باعلائهم على الكفار واخبر بانه يدفع عنهم غائلة المشركين
وعلل ذلك بان الكفار خوانون في امانة الله تعالى حيث اهلكوا انفسهم بان كفروا بالله ورسوله
فان جنايته اعظم منه ومن ذكر اسم الله وتقرب الى الاصنام بذبيحته الا يكون كفورا
لنعمته فكيف ينصرهم ويتركهم على ما كانوا عليه من اذى المؤمنين ومن قرا ان الله يدافع و
لولا دفاع الله الناس اختار صيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة في الدفع كما يبالغ من
يغالب فيه لان فعل المغالب يكون اقوى وابلغ وقوله تعالى اذن للذين اشارة الى ان قتال
الكفار بغير اذن الله تعالى لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه الصلوة والسلام القبطي الكافر
وقتله قال هذا من عمل الشيطان لانه عليه الصلوة والسلام ما كان ماذونا من الله تعالى والباء
في قوله بانهم ظلموا متعلقة بقوله اذن لما بين انهم انما اذنوا في القتال لاجل انهم ظلموا فسر
ذلك الظلم بقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اي اخراجا بغير موجب يستحق الخروج
به فالحق مصدر قولك حق الشيء يحق بالكسر اي وجب واستحققته اي استوجبته وانتفى
الوجوب قال المص بغير موجب   في نيف وسبعين النيف الزيادة يخفف ويشدد يقال
عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني قيل نسخت
بهذه الاية سبعين اية امر عليه الصلوة والسلام فيها بالصبر والصفح لانها اول اية نزلت
في الاذن بالقتال وقوله تعالى الذين اخرجوا في موضع الجر على انه بدل او على صفة لقوله للذين يقاتلون
ويجوز ان يكون في موضع النصب على المدح وفي موضع الرفع على انه خبر مبتدا محذوف   وقيل
منقطع والمعنى لكن بقولهم ربنا الله وحده وهذا يوجب تعظيمهم وتقريرهم في ديارهم دون
الاخراج والتغريب فان الا في الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن ثم انه تعالى بعد ما بين سبب الاذن
بقوله بانهم ظلموا اشار الى علة اخرى للاذن فقال ولولا دفع الله الناس اي لولا ان الله تعالى
اذن للمجاهدين في قتال اعداء الدين لانقطعت العبادات وخربت المتعبدات امنن بحيث

قوله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم الخ
يعني ان قوله الا ان يقولوا ربنا الله
في محل الجر على الابدال من حق اي اخرجوا
بغير موجب سوى التوحيد الذي هو موجب للاخراج
لا موجب للتمكين في ديارهم فكونه على طريقة
قول النابغة انه من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم
بلا سبب موجب للاخراج الا
بقولهم ربنا الله ان كان هذا
سببا موجبا لكنه ليس بسبب
موجب فاكد الاخراج بغير حق
بما يشبه الاخراج بحق ومعنى
التأكيد فيها من حيث انه ادعى
قصدا استثناء بعض ما يشاركه
المستثنى منه فلم يوجد فاخطر له
استثناء نقيض فجاءه التأكيد
ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا
بالله وهذا اذا كان الاستثناء
استثناء اتصاليا واما اذا حمل
الاستثناء على الانقطاع فلا يكون
فيه هذا الاعتبار بل يكون كلمة
الا بمعنى لكن اه محمد

قال مولانا العلامة ابن كمال باشا خبر المساجد في الذكر لقرب المقدم الى التهديم

ومن على المؤمنين بدفع غائلة المشركين عنهم وبين ان عادته ان يحفظ دينه بان يأذن لاهل دينه في مجاهدة الكفار وانه لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اي كنائس يصلون فيها ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في زمان امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين والصوامع جمع صومعة وهي موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة والبيع جمع بيعة وهي كنائس النصارى التي يبنونها في البلدان ليجتمعوا فيها لاجل العبادة والصوامع لهم ايضا الا انهم يبنونها في المواضع الخالية كالجبال والصحارى للتجرد للعبادة والصلوات لليهود ولا بد من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها اي مواضع صلوات او من تضمين هدمت معنى عطلت وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا بالثاء المثلثة وهي في لغتهم بمعنى المصلى فلا حاجة الى تقدير المضاف وقدم ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونه اقدم في الوجود بالنسبة اليها

وصف للذين اخرجوا وقيل بدل من قوله من ينصره فعلى الاول يكون مجرور المحل وعلى الثاني يكون في محل النصب ثناء قبل بلاء اي قبل وقوع الصنيع الحسن الذي هو البلاء الحسن قال الجوهري والبلاء الاختبار يكون بالخير والشر يقال ابلاه حسنا وابليته معروفا قال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو اي خير الصنيع الذي يختبر به عباده وفيه دليل اي وفي ثناء المهاجرين قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وجه الاستدلال بهذه الاية على امامة الائمة الاربعة رضي الله عنهم وصف المهاجرين بانه ان امكنهم في الارض واعطاهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق اتوا بالامور الاربعة وهي اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والامر بكل معروف والنهي عن كل منكر وقد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة في الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الاربعة والا لزم الخلف في مقاله تعالى واذا كانوا آتين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق ففي هذا الوجه دلت هذه الاية على امامتهم تسلية له فانه قد سبق ما يدل على اذى المشركين اياه بان كذبوه وحملوه مع من آمن به على ان يخرجوا من ديارهم بغير حق ثم بين انه اذن للمظلومين في مقاتلتهم وضمن له عليه الصلوة والسلام النصرة عليهم واكد ذلك بقوله ولله عاقبة الامور فلما كان المقام مقام التسلية سلاه بقوله فقد كذبت قبلهم قوم نوح بنبيهم نوحا وعاد

اي اخبار عن الذين اخرجوا ... عبارة عن المهاجرين ... اذا اعطاهم التمكين والقدرة في الارض فان المراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلق منه

وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابرهيم قوم لوط نبيهم ابرهيم ولوطا واصحاب مدين شعيبا صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين ثم قال فقد اعطيت هؤلاء الانبياء جميع ما وعدتهم من النصرة على اعدائهم والتمكن لهم في الارض واخذ كل واحد من المكذبين بعقوبة مختصة بهم فكيف كان نكير اي انكاري وهذا استفهام معناه التقرير بقوله كيف نكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب ثم انه تعالى اجمل بعد التفصيل في الاخبار عن اهلاك كثير من الامم المكذبة فقال فكاين من قرية وقوله تعالى فكاين يجوز ان يكون في محل النصب على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكناها اي وكثيرا من اهل القرى الذين كذبوا انبياءهم سوى المكذبين المذكورين في الآية المتقدمة اهلكناهم وان يكون في محل الرفع على الابتداء والخبر اهلكناها وقراء البصريان يعني بهما ابا عمرو ويعقوب فانهما قرآ اهلكتها على وفق قوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم وقراء الباقون اهلكناها بالنون على وفق قوله ان مكناهم في الارض ساقطة حيطانها على سقوفها يعني ان الخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط على العروش السقوف لان كل مرتفع اظلك من سقف او بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والمراد بضمير القرية حيطانها او خالية على ان يكون الخاوي بمعنى الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله فحينئذ يكون على عروشها ظرفا مستقرا في موضع النصب على انه حال من ضمير خاوية ومتعلقا بخاوية تعلق الحال بعامله لا تعلق الجار والمجرور بعامله فانه انما يكون كذلك اذا كان خاوية بمعنى ساقطة ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر عطف على قوله متعلق بخاوية فانه اذا كان خبرا بعد خبر لا يكون متعلقا بخاوية بل يكون متعلقا بمطلة وهي بالطاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال اطل عليه بمعنى اطلاه اي شخص فلا محل لها اي على ان تقدير ان يكون جملة فهي خاوية معطوفة على اهلكناها لا يكون لها محل من الاعراب ان جعل اهلكناها مفسرا الناصب كاين لان الفعل المفسر لا محل له من الاعراب فكذا ما عطف عليه وان جعل اهلكناها خبر كاين يكون جملة فهي خاوية في محل الرفع ايضا وكم بئر عامرة يعني ان معنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وفي المشيد قولان اصحهما انه المجصص لان اهل المدينة يسمون الجص شيدا والثاني انه المرفوع المطول وتوصيف البئر بالمعطلة والقصر بالمشيد يؤيد ان يكون على بمعنى مع في قوله على عروشها فان كون كل واحد منهما موصوفا بالوصف المذكور ادخل بالاعتبار روي ان هذه بئر نزل عليها صالح النبي عليه الصلوة والسلام مع اربعة آلاف ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت وانما سمي بذلك لان صالحا حين حضرها مات

كانه قيل كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم اما من حيث طول ايام عذابه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة في الاعراب ومرجع الضمائر والاحكام يعني ان مقتضى الظاهر ان يكون لفظ القرية مجرورا باضافة الاهل لا يجوز ان يرجع الضماير الى الاهل لا اليها وان يجعل متعلق الاملاء والظلم والاخذ بالاهل لا بها الا ان القرية لما اقيمت مقام الاهل لفظا قامت مقامه في جميع ما ذكر من الامور لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير فان قوله فامليت للكافرين لما كان مرتبا على جواب الشرط في الوقوع كان حقه ان يعطف عليه بالفاء وكذا قوله فكيف كان نكير استرداما وارد اللتعجب والتهويل من اخذهم المتراخي عن وقت التكذيب كان حقه ايضا ان يعطف عليه بالفاء فكانه قيل ثم اخذتهم فانكرت عليهم ابلغ انكار فانظر حق التعجب من الشيء ان يذكر عقيب ذلك الشيء ولما كان قوله فكاين من قرية في حكم قوله فكيف كان نكير في كونه مرتبا على قوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم كان بدلا منه لكونه اوفى منه في تادية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة الى الاول فاعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب كما يبدل باعادة الجار كثير الحلاوة قوله وكاين من قرية فانها في حكم الجملتين المتقاصيتين بالواو في كونه تعليلا لانكار الاستعجال فلذلك عطف عليهما بالواو الجامعة بالرد والابطال السعي وان كان عبارة عن مطلق الجد والاهتمام سواء كان بالتحقيق والاتمام او بالرد والابطال والثاني متعين هنا بقرينة المقام لان من ذكر في مقابلة الذين امنوا لا يكون سعيهم في شان القران الا بالرد على انها حال مقدرة لان الاعجاز والتعجيز ليسا مقارنين لسعيهم في ابطال الايات بل متاخر عنه كما ان المراد بقول من عاجزه فاعجزه وعجزه بخلاف معاجزين فانه حال مقارنة لان المعاجزة يكون حال السعي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن الانبياء فقال الحديث رواه ابو ذر رضي الله عنه وهو من الاحاد والاولى ان لا يتعرض لعدد الانبياء عليهم الصلوة والسلام لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد ان يخرج منهم من هو فيهم او يدخل فيهم من ليس منهم قوله عليه الصلوة والسلام جما غفيرا ابتداء الكلام اي كانوا جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا فانه صاحب الكشاف ولعل المص لم يرض به بناء على ان عدد الرسل اكثر من عدد الكتب لان الكتب مائة واربعة ويلزم على هذا القول الذي اختاره ان لا يكون اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهرون وسليمان عليهم الصلوة المص

ويرتبه بلدة عند البئر اسمها حاضورا ابتناها قوم صالح وامروا عليهم جلس بن جلاس واقاموا بها زمانا وتناسلوا حتى كثروا ثم كفروا وعبدوا اصناما فارسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه في السوق فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم الا ان قوله وخرب قصورهم ينافي قول المص اخليناه عن ساكنيه الا ان يراد بتخريبها اخلاؤها عن ساكنيها حث لهم على ان يسافروا ليروا ويجوز ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافروا ولم يروا والمراد لم يعتبروا اتهم ما سافروا واختلوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا ويجوز ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافروا ولم يروا والحق ان سفرهم الحاصل عن المقصود فلذلك قيل في حقهم على سبيل الانكار افلم يسيروا قوله تعالى فتكون منصوب على جواب الاستفهام اي افلم يسيروا فيعقلوا ما نزل بهم حال الامم المكذبة فعلوا وما فعل بهم او يسمعوا اخبارهم والمص قدر مفعول يعقلون ويسمعون بقوله يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب ان يسمع من الوحي وهذا اوجه واولى او يبهم بقوله الابصار اي ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار لا على كون الابصار مجرورا له كما في نحو ربه رجلا والا لوجب ان يكون نكرة منصوبة كما هو الحق في التمييز بل المراد انه يعلم به المراد من الضمير بناء على ان الابصار ليس فاعل تعمى والا لما كان مفسرا للضمير المبهم بل هو خبر مبتدا محذوف وفاعل تعمى ضمير مستتر فيه راجع الى ما يرجع اليه ضمير انها فكانه لما قيل فانها لا تعمى سئل ما هي فاجيب الابصار اي هي الابصار ثم انه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين صدهم عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وعظم ما هم عليه من التكذيب اتبعه بذكر قبيحة اخرى من قبائحهم وهي استعجالهم بالعذاب قيل نزلت الاية في النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه الصلوة والسلام كان يخوفهم بالعذاب ان استمروا على كفرهم ولهذا قال ولن يخلف الله وعده فانجز ذلك يوم بدر انكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وكونه في موضعه وما ينبغي وبين وجه الانكار بان الاستعجال انما يكون لخوف الفوت وما وعده الله تعالى لا يفوت بل يصيبهم لا محالة ولا بعد حين وقوله بعد حين مستفاد من كلمة لن في قوله تعالى ولن يخلف الله وعده لانها لتاكيد نفي الاستقبال وهذا النفي لما تضمن كونه تعالى صبورا من تناهي صبره بقوله وان يوما عند ربك وان رشيه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين الى ان من لا يجري عليه الزمان بل هو المجري للزمان يتساوى عنده الايام ويكون وجود الزمان وعدمه وقلته وكثرته سواء اذ ليس عنده صباح ولا مساء ولا يوم ولا سنة فقوله تعالى وان يوما على هذا متعلق بقوله ولن يخلف الله ثم لما تقرر منه وعلى قوله او لتمادي عذابه الخ يكون متعلقا بقوله ويستعجلونك بالعذاب وبيانا مستقلا لوجه الانكار عليهم في استعجال عذاب يكون يوم واحد من ايام عذابه كالف سنة عندهم كانه

والاذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر ليس سواء ان العمى حقيقة في القلوب ومجاز في الابصار كما هو المتبادر من ظاهر كلامه بل معنى كلامه ان العمى المعتد به هو عمى القلب بكونه ادخل في الضلال فالحق بالحقيقة وان كان مجازا وعمى الابصار بالنسبة اليه ليس بعمى لعدم الاعتداد به اذا كان القلب بصيرا فالحق بالمجاز وان كان حقيقة فقوله ونفي التجوز معناه ونفي كونه تكلما بالمجاز يعني لو اقتصر على ذكر القلوب لتوهم ان القلوب مجاز والمراد النكوس او ما اشبهها فذكر الصدور بيانا لذلك صح

قال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه قال ابو حيان رح وما ذكره لا يجوز لان الذي يفسره ما بعده محصور وليس هذا واحدا منه وهو في باب رب وفي باب نعم وبئس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدا والخبر على خلاف في بعضها وفي باب ضمير الشان والقصة الاول يفسر بمفرد والاخيرات ان فانه يفسر بجملة وهذا ليس واحدا من الستة قال شهاب الدين رح بل هو من المواضع المذكورة وهو باب المبتدا غاية ما في ذلك انه دخل عليه ناسخ وهو ان نحو نظيره قولهم هي العرب تقول ما شاءت وهي النفس تحمل ما حملت وقوله انه هي الا حياتنا وجعل الزمخشري جميع ذلك مما يفسر بما بعده ولا فرق بين الاية الكريمة وبين هذه الامثلة الا دخول الناسخ ولا اثر له وتحجب من غفلة الشيخ من ذلك ابن عادل

مطلب في حديث الغرانيق

والسلام رسلا لانهم ماجاؤا بشريعة مجددة وكتاب ناسخ ليغفلن على قلبي اي ليغطي عليه يقال غين على كذا اي غطي عليه فيبطله ويزيل تأثيره وهو اشارة الى ان المراد بالنسخ النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الاحكام لما بين الله تعالى طروّ الوسوسة الى الانبياء بين به كيفية ازالتها فقال فينسخ الله الاية تلك الغرانيق جمع غرنوق او غرنيق بكسر الغين وفتح النون فيهما او غرنوق بالضم وهو الشاب الناعم ويجمع على غرانق بالفتح والغرانيق والغرانقة ويطلق الجمع على السادات وهو مردود عند المحققين معنى ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلوة والسلام في اغتمامه بما سبق لسانه اليه سهوا من حديث الغرانيق الا ان رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقران والسنة والمعقول اما القران فمنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنه قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه عليه الصلوة والسلام قرأ عقيب هذه الاية قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم واما السنة فلانه روي عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه عليه الصلوة والسلام قرأ سورة والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفي في تفسيره بقوله والصحيح المعتمد عليه ان النبي عليه الصلوة والسلام لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه عليه الصلوة والسلام تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلثة اوجه اما ان يجري ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر وهو عليه الصلوة والسلام جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره واما ان اجرى الشيطان ذلك على لسانه عليه الصلوة والسلام جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره عليه الصلوة والسلام لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك في حقه

في حقه عليه الصلوة والسلام واما ان يقع ذلك على لسانه عليه الصلوة والسلام سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود لانه عليه الصلوة والسلام كان اعلى الخلق واعلمهم فكيف يجوز عليه هذه الغفلة خصوصا في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل بذلك الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطأ في كل واحد من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلوة والسلام وقف وسكت عند قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءته عليه الصلوة والسلام فوقع عند بعضهم انه عليه الصلوة والسلام هو الذي تكلم بها ويكون هذا القاء في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم في زمن الوحي كما ذكر انه ظهر في صورة شيخ نجدي على المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة على قصد المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وتكلم في تشورهم واستصوب رأي بعضهم وخطّأ آخرين وذكر ايضا انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى وابتلاء للعباد لكنه انما يجوز في غير مقام تبليغ الوحي واداء الرسالة لانا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه ولجوزنا ذلك في كل ما بلغه الينا عن الله تعالى ان ينضم اليه تخليط الشيطان فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية ما في الباب ان جماعة من المفسرين ذكروا لكنهم ما بلغوا في الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة فلذلك قال المصنف في تفسير الآية التي الشيطان في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا ولم يقل ما يوافق من الكلام ثم قال وان صح والظان مبني الصحة ان يتكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلوة والسلام عند قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب الاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى ما من رسول ولا نبي قبلك الا امكن الشيطان ان يلقي في قراءتهم مثل ما القى في قراءتك عند ما تمنيت فلا تهتم لذلك الالقاء فانا نفعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين والتمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل عنه وقيل تمنى قرأ عطف على قوله تمنى ،، زور رمان التمني جاء في اللغة بمعنيين تمني القلب والقراءة قال تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا قراءة لان الامي لا يعلم القران من المصحف وانما يعلمه قراءة وقال رواة اللغة الامنية القراءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضي الله عنه تمنى كتاب الله اول ليلة وقيل الاولى في تاويل الاية ان يقال التمني بمعنى القراءة فقوله تعالى القى الشيطان في امنيته اي عند تلاوته القران في قلوب الكفرة ما يجادلون به الرسول ويحاجونه ويوقعوا به شبهة في قلوب اتباعه ليثبطوهم عن اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول حرم عليكم الميتة انه يحل ذبيح

قال السدي ... عليه الصلوة والسلام ... الانبياء ... الشيطان على لسانه ... ثم يحكم الله اياته

نفسه ويحرم ذبح الله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان في قلوب الكفرة بانزال قوله تعالى ولا تاكلوا مما
لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فتبين به انه انما يحل بهذا ما ذكر اسم الله
عليه وحرم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع قوله انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم ان عيسى عليه الصلوة والسلام عُبد من دون الله والملائكة ايضا عبدوا دونه
مع انه تعالى لا يحرقهم يوم القيمة فينسخ قولهم هذا بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون فتبين باستثناء عيسى والملائكة عن قوله ما تعبدون من دون الله ان المراد
به الاصنام فقط   علة لتمكين الشيطان المدلول عليه بقوله القى الشيطان باعتبار
ما دل عليه من التمكين والظاهر ان هذه اللام لام العاقبة وتسميتها لام العلة باعتبار انها
في الاصل للعلة والمعنى مكنه الله تعالى من القاء الشيطان ليجعل ما يلقيه الشيطان سبب فتنة
لفريقي المنافقين والمشركين وليثبت المؤمنين على ما هم عليه من العلم بالتوحيد وبان
القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى وقوله تعالى فيؤمنوا عطف على قوله ليعلم ولما كان الايمان
بالقرآن متفرعا على العلم بانه هو الحق النازل من عند الله عطف عليه بالفاء وكذا الاخبات
بالله متفرع على العلم بان التمكين حق صادر من الله تعالى ثم انه تعالى بين ان هذا الايمان و
الاخبات انما هو بلطف الله تعالى وهدايته اياهم فقال وان الله لهاد الذين آمنوا
فيصير كالعقيم اي كامرأة لم تلد لهم فالعقيم صفة النساء الا انه اسند الى اليوم الذي انقضى
به على طريق صام نهاره والعقيم على الوجه الثالث صفة الحرب من حيث ان المقاتلين يقال
لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقي الحرب بلا ولد والظاهر ان يجعل الحرب ثكلى الا انه جعل عقيما تشبيها
لفقد اولاده بعقمه ثم اسند العقم بهذا المعنى الى يوم الحرب مجازا ففي التركيب مجازان احدهما
في المسند والثاني في الاسناد وحاصل الوجه الرابع ان كل يوم بلا مثله الا يوم بدر فانه عظيم
لا مثل له فلم يعقبه مثله جعل عقيما كما جعل يوم القيمة عقيما اذ لا يوم بعده   او يوم القيمة
عطف على قوله يوم حرب ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يفسر اليوم العقيم بيوم القيمة وهو
معطوف على الساعة اجاب عنه بوجهين الاول ان المراد بالساعة اشراطها ومقدماتها
والثاني ان التقدير او يأتيهم عذابها الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للتهويل
والذين هاجروا لما ذكر ان الملك له يوم القيمة وانه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه
بذكر الوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر مع دخولهم دخولا اوليا في الذين آمنوا تفخيما
لشأنهم واختلف في ان المراد بالمهاجرين من هم فقيل من هاجر الى المدينة طالبا لنصرة الرسول
وتقربا الى الله تعالى وقال آخرون بل المراد بهم من جاهد وخرج مع الرسول او في سراياه
لنصرة

لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الامرين ثم انه تعالى وصف رزق المهاجرين
ومسكنهم اما الرزق فبقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا واما المسكن فبقوله ليدخلنهم مدخلا
يرضونه على ان يكون ليدخلنهم جملة مستانفة ويجوز ان يكون بدلا من قوله ليرزقنهم رزقا
حسنا وتقرير المص اوفق لهذا الاحتمال الذي ذكرنا من انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا او
ماتوا بعد ما بين من انه تعالى يحكم بين الذين آمنوا وبين الذين كفروا   ثم قتلوا او
ماتوا يدل على ان حال المقتول في الجهاد والميت في الفراش سواء اذا استويا في القصد و
هو التقرب الى الله تعالى ونصرة رسوله وفي اصل العمل وهو الهجرة من حيث انه تعالى جمع بينهما
في الوعد ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل
هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية والا فلا يستقيم لتخصيصهما بالذكر فائدة
الامر ذلك يعني ان ذلك خبر مبتدا محذوف وما بعده مستانف ومن عاقب مبتدا خبره
لينصرنه الله والعقوبة اسم لما يعقب الجرم من الجزاء وسمي المكروه الذي اوقع ابتداء عقوبة
حيث قيل بمثل ما عوقب به مع انه ليس بجزاء يعقب الجريمة اما للمشاكلة واما سبيل المجاز
المرسل فان ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمي السبب باسم المسبب وقيل نزلت
الآية من مسلم من كان يقاتله ابتداء ثم المقاتل مبنيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة
الوطن وابتدئ بالقتال لينصرنه الله عز وجل تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى وصف رزق المهاجرين
ومسكنهم اولا ثم ما زاد في هذه الآية الى مع اكرامه لهم في الآخرة بهذا الوعد لا يدع نصرهم
في الدنيا على من بغى عليهم   ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه اشارة الى وجه
تعليله تعالى نصرته للمعاقب بكونه عفوا غفورا مع ان العفو والغفران يقتضي سابقة الجناية
من المعفو عنه ولا جناية من المعاقب في الانتصار لانه استوفى بحقه وحاصله ان
العفو وان اقتضى سابقة الجناية لكن الجناية لا يلزم ان تكون بارتكاب المحرم بل قد تكون
بترك ما ندب اليه جناية على سبيل الزجر والتغليظ   وفيه ايماء في تعليل نصرته تعالى
المعاقب بكونه عفوا تعريض للمعاقب بالحث على العفو وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة
البارئ   بسبب ان الله تعالى قادر بيان لوجه كون ايلاج كل واحد من الملوين في الآخر
سببا للنصر الموعود في حق المعاقب وحاصله ان السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات
الا انه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها   بان يزيد فيه ان في الآخر متعلق بقوله ايلاج
احد الملوين فانه لما ورد ان يقال كيف يعقل ايلاج الليل المظلم في النهار المضيء حقيقة وكذا عكسه
مع ان ذلك يقتضي اجتماع الظلمة والنور في زمان واحد دفعه بان معنى الايلاج المذكور ليس

ادخال الزمان المظلم في الزمان المضيء ليلزم ما ذكر بل معناه ادخال ما نقص من ساعات احد
الزمانين في الزمان الاخر فاللازم تفاوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لا اجتماع
الضدين في زمان واحد وانما يلزم ذلك ان لو كانت الظلمة والضياء مما تقتضيهما ذوات تلك
الساعات الزائدة والناقصة وليس كذلك بل هما مستندان الى طلوع النير وغروبه ثم جوز
ان يكون معنى ايلاج الليل في النهار تحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار الى آخره روي الامام
عن مقاتل انه قال نزل قوله تعالى ومن عاقب بمثل ما عوقب به الاية في قوم من المشركين لقوا
قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يكرهون
القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون بان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر
فابوا فقاتلوهم وذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فوقع في انفس المسلمين
من القتال في الشهر الحرام شيء فانزل الله تعالى هذه الاية وعفا عنهم وغفر لهم فعلى هذه
الرواية يكون وجه تعليل قوله تعالى لينصرنه الله بقوله ان الله لعفو غفور ظاهر الاحتياج فيه الى
ان يقال حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه لا شيء اعلى شأنا الخ
بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسيط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها المحلى باللام قال الشافعي
رحمه الله من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه اي نعاقب على وفق الجناية وقال ابو
حنيفة رحمه الله تعالى بل يقتل بالسيف واحتج الشافعي على ما ذهب اليه بهذه الاية فقال ان الله
تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل ما عوقب به ووعده النصرة عليه ثم انه تعالى لما دل على قدرته
بما ذكره من ولوج الليل في النهار وبالعكس اتبعه بانواع اخر من دلائل قدرته وبديع صنعه اولها
قوله تعالى الم تر اي الم تعلم فان الماء النازل وان كان مرئيا بالبصر الا ان كونه تعالى منزلا له
من السماء غير مرئي بل هو فوجب ان يحمل الرؤية على العلم الذي هو المقصود من الرؤية فان الرؤية
اذا لم يقترن بها العلم صارت كأنها لم تحصل ولذلك رفع فتصبح وان وقع بعد لفظ الاستفهام
فكان الظاهر ان ينتصب على جواب الاستفهام الا ان الاستفهام ههنا لما كان استفهام تقرير بمعنى
الخبر اي بمعنى قد رأيت لم يكن له جواب فلذلك رفع المضارع بعده عطفا على انزل وقوله
اذ لو نصب جوابا علة لقوله جواب استفهام تقرير اي اذ لو كان الاستفهام بمعناه ونصب ما بعده جوابا
له لافاد الكلام عكس المقصود الذي هو اثبات الاخضرار ولو نصب الفعل بعده لانقلب المعنى
الى نفي الاخضرار كما اذا قلت الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان رفعت تشكر فقد اثبتت شكر
المخاطب وان نصبت فقد نفيت شكره وتشكوت من تفريطه فيه فان اداة الاستفهام في
مثله تثبت ما دخلت هي عليه وتنفي الجواب فيلزم من هذا اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار
وهو

وهو خلاف المقصود وايضا جواب الاستفهام ينعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط
وجزاء كقوله الم تسأل فتخبرك الرسوم والمعنى ان تسأل تخبرك الرسوم لان ما بعد الفاء انما
ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له وفيما نحن فيه لا يصح ان يجعل تقدير الكلام ان ترى انزال
المطر يصبح الارض مخضرة لان رؤية المخاطب ليس سببا لاخضرار الارض وان اخضرارها
ليس مرتبا على رؤية المخاطب ذلك بل هو مترتب على نفس الانزال ولما كان انتصاب المضارع
بعد الفاء في جواب الاشياء الستة مبنيا على صحة تقدير ان فعلت فعلت ولم يصح هذا التقدير
في الاية لم يجز نصب قوله فتصبح يصل علمه او لطفه الاول مبني على ما قيل اللطيف العالم
ببواطن الاشياء والثاني على ما قيل انه اللطيف في افعاله واللطيف من يدق حكمته فيما يفعل
ويحكم والخبير العالم بمصالح الخلق ومنافعهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان قوله
تعالى لهو الغني في ذاته عن كل شيء والمعنى انه تعالى خلق كل ذلك مستقلا غير ممنوع من التصرف
فيه واختص جميع ذلك به خلقا وملكا لا لاحتياجه الى شيء منها فانه كامل لذاته غني عن كل
ما عداه في كل الامور لكنه لما خلق الانسان ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم والاجلال ويستعدوا
للسعادة الابدية واقتضت الحكمة احتياجهم في تعيشهم الى بركات السموات والارض خلق
هذه الاشياء رحمة لهم وانعاما عليهم لا لمنفعة تعود اليه فلا جرم كان حميدا مستحقا
للحمد فظهر بذلك كمال قدرته وعلو شأنه وكبريائه وعظم رحمته واحسانه تبارك الله
رب العالمين حال اي من الفلك على تقدير كونها عطفا على ما وقوله او خبر على تقدير
كون الفلك عطفا على اسم ان او مرفوعا على الابتداء وجريان الفلك وان كان مستندا الى
مطلب — كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجريها الا ان تلك الحالة لما ثبتت لهما بامره تعالى وتكوينه
نسب جريها الى امره فان ذلك اكشف لعظمته وكمال قدرته من ان تقع او كراهة
ان تقع فيكون ان تقع على الاول في محل النصب بنزع الخافض او في محل الجر على ارادته و
على الثاني يكون في محل النصب على انه المفعول من اجله فالبصريون يقدرون كراهة
ان تقع والكوفيون يقدرون لئلا تقع وهذا الخلاف مبني على مسئلة كلامية وهي ان الارادات
والكراهات هل تتعلق بالعدم ام لا فمن منع ذلك ذهب الى التأويل الثاني ومن جوز ذلك
ذهب الى الاول والظاهر ان قوله الا باذنه استثناء مفرغ من اعم الاحوال وهو لا يقع في
الكلام الموجب الا ان قوله ويمسك السماء ان تقع في قوة النفي فلذلك جاز فيه التفريغ اذ
التقدير لا يتركها ان تقع في حال من الاحوال الا حال كونها ملتبسة بامره منسكا اي مألفا
يألفونه اما مكانا معينا او زمانا معينا لاداء الطاعات او شريعة ومنهاجا لكلفوا بها فعلى

هذا المنسك مصدر روي عن ابن عباس ان المنسك شريعة هم عاملون بها ويؤيده قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروي عنه ايضا انه قال عيدا يذبحون فيه وقيل قربانا يذبحون له وقيل موضع عبادة فيل القول بان المنسك هو الشريعة اولى لانه ماخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص ببعضها ولا وجه لحمله على موضع العبادة ووقتها لان قوله تعالى هم ناسكوه اليق بالعبادة منه بالوقت والمكان لان المنسك لو لم يكن مصدرا بل كان اسم مكان او زمان لقيل هم ناسكون فيه لان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بكلمة في غالبا الا ان يتسع في الظرف فيجري مجرى المفعول به فيتعدى الفعل الى ضميره بنفسه كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي شهدنا فيه وقوله وشربا شربه اي اشرب فيه فان قيل لم جاءت نظيرة هذه الاية معطوفة بالواو فيما تقدم وهذه بغير واو قلنا لان تلك وقعت بعد ما يناسبها ويداينها من الاي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة بعد الاي المتباعدة عن معناها فلم تجد ما تعطف هي عليها فانه تعالى ذكر ثواب المهاجرين في الاخرة ثم بين انه مع ذلك ينصرهم في الدنيا ايضا على من بغى عليهم ثم بين قدرته على ذلك بالدلائل المذكورة وختم بذلك ما يتعلق بقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجد في الدعاء الى الدين وعرفه وجه المعاملة معهم والاحتجاج عليهم فقال لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اي شرعنا لكل امة خلت عزبا من العبادة هم عاملوه وماضون عليه فلا ينازعنك اي فليس لاحد من بقايا تلك الامم ان ينازعك في الامر اي فيما نامرك به امتك من الشرائع اذ قد كانت لهم شرائع يخالف بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة وان خالفت تلك الشرائع فليس لهم ان ينازعوك فيها وقيل المراد نهي الرسول عطف على قوله فلا ينازعنك سائر ارباب الملل من حيث المعنى كانه قيل قوله فلا ينازعنك نهي لسائر ارباب الملل عن المنازعة وقيل هو كناية عن نهيه عليه الصلوة والسلام من النبات الى قولهم لانه يؤدي الى منازعتهم ويستلزمها فيكون من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم على اسلوب لا اربنك ههنا وقيل هو كناية عن نهيه عليه الصلوة والسلام عن المنازعة معهم لان المنازعة تكون بين اثنين فنهي احد الشريكين عنها يستلزم نهي الاخر فيصلح احد النهيين كناية عن الاخر او المناسك جمع نسيكة وهي الذبيحة وهو مبني على ان تكون الاية نازلة في كفار خزاعة الذين نازعوه عليه الصلوة والسلام في حرمة اكل الميتة التي قتلها الله تعالى وهذا انما يجوز اي كون نهي احد الفاعلين كناية عن نهي الاخر انما يجوز في افعال

هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي لكل الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما الصلوة والسلام منسكهم التورية هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما الصلوة والسلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم والامة الموجودة عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة منسكهم القرآن ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

وكذا قوله وقيل نزلت في كفار خزاعة

في افعال المغالبة لان التلازم انما يتحقق فيها ولا يجوز ان يكون قولك لا يضربنك زيد مثلا كناية عن قولك لا تضربن انت اياه لعدم التلازم بين النهيين وقوله انما يجوز بالحصر محل تامل لان مثل قوله تعالى لا يغرنكم بالله الغرور يجوز ان يكون كناية عن لا تغتروا مع ان الغرور ليس من افعال المغالبة وقد مر في سورة طه ان قوله تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها وان كان نهيا للكافر عن ان يصد موسى عنها فالمراد نهيه عليه الصلوة و عن ان يصد عنها مع ان هذا الفعل ايضا ليس من افعال المغالبة وقرئ فلا ينزعنك من النزع بمعنى الجذب يقال نزعت الشيء من مكانه اذا قلعته عنه اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يخدعوك ليزيلوك عنه ولا ورد ان يقال كيف يكون نهي الكفار عن نزعه عليه الصلوة والسلام عن دينه كناية عن امره بالثبات على دينه مع ان النزع ليس من افعال المغالبة دفعه بانه ليس من النزع الصادر من الواحد بل هو من النزع المسند الى الغالب من المتنازعين يقال نازعته فنزعته انزعه اي غلبته في النزع فمعنى الاية لا يغلبنك في المنازعة الا ان كسر عين المضارع في باب المغالبة غريب لم يذهب اليه غير صاحب الكشاف فانه ما يضم عين المضارع في باب المغالبة مطلقا اذا لم يكن عينه او لامه حرف حلق واما اذا كان احدهما حرف حلق فان الفعل يترك على ما عليه الاستعمال وادع الى ربك لم يذكر مفعول ادع للتعميم والمعنى انك مبعوث الى الناس كافة وكلهم مامورون باتباعك والتدين بشرعك ودينك فادعهم الى دين ربك ولا تخص امة دون امة بالدعوة اليه فكل الناس امتك ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يحذر المجادلين بعد لزوم الحجة ووضحها من حكمه يوم القيمة اتبعه بما به يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل احد وانه يحكم بينهم بالعدل لا بالجور فقال الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض وان كل ما يفعله المجادلون محفوظ عند الله تعالى لا يضل عنه ولا ينسى فان كل ما يحدث الله تعالى في السموات والارض فقد كتبه في اللوح المحفوظ فان قيل اي فائدة في ذلك ان علمه تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فما وجه فائدة ذلك الكتاب اجيب عن الاول بان كتبه تلك الاشياء في ذلك الكتاب قبل حدوثها على الوجه المطابق للموجودات من ادل الدلائل على انه تعالى غني في علمه عن ذلك الكتاب وعن الثاني بان الملائكة ينظرون فيه ثم اذا راوا الحوادث داخلة في الوجود على وفقه صار ذلك دليلا لهم زائدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات ثم انه تعالى بين ما تقدم عليه الكفرة عن الشرك والعصيان مع ظهور دلائل وحدانيته وعلو شانه وكبريائه وسبوغ الائه ونعمائه فقال ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته حجة

وهذا استلزام معنا بتقديره قل الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى اعلم بان افعالهم والعباد والكافرين لا يخفى كما يحفظ عند الله تعالى لا يضل عنه ولا ينسى والخطاب في قوله الم تعلم للرسول عليه الصلوة والسلام والمراد سائر العباد لان الرسالة لا تثبت الا بعد العلم بكونه تعالى عالما بكل المعلومات اذ لو لم يثبت ذلك لجاز ان يصدق على الكاذب بالصادق فحينئذ لا يكون اظهار المعجزة دليلا على الصدق واذا كان كذلك استحال ان لا يكون الرسول عليه الصلوة والسلام عالما بذلك فثبت ان المراد ان يكون خطابا مع الغير

سماوية ولا علما حاصلا لهم بضرورة عقولهم او بالاستدلال فلا حجة لهم اذ لا دليل لعبادتها
اصلا وانما يعبدونها عن محض الجهل وتحكم بانهم مع جهلهم المفرد اذا تليت عليهم الايات البينات
الدالة على المنهج القويم والصراط المستقيم تعرف في وجوههم الانكار اي اثر الانكار للايات المتلية عليهم
او الامر المنكر اي ما يدل عليه وهو قصد الشر يكاد ان يسطون بالذين يتلون عليهم تلك الايات وقوله يكادون يسطون
حال اما من المضاف اليه وهو الموصول وجاز انتصاب الحال عنه لكون المضاف جزءه واما
من المضاف وهو الوجوه بناء على ان المراد بها اصحابها كما في قوله انما نطعمكم لوجه الله والوجه
يسطون معنى يبطشون فعدي تعديته والاول متعد بعلى يقال سطا عليه واشار اليه بهذا
بقوله ويبطشون بهم واما قوله يثبون فهو تفسير لاصل معناه فان السطو معناه الوثوب
والحملة والمعنى واذا تتلى عليهم اياتنا تعرف في وجوههم ذلك حال كونهم يقربون من ان يثبوا
ويبطشوا بالذين يتلون عليهم القرآن وهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من شدة
الغيظ على الناس الذين يحتجون بسبب سماعه فامر الله رسوله عليه الصلاة والسلام
بتعليمهم بالوعيد فقال قل افانبئكم الاية ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله
فهذه الجملة الاسمية لا محل لها لكونها مفسرة للجملة المتقدمة كانه قيل ما شر من ذلكم فقيل
النار وعدها الله وان قرئ النار مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف او منصوبا بتقدير
اعني او مجرورا على انه بدل من شر يكون جملة وعدها الاستئنافية لا محل لها ويجوز ان يكون
حالا من النار على تقدير كونه منصوبا ومجرورا لا على تقدير كونه مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف
لانه ليس في جملة هو النار ما يصح ان يعمل في الحال بخلاف ما اذا كان منصوبا او مجرورا قال ابو
البقاء قوله النار مبتدا بالرفع وفيه وجهان احدهما انه مبتدا ووعدها الخبر والثاني
انه خبر مبتدا محذوف اي هو النار ووعدها على هذا مستانف اذ ليس في الجملة ما يصح ان يعمل
في الحال وان رفع النار بهذا بقولك (اي الشر) او حالا منها فانه معطوف على قوله انبئنا فاوقد فرع
احتمال كونها مستانفة على قراءة النصب والجر فيكون احتمال الحالية ايضا متفرعا عليهما
يا ايها الناس ضرب مثل متصل بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا تبين اولا
انهم يعبدون من دون الله ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا
الجاهم اليه علم ضرورتهم ولا حملهم عليه دليل عقلي ثم ذكر بهذه الاية ما يدل على بطلان حالهم وفساد
فعلهم وقولهم وعبر عن دعويهم بان لله شريكا بالمثل تشبيها لها بالمثل السائر في الغرابة فان
لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر واستعارة في الحال المستغربة والقصة العجيبة لتشبيهها
به في الغرابة نادى المشركين ليلقي اليهم حالة غريبة او قصة رائعة متلقاة بالاستحسان
اي عجيبة والغول

قوله وللاشعار به الخ وضع الذين كفروا موضع الضمير وللاشعار بمعنى العلية الذي المذكورة وضع الظاهر اي الذين كفروا موضع ضميرهم اي للايذان بان معرفة المنكر ظهوره في وجوههم لتوغلهم في كفرهم وهذا المعنى لا يوجد اذا قيل تعرف في وجوههم المنكر محمد

قوله استئناف تدبر وتفكر بمعنى التدبر والتفكر مستفاد من صيغة الافتعال فان استعمال [illegible] قال سيبويه
اما كسب فانه يقول اصاب واما اكتسب فهو التصرف والطلب والاعتمال بمنزلة الاضطراب ابن محمد

٥٢٢

والغول وهي انهم اتخذوا اعجز خلق الله وارذلهم شريكا له في الالوهية واستحقاق العبادة
وعبر عن ايراد هذه الحالة الغريبة بلفظ الماضي وهو ضرب المستدعي لتحقق [illegible]
فيما مضى مع انه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء بناء على ان ما يورد من تلك الحالة الغريبة لغاية
وضوحها بمنزلة امر تقدم بيانه ثم انه تعالى بين ما اجمله وابهمه بقوله ضرب مثل بان قال ان
الذين تدعون من دون الله الاية ولا شك ان اتخاذ من لا يقدر على خلق احقر خلق الله
قدرا وجثة الها ومعبودا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر واغرب منه اتخاذ من لا يقوى
على مقاومة هذا المخلوق الاحقر الاذل ويعجز عن ذبه عن نفسه او جعل الله تعالى
ان الاخفش قال ان قيل فاين المثل الذي ذكره الله تعالى في قوله ضرب مثل قيل ليس ههنا مثل وضرب
من الامثال وانما معناه شبه بي الاوثان وجعل لي امثالا وشركاء والاظهر ان القول بان
ضرب بمعنى جعل لا يخلو عن بعد لا يقدرون على خلقه تصوير لمعنى تاكيد النفي المستفاد من
كلمة لن لان نفي القدرة على الفعل اكد من نفي نفس الفعل لكون نفيها نفيا للفعل بخلاف
نفي اصل الفعل فانه نفي مجرد وقوله لان لن بما فيها من تاكيد النفي علة لتصوير معنى تاكيد
النفي بنفي القدرة على الخلق فان تحقق المنافاة بين المنفي والمنفي عنه انما يكون بعدم
القدرة على الفعل المنفي وجمع اذبة وذبان يعني ان الذباب اسم جنس وجمعه
القليل اذبة وجمع الكثرة على ذبان بكسر الذال وضمها والمذبة ما يطرد بها الذباب
لجوابه المقدر في موضع الحال قد تقرر ان الواو في مثل هذا التركيب عاطفة لهذه الجملة
الحالية على حال محذوفة اي انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو في هذه الحالة المقتضية
لخلقهم فكانه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على حقارتها
فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وشريكا لخالق السموات والارضين عابد الصنم
ومعبوده فان عابد الصنم يطلب منه بعبادته اياه ان ينفعه ويشفع له فالطالب هو
العابد والمطلوب هو الثواب والنفع والمطلوب منه هو الصنم الا انه اطلق المطلوب
على الصنم على طريق الحذف والايصال او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم
من الطيب فعلى هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب المسلوب والمطلوب منه هو
الصنم واطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والايصال ايضا او الصنم والذباب
فعلى هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه هو الذباب الا انه
سمي مطلوبا على طريق الحذف ايضا وهو اعلى المراتب اي الاصطفاء للرسالة اعلى
المراتب بالنسبة الى ما عدا الواجب تعالى تقرير للنبوة وتزييفا علة لقول من ان له

ولو اجتمعوا له كلمة ان ولو في مثل هذه المقامات ليست لانتفاء الشيء لانتفاء غيره ولا للمضي ولا للتعليق والاستقبال بل كل منهما سلك في معنى شرط الحكم ولهذه النكتة ترى القوم يقولون انهما لتاكيد مصنفك

قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره الاية وفي نظم [illegible] فيه ردا على [illegible] قال الكلبي في هذه الاية نزلت في [illegible] من اليهود كعب بن الاشرف وغيره من اليهود حيث قالوا ان الله تعالى فرغ من خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استلقى ووضع احدى رجليه على الاخرى فنزلت هذه الاية تكذيبا لهم ونزل قوله عز وجل وما مسنا من لغوب

قوله الله يصطفي من الملائكة رسلا كلمة من للتبعيض تقتضي ان يكون من الملائكة رسلا [illegible] بعضهم رسلا [illegible] جاعل الملائكة رسلا [illegible] كونهم كلهم رسلا [illegible] المذكورهنا من كان رسولا الى بني آدم وهو اكابر الملائكة كجبرائيل وميكائيل واسرافيل والحفظة صلوات الله عليهم [illegible]

[illegible]

اما الانواع الاول وهو تعيين المامور به فهو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا وفيه قولان احدهما المراد منه كل المكلفين سواء كان مؤمنا او كان كافرا لان التكليف بهذه الاشياء عام في كل المكلفين فلا معنى لتخصيص المؤمنين بذلك والثاني ان المراد منه المؤمنون فقط اما اولا فلان اللفظ صريح فيه واما

ثانيا فلان قوله بعد ذلك هو اجتباكم وقوله هو سماكم المسلمين من قبل وقوله لتكونوا شهداء على الناس كل ذلك لا يليق الا بالمؤمنين اقصى ما في الباب ان يقال لما كان ذلك واجبا على الكل فاي فائدة في تخصيص المؤمنين لكن نقول انه تخصيصهم بالذكر لا يدل على نفي ذلك عن غيرهم بل يقال قد دلت هذه الاية على كونهم على التخصيص انه لما جاء الخطاب العام مرة بعد مرة ثم انه ما قبله الا المؤمنون خصهم الله تعالى بهذا الخطاب ليكون ذلك كالتحريض على المواظبة على ما قبلوه وكالتشريف لهم في ذكر الافراد والتخصيص

عباد المصطفين اي يختار بين قرر امر النبوة باصطفائه بعض الناس للرسالة وزيف من عبد غير الله تعالى من الملائكة بقوله يصطفي من الملائكة رسلا بعد ما ابطل قول عبدة الاوثان في الاية المتقدمة فالمقصود من هذه الاية ابطال قول عبدة الملائكة ببيان ان علو درجتهم ليس لكونهم آلهة يستحقون العبادة بل من حيث انهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم الصلوة والسلام قيل ويحتمل ان يكون المراد باصطفاء الملائكة انه تعالى يختار من الملائكة رسلا الى الملائكة في بعض ما كلفهم به من انواع العبادات والطاعات فيبعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك كما اختار من الانس رسلا اليهم فيما كلفهم به وفي الاية دلالة على انه تعالى انما اصطفاهم للرسالة لانهم يستوجبون منه ذلك لكن افضل لامته وانما ما لم قال يصطفي لا كما قالت المعتزلة من انه تعالى لا يختار للرسالة الا من كان منه ما يستحق به ذلك وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم من امر الدنيا وما خلفهم من امر الاخرة اشارة الى العلم التام وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية ثم انه تعالى لما قدم ما يتعلق بالالهيات ثم ذكر ما يتعلق بالنبوات اتبعه بذكر ما يتعلق بالشرايع والاحكام وكلفهم اولا بما هو اجل العبادات وهو الصلوة او الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان الناس كانوا في اول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الاية فقال يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا ثم كلفهم بما يتناول الصلوة وغيرها من انواع العبادات التي يقصد بها التعظيم لامر الله تعالى فقال واعبدوا ربكم ثم كلفهم بما يتناول اصرفة المعبود وتعظيم امره ويتناول الاحسان الى خلقه الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى من افعال الخير كصلة الرحم ومكارم الاخلاق فكانه تعالى قال كلفتكم بالصلوة بل كلفتكم بما هو اعم منها وهو العبادة بل كلفتكم بما هو اعم منها وهو فعل الخيرات والفلاح الظفر بنعيم الاخرة ذكره الله تعالى بكلمة الترجي لان الانسان قلما يخلو في اداء ما كلف به من التقصير فليس هو على يقين في خروجه عن عهدة ما كلف به حتى يتيقن بترتب الثواب الموعود له ثم كلفهم رابعا بان يجاهدوا في الله حق جهاده اي حق جهاد فيه ولاجله واتصابه على المصدر محذوف كلمة في واضيف الجهاد الى الضمير على طريق الاتساع كما في قوله ويوم شهدناه سليما او من حيث ان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة واختصاص وقد تحقق ذلك والجهاد يكون حقا باستفراغ الطاقة فيه واصل المعنى جاهدوا في الله ومن اجله جهادا حقا

والله اعلم [illegible] ايضا شرة [illegible] له

وتوصيف الجهاد بالحق يفيد ان هناك جهادا واجبا والمطلوب منهم الاتيان بذلك فاذا عكس واضيف الصفة الى الموصوف بعد اضافته الى الله تعالى افاد اثبات جهاد مختص بالله تعالى وان المطلوب القيام بمواجبه وشرايطه على وجه التمام والكمال بقدر الوسع والطاقة وهو معنى قوله واضيف الحق الى الجهاد مبالغة في الدلالة على كمال الجهاد وتمامه فانه يضاف الصفة الى الموصوف ليدل على ان المراد به ما هو الكامل في شانه قال صاحب الكشاف في المفصل يقال هذا العالم جد العالم ويراد به البليغ الكامل في شانه وفيه تنبيه يعني ان قوله تعالى هو اجتباكم استيناف لبيان علة الامر بالجهاد فان نصرة الدين انما يكون بجهاد اعدائه في اعنال بعضها امر به ابهم في نفر كي مع ذكره كما يترك المسافر الصوم في السفر ويترك اتمام الاربع بالقصر ويترك المتوضئ غسل رجليه بمسح الخفين ومن لم يستطع ان يصلي قائما يترك القيام فيها ويصلي جالسا ومن لم يستطع ذلك يصلي موميا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال من جاءته رخصة فرغب عنها كلف يوم القيمة ان يحمل ثبيرا حتى يقضي بين الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله ايسرهما وقيل معنى قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ما جعل الله من حرج ان المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب الا جعل الله تعالى منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وارش الجناية والديات وبعضها بالكفارات وليس في دين الاسلام ذنب الا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من العذاب فيه نبعل دل عليه مضمون ما قبلها فان نفي الحرج وهو الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل دل عليه مضمون قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج لكن لا بد من تقدير المضاف ويجوز ان يكون منصوبا على الاغراء اي الزموا ملة ابيكم واتبعوها او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كان سبب تسميته من قبل اي لما كان تسمية الله تعالى بهذه الاية مسلمين بسبب انه تعالى استجاب دعوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام بقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وجعلها هذه الامة صار كان ابرهيم سماهم مسلمين بسبب كونه عليه الصلوة والسلام سببا لتسميتهم بذلك في القران شهيدا عليكم بانه بلغكم الظاهر ان ليس المراد شهادته عليه الصلوة والسلام على المكذبين من امته بانه بلغهم لان الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا ولقوله سماكم المسلمين بل المراد ليكون شهيدا عليكم بانه بلغكم تبليغا يترتب عليه نصره بعكم اياه وقبولكم ما جاء به ليظهر به اسلامكم وعدالتكم بحيث تقبل شهادتكم على تبليغ المرسلين رسالتهم الامم لان هذه الشهادة في الحقيقة تعديل لاتته وتزكية لهم ورد

[illegible]

شهادته لنفسه حتى يرد أن يقال شهادته عليه الصلوة والسلام بأنه بلغهم شهادة لنفسه
فكيف تقبل فيجاب بأنها تقبل لكونه معصوما ويمكن أن يقال تعديله عليه الصلوة والسلام لأمته
لما توقف على تبليغه إياهم ولم يثبت ذلك إلا بشهادته كان ذكر التعديل في الحقيقة شهادة لنفسه
ومع ذلك قبلت لعصمته ولما كانت شهادته عليه الصلوة والسلام في حق أمته المؤمنين
بمعنى التعديل كان الظاهر أن يقال شهيدا لكم بدل عليكم إلا أنه لما كان الرسول كالرقيب المهيمن
على أمته عدي بكلمة على فإنها قد يستعمل بمعنى اللام كما في قوله تعالى وما ذبح على النصب أي للنصب
قال المصنف في سورة البقرة روي أن الأمم يوم القيمة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله
تعالى ببينة التبليغ وهو أعلم بهم إقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بأمة محمد عليه الصلوة والسلام
فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم
لما خصكم بهذا الفضل والشرف إشارة إلى أن تفريع قوله تعالى فأقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة بالفاء على قوله هو اجتبيكم وقوله هو سماكم المسلمين يشعر بعلية ما ذكر سابقا لوجوب
التقرب إليه تعالى عليهم بأنواع الطاعات وأن تخصيص الصلوة والزكوة بالذكر لكون الأولى
أشرف الأعمال البدنية والثانية أشرف المالية تم ما يتعلق بسورة الحج والحمد لله
وحده والصلوة والسلام على رسوله وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين
وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وقد يثبت المتوقع كلمة قد سواء دخلت
على الماضي أو المضارع تدل على معنيين تحقيق مضمون ما دخلت هي عليه وكونه متوقعا للمخاطب
وإذا دخلت على الماضي يضاف إلى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو
قد ركب الأمير لمن يتوقع ركوبه أي هذا حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الأمير و
إذا دخلت على المضارع يضاف إليهما في الأغلب معنى التقليل نحو إن الكذوب قد يصدق أي
يصدر منه الصدق وإن كان قليلا وقال البغوي قد حرف تأكيد وقال المحققون قد تقرب
الماضي من الحال فدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال وهو معنى قول المصنف يدل
على ثباته أي على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو دليل على أنه لتقريب الماضي من
الحال على أكلوني البراغيث أي على أن يكون الواو حرفا دالا على أن الفاعل جمع كما أن التاء
في فعلت دالة على أنه مؤنث وليس ضمير الفاعل وعلى أن يكون ضميرا مبهما يفسره المؤمنون
وأفلح بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو وأفلح على

على البناء للمفعول بمعنى أدخلوا في الفلاح فيكون من أفلح متعديا بنفسه والفلاح أي أصاره
إلى الفلاح واعلم أنه تعالى أشار إلى أن الفلاح الحقيقي لا يحصل بمطلق الإيمان بل يحصل بالإيمان
الحقيقي المقيد بجميع الشرائط التي هي مذكورة في هذه الآية منها كون العبد مؤديا للصلوة
حال كونه ملابسا للخشوع والخضوع واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلوب
كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من
جمع بين الأمرين وهو الأولى فالخاشع في صلوته لا بد وأن يحصل له مما يتعلق بالقلب و
القالب جميع ما يدل على نهاية الخضوع والتذلل للمعبود أما خشوع الظاهر والقالب فما
يكون بالرأس انتكاسه وما يكون بالعين انغماضه عن الالتفات وما يكون بالأذن تذلله
للاستماع وما يكون باللسان القراءة بالحضور وما يكون باليدين وضع اليمين على الشمال
بالتعظيم كالعبيد وما يكون بالظهر انحناؤه بالركوع مستويا وما يكون بالفرج أن لا يظهر فيه
أثر من آثار الخواطر الشهوانية وما يكون بالقدمين ثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة
التي لا تكون من أفعال الصلوة وأما خشوع الباطن فخشوع النفس بسكونها عن الخواطر
والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الحضور وخشوع السر بمراقبته وتركه
اللحظات إلى المكونات وخشوع الروح استغراقه في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفة
الجمال والجلال قال الإمام فهل تقولون إن ذلك واجب في الصلوة أم لا قلنا إنه واجب
عندنا ويدل عليه أمور أحدها قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها والتدبر
لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا معناه قف على
عجائبه ومعانيه وثانيها قوله تعالى وأقم الصلوة لذكري فظاهر الأمر للوجوب والغفلة
تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وثالثها قوله تعالى و
لا تكن من الغافلين وظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران
عن قربان الصلوة وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالدنيا ورابعها قوله عليه الصلوة
تمسكن وتواضع وتضرع فكلمة إنما للحصر وقوله عليه الصلوة والسلام من لم تنهه صلوته عن
الفحشاء والمنكر لم تزدد من الله تعالى إلا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال
عليه الصلوة والسلام كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وما أراد به إلا الغافل
وقيل أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلوته إلا ما عقل منها وروي أنه عليه
الصلوة والسلام قال إن العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب
للعبد من صلوته ما عقل منها يعني لا يكتب له من صلوته ما سهى عنها والصلوة وإن لم

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلوة فانه بين يدي الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ابن آدم اقبل الي فانا خير ممن تلتفت اليه عوارق

تقبل الجزء جوابا او فسادا الا انها تقبل الجزء قبولا اذ بين الامرين فرق وعن بشر الحافي انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وعن الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا صلوة وقال الفقهاء المصلي يناجي ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة لانها لا تتحقق الا اذا كان اللسان معربا عما في القلب من التضرعات فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم وكان القلب غافلا عنه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطبة هو الله تعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله وكبريائه ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد ذلك عن القبول وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس الا التعظيم بمكان الامتثال للامر وايقاع هذه الافعال لقصد التعظيم والامتثال لا يمكن مع غفلة القلب عن المقصود تعظيمه ولو جاز ان يكون هذه الافعال تعظيما لله تعالى مع ان القلب غافل عنه لجاز ان يكون تعظيما للصنم الموضوع بجنبه وهو غافل عنه وما يدل على ان الصلوة لا بد فيها من الخشوع والحضور ان الفقهاء اختلفوا فيما ينويه المصلي بالسلام عند الجماعة والانفراد هل ينوي الحضور ام الغيب والحضور معا فاذا احتيج الى التدبر في معنى السلام الذي هو آخر الصلوة الا يحتاج الى التدبر في معنى التكبير والتسبيح والقراءة الواقعة في اثناء الصلوة ثم حال الحضور عندنا ليس بشرط الاجزاء بل هو شرط القبول والمراد من الاجزاء ان لا يجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب وغرضنا في هذا المقام ثم قال هب ان الفقهاء باسرهم حكموا بالجواز الا ان الاصوليون واهل الورع ضيقوا الامر فيه فهلا اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبني الشافعي وان قرأتها مع الامام ان يعاتبني ابو حنيفة رحمهم الله فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الاختلاف والزكوة تقع على المعنى والعين اي تقع على معنى التزكية واخراج قدر من النصاب ودفعه الى الفقير وعلى عين القدر الذي يخرجه صاحب النصاب منه ويدفعه الى الفقير فان اريد بها العين في الآية فلا بد من تقدير المضاف اي والذين هم لاداء الزكوة فاعلون واللام في قوله للزكوة مزيدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكون العامل فرعا او سراياتهم جمع سرية بضم السين وتشديد والياء جميعا فعلية من السر وهو الجماع وهي جارية بطاها المولى للنسل والسرى وطء الجارية سرا اي وطاء والاصل السرر قلبت الراء الاخيرة ياء كما في تقضي البازي

حولا

لا يبذلونها بمعنى ان قوله حافظون وان كان اثباتا صورة الا انه في معنى النفي لان الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه اي لا يبتذلهما فيما لا يعنيه والمعنى والذين هم لفروجهم لا يبتذلون الا على ازواجهم وانما احتيج الى اعتبار تضمين معنى النفي على تقدير ان يكون على صلة لحافظين لان قوله الا على ازواجهم استثناء مفرغ وذا لا يكون الا بعد النفي او ما في معناه وفعل الحفظ يتعدى بعلى باعتبار تضمين معنى الاستعلاء على او القصر فان كلا منهما يتعدى بعلى قال امسك عليك زوجك ويقال احفظ على عنان فرسي بتضمين معنى امسك ولولا اعتبار التضمين لما عدي بعلى فيكون كلمة على صلة حافظون يتوقف على اعتبار التضمين وجواز الاستثناء المفرغ في الاثبات يتوقف على كونه في معنى النفي وانما قال ما ولم يقل او من ملكت مع ان الاماء عواقل اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن وعلمهن وامتهانهن في الاعمال الخسيسة كسائر الحيوانات والبهائم فمن ابتغى اي طلب سوى الزوجات والسراري فاولئك هم الكاملون في العدوان حيث لم يقنعوا بما وسع الله عليهم من تزويج الاربع من الحرائر والتسري بما شاء من الجواري والعدوان الظلم او مجاوزة ما حده الله وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء قال عطاء سمعت قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هؤلاء وروي ان الله تعالى عذب امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ما يؤتمنون عليه فان الامانة والعهد مصدران في الاصل ثم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا تسمية بالمصدر قال الله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى الاعيان لا المعاني فكان المؤتمن عليه لا الامانة نفسها جمعه غير حمزة والكسائي فانهما قرآ على صلوتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع وقالوا وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والنوافل المرغبة الجامعون لهذه الاوصاف اشارة الى ان قوله والذين هم عن اللغو معرضون وما بعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع وحدة الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينهما والحصر المستفاد من قوله اولئك هم الوارثون من قبيل حصر الكمال والايثار بقوله الاحقاء بان يسموا وارثا والوارث هو الباقي بعد فناء المورث والقائم مقامه في الاستبداد بما يستحقه مورثه فالجامعون لهذه العبادات والاوصاف المذكورة من حيث بقائهم بعد فناء اعمالهم التي هي من قبيل الاعراض بمنزلة الوارث الباقين بعد فناء مورثهم من حيث ان تلك الاعمال

اورثهم ما وعده الله تعالى بازائه من الثواب الجزيل   وقيل انهم يرثون من الكفار روى
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل
في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى اولئك
هم الوارثون وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال خلق الله تعالى ثلثة اشياء بيده خلق
آدم بيده وكتب التورية بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي لا يدخلها مدمن خمر ولا
ديوث قالوا يا رسول الله قد عرفنا مدمن خمر فما الديوث قال الديوث الذي يقر السوء لاهله
من خلاصة يعني ان السلالة ما سل من الشيء اي نزع واستخرج منه على وجه التصفية
والتخليص من كدره قال صاحب الديوان فعالة اسم لما بقي بعد المصدر فالسلالة ما بقي بعد
السل كالنخالة والبراية لما بقي بعد النخل والبري وفيها دلالة على القلة فاذا قبضت على الطين
بكفك تخرج من بين اصابعك حمرة وخالصة فهو سلالة وقال ابو عبيدة السلالة التي تسل
اي خالص منفك من كدر الطين منه
من كل شيء وقيل سمي التراب الذي خلق منه آدم سلالة لانه سل من كل تربة وسمي الولد سلالة
لان اصله وهو الماء يسل من تحت كل شعرة فقول صاحب الديوان مخالف لقول غيره واختار المص
قول غيره ومن الاولى ابتدائية متعلقة بخلقنا والثانية تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة
السلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تكون الثانية لبيان الجنس كما في
قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان على تقدير ان تكون السلالة هي الطين   او بمعنى سلالة
عطف على قوله بمحذوف اي او من الثانية متعلقة بمعنى سلالة اي من صفوة مسلولة من طين
فيكون ابتدائية كالاولى واختلف اهل التفسير في الانسان فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة
ومقاتل المراد منه آدم عليه الصلوة والسلام فانه خلق من طين استل من كل تربة وخلقت
ذريته من ماء مهين فقوله تعالى ثم جعلناه بني على حذف المضاف اي ثم جعلنا نسله ويحتمل ان يكون
ضمير جعلناه للانسان الذي هو ولد آدم على طريق الاستخدام فان لفظ الانسان اسم شامل لآدم و
ولولده ويجوز ان يراد بلفظ الانسان نفس آدم وبضميره ولد آدم ومثله يسمى استخداما عند علماء
اهل البديع   او الجنس فانهم خلقوا من سلالات اي صفوات مسلولة من الماء والطين وهي
الاغذية النباتية التي تستل منها اللحم والانسان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ صفوتها وهو اشارة
الى ما ذكره الامام من ان الانسان انما يتولد من النطفة وهي انما تتولد من فضل الهضم الرابع و
ذلك انما يتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات
انما يتولد من صفو الارض والماء فالانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان
تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا ثم قال وهذا التاويل
مطابق

روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان انتهى

والنخالة والكناسة منه

وعن ابن عباس وغيره السلالة صفوة الماء منه

اي ان آدم عليه الصلوة والسلام خلق من صفوة طين مسلولة من كل تربة منه

مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى التكلفات ووجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه تعالى امر
بالعبادات في الاية المتقدمة ومن المعلوم ان الاشتغال بعبادة الله تعالى لا يصح الا بعد معرفته
تعالى فلا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من
الدلائل انواعا النوع الاول الاستدلال بتقلب الانسان في اطوار الخلقة وهي تسعة
اطوار اولها كونه سلالة من طين واخرها ما ذكره الله تعالى بقوله ثم انكم يوم القيمة تبعثون
وهذه الجملة اعني قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان جواب قسم محذوف اي والله لقد خلقنا
الانسان   بان خلق منها لما كان جعل الانسان نطفة غير معقول اذ المعقول ان يجعل
النطفة انسانا لم يحمل قوله تعالى جعلناه على معنى صيرناه بل حمله على معنى خلقناه وجعل
انتصاب نطفة بنزع الخافض   او ثم جعلنا السلالة نطفة اي ثم صيرنا الاغذية
المسلولة من الطين نطفة وقوله تعالى في قرار متعلق بمحذوف على انه صفة ويجوز ان يتعلق
بجعلنا على ان يكون المراد بالقرار صلب الرجل ويكون ضمير جعلناه للسلالة ويكون الجعل بمعنى
التصيير فان جنس الانسان يخلق من المسلول من طين وذلك المسلول لا يصير نطفة في الصلب
الا بعد زمان والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر الذي اريد به الرحم فسمي بالمصدر ثم وصف
الرحم بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها لاحد معنيين اما على المجاز كطريق سائر واما السائر
من فيه واما المكانة في نفسها لانها تمكنت في نفسها وجعلت مكينة حصينة محكمة محفوظة وضمن
خلق في قوله ثم خلقنا النطفة علقة وما بعده معنى جعل التصييرية فعدي الى مفعولين كما ضمن
جعل معنى خلق فيعدى الى واحد نحو جعل الظلمات والنور   لتفاوت الاستحالات فان
خلق نسل آدم من النطفة متراخ رتبة وزمانا من خلق نفسه من سلالة من طين و
كذا تصيير السلالة من طين نطفة متراخ رتبة عن خلق الانسان من تلك السلالة وكذا الحال
في تحويل النطفة علقة بالنسبة الى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف التحويلات الباقية
فانها امور متعاقبة   والجمع اي جمع العظام في الموضعين وهو قراءة العامة مع ان لفظ
العظم لكونه اسم جنس يغني عن الجمع للدلالة على تباين افرادها من الاختلافات في الهيئة و
الصلابة   تعالى احسن الخالقين نعت للجلالة ويجوز ان يكون بدلا من لفظ الجلالة والاول
اولى لان البدل بالمشتق قليل ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو احسن والاصل عدم
الحذف ومنع ابو البقاء كونه صفة قال لانه نكرة وان اضيف الى المعرفة لان المضاف عوض
من كلمة من وهكذا جميع باب افعل منك وهذا مبني على احد القولين في افعل التفضيل اذا اضيف
هل اضافته محضة ام لا والصحيح الاول قالت المعتزلة لولا ان يكون غير الله تعالى قد يكون

خالقا لما جاز القول بانه احسن الخالقين كما انه لو لم يكن في عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال في حقه انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين وللفضل شارحوا بهم بتفسير الخالقين بالمقدرين فان الخلق هو التقدير فال زهير ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري اي ولانت تقدر امرا فتمضيه وبعض القوم يقدر ولا يمضي والاية انما تكون حجة للمعتزلة ان لو كان التقدير مستلزما للايجاد وليس كذلك والمعنى احسنهم خلقا وتقديرا لخذي التمييز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المذكور فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه

ولذكر ان ولكون المصير الى الموت امرا ثابتا لا محالة ذكر النعت الذي للثبوت وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ما هو للحدوث وهو اسم الفاعل وهذه الاطوار التي ينتقل الانسان فيها لا يقدر عليها غيره تعالى فهي دليل على وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقه السموات بقوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اي سبع طباق متطارقة بعضها فوق بعض تهمليل مرها اشارة الى ان المراد بالخلق السموات السبع واللام فيه للعهد وانه بمعنى المخلوق بين تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعد ما بين قدرته بخلق نفسها كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عما يحدث وما يجري فيها او حفظها وامساكها ان تقع عليهم غافلين ويحتمل ان يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة في خلقها كانه قيل انا خلقناها فوقهم ليتنفتح عليهم ابواب الرزق والبركات عليهم منها وينتفعوا بما فيها فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم ثم انه تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية انباته في النبات فقال وانزلنا من السماء ماء بقدر اي انزالا ملتبسا بتقدير يكثر نفع ذلك التقدير وبقلة ضره على قوله بقدر صفة مصدر محذوف واما اذا كان القدر بمعنى المقدار فيكون صفة لقوله ماء والتقدير لا ينقضي متلبسا عليه معلوما بخلاف المقدار فلذلك اضاف المقدار الى المتلبس عليه ولم يضف التقدير اليه واختلف المفسرون في ان المراد بالسماء ما هو فذهب الاكثرون الى ان المراد به المظلة الخضراء وان مياه الارض كلها نازلة منها جعل الله تعالى منافع الارض متصلة بمنافع السماء مع ما بعد ما بينهما وبين بذلك انه منشئهما ومدبرهما وانه عالم بذاته وذهب الاخرون الى ان المراد بها السحاب وسماه سماء لسموه وارتفاعه وان المعنى انه تعالى اصعد الاجزاء المائية من قعر الارض ومن البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم انها تكون ثاني وتشاكل ثم ينزل الله تعالى على قدر الحاجة اليه ولولا ذلك لم ينتفع بتلك المياه الارضية لتفرقها في قعر الارض ولا بماء البحار لملوحته والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ثم انه تعالى امتن علينا بابقاء الماء الذي هو قوام مصالح الدين والدنيا فقال وانا على ذهاب به اي بالماء لقادرون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

قال حذيفة في هذه الاية تعقبون وتبيع الله والله احسن الصانعين يتبارك جل جلاله احسن صانع واحد

قوله الا طوارق بعضها فوق بعض مطارقة النعل اذا طرقت مطارقة النعل اذا طبقت وريش طارق اذا كان بعضها فوق بعض وطارق الرجل بين الثوبين اذا ظاهر بينهما اي ليس احدهما على الاخر وطارق بين النعلين اي خصف احدهما فوق الاخر كذا في الصحاح حوز النهاية طارق اذا اعتبر اطباقا فوق طاق وركب بعضها فوق بعض والتشبيه بها وافي في مجرد تصيير اطاقا فوق طاق دون اللصوق روي عن الامام حنبل الترمذي عن ابي هريرة رضي قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال سماء ان بعد بينهما خمسمائة عام ثم قال كذلك حتى عد سبع سموات وما بين كل سماءين ما بين السموات والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال وان فوق ذلك العرش بينه وبين السماء بعد ما بين السماءين الحديث

ابن حجر

علم ان هذه الايات دالة على مسائل منها انها تدل على وجود الصانع فان انقلاب هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى تضاد الاولى مع امكان بقائها على الصفة الاولى يدل على انه لا بد من مغير ومنها انها تدل على فساد القول بالطبيعة فان شيئا من تلك الصفات لو حصلت بالطبيعة لوجب بقاؤها وعدم تغيرها ولو قيل انما تغيرت تلك الصفات لتغير تلك الطبيعة افتقرت تلك الطبيعة الى خالق وموجد ومنها انها تدل على انه تعالى عالم بكل المعلومات قادر على الممكنات ومنها انها تدل على جواز الحشر والنشر بصريح الاية ولان الفاعل سبحانه لما كان قادرا على كل الممكنات وعالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على اعادة التركيب الى تلك الاجزاء كما كانت ومنها ان معرفة الله تعالى يجب ان تكون استدلالية لا تقليدية والا لكان ذكر هذه الدلائل عبثا ابن عادل

٥١٧

ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام استودعها الجبال واجراها فاجراها في الارض وجعلها منافع للناس في اصناف معايشهم فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القران والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا واعلم ان الماء نعمة في نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخر فلا جرم امتن الله تعالى اولا بانزاله وابقائه ثم ذكر ما يحصل به من النعم فقال فانشانا لكم به جنات الاية او ترزقون تغيير تان لقوله تعالى تاكلون فان الاكل حقيقة في ابتلاع المطعوم والتغذي به ويطلق ايضا على تحصيل ما ينتفع به الانسان في تعيشه من الماء والملابس ونحوهما مجازا مرسلا بطريق التعبير عن الشيء باسم معظم ما يقصد منه ومن صرفه اي منع صرف سيناء بكسر السين والمد هي قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو بخلاف عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر ويعقوب فانهم قرؤوا سيناء بفتح السين والمد والاعمش كذلك الا انه قصرها وهمزة سيناء بكسر السين ليست للتانيث اذ ليس في كلام العرب فعلاء بكسر الاول وهمزته للتانيث بل هي للالحاق بسرداح وقرطاس كما في علباء فتكون الهمزة فيها منقلبة عن ياء او واو لان الالحاق يكون بهما فلما وقع حرف العلة متطرفة بعد الف زائدة قلبت همزة كما في رداء وكساء اي تنبت ملتبسا بالدهن اي وفيها الدهن على ان بالدهن حال من فاعل تنبت وجوز كونه مفعولا به غير صريح لتنبت ومن قرا تنبت بضم التاء وكسر الباء جعل انبت بمعنى نبت كما في بيت زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل قوله رايت صحيح على لفظ الخطاب والقطين الخدم والاتباع جمع قاطن من قطن بالمكان اذا اقام به وتوطنه اي رايت الفقراء والمساكين مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوائجهم حتى اذا انبت البقل وظهر الخصب فتحولوا وينتقضون من حولها ويجوز ان يكون انبت متعديا حذف مفعوله اي تنبت ثمرها وفيه الزيت فقوله بالدهن على الوجهين في موضع الحال وفيه وجه ثالث لم يتعرض له المص وهو ان تكون الباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من انبته الله

العلباء بالباء من العلف الا بالياء والعلباء عصب العنق والعلب والانثى علباء عل وزان شبهاء وان شئت قلت علباء العدو وان الالحاق بحمخة فاه الا انه جمع ان تجعله شبيها بحمرا وحمراء اوبالاصلية النقيصة والجمع علابي كذا في الصحاح ابن حجر

وبالدهن حال من المفعول القائم مقام الفاعل اي تنبت ملتبسا بالدهن وفي حرف ابي تثمر
بالدهن وقرئ تخرج بالدهن مضارع خرج وتُخرِج الدهن وصبغ الآكلين مضارع اخرج
وتنبت الدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح والصبغ والصباغ ما يصطبغ به اي يؤتدم
سمي الادام صبغا لان الخبز يلون به اذا غمس فيه ونحوهما الدبغ والدباغ لما يدبغ به انه تعالى
لما استدل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بانزال الماء واخراج انواع النباتات
استدل عليه باحوال الحيوانات فقال وان لكم في الانعام لعبرة ثم فصل ما فيها من وجوه
الاعتبار وذكر منها اربعة اوجه قوله نسقيكم مما في بطونها والمراد جميع وجوه الانتفاع
بالبانها ووجه الاعتبار فيه انها تجتمع في الضرع وتتخلص من بين الفرث والدم باذن الله
تعالى فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوة فتصير غذاء فمن استدل بذلك على
قدرة الله تعالى وحكمته يكون هذه النعمة في حقه من النعم الدينية ومن انتفع بها في امر معاشه
تكون في حقه من النعم الدنياوية والثاني قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة وثالثها قوله تعالى ومنها
تاكلون افرد منفعة الاكل بالذكر لكونها انتفاعا مغايرا لما سبق من حيث كونها انتفاعا
باعيانها بعد ذبحها بخلاف المنافع السابقة فانها انتفاع بمنافعها الخارجة عن ذواتها ومن
حيث انه باعيانها ورابعها قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون   فيكون الضمير فيه اي على
تقدير ان يراد به غير الابل خاصة يكون الضمير فيه كالضمير في قوله تعالى وبعولتهن بعد
قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء في كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان
ضمير بعولتهن يرجع الى بعض المطلقات وهو المطلقات طلاقا رجعيا فكذا الضمير عليها
اذا اريد به الابل خاصة ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة
في سائر السور الكريمة وابتدا بقصة نوح عليه الصلوة والسلام قيل الحكمة في تكرار القصص
ان في كل قصة يكررها الفاظا وفوائد ونكتا ما ليس في الاخرى وفي تكريرها تاكيد الحجة وتجديد
العظة ارسله الله تعالى ليدعو الناس الى عبادة الله تعالى وحده فلما دعاهم الى ذلك لم
ينتفع فيهم الدعاء واستمروا على عبادة غير الله تعالى حذرهم بقوله افلا تتقون ثم زيف
عاداهم عليه ثم انه تعالى حكى عنهم شبهاتهم في انكار نبوة نوح عليه الصلوة والسلام الشبهة الاولى
قولهم ما هذا الا بشر مثلكم يشارككم فيما بكم من الاوصاف ولو كان رسولا من الله تعالى لكان
معظما عنده ومتميزا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والعزة فلما لم يكن كذلك علمنا انه ليس
برسول الا انه ادعى الرسالة ليتفضل عليكم بدعوى الرسالة وليس له ذلك وبناء التفعل
للتكلف ما ليس في الانسان من الصفة فهو يريد ان يتصف به كالتشجع والتسيد وبناء

وهذه الشبهة تحتمل وجهين احدهما انه يقال انه لما كان مساويا لسائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض سواء امتنع كونه رسولا لله لان الرسول لابد وان يكون معظما عند الله وحبيبا له والحبيب لابد وان يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة فلما انتفت هذه الاشياء علمنا انتفاء الرسالة والثاني انه يقال هذا الانسان مشارك لكم في جميع الامور ولكنه احب الرياسة والمتبوعية فلم يجد اليها سبيلا الا بادعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته

وبناء التفاعل لتكلف ما ليس في الانسان من الصفة التي لا يريد كونها فيه كالتعامي
والتعارج والتجاهل والشبهة الثانية قولهم ولو شاء الله لانزل ملائكة لان انزالهم اشد
افضاء الى المقصود بالنسبة الى ارسال البشر لان الملائكة لعلو شانهم وشدة سطوتهم
وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى لم
يرسل رسولا والشبهة الثالثة قولهم ما سمعنا بهذا اي بنوح او بما كلمنا به من الحث على
عبادة الله تعالى او من دعوى الرسالة وهو بشر في آبائنا الاولين فانهم كانوا لا يعولون
في شيء من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى الاباء فلذلك لم يسلكوا طريقة النظر وتشبثوا
بالتقليد والشبهة الرابعة قولهم للعوام ان هو الا رجل به جنة فانه عليه الصلوة والسلام
كان يفعل افعالا على خلاف عادتهم فكان الرؤساء يقولون للعوام انه مجنون فكيف يجوز
ان يكون رسولا والشبهة الخامسة قولهم فتربصوا به حتى حين اي ان يفيق فيرجع عن
قوله او يموت على جنونه فنستريح منه   بحفظنا يعني ان لفظ الاعين استعير للحفظ
تشبيها لحفظ الله تعالى اياه بجماعة حفاظ يكلأونه بعيونهم ويسمون اعينا لكون العين معظم
ما يتوسلون به الى الحفظ فصاروا بذلك كانهم عيون بانفسهم وكذا الجاسوس سمي عينا
لذلك   وقيل عين وردة اي محل التنور الذي نبع منه الماء موضع بالشام يقال له عين
وردة قال المص في سورة هود او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض
او اشرف موضع فيها انتهى كلامه والمشهور ان ارض الجزيرة في ناحية ديار بكر والله تعالى
اعلم   يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه غيره اي ادخل غيره فيه ومنه الآية و
يفرق بينهما بالمصدر يقال سلك فيه سلوكا وسلكه فيه سلكا وقرأ من كل زوجين
بالاضافة وقرأ عاصم في رواية حفص من كل بالتنوين فان قرئ بالاضافة يكون
قوله اثنين مفعولا اسلك اي اسلك فيها اثنين واسلك فيها ايضا اهلك فيجب ان يقدر مضاف
آخر بين المضاف والمضاف ويكون التقدير من كل امتي زوجين اذ لو لم يقدر هذا المضاف
لم يستقم المعنى لانه لو حمل الكلام على ظاهره لزم ان يحمل الزوجان جميعا لان الكلام حينئذ يكون
بمنزلة ان يقال احمل من كل زوجين زوجين او احمل من كل اثنين اثنين والاثنان
المحمولان لا يكون من اثنين بل يكون نفس الاثنين فلا يستقيم المعنى الا بتقدير المضاف
اذ يكون المعنى حينئذ احمل من كل صنفي الذكر والانثى فردين من زوجين لئلا ينقطع نسل
ذلك الصنف من الحيوان روي انه عليه الصلوة والسلام لم يحمل في السفينة الا ما يلد ويبيض
واما نحو البق والذباب والدود فلم يحمل منها شيئا لانها انما تخرج من الطين فلا ينقطع

سلاما بان لا يحمل قوله تعالى واهلك عطف على قوله اثنين على قوله على قراءة الاضافة وعلى قوله (اثنين صح)
زوجين اثنين على قراءة التنوين والمراد باهله اهل بيته وهم امرأته وبنوه ونساؤهم
واستثنى منهم ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين فقال الا من سبق عليه القول
منهم قال تعالى في سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق
عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ولم يذكر في هذه الآية سائر من آمن به
اكتفاء بدلالة استثناء من سبق عليه القول من اهل بيته فانه يدل على انه تعالى امره بادخال
جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته وجوز المص ان يكون المراد بقوله واهلك جميع
من آمن به سواء اتصل به نسبا او لم يتصل فيكون قوله الا من سبق عليه القول استثناء
منقطعا ولا يخلو عن قبح بعد الشيء زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث
ونساؤهم وسائر من آمن به وهم اثنان وسبعون رجلا وامرأة فكان جميع اهل السفينة
ثمانية وسبعين نفسا سوى نوح عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى انهم مغرقون استيناف
لبيان علة نهيه عليه الصلوة والسلام عن الدعاء للذين ظلموا بالانجاء فانه تعالى لما
حكم عليهم بالاغراق واخبر بذلك وجب ان ينهاه عن دعاء الانجاء في حق بعضهم لانه
تعالى ان اجاب اليه فقد صار خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشأنه
عليه الصلوة والسلام قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك اي اذا تمكنت
فيها معتدلا اذا تمكن المستوي على الشيء فاحمد الله تعالى على نعمة الانجاء عرفه الله تعالى بان
استواءهم على السفينة سبب لنجاتهم من الغرق بهلاك الظالمين الذين حرموا عن
الدخول فيها فامره بان يحمد على هذه النعمة ثم انه تعالى بعد ان امره بالحمد على النعمة المذكورة
امره بان يدعو لنفسه بان يقول عند النزول في السفينة رب انزلني في السفينة منزلا
مباركا او بان يقول عند نزوله من السفينة الى الارض ان يقول رب انزلني في الارض
منزلا مباركا والاحتمال الاول اظهر لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره في السفينة فيكون
المنزل هي دون غيرها وقرئ منزلا بضم الميم وفتح الزاي وهي قراءة من عدا ابي
بكر واما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الزاي وهو يحتمل ان يكون اسما لمكان النزول وان
يكون مصدرا ميميا بمعنى النزول على اقامة مصدر الثلاثي مقام مصدر الرباعي كما في قوله
انبتكم من الارض نباتا والمنزل بضم الميم ايضا يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الانزال وان
يكون اسم مكان الانزال وقوله تعالى وانت خير المنزلين ثناء على الله تعالى بعد دعائه امره
الله تعالى بان يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه لان ثناء المحتاج على الغني الكريم يغني عن

غناء السؤال ويقوم مقامه واذا شفع السؤال به يؤكده ويقويه قوله وانما افرد بالامر
حيث قال فقل الحمد لله وقل رب انزلني ولم يقل فقولوا مع ان المناسب لقوله فاذا استويت
انت ومن معك لان معناه فاذا استويتم اظهار الفضله فان الامر خطاب من
الآمر مع المامور ولا شك ان كون العبد مخاطبا لله تعالى خطاب الارشاد والتعليم غاية
الشرف والفضل اللائق به الا ملكا مقربا او نبيا مكرما فلذلك افرد نوحا بالامر اظهارا لفضله
وايضا انه عليه الصلوة والسلام لما كان نبيا لهم واماما وكانوا اتباعا له داخلين في حكمه كان
قوله في حكم قولهم ودعاؤه في حكم دعائهم فكان افراده بالامر اشعارا بذلك من حيث كونه
متولي امورهم وان ولايته محيطة بهم قوله وان هي المخففة والمعنى وان الشان والقصة
كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او مختبرين بمختبرين عبادنا بهذه الآيات ليظهر
من يعتبر ويذكر ونظيره قوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر قوله هم عاد قوم هود ويشهد
له مجيء قصة هود على قصة نوح في سورة الاعراف وهود والشعراء وما اخبر الله تعالى به
من قول هود لقومه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم قوم صالح استدلالا بما يعقبه
من ذكر الصيحة التي ذكرت في قصة ثمود فان قوم هود اهلكوا بالريح لقوله تعالى واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر عاتية قوله وانما جعل القرن موقع الارسال اشارة الى ان كلمة في
في قوله تعالى فارسلنا فيهم رسولا ليست صلة للارسال لانه يتعدى بالى بل هي للظرفية و
بيان ان القرن موقع الارسال اقتطع ارسلنا من صلته وجعل مطلقا عن تعلق بالمرسل
اليه على طريق تعلق الفعل بالمفعول به بل عدي الفعل اليه بفي وجعل ظرفا للفعل كقوله تعالى و
اصلح لي في ذريتي فان قوله ذريتي اقتطع عن كونه مفعولا به وذهب به الى كونه ظرفا
لاصلح اي اجعل ذريتي موضعا للصلاح وكذا قوله يجرح في عراقيبها نصلي قوله لعل ذكر بالواو
اي ذكر قول الملأ في جواب هذا الرسول بالواو وذكر في جواب نوح بالفاء لعل الوجه فيه
ان كلام الملأ الثاني لم يتصل بكلام الرسول اي لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف عليه بفاء
التعقيب بل اجتمع في الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف عليه بالواو للدلالة على
اجتماعهما في الوجود قوله وحيث استؤنف به جواب عما يقال ذكر الله تعالى قوم هود في
في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وهو قوله تعالى قال الملأ الذين كفروا من قومه
انا لنريك في سفاهة وقوله قالوا ما نريك الا بشرا مثلنا وذكره ههنا بالواو فاتى الفرق بينهما
وتقرير الجواب ظاهر قوله وما خبرية اي موصولة والعائد في قوله مما تشربون اما منصوب
والتقدير تشربونه او مجرور اي تشربون منه قوله او انكم مخرجون مبتدأ اي ويحتمل

القرن [illegible] اهل زمان واحد [illegible]

ان يكون قوله انكم مخرجون مؤولا بمصدر مرفوع على الابتداء والظرف المقدم خبره والجملة
خبر انكم الاولى والتقدير ايعدكم اخراجكم كائن او مستقر وقت موتكم او فاعل عطفا
على قوله مبتداء اي ويحتمل ان يكون قوله انكم مخرجون مؤولا بمصدر مرفوع على انه فاعل فعل مقدر
حذف ذلك الفعل المقدر جواب اذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاولى والتقدير ايعدكم انكم
اذا متم وقع اخراجكم فكلمة اذا على الوجهين الاولين ظرفية وعلى هذا الوجه شرطية
ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا والتقدير ايعدكم انكم اذا متم تخرجون وهذا المقدر هو العامل
في الظرف وان الثانية وما في حيزها بدل من الاولى لا ان يكون الظرف اي لا يجوز ان يكون خبر
الاول الظرف لان اسم الاول جثة والظرف لا يكون خبرا عن الجثة وانما يكون خبرا عن الحدث و
الاظهر هو الوجه الاول وهو ان يكون خبر ان الاولى هو مخرجون وهو العامل في اذا وكررت الثانية
تاكيدا لما طال الفصل فان قيل ما في حيز ان لا يعمل فيما قبلها فكيف تقول ان عامل الظرف في الوجه
الاول هو مخرجون قلنا مخرجون ليس في خبر ان الثانية بل هو في حيز الاولى والثانية انما
يجئ بها لمحض التاكيد ولا يجوز ان يكون العامل في اذا متم لانه مضاف اليه فلا يعمل في المضاف
بُعْدًا التصدق يعني ان هيهات اسم لفعل لازم هو بَعُدَ فلا بد له من فاعل مرفوع واشار
المص الى فاعله مضمر يتعلق به قوله لما توعدون اي هيهات الصحة او التصديق لما توعدون
وكرر للتاكيد او بَعُدَ ما توعدون واللام لبيان المستبعد هو بيان لحاصل المعنى لان ما توعدون
المذكور لا يكون فاعل هيهات على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرا مبهما مفسرا بقوله
ما توعدون كما في ربه رجلا ولا محل لهيهات من الاعراب على الوجهين بخلاف ما اذا كان بمعنى
البعد وقيل هيهات بمعنى البعد فان قيل اذا لم يكن هيهات اسما للفعل وانما موقع بعد
كيف يكون مبنيا على الفتح قلنا انه في الاصل اسم الفعل وان استعمل ههنا بمعنى المصدر وهذا
القدر كاف في بنائه وقيل الذي اوجب بناءها شبهها بالاصوات وقرئ بالفتح منونا
للتنكير والفرق بين المنون وغير المنون على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك صَهْ وصَهٍ
ومَهْ ومَهٍ فان تقديرها في الاول افعل السكوت والكف وفي الثاني افعل سكوتا وكفا روى
عن الزجاج انه قال في تفسير هيهات البُعْدُ لما توعدون فمن لم ينون وبُعْدٌ لما توعدون فمن
نون فنزلها منزلة المصدر معرفا ومنكرا وقيل هيهات بالفتح لفظ مفرد وتاؤها للتانيث مثلها
في ظلمة وغرفة ولذلك يقلبها الواقف هاء فيقول هيهاه والفها منقلبة عن ياء لان اصلها هَيْهَيَة
كزلزلة واما المكسورة فجمع المفتوحة واصلها هيهيات فحذفت اللام التي هي الياء الثانية و
الوقف عليها بالتاء كمسلمات وقيل من نونه اعتقد تنكيرها وتصور معنى المصدر النكرة كانه

٥٢٠

كانه قيل بُعْدًا بُعْدًا ومن لم ينون اعتقد تعريفها وتصور معنى المصدر المعرفة كانه قيل البُعْدُ البُعْدُ
فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف ولا يوجد تنوين التنكير الا في بعض اسماء الافعال
واسماء الاصوات نحو سيبويه وسيبويهٍ وليس بقياس بمعنى انه ليس لك ان تنون منها ما شئت
بل ما سمع تنوينه اعتقد تنكيره وقيل من فتح في القراءات المتقدمة فللخفة والاتباع ومن
كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم تشبيها بقبل وبعد ومن سكن فلان اصل البناء السكون
ومن وقف بالهاء فاتباعا للرسم ومن وقف بالتاء فعلى الاصل سواء كسرت التاء او فتحت
لان الظاهر انهما سواء وانما ذكر من تغيير اللغات نموت بعضنا ونولد بعض الى ان
المراد موت شخص واحد وحيوته لانه يستلزم القول بالاعادة والبعث وهم بصدد انكاره
ثم انهم لما فرغوا من الطعن في صحة الحشر بنوا عليه الطعن في نبوته عليه الصلوة والسلام
فجعلوه مفتريا على الله فيما يدعيه من الرسالة وفيما يعدهم من الحشر والحساب فقالوا ان
هو الا رجل افترى على الله كذبا ثم انه عليه الصلوة والسلام لما ايس من ايمانهم فزع الى
الله تعالى رب انصرني الاية وما صلة لتوكيد القلة ما وجهين احدهما انها مزيدة بين الجار
والمجرور كما زيدت بعد الباء في قوله فبما رحمة وبعد من في قوله مما خطيئاتهم وان قليل
صفة لمحذوف اي عن زمان قليل وثانيهما انها غير زائدة بل نكرة بمعنى شيء او زمان وقليل
صفتها وهذه الجار متعلق بقوله ليصبحن اي ليصبحن عن زمان قليل نادمين على قول من
يجوز تقديم معمول ما بعد لام القسم عليها ومن لم يجوز ذلك يقول انه متعلق بمحذوف تقديره عما
قليل ننصر حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله رب انصرني فالفراء يجوز تقديم معمول ما بعد لام
القسم عليها مطلقا وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقا وذهب بعض النحاة الى التفصيل
بين الظرف وعديله وبين غيرهما فجوزه فيهما للاتساع ومنعه في غيرهما فلا يجوز في والله لاضربن
زيدا ان يقال زيدا لاضربن لانه غير ظرف ولا عديله واستدل به على ان القرن قوم
صالح فان المشهور في قصتهم ان جبريل عليه الصلوة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فماتوا
جميعا واما عاد قوم هود فقد مر ان الله اهلكهم بريح صرصر عاتية وان كان المراد
بالقرن قوم هود كما قيل فقد روي في قصة عاد الآخرة انهم لما خرجوا مع شداد عازمين
دخول ارم ذات العماد التي بناها فلما بلغوا مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من
كان معه من قومه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ورواه سفيان عن منصور عن انس
والربيع بن كعب وقيل المراد بالصيحة العذاب المستاصل وهو الريح العقيم ههنا قال
الشاعر صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان

والاقرب ان يكون المراد بان يظهر لهم علامات الهلاك فيندمون ندامة فلا ينتفعون بالندامة حينئذ
لهم الحسرة والندامة على ترك الايمان وقت

بالوجه الثابت الذي لا دافع له احسنه الصحيح بما هو الوجه فسر به الحق وهو معنى الثبوت ايضا ومراده الثابت في علمه انه لا يمكن ان يتخلف او يدفع بدفع دافع وهذا تفسير الثابت بالذي لا دافع له وصف الثابت بالحق على اصله قال صاحب التفسير بالوجوب وهذا بناء على مذهب المعتزلة فان عقاب العاصي واجب عند اهل الاعتزال الا ان يتوب والتائب واجب عندهم فلذا اعرض المص عن تفسير صاحب الكشاف وفسر الحق بما هو عليه اهل السنة

في ديارهم بغثاء السيل فان اخص اوصاف الغثاء ان يذهب به السيل فلا يظفر به
ابدا اشتهوا به تشبيها بليغا في ذلك والجعل ههنا بمعنى التصيير وغثاء مفعوله الثاني
متواترين اشارة الى ان تترى منصوب على انه حال من رسلنا اي واحدا بعد واحد ومتتابعين
على حسب الاختلاف في معناه فعن الاصمعي ان معناه واحدا بعد واحد بينهما هنيهة وقال
غيره هو من المواترة وهي التتابع بغير مهلة وقال الراغب التواتر تتابع الشيء وترا
وفرادى قيل انه مصدر واقع موقع الحال والفه للتانيث كالف دعوى لان الرسل جماعة
كتولج وتيقور اصلهما وولج ووقور على فوعل التولج كناس الوحش الذي يلج
فيه والتاء فيه مبدلة من الواو وهو فوعل لانك لا تجد في الكلام تفعلا اسما وفوعل كثير
والتيقور بمعنى الوقار والتاء مبدلة من الواو لان الارسال منه والمجيء اليهم بمعنى ان
الاضافة وان كانت للملابسة وان الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا الا انه رجح
ملابسة المرسل مع فعل الارسال وملابسة المرسل اليه مع فعل المجيء لكون الارسال منه
والمجيء اليهم وجعلناهم احاديث اخبارا يسمع ويتعجب منها اي بلغ اهلاكهم مبلغا
صاروا معه اخبارا ولم يبق منهم عين ولا اثر ولم يبق منهم الا الحديث الذي يذكر ويعتبر به
لانه في حكم المصدر حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كقوله
انكم اذا مثلهم وقال ومن الارض مثلهن فاتوا بسورة من مثله لا يعود عليهم التفكر
براءة اي بفائدة وعائدة يقال هذا الامر لا ترد قوله اي لا عائدة له ولا فائدة وفي بعض
النسخ بزيادة وهو قريب من الاول بولادتها اياه من غير مسيس يعني انه لك وان جعل
عيسى عليه الصلوة والسلام آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه في المهد في الصغر واجرى
على يديه ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وجعل مريم ايضا آية بان حملته من غير ذكر
وقال الحسن تكلمت مريم ايضا في صغرها حيث قالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب ولم تلتقم ثديا قط وزكريا معجزة لزكريا عليه الصلوة والسلام او
كرامة لمريم او ارهاص لعيسى الا انه لم يفرد آية ولم يقل آيتين لانه لم يرد كون كل واحد
منهما آية على حدة بل المراد بيان انهما آية واحدة من جهة الولادة لانه عليه الصلوة والسلام
ولد من غير ذكر وولدته امه من غير ان يمسها ذكر فاشتركا جميعا في هذا الامر العجيب الناقض
للعادة لتواسر واحد مضاف اليهما فلذلك افرد آية وآويناهما الى ربوة جعلناهما
ياويان الى ربوة ويتخذانها مأوى لهما وحقيقة المعنى جعلناها مأوى لهما الربوة المكان
المرتفع بالحركات الثلث في الراء وفي مثلها الرباوة بالكسر والضم قيل هي ارض بيت المقدس
وهي

٥٢١

وهي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا ذات قرار مستقر من ارض منبسطة فسر القرار
بالمستقر وهو موضع الاستقرار ثم بين المستقر بقوله من ارض منبسطة اي مستوية تصلح
لاستقرار المستقرين فيها ثم نقل ان المراد بكون الربوة ذات قرار انها ذات ثمار وماء فعلى هذا
يكون كناية لان كون الموضع ذات ثمار وماء يستلزم كونه مستقرا للمستقرين فاطلق اللازم
وهو كونها ذات قرار اي ذات مستقر واريد الملزوم وهو كونها ذات ثمار وماء فعلى الوجهين
القرار بمعنى المستقر لكن الوجه الثاني بطريق الكناية والوجه الاول بطريق التصريح اي من غير
كناية ومعين فعيل من معن الماء او مفعول من عانه يعني اختلف في ان ميم معين هل هي زائدة
واصله معيون اي مبصر بالعين فاعل اعلال مبيع يقال عانه اذا ادركه بعينه كما يقال رأسه
اذا اصاب راسه وكبده اذا ضرب كبده ومعين في الآية صفة موصوف محذوف اي ماء
معين مدح الربوة بان ماءها جار ظاهر على وجه الارض بحيث يدرك بالعيون وقيل ميمه
اصلية ووزنه فعيل مشتق من المعن وهو الجري مع الاسراع والابعاد يقال امعن الفرس اذا
اذا تباعد في عدوه وامعن بحق فلان اذا ذهب به ورجل معين في حاجته اي ساع مسرع
في طلبها فكله راجع الى معنى الجري والسرعة وقيل انه مشتق من الماعون فانه ماعون من
المعن الذي يتعاوره الناس في المناوبة كالفاس والقدر الجوهري الماعون اسم جامع لمنافع
البيت كالقدر والفاس ونحوهما ويسمى الماء ايضا ماعونا قال الشاعر يمج صبيره الماعون
صبا اي الماء والصبير السحابة البيضاء والماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية وفي الاسلام
الطاعة والزكوة والمنفعة موضع النفع وهو ما ينتفع به كالمأسدة والمسبعة فانهما اسمان
لموضع الاسد والسبع وقيل المعن السهل الذي ينقاد ولا ينعاص والماعون ما سهل على معطيه
قيل سبب ايوائهما الى ربوة انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة وانما
ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ما مات ملكهم وههنا اخر القصص ولما ختمها
ببيان انه تعالى هيأ لعيسى عليه الصلوة والسلام اسباب التنعم بين للرسول صلى الله عليه
وسلم ان اباحة الطيبات لم يكن في حق عيسى خاصة بل هي شرع قديم نودي له كل وخوطب
بالكل كل نبي في زمانه ليعلم السامع انه امر نودي له جميع الرسل ووصوا به جميعا ان يوخذ
به ويعمل وليس يا ايها الرسل خطابا لجميع الرسل دفعة لان ذلك غير ممكن بناء على انهم ارسلوا
في ازمنة مختلفة فلا يمكن توجيه الخطاب الواحد اليهم جميعا دفعة او حكاية لما ذكر لعيسى
وانه عطف على قوله بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه من حيث المعنى فان المراد ان هذا
الكلام الذي للرسول صلى الله عليه وسلم الا على وجه الحكاية وانما الذي عليه ابتداء نسبه اليه

والسلام على ان تهيئة اسباب النعم لم يكن له خاصة ثم جوّز ان يكون ذلك على وجه الحكاية
كانه قيل وآويناهما الى ربوة واعلمناهما انا نادينا كل رسول في زمانه وخاطبناه
اي ولان هذه قراءة ابن عامر وحده وان هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون والكوفيون
بكسرها مثقلا والباقون بفتحها والتثقيل وذكر المص في توجيه قراءة الباقين
ثلثة اوجه الاول انها مبنية على حذف لام التعليل اي ولان هذه والثاني ان في الكلام حذفا
تقديره واعلموا ان هذه امتكم والثالث انها معطوفة على قوله بما تعملون اي اني عليم بما
تعملون وبان هذه امتكم وعلى قراءة ابن عامر أنْ هي المخففة من المثقلة ولا بد من التوجيه
باحد الوجوه الثلثة المذكورة في توجيه ان المثقلة اي متحدة في العقائد واصول الشرائع
جواب عما يقال لما كانت شرايعهم مختلفة فكيف يكون دينهم وملتهم واحدة في شق
العصا اي في مفارقة الجماعة يقال شق فلان العصا اي فارق الجماعة وجعلوه اديانا
كاليهودية والنصرانية ونحوهما وبناء تفعل قد يكون متعديا نحو تقدمته ومنه تقطع والذي
فسره الجوهري بقوله اي تقسموه ثم جوز ان يكون لازما بمعنى تفرقوا وتحزبوا فيكون امرهم
منصوبا بنزع الخافض او التمييز وضمير تقطعوا للارباب الامم والزبر بضم الباء جمع زبور
بمعنى الفرقة والطائفة وقيل بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه والمعنى جعلوا دينهم الحق
الذي هو دين واحد وهو الاسلام اديانا وان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان
به الآخر وارادوا بالكتب كتبوه بايديهم لا ما هو المنزل من السماء لانه غير مجعول لحكمهم
والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهي القطعة من الشيء القطعة من الشيء المنحجر كالقطعة
والحديد قال تعالى آتوني زبر الحديد استعير لامر الدين تشبيها له بالزبر الحقيقي في التعدد
والاختلاف ثم ان المفرقين دينهم لما كانوا في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان يظنوا ان
تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين الله تعالى ان الامر على خلاف ذلك فقال ايحسبون
انما نمدهم به من مال الخ وحق ما هذه ان تكتب مفصولة من أنّ لانها اسمية الا انها كتبت
موصولة بمتابعة للمصحف الامام لان المتابعة به سنة في باب الكتابة فان ما موصولة
بمعنى الذي وهي اسم ان ونمدهم به صلتها وعائدها ومن مال حال من الموصول وبيان له متعلق
بمحذوف ونسارع خبر ان والعائد من هذه الجملة الى اسم ان محذوف تقديره نسارع لهم
به او فيه ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لان ما اعطاهم الله تعالى وجعله مددا لهم كان من
مال فلا يعاب عليهم حسبان ذلك وقوله تعالى بل لا يشعرون اضراب عن الحسبان المستلزم
عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى ما ذكره المص من انهم اشباه البهائم
لا

لا شعور لهم حتى يتفكروا في ذلك الامداد اهو استدراج ام مسارعة في الخير روي عن
يزيد بن ميسرة قال اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء ايفرح عبدي ان ابسط له الدنيا وهو
ابعد له مني ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهو اقرب له مني ثم تلا ايحسبون انما نمدهم به من
مال وبنين وقرئ يمدهم على الغيبة باسناد الفعل الى ضمير الباري تعالى وقياسه ان
يقرا يسارع بياء الغيبة ايضا ومن قراء نمدهم بالنون ويسارع بالياء احتمل ان يجعل
يسارع مسندا الى ضمير الباري او الموصولة وقرئ نسرع بالنون من اسرع وبالياء
ايضا ثم انه تعالى بين صفات من يسارع في الخيرات وذكر لهم اربع صفات فقال ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون الخ من خوف عذابه حذرون الخوف اسم جنس والخشية
اخص منه وهي الخوف لعظمة المخوف منه ولهذا كان استعمال الخشية في الخوف من الله اكثر
كما ان استعمال الخوف في حق العباد اكثر واغلب والشفقة ايضا اخص من الخوف لانها
عبارة عن الخوف مع الرقة والرحمة في حق المخوف منه كشفقة الام على ولدها فانه لا
يقال خافت الام او خشيت على ولدها بل يقال اشفقت وينبئ عن هذه التفاسير
قول من قال اخشى من النفر يوما ان يلم بالخمش البتر من لحم على وضم تهوي حيوتي
واهوى موتها والموت اكرم نزال على الحرم والمص فسر هذا التركيب في اول سورة الانبياء
بقوله وهم من عظمته ومهابته مرتعدون ثم قال واصل الخشية خوف مع تعظيم والاشفاق
خوف مع اعتناء فاذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس حمل الخشية
ثم على مجرد عظمة المخوف منه وحمل الاشفاق على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرايص و
ما ذكره في هذه الاية اوفق للمعنى الاصلي حيث اشار الى عظمة المخوف منه باضافته الى
الرب والى الرحمة والاعتناء لشأن المخوف منه بقوله حذرون فان من كان خائفا من
عذاب الله العظيم وعقابه الاليم كان ملازما على طاعته مجتهدا في طلب مرضاته والاحتراز
عن معصيته المؤدية الى سخطه وعقابه رحمة على نفسه واعتناء لشأنها بتصديق
مدلولها لان التصديق بوجود الآيات المنصوبة من الموجودات الدالة على وجود الصانع
لا يوجب ان يمدح صاحبه وكذا التصديق بوجود الآيات المنزلة فلذلك اعتبر التصديق
بمدلولها وجلة اي خائفة الوجل ايضا اخص من الخوف لانه خوف يمازجه طمع [illegible]
ان قلوبهم بين الرد ورجاء القبول ثم انه تعالى بين علة ذلك الوجل بقوله انهم الى ربهم راجعون
وقوله اولئك يسارعون في الخيرات الذين هم من خشية والمراد بالخيرات اما طاعاتهم واعمالهم
الصالحة واما المثوبات الموعودة بها فان اريد المعنى على الاول انهم يبادرون الى الطاعات اشد

رغبتهم فيها وعلى الثاني انهم يسارعون في نيل ما وُعد لهم من المثوبات بمقابلة اعمالهم الصالحة
وانما جعلوا مسارعين اليها لانه اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها فان قيل فيكون،،
اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم ان الوجه الثاني اوفق لما سبق من قوله ايحسبون انما نمدهم
به فانه نفى في تلك الاية ان يسارع للكفار اي يعجل لهم من ثواب اعمالهم ما هو خير لهم واكرام واثبت
ذلك لاضدادهم وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم   لاجلها فاعلون السبق على ان يكون
خبرا للخيرات واللام للتعليل وان لا يقدر للسبق مفعول وانما الغرض الاعلام بوقوع السبق
منهم مع قطع النظر الى من سبقوه بخلاف الوجه الثاني فانه يقدر للسبق مفعول في ذلك الوجه ثم
ايضا للتعليل اي وهم سابقون الناس لاجلها   او سابقونها على ان لا مفعول سابقون واللام
زائدة في المفعول لتقوية العمل وحسن زيادتها ثبات لو اتفق ذكل واحد منهما لاقتضى الجواز كون
العامل فرعا وتقدم معمول عليه كما في قوله هم لها عاملون اي عاملون اياها وقولك بقولك زيدا ضارب
اي ضارب زيدا ثم اشار الى جميع ما وصف به السابقون من الخصال الاربع داخل في وسع
الانسان وطوقه غير خارج عنه وكذا الكل ما كلف به عباده وان اعمال العباد كلها مثبتة في كتاب
فلا يضيع لعامل جزاء عمله ثم انه تعالى عاد الى ذكر الكفار بقوله بل قلوبهم في غمرة من هذا الذي وصف
به المؤمنون السابقون الى الخيرات ولهم اعمال من دون ذلك الذي ذكر من اعمال المؤمنين
وقيل سوى غفلتهم وجهلهم قيل المراد اعمالهم التي هم عليها في الحال وقيل بل هو اخبار من الله
تعالى بانهم سيعملون من اعمالهم الخبيثة التي كتب عليهم لا بد ان يعملوها وحتى في قوله تعالى حتى اذا اخذنا
مترفيهم غاية عمرتهم واعمالهم التي يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها اذا هم يجأرون واذا
الثانية تنوب عن الفاء اي فهم يجأرون والمعنى الاخبار بانهم لا ينتهون عن حالهم المذكورة
الى ان ياخذ الله تعالى متنعميهم ورؤساءهم بالعذاب والجؤار رفع الصوت بالاستغاثة والضجيج
لشدة ما نالهم والسنين جمع السنة وهي الجدب   اذ لا تمنعون منا اي لا يمنعكم الجؤار والاستغاثة
ولا يخلصكم منا اي من عذابنا على ان يكون كلمة من صلة النصر المتضمن معنى المنع والحفظ او على
الثاني يكون ابتدائية ثم انه تعالى بين السبب في ان لا ينفعهم ذلك بقوله قد كانت آياتي
فانه بمعنى كنا في ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا فضمن الاستكبار معنى التكذيب
فعدي تعديته وهو معنى قوله والباء متعلقة بمستكبرين الخ ثم جوز ان لا تكون الباء للتعدية
بل تكون للسببية ويكون المعنى مستكبرين على المسلمين بسبب القران واستماعه واصل السمر
ظل القمر سميت به لانهم يجلسون فيه بالليل يتحدثون ويجوز ان يكون الباء في به متعلق بقوله
سامرا اي تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكان سمرهم بالليل عند البيت ذكر القران
وتسمية

قوله تعالى ولدينا كتاب ينطق بالحق ينطق صفة لكتاب وبالحق يجوز ان يتعلق بينطق وان يتعلق بمحذوف حالا من فاعله اي ينطق ملتبسا بالحق ونظيره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وجعل الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرب بما فيه كما يعرب النطق الناطق اذا كان محقا ابن عادل

قال مقاتل والضحاك والكلبي والمعتزلة هو دون الطاقة لان الوسع انما سمي وسعا لانه يتسع عليه فعله ولا يصعب ولا يضيق ابن عادل

قوله تعالى على اعقابكم تنكصون فيه وجهان احدهما انه متعلق بتنكصون كقوله نكص على عقبيه و الثاني انه متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل تنكصون قاله ابو البقاء ابن عادل

وتسمية سحرا وشعرا ونحو ذلك وسب النبي صلى الله عليه وسلم   وهو في الاصل مصدر كانه
بيان لوجه افراد سامرا مع انه حال من ضمير مستكبرين قال صاحب الكشاف السامر نحو الحاضر
في الاطلاق على الجمع وقال الزجاج السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلا وعلى تقدير ان يتعلق
به بقوله سامرا تقدم عليه لانه لما كان عادة سمرهم بذكره صاروا كانهم لا يسمرون الا به وقراءة
العامة تهجرون بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وهو قد يكون بمعنى الهجران والترك و
القطع اي تهجرون ايات الله ورسوله وتزهدون فيهما فلا تصلونهما وقد يكون بمعنى الهذيان
يقال هجر المريض يهجر هجرا اذا هذى والهجر بضم الهاء اسم بمعنى القول القبيح يقال هجر يهجر هجرا بالفتح و
اهجر في منطقه اذا قال قولا قبيحا والاسم منه الهجر بالضم وقرئ بهما جميعا اي قرئ تهجرون
وتهجرون وتُهجرون ثم انه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين فرقوا دينهم رد عليهم بان بين
ان اقدامهم على هذه الجهالة والضلالة لا تبدو ان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لا يتأملوا
في دليل نبوته وهو القران المعجز الذي يستلزم التدبر فيه معرفة الصانع ووحدانيته و
جميع ما يجب على المكلف في باب الاعتقاد والعمل فلم لا يتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا
الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول امر غريب لم يُسمع ولم يُر مثله من الامم السالفة
وليس كذلك لانهم قد عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت ترسل الى الامم على سبيل التتابع وثبت
كل واحد منهم ما ادعاه من الرسالة باظهار المعجزات وكانت الامم بين مصدق ناج وبين
مكذب هالك بعذاب الاستئصال افما دعاهم ذلك الى تصديق الرسل وثالثها ان لا يكونوا عالمين
بامانة مدعي الرسالة وصدقه قبل ادعائه للنبوة وليس كذلك فانهم عرفوا انه عليه الصلوة
والسلام قبل ادعائه للرسالة كونه في نهاية الامانة والصدق والتنزه عن الكذب والاخلاق
الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الصادق ورابعها ان يعتقدوا
فيه الجنون فيقولون انما حمله على ادعائه الرسالة جنونه وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم
كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان ياتي بمثل ما اتى به من الدلائل
القاطعة والشرائع الكاملة ثم انه تعالى لما ذكر تشبث ضلالتهم وبين فسادها قال بل جاءهم،،
بالحق اي ليست ضلالتهم مبنية على شيء من هذه الامور بل انه عليه الصلوة والسلام جاءهم
بالحق وهو القران فلم يوافق هواهم وما نشؤوا عليه من التقليد واتباع الشهوات فلذلك،،
كرهوه ولم يتبعوه وقول المص اذ اظهر امتناعه بحسب النوع ناظر الى قوله تعالى ام جاءهم ما لم يأت
اباءهم الاولين وقوله او الشخص ناظر الى قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم وقوله او بحث عما يدل
عليه ناظر الى قوله تعالى افلم يدبروا القول اي افلم يتدبروا ما جاءهم من القول وهو القران

لانه كان منهم من ترك الايمان استكبارا من توبيخ قومه وان يقولوا ترك دين آبائه
لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فانه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع انه يعرف بقلبه حقيقته
ويقر بذلك بلسانه لكنه لم يقبل ذلك لانفة عن عيب ومثله سمي كفر المعاندة والجحود ويدل عليه قوله
حين اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى
أُوسَّدَ في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثَمَّ امينا وعرضت دينا لا محالة انه
من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وقد اقر
ابو طالب بانه صلى الله عليه وسلم خير فتيان قريش في الفضائل الانسانية في الخطبة التي خطبها
في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر وهي قوله الحمد لله الذي
جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضِئضِئِ مَعَدّ وعُنصُرِ مضر وجعلنا حَضَنَةَ
بيته وسُوّاسَ حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم
ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله ممن لا يُوزَنُ به فتًى من قريش الا رجح به فان كان في المال
قُلٌّ فالمال ظل زائل وامر حائل ومحمد ممن عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها
من الصداق ما عاجله وآجله من مالي وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ذكره //
صاحب الكشاف في اواخر سورة آل عمران كما سبق تقريره وهو قوله انما لو انفقت في
المراد للتوارث علامة مستقلة على سعلوا واحد وان تخالف فيه لتفاوت عنه وهو على
اصل المعتزلة اي القول بانه تعالى لو اتبع اهواءهم لخرج عن الالوهية مبني على اصلهم في قول
الحاكم بحسن الاشياء وقبحها هو العقل وان ما يستحسنه العقل يجب عليه تعالى فعله وان ما يستقبحه يجب
عليه تركه والمتابعة لما يشتهيه الكفرة قبيح عقلا فينافي الالوهية على زعمهم بل اتيناهم
بذكرهم متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اي ليس فيما جاءهم به ما يكرهونه بل هو
ذكرهم اي وعظهم او صيتهم اي شرفهم وفخرهم كما قال وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك
ولقومك لكونه بلسانكم ولغتكم ثم انه تعالى وبخ الكفرة بوجه آخر على عدم اجابتهم الى دعوة
الرسول صلى الله عليه وسلم انكر عليهم اولا بقوله افلم يدبروا القول وهو استفهام بطريق //
الانكار اي لم يتفكروا ليعلموا انه حق فيحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا
الاستفهام الانكاري الى استفهام انكاري آخر فقال ام جاءهم ما لم يأت آباءهم اي بل انكروا
الايمان به لانه جاءهم ما لم يسمعوا اشباهه من نوعه فانكروا ذلك واستبدعوه ثم اضرب عن
ذلك الى ان قال بل انكروا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة
ثم

او حذارى مسبة

قوله وصيتهم الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح يقال ذهب صيته في الناس واصله من الواو وانما انقلب ياء لانكسار ما قبلها كما قالوا ريح من الروح كانهم بنوه على فعل بكسر الفاء للفرق بين الصوت المسموع وبين الذكر المعلوم وربما قالوا انتشر صوته في الناس بمعنى الصيت صح

ثم اضرب عن ذلك الى ان قالوا بل انكروا ذلك لزعمهم في حقه كونه مجنونا ثم اضرب عن ذلك
الى ان قال بل انكروا ذلك لكونه سائلهم على تبليغ الوحي جُعلا يعطونه اياه فيثقل عليهم
قبوله وليس الامر كذلك لان ما يعطيك الله تعالى من الاجر والمثوبة في الدنيا والاخرة خير من
اجرهم فيه رغيبة مندوحة لك عن عطائهم فلا عذر لهم في الاباء عن قبول قولك البتة
في الضريبة على الارض وهي ما يضربه الامام على الارض ويضعه بمنزلة الاجرة المفروضة
عليها والوجه في كون الخراج مشعرا بالكثرة كثرة المضروب بكثرة الاراضي واما وجه
كونه مشعرا باللزوم فايجاب الشارع اياه على اصحاب الاراضي الخراجية ثم انه تعالى لما
زيف طريقة القوم اتبعه ببيان صحة ما دعاهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم واشار الى
علة نكوب من عدل عنه فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم نكّر الصراط المستقيم
للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد في قوله تعالى عن الصراط لناكبون اي لعادلون النكوب
عنه لعدم ايمانهم بالاخرة والنكوب من باب دخل انشدك الله والرحم اي اسألك
بالله تعالى وبالرحم وهو قسم استعطاف واسترحام والعلهز طعام كانوا يتخذونه من
الدم ووبر البعير في سني المجاعة وقيل هو القراد مع الصوف كانوا يدقونهما [illegible]
وقوله فتلك الاباء بالسيف المراد به ما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم و
اسرهم حيث قتل فيه سبعون واسر سبعون من صناديدهم وهو جمع صنديد وهو
السيد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الآيات مدنية وان ما اصاب قريشا من
القحط سبع سنين بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد الهجرة وقد ذهب المفسرون
الى ان هذه السورة مكية الا ان يقال هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية اعتبارا
للاغلب والمعنى لو كشف الله تعالى عنهم هذا الضر برحمته عليهم ووجدوا الخصب
لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ولذهب عنهم هذا الانكسار والتملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على مفهوم هذه
الشرطية بانا اخذناهم بعذاب يوم بدر فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع
حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل فابلسوا الساعة وخضعت
رقابهم فارسلوا اليك اشدهم شكيمة في العناد يستعطفك واستكان استفعل من الكون
ومعناه تحول من كون الى كون كاستحال بمعنى تحول من حال الى حال اي ما تحولوا عن الحال
السوء التي هم عليها الى الحسنة فان باب الاستفعال قد يكون للتحول نحو استحجر الطين اذا
تحول حجرا ويجوز ان يكون افتعل من السكون اصله استكن اشبعت فتحة الكاف

لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على قريش بالقحط [illegible] نزل قوله [illegible] سواكنى الآية

الابلاس اليأس من كل خير ويقال الانكسار والحزن ابلس سكت

١٤

فتوكلت منها الالف اى ما سكنوا وما ذلوا او ما خضعوا لربهم وما تضرعوا بل مضوا على
تمردهم وحتى غاية لنفى الاستكانة والتضرع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التى انعم بها عليهم منبها
بذلك الشكر عليها لكنه ذكر امهات النعم التى هى السمع والبصر والفؤاد اذ بها يتوصل الى معرفة
كل نافع وضار وكل طيب وخبيث فاخبر الذى انه اعطى انه لهم ما يعرفون به النافع من
الضار والطيب من الخبيث مشاهدة وسماعا وما به يميزون بعض الاشياء ويختارون
ما هو المختار عندهم منبها بذلك شكره وشكر كل نعمة فى استعمالها فى طاعة المنعم وعبوديته
كاستعمال الحواس فى احساس ما نصب من الايات واستعمال القلب فى تفكر تلك الايات والاستدلال
بها على ما يجب عليهم من الاستكمال والتحلى بالكمالات العلمية والعملية وادرج فيه توبيخ العباد
بان الشاكر منهم قليل كما قال وقليل من عبادى الشكور فقال وهو الذى انشأ لكم السمع و
الابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف وما
مزيدة للتاكيد اى حقا انكم تشكرون شكرا قليلا وقيل ليس المراد انهم شكروا ولو قليلا
بل هو من قبيل قوله للكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان لمنعمه وقيل هى نافية والمعنى لم تشكروا
قليلا ولا كثيرا ثم بين كمال قدرته واقوى سلطانه بقوله تعالى وهو الذى ذرأكم فى الارض و
عليه انه لم يخلقهم عبثا بل خلقهم للبعث بعد الموت والحشر اليه فان خلق الخلايق وتكليفهم
بالاوامر والنواهى لمجرد ان ينتهى حالهم الى الموت والفناء من غير ان يتميز بين المطيع
والعاصى عبث ولعب تعالى شانه عن امثاله علوا كبيرا ثم فصل دلائل قدرته على البعث
بقوله وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار فان من ملكه وقدر على احياء الموتى
واماتة الاحياء لقادر على البعث والاعادة ومن ملك على انشاء الليل بعد ما ذهب اثر
النهار وانشاء النهار بعد ما ذهب اثر الليل لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ثم قال
افلا تعقلون ان من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزاء بعد ما صرتم ترابا وعظاما فكيف تشركون
غيره فى عبادتكم اياه وتصرفون الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم قال بل قالوا مثل ما قال الاولون فاه
لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا
يستبعدوا ذلك بل قالوا مثل ما قال اسلافهم ائذا متنا وصرنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون وهذا
محال لانه يستعمل فيما يتلهى علته لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء
افعولة يجيء لما فيه التلهى والسخرية نحو اضحوكة واعجوبة واحدوثة والكفار كانوا يقولون
ذلك بطريق التلهى والطعن فى القران فيكون انسب بهذا المقام وجعله جمع اسطار
بفتح الهمزة جمع سطر بالتحريك بمعنى مسطور اى ما كتبه الاولون اقل ملائمة لغرضهم النسبة
الى

الى ملائمة جعله جمع اسطورة ثم امر الله نبيه رسوله ان يسالهم ما يلزمهم الاقرار والاعتراف بما
كانوا ينكرونه فقال قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فاجيبونى عما اقول لكم ثم اخبر عن
جوابهم بقوله سيقولون لله قل افلا تذكرون اى بعد اعترفتم واقررتم بانها مختصة لله
تعالى خلقا وملكا وهو معنى اللام فى الله افلا انتم تتعظون بعد هذا الاعتراف فتعلموا ان من قدر
فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لا يشرك به بعض
خلقه فى الربوبية واستحقاق العبادة لان المستحق لها هو الرب الخالق دون المربوب المخلوق
الذى لا يبصر ولا ينفع فقوله افلا تذكرون معناه الترغيب فى التدبر ليعلموا بطلان ما هم
عليه ما لو لا افلا تذكرون ثم قال بعده افلا تتقون لانهم بتذكرهم يصلون الى المعرفة وبعد
ان عرفوه علموا انه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته وفى قوله تعالى سيقولون
لله اشارة الى انهم لا يجدون بدا من ان يقولوا الله ويقروا به لانهم لو انكروا ذلك جهلهم
النبى صلى الله عليه وسلم فيظهر جهلهم عند كل الخلايق فلما اضطروا الى الاعتراف بذلك توجه
عليهم الالزام بان يقال لهم فاذا اعترفتم بان ذلك كله له تعالى وهو خالقكم فكيف تركتم طاعة
خالقكم امره وانا لا ادعوكم الا الى ان توحدوه وتخلصوا العبادة له وعلى هذا الاسلوب
قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله اى لا بد لهم من ان
يقروا بذلك فقل لهم اذا اعترفتم ذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته ونقمته وكذلك قوله تعالى
قل من بيده ملكوت كل شىء الاية ذكر اولا الارض ومن فيها ثم ترقى الى ذكر ما هو اعظم
من ذلك وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر ما يعم الموجودات باسرها واختصاصه
بملكوته والملكوت الملك زيدت التاء فيه للمبالغة كجبروت والملك والملكوت وقيل المعنى خزائن
كل شىء وقيل ملكوت كل شىء الروح الذى هو من عالم الملكوت وذلك الشىء قائم به يسبح
الله به كما قال وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشىء
بيد الله تعالى قوله تعالى سيقولون لله ذكر فى هذا الموضع ثلث مرات الاول باللام باتفاق
القراء واما الثانى والثالث فقد قرئا بالوجهين سيقولون لله والله فمن قرأ الله فعلى
لفظ السؤال لانك لو قلت من رب الدار فيقال فى جوابه زيد ومن قرأ لله فقد حمل الجواب على معنى
السؤال لان قولك من رب الدار معناه لمن الدار قال الشاعر اذا قيل من رب الغيان
بحوفى ورب الجياد الجرد قيل لخالد وفى الكواشى قالوا فالثانى والثالث فى جميع
المصاحف بغير الف كالاول الا فى مصحفى البصريين فانهما وجدهما بالالف فيه وهو
يجير اى يؤمن من يشاء من الخائفين ويمنعه من السوء ولا يجار عليه اى لا يؤمن من

اخافه الا بك فلا يمنع منه من اراده بسوء وقوله سيقولون لله لا يناقض قوله
اولا ان كنتم تعلمون لانه انما قاله ذكرا اولا استهانة بهم وتجويزا لجهلهم ان يجهلوا مثل
هذا الظاهر البين لفرط جهلهم بالديانات وذلك لا يستلزم انتفاء علمهم بذلك فانى
اين تخدعون يعني ان قوله فانى بمعنى فمن اين وقوله تسحرون استعارة تبعية بمعنى تخدعون
شبه الانخداع بالمسحورية في الابتناء على اختلال العقل واستعير له اسم المسحورية فاشتق
منه تسحرون فسرت الاستعارة الى المشتق والخادع هو الشيطان والهوى ثم قال بل اتيناهم
بالحق اي ليس اخبارهم عن الحق لقصور البيان من قبلنا بل اتيناهم بالحق وما يتعلق
به الرشد من الغي وانهم لكاذبون فيما يدعونه من الشركاء والولد وانكار البعث ونحو
ذلك مما يخالف ما اتيناهم من الحق ثم صرح من جملة ما كذبوا بادعائه بقول بعض الكفار
الملائكة بنات الله وزعم اخرين ان الاصنام الهة وكذبهم فيهما بقوله ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله وما ورد ان يقال كلمة اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف
دخلت على قوله لذهب كل اله بما خلق ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل حتى يقع جزاء الشرط
جوابا للسؤال اشار الى دفعه بقوله جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد وان كان دليلا على بطلان الملزوم الذي هو
ان يكون معه آلهة الا ان النص جعله دليلا على بطلان اللازم وهو ان يستبد
كل اله بما خلقه وان يقع بينهم التحارب والتغالب بناء على ان ما يدل على بطلان الملزوم
يدل على بطلان اللازم ذكر الله تعالى امرين احدهما قوله ما اتخذ الله من ولد وثانيهما قوله
وما كان معه من اله واستدل عليهما بدليل واحد لان انتفاء تعدد الآلهة يستلزم انتفاء
الولد لانه لو اتخذ ولدا لكان ذلك الولد الها اذ الولد يكون من جنس الوالد ومن جوهره
واذا كان الها لذهب اذن كل اله بما خلق اي لانفرد واستبد بخلقه وبطلان اللازم يستلزم
بطلان الملزوم واصل الهمز النخس والطعن يقال نخسه بعود اي طعنه والمهمز
المهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض ورائض الفرس الصعب من الاكزاز او ازال
صعوبته والجمع للمرات يعني ان همزات جمع همزة لا جمع همز حتى يقال انه مصدر فكيف جمع
ويجوز ان يكون الجمع لتنوع الانواع من الوسواس او لتعدد المضاف اليه فان الهمز الواقع
من جماعة الشياطين يمتنع ان يكون همزا واحدا متعلق بيصفون يعني ان حتى غاية
لقوله بما يصفون او بقوله وانهم لكاذبون اي لا يزالون على سوء الذكر والكذب الى هذا الوقت
وهو وقت حضور الموت للكافر ولم يقل او بكاذبون لانه لا يصح ان يكون متعلقا بحتى لعدم

قوله ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا اي ولان انكار ما هو الحق في جواب ذلك السؤال مما لا يمكن لمن له ادنى علم اخبر الله عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله اشعارا بانهم لا جواب لهم سواء نطقوا به ام كانوا صامتين او يكون معناه ولالزامهم بذكر السؤال اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا او اخبر الله عنهم بقوله سيقولون لله بان ثبت لهم العلم بان الارض ومن فيها لله وانه خالقها ومالكها فقوله ان كنتم تعلمون رد حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح لانه ينفي عنهم العلم بذلك فالصواب فيه ما قال صاحب الكشف من ان قوله ذلك استهانة وتجويز لفرط جهلهم في الديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر فانه لا يرد عليه الاعتراض المذكور لانه لم يثبت لهم الجهل بذلك الا فقط حتى يناقضه قولهم في الجواب لله وفيه تجويز ان يجهلوا مثل ذلك الا فقط وتجويز الجهل لا يستلزم الجهل
ابن محمد

قوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اعلم انه سبحانه لما ادب رسوله بقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة اتبعه بما به يقوى على ذلك وهو الاستعاذة بالله من امرين احدهما من همزات الشياطين والثاني في قوله واعوذ بك رب ان يحضرون روي عن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه بعضهم ارقا يجده فقال اذا ادركت النوم فقل اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون

لعدم دلالته على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فانها تدل عليه يكذبون ويصفون
والواو في قوله ارجعون مع ان الخطاب للواحد وهو الرب تعالى لتعظيم المخاطب
كما في قوله فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وقال
المازني في قوله تعالى القيا في جهنم ان معناه الق الق ثنى الضمير للدلالة على تكرير الفعل فيثني
فيكون جمعه ههنا للدلالة على تكريره ثلث مرات اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين
ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون واما الكافر فيقول رب ارجعون يدل على ان خطاب ارجعون
للملائكة لوقوعه في جواب قولهم نرجعك الى الدنيا فيكون ذكر الرب للقسم فكانهم قالوا
عند معاينة الموت بحق الرب ارجعون وقال الامام النسفي يستغيث اولا بالله تعالى فيقول
رب ثم يقول للملائكة الذين حضروه لقبض الروح ارجعون اي ردوني الى الدنيا
وقيل الى المال او في الدنيا فالمعنى على الاول لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاودي حقوق الله تعالى فيها
والتقرب بها كما قال لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وعلى الثاني في الموضع الذي تركته وهو
الدنيا يقول لاني تركت فيها التوحيد والطاعة عجزت في الآن اليها اعمل الطاعة
والتوحيد فيها والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم كقوله عليه الصلوة والسلام
اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد يعني قوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة
زائل وقوله هو قائلها صفة الكلمة اي انها كلمة لا يسكت هو عنها البتة لاستيلاء الحسرة
وتسلط الندم عليه او هو قائلها بلسانه لا تنفعه ولا يجاب اليها وذلك لان التركيب من
باب انا عارف فان اعتبرت هو مبتدأ وقائلها الخبر فهو من باب تقوي الحكم فيكون المعنى
هو قائلها لا محالة لا يسكت عنها وان اعتبر انه من باب تقديم الفاعل المعنوي يفيد
التخصيص فيكون المعنى هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه امامهم يعني ان لفظ
وراء مشتق من تواريت عنك اذا استترت واختفيت عنه فكل ما توارى عنك سواء كان
امامك او خلفك فهو وراءك والبرزخ في الاصل الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى في
البحرين وجعل بينهما برزخا والمراد بما يحول بينهم وبين الرجعة الموت والقبر فانه مانع
من الرجوع الى الدنيا والضمير للجماعة يعني جمع الضمير في ورائهم بعد التوحيد لتشنيع
هذا النفي في جنس الكفار وجماعتهم وهو اقناط كلي دفع لما يتوهم من ظاهر قوله
الى يوم يبعثون يدل على انهم يرجعون الى الدنيا بعد يوم البعث بناء على ان حكم ما بعد
كلمة الغاية تغاير لحكم ما قبلها فلا امامهم برزخ يصدهم عن الرجوع الى يوم يبعثون

الثاني نادى ربه ثم خاطب ملائكة ربه بقوله ارجعون ويجوز على هذا الوجه ان يكون على حذف مضاف اي يا ملائكة ربي فحذف المضاف
ابن عادل

النقاخ الماء البارد والبرد النوم منه

فهم منه انهم يرجعون الى الدنيا بعده فدفعه بان الكلام يدل على انهم لا يرجعون الى الدنيا
ابدا اما الى يوم البعث فلصريح النص واما بعده فلما علم انه لا رجوع يوم البعث الا الى الجنة او النار ثم انه لما قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال
فاذا نفخ في الصور والمعنى فاذا بعث الناس قيل الصور آلة اذا نفخ فيه يظهر صوت عظيم
جعله الله علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وقد روي عنه عليه الصلوة والسلام
انه قرن ينفخ فيه وقيل الصور جمع صورة والمعنى فاذا نفخ في الصور كلها ارواحها وهو قول
الحسن وكان يقرأ بفتح الواو وضم الصاد وكسرها وقوله بينهم ليس منصوبا بقوله فلا انساب
لان اسم لا اذا بني لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف وذلك المحذوف هو العامل ايضا في يومئذ و
قوله ينفعهم او يفتخرون بها اشارة الى ان نفس الانساب لا تنقطع يومئذ وانما المنقطع فيه
الانتفاع بها او التفاخر لانه عند النفخة بمعنى عدم التساؤل عند النفخة فان اهل البعث
حينئذ مشغولون بانفسهم عن التساؤل وقيل ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه
ازمنة واحوال مختلفة فيتعارفون ويتساءلون في بعضها ويتحيرون في بعضها لشدة الفزع
وقيل التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا
وقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن واللفح كالنفح في الدلالة
كلاهما بالحاء المهملة على معنى الهبوب والضرب يقال نفحت الريح اي هبت قال الاصمعي
ما كان من الرياح نفح فهو برد وما كان لفح فهو حر والكلوح تقلص الشفتين قيل
تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى
حتى تبلغ سرته وهما مصدرا سخر تقول سخرت منه وبه اسخر من باب علم سخرا و
سخرا وسخريا وسخرية اذا هزئت به والذي يدل على ان المراد منه الهزء قوله
تعالى وكنتم منهم تضحكون والضحك انما يلائم السخرية والهزء فظهر انهما لغتان بمعنى قوله
تعالى حتى انسوكم ذكري اي نسيتموه بسبب اشتغالكم بالاستهزاء بهم نسب الانساء الى عباده
المؤمنين وان لم يفعلوا ذلك لكونهم سببا في ذلك كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس
لكون الاصنام سببا للضلال على الامر يعني انهم قرأوا قل كم لبثتم على معنى انه تعالى امر
للملك او لبعض رؤساء اهل النار ان يسأل اهل النار ويقول لهم كم لبثتم في الارض احياء
وامواتا في القبور الى ان بعثتم وكم في موضع نصب على ظرف الزمان اي كم سنة وعدد
بدل من كم قاله ابو البقاء والصحيح ان عدد سنين هو التمييز والمقصود من هذا السؤال
التبكيت والالزام لانهم كانوا ينكرون اللبث في الآخرة رأسا ويقولون لا لبث

لا لبث الا في دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت يدوم الفناء ولا بعث بعده فلما خلصوا في
النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سئلوا كم لبثتم في الارض تذكيرا لهم ان ما ظنوه دائما طويلا
فهو قليل يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا
حيث تيقنوا خلافه فان قيل كيف يصح ان يقولوا في الجواب لبثنا يوما او بعض يوم ولا يصح
الكذب في الآخرة فالمصنف اشار الى الجواب بقوله استقصار المدة لبثهم فيها الخ وقيل لعلهم نسوا
قدر لبثهم في الارض لكثرة ما هم فيه من الاهوال وعظم ما هم بصدده من العذاب وبدل عليه قولهم
فاسأل العادين ولان المنقضي ليس له قدر في مقابلة الخلود فهو اقل من كل قليل ولهذا صدقهم الله تعالى
في استقلالهم تلك المدة حيث قال ان لبثتم الا قليلا اي الا زمانا قليلا او لبثا قليلا وجواب لو محذوف
اي لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة كذا قال ابو البقاء يعني انه صدقهم
في اصل الاستقلال وجهلهم في تعيين المدة ثم انه تعالى لما بكتهم في انكارهم البعث ولبث الآخرة
وبخهم على تماديهم في الغفلة وتركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقية البعث والقيمة فانه لولا
القيمة لما تميز المطيع عن العاصي والصديق عن الزنديق فيكون خلق هذا العالم عبثا فقال افحسبتم
انما خلقناكم عبثا ثم نزه نفسه عن العبث بقوله فتعالى الله الملك الحق والمراد من الرجوع الى
الله تعالى الرجوع الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه لا الرجوع عن مكان الى مكان فيه تعالى
وذلك ظاهر تم ما يتعلق بسورة المؤمنين والحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه والآن
اوان الشروع فيما يتعلق بسورة النور اللهم يسره لي بكرمك

روى الامام الواحدي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنهم قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة
النور يعني النساء فان اكثر احكام هذه السورة ترجع الى الستر والتعفف عن ابن عطية قال
كتب الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا سورة براءة وعلموا نساءكم سورة النور
بسم الله الرحمن الرحيم اي هذه سورة على ان سورة خبر مبتدأ
محذوف وعلى الثاني مبتدأ موصوف والخبر محذوف وانزلناها على التقديرين صفة للمدح
والتأكيد بناء على ان الانزال يفهم من السورة لانها اسم لطائفة من القرآن المنزل علم ابتداؤها
وانقطاعها بالتوقيف فان قلت ما فائدة هذه الجملة مع ان كل واحد من فائدة ولازمها منتف
فيها فالجواب ان احدى الفائدتين انما يطلب من الكلام الذي يقصد به افادة المخاطب ويكون
المتكلم في صدد الاخبار والاعلام واما الكلام الذي يقصد به الامتنان والمدح والترغيب

فلا يجب نقض شيء منها ‏ أي فرضنا ما فيها على طريق ذكر المحل وإرادة الحال وقال أبو علي أي فرضنا
فرائضها المذكورة فيها بحذف المضاف ‏ فتثبتون المحارم إشارة إلى أن قوله تعالى تذكرون من تذكر
ما علم قبلا من التذكر بمعنى الاتعاظ كأنه قيل أنزلنا فيها آيات بينات لتعلموها وتذكروها وقت الحاجة
إليها وقال الإمام ذكر الله تعالى في أول هذه السورة أنواعا من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل
التوحيد فقوله تعالى وفرضناها إشارة إلى الأحكام التي بينها أولا ثم قوله تعالى وأنزلنا فيها آيات بينات
إشارة إلى ما بين فيها من دلائل التوحيد والذي يؤكد هذا التأويل قوله تعالى لعلكم تذكرون فإن الأحكام
والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها انتهى كلامه جعل دلائل التوحيد في قوة العلوم السابقة
للعقول السليمة إلى قبولها وابتنائها على مقدمات مسلمة مركوزة في القلوب ‏ أي فيما فرضنا عليكم
على أن قوله الزانية والزاني مبتدأ محذوف خبره ثم بين حكمها بقوله فاجلدوا الآية والفاء فيه لتفصيل
تفصيل المجمل كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي فإن الفاء العاطفة للجمل قد
تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر لا أن مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما
قبلها في الزمان ‏ وقرئ بالنصب على الإضمار على شريطة التفسير والتقدير اجلدوا الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ودخل الفاء في أول الفعل المفسر إيذانا بأنه واقع في موقع جزاء شرط
محذوف والأصل إن أردتم معرفة حكم الزانية والزاني فاجلدوهما اجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة فحذف الشرط اعتمادا على دلالة سياق الكلام عليه وحذف الفعل الأول ثم فسر لكون بعد
الإبهام أوقع في النفس فصار فالزانية والزاني اجلدوا كل واحد منهما ثم قدم المفعول على الفاء
ليصير عوضا عن الشرط المحذوف كما ترى ‏ لأجل الأمر فإن الفعل الواقع بعد ما أضمر عامله على
شريطة التفسير إذا كان أمرا أو نهيا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية وهي أولى لكن
لاختصاص الطلب بالفعل الأمري لا اختصاص حروف الطلب بالفعل كحروف الاستفهام والعرض
والتحضيض فلو رفع الزانية على الابتداء لكان فعل الأمر خبرا عن الاسم لا يقع خبرا إلا بتأويل
والزان بلا ياء أي وقرئ والزان بغير ياء اكتفاء بالكسرة عنها كما في قوله تعالى يوم يدع الداع
والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه وبطنه إذا ضرب رأسه وبطنه فكذا يقال جلده إذا ضرب
جميع جلده وفي ذكر لفظ الجلد إشارة إلى أن حد الزنا لا يغلظ كيفية بحيث يبلغ ألم الضرب إلى
اللحم والزنا عبارة عن إيلاج فرج في مشتهى طبعا محرم قطعا ‏ وهو حكم يختص بمن ليس
بمحصن بمعنى أن الآية يتناول جميع الزناة والزواني من المحصنين وغيرهم إلا أنه ما ثبت بطريق
التواتر من أنه عليه الصلاة والسلام رجم من زنى محصنا خص الآية بغير المحصن فإن تخصيص
القرآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقا قال الإمام واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن
بما

بما ثبت بالتواتر من أنه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك وقال عمر رضي الله عنه لولا أن يقول
الناس زاد عمر في كتاب الله لأثبته في المصحف وقال قد خشيت أن يطول بالناس زمان
حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ
والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة رجم رسول الله ورجمنا بعده فأخبر أن الذي فرضه الله
هو الرجم ‏ وزاد الشافعي عليه وقال أبو حنيفة رحمهما الله يجلد وأما التغريب فمفوض
إلى رأي الإمام واحتج أبو حنيفة على نفي التغريب بوجوه منها أن إيجاب التغريب يقتضي نسخ
الآية ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز وقرر النسخ من ثلاثة أوجه الأول أنه سبحانه وتعالى رتب
الجلد على فعل الزنا بالفاء وحرف الفاء للجزاء وقد صرح أئمة اللغة بأن اليمين بغير الله ذكر
شرط وجزاء وفسروا الشرط بالذي دخلت عليه كلمة إن والجزاء بالذي دخل حرف الفاء
والجزاء اسم لما يقع به الكفاية مأخوذ من قولهم جازيناه أي كافيناه وقال عليه الصلاة والسلام
يجزيك ولا يجزي أحدا بعدك أي يكفيك ومنه قول القائل اجتزأت الإبل بالعشب عن الماء وإنما
تقع الكفاية بالجلد إذا لم يجب معه شيء آخر وإيجاب شيء آخر يقتضي نسخ كونه كافيا والثاني
أن المذكور في الآية لما كان هو الجلد فقد كان ذلك هو كمال الحد فلو جعلنا النفي معتبرا مع الجلد كان
الجلد بعض الحد لا كل الحد فيقتضي لأن ينسخ كونه كل الحد وأجاب عنه المصنف بأنه ليس في الآية ما يدفع وجوب
التغريب إذ ليس فيها إلا إدخال حرف على الأمر بالجلد وأما كونه مذكورا جزاء كافيا في العقوبة
فليس من كلام الله تعالى ولا من كلام رسوله بل هو قول بعض الأدباء فلا يكون حجة وليس في الآية
إلا وجوب الجلد وليس فيها ما يدفع وجوب شيء والنسخ المقبول نسخ الكتاب بالسنة المتواترة
والمردود منه نسخه بالآحاد فإنه مردود عند الحنفية ‏ ولنا في العبد ثلاثة أقوال أحدها يغرب
سنة كما في الحر لأن التغريب للإيحاش وذلك معنى يرجع إلى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كما في
الإيلاء والعنة وثانيها يغرب نصف سنة لقوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من
العذاب في حقه والتغريب يقبل التنصيف فيتنصف كما يتنصف الجلد في حقه فإنه يجلد نصف
جلد الأحرار وثالثها أنه لا يغرب كما قال أبو حنيفة لقوله عليه الصلاة والسلام إذا زنت أمة أحدكم
فليحدها الحد ولم يأمر بالتغريب ولأن منافعه للسيد ففي نفيه إضرار بالسيد واعلم أن كون الزنى موجبا
للرجم تارة وللجلد أخرى مشروط بالعقل والبلوغ بل هما معتبران في العقوبات كلها وأما كونها
موجبة للرجم فلا بد فيه مع العقل والبلوغ من أمور أخر الشرط الأول الحرية وأجمعوا على أن الرقيق
لا يجب عليه الرجم البتة كما أجمعوا على أن الأمة تجلد خمسين جلدة وكذا العبد عند الجمهور وقال
أهل الظاهر يجلد العبد مائة جلدة كالحر عملا بعموم قوله تعالى الزانية والزاني الشرط الثاني التزوج

بنكاح صحيح فلا يحصل الاحصان بالاصابة بملك اليمين و بوطء الشبهة ولا بالنكاح الفاسد
الشرط الثالث الدخول ولا بد منه لقوله عليه الصلوة والسلام الثيب بالثيب وانما يصير ثيبا
بالوطء ويشترط ابو حنيفة رحمه الله ان تكون الاصابة بالنكاح الصحيح بعد البلوغ والحرية و
العقل لانه لما شرط اكمل الاصابة وهو ان تكون بنكاح صحيح شرط ان تكون تلك الاصابة في حال
الكمال والاسلام ليس شرطا في كون الزنا موجبا للرجم عند الشافعي وابي يوسف رحمهما الله تعالى
وقال ابو حنيفة رحمه الله هو شرط ايضا واحتج عليه بان الذمي لم يزن بعد الاحصان فلا يجب
عليه القتل بيان الاول قوله عليه الصلوة والسلام من اشرك بالله فليس بمحصن وبيان الثاني ان
المسلم الذي لا يكون محصنا لا يجب عليه القتل لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى معان
ثلثة كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق فاعلم ان لهم ما للمسلمين وعليهم
ما على المسلمين ومن جملة ما للمسلمين ان لا يحل دمهم الا باحدى المعاني الثلث وكذا اهل الذمة
ولما لم يكن الذمي محصنا لم يجب قتله باقدامه على الزنا واجاب المص عن هذا الاحتجاج بان معنى
الحديث ان من اشرك بالله فليس بمحصن الدم بحيث يقتل فالمسلم قصاصا فان القصاص
انما يجب بقتل ما حقن دمه ابدا والمشرك ليس ممن حقن دمه ابدا فلا يقتص من المسلم لاجله
واليه ذهب الشافعي واحتج عليه بقوله عليه الصلوة والسلام لا يقتل مؤمن بكافر ويقتل المسلم
بالذمي عندنا لما روي انه عليه الصلوة والسلام فعل ذلك ويجب القصاص في الاطراف بين المسلم
والكافر اجماعا واعلم ان عقوبة الزاني كانت في اول الاسلام ان يحبس في البيوت في حق الثيب
وان يؤذى بالكلام في حق البكر قال الله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا
واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ثم نسخ ذلك فجعل حد الثيب
على الزنا وحد البكر الجلد والتغريب روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال خذوا عني خذوا
عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم
بالحجارة واحتج الشافعي بهذا الحديث على ما ذهب اليه من الجمع بين الجلد والتغريب في حق البكر
وبين الجلد والرجم في حق الثيب   قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة اي لا تدرككم الرأفة والرقة
عليهما بحيث تؤدي الى تعطيل حد الله وترك اقامته او الى المسامحة فيه فان الايمان يوجب
الاشتداد بامر الله تعالى والتشدد فيه دون اللين والمسامحة وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد
سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا
فيقول لينتهوا عن معاصيك فيقال له انت احكم مني فيؤمر به الى النار ويجوز ان يكون هذا الحديث
تفسيرا

اجمعت الائمة على حرمة اتيان البهيمة واختلفوا في حده فقيل يقتل مطلقا لقوله عليه الصلوة والسلام من اتى بهيمة فاقتلوه فاقتلوها معه وقيل حد الزنا وقيل التعزير وهو الصحيح واما السحق وبيان المينة والاستمناء باليد فلا شرع فيه الا التعزير

وفي رواية خذوا عني خذوا عني

قال الحياني في تقدير الاية ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود وهذا يدل على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان خلافا لما يقوله المرجئة والجواب ان الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه ان الاولى ان لا تقام تلك الحدود وحينئذ يكون منكر الدين فيخرج من الايمان

حصل ويقام الحد نحو في اعتدال الهوى فان كان نحو في شدة حر او برد ونظرنا ان كان الحد رجما اقيم عليه كما يقام في المرض لان النفس مقتله وغيرا ان كان الرجم ثبت باقراره اخر الى اعتدال الهوى وزوال المرض ان كان يرجى زواله لانه ربما رجع عن اقراره في خلال الرجم وقد اثر الرجم في جسمه فيعين شدة الحر والبرد والمرض على اهلاكه وان ثبت بالبينة لا يؤخر لانه لا يسقط وان كان الحد جلدا لم يجز اقامته في شدة الحر والبرد كما لا يقام في المرض ابن عادل

تفسير النور عليه الصلوة والسلام النفساء نلثة فاجيبا ان في النار وواحد في الجنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وقيل واحد احتجاجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا او اثنان احتجاجا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وكل نلثة فرقة والخارج من الثلثة واحد او اثنان والاحتياط يوجب الاخذ بالاكثر ثم انه تعالى لما بين حكم الزنا وعقوبة من ارتكبه بين حكما ثانيا فقال الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الاية ولما كان ظاهر النظم اخبارا بان الزاني لا ينكح المؤمنة العفيفة وان الزانية لا ينكحها المؤمن التقي وكان هذا الحصر غير ظاهر الصحة في حكم هذه الشريعة لان الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وكذا قوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين فانه ايضا غير ظاهر الصحة فان المؤمن يحل له التزوج بالمرأة الزانية اشار المصنف الى جواب بان حمل الاخبار على الاعم الاغلب على طريق قولك لا يفعل الخير الا الرجل التقي مع ان بعض من لا يكون تقيا قد يفعل خيرا فمراد القائل بيان ان ما وقع من الخير انما يقع غالبا من التقي وهو لا ينافي وقوعه من غير التقي على قلة فكذا ههنا وبان حمل التحريم على التنزيه قال الامام النسفي واوضح الاقاويل في هذه الاية انها ترهيب في نكاح البغايا وتاويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لا يرغبوا الا في المسلمة العفائف واما الزاني فهو انما يميل الى من هي على مذهبه في الزنا او الى من لا يعتقد الايمان فضلا عن ان يتفكر في التعفف والزانية ايضا انما تميل الى احد الرجلين اما الى الزاني مثلها واما الى مشرك يشترية وكان حق المقابلة فان قوله الزاني لا ينكح اي لا يتزوج انما يقابله قولنا والزانية لا تنكح ولا تتزوج الا من هو زان الا انه لما كان المقصود بيان احوال الرجال وان اي طائفة تميل الى العفائف وان طائفة تميل الى الفواجر لم يراع حق المقابلة والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه فالمعنى وحرم نكاح البغايا قصدا للتوسع بما يأخذنه في الزنا كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة ان يتزوجوا بهن الى ان يغنيهم الله عنهن فالالف واللام في قوله الزاني وفي قوله على المؤمنين وان كان للعموم ظاهرا لكن المراد به الاقوام الذين نزلت الآية فيهم وبسببهم فتقدير الاية اولئك الزوالي لا ينكحون الا تلك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحهن الا اولئك الزواني وحرم نكاحهن على المؤمنين والايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امرأة وسئل عليه الصلوة والسلام ان من زنى بامرأة هل له ان يتزوجها فاجاب بقوله اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وشبهه ابن عباس بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه

[illegible]

[illegible]

وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا
باشرها كان زانيا وهو فاسد لان الاشكال باق لانا نرى ان الزاني قد يطأ العفيفة
بان يتزوجها ولو قلنا المراد ان الزاني لا يطأ بطريق الزنا الا الزانية فهذا الكلام لا فائدة فيه
لوصف المقذوفات بالاحصان بيان للقرينة المعينة لكون المراد بالشيء المقذوف به الزنا
فان ظاهر الاية لا يدل على الشيء الذي رموا المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا لان المحصنات
قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلا بد من قرينة تدل على تعيين المراد واتفق العلماء على
ان المراد الرمي بالزنا تقدم ذكر الزنا ولانه ذكر وصف المقذوفات بالاحصان وهو العفة
عن الزنا فدل ذلك على ان المراد رميهن بعد العفاف ولقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء
اي على صدقهم فيما رموهن به وكون الشهود اربعة انما يشترط في القذف بالزنا فان القذف
بغير الزنا يكفي فيه شاهدان وان الواجب فيه التعزير دون الحد ثم ان اقر المقذوف على نفسه
بالزنا او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد وجب
لافترائه على البريء وقد ثبت صدقه ولا فرق فيه يعني لا فرق بين المحصنين والمحصنات
في ان قذفهم بالزنا يوجب جلد القاذف ثمانين جلدة الا ان النص ورد في قذف المحصنات
لما ذكر لخصوص الواقعة على ما قيل من ان هذه الاية نزلت في حسان بن ثابت حين
تاب مما قال في حق عائشة رضي الله عنها ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء
لان الاتيان باربعة شهداء يصدق على الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين وقياسا على سائر
الاحكام فانها تثبت بشهادة الشهود بها سواء شهدوا مجتمعين او متفرقين فكذا حكم الزنا وقال
ابو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت الزنا وعليهم حد القذف لان الشاهد الواحد لما شهد
فقد قذف المشهود عليه ولم يأت باربعة شهداء فيجب عليه الحد للاية وتعبيره عن القذف بلفظ
الشهادة لا يخرجه عن كونه قاذفا ولو اتى القاذف باربعة شهداء فساق فشهدوا على المقذوف
بالزنا قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود وقال الشافعي
في اصح قوليه يحدون واحتج ابو حنيفة بانه اتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحد والفاسق من اهل
الشهادة فقد وجدت شرائط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة لضعف بالنسبة
الى سبب ضرب الزنا فان سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتمل الصدق والكذب وسبب
ضرب الزنا فعل ثبت بالشهود العدول ولا شك انه اقوى في كونه فحشا بالنسبة الى القول المحتمل
عقوبة القول الضعيف واحتمال صدق القاذف يقتضي سقوط الحد لانه الا انه عذر فيما نعه
للعرض ورد عاعن ذكره خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان عدم قبول شهادته متوقف على اتمام

ولا يتوقف ذلك على استيفاء الحد خلافا لابي حنيفة رح ان لا يتوقف رد شهادتهم وعدم قبولها على استيفاء الجلد لان قوله فاجلدوهم وقوله
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا جملتان واقعتان جزاء للشرط الذي هو يرمون المحصنات كل منهما جملة مستقلة بالجزائية له لا يترتب الثانية على
الاولى بالفاء التعقيبية او بثم حتى يتوقف هي عليها بل جاءت الثانية بالواو الجامعة لا مع الاولى في معنى الجزائية للشرط المذكور فيكون كل من ثانيتين
جزاء مستقلا مترتبا على الشرط

على اقامة الحد عليه عنده حتى اذا تاب قبل اقامة الحد عليه او قبل تمام حده تقبل شهادته عنده فمعنى
الاية عنده ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا بعد اقامة الجلد عليهم فلا تقبل شهادة المحدود في قذف وان
تاب وصار من الاتقياء وقال الشافعي تقبل شهادته اذا تاب لقوله عليه الصلوة والسلام التائب
من الذنب كمن لا ذنب له ومن لا ذنب له تقبل شهادته فوجب ان تقبل شهادة من تاب عن القذف
وهذه المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل يرجع الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة
الاخيرة فعند ابي حنيفة الاستثناء المذكور عقيب الجمل الكثيرة مختص بالجملة الاخيرة وعند الشافعي
يرجع الى الكل لان الواو للجمع المطلق فقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا
واولئك هم الفاسقون جمل متعاطفة بالواو فصار الجميع كانه ذكر معا لا تقدم للبعض على البعض
فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقي اذ لم يكن لبعضها
تقدم على بعض في المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ويؤيده انا اجمعنا على انه لو قال عبده حر
وامرأته طالق ان شاء الله فانه يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه واحتج اصحاب
ابي حنيفة رحمهم الله على ان حكم الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بانه لو رجع الى جميع الجمل المتقدمة
لوجب ان لا يجلد القاذف اذا تاب وهو باطل بالاجماع فوجب ان يختص بالجملة الاخيرة فيقال المص
بناء على مذهب الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيا للجلد ورد الشهادة
ابدا والتفسيق والمعنى من قذفهن محصنة فاجمعوا له الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا
من القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم جنايتهم فلا تجمعوا فيهم عليه ولما ورد ان يقال فعلى هذا
يلزم ان القاذف اذا تاب عن القذف قبل ان يجلد سقط عنه الحد ولا يسقط بالاجماع اشار
الى جوابه بقوله ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام توبة المستثنين الاستسلام للحد او الاستحلال
من المقذوف فان المقذوف له ان يعفو عن موجب القذف قبل ان يشهد الشهود ويثبت
القذف واما بعد ان يرافع الى القاضي ويثبت القذف باقامة الشهود عليه فقيل له ان يعفو بعده
لان المقذوف وان استحق على القاذف ان يستوفي منه الحد الا انه مما اجتمع فيه حقان وحق الشرع
فيه غالب فليس للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته ومحل المستثنى النصب لما تقرر
في النحو من انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا في كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور كقولك
ما مررت باحد الا زيد بالجر على البدل من احد والا زيدا بالنصب على الاستثناء ويجب نصبه في كلام
موجب وما في الاية لما كان راجعا الى اصل الحكم وكان المعنى ومن قذف المحصنات فاجمعوا لهم هذه
الامور كان الاستثناء في كلام موجب فيجب النصب وقيل الى النهي اي وقيل الاستثناء الواقع في
هذه الاية يرجع الى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة وهو كلام غير موجب فيصح المستثنى ان يكون

مجرورا بدلا من هم في لهم قال صاحب الكشاف والشافعي جعل جزاء الشرط جملتي فاجلدوا
ولا تقبلوا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة منهما لا بمجموع جملتي الامر والنهي لان التوبة لا تسقط
حق العبد ولم يرض المص بهذا النقل لكونه مخالفا لما اشتهر من الشافعي من كون الاستثناء
المذكور عقيب الجمل يرجع الى الكل وقيل منقطع اي عما قبله والمعنى لكن الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور رحيم فقوله تعالى الا الذين مبتدأ خبره قوله فان الله غفور رحيم اي غفور
لهم فحذف الجار والمجرور للعلم به روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما نزل قوله تعالى والذين
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء قال عاصم بن عدي الانصاري ان دخل رجل منا
بيته فرأى رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته
وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ
اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وكان له امرأة يقال لها خولة بنت قيس فاتى
عويمر عاصما فقال لقد رأيت شريك بن سحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم واتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال عليه
الصلوة والسلام وما ذاك فقال اخبرني عويمر بن عمي انه رأى شريك بن سحماء على بطن امرأته
خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك
وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله لقد رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ
اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخبريني الا
بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه رآني وشريكا نطيل النظر ونتحدث
فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله تعالى قوله والذين يرمون ازواجهم وبين به ان حكم قذف
الزوجة اللعان بعد ما بين حكم قذف الاجنبيات فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يؤذن الصلوة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية
واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين
ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل اشهد
بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة
الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال له اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت
اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجي لمن الكاذبين وقالت في الثانية اشهد بالله ما رأى شريكا
على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة اشهد بالله ما انا بحبلى منه وانه لمن الكاذبين
وقالت في الرابعة اشهد بالله ما رآني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وقالت في

في الرابعة اشهد بالله ما رآني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة
غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق النبي صلى الله عليه وسلم
بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ثم قال ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت
به مشابها لمن قيل فيه فهو له ثم جاءت به غلاما يشبه من نسب اليه فقال لولا الايمان لكان لي
ولها شأن وفي هذه الواقعة روايات اخر مثلها ما اشار اليه المص بقوله نزلت في هلال بن امية
وهو احد الثلثة الذين تاب الله تعالى عليهم واربع نصب على المصدر لانه في حكم
المصدر باضافته اليه وناصب هذا المصدر مثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
وثبوت حد الزنا على المرأة عطف على قوله سقوط حد القذف عنه واعلم انه اذا قذف
الرجل امرأته بالزنا يجب عليه الحد ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في قذف
الاجنبية لا يختلف موجبا غير انهما يختلفان في المخلص ففي قذف الاجنبية لا يسقط الحد عن القاذف
الا باقرار المقذوف او ببينة تقوم على انها زنت وفي قذف الزوجة يسقط الحد عن القاذف باحد
هذين الامرين وباللعان ايضا وهو قول المص وحكمه سقوط حد القذف عنه ولعان الزوج
لما كان بمنزلة الشهادات التي يثبت بها الزنا فقد اوجب عليها حد الزنا نقل الامام عن الشافعي
انه قال يتعلق باللعان خمسة احكام درء الحد ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها
وكلها تثبت بمجرد لعانه ولا يفتقر فيه الى لعانها ولا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه
لا ايقاعا للفرقة واستدل المص في قوله وثبوت حد الزنا على المرأة بقوله تعالى ويدرؤا عنها العذاب
بناء على انه حمل العذاب على الحد كما حمل عليه في قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة وحمله الحنفيون على
الحبس والحبس على اللعان والمعنى ويدفع عن المرأة ان تحبس وتحبس الى ان تلاعن او تصدق زوجها
فيما رماها به فانها اذا امتنعت عن اللعان حبست واجبرت عليه حقا للزوج انه عليه الصلوة
والسلام استنجحها وكان عليه الصلوة والسلام اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج
اسمها خرج بها معه فاقرع في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج فيها اسم عائشة رضي الله
عنها فخرجت معه عليه الصلوة والسلام والجزع الخرز وظفار على وزن قطام مدينة باليمن
يقال لاس جزع ظفاري من خرز ينسب اليها والنشد من عرف الضالة والناشد من يطلبها
فالانسب ان يقال يرجع اليها ناشد والتعريس نزول القوم في السفر آخر الليل والمراد هنا
مطلق النزول ويقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل والاسم دلج ويقال ادلج من باب الافتعال
اذا سار من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فلما اصبح صفوان عند منزلي رأى سواد انسان
نائم فعرفني حين رآني وقد براني قبل ان يضرب علي الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين

عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى اناخ راحلته
فوطئ على يديها ان يد راحلته فركبتها فانطلق يقود بي حتى اتينا الجيش في نحر الظهيرة فهلك فيّ من هلك
وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن سلول وخاضوا في حديثي وافشوه في العسكر وخاض اهل
العسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدث بعضهم بعضا قالت وقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء
من ذلك غير انه يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى
منه حين اشتكيت انما يدخل علي فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذاك يريبني ولا اشعر بالشر فلما
رأيت ذلك قلت يا رسول الله لو اذنت لي فانقلبت الى ابوي يمرضانني قال لا بأس فانقلبت
الى بيت ابوي وكنت فيه الى ان برئت من مرضي بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت في بعض الليالي
ومعي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وكان عادة اهل المدينة
في انهم لا يتخذون الكنف في بيوتهم انما كانوا يذهبون في فسح المدينة على عادة العرب الاول
تأذيا من اتخاذ الكنف عند بيوتهم فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم وامها بنت
صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فلما فرغنا من شاننا واقبلنا الى جانب البيت
اذ عثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا قد
شهد بدرا فقالت او لم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا
الى مرضي فلما رجعت الى بيتي فقلت لامي ما يتحدث الناس قالت اي بنية هوني عليك فوالله
لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت قلت سبحان
الله او قد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم
ثم اصبحت ابكي ودعا النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعلي بن ابي طالب حين استلبث
الوحي يستشيرهما في فراق اهلها فاما علي بن ابي طالب فانه قال لم يضيق الله عليك والنساء
سواها كثير فاستبدل واما اسامة بن زيد رضي فاشار اليه بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي
يعلم في نفس النبي صلى الله عليه وسلم من الود فقال يا رسول الله ما علمنا الا خيرا فلا تعجل
وانظر واسال اهلك واسال حفصة بن عمر رضي عنهم فقالت يا رسول الله ما رايت عليها من
سوء قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل بريرة فقال اي بريرة هل رايت شيئا
يريبك من عائشة قالت بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ما رايت عليها امرا قط اغمصه عليها
اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فاقبل حتى دخل علي وعندي ابواي ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي
حتى

الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وهو اسوأ الكذب وسمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم افك الشيء اذا قلبه عن وجهه فالافك هو البهتان واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عائشة رضي
ابن عادل

فان قيل كيف جاز ان تكون امراة الرسول كافرة كامراة نوح ولوط عليهما الصلوة والسلام ولم يجز ان تكون فاجرة وايضا فلو لم يجز لكان الرسول اعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما كان ... ولما سأل عائشة رضي عن كيفية الواقعة فالجواب عن الاول ان الكفر ليس من المنفرات بخلاف الفجور فانه من المنفرات والجواب عن الثاني انه عليه الصلوة والسلام كثيرا ما كان يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك كما قال تعالى ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون فكذا هنا من هذا الباب الثالث ان المعروف من عائشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ومن كان كذلك كان اللائق احسان الظن به الرابع ان القاذفين كانوا من المنافقين واتباعهم وكلام المفترين من المنافقين ... فلمجموع هذه كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي تم

في ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
جلس ثم قال اما بعد يا عائشة قد بلغني عنك كذا وكذا ان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت
الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه
قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب
عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي
اجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما ادري ما اقول فقلت وانا جارية حديثة السن
لا اقرأ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم هذا حتى استقر في انفسكم وصدقتم به ولئن
قلت لكم اني بريئة لا تصدقونني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقنني والله لا
اجد لي ولكم مثلا الا ما قال ابو يوسف عليهما الصلوة والسلام فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي و
لكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله عز وجل
في بامر يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله تعالى بها قالت فوالله ما
رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله تعالى على نبيه واخذه
ما كان ياخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي
من ثقل القول الذي انزل عليه فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سري عنه وهو
يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عائشة اما والله لقد برأك الله تعالى فقلت
بحمد الله تعالى لا بحمدك ولا بحمد اصحابك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله
عز وجل قالت فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الى اخر الايات العشر في براءتي فلما
انزل الله تعالى هذه الايات قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله
لا انفق عليه شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنها ما قال فانزل الله تعالى ولا ياتل اولو الفضل
منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه بلى والله لاحب ان يغفر الله لي فرجع
الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا انزعها منه ابدا وعصبة جماعة ومنكم صفة والمخاطبون
الذين اتوا بالكذب في امر عائشة جماعة كائنة منكم في كونكم موصوفين بالايمان وعبد الله ابن ابي كان
من جملة من حكم له بالخطاب بالايمان ظاهرا فانه بدا به واذاعه قالت عائشة ركبت واخذ
صفوان بالزمام يقود بي فمررنا بملاء من المنافقين فيهم عبد الله بن ابي فقال من هذه قالوا عائشة
قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقود
بها قالت وهو الذي تولى كبره منهم فانه لما كان مبتدئا بذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب

اي حال اشهد ان لا اله الا الله

بيان قلص الغدير اذا ذهب اكثر مائه وقلص الظل اذا ارتفع

المعنى هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم باخوانهم خيرا وقال الحسن باهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم المعنى باشالكم المؤمنين وقيل جعل المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور فاذا جرى على احدهم مكروه

شيء ما حصل للكل من قال ذلك لقوله عليه الصلوة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وروى انه لما نزلت آية براءة عائشة رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القران فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطحا وحمنة بنت جحش حد القذف لولا هلا بمعنى ان لولا هذه تحضيضية بمعنى هلا فان لولا اذا ولي الفعل يكون للتحضيض كقوله لولا اخرتني واما اذا ولي الاسم فليس كذلك كقوله لولا انتم لكنا مؤمنين ولولا فضل الله عليكم وحروف التحضيض يلزم الفعل لفظا او تقديرا ومعناها اذا دخلت في الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل واذا دخلت في المضارع فمعناه الحض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الامر ولا يكون التحضيض في الماضي لان الطلب لا يتصور فيه فمعنى الاية ايها الذين سمعوا قول قاذفي عائشة يصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ما قيل في حقهم جعل المؤمنين كنفس واحدة كما في قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وحق الكلام ان يقال ظننتم وقلتم وعدل عنه الى الغيبة مع التصريح بصفة الايمان تنبيها على ان اللايق بالمؤمن ان لا يظن بمؤمن مثله الا الخير وان يبرئه من السوء ومبالغة في التوبيخ فان اصل التوبيخ وان حصل بان قيل لولا ظننتم بانفسكم خيرا لكنه يزداد بالالتفات الى الغيبة اذ فيه اشارة الى ان شان الايمان يقتضي ان يظن المؤمن خيرا بالمؤمن ويكذب الطاعنين فيه بقوله هذا افك مبين فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الايمان وهذه المبالغة لا تحصل بالاسلوب الاول وانما جاز الفصل بين لولا والفعل بالظرف ينحسم السوال عن شيئين الاول ان حروف التحضيض يجب ان يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف ههنا نحو لولا اذ ظن المؤمنون وقالوا فلم قدم على عامله اجاب عن الاول بان للظروف شانا ليس لغيرها وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها من غير انفكاك عنها وعن الثاني بان الفائدة في تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا عن الاثم والخلل اول ما سمعوا بالافك بان يظنوا بالمؤمنين والمؤمنات خيرا ويقولوا هذا افك مبين ولا يتكلموا به ولا يذيعوه فلما كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه باخذه بعضكم من بعض يعني ان تلقي القول اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفسر التلقي باخذ بعضهم من بعض لان كل واحد من المتلقي والمتلقى منه داخل في هذا الخطاب وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل ويقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا نادي الا طار فيه فكانهم سعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظايم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به والاخبار بالشيء يجب ان يكون مسبوقا بان يستقر صورته في القلب اولا ثم

المعنى هلا اذ سمعتموه فكانه جرى على جميعهم كما قال عليه الصلوة والسلام مثل المسلمين في تواصلهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا وجع بعضه وجع كله بالسهر والحمى وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ابن كمال

ان زيد ان يظن ان قصد

لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم ياتوا بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك الاية واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ابو

فان قيل السن اذا لم ياتوا بالشهداء فانه يجوز كونهم كاذبين فلا جزم بكونهم كاذبين الجواب من وجهين الاول ان المراد بذلك الذين رموا عائشة رضي الله عنها خاصة وهم كانوا عند الله كاذبين والثاني المراد فاولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يات بالشهود فانه يجب زجره فلما شابه الكاذب في الزجر والاستحقاق لا جرم اطلق عليه الكاذب مجازا

٥٤٤

ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتهم ويدور في افواههم من غير ان يستقر العلم به في قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جريمة عظيمة عند الله ان في حكمه تعالى ما ينبغي وما يصح لنا اشارة الى فائدة زيادة يكون مع الكلام سديد بدونه بان يقال ما لنا ان نتكلم بهذا ونظيره قوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فانه بمعنى ما ينبغي وما يصح تعجب من ذلك الافك وعظمة او ممن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى في حق هؤلاء الكرام ثم بين وجه استفادة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال واصلها والاصل في ذكر هذه الكلمة ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صانعه تنزيها له من ان يخرج مثله عن قدرته ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه عطف على قوله تعجب ينفر عنه اي عن النبي فيفوت ما هو المقصود من ارساله فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام انما بعثوا الى الكفار ليدعوهم الى الدين والى قبول ما قالوا عن الله تعالى من الاحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل اذا كان في الانبياء ما ينفر الكفرة عنهم فجاز ان يكون امراته كافرة لان الكفر ليس مما ينفر عندهم ولا يجوز ان يكون فاجرة لان الكشخنة من اعظم المنفرات والكشخان الذي امراته فاجرة تدعو الرجال الى نفسها وهو يعرف حالها اي هو زوج الفاجرة والبهتان مصدر بهته اي قال عليه ما لم يفعله سمي به المبهوت به ان كان الاشارة بقوله هذا الى الافك بمعنى القول الكاذب بقرينة ان الكلام في المسموع وان كان اشارة الى الافك بمعنى الكذب والافتراء يكون البهتان ايضا مصدرا فقوله تعالى هذا بهتان عظيم معناه هذا الافك افتراء عظيم يتحير من عظمه روي ان ام ايوب الانصارية قالت لابي ايوب اما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله ثم انه تعالى قال يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب وان فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الاخرة كراهة ان تعودوا او يعظكم في ان تعودوا حتى لا تعودوا الى مثله ابدا الحد والسعير لا غير ذلك فيه اشارة الى قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليس معناه مجرد وصفهم بانهم يحبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير ان يشيعوها ويظهروها فان ذلك القدر لا يوجب الحد في الدنيا بل المعنى ان الذين يشيعون الفاحشة كعبد الله بن ابي في الذين آمنوا كصفوان وعائشة رضي الله عنهما من قصد ومحبة لاشاعتها الخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين وبالفتح مصدر خطوت للمرة والمراد بها ههنا سيرة الشيطان وطريقته والمعنى لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووساوسه باشاعة الفاحشة والاصغاء الى الافك والقول به

كان ذنبا عظيما ان يسمى الدين والدنيا فلا فضل الله ان يعجل بالعذاب ثم حيث لعدم ذنب في كل الكذب اكبر من الذي سبيل الفحش ابن كمال

قالت لابي ايوب

قوله بالحد والسعير لا بقال من حد في الدنيا فحده كفارة لذنبه ولم يدخل في النار بذنبه الموجب للحد فكيف يستحق الحد والسعير معا لانا نقول مفهوم الاية ان السعير بسبب اشاعة الفاحشة والحد بسبب القول الفاحش فلا تدارك

لان من تبع خطواته فانه لا محالة يرتكب الفحشاء لان الشيطان لا يامر الا بها

مذهب الجمهور ان من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها انه ينبغى له ان ياتى بالذى هو خير ثم يكفر عن يمينه وقال بعضهم انه ياتى بالذى هو خير وذلك كفارته
ان الله تعالى امر ابا بكر رضه بالحنث ولم يوجب عليه كفارة ولقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات بالذى هو خير وذلك
كفارته واحتج الجمهور بقوله ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته وقوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم وقوله لايوب عليه الصلوة والسلام وخذ
بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقد

يؤيد الاول وهو كون ياتل بمعنى يحلف من الالية لا من الالو انه قرئ ولا يتأل فانه من الالية
ليس الا بمعنى الحلف لان مصدر ولا يأتل الايلاء والتبه وايتلى بمعنى الحلف ايتلاء ويتألى يتألى تألّيا كلها بمعنى حلف
وفيه دليل على فضل ابى بكر رضى الله عنه وذلك لان الفضل المذكور فى الاية اما الفضل
فى الدنيا واما فى الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره فى معرض المدح له والمدح بكثرة الدنيا
غير جائز من الله تعالى ولانه لو جاز ذلك لكان قوله تعالى والسعة تكريرا لا تاسيسا فتعين
ان يكون المراد منه الفضل فى الدين والمنزلة من الله تعالى فلو كان غيره مساويا له فى
الدرجة فى الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوى لا يكون فاضلا فلما اثبت
الله تعالى له الفضل غير مقيد بكونه بالنسبة الى شخص دون شخص ثبت كونه افضل الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق المفسرون على ان المراد بقوله اولوا الفضل هو ابو بكر الصديق
رضى الله تعالى عنه على ان لا يؤتوا باسقاط الخافض وهو كثير شايع وكذا حذف كلمة لا
فى اليمين كثير ايضا قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا اى مخافة ان لا تبروا
وقال امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا اى لا ابرح وهذا التاويل على تقدير ان
يكون قوله ولا يأتل افتعالا من الالية واما على تقدير كونه افتعالا من الالو فانه لا يحتاج الى ما
اشار اليه بقوله وقد ان يؤتوا اى لا تقصروا اولو الفضل فى ان يحسنوا فيكون المنهى غير
المقصود وهو نهى الصديق عن حفظ يمينه على ان لا ينفق على مسطح فان جعل الكلام من
قبيل عطف الصفات فقد افاد الكلام تعليل المقصود بناء على ما اشتهر من ان تعليق الحكم
بالمشتق ينبئ عن علية المأخذ وان جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام ابلغ فى تعليل
المقصود لان كل واحد من الموصوفات بالصفات المذكورة لما كان منهيا عن مثل هذه
اليمين فيكون الشخص الجامع لتلك الصفات منهيا عنه بالطريق الاولى ولبعفوا اى عن
ذنبهم وليصفحوا اى وليعرضوا عن لومهم فان العفو التجاوز عن الجانى والصفح ان
يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب استباحة لعرضهن منصوب على انه
مفعول له لقوله تعالى يرمون المحصنات واشار به الى جواب ما يقال هذه الآية تدل على ان قاذف
المحصنات كافر لا تقبل توبته اما انه كافر فلقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
ذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار الى اخر الايات الثلث ولقوله
تعالى ولهم عذاب عظيم والعذاب العظيم هو عذاب الكفر واما انه لا تقبل توبته فلقوله تعالى لعنوا فى
الدنيا والاخرة ولم يذكر الاستثناء بان قال الا الذين تابوا فهذا يدل على ان من قذف المحصنات ملعون
فى الدارين تابوا ولم يتب وقد قال فى اول السورة ان الذين يرمون المحصنات ثم قال الا الذين
تابوا

علم ان الحنث كان خيرا فيها كفارتها
لما امر بعض بما بل كان يحنث بلا كفارة
وقال عليه الصلوة والسلام من
حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها
فليات بالذى هو خير وليكفر
عن يمينه واما قولهم ان الله تعالى
لم يذكر الكفارة فى قصة ابى بكر رضه
فان حكمها كان معلوما عندهم واما
قوله عليه الصلوة والسلام فليات
بالذى هو خير وذلك كفارته فمعناه
تكفير الذنب لا انه الكفارة المذكورة
فى الكتاب وذلك لانه منهى عن
بعض الايمان فامره ههنا
بالحنث والتوبة واخبر ان ذلك
يكفر ذنبه الذى ارتكبه بالحلف
ابن عادل وكذا فى الكبير

اى لا يحلف اولو الفضل
على ان يؤتوا
منه

اجمعوا على ان
مسطحا كان من البدريين
وصح عنه عليه الصلوة والسلام
انه قال لعل الله نظر الى اهل
بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد
غفرت لكم فكيف
صدرت الكبيرة
منه بعد ان
كان بدريا
والجواب انه
لا يجوز ان يكون
المراد منه
افعلوا ما شئتم من المعاصى
فانه لا نعلم ان التكليف
كان باقيا عليهم ولو حملناه على
ذلك لاقتضى الى زوال التكليف
عنهم ولو كان كذلك لما جاز
ان يحد مسطح على ما فعل لوجب
حمله على احد امرين الاول انه
تعالى علم توبة اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم من النوافل
من قليل او كثير فقد غفرت لكم
واعطيتكم الدرجات العالية
فى الجنة والثانى ان يكون
المراد انهم يوافون بالطاعة
فكانه تعالى قال قد غفرت لكم
لعلمى بانكم تموتون على التوبة

واى ان يكونوا من اهل
او لتوفيقه ايمانه ومثله
هم مساكين او
مهاجرون منه

وامره بالحنث
فى يمينه منه

فذكر حالهم وقت التوبة والانابة
وارادوا التائبين
اى لا يحلف

تابوا فجعل لهم توبة فالمص حمل هذه الاية على القذف على وجه يستلزم الكفر والظاهر انه لابد مع هذا
من ان يجعل الوعيد المذكور فيها مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا
اذا حصلت التوبة عنه صار مغفورا بمقتضى الوعد الالهى وقيل هو حكم كل قاذف عطف على
ما قبله من حيث المعنى كانه قيل هو حكم القاذف استباحة وطعنا وقيل هو حكم كل قاذف ما لم
يتب ولم يرض المص به لان الوعيد المذكور انما يليق بالكفرة ومجرد قذف المحصنة المؤمنة لا
يوجب الكفر وقيل لابن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله تعالى فى الدنيا والاخرة قال ذلك لمن
قذف عائشة رضى الله عنها خاصة وجمع المحصنات الغافلات وان اريدت عائشة وحدها
لان من قذف واحدة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم فكانه قد قذفهن وعن ابن عباس
رضى الله عنهما قال هذه العشر فيمن قذف زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ليس له توبة ومن قذف
مؤمنة جعل الله تعالى له توبة لانه موصوف والمصدر الموصوف لا يعمل لان اعماله يستلزم
الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى وذا لا يجوز وصفة المصدر اجنبى عنه بمعنى انه ليس
معمولا له والوجه فيه ان المصدر عند العمل مؤول بان مع الفعل وان موصول حرفى ومعمول المصدر
فى الحقيقة معمول للفعل الذى هو صلة ان ولا يجوز الفصل بين بعض الصلة وبعضها باجنبى
بانطاق الله تعالى اياها فان البنية ليست بشرط للحيوة فيجوز ان يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد
علما وقدرة وكلاما فى الجسم المركب منه اولى ويحتمل ان لا يكون شهادة الجوارح عليهم
بانطاق الله تعالى اياها بل يكون بظهور اثار ما كانوا عليه كما تشهد فى الدنيا على الحجة باثار رامى
صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع جزاءهم المستحق فان الدين
يستعمل بمعنى الجزاء كقولهم كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى به وانتصاب الحق على انه صفة
للدين فان القدر المستحق من الجزاء موصوف بانه الحق الخبيثات اى الزوانى يتزوجن
الخباث اى الزناة الخبيثين وكذا الخبيثون من الرجال يتزوجون الخبائث كما قال تعالى الزانى
لا ينكح الا زانية فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لا يتزوج الرجل العفيف بزانية والجواب
ما تقدم فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية ولما كان عقد التزوج واقعا بين الاكفاء خباثة و
وطيبا ثبت براءة الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها مما قيل فى حقها وبراءتها
يستلزم براءة صفوان فيكون اول الآية كالدليل على براءة الجميع اذ لو صدق ما قيل فى حقها
لكانت خبيثة غير صالحة لان تكون زوجة لاطيب الطيبين ويحتمل ان لا يكون الخبيثات و
الطيبات بمعنى الزوانى من النساء والعفايف منهن بل يكون بمعنى الاقوال الخبيثة والطيبة
فيكون المعنى الخبيثات من الكلمات تقال او تعد للخبيثين من الرجال وتليق بهم والخبيثون

اى تقال فى حق الخبيثين او
تعدلهم والا تعد الا لهم
منه

من الرجال للخبيثات من الكلمات وعلى عكسه الطيبات من الكلام للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلمات والمعنى ان كل كلام انما يحسن في حق اهله فيضاف سيئ القول الى من يليق به وكذا الطيب من القول وعائشة رضي الله عنها لا تليق بها الخبيثات من الاقوال فلا تصدق فيها لانها طيبة فيضاف اليها الثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج معناه لا يتكلم بالخبيثات من القول الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات منه الا الطيب من الرجال والمقصود ذم من قذف عائشة بالخبث ومدح من وصفها بالطهارة من انس الشيء بمعنى انه استفعال من انس الشيء اذا ابصره مكشوفا فعلم به قال فان آنستم منهم رشدا اي ان علمتم لان الرشد لا يبصر ولهذا قيل في معنى الاية حتى تستأنسوا وتتعرفوا ايؤذن لكم ام لا وطلب العلم بانه هل يؤذن لكم ام لا معناه الاستيذان فلذلك فسر الاستيناس بالاستيذان وقيل انه الاستيناس الذي هو ضد الاستيحاش فان من يأتي باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس ولهذا يقال في جواب القادم المستأذن مرحبا اهلا وسهلا اي وجدت مكانا واسعا واتيت اهلا لا اجانب واصبت مكانا سهلا لا حزنا لتنزل به اسبحانه ونطيب نفسه فيؤول المعنى الى ان يؤذن لكم وهو من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن ويتبعه فوضع موضع الاذن حيث ذكر الاستيناس اللازم واريد الاذن الذي هو الملزوم او تتعرفوا اهل ثمة انسان عطف على قوله حتى تستأنسوا اي تتكلموا او يؤذن لكم اي ويجوز ان يكون الاستيناس من الانس هو الانسان وهو ان يتعرف انه هل ثمة انسان وما قيل من انه لا يلائم المقام اذ يصير المعنى ح ولا تدخلوا ما لم تتعرفوا ان هناك انسانا فاذا تعرفتم ان هناك انسانا فادخلوها سواء اذن لكم ام لا وليس المقصود من الاية هذا فليس بشيء لانه انما يكون المعنى ما ذكره ان لو اقتصر في غاية النهي على قوله حتى تستأنسوا وليس كذلك بل عطف عليه قوله وتسلموا على اهلها ولما جعل غاية النهي مجموع الاستيناس والتسليم بان يقال السلام عليكم اادخل كيف يكون المعنى ما ذكره وهل يقول به عاقل بل يكون المعنى ح لا تدخلوا حتى تتعرفوا انه هل ثمة انسان ثم تسلموا عليه ثم تستأذنوه في الدخول وهو كما قيل السلام قبل الكلام ثم انه اذا اذن له فدخل فعند ذكر يسلم على اهله ثانيا لقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانا امرنا بالسلام بعد الدخول عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلث كما رواه المص بالمرة الاولى يستنصتون وبالثانية يستصلحون وبا

وبالثالثة يأذنون او يردون وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيتا غير بيته صباحا قال حييتم صباحا واذا دخل مساء قال حييتم مساء قال الجوهري الحيوة ضد الموت والحي ضد الميت واحياء الله تعالى فحيي وحيي ايضا والادغام اكثر الى ان قال التحية الملك قال زهير ولكل ما نال الفتى قد نلته الا التحية ويقال حياك الله اي ملكك والتحيات لله قال يعقوب اي الملك لله فان المانع من الدمور وهو الدخول بغير اذن اعلم ان السلام من سنة المسلمين وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودة ونافي للحقد والضغينة روي عنه عليه الصلاة والسلام قال لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له الله يرحمك ربك يا آدم اذهب الى هؤلاء الملائكة وملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذريتك وروي عنه عليه الصلاة قال حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ثم اذا عرض امر في دار من حرق او هجوم سارق او ظهور منكر فيح لا يجب الاستيذان والتسليم فان كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ما قاله الفقهاء من ان الضرورات مستثنى من قواعد الشرع لان الضرورات تبيح المحظورات قال صاحب الكشاف وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك ثم انه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان قال المفسرون لما نزلت اية الاستيذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من اربابها فنزلت فيها متاع لكم اي منفعة من اتقاء الحر والبرد وحفظ السلع ونحو ذلك من منافع المسافرة اي ما يكون نحو محرم يعني ان كلمة من للتبعيض والمراد غض البصر وحفظه عن النظر الى ما لا يحل لهم النظر اليه وان لا ينظر الا الى ما يحل النظر اليه والغض اطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ما حرم النظر اليه بعضا من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ما تعلق بالمحرم بعضا من المبصر وامر بغضه وقال الاخفش كلمة من زائدة ههنا فانه يجوز زيادتها في الاثبات خلافا لسيبويه فانه لا يجوزها ولما كان المستثنى منه اي من الفروج وهو جواب عما يقال لم دخلت كلمة من على الابصار دون الفروج مع ان المأمور حفظ كل واحد منهما عن بعض تعلقا به فاجاب عنه بان المستثنى من البصر كثير فان الرجل يحل له النظر الى جميع اعضاء ازواجه واعضاء ما ملكت يمينه وكذا لا بأس عليه في النظر الى شعور محارمه وصدورهن وثديهن واعضادهن و

وعن ابن عمر رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم ان تستر النار من صدوركم فافشوا السلام عليكم

قال قتادة رحمه الله اذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا احضر فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس رض ربما ياتي باب الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردودا لما روي ان رجلا اطلع على النبي صلى الله عليه وسلم من ستر الحجرة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم مدرا فقال لو علمت ان هذا ينظرني حتى اتيه لطعنت بالمدر في عينه وهل جعل الاستيذان الا من اجل البصر ابن عادل

واسوقهن وارجلهن وكذا من امة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الاجنبية الوجهها وكفيها وقدميها في رواية وفي القدم بخلاف المستثنى من الفرج فانه شيء نادر قليل وهو فرج زوجته وامته فلذلك اطلق حفظ الفرج ولم يقيد بما استثنى عنه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعيض وقيل كل ما في القران من حفظ الفرج فالمراد منه حفظ عن الزنا الا في هاتين الايتين فان المراد به فيهما الستر فلذلك اطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعيض لانه وان جاز للرجل ان ينظر الى جميع بدن زوجته وبدن امته التي يحل له الاستمتاع بها حتى الى فرجها الا انه يكره له النظر الى الفرج بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجهما ذلك اي غض البصر وحفظ الفرج انفع لهم على ان الزكى بمعنى النما والنفع بريد الزنا اي يحمل الناظر على الزنا ويؤدي اليه والبريد البغلة التي تحفظ في الرباط وتهيأ للرسول ليركب عليها وهو تعريب بريده ذنب ثم سمي به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة وزاد الايكي في نهي المؤمنات وراء غض الابصار وحفظ الفروج حكما اخر حيث قال ولا يبدين زينتهن والزينة ما تزينت به المراة من حلى او كحل او ثوب او صبغ فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة وهي ما لا فص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلا باس بابدائه للاجانب بشرط الامن عن الشهوة وما خفي منها كالسوار والدملج وهي حلقة تحملها المراة على عضدها والوشاح والقرط فلا تحل لها ابداؤها الا لهؤلاء المذكورات فيما بعد بقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الاية ولا شك ان اظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المراة ليس منهيا عنه فالمنهي عنه اظهارها وهي في مواضعها لان مواضع الزينة الخفية كالذراع والساق والعضد والراس والعنق والصدر والاذن لا يحل للاجانب النظر اليها مجردة عن هذه الزين فمنها اولى وانما سومح في ابداء الزينة الظاهرة للاجانب حالة الامن عن الاشتهاء لان في تستر عن ابداء مواضعها في الاخذ والاعطاء والمشي في حالة الخروج وتحمل الشهادة عليها من الحرج الذي لا يخفى خصوصا في حق الفقيرات والمواهن وعلى تقدير ان يراد بالزينة مواقعها او ما يعم المحاسن الخلقية التي تحلى الانسان عليها يكون المراد بقوله الا ما ظهر منها الوجه والكفان لانها ليست بعورة ثم قال المصنف والاظهر انها عورة في حق النظر وان لم يكن عورة في الصلوة فالاول لتقسيم الزينة الى الظاهرة والخفية وبيان ان الظاهرة يجوز ابداؤها مطلقا والثاني لبيان من يحل له ابداء الزينة الخفية ومن لا يحل له ذلك وليضربن بخمرهن والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المراة راسها وتستره وما ليس بهذه الصفة فليس بخمار والجيب ما جيب من القميص اي قطع لادخال الراس وضمن يضربن معنى يلقين فعدي

بعلى

قال ابن عباس في مقاتل رحمه الله معنى لا يحضن اللحاب والحمار الا لازواجهن استدعاء لميلهم وتحريكا لشهوتهم ولذلك لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء السلتاء والمرهاء فالسلتاء التي لا تختضب والمرهاء التي لا تكتحل ونقل ذلك لانحراف شهوة الرجال عنها فامر بذلك استدعاء لشهوته ولعن رسول الله صلى الله المسوفة والمفلسة فالمسوفة هي التي اذا دعاها الزوج الى المباشرة قالت سوف افعل والمفلسة هي التي اذا دعاها قالت انا حائض وهي غير حائض

بعلى والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن واعناقهن على الاجانب قيل ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب لينغطي بذلك ما كان ينكشف بسدل خمورهن من خلفهن لانهم في معنى الاخوان من حيث كون الجد سواء كان اب الاب او اب الام في معنى الاب فيكون ابنهما في معنى الاخ وايضا كل من له قرابة المحرمية فابنه يشاركه في المحرمية كالاخ فانه محرم فكذا ابنه وكالاب فانه محرم فكذا ابنه الا العم والخال فانهما محرمان لا ابناؤهما فالاولى للمراة ان تستتر عن اعمامها واخوالها احترازا عن ان يصفوها لابنائهم فيدان تصور الابناء لها بالوصف نظرهم اليها لا يتحرجن اي لا يتاثمن من الحرج بمعنى الاثم فلعلهن يحكين وصف مواضع زين المؤمنات للرجال الاجانب بعضهن من جملة الاثام عند الكافرات احتمال ان يصفنها للاجانب فيكون تصور الاجانب اياها بمنزلة نظرهم اليها بخلاف المؤمنات فانهن يحترزن عن وصف مواضع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهن ان يبدين زينتهن للمؤمنات دون الكافرات هذا قول اكثر السلف قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ما ملكت ايمانهن وكتب عمر الى ابي عبيدة رضي الله عنهما ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات قال الامام قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله او نسائهن جميع النساء وقيل المراد بها الاماء وعبيد المراة كالاجنبي منها خصيا كان او فحلا وهو قول ابي حنيفة وعليه عامة العلماء رحمهم الله واحتجوا عليه بقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تسافر فوق ثلث الا مع ذي رحم محرم والعبد ليس بذي محرم فلا يجوز لها ان تسافر به واذا لم يجز ان تسافر به لم يجز له النظر الى مواضع زينتها الخفية وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه انه قال لا يغرنكم هذه الاية فانها نزلت في الاماء وكذا روي هذا القول عن سعيد بن المسيب فان قيل ما الفائدة في تخصيص الاماء بالذكر بعد قوله او نسائهن فالجواب والله اعلم انه لما قال او نسائهن دل ذلك على ان المراة لا يحل لها ان تبدي زينتها للكافرات سواء كن حرائر او اماء لغيرها او لنفسها فلما قال او ما ملكت ايمانهن مطلقا اي مؤمنات كن او مشركات علم انه يحل للامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت الامة او كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة لامتها الكافرة في احوال استخدامها اياها من الضرورة التي لا تخفى فقال

بغير

فقال ابن

الحرة الكافرة بذلك او التابعين اى او للرجال الذين هم اتباع اهل البيت لا حاجة لهم فى النساء والاربة والارب الحاجة وكذا المأربة وقرئ غير بالخفض نعتا للتابعين وبالنصب على الاستثناء عن التابعين او الحال منهم والمعنى يبدين زينتهن للتابعين الا ذوى الاربة منهم او حال كونهم غير ذوى اربة بخلاف ما لو كانوا ذوى اربة فانهن لا يبدين زينتهن لهم والشيخ الهم بكسر الهاء الشيخ الفانى والممسوخ بالخاء المعجمة هو الذى حولت قواه واعضاؤه عن سلامتها الاصلية الى الحالة المنافية لها المانعة من ان يكون له حاجة فى النساء وان يكون ليس حاجة فيه والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه والمختار ان الخصى والمجبوب والعنين ليسوا من التابعين وانهم فى حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لانهم يشتهون وقيل البله عطف على الشيوخ وههنا قد انتهت الصور التى استثناها الله والظهور على الشىء قد يكون بمعنى الاطلاع عليه كما فى قوله تعالى ان يظهروا عليكم اى يشعروا بكم وقد يكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كما فى قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين قال قتادة كانت المرأة فى الجاهلية تضرب برجليها على الارض ليسمع قعقعة الخلخال فنهيت عن ذلك وقيل كانت احديهن تضرب باحد رجليها على الاخرى ليعلم ان لها خلخالين وهو ابلغ الخ وذلك لانه لما نهى عن اسماع الصوت الدال على وجود الزينة فلان يدل على المنع من اظهار نفس الزينة اولى وفى الآية فائدة اخرى وهى انه اذا كان اسماع صوت خلخالها للاجانب حراما كان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بالطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت وحض الله جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار اما لان العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وان اجتهد فى رعاية تكاليف الله تعالى قال عليه الصلوة والسلام فيما رواه ابن عمر يا ايها الناس توبوا الى ربكم فانى اتوب الى الله تعالى فى كل يوم مائة مرة واما لان المراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فان قيل قد صحت التوبة عنه بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة اجيب عنه بما قال بعض العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر ذلك الذنب ان يجدد التوبة عنه لانه يلزمه ان يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه لانهى اى نهى مبالغة فى الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه عما يفضى الى السفاح المخل بالنسب والنسب لا بد من اعتباره فى بقاء النوع وصلاح العالم لكونه مفضيا للالفة الخ تزويج المولية وهى التى ينفذ فيه تصرف الولى فكل من ولى امرا حد فهو مولية وكذا العاهد مولى او مولية كيتامى جمع يتيم يقال يتم الصبى ييتم يتما
من باب

[وايا]
من باب علم والايامى جمع ايم يقال ام الرجل وآمت المرأة تئيم أيمة فهو أيّم وهى ايم واصل ايامى ايايم كما ان اصل يتامى يتايم تغلبا فقلب مكانه فصار ايامى ويتامى ثم ابدلت من الكسرة فتحة ومن الياء الفا فصار ايامى ويتامى وان كنت افتى هو افعل من الفتاء اى وان كنت احدث منكم سنا او افتكم فى حالتى التزوج والتايم وهذه الشرطية معترضة بين الشرط الاول وجزائه اسبابه لما كان الظاهر ان يكون النكاح بمعنى العقد والتزويج وكان حمله عليه يقتضى التقدير المضاف بناء على انه لا معنى لوجدان نفس العقد وعدم وجدانه حمله على معنى العقد اولا وقدر المضاف ثم قال ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب كالفوم لما يفام به واللجام لما يلجم به والحزام لما يحزم به فلا حاجة الى تقدير المضاف او بالوجدان التمكن منه فانه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء هو غير واجد للماء وان كان موجودا معاينا فيكون النكاح بمعنى العقد من غير حاجة الى تقدير المضاف لان الربط المعنوى وان لم يصح ان يوصف بالوجدان الا انه يصح ان يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى الذين لا يتمكنون من النكاح المكاتبة يعنى ان الكتاب مصدر كالمكاتبة والمعنى والذين يطلبون المكاتبة يقال كاتب عبده كتابا ومكاتبة اذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة فيعتق اذا ادى الجميع ومعنى صيغة المفاعلة فى هذا العقد ان المولى يكتب على نفسه ان يعتق المكاتب اذا ادى البدل ويكتب العبد على نفسه ان يؤدى البدل من غير اخلال او ان المولى يكتب على عبده اداء المال والعبد يكتب على مولاه العتق عند الاداء فلهذا سمى هذا العقد كتابة احد امرين الكتاب فان كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه امرا وايضا بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبا او من الكتب بمعنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للعسكر وسمى العقد بذلك لانها تضم النجوم بعضها الى بعض وتضم مال المكاتب الى ماله نفسه فان عقد الكتابة لا يجوز على اقل من نجمين عند الشافعى وقال ابو حنيفة رضى الله عنهما يجوز الكتابة على نجم واحد لان ظاهر قوله تعالى فكاتبوهم ليس فيه تقييد والامر فيه للندب يعنى قوله تعالى فكاتبوهم امر استحباب عند اكثر الفقهاء واليه ذهب مالك وابو حنيفة والشافعى رضى الله عنهم واحتجوا عليه بقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة من نفسه ولا يجوز الا عن طيب نفس منه وقال بعضهم هو امر ايجاب فيجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا وان سأله بدون قيمته لم يجب عليه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها فانها نزلت فى غلام سأل مولاه ان يكاتبه فابى عليه فنزلت الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا واصحاب الحنفية لا يجوز الكتابة

الحالة عند الشافعي ويجوز عند ابي حنيفة وجه قول الشافعي ان العبد ليس له ملك يؤديه في الحال
واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه في الحال فاذا عجز عن الاداء يرد الى الرق فلا يحصل
مقصود العقد لما لو اسلم في شيء لا يوجد في المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز لانه
لا يتصور ان يكون له ملك في الباطن فلا يتحقق العجز عن الاداء ووجه قول ابي حنيفة رحمه الله
ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلق يتناول الكتابة الحالة والمؤجلة وايضا فانهم اجمعوا على جواز العتق
معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق في الحالين الا ان في احدهما العتق معلق
على شرط الاداء وفي الاخرى منجز فوجب ان لا يختلف حكمهما   امانة وقدرة على اداء المال قال
الشافعي اراد بالخير الامانة والقوة على الكسب لان مقصود الكتابة قلما يحصل الا بهما فانه ينبغي ان
يكون المكاتب كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرفه في نجومه ولا يضيعه فاذا فقد الشرطان
او احدهما لا استحباب بكتابته روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال ان علمتم لهم حرفة ولا
فلا تدعوهم كلا على الناس ومن حمل الخير على المال ضعيف اي من جهة اللفظ فلانه لو اريد ذلك لقيل
ان علمتم لهم خيرا لانه انما يقال لفلان مال لا يقال فيه مال واما من جهة المعنى فلان العبد
لا مال له فان كل ما في يده حين يكاتب فهو لسيده اكتسبه العبد في حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة
عن كسبه فلا يجوز للسيد ان يعوض بعض ماله ببعض واما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة
فانه مال تخلص به بدلا   وهو شرط الامر اي علم المولى فيهم خيرا شرط لاستحباب العقد
المستفاد من قوله تعالى فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز
وقيل حط شيء من مال الكتابة يعني انه تعالى امر الموالي ان يبذلوا للمكاتبين شيئا من
اموالهم المملوكة لهم الا ان الشافعي رحمه الله ذهب الى ان معنى الاية حطوا عنهم شيئا من بدل
الكتابة ما اخذتم ربعا فما دونه وجعل حط ذلك في معنى بذل شيء من ماله ولا يخلو عن بعد لان
الايتاء هو الاعطاء والتمليك المطلق فلا يقع على الحط لان بدل الكتابة ليس في حكم المال
المطلق الذي اتاه الله المولى وبدل الكتابة ليس بدين صحيح لانه دين له على عبده والمولى
لا يثبت له دين صحيح على عبده حتى يكون حطه عنه اعطاء وتمليكا له فالظاهر بناء على انه امر
للموالي بان يدفعوا اليهم شيئا مما اخذوه منهم او هو امر لعامة المسلمين بان يعطوهم
سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات في قوله تعالى وفي الرقاب ونقل الامام عن الشافعي
انه قال يجب على المولى ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزءا من مال الكتابة او يدفع اليه
جزءا مما اخذ منه وقال مالك وابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم انه مندوب اليه وليس بواجب
شرط للاكراه يعني ان ارادة التحصن شرط للاكراه لان الاكراه لا يتصور الا عند

ارادة التحصن فانهن ان لم يردن التحصن لكان زناهن بالطوع لا بالاكراه وان جعلت
الارادة المذكورة شرط النهي يتوهم انه اذا انتفت الارادة ارتفع النهي وارتفاعه يستلزم جواز
الاكراه وليس كذلك لان ارتفاع النهي انما يستلزم جواز الاكراه ان لو كان الاكراه متصورا حال
انتفاء الارادة ولا شك انه لا يتصور اكراه الطائعة على الزنا فثبت ان عدم الارادة لا يستلزم
جواز الاكراه والحاصل ان اكراههن على الزنا حرام حال ارادتهن التحصن وفي غير حال ارادتهن
التحصن وقوله ان اردن تحصنا ليس المقصود منه تقييد النهي بل المقصود منه تعيير المخاطبين
وتوبيخهم بان الاماء اذا رغبن في التحصن فانتم احق بذلك مع ما فيه من الاشارة الى تقبيح
حالهن ايضا لكونهن راغبات في الزنا مائلات الى البغاء حيث اتى بكلمة ان دون اذا 2
ولذلك حرم على المكره القتل وفي الهداية وان اكره على قتل غيره لم يسعه ان يقدم
عليه ويصبر حتى يقتل فان قتله كان آثما لان قتل المسلم لا يستباح لضرورة ما فكذا لهذه
الضرورة والقصاص على المكره عند ابي حنيفة ومحمد وقال الشافعي يجب عليهما وقال
زفر يجب على المكره ثم الاكراه انما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس فاما
باليسير من التخويف فلا يصير مكرها   واوضحت هذه الاحكام لما كان المبين احكام ايات
هذه السورة الكريمة ووصفت الايات بكونها مبينات اشارة الى ان اصل الكلام مبينا فيها
فاتسع في الظرف بان حذف حرف الجر واجري المجرور مجرى المفعول به وقوله ومثلا عطف على
ايات اي وانزلنا مثلا من امثال الذين مضوا من قبلكم اي قصة عجيبة من جنس قصصهم
فان قصة عائشة رضي الله عنها كقصة يوسف ومريم في الغرابة فان في قصتهما ذكر تهمة من
هو بريء مما اتهم به فيوسف عليه الصلوة والسلام اتهمته زليخا ومريم رضي الله عنها اتهمها
اليهود مع براءتهما وقيل المراد بالايات القران قال الامام انه تعالى لما ذكر في هذه السورة هذه
الاحكام ختم الكلام في الاحكام بهذه الاية ووصف القران بصفات القران ثلاث احدها
قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات اي مفصلات وثانيها قوله ومثلا من الذين خلوا
من قبلكم ثم روي عن الضحاك انه قال يريد بالمثل ما ذكر في التورية والانجيل من اقامة
الحدود فانزل في القران مثله وروي عن مقاتل انه قال قوله مثلا اي شبها من حالهم بحالكم
في تكذيب الرسل يعني بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمردهم على الله فجعلنا ذلك مثلا
لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب وثالثها قوله
وموعظة للمتقين والمراد به الوعيد والتحذير من فعل المعاصي ثم انه تعالى لما وصف نفسه
بانه انزل ايات مبينات وامام دلائل واضحات وقصة عجيبة من جنس قصص من قبلنا

والايراد دليل على بطلان الحجة لانهم كانوا يكرهون اماءهم ان يؤاجرن انفسهن للزنا ابتغاء للاجر وقد يعدا عنه ورتب المنعة الا ذكر

فانه لم يرد التحصن لم يكن كارهة للزنا ولم يكن غير كارهة للزنا اكراهها فيمتنع الاكراه في نفس

متضمنة لمواعظ ينتفع بها المتقون عقبه بقوله الله نور السموات والارض اى مظهرها من العدم الى
الوجود فان معنى النور فى اللغة الضياء وهو الذى يبين الاشياء ويظهرها للابصار واعلم
ان النور على اربعة اوجه اولها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كنور الشمس وامثالها فانه
يظهر الاشياء المخفية فى الظلمة ولا يراها وثانيها نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكنه
يراها وهذا النور اشرف من الاول وثالثها نور العقل وهو يظهر الاشياء المعقولة المخفية فى ظلمة
الجهل للبصائر وهو يدركها ويراها ورابعها نور الحق تعالى وهو يظهر الاشياء المعدومة المخفية فى العدم
للابصار من الملكوت وهو يراها فى الوجود كما كان يراها فى العدم لانها موجودة فى علم الله تعالى وان
كانت معدومة فى ذواتها فما يتغير علم الله تعالى ورؤيته باظهارها فى الوجود بل كان التغير راجعا
الى ذوات الاشياء وصفاتها عند الايجاد والتكوين فقوله تعالى الله نور السموات والارض معناه
والله تعالى اعلم انه مظهرها وموجدها من العدم بكمال القدرة الازلية كما حققه المص بقوله فان
النور ظاهر بذاته مظهر لغيره الخ وذكر وجوها اخر فى تاويل الاية وعلى كل تاويل تكون هذه الاية
كالتعليل لما قبلها وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى ضرورة ان حدوث الاجسام
بأسرها يستلزم حدوث الكيفيات والاعراض القائمة بها فكيف يصح اطلاق الكيفية عليه تعالى و
القول بكونه تعالى حالا فى الاجسام مما يحكم بداهة العقل باستحالته فان القائم بالغير يحتاج اليه
والمحتاج الى الغير كيف يكون الها ولما ثبت فى الشرع اطلاق اسم النور عليه تعالى وانه من جملة
اسماء الحسنى خاض النحارير من العلماء فى توجيه اطلاقه عليه تعالى وجاء كل واحد منهم بما
فى وسعه وطاقته واشار المص الى ما ذكروه من الوجوه بحصول الجمع انه تعالى ليس فى ذاته
نورا وانما يطلق عليه اسم النور اما بتقدير المضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز
وذكر فيه وجوها فاندفع به ما يقال من ان قوله تعالى نور السموات يقتضى ظاهره انه تعالى فى ذاته
نور وقوله مثل نوره يقتضى ان لا يكون هو فى ذاته نورا بل يكون امرا مغايرا له مضافا اليه فبينهما
تناقض فقوله تعالى الله نور بمعنى صاحب النور او من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة على
معنى انه منور لكل مستنير بحيث كانه عين نوره بمعنى تنويره انه تعالى نور العالم بالانوار
الفائضة من الكواكب او انه تعالى نور العالم العلوى بالملائكة والعالم السفلى بالانبياء عليهم
الصلوة والسلام بناء على تشبيه الملائكة والانبياء بالنور بمعنى الكيفية المدركة اولا فى كونهما
سببى الادراك فان الكيفية المذكورة انما اختصت بالفضيلة والشرف بسبب كون المرئيات
ظاهرة منجلية بسببها وشاركها فى هذه الفضيلة اشياء اخر منها البصر وهو العين الظاهرة
المدركة للاضواء والالوان ومنها البصيرة وهى القوة العاقلة التى تدرك نفسها وغيرها من

وما خلقناهما باطلا بل خلقناهما
ليكلف المكلفين بما هو الحق
من العقائد والاعمال ويجازيهم
على حسب اطاعتهم وعصيانهم
والتكليف انما يكون بانزال
الآيات وتبليغ الرسل منه

من الكليات والجزئيات ولما كان كل واحدة من القوة الحساسة والعاقلة مشابها
للكيفية المذكورة فى كونها سببا للادراك صح اطلاق اسم النور عليه مجازا ومنها القران
العظيم والملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام فان القوة العاقلة قد يعتريها الزيغ و
الخلل فى العلوم النظرية فلا بد لها من هاد ومرشد فوق كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء
فالآيات القرانية بالنسبة الى عين القلب بمنزلة نور الشمس بالنسبة الى الباصرة فلذلك
سمى القران نورا فى قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقوله تعالى وانزلنا
اليكم نورا مبينا ونفوس الانبياء عليهم الصلوة والسلام ايضا بمنزلة نور الشمس فكما ان
الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبى صلى الله عليه
وسلم تفيد الانوار العقلية لساير النفوس البشرية ولا يستفيد النور العقلى من شىء من
الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بانه سراج منير وقد ثبت
وقد ثبت ان الانوار الحاصلة فى ارواح الانبياء مقتبسة من الانوار الحاصلة فى ارواح
الملائكة قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل
به الروح الامين على قلبك وقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى علمه شديد
القوى وقال تعالى ان هو الا وحى يوحى والوحى لا يكون الا بواسطة الملائكة فلما كان ارواح الملائكة
كالمعادن لانوار عقول الانبياء كانت ارواحهم بمنزلة الانوار ايضا واقوى من عقول الانبياء
ثم ارجع قول المص انه تعالى منور السموات والارض بالملائكة والانبياء فانهما انوار عقلية
اى بالنسبة الى القوة العاقلة او مدبرها بان يشبه التدبير الحسن بالنور فى كون كل واحد
منهما سببا للاهتداء الى المصالح على سبيل الاستعارة التصريحية فاطلق النور بهذا المعنى عليه
تعالى على طريق التوضيح بالمصدر للمبالغة او موجدها على ان يكون قولنا الله نورها من باب
التشبيه البليغ اى كالنور بالنسبة اليها من حيث كونه مظهرا لها اى موجدا فان اصل الظهور
هو الظهور من العدم الى الوجود فان الاعيان الثابتة فى علم الله تعالى خفية فى ظلمة العدم
وانما يظهر بتاثير قدرته تعالى او الذى به تدرك على ان يكون المراد انه تعالى نور بالنسبة
الى نفس السموات والارض وقوله او يدرك اهلها على ان يكون تقدير الكلام الله نور اهل السموات وعلى
التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البليغ ايضا حيث شبه تعالى بالنور بمعنى الكيفية
من حيث انه تعالى سبب لادراك السموات والارض بالباصرة ولادراك ما فيها من وجوه الدلالة
على وجود الصانع ذى الجلال والاكرام بالبصيرة وذلك لان هذه الادراكات ليست مقتضى ذات
البصيرة والباصرة والا لما فارقتها بل هى مستندة الى سبب خارج عن ذاتهما يفيض تلك

الادراكات عليها وهو سبحانه وتعالى فنور الذي به تُدرَك او به يدرك اهلها فشابه النور بمعنى الكيفية
قيل على سبيل التشبيه البليغ الله نور   من حيث انه يطلق على الباصرة الحاسة استشهاد على
اطلاق النور على ما يكون سبب الادراك كالبصيرة والباصرة وان جاز ان يكون اطلاق
النور على الباصرة لكونه متعلقة بالنور ومدركة له اولا وبالذات ثم انه لما يتبين ان البصيرة
تشارك النور في توقف الادراك المرتب على البصيرة اقوى من الادراك المرتب على الباصرة
فلما كان وجه التشبيه بينها وبين النور اقوى كان اطلاق لفظ النور عليها اقرب واولى فان
القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها ايضا اما انها لا تدرك نفسها
ولا ادراكها فلانهما ليسا من المبصرات بالعين واما انها لا تدرك آلتها هي العين فلان القوة
الباصرة التي هي في العين لا تدرك نفس العين بخلاف القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك
ادراكها ادراكا حضوريا لا انفعاليا وتدرك آلتها وهي القلب او الدماغ وايضا القوة
العاقلة تدرك الكليات والجزئيات الموجودة والمعدومة والقوة الباصرة لا تدرك
الا الجزئيات الموجودة وايضا القوة العاقلة تدرك ظواهر الاشياء وبواطنها بخلاف
القوة الحسية فانها لا تدرك من الانسان مثلا الا السطح الظاهر من جسمه والا اللون القائم
بذلك السطح بالاتفاق وليس الانسان عبارة عن مجرد السطح واللون فالقوة الباصرة
وان كانت بالنسبة الى الظواهر نورا الا انها بالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوة العاقلة
اشرف من الباصرة من هذا الوجه ايضا القوة العاقلة تتصرف في بواطن مدركاتها
بالتركيب والتحليل فانها تضم الجنس الى الفصل فيتحد منها طبيعة نوعية مركبة منهما او
تحلل تلك الطبيعة الواحدة الى مقوماتها والى عوارضها اللازمة والمفارقة ثم تحلل مقوماتها
الى الجنس وجنس الجنس والفصل وجنس الفصل وفصل الجنس الى غير ذلك والقوة الباصرة
عاجزة عن النفوذ في بواطن الماهيات سواء عامتها   ويقرب منه ما روي في قوله الله نور
معناه انه الذي به تدرك السموات والارض فانه لما كان معنى قوله الله نور السموات والارض
انه تعالى به تدرك او يدرك اهلها على معنى انه تعالى به يحصل للمكلفين من العلوم والمعارف ما
يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال وورطات الزيغ والجهالات بوحي ينزله
ونبي يبلغه وهو قريب من قول ابن عباس رضي الله عنه معنى كونه تعالى نور السموات والارض انه
هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون قال المص ويقرب منه الى قوله هنا شبهت الهداية بالنور
لكونها سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم اطلق النور
بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل   واضافته اليهما مع ان كونه تعالى نورا باق

فقوله لتعلقه بها به لا دخل له في الاستشهاد وانما ذكر تتميما للفائدة

قوله ولذلك سمي كل واحد من الباصرة والبصيرة وذاته تعالى نورا تسمية مجازية من حيث توقف الادراك على كل واحد منها

باق بمعنى كان ليس بالاضافة اليهما فقط فانه تعالى صاحب نور جميع المنيرات ومنورها
ومدبرها وموجدها   لم يكن على ظاهره وهو قوله انه تعالى في ذاته نور بل هو مأول باحد التأويلات
المذكورة   كمشكاة اشارة الى ان ثمة مضافا محذوفا اي كنور مشكاة وهو خبر لقوله
مثل نوره وهذه الجملة الاسمية تفسير لما قبلها فلا محل لها وقوله تعالى فيها مصباح صفة
لمشكاة وقوله تعالى دري قرأ ابو عمرو والكسائي بكسر الدال وياء بعدها همزة وهو بناء
كثير يوجد في الاسماء نحو سكين وفي الصفات نحو سكير وفسيق من الدرء بمعنى الدفع وقرأ
حمزة وابو بكر عن عاصم بضم الدال وياء بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد الياء
من غير همزة والمعنى انه يشبه الدر لصفائه ولمعانه ويحتمل ان يكون منسوبا بان يكون الياء
الاخيرة منقلبة من الهمزة الاصلية ويكون اصله دُرّيء على وزن فعيل كمريق وهو حب
العصفر وهو القرطم   وقد قرئ به مقلوبا اي وقد قرئ بكسر الدال وقلب الهمزة ياء
توقد على وزن تفعل فعلا ماضيا مستترا الضمير يعود على المصباح ولا يعود على
الكوكب لفساد المعنى وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو والتوقد والاشتعال ومن في قوله من
شجرة لابتداء الغاية وثمة مضاف محذوف اي من زيت شجرة والذبالة الفتيلة وقوله
زيتونة بدل من شجرة قيل شجرة الزيتون اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقد بارك فيها
سبعون نبيا منهم الخليل عليه الصلاة والسلام   وقرأ نافع وابن عامر وحفص يوقد
بضم الياء من تحت وفتح القاف على بناء المفعول من اوقد والضمير المستتر فيه يعود على
المصباح وقرأ باقي السبعة كذلك الا انه بالتاء من فوق والضمير المستتر فيه القائم مقام
الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اي توقد مصباح الزجاجة   وقرئ توقد
بضم التاء من فوق وضم الدال ايضا على انه مضارع توقد واصله تتوقد بتائين فحذفت
احديهما والضمير ايضا للزجاجة   ويوقد بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد واصله
يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذف التاء من فوق وهذا الحذف شاذ غريب اذ لم
يوجد مثلان ولم يبق في اللفظ ما يدل على المحذوف بخلاف نحو تنزل وتلظى فان فيه تائين
والباقي منهما يدل على المحذوف   لا شرقية صفة لشجرة ودخلت لا لتفيد النفي وقرئ
لا شرقية بالرفع على اضمار مبتدأ اي لا هي شرقية والجملة ايضا في محل الجر على انها صفة لشجرة
وكذا قوله تعالى يكاد زيتها يضيء وجواب قوله ولو لم تمسسه نار محذوف اي لاضاء حذف لدلالة
ما قبله عليه والجملة حالية جيء بها لاستقصاء الاحوال حتى في هذه الحال   ومقنأة
المقنأة والمقنؤة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس هذا قول ابي عمرو وقال غيره مقناة

وان في ذا ما عطف وهذا مذهب الكوفيين ونجم ... صح

اي لا شرقية فقط ولا غربية فقط بان كانت في الجانب الشرقي او الغربي من الجبل ان شاء ... صح

ومعنوية بغير هو نقيض المضيء يقال ضحيت للشمس بكسر الحاء ضحًا بالمد إذا برزت لها وضحيت بالفتح مثله والمستقبل أضحى في اللغتين جميعا قال بعد وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى   نور على نور أي فكأن نيرها نور على نور يعني نور المصباح على نور الزجاجة أو نور النار ونور المصباح ونور الزجاجة أو قوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف أي النور الذي شبه به نور الله نور على نور واعلم أن الأمور التي اعتبرها الله تعالى في هذا المثال مما يوجب كمال الضوء فأولها أن المصباح إذا لم يكن في المشكاة تفرقت أشعته وأما إذا وضع في المشكاة اجتمعت أشعته فكانت أشد إنارة والذي يحقق ذلك أن المصباح إذا كان في بيت صغير فإنه يظهر من ضوئه أكثر مما إذا كان في البيت الكبير وثانيها أن المصباح إذا في زجاجة صافية فإن الأشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة إلى البعض لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية وبسبب ذلك يزداد الضوء والنور والذي يحقق ذلك أن شعاع الشمس إذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى إنه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فإذا انعكست تلك الأشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة إلى الجانب الآخر كثرت الأنوار والأضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها أن ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به فإذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالة خلاف حالة إذا كان كدرا ورابعها أن هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فإذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى أنها كانت بارزة للشمس في كل أحوالها يكون زيتونها أشد نضجا فكان زيته أكثر صفاء فإذا اجتمعت هذه الأربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح أن يجعل مثلا لنور الله تعالى

الثاني أنه تمثيل للهدى اعلم أنه لا بد في التشبيه من أمرين المشبه والمشبه به واختلف أهل النظر في أن المشبه ههنا أي شيء هو وذكروا وجوها أحدها وهو قول جمهور المتكلمين أن المراد به الهدى التي هي الآيات البينات والمعنى أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت بذلك بمنزلة المشكاة تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء أو أن هدايته من حيث إنها في غاية الظهور والجلاء ولكنها محفوفة بظلمات أوهام الناس بمنزلة المصباح الموصوف فإنه مع كونه في غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة فإن قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير أجيب بأنه سبحانه وتعالى أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح في وسط الظلمة لأن الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم إنما هي الشبهات التي هي كالظلمات فهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق وأوقع   وإنما وصف

وقد قيل إن الهداية في [illegible] بالنسبة [illegible] إلى المطلوب

وإنما وصف الكاف بالمشكاة مع أن المشبه به هو المصباح نحو الكاف أن تدخل عليه أجاب بأن المشكاة لما كانت مشتملة على المصباح كان دخول الكاف على المشكاة بمنزلة دخولها على المصباح ولهذا قال بعضهم هذه الآية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح في مشكاة لأن المشبه به لنوره تعالى هو الذي يكون معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة   أو تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن وهو نور الإيمان والعلوم المتعلقة بمعاني آيات الله تعالى ومعرفة المبدأ والمعاد والشرائع وهذا النور وإن كان محله قلب المؤمن إلا أنه نور الله من حيث إنه تعالى هو الذي نور به قلبه والمقصود من التمثيل بيان أن إيمان المؤمن وما في قلبه من المعارف والعلوم قد بلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المنعوتة

أو تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة ذكر الإمام الغزالي أن القوى الدراكة أنوار من حيث إنها تظهر بها أصناف الموجودات وأن مراتب القوى المدركة الإنسانية خمس أحدها القوة الحساسة وهي التي تتلقى ما يورده الحواس الخمس وتسمى الحس المشترك و ثانيها القوة الخيالية التي تحفظ صورة تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية التي فوقها عند الحاجة إليه وثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعها القوة الفكرية وهي التي تأخذ المعارف العقلية فتؤلفها تأليفا فتستنتج من تأليفها إياها علما بالمجهول وخامسها القوة القدسية التي تختص بها الأنبياء وبعض الأولياء وتتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملك والملكوت وإليه الإشارة بقوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالأمور التي ذكرها الله تعالى وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فشبه الله تعالى القوة الحساسة بالمشكاة من حيث إن محلها أي مأخذها ارتسم فيها من الصور كالكوى فإن الحس المشترك إنما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والأذنين والمنخرين والفم و كل واحدة من تلك الثقب يشبه كوة غير نافذة وهي المشكاة   ووجهها إلى الظاهر أو وجه القوة الحساسة إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها نفسها وإنما تدرك ما هو قدامها كالكوة لا تنظر إلى ما وراءها لكونها غير نافذة وأيضا إضاءتها ليست بنفس بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة التي لا تضيء بالذات بل بواسطة ما وضع فيها من المصباح وشبه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث إنها تقبل صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الأنوار الحسية من الجوانب ومن حيث إنها تضبط الأنوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الأنوار الحسية عن الانطفاء والزوال ومن حيث إنها تشتبه بما تشتمل عليها من المعقولات كما تستنير

الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوة العقلية بالمصباح لاضاءتها بالادراكات والمعارف كما
تضيء المصباح بالانوار الحسية وشبه القوة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدي الى نتايج
كثيرة هي بمنزلة ثمرات الشجرة فان المفكرة تستنتج نتايج هي ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات بذورا
لامثالها حتى تؤدي الى ثمرات لا نهاية لها فبالحري ان تكون مثالا من هذا العالم هي الشجرة المباركة الكثيرة
النفع والزيتونة المثمرة عطف على بالشجرة المباركة الاول توضيح لكون المفكرة كالشجرة المباركة
والثاني توضيح لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتونة لا افضلية على سائر الاشجار من حيث ان لب
ثمرتها هو الزيت الذي له منافع كثيرة من اجلها اشتغاله مادة المصابيح والانوار الحسية وله من بين
سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان فلذلك اذا ابدل قوله زيتونة من قوله
شجرة مباركة زيادة تفخيم لشان الشجرة التي لا تكون شرقية ولا غربية صفة لقوله
والمفكرة ولما اعتبر في جانب المشبه به كونه لا شرقية ولا غربية تعرض لكونه معتبرا في جانب
المشبه به ايضا لبيان المشابهة من هذا الوجه فان القوة المفكرة لما كانت مجردة عن اللواحق
الجسمية لم تكن شرقية ولا غربية فلذلك شبهت بشجرة لا شرقية ولا غربية او لوقوعها بين
الصور والمعاني علة ثانية لكون المفكرة لا شرقية ولا غربية ولما لم يكن اشتغالها مختصا بجانب
الصور ولا بجانب المعاني شبهت بشجرة لا شرقية فقط ولا غربية فقط والموجودات الخارجية
لما كانت متحققة بالاصالة وكانت المعاني بحسب الاغلب منتزعة منها بافاضة الفاعل المختار
اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات شتى كان جانب الصور شبه
بكونه شرقيا وجانب المعاني بكونه غربيا وشبه القوة القدسية بالزيت الذي يكاد يضيء ولو لم
تمسسه نار فان القوة القدسية لكمال صفائها وشدة استعدادها لا تحتاج الى معلم وتنبه
في الاستنارة بالعلوم والمعارف ولما كانت هذه القوى مترتبة حيث كان الحس كالمقدمة للخيال
والخيال كالمقدمة للعقل ناسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح //
او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك اي بما ذكر في الآية من المشكاة وغيرها كما ذهب اليه
ابو علي بن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة الاولى
مرتبة الاستعداد لحصول الكمال والثانية مرتبة حصول الكمال ثم ان الاستعداد على ثلث مراتب
اضعفها مرتبة الاستعداد المحض والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد
المتوسط يحصل عند حصول المعقولات الاول وتمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى
المطالب النظرية والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوي هو استعداد
استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس في هذه

في هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى في مرتبة الكمال وهي مرتبة حصول المطالب ومشاهدتها
بالفعل بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الاسامي على القوى في هذه المراتب ايضا ثم ان حصول
المطالب من المبادي الاول ان كان بترتيبها والانتقال من بعضها الى البعض بطريق الحركة
في الكيف يسمى تحصيلها بهذا الطريق فكرا وان لم يكن بطريق الترتيب والانتقال من بعضها
الى البعض يسمى حدسا وهذه المراتب يصح اطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل الى
ظهور المدركات والقوة العقلية في مرتبة العقل الهيولاني شبيهة بالمشكاة الخالية بدء الامر
عن الانوار الحسية المستعدة للاستنارة بها وفي مرتبة العقل بالملكة شبيهة بالزجاجة
المتلألئة في نفسها الشبيهة بالكوكب الدري القابلة للانوار الفائضة عليها من النير
الخارجي وقد مر ان القوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه
بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنها منه بطريق الاول بتمكن
الزجاجة من التوقد من شجرة الزيتون فان توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج الى
تكلف واعمال مثل ان يعصر زيتونها ويستخرج زيتها وتروى الفتيلة بزيتها فكذا تحصيل
المطالب بطريق الفكر فان النفس تحتاج فيه الى مزاولة الفكر والاعمال فكان قوله توقد
من شجرة مباركة زيتونة اشارة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر
بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتون والزيت في قوله زيتها اشارة الى تشبيه تمكنها بطريق
الحدس بتوقد الزجاجة من الزيت ثم ان القوة النفسانية المتمكنة من الاستحصال اذا
قويت وبلغت في صفائها عن الكدورات الطبيعية الى غاية اللطافة تكون استفاضتها من
عالم الغيب في غاية القوة والكمال حتى تكاد تعلم وان لم تتصل بملك الوحي والالهام فكان قوله
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة
قدسية بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها الى ان تمس النار زيتها بل تشتعل بمجرد صفاء
الزيت الحاصل منها فظهر بما قررنا ان للقوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات
ثلث اعتبارات تمكنها منه بطريق الفكر وبطريق الحدس وبالقوة القدسية وشبهت
بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجرة وبالاعتبار الثاني بالزجاجة المتوقدة بالزيت
الذي مسته النار وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها الى ان تتصل
زيتها بالنار ثم انها شبهت في مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذي اشتعلت فتيلته //
المشبعة من الزيت بمماسة النار اياها فان المدركات النظرية في هذه المرتبة وان لم تكن
بحيث تشاهدها النفس بالفعل الا انها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لا تحتاج //

في استحضارها الى تجشم كسب جديد فصح تشبيهها في هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت
في مرتبة العقل المستفاد بالنور المتضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية
بالفعل وصارت مشاهدة اياها حصل لها نور على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال
منها الى النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام انه تعالى مثل نوره الذي اعطاه الانسان
المكرم اعني النور المعنوي الذي هو مراتب النفس الانسانية من بداية الاستكمال الى نهايته
وقواها الفائضة عليها وهي القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكره من المشكاة و
الزجاجة والشجرة الزيتونة والزيت الذي مسته النار والزيت الذي يكاد يضيء من غير ان
تمسه النار والمصباح ونور على نور وظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور في الاية
متعلق بما قبله اي صفة المشكاة فيتعلق بمحذوف او متعلق بقوله يوقد وما كان وردان يقال
المقصود من التمثيل تفخيم شان نور الله تعالى من حيث الوضوح والجلاء بتشبيهه بما هو في غاية
الانارة فلا بد ان يكون لكل واحد من القيود المعتبرة في المشبه به مدخل في ذلك ولا مدخل
لكون المشكاة المعنوية في المساجد ولا لكون المصباح الكائن فيها يوقد في المساجد في زيادة
المصباح المذكور انارة واضاءة فما فائدة في اعتباره في جانب المشبه به اشار الى
دفعه بقوله فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان اصل التحسين قد حصل
بباقي القيود المذكورة وباعتبار كونها في المساجد يحصل المبالغة في التحسين وفي الصحاح
تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه قوله او تمثيلا عطف على تحبيرا مبني على ان يكون المشبه نور
المؤمن فانه لما اعتبر في جانب المشبه به كون المشكاة التي فيها المصباح واقعة في [illegible]
لزم ان يعتبر في جانب المشبه ايضا كون القلب المنور واقعا فيما يشبه المساجد وهو اما
صلوته او بدنه فان كل واحد من الصلوة والبدن لما كان محلا لانواع العبادات شابه المسجد
كانه قيل مثل ما نور الله تعالى به قلب المؤمن وهو في الصلوة او قلبه الموضوع في بدنه كمثل المشكاة
المعنوية فيكون التشبيه متعرضا لتشبيه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح الموضوع
وصلوته او بدنه بالمسجد   ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة جواب عما يقال كيف يجوز
ان يقال قوله في بيوت صفة مشكاة وهي واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون في بيوت وحاصل
الجواب ان التنوين في قوله كمشكاة وقوله فيها مصباح وقوله في زجاجة وقوله كانها كوكب دري
للنوعية لا للفردية   وفيها تكرير جواب عما يقال لا وجه لكون قوله في بيوت متعلقا بالفعل
المذكور بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حينئذ في بيوت اذن الله تعالى يسبح له فيها فيكون قوله فيها
تكريرا بلا فائدة فاجاب عنه بان التكرير لاجل التاكيد كقولك   او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت

والعقل الفعال خزانة
النفس الناطقة فان
العلوم التي تحصل لها اولا
البشرية انما تحصل بما
هو مسمى بالعقل الفعال
عند ابن سينا منه

٥٤٣

في بيوت وهذه الجملة مرتبة على قوله الله نور السموات اي الله نور السموات فسبحوه في بيوت الا انه
نكره الفاء للعلم به كما يقال قم يدعوك والمراد قم فانه يدعوك   والمراد بها المساجد
اي لا مطلق البيوت لان المراد بالاذن الامر وفي البيوت ما لم يامر الله تعالى بان يرفع سواء كان الرفع
بمعنى البناء كما في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد او بمعنى التعظيم ورفع القدر بذكر اسم الله تعالى فيها
وتنزيهها عن الاقذار والامور الدنيوية وايضا فيها ما لم يامر الله تعالى بان يذكر فيه اسمه فهذه
الاوصاف انما تليق بالمساجد اي مسجد كان وتخصيصها بالمساجد الثلثة المسجد الحرام الذي بناها
ابرهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام ومسجد بيت المقدس الذي بناه داود وسليمان
عليهما الصلوة والسلام ومسجد المدينة الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشمل المسجد
الذي فيه الروضة المنورة ومسجد قباء الذي اسس على التقوى تخصيص بلا دليل   والغدو
مصدر يقال غدا يغدو غدوا اي دخل وقت الغدوة وهي ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس
والمصدر لا يقع فيه الفعل فلا بد من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه فقوله تعالى يسبح له بالغدو معناه
قبل [illegible] طلوع الشمس اي وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر واما الاصال
فهو اسم للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب كشريف واشراف ويجمع الاصيل
ايضا على أصل وآصال واصائل   وقرا ابن عامر وعاصم اي برواية ابي بكر عنه فانه يقرا
على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كباقي السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلثة
اعني له وفيها وبالغدو ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر لانه لما قيل يسبح
له فيها فكانه قيل من يسبحه فقيل رجال اي يسبحه رجال كما في قوله وليبك يزيد ضارع
لخصومة كانه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان جمع التكسير
يعامل به معاملة المؤنث في بعض الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على اسناد الفعل
الى الاوقات المذكورة بعده وكون الباء زائدة والاصل تسبح الغدو والاصال بمعنى تسبح الاوقات
التي يعبر عنها بالغدو والاصال جعل الاوقات مسبحة على طريقة صائم نهاره والمراد يسبح رب
هذه الاوقات فيها   وفيه ايماء بانهم تجار الا انهم مع ذلك لا يشغلهم عن ذكر الله شيء من ضروب
المعاملات وقيل ان الاية نزلت في الذين لا يشتغلون بالتجارة والبيع بل كانوا فرغوا انفسهم
لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المص الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء ووجه
الايماء انه يقال فلان لا تلهيه التجارة عن كذا الا وهو تاجر في الاغلب وما ذكره القائل لا يتبادر
الى الاذهان قال الحسن اما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله تعالى لم يلههم عنها
شيء فقاموا بالصلوة والزكوة واقام الصلوة اي انما هو بمراعاة جميع ما اعتبر فيها من الاركان

وقال كان الغدو مصدرا
في الاصل لم يجمع مع انه
مراد به اوقات الغدو
بقرينة عطف الاصال
عليه

اي انهم كانوا [illegible]
[illegible]

والشرايط والسنن والاداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون متبعا لها واصله اقوام قلبت الواو الفا فاجتمع الفان فحذفت احديهما لالتقاء الساكنين فبقي اقام ثم ادخلت الهاء عوضا من الالف المحذوف في فصل اقمت الصلوة اقامة ثم حذفت تلك الهاء حالة الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام الهاء المحذوفة فكونها عوضا عن المحذوف قيل المراد بذكر الله الثناء على الله والدعوات والظاهر المراد به ما يتناول جميع ما يتضمن ذكره تعالى وتخصيص اقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر بعد التعميم لتعظيم شانهما اهتم اقام ذكره تعالى وقوله تعالى يخافون يوما يجوز ان تكون نانيا للرجال وان تكون حالا من مفعول لا تلهيهم وان يكون استينافا و يوما مفعول به لا ظرف على الاظهر و تتقلب صفة ليوما وتخصيصه يعني تخصيص الظمآن بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سواء كان ظمآن او لا يظنه ماء جاريا لان من ليس بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة عما احتاج اليه بخلاف العطشان فانه يصير خائبا عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه ان كان ما اتى به في الدنيا من اعمال البر كصلة الرحم وقري الضيف واعتاق الرقاب واراقة الدماء ونحو ذلك مما يعتقد ان له ثوابا عليه وهو لا يستحق عليه ثوابا وان كان من اعمال الاثم فهو يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فكلما هو يعتقد ان له ثوابا عند الله فاذا وافى عرصة القيمة ولم يجد الثواب الذي احتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي يشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد تعلق قلبه به ويرجو به النجاة عما هو فيه ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجده شيئا مما حسب وهو الماء يعظم ذلك فيزداد خيبته وحسرته وهذا المثال في غاية الحسن لم يجده شيئا مما ظنه اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا وقوله لم يجده شيئا ينفي ما اثبته وهو تناقض استعراضا اي توفيه الله تعالى حسابه بان يقول له اعرض علي ما عملته وما ادخرته ليوم كهذا او اما مجازاته على اعماله بان توفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فما حسب خيرا يعود عليه شرا وعقابا لانه تعالى ابطله بكفره و ما طمع فيه ثوابا اعقبه عقابا رسيس الهوى فعيل بمعنى فاعل من رس الحمى في الفؤاد اي ثبت فالرسيس الشيء الثابت الذي لا ينفك عما تعلقه وبالجملة جميع ما يصدر عن الكافر من العقايد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقايد والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يهتدي بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره الى ما هو الحق المقبول عند الله تعالى فلا يدري الحق وهو لا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فيشتد اصراره على ما هو عليه من الكفر و

قوله وتتقلب القلوب اي تتقلب ما جاء به الرسول في باب الاعتقاد والكفر والعلم والجهل والشك والانكار ونبصر الابصار بارتفاع الحجب والاغطية عنها منه

والديمة المطر الذي لا رعد فيه ولا برق واقله ما يمطر ثلث الليل والنهار منه

من قولهم استعرضت فلانا اذا قلت له اعرض علي ما عندك منه

قوله والضمائر التي في قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها عبر الضمير المنصوب في يراها منه

وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قعر البحر ذي اللجة التي هي معظم الماء الغمر البعيد القعر يغشاه اي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان في هذه الظلمات تكون حاله خلاف حال من احاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته و نور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع بسيرة العلماء الصالحين فكانوا في نور على نور قوله الم تعلم يعني ان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لا يتعلق به رؤية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا ان المراد به التقرير اي قد علمت وتيقنت بالوحي والاستدلال وعبر عن العلم بالرؤية للدلالة على ان المقصود تقرير العلم النازل منزلة المشاهدة والعيان في الوثاقة والايقان و حمل من في السموات والارض على اهلهما مطلقا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب من المعلوم ان اهلهما مطلقا لا ينطق بالتسبيح ولا يتكلم به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها من النقايض بلسان المقال او الحال وقوله والملائكة عطف على قوله اهل السموات قوله بما يدل اشتغل بقوله يتنزه ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان تكون كلمة من لما يعم العقلاء وغيره لكونها اظهر دلالة على صانع وعلى كمال قدرته اي قد علم الله على ان يكون علم مسندا الى ضمير اسم الله تعالى ويكون قوله ضمير صلوته وتسبيحه راجعين الى كل ويكون المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله تعالى صلوته اي دعاءه وسواله لما يحتاج اليه كيف يطلب ويسأل وتسبيحه كيف يسبح بالدلالة على الحق بلسان المقال او الحال كما اشار اليه بقوله على وجه يخصه ويؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى في قوله والله عليم بما يفعلون اي ما يفعل الحيوان اختيارا والجماد طبعا من الصلوة و التسبيح وغيرهما قوله او علم كل على ان تكون الضمائر كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلوة نفسه وتسبيحها على معنى انهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلوة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعية بان يشبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم الى النفع اختيارا او طبعا بعلم التسبيح والصلوة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على الاستعارة واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون ضمير علم راجعا الى كل وضمير صلوته وتسبيحه راجعين الى الله تعالى والمعنى كل من هذه الاجناس قد علم كل صلوة الله وتسبيحه روي عن ابي ثابت انه قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله تعالى لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا واشارتنا لكنها ليست كذلك

فصل واما تقرير المثال فهو ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمور الماء فاذا ترادفت عليه الامواج ازدادت الظلمة فاذا كانت فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى فالواقع في قعر هذا البحر اللجي يكون في نهاية شدة الظلمة ولما كانت العادة في اليد انها من اقرب ما يراها و ابعد ما يظن انه لا يراها ما يراه اذا اخرج يده لم يكد يراها فبين سبحانه بهذا بلوغ تلك الظلمة التي على اقصى النهايات ابن عادل

قوله على الاول تخصيص اي تخصيص ذكر الطير وافراده بالذكر بعد ما كان داخلا في من في السموات والارض اذا اريد به المعنى الشامل العام لذوي العقول وغيرهم سوى الطير كذلك على الوجه الاول لانه في من كمال الصنع ما ليس في غيرها من المخلوقات واما اذا اريد بمن الملائكة في السموات والارض والثقلان لا يكون ذكر الطير تخصيصا بعد تعميم بل يكون عطفه على من في السموات والارض من باب عطف الذوات المباينة بالذات محمد

فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لايكاد يهتدي اليها العقلاء مما لاسبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله على ماذكر ابو السعود وكذا ابن عادل

فانا نعلم بالضرورة انا اشد نقصانا من الصبي الذي لايعرف هذه الامور فبان يمتنع ذلك منها اولى واذا ثبت انها لاتعرف الله استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لاتسبح الله الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم انا نشاهد ان الله سبحانه الهم الطيور وسائر الحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان الامر كذلك فلم لايجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة بسائر الامور التي يعرفها الناس فالمصنف اختار ما ذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قول هذا البعض بقوله مع انه لايبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ قوله فانه الخالق لهما الى آخره مع قوله واليه المرجع للجميع اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدأ جميع الكائنات ومعادها وكفى بهذه معرفة وموعظة قوله بان يكون قزعا وهو قطع من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة الى دفع مايقال من ان لفظ بين لايستعمل الا مضافا الى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شيء واحد وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره والركم جمعك شيئا فوق شيء حتى تجعله مركوما مجتمعا قوله اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد برد اعلى ان من الاولى لابتداء الغاية وهي كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية بناء على انها مع مجرورها بدل من الاولى بدل اشتمال باعادة العامل ولاتستقيم البدلية الا بتوافقهما في المعنى فلو قلت خرجت من مصر من محلة كذا لايكون الاولى والثانية الا لابتداء الغاية وبين الجبال بقوله من برد اي ينزل من جبال في السماء هي برد وقدرت ينزل لان البدل في حكم تكرير العامل فعلى هذا الوجه جبال يكون مفعولا لينزل المحذوف وهو بردا لان المنزل من جبال هو البرد بردا وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفعولا لينزل من السماء بمعنى بعض جبال التي هي البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد وان جعلت الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض يكون المفعول من برد والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اي قطع عظام كائنة في السحاب تشبه الجبال في عظمها او في جمودها وصلابتها فان الجسم الشديد التحجر يقال له جبل لتحجره وجموده قوله وتقرير ذلك ان الهواء الخ يعني ان ماذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكون في الاغلب من تكاثف البخار وقد يتكون من تكاثف الهواء اما الاول فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان في الهواء من الحرارة مايحلل ذلك البخار فيتحلل وينقلب هواء وان كان البخار كثيرا او لم يكن في الهواء من الحرارة مايحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة الباردة من

في دار مستنقذا يستدل باحواله على ماذكر ابو السعود وكذا ابن عادل

جعل الدلالة على انها مسبحة لله سبحانه وذكر بعضهم ان المراد من التسبيح دلالة هذه الامور على التنزيه لا النطق باللسان ابن عادل

فالآية اشارة الى التعليل لما سبق منه

جمع قزعة وهي قطعة من السحاب منه

اصل السحاب الجر كسحب الذيل ومنه السحاب اما لجر الريح له او لانجراره في مره والسحاب الغيم فيه ماء او لم يكن ولهذا يقال سحاب جهام قال تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه وقد يذكر السحاب ويراد بها الظل والظلمة على طريق التشبيه من ذلك قوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الآية منه

وان كانت الابخرة القليلة الارتفاع ملتبسة لطيفة فاذا اثر بها برد الليل وكثفها فانها تنحدر ماء محسوسا ينزل نزولا متفرقا لايحس به الا عند اجتماع شيء يعتد به فان لم يجمد كان طلا وان جمد كان صقيعا ونسبة الصقيع الى الطل نسبة الثلج الى المطر والجواب انا دللنا على حدوث الاجسام

من الهواء او لاتبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا او لايكون فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها حبات او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثاني نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهواء وذلك عند مايبرد الهواء بردا مفرطا الخ والضمير في ضميره للبرد اي يصيب الله تعالى بذلك البرد من يشاء من الناس فيضر في زرعه وثمرته وماشيته ويصرفه عمن يشاء فلا يضر في شيء منها ضوء برقه يعني ان السنا مقصور بمعنى الضوء يقال سنا يسنو سنا اي اضاء يضيء والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه والبرق الذي يكون صفته ذلك لابد وان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد فظهوره في خلال السحاب يقتضي ظهور الضد من الضد وذلك لايمكن الا بقدرة قادر حكيم فما تقدم ذكره من عجائب صنعه من قوله يزجي سحابا الى قوله يقلب الله الليل والنهار واعلم انه تعالى استدل على وحدانيته اولا بقوله الم تر ان الله يسبح له وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجي سحابا فالاول استدلال باحوال اهل السماء والارض والثاني استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتداء الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سواء فسر الماء بالجنس الذي هو احد العناصر الاربعة او بالماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح كما قال خلقه من تراب وقال فنفخنا فيها من روحنا واشار المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب على الارض ومسكنه هنالك فيخرج عنها الملائكة والجن واشار الى دفع انتقاض بآدم وعيسى عليهما الصلوة والسلام بان المراد من الماء ماهو احد العناصر ويكون مبدأ الخلقة كونه جزءا من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لاتخلو عن رطوبة ما فالظاهر على هذا ان يكون تنوين دابة للافراد وان يكون كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية النوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبايعها من شيء واحد هو عنصر الماء او النطفة فلا بد ان يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شيء والدواب داخلة في تركيب كل عضو منها الماء ثم اشار بقوله وقيل من ماء متعلق بمحذوف على انه

وتوسلنا بذلك الى كونه قادرا مختارا يمكنه ايجاد الاجسام فلا يتعلق بما ذكرتم وايضا فهب ان الامر كما ذكرتم ولكن الاجسام بالاتفاق ممكنة في ذواتها فلابد من مؤثر ثم انها متماثلة فاختصاص كل واحد منها بصفته المعينة من الصعود والهبوط واللطافة والكثافة والحرارة والبرودة لابد له من مخصص فاذا كان هو سبحانه خالقا لتلك الطبايع فهذه الاحوال لابد لها من خالق وخالق السبب خالق المسبب فكانه سبحانه هو الذي يزجي سحابا لانه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك الابخرة من باطن الارض الى جو الهواء ثم تلك الابخرة تراكمت في صعودها والتصق بعضها بالبعض فهو سبحانه هو الذي جعلها ركاما فثبت على جميع التقادير توجه الاستدلال بهذه الاشياء على القدرة والحكمة ابن عادل

صفة لدابة اي جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد النقض
بشيء مما ذكر وانما سمي الزحف مشيا مع ان المشي هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون
ذلك المرور على الارجل واطلق في الآية على المرور مطلقا على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق
المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان تكون الكلمة موضوعة للحقيقة مع قيد فتستعملها
لتلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد يسميه صاحب المفتاح مجازا مرسلا ويشترط في
الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمبالغة في التشبيه بان ينسى التشبيه ويدعى دخول
المشبه في عداد المشبه به ولا فائدة في مثل هذا المجاز لكون كل واحد من اللفظين بمنزلة المرادف
للآخر عند المصير المراد من اللفظ فان المشي والزحف على البطن كالمترادفين وكذا الحق المرسن
والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون مرسونا فاذا استعمل في انف انسان
لا يكون فيه من الفائدة ما يكون في استعمال لفظ الاسد في الرجل الشجاع مثلا الا ان المصنف وصاحب
الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه   على الاستعارة او المشاكلة
والنسخة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة بجعل قصد المشاكلة علة لايثار طريق الاستعارة
وجعلها علة مستقلة له صحيح ايضا كما وقع في الكشاف   وتذكير الضمير مع ان ظاهر النظم يقتضي
تانيثه لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء
على غيرهم ولما عبر عن جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم ناسب ان يعبر عن الاصناف
المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك الاصناف بكلمة من التي حقها
ان يطلق على العقلاء   والترتيب حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي
على اربع من حيث ان الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى وشيء من يمشي بغير آلة المشي اثبت
لاتم شيء من يمشي على رجلين اثبت لها بالنسبة الى شيء من يمشي على اربع والاستدلال بها
باختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث ان اختصاص كل
واحد من هذه الحيوانات باشكالها واعضائها وقواها وطبائعها ومقادير ابدانها واعمارها لا بد
وان يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل ما يشاء   نزلت في بشر المنافق عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى
كعب بن الاشرف وهو يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم يحيف علينا ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم قال عمر
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي

وهي ان يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته سواء كان ذكر الغير محققا كما في الآية او مقدرا كما في قوله قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق وقد مضت قصتهما في سورة النساء عند قوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
الآية وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض فتقاسما فوقع
الى علي رضي الله عنه ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه وتقابضا
فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها
فلا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد صلى الله عليه وسلم فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه
يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت والحيف الجور والظلم وجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى ذكر
دلائل الوحدانية والالوهية اولا وجعل ذكرها توطئة لذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم
لم يقبلوه بقلوبهم كما روي عن الحسن البصري انه قال هذه الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا
يظهرون الايمان ويسترون الكفر   ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه اي يتولى بذلك عن قوله
واطعنا   وسلب الايمان عنهم لتوليهم الذي هو من امارة التكذيب فعلى هذا يكون المراد
بالقائلين جميع من ادعى الايمان مخلصا كان او منافقا والايمان انما سلب عمن تولى منهم وقوله و
الثابتون عليه بناء على ان تكون الاشارة الى الفريق المتولي منهم على طريق اللف والنشر المرتب
والحاصل ان الضمير في قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولي التولي
عن الطاعة بعد التزامها بقولهم واطعنا وكلمة ثم يجوز ان تكون للتراخي الزماني وان تكون للاستبعاد
امر التولي عن قولهم آمنا واطعنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين
جميعا ويجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى ثم يتولى ان بعضهم لا يثبتون على الايمان
وبعضهم يثبتون عليه فيكون الاشارة الى الفريق المتولي عنه   اي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم
فانه الحاكم ظاهرا جواب عما يقال كيف افرد ضمير ليحكم بعد قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اي الى
كتاب الله تعالى وحكم رسوله لانه من المعلوم البين انهم لا يدعون الى نفس ذاته تعالى فالظاهر ان
يقال ليحكما بينهم وتقرير الجواب ان الداعي يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن ذلك الحكم انما
يظهر ويتبين لنا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعو اليه بحسب الظاهر هو الرسول
فكان ذكر الله تعالى لتعظيمه عليه الصلاة والسلام بالاشعار بمكانته عند الله تعالى وان حكمه في الحقيقة
حكم الله تعالى   افي قلوبهم مرض استفهام تقرير للذم والتوبيخ كما في قوله الست من القوم الذين
تعاهدوا على اللوم والفحشاء في سالف الدهر ويجيء في مقام المدح والثناء ايضا كما في قوله الستم
خير من ركب المطايا   واندى العالمين بطون راح   وكلمة ام في قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون منقطعة

كانه قيل ويقولون آمنا بالله الذي انزل القرآن حجة وبرسوله الذي ارسله بالدلائل المذكورة ثم يتولون عن قبول رحمة للعالمين ... حكى فاحبهلم

مقدرة ببل والهمزة اى بل ارتابوا بل ايخافون بحيف الذى هو سبب اعراضهم وامتناعهم
عن المحاكمة الى الرسول على سبيل الاستفهام التقريرى فقال ان ذلك لكفرهم او لميلهم الى ظلم
من له الحق عليهم ثم اضرب عن ذلك قائلا ان السبب فيه هل هو اطلاعهم على ما بريبهم فى
عدله وامانته ثم اضرب عنه الى انه هل هو مجرد خوفهم من ظلمه عليهم من غير ان يطلعوا
على ما بريبهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخرين بابطالهما ليتعين الاحتمال الاول
للسببية ويحتمل ان يكون كلمة ام منفصلة موذنة لمساواة الاحتمالات المذكورة فى كونها
سببا للاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلوة والسلام ويكون الاضراب الاخير ابطالا
للاحتمالين الاخيرين. وظلمهم بحمل عقيدتهم لقوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم
والمشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى لما بين احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم
لاقوالهم بين ان الواجب على الذين يقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا حين دعوا
الى كتاب الله وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا اى سمعنا الدعاء واطعنا
بالاجابة والقبول والجمهور على نصب قول المؤمنين على انه خبر كان والاسم ان المصدرية
مع ما فى حيزها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان وخبره ان يقولوا والنصب اقوى لانه متى
اجتمع معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف منهما اسما والاخر خبرا وقوله ان يقولوا سمعنا
اعرف من قول المؤمنين وذلك لان الفعل المصدر بان المصدرية فى تاويل المصدر المضاف
الى الفاعل فاذا كان فاعله معرفة كما فى هذا المقام كان فى معنى المصدر المضاف الى المعرفة
فيكون معرفة ولا يمكن تنكيره لان عزل الفعل عن فاعله غير متصور بخلاف قول المؤمنين
لانه اذا لم يضف وقيل قول للمؤمنين عاد نكرة ولان ان يصلح ان يشبه المضمر من حيث
انه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر اعرف من قول المؤمنين الا ان سيبويه
لم يفرق بهذه التفرقة بل جوز ان يكون كل واحد من المعرفتين اسما والاخر خبرا وان كان
اوغل فى التعريف من الاول. واشارة الى ضمير مصدره اى ليحكم الحاكم بينهم لان الفعل
دال على مصدره فيكون مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم فى من قرأ
منصوبا اى لقد وقع التقطع بينكم. وقالون عن نافع بلا ياء يعنى انه قرأ ويتقه بكسر
القاف والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الاصل
فيما اذا تحرك الحرف قبل الهاء كما فى يؤده ويؤته وما روى عن نافع مبنى على ان الياء المحذوفة
قبل الهاء مقدرة منوية فلم تعتبر الحركة التى قبل الهاء فحركت الهاء من غير صلة كما لو كان
يجب على من اسكن القاف ان يضم الهاء لان هاء الكناية اذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن
ياء

يا نضم نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وابقى الهاء على كسرتها
التى كانت عليها مع كسر القاف. وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء اى مع كسر القاف وقراءة
حفص بتقه ساكنة القاف مكسورة الهاء وسكن القاف تخفيفا على خلاف القياس لان
ما هو على صيغة فعل انما يسكن عينه اذا كانت كلمة واحدة نحو كبد وكتف وضرب ثم اجرى
ما اشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فان تقه من قولنا ويتقه بمنزلة كبد وكتف فسكن
وسطها ومنه قول الراجز قالت سليمى اشتر لنا سويقا بسكون الراء. واقسموا بالله
انكار الامتناع عن حكمه عن ما لم يخبره قالوا لما بين الله اعراض المنافقين
وامتناعهم عن قبول حكمه عليه الصلوة والسلام اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان
نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فانزل
الله قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم وجهد ايمانهم منصوب على انه مصدر فعله المحذوف
والاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اى يبالغون فى اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها
من قولهم جهد فلان نفسه اذا بلغ الفلان اقصى وسعها وطاقتها وفى المغرب جهده اى حمله فوق
طاقته من باب منع ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون اقصى وسع اليمين وطاقتها
كان قوله يجهدون اليمين استعارة تبعية شبه مبالغتهم فى اليمين بجهد النفس وتكليفها
المشقة فذكر جهد اليمين واريد المبالغة فيها ثم قيل جهدا ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدم
المصدر على المفعول واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد ايمانهم ولما كان
الفعل المحذوف مع ما فى حيزه فى موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع
موقعه فى حكم الحال كانه قيل واقسموا بالله مبالغين فى تاكيد حلفهم جاهدين ايمانهم. جواب
لاقسموا لان اللام الموطئة فى قوله لئن امرتهم جعلت ما ياتى بعد الشرط المذكور جوابا للقسم
لا جزاء للشرط وكان جزاء الشرط مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم وجواب الشرط
لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط الا انه جواب على حكاية قول المنافقين
حين اقسموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لما حكى عنهم نفس قسمهم بقوله واقسموا ذكر المقسم
عليه ايضا على سبيل الحكاية فقال ليخرجن بطريق الغيبة فان نفس كلامهم معه صلى الله عليه وسلم
هكذا والله انا لنقبل جميع احكامك ونطيعك فى جميع ما تامرنا به لئن امرتنا بالخروج لنخرجن فغير
الكلام الى الغيبة عند الحكاية. امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية عنه تعالى لانه
لو كان نحو اطيعوا الله الى اخر الاية من كلام الرسول عليه الصلوة والسلام خاطب به قومه لكان
الظاهر ان يقال اطيعوا الله واطيعونى فان تولوا فانما على ما حملت من تبليغ الرسالة فان تطيعونى

ثم شدد واو ما على الا البلاغ المبين فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في جميع ذلك بلفظ الغيبة
ظهر انه كلام الله تعالى وخطابه اياهم وانه تعالى امر رسوله عليه الصلوة والسلام بان يبلغ هذا
الخطاب اليهم غاية ما في الباب انه تعالى لم يقل اطيعوني بل عبر عن ذاته المقدسة بلفظ الغيبة ايماء
الى علة وجوب طاعته عليهم وقوله مبالغة في تبكيتهم علة لقوله خاطبهم الله به ووجه المبالغة
في التبكيت على تقدير ان يكون الله تعالى هو الذي خاطبهم به بذلك ان توجه خطاب الله تعالى اليهم
وروده عليهم الزم للحكم وافحم للخصم بالنسبة الى ان يخاطبهم الرسول بذلك ويوجب عليهم
طاعة الله تعالى وطاعة نفسه فان في خطابه تعالى اياهم من دهشة المخاطب وعجزه عن التزام
الجواب ما ليس في خطابه عليه الصلوة والسلام بذلك خطاب للرسول والامة سواء كانت الامة
امة دعوة او اجابة فيكون كلمة من في قوله منكم للتبعيض فان الذين تحقق منهم الايمان
وقت نزول الاية بعض من الامة مطلقا واما اذا كان خطاب منكم له عليه الصلوة والسلام
ولمن معه من المؤمنين فتكون من للبيان لا للتبعيض لان الموعود لهم هم المخاطبون لا بعض
منهم بالتقوية والتثبيت متعلق بقوله وليمكنن يعني ان المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره
على الاديان كلها لانه تعالى اعز الاسلام ونصر المسلمين على اعداء الدين واورثهم ارض الكفر
وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء لا جرم يظهر المسلمون دين الاسلام
متمكنين في الارض مستولين عليها فيعلوا الاسلام على سائر الاديان وينتشر وقراءة العامة
كما استخلف على بناء الفاعل وقراءة ابو بكر على بناء المفعول فالموصول على الاول منصوب
وعلى الثاني مرفوع وقراءة العامة وليبدلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقراءة ابن كثير و
ابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله صلاحا بعد غني بمعنى رزقه صلاحا بدل الغني
ويقال بدلهم الله من الخوف امنا قال ابو العالية في هذه الاية مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد
الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه رضي الله عنهم وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا
يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا
يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل
الله تعالى هذه الاية للاخبار عن الغيب على ما هو به فان الاستخلاف الموعود لا شك
انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل
صدق مدعي النبوة ثم انه تعالى وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول
الاية بدليل صيغة الماضي في قوله امنوا وعملوا وخطاب المشافهة في قوله منكم ان يستخلفهم
استخلافا بني اسرائيل في مصر والشام بعد الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذي هو

قوله ليستخلفنهم اي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى لنورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم فنجعلهم ملوكا وسكانا

روى ... حميد بن هلال قال عبد الله بن سلام في عثمان رضي الله عنه ان الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم
والله لئن قتلتموه ليذهبنه ثم لا يعودون ابدا فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله تعالى اجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغمودا عنكم والله لئن
قتلتموه ليسلنه الله عز وجل ثم لا يغمده عنكم اما قال ابدا واما قال الى يوم القيمة فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به

٥٤٨

هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون في الارض
باستخلاف الله تعالى اياهم واخبارهم على غيرهم فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم
الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم في ذلك قلت كانوا هم الاصول والملوك
وسائر الناس اتباعا لهم في ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير وقد حصل في ايامهم الفتوح
العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الاية على صحة خلافتهم قال عليه
الصلوة والسلام الخلافة ثلثون سنة ثم تكون ملكا وكانت خلافة ابي بكر سنتين وخلافة
عمر عشرا وخلافة عثمان اثني عشر وخلافة علي ست سنين رضي الله تعالى عنهم اجمعين
وقيل الخوف من العذاب عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم
او كفر بهذه النعمة قال المفسرون واول من كفر بهذه النعم وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله
عنه فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم من الامن وادخل عليهم الخوف الذي رفعه الله تعالى عنهم
حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين ولا يبعد عطف ذلك يعني ان بعد ما
بين المتعاطفين تخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبتني على تحقق المغايرة
بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان المجاورة مظنة الاتصال
والاتحاد كما في المضاف والمضاف اليه فان شدة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل
بينهما مع ان للفصل ههنا فائدة جليلة وهي الاشعار بان الجملة المتخللة وهي قوله
وعد الله الذين امنوا منكم الاية مما هو مهتم بشانه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه
وهو قوله تعالى فان تولوا كانوا قيل فان تتولوا عن طاعته فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم
لانه عليه الصلوة والسلام قد خرج عن عهدة ما كلف به واما انتم فقد بقي عليكم ما كلفتم
به من الاطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك في الدنيا والاخرة اما
في الدنيا فبان يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل التولي والعصيان و
يقتلهم بايديهم المؤمنين بل يستأصلهم بالمرة فكان الفاصل من تتمة المعطوف عليه وقوله لا يبعد
يشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله اطيعوا الله ولعل وجهه ان يكون قوله واقيموا من باب الالتفات
من الغيبة الى الخطاب كانه قيل يعبدونني ولا يشركون بي شيئا ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة و
يطيعون الرسول ثم الذي يستحسن هذا الخطاب في قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلوة وايتاء الزكوة
على قوله يعبدونني ايذانا بشرفهما ومزيد قدرهما عند الله لانه من باب عطف جبريل على الملائكة
وتعليق الرحمة بها على تقدير ان يكون المعنى اطيعوا الرسول على رجاء الرحمة او بالمندرجة هي
فيه او لتعليق الرحمة بمجموع الامور التي اندرجت في طاعة الرسول على ان يكون المعنى فعلا

خمسة وثلثون الف ... عن ابن الحميد قال اخبرني حماد هو ابن سلمة عن ابن دينار عن سعيد بن جمهان عن سفينة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلثون سنة الخ ابن عادل

قوله تعالى فانما عليه ما حمل عليه من التبليغ والمعذرة وانتم ... علي ...

هذه الامور على رجاء الرحمة كما علق الهدى باطاعته في قوله وان تطيعوه تهتدوا لا تحسبن
بالتحتية قراءة العامة لا تحسبن بناء الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لا يتصور منه عليه
الصلوة والسلام الا انه نهى عنه مبالغة في تسليته ولان الخطاب في حكم خطاب امته
لكونه رئيسهم وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هو الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله
ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون لا تحسبن خطابا عاما لكل ما يصح ان يكون
مخاطبا وهذه الاية نزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه واذاهم والمعنى
لا تحسبنهم يسبقوننا اي يفوتون عذابنا فانه لا اصح بهم لا محالة اما عاجلا واما آجلا
وذكر على القراءة ببناء الخطاب الغيبة ثلثة اوجه الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير
النبي عليه الصلوة والسلام والذين كفروا معجزين مفعوليه لا يحسبنهم النبي معجزين في الارض
والثاني ان يكون الفاعل الذين كفروا وفي المفعول ح احتمالان الاول ان يكون معجزين في
الارض مفعوليه والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله تعالى في الارض حتى يطمعوا
في الارض مثل ذلك اي في ان يعجزوا الله ويفوتوا عذابه على ان معجزين اول المفعولين وفي
ثانيهما وضع المفعول الاول في باب حسبت ان يكون معرفة فجاز ههنا وقوعه نكرة لكون
معجزين صفة موصوف محذوف اي احدا يعجز الله ولما كان احدا واقعا في سياق النفي
افاد العموم فجاز وصفه بالجمع لذلك والاحتمال الثاني على تقدير ان يكون الذين كفروا هو
الفاعل ان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعولا الاول محذوفا والاصل لا يحسبنهم
الذين كفروا معجزين اي لا يحسبن الكفرة انفسهم معجزين والاقتصار على احد مفعولي
باب حسبت وان كان ضعيفا عند البصريين الا انه سوغه ذكره في الاية كون الفاعل والمفعولين
عبارة عن شيء واحد فاكتفى بذكر اثنين منها عن ذكر الثالث عطف عليه اي
على قوله لا يحسبن الذين كفروا وهي جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلا
وجه لعطف احدهما على الاخرى الا ان الجملة الفعلية الانشائية لما كانت في حكم الاسمية
الخبرية جاز ان يعطف عليها الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على
الجملة الاسمية لا يغير المعنى الاصلي فكان قوله لا يحسبن الذين كفروا معجزين في قوة ان يقال
الذين كفروا ليسوا معجزين لان المقصود من النهي من الحسبان تحقيق نفي الاعجاز
والمراد به اي بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا خطاب لرجال المؤمنين والنساء المؤمنات
جميعا وان كان ظاهره كونه خطابا للرجال فقط ووجه الاسناد الى ما روي على دخول
الفريقين في الخطاب بطريق التغليب ان الآية لما نزلت بسبب كراهة الانثى دخول

دخول الغلام عليها بغير استيذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعا واعلم ان ظاهر الاية
امر المماليك والاطفال بالاستيذان والمقصود امر المؤمنين بان يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم
في هذه الاوقات بغير اذن وان يامروهم بالاستيذان في هذه الاوقات اذ لو كان المقصود امرا
للمماليك والاطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه ولعل الوجه في عدم
نداء المماليك الاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالي والاولياء الاذن
لانهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب وان السادات
والاولياء هم المخاطبون بتعليم من هو في عيالهم وتحت ايديهم والقيام بما يحتاجون اليه في
امر دينهم ودنياهم والتاديب يحمل ذلك ان ابث نفوسهم عن الامتثال بنت اني مرثد
روي بالشين المعجمة في نسخ القراء آت وروي بالثاء المثلثة اني مرثد قيل هذه الاية احدى
الايات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه وروي عنه رضي انه قال وافقني ربي في ثلث في الاستيذان
وفي الحجاب حيث قال واذا سالتموهن من وراء حجاب وفي الاتخاذ من مقام ابرهيم مصلى وهذه الاية
دلت على ان من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرايع وينهى عن ارتكاب القبايح فانه تعالى امرهم
بالاستيذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلوة والسلام مروهم بالصلوة وهم ابناء سبع
واضربوهم على تركها وهم ابناء عشر وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت
له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه انما يؤمر بذلك تمرينا له ليعتاده ويسهل عليه
بعد البلوغ ثلث مرات منصوب على انه ظرف زمان لقوله ليستاذنكم ثلثة اوقات ثم فسر
تلك الاوقات بقوله من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة
العشاء وقيل انه منصوب على المصدرية على ان يكون المرة بمعنى المصدر لا الزمان اي ثلث
استيذانات لانك اذا قلت ضربت ثلث مرات لا يفهم الا ثلث ضربات ويؤيده قوله عليه
الصلوة والسلام الاستيذان ثلث وهذا الوجه ظاهر لولا القرينة الصارفة عن هذا
المعنى وهي التفسير بالاوقات الثلث المذكورة والقيلولة النوم في الظهيرة والالتحاف
التغطي يقال التحفت بالثوب اي تغطيت به واللحاف اسم ما يلتحف به وكل شيء تغطيت
به اي هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم يعني ان ثلث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ
محذوف قال اولا ليستاذنكم المماليك والاطفال ثلث مرات ثم فصل الثلث بقوله من قبل
صلوة الفجر الاية ثم اجمل بعد التفصيل فقال هذه ثلث عورات لكم تنبيها على علة وجوب
الاستيذان في هذه الاوقات والعورة الخلل الذي يرى منه ما يراد ستره وسميت الاوقات
المذكورة عورات مع انها ليست نفس العورات بل هي اوقات العورات على طريق تسمية

قوله ليس عليكم بعد هذه الجملة يجوز ان تكون لا محل لها من الاعراب وهو الرفع نعت لثلث عورات في قراءة من رفعها كانه قيل هي ثلث عورات مخصوصة بالاستئذان وان لا تكون لا محل بل هي كلام مقرر للامر بالاستئذان في تلك الاحوال الخاصة وذلك في قراءة من نصب ثلث عورات قوله بعدهن قال ابو البقاء والتقدير بعد استئذانهم فيهن ثم حذف حرف الجر والفاعل فبقي بعد استئذانهن ثم حذف المصدر يعني بالبناء على الضمير المضاف

الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلا له والمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس الاختلال بل اوقاته قوله وليس فيه ما ينافي اية الاستئذان يعني انه قد قيل ان قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستئذان واجب في كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الاية في غير هذه الاحوال الثلث فقال المصنف لا منافاة بين ان يستاذن الاحرار البالغون في جميع الاحوال وبين ان لا يستاذن الاطفال والمماليك المدخول عليه الا في هذه الاحوال الثلث حتى يصار الى النسخ قوله وفيه دليل اي في قوله طوافون عليكم وكذا في الفرق بين هذه الاوقات الثلث وبين ما عداها بانها اوقات عورات دون ما عداها دلالة على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام الشرعية اذ الكل وان كان حكم شرعي له علة تلك العلة هي الحكمة في مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم اما على الابتداء او على انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه اي المماليك والاطفال يطوفون عليكم للخدمة وانكم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة اي في هذه الاوقات الثلث وغيرها لضاق الامر عليكم فلذلك رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الاوقات الثلث قوله واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار فليستاذنوا اي مثل الاحرار للدخول استئذانا مثل استئذان الذين بلغوا من قبلهم يعني ان من تجدد منه البلوغ يجب ان يستاذن للدخول في كل الاوقات كما يستاذن الكبار الذين تقدم بلوغهم كذلك ووجه الاستدلال بهذه الاية على استئذان العبد البالغ على سيدته ان لفظ الاطفال يتناول المماليك والاحرار من الصبيان فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين اذا بلغوا الحلم بحكم هذه الاية كما ذهب اليه الحنفية قال الامام النسفي في تفسير قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى قوله او نسائهن او ما ملكت ايمانهن المراد بنسائهن الحرائر المسلمات وبما ملكت ايمانهن اماؤهن ولا يحل لعبد المراة ان ينظر الى مواضع الزينة الباطنة منها ومن الناس من احتج بهذه الاية وقال او ما ملكت ايمانهن يتناول الغلام والجارية جميعا قلنا قال سعيد بن جبير لا تغرنكم هذه الاية فانها نزلت في الاماء وانتهى وقال المصنف في تفسيرها او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد واستدل عليه بالحديث ثم قال وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبي واجاب ههنا عن الاستدلال المذكور بان تعريف الاطفال للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرج المماليك فيهم قوله والقواعد جمع قاعدة وهي المراة التي قعدت عن الحيض والولد لكبر سنها ولم يرد نكاحا

والله عليم بما في العلم بجميع البلوغ فيعلم احوالكم حكيم في جميع ما فعله فشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا

بظهران المعنى ليس عليكم جناح ولا عليهم اي العبيد والاماء والصبيان جناح في عدم الاستئذان بعد هذه الاوقات المذكورة ولا حاجة الى التقدير الذي ذكره ابن عادل

وخبره على بعض اي طائف على بعض وحذف لدلالة طوافون عليه

اتفق الفقهاء على ان الاحكام تتعلق بالبلوغ واختلفوا في انه اذا لم يحتلم حتى بلغ خمس عشرة سنة فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة وتسع عشرة في الجارية وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة

ء التأنيث لاختصاصها بالمراة قيل واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة قال الامام الواحدي ان لا يعتبر قعودهن عن الحيض لان ذلك ينقطع والرغبة فيهن باقية فالمراد قعودهن عن حال التزوج وذلك لا يكون الا اذا بلغن في السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال بل يستقذرهن واما من كانت فيها بقية من جمال فانها تكون محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الاية فلا يجوز لهن ان يضعن ذلك والقواعد مبتدا ومن النساء حال من المستكن في القواعد واللاتي صفة للقواعد لا للنساء وجملة فليس عليهن جناح خبر المبتدا والفاء فيه لما في المبتدا من معنى الشرط لان الالف واللام فيه بمعنى اللاتي او لان المبتدا موصوف بالاسم الموصول لو كان في ذلك الموصول مبتدا لجاز دخول الفاء في خبره فيجاز ذلك ايضا اذا كان صفة للمبتدا وغير متبرجات حال من عليهن التبرج وهو اظهار الزينة الظاهرة خص الثياب بالظاهرة لانه لا شك في انه لم ياذن لهن في ان يضعن جميع ثيابهن لما فيه من كشف العورة كلها قوله من استقذارهم اي من استكراه الاصحاء المواكلة معهم لان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين مواكله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة كريهة او جرح يبدو او انف يسيل ونحو ذلك قوله او الكلام عطف على مواكلة الاصحاء وقوله مخافة علة لقوله يتحرجون من الكلام من بيت من يدفع اليهم المفتاح قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم وخزائنهم ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنزلت رخصة لهم قوله او من اجابة عطف ايضا على مواكلة الاصحاء يعني ان ضعفاء المؤمنين كانوا يدخلون على بعض اصدقائهم لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده طعام يطعمهم يدعوهم ويذهب بهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم اي بيعا فعند ذلك امتنع الناس ان ياكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الاية وعلل المصنف تحرجهم بقوله كراهة ان يكونوا كلا عليهم والكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال والثقل والجمع الكلول ولم يجمع ههنا لكونه مصدرا في الاصل قوله وهذا انما يكون انتفاء الحرج في اجابة من يدعوهم الى البيوت المذكورة واباحة الاكل منها يتوقف على رضا صاحب البيت باذنه صريحا او بما هو قرين الاذن وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك وقيل جواز الاكل من هذه البيوت بغير اذن مالكها كان في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك

الحرج في اللغة الضيق والمراد به في عرف الشرع الاثم

فالمعنى ليس على هؤلاء حرج في مواكلة الاصحاء ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة وهكذا المعنى على التقدير الثاني ليس على هؤلاء حرج في الكلام من بيت من يدفع اليهم المفتاح ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت

بقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل مال امرء مسلم الا عن طيب من نفسه وهما يدل على هذا النسخ
قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم من لهن الاباء والاخوال وقد عم بالنهي عن دخول بيوتهن الا بعد الاذن في الدخول وفي
الاكل **قوله** وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الغزو وان لا فيما يتعلق بالاكل والمعنى ليس على هؤلاء
حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم في ان تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا الكلام صحيح في نفي الحرج عن الطائفتين
لا باستواء الطائفتين في نفي الحرج عنهم وهذا مثل ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد
عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك يا حاج في ان تقدم الحلق على النحر
ولم يرض المص بهذا التأويل حيث قال وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده فانه قيل او لا فليس
عليكم جناح ان يضعن ثيابهن وقيل اخرا ولا على انفسكم ان تأكلوا جميعا فيهما ما نفى عنه
كون جناحا ولم يبين ذلك في قوله ليس على الاعمى حرج فينبغي ان يتبع بما يلائم ما قبله او ما
بعده والقعود عن الغزو لا يلائم شيئا منهما من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم
اي ليس المعنى ان تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بانفسكم وفيها طعامكم وسائر اموالكم لان
الناس لا يتحرجون من اكل طعامهم في بيوت انفسهم فينبغي ان يكون المعنى من بيوت الذين
كانوا في حكم انفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالازواج والاولاد ونحوهما فان بيت
المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته الى نفسه
وكذا الاب يضيف بيت ولده الى نفسه وقيل بيوت المماليك لم يرض بان يفسر
ما ملكتم مفاتحه بيوت المماليك لان بيوتهم داخلة في عموم قوله تعالى ان تأكلوا من بيوتكم
فلا وجه لافراده بالذكر وملك المفاتح كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه فالمعنى
ليس جناح ان تأكلوا من اموالكم بيد عليها لكن لا من اعيانها بل من اتباعها وغلاتها
كثمر البستان ولبن الماشية والمفاتح جمع مفتح والمفاتح جمع مفتاح وكلاهما
آلة الفتح وقيل المفاتح الخزائن كقوله وعنده مفاتح الغيب اي خزائنه واريد
بالخزائن ما يخزن فيه الطعام المأكول ونحوه من بيوت البيوت قيل اذا دل ظاهر الحال
على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه
طعام فاستأذن صاحبه للاكل منه قيل انطلق رجل بدري عن الحارث بن عمرو غازيا
واستخلف مالك بن زيد في اهله وخزائنه فلم يأكل من ماله شيئا حتى صار مجهودا من ضعف فانزل
الله تعالى او صديقكم فلا احتجاج للحنفية اذ لا احتجاج بالمنسوخ احتج ابو حنيفة
رحمه الله تعالى بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا يقطع لان الله تعالى
اباح

اباح لهم الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم ولا يلزم منه ان لا يقطع
اذا سرق من صديقه لان من اراد سرقة ماله لا يكون صديقا له لاختلاف الطعام
من الطاعمين وفي بعض النسخ لاختلاف الناس والنهم بفتحتين افراط الشهوة في
الطعام والغرازة ضده وحاصل المعنى لاختلاف الناس في قلة الاكل وكثرته يعني انهم لما
تحرجوا في الاجتماع على الطعام لاختلاف احوال الاكلة في الاستكثار والاستقلال من
الطعام انزل الله تعالى هذه الآية وبين انه لا حرج عليهم في ان يأكلوا مجتمعين ولا متفرقين
والاشتات جمع شت والشت مصدر بمعناه التفرق ووصف به ثم جمع وشتى جمع شتيت من
الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه واذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت خص بيوتا
المنكر بالبيوت المذكورة سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا في دخول الرجل بيت نفسه والتسليم
على اهله ومن في بيته وروي مرفوعا اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقيل المراد
بها كل بيت وقيل من المساجد جعل الله تعالى اهل البيت من المسلمين انفس الداخلين ايذانا
بان المسلمين كالنفس الواحدة كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فان لم يكن في البيت احد ولا
في المسجد فليسلم على نفسه بان يقول السلام علينا من قبل ربنا او بان يقول السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فقد روي ان الملائكة ترد عليه وقيل ان كان في البيت اهل الذمة فليقل
السلام على من اتبع الهدى ثم قيل يحصل بهذا القدر من التسليم قوله تحية من عند الله مباركة
طيبة حتى روي عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد ولا انسان فيه يقول السلام علينا
من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لا يحصل بهذا القول لانه بيان صفة السلام
لا من تمام السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق بمعنى فسلموا على طريق قولك قعدت جلوسا
كانه قيل فحيوا التحية وقوله تعالى من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لتحية اي تحية ثابتة
بامره مشروعة من لدنه وان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب الحيوة والسلامة
من الله تعالى للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى من الله تعالى
الاجابة بزيادة الخير وطيب الحال وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك التبيين وهو قوله
تعالى والله عليم حكيم وفصل هذا الاخير بما هو المقصود من التبيين وهو التعقل والدراية لاحكام الله تعالى من الاوامر
والنواهي ووصف الامر بالجمع للمبالغة في كونه سببا لاجتماع القوم فان الامر لكونه مهما
عظيم الشان صار كانه قد جمع الناس فهو من قبيل اسناد الفعل الى السبب وقرئ امر جميع بمعنى
جامع او مجموع له قيل نزلت الاية في حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات فيه حتى دخلت في حد القضاء وكان قوم

يتسللون من بينهم بغير اذن قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر
يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجة لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي صلى الله عليه وسلم حيث
يراه فيعرف به استيذانه فياذن لمن شاء منهم قال مجاهد اذن الامام يوم الجمعة ان
يشير بيده **قوله** ولذلك اى ولكون الاستيذان معتبرا فى كمال الايمان حيث جعل بعد الايمانين
شرطا ثالثا له اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فان جعل المستاذنين هم المؤمنين
عكس للاسلوب الاول وفيه تاكيد للاول لان الاول يفيد ان الايمان يعتبر فيه بعد الايمانين
الاستيذان وهذا يفيد الاستيذان كاف فيه فيؤكد اعتباره فيه وتقويه وضمنه شيئا آخر
وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين فان المستاذنين اذا كانوا هم الذين
يؤمنون بالله ورسوله يعلم منه ان الاستيذان كاف فى الايمان بالله ورسوله فيكون مصداقا
ودليلا على صحة الايمانين وصدقهما قيل المراد بقوله ان الذين يستاذنونك عمر بن الخطاب
رضى الله عنه وذلك انه استاذن فى غزوة تبوك فى الرجوع الى اهله فاذن له وقال
انطلق فو الله ما انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام وفيه ان فى قوله لبعض
شانهم مبالغة فى الاهتمام بشان الاستيذان كاعادته على الاسلوب الابلغ حيث لم يطلق
الاذن ولم يقل لشؤونهم بل قيد بالبعض تغليظا عليهم امر الذهاب عن مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه وتعليق الاذن بالمشية مع ذكر
العذر وقران ذكر الاستغفار للمستاذنين بالاذن دليل على ان الاحسن والافضل ان لا
يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه حيث احتاجوا فى خروجهم عن الجماعة الى ان
يستغفر لهم الرسول وان كان ذلك الخروج باذنه عليه الصلوة والسلام ومن منع ذلك
اى من منع تفويض بعض الاحكام الى رايه واجتهاده وقال انه عليه الصلوة والسلام يتبع
الوحى فى جميع احكامه قيد المشية بان يكون تابعة لعلمه بصدق المستاذن فى ان له عذرا
شرعا مرخصا للذين استاذن فيه ثم تكون المشية مستندة الى الشرع الثابت
بالوحى فلا يكون مشيته واذنه فى ذلك بمجرد رايه قال المصنف فى اصوله يجوز له عليه الصلوة والسلام
ان يجتهد لعموم فاعتبروا ووجوب العمل بالراجح ولانه اشق وادل على الفطانة فلا يتركه ومنع
ابو على وابنه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى قلنا مامور به فليس بهوى **قوله** لا تجعلوا
دعاءه اياكم الى شىء من الامور فيكون المصدر مضافا الى فاعله كما فى الوجه الثالث والرابع
فان الداعى فى الجميع هو الرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف الوجه الثانى فان المصدر فيه مضاف
الى المفعول والمعنى لا تقولوا عند دعائكم اياه يا محمد او يا ابن عبد الله كما يدعو بعضكم بعضا
بل

الى السلام الخروج
فى خفية منه

فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد صلى الله عليه وسلم اذا استاذنه اصحابه رضى اذن لهم واذا استاذناه ابى فوالله ما نراه يعدل قال ابن عباس رضى ان عمر رضى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العمرة فاذن له ثم قال يا ابا حفص لا تنسنى من صالح دعائك
ابن عادل

لفظ البعض المضاف الى الاسم كنكرة فى كونه مفيدا للتعظيم تارة وللتحقير اخرى على حسب اقتضاء المقام منه

قوله فان الاستيذان ولو بعذر مقصور لانه تقديم لامر الدنيا على الدين قال صاحب الكشاف وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه على لكع تاويل القاضى وصاحب الكشاف يكون الاستغفار لهم محمولا على تركهم الاولى لا على الجريمة المستوجبة للمواخذة لانما ياذن فيه الرسول عليه الصلوة والسلام لا بد وان يكون مما لا يؤثم شرعا وان كان من امور الدنيا وكذا احاديث النفس لا يواخذ بها فيكون اذا كانت فى الامور المباحة شرعا لكن فعل المباح اذا قرن بترك الاستيذان يستحق فاعله الذم لتركه فعلا يكمل به ايمانه فالاولى للمؤمن المريد لكمال الايمان ان لا يحدث نفسه بترك الاستيذان لان حدث النفس مع دواعى الفعل ومن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
ابن محمد

ولذا عدى لتضمنه معنى الاعراض بعنى لا يحتاج فعل المخالفة فى تعديته الى المفعول الى رابطة عن لتعديته بنفسه فاستعمالها ههنا مع عن لتضمين
يخالفون معنى يعرضون قوله ويصدون عطف على قوله يخالفون الخ يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه وخالفه عن الامر اذا
صد عنه دونه فقوله رح فى تفسير يخالفون امره مبنى على الوجه الاول من الاستعمال وقوله او يصدون عن امره دون المؤمنين مبنى
على الوجه الثانى فقوله دون

٥٥٢

بل عظموه وشرفوه فى ندائه والمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا امره اياكم ودعاءه لكم الى شىء
كما يكون من بعضكم لبعض فان امره كان فرضا لازما ومثله قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
يتسللون اى يخرجون مستخفين يقال انسل الرجل اذا انسرق من الناس وفارقهم بحيث
لا يعلمون واللواذ والملاوذة ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ويستتر بعضهم ببعض وهو حال من
ضمير يتسللون ويقال تدرج اذا استعلى درجة درجة وتدخل اذا دخل قليلا قليلا فان تفعل قد
يكون للعمل المتكرر فى مهلة وقرئ بالفتح اى بفتح اللام على انه مصدر لاذ الثلاثى كطاق
طواما ويحتمل ان يكون مصدر لاوذ الا انه فتحت الفاء اتباعا لفتحة العين قيل كان المنافقون
يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبى صلى الله عليه وسلم وخطبته فيلوذون ببعض اصحابه عليه
الصلوة والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيره من غير استيذان وقيل كانوا
يتسللون من صف القتال وقيل كان فى حفر الخندق يخالفون امره اى يريدون كلمة
عن صلة والا لكان هذا وجها مستقلا يتم من غير ان ينضم اليه قوله وعن لتضمنه معنى الاعراض
بل المقصود منه مجرد بيان ان يخالفون يتعدى بنفسه حيث يقال يخالفون امره وانما جىء
بكلمة عن لتضمنه معنى الصدود والاعراض وقيل عن ههنا بمعنى بعد كما فى قوله اطعمتهم
عن جوع اى بعد جوع وحذف المفعول اى الاصل يخالفون المؤمنين عن امر الله
او عن امر رسوله على معنى يخالفونهم صادرين عن امره فيكون عن امره حالا من فاعل
يخالفون كما ان حقيقة قولك خالفه عن الامر خالفه صادا اى معرضا عن الامر فيكون
عن الامر حالا من فاعل خالف ومحصوله كونه مخالفا له صادا عن الامر دونه وكذا اذا قلت
خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه يكون حقيقة الكلام خالفه ذاهبا الى الامر فيكون حالا
من فاعل خالف ايضا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى ذاهبا الى ما انهاكم
عنه فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر يعنى ان مخالفة الامر عبارة عن تركه مقتضاه
والاخلال به كما ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه ورعايته ولما امر الله تعالى من
خالف الامر وتركه مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر عنه ولا يحسن الحذر
عن العذاب الا بعد قيام المقتضى لنزوله فثبت ان ترك مقتضى الامر مقتض لنزول العذاب
فلولا ان المامور به واجب لما كان تاركه مستحقا للعذاب ثم انه تعالى لما هدد من خالف امره
باحد العذابين اورد عقيبه ما هو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال الا ان لله ما فى السموات
والارض الآية وجعله ذريعة الى التحقق علمه باحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق
والاخلاص واكد علمه بما هم عليه بان ادخل عليه كلمة قد على سبيل وذلك ان قد فى المضارع تفيد

المؤمنين المبادرة الى استعمال المخالفة ليس للمشاركة بين الاثنين بل هو مستعمل ههنا فيما صدر من جانب واحد مثل سافر زيد وقال ابن الحاجب عدى يخالفون ملاوذين بعن لما فى المخالفة من معنى التباعد والحيد كانه قال الذين يحيدون عن امره بالمخالفة وهو ابلغ من ان يقال يخالفون امره فان قلت الآية متضمنة للامر بالحذر لمن يخالف وحذر المخالف العذاب لا يفيده بعد المخالفة لحصول السبب المقتضى له وقبلها لا يحذر عذابا قلت المعنى فليحذر الذين وقعت منهم المخالفة فيتداركوا ما فعلوه بالتوبة والرجوع الى الله فيكون ذلك سببا لدفع العذاب عنهم تم كلامه ويمكن ان يجاب عنه ايضا بان فليحذر الذين يريدون المخالفة لامره ولا يفعلوها
ابن محمد

لان الغرض ذكر المخالف وهو المنافق والمخالف الى الامر عنه وهو امر الله تعالى وامر رسوله والمخالف لا بد له من مخالف فاستغنى عن ذكره منه

اذ لا معنى للحذر بتوجه بما لا يقع ولا يقتضى لوقوعه منه

قوله تعالى قد يعلم الله قد دل على التقليل مع المضارع على الافعال الله تعالى فيدل على التحقيق كهذه الآية وقد رده بعضهم الى التقليل لكن الى متعلق العلم يعنى ان العاصين بل المعلوم قليل فالتقليل ليس فى العلم بل فى متعلقه
ابن عادل

ابتداء الدابة وقعا وقوفا كالبروك ومنه محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء سمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير وما ربك ذكر مبارك تنبيها على ما يفيض منه الخير الالهية ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة ولنسبة هذه الصفة الى جنابه الاقدس وهل كانت من الصفات الاضافية او الذاتية قال تزايد خيره و

تكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله وعلى المعنى الاول يقال تبارك الذي نزل هذا القران الكريم الفرقان الفارق بين الحلال والحرام الذي جمعت ... منافعه وعمت عوائده ومنه قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك وعلى الثاني تعاظم في ذاته وتبارك في صفاته الذي هذا القران العظيم الفرقان الفارق بين الحق بذت فصاحته نطق كل ناطق وسبقت بلاغته عنان كل سابق ومنه قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقرا منيرا وقوله تبارك الذي بيده الملك طسي

التقليل كربما اذا دخلت عليه فكما ان ربما يستعار للتكثير كما في قول الشاعر فان يمس المجور الغناء فربما اقام به بعد الوفود وفود كذلك كلمة قد تستعار له ايضا فتفيد التحقيق والتاكيد وحملت كلمة قد في الاية على هذا المعنى لاقتضاء الوعيد اياه وفي البيت لاقتضاء مقام المدح اياه ويوم يرجعون منصوب على انه مفعول به لا ظرف لعطفه على قوله ما انتم عليه اي يعلم الذين انتم عليه ويعلم يوم يرجعون اليه كقوله ان الله عنده علم الساعة وقراءة العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو في اخرين مبنيا للفاعل وعلى كلتي القراءتين يجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله ما انتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون والثاني ان يكون قوله ما انتم عليه خطابا عاما لكل احد ويكون الضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ والمصنف اشاره الى هذا الوجه بقوله ما انتم عليه ايها المكلفون وقوله ويوم يرجع المنافقون اليه والى الاول ويجوز الخ انتهى ما يتعلق بسورة النور وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الفرقان وهي مكية غير اية نزلت بالطائف وهي قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل

بسم الله الرحمن الرحيم

تكاثر خيره قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تحصوا اجناسها فضلا عن افرادها فعلى هذا المعنى لا بد من تقدير المضاف اي تبارك خير الذي ولا حاجة اليه على المعنى الثاني او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فانه تعالى ليس كمثله شيء فالعبد وان كان له حظ من صفاته تعالى وافعاله الا ان ما له من الصفات والافعال لا يماثل شيئا مما له تعالى وذلك معلوم بديهة العقول ورتبه على انزال الفرقان اي تعليله به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله لما فيه من كثرة الخير مبني على تفسير تبارك بقوله تكاثر خيره وقوله او لدلالته على تعاليه مبني على تفسيره بقوله او تزايد على كل شيء وقيل دام عطف على قوله تكاثر بمعنى قبل الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام والمعنى انه تعالى باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباق في صفاته ممتنع التبدل ولم يرض به لان ترتيبه على انزال الفرقان لا يلائم هذا المعنى فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم على ما يعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف والقوم ما كانوا يعرفون انه تعالى هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذي اجيب بانه لما ثبت كونه من عند الله تعالى بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزله الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوة دليله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة والله

والى صلة ان يتضمن الصلة ... ان يكون الاحكام ... لا يتضمن الصفة ... مما لا يعلمه ... بسبب كونها ... منه

وان لم يكن معلومة الجن للجن والانس اي لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك بين اجناس ما يعلم به الخالق سبحانه وتعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدد الاجناس واستغراق افراد كل واحد منها اذ لو افرد لتوهم ان المراد منه واحد من تلك الاجناس ولو افرد معرفا لتوهم القصر الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التي هي القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع منكرا لم يكن نصا في الاستغراق لاختلاف في استغراق الجمع المنكر وجمع بالواو والنون لان المقصود استغراق العقلاء من جنس الجن والانس فان جنس الملائكة وان كان من جملة اجناس العالم الا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجن والانس فهو عليه الصلوة والسلام رسول اليهما جميعا فالاية حجة لابي حنيفة رحمه الله تعالى في قوله ليس للجن ثواب اذا اطاعوه سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم نجاتهم من العذاب الاليم على تقدير العصيان ولم يذكر لهم ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان منذرا او انذارا الاول على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثاني على ان الضمير للفرقان اي لتنزيل المدلول عليه بقوله نزل فكانه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان نفسه لا يكون انذارا بدل من الاول فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما بشيء اجنبي عن الكلام لان المبدل منه صلته نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الا به احدثه احداثا مراعى فيه التقدير يعني ان الخلق هو الاحداث المتفرع على التقدير والتسوية في علم الصانع فان الصانع اذا لم يقدر مصنوعه في علمه قبل الايجاد ربما يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله او بالنقصان عن حد تمامه ولما كانت الاية مظنة ان يقال قوله فقدره تكرار بناء على ان الخلق فيه معنى التقدير فكانه قيل وقدر كل شيء فقدره اشار الى دفعه اولا بقوله فقدره وهيأه لما اراد منه ومحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرع عليه بالفاء فان الاول عبارة عن تسوية المحدث في علمه الازلي لما اوجبته الحكمة بتعيين مادته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوي الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر صنعه والتقدير المتفرع على الخلق عبارة عن تهيئة لما يصلح له من المصالح المترتبة على وجوده فلا تكرار فكانه قيل اوجد كل شيء على تقدير اوجبته الحكمة وقدر له ما يصلحه ويقيمه وما يراد هو منه من الخصايص

قوله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لما اريد بالعبد والرسول وامته يعني ان المنزل اليه هو الرسول فقط احتيج الى تاويل معنى التنزيل الى الامة وتاويله ان المقصود الاصلي من انزال القران الى الرسول عليه الصلوة والسلام ارشاد الامة الى الصراط السوي فكان كانه انزل اليه واليهم قال ابن جني وجهه ان الانزال وان كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لما كان موصلا اليه الى العباد ومخاطبا به لهم صار كانه نزل عليهم ولذلك كثر فيه الخطاب للعباد بالامر والنهي لهم والترغيب والترهيب المصروف اليهم جميعا وهذا هو الوجه في قوله تعالى لقد انزلنا اليكم

ابن محمد

عليه متفرع على قوله اكتتبها على كل واحد من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن القاء الكلام على الغير ليكتب فان فسر الاكتتاب بالاستكتاب فالامر ظاهر لان املائها القاؤها على الكاتب متفرع على طلب ان يكتب له الكاتب لان املاءها على من يكتبها له عليه الصلوة والسلام جعل املاء عليه بناء على ان كتابة غيره بامره جعل بمنزلة كتابته عليه الصلوة والسلام بنفسه فلذلك جعل الالقاء على الكاتب بمنزلة الاملاء عليه ويحتمل ان يكون التقدير فهي تملى على من يكتبها له وهذا على تقدير ان يجعل الاملاء على حقيقته ويجوز ان يكون قوله تملى على استعارة تبعية بان يشبه القاء الكلام على الاتي ليحفظه بالقائه على الكاتب ليكتبه لكون صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب فاطلق الاملاء على الالقاء على الحافظ فاشتق منه تملى وكذا ان فسر اكتتبها بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاسناد المجازي وروي عن الحسن البصري انه قال قوله فهي تملى عليه كلام الله ذكره جوابا عن قولهم فكانه تعالى قال ان هذه الايات تملى عليه بالوحي حالا بعد حال فكيف يقال في حقها انها اساطير الاولين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه في هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولا شك ان هذا القول اقرب لانه تعالى اجاب بعد ذكر عن كلامهم بقوله قل انزله الذي يعلم السر الاية ووجه كونه جوابا ان القران لكونه معجزا من حيث كونه في اقصى مراتب الفصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن غيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا علام الغيوب يستحيل ان يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ولو اخذه من اليهود لما زاد على ما في كتبهم فظهر انه من عند من يعلم الغيب وهو الله تعالى وانه بمعزل عن كونه اساطير الاولين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام الاية ذكروا له خمس صفات وزعموا انها تخل بالرسالة زعما منهم ان فضيلة الرسول على غيره تكون بامور جسمانية وهو غاية الجهالة ونهاية السفاهة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بوجوه الوجه الاول قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال اي بينوا لك الاشباه حيث زعموا انك مسحور ومحتاج متفكر وناقص عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرة انه ساحر ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة مسحور ونحو ذلك من الاقوال الشاذة والاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي صلى الله عليه وسلم وهي الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية والى المميز بينه وبين المتنبي فان المميز بينهما انما يكون باظهار المعجزة وما ذكروه من الشبه لا يقدح شيء منها في اظهارها فلا يكون شيء منها قادحا في النبوة كانه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فائدة فيها لما انهم بصدد من القدح

والافعال وثانيا بقوله او فقدره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا متفرع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشيء انما يكون بعد احداثه كانه قيل احدثه فجعل لوجوده غاية محدودة وثالثا بقوله وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد فلا يكون قوله فقدره تكرارا او يكون الفاء فيه للترتيب في الاخبار فكانه قيل اوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجد بحيث يحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذي اقتضته الحكمة لان عبدتهم يتخذونهم اشارة الى ان فاعل اتخذوا هو عبدة الاصنام ولا يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله الهة كثيرة ولان السورة مكية نزلت ردا على المشركين فيما ذهبوا اليه ويجوز ان يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قوله واتخذوا صيغة جمع وقوله الهة جمع ايضا واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن معبود النصارى واحدا فامتناع دخولهم في فاعل اتخذوا انه تعالى لما رد على المخالفين في التوحيد شرع في الرد على المخالفين في النبوة بقوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اي ما هذا القران الا كذب افتراه محمد واختلقه من عند نفسه اي اختلق نظمه وتركيبه من عند نفسه واخذ مدلوله من اخرين واعانه عليه اي على افترائه قوم اخرون اي اليهود وقيل جبر مولى عامر ويسار غلام ابن الحضرمي وعداس وقيل عابس مولى حويطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا يقرؤن التورية ويحدثون احاديث منها فلما اسلموا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الاية واجاب عن شبههم بقوله فقد جاؤا اي فقد اتوا ظلما فعلوه حيث وضعوا صفة الافك في غير موضعه فان الكلام الذي بلغ النهاية في الفصاحة وانتهى الى حد الاعجاز كيف يختلقه البشر من عند نفسه ولو امكن ذلك لعارضوه واتوا بمثله حين تحداهم به لانهم مثله عليه الصلوة والسلام في معرفة اللغة وفي التمكن من الاتيان ووصفوا كلامهم هذا بانه زور ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا في حق القران ايضا اساطير الاولين كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطار جمع سطر او جمع اسطورة كاحدوثة واحاديث واساطير خبر مبتدأ محذوف اي هذا اساطير وقوله اكتتبها خبر ثان لهذا او حال من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه او الاشارة كقوله تعالى وهذا بعلي شيخا كتبها لنفسه يعنون به سيا انه ان اكتتابها فان بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه كاذبح واختصر اي ذبح لنفسه وجعل لنفسه خاصة او استكتبها على انه يكون اكتتب بمعنى امر ان يكتب له كما يقال احتجم واختصر اذا امر بذلكم وقوله فهي تملى عليه

في نبوته واثبات كونه نبيا والوجه الثاني من وجوه الجواب عن شبه المنكرين ما ذكره بقوله
تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اي من الذي ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة ثم
فسر ذلك الخير بقوله جنات الخ ونبه بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه الصلوة والسلام كل
الذي عبروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه تعالى يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق
المشيئة والاعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم
ويسد عليه ابواب الدنيا وفي حق الاخر بالعكس من ذلك عن الضحاك قال لما عير المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه الصلوة والسلام لذلك فنزل جبريل عليه السلام
معزيا له وقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق الخ فبينا جبريل والنبي عليهما الصلوة والسلام يتحدثان اذا فتح باب
من ابواب السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد اتاك
بالرضى من ربك فسلم عليه وقال ان ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا
ومعه سفط من نور يتلألأ ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقص لك
مما عند الله في الاخرة جناح بعوضة فنظر النبي الى جبريل كالمستشير فاومى بيده ان
تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نبيا عبدا قال فكان عليه الصلوة والسلام لا يأكل بعد ذلك متكئا
حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وقرئ بالنصب
اي ينصب يجعل باضمار ان على انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن
جني هو كقولك ان تأتني آتك واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب
الشرط بالواو غير مذكور في كتب النحو وانما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء
الستة الامر والنهي وغيرهما وقرأ باقي القراء بجزم يجعل وادغام لامه في لام لك عطفا على محل
جعل لانه جواب الشرط لفظا زيادة كرم اذا كان لا يعطى منه شيء والقصور جماعة القصر وهو
المسكن الرفيع والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم انما كذبوك
وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فيكون كلمة بل للترك
الاول والاخذ فيما هو اهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين الاولين انهما انما يفيدان ان ما
ذكروه من القدح لنبوته لا يصلح قادحا واما هذا الجواب فيبين العلة الداعية لهم الى انكار النبوة
فان من كذب بالساعة لا يرجو ثوابا ولا عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر في الدلائل الدالة على
ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل فلذلك لا يستعملون بما يورد عليهم من الدلائل فقوله تعالى بل كذبوا
بالساعة معطوف على قوله تبارك الذي والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقصرت انظارهم الى

الحطام الدنياوية والحطام اليبيس هو النبات اليابس المنكسر استعير لاسباب الدنيا
لسرعة زوالها وقلة جدواها قوله او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن فيكون معطوفا
على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الخ قوله او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وهو قوله تعالى
تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستئناف بوعد
ما يكون له في الاخرة فيكون معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال الاول انه على
الاول اضراب عنه الى جواب اخر اتم من الاول وعلى هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم
لا يلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالاخرة قوله او فلا تعجب الخ فيكون معطوفا على
جملة ما حكي عنهم مما يدل على تكذيبه عليه الصلوة والسلام والقدح في نبوته فان المقصود
من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم
اياه عليه الصلوة والسلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب الله تعالى وهو اعجب واغرب من
تكذيبهم اياه عليه الصلوة والسلام قوله فيكون صرفه باعتبار المكان يعني اذا كان اسما
لجهنم يوجب منع صرفه للعلمية والتأنيث الا انه صرف تأويلا لجهنم بالمكان وقوله اذا رأتهم جملة شرطية
في موضع النصب على انه صفة لقوله سعيرا وكذا قوله واذا القوا منها مكانا ضيقا الخ قوله اذا كانت
بمرأى منهم يعني ان السعير سواء كانت بمعنى النار الملتهبة او جهنم ليست لها عين ورؤية ومع
ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشيء
بمقابلة الناظر وبمرآه لازم للرؤية اذ لا يمكن الرؤية بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية
واريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من الملزوم الى اللازم يكون مجازا او كناية
قال عليه الصلوة والسلام المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما اي لا تتقابلان لا يكون احدهما
بمرأى من الاخر والمقصود النهي عن تقاربهما ويقال دور فلان تتناظر اي تتقابل وهذا
التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا في الحيوة عندهم فالنار على
ما هي عليه يجوز ان يخلق الله تعالى فيها الحيوة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ما روي عنه
عليه الصلوة والسلام انه قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعده قالوا هل لها
من عينين قال نعم الم تسمع قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد قيل اي من مسيرة عام وقيل من
مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا البنية في الحيوة فلا يجوز كون السعير رائية
عندهم فقوله تعالى في صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا يمكن اجراؤه
على الظاهر بل يجب ذلك عندنا اذ لا امتناع في ان تكون النار حية رائية مغتاظة على الكفار و
اما المعتزلة فقد احتاجوا الى التأويل قال الجبائي ان الله تعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة

بتعذيب النار لان الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله واسئل القرية اى اهلها اى اهل
قوله صوت تغيظ لما كان التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا ذكر فى توجيه الكلام
ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع ما يدل عليه من الصوت وهو كما يقال امارات غضب الملك على
فلان اذا راى ما يدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قوله فى مكان يعنى
ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها فى محل النصب على الحال من مكانا لانه فى الاصل صفة له وتعريفى
حال من مفعول القوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان
جهنم لتضيق على الكافرين كما يضيق الزج على الرمح الزج الحديدة التى فى راس الرمح وسئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم يستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط
اى يدخلون فيها الجاء ما وكرها لضيق المكان ولقد جمع الله على اهل النار انواع البلاء حتى ضم
الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابا فوق العذاب قوله والاستفهام والجواب
عما يقال كيف يتصور الشك فى ان ايهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز للعاقل ان يقول
السكر احلى ام الصبر واجاب بان ذلك يحسن فى معرض التقريع والتهكم فانه تعالى لما ذكر حال العقاب
المعدلين كذب بالساعة اتبعه بما يؤكد حسرته وندامته تقريعا له فتهكم به وجنة الخلد هى
الدار التى لا ينقطع نعيمها ولا ينتقل عنها اهلها ولما ورد ان الجنة اسم للدار المخلدة فاى فائدة
فى اضافتها الى الخلد اشار الى جوابه بقوله واضافتها للمدح كما ان الصفة تكون للمدح فكذا الاضافة
اولان اسم الجنة لا يدل الا على البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود فى مفهومها فاضيفت
اليها للدلالة على خلودها قوله بالوعد لا بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لا يجب على الله
تعالى عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعود لا يكون واجبا على من وعده
قبل الوعد وانما يجب عليه انجازه بمقتضى الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزاء
بالاستحقاق بوجهين الاول ان اسم الجزاء لا يتناول الا المستحق واما الموعود بمحض التفضل
فانه لا يسمى جزاء والثانى انه لو كان المراد من الجزاء الامر الذى يصيرون اليه بمجرد الوعد لما بقى
فرق بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة وقال اصحابنا لا نزاع
فى كونه جزاء انما النزاع فى ان كونه جزاء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس فى الاية ما يدل على
التعيين وانما قلنا انه ثبت بالوعد بالادلة المنفصلة وقوله كانت بلفظ الماضى مع ان الجنة
ستصير لهم جزاء ومصيرا فى المستقبل مبنى على انه تعالى كتب فى اللوح قبل ان خلقهم ان الجنة جزاؤهم
ومصيرهم او كان ذلك فى علمه الازلى قوله ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم
جواب عما استدل المعتزلة على انه تعالى لا يعفو عن اصحاب الكبائر ولا يدخلهم الجنة بهذه

شرط نعيم الجنة ان يكون دائما
اذ لو انقطع لكان مشوبا بخوف
الانقطاع ولذلك قال المتنبى
اشد الغم عندى فى سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا
فلذلك اعتبر الخلود فيه
منه

فالجواب الاضافة قد تكون
لتبيين وقد تكون لبيان صفات
الكمال كقوله تعالى الملك الحق
وهذا من هذا الباب
منه

بهذه الاية بان قالوا الجنة حق المتقين جزاء على اعمالهم لقوله انها كانت لهم جزاء واهل الكبائر وان
كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفى الله تعالى عنهم وادخلهم الجنة التى اختصت بالمتقين
وقد كانت حقا لهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان
لغيره لا يجوز وتوجيه الجواب ظاهر قوله ولعله تقصر همم كل طائفة جواب عما يقال ان اهل
الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد وان يريدوها ويسألوها فاذا سألوها
فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت فى الدرجة وان لم يعطها لهم قدح
ذلك فى قوله لهم فيها ما يشاؤن وفى قوله وفيها ما تشتهيه الانفس وايضا فلا بد اذا كان لولده فى
دركات النيران واشد العذاب اشتهى ان يخلصه الله تعالى من ذلك العذاب فان فعل الله تعالى ذلك قدح
ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك فى قوله لهم ما يشاؤن وفى قوله وفيها ما تشتهيه الانفس
وتقرير الجواب ان المراد لهم فيها ما يشاؤن مما يليق برتبتهم وانه تعالى لا يلقى الى خواطرهم ان ينالوا
رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشغل كل احد بالالتذاذ بما يليق برتبته ولا يلتفت الى حال غيره
قوله حال من احد ضمائرهم والمعنى يشاؤنه حال كونهم خالدين حاصلا لهم او الذى يشاؤنه
اى فى قوله كانت لهم وفى لهم فيها ما يشاؤن
حاصل لهم حال كونهم خالدين قوله وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده والمعنى كان
ذلك الذى يشاؤنه موعودا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد الكريم الذى يمتنع الخلف فى وعده
وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان
يسأل ويطلب لكونه جزاء واجرا مستحقا عليه تعالى لان العبد لا يستوجب عليه تعالى شيئا بل كل
ما يصل اليه من الخير فهو تفضل محض ولما ورد ان يقال لما وجب عليه تعالى انجاز الموعود وان
كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف فى وعده لزم منه كونه تعالى ملجأ الى الانجاز غير قادر على
تركه ومن كان ملجأ الى الفعل غير قادر على تركه لا يكون مستحقا للمدح والثناء بذلك والله ذو الفضل
العظيم يختص برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز لان وجوب
الانجاز انما لزم من الوعد الذى هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار
بالفعل والعلم به يوجب الفعل لانه لو لم يفعل لانقلب خبره الصادق كاذبا وعلمه جهلا والوجوب
اللازم من الاخبار والعلم لا يستلزم كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعلق
الارادة الازلية بالفعل متقدم على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لا يكون
صادرا على سبيل الالجاء ويكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء قوله ويوم نحشرهم
اى واذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون
فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون فى الاول وبالياء فى الثانى والمختار

قوله ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز
فان تعلق الارادة بالموعود متقدم
على الوعد الموجب للانجاز اى وان
لا يلزم من الوجوب الوعدى الكائن
لامتناع الخلف فى وعده تعالى الالجاء
الى الانجاز الوعد المقتضى ان لا يكون
قادرا على تركه لان الانجاز مستند الى ارادته
الى الوعد والوعد مستند الى ارادته تعالى
تعالى فانجازه الناشئة من القدرة عليه
فالانجاز صادر منه تعالى بارادته
التابعة للقدرة فيكون
بالاختيار لا بالاضطرار لا بالقسر
والالجاء قال الامام قالوا
قالوا الجواب هو الذى لو لم يفعل
لاستحق تاركه الذم او انه الذى
يكون عدمه ممتنعا فعلى
التقديرين يلزم ان يكون
فاعله ملجأ الى الفعل والملجأ
الى الفعل لا يكون قادرا على تركه
ولا يكون مستحقا للثناء والمدح
فمعنى قوله وعدا مسئولا اى حقيقا
ان يكون مسئولا لانه حق واجب
اما بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة
او بحكم الوعد على قول اهل السنة
فليس وجوبه وجوبا شرعيا
لا عقليا عندنا وعند المعتزلة
انتهى منه

المص بهذه القراءة وهو على تلوين الخطاب اي على الالتفات من التكلم الى الغيبة قوله يعم كل معبود سواه من الملائكة والمسيح وعزير والاوثان بشهادة قوله من دون الله الا ان جواب المعبودين بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يأبى دخول الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلائم الانبياء والملائكة المعصومين وان وجه المص كونه جوابا للاصنام ايضا بقوله او لعدم القدرة وبما مر دان يقال كيف يعم كل معبود ولفظ ما لا يستعمل في العقلاء دفعه بالمحصول انا لا نسلم ان كلمة ما لا تستعمل الا فيما لا يعقل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل تستعمل ايضا فيما يتناوله وغيره كما اذا استعملت في الذوات التي يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر عن كونها عقلاء او غير عقلاء كما فيما نحن فيه نعم انها لا تستعمل فيما علم كونه عاقلا وانما تستعمل فيه كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل انه انسان قلت من هو ودفعه ثانيا بانه اريد به الوصف فانه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى والسماء وما بناها اي وبانيها وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اي معبودي وقول فرعون وما رب العالمين اي مربيهم وقولك اذا اردت السؤال عن صفة زيد مثلا ما زيد تريد اطويل ام قصير افقيه ام طبيب وثالثا بانه عبر عن مطلق المعبودين بكلمة ما تغليبا للاصنام على عقلاء المعبودين تحقير الشأنهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية او اعتبار الغلبة عبادتها قوله او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح عطف على قوله يعم كل معبود وقوله او الاصنام عطف على الملائكة ولما ورد ان يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه الله تعالى ويقدر على الجواب اجاب عنه اولا بانه تعالى يخلق فيه الحيوة ويجعله صالحا لان يسأل ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال كما قيل في تسبيح الموات وكلام الايدي والارجل قوله وهو استفهام تقريع جواب عما يقال انه تعالى كان عالما في الازل بحال المسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال وتقرير الجواب ان فائدته تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى عليه الصلوة والسلام انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله لانهم اذا سئلوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع يزداد حسرة العبدة وحيرتهم ويسكتون بتكذيب المعبودين اياهم وتبريهم منهم ومن امرهم بالشرك وعبادة غير الله تعالى فلذلك سألهم بذلك والا فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال قوله واصله اضللتم ام ضلوا لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوي معلوم الا ان ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وهذا المعنى يحصل بان يقال اضللتم عبادي ام ضلوا بانفسهم من غير ان يراد انتم وهم الا انه غير النظم بزيادة انتم بين فعل الاضلال والهمزة

قوله وحذف صلة ضل فان الاصل ضلوا عن السبيل فحذف عن للمبالغة فان الانسان اذا كان متناهيا في التفريط وقلة الاحتياط يقال في حقه انه ضل السبيل منه

557

والهمزة وبزيادة هم بين فعل الضلال وام ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعيين من تولى الفعل وباشره لا اصل الضلال اذ لا شبهة في تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال المعلوم ليس مقطوع التحقق لما توجه العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل هؤلاء الضالين لا بد لهم من مضل وان ذلك المضل هل هو انتم ام ضلوا بانفسهم اي اضلوا انفسهم فان الضال من غير ان ينقاد المضل الخارجي هو الذي يضل نفسه لا محالة فزيد لفظ انتم وهم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال ثم انه ذكر في قوله سبحانك ثلثة معان الاول انه تعجب مما قيل لهم واسند اليهم من الاضلال مع كونهم معصومين او عاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل في التعجب والثاني ان قولهم سبحانك كناية عن كونهم متحيرين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا عباده و الثالث انه مستعمل في التنزيه كما هو اصله والمراد تنزيهه تعالى عن الانداد قوله فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك جعل قولهم ما كان ينبغي لنا الخ كناية عن استبعاد ان يدعوا احدا الى اتخاذ ولي دونه تعالى لان نفس قولهم بصريحه لا يفيد المقصود وهو نفي ما نسب اليهم من اضلال العباد وحملهم على اتخاذ الاولياء من دون الله تعالى قوله من اتخذ الذي له مفعولان اولهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله من اولياء ومن للتبعيض اي ما كان ينبغي لنا ان نتخذ بعض اولياء وقراءة العامة نتخذ بنيا للفاعل ومن اولياء مفعول وزيدت فيه من لتاكيد النفي قوله فلا تنتهض حجة علينا للمعتزلة فانهم قالوا في هذه الاية كسر بين لقول من يقول ان الله تعالى يضل عباده في الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا الهنا ههنا قسم ثالث نخبر بها وهو الحق وهو انك اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا ضلالهم الى انفسهم علمنا ان الله لا يضل احدا من عباده فان قيل لا نسلم ان المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وهذا تصريح بان ضلالهم انما حصل لاجل ما فعل الله بهم وهو انه تعالى متعهم واباءهم بنعيم الدنيا قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يصير الله تعالى محجوجا في يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا فعلموا ما هذا تمام تقرير كلام المعتزلة في الاية وتقرير المص ظاهر في عدم انتهاض الاية حجة المعتزلة علينا فانه لما تضمن كلام المعبودين انا لم نضللهم ولم نحملهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر تنوب الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستغراقهم في الشهوات واسناده الى ما فعل الله بهم فكانه قيل لكن اضللتهم بان فعلت لهم ما يؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك اذ لو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق الجواب لان السؤال

والمعنى اذا كنا لا نريد ان نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك

الانسان الشيخ سواد وغيره

البر يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى البوار والهلاك كالزور بمعنى الكذب

انما هو عن اصلهم التفاوت الى العبدة يعنى انه كلام الذى خاطب به المشركين بعد ما عبّر عنهم بلفظ الغيبة فى قوله ويوم يحشرهم واصل الاية فقلنا فقد كذبكم المعبودون ايها المشركون فى قولكم انهم آلهة او فى قولكم هؤلاء اضلونا على ان الباء بمعنى فى ويحتمل ان يكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير المفعول فى كذبوكم كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون والباء صلة كذبوا كما فى قولك كذب بالحق فان كذب مما يتعدى الى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء وقد عدى ههنا الكم بنفسه فلا جرم يكون هذا بدلا منه وان قرئ بما يقولون بياء الغيبة يكون الباء للآلة كما فى قولك كتبت بالقلم اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا قوله والشرط وان عم جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بان قالوا قوله تعالى ومن يظلم الكافر والفاسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الاية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاحباط بالطاعة ان يزيل ذلك الظلم بطاعة هى اعظم من ذلك الظلم ولما كان اقتضاء هذا الشرط للجزاء المذكور مقيدا بان لا يوجد ما يزيل ذلك الظلم فلم قلتم انه لم يوجد ما يزيله حتى قطعتم بتعذيبه قوله الا رسلا انهم يعنى بهمزة انهم لوقوعها صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف واعلم ان فى الاية حذفين والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا رسلا انهم ليأكلون فحذف احدا واقيمت صفته وهى من المرسلين مقامه وكذا حذف رسلا واقيمت الجملة التى بعده مقامه وجاز استثناء رسلا من احدا لانه فى معنى الجمع كما فى قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ويجوز ان يكون الجملة التى بعد الا حالا من اعم الاحوال والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين فى حال من الاحوال الا وهم ليأكلون الا انه اكتفى فيها بالضمير عن الواو قوله وهو جواب لقولهم يعنى انه احتجاج عليهم فى قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ونقض له ببيان حال الرسل جميعا كانه قيل لو كان موافقة الرسل المرسل اليه فى الاحوال منافيا لرسالته لوجب ان لا يكون احد من الرسل قبلك رسولا وهو باطل واذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فانك لا تكون بدعا منهم وقرئ يُمَشَّوْن بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرئ يُمْشَوْن بضم الشين على بناء الفاعل لتكثير المشى لكان له وجه لولا ان الرواية بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب مناصبة اى شركته فى المحاربة والمعادات قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه الصلوة والسلام على ما قالوه مال هذا الرسول يأكل الطعام الاية مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كانه لا تتأذ بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى اشراف الناس باسافلهم وذووا

فالغنى فتنة للفقير يقول الفقير مالى لم اكن مثله والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع والمرسل اليهم فتنة للمرسل لينظر انه هل يصبر على اذى المرسل اليهم ام لا صح

وذووا الانساب بمواليهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس ورؤساء المشركين بفقراء الصحابة فانه اذا اراد الشريف ان يُسلم وراى الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم وقال اأُسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره فهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فلا عجب من ان يبتلى المرسلون بالمرسل اليهم بانواع اذاهم وان يبتلى المرسل اليهم بالمرسلين حسدا لهم وتأييسا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين قوله وفيه دليل على القضاء اى فى قوله تعالى وجعلنا دليل على ان الكائنات كلها واقعة بقضاء الله تعالى وقدره فانه لا شك ان المراد منه وحكمنا فى الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض فالذى حكم الله تعالى عليه بل كذا وعلم ذلك منه واثبته فى اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يجب ان يقع فى اوقات حدوثه لعلى وقوع ما تعلق به العلم الازلى والا لصار العلم جهلا ولصارت الكتابة المثبتة فى اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال فثبت مسئلة القضاء والقدر والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها علة للجعل يعنى ان الفتنة بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار فجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سبب الامتحان البعض للبعض الاخر فكان تعلق اتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن عملا بيبلوكم فكما ان المعنى ثم ابتلاكم بالتكليف لنعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم ايكم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على اذى بعضكم بعضا فان الله تعالى فيهم انه جزيتهم اليوم بما صبروا قوله تعالى وكان ربك بصيرا اى عالما بمن يصبر وبمن يجزع فهو يبشر وانذار للفريقين وقيل عالما بالصواب فيما يبتلى به الخلق وغيره فلا يضيقن صدرك يا محمد قوله ومنه الرؤية اى ومن وجوه الوصول الى الشئ وطرقه رؤيته فان مسمى اللقاء جنس تحته انواع احد انواعه الرؤية ونوعه الاخر الاتصال والمماسة واللقاء بهذا المعنى يمتنع ان يتعلق بذاته تعالى فتعين ان يكون المراد الوصول الى جزائه او رؤية ذاته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير وهذه الاية اشارة الى شبهة رابعة لمنكرى نبوته عليه الصلوة والسلام وهى قولهم لو كان نبيا لانزل الله تعالى ملائكة يشهدون انه صادق فى دعوى النبوة او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا لان هذا الطريق احسن واقوى فى الافضاء الى الايمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا انه ما اراد تصديقه قوله اَيَاۤ اَبَنا بَا الكُلَيْبَا اى قتلنا بمقابلته ابنا كليبا وهو رئيس تغلب بن وائل

يقال ابأت فلانا بفلان اذا قتلته به وجعلته كفوا له والناب المسنة من النوق وجساس
رئيس بكر بن وائل وجارته امراة اسمها بسوس يقال لها خالة جساس رأى كليب
وائل يوما ناقة تلك المراة في حماه وقد كسرت بيض طير كان قد اجاره فرمى ضرعها بسهم
فقتلها فصاحت بسوس آل جساس فقتل جساس كليبا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب
بكر وتغلب ابني وائل اربعين سنة حتى ضرب بها المثل في الشوم وقيل اشأم من بسوس
وسميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل في عزة الشيء وقيل اعز من حمى كليب والبواء
الكفو واستوثق بقوله علق ناب كليب بواؤها القصر النجي والمعنى ما اغلى نابا بواؤها
كليب وكذا معنى الاية ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم ثم انه تعالى اجاب عن قولهم لولا
انزل علينا الملائكة بقوله يوم يرون الملائكة الاية فبين ان الذي طلبوه سيوجد ولكنهم
يلقون منه ما يكرهونه ويوم نصب باذكر فيكون لا بشرى استينافا او بمعنى القول المضمر
اي اذكر يوم يرون الملائكة يقولون لا بشرى وجملة القول حال من الملائكة او بما دل عليه
لا بشرى ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله
والثاني انها منفية بلا وما بعد لا لا يعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون اما على انه تاكيد لفظي له
او على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ خبر لا بشرى والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين بيانا
لمقول لا بشرى لما فيه من الابهام او خبرا ثانيا له او ظرف لغو على قوله تكرير اي ويحتمل ان يكون
يومئذ ظرفا معمولا لما يتعلق به اللام او لبشرى اذا جعلتها غير مبنية فان المبنية لا تعمل
وللمجرمين اما عام يتناول بحكمه حكم الذين لا يرجون لقاءنا من طريق البرهان بان يقال ان الذين
لا يرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لا بشرى لهم فالذين لا يرجون لقاءنا لا بشرى لهم بالطريق
الاولى عطف على المدلول اي على الفعل الذي يدل عليه وهو يمنعون البشرى بالجنة او
بعدموتهم او قولهم حجرا محجورا الكلمة يقال عند لقاء عدو او هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع
الاستعاذة وحجرا من المصادر التي التزم اضمار ناصبها ولا ينصرف فيه اي لا يجري عليه وجوه
الاعراب بل يلزمه النصب على المصدرية ابدا نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك اي اعوذ بالله معاذا
يقال عذت بفلان واستعذت به اي لجأت اليه وهو عياذي اي ملجأي وقعدك الله اي اسال الله
تثبيتك وتعميرك اي تمكينك وعمرك الله اي تعميرا وقعدك الله اي قعدا وتعميرا احذف
زوائد المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول وحجرا مصدر حجره اذا منعه بقوله المستعيذ
لانه طالب من الله ان يمنع المكروه ولا يلحقه والمعنى اسال الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة
على كسر الحاء وقرئ بضمها وهو لغة فيه وحكى ابو البقاء فيه لغة ثالثة وهي فتح الحاء قال وقد قرئ
ب

ب واصل الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص وهو موضع الانتصاب على المصدرية
لفعل مضمر غير فيه من الالباس فغير ومحجورا صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ليل لائل وموت
مائت ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حين يرون الملائكة عند
الموت او يوم القيمة نفي البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية
على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة وذلك لان قوله لا بشرى يومئذ
للمجرمين نكرة في سياق النفي فيعم جميع انواع البشرى في جميع الاوقات وشفاعة الرسول
لهم من اعظم البشرى فوجب ان لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين اي وعمدنا الى ما عملوا لما
لم يجز اسناد حقيقة القدوم اليه تعالى لكون القدوم عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة وذلك
يكون بالحركة التي هي من خواص الاجسام وتقتضيه لحدوث الموصوف ولذلك استدل الخليل
عليه الصلوة والسلام بافول الكواكب على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث
فلذلك اوله بقوله وعمدنا فان القصد هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم السبب
على المسبب فيكون المجاز في المفرد وليت شعري كيف احتيج الى اعتباره مع جعله من تشبيه
الهيئة بالهيئة كما صرح به حيث قال او مثل حالهم بحال قوم وفي مثله تكون المفردات مستعملة
في معانيها الاصلية وانما التصرف في المعنى التركيبي والظاهر ان ليس مراد المص بقوله اي وعمدنا جعل
القدوم مجازا عن العمد بل يريد به ان يعبر عن الهيئة المشبهة التي جعل نظم الاية مجازا عنها
او مفعول ثالث عطف على قوله صفته واراد ان منثورا لما كان بمنزلة خبر ثان لكان الخبران
مع المفعول الاول الذي هو في الاصل مبتدأ بمنزلة ثلثة مفاعيل والاخبار سواء كان بمعنى خلق
او صار لا يتعدى الى ثلثة مفاعيل ثم انه تعالى لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة
شرع في وصف اهل الجنة تنبيها على ان الكمال الخلقي طاعة الله تعالى فقال مستقر اهل الجنة خير
من مستقر اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم فان قيل كيف يكون اصحاب الجنة خير مستقرا من
اهل النار ولا خير في النار ولا يقال العسل احلى من الخل فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم كما
في قوله اذلك خير ام جنة الخلد ولما دلت الاية على ان مستقر اهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقر
بالمكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات والمقيل بالمكان الذي يؤوون اليه للتمتع بالازواج
اذ لا نوم في الجنة لان اهلها ابدا في نعيم يعرفونه كما ان اهل النار ابدا في عذاب يعرفونه فلا نوم في
واحد منهما وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور اي صور ازواجهم
من الحور العين والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمي به الشيء من الزخارف كالتصاوير
والتصاعيف سمي بها صروف الزمان واشياء الشيء فيقبل اهل الجنة اي يتقلبون

البا وقت التقبل له بهذه الرؤية يؤيد كون الفعل بمعنى الزمان تعالى ويوم تشقق العامل في
يوم اما اذكر او الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن تقديره ينفرد الله
بالملك يوم تشقق وقرء الكوفيون وابو عمرو وههنا وفي ق تشقق بتخفيف الشين والباقون
بتشديدها واصل القرائتين تتشقق حذف الاولون احدى التائين للتخفيف والباقون ادغموا
التاء الثانية في الشين لما بينهما من المقاربة وهذه الآية مرتبطة ايضا بما اقترحوه من انزال
الملائكة فبين الله تعالى ان ذلك يحصل في يوم له صفات منها ان السماء تشقق في ذلك اليوم ومنها
ما ذكره بقوله الملك يومئذ الحق للرحمن ومنها قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا ومنها قوله
تعالى ويوم يعض الظالم على يديه بسبب طلوع الغمام منها يعني ان الباء في قوله بالغمام
سببية فان طلوع الغمام منها سبب لانشقاقها كما في قوله انشقت الارض بالنبات لكون
طلوع النبات منها سببا لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات آلة الفعل يتقدم وجودها على وجود
الفعل وليس الطلوع متقدما على الانشقاق في الوجود حتى يكون آلة له الا انه شبه بالآلة في كونه
سببا للفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة عليهم الصلوة والسلام
ينزلون وفي ايديهم صحايف اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اي ملتبسة بالغمام او وعليها
غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه اي وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء
ههنا بمعنى عن اي عن الغمام ومعنى انشقت الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عنه عند
طلوعه وكذا في قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم فتشقق السماء عن الغمام ان تزول السماء
فيبقى الغمام فوق رؤس الخلايق يظلهم قال الامام النسفي الغمام فوق السموات السبع وهو
سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وثقله اثقل من ثقل
السموات فاذا اراد الله تعالى ان يشقق السموات التي ثقل عليها فانشقت فذلك قوله تعالى تشقق
السماء بالغمام اي بثقل الغمام فيظهر الغمام الى هنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام فان
الباء وفي تتعاقبان كثيرا وروي في الخبر انه تنشق سماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا
بمثلي من في الارض من الجن والانس فيقول لهم الخلق افيكم ربنا فيقولون لا وهو جاء امر ربنا
بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم ينزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الارض من الملائكة
والانس والجن ثم ينزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى ينزل ملائكة سبع
سموات فيظهر الغمام وهو كالسحاب الابيض فوق سبع سموات ثم ينزل الامر بالحساب فذلك
قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الا انه قد ثبت ان الارض بالقياس الى السماء

والظاهر انه منصوب بالعطف على قوله يوم يرون وقد ذكر ناصبه سلمه

قوله وهو الغمام المذكور يريد ان تعريف الغمام للعهد والمعهود ما ذكر فيه سلمه

يعني انشقت به انه تعالى شقها بطلوعه فانشقت به كشاف

الى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش فملائكة هذه المواضع بكليتها
كيف تسع الارض لكل هؤلاء والعلم عند الله علام الغيوب وقراء ابن كثير وننزل الملائكة
بنونين ثانيهما ساكنة من الانزال ونصب الملائكة على انه مفعول به وكان من حق المصدر
في هذه القراءة ان يجيء على انزالا الا انه لما كان انزل ونزل بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام
مصدر الآخر ومثله قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي تبتلا وقراء الباقون من السبعة ونزل بضم
النون وكسر الزاي المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول فيرفع الملائكة لقيامه مقام
الفاعل وقرئ ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وقرئ وأنزل ونزل كلا واحد منهما على بناء
الفاعل وهو الله تعالى فتعدى الفعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ وانزل على بناء المفعول
ايضا وقرئ ونزل بالفتحات الثلث مخففا مبنيا للفاعل وهو الملائكة وقرئ ونزل الملائكة
بضم النون وتشديد الزاي ونصب الملائكة والاصل ننزل بنونين حذفت احدهما
هو الخبر يعني ان الملك مبتداء ويومئذ ظرف معمول له والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق و
المعنى الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحمن او متعلق بمحذوف على التبيين فيتم
الكلام عند قوله الحق او صفته عطف على الخبر في قوله هو الخبر اي ويحتمل ان يكون الحق صفة
للمبتداء وللرحمن خبره ويومئذ من صلة المبتداء او من صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة
الحق لان ما كان في حيز المصدر لا يتقدم عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق نعت للملك
وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر وعض اليد كناية من الغيظ و
قيل المراد به حقيقة العض والاكل يعني قول يعض الظالم انه ياكل يديه الى المرفقين ثم تنبتان
فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه اكلهما ندامة على ما فعل تعالى ويوم يعض منصوب بالعطف
على قوله يوم يرون كما ان قوله يوم تشقق منصوب ثم ان كان تعريف الظالم للعهد وكان المعهود
عقبة بن ابي مُعَيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو أبي بن خلف وكان المعنى
يتمنى عقبة يوم القيمة ان يتخذ ابيا خليلا في الدنيا وان كان التعريف فيه للجنس والاستغراق
يكون كناية عن كل من اطيع في معصية الله تعالى روي عن الضحاك انه قال لما بزق عقبة
في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك
فيه حتى الموت تعالى يقول يا ليتني هذه الجملة حال من فاعل يعض طريقا الى النجاة او طريقا
واحدا يعني ان التنكير في قوله سبيلا اما للنوعية او للافراد شخصا وهو سبيل الحق ولم
يتشعب لي اي لم يفترق يقال شعبت الشيء اذا فرقته ويقال التأم شعب بني فلان اذا
اجتمعوا بعد التفرق والباء في قوله لي للتعدية ومعنى تفريق طرق الضلال اياه انه لما كان

قال الزجاج الحق صفة للملك ومعناه ان الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة لان الملك الزائل كانه ليس بملك عن بعضهم وبعضهم فصل بين الصفة والموصوف والفصل بينهما بالظرف فصيح ويجعل الصفة اليه يجوز ذكره قوله بها اخوانه للحرب من الا اخا له طيبي

تارة في هذه الطريق من طرق الضلال وتارة في تلك كان طرق الضلال كانها فرقه
وقرئ بالياء على الاصل فان اصل هذه اللفظة كسر التاء والتي بعدها ياء صريحة فابدلت
الكسرة فتحة والياء الفا فرارا عن اجتماع الكسرة مع الياء   كما ان هنا كناية عن الاجناس
معنى ان كل واحد من لفظي فلان وهن اسم موضوع لان يعبر به عن شيء الا ان لفظ فلان
يكنى به عن اسم هو علم لشخص من العقلاء ولفظ هن لا يكنى به عن الاسم بل يكنى به عن المسمى
الذي يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له لقبحه يقال كانت بينهم هنات ومن المعلوم انه
ليس المراد بالهنات الالفاظ وانما يعني بها اشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا
عن لفظ الفرج   معنى الخليل المضل يعني ان خليله يسمى شيطانا لانه يفعل فعل الشيطان
وهو الاضلال وكلام الظالم تم عند قوله بعد اذ جاءني ثم قال الله تعالى وكان الشيطان
للانسان خذولا حيث يتبرأ في الاخرة عن نصرة من اضله في الدنيا ويجوز ان يكون
هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذي قبله يقولون حين يخذله الشيطان او خليله ولم ينفعه
في الاخرة ثم اخبر الله تعالى عن شكوى رسوله قومه اليه بقوله وقال الرسول يا رب الآية وهذه
الشكوى وقع منه عليه الصلوة والسلام في الدنيا حين اكثروا من الاعتراضات الفاسدة
ووجوه التعنت وقيل انه عليه الصلوة والسلام يقوله في الاخرة شهادة على من كذبه و
عصاه وليس المقصود من حكاية هذا القول الذي هو طلب من الرسول الاخبار والاعلام لان كل
واحد من فائدة الخبر ولازمه معلوم له عليه الصلوة والسلام بل المقصود منه تعظيم شكايته
وتخويف القوم لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام اذا التجأوا اليه تعالى وشكوا قومهم حل بهم
العذاب ولم يمهلوا   او هجروا فيه اي ويحتمل ان لا يكون قوله مهجورا من الهجر الذي هو ضد
الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى الهذيان فانه كما يقال هجره يهجره هجرا وهجرانا اذا تركه وصد عنه
يقال ايضا هجر المريض يهجر هجرا اذا هذى في منطقه ثم انه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى
يحتمل معنيان الاول انهم هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه بان يخلطوا الهجر به ليبقى غير مفهوم
على السامعين والثاني انهم زعموا انه هذيان وهجر واساطير الاولين وهذا كما اذا نقل
اليك كلام منك فقلت تهجر فيه اي تهذي فالمهجور في هذه المقالة وعلى كل واحد من المعنيين يكون
اصله مهجورا فيه لان الهجر بمعنى الهذي لازم لا يجيء منه اسم المفعول ما لم يقيد بحرف الجر
لان الهجر بمعنى الاهجار وهو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لا طائل فيه ولا معنى وظاهر انه
لا يسند عن المفعول ويجوز ان لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرا بمعنى الهجر اطلق على
القران على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول او المردود بمعنى الجلد والعقل والرد والمعنى

وبهذا اتضح قول العصي وفيه تخويف لقومه منه

وان كان كونه منه هو الشاذ والتوكيد بما ذكر من العبارة من الرواية منه

والمعنى على هذا جعلوا قراءة القران والتكلم به تهجرا ثم انه عليه الصلوة والسلام لما شكى
اليه تعالى قومه قال تعالى تسلية له وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا قومك اعداء لك ويكذبونك جعلنا
لكل نبي قبلك عدوا وهذا صريح في ان تلك العداوة كانت بجعل الله تعالى وتلك العداوة كفر فثبت
به انه تعالى خالق الخير والشر جميعا وليس للعبد حصة من الخلق اصلا ثم انه تعالى حكى عن منكري النبوة
شبهة اخرى وهي قول اهل مكة له عليه الصلوة والسلام تزعم انك رسول من عند الله تعالى فهلا
اتيتنا بالقران جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم الصلوة والسلام
كتابه وقوله جملة حال من القران اذ هي في معنى مجتمعا   اي كذلك انزلناه متفرقا بيان الكاف
منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدر او على الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان يكون
مرفوعة المحل على الابتداء اي الامر كذلك ويكون قوله لنثبت علة للمحذوف اي لنثبت فعلنا ذلك وهو
جواب عن شبهتهم   ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم
بعض الايات عن البعض في النزول لم يعلم ان ايها ناسخة وايها منسوخة واما اذا نزلت
منجمة فيعلم ان ما تأخر نزوله ناسخ للمتقدم ولانه اذا انزل متفرقا بحسب اسولتهم والوقائع
الواقعة لهم حصلت فائدة جليلة لا تحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة
لما حصل الا الدلالات اللفظية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ما اذا نزل نجوما
فانه ينضم اليها القرائن الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولا شك ان انضمامها اليها
يعين على البلاغة وبالجملة انزال القران منجما فضيلة خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين
سائر النبيين فان المقصود من انزاله ان يتخلى قلبه المنير بخلق القران ويتقوى بنوره ويتغذى
بحقايقه وعلومه وهذه الفوائد انما تكمل بانزاله متفرقا الا يرى ان الماء لو نزل من السماء جملة
واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها اذا نزل متفرقا الى ان يستوي الزروع   ويحتمل ان يكون
من تمام كلام الكفرة كانهم قالوا لولا انزل عليه القران جملة واحدة كنزول الكتب الثلثة فيكون
حالا اخرى فيكون قوله لنثبت متعلقا بمحذوف تقديره انزلناه متفرقا لنثبت كما يتعلق به على تقدير
ان يكون من كلام الله تعالى وقوله ورتلناه معطوف على ذلك المحذوف الذي تعلقت اللام به والترتيل
التفريق ومجيء الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير دون قطع النفس قال ابن عباس رضي الله عنهما
رتلناه ترتيلا اي بيناه بيانا وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابي ما اعلم الترتيل
الا التحقيق والتبيين وقيل معناه امرنا بالترتيل في قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القران ترتيلا
اي اقرأه بترسل وتثبت وقيل معنى الترتيل حفظ الوقوف واداء الحروف ومنه حديث عائشة
رضي الله عنها في صفة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه

عطف على قوله سنا ما اشار اليه الحق بما ذكر منهما على ان انزاله منجما لكون لنثبت فؤادك عليه الصلوة والسلام منه

لعزنا او محصول ما ذكره للمص انزلنا بعضه بعد بعض بزمان يسير بينهما ولم ننزل مرة واحدة وهو
معنى قوله ونزلناه تنزيلا ثم انه تعالى لما افتتح هذه السورة الكريمة بما يتضمن اثبات التوحيد والنبوة
ثم اورد اباطيل المخالفين فيهما ورد بهم في كل واحد من تلك الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة
ختم الكلام بقوله ولا ياتونك بمثل الاية اى لا ياتونك بشبهة وسؤال من جنس الشبهات المذكورة
الواضحة البطلان كانها مثل في البطلان الا جئناك بالحق الذى يدفع ما جاؤا به من المثل ويبطله
لقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق حتى ما يوردونه من الشبه مثلا وما
يدفع به الشبه حقا وقوله الا جئناك بالحق استثناء مفرغ والجملة في محل النصب على الحال اى لا
ياتونك بمثل في حال من الاحوال الا في حال اتياننا اياك بالحق وبما هو احسن بيانا لما هو الحق والصواب
ومقتضى الحكمة   او معنى على ان يكون التفسير الذى هو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا عن نفس
المعنى المبين اطلق اسم التفسير والبيان لما بينهما من العلاقة فان كل واحدة من الشبهات
التى اوردها قدحا في نبوته عليه الصلوة والسلام لا معنى له ولا نفع فيما هم بصدده وما جاء الله
تعالى في دفعه وجوابه احسن معنى واصلح جوابا ورد امن سؤالهم الذى لا نفع لهم فيه وحاصل المعنى على
هذا الوجه كلما سألوك بسؤال عجيب اجبناهم عنه بجواب هو احسن معنى من سؤالهم مثلا انهم سألوا
عن انزاله جملة واحدة لم لم يكن فاجاب بانا انزلناه منجما لنثبت به فؤادك وهو احسن معنى
ومؤدى لما فيه من بيان الحكمة ولا نفع لهم في سؤالهم اصلا والمعنى على الوجه الثاني كلما ياتونك
بصفة عجيبة قائلين لم لم يكن على هذه الصفة مع انها هي المناسبة للنبوة واظهر في الدلالة على
نبى جعلناك على صفة هي اشد مناسبة للنبوة ودلالة على انك نبى حق فان قيل قد ذكر اولا ان
السؤال مثل في البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن منه فان الحسن ليس مشتركا بينهما
فالجواب من وجهين الاول انه لما كان السؤال حسنا بزعمهم قيل الجواب احسن من السؤال والثاني انه مثل
قولهم الصيف احر من الشتاء مع ان الحرارة ليست مشتركة بينهما بل يريدون به ان حر الصيف
اشد من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب في باب الحق والحسن اقوى وادخل من سؤالهم في
باب القبح والبطلان   اى مقلوبين او مسحوبين اليها الفرق بين الوجهين ان معنى الآية على الاول
ان الذين يحشرون الى جهنم حال كونهم مقلوبين وجوههم الى القفاء وارجلهم الى فوق وقد روى
ذلك عنه عليه الصلوة والسلام فانه قد ورد في الاخبار ان رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على
وجهه يوم القيمة قال ان الذى امشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه وعلى الثاني الذين يحشرون
اليها حال كونهم مسحوبين اى مجرورين على وجوههم وما ذكره من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر في اعراب
الذين ثلثة اوجه ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعنى ومرفوعا على الذم اى على انه خبر مبتدأ محذوف

اى هم

٥٦٢٠

اى هم الذين وان يكون مبتدأ خبره اولئك شر مكانا اى منزلا ومصيرا واضل سبيلا اى اخطأ
دينا وطريقا   والمفضل عليه هو الرسول اشارة الى ان الاية متصلة بقوله ولا ياتونك
بمثل فان مقصودهم من اتيان ما هو كالمثل في البطلان تحقير منزلته ومكانه   من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر
مكانا واضل عن سواء السبيل فاسلوب الاثنين واحد   وقيل انه متصل بقوله اصحاب
الجنة يومئذ خير من حيث ان ذلك في بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا في صفة اهل النار
وسوء مصيرهم ولم يرض به لان قسم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انه تعالى لما ذكر قوله وكذلك
جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرفه ما نزل بمن كذبهم
من امهم تسلية له عليه الصلوة والسلام وابعادا للقوم كانه قيل لست اول نبى كذب بل
ارسلنا قبلك انبياء مؤيدين بالايات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب الاية
قال الزجاج الوزير في اللغة الذى يرجع اليه ويعمل برايه ويتحصن به والوزر ما يعتصم به ومنه
كلا لا وزر اى لا منجا ولا ملجا قيل ولذلك لا يوصف تعالى بان له وزيرا ولا بانه وزير لان الالتجاء اليه
في المشاورة والرأى على هذا الحد لا يتصور ولما ورد ان يقال كون هرون وزيرا كالمنافي
لكونه شريكا في النبوة لانه اذا صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا اجاب عنه بقوله لا ينافي
ذلك مشاركته   والتعقيب جواب عما يقال الفاء في قوله تعالى فدمرناهم للتعقيب والاهلاك
لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون بل بعد مدة مديدة والجواب ان فاء التعقيب محمولة
ههنا على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع   وقرئ فدمرتهم بمعنى ان العامة فدمرناهم فعلا
ماضيا على بناء المتكلم المعظم معطوفا على محذوف اى فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اى
اهلكناهم اهلاكا وقرأ على رضى الله تعالى عنه فدمّرا بهم امرا لموسى وهرون عليهما الصلوة
والسلام وعنه ايضا فدمّرانهم كذلك ايضا ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة وعنه ايضا
فدمّرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهى تشبه القراءة التى قبلها في الخط
فقوم نوح يجوز ان يكون منصوبا معطوفا عطفا على مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل
مضمر يفسره قوله اغرقناهم ويرجح هذا بتقدم جملة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا
بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اى اذكر قوم نوح   ولعلهم كذبوا واحدا من الرسل
لتكذيب الكل لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجزة وذلك يقتضى تكذيب الكل
ولانهم متفقون في اصول الدين فمن كذب واحدا منهم في شىء من ذلك فقد كذب الكل فيه
كالبراهمة فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه براهم ينكرون لكل الرسل وبعثتهم

اى على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان التفسير والبيان سبب لظهور المعنى

مثل قولهم لم لم تتفجر لك ينبوع او تنزل معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة وقيل معناه لا يكون لك بصفة باطلة تجيء بصفة لك بحق وقولهم ساحر لا ثقة بك ونحو قولهم صفتان لم لا يكون عن ونحو لك الا وشاعر ومجنون الا بصفة حق لك وتلبس على كذ لا قال باء يا النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا منيرا ونحو ذلك منه

قال الامام رحمه الله في صفة المؤمنين الذين يعلم خلطوا صالح اعمالهم بشىء وهم اصحاب اليمين والركبان هم الذين امنوا وعملوا الصالحات ويجتنبون عن السيئات فيسرعون الى ما بعد لهم في الجنان اسراع الركبان نجح

عطف على هم لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمود اول بالحي
دون القبيلة   مروا اشار الى تكرار المرور لانهم من هذه الاية ولعله اخذه من قوله تعالى في سورة
الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وفسر الاتيان بالمرور للاشارة
الى وجه تعديته اتوا بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة الى الا انه عدي بعلى لتضمنه معنى مروا وقوله
مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اي امطار السوء او ان يكون نعت مصدر محذوف
اي امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفة غيرها
بمعنى سدوم عن الليث انها بالدال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل اراد بها عين القرية و
وكانت قرى قوم لوط خمسا اهلك الله تعالى اربعا منها وهي سدوم فانه في حقهم التي امطرت مطر السوء
قيل كان كل حجر منها قدر انسان وقيل كان ذكر في ريح صاحب وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على
عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغي لكفار قريش ان يتعظوا بما راوه مما حل بهؤلاء
فيمتنعوا عن مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتزموا طاعته فلذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله
افلم يكونوا يرونها ثم انتقل عنه الى التوبيخ بوجه اخر وهو انهم كفرة لا يرجون البعث بعد الموت وهو
عاقبة الموت لما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور خيرا
مؤديا الى المسرة في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور الى الكافر حتى يصح ايقاعها او
انتزاعها احتيج الى توجيه قوله تعالى لا يرجون نشورا فذكر فيه ثلثة اوجه الاول ان الرجاء مجاز عن
التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر جميعا فامكن ان يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور
فيحكم بوقوعها او بلا وقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفي عن الكافر لانه انما يتوقع الحيوة بعد
الموت من يؤمن بالله ورسوله فكانه قيل بل كانوا لا يتوقعون النشور فلذلك لم يتعظوا بما نزل بهم ومروا
بقريتهم كما مرت ركابهم وجمالهم والثاني ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالنشور نشورا
فيه خير وسرور كنشور المسلمين فانه يتصور النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور
نفيها فنفيت بان قيل انهم لا يأملون نشورا كما يأمله المسلمون طمعا في الثواب فان من لم يؤمن ولم
يعمل مثل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة ويتصور
نسبته الى الكافر ونفيها   الا هزوا على ان يكون هزوا مصدرا على تقدير المضاف وان
كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير مهزوا به وكلمة ان في قوله ان يتخذونك نافية وفي قوله ان كاد ليضلنا
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهزوا مفعول ثان والجملة المنفية جواب اذا
الشرطية وقوله اهذا الذي في محل النصب بالقول المضمر وذكر القول المضمر في محل النصب على انه حال
من فاعل ان يتخذونك اي ما يتخذونك الا هزوا قائلين ذلك والمعنى انهم لم يقتصروا على ترك الايمان
وايراد

قوله يتلج المياه العذب التلج النهر
الصغير والتلج بالتحريك لغة
فيه قوله تعالى وقرونا بين
ذلك قال معناه اي بين عاد
الى اصحاب الرس

معنى قرية لوط التي امطرت
بالحجارة وكانت خمس قرى
فاهلك الله تعالى اربعة و
بقيت الخامسة واسمها
صغر وكان اهلها لا يعملون
ذلك العمل الخبيث
تمت

وايراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليه الاستهزاء والاستخفاف اذا راوه فان اشارتهم
اليه عليه الصلوة والسلام بلفظ هذا للاستحقار تنزيلا لدنو مكانته عليه الصلوة والسلام
بزعمهم منزلة دنو مكانه بمقتضى جهلهم وضلالتهم وعلى ما ورد ان يقال مضمون الصلة يجب
ان يكون معلوم الانتساب الى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا صلة
مع انهم منكرون بعثه عليه الصلوة والسلام اجاب عنه بانه مبني على التهكم والاستهزاء
ولولا في مثل هذا فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدم عليها مما يدل على جوابها تقييد الحكم المطلق
من حيث المعنى دون اللفظ فان لولا مع ما دخلت هي عليه قيد لجوابها لفظا ان لم يذكر
لفظا لا يكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه لما تقدم حكم مطلق يدل على جوابها وهو قوله ان
كاد ليضلنا كانت لولا قيدا له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه   فانه يفيد نفي
ما يلزمه ويكون الموجب له بيانا لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم ان كاد ليضلنا يستلزم ح
تنقضي كونه عليه الصلوة والسلام ضالا من حيث ان احدا لا يضل غيره الا اذا كان ضالا
في نفسه وقوله سيظهر لهم من الضال غاية الضلال يفيد نفي ما هو لازم قولهم ونفي اللازم نفي
للملزوم فيكون كالجواب لقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة استفهامية معلقة ليعلمون لانه في
سادة مسد مفعوليه ان كان على بابه وان كان بمعنى يعرفون يكون سادة مسد مفعول
واحد وفيه وعيد من حيث يدل على انه لا محيص لهم عن العذاب وان تأخر وقوله ودلالة
الى عطف تفسيري وكلمة ارايت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت
للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعته وقوله تعالى الهه هواه مفعولا الاتخاذ من غير تقديم
ولا تأخير لاستوائهما في التعريف فان مفعولي اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر
هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدم هو المبتدأ والمؤخر
خبره فيكون الهه مفعولا اول وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا ان المص جعل الكلام ارايت
من اتخذ هواه الهه وما ذاك الا لما قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل
عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لا ينكر ان المعرفتين ايهما قدم فهو المبتدأ الا ان النظر
الى جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود يقتضي ان يكون الهه خبرا في الاصل ويكون المقصود
من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كانه قيل الا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة
الاله في التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى ولما كان المشبه به
ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به ان يكون متأخرا عن المشبه
كان مرتبة قوله الهه التأخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد فلما قدم عليه صار بمنزلة الاعن

ان ذكر جوابها لتمام

فان قيل انه تعالى نفى عنهم السماع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين وكيف بعث الرسول عليه الصلوة والسلام اليهم فان من المسلوب العقل فالجواب ليس المراد انهم لا يعقلون بل المراد انهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما انت اعمى واصم

موضعه الاصلي غير قار فيه فلهذا جعل من باب تقديم المفعول الثاني على الاول والثاني للانكار ان لست موكلا على حفظه تحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهواه من دون الله ولا تقدر عليه ولا تحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ما تقول سماع تدبر او يعقلون ما تورده من الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما تعجب من جهل من اطاع هواه وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المتفرد بالالوهية فاولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل كلمة الى مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر وكيف منصوبة بمد وهي معلقة لفعل الرؤية وهو ان كان من رؤية العين يجب ان يكون المنظور اليه مما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل الكلام الم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف مد ربك وبسطه على وجه الارض كما هو احد الا انه غير النظم الى ما عليه التنزيل للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى ماد الظل كالمشاهد المرئي لوضوح برهانه الذي هو دلالة حدوث الظل وتغيره على الوجه النافع على كونه فعل الصانع الحكيم ثم اشار الى احتمال ان يكون قوله تعالى الم تر من رؤية القلب بمعنى الم تعلم الا انه عدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء فقال او الم ينته علمك الى فيكون الكلام على ظاهره لان الظل وان كان من المبصرات الآن تأثير قدرة الله تعالى في تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكره من البرهان الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطا على وجه الارض فيما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تنسخه وتزيله شيئا فشيئا الى الزوال ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس فيئا ووجه الاستدلال به على وجود الصانع ما اشار اليه من ان حدوثه بعد العدم وعدمه بعد الوجود وتغير احواله بالزيادة والنقصان والانبساط والتقلص على الوجه النافع لا بد له من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والتركيب الاكمل وما هو الا الله عز وجل ثابتا من السكنى وهو الاستقرار والاثبات في مكان يقال سكن الدار سكنى اذا استقر فيها فالمعنى ولو شاء لجعله ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الارض بان لا تطلع الشمس ابدا والمعنى على تقدير كونه من السكون الذي هو عدم الحركة ولو شاء لجعله ساكنا لا يتحرك بحركة انقباض ولا انبساط بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد والدليل الشيء ما يكون ظهوره للعقل سببا لظهور الشيء فيه فشبهت الشمس بالنسبة الى الظل بالدليل بالنسبة الى المدلول من حيث كون طلوعها سببا لظهور الظل المحسوس من حيث كون حركتها سببا لحدوثه

وتغير احواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل المحسوس لان الناظر الى الجسم الملون حال قيام الظل عليه لا يظهر له شيء سوى الجسم ولونه ويعد الظل ليس امرا ثابتا ولا نعرف به ثم اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم زال ذلك الظل فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الاجرام لما عرف ان للظل وجودا وماهية لان الاشياء انما تعرف باضدادها فلولا الشمس لما عرف الظل كما انه لولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس ووقع ضوؤها على الارض وزال الظل فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الظل اولا بما فيه من المنافع واللذات ثم انا هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجوده والقبض جمع المنبسط من الشيء والمراد به ههنا الازالة قوله تعالى ثم قبضناه الينا معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل لا دفعة بل جزءا فجزءا يسيرا يسيرا فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرا يسيرا ليبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما وثم في الموضعين لتفاضل الامور بمعنى ثم للتراخي الزماني ولا يصح جعلها له في هذا المقام اذ ليس المعنى انه تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلا فوجب حمله على المجاز بان يجعل كلمة ثم استعارة تبعية بان يشبه تفاضل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزماني فاستعير لجانب المشبه لفظة ثم الموضوعة للتراخي الزماني او بان يشبه تفاضل مبادي اوقات ظهور تلك الامور بالتباعد الزماني فان مبدأ وقت ظهور جعله الشمس دليلا عليه وهو اول زمان طلوع الشمس افضل من نفس مد الارض وكذا قبض الظل قبضا يسيرا وهو اول وقت الزوال افضل من مبدأ وقت ظهور جعل الشمس دليلا فكانت انفس الامور متفاضلة باعتبار تفاضل مبادي اوقات ظهورها فادخلت كلمة ثم عليها ايذانا بذلك التفاضل ووجه كون الامور متباعدة في الرتبة والفضل ان حدوث الظل ممدودا منبسطا على وجه الارض وان كان نعمة في نفسه دالا على وجود الصانع الحكيم الا ان جعل الشمس دليلا عليه لدلالته على زائد مرتب على ذلك افضل منه رتبة وقبض الظل قبضا يسيرا اعظم من الثاني لان الازالة مع التدرج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الاجرام يحصل بها المنافع المترتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهي منفعة زائدة على نفس انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والاوقات التي ينوط عليها اكثر احكام الشرع ولان في التدرج حكما

او مصالح اخرى   وقوله ثم الظل الخ عطف على قوله لتناصل الامور وقال بعضهم ثم في احد
الموضعين مستعملة في اصل معناها وهو التراخي الزماني فان خلق الشمس مسلطا على الظل
متراخ زمانا عن انبساط ظل السماء على الارض فثم في قوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه للتراخي
الزماني بخلافه في قوله ثم قبضناه   تعالى ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة اي لو اراد دوام
بقاء الظل على حاله ممدودا على وجه الارض لما خلق الشمس ليكون الظل باقيا على امتداده لكن
اراد تغيره فخلق الشمس مسلطا على الظل فالظل تابع للشمس كما يتبع المدلول الدال والمراد بكون
الظل تابعا للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى
عليه مفعولا ثانيا لجعلنا وقوله دليلا حالا من الشمس او تكريرا للمفعول الثاني كما مر في قوله تعالى
فجعلناه هباء منثورا او كون الشمس دليلا على الظل عبارة عن كونها متبعة اياه استتباع
دليل العلم مدلوله او استتباع دليل الطريق من يهديه فان الشمس باختلاف احوالها في سيرها
يستلزم اختلاف احوال الظل من كونه ثابتا في مكانه وزائلا عنه ومنبسطا ومنقبضا ونحو
ذلك فيصح ان يستدل بكل من احوالها على كل حال من احوال الظل   او دليل الطريق عطف
على فاعل يتبع وقوله من يهديه عطف على مفعوله اي او كما يتبع دليل الطريق من يهديه
فالشمس على الاول بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثاني بمنزلة دليل الطريق
بالنسبة الى من يهديه   يتفاوت بحركتها ويتحول باختلافها استيناف لبيان كون الشمس
مسلطا عليه متبعا اياه والنوع الثاني من دلائل الوحدانية ما ذكره بقوله وهو الذي جعل
لكم الليل لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرق في وجوه المصالح ويحتمل ان يكون
بمعنى الحيوة لانه لما كان في النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرف والعمل كان
في اليقظة معنى الحيوة وفي بعض الكتب ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث والنوع
الثالث منها ما ذكره بقوله وهو الذي ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون
والشين وهو جمع نشور كرسل جمع رسول والمعنى ارسلنا ناشرات للسحاب في الجو كما ينشر الشيء
بمعنى ناشر
المطوي المطبوط وقرأ ابن عامر وابو عمرو في رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى
كالاول وقرأ حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون
الشين من البشارة هو اختار كون طهورا في الاية اسما لما يتطهر به كالسحور والوقود كما مر انفا
بقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وضعف كونه مبالغة الطاهر لاستلزامه
المخالفة للاية والحديث لخلوه عن بيان منفعته وهي كونه مطهرا للانسان عن الحدث و
النجاسة   وللاسم كالذنوب وهو اسم بمعنى النصيب ويقال ايضا للدلو الملأى ماء

ومن فسر السبات بالموت يفسر
النشور بالحيوة رعاية للمقابلة
ومن فسره بالراحة يفسر
النشور بالانتشار وكل واحد
من النائم والميت منقطع
لانقطاع احدهما عن العمل و
الاخر عن الحيوة وقد يطلق
النوم وهو الاماتة على النوم
في قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل

ماء ذنوب ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب فان قيل طهور مشتق من طهر بمعنى طهارة وهو لازم
فكيف يجوز تعديته بمعنى يطهر غيره قلنا انه لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور بل يكون
من قبيل الاسماء الجامدة فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسما لما يتطهر به وقد قال تعالى في صفة
شراب اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر عذاب الثنايا ريقهن طهور قلنا
كونه اسما لا ينافي استعماله في مبالغة طاهر قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة جواب عما يقال
ما الفائدة في توصيف الماء المنزل لاحياء الارض وسقي الحيوان بقوله طهورا مع ان التوصيف
في مثله يؤذن بكون الوصف شرطا لترتب الحكم على الفعل المعلل كما اذا قلت اعطاني اللباس
الفاخر لا تزين به ووصف الطهارة لا دخل له في ترتب الاحياء والسقي على انزال الماء وتقرير
الجواب ان الاحياء والاسقاء المذكورين وان امكنا بدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها
اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على انزال ذات الماء وتتميما للمنة المستفادة
من قوله لنحيي به ونسقيه فان هذين الاحسانين انما يتمان بذلك كما ذكره من ان الماء الطهور
اهنى وانفع وتنبيها على ان بواطنهم اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتن علينا بان انزل
ما يطهر ابداننا من الحدث والنجاسات وبين بذلك ان ظواهرنا مما ينبغي ان يطهر ومن المعلوم
ان باطن الشيء اولى بالحفظ عن التلوث من ظاهره فكان الامتنان بالانزال ما يطهر الظاهر
تنبيها على ان الباطن اولى به قوله ولانه غير جار على الفعل اي لم يقل بلدة ميتة لان المبني
على وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل وفعيل بمعنى مفعول في مثله يجوز التذكير وان جرى على
المؤنث لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له فجاز ان لا يطابق موصوفه في التانيث
فان الفعل يطابق فاعله في التذكير والتانيث فكذا ما يشابهه بخلاف ما لم يوازن الفعل من
المشتقات فانه اجري مجرى الجوامد قراءة الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم
في رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال سقاه الله الغيث واسقاه و
الاسم السقيا بالضم ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه والاسم السقي بالكسر
وقوله تعالى مما خلقنا يجوز ان يتعلق بقوله نسقيه اي نسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام والاناسي
وانتصابهما على البدل من محل الجار والمجرور في قوله مما خلقنا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه
حال من انعاما ولعل قوله اهل البوادي مبني على الاول فان حمل قوله مما خلقنا على اهل البوادي و
جعل تنكير الانعام والاناسي مبنيا عليه قوله وتخصيصهم جواب عما يقال كيف خص اهل
البوادي بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب قوله وسائر الحيوانات
اي ما عدا الانعام من الوحوش والطيور وان كانت تنتعش بالماء لكنه تعالى خص الانعام

اي بالغيث المطر

بالذكر لأن سائرها لا يعوزها الشرب ولا يكون عاجزا عن نيله غالبا بخلاف ما يعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه قوله مع أن مساق هذه الآيات وجه ثان لتخصيص الأنعام بالذكر مع استوائها لسائر الحيوانات في الاحتياج إلى الشرب وحاصله أن ليس المقصود مجرد بيان الحكمة في إنزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة في حق نوع الإنسان فلذلك خصت الأنعام بالذكر لأنها قنية الإنسان أي يقتنيها ويتخذها للنفس لا للتجارة الجوهري قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت أيضا قنية إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وغلية جمع على بمعنى سريعا ونسخ مثل صبية جمع صبي قوله ولذلك أي ولكون علية ما يعيشون به هي الأنعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الأنعام إحياء الأرض فإن الأرض وحيوتها سبب لحيوة الأنعام وتعيشها فإنه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الإنسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فإن الأنعام رزق الإنسان والنبات رزق الأنعام والمطر رزق النبات فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حيوة الأرض بالنبات ورتب عليه ذكر الأنعام قوله وأناسي بتخفيف الياء عطف على قوله ونسقيه أي كما قرئ نسقيه بفتح النون كذلك قرئ أناسي بحذف ياء أفاعيل ذهب سيبويه إلى أن أناسي جمع إنسان أصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وادغم فيها الياء التي قبلها كما قيل في جمع ظربان ظرابي أصله ضرابين والظربان على وزن قطران دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الأعراب أنها تفسو في ثوب أحدهم إذا صاده فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفي المثل فسا بينا الظربان وذلك إذا تقاطع القوم وقال الفراء والمبرد والزجاج جمع إنسي وفيه نظر لأن فعالي إنما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كرسي في جمع كراسي فلو أريد بكرسي النسب لم يجز جمعه على كراسي ويبعد أن يقال إن الياء في إنسي ليست للنسب وكان حقه أن يجمع أناسية نحو مهالبة في جمع المهلبي وإذا رفعه في الأزرقي قوله صرفناه هذا القول يعني ضمير صرفناه إما أن يرجع إلى ما ذكره بقوله هو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا كأنه قيل ولقد صرفنا ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب ليتفكروا أو يعتبروا أو يرجع إلى نفس الماء الطهور الذي هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس أن لا ينزله على نسق واحد بل ينزله في مكان دون مكان وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون أخرى فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما عام بأكثر مطرا من عام ولكن الله تعالى يصرفه في الأرض ثم قرأ هذه الآية وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما من عام بأمطر من عام ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله تعالى ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف

الله تعالى ذلك إلى الفيافي والبحار والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا وأخرى طلا وتارة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل أضعف المطر والديمة الذي يدوم أياما قوله أو في الأنهار والمنابع عطف على قوله في البلدان المختلفة أي يجوز أن يكون المراد بتصريف المطر بين الناس إجراءه في الأنهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقي الزروع ونحوهما قوله بخلاف من يرى أن الأمر من يرى أن الله تعالى هو الذي خلق الأمطار وجعل الأنواء دلائل وأمارات عليها لا يكفر والحاصل أن المراد بالكفور إما كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فإن حقها أن يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه ويشتغل بشكر إحسانه ومن اشتغل بها وقصر في شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة وأما الكفر بالله تعالى بأن يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب ويجحد كونها صادرة من الله تعالى فإنه لا شك أنه كافر بالله تعالى والأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل إلى الطالع منها ثم إنه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع في تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم فقال ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا كأنه قيل ولو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة إلى كل العالمين بأن نبعث في كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الأمر عليك إجلالا لك قوله لأن مجاهدة السفهاء بالحجج لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لأن السورة مكية والأمر بالقتال إنما ورد بعد الهجرة بزمان قوله فيما بين أظهرهم خبر قوله ولأن مخالفتهم ولا شك أن مخالفة العتاة الغالبين فيما بينهم أكبر المجاهدة أو لأنه جهاد مع كل الكفرة فيكون ضمير به في قوله وجاهدهم به راجعا إلى ما دل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا وهو كونه نذير كافة القرى فإنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاقتضى الوسع فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك فلذلك قال له جاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات ثم إنه تعالى انتقل إلى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو الذي مرج البحرين كأنه تعالى يقوي به قلبه عليه الصلوة والسلام على امتثال ما أمره به من المجاهدة الكبيرة وأصل المرج الإرسال والتخلية يقال مرجت الدابة إذا أرسلتها ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات مقول قول مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج كما يقال وجدت الناس أخبر تقله أي مقولا فيهم ذلك ويحتمل أن يكون جملة مستأنفة لا محل لها كأن قائلا قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو

وهذه النجوم هي المنازل الثمانية والعشرون للقمر

جمع عصبة ... لتحمل التنفيذ

فرات اذا كان في غاية العذوبة ويقال مَلُحَ الماء يملح ملوحة فهو مَلِحٌ ومليح على وزن فَعِل وفعيل وقرئ
بهما وقلما يقال مالح والاجاج الشديد الملوحة الذي يحرق الباطن من ملوحته من اجت
النار اجيجا اذا اشتد حرها   ومنافرا لينا لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قوله برزخا دالا
الا على انه تعالى جعل كل واحد من البحرين من بحيث يتعوذ من الاخر ويقول له حجرا محجورا اي
حراما محرما عليك ان تغلب علي وتزيل صفتي وكيفيتي ومن المعلوم ان البحر ليس من شانه
ان يتعوذ ويقول لغوا جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه تلاصق كل واحد
منهما بالاخر مع كمال التنافر بعدو من يتنافر بان في المعركة يريد كل واحد منهما ان يتقي
صاحبه ويتعوذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما
ما تلبس لهذا الكلام قوله وقيل حدا محدودا اي وجعل بينهما حدا لا يتجاوز حكم كل واحد منهما
من ذلك الحد وفي الصحاح الحجر ايضا الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال
وكل ما حجرته من حائط فهو حجر قوله وذلك كدجلة يعني ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء
كان عذبا كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى ههنا
ثم بين انه تعالى كيف خلا بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث
لا يتمازجان حتى يحصل موضع التنجع فقال كدجلة يدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب النهر
العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض يتبين وجه الاستدلال
على قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض او الماء فلا بد من
الاستواء وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة
ويفصل بين اجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحائل بينهما على حسب مشيته وارادته
مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تتصل وتتلاصق قوله وتسلس اي تلين و
تنقاد ذكر في الماء الذي خلق منه البشر ثلث احتمالات الاول انه الماء الذي خمر به طينة آدم
والثاني انه الماء الذي جعل جزءا من مادة كل بشر بل من مادة كل حيوان كما قال والله خلق
كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين قوله
اي قسمين اي ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد ذا نسب ينسب اليه الفروع وذات
صهر يصاهرها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت وما كان من قبل زوج البنت فهم اصهار
يتواصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اي اللاتي يصاهر بهن ليست الا البنات بخلاف
ذوي النسب اي الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر
لا تزرين بفتى من ان يكون له امٌّ من الروم او سوداء دعجاء فانما امهات الناس اوعية

اوعية مستودعات وللآباء ابناء بين الله تعالى قدرته اولا ببيان انه خلق من الماء بشرا
واظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما النسب فبه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان
وفلانة بنت فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر فلانه من اسباب التواصل
والتوالد والتوادد ثم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين في عبادة
الاوثان فقال ويعبدون من دون الله الآية قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اي وكان
الكافر بشركه وعداوته للحق عونا للشيطان على عصيان ربه يشجعه على الاصرار عليه ويشاركه
فيه قوله والمراد بالكافر الجنس فيحتمل ان يكون المظاهرة التي يقتضي اثنين مظاهرة بعض
الكفار بعضا او مظاهرة الكافر مع الشيطان ثم انه تعالى لما بين انه ارسل رسوله الى كافة الخلق
وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اي حال ارسله فقال وما ارسلناك الا مبشرا قوله
الا فعل من شاء يعني ان الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة
عن التقرب اليه بالايمان والطاعة والتقدير فعل من شاء ان يتقرب اليه بذلك بصورة الاجر
وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كونه المقصود من التبليغ واستثناه من الاجر
لفوائد الاولى نفي توقعه اصلا ان يتعلق شبهة طمعه في الاجر من اصله كانه قيل ان اعطيتم اياي
اجرا فاعطوني ذلك الفعل فاني لا اسال غيره والثانية اظهار الشفقة البالغة عليهم بان عد
سعيهم لانفسهم ونفعهم لا بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه
اجرا وافيا مرضيا به والثالثة الاشعار بانهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب
هو ايضا عليه بسبب دلالته اياهم عليه بحكم ان الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعا
يكون المعنى لا اطلب من اموالكم جعلا لنفسي لكن من شاء انفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فاني
لا امنعه عنه   في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم يعني ان الآية متصلة بقوله
وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسالكم عليه من اجر فانه تعالى لما بين ان الكافرين
متظاهرون على اذاه وامره بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار
وفي جلب جميع المنافع قوله وكفى به اي حسبك الحي الذي لا يموت خبيرا بذنوب عباده لا يحتاج
معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم وذلك وعيد شديد قوله فاسال عما ذكر من الخلق
والاستواء اشارة الى ان الباء في قوله به بمعنى عن كما في قوله تعالى سال سائل بعذاب واقع وفي قول
علقمة فان تسالوني بالنساء فانني خبير بادواء النساء طبيب وان ضمير به يرجع الى ما ذكر من
خلق السماء والارض والاستواء على العرش قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله على ان يكون
قولهم وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المص هذا علة لسؤالهم عنه فانهم

سؤال وهو ان الايام عبارة عن حركة الشمس في السموات فقبل السموات لا ايام فكيف قال خلقها في ستة ايام والجواب في مدة مقدارها
هذه المدة لا يقال الشيء الذي يتقدر بمقدار محدود ويقبل الزيادة والنقصان والتجزئة لا يكون عدما محضا بل لا بد وان يكون موجودا
فيلزم من وجوده وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضي قدم الزمان لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان لان المدة المتوهمة المحتملة

لما لم يعرفوا كونه ممن يسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسالوا عن مسماه فسالوا عنه بقولهم
وما الرحمن فان السؤال عن المجهول يكون بما لانها يستعمل فيما علم انه من غير العقلاء ويستعمل
ايضا فيما جهل حاله بل قيل فلذا اذا رايت شبحا من بعيد ما هو وكانوا يعرفون كونه ممن يسمى به
الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال له رحمن اليمامة
وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا به بتقدير تأمرنا
بسجوده فحذف ما حذف منه على التدريج حذف الجار اولا واوصل الفعل كما في امرتك الخير فقيل تأمرنا
بسجوده ثم حذف المفعول الذي هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تأمرناه ثم حذف
الضمير ايضا فصار لما تأمرنا على ان ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية اي لامرك على معنى لاجل
امرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معتريا لم يسموه عطف على قوله لانهم ما كانوا يطلقونه
على الله اي وقيل قولهم وما الرحمن ليس سؤالا عن المسمى به بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم و
شرح مفهومه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرجوم والراجم ثم انه تعالى لما
حكى عن الكفار ان امرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شانه وباهر
سلطانه ما لو تفكروا فيه لاضطروا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك الذي جعل في السماء
بروجا وهي المنازل الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهي منازل الكواكب
السبعة السيارة وهي ثلثون درجة للشمس واسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا
المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر
والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج
مقسومة على الطبائع فيكون لكل واحد منها ثلثة بروج مثلثات الحمل والاسد والقوس نارية و
الثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب
والحوت مثلثة مائية وقوله تعالى وجعل فيها اي في البروج لا في السماء لان البروج اقرب فعود الضمير
اليها اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح
كما في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح في الانارة والاشراق اي ذا قمر جواب عما
يقال القمر مؤنث فينبغي ان يؤنث صفته بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة
الليالي ذوات القمر لانه جمع ليلة قمراء اي ذات قمر وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذا قمر منيرا على ان
يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذو قمر اي ذو ليالي قمر لان الليلة انما تكون قمراء بالقمر
فصار القمر كانه صاحب تلك الليلة فقيل انه ذو قمر بمعنى صاحب الليالي القمراء ثم حذف المضاف واقيم

لعشرة ايام لا تنطبق على خمسة ايام والمدة المتوهمة المحتملة لخمسة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم ان لا تكون للمدة مدة اخرى فلما لم يلزم من هذا قدم الزمان لم يلزم ما قلتموه وعلى هذا القول فقيل سبحانه خلق المدة اولا ثم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة ايام

الى عاد

قال الضحاك سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم اجمعين ولما راى المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين من هذا وهو المراد من الحكاية في قوله تعالى وزادهم نفورا اي فزادهم سجودهم نفورا

قال الناصح والاقرب انه اراد بهم لان انكار الله عز وجل لا الاسم لانهم كانوا بهذه اللفظة عربية وهم كانوا يعلمون انها تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا منكرين لله كان قولهم وما الرحمن سؤالا عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين بالله لكنهم جهلوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم كان قولهم وما الرحمن سؤالا عن هذا الاسم

واقيم المضاف اليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالي الا انه لما قام مقام المضاف وهو
مذكر بقي حكم المضاف فيه فقيل في صفته منيرا بالتذكير كما في قول حسان يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى وهو نهر بدمشق فحذف المضاف واقيم بردى
مقامه وبقي حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق والتصفيق الخلط والمزج
ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف الحذف اي ذوي خلفة يخلف كل منهما
الاخر يعني ان الخلفة مصدر للنوع فلا تصلح ان تكون مفعولا ثانيا لجعل الليل ولا حالا من مفعوله فان
خلفة لا تخلو من ان تكون مفعولا ثانيا او حالا الاول على ان يكون جعل بمعنى صير والثاني على ان تكون
بمعنى خلق فلا بد من تقدير المضاف اي ذوي خلفة ثم ان خلفة يستعمل بمعنيين بمعنى كان خليفته و
بمعنى جاء بعده يقال خلف فلان فلانا اي كان خليفته ويقال اخلفه في قومه خلافة ومنه قوله تعالى وقال
موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي ويقال ايضا خلفه اذا جئت بعده والخلفة في الاية يحتمل
ان تكون من خلفه بكل واحد من المعنيين وهو قول المص يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه او
بان يعقبه ويؤيد الاول قول ابن عباس رضي الله عنهما اي جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما
يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط في عمل في احدهما قضاه في الاخر وما روي عن انس بن مالك انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القران بالليل يا ابن الخطاب لقد انزل الله فيك
آية وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك
وما فاتك في النهار فاقضه في الليل وان كان المعنى جعلهما دورا يعتقبان يكون المقصود بيان انه تعالى
جعلهما مختلفين يجيء هذا ويذهب ذاك ويجيء ذاك ويذهب هذا ولم يجعل واحدا منهما
سرمدا نهارا لا ليل فيه وليلا لا نهار ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار في
المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم فيكون في الاية تذكير لنعمته وتنبيه
على كمال حكمته وقدرته ان يشكر لله يعني ان الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح
مبالغة الشاكر فقوله او اراد شكورا بمعنى شكرا اي جعلناهما خلفة ليشكر المتشكرون في اختلافهما
ويشكروا نعمة الله تعالى في ذلك وقوله او ليكونا وقت عطف على هذا المعنى اي جعلناهما خلفة ليكونا
وقتي التذاكر للمتذكرين والشاكرين قراءة العامة ان يذكر بالتشديد واصله ان يتذكر فادغمت
التاء في الذال وقرا حمزة بالتخفيف قال الفراء في وجههما ان يذكر ويتذكر ياتيان بمعنى واحد قال تعالى
واذكروا ما فيه ويجوز ان يكون المعنى ليذكر الله فيهما من اراد ان يذكره ويطيعه بالتسبيح والطاعة
ولعل وجه عطف قوله او اراد شكورا بكلمة او دون الواو التنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه
مطلوبا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين ويحتمل ان يكون المراد

بالمعطوف عليه الكافر الذي يريد ان يتفكر في اختلافهما ويجعلهما موضع الاعتبار على
وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد واخلاص العبادة وبالمعطوف المؤمن الذي
يريد ان يتعظ ويشكر نعم الله ربه فكانه قيل جعلنا هما خلفة ليتفكر الكافر في اختلافهما و
موضع اعتبار
يجعله معتبرا على قدرته وتوحيده او يتعظ المؤمن به ويجعله مشعرا للذكر وطاعته
وكذلك ليذكروا في قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فان العامة قراءه بالتشديد وحمزة
بالتخفيف والكسائي ايضا   واضافتهم الى الرحمن للتخصيص اي لان تفيد لهم خصوصية
وشرفا وتفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات و الا فالخلق كلهم عباد الله
هينين او مشاة هينا الاول على ان يكون انتصاب هونا على الحالية من فاعل يمشون والثاني
على ان يكون صفة مصدر محذوف   تسلما منكم يعني ان سلاما منصوب على انه مصدر فعل
محذوف والاصل نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم والمعنى اذا خاطبهم السفهاء
الخفاف العقول باذى كلام قبيح قالوا نتسلم منكم تسلما اي لا نجاهلكم ولا نلتبس بشيء من امركم
وهو الجهل وما يبتنى على خفة العقل والمتاركة الموادعة   او سدادا اي صوابا من القول
فعلى هذا الوجه يكون سلاما اشارة الى ما قالوه من حيث المعنى ولا يكون عين عبارتهم
فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وهو امر مستحسن في الادب والمروة والشريعة
واسلم للعرض واوفق للورع فليس بمنسوخ ابو امامة عليه الصلوة والسلام اذا جمع
الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا
الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نريكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل
فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال
لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين   يبيتون بالصلوة فان كل من ادرك الليل فقد
بات نام او لم ينم يقال بات فلان قلقا عن ابن عباس رضي الله عنه قال من صلى ركعتين بعد العشاء
فقد بات لله ساجدا وقائما الظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره كما قال في حق
المتقين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في
جماعة كان كقيام ليلة   وهو قائم مثل جائع وجياع ونائم ونيام   اي بئست مستقرا
جمع
اوحزنت اي ان ساءت يجوز ان يكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقرر ان فاعلها
معنى
يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف به او مضمرا مميزا بنكرة منصوبة وهي في الاية
مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة فالضمير الذي في بئست لا يعود الى اسم ان ولا الى شيء
آخر

اي لتبس من غير ان تاذى احدا او الهون اللين والرفق

وروى الثوري ... يسهم ... وشابه لا يذكر منهم النار ... من وجهين احدهما ... يقولون ... يمشون على الارض هونا ... والثاني ... الجاهلون قالوا سلاما ... ابن عادل

... ابن عادل

اخر يعينه بل هو ضمير مبهم يفسره الظاهر وهو مستقرا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير
ساءت مستقرا ومقاما هي وان كان ساءت بمعنى احزنت يكون من الافعال المتصرفة الناصبة
للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها بمعنى جهنم احزنت اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون
تمييزا او ان يكون حالا   وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ
نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرأ باقي السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء
وضم التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد يعني ان القتر والاقتار والتقتير لغات بمعنى واحد
وهو التضييق الذي هو ضد الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة فليعتمد على
هذا التصحيح فان النسخ مختلفة في هذا المقام   وسطا وعدلا يعني ان القوام عبارة
عما هو الوسط والعدل بين الشيئين سمي بذلك لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا يترجح
احدهما على الاخر بالنسبة اليه لكونه كمركز الدائرة فانه يكون نسبة جميع اجزاء الدائرة اليه على
السواء ونظير كون القوام من الاستقامة السواء من الاستواء   وهو خبر ثان لكان واسمه الضمير
المستتر فيه العائد الى الانفاق المدلول عليه بقوله انفقوا وبين ذلك خبره وقوام خبر بعد خبر او بين ذلك
خبره وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على راي من يرى اعمال الافعال الناقصة في الظرف وقال
الفراء وان شئت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا
فيكون معنى الاية وكان الوسط من طرفي الاسراف والتقتير قواما اي عدلا وضعف هذا التاويل ظاهر
لانه في قوة ان يقال وكان الوسط وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر ان من جملة صفات
عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنا ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء يلقى
جزاء اثمه وعقابه ثم استثنى منهم التائب   بمعنى حرم قتلها لان الحل والحرمة من صفات
الافعال ولا يوصف بهما الاعيان   متعلق بالقتل المحذوف اي حرم الله قتلها بجميع الاسباب الا
بسبب الحق او بلا يقتلون اي لا يقتلون بسبب من الاسباب الا بسبب من الاسباب الا بسبب
الحق اي بالسبب الذي يحق به قتل الابرياء وهو الردة بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس
المعصومة من غير ان يطرأ عليها ما يوجب قتلها فان الاصل في النفوس البشرية العصمة وحرمة
القتل وحقن الدماء وجواز القتل انما ثبت بالعارض فمن يجوز قتله بسبب العارض يدخل في النفس
التي حرم الله قتلها نظرا الى حد نفسها   نفى عن هؤلاء امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول
الطاعات الخ كانه جواب عما يقال ما الفائدة في نفي هذه القبائح عن الموصوفين بالخصال المرضية
السابقة مع انه يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا حاجة لنفيها عنهم لانه انما يحسن نفي صفة عن احد
اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصال السابقة لا يستلزم

ويمكن ان يكون ... ذكر ... القتل ... بين ... الاسراف ... الا بحق ... بعد ... يكون ... بين العدل ...

الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات قد يجترى بالشرك وبقتل بغير
حق وبالزنا فيتبين بذلك ان المرء لا يصير بتلك الخصائل وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر
ايضا الا انه خص من الكبائر امهاتها واشعر بذكران الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة
بما صبروا الاية موعود للجامعين بين التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وفي هذا النفي ايضا
تعريض بما كان عليه الكفار كانه قيل وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانتم
تدعون ولا يقتلون النفس بغير حق وانتم تقتلون ولا يزنون وانتم تزنون ويحسن النفي تعريضا
وان لم يكن المنفي عنه مظنة لثبوت المنفي له وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان ناسا
من اهل الشرك قتلوا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعونا
اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت جزاء اثم او انما يعني ان الاثام عبارة
عن عقوبة الاثم وجزائه وقد يطلق على نفس الاثم فان كان المراد به في الاية نفس الاثم
لا بد من تقدير المضاف لان الآثم لا يلقى نفس اثمه بل يلقى جزاءه قال ابو مسلم الاثام والاثم واحد
والمراد ههنا جزاء الاثم فاطلق اسم الشيء على جزائه وقيل الاثام اسم من اسماء جهنم وقيل
اسم واد في جهنم وقيل بئر فيها يضاعف بجزوم في قراءة العامة على انه بدل من الجزاء بدل
اشتمال كما في قوله متى تأتنا تلمم بنا بدل من الشرط في البيت ابدل تلمم من قوله تاتنا لان الالمام وان كان
بمعنى النزول الا انه في معنى الاتيان والجزل ما عظم من الحطب ويبس والاجيج تلهب النار يقال
اججت النار تؤجج اجيجا اذا تلهب فعل الالف في تاججا بدل من نون التاكيد الخفيفة اصله تاججن
ودخلت نون التاكيد في تاجج مع خلوه عن معنى الطلب للضرورة قال سيبويه يجوز في الضرورة
انت تفعلن وقيل تاججا فعل ماض والالف فيه للاشباع وذكر ضمير النار فيه لتاويله بالشهاب
وقيل هو ماض والالف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار ويدل عليه اي على
انضمامها الى الكفر وجه الدلالة ان استثناء التائب عن الكفر والمعصية جميعا يدل على اجتماعهما
في المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يعذب
على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكبائر مع
الشرك الا من تاب المشهور بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل الاظهر
منع الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الا من تاب وآمن و
عمل صالحا فانه لا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب الغير المضعف
فالاولى ان يكون استثناء منقطعا والمعنى لكن من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة انتهى ما قيل واجيب عنه بان الظاهر
ما قال

فيكون مورد من يفعل ذلك الشرك والمعاصي بجميع ما ذكر من الشرك والمعاصي فيضاعف له العذاب بنفيه سلمه

ويدل عليه ايضا ما رواه ابو ذر رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال يؤتى بالرجل يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وينحا عنه كبارها فيقال له عملت كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما اراها ههنا قال الراوي ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه سلمه

تكلمت ورواه مسلم ايضا عن ابي ذر رضي الله عنه ... التائب الآتي بالاعمال الصالحة ... حاشية

ما قاله جمهور المفسرين وما قاله القائل المذكور غير لازم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا
فانه يجازى به ما ذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية وفي
قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يحتمل وجهين احدهما انه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات
في الآخرة لما كان منهم الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا كما روي عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال ليأتين اقوام يوم القيمة ودوا انهم استكثروا من السيئات فقيل
له يا ابا هريرة ومن هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات والى هذا اشار المص بقوله يمحو
سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كانهم لم يعملوا في الدنيا سوى الطاعة
والوجه الثاني ان يكون التبديل في الدنيا بان يبدل الله تعالى قبائح اعمالهم الواقعة في الشرك
بمحاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة
واحصانا فكانه تعالى يبشرهم بانه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب ويحتمل
ان يكون المراد بالتبديل تبديل ما في نفوسهم من الملكات السيئة بالملكات الحسنة فانهم قبل التوبة
كان الميل الى المعاصي كيفية راسخة في نفوسهم وبعد التوبة يزول تلك الكيفية ويحدث بدلها
الميل الى الطاعة عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان مشركو مكة قالوا قبل نزول قوله تعالى الا من
تاب وآمن وعمل عملا صالحا الاية وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله تعالى وقتلنا النفس
التي حرم قتلها واتينا الفواحش فنزلت هذه الاية بمكة وعنه قال قرأنا على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله ويخلد فيه مهانا ثم
نزلت الا من تاب فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشيء فرحه بها وبانا فتحنا
لك فتحا مبينا ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء في قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب
الى الله متابا فانه في قوة ان يقال من قام ومصلي فانه يصلي صلوته وليس في مثله فائدة
ظاهرة اشار المص الى توجيه الكلام بوجه محصله ان الجزاء فيه معنى زائد على ما في
الشرط وذلك المعنى مستفاد اما من قوله متابا وتنكيره يفيد تعظيما بكونه رجوعا الى
الله عز وجل فان الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي بتركها والندم عليها والى
الطاعة لان يتدارك بها ما فرط او بمعنى مجرد ترك المعاصي والدخول في الطاعة والجزاء
هو الرجوع الى الله تعالى رجوعا مرضيا عند الله تعالى مترتبا عليه محو الخطيئات وعفو باتها
ورفع الدرجات وانواع الكرامات او مستفاد من لفظ الجلالة في قوله فانه يتوب الى الله فانه
تعالى لما كان موصوفا ومعروفا بانه يحب التائبين ويحبهم ويفعل بهم ما يستوجبون كان
قوله تعالى يتوب الى الله في قوة ان يقال يتوب الى من يعرف حق التائبين ويحسن اليهم

ولا يبعد ذلك من حيث الدليل فان ان تاب النادم كما تحقق على ذنب صدر عنه استغفر الله تعالى لاجله او خضع واستكان نال من الزلفى الى الله تعالى من الدرجات ما لا ينال بالطاعة محمد

وبتفضل عليهم فكانه قيل من تاب عن المعاصي الى الطاعات في الدنيا فان تلك التوبة
منه في الحقيقة توبة الى الله ذي الجلال والاكرام او مستفاد من لفظ المضارع بان
يراد بقوله يتوب الرجوع الى ثوابه في الاخرة بخلاف الوجهين الاولين اذ ليس
المراد فيهما الرجوع في الاخرة بل المعنى فيهما ان ما اتى به من التوبة في الدنيا هو
التوبة الى الله   وهذا تعميم بعد تخصيص يعني ان متعلق التوبة في قوله ومن
تاب هو امهات المعاصي وههنا مطلق المعاصي   لا يحضرون الشهادة الباطلة
على ان يشهدون من الشهادة وان انتصاب الزور على المصدرية والاصل
لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقوله او لا يحضرون على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور ويكون
انتصاب الزور على انه مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة هي الاخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان
والزور الكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه حق   فان مشاهدة الباطل شركة
فيه من حيث ان الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه
لان الذي حمل اهله عليه استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه   معرضين بمعنى
ان كراما جمع كريم ومنصوب على الحالية والمعنى مروا مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو
وينزهون عن الدخول فيه والاختلاط باهله يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه
واكرم نفسه عنها قال يكني في حقهم واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض
عنه ان يذكر ما يستهجن التصريح به بان يكنى عنه   بالوعظ او القراءة متعلق بقوله
ذكروا اي اذا وعظوا بالقران او اذا تلي عليهم القران لم يقعوا عليها صما لم يسمعوها
وعميانا لم يبصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانتفعوا بها واداة النفي وان دخلت على فعل
الخرور الا ان المقصود ليس نفي الخرور بل اثبات الخرور ونفي ما جعل قيدا له وهو الصمم
والعمى على ما تقرر من ان نفي المقيد يرجع الى قيده والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها
واقبلوا على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها باذان واعية وابصروها بعيون
راعية   وقيل الاية للمعاصي فيكون المراد نفي الفعل لان اثبات الخرور على المعاصي و
نفي الحال فاسد   بتوفيقهم للطاعة يعني ان المراد بالقرور المسؤول بها تفضيلهم
بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين تقر اعينهم بصلاح
ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده

مبالغة الناظر والناظرة للجماعة سـ

فان قوله لا يلتفتون الى زيد ليس لنفي الالتفات بل لنفي التعظيم سـ

٥٧١

واولاده مطيعين لله واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزينتها فلا تقر
اعينهم الا بما يحبونه   وقرة اعين منصوب على انه مفعول هب وهو مصدر قولك
قرت عينه قرة وقرورا وصف به الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من في قوله
من ازواجنا بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين اي ما تقر به عيوننا ثم فسرت
القرة وبينت بقوله من ازواجنا وذرياتنا والمعنى اجعلهم لنا قرة اعين وهو من
قبيل قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد ويجوز ان تكون من ابتدائية على معنى هب
لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح يقال قررت به عينا وقررت به
عينا قرة وقرورا فيهما وهو اما من القرار اي رضيت حتى تقر عيني فلم تطمح الى ما فوقه
او من البرد من قولهم يوم قر ويومنا من القر بالضم وهو البرد وقرور العين على
هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة
حارة بين الله اولا معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يؤذون
احدا وانهم اذا اذاهم اهل الجهل والسفه لا يعارضونهم بالاذى ولكن احتملوا
ذلك عنهم وتجاوزوا وقالوا قولا سدادا ثم بين معاملتهم مع الحق ودعاءهم بالليل
بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن صفتهم في اموالهم بانهم ينفقونها قواما ثم بين
انهم مع تحليهم بهذه الفضائل التي هي اصول الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصي ثم
بين معاملتهم ودعاءهم في حقهم وفي حق انفسهم فان قولهم واجعلنا يعنون به
انفسهم وذرياتهم ومن قرا ذريتنا على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد
والجمع ومن قراه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما جمع لفظ القوم والرهط
لذلك فقيل اقوام وارهط   وتنكير الاعين مع ان المراد بها اعين القائلين
وهي معينة فلاي شيء انكرت والجواب عنه انه لما قصد تنكير القرة للتعظيم نكر المضاف
اليه فانه لا سبيل الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه فنكر المضاف اليه لذلك فكانه
قيل هب لنا سرورا لا يكتنه كنهه   وتقليلها معنى ان القائلين جمع غفير فلم قللوا
اعينهم حيث عبروا عن عيونهم بجمع القلة اجاب عنه بان عيون المتقين
قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وفيه ان التعبير بجمع القلة لا يكفي فيه ان يكون
المعبر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة او ما دونها والقلة
الاضافية لا تستلزم ذلك   وتوحيده مع انه مفعول ثان لقوله واجعلنا فيبغي

فان قلت فما تقرران اسم الاشارة اذا عقب به من اجرى عليه الاوصاف دل على ان المذكور قبله جدير بما بعده لاجل تلك الاوصاف
التي اجريت على عباد الرحمن فكان من حق الظاهر ان يجاء بدل بما صبروا بما فعلوا ليكون كناية عن تلك المذكورات باسرها فما فائدة
العدول قلت فائدته الايذان بان ملاك العبادة الصبر وان حبس النفس على طاعة الله هي الطلبة وفطمها عن مشتهياتها هي
المرام الراغب المرجو

ان يطابق المفعول الاول في الافراد والجمعية ويقال واجعلنا ائمة بصبرهم على ان ما
مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل اطلق ليشيع في كل مصبور عليه والمضض
وجمع الصبة دعاء بالتعمير والسلامة يعني ان التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام
هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقي اياهما وبهم في الغرفات ويمكن ان يكون ذلك هو
الله تعالى كقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وان يكون بعضهم بعضا ويسلم عليه
او تبقية دائمة عطف على قوله دعاء بالتعمير اي ويجوز ان يكون المعنى ويلقون في تلك
الغرفة نفس التبقية الدائمة ونفس السلامة من كل آفة اي يعطيهم الله تعالى
البقاء والخلود بان يبقيهم في الجنة خالدين سالمين وعلى هذا المعنى يكون التركيب
مستعملا في اصل معناه لان معنى التحية الاحياء والتبقية يقال حياه تحية اي احياه
احياء كما يقال بقاه تبقية اي ابقاه ابقاء وعلى المعنى الاول يكون مجازا لانه ينزل
الدعاء بالتحية منزلة التحية فان من دعا بان يبقيه ويخلده فكانه بقاه و
خلده بناء على انه تعالى وعد باجابة الدعاء حيث قال ادعوني استجب لكم
وقوله تعالى خالدين حال من يجزون او يلقون اي متنعمين فيها من غير موت
ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عبادة العابدين وعدد خصائلهم الحميدة
وشرح ثوابهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم امر رسوله صلى الله عليه
وسلم بان يقول للناس صريحا بان مبالاة الله تعالى بكم واعتناءه بشانكم حيث
خلق السموات والارض وما بينهما ارادة لانتظام احوالكم وقضاء
حوائجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق المنعم وتطيعوه فيما كلفكم به من
التكاليف وتظفروا به بالسعادة الابدية والا فهو تعالى غني عنكم وعن عبادتكم
فقال قل ما يعبأ بكم اي ما يصنع بكم وباي وجه يحتاج اليكم وهو غني عن
العالمين يقال عبأت تعبئة عبأ فهو عابئ اي احتاج اليه فهيأه لذلك
وقوله لولا دعاؤكم ذكر فيه وجهان احدهما لولا دعاؤه اياكم الى الدين و
الطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وثانيهما كون المصدر مضافا
الى المفعول فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المثبتة في الشرع
واختار المص ان يكون الخطاب في قوله تعالى قل ما يعبأ بكم وفي قوله لولا
دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير تقييد بنوع من انواع

النفس عما يقتضيه الهوى
ويختلف باختلاف مواقعه
وربما يخالف بين اسمائه
بحسب اختلاف مواقعها
فان كان في مصيبة يقال
صبر لا غير وضده الجزع
وان كان في محاربة يسمى
شجاعة وضدها الجبن
بانه ينقل صابر الله
وان كان في نائبة مضجرة
يسمى صاحبه رحب
الصدر وضده ضيق
الصدر وان كان في
امساك النفس عن
الفضولات يسمى قناعة
وعفة وضدها الحرص
والشره وان كان في
امساك كلام في الضمير
يسمى كتمانا وضده
الافشاء وعلى هذا اقياس
جميع الفضائل من الاخلاق
طي

من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسناد العبادة والتكذيب الى
الجنس المذكور بانه لما وجد في صنف من اصنافه العبادة وفي صنف
آخر من اصنافه التكذيب صح اسنادهما اليه وكان تقديره فقد كذب
الكافرون منكم الا ان دخول الصالحين الابرار في خطاب فقد كذبتم
فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال في تاويله فقد كذب صنف منكم لا يخلو
عن بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه
السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات
الله تعالى وتسميتهم القرآن باساطير الاولين وطعنهم في رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام واما ذكر المؤمنين
فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لولا دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه
اي لولا دعاؤكم لما خلقتكم ولما اعتنى بشانكم وقوله تعالى فقد كذبتم
موضوع موضع ان يقال فقد تركتم عبادتي وخالفتم حكمي على طريق
التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مستلزم لترك العبادة و
الظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط
محذوف وقوله فسوف جزاء لذلك الشرط المحذوف كانه قيل اذا اعلمتكم
اني لا اعتد بمن لا يشتغل بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة
فسوف يلحقكم العذاب وقوله تعالى لزاما خبر يكون واسمه مضمر والمعنى
يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون اللزام مصدرا كالقتال اقيم مقام
الفاعل كما يقام العدل مقام العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب
وهو الافعال المتفرعة على التكذيب حتى يكبكم بفتح الياء من
كبه لا بضمها من اكب لانه لازم مخالف له لوجهه اي صرعه فاكب هو على
وجهه من النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت
والاول بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازما او
لازما تم ما يتعلق بسورة الفرقان بعون الله الملك المنان والآن
اوان الشروع بسورة الشعراء حامدا لله ومصليا ومسلما
على رسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين
برحمتك يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين تم تم تم صح

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور [illegible]
١١٧٥